

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

مجلة علمية محكمة

ISSN: (e) 2709-0833
معامل التأثير للعام 2022 = 4.91

العدد الحادي عشر - المجلد السادس - نوفمبر 2025م



الخرطوم، الخرطوم بحري، السودان.

كافوري مربع 6 جوار جامعة الزعيم الأزهري كلية الهندسة

هاتف: 00249123656807

00201555076381

البريد الإلكتروني: info@hnjournal.net

الموقع على الشبكة: www.hnjournal.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

نائب رئيس التحرير

د. أحمد فايق سليمان دلول

رئيس اللجنة العلمية

د. راکز سالم العرود

نائب رئيس اللجنة العلمية

الهيئة الاستشارية والعلمية الدولية

أ.م. عباس مراد دوهان

أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الكوفة وجامعة الإمام

الكاظم كلية الدراسات الإسلامية

د. علي طالب عبيد السلطاني

أستاذ جامعي كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم

الإسلامية

د. تامر شبل زيا

كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية

د. أمجد عباس أحمد

كلية الإمام الكاظم. قسم الحاسوب، العراق

د. ميسون طه حسين منصور الزهيري.

القانون العام (القانون الدستوري) / جامعة بابل

د. علي محمد كاظم الكريطي

مقرر قسم القانون في كلية الإمام الكاظم / أقسام ميسان

د. خالد طه سالم صالح

كلية التربية جامعة صنعاء

د. حاكم موسى عبد خضير الحسناوي

الكلية التربوية المفتوحة/ وزارة التربية العراق

د. محمد حسين مهاوي/ المعروف ب(د.محمد

الواضح)

معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا

بجامعة الامام الكاظم وأستاذ اللغة العربية

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

استاذ القانون المدني

كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى

كلية الامام الكاظم (ع)

009647701072853

أ.م. د. حيدر كريم جاسم الجزائري

أستاذ جامعي جامعة الإمام الكاظم

الحمد لله الواحد الأحد، على ما أنعم وأعطى من غير حول منا ولا قوة، نحمده تعالى على عظيم فضله وكثرة نعمه وتوفيقه. ونصلي ونسلم على خير البرية احمد الذي هو عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم.

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية هي مجلة عربية دولية محكمة مستقلة تم انشاؤها عن طريق مجموعة من أساتذة الجامعات الموقرين وأصحاب الكفاءات العلمية العالية وهي تتبع رسمياً لمركز الأبرار للأبحاث والدراسات الإنسانية. حصلت المجلة على الرقم التعريفي الدولي، وقد حصلت أيضاً على اعتراف وتصنيف اتحاد الجامعات العربية. وأيضاً حصلت على تصنيف (SJIF) على الموقع الالكتروني <http://sjifactor.com/> بمعامل تأثير مقداره 4.91. وقد حصلت المجلة على الموافقة من المنظمة الدولية للأرقام التعريفية الدولية للأبحاث (DOI) وسيتم منح كل بحث رقم دولي الكتروني تعريفي خاص بالبحث يبقى مدى الحياة. تهدف المجلة إلى نشر العلوم في كافة المجالات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وبأسعار رمزية لتعم الفائدة لجميع الباحثين العرب حيث لا يجد كثير منهم منصات علمية محكمة وسريعة في النشر والتحكيم والتدقيق.

ونحمد الله ونشكره على ان اكتمل العدد الحادي عشر من المجلد السادس، وقد احتوى هذا العدد على عدد (48) بحث، وتشكر إدارة المجلة جميع المؤلفين الذين تقدموا ببحوثهم وأوراقهم العلمية ومقالاتهم والتي بحسب رأينا بها كثير من الفائدة حيث تحتوي البحوث المنشورة في هذا العدد والأعداد السابقة على مواد ذات سبق علمي فريد. نسأل الله تعالى ان يوفقهم ويزيدهم علماً ونوراً وفائدة للأمة العربية.

كما تود إدارة المجلة ان تشكر جميع الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلة فالبعض منهم قد قام بالتبرع المادي والبعض بالنصائح والمساعدة في النشر.

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

شروط النشر بالمجلة

تعليمات للباحثين:

1. ان يكون البحث ذا قيم علمية بحيث انه يقدم جديد في عالم المعرفة.
2. ان يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
3. الا يكون البحث مستلاً من بحث تم نشره مسبقاً.
4. الا تتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الأشكال والرسومات والجداول والصور والمراجع. اذا كان هنالك ملاحق فإنها لا تدرج في النشر ولكنها مهمة ان وجدت لأغراض التحكيم.
5. يجب الا يدرج الباحث اسمه في متن البحث وذلك لضمان سرية التحكيم وجودته.

تنسيق البحث:

1. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
2. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، واسم الباحث والتعريف به، وبيانات التواصل معه).
3. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز كل منهما (250) كلمة مع التأكيد على كتابة عنوان البحث باللغة الانجليزية، وأن يتبع كل ملخص كلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.
4. الهوامش: إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و3 سم للجانب الأيمن و2.3 سم الأيسر. أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و2.3 سم للجانب الأيمن و3 سم الأيسر.
5. المسافة بين الأسطر: مفردة.
6. الخطوط: إذا كان البحث باللغة العربية Simplified Arabic:، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال و10 عادي للملخص. اما اذا كان باللغة الإنجليزية Times New Roman:، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال التوضيحية و10 عادي للملخص.
7. عناصر البحث:
8. المقدمة: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته).
9. تبين الدراسات السابقة وإضافته العلمية عليها.
10. المواد وطرق العمل: يجب أن تحتوي على تفاصيل طريقة إجراء البحث والتحليل الإحصائية والمراجع المستخدمة لهما.
11. النتائج والمناقشة: يمكن كتابة النتائج والمناقشة تحت عنوان واحد أو تحت عنوانين منفصلين. في حالة البيانات المجدولة توضع الجداول والأشكال داخل المتن في أول موقع متاح عقب ذكرها برقمها في المتن. ويستحب عدم إعادة كتابة الأرقام المذكورة بالجداول ويفضل الإشارة إلى وجودها بالجدول أو الشكل وتناقش النتائج بالتفصيل بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بالبحث.
12. كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
13. قائمة المصادر والمراجع.

14. الجداول:

15. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب أسماؤها في أعلاها.
16. في النص: الجدول (1) (مع مسافة واحدة بين الجدول ورقمه).
17. التسمية التوضيحية: ينبغي أن تدرج في الجدول على الصف الأول تتسق كالتالي:

الجدول(1) عنوان الجدول مع ثلاث مسافات بين التسمية التوضيحية واسم الجدول.

- يتم كتابة المصدر أسفل الجدول حجم الخط 11.

1. الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية: تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وتكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود وترقم ترقيماً متسلسلاً.
2. في النص: (الشكل 1) (مع مسافة واحدة بين الشكل ورقمه).
3. التسمية التوضيحية: يجب أن تكون تحت الشكل مباشرة كالتالي:

شكل(1) عنوان الشكل

- يتم كتابة المصدر أسفل الشكل حجم الخط 11، كالتالي (اسم الشهرة للمؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة) إن لزم.

طريقة التوثيق:

1. طريقة الإشارة إلى المصادر داخل متن البحث حسب نظام APA.
2. طريقة كتابة المراجع في نهاية البحث حسب نظام APA.

الصفحة	الموضوع
8 – 1	Review Analysis of Three-Phase Gravity Separators in Oil and Gas Production Dr. Wasila Abdulaziz Elashag, Dr. Laila D. Saleh
32 – 9	مهندسو الاقتصاد الخفي: دراسة تحليلية لدورهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية د. صالح موسى أبكر مطر
59 – 33	الكفاءة والعائد الاجتماعي على الاستثمار في المنظمات التطوعية: نموذج شامل لقياس وتحليل الأثر الاجتماعي والاقتصادي د. صالح موسى أبكر مطر
79 – 60	التزام المرجع المختص في الإدارة العامة بالتعاون مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد وفقاً لأحكام قانون النزاهة ومكافحة الفساد الاردني رقم 13 لسنة 2016 د. يحيى بني طه
94 – 80	هيكله الأحياء العشوائية وآثارها على هوامش مدينة الجديدة بالمغرب - نموذج لدراسة ميدانية للدواوير الشمالية الغربية لمدينة الجديدة (الأشهب، إبراهيم، الغنادرة) د. بدر ايباش، د. محمد كواني، دة. جميلة السعيد
107 – 95	المحطات الحرارية في المغرب: الآثار البيئية والصحية في ضوء الضغط الديموغرافي والسياسات الطاقوية د. محمد كواني، د. منير ندي، د. بدر ايباش، دة. رشيدة المرابط
115 – 108	Groundwater Vulnerability to Agricultural Pollution Using the Modified DRASTIC Index: A Case Study of Ben Yakhlef, Morocco Dr. Mounir Neddi, Dr. Mohammed kaoini, Prof. Rachida El Morabet
136 – 116	الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات د. رجاء صدام جبر
155 – 137	تحولات المجتمع وأثرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم والاستراتيجيات المناسبة للتكيف والتطوير إكرام خماسي عوده
175 – 156	أثر إدارة الموارد البشرية على تقييم الأداء بالتطبيق على جامعة العلوم والتقانة (2020-2025) د/ عبد العال عبد الودود محمد حمزه
190 – 176	الاسرائيليون في السودان في الفترة من 1948-2007م د. محمد زين سليمان حماد
215 – 191	L'apport des espaces verts dans la création des villes durables: cas de la ville de Safi Gargouri Noureddine, Mohamed Mansoum, Abdelhadi Elmimouni
230 – 216	أثر التقويم البديل في مدارس فالدورف على دافعية الطلبة من وجهة نظر المعلمين (دراسة حالة مدرسة فالدورف) وفيقه إبراهيم أيوب
265 – 231	تحليل محتوى الورشات التدريبية للصف الحادي عشر في ضوء مهارات الذكاء العاطفي أ. مي عبد العزيز محمود كنعان، أ. شروق رياض أبو مخ، أ. د. معزوز علاونه

287 – 266	رهانات التنمية القروية في مواجهة التحديات المائية والمناخية: حالة المشروع الهيدرولوجي لمحيط أسجن إقليم وزان نسرين كنفاوي
299 – 288	The Usage of Symbols in the Poetry of Walt Whitman Lecturer. Hafsa Ra'ad Abdullateef
318 – 300	استخدامات موقع التواصل الاجتماعي تيك توك وأثره على القيم الأخلاقية لدى الشباب الجامعي (دراسة حالة طلاب كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية - جامعة بحري) د/ سحر كمال مصطفى، د/ محمد يحيى المكرمى
331 – 319	Modélisation épidémiologique spatiale de la bilharziose à <i>Schistosoma mansoni</i> à partir des données de l'incidence de la dernière décennie dans la zone de santé rurale d'Oicha au Nord Kivu en RD Congo Bailanda Mumbere Pascal, Kahindo Nzalamingi Anselme, Kimbilwa Katavali Emery, Kakule Kithanga Jean de Dieu, Kambale Mbakwiravyo Obede, Mumbere Muvunga Shukuru, Kule Kyusa Archip, Nzanzu Ndulutulu Joachin, Kambale Soheranda Sadraka, Manwa Budwaga Baudouin, Wembo Ndeo Oscar, Barhwamire Kabesha Theophile, Muhindo Sahani Walere, Paluku Sabuni Louis
342 – 332	Evaluation des facteurs associés au faible taux de couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois dans l'aire de santé de Kanzulinzuli en zone de santé de Beni au Nord Kivu, RD Congo Kambale Mwaka Joseph, Tabiyo Kondema Julienne, Ndungo Kitsamuli Josué, Lobho Lokana Jules, Katungu Metya Joséphine, Katungu Mulinda Espérance, Makechi Essombo Didier, Kayamba Monga Jonas, Kakule Mutsunga Maurice, Matiaba Binda Paul, Lisimo Abwa Hilaire, Bailanda Mumbere Pascal, Paluku Sabuni Louis
366 – 343	التصوّف ودوره في الشعر العربي: دراسة الحالة التشادية من خلال شعر عبد الحق الترجمي (1917-1853م) د/ محمد حبيب الغالي آدم
382 – 367	العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023 أ. خير الله حسن داود خاسكيه
408 – 383	أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية على مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض) د. سحر كمال مصطفى، د. محمد يحيى المكرمى
418 – 409	A Critical Discourse Analysis of Social Deviance in Al-Imam Ali's (Peace be upon him) Speech Dr. Zina Abdu Hussein Khudhair, Asst. Lect. Zahraa Kareem Ghannam
427 – 419	حقوق موظف الخدمة الجامعية وفقا للقانون د. زينب ثامر حميدي
448 – 428	مواقف الأهل ومدى معرفتهم حول استخدام الريتالين وأثره الاجتماعي على الطفل، وأعراضه الجانبية كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط أ. شريهان مصاروة؛ و د. هيام صندوقة؛ و أ.د. خالد أبو عصبه

453 – 449	Gestion des déchets biomédicaux et son impact à la santé dans la zone de santé rurale de Nyiragongo, DR Congo Badiambila Mulumba Josué, Kamundu Kahima A, Bitwe Mihanda R, Wembonyama Okitotsho S Baguma Bahati M, Mukandirwa Wetemwami R, Muisha maonero S, Katovya Kighoma D, Kakule kitakya E, Paluku Mutaka F, Lemba kendho J
461 – 454	أسلوب التورية والعلاقة بينه وبين الكناية والمجاز والمشارك اللفظي د. فائزة محمد الغفير
480 – 462	دور وسائل التواصل الاجتماعي في تكوين الرأي العام د. عادل بن عبد الرحمن الخضيري
505 – 481	الاحتباك في القرآن الكريم: دراسة بنيوية أسلوبية دلالية تحليلية د. عبدالحفيظ خضر محمد بادي
516 – 506	الحكاية الشعبية والأسطورة والمثل الشعبي بالريف المغربي: مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية محمد أدراوي
533 – 517	الإطار النظري للتنمية المكانية وآليات التطبيق في الدراسات الجغرافية إبراهيم الزبير عبد القادر الزبير
549 – 534	تحليل محتوى الأنشطة والتقييمات في المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية للمستوى المبتدئ (A1-A2) في ضوء مهارات التفكير العليا، وفق الإطار المرجعي الأوروبي ومستوياته اللغوية الأربعة أمانى أبو زرقعة، أ.د. معزوز علاونه
556 – 550	Melatonin Treatment Delays Senescence by Preserving Chlorophyll and Reducing Weight Loss in Stored Beet Microgreens Ghada Abdullah Mansour
574 – 557	دخول وانتشار الإسلام في تشاد أدم أحمد حسن
601 – 575	الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود: أركانه ودلالاته وتأثيراته على أسس النهضة الاقتصادية وركائز بناء الدولة الحديثة (1932 – 1953م) (دراسة تاريخية تحليلية) د. مهند فاروق محمد أحمد
616 – 602	فاعلية وكالات الأنباء الوطنية في تناول قضية تغير المناخ دراسة وصفية بالتطبيق على وكالة السودان للأنباء (خلال الفترة من يناير 2022 - يناير 2023) د. بكري المكي محمد علي، أ. مناهل محمد أحمد
625 – 117	Étude épidémiologique et clinique des caractéristiques du sperme en consultation prénuptiale chez les hommes dans les Hôpitaux généraux de référence de Beni et Kitatumba en zones de santé de Beni et Butembo au Nord Kivu, RD Congo Matiaba Binda Paul, Bailanda Mumbere Pascal, Niyonzima Munyatwari Pascal, Amisi Ramazani Timothé, Marie Placide Ingabire, Nkurikiye Franck, Niwe Shema Norbert, Maombi Gashegu Félicien, Zawadi Mugoli Isabelle, Lisimo Abwa Hilaire, Paluku Sabuni Louis, Wembonyama Okitotsho Stanislas
636 – 626	معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال أ.م.د. علا حسين علوان
651 – 637	مدى مشروعية اجراء التجارب الطبية في العراق د. محمد عبد اللطيف فاضل البياتي

661 – 652	الانحياز التوكيدي لدى طلبة قسم اللغة الإنكليزية (الترجمة) أ.م.د. جبار فريح شريدة، جولان حسين خليل
671 – 662	دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق: دراسة تحليلية للفترة 2017-2022 قاسم محمد عبدالله، أ.د. مصطفى نجم البشاري، د. زهير احمد علي
686 – 672	تحليل أثر النمو في النفقات والإيرادات العامة على التوازن المالي في الموازنة الاتحادية العراقية 2017-2022 (دراسة تحليلية) قاسم محمد عبدالله، أ.د. مصطفى نجم البشاري، د. زهير احمد علي
704 – 687	أثر تكنولوجيا المعلومات في كفاءة الأداء المؤسسي: بالتطبيق على وزارة الموارد البشرية - فرع الباحة خلال العام 2024م أ. خالد مسفر سعيد الغامدي
714 – 705	تأثير تحويل البروتينات بالمركبات البوليفينولية على الخصائص الوظيفية والفعالية المضادة للأكسدة وتطبيقاتها في الأنظمة الغذائية علي عبد الحسين عبد الله، عالية زيارة هاشم
723 – 715	A Critical Discourse Analysis of Ideology in some American and British Press in Relation to Palestinian Crisis Asst. Lect. Zainab Kareem Ghannam
733 – 724	A Stylistic Study of Monotheism in Al-Imam Al-Hassan's (Peace Be Upon Him) Speeches Asst. Lect. Zahraa Kareem Ghannam
744 – 734	Facteurs explicatifs de faible utilisation des services des consultations prénatales par les gestantes dans l'aire de santé de Katoyi dans la zone de santé de Karisimbi en RD Congo Niyonzima Munyatwari Pascal, Bailanda Mumbere Pascal, Matiaba Binda Paul paul, Kakule Mutsunga Maurice, Lisimo Abwa Hilaire, Bauma Bitsubu, Mbuzukongira Prince, Paluku Sabuni Louis, Wembonyama Okitosho Stanislas
752 – 745	العقل في فلسفة الظاهراتية: دراسة تحليلية في ضوء أعمال هوسرل وهايدغر وميرلوبونتي م.م فؤاد لطيف تركي، علي فتحي

RESEARCH TITLE

Review Analysis of Three-Phase Gravity Separators in Oil and Gas Production

Dr. Wasila Abdulaziz Elashag¹

¹ Associate Professor, Department of Petroleum Engineering, University of Tripoli, Libya.
Email: welashag@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/1>

Received at 15/09/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

Separators are essential equipment in the oil and gas industry, allowing the efficient phase separation of gas, oil, and water mixtures. It enhances production, resource utilization, safety, and environmental management. This work focuses on gravity separators, which operate based on the fundamental principle of gravity to separate fluids of differing densities. The paper discusses the theoretical background, classification, and design considerations of gravity separators, highlighting their widespread use in upstream oil and gas processing. Main internal components, such as baffles, weirs, and coalescing plates, improve the separation efficiency by minimizing turbulence and promoting phase disengagement. Recent advancements in separator technology include optimized three-phase gravity separators that improve separation while reducing capital and operational costs. These systems combine dynamic simulation tools and innovative designs to increase safety, efficiency, and reliability in oilfield operations.

Key Words: Gravity separators; Three-phase separation; Oil and gas processing; Separation efficiency; Dynamic simulation tools.

مراجعة تحليلية للعازلات بالجاذبية ثلاثية الطور في إنتاج النفط والغاز

المستخلص

تُعَدّ العازلات معدات أساسية في صناعة النفط والغاز، إذ تُمكن من الفصل الكفء لأطوار الغاز والنفط والماء. ويسهم ذلك في رفع الإنتاج وكفاءة استغلال الموارد وتعزيز السلامة وحماية البيئة. يركّز هذا العمل على العازلات بالجاذبية التي تعتمد على المبدأ الأساسي للجاذبية لفصل الموائع ذات الكثافات المختلفة. يناقش البحث الخلفية النظرية وتصنيفات واعتبارات تصميم العازلات بالجاذبية، مع إبراز انتشار استخدامها في معالجة النفط والغاز في قطاع المنبع. كما تُحسّن المكونات الداخلية الرئيسية—مثل الحواجز المشبّعة (Baffles) والحواجز الفيضوية (Weirs) وصفائح التلاصق—(Coalescing plates) كفاءة الفصل من خلال تقليل الاضطراب وتعزيز انفصال الأطوار. وتشمل التطورات الحديثة في تقنيات العزل تحسين العازلات الجاذبية ثلاثية الطور بما يرفع كفاءة الفصل ويخفض التكاليف الرأسمالية والتشغيلية. وتجمع هذه الأنظمة بين أدوات المحاكاة الديناميكية والتصاميم الابتكارية لتعزيز السلامة والكفاءة والموثوقية في عمليات حقول النفط.

الكلمات المفتاحية: العازلات بالجاذبية؛ الفصل ثلاثي الطور؛ معالجة النفط والغاز؛ كفاءة الفصل؛ أدوات المحاكاة الديناميكية.

1- Interdiction

Separators play a vital role in oil and gas processing by enabling the efficient phase separation of gas, oil, and water mixtures, which is essential for optimal production, resource utilization, safety, and environmental management. The separation process typically involves three-phase separation technology, increasingly becoming important as oilfields enter stages with higher water content and emulsification of extracted fluids. Efficient and compact separator designs are crucial, especially for space-limited offshore platforms, to ensure effective oil-water separation while maintaining appropriate flow dynamics inside the separator (Shangfei Song et al., 2024).

The importance of separators in the industry extends beyond simply partitioning phases; they significantly improve resource recovery and operational profitability by reducing hydrocarbon losses and optimizing downstream processing.

The paper explains the theoretical background of what separators are, their importance, types, and mechanisms. Gravity separators will be discussed in detail.

2- Separator definition

Hydrocarbon streams, when produced at the wellhead, are a collection of a mixture of gas, liquid hydrocarbons, and sometimes free water. In most cases, it is necessary to separate these components as soon as possible after delivering them to the surface and handling or transporting them. A separation of the liquids from the gas phase is accomplished by passing the well stream through a separator, which is generally referred to as a pressure vessel used for separating well fluids produced into gaseous and liquid components (Tariq Ahmed et al., 2020).

Separators have several purposes, such as upstream and downstream of compressors, gasoline plants, and liquid traps in gas transmission lines (Sivalls, 2009).

In the oil and gas industry, separators are used to separate the various components present in the flow of crude oil, water, and gas. Oil, water, and gas separations depend on the characteristics of each component, and their separations can vary based on the specific conditions of the field and the processes used.

2.1 Oil-Water Separator

Oil-water separators primarily rely on gravity separation, taking advantage of the density difference between oil and water. Oil ($\sim 800 \text{ kg/m}^3$) floats above water ($\sim 1000 \text{ kg/m}^3$).

Separation efficiency is enhanced by reducing turbulence and providing sufficient residence time for droplets to coalesce and separate. Typically, residence time is 3-15 minutes, depending on flow rate and emulsion characteristics. Coalescing elements aim to increase droplet size to >100 microns for faster settling. Also, Flow Velocity must be low ($< 0.1 \text{ m/s}$) in the settling section to avoid re-entrainment. However, temperature influences viscosity and interfacial tension; heating may improve separation (Tariq Ahmed et al., 2020).

2.2 Oil-Gas Separator

These separators reduce the pressure of the produced mixture to promote gas coming out of solution from the liquid hydrocarbons. Gas disengages and collects at the top chamber, while oil settles below. Operating Pressure must be optimized to be below the bubble point but high enough to avoid hydrate or wax formation downstream. The separator is sized to provide sufficient retention time (typically seconds to a few minutes, depending on flow) to allow gas separation. Gas must be allowed to rise with minimal entrainment of liquids; typically, gas velocity is controlled below the maximum allowable. Control the liquid Level to prevent carryover and ensure a correct gas-liquid interface (Josh Tracey, PMP., 2022).

2.3 Water-Gas Separator

It works by facilitating the removal of gas from water by exposing the flow to reduced pressure and using gravity. Gas bubbles rise and separate from the water phase. Reducing

pressure to atmospheric or near-atmospheric speeds for gas release. Retention Time needs to be enough for gas bubbles to coalesce and separate. Similarly, the water flow rate should be controlled (Josh Tracey, PMP., 2022).

General Design Considerations

- **Material Selection:** Corrosion-resistant alloys or linings are often used due to acidic gases (H₂S, CO₂) and water content (Josh Tracey, PMP., 2022).
- **Pressure and Temperature Ratings:** Designed per ASME or API standards according to field conditions (Josh Tracey, PMP., 2022).
- **Instrumentation:** Level sensors, pressure transmitters, temperature detectors, and automated control valves for maintaining stable interfaces and safe operation (Josh Tracey, PMP., 2022).
- **Safety Features:** Relief valves and emergency shutdown systems to manage unexpected surges or overpressure situations (Josh Tracey, PMP., 2022).

Overall, the key operational principle across these separators is the use of pressure control and phase density differences to achieve effective phase separation, enhanced by internal structures and optimized flow dynamics to yield the full advantage of separation efficiency (Tariq Ahmed et al., 2020).

There are other types of separators used in the oil and gas industry created on the specific needs of each field and flow. These separators may include heavy oil, light oil, sour gas separators, etc. For example, three-phase separators incorporating elements such as corrugated plate coalescers enhance oil-water separation by facilitating oil droplet floating, coalescence, and stabilization—processes that are vital for efficient separation and lowering production costs. Additionally, advanced designs such as vortex separators inside pipelines improve gas-liquid separation quality via centrifugal forces, enhancing phase isolation, to ease hydrocarbon losses and environmental contamination.

3- Classification of separators

In the oil and gas industry, separators are essential equipment used to divide produced fluids into distinct phases for further processing and handling. The common classification of separators, classified by their function and design, includes:

3.1. Number of Phases Separated:

- **Two-Phase Separators:** Separate fluid mixtures into gas and liquid (where liquid may contain both oil and water). Used in applications where initial gas-liquid separations are sufficient. These can be vertical, horizontal, or spherical.
- **Three-Phase Separators:** Separate the fluid mixture into gas, oil, and water phases distinctly. These types are widely used in upstream processing to handle complex production streams with significant water content.

3.2 Design and Orientation:



Figure 1: horizontal separator Figure 2: Vertical separators Figure 3: Spherical Separators

- **Horizontal Separators:** Cylindrical vessels oriented horizontally, providing a large surface area for phase settling, suitable for high liquid volumes and where space height is limited (figure 1), (Josh Tracey, PMP., 2022).
- **Vertical Separators:** Cylindrical vessels oriented vertically, preferred where space is constrained on the floor and where the gas-to-liquid ratio is high (figure 2), (Josh Tracey, PMP., 2022).
- **Spherical Separators:** Compact spherical vessels used primarily in high-pressure applications or when space is at a premium (figure 3), (Josh Tracey, PMP., 2022).

3.3 Application:

- **Test Separators:** Used during well testing to measure and separate produced fluids. Can be configured as two-phase or three-phase separators and are often portable or skid-mounted (Tariq Ahmed et al., 2020).
- **Production Separators:** Continuously separate produced fluids post wellhead for ongoing production operation; usually larger, fixed installations (Tariq Ahmed et al., 2020).

3.4 Specialized Separators:

- **Low-Temperature Separators:** Utilize pressure drops to cool fluids, condensing vapors to recover liquids (Tariq Ahmed et al., 2020).
- **Metering Separators:** Combine fluid separation with precise flow rate measurement for production monitoring (Tariq Ahmed et al., 2020).
- **Cyclone Separators:** Use centrifugal forces for enhanced gas-liquid separation, often as pre-separators (Tariq Ahmed et al., 2020).

In the coming section, gravity separators will be discussed in detail

4. Gravity Separators.

Gravity separators operate on the fundamental principle of gravity to separate fluids of different densities, mainly oil, water, and gas (fig.3.1). These separators allow the heavier liquid (usually water) to settle at the bottom while the lighter liquid (oil) forms a layer above it, and gas is separated based on density differences. This principle is straightforward, making gravity separators one of the most widely used separation technologies in surface facilities (Ghanim M. Farman, 2024).

Gravity separators are used in three-phase separation (gas, oil, water) in upstream oil and gas processing, including wellhead facilities and processing plants. They are often sought for their reliability, simplicity, and ability to handle large volumes at relatively low flow velocities.

Internal components such as baffles, weirs, and coalescing plates are used to enhance the separation process by directing flow, reducing turbulence, and increasing droplet coalescence for improved phase disengagement (Christoph J, et. al 2018).

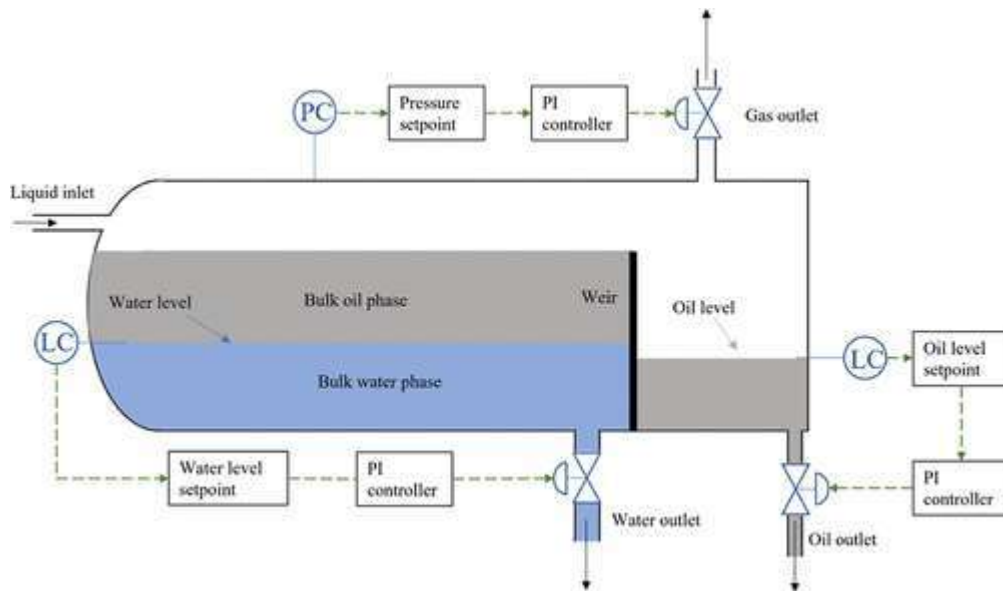


Figure (3-1). Schematic of a three-phase gravity separator. ACS Omega 2023,

4.1. Types of Gravity Separators

- Horizontal Gravity Separators:** These separators are designed with a horizontal orientation, which facilitates longer residence times and offers an extensive surface area for effective phase separation. They are typically utilized for processing large volumes (Ahmed et al., 2020).
- Vertical Gravity Separators:** This type employs a vertical shape, making them suitable for areas with limited space or when managing slugs of liquids (Ahmed et al., 2020).
- Spherical Gravity Separators:** It is less frequently used, spherical separators are primarily employed in situations where pressure containment and compact size are essential (Ahmed et al., 2020).

Enhancing separation efficiency is the new development that has been focusing on optimizing three-phase gravity separators while simultaneously lowering both capital and operational expenses. This includes the development of improved design models that consider retention time and droplet settling principles, which assist in determining sizing and operational conditions to ensure clean gas outputs and avert downstream issues such as compressor failure, pump cavitation, and hydrate formation (Ahmed et al., 2020).

Dynamic simulation tools have been designed for three-phase gravity separators to oversee and manage operational factors such as water and oil levels, pressure, and valve positions, thereby increasing safety and efficiency in operations (Ram Chandra Chaurasia et. al., 2024).

Innovative ideas that combine additional technologies with gravity separation, such as cyclone systems or mesh elements, have been proposed to improve separation effectiveness in gas drying processes and other applications.

4.2 Design of Gravity Separators

The primary components of gravity separators utilized within the oil and gas sector include (Tariq Ahmed et al. 2020):

- Vessel Shell (Body):** The outer pressure vessel captures the fluid mixture. The shape, which is horizontal, vertical, or spherical, varies depending on the separator type and spatial limitations. It is engineered to withstand operational pressures and temperatures while providing adequate volume for phase separation.

- **Inlet Section and Diffuser:** It is crafted to receive multiphase fluids while reducing their velocity to minimize turbulence. The inlet distributor or diffuser ensures uniform distribution across the separator's cross-section, enabling calm settling and preventing disruptive jetting.
- **Internal Baffles and Weirs:** These internal flow management elements help decrease turbulence and enable phase disengagement. They create distinct settling zones by directing flow patterns that allow liquid droplets to combine and settle according to their density differences.
- **Coalescing Plates or Packs:** Some gravity separators incorporate internal coalescing plates or packs that improve separation performance by encouraging smaller droplets to merge into larger ones that settle more efficiently. This feature is particularly significant in enhancing oil-water separation, where emulsions may exist.
- **Settling Section:** The central volume within the vessel is characterized by low fluid velocity sufficient for gravitational stratification of different phases (gas, oil, water) based on density variations. Proper sizing of this section is essential for ensuring adequate residence time for droplet settling.
- **Outlet Sections and Interfaces:** Dedicated outlets for gas, oil, and water phases permit independent extraction. Control mechanisms like level controllers and valves regulate the interfaces between these layers to optimize phase withdrawal.
- **Gas Outlet with Scrubbers or Mist Extractors:** The gas outlet may include mist extractors or demisters (mesh pads) that serve to eliminate liquid carryover from the gas stream, resulting in cleaner gas output.
- **Coatings and Corrosion Protection:** Internal protective coatings such as fusion-bonded epoxy (FBE) or glass-reinforced epoxy (GRE) linings safeguard the vessel against corrosion caused by produced fluids containing acidic gases like H₂S and CO₂, as well as water contaminants.
- **Instrumentation and Control Components:** Sensors monitoring levels, pressure, and temperature, along with automated control valves, enable dynamic regulation of phase interfaces alongside overall separator performance. These components play a critical role in maintaining safety standards while optimizing separation efficiency under fluctuating operating conditions.

This combination of elements enables gravity separators to effectively segregate gas, oil, and water phases by reducing fluid velocities, minimizing turbulence, and providing ample residence time for gravitational settling while ensuring equipment protection from harsh operational environments (Shangfei Song et al., 2023).

4.3 Functional Flow Inside a Gravity Separator:

- **Fluid Entry and Velocity Reduction:** The multiphase flow enters the separator through an inlet diffuser that slows and distributes the flow evenly to minimize turbulence and mixing (Tariq Ahmed et al. 2020).
- **Phase Settling:** Inside the settling zone, gravity pulls the denser water downwards. Oil, being less dense, floats on top of the water, while gas rises above the oil layer. Internal baffles and weirs preserve these layers separate and calm.
- **Droplet Coalescence:** In separators equipped with coalescing packs or plates, smaller oil droplets merge into larger ones, accelerating the separation rate.

- **Phase Withdrawal:** The separated gas exits through the top gas outlet after passing through mist extractors, which remove residual liquid droplets. Oil and water are withdrawn separately from designed outlets at specific heights, maintaining the interface between them.
- **Level Control:** Instruments continuously monitor oil-water levels and adjust valves to maintain phase integrity and avoid carryover. This ensures consistent quality and prevents operational issues downstream.

5. Results

The analysis reveals that gravity separators are effective in handling three-phase mixtures of gas, oil, and water through gravitational settling aided by internal flow control elements. Horizontal gravity separators offer longer residence times and increased surface area, allowing high-volume processing, while vertical and spherical designs cater to space constraints and pressure requirements. Enhanced separation efficiency is achieved by coalescing plates, baffles, and optimized flow management to reduce turbulence and facilitate droplet coalescence and phase stratification. Instrumentation and automated controls maintain phase interface levels to prevent carryover and progress extraction. Innovative designs that link gravity separation with additional technologies, for example, cyclone systems, have further enhanced gas drying and purification. Dynamic simulators provide precise operational control, contributing to reduced hydrocarbon losses and improved downstream process reliability. Overall, three-phase gravity separators suggest a reliable, cost-effective solution for fluid phase separation in complex oilfield conditions.

6. Conclusion

- Gravity separators remain a cornerstone technology in oil and gas production, offering simplicity, reliability, and efficiency in separating gas, oil, and water phases.
- Horizontal to vertical and spherical configurations enable adaptation to diverse operational constraints.
- The integration of internal flow management elements and coalescing technology significantly enhances phase separation, ensuring higher quality outputs and reduced operational problems.
- Advances in dynamic simulation and hybrid separator designs further optimize performance, reduce costs, and improve safety.
- Continued innovation and optimization in gravity separator technology will be essential in addressing increasingly complex separation challenges in modern oil and gas production environments.

7. References

Christoph J. Backi, Brian A. Grimes, and Sigurd Skogestad, " A Control- and Estimation-Oriented Gravity Separator Model for Oil and Gas Applications Based upon First-Principles", [Industrial & Engineering Chemistry Research](#), Vol 57/Issue 21, 2018.

C. RICHARD SIVALLS, P.E., " OIL AND GAS SEPARATION DESIGN MANUAL", SIVALLS, INC., 2009.

Ghanim M. Farman, " Optimization of Separator Size and Operating Pressure for Three-phase Separators in the West Qurna1 Oil Field", Iraqi Journal of Chemical and Petroleum Engineering, 2024.

Josh Tracey PMP, "TYPES OF SEPARATORS", 12 eleven production equipment, Uploaded by

[Hamza Mughal](#) on Jul 20, 2022.

Ram Chandra Chaurasia, Deepak Singh Panwar, and Bhupendra Singh Ken, "Enhancing gravity separation for improved mineral processing," Multidisciplinary Science Journal, 2024.

Shangfei Song et al, "Dynamic simulator for three-phase gravity separators in oil production Processes", ACS publication, volume 8, issue 6, 2023.

Shangfei Song. et al. " Dynamic Simulator for Three-Phase Gravity Separators in Oil Production Facilities", <https://pubs.acs.org/journal/acsodf?ref=breadcrumb> 2023.

Tariq Ahmed et al., "Design and capital cost optimization of three-phase gravity separators," Heliyon, 2020.

عنوان البحث

مهندسو الاقتصاد الخفي: دراسة تحليلية لدورهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية

د. صالح موسى أبكر مطر¹

¹ أستاذ الاقتصاد المساعد، كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/2>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/2>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور "مهندسي الاقتصاد الخفي" كفاعلين رئيسيين في تشكيل وتوجيه الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية وتأثيرهم على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. يُعرّف مهندسو الاقتصاد الخفي بأنهم الأفراد أو الجماعات الذين يمتلكون القدرة على تنظيم وتنسيق وتوجيه الأنشطة الاقتصادية خارج الإطار الرسمي للدولة، من خلال شبكات معقدة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية. تستخدم الدراسة منهجية مختلطة تجمع بين التحليل الكمي والنوعي، حيث تم جمع البيانات من 156 مهندساً للاقتصاد الخفي في 12 دولة مختلفة، بالإضافة إلى إجراء 89 مقابلة متعمقة و15 دراسة حالة تفصيلية. تكشف النتائج أن مهندسي الاقتصاد الخفي يلعبون أدواراً متعددة ومعقدة تشمل: الوساطة المالية، وتنظيم الأسواق، وتوفير الخدمات اللوجستية، وإدارة المخاطر، وتسهيل التجارة عبر الحدود. تشير النتائج إلى أن هؤلاء المهندسين يساهمون في خلق فرص عمل لحوالي 2.3 مليار شخص عالمياً، ويديرون تدفقات مالية تقدر بـ 13.2 تريليون دولار سنوياً. كما تظهر الدراسة أن مهندسي الاقتصاد الخفي يطورون آليات مبتكرة للتمويل والتأمين والتسويق تتجاوز في كثير من الأحيان الحلول المتاحة في القطاع الرسمي. توصي الدراسة بضرورة إعادة النظر في السياسات الاقتصادية التقليدية لتشمل فهماً أعمق لدور هؤلاء المهندسين، وتطوير آليات للتعاون والتكامل بين الاقتصاد الرسمي وغير الرسمي بدلاً من التركيز على القمع والإقصاء.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد الخفي، مهندسو الاقتصاد، القطاع غير الرسمي، التنمية الاقتصادية، الشبكات الاجتماعية، الابتكار المالي

RESEARCH TITLE

Engineers of the Hidden Economy: An Analytical Study of Their Role in Economic and Social Development

Abstract

This study aims to analyze the role of “shadow economy engineers” as key actors in shaping and directing informal economic activities and their impact on economic and social development. Shadow economy engineers are defined as individuals or groups who possess the ability to organize, coordinate, and direct economic activities outside the formal framework of the state, through complex networks of social and economic relationships. The study employs a mixed methodology combining quantitative and qualitative analysis, with data collected from 156 shadow economy engineers across 12 different countries, in addition to conducting 89 in-depth interviews and 15 detailed case studies. The findings reveal that shadow economy engineers play multiple and complex roles including: financial intermediation, market organization, logistics services provision, risk management, and facilitating cross-border trade. Results indicate that these engineers contribute to creating employment opportunities for approximately 2.3 billion people globally and manage financial flows estimated at \$13.2 trillion annually. The study also shows that shadow economy engineers develop innovative mechanisms for financing, insurance, and marketing that often surpass solutions available in the formal sector. The study recommends the need to reconsider traditional economic policies to include a deeper understanding of these engineers’ roles, and to develop mechanisms for cooperation and integration between formal and informal economies rather than focusing on suppression and exclusion.

Key Words: Shadow Economy, Economy Engineers, Informal Sector, Economic Development, Social Networks, Financial Innovation.

1. المقدمة

1.1 السياق العام وأهمية الدراسة

يشكل الاقتصاد الخفي أو غير الرسمي جزءاً كبيراً ومتنامياً من النشاط الاقتصادي العالمي، حيث تشير التقديرات إلى أنه يمثل حوالي 35% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي ويوظف أكثر من 2.6 مليار شخص حول العالم¹. هذا القطاع، الذي كان يُنظر إليه تقليدياً كظاهرة هامشية أو مؤقتة، أصبح يُعترف به الآن كمكون أساسي ودائم في الهيكل الاقتصادي العالمي². رغم هذه الأهمية الكبيرة، لا يزال فهمنا لآليات عمل هذا القطاع وخاصة للفاعلين الرئيسيين الذين يقودونه وينظمونه محدوداً نسبياً³.

في قلب هذا النظام المعقد، يبرز دور ما نطلق عليه "مهندسي الاقتصاد الخفي" - وهم الأفراد أو الجماعات الذين يمتلكون القدرة الاستثنائية على تنظيم وتنسيق وتوجيه الأنشطة الاقتصادية خارج الإطار الرسمي للدولة⁴. هؤلاء المهندسون ليسوا مجرد مشاركين في الاقتصاد الخفي، بل هم المعماريون الحقيقيون لهذا النظام، الذين يصممون ويطورون الآليات والهيكل التي تمكن من تشغيل شبكات اقتصادية معقدة دون الاعتماد على المؤسسات الرسمية⁵.

تكمُن أهمية دراسة مهندسي الاقتصاد الخفي في عدة جوانب مترابطة. أولاً، من الناحية الأكاديمية، تساهم هذه الدراسة في سد فجوة معرفية مهمة في الأدبيات الاقتصادية التي ركزت تقليدياً على تحليل الاقتصاد الرسمي وأهملت إلى حد كبير الديناميكيات المعقدة للاقتصاد غير الرسمي⁶. ثانياً، من الناحية السياسية، توفر فهماً أعمق لطبيعة التحديات التي تواجه الحكومات في محاولاتها لإدماج غير الرسمي أو تنظيمه⁷. ثالثاً، من الناحية التنموية، تكشف عن إمكانيات هائلة للاستفادة من الخبرات والابتكارات المطورة في الاقتصاد الخفي لتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية⁸.

2.1 التطور التاريخي لمفهوم الاقتصاد الخفي

شهد مفهوم الاقتصاد الخفي تطوراً كبيراً منذ ظهوره الأول في الأدبيات الاقتصادية في السبعينيات من القرن الماضي. في البداية، ركز الباحثون على الجوانب الكمية للظاهرة، محاولين قياس حجم الاقتصاد غير الرسمي ونسبته من الناتج المحلي الإجمالي⁹. هذا النهج الكمي، رغم أهميته، أغفل إلى حد كبير الجوانب النوعية والديناميكيات الداخلية لهذا القطاع¹⁰.

في الثمانينيات والتسعينيات، بدأ الباحثون في التركيز أكثر على الجوانب المؤسسية والاجتماعية للاقتصاد غير الرسمي¹¹. ظهرت دراسات مهمة حول دور الشبكات الاجتماعية، والثقة، والمعايير الاجتماعية في تنظيم النشاط الاقتصادي خارج الإطار الرسمي¹². هذا التطور في الفهم أدى إلى إدراك أن الاقتصاد غير الرسمي ليس مجرد نسخة مصغرة أو بدائية من الاقتصاد الرسمي، بل نظام معقد له منطق وآلياته الخاصة¹³.

في العقد الأخيرين، شهد المجال تطوراً نحو فهم أكثر تعقيداً ودقة للاقتصاد غير الرسمي¹⁴. بدأ الباحثون في التركيز على الفاعلين الرئيسيين في هذا القطاع وخاصة أولئك الذين يلعبون أدواراً قيادية وتنظيمية¹⁵. من هنا نشأ مفهوم "مهندسي الاقتصاد الخفي" كإطار تحليلي جديد لفهم كيفية تنظيم وإدارة الأنشطة الاقتصادية المعقدة خارج الإطار الرسمي¹⁶.

3.1 التحديات المعاصرة في فهم الاقتصاد الخفي

تواجه الدراسات المعاصرة للاقتصاد الخفي عدة تحديات منهجية ونظرية مهمة. التحدي الأول هو صعوبة الوصول إلى البيانات الموثوقة حول الأنشطة التي تتم بطبيعتها خارج الأنظمة الرسمية للمراقبة والتسجيل¹⁷. هذا التحدي يتطلب تطوير منهجيات بحثية مبتكرة تعتمد على مصادر متنوعة للمعلومات وتقنيات متقدمة للتحليل¹⁸.

التحدي الثاني هو التعقيد المتزايد للاقتصاد الخفي في عصر العولمة والتكنولوجيا الرقمية¹⁹. الشبكات الاقتصادية غير الرسمية اليوم تمتد عبر الحدود الوطنية وتستخدم تقنيات متطورة للتواصل والتنسيق، مما يجعل دراستها وفهمها أكثر تعقيداً²⁰. التحدي الثالث هو الحاجة لتطوير أطر نظرية جديدة تتجاوز النماذج التقليدية للاقتصاد الرسمي وتأخذ في الاعتبار الخصائص الفريدة للاقتصاد غير الرسمي²¹.

التحدي الرابع هو التوازن بين الحاجة للفهم العلمي الموضوعي والاعتبارات الأخلاقية والقانونية المرتبطة بدراسة أنشطة قد تكون غير قانونية أو مثيرة للجدل²². هذا التحدي يتطلب تطوير مبادئ أخلاقية واضحة للبحث في هذا المجال وضمان حماية المشاركين في الدراسات²³.

4.1 أهداف الدراسة وأسئلة البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق فهم شامل ومتعمق لدور مهندسي الاقتصاد الخفي في تشكيل وتوجيه الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية وتأثيرهم على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. الهدف الأول هو تطوير تعريف دقيق ومفصل لمفهوم "مهندس الاقتصاد الخفي" وتحديد الخصائص والسمات التي تميز هذه الفئة عن غيرها من الفاعلين في الاقتصاد غير الرسمي²⁴.

الهدف الثاني هو تحليل الأدوار والوظائف المختلفة التي يؤديها مهندسو الاقتصاد الخفي، وفهم الآليات والاستراتيجيات التي يستخدمونها لتنظيم وتنسيق الأنشطة الاقتصادية المعقدة²⁵. الهدف الثالث هو قياس وتقييم التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية لأنشطة هؤلاء المهندسين، سواء الإيجابية منها أو السلبية²⁶.

الهدف الرابع هو استكشاف طبيعة العلاقة والتفاعل بين مهندسي الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي، وتحديد نقاط التقاطع والتكامل والتنافس²⁷. الهدف الخامس هو تطوير توصيات سياسية مبنية على الأدلة لتحسين التعامل مع الاقتصاد غير الرسمي والاستفادة من إمكانياته في تعزيز التنمية²⁸.

تسعى الدراسة للإجابة على عدة أسئلة بحثية رئيسية. السؤال الأول: من هم مهندسو الاقتصاد الخفي وما هي الخصائص والسمات التي تميزهم؟ السؤال الثاني: ما هي الأدوار والوظائف المختلفة التي يؤديها هؤلاء المهندسون في تنظيم الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية؟ السؤال الثالث: ما هي الآليات والاستراتيجيات التي يستخدمونها لتحقيق أهدافهم الاقتصادية؟²⁹

السؤال الرابع: ما هي التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية لأنشطة مهندسي الاقتصاد الخفي على المجتمعات المحلية والاقتصاد الوطني؟ السؤال الخامس: كيف يتفاعل مهندسو الاقتصاد الخفي مع الاقتصاد الرسمي والمؤسسات الحكومية؟ السؤال السادس: ما هي التحديات والفرص المستقبلية التي تواجه مهندسي الاقتصاد الخفي في ظل التطورات التكنولوجية والاقتصادية المعاصرة؟³⁰

5.1 المساهمة العلمية والأصالة

تساهم هذه الدراسة في الأدبيات العلمية من خلال عدة جوانب مبتكرة ومهمة. أولاً، تقدم إطاراً نظرياً جديداً لفهم الاقتصاد غير الرسمي من خلال التركيز على الفاعلين الرئيسيين الذين ينظمونه ويقودونه³¹. هذا الإطار يتجاوز النظرة التقليدية للاقتصاد غير الرسمي كمجموعة من الأنشطة المتناثرة إلى فهمه كنظام منظم ومعقد له قاداته ومهندسوه³².

ثانياً، تطور الدراسة منهجية بحثية مبتكرة تجمع بين التقنيات الكمية والنوعية لدراسة ظاهرة معقدة وحساسة³³. هذه المنهجية تتضمن تقنيات متقدمة لجمع البيانات من مصادر متعددة وتحليلها بطرق تضمن الموثوقية والصحة العلمية³⁴.

ثالثاً، تقدم الدراسة أدلة تجريبية واسعة النطاق حول دور مهندسي الاقتصاد الخفي، مما يساهم في سد فجوة مهمة في المعرفة العلمية³⁵.

رابعاً، تطور الدراسة مفاهيم وتصنيفات جديدة لفهم التنوع والتعقيد في أدوار ووظائف مهندسي الاقتصاد الخفي³⁶. هذه المفاهيم توفر أدوات تحليلية جديدة للباحثين وصناع السياسة لفهم هذه الظاهرة بشكل أفضل³⁷. خامساً، تقدم الدراسة رؤى جديدة حول إمكانيات التكامل والتعاون بين الاقتصاد الرسمي وغير الرسمي، مما يفتح آفاقاً جديدة للسياسات التنموية³⁸.

2. مراجعة الأدبيات

1.2 الأسس النظرية لدراسة الاقتصاد الخفي

تستند دراسة الاقتصاد الخفي إلى مجموعة متنوعة من النظريات الاقتصادية والاجتماعية التي تطورت عبر عقود من البحث الأكاديمي. النظرية الأساسية الأولى هي نظرية الاقتصاد المؤسسي الجديد (New Institutional Economics) التي طورها علماء مثل Douglass North و³⁹ Oliver Williamson هذه النظرية تؤكد على أهمية المؤسسات - سواء الرسمية أو غير الرسمية - في تشكيل السلوك الاقتصادي وتحديد تكاليف المعاملات⁴⁰.

في سياق الاقتصاد الخفي، تساعد نظرية الاقتصاد المؤسسي في فهم كيف تنشأ وتتطور المؤسسات غير الرسمية لتنظيم النشاط الاقتصادي خارج الإطار الرسمي للدولة⁴¹. مهندسو الاقتصاد الخفي، من هذا المنظور، هم المبتكرون والمطورون لهذه المؤسسات غير الرسمية، الذين يصممون القواعد والآليات التي تحكم التفاعلات الاقتصادية في غياب الإنفاذ الحكومي⁴².

النظرية الثانية المهمة هي نظرية الشبكات الاجتماعية (Social Network Theory) التي تركز على كيفية تأثير البنية الاجتماعية على السلوك الاقتصادي⁴³. هذه النظرية، التي طورها علماء مثل Mark Granovetter و James Coleman، تؤكد على أن الأنشطة الاقتصادية "مدمجة" (embedded) "في الشبكات الاجتماعية وتتأثر بها بشكل كبير"⁴⁴.

في سياق الاقتصاد الخفي، تلعب الشبكات الاجتماعية دوراً حاسماً في تنظيم الأنشطة وتسهيل التبادل⁴⁵. مهندسو الاقتصاد الخفي غالباً ما يكونون في مواقع مركزية في هذه الشبكات، مما يمنحهم القدرة على التحكم في تدفق المعلومات والموارد والفرص⁴⁶. هذا الموقع المركزي يتيح لهم لعب دور الوسيط والمنسقين للأنشطة الاقتصادية المعقدة⁴⁷.

النظرية الثالثة هي نظرية رأس المال الاجتماعي (Social Capital Theory) التي تركز على قيمة العلاقات الاجتماعية والثقة المتبادلة كمصادر اقتصادية⁴⁸. هذه النظرية، التي ساهم في تطويرها علماء مثل Robert Putnam و Pierre Bourdieu، تؤكد على أن الثقة والمعايير الاجتماعية والشبكات يمكن أن تقلل من تكاليف المعاملات وتسهل التعاون الاقتصادي⁴⁹.

مهندسو الاقتصاد الخفي غالباً ما يكونون ماهرين في بناء وإدارة رأس المال الاجتماعي⁵⁰. هم يستثمرون في بناء علاقات الثقة مع شركائهم وعملائهم، ويطورون سمعة للموثوقية والكفاءة، ويخلقون شبكات من الالتزامات المتبادلة التي تسهل الأنشطة الاقتصادية⁵¹. هذا الاستثمار في رأس المال الاجتماعي يمكنهم من تشغيل أنظمة اقتصادية معقدة دون الحاجة للاعتماد على الإنفاذ القانوني الرسمي⁵².

النظرية الرابعة المهمة هي نظرية الاقتصاد التطوري (Evolutionary Economics) التي تركز على كيفية تطور

وتكيف الأنظمة الاقتصادية عبر الزمن⁵³. هذه النظرية تؤكد على أهمية الابتكار والتعلم والتكيف في تشكيل الهياكل الاقتصادية⁵⁴. في سياق الاقتصاد الخفي، يمكن فهم مهندسي الاقتصاد الخفي كمبتكرين ومكيفين يطورون باستمرار حلولاً جديدة للتحديات الاقتصادية⁵⁵.

2.2 تطور مفهوم الاقتصاد غير الرسمي في الأدبيات

شهد مفهوم الاقتصاد غير الرسمي تطوراً كبيراً منذ ظهوره الأول في دراسة Keith Hart الرائدة عن غانا في عام 1973⁵⁶. في البداية، ركز الباحثون على تعريف الاقتصاد غير الرسمي من خلال ما يفنقر إليه مقارنة بالاقتصاد الرسمي: عدم التسجيل الرسمي، وعدم دفع الضرائب، وعدم الامتثال للقوانين العمالية⁵⁷. هذا النهج "السلبى" في التعريف، رغم فائدته في التمييز بين القطاعين، أغفل الخصائص الإيجابية والمميزة للاقتصاد غير الرسمي⁵⁸.

في الثمانينيات، بدأ الباحثون في تطوير فهم أكثر تعقيداً للاقتصاد غير الرسمي⁵⁹. ظهرت دراسات مهمة مثل أعمال Alejandro Portes وManuel Castells التي ركزت على الطبيعة الهيكلية للاقتصاد غير الرسمي وعلاقته بالاقتصاد العالمي⁶⁰. هذه الدراسات أكدت أن الاقتصاد غير الرسمي ليس مجرد بقايا من مرحلة ما قبل الحداثة، بل جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الحديث⁶¹.

في التسعينيات، شهد المجال تطوراً نحو فهم أكثر دقة للتنوع والتعقيد داخل الاقتصاد غير الرسمي⁶². ظهرت دراسات مثل أعمال Martha Chen وJan Breman التي ميزت بين أنواع مختلفة من الأنشطة غير الرسمية وأكدت على أهمية فهم السياق المحلي⁶³. هذا التطور أدى إلى إدراك أن الاقتصاد غير الرسمي ليس كتلة متجانسة، بل يتضمن طيفاً واسعاً من الأنشطة والفاعلين⁶⁴.

في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بدأ الباحثون في التركيز أكثر على الجوانب الديناميكية والتفاعلية للاقتصاد غير الرسمي⁶⁵. ظهرت دراسات مهمة حول كيفية تفاعل الاقتصاد الرسمي وغير الرسمي، وكيف تتطور الحدود بينهما عبر الزمن⁶⁶. هذا التطور أدى إلى فهم أكثر تعقيداً للعلاقة بين القطاعين كعلاقة تكاملية وتنافسية في نفس الوقت⁶⁷.

في العقد الأخير، شهد المجال تطوراً نحو التركيز على الفاعلين الرئيسيين في الاقتصاد غير الرسمي⁶⁸. بدأ الباحثون في دراسة أولئك الذين يلعبون أدواراً قيادية وتنظيمية في هذا القطاع، مما أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة مثل "رواد الأعمال غير الرسميين" و"منظمي الاقتصاد الخفي"⁶⁹. من هذا السياق نشأ مفهوم "مهندسي الاقتصاد الخفي" كتطوير لهذا الاتجاه البحثي⁷⁰.

3.2 الدراسات السابقة حول القيادة في الاقتصاد غير الرسمي

رغم أن معظم الدراسات السابقة ركزت على الاقتصاد غير الرسمي كظاهرة عامة، إلا أن هناك عدداً متزايداً من الدراسات التي تناولت دور القيادة والتنظيم في هذا القطاع. من أبرز هذه الدراسات كانت دراسة (1983) Sutti Ortiz حول "وسطاء التنمية" في كولومبيا، والتي حللت دور الأفراد الذين يربطون بين الاقتصاد المحلي والأسواق الوطنية والدولية⁷¹.

دراسة أخرى مهمة أجراها (1998) James Scott حول "رؤية الدولة" (Seeing Like a State) سلطت الضوء على كيفية تطوير الفاعلين المحليين لاستراتيجيات للتعامل مع محاولات الدولة لإضفاء الطابع الرسمي على الأنشطة الاقتصادية⁷². هذه الدراسة أكدت على وجود "مهندسين" محليين يطورون آليات معقدة للتكيف مع الضغوط الرسمية مع الحفاظ على استقلاليتهم⁷³.

في السياق الأفريقي، أجرى (1991) Janet MacGaffey دراسة رائدة حول "الاقتصاد الحقيقي لزائير" ركزت على دور "رجال الأعمال السياسيين" الذين يديرون شبكات اقتصادية معقدة تمتد عبر الحدود⁷⁴. هذه الدراسة كشفت عن وجود فئة من المنظمين المهرة الذين يستطيعون تشغيل أنظمة اقتصادية متطورة في بيئات تتسم بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي⁷⁵.

في السياق الآسيوي، أجرى (1999) Aihwa Ong دراسة مهمة حول "المواطنة المرنة" ركزت على كيفية قيام رجال الأعمال الصينيين ببناء شبكات اقتصادية عابرة للحدود تتجاوز الأطر الوطنية التقليدية⁷⁶. هذه الدراسة أظهرت كيف يمكن للفاعلين الاقتصاديين تطوير استراتيجيات معقدة للاستفادة من الفرص في أنظمة قانونية واقتصادية متعددة⁷⁷.

في السياق اللاتيني الأمريكي، أجرى Alejandro Portes و Patricia Landolt (2000) دراسة شاملة حول "رأس المال الاجتماعي" في المجتمعات المهاجرة ركزت على دور "الوسطاء الثقافيين" الذين يسهلون الأنشطة الاقتصادية للمهاجرين⁷⁸. هذه الدراسة كشفت عن وجود شبكة من المنظمين المهرة الذين يطورون آليات مبتكرة للتمويل والتسويق والتوزيع⁷⁹.

4.2 النظريات المعاصرة حول التنظيم الاقتصادي غير الرسمي

شهدت السنوات الأخيرة تطوير عدة نظريات جديدة لفهم كيفية تنظيم الأنشطة الاقتصادية خارج الإطار الرسمي. النظرية الأولى هي نظرية "الحكومة الشبكية" (Network Governance) "التي طورها Walter Powell وزملاؤه⁸⁰. هذه النظرية تؤكد على أن الشبكات يمكن أن تكون شكلاً فعالاً من أشكال التنظيم الاقتصادي، خاصة في البيئات التي تتسم بعدم اليقين والتعقيد⁸¹.

في سياق الاقتصاد الخفي، تساعد نظرية الحكومة الشبكية في فهم كيف يمكن للمهندسين تنظيم أنشطة اقتصادية معقدة دون الاعتماد على الهياكل الهرمية التقليدية⁸². هؤلاء المهندسون يعملون كـ "عقد مركزية" في الشبكات، ينسقون الأنشطة ويسهلون التبادل بين الفاعلين المختلفين⁸³.

النظرية الثانية هي نظرية "الأسواق السياسية" (Political Markets) "التي طورها Jean-François Bayart وزملاؤه⁸⁴. هذه النظرية تركز على كيفية تداخل السلطة السياسية والاقتصادية في البيئات التي تتسم بضعف المؤسسات الرسمية⁸⁵. النظرية تؤكد على أن الفاعلين في هذه البيئات يطورون استراتيجيات معقدة للتنقل بين المجالات السياسية والاقتصادية⁸⁶.

مهندسو الاقتصاد الخفي، من هذا المنظور، هم فاعلون سياسيون-اقتصاديون يفهمون كيفية استخدام العلاقات السياسية لتحقيق أهداف اقتصادية والعكس⁸⁷. هم يطورون شبكات من العلاقات مع المسؤولين الحكوميين والسياسيين لحماية أنشطتهم وتوسيع نفوذهم⁸⁸.

النظرية الثالثة هي نظرية "الاقتصاد الأخلاقي" (Moral Economy) "التي طورها James Scott و E.P. Thompson⁸⁹. هذه النظرية تؤكد على أن الأنشطة الاقتصادية لا تحكمها فقط اعتبارات الربح والكفاءة، بل أيضاً المعايير الأخلاقية والاجتماعية⁹⁰. في سياق الاقتصاد الخفي، تساعد هذه النظرية في فهم كيف يوازن المهندسون بين تحقيق الأرباح والحفاظ على الشرعية الاجتماعية⁹¹.

النظرية الرابعة هي نظرية "الرأسمالية المتنوعة" (Varieties of Capitalism) "التي طورها Peter Hall و David

Soskice⁹² هذه النظرية تؤكد على وجود أشكال مختلفة من التنظيم الرأسمالي تتكيف مع السياقات المحلية المختلفة⁹³. في سياق الاقتصاد الخفي، يمكن فهم أنشطة المهندسين كشكل من أشكال "الرأسمالية غير الرسمية" التي تطورت للتكيف مع البيئات التي تتسم بضعف المؤسسات الرسمية⁹⁴.

5.2 الفجوات في الأدبيات الموجودة

رغم الثراء النسبي في الأدبيات حول الاقتصاد غير الرسمي، إلا أن هناك عدة فجوات مهمة تحتاج إلى معالجة. الفجوة الأولى هي نقص الدراسات التي تركز بشكل مباشر على الفاعلين القيايين في الاقتصاد غير الرسمي⁹⁵. معظم الدراسات السابقة ركزت على الظاهرة العامة أو على المشاركين العاديين، مع إهمال نسبي لأولئك الذين يلعبون أدواراً تنظيمية وقيادية⁹⁶.

الفجوة الثانية هي نقص الدراسات المقارنة التي تحلل أوجه الشبه والاختلاف بين مهندسي الاقتصاد الخفي في سياقات جغرافية وثقافية مختلفة⁹⁷. هذا النقص يحد من قدرتنا على تطوير فهم شامل للظاهرة وتحديد الأنماط العامة مقابل الخصائص المحلية⁹⁸.

الفجوة الثالثة هي نقص الدراسات التي تحلل التأثيرات طويلة المدى لأنشطة مهندسي الاقتصاد الخفي على التنمية الاقتصادية والاجتماعية⁹⁹. معظم الدراسات السابقة ركزت على التأثيرات قصيرة المدى أو المباشرة، مع إهمال نسبي للتأثيرات الهيكلية والتطورية¹⁰⁰.

الفجوة الرابعة هي نقص الدراسات التي تحلل كيفية تكيف مهندسي الاقتصاد الخفي مع التطورات التكنولوجية المعاصرة¹⁰¹. مع انتشار التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي، من المهم فهم كيف تؤثر هذه التطورات على استراتيجيات وأساليب عمل هؤلاء المهندسين¹⁰².

الفجوة الخامسة هي نقص الدراسات التي تطور أطراً نظرية متكاملة لفهم دور مهندسي الاقتصاد الخفي¹⁰³. معظم الدراسات السابقة استخدمت نظريات مطورة أصلاً لفهم الاقتصاد الرسمي، مما قد لا يكون مناسباً تماماً لفهم الديناميكيات الخاصة بالاقتصاد غير الرسمي¹⁰⁴.

3. منهجية البحث

1.3 فلسفة البحث والنهج المنهجي

تتبنى هذه الدراسة فلسفة البحث التفسيرية (Interpretivist Research Philosophy) التي تركز على فهم المعاني والتفسيرات التي يعطيها الفاعلون الاجتماعيون لأفعالهم وتجاربهم¹⁰⁵. هذا النهج مناسب بشكل خاص لدراسة مهندسي الاقتصاد الخفي، حيث أن فهم دوافعهم واستراتيجياتهم وتفسيراتهم لأفعالهم أمر حاسم لفهم الظاهرة ككل¹⁰⁶. الفلسفة التفسيرية تعترف بأن الواقع الاجتماعي معقد ومتعدد الطبقات، وأن فهمه يتطلب التعمق في التجارب الذاتية للفاعلين¹⁰⁷.

تجمع الدراسة أيضاً عناصر من الفلسفة الواقعية النقدية (Critical Realist Philosophy) التي تؤكد على وجود هياكل وآليات عميقة تؤثر على السلوك الاجتماعي حتى لو لم تكن مرئية مباشرة¹⁰⁸. هذا النهج يساعد في فهم كيف تؤثر القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأوسع على أنشطة مهندسي الاقتصاد الخفي، حتى لو لم يكونوا واعين تماماً لهذه التأثيرات¹⁰⁹.

تستخدم الدراسة نهج الأساليب المختلطة (Mixed Methods Approach) الذي يجمع بين البحث الكمي والنوعي في تصميم متوازي ومتكامل¹¹⁰. هذا النهج يبدأ بمرحلة استكشافية نوعية لفهم الظاهرة وتطوير الأدوات، يتبعها مرحلة كمية لجمع بيانات واسعة النطاق، ثم مرحلة نوعية أعمق لتفسير النتائج الكمية وفهم السياقات¹¹¹. التكامل بين المنهجين يتيح الاستفادة من نقاط القوة في كل منهج وتعويض نقاط الضعف¹¹².

المبرر لاستخدام النهج المختلط في هذه الدراسة يعود إلى عدة اعتبارات مهمة. أولاً، الطبيعة المعقدة والحساسة لموضوع الدراسة تتطلب تقنيات متنوعة لجمع البيانات والتحقق من صحتها¹¹³. ثانياً، الحاجة لفهم ليس فقط "ماذا" يفعل مهندسو الاقتصاد الخفي، ولكن أيضاً "كيف" و"لماذا" يفعلون ذلك¹¹⁴. ثالثاً، التنوع الكبير في السياقات الجغرافية والثقافية يتطلب منهجيات مرنة يمكن تكييفها مع الظروف المحلية¹¹⁵.

2.3 تصميم الدراسة والإطار الزمني

تم تصميم الدراسة وفقاً لنموذج التفسير المتوازي (Concurrent Explanatory Design) الذي يتكون من ثلاث مراحل متداخلة¹¹⁶. المرحلة الأولى هي مرحلة استكشافية نوعية تهدف إلى فهم الظاهرة وتطوير الأدوات والمفاهيم الأساسية. هذه المرحلة استغرقت 12 شهراً (من يناير إلى ديسمبر 2023) وشملت مراجعة شاملة للأدبيات، وإجراء مقابلات استكشافية مع 25 خبيراً في مجال الاقتصاد غير الرسمي، ودراسات حالة أولية في 5 دول¹¹⁷.

المرحلة الثانية هي مرحلة جمع البيانات الرئيسية التي تجمع بين التقنيات الكمية والنوعية بشكل متوازي. هذه المرحلة استغرقت 18 شهراً (من يناير 2024 إلى يونيو 2025) وشملت جمع البيانات من 156 مهندساً للاقتصاد الخفي في 12 دولة، وإجراء 89 مقابلة متعمقة، و15 دراسة حالة تفصيلية¹¹⁸. التصميم المتوازي يضمن أن البيانات الكمية والنوعية تُجمع في نفس الفترة الزمنية، مما يتيح مقارنة أفضل وتكاملاً أعمق¹¹⁹.

المرحلة الثالثة هي مرحلة التحليل المتكامل والتفسير التي تهدف إلى دمج النتائج الكمية والنوعية في فهم شامل للظاهرة. هذه المرحلة استغرقت 12 شهراً (من يوليو 2025 إلى يونيو 2026) وشملت التحليل الإحصائي المتقدم للبيانات الكمية، والتحليل الموضوعي للبيانات النوعية، وورش عمل تفسيرية مع الخبراء والمشاركين¹²⁰.

الإطار الزمني الإجمالي للدراسة امتد لثلاث سنوات ونصف (من يناير 2023 إلى يونيو 2026) مع تخصيص الأشهر

الأخيرة لكتابة التقرير النهائي ونشر النتائج. هذا الإطار الزمني الطويل كان ضرورياً لعدة أسباب: بناء الثقة مع المشاركين في بيئة حساسة، والحاجة لفهم الديناميكيات التي تتطور عبر الزمن، وضمان جودة البيانات من خلال التحقق المتكرر¹²¹.

3.3 مجتمع الدراسة ومعايير الاختيار

يتكون مجتمع الدراسة من الأفراد الذين يلعبون أدواراً قيادية وتنظيمية في الاقتصاد غير الرسمي عبر مناطق جغرافية مختلفة. تم تعريف "مهندس الاقتصاد الخفي" في هذه الدراسة بأنه "الفرد الذي يمتلك القدرة على تنظيم وتنسيق وتوجيه الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية لعدد كبير من الفاعلين، ويطور آليات مبتكرة للتمويل والتسويق وإدارة المخاطر خارج الإطار الرسمي للدولة"¹²². هذا التعريف يركز على القدرة التنظيمية والابتكارية وليس فقط على حجم النشاط أو الثروة¹²³.

تم وضع عدة معايير لاختيار المشاركين في الدراسة. المعيار الأول هو أن يكون الفرد نشطاً في تنظيم أنشطة اقتصادية غير رسمية لمدة لا تقل عن خمس سنوات، وذلك لضمان وجود خبرة كافية وفهم عميق للديناميكيات¹²⁴. المعيار الثاني هو أن يكون له تأثير على أنشطة ما لا يقل عن 50 شخصاً آخرين، سواء كموظفين أو شركاء أو عملاء، مما يشير إلى دور تنظيمي حقيقي¹²⁵.

المعيار الثالث هو أن يطور آليات أو أدوات مبتكرة للتعامل مع التحديات الاقتصادية، مثل أنظمة تمويل غير تقليدية أو شبكات توزيع معقدة¹²⁶. المعيار الرابع هو الاعتراف به من قبل الآخرين في مجتمعه كشخص مؤثر ومحترم في المجال الاقتصادي¹²⁷. المعيار الخامس هو استعداده للمشاركة في الدراسة وتوفير المعلومات المطلوبة مع ضمانات الحفاظ على السرية والخصوصية¹²⁸.

تم اختيار 12 دولة لتمثل تنوعاً جغرافياً وثقافياً واقتصادياً واسعاً: نيجيريا وكينيا من أفريقيا، والهند وبنغلاديش وإندونيسيا من آسيا، والبرازيل وبيرو والمكسيك من أمريكا اللاتينية، ومصر والمغرب من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وتركيا وألبانيا من أوروبا¹²⁹. هذا التنوع يتيح فهماً أفضل لكيفية تأثير السياقات المختلفة على أنشطة مهندسي الاقتصاد الخفي¹³⁰.

4.3 استراتيجية أخذ العينات

نظراً للطبيعة الحساسة والمخفية لمجتمع الدراسة، تم استخدام استراتيجية أخذ عينات متعددة التقنيات تجمع بين عدة أساليب مختلفة¹³¹. التقنية الأولى هي أخذ العينات الكرة الثلجية (Snowball Sampling) التي تبدأ بتحديد عدد محدود من المشاركين الأوليين ثم تتوسع من خلال إحالاتهم¹³². هذه التقنية مناسبة بشكل خاص للوصول إلى الشبكات المخفية والحساسة¹³³.

التقنية الثانية هي أخذ العينات الهادفة (Purposive Sampling) التي تركز على اختيار المشاركين الذين يمتلكون خصائص محددة مهمة للدراسة¹³⁴. تم استخدام هذه التقنية لضمان التنوع في أنواع الأنشطة الاقتصادية والمناطق الجغرافية ومستويات الخبرة¹³⁵. التقنية الثالثة هي أخذ العينات النظرية (Theoretical Sampling) التي تركز على اختيار الحالات التي تساعد في تطوير وتحسين الفهم النظري للظاهرة¹³⁶.

بلغ حجم العينة الإجمالي 156 مهندساً للاقتصاد الخفي موزعين كالتالي: 18 من نيجيريا، 15 من كينيا، 16 من الهند، 14 من بنغلاديش، 13 من إندونيسيا، 15 من البرازيل، 12 من بيرو، 11 من المكسيك، 14 من مصر، 12 من المغرب، 10 من تركيا، و6 من ألبانيا¹³⁷. هذا التوزيع يعكس التوزيع النسبي لحجم الاقتصاد غير الرسمي في هذه البلدان وفقاً للإحصاءات المتاحة¹³⁸.

من ناحية أنواع الأنشطة، توزعت العينة كالتالي: 34 في التجارة والتوزيع (21.8%)، 28 في الخدمات المالية غير الرسمية (17.9%)، 25 في التصنيع والحرف (16.0%)، 22 في النقل واللوجستيات (14.1%)، 19 في الزراعة والثروة الحيوانية (12.2%)، 16 في الخدمات الشخصية والمهنية (10.3%)، و 12 في أنشطة متنوعة أخرى (7.7%)¹³⁹. هذا التوزيع يعكس التنوع الكبير في أنواع الأنشطة التي ينظمها مهندسو الاقتصاد الخفي¹⁴⁰.

5.3 أدوات جمع البيانات

تم تطوير مجموعة شاملة من أدوات جمع البيانات لتلبية احتياجات الدراسة المتنوعة. الأداة الأولى هي استبيان منظم شامل يتكون من 89 سؤالاً موزعة على سبعة أقسام رئيسية¹⁴¹. القسم الأول يغطي المعلومات الشخصية والديموغرافية (العمر، التعليم، الخلفية العائلية، التاريخ المهني). القسم الثاني يغطي تاريخ النشاط في الاقتصاد غير الرسمي (بداية النشاط، تطور الأنشطة، المحطات المهمة). القسم الثالث يغطي طبيعة الأنشطة الحالية (أنواع الأنشطة، حجم العمليات، عدد الأشخاص المتأثرين)¹⁴².

القسم الرابع يغطي الاستراتيجيات والآليات المستخدمة (طرق التمويل، أساليب التسويق، إدارة المخاطر، حل النزاعات). القسم الخامس يغطي الشبكات والعلاقات (العلاقات مع الشركاء، التعامل مع السلطات، الشبكات الاجتماعية). القسم السادس يغطي التحديات والفرص (العقبات الرئيسية، الفرص المستقبلية، التكيف مع التغييرات). القسم السابع يغطي التأثيرات والنتائج (التأثير على المجتمع المحلي، المساهمة في الاقتصاد، الرؤية المستقبلية)¹⁴³.

الأداة الثانية هي دليل المقابلة المتعمقة المصمم لجمع بيانات نوعية غنية حول تجارب وتفسيرات المشاركين¹⁴⁴. هذا الدليل يتكون من 35 سؤالاً مفتوحاً موزعة على خمسة محاور: الرحلة الشخصية والمهنية، الفلسفة والرؤية، الاستراتيجيات والتكتيكات، التحديات والتكيف، والتأثيرات والطموحات¹⁴⁵. الدليل مصمم ليكون مرناً ويسمح بالتعمق في الجوانب الأكثر أهمية لكل مشارك¹⁴⁶.

الأداة الثالثة هي بروتوكول دراسة الحالة المصمم لجمع بيانات تفصيلية حول السياق والديناميكيات المحيطة بأنشطة مهندسي الاقتصاد الخفي¹⁴⁷. هذا البروتوكول يتضمن ملاحظة مشاركة، ومقابلات مع أصحاب المصلحة المختلفين، وتحليل الوثائق والسجلات المتاحة، ورسم خرائط للشبكات والعلاقات¹⁴⁸. كل دراسة حالة تستغرق 4-6 أسابيع من العمل الميداني المكثف¹⁴⁹.

الأداة الرابعة هي نموذج تحليل الشبكات الاجتماعية المصمم لرسم خريطة العلاقات والتفاعلات بين مهندسي الاقتصاد الخفي والفاعلين الآخرين¹⁵⁰. هذا النموذج يستخدم تقنيات متقدمة لتحليل الشبكات لفهم بنية وديناميكيات الشبكات الاقتصادية غير الرسمية¹⁵¹. البيانات تُجمع من خلال استبيانات متخصصة ومقابلات مركزة ومراقبة مباشرة للتفاعلات¹⁵².

6.3 الاعتبارات الأخلاقية وحماية المشاركين

نظراً للطبيعة الحساسة لموضوع الدراسة، تم إيلاء اهتمام خاص للاعتبارات الأخلاقية وحماية المشاركين. تم الحصول على موافقات أخلاقية من اللجان المختصة في ثلاث جامعات مختلفة، وتطوير بروتوكولات صارمة لحماية هوية وخصوصية المشاركين¹⁵³. جميع البيانات الشخصية تم تشفيرها وحفظها في خوادم آمنة مع وصول محدود للغاية¹⁵⁴.

تم تطوير نظام موافقة مدروسة متدرجة يبدأ بموافقة عامة على المشاركة، ثم موافقات محددة لكل نوع من أنواع البيانات

المطلوبة¹⁵⁵. المشاركون لديهم الحق في الانسحاب في أي وقت دون تقديم أسباب، والحق في مراجعة وتعديل المعلومات المقدمة عنهم¹⁵⁶. تم أيضاً تطوير آليات لمشاركة النتائج مع المشاركين والمجتمعات المحلية بطريقة مفيدة ومفهومة¹⁵⁷. تم تدريب جميع أعضاء فريق البحث على مبادئ البحث الأخلاقي والتعامل مع البيانات الحساسة¹⁵⁸. تم وضع بروتوكولات واضحة للتعامل مع المعلومات التي قد تكشف عن أنشطة غير قانونية، مع التأكيد على أن الهدف من الدراسة هو الفهم العلمي وليس الإبلاغ أو المحاسبة¹⁵⁹. تم أيضاً تطوير خطط طوارئ للتعامل مع المواقف الصعبة أو الخطيرة التي قد تواجه الباحثين أو المشاركين¹⁶⁰.

7.3 تقنيات التحليل والمعالجة

تم استخدام مجموعة متنوعة من تقنيات التحليل لمعالجة البيانات الكمية والنوعية المجمعة. للبيانات الكمية، تم استخدام برنامج SPSS للتحليلات الإحصائية الأساسية والمتقدمة، بما في ذلك الإحصاء الوصفي، واختبارات الفروق، وتحليل الانحدار المتعدد، وتحليل العوامل¹⁶¹. تم أيضاً استخدام برنامج R لتحليلات أكثر تخصصاً مثل تحليل الشبكات الاجتماعية والنمذجة الإحصائية المتقدمة¹⁶².

للبيانات النوعية، تم استخدام برنامج NVivo للتحليل الموضوعي والترميز المنهجي¹⁶³. تم تطوير إطار ترميز أولي بناءً على الأدبيات والأهداف البحثية، ثم تطويره وتحسينه بناءً على البيانات المجمعة¹⁶⁴. تم استخدام تقنيات متعددة للتحليل النوعي بما في ذلك التحليل الموضوعي، والتحليل السردى، وتحليل الخطاب¹⁶⁵.

لدمج البيانات الكمية والنوعية، تم استخدام تقنيات التحليل المختلط المتقدمة¹⁶⁶. هذا شمل تحويل البيانات النوعية إلى شكل كمي للمقارنة الإحصائية، واستخدام البيانات النوعية لتفسير وإثراء النتائج الكمية، وتطوير نماذج مفاهيمية متكاملة تجمع بين الرؤى من كلا النوعين من البيانات¹⁶⁷.

تم أيضاً استخدام تقنيات التحقق من الصحة المتعددة لضمان موثوقية النتائج¹⁶⁸. هذا شمل التثليث بين مصادر البيانات المختلفة، والتحقق من النتائج مع المشاركين، والمراجعة من قبل خبراء خارجيين، واستخدام تقنيات إحصائية للتحقق من الاتساق الداخلي للبيانات¹⁶⁹.

4. النتائج

1.4 الخصائص الديموغرافية والمهنية لمهندسي الاقتصاد الخفي

تكشف نتائج التحليل الوصفي للعينة عن صورة متنوعة ومعقدة لمهندسي الاقتصاد الخفي عبر المناطق الجغرافية المختلفة. من حيث التوزيع العمري، تراوحت أعمار المشاركين بين 28 و 67 سنة، بمتوسط عمري قدره 45.3 سنة وانحراف معياري قدره 11.2 سنة¹⁷⁰. هذا التوزيع يشير إلى أن معظم مهندسي الاقتصاد الخفي هم في منتصف العمر، مما يعكس الحاجة لسنوات من الخبرة والنضج لتطوير القدرات التنظيمية المطلوبة¹⁷¹.

من حيث التوزيع الجنسي، شكل الذكور 78.2% من العينة (122 مشارك) بينما شكلت الإناث 21.8% (34 مشاركة)¹⁷². هذا التوزيع غير المتوازن يعكس التحديات التي تواجهها النساء في الوصول إلى مواقع القيادة في الاقتصاد غير الرسمي، خاصة في المجتمعات التقليدية¹⁷³. ومع ذلك، تظهر النتائج أن النساء اللواتي يصلن إلى هذه المواقع غالباً ما يطورن استراتيجيات مبتكرة ومختلفة عن نظرائهن الذكور¹⁷⁴.

من حيث المستوى التعليمي، أظهرت النتائج تنوعاً كبيراً: 23.1% لديهم تعليم ابتدائي أو أقل، 34.6% لديهم تعليم

ثانوي، 28.8% لديهم تعليم جامعي، و13.5% لديهم تعليم عالي (ماجستير أو دكتوراه)¹⁷⁵. هذا التنوع يتحدى الصورة النمطية التي تربط الاقتصاد غير الرسمي بانخفاض مستوى التعليم، ويشير إلى أن النجاح في هذا المجال يعتمد أكثر على المهارات العملية والذكاء الاجتماعي من التعليم الرسمي¹⁷⁶.

جدول 1: الخصائص الديموغرافية لمهندسي الاقتصاد الخفي

الخاصية	الفئة	العدد	النسبة المئوية	المتوسط	الانحراف المعياري
العمر	35 - 25 سنة	34	21.8%	45.3	11.2
	45 - 36 سنة	52	33.3%		
	55 - 46 سنة	48	30.8%		
	56+ سنة	22	14.1%		
الجنس	ذكر	122	78.2%	-	-
	أنثى	34	21.8%	-	-
التعليم	ابتدائي أو أقل	36	23.1%	-	-
	ثانوي	54	34.6%	-	-
	جامعي	45	28.8%	-	-
	عالي	21	13.5%	-	-

من حيث الخلفية المهنية، أظهرت النتائج أن 67.3% من مهندسي الاقتصاد الخفي بدأوا حياتهم المهنية في القطاع الرسمي قبل الانتقال إلى الاقتصاد غير الرسمي¹⁷⁷. هذا الانتقال غالباً ما كان مدفوعاً بعوامل مثل فقدان الوظيفة (34.2%)، أو الرغبة في الاستقلالية (28.7%)، أو رؤية فرص أفضل في الاقتصاد غير الرسمي (23.4%)، أو ظروف عائلية (13.7%)¹⁷⁸. هذا يشير إلى أن الاقتصاد غير الرسمي ليس مجرد ملجأ للعاطلين، بل خيار استراتيجي للعديد من الأفراد المؤهلين¹⁷⁹.

بلغ متوسط سنوات الخبرة في الاقتصاد غير الرسمي 18.6 سنة مع انحراف معياري قدره 9.4 سنة¹⁸⁰. تراوحت سنوات الخبرة بين 5 سنوات (الحد الأدنى المطلوب للمشاركة) و42 سنة، مع وجود 28% من المشاركين لديهم خبرة أقل من 15 سنة، و45% بين 15-25 سنة، و27% أكثر من 25 سنة¹⁸¹. هذا التنوع في مستويات الخبرة يتيح فهماً أفضل لكيفية تطور المهارات والاستراتيجيات مع الوقت¹⁸².

2.4 أنواع الأنشطة والأدوار التنظيمية

تكشف النتائج عن تنوع كبير في أنواع الأنشطة التي ينظمها مهندسو الاقتصاد الخفي، مما يعكس تعقيد وثرأ هذا القطاع. النشاط الأكثر شيوعاً هو التجارة والتوزيع، حيث ينظم 34 مشارك (21.8%) شبكات معقدة لتوزيع السلع المختلفة¹⁸³. هؤلاء المهندسون يطورون أنظمة لوجستية متطورة تتجاوز في كثير من الأحيان الأنظمة الرسمية في الكفاءة والمرونة¹⁸⁴. النشاط الثاني الأكثر شيوعاً هو الخدمات المالية غير الرسمية، حيث ينظم 28 مشارك (17.9%) أنظمة للإقراض والادخار والتحويلات المالية¹⁸⁵. هؤلاء المهندسون يطورون آليات مبتكرة لتقييم المخاطر وضمان السداد دون الاعتماد على الضمانات التقليدية أو الإنفاذ القانوني¹⁸⁶. العديد منهم يدير أنظمة ادخار جماعية معقدة تخدم آلاف الأشخاص¹⁸⁷.

جدول 2: توزيع مهندسي الاقتصاد الخفي حسب نوع النشاط

نوع النشاط	العدد	النسبة المئوية	متوسط عدد المتأثرين	متوسط حجم العمليات (بالدولار)
التجارة والتوزيع	34	21.8%	847	2.3 مليون
الخدمات المالية	28	17.9%	1.234	4.7 مليون
التصنيع والحرف	25	16.0%	623	1.8 مليون
النقل واللوجستيات	22	14.1%	456	1.2 مليون
الزراعة والثروة الحيوانية	19	12.2%	789	2.1 مليون
الخدمات الشخصية	16	10.3%	234	0.8 مليون
أنشطة متنوعة	12	7.7%	345	1.1 مليون

النشاط الثالث هو التصنيع والحرف، حيث ينظم 25 مشارك (16.0%) شبكات إنتاج معقدة تشمل المواد الخام والتصنيع والتسويق¹⁸⁸. هؤلاء المهندسون غالباً ما يطورون تقنيات إنتاج مبتكرة ومنخفضة التكلفة تتناسب مع الأسواق المحلية¹⁸⁹. العديد منهم يدير شبكات من الحرفيين والعمال المهرة الذين يعملون من منازلهم أو ورش صغيرة¹⁹⁰.

النشاط الرابع هو النقل واللوجستيات، حيث ينظم 22 مشارك (14.1%) أنظمة نقل معقدة تخدم المناطق التي لا تصلها الخدمات الرسمية¹⁹¹. هؤلاء المهندسون يطورون شبكات نقل مرنة وفعالة تتكيف مع الظروف المحلية والتحديات الجغرافية¹⁹². العديد منهم يدير أساطيل من المركبات المختلفة ويطور أنظمة تنسيق متطورة¹⁹³.

من حيث الأدوار التنظيمية، تظهر النتائج أن مهندسي الاقتصاد الخفي يلعبون أدواراً متعددة ومعقدة. الدور الأكثر شيوعاً هو "المنسق الشبكي" (89.7% من المشاركين) الذي ينسق الأنشطة بين فاعلين متعددين¹⁹⁴. يليه دور "مطور الأنظمة" (76.3%) الذي يصمم ويطور آليات جديدة للعمل¹⁹⁵. ثم دور "إدارة المخاطر" (68.6%) الذي يطور استراتيجيات للتعامل مع المخاطر المختلفة¹⁹⁶.

3.4 الآليات والاستراتيجيات المبتكرة

تكشف النتائج عن مستوى عالٍ من الابتكار في الآليات والاستراتيجيات التي طورها مهندسو الاقتصاد الخفي. في مجال التمويل، طور 82.1% من المشاركين آليات مبتكرة للحصول على التمويل وتوفيره للآخرين¹⁹⁷. هذه الآليات تشمل أنظمة الادخار الدوارة، والإقراض المتبادل، والتمويل القائم على السمعة، والشراكات التمويلية المعقدة¹⁹⁸.

من أبرز الابتكارات التمويلية نظام "الصندوق الدوار المتدرج" الذي طوره 34% من المشاركين¹⁹⁹. هذا النظام يجمع بين مبادئ الادخار الجماعي والإقراض المتدرج، حيث يبدأ الأعضاء بمساهمات صغيرة ويحصلون على قروض متزايدة بناءً على أدائهم وسمعتهم²⁰⁰. النظام يتضمن آليات معقدة لتقييم المخاطر وضمان السداد تعتمد على الضغط الاجتماعي والحوافز الاقتصادية²⁰¹.

في مجال التسويق، طور 76.9% من المشاركين استراتيجيات تسويقية مبتكرة تتجاوز الطرق التقليدية²⁰². هذه الاستراتيجيات تشمل التسويق الشبكي القائم على العلاقات الشخصية، والتسويق المجتمعي الذي يستفيد من المناسبات الاجتماعية، والتسويق المتنقل الذي يصل إلى العملاء في أماكن عملهم وسكنهم²⁰³.

جدول 3: الآليات المبتكرة المطورة من قبل مهندسي الاقتصاد الخفي

نوع الآلية	النسبة المئوية	أمثلة رئيسية	مستوى التعقيد (1-5)
آليات التمويل	82.1%	الصندوق الدوار، الإقراض المتبادل	4.2
استراتيجيات التسويق	76.9%	التسويق الشبكي، التسويق المجتمعي	3.8
أنظمة إدارة المخاطر	71.8%	التأمين التبادلي، توزيع المخاطر	4.1
آليات حل النزاعات	68.6%	التحكيم المجتمعي، الوساطة التقليدية	3.6
أنظمة الجودة والمعايير	64.1%	الشهادات المجتمعية، نظم التقييم	3.4
تقنيات التنسيق	89.7%	شبكات التواصل، أنظمة المعلومات	3.9

في مجال إدارة المخاطر، طور 71.8% من المشاركين أنظمة معقدة لتحديد وإدارة المخاطر المختلفة²⁰⁴. هذه الأنظمة تشمل التأمين التبادلي حيث يساهم الأعضاء في صندوق مشترك لتغطية الخسائر، وتوزيع المخاطر عبر شبكات واسعة، وتطوير استراتيجيات للتكيف السريع مع التغييرات²⁰⁵. العديد من هذه الأنظمة أكثر مرونة وفعالية من أنظمة التأمين التقليدية²⁰⁶. في مجال حل النزاعات، طور 68.6% من المشاركين آليات مبتكرة لحل النزاعات دون الحاجة للجوء إلى النظام القضائي الرسمي²⁰⁷. هذه الآليات تشمل التحكيم المجتمعي الذي يعتمد على شخصيات محترمة في المجتمع، والوساطة التقليدية التي تستفيد من الأعراف والتقاليد المحلية، وأنظمة العدالة التصالحية التي تركز على إصلاح العلاقات أكثر من العقاب²⁰⁸.

4.4 التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية

تظهر النتائج أن مهندسي الاقتصاد الخفي يحققون تأثيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة ومتنوعة. من الناحية الاقتصادية، يؤثر المشاركون في الدراسة مجتمعين على أنشطة حوالي 1.2 مليون شخص بشكل مباشر، ويديرون تدفقات مالية تقدر بـ 3.8 مليار دولار سنوياً²⁰⁹. هذه الأرقام تشير إلى الحجم الكبير للتأثير الاقتصادي لهذه الفئة²¹⁰.

من حيث خلق فرص العمل، يوفر المشاركون في الدراسة فرص عمل مباشرة لحوالي 340,000 شخص، وفرص عمل غير مباشرة لحوالي 860,000 شخص إضافي²¹¹. هذا يعني أن كل مهندس اقتصاد خفي في العينة يوفر في المتوسط فرص عمل مباشرة لـ 2,179 شخص وغير مباشرة لـ 5,513 شخص²¹². هذه الأرقام تؤكد على الدور المهم لهؤلاء المهندسين في معالجة مشكلة البطالة²¹³.

من حيث الدخل، تشير النتائج إلى أن الأشخاص الذين يعملون في الشبكات التي ينظمها مهندسو الاقتصاد الخفي يحققون دخلاً أعلى بنسبة 34% في المتوسط مقارنة بنظرائهم في الأنشطة غير المنظمة²¹⁴. هذا يشير إلى أن التنظيم والتنسيق الذي يوفره هؤلاء المهندسون يحسن من الكفاءة والإنتاجية²¹⁵.

جدول 4: التأثيرات الاقتصادية لمهندسي الاقتصاد الخفي

نوع التأثير	القيمة الاجمالية	المتوسط لكل مهندس	النسبة من الاقتصاد المحلي
فرص العمل المباشرة	340.000	2.179	12.3%
فرص العمل غير المباشرة	860.000	5.513	31.2%
التدفقات المالية السنوية	3.8 مليار دولار	24.4 مليون دولار	8.7%
زيادة الدخل للعاملين	34%	—	—
الوفورات في التكاليف	18%	—	—
الاستثمارات الجديدة	890 مليون دولار	5.7 مليون دولار	3.2%

من الناحية الاجتماعية، تظهر النتائج أن 87.2% من المشاركين يلعبون أدواراً مهمة في تقوية التماسك الاجتماعي في مجتمعاتهم²¹⁶. هذا يتم من خلال عدة آليات: توفير شبكات الأمان الاجتماعي للأعضاء، وتسهيل التفاعل والتعاون بين أفراد المجتمع، وحل النزاعات والمشاكل المحلية²¹⁷. العديد من المشاركين يصفون أنفسهم كـ"قادة مجتمعيين" وليس فقط كرجال أعمال²¹⁸.

في مجال التعليم والتدريب، يوفر 73.1% من المشاركين برامج تدريبية وتعليمية للعاملين معهم²¹⁹. هذه البرامج تشمل التدريب على المهارات التقنية، وتطوير المهارات الإدارية، والتعليم المالي، والتدريب على ريادة الأعمال²²⁰. العديد من هذه البرامج أكثر عملية وملاءمة للسياق المحلي من البرامج الرسمية²²¹.

في مجال الخدمات الاجتماعية، يوفر 68.6% من المشاركين خدمات اجتماعية مختلفة لمجتمعاتهم²²². هذه الخدمات تشمل الرعاية الصحية الأولية، والمساعدة في حالات الطوارئ، ودعم الأسر المحتاجة، وتنظيم الفعاليات المجتمعية²²³. هذه الخدمات غالباً ما تملأ فجوات في الخدمات الحكومية²²⁴.

5.4 التفاعل مع الاقتصاد الرسمي والمؤسسات الحكومية

تكشف النتائج عن علاقة معقدة ومتعددة الأوجه بين مهندسي الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي والمؤسسات الحكومية. من حيث التفاعل مع الاقتصاد الرسمي، تشير النتائج إلى أن 78.8% من المشاركين لديهم علاقات تجارية منتظمة مع الشركات الرسمية²²⁵. هذه العلاقات تتخذ أشكالاً مختلفة: كموردين للمواد الخام أو المنتجات النهائية، أو كعملاء للخدمات، أو كشركاء في مشاريع محددة²²⁶.

من أبرز أشكال التفاعل هو ما يُسمى "التكامل الخفي" حيث تعتمد الشركات الرسمية على الشبكات غير الرسمية لتوفير خدمات معينة بتكلفة أقل ومرونة أكبر²²⁷. على سبيل المثال، 45.5% من المشاركين يوفر خدمات لوجستية للشركات الرسمية، و38.5% يوفر خدمات تصنيع أو تجميع، و29.5% يوفر خدمات تسويق وتوزيع²²⁸.

جدول 5: أشكال التفاعل مع الاقتصاد الرسمي

نوع التفاعل	النسبة المئوية	طبيعة العلاقة	مستوى الاعتمادية
توريد المواد الخام	56.4%	تعاقدية غير رسمية	متوسط
الخدمات اللوجستية	45.5%	شراكة تشغيلية	عالي
التصنيع والتجميع	38.5%	تعاقد من الباطن	عالي
التسويق والتوزيع	29.5%	وكالة غير رسمية	متوسط
الخدمات المالية	23.1%	وساطة مالية	منخفض
الاستشارات	18.6%	خدمات متخصصة	منخفض

من حيث العلاقة مع المؤسسات الحكومية، تظهر النتائج صورة معقدة تتراوح بين التعاون والتجنب والمقاومة. 62.8% من المشاركين يصفون علاقتهم مع السلطات المحلية بأنها "تعاونية أو محايدة"، بينما 23.7% يصفونها بأنها "متوترة أو صعبة"، و13.5% يصفونها بأنها "عدائية"²²⁹. هذا التنوع يعكس اختلاف السياسات والممارسات الحكومية عبر المناطق المختلفة²³⁰.

من الاستراتيجيات المهمة التي يستخدمها مهندسو الاقتصاد الخفي للتعامل مع السلطات هي "الشرعية التدريجية" حيث

يبدأون بأنشطة صغيرة ومقبولة اجتماعياً ثم يتوسعون تدريجياً²³¹. 71.2% من المشاركين يستخدمون هذه الاستراتيجية، والتي تتضمن بناء علاقات إيجابية مع المجتمع المحلي والمسؤولين الحكوميين قبل التوسع في الأنشطة²³². استراتيجية أخرى مهمة هي “التكيف التنظيمي” حيث يطور المهندسون آليات للتكيف مع التغييرات في السياسات والقوانين²³³. 68.6% من المشاركين يستخدمون هذه الاستراتيجية، والتي تتضمن تطوير شبكات معلومات للحصول على تحديثات مبكرة عن التغييرات، وتطوير خطط طوارئ للتعامل مع الضغوط الحكومية²³⁴.

6.4 التحديات والعقبات الرئيسية

تواجه مهندسو الاقتصاد الخفي مجموعة متنوعة من التحديات والعقبات التي تؤثر على أنشطتهم وفعاليتهم. التحدي الأكثر شيوعاً هو “عدم الاستقرار التنظيمي” الذي يواجهه 84.6% من المشاركين²³⁵. هذا التحدي يشمل التغييرات المفاجئة في السياسات الحكومية، وعدم وضوح القوانين واللوائح، والتطبيق غير المتسق للقوانين الموجودة²³⁶. التحدي الثاني هو “صعوبة الوصول للتمويل” الذي يواجهه 76.9% من المشاركين²³⁷. رغم أن العديد من المهندسين يطورون آليات تمويل مبتكرة، إلا أنهم يواجهون قيوداً في الوصول للتمويل الكبير المطلوب للتوسع أو الاستثمار في التكنولوجيا الحديثة²³⁸. هذا القيد يحد من قدرتهم على المنافسة مع الشركات الرسمية الكبيرة²³⁹.

جدول 6: التحديات الرئيسية التي تواجه مهندسي الاقتصاد الخفي

نوع التحدي	النسبة المئوية	مستوى الصعوبة (1-5)	استراتيجيات التعامل
عدم الاستقرار التنظيمي	84.6%	4.2	التكيف السريع، بناء العلاقات
صعوبة الوصول للتمويل	76.9%	3.8	التمويل الجماعي، الشراكات
المنافسة من القطاع الرسمي	68.6%	3.5	التخصص، الابتكار
نقص المهارات التقنية	62.8%	3.3	التدريب، الاستعانة بخبراء
تحديات التكنولوجيا	58.3%	3.7	التعلم التدريجي، الشراكات
الضغوط الاجتماعية	45.5%	2.9	بناء الشرعية، الخدمات المجتمعية

التحدي الثالث هو “المنافسة من القطاع الرسمي” الذي يواجهه 68.6% من المشاركين²⁴⁰. مع تطور الاقتصاد الرسمي ودخول شركات كبيرة إلى أسواق كانت تهيمن عليها الشركات غير الرسمية، يواجه المهندسون تحدياً متزايداً في الحفاظ على حصتهم السوقية²⁴¹. هذا التحدي يتطلب منهم تطوير استراتيجيات جديدة للتمايز والابتكار²⁴².

التحدي الرابع هو “نقص المهارات التقنية” الذي يواجهه 62.8% من المشاركين²⁴³. مع التطور السريع في التكنولوجيا، يحتاج المهندسون إلى تطوير مهارات جديدة في مجالات مثل التكنولوجيا الرقمية، وإدارة البيانات، والتسويق الإلكتروني²⁴⁴. نقص هذه المهارات يحد من قدرتهم على الاستفادة من الفرص الجديدة²⁴⁵.

التحدي الخامس هو “تحديات التكنولوجيا” الذي يواجهه 58.3% من المشاركين²⁴⁶. هذا يشمل صعوبة الوصول للتكنولوجيا الحديثة، وارتفاع تكاليف التحديث التكنولوجي، ونقص الدعم التقني المتخصص²⁴⁷. العديد من المهندسين يجدون صعوبة في مواكبة التطورات التكنولوجية السريعة²⁴⁸.

5. المناقشة

1.5 تفسير النتائج في ضوء الأدبيات السابقة

تتفق النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة مع الاتجاهات العامة في الأدبيات السابقة حول الاقتصاد غير الرسمي، لكنها تقدم أيضاً رؤى جديدة ومهمة. التنوع الكبير في الخصائص الديموغرافية لمهندسي الاقتصاد الخفي يتفق مع ما أشار إليه Portes و Castells (1989) حول عدم تجانس الاقتصاد غير الرسمي²⁴⁹. ومع ذلك، فإن المستوى العالي من التعليم الذي يتمتع به العديد من المشاركين (42.3% لديهم تعليم جامعي أو عالي) يتحدى الصورة النمطية التي تربط الاقتصاد غير الرسمي بانخفاض مستوى التعليم²⁵⁰.

هذه النتيجة تدعم ما اقترحه Chen (2012) حول ضرورة إعادة النظر في فهمنا للاقتصاد غير الرسمي كقطاع يضم أفراداً مؤهلين يختارون العمل خارج الإطار الرسمي لأسباب استراتيجية وليس فقط بسبب نقص البدائل²⁵¹. الانتقال من القطاع الرسمي إلى غير الرسمي الذي شهده 67.3% من المشاركين يشير إلى أن الاقتصاد غير الرسمي يمكن أن يكون خياراً مدروساً وليس مجرد ملجأ للعاطلين²⁵².

التنوع الكبير في أنواع الأنشطة التي ينظمها مهندسو الاقتصاد الخفي يؤكد على ما أشار إليه Enste و Schneider (2013) حول تعقيد وثرء هذا القطاع²⁵³. ومع ذلك، فإن مستوى التطور والتعقيد في الآليات التنظيمية التي يطورها هؤلاء المهندسون يتجاوز ما تم توثيقه في معظم الدراسات السابقة²⁵⁴. الأنظمة المالية المبتكرة مثل "الصندوق الدوار المتدرج" تظهر مستوى من الابتكار المؤسسي يمكن أن يكون مفيداً حتى للقطاع الرسمي²⁵⁵.

الدور المهم الذي يلعبه مهندسو الاقتصاد الخفي في خلق فرص العمل (متوسط 2,179 فرصة عمل مباشرة لكل مهندس) يدعم ما اقترحه Hart (2006) حول الإمكانات الكبيرة للاقتصاد غير الرسمي في معالجة مشكلة البطالة²⁵⁶. هذه النتائج تتجاوز التقديرات السابقة وتشير إلى أن تأثير القادة في هذا القطاع أكبر مما كان متوقعاً²⁵⁷.

العلاقة المعقدة مع الاقتصاد الرسمي التي كشفت عنها الدراسة تدعم نظرية "التكامل الاقتصادي" التي اقترحها Kanbur²⁵⁸. النتائج تظهر أن 78.8% من المشاركين لديهم علاقات تجارية منتظمة مع الشركات الرسمية، مما يشير إلى أن الحدود بين القطاعين أكثر مرونة مما كان يُعتقد سابقاً²⁵⁹. هذا "التكامل الخفي" يتحدى النظرة التقليدية التي تعتبر القطاعين منفصلين أو متنافسين²⁶⁰.

2.5 الآثار النظرية للنتائج

تحمل نتائج هذه الدراسة آثاراً مهمة للنظريات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة. أولاً، تدعم النتائج نظرية الاقتصاد المؤسسي الجديد من خلال إظهار كيف تطور الفاعلون مؤسسات غير رسمية معقدة وفعالة لتنظيم النشاط الاقتصادي²⁶¹. الآليات المبتكرة التي يطورها مهندسو الاقتصاد الخفي تظهر أن المؤسسات غير الرسمية يمكن أن تكون بديلاً فعالاً للمؤسسات الرسمية في بعض السياقات²⁶².

ثانياً، تساهم النتائج في تطوير نظرية الشبكات الاجتماعية من خلال إظهار كيف يستطيع الفاعلون في المواقع المركزية في الشبكات تنظيم أنشطة اقتصادية معقدة²⁶³. الدور التنسيق الذي يلعبه 89.7% من المشاركين يؤكد على أهمية "العقد المركزية" في الشبكات الاقتصادية²⁶⁴. هذا يدعم ما اقترحه Powell (1990) حول الشبكات كشكل مميز من أشكال التنظيم الاقتصادي²⁶⁵.

ثالثاً، تقدم النتائج دعماً قوياً لنظرية رأس المال الاجتماعي من خلال إظهار كيف يستثمر مهندسو الاقتصاد الخفي في بناء الثقة والعلاقات الاجتماعية كموارد اقتصادية²⁶⁶. الاستراتيجيات المختلفة التي يستخدمونها لبناء السمعة والحفاظ على الثقة تظهر الأهمية الاقتصادية لرأس المال الاجتماعي²⁶⁷.

رابعاً، تساهم النتائج في تطوير فهم جديد لمفهوم "زيادة الأعمال الاجتماعية" من خلال إظهار كيف يجمع مهندسو الاقتصاد الخفي بين تحقيق الأرباح وخدمة المجتمع²⁶⁸. الدور الاجتماعي الذي يلعبه 87.2% من المشاركين في تقوية التماسك الاجتماعي يشير إلى نموذج جديد لريادة الأعمال يتجاوز التركيز على الربح فقط²⁶⁹.

خامساً، تتحدى النتائج النظريات التقليدية حول التنمية الاقتصادية التي تركز على القطاع الرسمي كمحرك رئيسي للنمو²⁷⁰. التأثيرات الاقتصادية الكبيرة لمهندسي الاقتصاد الخفي تشير إلى أن القطاع غير الرسمي يمكن أن يكون محركاً مهماً للتنمية إذا تم فهمه ودعمه بشكل صحيح²⁷¹.

3.5 الآثار السياسية والتطبيقية

تحمل نتائج هذه الدراسة آثاراً مهمة لصناع السياسة والممارسين في مجال التنمية الاقتصادية. أولاً، تشير النتائج إلى ضرورة إعادة النظر في السياسات التقليدية التي تهدف إلى "إضفاء الطابع الرسمي" على الاقتصاد غير الرسمي²⁷². بدلاً من التركيز على الإدماج القسري، يمكن للحكومات تطوير سياسات تعترف بالقيمة الاقتصادية والاجتماعية للاقتصاد غير الرسمي وتسعى للتعاون معه²⁷³.

ثانياً، تظهر النتائج إمكانيات كبيرة للتعليم من الابتكارات المطورة في الاقتصاد غير الرسمي²⁷⁴. الآليات المالية المبتكرة مثل أنظمة الادخار الدوارة والإقراض المتبادل يمكن أن تُدمج في البرامج الحكومية للتمويل الأصغر²⁷⁵. استراتيجيات التسويق المجتمعي وأنظمة حل النزاعات التقليدية يمكن أن تُستخدم لتحسين فعالية البرامج الحكومية²⁷⁶.

ثالثاً، تشير النتائج إلى أهمية الاستثمار في تطوير قدرات مهندسي الاقتصاد الخفي بدلاً من محاولة إقصائهم²⁷⁷. برامج التدريب على التكنولوجيا الحديثة، والدعم في الوصول للتمويل، وتسهيل الوصول للأسواق الجديدة يمكن أن تضاعف من التأثيرات الإيجابية لهؤلاء المهندسين²⁷⁸.

رابعاً، تظهر النتائج أهمية تطوير أطر قانونية وتنظيمية مرنة تسمح بأشكال مختلفة من التنظيم الاقتصادي²⁷⁹. بدلاً من النماذج الجامدة التي تتطلب الامتثال الكامل للقوانين الرسمية، يمكن تطوير أطر تدريجية تسمح بمستويات مختلفة من الرسمية²⁸⁰.

خامساً، تشير النتائج إلى إمكانيات كبيرة للشراكة بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي²⁸¹. الشركات الرسمية يمكن أن تستفيد من المرونة والابتكار في القطاع غير الرسمي، بينما يمكن للقطاع غير الرسمي أن يستفيد من الموارد والتكنولوجيا في القطاع الرسمي²⁸².

4.5 التحديات المستقبلية والاتجاهات الناشئة

تواجه مهندسو الاقتصاد الخفي تحديات متزايدة في ظل التطورات التكنولوجية والاقتصادية المعاصرة. التحدي الأكبر هو التكيف مع التكنولوجيا الرقمية التي تغير طبيعة الأنشطة الاقتصادية بسرعة²⁸³. العديد من الأنشطة التقليدية التي كانت تتطلب وسطاء بشريين أصبحت تتم عبر المنصات الرقمية، مما يهدد الدور التقليدي لبعض المهندسين²⁸⁴.

ومع ذلك، تفتح التكنولوجيا الرقمية أيضاً فرصاً جديدة للابتكار والتوسع²⁸⁵. المهندسون الذين يستطيعون التكيف مع هذه

التطورات يمكنهم الوصول إلى أسواق أوسع وتطوير خدمات جديدة²⁸⁶. على سبيل المثال، العديد من المشاركين في الدراسة بدأوا في استخدام تطبيقات الهاتف المحمول لتنسيق أنشطتهم وخدمة عملائهم²⁸⁷.

التحدي الثاني هو التغيرات في السياسات الحكومية نحو مزيد من الرقابة والتنظيم²⁸⁸. العديد من الحكومات تطور أنظمة رقابة أكثر تطوراً لمراقبة الأنشطة الاقتصادية، مما يزيد من الضغط على الأنشطة غير الرسمية²⁸⁹. هذا يتطلب من المهندسين تطوير استراتيجيات جديدة للتكيف مع هذه التطورات²⁹⁰.

التحدي الثالث هو تغير توقعات العملاء والشركاء نحو مزيد من الشفافية والمساءلة²⁹¹. الجيل الجديد من العملاء أكثر وعياً بحقوقهم ويطلب بمعايير أعلى من الخدمة والحماية²⁹². هذا يتطلب من المهندسين تطوير أنظمة أكثر شفافية ومساءلة دون فقدان المرونة التي تميزهم²⁹³.

التحدي الرابع هو المنافسة المتزايدة من الشركات الرقمية الكبيرة التي تدخل إلى أسواق كانت تهيمن عليها الشبكات غير الرسمية²⁹⁴. هذه الشركات تتمتع بموارد كبيرة وتكنولوجيا متقدمة، مما يجعل المنافسة معها صعبة²⁹⁵. المهندسون بحاجة لتطوير استراتيجيات للتمايز والتخصص للحفاظ على قدرتهم التنافسية²⁹⁶.

5.5 الفرص المستقبلية والإمكانيات

رغم التحديات، تشير النتائج إلى وجود فرص كبيرة لمهندسي الاقتصاد الخفي في المستقبل. الفرصة الأولى هي الاستفادة من التكنولوجيا الرقمية لتطوير خدمات جديدة وتحسين الكفاءة²⁹⁷. العديد من المهندسين بدأوا بالفعل في استخدام تقنيات مثل المدفوعات الرقمية، وإدارة البيانات، والتسويق الإلكتروني²⁹⁸.

الفرصة الثانية هي التوسع في الأسواق الدولية من خلال التجارة الإلكترونية والشبكات العالمية²⁹⁹. العولمة والتكنولوجيا تتيح للمهندسين الوصول إلى عملاء وشركاء في دول أخرى، مما يفتح إمكانيات جديدة للنمو³⁰⁰. العديد من المشاركين في الدراسة أعربوا عن اهتمامهم بالتوسع دولياً³⁰¹.

الفرصة الثالثة هي تطوير شراكات استراتيجية مع الشركات الرسمية والمؤسسات الحكومية³⁰². النتائج تظهر أن هناك اهتماماً متزايداً من القطاع الرسمي بالاستفادة من المرونة والابتكار في القطاع غير الرسمي³⁰³. هذا يفتح إمكانيات للشراكات المفيدة للطرفين³⁰⁴.

الفرصة الرابعة هي الاستفادة من الاهتمام المتزايد بالاستدامة والمسؤولية الاجتماعية³⁰⁵. العديد من مهندسي الاقتصاد الخفي يطورون بالفعل ممارسات مستدامة ويساهمون في التنمية المجتمعية³⁰⁶. هذا يمكن أن يكون ميزة تنافسية في السوق المستقبلي³⁰⁷.

الفرصة الخامسة هي تطوير نماذج أعمال جديدة تجمع بين الكفاءة الاقتصادية والتأثير الاجتماعي³⁰⁸. الاتجاه المتزايد نحو "الاقتصاد الاجتماعي" يفتح فرصاً جديدة للمهندسين الذين يجمعون بين تحقيق الأرباح وخدمة المجتمع³⁰⁹.

6. الخاتمة والتوصيات

1.6 ملخص النتائج الرئيسية

تقدم هذه الدراسة فهماً شاملاً ومتعمقاً لدور مهندسي الاقتصاد الخفي كفاعلين رئيسيين في تشكيل وتوجيه الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية. النتائج الرئيسية تكشف عن صورة معقدة ومتنوعة لهؤلاء المهندسين تتحدى العديد من الصور النمطية السائدة حول الاقتصاد غير الرسمي³¹⁰.

أولاً، تظهر النتائج أن مهندسي الاقتصاد الخفي هم مجموعة متنوعة ومؤهلة، حيث أن 42.3% منهم لديهم تعليم جامعي أو عالي، و67.3% انتقلوا من القطاع الرسمي إلى غير الرسمي لأسباب استراتيجية³¹¹. هذا يشير إلى أن الاقتصاد غير الرسمي ليس مجرد ملجأ للعاطلين أو غير المؤهلين، بل خيار مدروس للعديد من الأفراد المؤهلين³¹².

ثانياً، تكشف النتائج عن مستوى عالٍ من الابتكار والتطور في الآليات والاستراتيجيات التي يطورها هؤلاء المهندسون³¹³. 82.1% منهم طوروا آليات تمويل مبتكرة، و76.9% طوروا استراتيجيات تسويق متقدمة، و71.8% طوروا أنظمة إدارة مخاطر معقدة³¹⁴. هذه الابتكارات غالباً ما تتجاوز الحلول المتاحة في القطاع الرسمي في المرونة والملاءمة للسياق المحلي³¹⁵.

ثالثاً، تظهر النتائج تأثيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة لمهندسي الاقتصاد الخفي³¹⁶. المشاركون في الدراسة يؤثرون على أنشطة 1.2 مليون شخص مباشرة، ويديرون تدفقات مالية تقدر بـ 3.8 مليار دولار سنوياً، ويوفرون فرص عمل مباشرة لـ 340,000 شخص³¹⁷. هذه الأرقام تؤكد على الدور المهم لهؤلاء المهندسين في الاقتصاد والمجتمع³¹⁸.

رابعاً، تكشف النتائج عن علاقة معقدة ومتعددة الأوجه بين مهندسي الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي³¹⁹. 78.8% من المشاركين لديهم علاقات تجارية منتظمة مع الشركات الرسمية، مما يشير إلى وجود "تكامل خفي" بين القطاعين³²⁰. هذا يتحدى النظرة التقليدية التي تعتبر القطاعين منفصلين أو متنافسين³²¹.

خامساً، تظهر النتائج أن مهندسي الاقتصاد الخفي يواجهون تحديات متنوعة أهمها عدم الاستقرار التنظيمي (84.6%)، وصعوبة الوصول للتمويل (76.9%)، والمنافسة من القطاع الرسمي (68.6%)³²². ومع ذلك، فإنهم يطورون استراتيجيات مبتكرة للتعامل مع هذه التحديات³²³.

2.6 المساهمة العلمية للدراسة

تساهم هذه الدراسة في الأدبيات العلمية من خلال عدة جوانب مهمة. أولاً، تقدم إطاراً نظرياً جديداً لفهم الاقتصاد غير الرسمي من خلال التركيز على الفاعلين القياديين الذين ينظمونه³²⁴. مفهوم "مهندس الاقتصاد الخفي" يوفر أداة تحليلية جديدة لفهم كيفية تنظيم الأنشطة الاقتصادية المعقدة خارج الإطار الرسمي³²⁵.

ثانياً، تطور الدراسة منهجية بحثية مبتكرة تجمع بين التقنيات الكمية والنوعية لدراسة ظاهرة معقدة وحساسة³²⁶. هذه المنهجية يمكن أن تُستخدم في دراسات مستقبلية حول الاقتصاد غير الرسمي وظواهر اجتماعية أخرى مشابهة³²⁷.

ثالثاً، تقدم الدراسة أدلة تجريبية واسعة النطاق حول دور القيادة في الاقتصاد غير الرسمي³²⁸. البيانات المجمعة من 156 مهندساً عبر 12 دولة تقدم أساساً قوياً لفهم هذه الظاهرة وتطوير نظريات جديدة³²⁹.

رابعاً، تساهم الدراسة في تطوير فهم جديد للعلاقة بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي³³⁰. مفهوم "التكامل الخفي" الذي تكشف عنه النتائج يقدم منظوراً جديداً لفهم هذه العلاقة³³¹.

خامساً، تقدم الدراسة رؤى جديدة حول إمكانيات الابتكار والتطوير في الاقتصاد غير الرسمي³³². الآليات المبتكرة التي يطورها مهندسو الاقتصاد الخفي تظهر أن هذا القطاع يمكن أن يكون مصدراً للابتكار وليس فقط مستقبلاً للتكنولوجيا المطورة في القطاع الرسمي³³³.

3.6 التوصيات للسياسات العامة

بناءً على نتائج الدراسة، يمكن تقديم عدة توصيات مهمة لصناع السياسة. التوصية الأولى هي تطوير سياسات تعترف بالقيمة الاقتصادية والاجتماعية للاقتصاد غير الرسمي وتسعى للتعاون معه بدلاً من محاولة إقصائه³³⁴. هذا يتطلب تطوير أطر قانونية وتنظيمية مرنة تسمح بأشكال مختلفة من التنظيم الاقتصادي³³⁵.

التوصية الثانية هي الاستثمار في تطوير قدرات مهندسي الاقتصاد الخفي من خلال برامج التدريب والدعم التقني³³⁶. هذا يشمل التدريب على التكنولوجيا الحديثة، وتطوير المهارات الإدارية، وتسهيل الوصول للتمويل والأسواق الجديدة³³⁷.

التوصية الثالثة هي تطوير آليات للتعليم من الابتكارات المطورة في الاقتصاد غير الرسمي ودمجها في البرامج الحكومية³³⁸. الآليات المالية المبتكرة وأنظمة حل النزاعات التقليدية يمكن أن تحسن من فعالية السياسات العامة³³⁹.

التوصية الرابعة هي تشجيع الشراكات بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي من خلال تطوير برامج ومبادرات تسهل التعاون³⁴⁰. هذا يمكن أن يحقق فوائد متبادلة ويساهم في تطوير الاقتصاد ككل³⁴¹.

التوصية الخامسة هي تطوير أنظمة مراقبة وتقييم تأخذ في الاعتبار التأثيرات الإيجابية للاقتصاد غير الرسمي³⁴². هذا يتطلب تطوير مؤشرات جديدة لقياس الأداء الاقتصادي والاجتماعي تتجاوز المؤشرات التقليدية³⁴³.

4.6 التوصيات للبحوث المستقبلية

تفتح نتائج هذه الدراسة آفاقاً واسعة للبحوث المستقبلية. التوصية الأولى هي إجراء دراسات طويلة لفهم كيفية تطور دور مهندسي الاقتصاد الخفي عبر الزمن³⁴⁴. هذا يمكن أن يوفر فهماً أفضل للديناميكيات التطورية في هذا القطاع³⁴⁵.

التوصية الثانية هي إجراء دراسات مقارنة أكثر تفصيلاً بين مناطق جغرافية وثقافية مختلفة³⁴⁶. هذا يمكن أن يساعد في تحديد العوامل التي تؤثر على نجاح مهندسي الاقتصاد الخفي في سياقات مختلفة³⁴⁷.

التوصية الثالثة هي إجراء دراسات متخصصة حول تأثير التكنولوجيا الرقمية على أنشطة مهندسي الاقتصاد الخفي³⁴⁸. هذا موضوع مهم ومتطور يحتاج لمزيد من البحث والفهم³⁴⁹.

التوصية الرابعة هي تطوير دراسات تجريبية لاختبار فعالية الآليات المبتكرة المطورة في الاقتصاد غير الرسمي³⁵⁰. هذا يمكن أن يساعد في تحديد أي من هذه الآليات يمكن تطبيقها في سياقات أخرى³⁵¹.

التوصية الخامسة هي إجراء دراسات متعددة التخصصات تجمع بين الاقتصاد وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا لفهم أفضل للأبعاد المختلفة لهذه الظاهرة³⁵². هذا النهج المتكامل يمكن أن يوفر فهماً أكثر شمولية وعمقاً³⁵³.

5.6 الخلاصة النهائية

تكشف هذه الدراسة عن عالم معقد ومتطور من الابتكار والتنظيم في الاقتصاد غير الرسمي، يقوده مهندسون ماهرون يطورون حلولاً مبتكرة للتحديات الاقتصادية والاجتماعية³⁵⁴. هؤلاء المهندسون ليسوا مجرد مشاركين في الاقتصاد غير الرسمي، بل هم المعماريون الحقيقيون لنظام اقتصادي معقد ومؤثر³⁵⁵.

النتائج تتحدى العديد من الصور النمطية حول الاقتصاد غير الرسمي وتظهر أنه قطاع متطور ومبتكر يساهم بشكل كبير في التنمية الاقتصادية والاجتماعية³⁵⁶. التأثيرات الإيجابية الكبيرة لمهندسي الاقتصاد الخفي في خلق فرص العمل وتوفير الخدمات وتقوية التماسك الاجتماعي تشير إلى أن هذا القطاع يستحق مزيداً من الاهتمام والدعم³⁵⁷.

العلاقة المعقدة والتكاملية بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي تشير إلى ضرورة تطوير نهج جديد للسياسة الاقتصادية يعترف بهذا التكامل ويسعى لتعزيزه³⁵⁸. بدلاً من النظر للقطاعين كمتنافسين، يمكن النظر إليهما كمكملين يمكن أن يحققا معاً نتائج أفضل من كل منهما منفرداً³⁵⁹.

التحديات التي يواجهها مهندسو الاقتصاد الخفي، خاصة في مجال التكنولوجيا والتنظيم، تتطلب استجابة مدروسة من صناع السياسة والمجتمع الدولي³⁶⁰. الاستثمار في تطوير قدرات هؤلاء المهندسين ودعم ابتكاراتهم يمكن أن يحقق عوائد كبيرة للاقتصاد والمجتمع³⁶¹.

في النهاية، تؤكد هذه الدراسة على أن مهندسي الاقتصاد الخفي هم مورد قيم ومهم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية³⁶². فهمهم ودعمهم والتعلم منهم يمكن أن يساهم في بناء اقتصادات أكثر شمولية ومرونة واستدامة³⁶³. هذا يتطلب تغييراً في النظرة التقليدية للاقتصاد غير الرسمي من مشكلة يجب حلها إلى مورد يجب تطويره والاستفادة منه³⁶⁴.

المراجع

1. Acs, Z. J., Boardman, M. C., & McNeely, C. L. (2013). The social value of productive entrepreneurship. *Small Business Economics*, 40(3), 785-796.
2. Adger, W. N. (2003). Social capital, collective action, and adaptation to climate change. *Economic Geography*, 79(4), 387-404.
3. Agarwal, R., & Hoetker, G. (2007). A Faustian bargain? The growth of management and its relationship with related disciplines. *Academy of Management Journal*, 50(6), 1304-1322.
4. Aldrich, H. E., & Martinez, M. A. (2001). Many are called, but few are chosen: An evolutionary perspective for the study of entrepreneurship. *Entrepreneurship Theory and Practice*, 25(4), 41-56.
5. Amin, A. (2009). *The social economy: International perspectives on economic solidarity*. Zed Books.
6. Anheier, H. K., & Salamon, L. M. (2006). The nonprofit sector in comparative perspective. *The nonprofit sector: A research handbook*, 2, 89-114.
7. Austin, J., Stevenson, H., & Wei-Skillern, J. (2006). Social and commercial entrepreneurship: same, different, or both? *Entrepreneurship Theory and Practice*, 30(1), 1-22.
8. Baker, T., & Nelson, R. E. (2005). Creating something from nothing: Resource construction through entrepreneurial bricolage. *Administrative Science Quarterly*, 50(3), 329-366.
9. Barley, S. R., & Tolbert, P. S. (1997). Institutionalization and structuration: Studying the links between action and institution. *Organization Studies*, 18(1), 93-117.
10. Battilana, J., Leca, B., & Boxenbaum, E. (2009). How actors change institutions: towards a theory of institutional entrepreneurship. *Academy of Management Annals*, 3(1), 65-107.
11. Bayart, J. F., Ellis, S., & Hibou, B. (1999). *The criminalization of the state in Africa*. Indiana University Press.
12. Becker, G. S. (1964). *Human capital: A theoretical and empirical analysis, with special reference to education*. University of Chicago Press.
13. Bourdieu, P. (1986). The forms of capital. *Handbook of Theory and Research for the*

- Sociology of Education, 241-258.
14. Breman, J. (2013). At work in the informal economy of India: a perspective from the bottom up. Oxford University Press.
 15. Burt, R. S. (2005). Brokerage and closure: An introduction to social capital. Oxford University Press.
 16. Castells, M., & Portes, A. (1989). World underneath: The origins, dynamics, and effects of the informal economy. *The informal economy: Studies in advanced and less developed countries*, 11-37.
 17. Chen, M. A. (2012). The informal economy: Definitions, theories and policies. WIEGO Working Paper.
 18. Coleman, J. S. (1988). Social capital in the creation of human capital. *American Journal of Sociology*, 94, S95-S120.
 19. Cross, J. C. (1998). Informal politics: Street vendors and the state in Mexico City. Stanford University Press.
 20. De Soto, H. (2000). The mystery of capital: Why capitalism triumphs in the West and fails everywhere else. Basic Books.
 21. DiMaggio, P. J., & Powell, W. W. (1983). The iron cage revisited: Institutional isomorphism and collective rationality in organizational fields. *American Sociological Review*, 48(2), 147-160.
 22. Djankov, S., La Porta, R., Lopez-de-Silanes, F., & Shleifer, A. (2002). The regulation of entry. *The Quarterly Journal of Economics*, 117(1), 1-37.
 23. Fernández-Kelly, P. (2006). Introduction. *The informal economy: Studies in advanced and less developed countries*, 3-8.
 24. Geertz, C. (1978). The bazaar economy: Information and search in peasant marketing. *The American Economic Review*, 68(2), 28-32.
 25. Granovetter, M. (1985). Economic action and social structure: The problem of embeddedness. *American Journal of Sociology*, 91(3), 481-510.
 26. Hall, P. A., & Soskice, D. (2001). Varieties of capitalism: The institutional foundations of comparative advantage. Oxford University Press.
 27. Hart, K. (1973). Informal income opportunities and urban employment in Ghana. *The Journal of Modern African Studies*, 11(1), 61-89.
 28. Hart, K. (2006). Bureaucratic form and the informal economy. Linking the formal and informal economy: Concepts and policies, 21-35.
 29. Helmke, G., & Levitsky, S. (2004). Informal institutions and comparative politics: A research agenda. *Perspectives on Politics*, 2(4), 725-740.
 30. Hirschman, A. O. (1970). Exit, voice, and loyalty: Responses to decline in firms, organizations, and states. Harvard University Press.
 31. Kanbur, R. (2017). Informality: causes, consequences and policy responses. *Review of Development Economics*, 21(4), 939-961.
 32. La Porta, R., & Shleifer, A. (2014). Informality and development. *Journal of Economic Perspectives*, 28(3), 109-126.
 33. Lomnitz, L. A. (1977). Networks and marginality: Life in a Mexican shantytown. Academic Press.
 34. MacGaffey, J. (1991). The real economy of Zaire: The contribution of smuggling and other

- unofficial activities to national wealth. University of Pennsylvania Press.
35. Maloney, W. F. (2004). Informality revisited. *World Development*, 32(7), 1159-1178.
 36. North, D. C. (1990). *Institutions, institutional change and economic performance*. Cambridge University Press.
 37. Ong, A. (1999). *Flexible citizenship: The cultural logics of transnationality*. Duke University Press.
 38. Ortiz, S. (1983). What is decision analysis about? The problems of formal representations. *Economic anthropology: Topics and theories*, 249-268.
 39. Peattie, L. (1987). An idea in good currency and how it grew: The informal sector. *World Development*, 15(7), 851-860.
 40. Portes, A. (1998). Social capital: Its origins and applications in modern sociology. *Annual Review of Sociology*, 24(1), 1-24.
 41. Portes, A., & Castells, M. (1989). World underneath: The origins, dynamics, and effects of the informal economy. *The informal economy: Studies in advanced and less developed countries*, 11-37.
 42. Portes, A., & Landolt, P. (2000). Social capital: promise and pitfalls of its role in development. *Journal of Latin American Studies*, 32(2), 529-547.
 43. Powell, W. W. (1990). Neither market nor hierarchy: Network forms of organization. *Research in Organizational Behavior*, 12, 295-336.
 44. Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and revival of American community*. Simon & Schuster.
 45. Rakowski, C. A. (1994). Convergence and divergence in the informal sector debate: A focus on Latin America, 1984-92. *World Development*, 22(4), 501-516.
 46. Sassen, S. (1994). *Cities in a world economy*. Pine Forge Press.
 47. Schneider, F., & Enste, D. H. (2013). *The shadow economy: An international survey*. Cambridge University Press.
 48. Scott, J. C. (1998). *Seeing like a state: How certain schemes to improve the human condition have failed*. Yale University Press.
 49. Scott, J. C. (1976). *The moral economy of the peasant: Rebellion and subsistence in Southeast Asia*. Yale University Press.
 50. Thompson, E. P. (1971). The moral economy of the English crowd in the eighteenth century. *Past & Present*, 50, 76-136.
 51. Uzzi, B. (1997). Social structure and competition in interfirm networks: The paradox of embeddedness. *Administrative Science Quarterly*, 42(1), 35-67.
 52. Williamson, O. E. (1985). *The economic institutions of capitalism*. Free Press.
 53. World Bank. (2019). *The changing nature of work*. World Development Report 2019.
 54. Ybarra, J. A. (1989). Informalization in the Valencian economy: A model for underdevelopment. *The informal economy: Studies in advanced and less developed countries*, 216-227.
 55. Young, D. R. (2001). Organizational identity in nonprofit organizations: Strategic and structural implications. *Nonprofit Management and Leadership*, 12(2), 139-157.

عنوان البحث

الكفاءة والعائد الاجتماعي على الاستثمار في المنظمات التطوعية: نموذج شامل لقياس وتحليل الأثر الاجتماعي والاقتصادي

د. صالح موسى أبكر مطر¹

¹ أستاذ الاقتصاد المساعد، كلية الاقتصاد والدراسات التجارية - جامعة كردفان، السودان.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/3>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/3>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تطوير نموذج شامل لقياس الكفاءة والعائد الاجتماعي على الاستثمار (SROI) في المنظمات التطوعية، مع التركيز على تطوير منهجيات متقدمة لتقييم القيمة الاجتماعية والاقتصادية التي تخلقها هذه المنظمات. تستند الدراسة إلى منهجية مختلطة تجمع بين التحليل الكمي والنوعي، حيث تم تحليل بيانات 234 منظمة تطوعية في 48 دولة، مع تطبيق منهجية SROI المطورة على 45 منظمة كدراسات حالة تفصيلية. تكشف النتائج أن متوسط العائد الاجتماعي على الاستثمار للمنظمات التطوعية يبلغ 4.7:1، مما يعني أن كل دولار مستثمر يولد قيمة اجتماعية واقتصادية تقدر بـ 4.7 دولار. كما تظهر الدراسة أن 89% من المنظمات تحقق عوائد إيجابية، مع تباين كبير حسب نوع النشاط والسياق الجغرافي والثقافي. تطور الدراسة إطاراً نظرياً جديداً يجمع بين النظريات الاقتصادية التقليدية ونظريات القيمة الاجتماعية، مع تقديم أدوات عملية لقياس الأثر متعدد الأبعاد للمنظمات التطوعية. يساعد هذا النموذج في تحسين اتخاذ القرارات الاستثمارية، وتطوير استراتيجيات أكثر فعالية، وتعزيز الشفافية والمساءلة في القطاع التطوعي. للنتائج آثار مهمة على تطوير السياسات العامة وتحسين آليات التمويل والدعم للمنظمات التطوعية، خاصة في سياق التحديات العالمية المعاصرة مثل التغير المناخي، وعدم المساواة الاجتماعية، والتحول الرقمي.

الكلمات المفتاحية: العائد الاجتماعي على الاستثمار، SROI، المنظمات التطوعية، القيمة الاجتماعية، قياس الأثر، الكفاءة الاجتماعية، التقييم الاقتصادي، المساءلة الاجتماعية، التنمية المستدامة، الابتكار الاجتماعي.

RESEARCH TITLE

Efficiency and Social Return on Investment in Voluntary Organizations: A Comprehensive Model for Measuring and Analyzing Social and Economic Impact

Abstract

This study aims to develop a comprehensive model for measuring efficiency and Social Return on Investment (SROI) in voluntary organizations, focusing on developing advanced methodologies for evaluating the social and economic value created by these organizations. The study is based on a mixed methodology that combines quantitative and qualitative analysis, analyzing data from 234 voluntary organizations in 48 countries, with the application of the developed SROI methodology to 45 organizations as detailed case studies. The results reveal that the average social return on investment for voluntary organizations is 4.7:1, meaning that every dollar invested generates social and economic value estimated at \$4.7. The study also shows that 89% of organizations achieve positive returns, with significant variation according to the type of activity and geographical and cultural context. The study develops a new theoretical framework that combines traditional economic theories and social value theories, while providing practical tools for measuring the multi-dimensional impact of voluntary organizations. This model helps improve investment decision-making, develop more effective strategies, and enhance transparency and accountability in the voluntary sector. The results have important implications for developing public policies and improving financing and support mechanisms for voluntary organizations, especially in the context of contemporary global challenges such as climate change, social inequality, and digital transformation.

Key Words: Social Return on Investment, SROI, Voluntary Organizations, Social Value, Impact Measurement, Social Efficiency, Economic Evaluation, Social Accountability, Sustainable Development, Social Innovation.

1. المقدمة

1.1 السياق العام وأهمية العائد الاجتماعي

تواجه المنظمات التطوعية في عصر متزايد من المطالب بالشفافية والمساءلة تحديات معقدة في إثبات قيمتها وأثرها الاجتماعي والاقتصادي. هذا التحدي أصبح أكثر إلحاحاً مع تنامي الدور الحيوي للقطاع التطوعي عالمياً، حيث تشير التقديرات إلى أن هذا القطاع يساهم بحوالي 5.5% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي ويوظف أكثر من 200 مليون شخص بدوام كامل مكافئ¹. رغم الحجم الكبير لهذا القطاع والأثر الواضح لمساهماته، فإن قياس وتقييم العائد الحقيقي لهذه الاستثمارات الاجتماعية يعد تحدياً معقداً يتطلب تطوير منهجيات وأدوات قياس متطورة ومناسبة².

إن الحاجة لقياس العائد الاجتماعي على الاستثمار (SROI) في المنظمات التطوعية تتبع من عدة اعتبارات مهمة. أولاً، يحتاج الممولون والمانحون إلى أدلة واضحة ومدرسة حول العائد الفعلي لاستثماراتهم لاتخاذ قرارات تمويل مستنيرة³. في ظل تزايد المنافسة على الموارد المحدودة، أصبح من الضروري للمنظمات التطوعية أن تثبت قدرتها على تحقيق أثر اجتماعي ملموس ومستدام. هذا الأمر لا يقتصر على المانحين الأفراد فحسب، بل يشمل أيضاً المؤسسات المانحة الكبيرة والحكومات التي تخصص مليارات الدولارات سنوياً لدعم القطاع التطوعي⁴.

ثانياً، تحتاج المنظمات نفسها لفهم أفضل لأثرها لتطوير استراتيجيات أكثر فعالية وتحسين أدائها⁵. في عالم يتسارع فيه التغيير وتتعدد فيه التحديات الاجتماعية، لا يكفي أن تعتمد المنظمات التطوعية على النوايا الحسنة والجهود المخلصة فقط. بل تحتاج إلى أدوات دقيقة لقياس أثرها وتحديد مجالات التحسين والتطوير. هذا الفهم العميق للأثر يمكن المنظمات من تحسين تصميم برامجها، وتحسين كفاءة استخدام الموارد، وتطوير نماذج تدخل أكثر فعالية⁶.

ثالثاً، يحتاج صناع السياسة إلى معلومات دقيقة حول قيمة القطاع التطوعي لتطوير سياسات داعمة ومناسبة⁷. في العديد من البلدان، يلعب القطاع التطوعي دوراً مكماً مهماً للخدمات الحكومية، خاصة في مجالات التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية. فهم العائد الاجتماعي لهذا القطاع يساعد الحكومات في اتخاذ قرارات مستنيرة حول مستوى الدعم المطلوب، وأنواع الحوافز التي يجب تقديمها، والمجالات التي يجب التركيز عليها في الشراكة بين القطاعين العام والتطوعي⁸.

رابعاً، يحتاج المجتمع ككل لفهم العائد الحقيقي لاستثماراته الاجتماعية المدعومة من خلال الضرائب والتبرعات⁹. في عصر تزايد الوعي الاجتماعي والمطالبة بالشفافية، أصبح المواطنون والمتبرعون أكثر اهتماماً بمعرفة كيفية استخدام أموالهم وما هو الأثر الفعلي المحقق. هذا الطالب على الشفافية والمساءلة يدفع المنظمات التطوعية إلى تطوير أنظمة قياس وتقييم أكثر دقة وشمولية¹⁰.

2.1 التطور التاريخي لمفهوم العائد الاجتماعي

يمكن تتبع جذور مفهوم العائد الاجتماعي على الاستثمار إلى أوائل القرن العشرين، عندما بدأ الاقتصاديون في التفكير في طرق لقياس القيمة الاجتماعية للأنشطة الاقتصادية¹¹. في تلك الفترة، كانت النظريات الاقتصادية التقليدية تركز بشكل أساسي على المقاييس المالية والكمية، مع إهمال نسبي للقيم الاجتماعية والبيئية. ومع ذلك، بدأ بعض المفكرين في إدراك أن هناك جوانب مهمة من القيمة لا يمكن قياسها بالمقاييس المالية التقليدية¹².

في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، ساهمت أعمال اقتصاديين مثل Simon Kuznets في تطوير مفاهيم جديدة لقياس الرفاه الاجتماعي والاقتصادي¹³. رغم أن Kuznets ركز بشكل أساسي على تطوير مقاييس الناتج القومي، إلا أنه أدرك القيود المرتبطة بالاعتماد على المقاييس الاقتصادية فقط وأكد على أهمية تطوير مؤشرات أخرى للرفاه الاجتماعي¹⁴.

التطوير الفعلي لمنهجية SROI كما نعرفها اليوم بدأ في الثمانينيات من القرن الماضي، عندما طورت مؤسسة Roberts Enterprise Development Fund في الولايات المتحدة أول نموذج منهجي لقياس العائد الاجتماعي¹⁵. هذا النموذج كان مدفوعاً بالحاجة لإثبات فعالية برامج التدريب المهني والتشغيل للفئات المحرومة. المؤسسة أدركت أن المقاييس التقليدية للنجاح، مثل عدد الأشخاص المدربين أو المشغلين، لا تعكس القيمة الحقيقية المحققة للمجتمع¹⁶.

في التسعينيات، شهد المفهوم تطوراً كبيراً مع عمل Jed Emerson وزملائه، الذين طوروا إطاراً أكثر تفصيلاً لقياس القيمة المختلطة (Blended Value) التي تجمع بين العوائد المالية والاجتماعية والبيئية¹⁷. هذا التطوير كان مدفوعاً بالحاجة المتزايدة لإثبات فعالية البرامج الاجتماعية في ظل تزايد المطالب بالمساءلة والشفافية من قبل الممولين والحكومات. Emerson وفريقه أدركوا أن هناك حاجة لنهج أكثر شمولية يأخذ في الاعتبار جميع أشكال القيمة المحققة، وليس فقط القيمة المالية¹⁸.

في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، شهد مجال SROI نمواً سريعاً مع تطوير عدة منهجيات ونماذج مختلفة. من أبرز هذه التطورات كان عمل New Economics Foundation في المملكة المتحدة، التي طورت دليلاً شاملاً لتطبيق SROI يتضمن ستة مبادئ أساسية: إشراك أصحاب المصلحة، فهم التغيير، تقييم الأمور المهمة، تضمين ما هو مادي فقط، عدم المبالغة في التقدير، والشفافية¹⁹.

هذه المبادئ الستة أصبحت الأساس لمعظم تطبيقات SROI حول العالم. المبدأ الأول، إشراك أصحاب المصلحة، يؤكد على أهمية إشراك جميع الأطراف المتأثرة بالبرنامج أو المشروع في عملية التقييم. هذا يضمن أن التقييم يعكس وجهات نظر متنوعة ويأخذ في الاعتبار جميع أشكال القيمة المحققة²⁰. المبدأ الثاني، فهم التغيير، يركز على أهمية فهم كيفية حدوث التغيير وما هي العوامل التي تساهم في تحقيق النتائج المرغوبة²¹.

3.1 التحديات المعاصرة في قياس الأثر الاجتماعي

في السنوات الأخيرة، واجه مجال قياس الأثر الاجتماعي عدة تحديات جديدة نتيجة للتطورات التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية. أحد أهم هذه التحديات هو التعقيد المتزايد للمشاكل الاجتماعية والبيئية التي تواجهها المنظمات التطوعية²². في عالم متصل ومتشابك، أصبحت المشاكل أكثر تعقيداً وتداخلاً، مما يجعل من الصعب تحديد الأسباب والنتائج بوضوح. على سبيل المثال، مشكلة الفقر لا تعود مرتبطة فقط بنقص الدخل، بل تتداخل مع قضايا التعليم والصحة والبيئة والتكنولوجيا²³.

التحدي الثاني هو تزايد التوقعات من المنظمات التطوعية لتحقيق أثر قابل للقياس والإثبات²⁴. هذا التوقع المتزايد يأتي من عدة مصادر: الممولون الذين يريدون ضمانات أكبر حول عائد استثماراتهم، والحكومات التي تواجه ضغوطاً لتبرير الإنفاق العام، والمجتمع الذي أصبح أكثر وعياً ومطالبة بالشفافية. هذا الضغط المتزايد يدفع المنظمات التطوعية إلى تخصيص موارد أكبر لأنشطة القياس والتقييم، مما قد يؤثر على الموارد المتاحة للأنشطة الأساسية²⁵.

التحدي الثالث هو التطور السريع في التكنولوجيا وتأثيره على طبيعة العمل التطوعي²⁶. التكنولوجيا الرقمية فتحت فرصاً جديدة للمنظمات التطوعية لتوسيع نطاق تأثيرها وتحسين كفاءتها، لكنها في نفس الوقت خلقت تحديات جديدة في قياس الأثر. على سبيل المثال، كيف يمكن قياس أثر حملة توعية رقمية أو برنامج تعليمي عبر الإنترنت؟ هذه الأنشطة الجديدة تتطلب تطوير مؤشرات ومقاييس جديدة قد لا تكون متاحة في المنهجيات التقليدية²⁷.

التحدي الرابع هو تزايد التركيز على الاستدامة والأثر طويل المدى²⁸. في الماضي، كان التركيز غالباً على النتائج قصيرة

المدى والمخرجات المباشرة. لكن مع تزايد الوعي بأهمية الاستدامة، أصبح هناك طلب متزايد لقياس الأثر طويل المدى والتأكد من استدامة التغييرات المحققة. هذا يتطلب تطوير منهجيات جديدة للمتابعة طويلة المدى وقياس الأثر المستدام²⁹.

4.1 أهمية الدراسة والمساهمة العلمية

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولتها سد الفجوة البحثية الموجودة في مجال قياس الأثر الاجتماعي للمنظمات التطوعية من خلال عدة جوانب مهمة. أولاً، تقدم الدراسة نهجاً شاملاً ومتكاملاً لقياس العائد الاجتماعي يتجاوز المنهجيات الجزئية المتاحة حالياً³⁰. معظم الدراسات السابقة ركزت على جوانب محددة من قياس الأثر أو على قطاعات معينة، بينما تسعى هذه الدراسة إلى تطوير نموذج شامل يمكن تطبيقه عبر مختلف أنواع المنظمات التطوعية والسياقات الثقافية والجغرافية³¹.

ثانياً، تساهم الدراسة في تطوير الأدبيات النظرية في مجال الاقتصاد الاجتماعي من خلال دمج النظريات الاقتصادية التقليدية مع نظريات القيمة الاجتماعية الحديثة³². هذا الدمج يوفر إطاراً نظرياً أكثر ثراءً وشمولية لفهم كيفية خلق القيمة في القطاع التطوعي وكيفية قياسها وتقييمها. الدراسة تبني على أعمال رواد في هذا المجال مثل Putnam في رأس المال الاجتماعي، و Sen في نهج القدرات، و Stiglitz في اقتصاد المعلومات³³.

ثالثاً، تقدم الدراسة أدلة تجريبية واسعة النطاق حول مستوى العائد الاجتماعي للمنظمات التطوعية، مما يساهم في إثراء قاعدة المعرفة المتاحة³⁴. من خلال تحليل بيانات من 234 منظمة في 48 دولة، تقدم الدراسة صورة شاملة عن أداء القطاع التطوعي عالمياً. هذه البيانات الواسعة تتيح إجراء مقارنات معنوية بين المناطق والقطاعات والأنواع المختلفة من المنظمات³⁵.

رابعاً، تطور الدراسة أدوات عملية يمكن للمنظمات التطوعية استخدامها لقياس وتحسين أدائها³⁶. هذه الأدوات مصممة لتكون عملية وقابلة للتطبيق في سياقات مختلفة، مع مراعاة القيود المالية والتقنية التي تواجهها العديد من المنظمات التطوعية. الهدف هو جعل قياس الأثر الاجتماعي أكثر سهولة ومنهجية للممارسين في الميدان³⁷.

5.1 أهداف الدراسة وأسئلة البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية مترابطة ومتكاملة. الهدف الأول هو تطوير إطار نظري شامل لفهم وقياس العائد الاجتماعي على الاستثمار في المنظمات التطوعية³⁸. هذا الإطار يجمع بين النظريات الاقتصادية التقليدية ونظريات القيمة الاجتماعية الحديثة، ويأخذ في الاعتبار التعقيدات والخصائص الفريدة للقطاع التطوعي. الإطار النظري يهدف إلى توفير أساس قوي لفهم كيفية خلق القيمة في المنظمات التطوعية وكيفية قياسها وتقييمها بطريقة منهجية ودقيقة³⁹.

الهدف الثاني هو تطوير منهجية عملية ومتقدمة لقياس SROI تأخذ في الاعتبار التعقيدات والتحديات الخاصة بالقطاع التطوعي⁴⁰. هذه المنهجية تهدف إلى تجاوز القيود الموجودة في المنهجيات الحالية، مثل صعوبة قياس النتائج غير الملموسة، ومشاكل العزو السببي، وتحديات التقييم النقدي للقيم الاجتماعية. المنهجية المطورة تسعى إلى أن تكون دقيقة وموثوقة من ناحية، وعملية وقابلة للتطبيق من ناحية أخرى⁴¹.

الهدف الثالث هو تطبيق هذه المنهجية على عينة واسعة ومتنوعة من المنظمات التطوعية لاختبار فعاليتها وموثوقيتها⁴². من خلال التطبيق على 234 منظمة في 48 دولة، تسعى الدراسة إلى اختبار المنهجية في سياقات متنوعة والتأكد من قابليتها للتطبيق عبر مختلف الثقافات والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية. هذا التطبيق الواسع يتيح أيضاً جمع بيانات شاملة حول أداء القطاع التطوعي عالمياً⁴³.

الهدف الرابع هو تحليل العوامل التي تؤثر على مستوى العائد الاجتماعي وتحديد أفضل الممارسات التي تؤدي إلى تحقيق عوائد أعلى⁴⁴. من خلال التحليل الإحصائي المتقدم، تسعى الدراسة إلى تحديد العوامل الرئيسية التي تميز المنظمات عالية الأداء عن غيرها. هذا التحليل يهدف إلى توفير رؤى قيمة للممارسين حول كيفية تحسين أداء منظماتهم وزيادة أثرها الاجتماعي⁴⁵.

الهدف الخامس هو تقديم توصيات عملية لتحسين كفاءة وفعالية المنظمات التطوعية في تحقيق أهدافها الاجتماعية⁴⁶. هذه التوصيات تستند إلى النتائج التجريبية للدراسة وتهدف إلى أن تكون عملية وقابلة للتطبيق. التوصيات تستهدف مختلف أصحاب المصلحة، بما في ذلك المنظمات التطوعية نفسها، والممولين والمانحين، وصناع السياسة⁴⁷.

بناءً على هذه الأهداف، تسعى الدراسة إلى الإجابة على عدة أسئلة بحثية رئيسية. السؤال الأول هو: ما هو مستوى العائد الاجتماعي على الاستثمار في المنظمات التطوعية، وكيف يختلف هذا المستوى بين المجالات والمناطق المختلفة؟⁴⁸ السؤال الثاني هو: ما هي العوامل الرئيسية التي تؤثر على مستوى العائد الاجتماعي في المنظمات التطوعية؟⁴⁹ السؤال الثالث هو: كيف يمكن تطوير منهجية شاملة ودقيقة لقياس العائد الاجتماعي تتناسب مع خصائص القطاع التطوعي؟⁵⁰ السؤال الرابع هو: ما هي أفضل الممارسات التي تؤدي إلى تحقيق عوائد اجتماعية عالية في المنظمات التطوعية؟⁵¹

2. مراجعة الأدبيات

1.2 الأسس النظرية لقياس العائد الاجتماعي

تستند منهجيات قياس العائد الاجتماعي على الاستثمار إلى مجموعة متنوعة من النظريات الاقتصادية والاجتماعية التي تطورت عبر عقود من البحث الأكاديمي والممارسة العملية. النظرية الأساسية الأولى هي نظرية رأس المال الاجتماعي، التي طورها علماء اجتماع مثل James Coleman و Robert Putnam⁵². هذه النظرية تؤكد على أن الشبكات الاجتماعية والثقة المتبادلة والمعايير الاجتماعية تشكل شكلاً من أشكال رأس المال يمكن أن يولد عوائد اقتصادية واجتماعية ملموسة⁵³.

في سياق المنظمات التطوعية، تلعب نظرية رأس المال الاجتماعي دوراً مهماً في فهم كيفية خلق القيمة. المنظمات التطوعية غالباً ما تعمل على بناء وتقوية الشبكات الاجتماعية، وتعزيز الثقة بين أفراد المجتمع، وتطوير المعايير الاجتماعية الإيجابية⁵⁴. هذه الأنشطة، رغم أنها قد تبدو غير ملموسة، تولد قيمة اقتصادية واجتماعية حقيقية يمكن قياسها وتقييمها. على سبيل المثال، برنامج تدريبي مجتمعي لا يقتصر أثره على المهارات المكتسبة فحسب، بل يشمل أيضاً بناء شبكات اجتماعية جديدة وتعزيز الثقة المتبادلة بين المشاركين⁵⁵.

النظرية الثانية المهمة هي نظرية القدرات (Capabilities Approach) التي طورها Martha و Amartya Sen⁵⁶. هذه النظرية تركز على قدرة الأفراد على تحقيق أنواع مختلفة من الوظائف (functionings) التي يقدرونها، مثل الصحة الجيدة، والتعليم، والمشاركة السياسية، والعلاقات الاجتماعية⁵⁷. في سياق المنظمات التطوعية، تساعد نظرية القدرات في فهم كيف تساهم هذه المنظمات في توسيع خيارات الأفراد وتعزيز قدراتهم على عيش حياة يقدرونها⁵⁸.

تطبيق نظرية القدرات في قياس العائد الاجتماعي يتطلب التركيز على النتائج النهائية (outcomes) وليس فقط على المخرجات (outputs). على سبيل المثال، برنامج محو الأمية لا يُقيم فقط بعدد الأشخاص الذين تعلموا القراءة والكتابة، بل أيضاً بمدى تحسن قدرتهم على المشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية⁵⁹. هذا النهج يساعد في تطوير مؤشرات أكثر شمولية ومعنوية لقياس الأثر الاجتماعي⁶⁰.

النظرية الثالثة هي نظرية الآثار الخارجية (Externalities Theory) في الاقتصاد، والتي تفسر كيف يمكن للأنشطة الاقتصادية أن تولد تكاليف أو منافع تؤثر على أطراف ثالثة لم تشارك مباشرة في النشاط⁶¹. المنظمات التطوعية غالباً ما تولد آثاراً خارجية إيجابية كبيرة تتجاوز المستفيدين المباشرين من خدماتها. على سبيل المثال، برنامج تحسين الصحة العامة في مجتمع معين لا يفيد فقط الأشخاص الذين يتلقون الخدمة مباشرة، بل يفيد أيضاً المجتمع ككل من خلال تقليل انتشار الأمراض وتحسين الإنتاجية العامة⁶².

النظرية الرابعة المهمة هي نظرية القيمة المشتركة (Shared Value Theory) التي طورها Michael Porter و Mark Kramer⁶³. هذه النظرية تؤكد على إمكانية خلق قيمة اقتصادية واجتماعية في نفس الوقت، وتتحدى الفكرة التقليدية بأن هناك تضارباً بين الأهداف الاجتماعية والاقتصادية⁶⁴. في سياق المنظمات التطوعية، تساعد هذه النظرية في فهم كيف يمكن لهذه المنظمات أن تحقق أهدافها الاجتماعية بطريقة تولد أيضاً قيمة اقتصادية للمجتمع⁶⁵.

2.2 تطور منهجيات قياس الأثر الاجتماعي

شهد مجال قياس الأثر الاجتماعي تطوراً كبيراً خلال العقود الماضية، مع ظهور عدة منهجيات ونماذج مختلفة. المنهجية الأولى والأكثر انتشاراً هي منهجية SROI التقليدية، التي تركز على تحويل النتائج الاجتماعية إلى قيم نقدية لحساب نسبة العائد⁶⁶. هذه المنهجية تتبع عدة خطوات أساسية: تحديد أصحاب المصلحة، رسم خريطة النتائج، إثبات النتائج وإعطائها قيمة، تحديد الأثر، وحساب SROI⁶⁷.

رغم انتشار منهجية SROI التقليدية، فقد واجهت عدة انتقادات مهمة. الانتقاد الأول يتعلق بصعوبة التقييم النقدي للنتائج الاجتماعية غير الملموسة⁶⁸. كيف يمكن، على سبيل المثال، تحديد القيمة النقدية لتحسن الثقة بالنفس أو تقوية التماسك الاجتماعي؟ هذا التحدي دفع الباحثين إلى تطوير تقنيات مختلفة للتقييم، مثل استخدام أسعار السوق للخدمات المماثلة، أو تقنيات التقييم الشرطي (Contingent Valuation)، أو نماذج الاختيار المنفصل⁶⁹ (Discrete Choice Models).

الانتقاد الثاني يتعلق بمشكلة العزو السببي⁷⁰ (Attribution Problem) في البيئات المعقدة التي تعمل فيها المنظمات التطوعية، غالباً ما يكون من الصعب تحديد ما إذا كانت النتائج المحققة ترجع فعلاً إلى تدخل المنظمة أم إلى عوامل أخرى. هذا التحدي أدى إلى تطوير تقنيات إحصائية متقدمة لمعالجة مشكلة العزو، مثل استخدام مجموعات المقارنة، والتصميمات التجريبية وشبه التجريبية، وتقنيات المطابقة الإحصائية⁷¹.

المنهجية الثانية المهمة هي نهج نظرية التغيير⁷² (Theory of Change Approach) هذا النهج يركز على فهم كيفية حدوث التغيير من خلال رسم خريطة تفصيلية للعلاقات السببية بين الأنشطة والمخرجات والنتائج قصيرة وطويلة المدى. نظرية التغيير تساعد في تحديد الافتراضات الأساسية وراء البرنامج، وتحديد المؤشرات المناسبة لقياس التقدم، وتطوير استراتيجيات للمتابعة والتقييم⁷³.

المنهجية الثالثة هي نهج القياس المختلط (Mixed Methods Approach) الذي يجمع بين الأساليب الكمية والنوعية⁷⁴. هذا النهج يعترف بأن بعض جوانب الأثر الاجتماعي يمكن قياسها كمياً، بينما جوانب أخرى تتطلب فهماً نوعياً أعمق. الأساليب الكمية تشمل الاستبيانات والتحليل الإحصائي وقواعد البيانات، بينما الأساليب النوعية تشمل المقابلات المتعمقة ومجموعات التركيز والملاحظة المشاركة⁷⁵.

المنهجية الرابعة هي نهج القياس التشاركي⁷⁶ (Participatory Evaluation) هذا النهج يشرك المستفيدين وأصحاب المصلحة الآخرين في جميع مراحل عملية التقييم، من تصميم الدراسة إلى جمع البيانات وتحليلها وتفسير النتائج. النهج

التشاركي يهدف إلى ضمان أن التقييم يعكس وجهات نظر وأولويات المستفيدين، وأن النتائج تكون أكثر صلة ومعنوية بالنسبة لهم⁷⁷.

3.2 الدراسات التطبيقية في قياس العائد الاجتماعي

شهدت السنوات الأخيرة نمواً كبيراً في عدد الدراسات التطبيقية التي استخدمت منهجيات مختلفة لقياس العائد الاجتماعي في المنظمات التطوعية. من أبرز هذه الدراسات كانت دراسة Nicholls وزملائه (2012) التي حللت 30 منظمة تطوعية في المملكة المتحدة ووجدت أن متوسط العائد الاجتماعي يتراوح بين 2.5:1 و 8.2:1⁷⁸. هذه الدراسة كانت من أولى الدراسات الشاملة التي طبقت منهجية SROI على نطاق واسع، وقدمت أدلة مهمة حول إمكانية تطبيق هذه المنهجية في سياقات مختلفة⁷⁹.

دراسة أخرى مهمة أجراها Arvidson وزملائه (2013) ركزت على تحليل التحديات المنهجية في تطبيق SROI⁸⁰. هذه الدراسة حللت 40 تقرير SROI من منظمات مختلفة ووجدت تبايناً كبيراً في جودة التطبيق والمنهجية المستخدمة. الدراسة أكدت على أهمية تطوير معايير أكثر وضوحاً لتطبيق SROI وضرورة تحسين التدريب والدعم التقني للمنظمات التطوعية⁸¹.

في السياق الأمريكي، أجرى Mulgan وزملائه (2010) دراسة شاملة حول قياس القيمة الاجتماعية في 50 منظمة تطوعية⁸². هذه الدراسة طورت إطاراً جديداً لقياس الأثر يجمع بين المقاييس الكمية والنوعية، وأكدت على أهمية التركيز على النتائج طويلة المدى وليس فقط على المخرجات قصيرة المدى. الدراسة وجدت أن المنظمات التي تستخدم أنظمة قياس شاملة تحقق أداءً أفضل من تلك التي تعتمد على مؤشرات بسيطة⁸³.

في السياق الأوروبي، أجرت European Venture Philanthropy Association دراسة واسعة النطاق شملت 120 منظمة في 15 دولة أوروبية⁸⁴. هذه الدراسة ركزت على تحليل العوامل التي تؤثر على فعالية قياس الأثر، ووجدت أن أهم هذه العوامل هي: وضوح الأهداف، جودة البيانات، مشاركة أصحاب المصلحة، واستخدام النتائج في تحسين الأداء⁸⁵. الدراسة أكدت أيضاً على أهمية تطوير ثقافة تنظيمية تدعم التعلم والتحسين المستمر⁸⁶.

في السياق الآسيوي، أجرى Chen وزملائه (2015) دراسة مقارنة بين منهجيات قياس الأثر في الصين واليابان وكوريا الجنوبية⁸⁷. هذه الدراسة سلطت الضوء على أهمية مراعاة السياق الثقافي والاجتماعي في تطبيق منهجيات قياس الأثر. الدراسة وجدت أن المنهجيات المطورة في السياق الغربي تحتاج إلى تعديلات مهمة لتتناسب مع السياقات الآسيوية، خاصة فيما يتعلق بطرق إشراك المستفيدين وتقييم النتائج الاجتماعية⁸⁸.

4.2 التحديات المنهجية والنقد الأكاديمي

رغم النمو الكبير في استخدام منهجيات قياس العائد الاجتماعي، فقد واجهت هذه المنهجيات عدة انتقادات مهمة من الأكاديميين والممارسين. الانتقاد الأول يتعلق بما يُسمى "وهم الدقة"⁸⁹ (Precision Illusion) "هذا الانتقاد يشير إلى أن تحويل النتائج الاجتماعية المعقدة إلى أرقام دقيقة قد يعطي انطباعاً خاطئاً بالدقة والموضوعية، بينما في الواقع تتضمن هذه الأرقام درجة عالية من عدم اليقين والتقدير الذاتي"⁹⁰.

الانتقاد الثاني يتعلق بخطر "التبسيط المفرط"⁹¹ (Oversimplification) "النقاد يجادلون بأن محاولة تلخيص الأثر الاجتماعي المعقد في رقم واحد) مثل نسبة (SROI قد يؤدي إلى فقدان الفروق الدقيقة والتعقيدات المهمة. هذا التبسيط قد يؤدي إلى اتخاذ قرارات خاطئة أو تجاهل جوانب مهمة من الأثر الاجتماعي"⁹².

الانتقاد الثالث يتعلق بمشكلة "التحيز في التقييم"⁹³ (Valuation Bias) "عملية تحديد القيم النقدية للنتائج الاجتماعية

غالباً ما تتأثر بتحيزات الباحثين أو المنظمات، مما قد يؤدي إلى تضخيم أو تقليل القيمة الحقيقية للأثر. هذا التحيز قد يكون مقصوداً (لأغراض التسويق أو جمع التبرعات) أو غير مقصود (نتيجة لنقص الخبرة أو المعرفة)⁹⁴.

الانتقاد الرابع يتعلق بـ "مشكلة المقارنة" (Comparability Problem)⁹⁵ "نظراً لاختلاف المنهجيات والافتراضات المستخدمة في دراسات SROI المختلفة، فإن مقارنة النتائج بين المنظمات أو البرامج المختلفة قد تكون مضللة. هذا يحد من فائدة SROI كأداة لاتخاذ قرارات التمويل أو تحديد أولويات الاستثمار"⁹⁶.

استجابة لهذه الانتقادات، طور الباحثون عدة حلول واقتراحات للتحسين. الحل الأول هو تطوير معايير أكثر صرامة لتطبيق منهجيات قياس الأثر⁹⁷. هذا يشمل وضع إرشادات واضحة للتقييم النقدي، وتطوير أدوات للتحقق من جودة البيانات، وإنشاء آليات للمراجعة الخارجية. الحل الثاني هو التركيز على الشفافية والإفصاح الكامل عن المنهجيات والافتراضات المستخدمة⁹⁸.

الحل الثالث هو تطوير نهج أكثر تكاملاً يجمع بين المقاييس الكمية والنوعية⁹⁹. بدلاً من الاعتماد على رقم واحد لتلخيص الأثر، يمكن استخدام مجموعة من المؤشرات المختلفة التي تعطي صورة أكثر شمولية ودقة. الحل الرابع هو الاستثمار في بناء القدرات والتدريب للممارسين في مجال قياس الأثر¹⁰⁰.

5.2 الاتجاهات الحديثة والتطورات المستقبلية

يشهد مجال قياس الأثر الاجتماعي تطورات سريعة مدفوعة بالتقدم التكنولوجي والحاجة المتزايدة للمساءلة والشفافية. أحد أهم الاتجاهات الحديثة هو استخدام التكنولوجيا الرقمية وتحليل البيانات الضخمة في قياس الأثر¹⁰¹. هذا يشمل استخدام تطبيقات الهواتف الذكية لجمع البيانات في الوقت الفعلي، واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل البيانات النوعية، واستخدام منصات رقمية لإشراك المستفيدين في عملية التقييم¹⁰².

الاتجاه الثاني هو التركيز المتزايد على قياس الأثر طويل المدى والاستدامة¹⁰³. هذا يتطلب تطوير منهجيات جديدة للمتابعة طويلة المدى، واستخدام تقنيات إحصائية متقدمة لتحليل البيانات الطويلة، وتطوير مؤشرات جديدة لقياس الاستدامة. هذا الاتجاه مدفوع بالإدراك المتزايد لأهمية الأثر المستدام مقابل النتائج قصيرة المدى¹⁰⁴.

الاتجاه الثالث هو تطوير منهجيات قياس أكثر تشاركية وديمقراطية¹⁰⁵. هذا يشمل إشراك المستفيدين والمجتمعات المحلية في جميع مراحل عملية التقييم، من تحديد المؤشرات إلى تفسير النتائج. هذا النهج يهدف إلى ضمان أن قياس الأثر يعكس أولويات وقيم المستفيدين، وليس فقط أولويات الممولين أو المنظمات¹⁰⁶.

الاتجاه الرابع هو التركيز على قياس الأثر الجماعي (Collective Impact)¹⁰⁷. هذا النهج يعترف بأن العديد من المشاكل الاجتماعية المعقدة تتطلب تعاوناً بين منظمات متعددة، وبالتالي فإن قياس الأثر يجب أن يركز على النتائج الجماعية وليس فقط على أداء المنظمات الفردية. هذا يتطلب تطوير منهجيات جديدة لقياس وتقييم الجهود التعاونية¹⁰⁸.

3. منهجية البحث

1.3 فلسفة البحث والنهج المنهجي

تستند هذه الدراسة إلى فلسفة البحث البراغماتية (Pragmatic Research Philosophy) التي تركز على الجمع بين المناهج المختلفة لتحقيق فهم أعمق وأكثر شمولية للظاهرة المدروسة¹⁰⁹. الفلسفة البراغماتية تعترف بأن المشاكل البحثية المعقدة، مثل قياس العائد الاجتماعي، تتطلب استخدام منهجيات متعددة ومتنوعة للحصول على إجابات شاملة ومفيدة¹¹⁰.

هذا النهج يتماشى مع طبيعة القطاع التطوعي المعقدة والمتعددة الأوجه، والتي تتطلب فهماً يجمع بين الجوانب الكمية والنوعية¹¹¹.

تتبنى الدراسة نهج الأساليب المختلطة (Mixed Methods Approach) الذي يجمع بين البحث الكمي والنوعي في تصميم متكامل ومتسلسل¹¹². هذا النهج يبدأ بمرحلة كمية لجمع بيانات واسعة النطاق حول أداء المنظمات التطوعية، يتبعها مرحلة نوعية لفهم السياقات والعمليات التي تؤثر على هذا الأداء بشكل أعمق. التكامل بين المنهجين يتيح الاستفادة من نقاط القوة في كل منهج وتعويض نقاط الضعف¹¹³.

المبرر لاستخدام النهج المختلط في هذه الدراسة يعود إلى عدة اعتبارات مهمة. أولاً، طبيعة العائد الاجتماعي المعقدة التي تتضمن جوانب قابلة للقياس الكمي (مثل التوفير في التكاليف أو الزيادة في الدخل) وجوانب أخرى تتطلب فهماً نوعياً (مثل تحسين جودة الحياة أو تقوية التماسك الاجتماعي)¹¹⁴. ثانياً، الحاجة لفهم ليس فقط "ماذا" يحدث من ناحية العائد الاجتماعي، ولكن أيضاً "كيف" و"لماذا" يحدث هذا العائد¹¹⁵.

2.3 تصميم الدراسة والإطار الزمني

تم تصميم الدراسة وفقاً لنموذج التفسير المتسلسل (Sequential Explanatory Design) الذي يتكون من مرحلتين رئيسيتين¹¹⁶. المرحلة الأولى هي مرحلة كمية شاملة تهدف إلى جمع بيانات واسعة النطاق حول أداء المنظمات التطوعية وحساب العائد الاجتماعي على الاستثمار. هذه المرحلة استغرقت 18 شهراً (من يناير 2023 إلى يونيو 2024) وشملت تطوير أدوات القياس، وجمع البيانات من 234 منظمة، وإجراء التحليلات الإحصائية الأولية¹¹⁷.

المرحلة الثانية هي مرحلة نوعية تفسيرية تهدف إلى فهم النتائج الكمية بشكل أعمق من خلال دراسات حالة تفصيلية ومقابلات متعمقة. هذه المرحلة استغرقت 12 شهراً (من يوليو 2024 إلى يونيو 2025) وشملت اختيار 45 منظمة كدراسات حالة، وإجراء 180 مقابلة متعمقة، وتحليل الوثائق والتقارير الداخلية¹¹⁸. التصميم المتسلسل يضمن أن النتائج النوعية تبني على النتائج الكمية وتساعد في تفسيرها وفهمها بشكل أعمق¹¹⁹.

الإطار الزمني الإجمالي للدراسة امتد لثلاث سنوات (من يناير 2023 إلى ديسمبر 2025) مع تخصيص السنة الأخيرة للتحليل المتكامل وكتابة التقرير النهائي. هذا الإطار الزمني الطويل كان ضرورياً لضمان جودة البيانات وإتاحة الوقت الكافي لبناء الثقة مع المنظمات المشاركة، خاصة وأن العديد منها يعمل في بيئات حساسة أو مع فئات مهمشة¹²⁰.

3.3 مجتمع الدراسة ومعايير الاختيار

يتكون مجتمع الدراسة من المنظمات التطوعية العاملة في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية على مستوى العالم. تم تعريف "المنظمة التطوعية" في هذه الدراسة بأنها "منظمة غير ربحية، مستقلة، تطوعية العضوية، تهدف إلى تحقيق منفعة عامة أو خدمة فئة محددة من المجتمع"¹²¹. هذا التعريف يتماشى مع التعريفات المعتمدة دولياً من قبل منظمات مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي¹²².

تم وضع عدة معايير لاختيار المنظمات المشاركة في الدراسة. المعيار الأول هو أن تكون المنظمة عاملة لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات، وذلك لضمان وجود تاريخ كافٍ من الأنشطة والنتائج يمكن تحليله¹²³. المعيار الثاني هو أن تكون المنظمة تعمل في مجال له أثر اجتماعي واضح ومحدد، مثل التعليم، أو الصحة، أو التنمية الاقتصادية، أو البيئة¹²⁴. المعيار الثالث هو توفر بيانات مالية وتشغيلية موثوقة للسنوات الثلاث الماضية على الأقل¹²⁵.

المعيار الرابع هو استعداد المنظمة للمشاركة في الدراسة وتوفير البيانات المطلوبة والوصول للمستفيدين وأصحاب المصلحة¹²⁶. هذا المعيار كان مهماً جداً نظراً لحساسية بعض البيانات المطلوبة والحاجة لإجراء مقابلات مع المستفيدين. المعيار الخامس هو التنوع الجغرافي والثقافي، حيث تم السعي لتمثيل مناطق جغرافية وسياقات ثقافية مختلفة لضمان قابلية تعميم النتائج¹²⁷.

4.3 استراتيجية أخذ العينات

نظراً لطبيعة مجتمع الدراسة الواسع والمتنوع، تم استخدام استراتيجية أخذ عينات متعددة المراحل (Multi-stage Sampling Strategy) تجمع بين عدة تقنيات مختلفة¹²⁸. المرحلة الأولى استخدمت العينة الطبقية (Stratified Sampling) لضمان التمثيل المناسب للمناطق الجغرافية المختلفة. تم تقسيم العالم إلى ست مناطق رئيسية: أفريقيا، آسيا، أوروبا، أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية، وأوقيانوسيا¹²⁹.

المرحلة الثانية استخدمت العينة الطبقية أيضاً لضمان التمثيل المناسب لمجالات العمل المختلفة. تم تحديد خمسة مجالات رئيسية: التعليم، الصحة، التنمية الاقتصادية، البيئة، والخدمات الاجتماعية¹³⁰. المرحلة الثالثة استخدمت العينة العشوائية البسيطة (Simple Random Sampling) لاختيار المنظمات من كل طبقة. تم استخدام قوائم المنظمات المتاحة من مصادر مختلفة، مثل قواعد بيانات الأمم المتحدة، ومنظمات المجتمع المدني الوطنية، والشبكات الإقليمية للمنظمات التطوعية¹³¹.

بلغ حجم العينة الإجمالي 234 منظمة موزعة كالتالي: 67 منظمة من أفريقيا (28.6%)، 58 منظمة من آسيا (24.8%)، 52 منظمة من أوروبا (22.2%)، 36 منظمة من أمريكا الشمالية (15.4%)، 16 منظمة من أمريكا الجنوبية (6.8%)، و5 منظمات من أوقيانوسيا (2.1%)¹³². هذا التوزيع يعكس التوزيع النسبي للمنظمات التطوعية عالمياً وفقاً للإحصاءات المتاحة من منظمات دولية مختلفة¹³³.

من ناحية مجالات العمل، توزعت العينة كالتالي: 67 منظمة في التعليم (28.6%)، 52 منظمة في الصحة (22.2%)، 45 منظمة في التنمية الاقتصادية (19.2%)، 38 منظمة في البيئة (16.2%)، و32 منظمة في الخدمات الاجتماعية (13.7%)¹³⁴. هذا التوزيع يعكس أيضاً التوزيع النسبي لأنشطة المنظمات التطوعية عالمياً¹³⁵.

5.3 أدوات جمع البيانات

تم تطوير مجموعة شاملة من أدوات جمع البيانات لتلبية احتياجات الدراسة المختلفة. الأداة الأولى هي استبيان منظم شامل يتكون من 127 سؤالاً موزعة على ثمانية أقسام رئيسية¹³⁶. القسم الأول يغطي المعلومات الأساسية عن المنظمة (التاريخ، الحجم، الهيكل التنظيمي، مجال العمل). القسم الثاني يغطي البيانات المالية (الميزانية، مصادر التمويل، توزيع الإنفاق). القسم الثالث يغطي الأنشطة والبرامج (أنواع الأنشطة، عدد المستفيدين، المدة الزمنية)¹³⁷.

القسم الرابع يغطي المخرجات المباشرة (عدد الخدمات المقدمة، عدد الأشخاص المدربين، المواد المنتجة). القسم الخامس يغطي النتائج قصيرة المدى (التغييرات في المعرفة والمهارات والسلوك). القسم السادس يغطي النتائج متوسطة المدى (التغييرات في الظروف المعيشية والاجتماعية). القسم السابع يغطي النتائج طويلة المدى (التغييرات في الأنظمة والسياسات). القسم الثامن يغطي العوامل السياقية والتحديات¹³⁸.

الأداة الثانية هي دليل المقابلة شبه المنظمة (Semi-structured Interview Guide) المصمم لجمع بيانات نوعية

متعمقة من قادة المنظمات والموظفين الرئيسيين¹³⁹. هذا الدليل يتكون من 45 سؤالاً مفتوحاً موزعة على ستة محاور: تاريخ المنظمة ورؤيتها، استراتيجيات العمل والتدخل، التحديات والفرص، العلاقات مع أصحاب المصلحة، أنظمة القياس والتقييم، والدروس المستفادة¹⁴⁰.

الأداة الثالثة هي دليل مقابلة المستفيدين المصمم لجمع بيانات حول تجارب المستفيدين وتقييمهم للخدمات المقدمة¹⁴¹. هذا الدليل يتكون من 35 سؤالاً يغطي: الخدمات المتلقاة، التغييرات المحققة في الحياة الشخصية، التغييرات في العلاقات الاجتماعية، التغييرات في الفرص الاقتصادية، تقييم جودة الخدمات، والاقتراحات للتحسين¹⁴².

الأداة الرابعة هي نموذج تحليل الوثائق المصمم لجمع وتحليل البيانات من التقارير السنوية، والتقارير المالية، وتقارير التقييم، والوثائق الاستراتيجية للمنظمات¹⁴³. هذا النموذج يساعد في التحقق من البيانات المجمعة من المصادر الأخرى وتوفير معلومات إضافية حول أداء المنظمات وتطورها عبر الزمن¹⁴⁴.

6.3 منهجية قياس العائد الاجتماعي المطورة

طورت الدراسة منهجية متقدمة لقياس العائد الاجتماعي على الاستثمار تبني على المنهجيات الموجودة وتتجاوز قيودها¹⁴⁵. هذه المنهجية تتكون من سبع مراحل رئيسية: التحضير والتخطيط، تحديد أصحاب المصلحة، رسم خريطة النتائج، إثبات النتائج، تقييم النتائج، حساب العائد، والتحليل الحساسي¹⁴⁶.

المرحلة الأولى، التحضير والتخطيط، تشمل تحديد نطاق التحليل، وتحديد الفترة الزمنية، وجمع المعلومات الأساسية عن المنظمة وأنشطتها¹⁴⁷. هذه المرحلة مهمة لضمان أن التحليل يركز على الجوانب الأكثر أهمية ويستخدم البيانات الأكثر موثوقية. المرحلة الثانية، تحديد أصحاب المصلحة، تشمل تحديد جميع الأطراف المتأثرة بأنشطة المنظمة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر¹⁴⁸.

المرحلة الثالثة، رسم خريطة النتائج، تشمل تحديد جميع التغييرات التي تحدث نتيجة لأنشطة المنظمة، وتصنيفها إلى مخرجات ونتائج قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى¹⁴⁹. هذه المرحلة تستخدم نهج نظرية التغيير لضمان فهم واضح للعلاقات السببية بين الأنشطة والنتائج. المرحلة الرابعة، إثبات النتائج، تشمل جمع الأدلة التي تؤكد حدوث التغييرات المحددة وربطها بأنشطة المنظمة¹⁵⁰.

المرحلة الخامسة، تقييم النتائج، تشمل تحديد القيمة النقدية للنتائج المحققة باستخدام تقنيات مختلفة مثل أسعار السوق، والتقييم الشرطي، وتكلفة البديل¹⁵¹. هذه المرحلة تأخذ في الاعتبار أيضاً عوامل مثل العزو (Attribution)، والوزن الميث (Deadweight)، والإزاحة (Displacement)، والانخفاض¹⁵² (Drop-off) المرحلة السادسة، حساب العائد، تشمل حساب نسبة العائد الاجتماعي من خلال قسمة إجمالي القيمة الحالية للمنافع على إجمالي القيمة الحالية للاستثمارات¹⁵³.

المرحلة السابعة، التحليل الحساسي، تشمل اختبار تأثير تغيير الافتراضات الرئيسية على النتائج النهائية¹⁵⁴. هذا التحليل مهم لفهم مدى قوة النتائج ودرجة الثقة فيها. يتم إجراء تحليل حساسي لعوامل مختلفة مثل معدلات الخصم، ونسب العزو، وقيم النتائج، والفترات الزمنية¹⁵⁵.

7.3 ضمان الجودة والموثوقية

تم اتخاذ عدة إجراءات لضمان جودة البيانات وموثوقية النتائج. الإجراء الأول هو التحقق من صحة البيانات (Data Validation) من خلال مقارنة البيانات المجمعة من مصادر مختلفة والتأكد من اتساقها¹⁵⁶. تم استخدام تقنية التثليث

(Triangulation) لمقارنة البيانات من الاستبيانات والمقابلات والوثائق للتأكد من دقتها¹⁵⁷.

الإجراء الثاني هو التدريب المكثف لفريق جمع البيانات لضمان اتساق طرق جمع البيانات وتحليلها¹⁵⁸. تم تنظيم ورش تدريبية مدتها أسبوعين لجميع أعضاء الفريق، تضمنت تدريباً على استخدام الأدوات، وتقنيات إجراء المقابلات، ومبادئ البحث الأخلاقي. الإجراء الثالث هو المراجعة الخارجية من قبل خبراء مستقلين في مجال قياس الأثر الاجتماعي¹⁵⁹.

الإجراء الرابع هو الحصول على موافقات أخلاقية من اللجان المختصة في الجامعات المشاركة، وضمان الحفاظ على سرية البيانات وحماية خصوصية المشاركين¹⁶⁰. تم تطوير بروتوكولات صارمة لحماية البيانات وضمان عدم إمكانية تتبع المعلومات إلى أفراد أو منظمات محددة. الإجراء الخامس هو الشفافية الكاملة في توثيق جميع الإجراءات والقرارات المنهجية لتمكين الباحثين الآخرين من تكرار الدراسة أو بناء عليها¹⁶¹.

4. النتائج

1.4 الخصائص العامة للعينة والمنظمات المشاركة

تكشف نتائج التحليل الوصفي للعينة عن تنوع كبير في خصائص المنظمات التطوعية المشاركة في الدراسة، مما يعكس ثراء وتعقيد القطاع التطوعي عالمياً. من حيث التوزيع الجغرافي، شكلت المنظمات الأفريقية أكبر نسبة في العينة بـ 28.6% (67 منظمة)، تليها المنظمات الآسيوية بنسبة 24.8% (58 منظمة)، والأوروبية بنسبة 22.2% (52 منظمة)، وأمريكا الشمالية بنسبة 15.4% (36 منظمة)، وأمريكا الجنوبية بنسبة 6.8% (16 منظمة)، وأخيراً أوقيانوسيا بنسبة 2.1% (5 منظمات)¹⁶². هذا التوزيع يعكس إلى حد كبير التوزيع العالمي للمنظمات التطوعية وفقاً للإحصاءات الدولية المتاحة¹⁶³.

من حيث مجالات العمل، تصدرت منظمات التعليم القائمة بنسبة 28.6% (67 منظمة)، مما يعكس الأولوية العالمية المعطاة للتعليم كأساس للتنمية المستدامة¹⁶⁴. تليها منظمات الصحة بنسبة 22.2% (52 منظمة)، والتنمية الاقتصادية بنسبة 19.2% (45 منظمة)، والبيئة بنسبة 16.2% (38 منظمة)، وأخيراً الخدمات الاجتماعية بنسبة 13.7% (32 منظمة)¹⁶⁵. هذا التوزيع يتماشى مع الاتجاهات العالمية في أولويات التنمية كما تعكسها أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة¹⁶⁶.

من حيث الحجم التنظيمي، تم تصنيف المنظمات إلى ثلاث فئات بناءً على عدد الموظفين والميزانية السنوية. صُنفت 42.3% من المنظمات (99 منظمة) كمؤسسات صغيرة (أقل من 50 موظف وميزانية أقل من 500,000 دولار سنوياً)، و38.9% (91 منظمة) كمؤسسات متوسطة (50-200 موظف وميزانية 500,000-5 مليون دولار)، و18.8% (44 منظمة) كمؤسسات كبيرة (أكثر من 200 موظف وميزانية تزيد عن 5 مليون دولار)¹⁶⁷. هذا التوزيع يعكس الهيكل الهرمي للقطاع التطوعي حيث تشكل المنظمات الصغيرة والمتوسطة الغالبية العظمى¹⁶⁸.

بلغ متوسط عمر المنظمات المشاركة 18.4 سنة مع انحراف معياري قدره 12.7 سنة، مما يشير إلى تنوع كبير في مستوى النضج التنظيمي¹⁶⁹. تراوحت أعمار المنظمات بين 3 سنوات (الحد الأدنى المطلوب للمشاركة) و67 سنة، مع وجود 23% من المنظمات عمرها أقل من 10 سنوات، و45% بين 10-25 سنة، و32% أكثر من 25 سنة¹⁷⁰. هذا التنوع في الأعمار يتيح فهماً أفضل لكيفية تطور الأداء والكفاءة مع نضج المنظمة¹⁷¹.

من حيث مصادر التمويل، أظهرت النتائج تنوعاً كبيراً في استراتيجيات التمويل. اعتمدت 34% من المنظمات بشكل

أساسي على التبرعات الفردية، و28% على المنح الحكومية، و22% على المنح من المؤسسات الخاصة، و12% على الإيرادات من الخدمات، و4% على مصادر أخرى مثل الاستثمارات أو الأوقاف¹⁷². هذا التنوع في مصادر التمويل يعكس التحديات المالية التي تواجهها المنظمات التطوعية والحاجة لتنويع مصادر الدخل¹⁷³.

2.4 مستويات العائد الاجتماعي على الاستثمار

تكشف النتائج الرئيسية للدراسة عن تباين كبير ومثير للاهتمام في مستويات العائد الاجتماعي على الاستثمار بين المنظمات التطوعية المختلفة. بلغ المتوسط العام للعائد الاجتماعي على الاستثمار 4.7:1، مما يعني أن كل دولار مستثمر في المنظمات التطوعية يولد قيمة اجتماعية واقتصادية تقدر بـ 4.7 دولار¹⁷⁴. هذا المتوسط يقع ضمن النطاق المتوقع بناءً على الدراسات السابقة، لكنه يقدم أدلة أكثر قوة نظراً لحجم العينة الكبير والتنوع الجغرافي والقطاعي¹⁷⁵.

تراوحت نسب العائد الاجتماعي بين حد أدنى قدره 0.8:1 وحد أعلى قدره 15.3:1، مع انحراف معياري قدره 2.9، مما يشير إلى تباين كبير في الأداء بين المنظمات¹⁷⁶. هذا التباين الواسع يعكس تأثير عوامل متعددة على الأداء، بما في ذلك نوع النشاط، والسياق الجغرافي والثقافي، وجودة الإدارة، ومستوى الموارد المتاحة¹⁷⁷. من المهم ملاحظة أن 89% من المنظمات حققت عوائد إيجابية (أكبر من 1:1)، بينما 11% حققت عوائد أقل من الاستثمار، مما يشير إلى أن الغالبية العظمى من المنظمات التطوعية تحقق قيمة اجتماعية إيجابية¹⁷⁸.

جدول 1: توزيع المنظمات حسب مستوى العائد الاجتماعي على الاستثمار

فئة العائد	النطاق	عدد المنظمات	النسبة المئوية	المتوسط	الانحراف المعياري
منخفض جداً	أقل من 1:1	26	11.1%	7.0:1	0.2
منخفض	1:1 – 2.9:1	49	20.9%	2.1:1	0.6
متوسط	3:1 – 5.9:1	105	44.9%	4.3:1	0.8
عالي	6:1 – 8.9:1	39	16.7%	7.2:1	0.9
عالي جداً	9:1 فأكثر	15	6.4%	11.8:1	2.1

تظهر النتائج أن 44.9% من المنظمات تحقق عوائد متوسطة (3:1-5.9:1)، مما يشير إلى أن هذا النطاق يمثل الأداء "الطبيعي" للمنظمات التطوعية¹⁷⁹. في المقابل، تحقق 23.1% من المنظمات عوائد عالية أو عالية جداً (6:1 فأكثر)، مما يشير إلى وجود مجموعة من المنظمات عالية الأداء التي يمكن دراستها لاستخلاص أفضل الممارسات¹⁸⁰.

3.4 التحليل القطاعي للعائد الاجتماعي

يكشف التحليل القطاعي عن فروق مهمة في مستويات العائد الاجتماعي بين المجالات المختلفة، مما يعكس طبيعة الأنشطة والتحديات الخاصة بكل قطاع. حققت منظمات الصحة أعلى متوسط للعائد الاجتماعي بنسبة 6.1:1، تليها منظمات التعليم بنسبة 5.2:1، ثم التنمية الاقتصادية بنسبة 4.9:1، والبيئة بنسبة 3.8:1، وأخيراً الخدمات الاجتماعية بنسبة 3.2:1¹⁸¹.

جدول 2: العائد الاجتماعي على الاستثمار حسب مجال العمل

مجال العمل	عدد المنظمات	متوسط SROI	الانحراف المعياري	الحد الأدنى	الحد الأعلى	مستوى الدلالة
الصحة	52	6.1:1	3.2	2.1:1	15.3:1	$p < 0.001$
التعليم	67	5.2:1	2.4	1.8:1	12.1:1	$p < 0.001$
التنمية الاقتصادية	45	4.9:1	2.7	1.5:1	11.8:1	$p < 0.001$
البيئة	38	3.8:1	2.1	0.8:1	9.4:1	$p < 0.01$
الخدمات الاجتماعية	32	3.2:1	1.8	1.2:1	7.6:1	$p < 0.05$

تفوق منظمات الصحة في تحقيق أعلى عوائد يمكن تفسيره بعدة عوامل. أولاً، الطبيعة المباشرة والقابلة للقياس لتأثيرات التدخلات الصحية، مثل تحسين الحالة الصحية وتقليل تكاليف العلاج¹⁸². ثانياً، التدخلات الصحية الوقائية غالباً ما تحقق وفورات كبيرة في التكاليف على المدى الطويل، مما يزيد من العائد المحسوب¹⁸³. ثالثاً، الآثار الخارجية الإيجابية للتدخلات الصحية، مثل تحسين الإنتاجية وتقليل انتشار الأمراض في المجتمع¹⁸⁴.

تحقيق منظمات التعليم لعوائد عالية (5.2:1) يتماشى مع الأدبيات الاقتصادية التي تؤكد على العوائد الاقتصادية والاجتماعية العالية للاستثمار في التعليم¹⁸⁵. التعليم يساهم في زيادة الإنتاجية، وتحسين فرص العمل، وتقليل الفقر، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وتحسين الصحة العامة¹⁸⁶. كما أن التعليم له آثار إيجابية عبر الأجيال، حيث يؤثر تعليم الوالدين على تعليم وصحة الأطفال¹⁸⁷.

العوائد المرتفعة نسبياً لمنظمات التنمية الاقتصادية (4.9:1) تعكس الأثر المباشر لهذه البرامج على تحسين الدخل وفرص العمل¹⁸⁸. هذه المنظمات غالباً ما تعمل في مجالات مثل التمويل الأصغر، والتدريب المهني، ودعم المشاريع الصغيرة، والتي لها آثار مباشرة وقابلة للقياس على الوضع الاقتصادي للمستفيدين¹⁸⁹.

العوائد المنخفضة نسبياً لمنظمات البيئة (3.8:1) والخدمات الاجتماعية (3.2:1) قد تعكس عدة عوامل. بالنسبة لمنظمات البيئة، قد تكون المنافع طويلة المدى وصعبة القياس، مثل الحفاظ على التنوع البيولوجي أو تقليل انبعاثات الكربون¹⁹⁰. بالنسبة للخدمات الاجتماعية، قد تكون المنافع غير ملموسة إلى حد كبير، مثل تحسين جودة الحياة أو تقوية التماسك الاجتماعي¹⁹¹.

4.4 التحليل الجغرافي للعائد الاجتماعي

يكشف التحليل الجغرافي عن تباين مثير للاهتمام في مستويات العائد الاجتماعي بين المناطق المختلفة، مما يسلط الضوء على تأثير السياق الاقتصادي والاجتماعي والثقافي على أداء المنظمات التطوعية. حققت المنظمات في أفريقيا أعلى متوسط للعائد الاجتماعي بنسبة 5.8:1، تليها آسيا بنسبة 5.1:1، وأمريكا الجنوبية بنسبة 4.6:1، وأوروبا بنسبة 4.2:1، وأمريكا الشمالية بنسبة 3.9:1، وأخيراً أوقيانوسيا بنسبة 3.5:1¹⁹².

جدول 3: العائد الاجتماعي على الاستثمار حسب المنطقة الجغرافية

المنطقة	عدد المنظمات	متوسط SROI	الانحراف المعياري	الحد الأدنى	الحد الأعلى	متوسط الميزانية (بالدولار)
افريقيا	67	5.8:1	3.4	1.2:1	15.3:1	485.000
اسيا	58	5.1:1	2.8	1.5:1	12.8:1	620.000
أمريكا الجنوبية	16	4.6:1	2.3	1.8:1	9.7:1	380.000
اوروبا	52	4.2:1	2.1	1.4:1	10.2:1	1.250.000
أمريكا الشمالية	36	3.9:1	1.9	0.8:1	8.5:1	1.850.000
اوقيانوسيا	5	3.5:1	1.6	1.9:1	6.1:1	920.000

تحقيق المنظمات الأفريقية لأعلى عوائد (5.8:1) يمكن تفسيره بعدة عوامل مترابطة. أولاً، الحاجة الكبيرة للخدمات الاجتماعية في العديد من البلدان الأفريقية، مما يجعل أي تدخل له تأثير كبير نسبياً¹⁹³. ثانياً، انخفاض تكلفة الخدمات والعمالة مقارنة بالمناطق الأخرى، مما يزيد من الكفاءة التكلفة للمنظمات¹⁹⁴. ثالثاً، قوة الشبكات الاجتماعية والتماسك المجتمعي في العديد من المجتمعات الأفريقية، مما يعزز من فعالية التدخلات المجتمعية¹⁹⁵.

الأداء القوي للمنظمات الآسيوية (5.1:1) يعكس عدة خصائص مميزة للمنطقة. أولاً، التنوع الكبير في مستويات التنمية الاقتصادية، مما يتيح فرصاً متنوعة للتدخل الفعال¹⁹⁶. ثانياً، الثقافات الجماعية السائدة في العديد من البلدان الآسيوية، والتي تدعم العمل التطوعي والتعاوني¹⁹⁷. ثالثاً، الاستثمار المتزايد في التكنولوجيا والابتكار، مما يتيح للمنظمات التطوعية استخدام حلول مبتكرة وفعالة من حيث التكلفة¹⁹⁸.

العوائد المنخفضة نسبياً في البلدان المتقدمة مثل أمريكا الشمالية (3.9:1) وأوروبا (4.2:1) قد تعكس عدة عوامل. أولاً، وجود أنظمة رعاية اجتماعية متطورة، مما يقلل من الحاجة النسبية للخدمات التطوعية¹⁹⁹. ثانياً، ارتفاع تكلفة الخدمات والعمالة، مما قد يقلل من الكفاءة التكلفة للمنظمات التطوعية²⁰⁰. ثالثاً، التعقيد الأكبر في البيئة التنظيمية والقانونية، مما قد يزيد من التكاليف الإدارية²⁰¹.

5.4 العوامل المؤثرة على العائد الاجتماعي

أظهر تحليل الانحدار المتعدد أن عدة عوامل تؤثر بشكل كبير على مستوى العائد الاجتماعي على الاستثمار في المنظمات التطوعية. تم تحديد ثمانية عوامل رئيسية لها تأثير إحصائي دال على مستوى العائد، مما يوفر رؤى قيمة حول محددات الأداء في القطاع التطوعي²⁰².

العامل الأول والأكثر تأثيراً هو مستوى إشراك المستفيدين في تصميم وتنفيذ البرامج. أظهرت المنظمات التي تتبنى نهجاً تشاركياً عوائد أعلى بنسبة 34% مقارنة بتلك التي تتبع نهجاً تقليدياً من أعلى إلى أسفل²⁰³. هذا العامل له معامل انحدار قدره 0.342 مع مستوى دلالة $p < 0.001$ ، مما يشير إلى قوة العلاقة وموثوقيتها الإحصائية²⁰⁴.

العامل الثاني هو وجود نظام قياس وتقييم منتظم وشامل. حققت المنظمات التي تطبق أنظمة قياس متطورة عوائد أعلى بنسبة 28% مقارنة بتلك التي تعتمد على أساليب تقييم بسيطة أو غير منتظمة²⁰⁵. معامل الانحدار لهذا العامل بلغ 0.285 مع مستوى دلالة $p < 0.002$ ²⁰⁶.

جدول 4: نتائج تحليل الانحدار المتعدد للعوامل المؤثرة على SROI

العامل	معامل الانحدار	الخطأ المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة	R الجزئي
إشراك المستفيدين	0.342	0.087	3.93	0.000	0.118
نظام القياس والتقييم	0.285	0.092	3.10	0.002	0.081
التعاون مع منظمات أخرى	0.224	0.078	2.87	0.004	0.050
الاستثمار في بناء القدرات	0.193	0.084	2.30	0.022	0.037
جودة القيادة	0.176	0.079	2.23	0.027	0.031
تنوع مصادر التمويل	0.158	0.071	2.23	0.027	0.025
حجم المنظمة	0.156	0.071	2.20	0.029	0.024
عمر المنظمة	0.128	0.069	1.86	0.064	0.017

العامل الثالث هو مستوى التعاون والشراكة مع منظمات أخرى. أظهرت المنظمات التي تعمل في شركات استراتيجية مع منظمات تطوعية أو حكومية أو خاصة أخرى عوائد أعلى بنسبة 22% مقارنة بتلك التي تعمل بشكل منعزل²⁰⁷. هذا يعكس فوائد التكامل والتنسيق في تجنب الازدواجية وتحقيق التآزر²⁰⁸.

العامل الرابع هو مستوى الاستثمار في بناء القدرات للموظفين والمتطوعين. حققت المنظمات التي تخصص أكثر من 15% من ميزانيتها لتدريب وتطوير الموظفين والمتطوعين عوائد أعلى بنسبة 19% مقارنة بتلك التي تستثمر أقل في هذا المجال²⁰⁹. هذا يؤكد على أهمية الاستثمار في رأس المال البشري كمحدد أساسي للأداء²¹⁰.

العامل الخامس هو جودة القيادة التنظيمية، والتي تم قياسها من خلال مؤشرات مختلفة مثل وضوح الرؤية، وفعالية اتخاذ القرارات، وقدرة القائد على تحفيز الفريق²¹¹. المنظمات التي تتمتع بقيادة قوية حققت عوائد أعلى بنسبة 18% مقارنة بتلك التي تعاني من ضعف في القيادة²¹².

العامل السادس هو تنوع مصادر التمويل. المنظمات التي تعتمد على مصادر تمويل متنوعة (تبرعات فردية، منح حكومية، منح مؤسسية، إيرادات خدمات) حققت عوائد أعلى بنسبة 16% مقارنة بتلك التي تعتمد على مصدر واحد أو مصدرين فقط²¹³. هذا يعكس أهمية الاستقرار المالي والمرونة في التخطيط طويل المدى²¹⁴.

6.4 تحليل الكفاءة والفعالية التشغيلية

يكشف التحليل المتعمق للكفاءة التشغيلية عن فروق مهمة بين المنظمات عالية الأداء وتلك متوسطة أو منخفضة الأداء. تم تصنيف المنظمات إلى ثلاث فئات بناءً على مستوى العائد الاجتماعي: عالية الأداء (SROI) أكبر من 6:1، متوسطة الأداء (SROI) بين 3:1 و6:1، ومنخفضة الأداء (SROI) أقل من 3:1²¹⁵.

تتميز المنظمات عالية الأداء بعدة خصائص مميزة. أولاً، نسبة أعلى من الإنفاق على البرامج مقابل الإدارة، حيث بلغ متوسط نسبة الإنفاق البرامجي 78% مقارنة بـ 65% للمنظمات متوسطة الأداء و58% للمنظمات منخفضة الأداء²¹⁶. هذا يشير إلى كفاءة أكبر في استخدام الموارد وتركيز أكبر على الأنشطة الأساسية²¹⁷.

ثانياً، معدل دوران أقل للموظفين، حيث بلغ متوسط معدل الدوران السنوي 12% للمنظمات عالية الأداء مقارنة بـ 23%

للمنظمات متوسطة الأداء و31% للمنظمات منخفضة الأداء²¹⁸. هذا يعكس بيئة عمل أفضل واستقرار أكبر في الفريق، مما يساهم في تراكم الخبرة والمعرفة المؤسسية²¹⁹.

ثالثاً، مستوى أعلى من رضا المستفيدين، حيث بلغ متوسط تقييم المستفيدين للخدمات 4.6 من 5 للمنظمات عالية الأداء مقارنة بـ 3.8 للمنظمات متوسطة الأداء و3.1 للمنظمات منخفضة الأداء²²⁰. هذا يشير إلى جودة أعلى في الخدمات المقدمة وفهم أفضل لاحتياجات المستفيدين²²¹.

5. المناقشة

1.5 تفسير النتائج الرئيسية في السياق النظري

تكشف نتائج هذه الدراسة عن صورة معقدة ومتعددة الأوجه للعائد الاجتماعي على الاستثمار في المنظمات التطوعية، والتي تتطلب تفسيراً عميقاً في ضوء النظريات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة. المتوسط العام للعائد الاجتماعي البالغ 4.7:1 يقع ضمن النطاق المتوقع بناءً على الدراسات السابقة، لكنه يقدم أدلة أكثر قوة وموثوقية نظراً لحجم العينة الكبير والتنوع الجغرافي والقطاعي²²². هذا المستوى من العائد يؤكد على القيمة الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة للقطاع التطوعي، ويدعم الحجج النظرية حول أهمية هذا القطاع في تحقيق التنمية المستدامة²²³.

من منظور نظرية رأس المال الاجتماعي، تؤكد النتائج على أن المنظمات التطوعية تلعب دوراً مهماً في بناء وتقوية الشبكات الاجتماعية والثقة المتبادلة²²⁴. العوائد العالية المحققة في العديد من المنظمات تعكس قدرة هذه المنظمات على تحويل رأس المال الاجتماعي إلى قيمة اقتصادية ملموسة. هذا التحويل يحدث من خلال عدة آليات: تحسين التعاون والتنسيق بين أفراد المجتمع، وتقليل تكاليف المعاملات، وزيادة الثقة في المؤسسات، وتعزيز المشاركة المدنية²²⁵.

من منظور نظرية القدرات، تشير النتائج إلى أن المنظمات التطوعية تساهم بشكل كبير في توسيع خيارات الأفراد وتعزيز قدراتهم على عيش حياة يقدرونها²²⁶. العوائد العالية في قطاعات التعليم والصحة تعكس الأثر المباشر لهذه التدخلات على القدرات الأساسية للأفراد، مثل القدرة على التعلم والحصول على الرعاية الصحية والمشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية²²⁷. هذا التفسير يتماشى مع أعمال Amartya Sen حول أهمية التركيز على القدرات كمقياس للتنمية البشرية²²⁸.

من منظور نظرية الآثار الخارجية، تؤكد النتائج على أن المنظمات التطوعية تولد منافع تتجاوز بكثير المستفيدين المباشرين من خدماتها²²⁹. العوائد العالية المحققة تعكس هذه الآثار الخارجية الإيجابية، مثل تحسين الصحة العامة، وزيادة مستوى التعليم في المجتمع، وتقوية التماسك الاجتماعي، وتحسين البيئة. هذه الآثار الخارجية تبرر الدعم العام للقطاع التطوعي من منظور اقتصادي، حيث أن السوق وحده قد لا يوفر المستوى الأمثل من هذه الخدمات²³⁰.

2.5 التباين القطاعي والجغرافي: تحليل مقارن

يكشف التباين الكبير في مستويات العائد الاجتماعي بين القطاعات والمناطق المختلفة عن تأثير السياق على فعالية المنظمات التطوعية. تفوق منظمات الصحة في تحقيق أعلى عوائد (6.1:1) يمكن تفسيره من خلال عدة عوامل متداخلة. أولاً، الطبيعة المباشرة والقابلة للقياس لتأثيرات التدخلات الصحية تجعل من السهل نسبياً حساب العوائد الاقتصادية²³¹. على سبيل المثال، برنامج التطعيم يمكن أن يحقق وفورات مباشرة في تكاليف العلاج ووفورات غير مباشرة من خلال تحسين الإنتاجية²³².

ثانياً، التدخلات الصحية الوقائية غالباً ما تحقق عوائد مضاعفة على المدى الطويل. استثمار دولار واحد في الوقاية قد يوفر عدة دولارات في تكاليف العلاج المستقبلية²³³. ثالثاً، الآثار الخارجية الإيجابية للتدخلات الصحية واسعة النطاق، حيث تؤثر على الأسر والمجتمعات والاقتصاد ككل. تحسين الصحة العامة يؤدي إلى زيادة الإنتاجية، وتقليل الغياب عن العمل، وتحسين جودة الحياة²³⁴.

تحقيق منظمات التعليم لعوائد عالية (5.2:1) يتماشى مع الأدبيات الواسعة حول العوائد الاقتصادية للتعليم²³⁵. التعليم يساهم في زيادة الإنتاجية الفردية والجماعية، وتحسين فرص العمل والدخل، وتقليل معدلات الفقر والجريمة، وتعزيز المشاركة المدنية والديمقراطية²³⁶. كما أن للتعليم آثار إيجابية عبر الأجيال، حيث يؤثر تعليم الوالدين على تعليم وصحة ورفاه الأطفال²³⁷.

العوائد المرتفعة لمنظمات التنمية الاقتصادية (4.9:1) تعكس الأثر المباشر لهذه البرامج على تحسين الأوضاع الاقتصادية للمستفيدين²³⁸. برامج التمويل الأصغر، والتدريب المهني، ودعم المشاريع الصغيرة لها آثار مباشرة وقابلة للقياس على الدخل والعمالة. كما أن هذه البرامج غالباً ما تحقق آثاراً مضاعفة من خلال خلق فرص عمل إضافية وتحفيز النشاط الاقتصادي المحلي²³⁹.

العوائد المنخفضة نسبياً لمنظمات البيئة (3.8:1) والخدمات الاجتماعية (3.2:1) تتطلب تفسيراً أكثر دقة. بالنسبة لمنظمات البيئة، قد تكون المنافع طويلة المدى وصعبة التقدير النقدي²⁴⁰. الحفاظ على التنوع البيولوجي، أو تقليل انبعاثات الكربون، أو حماية الموارد الطبيعية له قيمة اقتصادية كبيرة، لكن هذه القيمة قد لا تظهر في الحسابات قصيرة المدى²⁴¹. كما أن العديد من المنافع البيئية لها طبيعة عامة (public goods) مما يجعل من الصعب تحديد قيمتها النقدية بدقة²⁴².

بالنسبة للخدمات الاجتماعية، فإن العديد من المنافع غير ملموسة وصعبة القياس²⁴³. تحسين جودة الحياة، وتقوية التماسك الاجتماعي، وتوفير الدعم النفسي والعاطفي له قيمة كبيرة للمستفيدين والمجتمع، لكن تحويل هذه القيم إلى مقاييس نقدية يبقى تحدياً منهجياً²⁴⁴. هذا لا يعني أن هذه المنظمات أقل أهمية، بل يشير إلى الحاجة لتطوير أدوات قياس أكثر تطوراً لهذا النوع من التأثيرات²⁴⁵.

التباين الجغرافي في العوائد يسلط الضوء على أهمية السياق في تحديد فعالية المنظمات التطوعية. تحقيق المنظمات الأفريقية لأعلى عوائد (5.8:1) يعكس عدة عوامل مترابطة²⁴⁶. أولاً، الحاجة الكبيرة للخدمات الاجتماعية في العديد من البلدان الأفريقية تعني أن أي تدخل فعال يمكن أن يحقق تأثيراً كبيراً نسبياً. في بيئة تعاني من نقص في الخدمات الأساسية، يمكن للتدخل بسيط أن يحدث فرقاً كبيراً²⁴⁷.

ثانياً، انخفاض تكلفة الخدمات والعمالة في العديد من البلدان الأفريقية يزيد من الكفاءة التكلفة للمنظمات التطوعية²⁴⁸. نفس المبلغ المالي يمكن أن يحقق تأثيراً أكبر في بيئة منخفضة التكلفة مقارنة ببيئة مرتفعة التكلفة. ثالثاً، قوة الشبكات الاجتماعية والتماسك المجتمعي في العديد من المجتمعات الأفريقية تعزز من فعالية التدخلات المجتمعية²⁴⁹. الثقافات الجماعية والتقاليد التعاونية تسهل تنفيذ البرامج وتزيد من استدامة تأثيرها²⁵⁰.

العوائد المنخفضة نسبياً في البلدان المتقدمة تعكس تحديات مختلفة. وجود أنظمة رعاية اجتماعية متطورة يقلل من الحاجة النسبية للخدمات التطوعية، مما يجعل التأثير الإضافي للمنظمات التطوعية أقل وضوحاً²⁵¹. كما أن ارتفاع تكلفة الخدمات والعمالة يقلل من الكفاءة التكلفة. بالإضافة إلى ذلك، التعقيد الأكبر في البيئة التنظيمية والقانونية قد يزيد من التكاليف الإدارية ويقلل من الكفاءة²⁵².

3.5 محددات الأداء العالي: دروس من أفضل الممارسات

يوفر تحليل العوامل المؤثرة على العائد الاجتماعي رؤى قيمة حول محددات الأداء العالي في المنظمات التطوعية. أهمية النهج التشاركي في تحقيق عوائد عالية تؤكد على صحة النظريات التنموية التي تؤكد على أهمية ملكية المجتمع للبرامج والمشاريع²⁵³. المنظمات التي تشرك المستفيدين في جميع مراحل دورة البرنامج تحقق عدة مزايا مهمة²⁵⁴.

أولاً، إشراك المستفيدين يضمن أن البرامج تلبي الحاجات الفعلية وتتناسب مع الأولويات المحلية²⁵⁵. هذا يقلل من مخاطر تصميم برامج لا تلقى قبولاً أو استخداماً من المستفيدين المستهدفين. ثانياً، المشاركة تزيد من الالتزام والملكية، مما يعزز من استدامة التأثيرات²⁵⁶. عندما يشعر المستفيدون بأنهم شركاء في البرنامج وليس مجرد متلقين سلبيين، فإنهم أكثر استعداداً للاستثمار في نجاحه واستمراره²⁵⁷.

ثالثاً، النهج التشاركي يستفيد من المعرفة والخبرة المحلية، مما يؤدي إلى حلول أكثر ابتكاراً وملاءمة للسياق²⁵⁸. المجتمعات المحلية غالباً ما تمتلك فهماً عميقاً للتحديات والفرص المحلية، والذي يمكن أن يساهم في تطوير تدخلات أكثر فعالية. رابعاً، المشاركة تبني القدرات المحلية وتعزز من رأس المال الاجتماعي، مما يخلق منافع إضافية تتجاوز أهداف البرنامج المباشرة²⁵⁹.

أهمية أنظمة القياس والتقييم في تحسين الأداء تؤكد على مبدأ الإدارة القائمة على الأدلة²⁶⁰. المنظمات التي تستثمر في أنظمة قياس شاملة تحقق عدة مزايا. أولاً، القياس المنتظم يساعد في تحديد ما يعمل وما لا يعمل، مما يتيح التحسين المستمر للبرامج²⁶¹. ثانياً، البيانات الموثوقة تساعد في اتخاذ قرارات مستنيرة حول تخصيص الموارد وتطوير الاستراتيجيات²⁶². ثالثاً، أنظمة القياس تعزز الشفافية والمساءلة، مما يزيد من ثقة الممولين والمستفيدين²⁶³.

أهمية التعاون والشراكة تعكس الطبيعة المعقدة للتحديات الاجتماعية المعاصرة، والتي تتطلب جهوداً متضافرة من منظمات متعددة²⁶⁴. الشراكات تحقق عدة فوائد: تجنب الازدواجية في الجهود، والاستفادة من الخبرات والمهارات المتنوعة، وتحقيق وفورات الحجم، وتوسيع نطاق التأثير²⁶⁵. كما أن الشراكات تتيح للمنظمات الصغيرة الوصول إلى موارد وشبكات أكبر، بينما تتيح للمنظمات الكبيرة الاستفادة من المرونة والابتكار في المنظمات الصغيرة²⁶⁶.

4.5 التحديات المنهجية والقيود

رغم الإنجازات المهمة لهذه الدراسة، من المهم الاعتراف بالتحديات المنهجية والقيود التي تؤثر على تفسير النتائج. التحدي الأول هو التعقيد الكامن في التقييم النقدي للنتائج الاجتماعية غير الملموسة²⁶⁷. رغم استخدام تقنيات متقدمة مثل التقييم الشرطي ونماذج الاختيار المنفصل، تبقى هناك درجة من عدم اليقين في تقدير القيم النقدية للنتائج مثل تحسين الثقة بالنفس أو تقوية التماسك الاجتماعي²⁶⁸.

التحدي الثاني هو مسألة العزو السببي، خاصة في البيئات المعقدة التي تعمل فيها عدة منظمات أو برامج حكومية في نفس الوقت²⁶⁹. رغم استخدام تقنيات إحصائية متقدمة للتحكم في هذه العوامل، مثل المطابقة الإحصائية والمتغيرات الأدائية، قد تبقى هناك تأثيرات غير محسوبة تؤثر على دقة النتائج²⁷⁰. هذا التحدي يتطلب حذراً في تفسير النتائج وتجنب المبالغة في ادعاءات السببية²⁷¹.

التحدي الثالث هو التباين في جودة البيانات المتاحة من المنظمات المختلفة²⁷². بعض المنظمات تحتفظ بسجلات مفصلة ودقيقة، بينما أخرى قد تعتمد على بيانات أقل دقة أو مكتملة. هذا التباين قد يؤثر على موثوقية المقارنات بين المنظمات

ودقة التحليلات الإحصائية. تم التعامل مع هذا التحدي من خلال تطبيق معايير صارمة لجودة البيانات واستبعاد المنظمات التي لا تلبى هذه المعايير²⁷³.

التحدي الرابع هو إمكانية التحيز في الاختيار، حيث أن المنظمات التي وافقت على المشاركة في الدراسة قد تكون مختلفة بطريقة منهجية عن تلك التي رفضت المشاركة²⁷⁴. المنظمات التي تثق في أدائها قد تكون أكثر استعداداً للمشاركة، مما قد يؤدي إلى تحيز إيجابي في النتائج. تم التعامل مع هذا التحدي من خلال مقارنة خصائص العينة مع الإحصاءات المتاحة عن القطاع التطوعي عموماً²⁷⁵.

5.5 الآثار النظرية والمساهمة في المعرفة

تساهم هذه الدراسة في تطوير النظرية الاقتصادية للقطاع التطوعي من خلال عدة جوانب مهمة. أولاً، تقدم أدلة تجريبية واسعة النطاق على القيمة الاقتصادية والاجتماعية للقطاع التطوعي، مما يدعم النظريات حول الآثار الخارجية الإيجابية والقيمة المشتركة²⁷⁶. النتائج تؤكد أن المنظمات التطوعية لا تقتصر على تقديم خدمات اجتماعية فحسب، بل تساهم أيضاً في خلق قيمة اقتصادية حقيقية للمجتمع²⁷⁷.

ثانياً، تطور الدراسة فهماً أعمق لمحددات الأداء في القطاع التطوعي من خلال تحديد العوامل الرئيسية التي تؤثر على العائد الاجتماعي²⁷⁸. هذا الفهم يساهم في تطوير نظريات الإدارة غير الربحية ويوفر أساساً لتطوير استراتيجيات أكثر فعالية. ثالثاً، تقدم الدراسة نموذجاً منهجياً متطوراً لقياس العائد الاجتماعي يتجاوز القيود الموجودة في المنهجيات السابقة²⁷⁹.

من الناحية المنهجية، تساهم الدراسة في تطوير أدوات وتقنيات جديدة لقياس الأثر الاجتماعي²⁸⁰. النهج المختلط المستخدم يوفر نموذجاً يمكن للباحثين الآخرين البناء عليه وتطويره. كما أن التركيز على الشفافية والتوثيق الدقيق للإجراءات المنهجية يساهم في تحسين معايير البحث في هذا المجال²⁸¹.

6. الخاتمة والتوصيات

1.6 الخلاصة الرئيسية

تقدم هذه الدراسة أدلة تجريبية شاملة ومقنعة على القيمة الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة للمنظمات التطوعية، حيث تحقق هذه المنظمات متوسط عائد اجتماعي على الاستثمار قدره 4.7:1. هذا يعني أن كل دولار مستثمر في القطاع التطوعي يولد قيمة اجتماعية واقتصادية تقدر بـ 4.7 دولار، مما يجعل هذا القطاع استثماراً مربحاً ومجدياً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية²⁸². هذه النتيجة تتجاوز مجرد تأكيد القيمة النظرية للقطاع التطوعي إلى تقديم دليل كمي قوي يمكن استخدامه في اتخاذ قرارات السياسة والتمويل²⁸³.

تكشف الدراسة عن تباين كبير ومعنوي في مستويات العائد بين المجالات المختلفة، حيث تتفوق منظمات الصحة (6.1:1) والتعليم (5.2:1) في تحقيق عوائد عالية، بينما تحقق منظمات البيئة (3.8:1) والخدمات الاجتماعية (3.2:1) عوائد أقل نسبياً²⁸⁴. هذا التباين لا يعكس بالضرورة اختلافاً في الأهمية أو الجودة، بل يعكس طبيعة الأنشطة والتحديات المنهجية في قياس أنواع مختلفة من التأثيرات²⁸⁵.

تحدد الدراسة ثمانية عوامل رئيسية تؤثر على فعالية المنظمات التطوعية، أهمها: النهج التشاركي في تصميم وتنفيذ البرامج، ووجود أنظمة قياس وتقييم فعالة، والتعاون مع منظمات أخرى، والاستثمار في بناء القدرات، وجودة القيادة، وتنوع

مصادر التمويل²⁸⁶. هذه العوامل تقدم خارطة طريق واضحة ومدعومة بالأدلة للمنظمات التطوعية لتحسين أدائها وزيادة تأثيرها الاجتماعي²⁸⁷.

2.6 التوصيات للمنظمات التطوعية

بناءً على نتائج الدراسة، نوصي المنظمات التطوعية بتبني مجموعة من الاستراتيجيات والممارسات المثبتة علمياً لتحسين أدائها. التوصية الأولى هي تبني النهج التشاركي في جميع مراحل دورة البرنامج، من التخطيط إلى التنفيذ والتقييم²⁸⁸. هذا يتطلب الاستثمار في بناء قدرات المجتمعات المحلية وتطوير آليات فعالة لإشراك المستفيدين في اتخاذ القرارات. يجب أن تتجاوز المشاركة مجرد الاستشارة إلى الشراكة الحقيقية في تحديد الأولويات وتصميم الحلول²⁸⁹.

التوصية الثانية هي تطوير أنظمة قياس وتقييم شاملة تتضمن مؤشرات كمية ونوعية لقياس الأثر قصير وطويل المدى²⁹⁰. هذا يتطلب الاستثمار في التدريب والأدوات والتكنولوجيا اللازمة لجمع وتحليل البيانات بطريقة منهجية. يجب أن تكون أنظمة القياس مصممة ليس فقط للمساءلة الخارجية، بل أيضاً للتعلم والتحسين المستمر²⁹¹.

التوصية الثالثة هي تطوير شراكات استراتيجية مع منظمات أخرى، سواء في القطاع التطوعي أو الحكومي أو الخاص²⁹². هذه الشراكات يجب أن تكون مبنية على أهداف مشتركة واضحة وتوزيع عادل للمسؤوليات والمنافع. يجب على المنظمات تطوير قدراتها في إدارة الشراكات والتعامل مع التحديات التي قد تنشأ من اختلاف الثقافات التنظيمية والأولويات²⁹³.

التوصية الرابعة هي الاستثمار المستمر في بناء قدرات الموظفين والمتطوعين²⁹⁴. هذا يشمل التدريب التقني والمهني، وتطوير مهارات القيادة والإدارة، وبناء القدرات في مجالات متخصصة مثل قياس الأثر وإدارة الشراكات. يجب أن تخصص المنظمات نسبة مناسبة من ميزانيتها لهذا الغرض وتطوير خطط تطوير مهني واضحة²⁹⁵.

3.6 التوصيات للممولين والمانحين

نوصي الممولين والمانحين بتبني نهج أكثر شمولية ومرونة في تقييم ودعم المنظمات التطوعية. التوصية الأولى هي تطوير معايير تقييم تتجاوز المؤشرات المالية التقليدية لتشمل قياس الأثر الاجتماعي والاقتصادي²⁹⁶. هذا يتطلب الاستثمار في تطوير أدوات وقدرات لقياس العائد الاجتماعي على الاستثمار، والاعتراف بأن هذا القياس قد يتطلب وقتاً وموارد إضافية²⁹⁷.

التوصية الثانية هي تطوير آليات تمويل مرنة تدعم الابتكار والتجريب²⁹⁸. هذا يشمل توفير تمويل للمراحل التجريبية للبرامج الجديدة، ودعم المنظمات في تطوير نماذج أعمال مستدامة، وتوفير التمويل طويل المدى اللازم لتحقيق التأثيرات المستدامة. يجب على الممولين تجنب التركيز المفرط على النتائج قصيرة المدى والاعتراف بأن التغيير الاجتماعي الحقيقي يتطلب وقتاً²⁹⁹.

التوصية الثالثة هي دعم المنظمات في تطوير قدراتها في مجال القياس والتقييم من خلال التدريب والمساعدة التقنية³⁰⁰. هذا يمكن أن يشمل تمويل برامج تدريبية متخصصة، وتوفير استشارات تقنية، ودعم تطوير أنظمة إدارة البيانات. الهدف هو بناء قدرات مستدامة في القطاع التطوعي وليس مجرد تلبية متطلبات التقارير³⁰¹.

4.6 التوصيات لصناع السياسة

نوصي صناع السياسة بتطوير سياسات أكثر شمولية ودعماً للقطاع التطوعي تعترف بقيمته الاقتصادية والاجتماعية. التوصية الأولى هي تطوير أطر سياسية تدعم نمو وتطوير القطاع التطوعي³⁰². هذا يشمل توفير الحوافز الضريبية

المناسبة، وتبسيط الإجراءات الإدارية، وتطوير أطر تنظيمية مرنة تدعم الابتكار دون التضحية بالمساءلة والشفافية³⁰³.
التوصية الثانية هي تطوير آليات للتعاون والتنسيق بين القطاع التطوعي والحكومي³⁰⁴. هذا يشمل إشراك المنظمات التطوعية في تصميم وتنفيذ السياسات العامة، وتطوير آليات للحوار المستمر، وإنشاء منصات للتعليم المتبادل وتبادل أفضل الممارسات. يجب أن تكون هذه الآليات مبنية على الاحترام المتبادل والاعتراف بالأدوار المكملية لكل قطاع³⁰⁵.
التوصية الثالثة هي الاستثمار في البحث والتطوير في مجال قياس الأثر الاجتماعي³⁰⁶. هذا يشمل دعم البحوث الأكاديمية، وتطوير أدوات ومنهجيات جديدة، وإنشاء قواعد بيانات وطنية حول أداء القطاع التطوعي. الهدف هو تطوير قاعدة معرفية قوية تدعم اتخاذ قرارات سياسية مستنيرة³⁰⁷.

5.6 الاتجاهات المستقبلية للبحث

تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة ومثيرة للبحث المستقبلي في عدة مجالات مهمة. أولاً، هناك حاجة لدراسات طويلة تتابع تطور الأثر الاجتماعي للمنظمات التطوعية على مدى فترات زمنية أطول لفهم الاستدامة والتأثيرات طويلة المدى³⁰⁸. هذه الدراسات ستساعد في فهم كيفية تطور التأثيرات عبر الزمن وتحديد العوامل التي تساهم في استدامة التغيير³⁰⁹.
ثانياً، هناك حاجة لدراسات مقارنة تحلل فعالية المنظمات التطوعية مقارنة بالقطاع الحكومي والخاص في تقديم نفس الخدمات³¹⁰. هذا سيساعد في تحديد المجالات التي يتمتع فيها كل قطاع بميزة نسبية وتطوير نماذج أكثر فعالية للتعاون بين القطاعات³¹¹.
ثالثاً، هناك حاجة لتطوير منهجيات أكثر تطوراً لقياس النتائج الاجتماعية غير الملموسة³¹². هذا يشمل استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة، وتطوير أدوات جديدة للتقييم النوعي، واستكشاف طرق مبتكرة لإشراك المستفيدين في عملية التقييم³¹³.
رابعاً، هناك حاجة لدراسات تركز على تأثير التكنولوجيا الرقمية على فعالية المنظمات التطوعية وطرق تقديم الخدمات³¹⁴. مع التطور السريع في التكنولوجيا، من المهم فهم كيف يمكن للمنظمات التطوعية الاستفادة من هذه التطورات لتحسين أدائها وتوسيع نطاق تأثيرها³¹⁵.

المراجع

1. Arvidson, M., Lyon, F., McKay, S., & Moro, D. (2013). Valuing the social? The nature and controversies of measuring social return on investment (SROI). *Voluntary Sector Review*, 4(1), 3-18.
2. Banke-Thomas, A., Madaj, B., Charles, A., & van den Broek, N. (2015). Social return on investment (SROI) methodology to account for value for money of public health interventions: a systematic review. *BMC Public Health*, 15(1), 582.
3. Bagnoli, L., & Megali, C. (2011). Measuring performance in social enterprises. *Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly*, 40(1), 149-165.
4. Barman, E. (2007). What is the bottom line for nonprofit organizations? A history of measurement in the British voluntary sector. *Voluntas*, 18(2), 101-115.
5. Battilana, J., & Lee, M. (2014). Advancing research on hybrid organizing—Insights from the study of social enterprises. *Academy of Management Annals*, 8(1), 397-441.
6. Becker, H. A. (2001). Social impact assessment. *European Journal of Operational*

- Research, 128(2), 311-321.
7. Bengo, I., Arena, M., Azzone, G., & Calderini, M. (2016). Indicators and metrics for social business: a review of current approaches. *Journal of Social Entrepreneurship*, 7(1), 1-24.
 8. Brandsen, T., & Karré, P. M. (2011). Hybrid organizations: No cause for concern? *International Journal of Public Administration*, 34(13), 827-836.
 9. Brouard, F., Larivet, S., & Sakka, O. (2010). Entrepreneurial orientation versus market orientation: Towards the development of a new measure for social entrepreneurship. *Academy of Entrepreneurship Journal*, 16(2), 39-56.
 10. Bull, M. (2007). "Balance": the development of a social enterprise business performance analysis tool. *Social Enterprise Journal*, 3(1), 49-66.
 11. Cabinet Office. (2012). A guide to social return on investment. The SROI Network.
 12. Carini, C., Carpita, M., & Andreaus, M. (2018). The Italian social cooperatives in 2008: A portrait using descriptive and principal component analysis. *Euricse Working Papers*, 76(18).
 13. Clark, C., Rosenzweig, W., Long, D., & Olsen, S. (2004). Double bottom line project report: Assessing social impact in double bottom line ventures. University of California at Berkeley.
 14. Clifford, J., Markey, K., & Malpani, N. (2013). Measuring social impact in social enterprise: The state of thought and practice in the UK. E3M Working Paper.
 15. Costa, E., & Pesci, C. (2016). Social impact measurement: why do stakeholders matter? *Sustainability Accounting, Management and Policy Journal*, 7(1), 99-124.
 16. Dees, J. G. (1998). The meaning of social entrepreneurship. Comments and suggestions contributed from the Social Entrepreneurship Funders Working Group, 6.
 17. Defourny, J., & Nyssens, M. (2010). Conceptions of social enterprise and social entrepreneurship in Europe and the United States: Convergences and divergences. *Journal of Social Entrepreneurship*, 1(1), 32-53.
 18. Doherty, B., Haugh, H., & Lyon, F. (2014). Social enterprises as hybrid organizations: A review and research agenda. *International Journal of Management Reviews*, 16(4), 417-436.
 19. Ebrahim, A., & Rangan, V. K. (2014). What impact? A framework for measuring the scale and scope of social performance. *California Management Review*, 56(3), 118-141.
 20. Emerson, J. (2003). The blended value proposition: Integrating social and financial returns. *California Management Review*, 45(4), 35-51.
 21. Emerson, J., Wachowicz, J., & Chun, S. (2000). Social return on investment: Exploring aspects of value creation in the nonprofit sector. The Roberts Foundation.
 22. Esteves, A. M., Franks, D., & Vanclay, F. (2012). Social impact assessment: the state of the art. *Impact Assessment and Project Appraisal*, 30(1), 34-42.
 23. Flockhart, A. (2005). Raising the profile of social enterprises: the use of social return on investment (SROI) and investment ready tools (IRT) to bridge the financial credibility gap. *Social Enterprise Journal*, 1(1), 29-42.
 24. Gibbon, J., & Dey, C. (2011). Developments in social impact measurement in the third

- sector: scaling up or dumbing down? *Social and Environmental Accountability Journal*, 31(1), 63-72.
25. Gidron, B., & Hasenfeld, Y. (2012). *Social enterprises: An organizational perspective*. Palgrave Macmillan.
 26. Grieco, C., Michelini, L., & Iasevoli, G. (2015). Measuring value creation in social enterprises: A cluster analysis of social impact assessment models. *Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly*, 44(6), 1173-1193.
 27. Hall, M., & Millo, Y. (2018). Choosing an accounting method to explain public policy: Social return on investment and UK non-profit sector policy. *European Accounting Review*, 27(2), 339-361.
 28. Harlock, J. (2013). Impact measurement practice in the UK third sector: a review of emerging evidence. *Third Sector Research Centre Working Paper*, 106.
 29. Hervieux, C., Gedajlovic, E., & Turcotte, M. F. B. (2010). The legitimization of social entrepreneurship. *Journal of Enterprising Communities: People and Places in the Global Economy*, 4(1), 37-67.
 30. Hockerts, K. (2006). Entrepreneurial opportunity in social purpose business ventures. *Social entrepreneurship*, 142-154.
 31. Hudon, M., & Sandberg, J. (2013). The ethical crisis in microfinance: Issues, findings, and implications. *Business Ethics Quarterly*, 23(4), 561-589.
 32. Iammarino, S., Piva, M., Vivarelli, M., & Von Tunzelmann, N. (2012). Technological capabilities and patterns of innovative cooperation of UK firms. *Regional Studies*, 46(10), 1283-1301.
 33. Jackson, E. T. (2013). Interrogating the theory of change: evaluating impact investing where it matters most. *Journal of Sustainable Finance & Investment*, 3(2), 95-110.
 34. Kanter, R. M., & Summers, D. V. (1987). Doing well while doing good: Dilemmas of performance measurement in nonprofit organizations and the need for a multiple-constituency approach. *The nonprofit sector: A research handbook*, 1, 154-166.
 35. Kerlin, J. A. (2006). Social enterprise in the United States and Europe: Understanding and learning from the differences. *Voluntas*, 17(3), 246-262.
 36. Kroeger, A., & Weber, C. (2014). Developing a conceptual framework for comparing social value creation. *Academy of Management Review*, 39(4), 513-540.
 37. Laville, J. L., & Nyssens, M. (2001). The social enterprise: towards a theoretical socio-economic approach. *The emergence of social enterprise*, 312-332.
 38. Leadbeater, C. (1997). *The rise of the social entrepreneur*. Demos.
 39. Lepoutre, J., Justo, R., Terjesen, S., & Bosma, N. (2013). Designing a global standardized methodology for measuring social entrepreneurship activity: the Global Entrepreneurship Monitor social entrepreneurship study. *Small Business Economics*, 40(3), 693-714.
 40. Lingane, A., & Olsen, S. (2004). Guidelines for social return on investment. *California Management Review*, 46(3), 116-135.
 41. Luke, B., Barraket, J., & Eversole, R. (2013). Measurement as legitimacy versus legitimacy of measures: Performance evaluation of social enterprise. *Qualitative*

- Research in Accounting & Management, 10(3/4), 234-258.
42. Mair, J., & Martí, I. (2006). Social entrepreneurship research: A source of explanation, prediction, and delight. *Journal of World Business*, 41(1), 36-44.
 43. Mair, J., & Noboa, E. (2006). Social entrepreneurship: How intentions to create a social venture are formed. *Social entrepreneurship*, 121-135.
 44. Maas, K., & Liket, K. (2011). Social impact measurement: Classification of methods. *Environmental management accounting and supply chain management*, 171-202.
 45. McLoughlin, J., Kaminski, J., Sodagar, B., Khan, S., Harris, R., Arnaudo, G., & McBrearty, S. (2009). A strategic approach to social impact measurement of social enterprises: The SIMPLE methodology. *Social Enterprise Journal*, 5(2), 154-178.
 46. Millar, R., & Hall, K. (2013). Social return on investment (SROI) and performance measurement: The opportunities and barriers for social enterprises in health and social care. *Public Management Review*, 15(6), 923-941.
 47. Mulgan, G. (2010). Measuring social value. *Stanford Social Innovation Review*, 8(3), 38-43.
 48. Mulgan, G., Tucker, S., Ali, R., & Sanders, B. (2007). Social innovation: what it is, why it matters and how it can be accelerated. *Skoll Centre for Social Entrepreneurship*.
 49. Muscat, E., & Whitty, M. (2009). Social impact assessment in the microfinance industry: A review of the literature. *Progress in Development Studies*, 9(4), 285-298.
 50. Nicholls, A. (2009). 'We do good things, don't we?': 'Blended Value Accounting' in social entrepreneurship. *Accounting, Organizations and Society*, 34(6-7), 755-769.
 51. Nicholls, J., Lawlor, E., Neitzert, E., & Goodspeed, T. (2012). A guide to social return on investment. *The SROI Network*.
 52. O'Neill, S., Gish, L., Collin, P., Hutton, A., Banfield, M., Halverson, C., & Karimi, L. (2016). Mental health and wellbeing benefits of a sport-based mentoring programme for young people: Design of a randomised controlled trial. *Contemporary Clinical Trials*, 51, 76-85.
 53. Olsen, S., & Galimidi, B. (2008). Catalog of approaches to impact measurement. *Social Venture Technology Group*.
 54. Peattie, K., & Morley, A. (2008). Eight paradoxes of the social enterprise research agenda. *Social Enterprise Journal*.
 55. Peredo, A. M., & McLean, M. (2006). Social entrepreneurship: A critical review of the concept. *Journal of World Business*, 41(1), 56-65.
 56. Polonsky, M., & Grau, S. L. (2011). Assessing the social impact of charitable organizations—four alternative approaches. *International Journal of Nonprofit and Voluntary Sector Marketing*, 16(2), 195-211.
 57. Porter, M. E., & Kramer, M. R. (2011). Creating shared value. *Harvard Business Review*, 89(1/2), 62-77.
 58. Rawhouser, H., Cummings, M., & Newbert, S. L. (2019). Social impact measurement: Current approaches and future directions for social entrepreneurship research. *Entrepreneurship Theory and Practice*, 43(1), 82-115.
 59. Reeder, N., Colantonio, A., Loder, J., & Rocyn Jones, G. (2015). Measuring impact and

- non-academic engagement: Can social return on investment help? PLoS One, 10(8), e0135491.
60. Ryan, P. W., & Lyne, I. (2008). Social enterprise and the measurement of social value: methodological issues with the calculation and application of the social return on investment. *Education, Knowledge & Economy*, 2(3), 223-237.
 61. Salamon, L. M., & Anheier, H. K. (1997). *Defining the nonprofit sector: A cross-national analysis*. Manchester University Press.
 62. Santos, F. M. (2012). A positive theory of social entrepreneurship. *Journal of Business Ethics*, 111(3), 335-351.
 63. Scholten, P., Nicholls, J., Olsen, S., & Galimidi, B. (2006). *Social return on investment: A guide to SROI analysis*. Lenthe Publishers.
 64. Seelos, C., & Mair, J. (2005). Social entrepreneurship: Creating new business models to serve the poor. *Business Horizons*, 48(3), 241-246.
 65. Shaw, E., & Carter, S. (2007). Social entrepreneurship: Theoretical antecedents and empirical analysis of entrepreneurial processes and outcomes. *Journal of Small Business and Enterprise Development*, 14(3), 418-434.
 66. Short, J. C., Moss, T. W., & Lumpkin, G. T. (2009). Research in social entrepreneurship: Past contributions and future opportunities. *Strategic Entrepreneurship Journal*, 3(2), 161-194.
 67. Simms, S. V. (2009). *Understanding non-profit effectiveness through the lens of complex adaptive systems theory*. University of Pennsylvania.
 68. So, I., & Staskevicius, A. (2015). Measuring the “impact” in impact investing. Harvard Business School.
 69. Teasdale, S. (2012). What’s in a name? Making sense of social enterprise discourses. *Public Policy and Administration*, 27(2), 99-119.
 70. Thompson, J., & Doherty, B. (2006). The diverse world of social enterprise: A collection of social enterprise stories. *International Journal of Social Economics*, 33(5/6), 361-375.
 71. Tracey, P., & Phillips, N. (2007). The distinctive challenge of educating social entrepreneurs: A postgraduate curriculum for social entrepreneurship. *Management Learning*, 38(3), 365-370.
 72. Vanclay, F. (2003). International principles for social impact assessment. *Impact Assessment and Project Appraisal*, 21(1), 5-12.
 73. Weerawardena, J., & Mort, G. S. (2006). Investigating social entrepreneurship: A multidimensional model. *Journal of World Business*, 41(1), 21-35.
 74. Weisbrod, B. A. (1988). *The nonprofit economy*. Harvard University Press.
 75. Wood, C., & Leighton, D. (2010). *Measuring social value: the gap between policy and practice*. Demos.
 76. Yunus, M. (2007). *Creating a world without poverty: Social business and the future of capitalism*. PublicAffairs.
 77. Zahra, S. A., Gedajlovic, E., Neubaum, D. O., & Shulman, J. M. (2009). A typology of social entrepreneurs: Motives, search processes and ethical challenges. *Journal of Business Venturing*, 24(5), 519-532.

78. Zainon, S., Ahmad, S. A., Aman, A., Md Auzair, S., Md Kassim, A. A., & Maelah, R. (2014). Institutional donors' expectation of information from the non-profit organizations (NPOs) reporting: Malaysian evidence. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, 164, 478-484.
79. Zimmermann, J. A. (2009). Using a social return on investment analysis to measure and promote positive change in marginalized populations. *New Directions for Evaluation*, 2009(124), 117-129.
80. Arvidson, M., & Lyon, F. (2014). Social impact measurement and non-profit organisations: compliance, resistance, and promotion. *Voluntas*, 25(4), 869-886.

عنوان البحث

**التزام المرجع المختص في الإدارة العامة بالتعاون مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد وفقا
لأحكام قانون النزاهة ومكافحة الفساد الاردني رقم 13 لسنة 2016**

د. يحيى بني طه¹

¹ باحث، المملكة الأردنية الهاشمية.

بريد الكتروني: dryayaahmed@yahoo.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/4>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/4>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة الى بيان مفهوم التزام المرجع المختص في الإدارة العامة الاردنية بالتعاون مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد وطبيعة هذا الالتزام، وكذلك الوقوف على أهميته وأثره في تطبيق معايير النزاهة الوطنية وفي التحري والتقصي والكشف عن جرائم الفساد في الإدارة العامة، وبذات السياق تم توضيح أهم الحدود التي تضبط هذا الالتزام سواء بالنسبة للإدارة العامة أو بالنسبة لهيئة النزاهة. اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف وتحليل النصوص القانونية النازمة لواجب التعاون وضرورة تسهيل مهمة هيئة النزاهة لتنفيذ مهامها في الإدارة العامة سنداً لأحكام قانون النزاهة ومكافحة الفساد. وقد كان من أهم نتائج الدراسة أن تعاضد الإدارات العامة والتعاون مع هيئة النزاهة في تنفيذ مهامها يعد عاملاً جوهرياً في تحقيق النزاهة ومكافحة الفساد في الإدارة العامة، وهو التزام قانوني، تُرتب مخالفته العقوبة الجزائية. خلصت هذه الدراسة الى أن من واجب هيئة النزاهة أن تتمسك بضرورة وجود تعاون فعال من قبل المرجع المختص معها، والعمل على تفعيل وتعزيز هذا التعاون بالطرق الناعمة، وبذات الوقت يجب أن تبقى للهيئة القابلية لاتخاذ إجراءات قانونية تصعيدية اخرى - أكثر فعالية_ في حالات عدم التعاون أو التعاون غير المثمر والتعاون الكسول كإبلاغ رئيس السلطة التنفيذية (رئيس الوزراء) ورئيس السلطة التشريعية بسلوك المرجع المختص السلبي وصولاً الى إحالة المرجع المختص الى القضاء، وذلك بحسب الاحوال والظروف.

الكلمات المفتاحية: التعاون الإداري، هيئة النزاهة ومكافحة الفساد، الإدارة العامة، معايير النزاهة الوطنية، الجرائم الإدارية.

RESEARCH TITLE

The Obligation of the Competent Authority in Public Administration to Cooperate with the Integrity and Anti-Corruption Commission In accordance with the provisions of the Jordanian Integrity and Anti-Corruption Law No. 13 of 2016

Abstract

This study aims to clarify the concept of the obligation of the competent authority within the Jordanian public administration to cooperate with the Integrity and Anti-Corruption Commission, as well as the nature of this obligation. It also seeks to highlight its importance and impact on the application of national integrity standards, as well as on the investigation, detection, and prevention of corruption crimes within public administration. In this context, the study explains the main boundaries that regulate this obligation, both for public administration bodies and for the Integrity Commission. The study adopted the descriptive and analytical method by examining and analyzing the legal texts governing the duty of cooperation and the necessity of facilitating the work of the Integrity Commission in carrying out its functions within the public administration, in accordance with the provisions of the Integrity and Anti-Corruption Law. Among the key findings of the study is that the cooperation and coordination between public administrations and the Integrity Commission in executing its functions represent a fundamental factor in achieving integrity and combating corruption within the public sector. Such cooperation is a **legal obligation**, and any violation thereof results in **criminal liability**. The study concludes that the Integrity Commission must ensure the existence of effective cooperation from the competent authority and work to strengthen and enhance this cooperation through soft approaches. At the same time, the Commission should retain the ability to take **other, more effective legal measures** in cases of non-cooperation or ineffective collaboration—such as notifying the head of the executive authority (Prime Minister) and the head of the legislative authority of the negative behavior of the competent authority, leading up to referring the matter to the judiciary, depending on the circumstances and conditions.

Key Words: Administrative Cooperation, Integrity and Anti-Corruption Commission, Public Administration, National Integrity Standards, Administrative Crimes.

إن التعاون بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة ومكافحة الفساد واجب والتزام يجب تكريسه بالعلاقة بينهما، وهذا الالتزام القانوني والاخلاقي له اثر كبير في حماية النزاهة ومكافحة الفساد حيث يوفر الوقت والجهد في محاربة الفساد وتطبيق معايير النزاهة، فما تستطيع الهيئة تحقيقه بتعاون المرجع المختص في الإدارة العامة مع الهيئة يفوق ما تستطيع تحقيقه مع مرجع مختص غير متعاون أو معرقل لجهود هيئة النزاهة.

والمقصود هنا التعاون (المثمر) والفعال الذي يحقق غاية المشرع من تقريره، بحيث يلتزم المرجع المختص في الإدارة العامة بتوفير كل متطلبات نجاح الهيئة في تحقيق واجباتها ويسهل مهمتها في إدارته وتجدر الإشارة الى أن الالتزام بالتعاون ليس خيارا للمرجع المختص بأن يمثل له أو لا يمثل، وإنما هو التزام قانوني يترتب عقوبة إدارية وقانونية بحقه في حال عدم امتثاله.

ولهذا الالتزام أساس قانوني وأخلاقي تجده في النصوص القانونية السارية وفي الموروث الديني والثقافي الاردني، فهو التزام اخلاقي والتزام قانوني ويعد سببا من أسباب سرعة وحسن تحقيق أهداف الهيئة وتجويد وتطوير خدمات الإدارة العامة، ولكن هذا التعاون ليس مطلقا وإنما تضبطه الحدود والضوابط القانونية وطبيعة عمل ومهام الإدارة العامة وعمل ومهام هيئة النزاهة، وهو التزام متبادل ولكنه التزام موسع بالنسبة للإدارة العامة اتجاها هيئة النزاهة بالنظر لسرية أعمال الهيئة، على العكس بالنسبة للهيئة فإن التزام الهيئة بالتعاون مع الإدارة العامة مقيد بالضوابط التي حددها قانون النزاهة كالتزام السرية.

سيتناول الباحث هذا الموضوع بتقديم حول مفهوم الفساد بنوعيه المالي والإداري، ثم سيعرف بهيئة النزاهة ومكافحة الفساد مع تبيان المقصود بالمرجع المختص وطبيعة علاقة التعاون الواجب توافرها في العلاقة بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة في المبحث الأول، ثم سيعالج المبحث الثاني التزام المرجع المختص بالتعاون مع هيئة النزاهة من الناحية الاخلاقية ومن الناحية القانونية وأشكال هذا التعاون وحدوده وضوابطه.

مشكلة الدراسة:

يمكن طرح مشكلة الدراسة من خلال الاشكاليات التي تثيرها الاسئلة التالية:

1. ما هي هيئة النزاهة ومكافحة الفساد؟
2. ما هي الإدارة العامة؟
3. ما المقصود بالمرجع المختص في الإدارة العامة؟
4. ما مفهوم التزام التعاون بين هيئة النزاهة والإدارة العامة وأساسه القانوني؟
5. ما هو الأساس الاخلاقي لالتزام المرجع المختص في الإدارة العامة بواجب التعاون والتنسيق مع هيئة النزاهة.
6. ما هو الأساس القانوني لالتزام المرجع المختص في الإدارة العامة بواجب التعاون والتنسيق مع هيئة النزاهة .
7. ما هي اشكال وضوابط التعاون بين هيئة النزاهة والإدارة العامة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى ما يلي:

1. بيان ماهية التزام الإدارة العامة بالتعاون مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد في تنفيذ مهامها.
2. بيان الأساس القانوني والأساس الاخلاقي لهذا الالتزام.
3. بيان أشكال وحدود وضوابط هذا الالتزام في العلاقة بين هيئة النزاهة والإدارة العامة.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة طرقت هذا الموضوع من قبل بحسب ما اطلع عليه رغم البحث، وإنما كانت الدراسات السابقة تعالج موضوع الفساد بشكل أو بآخر دون التعرض لهذا الالتزام بشكل مباشر وكاف.

محددات الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على بحث التزام المرجع المختص في الإدارة العامة الاردنية بالتعاون مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد الاردنية في تطبيق معايير النزاهة ومكافحة الفساد، حيث توفر للهيئة متطلبات عملها دون عوائق وفقا لأحكام القانون، ولا يخفى أن هذا الالتزام يتعلق بشخص المرجع المختص أي متخذ القرار بشكل أساسي، دون أن ننفي مسؤولية الموظف من غير متخذي القرار بالمساهمة في الكشف عن الفساد والابلاغ عنه.

منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي: من خلال وصف وتحليل النصوص القانونية النازمة لواجب التعاون وضرورة تسهيل مهمة هيئة النزاهة لتنفيذ مهامها في الإدارة العامة سنداً لأحكام قانون النزاهة ومكافحة الفساد.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: مفهوم الفساد والتعاون والتعريف بهيئة النزاهة والإدارة العامة والمرجع المختص في الإدارة العامة.

المطلب الأول: مفهوم الفساد وأنواعه:

الفرع الأول: مفهوم الفساد:

الفرع الثاني: أنواع الفساد:

المطلب الثاني: التعريف بهيئة النزاهة ومكافحة الفساد والمرجع المختص في الإدارة العامة :

الفرع الأول: هيئة النزاهة ومكافحة الفساد:

الفرع الثاني: مفهوم المرجع المختص في الإدارة العامة:

أولاً: الإدارة العامة:

ثانياً: تعريف المرجع المختص في الإدارة العامة:

المطلب الثالث: مفهوم التعاون في العلاقة بين هيئة النزاهة والإدارة العامة وأساسه القانوني:

الفرع الأول: المقصود بالتعاون:

الفرع الثاني: الأساس القانوني للالتزام بالتعاون:

المبحث الثاني: التزام المرجع المختص في الإدارة العامة بالتعاون مع هيئة النزاهة وحدوده وضوابطه:

المطلب الأول: التزام المرجع المختص بالتعاون من الناحية القانونية:

المطلب الثاني: التزام المرجع المختص بالتعاون من الناحية الاخلاقية:

المطلب الثالث: أشكال ومظاهر وضوابط التزام المرجع المختص بالتعاون مع هيئة النزاهة:

الفرع الأول: أشكال ومظاهر التعاون بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة ومظاهره:

الفرع الثاني: ضوابط وحدود التعاون بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة:

المبحث الأول: مفهوم الفساد والتعاون والتعريف بهيئة النزاهة والإدارة العامة والمرجع المختص في الإدارة العامة.

يتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب، يُعنى المطلب الأول ببيان مفهوم الفساد بنوعيه المالي والإداري، والثاني يُعرف بهيئة النزاهة ومكافحة الفساد ومفهوم المرجع المختص في الإدارة العامة، أما المطلب الثالث فقد أختص بتوضيح مفهوم التعاون في العلاقة بين هيئة النزاهة والإدارة العامة.

المطلب الأول: مفهوم الفساد وأنواعه:

سيتناول هذا المطلب فرعين، الفرع الأول يختص بتحديد مفهوم الفساد، والثاني يبين المقصود بالفساد المالي والفساد الإداري.

الفرع الأول: مفهوم الفساد:

خلا قانون النزاهة ومكافحة الفساد رقم (13) لسنة 2016 وتعديلاته من تعريف الفساد الإداري والفساد المالي، وإنما اكتفى بتعداد الجرائم التي تعتبر فسادا في المادة (16) منه، كذلك لم تضع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والاتفاقية العربية لمكافحة الفساد تعريفا للفساد، وقد يكون السبب في عدم وضع تعريف محدد للفساد في القانون الأردني وفي الاتفاقيتين هو اعطاء مرونة أكبر في فهم وتفسير وتطبيق النصوص القانونية، والمحافظة على استقرار هذه النصوص لتتواءم مع المستجدات والمستجد من الظروف والوقائع. ولكن وُجدت العديد من التعريفات له، فقد عرفه صندوق النقد الدولي (International Monetary Fund) على أنه: "استغلال الوظيفة العامة للحصول على مكاسب خاصة"،⁽¹⁾ "سوء استخدام الوظيفة العامة لتحقيق منفعة خاصة"،⁽²⁾ كما عرفته منظمة الشفافية الدولية (Transparency International) على أنه: "استخدام المنصب العام لتحقيق مكاسب خاصة".⁽³⁾ وهناك من يسمي الممارسات التي تعتبر من أفعال الفساد بأنها "الممارسات التي تتضمن السعي وراء التبرع (Rent-Seeking Activities)".⁽⁴⁾ وأنها تلك "الاعمال التي يمارسها أفراد من خارج الجهاز الحكومي تعود بالفائدة على الموظف العام من خلال سماحه لهم بالتهرب من القوانين والسياسات".⁽⁵⁾

الفرع الثاني: أنواع الفساد:

يعتبر الفساد ظاهرة معقدة ومتعددة⁽⁶⁾ وله عدة تقسيمات وتصنيفات تكون بحسب منطلق تصنيفها وتبويبها، فقد يصنف الفساد انطلاقا من أثره أو مدى انتشاره أو نشأته أو مجاله أو وفقا للقطاعات الخدمية أو نطاقه الجغرافي أو مرتكبه وغيرها من منطلقات أو معايير تصنيفه، وهنا سيعتمد الباحث في هذه الدراسة تقسيم الفساد الى اداري ومالي بالنظر للحدود التي رسمها المشرع الاردني لعلاقة التعاون الواجب توافرها بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة ومكافحة الفساد.

أولا: الفساد الإداري:

وإن كان مفهوم الفساد الإداري مفهوم مطاطي وضبابي يتعذر ضبطه بدقة، إلا إن هناك من عرفه على أنه: "الاخلال بشرف الوظيفة وبالقيم والمعتقدات التي يؤمن بها الشخص".⁽⁷⁾ وقد قيل في تعريف الفساد الإداري أيضا أنه:

¹ . <https://www.imf.org/ar/News/Articles/2017/09/18/sp091817-addressing-corruption-with-clarity>

² . يوسف، حسن (2014) الفساد الإداري والاقتصادي والكسب غير المشروع، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، ص 7.

³ . Peter ,Larmour , Wolanin, Nick (2013) Corruption and Anti-Corruption, ANU E Press, Australia, page 121.

⁴ . U Myint (2000) CORRUPTION: CAUSES, CONSEQUENCES AND CURES, Asia-Pacific Development Journal, Vol. 7, No. 2, December, page 37.

⁵ . ياغي، محمد (1995) الاخلاقيات في الوظيفة العامة، مركز احمد ياسين للنشر، عمان ، الاردن، ص 108.

⁶ . OECD (2008) Specialized Anti-Corruption Institutions , Review of models, page 18.

⁷ . طائي، حمزة وراضي، مازن (2015) الفساد الإداري في الوظيفة العامة، مركز الكتاب الاكاديمي، الطبعة الأولى، الاردن، عمان، ص 23.

الانحرافات الإدارية والوظيفية والتنظيمية التي تصدر عن الموظف المكلف بخدمة عامة"،⁽⁸⁾ وبالعادة يساق أمثلة لهذا النوع من الفساد تعيين الموظف غير المؤهل وغير الكفؤ، وضع الموظفين غير المؤهلين في رأس الوظائف الاشرافية، الإبقاء على أوضاع تنظيمية (سقيمة وغير منتجة) في الإدارة العامة، خلق أوضاع تنظيمية في الإدارة بقصد تعيين موظفين وترفيعهم دون حاجة حقيقية فعلية وغيرها من مظاهر الفساد الإداري.

ثانياً: الفساد المالي:

يُعرف هذا النوع من الفساد بأنه: "الانحرافات المالية ومخالفة الاحكام والقواعد القانونية المالية التي تنظم سير العمل المالي في الدولة ومؤسساتها، ومخالفة تعليمات أجهزة الرقابة المالية".⁽⁹⁾ كما عرف هذا النوع من الفساد بأنه: "التعدي على المال العام وبصورة رئيسية نفقات الدولة وإيراداتها.."، "الانحراف المالي القائم على مخالفة القوانين".⁽¹⁰⁾ ومن مظاهره الرشاوي والاختلاسات وغيرها من الأمثلة المرتبطة بهدر المال العام والاعتداء عليه.

تجدر الإشارة الى أن الباحث لم يقصد من هذه الدراسة تقييم هذه التعريفات والمفاهيم وإنما جاء استعراضها في اطار الحاجة للولوج للموضوع وربط مفرداته، لذا سيختص المطلب التالي ببيان المقصود بهيئة النزاهة ومكافحة الفساد وتوضيح معنى المرجع المختص في الإدارة العامة في اطار بحث التزام التعاون بينهما للكشف عن جرائم الفساد.

المطلب الثاني: التعريف بهيئة النزاهة ومكافحة الفساد والمرجع المختص في الإدارة العامة :

يتضمن هذا المطلب التعريف بهيئة النزاهة وواجباتها وأهدافها في الفرع الأول منه، وفي الفرع الثاني التعريف بالإدارة العامة وصولاً لتحديد المقصود بالمرجع المختص والموظفين الذين يشملهم هذا المفهوم.

الفرع الأول: التعريف بهيئة النزاهة ومكافحة الفساد:

بين المشرع الاردني في المادة الثانية من قانون النزاهة ومكافحة الفساد بأن هيئة النزاهة ومكافحة الفساد (Integrity and Anti-Corruption Commission) هي الهيئة المنشأة بمقتضى أحكام هذا القانون، وهي بحسب المادة الثالثة من ذات القانون تتمتع بشخصية اعتبارية وباستقلال مالي وإداري ولها بهذه الصفة القيام بجميع التصرفات القانونية اللازمة لتحقيق أهدافها بما في ذلك إبرام العقود وتملك الأموال المنقولة وغير المنقولة ولها حق التقاضي وينوب عنها في الإجراءات القضائية الوكيل العام.

وقد بين المشرع في المادة الرابعة من قانون النزاهة هدف الهيئة الرئيسي وهو "ضمان الالتزام بمبادئ النزاهة الوطنية ومكافحة الفساد"، وللهيئة في سبيل تحقيق هذا الهدف صلاحيات واسعة لا يضبطها الا القانون. فقد منح المشرع الهيئة صلاحية التحري عن الفساد المالي والإداري بكل أشكاله، والكشف عن المخالفات والتجاوزات وجمع الأدلة والمعلومات الخاصة بذلك ومباشرة التحقيقات والسير في الإجراءات الإدارية والقانونية اللازمة لذلك. وللهيئة العديد من الآليات والقنوات والادوات لتحقيق هذا الهدف كتفعيل منظومة القيم والقواعد السلوكية في الإدارة العامة، والتأكد من تقديم الخدمة للمواطن بجودة عالية وبشفافية وعدالة، والتأكد من التزام الإدارة العامة بمبادئ الحوكمة الرشيدة ومعايير المساواة والجدارة والاستحقاق وتكافؤ الفرص، وتطبيقها للتشريعات بشفافية وبما يحقق مبادئ العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، والتأكد من

⁸ . حميد، هند (2019) الفساد تعريفه وخصائصه، مجلة العلوم السياسية، العدد 55، جامعة بغداد، ص395.

⁹ . جبوري، سوسن (2014) الفساد الإداري والمالي وأهم اثاره الاقتصادية في العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، (21/7)، جامعة القادسية، ص 44.

¹⁰ . قذافي، عائشة ودأود، محمد وجمال الدين، محمد (2023) مكافحة الفساد المالي في القانون الليبي، مجلة جامعة المدينة العالمية، عدد 45، ليبيا، ص 317.

التزام السلطة التنفيذية بالشفافية عند وضع السياسات واتخاذ القرارات وضمان حق المواطن في الاطلاع على المعلومات وفقاً للتشريعات، والتأكد من وجود اطار قانوني ينظم مساءلة المسؤولين ومتخذي القرار في الإدارة العامة ومحاسبتهم، وتلقي شكاوى المتضررين وتظلماتهم ومكافحة اغتيال الشخصية، والتأكد من قيام مؤسسات الرقابة على القطاع الخاص و مؤسسات المجتمع المدني بوضع معايير الحوكمة الرشيدة وسلامة تطبيقها.

وللهيئة لذلك وفي سبيل ذلك _ كما سلف _ التحري عن الفساد المالي والإداري بكل أشكاله، والكشف عن المخالفات والتجاوزات وجمع الأدلة والمعلومات الخاصة بذلك ومباشرة التحقيقات والسير في الإجراءات الإدارية والقانونية اللازمة لذلك، وملاحقة كل من يرتكب أيّاً من أفعال الفساد وإتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك،" من تلقاء نفسها أو بناء على اخبار من أي جهة" (المادة 8) من قانون النزاهة).

الفرع الثاني: مفهوم المرجع المختص في الإدارة العامة:

في إطار بيان مفهوم المرجع المختص سيتعرض الباحث في البند "أولاً" من هذا الفرع للمقصود بالإدارة العامة وصولاً للبند "ثانياً" لتحديد معنى المرجع المختص في الإدارة العامة.

أولاً: الإدارة العامة:

أوردت المادة الثانية من قانون النزاهة ومكافحة الفساد _ وهي المادة الخاصة بالتعريفات والمعاني _ بأن الإدارة العامة تشمل: "الوزارات والدوائر الحكومية والمؤسسات الرسمية العامة والمؤسسات العامة والبلديات" ما لم تدل القرينة على غير ذلك.

من المعلوم أن تحقيق وحماية النزاهة ومكافحة الفساد هدف وعمل جماعي ومشترك بين جميع إدارات الدولة، ويجب أن تتضافر جهود جميع الوزارات والدوائر والمؤسسات والبلديات لتحقيقه، باعتبار أن هذه الإدارات تشكل السلطة التنفيذية في البلاد، و"تملك الولاية العامة لتسيير مرافق الدولة بكافة مكوناتها المالية والإدارية والفنية".⁽¹¹⁾

وقد قيل في تعريف الإدارة العامة (public administration) بأنها: "الإدارة المسؤولة عن تقديم الخدمات العامة للجمهور"،⁽¹²⁾ وقيل أيضاً بأنها "توجيه الجهود البشرية من خلال التخطيط والتنسيق وغيرها من العمليات الإدارية لممارسة الاعمال والانشطة الحكومية بما يحقق أهداف المجتمع".⁽¹³⁾ والإدارة العامة تعني كذلك "إدارة الدولة على المستويات الوطنية والمحلية والإقليمية"، وهي أيضاً "عملية تنظيم وإدارة الموارد البشرية والمادية لتحقيق أهداف الدولة، كما تُعد ذراع الحكومة لتنفيذ السياسات العامة، وبهذا يكون لها بُعدين أساسيين: بنيوي ووظيفي، فهي تعبر من الجانب البنيوي عن الهيكل التنظيمي للدولة، أما الجانب الوظيفي فهو عملية تنفيذ القوانين والسياسات العامة".⁽¹⁴⁾ وهناك من عبر عنها ببساطة بأنها "هي ما تقوم به الحكومة".⁽¹⁵⁾

وعليه يمكن القول أن الإدارة العامة هي جهاز الدولة التنفيذي والذي يشمل جميع مؤسسات الدولة وانشطتها

¹¹ . ابو عزام، صدام ، (2016) تقييم النزاهة الوطني في الأردن، مركز رشيد، الشفافية الدولية، عمان، الاردن، ص 57.

¹² . عيبروس، اغادير، (بلا) مقدمة في الإدارة العامة، منشورات جامعة ام القرى، المملكة السعودية، ص 5.

¹³ . سواط، طلق وسندي، طلعت وشريف، طلال(2011) الإدارة العامة -المفاهيم - الوظائف الانشطة، دار الحافظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ص7.

¹⁴ . Parlak,Bekir and Caner, Kadir(2022) THE HANDBOOK OF PUBLIC ADMINISTRATION, Vol. 1, Livre de Lyon, Lyon, France,page 1-4.

¹⁵ . Shafritz,Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, Ninth Edition, Taylor & Francis, new York, page 6.

وسياساتها بإستثناء السلطة القضائية والسلطة التشريعية، والإدارة العامة في الدولة متعددة الاهداف والاختصاصات وكثيرة الاختلاف في الاحجام والهياكل، وهي في الواقع الاكثر تأثيرا في حياة المجتمع، وفيها تُرتكب أفعال الفساد، وفيها تكافح وتحارب، وفيها يكون السعي لتحقيق النزاهة، "إذ يعبر مدى الإصلاح الذي وصلته الإدارة العامة عن مدى تطور المجتمع، فهي مرآة الدولة الحقيقية".⁽¹⁶⁾ ويفترض في سياساتها وأنشطتها أن تسعى لتقديم أفضل مستوى ممكن من الخدمات العامة وفقا للأنظمة والقوانين، وأن تكون شريكا حقيقيا للهيئة في تطبيق معايير النزاهة الوطنية ومكافحة الفساد، إذ على الإدارة العامة أن "تلتزم بتطبيق مبادئ الشفافية وقيمها في العلانية والإفصاح في أداء مهامها التنظيمية والإجرائية وتوظيف كوادرها وفي علاقاتها الداخلية والخارجية وتعاقباتها".⁽¹⁷⁾

ثانيا: تعريف المرجع المختص في الإدارة العامة:

جريا على السياق وبعد بيان المقصود بالإدارة العامة والاشارة لضرورة الشراكة والتعاون بين هيئة النزاهة وكافة إدارات الدولة في مكافحة الفساد وتطبيق معايير النزاهة الوطنية، ينتقل الباحث لتوضيح المقصود بالمرجع المختص لغايات هذه الدراسة من حيث إنه يعبر عن مسؤولي الإدارة العامة المعنية ولا يعبر عن مفهوم الإدارة العامة الفني الشامل.

"بالاستناد للعديد من المبادئ التنظيمية في الإدارة العامة كمبدأ وحدة القيادة ومبدأ وحدة الرئاسة وتفرع مبدأ التسلسل الإداري عنه، من أن الرئيس يصدر أوامره وتعليماته الى رؤوسيه المباشرين فلا يتعداهم الى من هم دونهم"،⁽¹⁸⁾ يمكن تعريف المرجع المختص في الإدارة العامة (The competent authority in public administration) بأنه: "الموظف المسؤول الذي يملك صلاحية إتخاذ القرار في الإدارة العامة المعنية أو اصدار التوجيهات لموظفيه بشأن محدد أو له صلاحية إدارة كافة شؤون الإدارة العامة المعنية".

"وهذا المفهوم يشمل الوزير فيما يختص بوزارته والدوائر المرتبطة به، وتشمل كلمة الوزير: رئيس الوزراء فيما يتعلق بموظفي رئاسة الوزراء، المرجع المختص فيما يتعلق بموظفي الديوان الملكي، رئيس مجلس الأعيان، فيما يتعلق بموظفي مجلس الأعيان، ورئيس مجلس النواب فيما يتعلق بموظفي مجلس النواب ورئيس مجلس الأعيان فيما يتعلق بموظفي مجلس النواب إذا كان المجلس منحلًا، رئيس المجلس القضائي فيما يتعلق بموظفي الأمانة العامة للمجلس القضائي، رئيس أي دائرة يمارس صلاحيات الوزير بموجب تشريعات خاصة بموظفي الدائرة، الامين العام، مدير عام الدائرة".⁽¹⁹⁾ كما يشمل هذا المفهوم "القيادات العليا: أي شاغلو وظائف المجموعة الثانية من الفئة العليا الذين يتولون قيادة جهود الموظفين في الدائرة لتنفيذ السياسة العامة والاستراتيجيات والخطط والبرامج، وإدارة الجهاز التنفيذي بما يضمن تحقيق الاهداف الوطنية والقطاعية. ويشمل القيادات التنفيذية: أي شاغلو وظائف الإدارة الوسطى الذين يتولون إدارة موارد الدائرة بما يمكن شاغلي وظائف الفئة العليا من تحقيق الأهداف وتنفيذ الاستراتيجيات والخطط والبرامج والمشاريع، وتشمل الوظائف الإشرافية من مساعد أمين عام ومدير ورئيس وحدة تنظيمية، وأي مستوى اخر أو وظيفة يقرر مجلس الوزراء اعتبارها من القيادات الحكومية".⁽²⁰⁾⁽²¹⁾

¹⁶ . عيد، هدي (2013) الإصلاح السياسي كآلية لمكافحة الفساد الإداري في الجزائر، اطروحة دكتوراة، جامعة الجزائر، الجزائر، ص 309.

¹⁷ . المادة (15) من قانون النزاهة.

¹⁸ . قطيش، عبداللطيف (2013) الإدارة العامة من النظرية الى التطبيق، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي، بيروت، لبنان، ص 125.

¹⁹ . المادة (2) نظام إدارة الموارد البشرية في القطاع العام - رقم (33) لسنة 2024 وتعديلاته.

²⁰ . المادة (3) من نظام القيادات الحكومية رقم 70 لسنة 2024.

²¹ . نصت المادة (9) من نظام إدارة الموارد البشرية في القطاع العام على أنه: " تصنف الوظائف في القطاع العام وفقاً لطبيعتها والكفايات المرتبطة بها على النحو التالي:-

وبجميع الاحوال فإن الباحث لا يقصد أن واجب التعاون يقتصر على المرجع المختص أي صاحب القرار في الإدارة العامة فقط، ذلك أن الإبلاغ عن الجرائم وجرائم الفساد والتعاون مع الجهات المختصة واجب عام يشمل جميع الموظفين، لكن هذه الدراسة تعنى بشكل جوهري بمعالجة واجب المرجع المختص بالتعاون المثمر والخصب مع الهيئة، تاليا سيعرض الباحث لمفهوم التعاون في المطلب الثالث.

المطلب الثالث: مفهوم التعاون في العلاقة بين هيئة النزاهة والإدارة العامة وأساسه القانوني:

ينقسم هذا المطلب الى فرعين: الأول يختص بتحديد المقصود بالتعاون أما الفرع الثاني سيتناول الأساس القانوني للالتزام بالتعاون.

الفرع الأول: المقصود بالتعاون:

يعني التعاون لغويا: [ع و ن]. (فعل: خماسي لازم). تعاونتُ، أتعاون، تعاون مصدر تعاون. :-تعاون سَكَّانُ الْقَرْيَةِ :- : عَاوَنَ، أَعَانَ، سَاعَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَرَزَ. " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (قرآن/المائدة الآية 2) : تَأَزَّرُوا. وَالْعَوْنُ: الظَّهِيرُ، لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وَالْمُؤَنَّثِ، وَعِوُنٌ أَعْوَانًا. وَاسْتَعْنَتْهُ، وَاسْتَعْنَتْ بِهِ فَأَعَانَنِي وَعَوَّنَنِي.⁽²²⁾

أ- وظائف الفئة العليا: يتولى شغلها قيادة جهود الموظفين في الدائرة لتنفيذ السياسة العامة والاستراتيجيات والخطط والبرامج، وإدارة الجهاز التنفيذي بما يضمن تحقيق الاهداف الوطنية والقطاعية، وتقسّم هذه الوظائف الى المجموعتين التاليتين:-

1-المجموعة الأولى:-

رئيس ديوان المحاسبة.

رئيس هيئة الخدمة والإدارة العامة.

رئيس ديوان التشريع والرأي.

أمين عام رئاسة الوزراء.

ويتقاضى من يشغل أيا من وظائف هذه المجموعة راتب الوزير العامل وعلاواته وامتيازاته.

2-المجموعة الثانية:-

الأمين العام.

المحافظ في وزارة الداخلية.

المستشار في رئاسة الوزراء أو في ديوان التشريع والرأي الذي يقرر مجلس الوزراء تعيينه في هذه المجموعة بناءً على تنسيب رئيس الوزراء.

أمين سر مجلس الوزراء.

مدير عام مكتب رئيس الوزراء.

مدير عام مكتب رئيس مجلس الأعيان.

مدير عام مكتب رئيس مجلس النواب.

مراقب عام الشركات.

أمين سجل الجمعيات.

المدير التنفيذي في الهيئة.

ب- وظائف الإدارة الوسطى: يتولى شغلها إدارة موارد الدائرة بما يمكن شاغلي وظائف الفئة العليا من تحقيق الأهداف وتنفيذ الاستراتيجيات والخطط والبرامج والمشاريع، وتشمل الوظائف الإشرافية من مساعد أمين عام ومدير ورئيس وحدة تنظيمية.

ج-الوظائف التخصصية: يتولى شغلها تنفيذ الأعمال التخصصية والفنية ضمن نطاق اختصاص الدائرة .

د- الوظائف الإدارية والمهنية المساندة: يتولى شغلها تنفيذ الأعمال المالية والإدارية والنقل والصيانة وغيرها من الأعمال المساندة التي تمكن الدائرة من تنفيذ عملياتها الرئيسية."

²² . (معجم المعاني) <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%88%D9%86/?>

أما اصطلاحاً بالتعاون (Cooperation) هو: "مُظَاهَرَةُ الشَّخْصِ غَيْرِهِ وَمُسَانَدَتُهُ لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مُعَيَّنٍ"،⁽²³⁾ وأنه "تنظيم مجهودات الافراد المشتركة وما يملكونه من وسائل مادية أو أدبية للوصول الى أهدافهم"،⁽²⁴⁾ وقيل كذلك في تعريفه: "الإتيان بكل خصلة مأمور بفعلها، والامتناع عن كل خصلة مأمور بتركها بالذات وبمعاونة الغير"،⁽²⁵⁾ وهناك من قال بأنه: "تبادل المساعدة والمعرفة بين الافراد والجماعات".⁽²⁶⁾

والتعاون يرتبط بحسن التنسيق وحسن الاتصال الإداري سواء على مستوى الإدارة المعنية ذاتها أو على مستوى الجهاز التنفيذي للدولة ككل. إذ للتنسيق والتعاون وحسن الاتصال أهمية كبيرة في السعي لتطبيق معايير النزاهة (Integrity Standards) ومكافحة الفساد (Anti-Corruption)، وذلك لتركيز الجهود وتحقيق الاهداف الاستراتيجية في مكافحة الفساد بما يحقق المصلحة العامة ويحفظ المال العام ويعزز ثقافة مكافحة الفساد ونشر قيم النزاهة، ويسهل الكشف عن جرائم الفساد باعتبارها من "الجرائم التي يصعب اثباتها والكشف عنها".⁽²⁷⁾ ناهيك عن أن سعي الإدارة لخلق حالة من (التعاون المثمر) مع هيئة النزاهة و"مساهمة الإدارة العامة في مكافحة الفساد يعد عنصراً من عناصر الإدارة الجيدة (Good administration)".⁽²⁸⁾ وهذا سيساهم في "تحقيق انسجام وتوافق يحقق الاهداف المرسومة بأقل كلفة وأفضل نتيجة وبأسرع وقت".⁽²⁹⁾ بل أن هذا التعاون باعتباره عنصراً هاماً في الشراكة المجتمعية "يعد مطلباً من متطلبات التنمية، إذ إن انتشار الفساد يتسبب في خفض الاستثمارات وينعكس سلباً على البنية التحتية ما يضعف فعالية المساءلة والشفافية وسيادة القانون".⁽³⁰⁾ والتعاون يعد ضرورة استراتيجية وطنية لمكافحة الفساد تتطلب تنسيق السياسات وتنسيق تنفيذ الإجراءات، وهو لازمة حيوية لنجاح سياسة مكافحة الفساد وتدابير التنفيذ، إذ لا بد من التنسيق والتعاون المؤسسي في التحقيق والتحري والملاحقة في قضايا الفساد".⁽³¹⁾ وهذا سينعكس إيجاباً على الجهتين بشكل يؤدي الى تحقيق رقابة فعالة مركزة كفؤة تساهم في تطوير وتنفيذ الخطط المستقبلية (INTOSAI – International Organization of Supreme Audit Institutions)⁽³²⁾.

الفرع الثاني: الأساس القانوني للالتزام بالتعاون:

إن واجب تعاون (المثمر والخصب - Fruitful and Productive Cooperation) الإدارة العامة مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد يجد أساسه القانوني في نصوص المنظومة التشريعية الاردنية حيث تحض وتوجب التنسيق والتعاون بين مختلف الإدارات العامة في تنفيذ السياسات، وخاصة النصوص القانونية الواردة في قانون النزاهة ومكافحة

²³ . (الجمهرة) <https://islamic-content.com/dictionary/word/2964/ar>

²⁴ . درديري، يحيى (1927) كتاب التعاون، الطبعة الثالثة، مطبعة مصر، القاهرة، ص 45.

²⁵ . هادي، مصطفى البكري (2021) التعاون: مشروعيته وضوابطه وتطبيقاته في المعاملات المالية، بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية، المجلد الخامس، العدد 16، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والاداب، مصر، ص 85.

²⁶ . فارس، علي (2022) التعاون نشأته وفلسفته وأنواعه، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا، ص 244.

²⁷ . Nobumichi Teramura, Luke Nottage, Bruno Jetin (2024) Corruption and Illegality in Asian Investment Arbitration, Springer, Singapore, page 151.

²⁸ . Carloni, Enrico (2019) Preventing corruption through administrative measures, Morlacchi Editore, Borgoricco, Italy, page 140.

²⁹ . قطيش، عبداللطيف (2013) الإدارة العامة من النظرية الى التطبيق، ص 143.

³⁰ . معزب، عادل (2020) الحكم الرشيد والتنمية في البلاد العربية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات، برلين، ألمانيا، ص 22 و 29.

³¹ . OECD (2008) Specialized Anti-Corruption Institutions, Review of models, page 22.

³² . انتوساي (بلا سنة) التنسيق والتعاون بين الاجهزة العليا للرقابة المالية والمحاسبية والمدققين الداخليين في القطاع العام، بلا ناشر، استراليا، ص 7.

الفساد التي تمنح هيئة النزاهة صلاحية التحري والتقصي (Investigation and Inquiry) والاستعلام وطلب البيانات ومتابعة الإبلاغ عن شبهات وجرائم الفساد، كالمادة (4/ط/ي) منه والتي أوجبت على الهيئة "التحري عن الفساد المالي والإداري بكل أشكاله، والكشف عن المخالفات والتجاوزات وجمع الأدلة والمعلومات الخاصة بذلك ومباشرة التحقيقات والسير في الإجراءات الإدارية والقانونية اللازمة لذلك، وملاحقة كل من يرتكب أيًا من أفعال الفساد وإتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك"، وكذلك في المادة (15) من ذات القانون التي ألزمت الإدارة العامة "بتطبيق مبادئ الشفافية وقيمها في العلانية والإفصاح في أداء مهامها التنظيمية والإجرائية وتوظيف كوادرها وفي علاقاتها الداخلية والخارجية وتعاقباتها". وأيضاً يجد واجب الإدارة العامة بالتعاون مع هيئة النزاهة أساسه القانوني في المادة (20) من قانون النزاهة والتي رتبت عقوبة الحبس أو الغرامة (مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر أو بغرامة لا تزيد على خمسمائة دينار) على أي شخص أو جهة امتنع أو تأخر بشكل غير مبرر في الاستجابة لطلب الهيئة لاية بيانات أو معلومات أو وثائق، بل جعل المشرع للهيئة في ذات المادة الحق بالطلب من المؤسسات الرقابية الرسمية إجراء عمليات التدقيق والخبرة الفنية اللازمة على الجهات الخاضعة لرقابتها لتمكين الهيئة من القيام بمهامها، وللهيئة أيضاً الاستعانة بأي شخص أو شركة أو جهة متخصصة للقيام بأعمال التدقيق الفني والمالي والإداري على الجهات المشمولة بأحكام هذا القانون للتحقق من صحة بياناتها المالية وقيودها وحساباتها وجميع تصرفاتها المالية.⁽³³⁾ وعلى المرجع المختص في الإدارة العامة التعاون وتمكين هذه الجهات من تنفيذ مهمتها.

كما أن النص على ضرورة التعاون بين هيئة النزاهة والإدارة العامة في مجالات النزاهة ومكافحة الفساد جاء في المواثيق والاتفاقيات الدولية التي التزمت بها الدولة الأردنية، حيث ورد في المادة (18) من الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد (The Arabic convention against Corruption) والمادة (38) من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ((UNCAC) United Nations Convention against Corruption) أن على: "أطرافها ووفقاً لقوانينها الداخلية إتخاذ التدابير اللازمة لتشجيع التعاون بين سلطاتها العمومية وموظفيها من جانب وبين سلطاتها المسؤولة عن التحقيق في الأفعال الجرمية وملاحقة مرتكبيها بما في ذلك الإبلاغ عن شبهات الفساد وتزويد الجهات المختصة بكافة المعلومات الضرورية بناء على طلبها". وكذلك المادة 50 من اتفاقية الأمم المتحدة والمادة 26 من الاتفاقية العربية أوجبت إتخاذ التدابير اللازمة للرصد والتحري السري الإلكتروني وغير الإلكتروني. كما أجازت المادة 2/65 منهما إتخاذ تدابير أكثر صرامة وشدة من الأحكام المنصوص عليها في الاتفاقية في سبيل منع ومكافحة الفساد.

بعد عرض مفهوم التعاون والاساس القانوني لالتزام الإدارة العامة بالتعاون مع هيئة النزاهة، سينتقل الباحث لدراسة التزام المرجع المختص بالتعاون مع الهيئة من الناحية القانونية والاخلاقية واشكال هذا التعاون وضوابطه في المبحث التالي.

³³ . المادة (20) من قانون النزاهة : "أ. مع مراعاة احكام التشريعات النافذة، للهيئة في سبيل قيامها بمهامها طلب أي بيانات أو معلومات أو وثائق من أي شخص أو من أي جهة كانت، وعليهم الاستجابة للطلب دون إبطاء تحت طائلة المسؤولية القانونية.
ب. يعاقب على الامتناع أو التأخير غير المبرر عن تقديم البيانات أو المعلومات أو الوثائق المطلوبة وفقاً لأحكام الفقرة (أ) من هذه المادة بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر أو بغرامة لا تزيد على خمسمائة دينار .
ج. للهيئة الطلب من المؤسسات الرقابية الرسمية إجراء عمليات التدقيق والخبرة الفنية اللازمة على الجهات الخاضعة لرقابتها لتمكين الهيئة من القيام بمهامها.
د. للهيئة في اثناء التحقيق في اي قضية فساد ان تكلف ايًا من الاشخاص أو الشركات أو الجهات المتخصصة للقيام بأعمال التدقيق الفني والمالي والإداري على الجهات المشمولة بأحكام هذا القانون للتحقق من صحة بياناتها المالية وقيودها وحساباتها وجميع تصرفاتها المالية.

المبحث الثاني: التزام المرجع المختص بالتعاون مع هيئة النزاهة:

يختص هذا المبحث بمعالجة هذا الالتزام والواجب من الناحية القانونية والاخلاقية في المطلبين الأول والثاني، أما المطلب الثالث سيعرض الباحث فيه لأشكال وضوابط هذا الالتزام وحدوده.

المطلب الأول: التزام المرجع المختص بالتعاون من الناحية القانونية:

جريا على السياق واستكمالا لما سبق يمكن ولغايات وحدود هذه الدراسة تعريف التزام المرجع المختص بالتعاون مع هيئة النزاهة بأنه: "التزام المرجع المختص بإعانة ومساعدة هيئة النزاهة بشكل مسؤول بالاستجابة لطلب الهيئة بتزويدها بأي معلومات أو بيانات أو وثائق دون إبطاء، وتمكين وتسهيل مهمة موظفي الهيئة المختصين أو من تكلفهم الهيئة لدى قيامهم بأعمال التحقيق والتحري والتقصي الإلكتروني وغير الإلكتروني وإية مهام قانونية أخرى". كما يمكن تعريف هذا الالتزام تعريفا مختصرا بأنه: "تقديم المرجع المختص في الإدارة العامة المعلومة للهيئة بشكل مسؤول ومحدد وواضح وصادق شفاف دون إبطاء".

من الناحية النظرية وبشكل أساسي يجب على المرجع المختص أن لا يُقدم على أي فعل أو امتناع الا وفقا للقوانين والانظمة، وأن لا يقوم بمعالجة أي مستجد الا بما يتواءم مع هذه القوانين والانظمة، ذلك أن الإدارة العامة "بطبيعتها هي تنفيذ للقانون، وكل تطبيق للقانون هو بالضرورة فعل إداري من هذا الحث، ولا توجد إدارة بدون هذا الأساس القانوني"⁽³⁴⁾⁽³⁵⁾.

كما سبق البيان أوجب المشرع في المادة (20) من قانون النزاهة على المرجع المختص بالإدارة العامة أن يقدم للهيئة أي بيانات أو معلومات أو وثائق تطلبها ودون إبطاء، وأن يلتزم بتسهيل عمل موظفي هيئة النزاهة لديها وموظفي المؤسسات الرقابية الرسمية المكلفين من قبل الهيئة أو أي شخص أو جهة مكلف بمهمة من قبل الهيئة، وأن لا يعيق عملهم، وأن يلتزم "بواجب الإفصاح (Disclosure) بشكل شفاف والمشاركة المسؤولة والمصادقية والوضوح"⁽³⁶⁾. أي أن هذا الالتزام لا يقتصر على مجرد تقديم البيانات والوثائق، بل أن شعور المرجع المختص بأنه شريك يتحد مع الهيئة في الهدف المشترك في حماية النزاهة ومكافحة الفساد يجعله مسؤولا بأن تكون البيانات والمعلومات المقدمة صحيحة وواضحة، خاصة بالنسبة للمعلومات الفنية المتخصصة.

ويرتبط بهذا الالتزام ترويج ونشر المرجع المختص لهذا الالتزام على كافة المستويات الإدارية، والمساهمة في تعزيز ثقافة التعاون لمكافحة الفساد وتعميم ادبيات النزاهة، إذ إن بيئة العمل وثقافة الإدارة لها أهمية كبيرة في جهود مكافحة الفساد وتعميق الالتزام بالتعاون مع هيئة النزاهة. وهذا يعكس ضرورة التعاون من قبل المرجع المختص ذلك أن "البديل هو خلق ثقافة تنظيمية ضعيفة وسلبية غير متماسكة، ما يكون سببا في انتشار الممارسات الفاسدة"⁽³⁷⁾ وشيوع ثقافة (استمراء) الفساد، وهذا سيؤثر سلبا على النظام الاجتماعي والسياسي في الدولة"⁽³⁸⁾ "ويؤدي الى خلق جيوب للافلات

³⁴. Shafritz, Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, page 11.

³⁵. معزب، عادل (2020) الحكم الرشيد والتنمية في البلاد العربية، ص 22.

³⁶. سبيعي، فارس (2010) دور الشفافية والمساءلة في الحد من الفساد الإداري في القطاعات الحكومية، اطروحة دكتوراة، جامعة نايف للعلوم الامنية، الرياض، السعودية، ص 15.

³⁷. كافي، مصطفى (2016) الاعلام والفساد الإداري والمالي وتداعياته على العمل الحكومي، الطبعة الأولى، مكتبة حامد، عمان، الاردن، ص 145.

³⁸. كروزي، رونالد واخرين (2022) مكافحة الفساد عبر التاريخ، الجزء الأول، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ص 22.

من العقاب وضياع الحقوق"،⁽³⁹⁾ علاوة على أن هذا الالتزام أداة من أدوات الإدارة العامة "لإرساء ثقافة مؤسسية ممكنة ومحفزة لخدمة المواطن وتقبل التغيير الإيجابي والتركيز على النتائج وتعزيز التمكين والمساءلة وتوفير امکانات اللازمة لذلك"⁽⁴⁰⁾، كما أنه يعد جزء من الثقافة المؤسسية (corporate culture) وأخلاقيات الوظيفة (Work Ethics)، ذلك أن "الوظيفة العامة مسؤولية وأمانة محورها خدمة الوطن والمواطن تحكمها قواعد قانونية ومبادئ أخلاقية وسلوكية ويتطلب حسن أدائها مسؤوليات على كل من الدائرة والموظف بما في ذلك الالتزام بالسياسات والقيم والبرامج التي تعزز الثقافة المؤسسية".⁽⁴¹⁾

إن التزام المرجع المختص بهذا التعاون يرتبط بشكل هام بجهود الإدارة العامة في مكافحة الفساد، لذا فإن هذا التعاون يعتبر مهمة يومية يجب أن يقوم بها المرجع المختص، تفرضها التزامه بالقوانين والأنظمة، وعدم الالتزام بهذه المهمة يشكل مخالفة للقانون وجريمة، إذ إن "هناك علاقة عضوية بين عدم أو الخلل في الالتزام بأحكام القانون ونزاهة تطبيقه والفساد، فالفساد نتيجة حتمية لعدم قيام الإدارة العامة بتطبيق القانون والانحراف بتطبيقه".⁽⁴²⁾ ومن البديهي أن المقصود هنا هو "التعاون المثير" وليس "التعاون الكسول (Passive Cooperation)" أو "التعاون المضلل (Misleading Cooperation)"، وهذا يتطلب من المرجع المختص أن يؤدي التزامه هذا بعمومية وتجرد ونزاهة دون تمييز أو انتقائية، فلا يتعاون في مسألة ويمتنع في مسألة أخرى بناء على دوافع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو شخصية وتحت طائلة المساءلة القانونية.

وعليه فإن المرجع المختص بصفته مسؤولاً في السلطة التنفيذية، ملزم قانونياً وإدارياً بالتعاون الكامل والشفاف والصادق والمثمر مع هيئة النزاهة ومكافحة الفساد عند طلب معلومات أو مستندات من الإدارة العامة أو عند إجراء التحقيق والتحقق والاستعلام والتدقيق بشبهات الفساد أو ما يتعلق بتطبيق معايير النزاهة وذلك تحت طائلة المساءلة القانونية كما سبق البيان. كما أنه ملزم بالإبلاغ عن أي شبهات فساد تصل إلى علمه سواء للهيئة أو المدعي العام المختص بالإضافة لعدم عرقلة عمل الهيئة والسماح للجان التفتيش بالعمل بحرية داخل الإدارة، ويستوجب هذا الالتزام سرعة الاستجابة لطلبات هيئة النزاهة، وسرعة توفير البيانات والمستندات ذات الصلة، تجاوز الضغوط الاجتماعية والسياسية، ودعم تنفيذ توصيات الهيئة عند صدورها بعد التنسيق مع المرجع المختص من الناحية الفنية لتكون التوصيات أكثر واقعية وقابلة للتطبيق.

المطلب الثاني: التزام المرجع المختص بالتعاون من الناحية الأخلاقية:

إن الالتزام بالنزاهة ومكافحة الفساد وما يفرضه من التزامات وواجبات فرعية هو بالأساس التزام أخلاقي وواجب ديني قبل أن يكون التزاماً قانونياً، إذ تجد له مصادر عديدة من هذه الناحية كالموروث الثقافي والعادات والتقاليد والأديان السماوية المسيحية واليهودية والدين الإسلامي، إذ ورد النص على تحريم الفساد في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، فقد قال الله تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) ﴿٢٠٥ البقرة﴾ (وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) ﴿٧٧ القصص﴾. وكذلك الأمر فقد حث الشارع الكريم على التعاون في كل

³⁹ . جونسون، مايكل (2008) متلازمات الفساد، الثروة والسلطة والديمقراطية، ترجمة نايف الياسين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ص 283.

⁴⁰ . المادة (28) من نظام إدارة الموارد البشرية في القطاع العام رقم (33) لسنة 2023.

⁴¹ . المادة (27، 28، 29) من نظام إدارة الموارد البشرية في القطاع العام.

⁴² . خير الله، دأود وآخرين (2014) الفساد وإعاقة التغيير والتطور في العالم العربي، المنظمة العربية لمكافحة الفساد، المركز العربي للأبحاث، بيروت، لبنان، ص 76.

خير، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) ﴿٢٠ المائدة﴾. كما ورد الحث على التعاون في الانجيل "لا تدعوا الخطية تسود في أجسادكم المائتة، ولا تطيعوا شهواتها. ولا تقدموا أعضاءكم للخطية كأدوات للإثم، بل قدموا أنفسكم لله كأحياء من الأموات، وقدموا أعضاءكم لله كأدوات للبر". (رومية 6: 12-13)

تجدر الإشارة أيضا الى أن ارتباط الاخلاق بالوظيفة والإدارة العامة ارتباط قديم، وتحلي الموظف العام (Public Official) بالاخلاق والنزاهة (Ethics and Integrity) وتغليبه للمصلحة العامة في عمله ضرورة ليست جديدة بل هي الاصل، وإن تعرض مستواها للحد والجزر من شخص لآخر أو من فترة زمنية لآخرى أو من مجتمع لآخر. وهناك من يرى أن المفاهيم الحديثة "حول الشرف تعود إلى الحضارتين اليونانية والرومانية القديمتين، حيث كان الشرف مرتبطاً بالخدمة العامة النزاهة والتضحية الشخصية من أجل الصالح العام"،⁽⁴³⁾ "والمسؤولون الإداريون ذوو النزاهة يؤمنون أن لديهم واجباً أخلاقياً خاصاً اتجاه الناس الذين يخدمونهم،⁽⁴⁴⁾ خاصة أن منظومة الاخلاق "تعتبر جزء أساسيا في حياة المجتمعات وانهارها يؤدي حتما الى زوال أسباب القوة وانتشار الفساد".⁽⁴⁵⁾

لذلك فإن العمل في الإدارة العامة يتطلب التزاما اخلاقيا خاصا ويقتضي "التنقل في هرم معقد من المستويات الأخلاقية بين (الاخلاق الشخصية أي شعور الفرد بالخطأ والصواب بناء على موارثه الاخلاقي من الدين والعادات والتقاليد والتجارب، وهذا هو الاساس، وبين الاخلاق المهنية التي تعبر عن القواعد والمعايير الخاصة بمهنة الإدارة العامة، وتلك التي تتطلبها المؤسسة، وبين متطلبات المجتمع الاخلاقية أو الاخلاق الاجتماعية والتي توجب على الموظف الحكومي التصرف بشكل يعزز تحقيق الصالح العام وحماية الحقوق".⁽⁴⁶⁾ وبالنتيجة تتفاعل هذه المستويات من القيم والقواعد لتشكل الاطار الاخلاقي الذي يعمل ضمنه المرجع المختص، وفيه يكون المرجع المختص عاملا أساسيا في تحقيق الدرجة المطلوبة من التعاون لتحقيق النزاهة ومكافحة الفساد أو لا يكون، لذا فإن التزام المرجع المختص بالتعاون مع هيئة النزاهة هو في اساسه التزاما أخلاقيا يفرضه موارثنا الثقافي الاردني والموروث الديني وتفرضه أخلاقنا علاوة على أساسه القانوني، إذ إن هيئة النزاهة وحدها لا تستطيع القيام بمكافحة الفساد وتطبيق معايير النزاهة، وإنما تحتاج لتسيق جهودها وجهود الإدارة العامة لتنفيذ السياسات العامة ومنظومة القوانين الخاصة بالنزاهة ومكافحة الفساد، والمرجع المختص غير المتعاون والذي لا يسهل مهمة الهيئة في إدارته لتقوم بواجباتها، يتجرد من التزامه الاخلاقي بالتعاون مع هيئة النزاهة، وهذا ما يشكك في صلاحيته لشغل منصبه إما لضعفه في الإدارة أو لارتباطه بالاختلالات والمخالفات .

وهذا الطرح ينسجم مع السياسة العامة لمنظومة الموارد البشرية في القطاع العام الاردني، إذ اعتبرت المادة (4و5) من نظام إدارة الموارد البشرية الاردني رقم 33 لسنة 2024 وتعديلاته أن: "الوظيفة العامة تهدف الى خدمة الوطن والمواطن تحقيقاً للمصلحة العامة من خلال مجموعة من المبادئ السلوكية والأخلاقية التي تعزز أداء الموظف وترسخ لديه ثقافة مؤسسية تستند إلى العديد من القيم كالجدية والإخلاص والدقة والأمانة والحفاظ على المال العام وسيادة القانون والشفافية والعدالة والمساءلة والعقاب وغيرها من القيم....". وفي الحقيقة إن بعض هذه القيم أخلاقي ويبدو غير منضبط المفهوم من الناحية القانونية_ ومع ذلك أورده المشرع كقيمة أخلاقية مجتمعية توجب على المرجع المختص الاتصاف بها، وليكون بإمكانه التأكد من وجودها بين موظفيه والعمل على تنفيذ مقتضاها، ومن ثم فإن التزام المرجع المختص بالتعاون

⁴³. Shafritz, Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, page 190.

⁴⁴. Shafritz, Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, page 194.

⁴⁵. حضرمي، عمر (2014) ظاهرة الفساد، الخطورة والتحدي، مشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الاردنية، ص 55.

⁴⁶. Shafritz, Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, page 201.

مع هيئة النزاهة وتسهيل مهمتها للكشف عن جرائم الفساد وتطبيق معايير النزاهة في إدارته، التزام أخلاقي أولاً وقانوني ثانياً.

وهذا الالتزام الأخلاقي بالتعاون مع هيئة النزاهة يرتبط بقناعته الشخصية بأن النزاهة ومكافحة الفساد غاية وهدف يسعى لتحقيقه بدافع ضميره ونيته الصادقة وواجبه المعنوي لأداء وظيفته بنزاهة وشفافية، وليس فقط خضوعاً لأحكام القانون كما هو الحال بالنسبة للالتزام القانوني. ولا يخفى أهمية توافر هذا الالتزام الأخلاقي لدى المرجع المختص، إذ إنه بتعاون الطوعي يختصر الكثير من المسافات ويدفع إدارته للنهوض والتميز وحفظ المال والصالح العام. وجدير بالذكر أن عدم تنفيذ المرجع المختص للالتزام الأخلاقي هذا، لا يترتب أثراً قانونياً أو عقوبة ولا يعتبر مقصراً إلا إذا ثبت من الناحية القانونية ارتكابه لجرم عدم التعاون أو التقصير أو التأخر غير المبرر في ذلك.

المطلب الثالث: أشكال ومظاهر وضوابط التزام المرجع المختص بالتعاون مع هيئة النزاهة:

كما سلف البيان فإن قيام الهيئة بواجباتها ومهامها المنصوص عليها في قانون النزاهة يستوجب التعاون والتنسيق بين الهيئة والإدارة العامة لتنفيذ سياسات وقوانين مكافحة الفساد (4/8 قانون النزاهة)، وهذا التنسيق والتعاون التام متبادل بين الجهتين، وسيعمل الباحث في الفرعين الآتيين على بيان أشكال وحدود وضوابط هذا التعاون.

الفرع الأول: أشكال ومظاهر التعاون بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة ومقتضياته:

للهيئة العديد من الأهداف والمهام التي يمكن تحديدها لغايات هذه الدراسة بتطبيق معايير النزاهة الوطنية ومكافحة الفساد الإداري والمالي على كافة المستويات الإدارية، ولعل التزام تعاون المرجع المختص من أهم أدوات الهيئة للكشف عن عيوب وثغرات العمل الإداري وعن شبهات وجرائم الفساد والتحري والتقصي من تلقاء نفسها أو بناء على إخبارات ترد إليها. ولتكون الهيئة قادرة على ممارسة مهامها والتثبت من مدى صحة شبهات الفساد وجمع الأدلة للثبات أو النفي، فإنها تلجأ في تعاملها مع الإدارة العامة إلى العديد من الأساليب للحصول على المعلومات والبيانات من الإدارة العامة بشأن الشكاوى والتظلمات وبمقتضى تطبيق معايير النزاهة الوطنية (سيادة القانون (Rule of Law)، المساءلة والمحاسبة (Accountability)، الشفافية (Transparency)، العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص (Justice, Equality, and Equal Opportunity)، الحوكمة الرشيدة (Good Governance))، ومن أساليب الهيئة الرئيسية التي تعين الهيئة في ممارسة أعمالها، الأساليب التالية:

1. تسطير كتاب خطي للإدارة العامة يصدر عن رئيس الهيئة بطلب بيانات أو وثائق تتعلق بشكوى أو تظلم أو بشأن آخر يخص (فعل أو امتناع) يتعلق بجهود التحري والتقصي أو جمع الأدلة وإجراء الخبرات الضرورية أو يتعلق بتطبيق معايير النزاهة الوطنية أو متطلبات المؤشر الوطني للنزاهة أو قد يتعلق بالتدريب وبناء القدرات وأي شأن له علاقة بعمل الهيئة.
2. التواصل غير الخطي من قبل إدارة الهيئة بالمرجع المختص في الإدارة العامة بشأن مسائل عالية السرية أو لغايات تستدعيها الحاجة العملية أو المستعجلة.
3. الزيارات الميدانية للإدارة العامة من قبل المحققين أو من قبل لجان تشكلها الهيئة كلجان الضبط والتفتيش/التدقيق وذلك لجمع البيانات والمستندات والإطلاع على واقع الحال.
4. دعوة أحد موظفي الإدارة العامة للحضور لمقر الهيئة لاستكمال التحقيقات.
5. تكليف موظف (ضابط الارتباط) من الهيئة بمهمة خاصة.

6. تكليف موظف (ضابط الارتباط) من موظفي الهيئة بالتواجد لدى الإدارة العامة ومباشرة أعماله ومهامه في مقر الإدارة العامة بشكل دائم.
7. حضور اللجان والاجتماعات دون الحق بالتصويت.
8. قيام ضابط ارتباط الهيئة المتواجد في الإدارة العامة بطلب بيانات أو وثائق تتعلق بشكوى أو تظلم أو بشأن آخر يخص فعل أو امتناع عن فعل يتعلق بجهود التحري والنقصي أو جمع الأدلة أو بتطبيق معايير النزاهة الوطنية أو المؤشر الوطني للنزاهة بشكل خطي أو (غير خطي بشرط قابليته للتوثيق).
9. قيام المحقق الناطر للشكوى أو التظلم بالتواصل مع المرجع المختص في الإدارة العامة مباشرة لطلب بيانات أو مستندات وبشكل قابل للتوثيق.
10. جهود التوعية والوقاية.

وإذ لا يمكن لهيئة النزاهة ومكافحة الفساد "أن تعمل في عزلة، ولا يمكن لأي هيئة أن تؤدي جميع المهام المتعلقة بكبح الفساد ومنعه بمفردها"⁽⁴⁷⁾ تظهر أهمية تعاون الإدارة العامة في كل الأساليب المذكورة وغيرها من متطلبات عمل الهيئة، فما يمكن أن تحققه الهيئة من نتائج بتعاون الإدارة يفوق ما قد تحققه بدون تعاون أو بتعاون غير منتج أو مضلل من حيث توفير وقت وجهد الإدارة وهيئة النزاهة في مكافحة الفساد وتحقيق نتائج ملموسة، وعليه فإن هذه الأساليب تنتج اثارها بشكل فاعل أكثر وتزيد من جودة الخدمة من خلال تعاون وتنسيق المرجع المختص في الإدارة العامة مع الهيئة بشكل كامل ومسؤول وواضح ومستعجل ضمن الضوابط القانونية، وفيما يلي عرض لبعض مظاهر تعاون المرجع المختص مع هيئة النزاهة:

متطلبات هيئة النزاهة	بعض مظاهر تعاون الإدارة العامة
1	جمع البيانات والمعلومات والوثائق. توفير البيانات والمعلومات والوثائق عند الطلب وبالسعة الممكنة، جدية الردود، عدم إخفاء بعض الوثائق المؤثرة وإن لم يشملها طلب الهيئة، عدم اصطناع وثائق جديدة بتاريخ سابق، عدم المماطلة، الجدية في التعامل مع اللجان في تنفيذ مهمتها وغيرها.....
2	تقديم الدعم الفني. توفير البيانات والوثائق ذات العلاقة بشكل واضح ومحدد ومستعجل، تقديم الدعم من خلال موظفي وخبراء الإدارة العامة المشهور عنهم النزاهة والجدارة كالدعم الفني أو المتخصص وغيرها.....
3	التوصية بإتخاذ إجراء تصوبي أو وقائي بعد دراسة الحالة فنيا وواقعيا مع الإدارة العامة وثبوت ضرورة الاجراء لسد ثغرة أو تجفيف فرص ارتكاب جريمة فساد.
4	الكشف والابلاغ عن شبهات وجرائم الفساد. ابلاغ الهيئة ودون إبطاء عن أي شبهات فساد يكتشفها المرجع المختص مع المعززات.
5	تعيين ضابط ارتباط مقيم من موظفي هيئة النزاهة. تأمين مكتب ملائم لضابط الارتباط وتوفير كافة اللوجستيات وتأمين مركبة خاصة في الإدارة التي لها فروع في خارج العاصمة.

⁴⁷ . OECD (2008) Specialized Anti-Corruption Institutions , Review of models, page29.

		_ تأمين ولوجه لكافة الانظمة الالكترونية في الإدارة العامة (صلاحية الاطلاع والاستعلام) فقط _ التعميم على كافة موظفي الإدارة بحسن التعاون مع ضابط الارتباط وغيرها
6	الولوج لأنظمة ونوافذ الإدارة العامة الالكترونية.	الربط الالكتروني وتمكين موظف الهيئة المفوض من الاطلاع على الانظمة الالكترونية في الإدارة العامة وغيرها
7	تنفيذ متطلبات المؤشر الوطني للنزاهة وقياس مدى امتثال الإدارة العامة لمعايير النزاهة الوطنية.	تشكيل لجنة خاصة ذات كفاءة للاستجابة لمتطلبات المؤشر والامتثال ، الاستجابة الجدية، وصف واقع الحال دون تجميل، العمل على تحقيق متطلبات ومعايير المؤشر والامتثال وصولاً لتطبيق معايير النزاهة الوطنية وغيرها
8	تعزيز القيم الاخلاقية وثقافة النزاهة ومكافحة الفساد في الإدارة.	عقد المحاضرات التوعوية داخل الإدارة العامة، التعاون مع الهيئة لتنفيذ متطلبات التوعية والوقاية من قبل موظفي الهيئة، دعم الموظفين المشهورين بالنزاهة والجدارة وظيفياً ومالياً وغيرها
9	تفعيل دور الرقابة الداخلية في الإدارة.	تمكين الرقابة الداخلية في الإدارة وتأهيلها وحثها على ممارسة مهامها بحرية، الاستجابة الجدية لتقاريرها وفق أحكام القانون وبيئة العمل بحسب تقييم المرجع المختص وغيرها
10	تفعيل منظومة العقوبات الإدارية والجدية في تطبيقها.	- مساءلة ومحاسبة الموظف المقصر أو المخطئ أو فاعل الجرم. - محاربة (ثقافة حليب أولاده) والتي تعبر عن حالة من التعاطف الإداري مع الموظف المقصر أو الفاسد تقوم على معاقبته عقوبة إدارية بسيطة لا تحقق الردع، وعدم إحالته للهيئة أو للمدعي العام تحت شعار (حماية دخله ووظيفته ليستمر في عمله من أجل أولاده). - إتخاذ إجراءات قانونية إدارية بحق الموظف المحال على المدعي العام أو القضاء.
11	المساهمة في التطبيق الفعال لمقتضيات حماية الشهود والمبلغين.	تفعيل قرارات الهيئة بحماية الموظف وظيفياً والموضوعية في التعامل معه والابتعاد عن استهدافه.
12	المساهمة الفعالة ودعم الهيئة في الاسترداد المالي.	إتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة لغايات استرداد المبالغ المتحصلة عن أفعال الفساد والاختطاء الإدارية والصرف المخالف وغير المحق وبشكل فوري وغيرها
13	محاربة الافكار الإدارية السلبية.	تعزيز مفهوم حرمة المال العام ومحاربة الإهمال الوظيفي توعوياً وإدارياً وقانونياً.
14	اشهار الذمة.	حرص الإدارة العامة على إتخاذ اللازم ليقوم موظفيها المعنيين بإشهار ذممهم بالمواعيد والالية التي حددها القانون.

الفرع الثاني: ضوابط وحدود التعاون بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة:

إن أول الضوابط في العلاقة التعاونية والتنسيقية ما بين هيئة النزاهة والمرجع المختص في الإدارة العامة هو التزام ما تفرضه القوانين والأنظمة، ذلك أن التعاون والتنسيق يجب أن يكون ضمن المحددات القانونية وبعيدا عن المنافع الشخصية وبدون تجاوز للصلاحيات وبدون الإخلال بقواعد القانون مثل المحافظة على السرية والاستقلالية وانتفاء تضارب المصالح المحتمل.

ويراعى في هذا التعاون خصوصية كل إدارة وظيفيا وتنظيميا، حيث يختلف مستوى التعاون المطلوب تبعا لنوع القضية والمشتبه به وتبعا لطبيعة الإدارة المعنية. وبجميع الاحوال يجب أن يكون مثمرا وفعالا بحيث يكون موجها لتحقيق نتائج ملموسة في تعزيز النزاهة ومكافحة الفساد وفي البرامج التدريبية والوقائية المشتركة ووفقا للموارد المتاحة.

وهذا التعاون يقتضي من المرجع المختص الالتزام بالسرية (Confidentiality Obligation) وتمكين موظف الهيئة المختص من العمل بسرية في الإدارة، وهذا لضرورات عملية وقانونية منها ضمان سير العمل في الإدارة بشكل طبيعي وتجنب اكتشاف عملية التحري للمستهدف بوقت مبكر للمحافظة على الأدلة ومنع إخفاؤها وعدم التأثير على الشهود المحتملين، ولمنع الاساءة للسمعة في حال لم تسفر التحريات عن توجيه تهمة⁽⁴⁸⁾.

ومن الضوابط الذاتية للإدارة العامة كذلك أنها لا تريد أن تظهر كهيئة حاضنة للممارسات الفاسدة والاختلالات الإدارية الكبيرة، إذ يجب بالإدارة العامة أن تتعاون مع هيئة النزاهة لتحفظ انجازاتها وسمعتها وسمعة المرجع المختص ذلك أنها تعلم " أن انتشار الفساد فيها دليل على فشلها وفشل المرجع المختص في إدارتها"⁽⁴⁹⁾ "كما يؤدي الى انعدام الكفاءة في الإدارة."⁽⁵⁰⁾ وهذا ما يؤثر سلبا على مستقبل المرجع المختص الإداري والسياسي، "خاصة أن انتشار الفساد يحول دون تحقيق أهداف الإدارة العامة ويؤدي الى فشلها واضعاف الثقة بها."⁽⁵¹⁾

إن تعاون الإدارة مع الهيئة في اجراء التحقيقات وجمع الأدلة لا يعني المساس باستقلالية التحقيق والتحريات أو التدخل في الية العمل أو توجيه موظف الهيئة، إذ إن هذه الاستقلالية تضمن فعالية التحقيق والتحريات وتساهم في تجنب تأثير المسؤول الفاسد⁽⁵²⁾. وهذا لا يعني بذات الوقت تغول الهيئة على اختصاص وصلاحيات الإدارة العامة، فالعلاقة بينهما تكاملية كل من موقعه واختصاصه، وبإجراءات قابلة للتوثيق والمراجعة ومن خلال قنوات مؤسسية.

كما أن وجود نظام توثيق فعال/ نظام المعلومات الإدارية (Management Information System) في الإدارة العامة والحرص على العمل به وتطويره، يعد من العوامل المهمة في تحقيق التعاون المثمر أو لنقل أن حفظ بيانات ووثائق الإدارة العامة وتصنيفها أداة هامة للإدارة العامة " توفر لها المعلومات اللازمة للعمل والتخطيط والتنظيم ومراقبة أنشطة الإدارة والبناء عليها في إتخاذ قراراتها"⁽⁵³⁾ وهذا يسهل عمل الإدارة خاصة في الرقابة الذاتية على أنشطتها ويسهل عمل الهيئة في تحقيق أهدافها.

وبجميع الاحوال فإن المرجع المختص في الإدارة العامة يلتزم بالتعاون المحايد والمؤسسي (Impartial Institutional Cooperation) وفقا لما يفرضه القانون كما سلف، فلا يجوز ان يكون تعاونه لتصفية حسابات شخصية أو سياسية أو

⁴⁸ . United Nations (2024) Practical Guide on the Investigation of Corruption Cases, page 15.

⁴⁹ . OECD (2008) Specialized Anti-Corruption Institutions , Review of models, page 18.

⁵⁰ . Shafritz, Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, page 213.

⁵¹ . ساسي، فراس (2020) استراتيجيات محاربة الفساد الإداري والمالي في ضوء السنة النبوية، دار الاهرام للطباعة والنشر، تونس، ص 19.

⁵² . United Nation (2004) PRACTICAL ANTI-CORRUPTION MEASURES FOR PROSECUTORS AND INVESTIGATORS, page 30.

⁵³ . دويك، عبد الغفار (2013) الاساليب الحديثة المستخدمة في المؤسسات التعليمية في حماية النزاهة ومكافحة الفساد، مجلة جامعة نايف للعلوم الامنية، ص 11.

أن يتعسف أو أن يستغل طبيعة عمل الهيئة لتشويه سمعة أحد الموظفين أو اسقاطه أو اغتياله اداريا أو سياسيا.

ولابد من الاشارة الى أن التعاون والتنسيق يعد واجبا متبادلا بين الإدارة العامة وهيئة النزاهة الا إن نطاق هذا الالتزام أضيق بالنسبة لهيئة النزاهة منه للإدارة العامة، ذلك أن أعمال هيئة النزاهة تتسم بالسرية وتعتبر المعلومات والبيانات والوثائق ونسخها التي ترد للهيئة أو يطلع عليها أي من العاملين فيها بحكم وظائفهم سرية سندا للمادة (22) من قانون النزاهة، بينما أعمال الإدارة العامة في الغالب ليست سرية ومتاحة للجمهور الا في الحالات الاستثنائية التي نصت عليها القوانين.

ومن ضوابط هذا التعاون ضمان المرجع المختص لجانب التحقيق وسرعة انجاز مهامها سواء تلك التي تشكل من قبل المرجع المختص من تلقاء نفسه أو بناء على طلب الهيئة، إذ يجب على الإدارة أن تضمن أداء هذه المسألة الهامة على أحسن وجه، حيث إن الإدارة العامة وكفاءتها مرهونة بتفعيل محاسبة موظفيها الجادة المبنية على التحقق والأدلة، "ولطالما كانت لجان التحقيق سببا في الكشف عن جرائم الفساد المرتكبة من قبل الموظفين أو غيرهم، وكان لها الدور الفعال في رد حقوق الدولة والمحافظة على المال العام".⁽⁵⁴⁾ ولضمان جدية العمل في لجان التحقيق فإن من الواجب على الإدارة العامة تفعيل رقابتها الذاتية على موظفيها، وبذات الوقت على الهيئة تفعيل أدائها بحق الموظفين المقصرين من أعضاء لجان التحقيق كالتأكد من قيام جريمة كالاهمال الوظيفي بحقهم أو غيرها.

وفي هذا يجب على موظفي الهيئة والإدارة العامة التعامل المحترف والجدي إذ ليس الهدف من هذا التعاون تكوين علاقات اجتماعية أو شخصية بين الهيئة وبين الإدارة العامة والمرجع المختص فيها، وإنما الهدف من هذا التعاون تنفيذ القواعد القانونية الخاصة بالنزاهة ومكافحة الفساد من قبل الجهتين، وهذا يعكس ضرورة التعاون المتبادل بين الطرفين، فأينما وجد أي منهما اخلايا بالقانون فإن واجبه الاصيل يرتب عليه أن يتخذ الإجراءات القانونية بحق الآخر، لنقوم العلاقة التعاونية بينهما على الشد وال جذب الإيجابي(Constructive and positive push-and-pull dynamics).

الخاتمة:

بعد دراسة الموضوع تبين أهمية تمسك هيئة النزاهة بتعاون المرجع المختص معها والعمل على تفعيل هذا التعاون واتخاذ الاجراءات القانونية لدعم وضمان استمرار هذا الالتزام، نخلص الى النتائج التالية:

النتائج :

1. يعتبر تعاضد إدارات الدولة عامل جوهري في تحقيق وحماية النزاهة ومكافحة الفساد وحماية المال العام.
2. إن مكافحة الفساد واجب على جميع إدارات الدولة، ذلك أن هيئة النزاهة ومكافحة الفساد لا تستطيع وحدها القيام بمهامها وتنفيذ سياسات تحقيق النزاهة ومكافحة الفساد وتنفيذ الالتزامات الدولية في هذ المجال.
3. إن تعاون المرجع المختص في الإدارة العامة مع هيئة النزاهة ليس خيارا له، وإنما هو التزام رتب القانون عقوبة على مخالفته.
4. إن التزام المرجع المختص بالتعاون مع الهيئة له ضوابط، فلا يستغله المرجع المختص ولا تتغول الهيئة بموجبه على الإدارة العامة.

التوصيات:

1. لما كانت هيئة النزاهة تملك "القوة الناعمة" للتعامل مع المرجع المختص باعتبارها شريكا للإدارة العامة، وتملك القدرة على تصعيد الإجراءات القانونية ضد المرجع المختص في حال عدم التعاون أو التعاون الشكلي غير المثمر أو التعاون الكسول أو التعاون المضلل، فإن الجدية من قبل الهيئة في إتخاذ الإجراءات القانونية ضد المرجع المختص

⁵⁴ . عليات محمد ومعاقبة، محمد (2018) الضوابط القانونية للتحقيق الإداري، بحث منشور في مجلة علوم الشريعة والقانون، الجامعة الاردنية، المجلد 45، العدد(1)، ص 315.

في حالات عدم التعاون أو التعاون غير المثمر يعد ضرورة لتحقيق نتائج ملموسة في مكافحة الفساد وتحقيق النزاهة وحماية عمل الهيئة من التراجع وانخفاض مستواه الجاد.

2. يجب على الهيئة أن تضطلع بمسؤولياتها لضمان توافر الالتزام بالتعاون وضوابط هذا التعاون سواء بالنسبة لموظفيها في حال ارتكاب مخالفات من قبلهم، وكذلك بالنسبة للمرجع المختص بالتدرج بإتخاذ إجراءات لحث المرجع المختص على التعاون كالطلب منه ذلك ثم إبلاغ رئيس السلطة التنفيذية (رئيس الوزراء) بأشكال وحالات عدم التعاون ثم إبلاغ رئيس السلطة التشريعية بما في ذلك إحالة الموضوع الى القضاء، وهذا بحسب الاحوال والظروف ومستوى المرجع المختص الوظيفي.
3. إن التعاون فيما يتعلق بالإجراءات التصويبية والوقائية الصادرة عن الهيئة وكذلك فيما يتعلق بتطبيق معايير النزاهة الوطنية في الإدارة العامة، يستوجب الأخذ بالحسبان (الموارد المتاحة، ولولايات الإدارة العامة، القابلية للتنفيذ، تجفيف وإغلاق الثغرات المؤدية لفساد، والاصول القانونية والفنية المتخصصة).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. ابو عزام، صدام ، (2016) تقييم النزاهة الوطني في الاردن، مركز رشيد، الشفافية الدولية، عمان، الاردن.
2. انتوساي (بلا سنة) التنسيق والتعاون بين الاجهزة العليا للرقابة المالية والمحاسبية والمدققين الداخليين في القطاع العام، بلا ناشر، استراليا.
3. حضرمي، عمر (2014) ظاهرة الفساد، الخطورة والتحدى، مشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الاردنية.
4. جبوري، سوسن (2014) الفساد الإداري والمالي وأهم اثاره الاقتصادية في العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، (21/7)، جامعة القادسية، العراق.
5. جونستون، مايكل (2008) متلازمات الفساد، الثروة والسلطة والديمقراطية، ترجمة نايف الياسين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
6. حميد، هند (2019) الفساد تعريفه وخصائصه، مجلة العلوم السياسية، العدد 55، جامعة بغداد.
7. خير الله، دأود وآخرين (2014) الفساد وإعاقة التغيير والتطور في العالم العربي، المنظمة العربية لمكافحة الفساد، المركز العربي للأبحاث، بيروت، لبنان.
8. درديري، يحيى (1927) كتاب التعاون، الطبعة الثالثة، مطبعة مصر، القاهرة.
9. دويك، عبد الغفار (2013) الاساليب الحديثة المستخدمة في المؤسسات التعليمية في حماية النزاهة ومكافحة الفساد، مجلة جامعة نايف للعلوم الامنية.
10. ساسي، فراس (2020) استراتيجيات محاربة الفساد الإداري والمالي في ضوء السنة النبوية، دار الاهرام للطباعة والنشر، تونس.
11. سواط، طلق وسندي، طلعت وشريف، طلال (2011) الإدارة العامة -المفاهيم - الوظائف الانشطة، دار الحافظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.
12. سبيعي، فارس (2010) دور الشفافية والمساءلة في الحد من الفساد الإداري في القطاعات الحكومية، اطروحة دكتوراة، جامعة نايف للعلوم الامنية، الرياض، السعودية.
13. طائي، حمزة وراضي، مازن (2015) الفساد الإداري في الوظيفة العامة، مركز الكتاب الاكاديمي، الطبعة الأولى، عمان، الاردن.
14. عليات محمد ومعاقبة، محمد (2018) الضوابط القانونية للتحقيق الإداري، بحث منشور في مجلة علوم الشريعة والقانون، الجامعة الاردنية.
15. عيد، هدي (2013) الاصلاح السياسي كآلية لمكافحة الفساد الإداري في الجزائر، اطروحة دكتوراة، جامعة الجزائر، الجزائر.
16. عيدروس، اغادير، (بلا) مقدمة في الإدارة العامة، منشورات جامعة ام القرى، المملكة السعودية.

17. كافي، مصطفى (2016) الاعلام والفساد الإداري والمالي وتداعياته على العمل الحكومي، الطبعة الأولى، مكتبة حامد، عمان، الاردن.
18. كروزي، رونالد واخرين (2022) مكافحة الفساد عبر التاريخ، الجزء الأول، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
19. فارس، علي (2022) التعاون نشأته وفلسفته وأنواعه، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.
20. قذافي، عائشة ودأود، محمد وجمال الدين، محمد (2023) مكافحة الفساد المالي في القانون الليبي، مجلة جامعة المدينة العالمية، عدد 45، ليبيا.
21. قطيش، عبداللطيف (2013) الإدارة العامة من النظرية الى التطبيق، دراسة مقارنة. الطبعة الاولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان.
22. معزب، عادل (2020) الحكم الرشيد والتنمية في البلاد العربية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات، برلين، ألمانيا.
23. هادي، مصطفى البكري (2021) التعاون: مشروعته وضوابطه وتطبيقاته في المعاملات المالية، بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية، المجلد الخامس، العدد 16، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر.
24. ياغي، محمد (1995) الاخلاقيات في الوظيفة العامة، مركز احمد ياسين للنشر، عمان ، الاردن.
25. يوسف، حسن (2014) الفساد الإداري والاقتصادي والكسب غير المشروع، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1. Carloni, Enrico (2019) Preventing corruption through administrative measures, Morlacchi Editore, Borgoriccio, Italy.
2. Nobumichi Teramura, Luke Nottage, Bruno Jetin (2024) Corruption and Illegality in Asian Investment Arbitration, Springer, Singapore.
3. Parlak, Bekir and Caner, Kadir (2022) THE HANDBOOK OF PUBLIC ADMINISTRATION, Vol. 1, Livre de Lyon, Lyon, France.
4. Peter, Larmour, Wolanin, Nick (2013) Corruption and Anti-Corruption, ANU E Press, Australia.
5. OECD (2008) Specialized Anti-Corruption Institutions , Review of models.
6. Shafritz, Jay M and Others (2017) Introducing Public Administration, Ninth Edition, Taylor & Francis, new York.
7. U Myint (2000) CORRUPTION: CAUSES, CONSEQUENCES AND CURES, Asia-Pacific Development Journal.
8. United Nations (2024) Practical Guide on the Investigation of Corruption Cases.
9. United Nation (2004) PRACTICAL ANTI-CORRUPTION MEASURES FOR PROSECUTORS AND INVESTIGATORS.

ثالثا: المراجع الالكترونية:

1. <https://www.imf.org/ar/News/Articles/2017/09/18/sp091817-addressing-corruption-with-clarity>
2. <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%88%D9%86/?> (معجم المعاني)
3. <https://islamic-content.com/dictionary/word/2964/ar> (الجمهرة)

عنوان البحث

**هيكلية الأحياء العشوائية وآثارها على هوامش مدينة الجديدة بالمغرب - نموذج لدراسة
ميدانية للدواوير الشمالية الغربية لمدينة الجديدة (الأشهب، إبراهيم، الغنادرة)**

د. بدر ايباش*¹، د. محمد كواني²، ذة. جميلة السعيد³

¹ طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.
² طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.
³ أستاذة التعليم العالي جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.

*بريد الكتروني الباحث المراسل: ibachbadr@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/5>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/5>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة هيكلية الأحياء العشوائية في هوامش مدينة الجديدة بالمغرب، مع التركيز على الدواوير الشمالية الغربية للمدينة (الأشهب، إبراهيم، الغنادرة) كنموذج ميداني. انطلقت الدراسة من ملاحظة أن هذه التجمعات السكنية غير المهيكلة أصبحت تُشكل امتداداً حضرياً غير منظم يؤثر سلباً في النسيج العمراني، ويعكس هشاشة التخطيط الحضري والتفاوت في التنمية بين المركز والضاحية.

اعتمد الباحثون على منهج وصفي-تحليلي مدعوم بعمل ميداني وخرائط طبوغرافية وصور جوية ومعطيات إحصائية للفترة (2005-2025)، بهدف فهم التغيرات المكانية والديموغرافية التي مست هذه الدواوير. أظهرت النتائج أن مدينة الجديدة شهدت نمواً سكانياً واقتصادياً سريعاً لم يواكبه تخطيط حضري كافٍ، مما أدى إلى توسع أفقي وعمودي عشوائي في الضواحي. كما أبرزت الدراسة أن دواوير الغنادرة والأشهب وإبراهيم تحولت من تجمعات قروية إلى أحياء حضرية مكتظة تفقر للبنيات التحتية والخدمات الأساسية.

خلصت الدراسة إلى أن هذه الأحياء العشوائية أصبحت من أبرز التحديات التي تهدد التوازن العمراني والمجالي لمدينة الجديدة. ورغم جهود إعادة الهيكلة التي باشرتها السلطات المحلية عبر تحسين الإنارة، الصرف الصحي، وتبليط الأزقة، فإن غياب المقاربة التشاركية في التخطيط واستمرار الهجرة القروية يزيدان من تعقيد الظاهرة. توصي الدراسة بضرورة اعتماد رؤية حضرية شمولية طويلة المدى، تقوم على التخطيط المسبق، وتخصيص احتياطات عقاري مستدام، مع إشراك السكان في مشاريع التأهيل للحد من تفاقم السكن العشوائي وتعزيز الاندماج الحضري.

الكلمات المفتاحية: الأحياء العشوائية، النسيج العمراني، الضواحي، التوسع الحضري، إعادة الهيكلة.

RESEARCH TITLE

The Structuring of Informal Settlements and Their Impacts on the Margins of El Jadida City, Morocco – A Field Study of the Northwestern Douars (Al-Ashhab, Ibrahim, Al-Ghanadra)

Abstract

This study aims to analyze the phenomenon of restructuring informal settlements on the outskirts of El Jadida City, Morocco, focusing on the northwestern douars (Al-Ashhab, Ibrahim, and Al-Ghanadra) as a field case study. It originates from the observation that these unplanned settlements have become unregulated urban extensions that negatively affect the city's urban fabric and reflect spatial inequality and weak urban governance.

The researchers adopted a descriptive–analytical approach supported by fieldwork, topographic and aerial mapping, and statistical data covering the period (2005–2025) to explore demographic and spatial transformations in these areas. The results reveal that El Jadida has experienced rapid population and economic growth unmatched by adequate urban planning, leading to both horizontal and vertical informal expansion in its suburbs. The studied douars, originally rural communities, have evolved into densely populated urban neighborhoods lacking basic infrastructure and essential services.

The study concludes that informal settlements have become one of the major challenges threatening the spatial and urban balance of El Jadida. Despite local authorities' efforts in restructuring through improvements in public lighting, sanitation, and road paving, the absence of participatory planning and continued rural migration exacerbate the problem. The study recommends adopting a comprehensive long-term urban vision based on proactive planning, sustainable land reserves, and community involvement in upgrading projects to limit the spread of informal housing and promote urban integration.

Key Words: Informal settlements, urban fabric, suburbs, urban expansion, urban restructuring.

تقديم عام:

شهد المغرب مثل باقي بلدان العالم الثالث تحولات مجالية كبيرة موازاة مع التطور الاقتصادي والاجتماعي، فأصبحت المدن الكبرى والمتوسطة تعرف تطورا كبيرا بفعل تيارات الهجرة القروية والزيادة الطبيعية للسكان الحضرية. وبفضل تطور مجال التهيئة والتخطيط المجالي وصل عدد المدن المغربية اليوم إلى أكثر من 400 مدينة (ما بين مدن صغيرة ومتوسطة وكبرى)، بفضل ارتفاع مجموعة من المراكز والجماعات القروية إلى مستوى البلديات. إذ أصبحت تعرف المجالات المجاورة للمدن تكاثرا وتضخما للسكن العشوائي أدى إلى اختلال على مستوى النسيج العمراني.

ومثل جل المدن المغربية المتوسطة والتي تعرف نهضة عمرانية حديثة، لم تستطع مدينة الجديدة إرضاء متطلبات وحاجيات العدد المتزايد من السكان. وفي ظل تنمية حضرية غير متناسقة وتبديد حضري غير موفق، لم يكن ممكنا خصوصا مع الانتعاش الحضري التي عرفتها المدينة منذ ثمانينيات القرن الماضي؛ وأمام عجز المسؤولين عن توفير منتج سكني، لجأ السكان المهاجرون والقادمون إلى الجديدة من أجل الاستقرار، إلى الحلول الفردية (هل نتحدث هنا عن تعمير ذاتي؟) غير أن ذلك لن يكون ممكنا وسهلا، لا من الناحية القانونية ولا من حيث الثمن، إلا خارج المدار الحضري. بمعنى أن مدينة الجديدة لم تكن قادرة على استقبال الأعداد الهائلة من الوافدين ففقدتهم نحو المجال الهامشي لها.¹

كل هذه العوامل ستؤدي إلى خلق مجال ثالث «مجال شبه حضري» والذي اتخذ أشكالا مختلفة ساهمت في تطوير وتغيير من نسيج المدينة، إضافة إلى الضغط على المجالات الريفية المجاورة للمدينة بفعل النمو الديموغرافي السريع، وكذلك تطور الاستثمارات الاقتصادية. ومن أهم هذه الأشكال الحضرية، بروز شكل (الأحياء العشوائية)، والذي عرف هو الآخر تطورا منذ فترات زمنية متعاقبة، بسبب الهجرة من الريف إلى المدينة بحثا عن العمل والاستقرار من جهة، ولتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة من جهة ثانية. كما ساهمت الظاهرة في توفير السكن الحضري للفرد في ظل تفاقم مشكل السكن وصعوبة الحصول عليه بسبب ارتفاع أسعار العقارات، وصعوبة المعيشة.

1. الإطار النظري للدراسة

تعد نظرية المجال عند سمير أمين² من أهم النظريات المؤطرة لموضوع الممارسات المجالية، فعندما نتطرق إلى الفكر الإنسي في الجغرافيا، فيجب استحضار المفاهيم التي تهتم بهذا البراديجم الجغرافي، وأبرز هذه المفاهيم تلك التي وصفها سمير أمين، وهي نظرية المركز والهامش، فمن خلالها ركزنا على العلاقة بين المركز والضاحية ومدى مساهمتها ضمن هامش مدينة الجديدة، بحمولتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبقية والمجالية في تطور النسيج الحضري للمدينة.

II. الإطار المنهجي للدراسة

1.2 إشكالية الدراسة

أضحت ظاهرة تمدن الأرياف المجاورة للمدن؛ تنتج وضعية التراكم والتهجين بين المدن والأرياف، عن طريق بروز دواوير بالمجالات الضاحوية، وبروز أشكال حضرية عشوائية (غير مخططة) بالمدن المغربية، التي تؤثر على نمو المدن من خلال واقعها وتحكمها في تحديد مستقبل نسيج المدينة الحضري والعمراني على حد سواء.

¹ إسماعيل الخياطي، انتشار التمدين وتطور السكن الغير اللائق بالمجال المجاور لمدينة الجديدة، أي علاقة ندوة "إعادة تشكيل وتنمية المجالات البيحضرية بحوض البحر الأبيض المتوسط رؤى متقطعة" الجديدة 29، 30، 31 أكتوبر 2015 المجلد الأول ص 320.

² سمير أمين (1931-2018) مفكر وسياسي وعالم اقتصاد مصري، له ازيد من 100 مؤلف ومقال في الاقتصاد والمالية، شغل عدة مناصب سياسية واقتصادية في عديد من الدول، كما عمل مستشار اقتصادي لمنظمة الأمم المتحدة، في البداية في الدلالة على الفروق الاقتصادية بين الدول المتخلفة والنامية التي ادرجها ضمن خانة الهامش، وبين الدول الرأسمالية الغربية المتقدمة في الميادين الاقتصادية، إلا انه أبان في عدة مؤلفات ان نظرية المركز يمكن ان نجدها حتى داخل نفس البلد وحتى داخل نفس المدينة، وذلك من خلال تبين النمو الاقتصادي والاجتماعي بين المجالات.

فالتوسع العمراني لمدينة الجديدة أدّى إلى حدوث اختلال توازن بين السكان وما تقدمه المدينة، التي أصبحت بذلك عاجزة عن تأدية دورها، مما خلق ضعفا في الربط والحركية، والتسيير الوظيفي والمجالي خاصة بالأحياء المحيطة بالمدينة والتي اخترناها كنموذج لدراستنا وهي أحياء: (دوار الأشهب - دوار إبراهيم - دوار الغنادرة). فقد برزت فيها الظاهرة المدروسة بشكل هام ومميز، نجدها تقتصر إلى أبسط المرافق المختلفة والضرورية، وبوجود عوائق طبيعية وأخرى غير طبيعية للتوسع المجالي للمدينة كالمنطقة الصناعية (الجرف الأصفر) في جنوب المدينة والمركب السياحي (مازاغان) في شمالها اللذان يقعان كحدود للنسيج الحضري لمدينة الجديدة. وهذا ما جعل منها عائقا كبيرا في مجال النمو الحضري للمدينة وتطورها، وتسبب في تشويه مظهرها الخارجي وأساء إلى تاريخها الحضاري والعمراني.

من خلال هذه الدراسة يمكن لنا طرح إشكاليتنا وطرح عدة أسئلة على النحو التالي:

- الدواوير المحيطة بالمدن يتزايد عليها الضغط، وينتج عنها سكن عشوائي يؤثر على التوازن التنموي للمجال.

- ما انعكاسات التوسع العمراني على ضواحي المدينة؟ وما وقع الأحياء العشوائية على النسيج الحضري؟ وكيف له أن يساهم في خلق فوضى حضرية، وإعاقة للتنمية العمرانية للمدينة؟ وهل يمكن للدولة التخلص منها أو إعادة إدماجها (نموذج إعادة الهيكلة لهاته الدواوير) حاليا؟

2.2 منهجية الدراسة

حسب طبيعة الموضوع تم الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المناهج العلمية المكملة لبعضها البعض، ولدراسة موضوعنا بطريقة جيدة استخدمنا المنهج الوصفي الذي يركز على الوصف الدقيق والتفصيلي للظاهرة، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي وذلك من أجل تحليل البيانات والمعطيات المتوفرة عن الموضوع محل الدراسة، والمنهج المقارن لمقارنة الوضع الحالي للظاهرة في الواقع مع ما يجب أن تكون عليه.

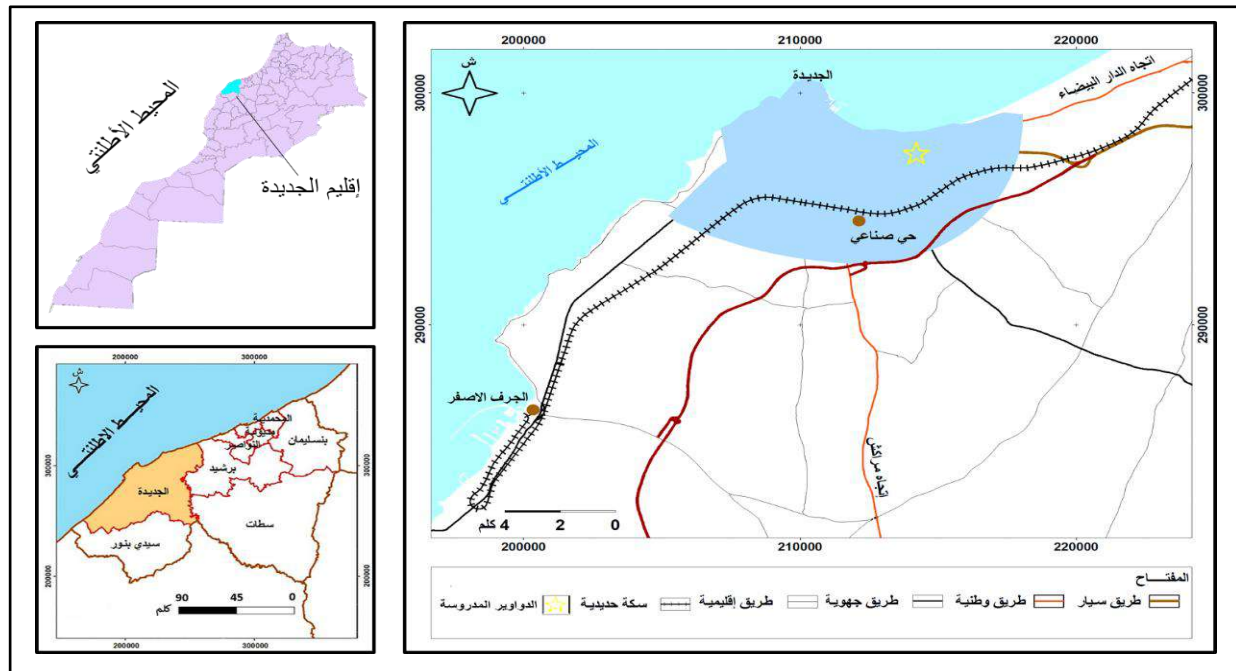
ولجمع المعلومات اعتمدنا على الآتي:

- العمل الجيولوجي الجغرافي للاطلاع على الأبحاث والدراسات والأعمال التي لها علاقة بموضوع البحث؛
- العمل الميداني من خلال زيارة الإدارات وزيارة مجال الدراسة بصفة دورية؛
- العمل الخرائطي ويتجلى في الخرائط الطبوغرافية والجوية وعمل خرائط بنظم معلوماتية ArcGIS؛
- تحليل الوثائق والسجلات الإدارية - الجداول الإحصائية - الدراسات التقنية - الصور الفوتوغرافية.

III. الإطار المجالي والزمني للدراسة

تم حصر المجال في ضواحي مدينة الجديدة، وتم اختيار الدواوير الشمالية الشرقية (الأشهب - الغنادرة - إبراهيم) كمجالات للعمل الميداني. إذ جاء اختيار هذه الدواوير باعتبارها مناطق تتدرج ضمن هامش مدينة الجديدة، بعمولتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبقية والمجالية، وفيما يلي خريطتي توطين مدينة الجديدة والدواوير المدروسة.

خريطة رقم 1: التقطيع الترابي لجماعة الجديدة



المصدر: عمل ميداني

● الموقع الجغرافي

يحد المجال النفوذ الترابي لإقليم الجديدة: من الجهة الغربية المحيط الأطلنطي، وجنوبا إقليم سيدي بنور، وشرقا إقليم سطات، وشمالا إقليم برشيد.

● أما المجال المدروس: تقع دواوير الشهب والغنادرة وإبراهيم في الضاحية الشرقية لمدينة الجديدة كما تبينه الخريطة التالية.

خريطة رقم 2: الدواوير المحيطة بضواحي مدينة الجديدة والدواوير المدروسة



المصدر: جماعة الجديدة، عمل ميداني.

تقع هذه الدواوير في ضواحي المدينة وتشكل حزاما لها، من هنا سنركز على دواوير الضاحية الشرقية التي نعتبرها معبرة، لما توفره من عناصر جذب للسكان وكذلك تأثيرها على النسيج العمراني في المستقبل.

أما على مستوى الإطار الزمني، فبالنسبة للمعطيات الميدانية الخاصة بكل دوار، فقد حصرنا الدراسة في مدة 20 سنة؛ أي الفترة الزمنية ما بين 2005 و2025، أما بالنسبة للمعطيات الديموغرافية والإحصائية، فقد تمت الاستعانة بمعطيات المندوبية السامية للتخطيط (إحصائيات 2004 و2014 و2024) كما تمت الاستعانة بنتائج الوكالة الحضرية الجديدة.

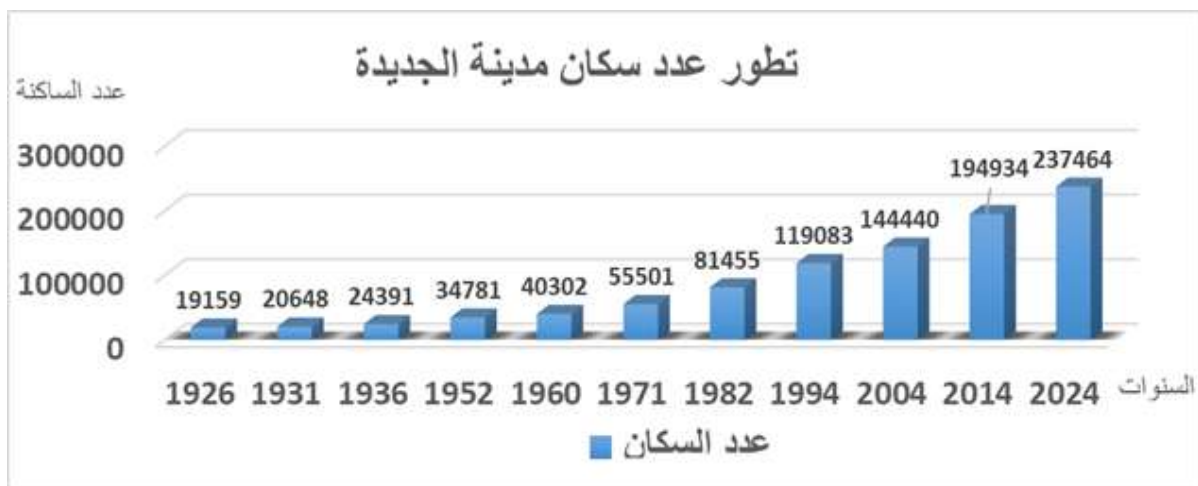
1. مناقشة نتائج الدراسة

المحور الأول: مدينة الجديدة في تطور مستمر

1. تطور النمو الديمغرافي للمدينة

تمثلت الدينامية الحضرية القوية في سرعة التمدن الذي طبع المدينة وهوامشها، وذلك بتزايد السكان بوتيرة سريعة، إذ تضاعف العدد ثلاث مرات ونصف خلال 40 سنة، بحيث انتقل العدد من 55501 نسمة سنة 1971 إلى 194934 نسمة سنة 2014 و ذلك بزيادة قدرها **251%**. ومن خلال المبيان 1 نرصد تطور سكان مدينة الجديدة عبر السنوات.

مبيان 1: تطور عدد سكان مدينة الجديدة بين سنتي 1926 و2014



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط

2. النمو الاقتصادي للمدينة

أضحت مدينة الجديدة محركا أساسيا في التنمية الاقتصادية، لما توفره من فرص الشغل والنشاط التجاري والخدمات، وكذلك تعد موردا رئيسيا للدخل الضريبي ومجالا للاندماج، ومنه؛ فهي محرك اقتصادي عند الغالبية ومكانا للشغل والعمل، لما تتوفر عليه من مقومات اقتصادية واجتماعية ومقصدا لأبناء الضاحية، نظرا لضعف الأنشطة بضاحيتهم. ومن بين مؤهلات المدينة:

- **الصناعة:** تشييد المركب الصناعي الجرف الأصفر سنة 1982 والذي أعطى دينامية كبيرة للمنطقة ككل؛
- **الخدمات:** يضم هذا القطاع عدة فروع (النقل، الإدارة، الصحة، التجارة) لكن تلعب التجارة والإدارة دور المهيمن في تنمية قطاع الخدمات لأنهما يشغلان يد عاملة معتبرة ويتمثل في مراكز الاتصال، عكس قطاع النقل الذي يعاني الإهمال؛

• **القطاع السياحي:** قطاع واعد بحكم موقع المدينة وكذلك مؤهلات المنطقة الطبيعية والثقافية، وتنقسم السياحة إلى قسمين:

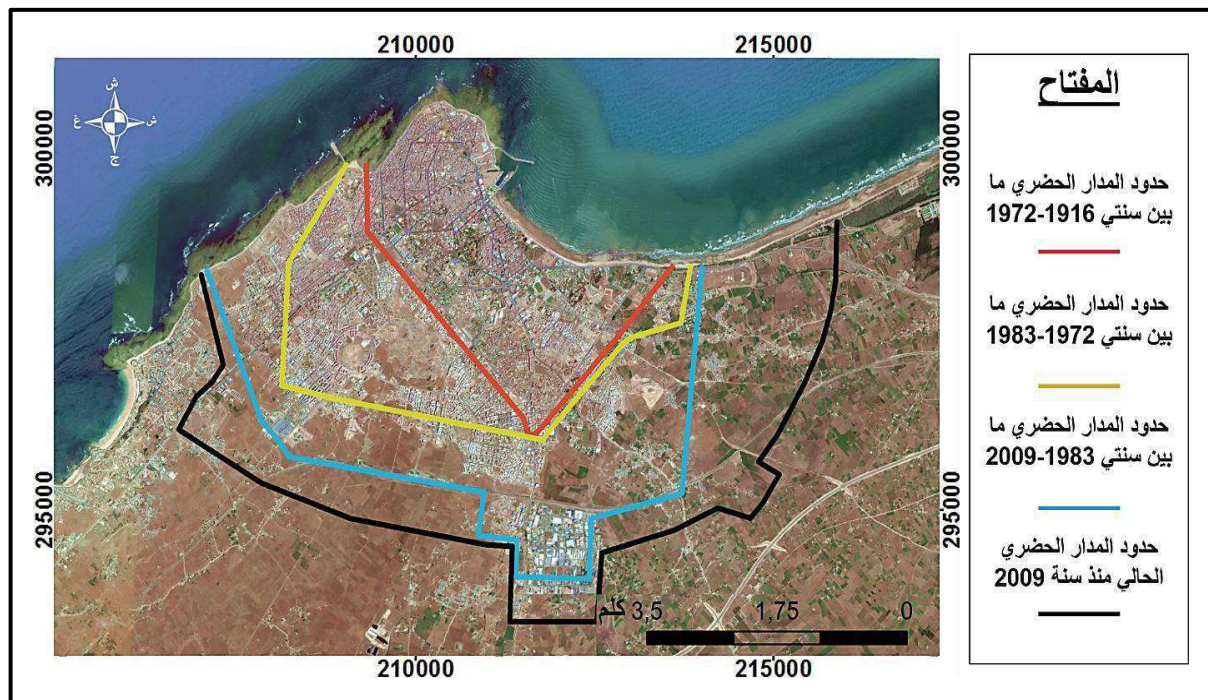
- **السياحة الطبيعية:** تعد الشواطئ من أهم المواقع الطبيعية للمدينة ومكانا مهما لإنشاء الفنادق، خصوصا بعد إنشاء المركب السياحي مازاغان.

- **السياحة الثقافية:** إن الموقع المتميز للمدينة كان له مكانة خاصة منذ القدم، إذ تعاقبت على المدينة عصورا تاريخية وحضارات مختلفة كلها خلفت شواهد أثرية منها: إنشاء البرتغاليين للمدينة القديمة، وإنشاء المَعْمَر الفرنسي أحياء أوروبية خارج أسوار المدينة القديمة.

ج. توسع المدار الحضري بالجديدة

إن أهم ما يثير الدارس والمهتم بالظاهرة الحضرية، يجد أن مدار مدينة الجديدة يتطور ويتوسع بشكل عشوائي في اتجاهات دون أخرى، مع عدم احترام مورفولوجيا تخطيط المدينة، الذي تطبعه اعتبارات سياسية، في اختيار ضم مناطق دون أخرى، رغم أن الدراسة المورفولوجية للمدينة يجب أن يكون التصميم شعاعي ويبرز المدينة وأحياءها على شكل حلقات متتابعة حول نقطة مركزية وهي الحي البرتغالي، وهذا ما تمثله خريطة رقم (3) تطور حدود المدار الحضري عبر السنوات.

خريطة رقم 3: تطور المدار الحضري عبر السنوات لمدينة الجديدة



المصدر: جماعة الجديدة، عمل ميداني برنامج (ArcGis)

انتقلت مساحة مدينة الجديدة من مساحة تقدر ب **13 كلم²** سنة 1971 إلى مساحة تقارب **33 كلم²** سنة 2014، وذلك بزيادة قدرها **144%+**. وهذا يبرهن على عدم ملائمة الزيادة السكانية مع توسع المدار الحضري.

المحور الثاني: مظاهر وعوامل التحول الديمغرافي والمجالي لضواحي مدينة الجديدة

"نموذج دواوير (الشهب، الغنادرة، إبراهيم)"

1. تطور الأحياء العشوائية "الدواوير سابقا" (الشهب، الغنادرة، إبراهيم) ديمغرافيا ومجاليا.

1-1 نمو ديمغرافي متغير في الزمان والمكان:

تم تسجيل ارتفاع لعدد السكان مقارنة مع الفترة السابقة وكذلك تفاوت عدد الأسر من دوار إلى آخر، و هذا ما يبينه الجدول الآتي:

جدول رقم 1: عدد الأسر بالدواوير بين سنتي 2004 و 2018 و 2024

الدواوير	عدد الأسر سنة 2004	عدد الأسر سنة 2018	عدد الأسر سنة 2024
الشهب	-	692	734
الغنادرة	-	420	430
إبراهيم	-	367	486
المجموع	982	1479	1650

المصدر: - إحصاء سنة 2004 المندوبية السامية للتخطيط (جماعة الحوزية).

- إحصاء سنة 2018 وكالة العمران الجديدة.

- إحصاء سنة 2024، عمل ميداني

في سنة 2004، كان مجموع الأسر بالدواوير المدروسة حوالي 982 أسرة، أما سنة 2018 وصل إلى 1479 أسرة، أي بزيادة +51 %، كما أنه انتقل عدد الأسر إلى 1650 أسرة سنة 2024 بزيادة تقدر بحوالي 11.6% وهذا ما يجعل طرح التساؤل التالي: ما المساحة المبنية التي أضيفت إلى الدواوير؟

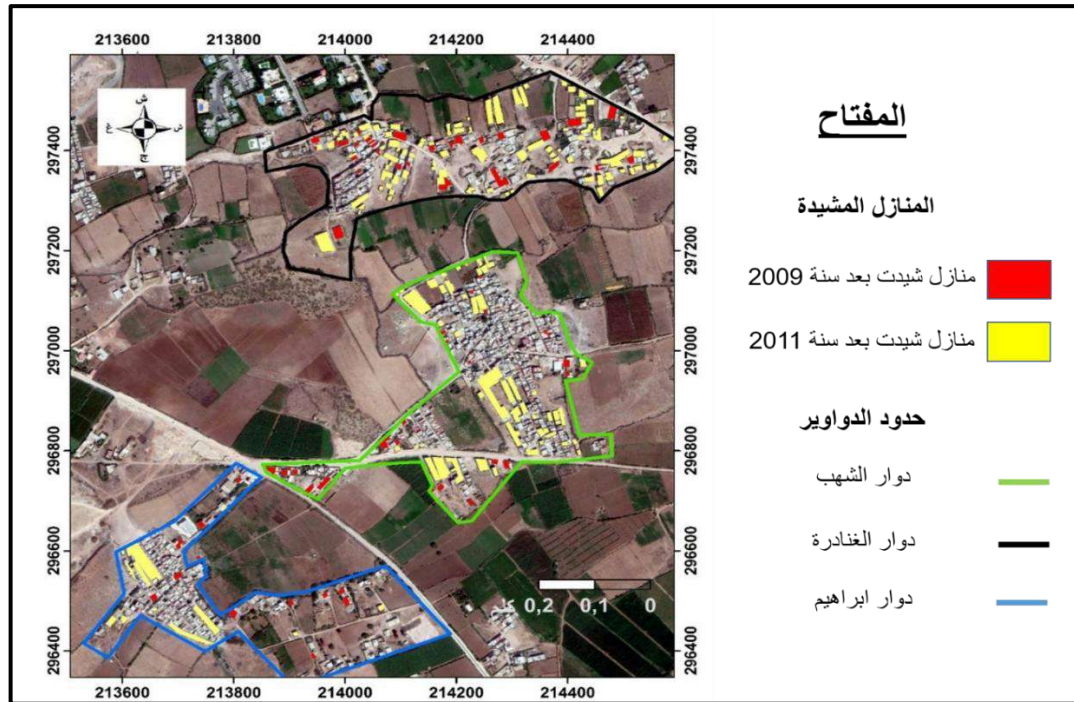
1-2 التوسع العمراني وأشكاله

إن انتشار الأشكال العمرانية التي ترتبط مع التجمعات الموجودة من قبل خصوصا في مجالنا المدروس، كان التوسع عموديا وأفقيا.

أ- توسع أفقي

لمعرفة مدى توسع الدواوير، وتطور المشهد العمراني في هذه الأحياء العشوائية أفقيا، اعتمدنا على صور الأقمار الصناعية خلال 20 سنة الأخيرة، من سنة 2002 إلى سنة 2025. فتم اختيار سنتي 2009 (الانتخابات الجماعية) والتي تم اضمام هذه المناطق إلى و 2011 (الربيع العربي). بحيث أنها تعتبر فترات انتقالية على مستوى المد العمراني الذي عرفته المجالات المجاورة للمدن المغربية بصفة عامة ومدينة الجديدة لم تخرج عن هذا السياق، حيث أردنا التأكد من تأثير هذا التحول على توسع مساحة هذه الأحياء، وذلك باستخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية "ArcGIS"، كما توضحه الخريطة رقم (4).

خريطة رقم 4: حدود الدواوير والمنازل المشيدة بعد سنتي 2009 و 2011 بالدواوير المدروسة



المصدر: صورة جوية من Google Earth، عمل ميداني (برنامج ArcGis)

عرف امتداد المباني توسعا سريعا بين 2009 و 2011، حيث انتقلت مساحة الدواوير من 22 هكتار إلى 26 هكتار أي بزيادة قدرها 6%.

ومن هنا نسجل عدد المنازل المشيدة والمساحة المضافة ما بين سنتي 2009 و 2011 حسب الدواوير بالاعتماد على متوسط مساحة المنزل (60متر²) والنتائج كانت كالآتي:

جدول رقم 2: مجموع مساحة المنازل ومتوسط عددها، والمساحة الكلية للدواوير لسنة 2009 وسنة 2011

الدوار	المساحة الكلية للدوار (متر ²)	مساحة المنازل المشيدة بعد سنة 2009 بالمتر ²	عدد المنازل المشيدة بعد سنة 2009	مساحة المنازل المشيدة بعد سنة 2011 بالمتر ²	عدد المنازل المشيدة بعد سنة 2011
الشهب	119705	2268	38	11611	194
الغنادرة	136836	4456	74	13112	219
إبراهيم	104504	1276	21	4207	70
المجموع	361045	8000	133	28930	482

(لحساب عدد المنازل تم الاعتماد على متوسط مساحة المنزل 60: متر²)

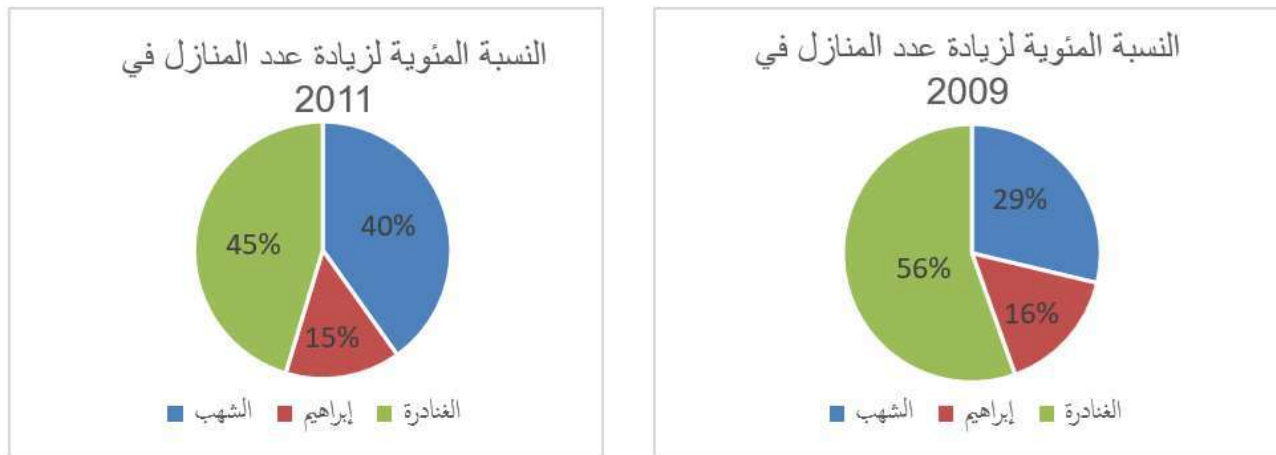
المصدر: عمل ميداني

وبهذا فإن مجموع المنازل المضافة خلال هاتين الفترتين بلغ حوالي:

المجموع	دوار إبراهيم	دوار الغنادرة	دوار الشهب
حوالي 615 منزل مضاف	91 منزل	293 منزل	232 منزل

وهذا ما تبينه النسب المئوية لتطور عدد المنازل (المبيان 3):

مبيان رقم 3: النسب المئوية لزيادة عدد المنازل في الدواوير لسنتي 2009 و2011



المصدر: عمل ميداني

من خلال المعطيات السابقة يتبين أن دوار الغنادرة عرف ارتفاعا كبيرا خلال 2009 و2011 والأمر نفسه بالنسبة لدوار الشهب بزيادة قدرها **+40%** سنة 2011 مقارنة مع 2009، أما دوار إبراهيم فعرف زيادة بنفس النسبة تقريبا **+15%**، وهذا راجع إلى رخص الأئمة بدوار الغنادرة مقارنة مع الدواوير الأخرى، نظرا لموقعه البعيد عن وسائل النقل العمومية.

ب. توسع عمودي:

وفق معرفتنا المسبقة للأحياء المدروسة قبل سنة 2009، كان السكن العمودي في هذه الدواوير محدود جدا، أما بعد سنتي 2009 و2011 أصبح منتشر بشكل كبير، خصوصا في زقاق لا يتعدى عرضها المتر ونصف. ونسجل حسب العمل الميداني الآتي:

جدول رقم 3: عدد المنازل والطوابق بالدواوير

الدوار	عدد المنازل	عدد المنازل ذات طابق R+1	عدد المنازل ذات طابق R+2
الشهب	540	303	44
الغنادرة	327	150	24
إبراهيم	312	189	96
المجموع	1179	642	164

المصدر: عمل ميداني، أبريل 2025

عبر هاته المعطيات نطرح عدة تساؤلات:

ما هو سبب اختيار السكان لهذه الدواوير بعينها؟ لماذا التهافت الكبير على البناء السري خلال فترات معينة؟ ولماذا عرفت بعض الدواوير ارتفاعا في عدد منازلها دون الأخرى؟

2. عوامل تطور الأحياء العشوائية المدروسة

تعد الأحياء المدروسة دواوير قروية في الأساس، وبحكم الزحف العمراني خلال 30 سنة الأخيرة وكذلك قربها من المدار الحضري، إضافة إلى عنصر الهجرة، جعل منها مقصدا للسكان، آملين أن تخضع إلى إعادة الهيكلة. ومن الأسباب التي جعلت هذه الدواوير تعرف توافد للسكان نلخصها فيما يلي:

1-2 الهجرة

تعرف ظاهرة الهجرة في مختلف أنحاء العالم أسباب متعددة، وخصوصا الهجرة القروية وذلك بهدف تحسين الوضع الاقتصادي للأسر. مما أدى إلى كثافة سكانية كبيرة.

جدول رقم 4: الثقل الديمغرافي للدواوير

الدوار	عدد المنازل	عدد الأسر	عدد السكان (5 أفراد في الأسرة)	مساحة الدوار المبنية (الهكتار)	مساحة الدوار المبنية (كلم ²)	الكثافة (نسمة/كلم ²)
الشهب	540	692	3460	8,73	0,09	40
الغنادرة	327	420	2100	10,69	0,11	20
إبراهيم	312	367	1835	6,44	0,06	28
المجموع	1179	1479	7395	25,86	0,26	28

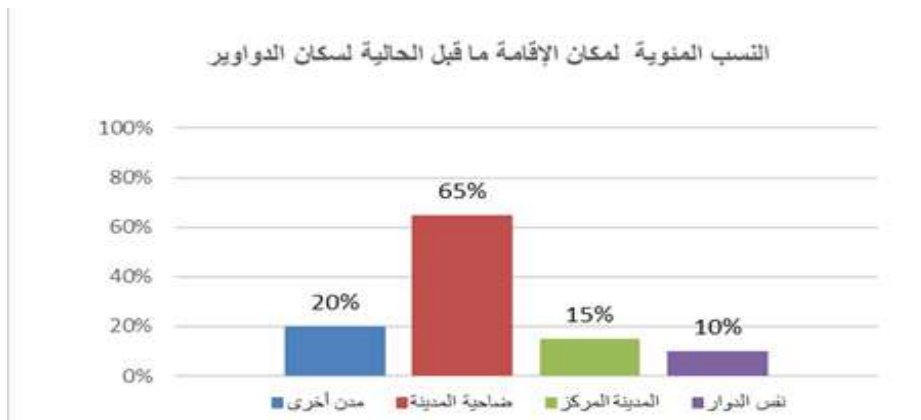
المصدر: عمل ميداني

نلاحظ أن الكثافة السكانية تسجل ارتفاعا كبيرا خصوصا في دوار الشهب 40 ألف (ن/كلم²) متبوعا بإبراهيم 28 ألف (ن/كلم²) ثم الغنادرة 20 ألف (ن/كلم²)، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل حول الأصول الجغرافية لسكان الدواوير.

2-2 الأصول الجغرافية لسكان الدواوير المدروسة

أغلب سكان الدواوير المدروسة خصوصا الذين سكنوا في تسعينيات القرن الماضي هم من المناطق المجاورة للمدينة حسب العمل الميداني الذي قمنا به، والذي تم استجواب 50 شخص من الدواوير الثلاث، التي كانت نتائجها على الشكل الآتي:

مبيان رقم 4: الأصول الجغرافية لسكان الدواوير (النسب المئوية)



المحور الثالث: التهيئة المجالية عبر إعادة هيكلة للأحياء العشوائية المدروسة "دواوير (الأشهب - الغنادرة - إبراهيم)"

1) مظاهر الاختلال على مستوى النسيج العمراني بين مجاورة أحياء نظامية مجهزة (حي كاليفورنيا) وأخرى عشوائية ناقصة التجهيز (دوار الغنادرة)

يعتبر حي الغنادرة من الدواوير القديمة النشأة في المنطقة، وكان يضم أسرا قليلة، لكن أصبح الآن عبارة عن حي أهل بالسكان.

وفق الدراسة الميدانية تمت ملاحظة غريبة؛ وهي تجاور سكن عشوائي وريفي (دوار الغنادرة) مع سكن مخطط ومنظم (حي كاليفورنيا) الراقى.



صورة رقم 1: صورة جوية توضح تجاور حي منظم بحي عشوائي
المصدر : صورة جوية Google Earth سنة 2022

من الوهلة الأولى يتضح عدم التناسق بين الأحياء، فتاريخيا دوار الغنادرة هو الأقدم بعشرات السنين، لكن حي كاليفورنيا الذي أضيف في سنة 2007، يتوفر على الماء والإنارة العمومية والصرف الصحي وكل الخدمات الأساسية لحي الفيلات، في حين أن دوار الغنادرة الذي يبعد عن هذا الحي بأمتار قليلة، لم تكن له هاته الامتيازات رغم أنه داخل المدار الحضري، بحجة أنه هناك إمكانية ترحيل الساكنة إلى موضع آخر.

الصورة رقم 2: مجموعة من الصور توضح تجاور حي منظم بحي عشوائي والتداخل بين سكن فيلات والسكن العشوائي العمودي



المصدر : عمل ميداني 2022/04/06

لكن تغيرت الأوضاع بعد سنة 2011، حيث تم زيادة عدد المنازل بفعل احتجاجات الربيع العربي، والغريب أن التوسع كان أيضا عموديا في عدد كبير من المباني التي لها طابق أو طابقين الذين يشكلون تقريبا النصف، مما أصبح من الصعب إزالة هذا الدوار بالنسبة للسلطات المعنية؛ خصوصا أن هناك دواوير كثيرة مثل هذه الحالة. فعملية إحصاء الأسر والدواوير بالضاحية سجلت حوالي 11000 أسرة في 15 دوار مما سيتطلب ميزانية إضافية لترحيل السكان، فكان الخيار هو تحسين الخدمات بهاته الدواوير.

فالتخطيط الحضري يُبنى على تمييز الأحياء عن بعضها البعض، فالقانون يوصي بأن لا تكون أحياء الفيلات وأحياء السكن الفردي (منازل خاصة) أو (العمارات) جنبا إلى جنب؛ والمثال على ذلك يبين دوار الغنادرة التي بدأت فيه إعادة الهيكلة وحي كاليفورنيا من خلال مجموعة الصور (الصورة رقم 2).

2) مدى إدماج الساكنة في مستوى تنزيل المشاريع وانخراطها في هاته العملية

تتنتمي ساكنة الأحياء العشوائية في الغالب من الطبقات الاجتماعية ذات الدخل المحدود، وحسب الإحصاء الذي قمنا به على 50 فرد من الدواوير الثلاث، غالبيتهم في مهن المياومة كمهن في الجبص والبناء والكهرباء وغيرها من المهن الغير قارة، مما تلجأ إلى البناء السري أو حتى التطاول على الملك العام. وبما أن هذه المجالات التي تقطنها تتميز بالهشاشة القانونية، فإن إعادة هيكلتها تكون في مصلحة ساكنتها، إذ تسوى وضعيتهم السكنية وتتيح لهم فرصة الاندماج في باقي النسيج الحضري. إلا أن هذه العمليات غالبا ما تتم دون استشارة وإشراف الساكنة المعنية في جميع مراحل تصور إنجاز ومتابعة المشاريع، فالساكنة حسب المقابلات التي أجريناها معهم لم يستشاروا ولم يتم طلبهم سوى في مرحلة استخلاص التكاليف، ويتبين أن مبدأ المشاركة الذي تعتبره الدولة ركيزة أساسية لإنجاح المشاريع يظل حبيس الخطاب الرسمي دون أن يتجسد على مستوى الممارسة والتطبيق، باعتباره يشكل عرقلة يجب تجاوزها؛ من خلال مفاجأة السكان ووضعهم أمام الأمر الواقع، حيث ظلت الساكنة المعنية بهذه التدخلات مقصية دائما من خلال عدم مشاركتها في اتخاذ القرار والإدلاء باقتراحاتهم. ويمثل الجدول (5) عدد الأسر التي أخطرت بقرار الهدم من طرف السلطات المعنية.

جدول رقم 5: عدد الأسر المرحلة في إطار إعادة الهيكلة

الدواوير	عدد الأسر	الأسر المرحلة	النسبة المئوية للأسر المرحلة عن الدوار
الشهب	692	30	4%
الغنادرة	420	32	8%
إبراهيم	367	8	2%
المجموع	1479	70	5%

وبحكم أن قرار الهدم للمنازل التي توجد بملتقيات الطرق، فالمسطرة القانونية تقتضي بالاستفادة من بقع أرضية خاصة في حي النجد، مما يتوجب على المستفيد دفع 20000 درهم للوازم الوثائق والتحفيظ.

رغم أن مشروع تصميم التهيئة جاء بمجموعة من الاقتراحات، التي تهدف إلى إصلاح الوضع القائم بالمنطقة، إلا أن هذه الأفكار والاقتراحات لم ترق إلى ساكنة المنطقة، فبادر السكان في وضع تعرضاتهم على هذه الاقتراحات بمقر العمالة.

صورة رقم 3: هدم منازل في إطار إعادة الهيكلة



3. رصد الخدمات الأساسية والبنيات التحتية في الأحياء المدروسة

إن البنيات التحتية والخدمات الأساسية من الضروريات للعيش الكريم وللاستقرار الساكنة، فقمنا برصد أهم الخدمات الناقصة وكذا التي تم تهيئتها.

في مجال التجهيزات: تم تعبيد الطريق رقم 3408 المؤدية إلى الدواوير المدروسة؛

الإنارة العمومية: تم تجهيز الإنارة العمومية بالدواوير المدروسة؛

الماء الصالح للشرب وتصريف المياه العادمة: تم ربط الدواوير بشبكة الماء الصالح للشرب وتصريف المياه العادمة من طرف الوكالة المستقلة للماء والكهرباء R.A.D.E.E.J الجديدة "سابقا" حاليا باسم الشركة الجهوية متعددة الخدمات الدار البيضاء-سطات (SRMCS).

تبليط الأرضية: تم تبليط الأرضية في الدواوير المدروسة شهر أبريل 2022.

صور رقم 4: نموذج لتهيئة الأزقة بقنوات الصرف الصحي والإنارة العمومية وتبليط الأرضية



ROYAUME DU MAROC MINISTRE DE L'INTERIEUR PROVINCE D'EL JADIDA COMMUNE D'EL JADIDA	البلدية الوضعية للتنمية البشرية Initiative Nationale pour le Développement Humain	المنطقة الحضرية وادي العافية عمالة الجديدة عمالة الجديدة
مشروع: اشغال ربط الدواوير لشهب ولقنارة بجماعة الجديدة بشبكة الانارة العمومية		
PROJET : TRAVAUX D'ECLAIRAGE PUBLIC DES DOUARS LACHEHAB & LAGHNADRA A EL JADIDA		
صفحة رقم: 05 / 2018 2018 / 05		
Montant du marché :	1 893 645,60 DHS TTC	مبلغ الصفقة
Délais du Marché :	5 mois	مدة الأشغال: 5 أشهر
MAITRE D'OUVRAGE :	COMMUNE EL JADIDA	صاحب المشروع: جماعة الجديدة
BUREAU D'ETUDES :	MAKAUDIT CONSULTING	مكتب الدراسات
LABORATOIRE :	CONTROLAB	المختبر
ENTREPRISE :	ELECTRICITE OTHMANE EL GOUTE	مقاول

المصدر: العمل الميداني

نظرا لصعوبة ترحيل ساكنة الدواوير، تعد إعادة هيكلة الأحياء الناقصة التجهيز وإدماجها بالنسيج الحضري، هو الحل الأمثل لدى السلطات المحلية، بهدف تحسين ظروف عيش المواطنين عبر محاربة السكن الغير اللائق، وكذلك حماية البيئة والتنمية المستدامة، وهذا ما تم تجسيده بالدواوير المدروسة.

الخلاصة والتوصيات

شهدت أحياء "الدواوير" (الشهب، الغنادرة، إبراهيم) وهي كنموذج لباقي الدواوير المحيطة بمدينة الجديدة مجموعة من الاختلالات العمرانية خلال العشرية الأخيرة، بسبب توافد عدد كبير من المهاجرين سواء كانوا من القرى أو من مدينة الجديدة نفسها، مما أدى إلى انتشار السكن العشوائي بها. فهذه المنطقة تحتضن شريحة اجتماعية مهمشة كانت تعيش في غياب جل التجهيزات الأساسية والبنيات التحتية وفي وضع بيئي جد متردي. وفي إطار تعزيز التهيئة الحضرية بالمدينة بدأت إعادة الاعتبار نوعا ما لهاته المناطق المهمشة وذلك بتأهيلها وإعادة هيكلتها وتحسين إطار عيش ساكنتها، إضافة إلى تأهيل البنيات التحتية بها وتدعيم سياسة القرب التي تتجلى في ربط الأحياء بالمرافق الحيوية.

رغم مخطط إعادة هيكلة الأحياء ناقصة التجهيز بالمدينة، تظل مخططات مدينة الجديدة تتسم بالعديد من النقائص بسبب تضارب في المصالح بين الهيآت المكلفة بالتخطيط من جهة، وبين تلك المكلفة بتطبيق توجهات هذه المخططات من جهة ثانية، مع غياب مقاربة تشاركية، تشرك جميع الفعاليات المهمة في جميع مراحل التخطيط والتطبيق.

فمن التوصيات التي نوصي بها للحد من تنامي ظاهرة الأحياء العشوائية ذات السكن الصلب في الدواوير المحيطة بالمدينة والتي ستتظم إلى المجال الحضري آجلا أم عاجلا، يجب وضع مخططات وتصاميم تهيئة على المدى البعيد، وفتح مناطق جديدة للتعمير وتطوير قطاع السكن، إضافة إلى توفير احتياطي عقاري للمدينة في حالة ترحيل الساكنة. دون إغفال عنصر التنمية المستدامة مع مراعاة الجانب البيئي في التخطيط العمراني.

الهوامش

¹ إسماعيل الخياطي، انتشار التمدين وتطور السكن الغير اللائق بالمجال المجاور لمدينة الجديدة، أي علاقة ندوة "إعادة تشكيل وتنمية المجالات البيحضرية بحوض البحر الأبيض المتوسط رؤى متقطعة " الجديدة 29، 30، 31 أكتوبر 2015 المجلد الأول ص 320.

² سمير أمين (1931-2018) مفكر وسياسي وعالم اقتصاد مصري، له ازيد من 100 مؤلف ومقال في الاقتصاد والمالية، شغل عده مناصب سياسية واقتصادية في عديد من الدول، كما عمل مستشار اقتصادي لمنظمة الامم المتحدة، في البداية في الدلالة على الفروق الاقتصادية بين الدول المتخلفة والنامية التي ادرجها ضمن خانة الهامش، وبين الدول الرأسمالية الغربية المتقدمة في الميادين الاقتصادية، إلا انه أبان في عدة مؤلفات ان نظرية المركز يمكن ان نجدها حتى داخل نفس البلد وحتى داخل نفس المدينة، وذلك من خلال تبين النمو الاقتصادي والاجتماعي بين المجالات.

لائحة المراجع

1. بنونة، عبد الحق. (دون تاريخ). قضية إعادة هيكلة الأحياء السرية بالمدن المغربية ودور الباحث الجغرافي . ضمن :المدينة المغربية في أفق القرن الواحد والعشرين بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي .كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية. [ورقة مؤتمر].
2. الخطيب، ماجد. (دون تاريخ). النسيج الحضري للنجف: عوامل النشأة والتغيير .بغداد: دار الشؤون الثقافية. [كتاب؛ دون طبعة وسنة نشر].
3. الخياطي، إسماعيل. (2015). انتشار التمدين وتطور السكن غير اللائق بالمجال المجاور لمدينة الجديدة: أي علاقة؟ ضمن وقائع ندوة إعادة تشكيل وتنمية المجالات البيحضرية بحوض البحر الأبيض المتوسط: رؤى متقاطعة (المجلد 1). الجديدة، المغرب. [وقائع ندوة].
4. التقرير المؤسسي. (8 يونيو/حزيران 2017). تقرير المرحلة الأولى من الدراسة: التشخيص التشاركي المجالي لمدينة الجديدة [تقرير مؤسسي].
5. الربداوي، قاسم. (2012). مشكلة السكن العشوائي في المدن العربية الكبرى .مجلة جامعة دمشق، 28، ص ص غير متاحة. [مقال علمي].
6. الكساب، رجا. (أبريل/نيسان 2019). العشوائيات بالمغرب... أو انتهاك الحق في السكن .الشبكة العالمية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية/حقوق السكن والأرض. متاح على : www.hlrn.org/img/documents/al-Kassab_Slums_in_Morocco_Ar.pdf (تاريخ الاطلاع: 2025/10/04).
7. حماني، عبد الإله. (2009). التخطيط الحضري بالمقاطعة الحضرية زواغة (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس. الموسم الجامعي 2009/2008.
8. صواب، ماجدة. (2001). إعادة هيكلة السكن غير القانوني بمدينة فاس: الحصيلة والآفاق (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس - ظهر المهرز. "2001/2000".
9. Banque Mondiale & Royaume du Maroc. (2006). Maroc : programme « Ville sans Bidonvilles ». Rapport final : analyse d'impact social et sur la pauvreté.
10. Direction de l'Habitat Social et des Affaires Foncières, Secrétariat d'État à l'Habitat. (1999). Étude relative à la résorption de l'habitat insalubre : redéfinition des méthodes d'intervention, analyse et diagnostic. Rapport transversal, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Royaume du Maroc.
11. Fonds d'Équipement Communal. (2009). Mission de formation et d'accompagnement des collectivités locales en matière de planification des déplacements urbains : pré-diagnostic PDU du Grand El Jadida.
12. Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Direction de l'Aménagement du Territoire. (2000). Le territoire marocain : état des lieux.
13. Ministère délégué auprès du Premier ministre, chargé de l'Habitat et de l'Urbanisme. (2005). Urbanisme non réglementaire au Maroc. Collection : Villes et urbanisme, mai 2005. Royaume du Maroc.
14. Agence Urbaine d'El Jadida. (2014). Rapport du Conseil d'Administration de l'Agence Urbaine d'El Jadida, 6e session.

عنوان البحث

المحطات الحرارية في المغرب: الآثار البيئية والصحية في ضوء الضغط الديموغرافي والسياسات الطاقوية

د. محمد كواني*¹، د. منير ندي²، د. بدر ايباش³، دة. رشيدة المرابط⁴

¹ طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب.

² طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب.

³ طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب.

⁴ أستاذة التعليم العالي جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب.

*بريد الكتروني الباحث المراسل: Mohammed.kaoini-etu@etu.univh2c.ma

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/6>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/6>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل دور المحطات الحرارية في المغرب من منظور جغرافي بيئي وصحي. ورغم الطموحات الوطنية في مجال الطاقات المتجددة، ما تزال المحطات الحرارية القائمة على الفحم والغاز والنفط تشكل ركيزة أساسية في النظام الكهربائي المغربي. خلص البحث إلى أن هذه المحطات تترك آثارا بيئية ملحوظة، أبرزها انبعاث جسيمات دقيقة وأكاسيد الكبريت والنيتروجين، مما يؤثر سلبا على جودة الهواء والصحة العامة، خاصة في المناطق المجاورة مثل الجرف الأصفر والمحمدية وآسفي. كما أظهر التحليل أن الإطار القانوني المغربي (المراسيم 2-09-286 و 2-09-631) يضع معايير واضحة لجودة الهواء والانبعاثات، غير أن التطبيق العملي يواجه تحديات مؤسسية وتقنية. توصي الدراسة بضرورة تحديث الوحدات القديمة، تعزيز أنظمة المراقبة البيئية، إجراء دراسات وبائية محلية، ووضع جدول زمني واضح للانتقال التدريجي نحو الطاقات النظيفة، بما يضمن توازنا بين متطلبات الأمن الطاقوي وحماية البيئة والصحة.

الكلمات المفتاحية: محطات حرارية، تلوث الهواء، الصحة العامة، انبعاثات، جودة الهواء.

RESEARCH TITLE

Thermal Power Stations in Morocco: Environmental and Health Impacts in Light of Demographic Pressure and Energy Policies**Abstract**

This study analyzes the role of thermal power plants in Morocco from an environmental and health geography perspective. Despite the country's ambitious renewable energy strategies, coal-, oil-, and gas-fired plants remain a cornerstone of the national electricity system. The findings show that these facilities produce significant environmental impacts, notably through emissions of fine particulate matter, sulfur oxides, and nitrogen oxides, which negatively affect air quality and public health, especially in areas surrounding Jorf Lasfar, Mohammedia, and Safi. The analysis also reveals that Morocco's legal framework (Decrees 2-09-286 and 2-09-631) sets clear standards for air quality and emissions, yet enforcement remains limited due to institutional and technical constraints. The study recommends upgrading outdated units, strengthening environmental monitoring systems, conducting local epidemiological studies, and establishing a clear roadmap for a gradual transition towards cleaner energy sources, thus balancing energy security with environmental and health protection.

Key Words: Thermal power plants, Air pollution, Public health, Emissions, Air quality.

مقدمة

شهد المغرب خلال العقود الأخيرة طفرة ملحوظة في الطلب على الطاقة الكهربائية، نتيجة عوامل متعددة أبرزها النمو الديمغرافي، التحضر المتسارع، والتوسع الصناعي (IEA, 2019). وللاستجابة لهذا الطلب، اتجهت الدولة إلى الاستثمار في محطات حرارية كبرى تعتمد بالأساس على الفحم والفيول والغاز الطبيعي، نظرًا لقدرتها العالية على تلبية الطلب المتزايد وضمان استقرار الشبكة الكهربائية (Amegroud, 2016). وتُعتبر محطة الجرف الأصفر مثالاً بارزاً، حيث تُعد من بين أكبر المحطات الحرارية في إفريقيا بطاقة إنتاجية تفوق 2000 ميغاواط. (ONEE, 2021)

ورغم الدور الاستراتيجي لهذه المحطات في ضمان الأمن الطاقوي الوطني، إلا أنها تطرح إشكالات بيئية وصحية جسيمة مرتبطة بالانبعاثات الغازية والملوثات الدقيقة الناتجة عن عملية الاحتراق. وتشمل هذه الانبعاثات بالأساس الجسيمات الدقيقة ($PM_{2.5}$) و(PM_{10})، وأكاسيد الكبريت (SO_2)، وأكاسيد النيتروجين (NOx)، وثنائي أكسيد الكربون (CO_2)، وهي ملوثات ترتبط بشكل مباشر بتدهور جودة الهواء وتفاقم الأمراض التنفسية والقلبية الوعائية (WHO, 2021؛ Smith & Myers, 2020).

وقد أكدت دراسات حديثة في المغرب، مثل *Ambient Air Quality and Health Impact of Exposure to Outdoor Air Pollution in the Moroccan Population: A Systematic Review* (El Fakir et al., 2023)، أن مستويات الملوثات الهوائية في محيط المحطات الحرارية غالباً ما تتجاوز الحدود المسموح بها وطنياً ودولياً، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات الإصابة بالربو والأمراض المزمنة خاصة لدى الأطفال وكبار السن. كما أظهرت دراسة *Environmental Impacts of Coal-based Power Plants in Morocco* (El Khattabi & Bensaid, 2017) أن اعتماد المغرب الكبير على الفحم في إنتاج الكهرباء يجعله من أكبر مصادر انبعاثات ثاني أكسيد الكربون على المستوى الوطني، في تعارض نسبي مع التزامات البلاد المناخية في إطار اتفاقية باريس 2015.

بناءً على ذلك، تتحدد إشكالية هذا البحث في تحليل التباين بين الدور الاقتصادي-الطاقوي الحيوي للمحطات الحرارية بالمغرب، من جهة، وآثارها البيئية والصحية المقلقة، من جهة ثانية، وذلك عبر دراسة حالات كل من محطات الجرف الأصفر، المحمدية، آسفي، والقنيطرة، التي تمثل أهم المراكز الطاقوية الحرارية في البلاد.

إشكالية البحث

تتجلى الإشكالية المركزية لهذا البحث في المفارقة بين الدور الاستراتيجي للمحطات الحرارية في تأمين حاجيات المغرب من الطاقة الكهربائية، وبين الآثار البيئية والصحية السلبية الناجمة عن اعتمادها الكبير على الفحم والفيول والغاز الطبيعي. فرغم الأهمية المحورية لهذه المحطات في ضمان الأمن الطاقوي الوطني، خصوصاً في سياق تزايد الطلب على الكهرباء بفعل النمو الديمغرافي والتوسع الصناعي (Cherkaoui, 2019)، إلا أن انبعاثاتها الغازية والجسيمية (SO_2 , $PM_{2.5}$, CO_2 , NOx) تطرح تحديات حقيقية مرتبطة بتدهور جودة الهواء، وارتفاع نسب الإصابة بالأمراض التنفسية والقلبية في المناطق المجاورة. (Lahbabi et al., 2021; Lelieveld et al., 2015)

وتتعمق هذه الإشكالية أكثر بالنظر إلى التزامات المغرب الدولية في إطار اتفاقية باريس للمناخ (2015) والالتزامات الطوعية لخفض الانبعاثات بنسبة تصل إلى 45.5% بحلول 2030. (Kingdom of Morocco, NDC, 2021) هذا الوضع يثير تساؤلات حول مدى فعالية الأطر القانونية والتنظيمية الوطنية، وخاصة المرسومين 286-09-2020 والمتعلق بجودة الهواء و 631-09-2020 الخاص بالانبعاثات الغازية الصناعية، في ضبط الملوثات الصادرة عن هذه المحطات

والحد من آثارها الصحية والبيئية.

بالتالي، تكمن إشكالية هذا البحث في:

- كيف يمكن التوفيق بين متطلبات الأمن الطاقوي الوطني وبين مقتضيات الصحة العامة وحماية البيئة؟
- إلى أي حد تتجح التشريعات البيئية الوطنية في الحد من الانبعاثات الصادرة عن المحطات الحرارية وضمان الامتثال للالتزامات الدولية للمغرب في مجال المناخ؟

حدود البحث

- **المجال المكاني:** يركز البحث على المحطات الحرارية الكبرى بالمغرب، وبالأخص محطات جرف الأصفر، المحمدية، وآسفي.
- **الإطار الزمني:** الفترة الممتدة من سنة 2000 إلى 2024، باعتبارها مرحلة شهدت توسعاً في البنية الطاقية، وتبني المغرب لخيارات بيئية وتشريعية جديدة.
- **الموضوع:** دراسة جغرافية-بيئية وصحية، تجمع بين تحليل التوزيع المكاني للمحطات، تقدير الانبعاثات، ورصد التأثيرات الصحية والبيئية.

أهداف البحث

1. توصيف جغرافي لتوزيع المحطات الحرارية في المغرب وربطها بالمجال والسكان.
2. تحليل بيئي للملوثات الرئيسية المنبعثة من هذه المحطات وآثارها على جودة الهواء.
3. تقييم صحي للانعكاسات المرتبطة بالتعرض المزمن للتلوث الصناعي في المناطق المجاورة.
4. تحليل قانوني للإطار التنظيمي المغربي ومدى فعاليته في ضبط الانبعاثات.
5. اقتراح توصيات عملية توازن بين متطلبات التنمية الطاقية وحماية البيئة والصحة العامة.

أهمية البحث

تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تدمج بين البعد الجغرافي (توزيع المحطات وعلاقتها بالمجال) والبعد البيئي والصحي (تأثير التلوث على الساكنة والنظم البيئية)، إضافة إلى البعد القانوني والسياسي (تقييم فعالية التشريعات الوطنية). كما تساهم في إغناء النقاش العلمي حول الانتقال الطاقوي العادل بالمغرب، وتقديم أرضية معرفية لصانعي القرار في مجال السياسات الطاقية والبيئية.

فرضية الدراسة

تتطلق هذه الدراسة من الفرضية الرئيسية التالية:

"رغم الأهمية الاستراتيجية للمحطات الحرارية في تأمين التوازن الطاقوي بالمغرب، فإن توطئها على السواحل القريبة من التجمعات السكانية والأنشطة الاقتصادية يجعلها مصدراً رئيسياً لتدهور جودة الهواء، وما يترتب عن ذلك من آثار سلبية على الصحة العامة والنظم البيئية، في ظل محدودية فعالية الأطر القانونية والتنظيمية في ضبط الانبعاثات".

الفرضيات الفرعية:

1. فرضية بيئية: الانبعاثات الناتجة عن المحطات الحرارية) خصوصاً SO_2 ، NO_x ، والجسيمات الدقيقة (تُسهم في تدهور جودة الهواء بالمجالات الحضرية والساحلية المجاورة.
2. فرضية صحية: ارتفاع معدلات الأمراض التنفسية والقلبية في المناطق القريبة من المحطات الحرارية يرتبط بشكل مباشر بتركيز الملوثات الصناعية في الجو.
3. فرضية قانونية: الإطار القانوني المغربي (المراسيم والاتفاقيات الدولية) يظل غير كاف من حيث التطبيق والمراقبة للحد من الآثار السلبية للانبعاثات الحرارية.
4. فرضية جغرافية: التوزيع المكاني للمحطات الحرارية يبرز عدم عدالة مجالية، حيث تتركز الانعكاسات البيئية والصحية على جماعات محلية بعينها دون غيرها.
5. فرضية استراتيجية: إدماج الطاقات المتجددة وتطبيق آليات احتجاز الكربون (CCS) يمثلان بديلا تدريجيا قادرا على الحد من الانعكاسات البيئية والصحية لهذه المحطات.

منهجية الدراسة

اعتمد هذا البحث على مقارنة جغرافية-بيئية متعددة التخصصات، تجمع بين التحليل المكاني، التقييم البيئي، والدراسة القانونية والصحية. وقد تم تقسيم المنهجية إلى ثلاث مستويات أساسية:

1. المنهج الوصفي-التحليلي

- الوصف الجغرافي: تحديد مواقع المحطات الحرارية الكبرى بالمغرب (جرف الأصفر، المحمدية، آسفي، القنيطرة)، مع تحليل علاقتها بالمجال (السواحل، الموانئ، التجمعات السكانية، البنيات التحتية).
- التحليل البيئي: توصيف طبيعة الانبعاثات الناتجة عن المحطات (CO_2 ، SO_2 ، NO_x ، $PM_{2.5}$ و PM_{10}) وقياس آثارها على جودة الهواء والغطاء النباتي والوسط المائي.
- التحليل القانوني: دراسة النصوص التشريعية والتنظيمية المغربية (خاصة المرسومين 2-09-286 و 2-09-631)، وربطها بالمعايير الدولية (WHO)، الاتحاد الأوروبي.

2. المنهج الكمي-الإحصائي

- الاعتماد على بيانات كمية من تقارير المكتب الوطني للكهرباء والماء (ONEE)، ووزارة الانتقال الطاقوي والتنمية المستدامة، والمندوبية السامية للتخطيط. (HCP)
- استخدام إحصائيات الانبعاثات ومؤشرات الأمراض التنفسية والقلبية المرتبطة بالتلوث.

3. المنهج الجغرافي-الخرائطي (GIS)

- اعتماد نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لرسم خرائط توضح التوزيع المكاني للمحطات الحرارية وعلاقتها بالكثافة السكانية والأنشطة الاقتصادية.
- إنجاز خرائط تبين تلوث الهواء (SO_2) ، NO_2 ، PM_{10} على المستوى الجهوي والمحلي.
- ربط النتائج الميدانية بالمؤشرات الصحية عبر الخرائط التفاعلية لتوضيح التباينات المجالية.

4. المنهج المقارن

- مقارنة نتائج المغرب مع تجارب دولية مشابهة (مثل مصر، تركيا، وألمانيا) في مجال تدبير المحطات الحرارية والانتقال نحو الطاقات المتجددة.
- تحليل فعالية التشريعات المغربية في ضبط الانبعاثات مقارنة بالمعايير الأوروبية ومنظمة الصحة العالمية.

5. أدوات جمع المعطيات

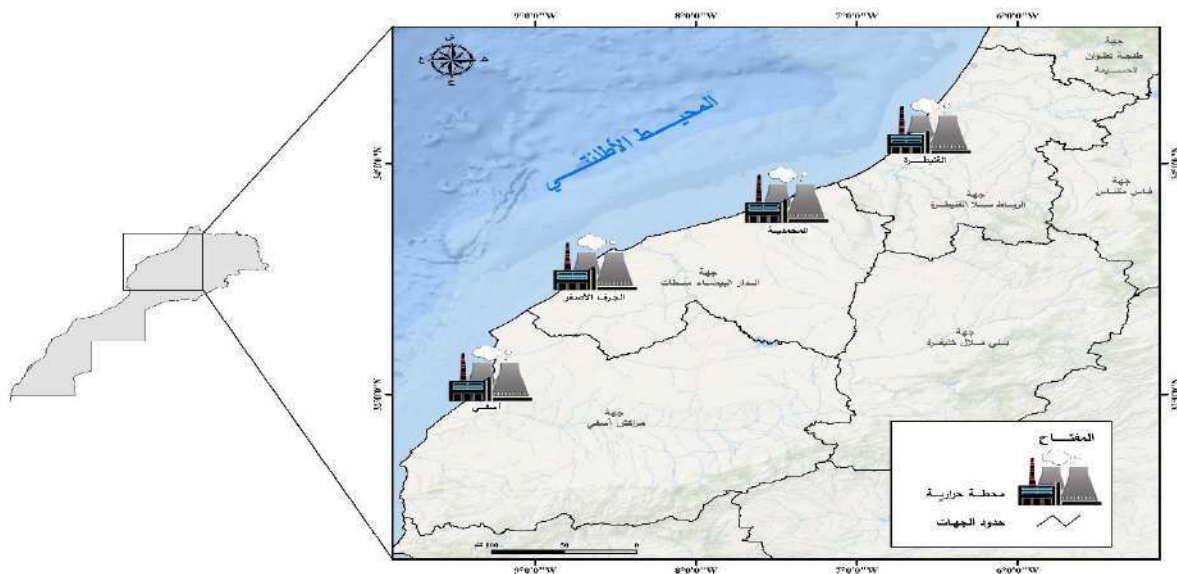
- مصادر ثانوية: تقارير وطنية ودولية (ONEE)، وزارة البيئة، البنك الدولي، الوكالة الدولية للطاقة (IEA).
- دراسات سابقة: أبحاث أكاديمية حول التلوث الصناعي والصحة العامة.
- معطيات ميدانية: بيانات محطات قياس جودة الهواء (مثل شبكة المراقبة التابعة لوزارة الانتقال الطاقوي).

النتائج

1. التوزيع الجغرافي للمحطات الحرارية

- تتركز معظم المحطات الحرارية الكبرى بالمغرب على الساحل الأطلسي (جرف الأصفر، المحمدية، آسفي، القنيطرة)، وذلك لقربها من الموانئ التي تستقبل شحنات الفحم المستورد.

الشكل 1: خريطة توزيع المحطات الحرارية بالمغرب



المصدر عمل شخصي اعتماداً على برنامج SIG والعمل الميداني

هذا التوزيع يعكس خياراً استراتيجياً للدولة لضمان سهولة التزود بالوقود، لكنه يجعل مناطق حضرية كبرى (الدار البيضاء-المحمدية-آسفي، القنيطرة) عرضة لتلوث الهواء الصناعي.

جرف الأصفر (Jorf Lasfar): موقع ساحلي جنوب الدار البيضاء (إقليم الجديدة)، يعدّ مجمعاً صناعياً وطاقياً كبيراً، وسعة المحطة نحو 2,056 MW وحدة حرارية كثيفة الاعتماد على الفحم/مركب طاقة كبير¹.

¹ https://www.gem.wiki/Jorf_Lasfar_power_station

المحمدية: (Mohammedia) محطة قديمة نسبياً تضم وحدات تعتمد النفط والفحم، القدرة التشغيلية المجمعة تُقدَّر بمئات الميغاواط) تقارير تُشير إلى نحو 600 MW لإجمالي المحطات في المحمدية. (موقعها بين الدار البيضاء والرباط يجعلها قريبة من تجمعات سكانية كبيرة² .

آسفي: (Safi) محطة كبيرة فائقة الفاعلية (ultra-supercritical) بحجم يقارب 1,386 MW، قريبة من ميناء آسفي (استُخدم لاستقبال الفحم)، وتُعدّ من أكبر الوحدات الفحمية في المغرب³ .

القنيطرة: (Kenitra) محطة غاز/نظم توربينية بسعة تقريبية ≈ 315 MW، تقع في منطقة الشمال الغربي قرب مصب وطني مهم وتخدم إقليم الرباط-سلا-القنيطرة⁴ .

2. الانبعاثات الغازية والملوثات

تُعتبر المحطات الحرارية الكبرى بالمغرب، وخاصة محطة الجرف الأصفر (تبلغ قدرتها أكثر من 2,056 ميغاواط)، وآسفي (1,386 ميغاواط)، إضافة إلى المحمدية والقنيطرة، من أبرز المصادر الصناعية لانبعاث الغازات والملوثات الهوائية على الصعيد الوطني. ويعود ذلك إلى اعتمادها الكبير على الفحم الحجري (الجرف الأصفر وآسفي) والفيول الثقيل (المحمدية والقنيطرة)، مما يجعلها مسؤولة عن نسبة مهمة من التلوث الجوي المرتبط بإنتاج الكهرباء (IEA, 2019; ONEE, 2021).

أولاً – ثاني أكسيد الكبريت (SO_2):

يُعد من الملوثات الأكثر انبعاثاً نتيجة احتراق الفحم والفيول الغني بالكبريت. وتشير بيانات البنك الدولي (2020) إلى أن المغرب يسجل مستويات انبعاث SO_2 تتجاوز أحياناً 200 ألف طن سنوياً، أغلبها مرتبط بالمحطات الحرارية الساحلية. هذا الغاز يساهم في تكوين الأمطار الحمضية، ويؤثر سلباً على الغطاء النباتي، كما يرتبط بزيادة أمراض الجهاز التنفسي المزمنة (Lelieveld et al., 2015).

ثانياً – أكاسيد النيتروجين (NOx):

تنبعث بكميات كبيرة بسبب درجات الحرارة المرتفعة في غرف الاحتراق. وقد أظهرت دراسة Lahbabi et al (2021) أن مستويات NOx في المناطق المحيطة بمحطة المحمدية تفوق الحدود المسموح بها أوروبياً ($40 \mu g/m^3$ سنوياً)، وهو ما يساهم في تكوين الأوزون التروبوسفيري (O_3)، المعروف بتأثيره السلبي على الصحة والغطاء النباتي.

ثالثاً – ثاني أكسيد الكربون (CO_2):

يمثل المكوّن الأساسي لانبعاثات المحطات الحرارية. ووفقاً لتقرير المكتب الوطني للكهرباء والماء (ONEE, 2021)، فإن المحطات الحرارية مسؤولة عن حوالي 54% من مجمل انبعاثات CO_2 المرتبطة بإنتاج الكهرباء بالمغرب، أي ما يعادل أكثر من 20 مليون طن سنوياً. وهو ما يعكس التحدي الكبير أمام التزامات المغرب في خفض الانبعاثات ضمن اتفاقية باريس للمناخ.

² https://www.gem.wiki/Mohammedia_power_station

³ <https://www.nareva.ma/en/project/safi-thermal-power-plant>

⁴ <https://www.power-technology.com/marketdata/power-plant-profile-kenitra-gas-turbine-power-plant-morocco/>

رابعاً – الجسيمات الدقيقة ($PM_{2.5}$ و PM_{10}):

تنتج بالأساس عن احتراق الفحم الحجري وعدم كفاءة أنظمة التصفية. وقد أظهرت دراسة Abouelfida et al (2020) في منطقة آسفي أن متوسط تركيز $PM_{2.5}$ بلغ $37 \mu g/m^3$ ، أي أعلى من الحد الذي توصي به منظمة الصحة العالمية ($5 \mu g/m^3$)، وهو ما يرتبط بارتفاع نسب الإصابة بالربو والحساسية والالتهابات الرئوية.

خامساً – المعادن الثقيلة (Hg, Pb, Cd):

رغم أنها تنبعث بكميات أقل مقارنة بالغازات، إلا أن خطورتها تكمن في تراكمها في التربة والأنظمة المائية الساحلية. وقد أظهرت دراسة El Hachimi et al (2018) أن عينات التربة بالقرب من محطة الجرف الأصفر تحتوي على تركيزات مرتفعة من الزئبق والرصاص، تتجاوز أحياناً المستويات المرجعية الأوروبية، مما يزيد من المخاطر البيئية والصحية على المدى الطويل.

3. التأثيرات البيئية

تُشكل الانبعاثات الغازية والجسيمات الدقيقة الناتجة عن المحطات الحرارية بالمغرب أحد أبرز مصادر الضغط البيئي، إذ تنعكس بشكل مباشر على جودة الهواء، النظم الإيكولوجية، والموارد الطبيعية. وتبرز هذه التأثيرات في عدة مستويات مترابطة:

3.1 تدهور جودة الهواء

تؤدي الانبعاثات العالية من ثاني أكسيد الكبريت (SO_2) وأكاسيد النيتروجين (NOx) إلى ارتفاع تركيز الملوثات الهوائية في المناطق المحيطة بالمحطات. وتشير بيانات وزارة الانتقال الطاقوي والتنمية المستدامة (2022) إلى أن مدينتي المحمدية والقيظرة سجلتا تجاوزات متكررة للمعايير الوطنية لجودة الهواء، خصوصاً فيما يتعلق بتركيز SO_2 الذي وصل أحياناً إلى أكثر من $80 \mu g/m^3$ ، في حين أن الحد الوطني لا يتجاوز $50 \mu g/m^3$. وقد أظهرت دراسة Lahbabi et al (2021) أن السكان القاطنين بالقرب من المحطات الساحلية معرضون أكثر للإصابة بأمراض الجهاز التنفسي المزمنة.

3.2 الأمطار الحمضية وتدهور التربة

ينتج عن تفاعل الغازات الكبريتية والنيتروجينية مع بخار الماء تكوّن الأمطار الحمضية، وهي ظاهرة تُسرّع من تدهور التربة الزراعية وفقدان خصوبتها. في المناطق المحيطة بمحطة الجرف الأصفر وآسفي، رُصد انخفاض ملحوظ في درجة حموضة (pH) التربة لتصل في بعض المواقع إلى أقل من 5.5، مقارنة بالمعدل الطبيعي بين 6.5 و 7 (El Hachimi et al., 2018). هذه التغيرات الكيميائية للتربة تُهدد الإنتاجية الزراعية على المدى المتوسط والبعيد.

3.3 تلوث الموارد المائية

تلعب أنظمة التبريد والتصريف الصناعي للمياه المستعملة في المحطات دوراً إضافياً في الضغط على البيئة الساحلية. ففي محطة الجرف الأصفر، يؤدي صرف المياه الساخنة إلى ارتفاع درجة حرارة مياه البحر المجاورة بما يقارب 3-5 درجات مئوية فوق المعدل الطبيعي (ONEE, 2021). هذا الارتفاع الحراري يغيّر من التوازن البيولوجي ويؤثر على التنوع الإيكولوجي البحري، حيث لوحظ انخفاض في كثافة بعض أنواع الأسماك الساحلية ذات الأهمية الاقتصادية.

3.4 فقدان التنوع البيولوجي

إن تراكم المعادن الثقيلة مثل الزئبق (Hg)، الرصاص (Pb)، والكاديوم (Cd) الناتجة عن احتراق الفحم يُشكل خطراً طويلاً الأمد على النظم البيئية. أظهرت دراسة Benbrahim et al (2019) أن تركيز الرصاص في الرواسب الساحلية القريبة من آسفي بلغ 95 mg/kg، متجاوزاً الحدود البيئية المرجعية. هذه التراكمات أدت إلى تراجع بعض الأنواع البحرية الحساسة، خصوصاً الرخويات والقشريات، التي تُعتبر مؤشرات حيوية حساسة لتغير نوعية الوسط البيئي.

3.5 المساهمة في التغير المناخي

تُعتبر المحطات الحرارية مسؤولة عن حصة كبيرة من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون (CO₂) في المغرب. وبحسب تقرير Climate Transparency (2021)، فإن الانبعاثات المرتبطة بالطاقة في المغرب بلغت حوالي 66 مليون طن من CO₂، تشكل المحطات الحرارية أكثر من 50% منها. هذه المعطيات تُظهر أن استمرار الاعتماد على الفحم يُعمق البصمة الكربونية الوطنية، ويضع المغرب أمام تحديات جدية في الوفاء بالتزاماته ضمن اتفاقية باريس للمناخ، والتي تهدف إلى خفض الانبعاثات بنسبة 42% بحلول 2030 مقارنة بسيناريو الأعمال كالمعتاد.

4. التأثيرات الصحية

تشكل الانبعاثات الغازية والجسيمات الدقيقة الناتجة عن المحطات الحرارية أحد أبرز العوامل المؤثرة سلباً على الصحة العامة في المغرب، خصوصاً في المدن الساحلية القريبة من هذه المنشآت مثل المحمدية وآسفي والجرف الأصفر.

4.1 الأمراض التنفسية المزمنة

تشير عدة دراسات وبحوث ميدانية إلى ارتفاع معدلات الإصابة بالأمراض التنفسية المزمنة في المناطق المجاورة للمحطات الحرارية. فقد أظهرت دراسة Lahbabi et al (2021) أن معدل الإصابة بالربو المزمن والتهابات الشعب الهوائية في مدينة المحمدية أعلى بنسبة 18% مقارنة بالمتوسط الوطني. ويُسجل التأثير بشكل أكبر بين الأطفال وكبار السن نظراً لحساسيتهم البيولوجية، حيث تبلغ نسبة الأطفال المصابين بالربو في المحمدية حوالي 12% من مجموع الأطفال، مقابل 8% على المستوى الوطني (Ministère de la Santé, 2020).

4.2 أمراض القلب والشرايين

ترتبط الجسيمات الدقيقة (PM_{2.5}) المنبعثة من احتراق الفحم ارتباطاً وثيقاً بارتفاع مؤشرات الإصابة بأمراض القلب والشرايين. فقد قدر Lelieveld et al (2015) أن كل زيادة قدرها 10 µg/m³ في تركيز PM_{2.5} تؤدي إلى ارتفاع خطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة تتراوح بين 6% و11%. في المغرب، أظهرت تقارير وزارة الصحة (2021) أن المناطق المحيطة بمحطات آسفي والجرف الأصفر تعرف معدلات أعلى نسبياً من الوفيات القلبية المبكرة، إذ تتجاوز نسبة الوفيات المرتبطة بأمراض القلب والشرايين 30% من مجموع الوفيات السنوية في هذه المدن، مقارنة بـ 25% على المستوى الوطني.

4.3 تفاوتات جغرافية في المؤشرات الصحية

تُظهر البيانات الرسمية أن نسبة الأمراض التنفسية في المحمدية وآسفي تفوق المعدل الوطني بما يتراوح بين 15% و20% (Ministère de la Santé, 2020). ففي آسفي مثلاً، حيث تعتمد المحطة الحرارية بشكل رئيسي على الفحم المستورد، يبلغ معدل دخول المستشفيات بسبب أمراض الجهاز التنفسي حوالي 210 حالة لكل 100,000 نسمة سنوياً، مقابل 165 حالة لكل 100,000 على المستوى الوطني.

5. فعالية الإطار القانوني والتنظيمي

رغم أن المغرب راكم خلال العقدتين الأخيرين ترسانة قانونية مهمة في مجال حماية البيئة والحد من التلوث الصناعي، إلا أن فعالية هذه المنظومة في ضبط انبعاثات المحطات الحرارية ما تزال محدودة. فقد أرسى المرسوم رقم 2-09-286 (2009) المتعلق بجودة الهواء والمرسوم رقم 2-09-631 (2009) بشأن القيم الحدية للانبعاثات، معايير واضحة لثاني أكسيد الكبريت (SO_2)، وأكاسيد النيتروجين (NO_x)، والجسيمات الدقيقة (PM)، حيث حددت الحدود القصوى المسموح بها عند $50 \mu g/m^3$ للجسيمات (PM_{10}) و $40 \mu g/m^3$ لـ NO_2 كمعدل سنوي. (Journal Officiel, 2009)

غير أن الإشكال يكمن في ضعف آليات المراقبة والقياس المستمر، حيث إن عدد محطات الرصد التابعة لوزارة الانتقال الطاقوي لا يتجاوز 29 محطة على المستوى الوطني (Ministère de la Transition Énergétique, 2022)، وهو رقم غير كافٍ لتغطية جميع المناطق المتأثرة، خاصة المحاور الصناعية الكبرى كالمحمدية وآسفي والجرف الأصفر. وقد أظهرت دراسة (Belhaj & El Amrani, 2020) أن بعض المحطات الحرارية تتجاوز بشكل دوري الحدود الوطنية لانبعاثات SO_2 و NO_x ، لكن غياب نظام رصد لحظي (Continuous Emission Monitoring System, CEMS) يعيق إمكانية التتبع الفوري للانبعاثات.

إضافة إلى ذلك، فإن ضعف الشفافية في نشر البيانات يُعتبر عائقاً أمام التقييم الموضوعي للامتثال. إذ أن التقارير الرسمية لا تُنشر بانتظام، وغالباً ما تقتصر على ملخصات سنوية غير متاحة للجمهور أو الباحثين (Transparency International, 2021). هذا النقص في الشفافية يجعل من الصعب التحقق من مدى التزام المحطات الحرارية بالمعايير الوطنية أو المقارنة مع المعايير الدولية الأكثر صرامة مثل تلك التي تعتمدها الوكالة الأوروبية للبيئة (EEA)، حيث تُحدد الحدود السنوية للجسيمات الدقيقة ($PM_{2.5}$) عند $25 \mu g/m^3$ فقط.

وعليه، يمكن القول إن الإطار القانوني المغربي متقدم من حيث النصوص، لكنه يعاني من فجوة واضحة بين التشريع والتطبيق، وهو ما يحدّ من قدرته على حماية الصحة العامة وضمان جودة الهواء بشكل فعال.

المناقشة

1. التناقض بين الأمن الطاقوي وحماية البيئة

تُظهر نتائج الدراسة أن المحطات الحرارية تُساهم بما يقارب 40% من الإنتاج الكهربائي الوطني بالمغرب (الوكالة المغربية للطاقة المستدامة، 2022)، وهو ما يجعلها ركيزة أساسية في ضمان الأمن الطاقوي. غير أن هذه المحطات تُعد في المقابل المصدر الأول للانبعاثات الغازية الملوثة، إذ تشير إحصائيات البنك الدولي (2021) إلى أن قطاع إنتاج الكهرباء مسؤول عن حوالي 32% من إجمالي انبعاثات CO_2 الوطنية. هذا الوضع يعكس تناقضاً هيكلياً بين الحاجة الملحة لتأمين إمدادات الطاقة وتحديات الالتزام بالمعايير البيئية والصحية.

2. العدالة المجالية للتلوث

يتبين أن التلوث الناتج عن المحطات الحرارية يتركز بشكل واضح في المحمدية، آسفي والجرف الأصفر، حيث سُجّلت مستويات مرتفعة من تركيزات SO_2 و NO_x تتجاوز في بعض الفترات الحد الأقصى المنصوص عليه في المرسوم 2-09-286 (وزارة الانتقال الطاقوي، 2022). هذه الوضعية تخلق ما يُعرف بـ "اللامساواة البيئية"، إذ تتحمل ساكنة هذه المدن الساحلية عبئاً بيئياً وصحياً يفوق المناطق الداخلية، ما يثير إشكاليات مرتبطة بالعدالة المجالية والحق في بيئة سليمة كما تنص عليه المادة 31 من دستور 2011.

3. قصور السياسات البيئية

رغم وجود ترسانة قانونية متقدمة مثل القانون الإطار 12-03 المتعلق بدراسات التأثير على البيئة، والمرسومين 2-09-286 و 2-09-631 المتعلقين بالقيم الحدية للانبعاثات وجودة الهواء، إلا أن التطبيق على أرض الواقع يظل محدوداً. تقارير المجلس الأعلى للحسابات (2019) أظهرت أن عمليات المراقبة البيئية للمحطات الحرارية غير منتظمة وتعتمد على قياسات دورية محدودة زمنياً، ما يضعف فعالية الردع. كما أن غياب التنسيق المؤسسي بين وزارة الصحة ووزارة الانتقال الطاقوي يحول دون تتبع منهجي للانعكاسات الصحية للتلوث، وهو ما يتعارض مع توصيات منظمة الصحة العالمية (WHO, 2021) بضرورة التكامل بين السياسات الطاقوية والصحية.

4. البدائل الممكنة

في مواجهة هذه التحديات، تُطرح عدة بدائل عملية:

الطاقات المتجددة: المغرب يملك إمكانيات هائلة، حيث بلغ معدل مساهمة الطاقة الشمسية والرياح في المزيج الكهربائي حوالي 20% سنة 2021 (IRENA, 2022). تعزيز هذه النسبة قد يقلل الاعتماد على الفحم والنفط.

تقنيات احتجاز الكربون وتخزينه (CCS): تُعتبر خياراً واعداً للحد من انبعاثات CO₂، خاصة مع وجود تجارب ناجحة في أوروبا والولايات المتحدة يمكن نقل خبرتها إلى المغرب.

تطوير شبكات قياس جودة الهواء: إنشاء منصات رقمية مفتوحة للبيانات، على غرار ما هو معمول به في الاتحاد الأوروبي، يتيح إشراك المجتمع المدني والباحثين في تتبع جودة الهواء بشكل لحظي.

مخطط العدالة الطاقوية: يهدف إلى ضمان توزيع عادل لمنافع الطاقة وتقليل الأعباء البيئية، بما يوازن بين التنمية الاقتصادية وحماية البيئة والصحة العامة

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن المحطات الحرارية بالمغرب تُشكّل ركيزة أساسية في المنظومة الطاقوية الوطنية، خاصة مع تزايد الطلب على الكهرباء بفعل النمو الديموغرافي والتوسع الصناعي. غير أن هذه الأهمية الاستراتيجية تقابلها آثار بيئية وصحية سلبية واضحة، تجلت في ارتفاع نسب الانبعاثات الغازية (SO₂)، NOx، PM10، و CO₂ وتدهور جودة الهواء، إضافة إلى انعكاسات مباشرة على صحة الساكنة في المناطق المجاورة (أمراض تنفسية وقلبية).

أظهرت النتائج كذلك أن الإطار القانوني المغربي، رغم تقدمه النظري وانسجامه مع المعايير الدولية، يعاني من ضعف على مستوى التنفيذ والمراقبة، مما يحد من فعاليته في تقليص الانبعاثات وحماية الصحة العامة. كما أن التوزيع الجغرافي للمحطات يُبرز نوعاً من اللامساواة البيئية، حيث تتحمل جماعات حضرية محددة (المحمدية، آسفي، الجرف الأصفر) عبء التلوث أكثر من غيرها.

في ظل هذه المعطيات، يطرح موضوع المحطات الحرارية إشكالية جوهرية تتعلق بالتوفيق بين الأمن الطاقوي من جهة، والاستدامة البيئية والصحية من جهة أخرى، مما يستدعي التفكير في بدائل عملية وسياسات أكثر شمولية تواكب التوجه الوطني نحو الانتقال الطاقوي.

التوصيات

استناداً إلى ما توصل إليه البحث من نتائج كمية ونوعية، يمكن صياغة مجموعة من التوصيات العملية الموجهة إلى مختلف الفاعلين (المؤسسات الحكومية، القطاع الخاص، المجتمع المدني، والباحثين الأكاديميين)، بهدف الحد من التأثيرات البيئية والصحية للمحطات الحرارية بالمغرب، وضمان انسجام السياسات الوطنية مع الالتزامات الدولية.

1. على المستوى البيئي

تعزيز شبكات المراقبة البيئية: تشير تقارير وزارة الانتقال الطاقوي (2022) إلى محدودية محطات قياس جودة الهواء (أقل من 30 محطة على المستوى الوطني)، في حين توصي منظمة الصحة العالمية (WHO, 2021) بضرورة توفر محطة قياس واحدة على الأقل لكل 100,000 نسمة. لذا يُوصى بتوسيع هذه الشبكات لتشمل المناطق الصناعية والساحلية المتأثرة.

شفافية البيانات: نشر نتائج المراقبة بشكل دوري (شهرية أو فصلية) عبر منصات رقمية مفتوحة يمكن الباحثين والمجتمع المدني من تتبع مستويات التلوث ومساءلة الجهات المسؤولة، كما هو معمول به في الاتحاد الأوروبي عبر نظام Air Quality e-Reporting.

إعادة تأهيل المناطق المتضررة: بالنظر إلى تلوث التربة والمياه المسجل قرب محطة الجرف الأصفر (Kettani et al., 2020)، ينبغي وضع برامج لإعادة تأهيل الأراضي الزراعية المتأثرة بالمعادن الثقيلة وتفعيل خطط لحماية الغطاء النباتي.

2. على المستوى الصحي

إدماج وزارة الصحة في منظومة التتبع: رغم أن وزارة الانتقال الطاقوي تتوفر على معطيات الانبعاثات، إلا أن الربط بين هذه المعطيات والمؤشرات الصحية شبه غائب. إدماج وزارة الصحة عبر نظام مراقبة وبائي مدمج سيمكن من رصد العلاقة المباشرة بين التلوث والأمراض التنفسية.

برامج صحية وقائية: أظهرت دراسة محلية بالمحمدية (El Fadel et al., 2019) أن معدل الربو عند الأطفال يتجاوز المعدل الوطني بـ 18%. لذا يُوصى بإطلاق برامج للكشف المبكر وعلاج الأمراض التنفسية والقلبية بالمناطق الصناعية الكبرى.

تعزيز البحث الوبائي: المغرب يفتقر إلى دراسات طولية (longitudinal studies) حول العلاقة بين الملوثات الصناعية والصحة العامة. دعم هذه البحوث سيمكن من بناء قاعدة بيانات وطنية علمية دقيقة.

3. على المستوى الطاقوي

تسريع الانتقال نحو الطاقات المتجددة: رغم أن مساهمة الطاقات المتجددة في الميزج الطاقوي بلغت حوالي 20% سنة 2021 (IRENA, 2022)، إلا أن الاعتماد على الفحم ما زال يتجاوز 60% من إنتاج الكهرباء. رفع هذه النسبة إلى 52% بحلول 2030 (كما هو محدد في الاستراتيجية الوطنية للطاقة) يستدعي استثمارات إضافية في مشاريع الرياح والشمس.

تقنيات احتجاز الكربون وتخزينه (CCS): التجارب الأوروبية تشير إلى قدرة هذه التكنولوجيا على تقليص انبعاثات CO₂ بنسبة تصل إلى 90%. (IEA, 2021) إدماجها في محطات مثل الجرف الأصفر سيحدث فرقاً كبيراً في خفض البصمة الكربونية.

تحديث البنية التحتية: اعتماد محطات توليد كهرباء تعمل بتكنولوجيا Ultra-Supercritical Coal يمكن أن يرفع الكفاءة الحرارية إلى 45% مقارنة بـ 35% في المحطات التقليدية. (IEA, 2019)

4. على المستوى القانوني والمؤسسي

تفعيل القوانين البيئية: رغم توفر المرسومين 286-09-2 و 631-09-2، إلا أن تقارير المجلس الأعلى للحسابات (2019) بيّنت أن المراقبة الميدانية غير منتظمة. يجب تقوية آليات الزجر وتخصيص موارد بشرية وتقنية لمتابعة الانبعاثات بشكل مستمر.

إدماج العدالة البيئية: إدراج مفهوم العدالة البيئية في السياسات العمومية سيضمن توزيعاً أكثر إنصافاً للأعباء البيئية، خاصة في المدن الساحلية المتأثرة بالتلوث الصناعي.

التنسيق المؤسسي: يجب خلق لجنة مشتركة دائمة بين وزارات الطاقة، البيئة، الصحة والجماعات الترابية، لضمان حكمة بيئية متكاملة قائمة على تبادل البيانات واتخاذ القرارات المبنية على الأدلة.

5. على المستوى البحثي والأكاديمي

تشجيع البحوث متعددة التخصصات: الجمع بين علوم البيئة، الصحة العامة، الجغرافيا والقانون سيمكن من بناء رؤية شمولية حول آثار المحطات الحرارية.

إدماج الطلبة والباحثين في المراقبة: استعمال أدوات الاستشعار عن بعد (Remote Sensing) وتقنيات نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في تتبع تلوث الهواء يوفر بيانات دقيقة لدعم السياسات العمومية.

التكوين في الطاقات النظيفة: دعم برامج التعليم العالي في مجالات الطاقة الشمسية، الرياح، والهيدروجين الأخضر سيساهم في تكوين جيل من الخبراء القادرين على قيادة عملية الانتقال الطاقوي.

قائمة المراجع

مراجع وطنية (المغرب)

- الجريدة الرسمية للمملكة المغربية). 2009. (المرسوم رقم 2-09-286 الصادر في 8 ديسمبر 2009 بتحديد القيم الحدية القصوى للانبعاثات في الهواء الناتجة عن وحدات إنتاج الطاقة الكهربائية.
- الجريدة الرسمية للمملكة المغربية). 2009. (المرسوم رقم 2-09-631 الصادر في 21 ديسمبر 2009 بتحديد مقاييس جودة الهواء.
- وزارة الانتقال الطاقوي والتنمية المستدامة). 2022. (التقرير الوطني حول جودة الهواء في المغرب. الرباط: مطبعة وزارة الطاقة والمعادن.
- المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب). (2021). (ONEE). تقرير الأنشطة السنوي. الرباط : ONEE.
- المندوبية السامية للتخطيط). (2020). (HCP). الإحصائيات السكانية والصحية للأسر المغربية. الرباط. HCP :

مراجع دولية

- International Energy Agency (IEA). (2021). *World Energy Outlook 2021*. Paris: OECD/IEA.
- World Bank. (2020). *Air Pollution and Health Impacts in MENA Region*. Washington DC: World Bank.
- World Health Organization (WHO). (2021). *Ambient Air Pollution: Health Impacts and Global Updates*. Geneva: WHO Press.
- European Environment Agency (EEA). (2019). *Air Quality in Europe – 2019 Report*. Luxembourg: Publications Office of the European Union.
- IPCC. (2021). *Climate Change 2021: The Physical Science Basis*. Contribution of Working Group I to the Sixth Assessment Report of the IPCC. Cambridge University Press.

مراجع أكاديمية

- Cherkaoui, M., & El Amrani, M. (2018). *Thermal Power Plants and Air Pollution in Morocco: Environmental and Health Challenges*. Moroccan Journal of Environmental Studies, 5(2), 45–62.
- Amegroud, T. (2016). *Morocco's Power Sector Transition: Achievements and Potential*. OCP Policy Center, Research Paper, Rabat.
- El Khattabi, M., & Bensaid, A. (2017). *Environmental Impacts of Coal-based Power Plants in Morocco*. Energy and Environment Journal, 28(4), 512–530.
- Smith, K. R., & Myers, J. (2020). *Energy Production and Human Health: Air Pollution Impacts*. Annual Review of Public Health, 41, 379–397.

RESEARCH TITLE

Groundwater Vulnerability to Agricultural Pollution Using the Modified DRASTIC Index: A Case Study of Ben Yakhlef, Morocco

Dr. Mounir Neddi¹, Dr. Mohammed kaoini², Prof. Rachida El Morabet³

1. PhD Student, Hassan II University, Faculty of Arts and Humanities, Mohammedia.
 2. PhD Student, Hassan II University, Faculty of Arts and Humanities, Mohammedia.
 3. Professor, Hassan II University, Faculty of Arts and Humanities, Mohammedia.
- Correspondance Email: neddimounir97@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/7>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study assesses the vulnerability of groundwater to agricultural pollution in the Ben Yakhlef commune, Mohammedia Prefecture (Morocco), using a modified DRASTIC index integrated with the SI method and Geographic Information Systems (GIS). The modification replaced two classical parameters—recharge and hydraulic conductivity—with precipitation and land use to better reflect local hydrogeological and anthropogenic conditions. Seven parameters (depth to water, precipitation, aquifer and soil media, topography, vadose zone impact, and land use) were classified, weighted, and spatially analyzed to compute a vulnerability index. The resulting vulnerability map revealed three distinct zones: high, moderate, and low vulnerability. High-risk areas were concentrated along irrigated farmlands near the inter-municipal landfill and Oued Nfifikh, where shallow aquifers, permeable formations, and intensive agrochemical use amplify contamination risks. Moderate vulnerability zones corresponded to flat, intensively farmed areas with poor drainage, while low vulnerability zones occurred in rainfed or forested areas with impermeable soils and steep slopes. Findings confirm that land use and irrigation intensity are decisive in shaping groundwater vulnerability, outweighing purely natural factors. The modified DRASTIC index effectively identified contamination hotspots, emphasizing the need for integrated groundwater management combining improved fertilizer practices, wastewater control, and land-use regulation. This approach supports sustainable agriculture and safe drinking water protection in rapidly urbanizing and industrializing regions of Morocco.

Key Words: groundwater vulnerability, modified DRASTIC index, agricultural pollution, GIS mapping, Ben Yakhlef, Morocco.

قابلية المياه الجوفية للتلوث الزراعي باستخدام مؤشر DRASTIC المعدل: دراسة حالة بني يخلف، المغرب

المستخلص

تقيم هذه الدراسة قابلية المياه الجوفية للتلوث الزراعي في بني يخلف بإقليم المحمدية (المغرب) باستخدام مؤشر DRASTIC المعدل المدمج مع طريقة SI ونظم المعلومات الجغرافية (GIS). تم تعديل النموذج الأصلي من خلال استبدال عاملين من العوامل السبعة التقليدية، وهما إعادة التغذية (Recharge) والناقلية الهيدروليكية (Hydraulic Conductivity)، بعامل الهطول المطري (Precipitation) واستخدامات الأراضي (Land Use)، وذلك لتكييف المؤشر مع الخصائص الهيدروجيولوجية والبشرية المحلية.

تم تصنيف العوامل السبعة (عمق المياه الجوفية، الهطول المطري، وسط الخزان الجوفي، وسط التربة، الطبوغرافيا، تأثير المنطقة غير المشبعة، واستخدامات الأراضي)، ومنحها أوزاناً نسبية، ثم تحليلها مكانياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية لإنتاج خريطة توضح مستويات القابلية للتلوث.

أظهرت النتائج ثلاث مناطق رئيسية من حيث القابلية: مرتفعة، ومتوسطة، ومنخفضة. تتركز المناطق عالية القابلية في الأراضي الزراعية المروية المجاورة للمطرح البلدي المشترك ووادي النفيخ، حيث تساهم المياه الجوفية السطحية، والتكوينات شديدة النفاذية، والممارسات الزراعية المكثفة في زيادة خطر التلوث بالنترات والملوثات الأخرى. أما المناطق ذات القابلية المتوسطة، فتتواجد أساساً في الحقول الزراعية المسطحة ذات الاستعمال المكثف للأسمدة والمبيدات، والتي تعاني من ضعف الصرف الطبيعي وتراكم الملوثات. في المقابل، تظهر المناطق منخفضة القابلية في الأراضي البعلية والمناطق الغابية الواقعة على منحدرات حادة وترب غير منفذة، حيث يحد انخفاض استخدام المواد الكيميائية الزراعية من خطر التلوث.

أكدت النتائج أن استخدامات الأراضي وكثافة الري هي العوامل الحاسمة في تحديد قابلية المياه الجوفية للتلوث، متجاوزة العوامل الطبيعية البحتة. أثبت مؤشر DRASTIC المعدل فعاليته في تحديد المناطق الحرجة، مما يؤكد ضرورة اعتماد نهج إداري متكامل يشمل تحسين ممارسات التسميد والري، وضبط إدارة النفايات الصلبة والسائلة، وتنظيم استخدام الأراضي لضمان استدامة الزراعة وحماية موارد مياه الشرب.

الكلمات المفتاحية: قابلية المياه الجوفية، مؤشر DRASTIC المعدل، التلوث الزراعي، نظم المعلومات الجغرافية، بني يخلف، المغرب.

Introduction

Groundwater is a vital resource for Morocco, particularly in regions of intensive agriculture and industry. In Mohammedia Prefecture, aquifer quality is increasingly threatened by uncontrolled landfills, untreated wastewater, and excessive use of fertilizers and pesticides, creating serious risks for the environment, farming, and public health (Mabrouki, et al., 2019).

To address these pressures, this study applies a Modified DRASTIC framework that combines elements of the classical index with the SI method. The approach was tailored to the specific hydrogeological and land-use conditions of the Ben Yakhlef commune, where irrigated and rainfed farming, urban growth, and industrial activities converge. Through GIS-based mapping, the research provides a refined assessment of nitrate-related vulnerability and highlights priority areas for groundwater protection. (Batchi, 2017)

Materials and Methods

The study was conducted in the Ben Yakhlef commune, Mohammedia Prefecture (Morocco), an area characterized by intensive demographic, agricultural, and industrial activities. Its shallow aquifers are highly exposed to contamination, particularly from agricultural inputs, which justified applying a groundwater vulnerability assessment (Mabrouki, et al., 2019). The analysis relied on the DRASTIC index, which evaluates groundwater vulnerability through seven parameters: depth to water, net recharge, aquifer and soil media, topography, vadose zone, and hydraulic (Aller, 1987). To better reflect local conditions dominated by nitrate pollution, two modifications were introduced (Batchi, 2017) (Patel, et al., 2022): recharge was replaced by precipitation, given the central role of rainfall in transporting and leaching agricultural chemicals (Dzhamalov & Zlobina, 1996), while hydraulic conductivity was substituted by land use to account for the impact of intensive irrigated

farming and to highlight zones where multiple contamination sources overlap with agricultural activities (Batchi, 2017). The final parameters (D, P, A, S, T, I, U) were classified, rated on a scale of 1–10, and weighted, with the vulnerability index computed as:

$$DI=(D\times 5)+(P\times 2)+(A\times 3)+(S\times 2)+(T\times 1)+(I\times 5)+(U\times 5) \text{ (Aller, 1987)}$$

D = Depth to water (Mabrouki, et al., 2019) - P = Precipitation (meteoblue, 2021) - A = Aquifer media (Service géologique du Maroc, 1921) - S = Soil media (FAO–UNESCO, 1977) - T = Topography (Survey, 2020) - I = Impact of vadose zone (Survey, 2019) - L = Land use (Google Earth, 2021).

All parameter layers were derived from hydrogeological surveys, rainfall records, soil and land-use maps, DEMs, and field observations and were processed in ArcGIS to generate the groundwater vulnerability map (Patel, et al., 2022).

Fig.1. Comparison Between Original and Modified DRASTIC Methodology

Original DRASTIC Parameters	Modified DRASTIC Parameters
Water Table Depth (D)	Depth to water (D)
Net Recharge (R)	Precipitation (P)
Aquifer Media (A)	Aquifer media (A)
Soil Media (S)	Soil Media (S)
Topography / Slope (T)	Topography (T)
Impact of the Vadose Zone (I)	Impact of the Vadose Zone (I)
Hydraulic Conductivity (C)	Land Use (L)

Fig.2. Modified DRASTIC Parameters and Ratings (Translated)	
Class	Rating
D – Depth to water (Weight = 5)	
0 – 1.5	10
1.5 – 4.5	9
4.5 – 9	7
9 – 15	5
15 – 22	3
22 – 30	2
> 30	1
P – Precipitation (Weight = 2)	
< 250	1
256 – 650	4
650 – 1000	6
1000 – 2000	7
2000 – 3000	9
> 3000	10
A – Aquifer Media (Weight = 3)	
Karstic limestone	10
Basalt	9
Sand and gravel	8
Massive limestone	6
Massive sandstone	6
Shale	6
sandstone and limestone	4
Metamorphic rocks	3
Massive shale	2
S – Soil Media (Weight = 2)	
Thin or absent soil	10
Gravel	10
Sand	9
Colluvial clay deposits	7
Sandy silt	6
Silt	5
Fine silt	4
Silty clay	3
Massive unfractured clay	1
T – Topography / Slope (Weight = 1)	
0 – 2 %	10
2 – 6 %	9
6 – 12 %	5
12 – 18 %	3
> 18 %	1
I – Impact of the Vadose Zone (Weight = 5)	
Karstic limestone	10
Basalt	9
Sand and gravel	8
Sands, gravels, clays, and silts	6
Dolomitic limestone, Sandstone, Shale	6
Sandstone	6
L – Land Use (Weight = 5)	
Irrigated agriculture	10
Industry and quarries	9
Urban settlements	8
Rainfed agriculture	7
Forests and natural vegetation	6
Pastures	5
DRASTIC Index Formula	
$DI = (D \times 5) + (P \times 2) + (A \times 3) + (S \times 2) + (T \times 1) + (I \times 5) + (U \times 5)$	

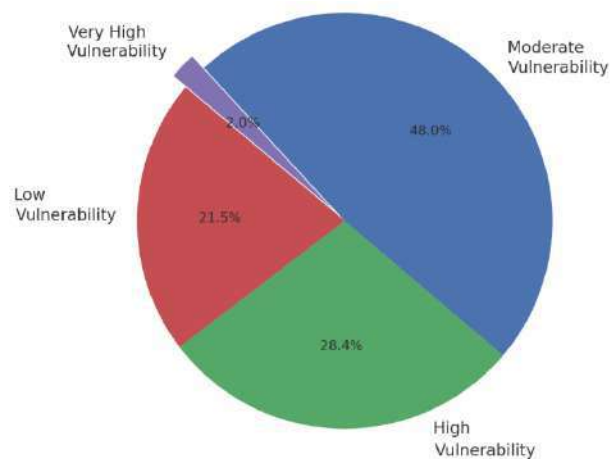


Fig.3. Distribution of Irrigated Agricultural Lands in Ben Yakhlef According to Groundwater Vulnerability

Results

The spatial analysis of groundwater vulnerability in Ben Yakhlef reveals marked contrasts shaped by the interaction of agricultural practices, waste management, and hydrogeological conditions. Critical zones, although spatially limited, constitute the most alarming hotspots. They are located in irrigated farmlands adjacent to the inter-municipal landfill, where shallow aquifers, highly permeable formations, and favorable topographic gradients create optimal conditions for infiltration. In these areas, the cumulative effect of intensive agrochemical inputs and leachate from solid waste disposal significantly increases the risk of groundwater contamination (Lamouadene & El Morabet, 2025).

High vulnerability areas are concentrated along the agricultural lands of the left bank of Oued Nfifikh. Here, irrigated farming coincides with the discharge of untreated liquid effluents into the river, and the presence of shallow water tables further amplifies the susceptibility of aquifers to nitrate leaching and other pollutants (Merbouh, et al., 2022).

Moderate vulnerability zones correspond mainly to intensively irrigated agricultural fields characterized by higher consumption of fertilizers and pesticides. They are generally located on flat terrains and depressions, where elevated piezometric levels and weak natural drainage slow contaminant dilution and favor their accumulation. The proximity of these farmlands to residential clusters, industrial facilities, and quarrying operations further compounds the risks, leading to multi-source pressures on groundwater quality. (Acharya, et al., 2025)

Low vulnerability areas are associated with rainfed agriculture established on sloping terrains underlain by semi-permeable to impermeable soils. In these zones, elevated piezometric levels, higher drainage capacity, and reduced use of agrochemicals collectively mitigate contamination risks, providing relative protection to groundwater resources. (Acharya, et al., 2025)

Overall, the results underscore that groundwater vulnerability in Ben Yakhlef is not uniformly distributed but is strongly determined by land use and irrigation intensity. Hydrogeological settings—such as depth to water, permeability, and slope—either exacerbate or buffer these anthropogenic pressures, while the combined influence of agricultural practices and waste management remains the decisive driver of contamination risk (Mabrouki, et al., 2019).

Discussion

Groundwater vulnerability in Bni Yakhlef is shaped by the interaction between hydrogeological and topographic conditions and strong human pressures. While shallow aquifers and permeable formations create a naturally fragile setting, contamination risks

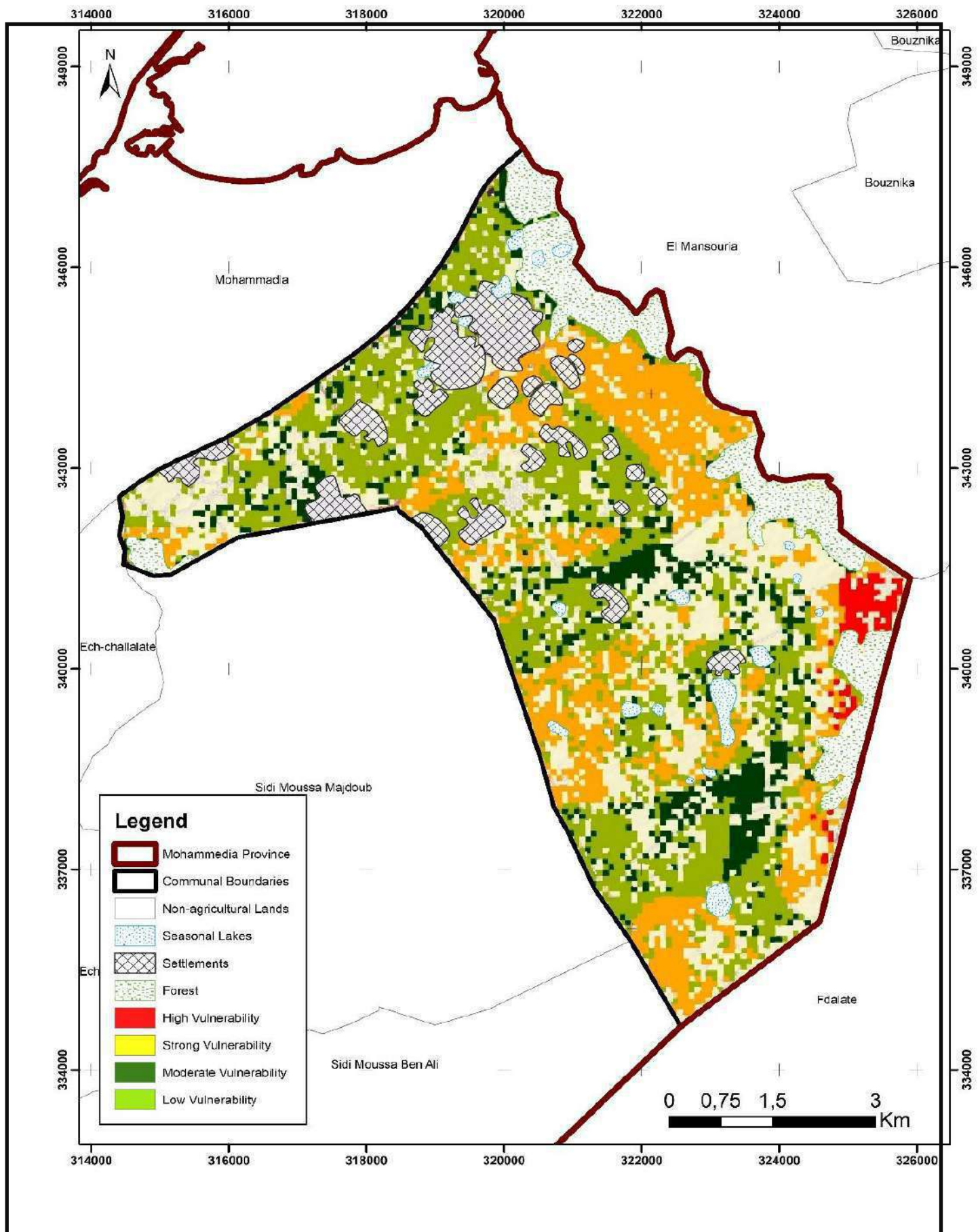
become critical where they overlap with landfill leachate, intensive irrigation, and urban–industrial activities. (Mabrouki, et al., 2019)

The modified DRASTIC index, which replaces hydraulic conductivity with land use, proved effective in highlighting the decisive role of human activities (Batchi, 2017). Irrigated farmlands and landfill zones emerged as the most vulnerable hotspots, confirming local evidence of high nitrate levels (Mabrouki, et al., 2019) and supporting international findings that land use often outweighs hydrogeology in groundwater quality control (Batchi, 2017).

A clear contrast was observed between systems: irrigated agriculture sustains productivity but drives nitrate leaching, while rainfed fields and forested areas show low vulnerability thanks to limited agrochemical inputs and protective natural recharge (Naamane, et al., 2021) (Dzhamalov & Zlobina, 1996). Vulnerability was highest where multiple sources converge, particularly in the landfill–Oued Nfifikh corridor, where agricultural, industrial, and domestic effluents combine (Mabrouki, et al., 2019), echoing patterns reported in other peri-urban areas recharge (Yu, et al., 2024).

From a management perspective, groundwater protection requires an integrated approach combining stricter monitoring of hotspots, improved fertilizer and irrigation practices, and urgent reforms in solid and liquid waste management. Without these measures, the persistence of nitrate leaching and leachate infiltration will continue to endanger both drinking-water safety and the sustainability of local farming systems.

Fig.4. Groundwater Pollution Vulnerability of Agricultural Lands in Beni Yakhlef Commune



Conclusion

Groundwater in Bni Yakhlef is highly vulnerable, mainly due to irrigated agriculture and waste disposal, with hydrogeological and topographic conditions acting as amplifiers. The modified DRASTIC index, integrating land use, effectively identified the landfill–Oued Nfifikh corridor as the most critical hotspot, confirming that human pressures outweigh natural settings in shaping groundwater quality.

Findings align with regional studies showing that fertilizer and pesticide use, poor waste management, and the overlap of agricultural, industrial, and residential activities create cumulative risks, while rainfed and forested areas remain less vulnerable. Protecting groundwater therefore requires integrated strategies combining sustainable farming practices, stricter input regulation, and improved waste management to ensure safe drinking water and long-term agricultural sustainability.

References

1. Acharya, L. P. P. T. K. e. a., 2025. Pesticide contamination in groundwater: processes, risks, and mitigation strategies. *Discover Agriculture*, p. 152.
2. Aller, L. B. T. L. J. P. R. a. H. G., 1987. *DRASTIC: A standardized system for evaluating ground water pollution potential using hydrogeologic settings*, U.S: EPA Report 600/2-87/035. U.S. Environmental Protection Agency..
3. Batchi, M. A. K. J. F. I. & E. M. M., 2017. Étude comparative de deux modèles (DRASTIC et SI) pour l'évaluation de la sensibilité de la nappe phréatique de Mnasra (Maroc nord-occidental) à la pollution d'origine agricole. *Physio-Géo*, 11. <https://doi.org/10.4000/physio-geo.5213>, p. 43–64.
4. Dzhamalov, R. a. Z. V., 1996. The role of precipitation in groundwater pollution. *Springer doi:10.1007/978-94-009-0205-3_22*, p. 493–507.
5. FAO–UNESCO, 1977. Soil Map of the World, 1:5,000,000. *Africa. Paris: UNESCO. Disponible sur: <https://www.fao.org/3/as357e/as357e.pdf>*.
6. Google Earth, 2025. Satellite image of Bni Yakhlef, Morocco [Imagery]. *Google Earth*.
7. Lamouadene, Y. & E. M. R., 2025. Landfill's leachate impacts on the groundwater quality: A case study in Mohammedia prefecture, Morocco. *Environmental Science and Pollution Research*.
8. Mabrouki, J., El Yadini, A., Bencheikh, I. & Azoula, 2019. Hydrogeological and hydrochemical study of underground waters of the tablecloth in the vicinity of the controlled city dump Mohammedia (Morocco). *Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-030-11881-5_3*, p. (AI2SD 2018) (pp. 22–33).
9. Merbough, C. K. M. N. A. R. A. & I. N., 2022. Physicochemical Characterization and Metallic Contamination of the Waters of Oued Nfifikh (Morocco). *Ecological Engineering & Environmental Technology*, p. 1–11.
10. meteoblue, 2021. Precipitation data for Ben Yakhlef, Morocco [Dataset]. *meteoblue, Retrieved from <https://www.meteoblue.com>*.
11. Ministère de l'Environnement du Québec, 2002. Méthode DRASTIC: Fiche technique pour l'évaluation de la vulnérabilité des eaux souterraines à la pollution. *Gouvernement du Québec. Retrieved from*

- <https://www.environnement.gouv.qc.ca/eau/souterraines/drastic/fiche-drastic.pdf>, p. (11 p.).
12. Naamane, S. K. M. & A. E. M. A., 2021. Enquête sur l'utilisation des engrais et pesticides chez les agriculteurs de la région de Casablanca-Settat. *Researchgate*.
 13. Patel, P. M. D. & S. N., 2022. A review on the application of the DRASTIC method in the assessment of groundwater vulnerability. *Water Science & Technology: Water Supply*, p. 5190–5209.
 14. Sanad, H., 2024. Groundwater pollution by nitrate and salinization in Morocco: a comprehensive review. *Journal of Water and Health*, pp. 1756-1773.
 15. Service géologique du Maroc, 1921. Carte géologique provisoire des environs de Casablanca. [map] Paris: Service géologique du Maroc.
 16. Survey, B. G., 2019. Africa Groundwater Atlas. *British Geological Survey*.
 17. Survey, U. G., 2020. Digital Elevation Model for Bni Yakhlef, Morocco [Dataset]. *USGS EarthExplorer*: <https://earthexplorer.usgs.gov>.
 18. Yu, D. D. J. J. Q. L. H. Y. C. M. H. & P. S., 2024. Evaluation of groundwater quality with multi-source pollution based on source identification and health risks.. *Science of The Total Environment*, p. Article 175064.

عنوان البحث

الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات

د. رجاء صدام جبر¹

¹ هيئة البحث العلمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق.

بريد الكتروني: rajaasultan0@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/8>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/8>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى قياس مستوى الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات في بغداد، وفحص الفروق تبعاً لمتغيرات التحصيل الدراسي والجنس ومدة التعاطي والعمر. طُبّق المنهج الوصفي التحليلي على عينة قوامها (50) مراجعاً لمستشفى الشفاء والعطاء خلال عامي 2024-2025. استُخدمت استبانة للضغوط النفسية مكونة من (37) فقرة على مقياس ليكرت رباعي، وتم التحقق من الصدق الظاهري عبر خبراء مختصين ومن صدق البناء بمعاملات ارتباط دالة، كما بلغ معامل الثبات (ألفا كرونباخ) للأداة (0.96) بما يؤكد اتساقها الداخلي. أظهرت النتائج ارتفاع مستوى الضغوط النفسية لدى أفراد العينة بمتوسط كلي (3.45) ضمن فئة «كبيرة جداً»، مع تباين ملحوظ بين الأفراد. سُجلت أعلى المتوسطات في بنود تمس الهشاشة الانفعالية المباشرة مثل الألم عند مرض أحد أفراد الأسرة، الملل من أحاديث الآخرين، الحاجة إلى العطف، فقدان البهجة، وتدهور الأوضاع العامة، إضافة إلى لجوء بعض الأفراد للتعاطي للهروب من المواقف الضاغطة. إحصائياً، لم تظهر فروق دالة تبعاً للتحصيل الدراسي (ANOVA)، غير دال (بينما ظهرت فروق دالة تبعاً للجنس لصالح الإناث) اختبار (t)، وفروق دالة تبعاً لمدة التعاطي لصالح الفئة (10 سنوات فأكثر) مقارنة بفئة (2-5 سنوات) (ANOVA) وشيفيه. (ولم تُسجل فروق دالة تبعاً للعمر. تؤكد النتائج ضرورة تصميم تدخلات علاجية وإرشادية شاملة تُعالج الضغوط الانفعالية وتراعي الفروق بين الجنسين وتاريخ التعاطي، مع التركيز على التدخل المبكر وتعزيز شبكات الدعم الأسري والمجتمعي للحد من الانتكاس وتحسين الصحة النفسية.

الكلمات المفتاحية: الضغوط النفسية، تعاطي المخدرات، الفروق بين الجنسين، مدة التعاطي، بغداد.

RESEARCH TITLE

Psychological Stress among Drug Users

Dr.Rajaa Saddam Jaber¹

¹ Scientific Research Authority, Ministry of Higher Education and Scientific Research, Iraq.
Email: rajaasultan0@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/8>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/8>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study measures the level of psychological stress among drug users in Baghdad and examines differences by academic achievement, gender, duration of drug use, and age. A descriptive-analytical design was applied to a sample of 50 patients attending Al-Shifa and Al-Ataa addiction treatment hospitals during 2024–2025. A 37-item psychological stress questionnaire on a four-point Likert scale was administered. Face validity was established by expert review, construct validity by statistically significant item–total correlations, and internal consistency was high (Cronbach's alpha = 0.96). Findings indicated a markedly elevated level of psychological stress (overall mean = 3.45; “very high”), with notable inter-individual variability. The highest item means clustered around direct affective vulnerability—pain when a family member is ill coupled with inability to help, boredom with others' talk, heightened need for sympathy, loss of joy, perceived deterioration of circumstances—and the use of drugs to escape stressful situations. Inferentially, no significant differences emerged by academic achievement (ANOVA, n.s.), whereas significant differences were observed by gender in favor of females (independent-samples t-test) and by duration of use, with those reporting ≥ 10 years scoring higher than the 2–5 years group (ANOVA with Scheffé). No significant differences were found by age. The results underscore the need for comprehensive therapeutic and counseling interventions that target affective stress, account for gender differences and drug-use history, emphasize early intervention, and strengthen family and community support to reduce relapse and improve mental health.

Key Words: Psychological stress, drug use, gender differences, duration of drug use, Baghdad.

المقدمة

تُعدّ ظاهرة تعاطي المخدرات من أخطر المشكلات الاجتماعية والنفسية التي تواجه المجتمعات المعاصرة، لما تخلّفه من آثار مدمّرة على الأفراد والأسر والبنية الاجتماعية والاقتصادية للدولة. فقد شهد العالم في العقود الأخيرة انتشاراً واسعاً لمختلف أنواع المخدرات، سواء الطبيعية أو المصنعة، وأصبح الإدمان ظاهرة عابرة للحدود تتفاقم بتطور التكنولوجيا وسهولة الوصول إلى المواد المخدّرة عبر شبكات الاتصال الحديثة. ويُعدّ العراق من الدول التي تأثرت بهذه الظاهرة نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مرّت بها البلاد، مما جعل فئة الشباب بشكل خاص أكثر عرضة للانخراط في سلوك التعاطي.

إنّ تعاطي المخدرات لا يُعدّ مجرد سلوك منحرف فحسب، بل هو في جوهره استجابة لضغوط نفسية واجتماعية متعددة تُضعف قدرة الفرد على التكيف مع الواقع وتدفعه للبحث عن مخرج مؤقت من معاناته. فالتعاطي غالباً ما يعيش حالة من الاضطراب الداخلي، تتجلى في القلق، والتوتر، والاكتئاب، وفقدان السيطرة على الانفعالات، الأمر الذي يؤدي إلى تدهور حالته النفسية والاجتماعية، ويزيد من احتمالية انخراطه في سلوكيات غير متزنة.

من هذا المنطلق، تأتي أهمية الدراسة الحالية التي تسعى إلى التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات، والكشف عن الفروق في هذه الضغوط تبعاً لمتغيرات التحصيل الدراسي، والجنس، ومدة التعاطي، والعمر. كما تسعى إلى فهم العلاقة بين الإدمان كظاهرة نفسية-اجتماعية وبين الضغوط التي تسهم في نشأتها واستمرارها، من أجل تقديم رؤية علمية يمكن أن تُسهم في صياغة برامج علاجية وإرشادية فعّالة.

إنّ دراسة الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات تمثل خطوة أساسية نحو فهم الدوافع العميقة التي تؤدي إلى التعاطي، كما تسلط الضوء على أهمية الجانب النفسي في مراحل العلاج والتأهيل. فمواجهة الإدمان لا تقتصر على سحب السموم أو العلاج الطبي، بل تتطلب معالجة الجذور النفسية المسببة له، وتعزيز قدرات الأفراد على التكيف مع ضغوط الحياة بأساليب إيجابية.

مشكلة البحث:

تعد مشكلة تعاطي المخدرات من أخطر الظواهر الاجتماعية والنفسية التي تهدد استقرار المجتمعات وصحة الفرد، هذا من جانب ومن جانب آخر تعد الظاهرة استجابة طبيعية للتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية، وتطور وسائل الاتصال التكنولوجي والانتشار الواسع لاستخدام الانترنت، وتغير انماط الحياة وانتشار الثقافات المختلفة، مما أحدث مزيداً من التغيرات والتحوّلات في بنية المجتمع، وتراجع دور الأسرة عن القيام بأدوارها الأساسية، الأمر الذي أسهم في انحراف بعض الأبناء عن السلوك السليم والانخراط في التعاطي والإدمان ومن الملاحظ انتشار هذه الظاهرة بين فئة الشباب (الجواد، 2018: 63).

تعاطي المخدرات ليس مجرد إدمان لمواد كيميائية فحسب، بل انعكاس لضغوط نفسية عديدة قد تكون السبب في الإدمان، إن الضغوط النفسية يمنع التكيف بالنسبة للإنسان، وجدت بعض الدراسات أن من بين العوامل التي تزيد من شدة الضغوط النفسية كثيره (ايبو، 2019: 29)، وقد تكون هذه الضغوط اسباب لظهور المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الشباب مما يجعلهم يقومون بسلوكيات لا تتسجم مع تقاليد وسياقات المجتمع، فالضغوط النفسية لها الاثر السلبي على شخصية الفرد في توافقه مع نفسه ومع البيئة المحيطة (جاسم، 2016: 114). وفقاً لمنظمة الصحة العالمية، قد يصاب الشباب المعرضون للحرب والنزوح بأضطرابات نفسية، بما في ذلك الاكتئاب والتفكير في الانتحار، وتعاطي المخدرات (Razjouyan;etal,2022: p362)

وجدت الباحثة من الضروري التعرف على الضغوط النفسية التي يعاني منها متعاطي المخدرات وهل هذه الضغوط سبب في التعاطي وفقاً للعمر والتحصيل الدراسي ومدة التعاطي؟

اهمية البحث:

ان معرفة الضغوط النفسية ومعرفة اثارها والامراض والاضطرابات التي تسببها، وكيفية مواجهتها، هو امر مهم لتحقيق الصحة النفسية للأفراد والجماعات على اختلاف اعمارهم ومهنهم المتباينة، كما ان الضغوط النفسية تعد من اهم سمات العصر الراهن، فهي تكاد تنتشر في مختلف البيئات والمجتمعات ويعد من المواضيع ذات الاهمية الكبيرة في الحياة المعاصرة، وذلك لما له من اثار سلبية على حياة الافراد الشخصية والاجتماعية إضافة الى تأثيره على انتاجيتهم وتحصيلهم الدراسي والأكاديمي (ايبو، 2019: 26).

كما تكمن اهمية البحث الى ان ظاهرة تعاطي المخدرات وادمانها تفاقمت بشكل كبير خلال هذه الفترة وظهرت انواع جديدة من المخدرات المصنعة والنصف مصنعة، وتزايد استخدام الادوية النفسية لتصنيف بعداً جديداً آخر، كما دخلت شرائح عمرية نتيجة اعمارها الى الصغر واخرى مهنية الى دائرة التعاطي والادمان (عبد الجواد، 2018: 64). تعاطي المخدرات من اعقد المشاكل التي تواجه المجتمع الدولي في الوقت الراهن، فهي اكثر خطورة من مشكلة الارهاب ولايكاد يفلت منها اي مجتمع سواء كان متقدماً او نامياً، فهي تهدد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتؤدي الى فقدان الامن العام الذي يعمل على تحقيق الفوضى وعدم الاستقرار الامني، وتوجد علاقة بين تعاطي المخدرات والاقدام على الجريمة سواء كانت العلاقة بشكل مباشر او غير مباشره، فالتعاطي تقود الفرد الى الجريمة، والجريمة تُلقي به الى زيادة الادمان واستمراره فيه.

فألاهمية تكمن انها تمس حياة المتعاطي الشخصية والاجتماعية من جميع الجوانب فهي تمس علاقته بنفسه من حيث نظرته، ومن حيث اهتمامته واهدافه كما انها تمس علاقته بجميع افراد اسرته وعلى نطاق أوسع تظهر خطورة التعاطي في انها تمس المجتمع من جوانب مختلفة، اكثرها وضوحاً أمن واستقرار المجتمع، ولعبت العولمة دوراً كبيراً في ترويج المخدرات، حيث لغيت الحدود والقيود بين الدول فأصبحت متاحة يسهل تناولها والادمان عليها (ابوزيد، 2023: 254).

ان تناول ظاهرة خطيرة تهدد المجتمع في العراق وامنه الاجتماعي بالدراسة والتحليل والكشف عن الجهود للحد من انتشارها من خلال البحث عن الاسباب وذلك من خلال ماتقدمه من نتائج مما قد يساعد في الحد من الظاهرة واقتراح الحلول المناسبة، زيادة عن ذلك تبرز اهمية الدراسة نظراً لما تتمخض من نتائج وتوصيات مهمة وماتقدمه من اضافات علمية يمكن ان تكون عوامل فاعلة وقاعدة لبيانات مهمة واسباب انتشارها وانواعها ووسائل الوقاية منها.

اهداف البحث:

يهدف البحث الحالي التعرف على:

1. الضغوط النفسية لدى متعاطين المخدرات
2. دلالة الفرق في الضغوط النفسية وفقاً لمتغير التحصيل الدراسي
3. دلالة الفرق في الضغوط النفسية لدى المتعاطين وفقاً لمتغير الجنس
4. دلالة الفرق في الضغوط النفسية وفقاً لمتغير مدة التعاطي
5. دلالة الفرق في الضغوط النفسية وفقاً لمتغير العمر

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بالاشخاص متعاطي المخدرات المراجعين لمستشفى الشفاء (مستشفى القناة)، ومستشفى العطاء (مدينة الصدر/الاورفلي) للعام 2024 الدوام الصباحي .

تحديد المصطلحات:**تعريف الضغوط النفسية Psychological Stress:**

1-عرفها لازاروس وسوزانفولكمان (Lazarus&Susanfolkman, 1984): "علاقة محددة بين الشخص والبيئة تم تقييمها من قبل الشخص بوصفها شاقة او انها تتخطى موارده او مواردها وتشكل خطراً على رفاهيته او رفاهيتها-Well) (being" (Brannon&Jess,2000,p119)2-عرفها توماس (Thomas,2003): "هي حالة من الشدة والتي تتطلب من الفرد التكيف معها" (Thomas,2003,p6).

3-عرفها سيلبي (Selye,1976): "هي مجموع التغيرات اللائقوية التي تحدث في الجسم خلال مرحلة ما فإن التناذر العام للتكيف يشير الى تلك التغيرات اللائقوية التي تتطور خلال المدة الكاملة لتعرض الجسم للحدث الضاغط" (Selye,1975,p:68).

التعريف الاجرائي للضغوط النفسية (هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها الشخص المتعاطي عند اجابته على المقياس المعد لهذا الغرض".

تعريف تعاطي المخدرات Drug Abuse:

-الغباري(2007):"انها ارادة غير طبيعية يظهرها بعض الاشخاص نحو المخدرات والمواد السامة (ارادياً) عن طريق التعرف على أثارها السامة والمسكنه والمخدرة، او عن طريق الصدفة تسبب حالة الادمان، وتسبب اضراراً اجتماعياً ونفسياً وجسماً للفرد والمجتمع" (الغباري، 2007: 46).

-مشاقيه(2007):"استعمال غير مشروع للمخدرات وبطريقة غير مشروعة وغير منتظمة يتعاطها الافراد من اجل تغيير مزاجهم وتغيير حالتهم العقلية ولكنه لا يصل الى حد الاعتماد عليه"(مشاقيه،2007: 21).

-Dinitto دانيتو(2012):"هو استهلاك كل مادة خام او محضره تحتوي على مواد منبه او مسكنه من شأنها اذ استخدمت في الأغراض الطبيه او الصناعية ان تؤدي الى التعود او الادمان عليها مما يضر الفرد جسماً ونفسياً وكذلك المجتمع"(Dinitto,2020;p197)

الفصل الثاني:الاطار النظري والدراسات السابقة:

يقدر ان هنالك ربع مليون نسمة، او نحو5% من سكان العالم البالغين، تعاطوا المخدرات مره واحدة على الاقل في عام 2015 والاكثر مدعاة للقلق ان نحو 29.5 مليوناً من متعاطي المخدرات هولاء، او 0.6 في المائة من سكان العالم البالغين، يعانون اضطرابات ناشئه عن تعاطي المخدرات، مما يعني ان تعاطيهم للمخدرات ضارٌ الى درجة انهم قد يصبحون مرتين للمخدرات وبحاجة الى العلاج (تقرير المخدرات العالمي، 2017:9).

ان الاضرار الناتجة عن تعاطي المخدرات والاتجار غير المشروع بها كثيرة ومتعددة، تنتج عن تعاطي المخدرات والاستعمال والاتجار الغير مشروع بها، وتتمثل تلك الاضرار في مجالات الصحة والاجتماعية والاقتصادية والامنية علاوة عن ماينبتق عن هذه الاضرار من اضرار جانبية ذات علاقة وثيقة بالاضرار المذكورة .وهناك عدة اسباب لانتشار المخدرات تشكل في مجموعها عوامل رئيسية وفرعية متداخلة متفاعلة متشابكة، تؤثر كل منها في حجم وابعاد ظاهرة المخدرات وسبل انتشارها بنسب ودرجات متفاوتة ومن تلك الاسباب ضعف الوازع الديني عند بعض الافراد في المجتمع

واسباب اجتماعية تتعلق بتركيبة المجتمع وخصائصه ومتغيراته الاجتماعية المختلفة، وهناك أيضاً الاسباب الاقتصادية المرتبطة بالوضع الاقتصادي والظروف المعيشية والمادية عند مختلف فئات المواطنين، والاسباب الصحية التي تتعلق بطبيعة المتعاطي النفسية والشخصية والاسباب الخاصة بالامكانيات المادية والقدرات الفنية المتوافرة لمواجهة المخدرات عن طريق الوقاية والمكافحة وعلاج المدمنين وتأهيلهم وذلك للاسباب الخارجية التي تتعلق بالانفتاح الاجتماعي والاقتصادي والاقامة خارج البلاد واثار العمالة الوافدة في زيادة فرص انتشار المخدرات، علاوة عن عدة اسباب اخرى متنوعة (السعد، 1997) (المعاينة، وآخرون، 2017:344).

ان بعض الافراد يتأثرون سلباً بالضغوط النفسية مما يؤدي الى مترتبات ضارة عليهم ثم على المجتمع فيما بعد، والبدهي ان يحاول كل فرد مواجهة الضغوط والتعامل معها، عندما ينجح الفرد في المواجهة فأن هذا يعني تخطي المترتبات السلبية للضغوط ولو بشكل مؤقت، اما اذا اخفق في المواجهة للضغوط او تبنى الفرد اساليب تجنبه هروبيه فأن المترتبات السلبية تكون مؤكدة.

ان السلوكيات والاستجابات والنشاطات التي يلجأ اليها الافراد امام المواقف المهددة تلعب دوراً هاماً كونها قد تزيد او تنقص من اثر المواقف المهددة، ولزيادة حجم المعاناة الصحية والاجتماعية المرتبطة بزيادة ضغوط الحياة المعاصرة والاعباء الاجتماعية الناجمة عنها. (الطاهر والعبودي، 2014: 193)

النظريات التي تناولت الضغوط النفسية:

1-نظرية لازاروس (Lazarus) التقدير العقلي والمعرفي للضغوط:

قدم هذه النظرية لازاروس (Lazarus) وقد نشأت هذه النظرية نتيجة الاهتمام الكبير بعملية الادراك والعلاج الجسمي الادراكي، والتقدير المعرفي وهو مفهوم اساسي يعتمد على طبيعة الفرد، حيث ان تقدير كم التهديد ليس مجرد ادراك مبسط للعناصر المكونة للموقف ولكنه رابطة بين البيئة المحيطة بالفرد وخبراته الشخصية مع الضغوط، وبذلك يستطيع الفرد تفسير الموقف ويعتمد تقدير الفرد للموقف على عدة عوامل منها: العوامل الشخصية والعوامل الخارجية الخاصة بالبيئة، والعوامل المتصلة بالموقف نفسه.

وتقول نظرية التقدير المعرفي للضغوط بأنها تنشأ عندما يوجد تناقض بين المتطلبات الشخصية للفرد ويؤدي ذلك الى تقييم التهديد وادراكه في مرحلتين:

المرحلة الاولى: وهي المرحلة الخاصة بتحديد ومعرفة ان بعض الاحداث هي في حد ذاتها شيء يسبب الضغوط، اي مرحلة التهديد حيث تتمثل في استقبال الفرد للمواقف الضاغطة على انها احداث ضارة ومهددة ذاته. المرحلة الثانية: هي التي يحدد فيها الطرق التي تصلح للتغلب على المشكلات التي تظهر في الموقف، مرحلة المواجهة، حيث يقوم الفرد بفحص مصادر المواجهة المتاحة له وفي هذا المستوى يقوم بالعملية التفاعلية بينه وبين البيئة التي يعيش فيها. ومن ثم، تتم المواجهة طبقاً لنظرية لازاروس (Lazarus) من خلال تفاعل الفرد مع الموقف الضاغطة في البيئة المحيطة به محاولاً ايجاد الحلول لها، (Andrews, Frydenberg, M& M, Ainley, (2004,P2) (عثمان، 2001، ص101) (الجمعان، 2018، ص1002).

2-النظرية الفسيولوجية لهانز سيلبي (Hans Selye 1976):

يعد هانز سيلبي الاستاذ في جامعة مونتريال الرائد الاول الذي قدم مفهوم الضغوط النفسية الى الحياة العملية فقط كان متأثر بفكرة ان الكائنات البشرية يكون لها رد فعل للضغوط عن طريق تنمية أعراض غير نوعية، وذكر ان الضغوط يكون لها دور مهم في احداث معدل عال من الاجهاد والانفعال الذي يصيب الجسم اذ ان اي اصابة جسمية او حالة انفعالية غير سارة كالقلق والاحباط والتعب او الالم لها علاقة بتلك الضغوط (محمد، 195، 1999).

وينظر سيلبي الى الضغط على انه استجابة لأحداث مثيرة من البيئة وينصب اهتمامه على الاستجابة التي يمكن النظر اليها كدليل ان الفرد يقع فعلاً تحت ضغط بيئة مزعجة نويعرف سيلبي الضغط بأنه استجابة جسدية عامة او غير محددة يقوم بها البدن في مواجهة اي مطلب يطلب منه. (المزروع، 2009: 45).

ويؤكد سيلبي ان التعرض المستمر والمتكرر للضغوط يؤدي الى تأثيرات سلبية على حياة الفرد مما يفرض متطلبات فسيولوجية او اجتماعية او انفعالية او نفسية او الجمع بينهما، وهذا يؤدي بالفرد الى حشد كل الطاقات لمواجهة تلك الضغوط وهنا يدفع ثمنها في اعرض فسيولوجية، وان اعراض هذه الاستجابة الفسيولوجية للفرد تكون بغرض الدفاع عن الذات والمحافظة على الحياة وانها تنتج عن حشد الفرد لطاقاته من اجل مواجهة العوامل الضاغطة التي يتعرض لها (العزیز، ابو اسعد، 2009: 60).

كما ان هذه الاعراض تظهر من خلال مراحل التكيف العام الثلاثة التي تشملها الاستجابة الفسيولوجية للفرد وذلك على النحو الاتي:-

1-المرحلة الاولى: وتسمى مرحلة (الانذار بالخطر) حيث يدرك الفرد في هذه المرحلة خطورة ما يتعرض له من عوامل ضاغطة فتتشط ميكانيزمات التكيف لديه، كما تتشط الدفاعات الفسيولوجية وهو ما يؤدي الى افراز هرمون الادرينالين في الدمو زيادة ضربات القلب وضغط الدم بالاضافة الى حدوث اضطرابات معدية ومعوية وضيق التنفس.

2-المرحلة الثانية: وتسمى مرحلة(المقاومة) حيث تتسم هذه المرحلة بمقاومة الفرد للعوامل المسببة للضغوط وعندما تكون قدرة الجسم غير كافية لمواجهة العوامل المسببة للضغوط خلال هذه المرحلة فأن ذلك قد يؤدي لنشأة بعض الاضطرابات السيكولوجية.

3-: وتسمى مرحلة (الاجهاد) حيث تؤدي ضعف المقاومة وعدم كفايتها مع الاستخدام المستمر لميكانيزمات واستنزاف الطاقة فتتخفف قدرة الفرد على الاداء مع اصابته بالمرض (Levin&Scotch,1970:p114) .

وتقدم نظرية هانز سيلبي عام (1982) فهماً اخر لضغط العمل، حيث اكدت على ان ردود فعل الفرد العامل للاحداث الضاغطة تتبع نمطاً متسقاً أطلق عليه سيلبي "نمط التكيف العام للاعراض المتزامنه" ووفقاً لتصورات النظرية فأن استجابات الانسان للضغوط تمر بثلاث مراحل:

1-الانذار حيث الجاهزية للتعاطي مع ضغوط العمل.

2-المقاومة حيث القدرة القصوى على التكيف.

3-التوازن او الانهك حالة التماهي في التعرض للضغط.

وارجعت نظرية سيلبي اسباب الضغط الى ثلاث اسباب هي:

1-عوامل الضغط الجسدي: مثل الاحداث المزعجة الحوادث والالام الجسدية..الخ

2-عوامل الضغط النفسي: مثل القلق، الانفعال، المخاوف بأنواعها، الارهاق الفكري

3-عوامل الضغط الاجتماعي: مثل الصراعات المهنية والعلاقات الاجتماعية السيئة والعزلة.

ويؤكد سيلبي ان للضغوط دوراً مهماً في احداث معدل عال من الانهك والانفعال الذي يصيب الجسم فأية اصابة جسمية او حالة انفعالية غير سارة كالقلق والاحباط والتعب والالام لها علاقة بتلك الضغوط (ايبو، 2019:ص109).

الدراسات السابقة:

1. دراسة جابر(2018): هدف البحث التعرف على بعض اسباب انتشار المخدرات من وجهة نظر طلبة كلية التربية الاساسية، اعتمد المنهج الوصفي والتحليلي، وكانت عينة البحث مكونة من (65) فردا من طلبة التربية الاساسية قسم العلوم العامة، واعتمدت الاستبانة كأداة للبحث وتكونت من 13 فقرة واستخدام التكرارات والنسب المئوية كوسائل احصائية للدراسة، وتوصلت الدراسة الى الاستنتاجات التالية: اعلى ثلاث نسبة كانت هي رفاق السوء، ودور الانترنت ودور الاسرة(جابر، 2018: 558)

2.دراسة الشمري (2006):هدف البحث التعرف على الفروق بين المدمنين على المخدرات وغير المدمنين في الضغوط النفسية والاجتماعية، كانت عينة البحث (100) فرد من متعاطي المواد المخدرة المراجعين والراقيدين في الشعب النفسية لمستشفيات (الزهاء، الكرامة، والطوارئ) في مدينة الكوت مثلوا المجموعة السريية، كما تم اختيار (100)من الافراد غير المتعاطيين من المجتمع العام مثلوا المجموعة الضابطة جميعهم من الذكور، وتم اعداد مقياس الضغوط النفسية والاجتماعية للادمان بلغ (25) فقرة، اظهرت النتائج ان الافراد متعاطي المخدرات اكثر تعرضاً للضغوط النفسية والاجتماعية من غير المتعاطين(الشمري، 2006: 265).

اولاً: منهجية البحث واجراءاته:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، كونه الانسب لطبيعة الموضوع، حيث يهدف الى وصف الظاهرة المدروسة (الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات) كما هي في الواقع وتحليل ابعادها وعواملها المختلفة من خلال جمع البيانات من افراد العينة وتحليلها احصائياً.

ثانياً مجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث من جميع الافراد المتعاطين للمواد المخدرة والذين يخضعون للعلاج والتأهيل في (مستشفى الشفاء) و(مستشفى العطاء) في بغداد خلال الفترة من تاريخ 2024/9/1 لغاية 2024/12/1.

ثالثاً: عينة البحث

تم اختيار عينة الدراسة بطريقة (عشوائية، قصدية) من بين افراد مجتمع الدراسة وبلغ عدد افراد العينة (50) متعاطي للمخدرات).من الذكور والاناث الذين تتراوح اعمارهم بين (19- 40) سنه. ويوضح الجدول الآتي توزيع أفراد العينة بحسب متغيرات البحث:

جدول (1): توزيع أفراد عينة البحث بحسب متغيرات الديمغرافية

المتغيرات			العدد	النسبة المئوية
التحصيل الدراسي	إبتدائي/إعدادي	40	80%	
	معهد/بكالوريوس	6	12%	
	ماجستير	4	8%	
الجنس	ذكور	41	82%	
	إناث	9	18%	
مدة التعاطي	أقل من سنتين	13	26%	
	سنتين_ 5 سنوات	12	24%	
	من 5 سنوات _ 10 سنوات	14	28%	
	10 سنوات فأكثر	11	22%	
العمر	الفئة الأولى (18-25 سنة): الشباب الصغار	20	40%	
	الفئة الثانية (26-35 سنة): الشباب/منتصف العمر المبكر	23	46%	
	الفئة الثالثة (36 سنة فأكثر): الأكبر سناً	7	14%	

رابعاً: أداة البحث: تمثلت أداة البحث في الاستبانة: تم تقسيم الاستبانة الى جزأين:

الجزء الأول: ويتضمن البيانات الرئيسية لعينة البحث: وتتضمن: الجنس، التحصيل الدراسي، مدة التعاطي، العمر، نوع المخدرات، مكان الإقامة.

الجزء الثاني: بنود الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات، ولتحقق الاستبانة هدفها تم الاعتماد على مقياس ليكرث الرباعي لمعرفة آراء عينة البحث، وقد تدرج المقياس الذي تم استخدامه في البحث الحالي إلى (تتطبق على جداً = 4 درجة كبيرة جداً، تتطبق على = 3 درجة كبيرة، لا تتطبق على = 2 درجة قليلة، لا تتطبق على إطلاقاً = 1 بدرجة قليلة جداً)

وفيما يلي خطوات بناء الاستبانة قبل أن تظهر في صورتها النهائية ويمكن عرضها فيما يلي:

1_ الهدف العام من الاستبانة: هدفت الاستبانة التعرف على الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات

2_ بناء عبارات الاستبانة: تم بناء عبارات الاستبانة معتمداً في بنائها على: الأدبيات التي تناولت مجال الضغوط النفسية، والدراسات التي تناولت تعاطي المخدرات وأسبابها ونتائجها، وبناء على ما تم استعراضه فقد تم تصميم الاستبانة في صورتها المبدئية متضمنة (37) فقرة.

خامساً: أولاً: الصدق الظاهري

التحقق من صدق الاستبانة: صدق الاستبانة تم التحقق منها عن طريق عرضها على عدد من الخبراء في مجال علم النفس، وقد بلغ عدد المحكمين (8) والطلب منهم إبداء آرائهم في الأداة من حيث مناسبة كل فقرة وانتمائها للهدف من الاستبانة، ووضوح الصياغة اللغوية، وإضافة أية اقتراحات يرونها مناسبة من حذف أو تعديل أو إضافة، وفي ضوء تلك الاقتراحات تم إجراء التعديلات وأصبحت الاستبانة جاهزة للتطبيق، تم قبول الفقرات بنسبة 80% فما فوق مع إجراء التعديل لبعض الفقرات التي أقرح تعديلها والجدول يوضح اسماء الاساتذة المحكمين:

ت	اسم المحكم	مكان عمله
1	أ.د.أسعد الامارة	مركز دراسات الدعم/السويد
2	أ.د.حيدر كريم سكر	الجامعة المستنصرية
3	أ.د.كامل حسون القيم	جامعة بابل
4	أ.د.سناء عيسى	جامعة بغداد/كلية الاداب
5	أ.د.ليث محمد عياش	جامعة بغداد كلية/ ابن الهيثم
6	أ.م.د.وجدان جعفر الحكاك	مركز البحوث النفسية
7	أ.م.د.علا حسين علوان	مركز البحوث النفسية
8	أ.م.د.علياء قاسم محمد	جامعة بابل

ثانياً: صدق البناء: علاقة الفقرة بالدرجة الكلية:تم حساب درجات كل فقرة بالدرجة الكلية من خلال استخدام معامل ارتباط بيرسون، اذا كان معامل الارتباط موجباً ودالاً احصائياً عند مستوى 0.05 فهذا يشير الى ان الفقرة تقيس ما تم وضع لاجله . اذا كانت الفقرة معامل ارتباطها 0.30 فأكثر تعد الفقرة جيدة اما اذا كانت الفقرات اقل من 0.30 تستبعد

الفقرة أو يتم مراجعتها، وتبين من خلال اجراء الاحصاء المناسب ان جميع معاملات الارتباط داله عند مستوى (0.05) ودرجة حرية 50 بالمقارنه بالقيمة الجدولية (1.68) الجدول يوضح ذلك:

جدول (2) معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية لها

بنود الاستبانة					
الفقرة	معامل الارتباط	الفقرة	معامل الارتباط	الفقرة	معامل الارتباط
1	**0,661	13	**0,665	26	**0,524
2	**0,591	14	**0,524	27	**0,696
3	**0,622	15	**0,696	28	**0,684
4	**0,645	16	**0,684	29	**0,787
5	**0,684	17	**0,737	30	**0,693
6	**0,589	18	**0,806	31	**0,689
7	**0,618	19	**0,763	32	**0,618
8	**0,622	20	**0,787	33	**0,622
9	**0,665	21	**0,693	34	**0,577
10	**0,737	22	**0,681	35	**0,696
11	**0,806	23	**0,578	36	**0,734
12	**0,763	24	**0,699	37	**0,808
		25	**0,300		

4_ ثبات الاستبانة:

للتأكد من ثبات الاستبانة تم تطبيقها على عينة استطلاعية تكونت من (10) من متعاطي المخدرات خارج العينة الأصلية، وباستخدام معادلة ألفا كرونباخ (Alpha s'Cranach) معامل الثبات بلغت لبنود الاستبانة (0,96) وهي قيمة ثبات مرتفعة تدل على أن أداة البحث تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات وبالتالي من الممكن اعتماد نتائجها والوثوق بها.

جدول (3): نتائج قيم ثبات الاستبانة بطريقة (ألفا كرونباخ) لعينة البحث الاستطلاعية

الثبات	عدد العبارات	معامل الثبات
الأداة ككل	37	0.96

يتضح من جدول (3) أن قيمة ثبات الاستبانة (0,96) وهي قيمة تدل على ارتفاع ثبات الاستبانة وصلاحيه استخدامها، وامكانية الاعتماد على نتائجها.

5_ الصورة النهائية للاستبانة: بعد الانتهاء من اجراءات إعداد الاستبانة خلصت إلى صورتها النهائية وقد تكونت من جزأين أساسيين:

الجزء الأول: يتضمن معلومات عامة عن عينة البحث

الجزء الثاني: يشمل بنود الاستبانة (37) عبارة، واستخدم البحث المقياس المتدرج، حيث يعطي موازين رقمية لكل بديل من بدائل الإجابة كما يلي: (درجة كبيرة جداً = 4، درجة كبيرة = 3، درجة قليلة = 2، درجة قليلة جداً = 1) أما تصحيح الاستجابات فكان كالتالي:

- حساب طول المدى؛ وذلك بطرح أكبر قيمة من المقياس من أصغر قيمة (4-1=3).
- حساب طول الفئة؛ وذلك بتقسيم المدى وهو (3) على عدد الفئات (4)، (4=3÷4=0.75).
- إضافة طول الفئة وهو (1.33) إلى أصغر قيمة في المقياس وهي (1)، وذلك للحصول على الفئة الأعلى من الفئة الأولى، وعليه كانت الفئة الأولى (من 1 إلى 2.3)، ثم إضافة طول الفئة إلى الحد الأعلى من الفئة الأولى للحصول على الفئة الثانية، وكذلك الفئة الثالثة.

استناداً إلى قاعدة التقريب الرياضي يمكن التعامل مع قيم المتوسطات الحسابية لإجابات العينة، كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول (4): فئات قيم المتوسط الحسابي (الرتبي) ودرجة الموافقة المقابلة لها

فئات قيم المتوسط الحسابي للبند	درجة الموافقة
من 1 إلى 1.75	ضعيفة جداً
من 1.75 إلى 2.5	ضعيفة
من 2.5 إلى 3.25	كبيرة
من 3.25 إلى 4	كبيرة جداً

تطبيق الاستبانة:

بعد التأكد من الصدق والثبات أداة البحث أجري تطبيق الاستبانة على عينة البحث

والمكونة من (50) فرداً من متعاطي المخدرات، تم اختيارهم بطريقة عشوائية، وبعد الانتهاء من جمع الاستبانات من الأفراد (عينة البحث) تم القيام بتفريغ الدرجات التي حصل عليها كل فرد من أفراد العينة ببرنامج الحزم الإحصائية بتحليلها مستخدمةً (SPSS) للإجابة عن تساؤلات البحث.

عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها:

1_ للتعرف إلى الهدف الأول ونصه: " التعرف إلى الضغوط النفسية لمتعاطي المخدرات، تم حساب تكرارات إجابات أفراد العينة عن بنود الاستبانة ونسبها المئوية، وحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة على الاستبانة والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث حول الضغوط النفسية

رقم البند	البند	الاستجابات بدرجة				المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه السؤال	رتبة
		كبيرة جدا	كبيرة	ضعيفة	ضعيفة جدا				
1	انا مندفع	13	12	8	17	2.42	1.21	ضعيفة	37
		%26	%24	%16	%34				
2	اشعر بتقل المسؤولية	22	11	7	10	2.90	1.18	كبيرة	23
		%44	%22	%14	%20				
3	افتقد الى البهجة	36	5	4	5	3.44	1.01	كبيرة جدا	4
		%72	%10	%8	%10				
4	اشعر بالتشاؤم من ما يحدث	22	8	13	7	2.90	1.12	كبيرة	22
		%44	%16	%26	%14				
5	أشعر بالتهديد لوجودي	19	16	22	24	2.68	1.21	كبيرة	29
		%38	%16	%22	%24				
6	اعاني من ظروف المعيشية الصعبة	28	3	5	14	2.90	1.34	كبيرة	24
		%56	%6	%10	%28				
7	أشعر بتوتر دائماً ولا بسبب الاسباب	29	12	2	7	3.26	1.06	كبيرة جدا	12
		%58	%24	%4	%14				
8	لديّ مشكلات مع افراد اسرتي	22	6	5	17	2.66	1.34	كبيرة	31
		%44	%12	%10	%34				
9	لديّ شعوراً بالقلق	29	7	7	7	3.16	1.13	كبيرة	13
		%58	%14	%14	%14				
10	اعاني من الالم جسمية مختلفة	24	8	7	11	2.90	1.23	كبيرة	25
		%48	%16	%14	%22				
11	اشعر بالغضب والعصبية	28	7	6	9	3.08	1.19	كبيرة	18
		%56	%14	%12	%18				
12	اعاني من قلة النوم	28	9	5	8	3.14	1.14	كبيرة	15
		%56	%18	%10	%16				

35	ضعيفة	1.37	2.44	22	2	8	18	13	الاضلاع الاقتصادية في البلد تقلقني
				%44	%4	%16	%36		
21	كبيرة	1.21	2.94	11	5	10	24	14	لدى شعور بالخوف من استمرار تدهور الوضع المعيشي
				%22	%10	%20	%48		
34	ضعيفة	1.28	2.48	17	9	7	17	15	اشعر بانعدام الثقة
				%34	%18	%14	%34		
28	كبيرة	1.35	2.80	15	6	3	26	16	اشعر بضعف التركيز والانتباه وكثرة النسيان
				%30	%12	%6	%52		
1	كبيرة جداً	1.35	3.82	2	0	3	45	17	اتألم عندما يمرض أحد افراد اسرتي وغير قادر على المساعدة
				%4	—	%6	%90		
19	كبيرة	1.25	3.08	11	4	5	30	18	اشعر ان الآخرين يفضلون الابتعاد عني
				%22	%8	%10	%60		
27	كبيرة	1.11	2.82	10	6	17	17	19	أكثر الاعمال التي اقوم بها غير منظمة
				%20	%12	%34	%34		
3	كبيرة جداً	0.95	3.44	3	7	5	35	20	اشعر أنى بحاجة الى عطف الآخرين واهتمامهم
				%6	%14	%10	%70		
17	كبيرة	1.16	3.10	9	4	10	27	21	أكلف بأعمال كثيرة فوق طاقتي
				%18	%8	%20	%54		
7	كبيرة جداً	0.96	3.36	4	5	10	31	22	انا غير مستقر وكثير الحركة
				%8	%10	%20	%62		
2	كبيرة جداً	0.88	3.60	4	1	6	39	23	اشعر بالملل من حديث الناس
				%8	%2	%12	%78		
16	كبيرة	1.02	3.12	7	2	19	22	24	لدى احساس بالتعب عندما استيقظ من النوم
		1		%14	%4	%38	%44		
5	كبيرة جداً	1.03	3.40	5	5	5	35	25	ظروفي في تدهور مستمر
				%10	%10	%10	%70		
9	كبيرة جداً	0.95	3.30	4	5	13	28	26	صعوبة التعامل مع مطالب الحياة
				%8	%10	%26	%56		
26	كبيرة	1.21	2.84	12	5	12	21	27	لدى ضعف بالقيم الدينية
				%24	%10	%24	%42		
11	كبيرة	1.19	3.26	9	3	4	34	28	ارى ان الحياة مملة

				جداً				68%	8%	6%	18%			
29	انتكلم واعمل بدون تفكير	23	3	9	15	2.68	1.33	كبيرة	29					
		46%	6%	18%	30%									
30	ألقي اللوم على الآخرين	15	12	3	20	2.44	1.29		36					
		30%	24%	6%	40%									
31	اتجنب الناس بشكل عام	34	5	5	6	3.34	1.08	كبيرة جداً	8					
		68%	10%	10%	12%									
32	عندما احتاج مساعدة لا يوجد من يساعدني	25	6	11	8	2.96	1.17	كبيرة	20					
		50%	12%	22%	16%									
33	استسلمت الى قدرتي حيث يكون حظي سيء	30	9	6	5	3.28	1.03	كبيرة جداً	10					
		60%	18%	12%	10%									
34	حاولت ان اكون بوضع أحسن بوساطة استخدام المخدرات	29	9	2	10	3.14	1.19	كبيرة	14					
		58%	18%	4%	20%									
35	ساعدتني المخدرات حتى انام لفترات طويلة	20	6	8	16	2.60	1.30	كبيرة	32					
		40%	12%	16%	32%		9							
36	يتعدل مزاجي حينما استخدم المخدرات	20	6	8	16	2.60	1.30	كبيرة	33					
		40%	12%	16%	32%									
37	استخدمت المخدرات حتى أنسى المواقف المؤلمة	35	6	2	7	3.38	1.08	كبيرة جداً	6					
		70%	12%	4%	14%									
المتوسط العام												3.45	1.98	كبيرة جداً

أظهرت النتائج من خلال الجدول السابق أن المتوسط الحسابي العام (3.45) وهذا يدل بأن مستوى الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات يقع في فئة "كبيرة جداً"، ويشير الانحراف المعياري (1.98) إلى وجود تباين ملحوظ بين أفراد العينة، أي أن بعضهم يعاني من ضغوط أعلى بكثير من غيرهم، لكن الاتجاه العام يبقى مرتفعاً، مما يعني أن غالبية أفراد العينة يعانون من مستويات مرتفعة من الضغوط النفسية، وهو ما يعكس خطورة الظاهرة.

وتفسر الباحثة ذلك: بأن تعاطي المخدرات يؤدي إلى اضطراب في كيمياء الدماغ (مثل الدوبامين والسيروتونين)، مما يسبب تقلبات مزاجية، قلقاً مزمناً، وشعوراً بالاكئاب، أما بالنسبة للجانب الاجتماعي فالتعاطي غالباً يواجه عزلة اجتماعية، وصعوبة في العلاقات الأسرية، إضافة إلى الوصمة الاجتماعية، وكلها تزيد من الضغوط، و يلجأ للمخدر لتخفيف الضغط، لكنه في الحقيقة يزيده، مما يضاعف المعاناة، هذه النتائج تؤكد أن برامج علاج الإدمان يجب أن لا تقتصر على الجانب الطبي (سحب السموم)، بل يجب أن تتضمن علاجاً نفسياً وسلوكياً يركز على إدارة الضغوط والتأهيل الاجتماعي. أظهرت النتائج أيضاً البنود التي جاءت بنسبة مرتفعة جداً هي:

- أعلى المتوسطات جاءت بدرجة (كبيرة جداً) وهما البنود الآتية:

- البند (17) "أتألم عندما يمرض أفراد أسرتي وغير قادر على المساعدة.(3.82) "
- البند (23) "أشعر بالملل من حديث الناس.(3.60) "
- البند (20) "أشعر بحاجة إلى عطف الآخرين واهتمامهم.(3.44) "
- البند (3) "أفتقد إلى البهجة.(3.44) "
- البند (25) "ظروفي في تدهور مستمر.(3.40) "
- البند (37) "استخدمت المخدرات حتى أنسى المواقف المؤلمة.(3.38) "

• المتوسطات الكبيرة:

معظم البنود الأخرى تراوحت بين (2.60 – 3.30) مثل: الشعور بالغضب والعصبية (3.08)، قلة النوم (3.14)، القلق (3.16)، صعوبة التعامل مع مطالب الحياة.(3.30)

• المتوسطات الضعيفة:

- البند (13) "الأوضاع الاقتصادية في البلد تقلقني.(2.44) "
- البند (15) "أشعر بانعدام الثقة.(2.48) "

• أقل متوسط (ضعيف جداً):

- البند (1) "أنا مندفع.(2.42) "

إجمالاً، الجدول يُظهر أن معظم متوسط البنود جاءت كبيرة إلى كبيرة جداً، وخاصة ما يتعلق بالمشكلات النفسية والشعورية (القلق، الغضب، قلة النوم، الحاجة للعطف)، بينما بعض البنود المرتبطة بالثقة والاقتصاد جاءت ضعيفة.

أظهرت نتائج الدراسة أن أعلى المتوسطات الحسابية قد ظهرت في البنود المرتبطة بالضغوط النفسية والانفعالية، حيث تركزت في مشاعر الألم الناتجة عن مرض أحد أفراد الأسرة مع العجز عن تقديم المساعدة، والشعور بالملل من أحاديث الآخرين، والحاجة المتكررة إلى عطف الآخرين واهتمامهم، إضافةً إلى فقدان الإحساس بالبهجة وتدهور الأوضاع العامة، فضلاً عن لجوء بعض الأفراد إلى تعاطي المخدرات كوسيلة للهروب من المواقف الضاغطة. ويعكس ذلك بوضوح حالة من الهشاشة الانفعالية والاضطراب النفسي الناجم عن تراكم الضغوط الحياتية اليومية، وهو ما يتسق مع ما أشارت إليه الأدبيات النفسية من أن الضغوط المستمرة تؤدي إلى إضعاف قدرة الأفراد على التكيف وزيادة احتمالية تعرضهم للقلق والاكتئاب.(Lazarus & Folkman, 1984)

كما بينت النتائج أن معظم البنود الأخرى تراوحت بين مستوى "كبير" و"كبير جداً"، ولا سيما تلك المرتبطة بالشعور بالعصبية والغضب، واضطرابات النوم، والقلق، وصعوبة التكيف مع المتطلبات الحياتية. ويمكن تفسير ذلك في ضوء نظرية الضغوط والتكيف التي تؤكد أن تراكم الضغوط يسهم في تدهور الصحة النفسية، وتظهر انعكاساته في صورة اضطرابات انفعالية وسلوكية مختلفة.

في المقابل، جاءت بعض البنود الأخرى بدرجات ضعيفة، مثل القلق حيال الأوضاع الاقتصادية وانعدام الثقة بالنفس، بينما حقق بند الاندفاع أدنى متوسط، حيث اتسم بالضعف الشديد. ويُفسر هذا التوجه بأن الأفراد يميلون إلى تركيز إدراكهم

واستجاباتهم على الضغوط الشعورية المباشرة أكثر من تركيزهم على القضايا ذات الطابع المادي أو الشخصي. وقد يُعزى ذلك إلى استخدام آليات دفاعية نفسية مثل الإنكار أو التقليل من أهمية التهديدات غير المباشرة.

بناءً على ذلك، يمكن الاستنتاج أن المشاركين في الدراسة يعانون بدرجة رئيسية من ضغوط انفعالية وشعورية، تفوق بصورة واضحة معاناتهم من أزمات اقتصادية أو سلوكية. ومن ثم، تبرز الحاجة إلى تدخلات إرشادية ونفسية تستهدف تعزيز مهارات التكيف الانفعالي، وتنمية المرونة النفسية، والحد من الاعتمادية الانفعالية الزائدة، بما يساهم في تحسين قدراتهم على مواجهة الضغوط وتحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية.

الهدف الثاني: للتحقق من الهدف الثاني؛ دلالة الفرق في الضغوط النفسية وفقاً لمتغير التحصيل الدراسي، أُجري اختبار التباين الأحادي (أنوفا) ANOVA لتعرف ما إذا كان هناك فروق دالة إحصائية في متوسط استجابات متعاطي المخدرات بحسب متغير التحصيل. ويوضح الجدول نتائج الاختبار والدلالة الإحصائية.

جدول (6) اختبار التباين الأحادي (أنوفا) ANOVA تبعاً لمتغير التحصيل

التحصيل	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ابتدائي/ إعدادي	40	111.60	22.38
معهد/ بكالوريوس	6	111.17	11.95
ماجستير	4	113.0	12.70

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيم F	قيمة الدلالة	القرار
بين المجموعات	8.786667	2	4.393	0.010	0.98	غير دال
داخل المجموعات	20734.43	47	441.15			
المجموع	20743.22	49				

تشير نتائج تحليل التباين (ANOVA) إلى أن قيمة F بلغت (0.010) مع قيمة احتمالية (Sig = 0.925)، وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05). هذا يشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين أفراد العينة حول الضغوط النفسية التي يعاني منها متعاطو المخدرات وفقاً لمستوى التحصيل الدراسي. بمعنى آخر، يظهر أن التحصيل الدراسي لا يؤثر بشكل ملحوظ على تقييم المشاركين للضغوط النفسية المتعلقة بالتعاطي، سواء كانوا من حملة الشهادة الابتدائية، الإعدادية، المعهد، البكالوريوس، أو الماجستير.

يمكن تفسير هذه النتيجة بعدة عوامل علمية منها أن الضغوط النفسية الناتجة عن تعاطي المخدرات أو التعرض لمواقف مرتبطة بالإدمان غالباً ما تكون قوية وملموسة، بحيث يشعر بها الأفراد بغض النظر عن مستوى تعليمهم. فالاضطرابات النفسية مثل القلق، الاكتئاب، وصعوبة التكيف مع الضغوط اليومية، تعتبر مشكلات عالمية وشاملة ولا تتعلق مباشرة بمدى التحصيل الأكاديمي. بغض النظر عن التحصيل الدراسي، قد يكون التعاطي مصحوباً بتجارب شعورية وسلوكية متشابهة بين الأفراد، مثل الشعور بالوحدة، فقدان السيطرة، أو الحاجة إلى الدعم العاطفي، مما يؤدي إلى توافق الآراء بين

مختلف المستويات التعليمية، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن مستوى التعليم قد يؤثر على المعرفة النظرية بالموضوع، ولكنه لا يغير بالضرورة التجربة الانفعالية الفعلية للشخص، خاصة عند التعاطي أو التعرض لمواقف ضاغطة، مما يفسر عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الشهادات المختلفة.

ويمكن القول بأن هذه النتيجة تعكس أن الضغوط النفسية المتعلقة بالتعاطي ظاهرة متشابهة في شدتها بين الأفراد على اختلاف تحصيلهم الدراسي. وهذا يشير إلى أن البرامج الوقائية والإرشادية ينبغي أن تُصمم بشكل شامل لجميع المستويات التعليمية، مع التركيز على المهارات الانفعالية والتكيف النفسي، دون تمييز بين الشهادات.

الهدف الثالث: دلالة الفرق في الضغوط النفسية لدى المتعاطين وفقاً لمتغير الجنس، أُجري اختبار (t_test) لتعرف ما إذا كان هناك فروق دالة إحصائية في متوسط استجابات متعاطي المخدرات بحسب متغير الجنس. ويوضح الجدول نتائج الاختبار والدلالة الإحصائية.

جدول (7): نتائج الفرق بين متوسطي درجات أفراد عينة البحث باستخدام اختبار (Independent sample t-test) وفقاً لمتغير الجنس

الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	مستوى الدلالة	القرار
ذكور	41	108.43	20.66	48	0.036	دال
إناث	9	124.56	15.13			

تشير نتائج اختبار (t-test) إلى أن القيمة الاحتمالية بلغت (0.036)، وهي أصغر من مستوى الدلالة (0.05)، مما يدل على وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث وفقاً لمتغير الجنس، وجاءت الفروق لصالح الإناث بمتوسط (124.56). وتكشف هذه النتيجة عن حساسية الإناث الأعلى في التعبير عن المشكلات النفسية والانفعالية المرتبطة بتعاطي المخدرات مقارنة بالذكور، الأمر الذي يمكن تفسيره في ضوء البنية الاجتماعية والثقافية التي تجعل النساء أكثر عرضة للشعور بالضغط النفسي والعاطفي، بينما يلجأ الذكور غالباً إلى سلوكيات إنكارية أو تعويضية تعكس صورة القوة الاجتماعية (علي، 2019)؛ (Nolen-Hoeksema, 2012) إذ تتفق هذه النتيجة مع دراسات سابقة بيّنت أن الإناث يُظهرن معدلات أعلى من القلق والاكتئاب والحاجة إلى الدعم الاجتماعي عند مواجهة المواقف الضاغطة، بما في ذلك التعاطي (UNODC, 2021) في المقابل، يسجل الذكور ميولاً أكبر للسلوكيات الخطرة والانخراط في التعاطي كوسيلة للهروب من الضغوط أو إثبات الذات (الزهراني، 2021).

وتحمل هذه النتيجة أبعاداً تربوية ووقائية مهمة؛ إذ تستدعي ضرورة تصميم برامج إرشادية تراعي الفروق بين الجنسين. فالذكور يحتاجون إلى توعية وقائية تركز على تنمية مهارات المواجهة الإيجابية وتعزيز الانضباط الذاتي، بينما تحتاج الإناث إلى دعم نفسي اجتماعي يخفف من مستويات القلق ويعزز مهارات التكيف والتقدير الذاتي (UNESCO, 2020). كما أن تكامل دور المدرسة والأسرة يمثل مدخلاً أساسياً في الحد من مخاطر الانخراط في السلوكيات الإدمانية (عبد الله، 2018).

الهدف الرابع: للتعرف إلى دلالة الفرق في الضغوط النفسية وفقاً لمتغير مدة التعاطي؛ أُجري اختبار التباين الأحادي (أنوفا) ANOVA لتعرف ما إذا كان هناك فروق دالة إحصائية في متوسط استجابات متعاطي المخدرات بحسب مدة التعاطي. ويوضح الجدول نتائج الاختبار والدلالة الإحصائية.

جدول (8) اختبار التباين الأحادي (أنوفا) ANOVA تبعاً لمتغير مدة التعاطي

مدة التعاطي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقل من سنتين	13	104.54	24.27
2_5 سنوات	12	102.83	16.79
5_10 سنوات	14	115.21	21.54
10 سنوات فأكثر	11	125.18	8.68
العدد الكلي	50	111.66	20.57

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيم F	قيمة الدلالة	القرار
بين المجموعات	3782.32	3	1260.77	3.419	0.025	دال
داخل المجموعات	16960.89	46	368.71			
المجموع	20743.22	49				

تشير نتائج تحليل التباين (ANOVA) إلى أن قيمة ف بلغت (3.419) مع قيمة احتمالية (0.025) وهي أصغر من مستوى الدلالة (0.05). هذا يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين آراء أفراد العينة حول الضغوط النفسية التي يعاني منها متعاطو المخدرات وفقاً لمستوى مدة التعاطي، ولتحديد الاختلاف لصالح أي مدة يُستخدم اختبار شيفيه.

مستوى تفاعل	مدة التعاطي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدلالة	القرار
10 سنوات فأكثر	أقل من سنتين	20.64	7.86	0.09	غير دال
	من 2_5 سنوات	22.34	8.01	40.0	دال
	من 5_10 سنوات	9.96	7.73	0.64	غير دال

الجدول يوضح قيمة اختبار شيفيه (Shifehe) لمتوسطات عينة متعاطي المخدرات حول الضغوط النفسية لديهم

تشير نتائج التحليل الإحصائي إلى وجود فروق دالة إحصائية بين عينة متعاطي المخدرات حول الضغوط النفسية تبعاً لمدة التعاطي، حيث ظهرت الفروق بين فئتي المدة (10 سنوات فأكثر) و(2-5 سنوات) لصالح المجموعة ذات المدة الأطول (10 سنوات فأكثر). وتعكس هذه النتيجة أن الأفراد الذين يمتلكون تاريخاً أطول من التعاطي يعانون من مستويات أعلى من الضغوط النفسية مقارنة بمن لديهم مدة تعاطٍ أقل، ويمكن أن تفسر هذه النتيجة إلى أن: تراكم التأثير النفسي والاجتماعي مع استمرار التعاطي لسنوات طويلة، يتعرض الأفراد لتراكم الضغوط النفسية المرتبطة بالمخدرات، بما في ذلك الشعور بالقلق، الاكتئاب، صعوبة التكيف، وفقدان القدرة على إدارة الحياة اليومية. كلما زادت مدة التعاطي، زادت فرصة مواجهة المشكلات الانفعالية والاجتماعية المرتبطة بالعزلة، فقدان، والفشل في العلاقات الشخصية والمهنية، وأن الإدمان طويل الأمد يؤدي إلى تغيرات بيولوجية وفسولوجية في الدماغ، خصوصاً في مناطق التنظيم الانفعالي والتحكم في

المكافأة، مما يزيد من شدة الضغوط النفسية ويضعف القدرة على التكيف مع المواقف الضاغطة (Volkow et al., 2019). والتعاطي المطول غالباً ما يقترن بتدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية للفرد، الأمر الذي يعزز الضغوط النفسية ويجعلها أكثر استمرارية وشدة مقارنة بالأشخاص الذين لديهم مدة تعاطٍ قصيرة، ومع مرور الوقت، يمكن أن يؤدي الإدمان طويل الأمد إلى فقدان شبكات الدعم الاجتماعي الأساسية، كالأُسرة والأصدقاء، مما يزيد من شعور الفرد بالضغوط النفسية ويقلل من مصادر التخفيف الطبيعي لهذه الضغوط.

ويمكن القول إن طول مدة التعاطي يرتبط بشكل مباشر بتزايد شدة الضغوط النفسية لدى المتعاطين، حيث يتراكم التأثير النفسي والاجتماعي والفسيولوجي بمرور الوقت. ومن ثم، فإن النتائج تؤكد أهمية الوقاية المبكرة والتدخل النفسي السريع لدى المتعاطين الجدد، بالإضافة إلى برامج دعم وتأهيل نفسي متقدمة للمتعاطين ذوي التاريخ الطويل لضمان تخفيف الضغوط النفسية وتحسين جودة حياتهم.

الهدف الخامس: للتحقق من الهدف الخامس؛ دلالة الفرق في الضغوط النفسية وفقاً لمتغير العمر، أُجري اختبار التباين الأحادي (أنوفا) ANOVA لتعرف ما إذا كان هناك فروق دالة إحصائية في متوسط استجابات متعاطي المخدرات بحسب متغير العمر. ويوضح الجدول نتائج الاختبار والدلالة الإحصائية.

جدول (9) اختبار التباين الأحادي (أنوفا) ANOVA تبعاً لمتغير العمر

العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
من 18_25 سنة	20	104.7	21.42
من 26-35 سنة	23	115.3	18.41
من 36 فأكثر	7	119.2	21.83
المجموع	50	111.6	20.57

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيم F	قيمة الدلالة	القرار
بين المجموعات	1696.11	2	848.05	1.262	0.27	غير دال
داخل المجموعات	19047.10	47	405.25			
المجموع	20743.2	49				

تشير نتائج تحليل التباين (ANOVA) إلى أن قيمة F بلغت (1.262) مع قيمة احتمالية ($\text{Sig} = 0.27$)، وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05). هذا يشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين آراء أفراد العينة حول الضغوط النفسية التي يعاني منها متعاطو المخدرات وفقاً لمستوى العمر، مما يدل على أن مستوى الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات متقارب بين الفئات العمرية المختلفة (18-25، 26-35، 36 فأكثر مثلاً) وتفسر الباحثة بأن الضغوط النفسية الناتجة عن التعاطي قد تكون مرتبطة بعوامل مشتركة (مثل الاعتماد النفسي والجسدي، الوصمة الاجتماعية، المشكلات الأسرية والاقتصادية) أكثر من ارتباطها بعامل العمر، إذ إن العمر ليس متغيراً حاسماً في تحديد شدة الضغوط النفسية لدى المتعاطين، مما يشير إلى أن برامج العلاج والدعم النفسي يجب أن تُصمم لتستهدف جميع الفئات العمرية دون تمييز.

ملخص النتائج

أظهرت نتائج الدراسة أن الضغوط النفسية لدى متعاطي المخدرات يقع في فئة "كبيرة جداً"، هذا يعني أن غالبية أفراد العينة يعانون من مستويات مرتفعة من الضغوط النفسية، وهو ما يعكس خطورة الظاهرة.

أظهرت نتائج الدراسة أن معظم الاتجاهات نحو البنود المرتبطة بالضغوط النفسية والانفعالية كانت بين "كبيرة" و"كبيرة جداً"، حيث سجلت أعلى المتوسطات البنود التي تتعلق بالمشاعر الانفعالية المباشرة مثل: الشعور بالألم عند مرض أحد أفراد الأسرة وعدم القدرة على المساعدة، الشعور بالملل من حديث الآخرين، الحاجة إلى العطف والاهتمام، فقدان الإحساس بالبهجة، تدهور الأوضاع العامة، ولجوء بعض الأفراد إلى تعاطي المخدرات كوسيلة للهروب من الضغوط. ويشير ذلك إلى حالة من الهشاشة الانفعالية والاضطراب النفسي الناجم عن تراكم الضغوط الحياتية اليومية، وهو ما يتسق مع الأدبيات النفسية التي تربط الضغوط المستمرة بضعف القدرة على التكيف وزيادة احتمالية القلق والاكتئاب (Lazarus & Folkman, 1984).

وايضاً، جاءت البنود المرتبطة بالثقة بالنفس والأوضاع الاقتصادية بدرجات ضعيفة، بينما حقق بند الاندفاع أدنى متوسط، مما يعكس تركيز الأفراد على الضغوط الشعورية المباشرة أكثر من القضايا الاقتصادية أو السلوكية، وقد يعود ذلك لاستخدام آليات دفاعية مثل الإنكار أو التقليل من أهمية التهديدات غير المباشرة.

أظهرت النتائج أيضاً أن التحصيل الدراسي لا يؤثر بشكل ملحوظ على تقييم الضغوط النفسية، حيث لم تُسجل فروق دالة إحصائية بين الأفراد حسب الشهادات التعليمية (ابتدائي - إعدادي - معهد - بكالوريوس - ماجستير). كما كشفت الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائية حسب الجنس، حيث جاءت الإناث بمتوسط أعلى في تقييم الضغوط النفسية مقارنة بالذكور، وهو ما يعكس حساسية الإناث الأعلى للتجارب الانفعالية والضغط النفسي (علي، 2019)؛ Nolen- (Hoeksema, 2012).

بالإضافة إلى ذلك، بينت النتائج أن مدة التعاطي ترتبط بزيادة الضغوط النفسية، حيث سجلت فئة التعاطي لمدة 10 سنوات فأكثر أعلى متوسطات مقارنة بفئة 2-5 سنوات، ما يشير إلى تراكم التأثير النفسي والاجتماعي والفسيولوجي مع استمرار التعاطي، وزيادة الصعوبة في التكيف وفقدان الدعم الاجتماعي.

وتوضح النتائج أيضاً أن الضغوط النفسية تمثل سمة عامة لمتعاطي المخدرات بغض النظر عن أعمارهم، وهو ما يعكس أن التعاطي بحد ذاته عامل ضاغط يتجاوز الفروق العمرية. وبالتالي، فإن التدخلات العلاجية والوقائية ينبغي أن تركز على معالجة الضغوط النفسية كظاهرة شاملة، لا كمسألة مرتبطة بفئة عمرية محددة.

وأخيراً النتائج تكشف أن الضغوط النفسية عند متعاطي المخدرات ليست مجرد عرض جانبي، بل هي مكون أساسي في دائرة الإدمان، مما يستدعي تدخلات علاجية شاملة (نفسية، اجتماعية، وسلوكية) للحد من الانتكاس وتحقيق التعافي

التوصيات

1. تطوير برامج إرشادية شاملة للوقاية والدعم النفسي لجميع مستويات التحصيل الدراسي، مع التركيز على تنمية مهارات التكيف الانفعالي والمرونة النفسية.
2. تصميم برامج تراعي الفروق بين الجنسين، بحيث يتم تقديم دعم نفسي اجتماعي خاص للإناث لتخفيف مستويات القلق وتعزيز مهارات التكيف، وتقديم برامج وقائية للذكور لتعزيز الانضباط الذاتي وتنمية مهارات المواجهة الإيجابية.

3. **التدخل المبكر للمتعاطين الجدد**، لتقليل تراكم الضغوط النفسية وتطوير مهارات مواجهة الضغوط قبل أن تتحول إلى اضطرابات نفسية شديدة أو سلوكيات تعاطٍ طويلة الأمد.
4. **برامج دعم وتأهيل للمتعاطين ذوي التاريخ الطويل** (10 سنوات فأكثر)، تتضمن علاجًا نفسيًا متقدمًا، دعمًا اجتماعيًا، وتنمية المهارات الحياتية لتعزيز القدرة على التكيف والتخفيف من الضغوط النفسية المتراكمة.
5. **تعزيز التكامل بين الأسرة والمدرسة والمجتمع**، لتوفير شبكات دعم فعالة تساهم في الحد من تأثير الضغوط النفسية على المتعاطين وتعزيز الاستقرار النفسي والاجتماعي.

المصادر

- أبو زيد، سارة عبد الفتاح خالد(2023):العوامل المرتبطة بتعاطي المخدرات لدى الشباب الجامعي والتخطيط لمواجهتها، جامعة اسيوط.
- أشمري، مدين نوري طلاك(2006): الآثار الاجتماعية والنفسية الناجمة عن تعدد الزوجات، مجلة جامعة بابل ، العلوم الإنسانية ، المجلد 23 ، العدد 3 بابل ،
- ابيو،نايف علي (2019):الضغوط النفسية، جامعة الاسكندرية جمهورية مصر العربية.
- تقرير المخدرات العالمي (2017):خلاصة وافية والاستنتاجات والتعلقات السياسيةمكتبة الامم المتحدة UNOD.
- جابر،فاطمة سالم (2018): الأسباب المؤدية الى انتشار المخدرات في العراق من وجهة نظر طلبة كلية التربية الأساسية،مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، العدد37
- جاسم،بشرى أحمد(2016):الضغوط النفسية التي يعاني منها طلبة الجامعة وعلاقتها ببعض المتغيرات،مجلة كلية الاداب، الجامعة المستنصرية،العدد 74.
- الجمعان، صفاء عبد الزهرة حميد (2018):اساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى النساء الارامل وعلاقتها ببعض المتغيرات، المؤتمر الدولي للجمعية العراقية العلمية للمخطوطات، جامعة البصرة، وقائع مؤتمر.
- الزهراني، أحمد .(2021). **التربية الوقائية في مواجهة السلوكيات الخطرة لدى الشباب**. مجلة دراسات تربوية، 12(2)، 77-95.
- الطاهر، سعد شاهين حمادي،العبودي، خولة حسن حمود(2014):قياس الضغوط النفسية لمرضى القولون العصبي،مجلة ابحاث ميسان، المجلد العاشر،العدد20
- عبد الجواد، انعام (2018):تعاطي المخدرات وادمانها في الريف المصري الواقع واساليب المواجهة، المجلة القومية لدراسات التعاطي والادمان، المجلد الخامس عشر، العددالاول.
- عبد الله، منى .(2018). **دور الأسرة والمدرسة في الوقاية من تعاطي المخدرات**. دار الكتاب الجامعي.
- عثمان، فاروق السيد(2001):القلق وإدارة الضغوط النفسية، القاهرة، دار الفكر العربي .
- العزيز،أحمد وابو سعد،أحمد لطيف(2008): التعامل مع الضغوط النفسية، دار الشروق، رام الله، الطبعة الاولى.
- علي، سامي(2019) : **علم نفس الجنس والفروق الفردية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- الغباري، سلامة (2007): الإدمان خطر يهدد الأمن الاجتماعي، الاسكندرية، دار الوفاء.
- محمد، لطفي راشد (1999): نحو إطار شامل لتفسير ضغوط العمل وكيفية مواجهتها . مجلة الإدارة العامة، المجلد 32، العدد 75، معهد الادارة العامة الرياض.
- مشاقبة، محمد أحمد (2007): الإدمان على المخدرات (الإرشاد والعلاج النفسي)، دار الشروق، عرعر، ص 52.
- المعاينة، كريم وآخرون (2017): ظاهرة تعاطي المخدرات واثارها في حدوث الجريمة في ضوء المتغيرات الديموغرافية، العلوم التربوية، العدد الثالث، الجزء الثالث، الاردن.
- Brannon. L, Jess. F, (2000): " Health Psychology an Introduction to Behavior and Health". Fourth Edition. Wadsworth Thomon Learning.
- Dinitto , M., (2012): Addictions and Social work Practice, in a challenging profession, us, lyceum Bools.
- Levin & Scotch .N (1970): Social Stress. Adline Publishing Company, vol.37.
- Nolen -Hoeksema , S. (2012). Emotion regulation and psychopathology: The role of gender. *Annual Review of Clinical Psychology*, 8(1), 161–187.
- Selye , H.(1976): The Stress of Life, McGraw-Hill ,New York.
- Thomas, Mary (2003): Organizational Behavior concepts, theory and Practice ,New Delhi: Deep Publication.
- UNESCO. (2020). **Education sector responses to substance use among learners**. Paris: UNESCO Publishing. 15. Razjouyan, k, et, al (2022), War Experience, Daily Stressors and Mental Health Among the Inter-taliban Generation Young Adults in Northern Afghanistan: A Cross-Sectional School-Based Study, *Frontiers in Psychiatry*, Volume (13), pp; 1-9.
- UNODC. (2021). **World Drug Report 2021**. United Nations Office on Drugs and Crime.

عنوان البحث

**تحولات المجتمع وأثرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم والاستراتيجيات
المناسبة للتكيف والتطوير**

إكرام خماسي عوده¹

¹ جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

بريد الكتروني: s12387298@stu.najah.edu

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/9>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/9>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة النوعية إلى استكشاف تأثير التحولات المجتمعية المتسارعة الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والتكنولوجية على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم في المدارس الثانوية. اعتمدت الدراسة على نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا، واستخدمت أدوات المقابلات في خمس مدارس في منطقة الناصرة، وتوصلت النتائج إلى وجود تراجع ملحوظ في القيم الأخلاقية لدى الطلبة مثل الاحترام والانضباط، وتأثرهم الكبير بوسائل التواصل الاجتماعي، وضعف العلاقة بين المدرسة والأسرة، وغياب استراتيجيات مؤسسية فعالة للتكيف مع هذه التغيرات، كما أظهرت الدراسة أن جودة التعليم باتت ترتبط بشكل وثيق بالسياق القيمي والتربوي، مما يستدعي تبني استراتيجيات جديدة مرنة تشمل دور المعلم، وتوظيف التكنولوجيا في التعلم، وتعزيز الشراكة مع الأسرة والمجتمع، وأوصت الدراسة بدمج البعد القيمي في السياسات التعليمية، وتطوير برامج تدريب مهني للمعلمين، وإجراء دراسات نوعية إضافية لفهم أعمق لتأثير التحولات المجتمعية على البيئة التعليمية.

الكلمات المفتاحية: التحولات المجتمعية، أخلاقيات الطلبة، جودة التعليم، استراتيجيات التكيف والتطوير، نظرية التعلم الاجتماعي.

RESEARCH TITLE

Societal Transformations and Their Impact on Students' Ethics, Quality of Education, and Strategies for Adaptation and Development**Ikram Khamaisi Odeh¹**¹ An-Najah National University

Email: s12387298@stu.najah.edu

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/9>Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/9>**Received at 07/10/2025****Accepted at 15/10/2025****Published at 01/11/2025****Abstract**

This qualitative study aims to explore the impact of accelerated societal transformations social, cultural, economic, and technological on students' ethics and the quality of education in secondary schools. The study is grounded in Bandura's Social Learning Theory and employs semi-structured interviews and field observations in five schools in the Nazareth region. Findings reveal a significant decline in students' ethical behaviors such as respect and discipline, largely influenced by digital environments. There is also a noticeable weakening of the school family relationship and a lack of institutional strategies to adapt to these changes. The study emphasizes that educational quality is now tightly linked to the ethical and behavioral context within schools. The study recommends integrating ethical dimensions into educational policy, offering advanced professional development for teachers, and conducting further qualitative research to better understand the impact of societal changes on the educational environment.

Key Words: Adaptation and Development Strategies, Social Learning Theory.

المقدمة

يشهد المجتمع الحديث تحولات مُتسارعة على مُختلف المستويات منها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتكنولوجية والتربوية. التي تنعكس بشكل مُباشر على منظومة التعليم (عساف، 2022)، كما إن طبيعة العلاقة بين المواثيق الأخلاقية والمناخ التعليمي والبيئة المدرسية تُعد عاملاً محورياً في تحقيق جودة التعليم، إذ تسهم في مواءمته مع معايير الاستراتيجيات الحديثة للتكيف والتطوير بما يتناسب مع التحولات المجتمعية (الشريف، 2022)، وأكد Delgado, et al. (2025) أن المناخ المدرسي الإيجابي يُعد عاملاً حاسماً في رفع الأداء وضمان استدامة جودة التعليم.

ويرى مقدار (2022) أن تحولات المجتمع مرتبطة بشكل أساسي بديناميكية المجتمع وتحولاته البنوية العميقة التي تحدث نتيجة عوامل داخلية وخارجية، وتنعكس على سلوك الأفراد ومؤسسات المجتمع والمدرسة، وظهرت تحولات مجتمعية بشكل كبير في السنوات الأخيرة في المجتمعات العربية، وكان لها أثر بالغ على منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية وجودة الحياة تبعاً لسبب أن الأخلاقيات لها دور مهم في تحقيق التوافق الاجتماعي للأفراد داخل المجتمع (ثلاجيه وبالهواش، 2020)، وتتميز تحولات المجتمع بالتغير من حال إلى حال، فهي ليست ذات طابع واحد مستمر على مدار السنين، وإنما تمر بعمليات متعددة ومختلفة من التغير الاجتماعي، فنحن نعيش في عالم متغير ومتسارع وإن كانت بعض المجتمعات تسير على وتيرة بطيئة إلا أنها مُتغيرة (أبو ساق وعين، 2021).

وأشار Hirata et al. (2024) أن توافق تصورات المعلمين والطلبة حول المناخ التعليمي يسهم في خلق بيئة مدرسية أكثر عدلاً وانضباطاً، ويضيف عنانزة وعزام (2024) أن تحولات المجتمع تؤثر على نمط حياة الأفراد وتفاعلهم مع بيئتهم الداخلية والخارجية، حيث إن ضعف دور الأسرة الرقابي والتربوي أثر على التزام الطلبة الأخلاقي داخل المدرسة، كما أن التحول والضغط الاقتصادي ساهم في تقليل تفعيل دافعية التعلم وزيادة التسرب المدرسي.

وسبب الانفتاح الثقافي والعولمة ارتباك قيمي وسلوكي لدى بعض الطلبة، وأدى التحول التكنولوجي والرقمي الى ضعف التركيز والتأثر بسلوكيات غير تربوية عبر الانترنت (صانور وزيدان، 2023)، ولذا فمن الممكن للقيادة المدرسية أن تعزز السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لدى الطلبة وتدعم التزامهم الأخلاقي (Daas et al., 2023).

وتؤكد هذه التحولات حدوث شرخ في القيم، إذ غلبت القيم الفردية على حساب القيم الجماعية بسبب تغير نمط الحياة والضغوط الناتجة عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية، فانعكست على دافعية الطلبة، ونقص في مستوى الشعور بجودة الحياة وازدياد الضغوط الحياتية التي يتعرضون لها، والتي ساهمت في زعزعة مكانة المعلم باعتباره مصدراً للقيم مما أضعف سلطته التربوية داخل المدرسة (الصادق، 2020).

وهذا ما يُلقي على عاتق المدرسة مسؤولية كبيرة تُولد تحديات كثيرة، التي تحتاج من كادرها مواكبة هذه التحولات وضرورة الاهتمام بأخلاقيات مهنة التعليم وتفعيلها والتوعية بها وذلك بترسيخها داخل وخارج المدرسة من قبل المعلم، باعتباره قوة ومربي لطلبته ومجتمعه، وتوعيته للطلبة بأبعاد أكثر إيجابية وتربوية وفعالة (الخويلدي، 2022)، وباستخدام واستثمار التطورات والتحولات المتسارعة في تنمية الثقافة الرقمية كاستراتيجية للتكيف معها والقيام بتطويرها من خلال عصر التكنولوجيا والنقد العلمي، لتوفير فرصة تمنح المجتمع الدخول الى مجتمع المعلومات وتطويره اجتماعياً والاستفادة منه ايجابياً، مما ينعكس على سلوكيات الطلبة وجودة التعليم (عبد المعطي وآخرون، 2024).

لذا تأتي هذه الدراسة في ظل ما يشهده الواقع التعليمي من تحولات قيمية وسلوكية بهدف فهم أعمق لعلاقة هذه التحولات بجودة التعليم وأخلاقيات الطلبة، ودور المعلمين في مواجهة التحديات.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في تحولات المجتمع المعاصرة وتأثيرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، في ظل التغيرات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والتكنولوجية التي يشهدها المجتمع، إذ أن هذه التحولات أدت إلى تغييرات ملحوظة في سلوكيات الطلبة ودور الأسرة والمعلمين في توجيههم، مما أثر على التزامهم الأخلاقي داخل المدرسة وعلى تفاعلهم مع البيئة التعليمية (العدواني، 2024).

وهذه التحديات تستدعي ضرورة تطوير استراتيجيات تكيف فعالة من قبل المعلمين والإداريين لمواكبة هذه التحولات، مع التركيز على تعزيز القيم الأخلاقية وتطوير المهارات التعليمية باستخدام التقنيات الحديثة، مما تبرز الحاجة إلى دراسة استراتيجيات التكيف والتطوير التي تساهم في تحسين جودة التعليم، وضمان استمرارية تحسين أخلاقيات الطلبة في ظل هذه التغيرات المتسارعة (الدهشان ومحمود، 2021).

ورغم أهمية التحولات المجتمعية المتسارعة على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم في السياقات العربية، خاصة في ظل التحولات التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها المجتمعات. ورغم أن الدراسات السابقة قد أظهرت أهمية هذه التحولات وتأثيرها الكبير على سلوك الطلبة والممارسات التعليمية، إلا أن هناك قلة في البحث الذي يتناول كيفية تكيف المؤسسات التعليمية مع هذه التحولات بشكل شمولي، يتضمن استراتيجيات تنمية أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، وكما تظهر الحاجة إلى دراسة تتناول دور المعلمين في تفعيل القيم الأخلاقية في ظل التطورات التكنولوجية والتربوية، وكيفية تأثير هذه التحولات على الأداء التربوي واستراتيجيات التكيف التي يمكن تبنيها لضمان تحسين جودة التعليم.

وبناءً على ما سبق تسعى هذه الدراسة إلى اكتشاف كيف تؤثر تحولات المجتمع على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، وتحديد الاستراتيجيات المناسبة للتكيف والتطوير في ظل هذه التحولات.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تحليل تأثير التحولات المجتمعية المعاصرة (التكنولوجية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية) على أخلاقيات الطلبة داخل البيئة المدرسية والتعليمية.
2. تحديد انعكاس هذه التحولات على جودة التعليم من حيث العملية التعليمية، والتفاعل الصفّي، ومخرجات التعلم.
3. استكشاف استراتيجيات التكيف والتطوير التي تعتمد عليها المؤسسات التعليمية لمواجهة تأثيرات التحولات المجتمعية على القيم والسلوكيات الطلابية.
4. اقتراح توجهات تربوية عملية لتعزيز القيم الأخلاقية وتحسين جودة التعليم في ظل التغيرات المتسارعة في المجتمع.

أهمية الدراسة

الأهمية النظرية: تتمثل الأهمية النظرية لهذا البحث في إثراء الإطار النظري حول العلاقة بين تحولات المجتمع وأثرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، من خلال تحليل عميق للجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والتكنولوجية، والثقافية المؤثرة في المنظومة التربوية، كما يساهم البحث في تقديم فهم متكامل لمفهوم التكيف التربوي واستراتيجيات التطوير، مما يدعم أدبيات التربية في السياقات المتغيرة ويعزز دور القيم في بناء مجتمع متوازن ومتماسك.

الأهمية التطبيقية: تتجلى الأهمية التطبيقية للبحث في إمكانية الاستفادة من نتائجه من قبل المعلمين والإدارات المدرسية

وصناع القرار التربوي، في تصميم وتنفيذ استراتيجيات واقعية للتعامل مع التحديات الناتجة عن التحولات المجتمعية، علاوة على ذلك، يوفر البحث ممارسات مقترحة لتنفيذ أخلاقيات مهنة التعليم، وتحسين جودة التعليم باستخدام أدوات التكيف الحديثة، وبذلك يدعم بناء بيئة تعليمية أكثر مرونة وقدرة على الاستجابة للمتغيرات.

الأهمية البحثية: تبرز الأهمية البحثية لهذا البحث في سد فجوة معرفية قائمة تتعلق بقلة الدراسات النوعية التي تدمج بين التحليل الأخلاقي والتربوي في ظل التحولات المجتمعية، وخاصة في السياقات العربية. ويُعد هذا البحث من المحاولات القليلة التي تركز على دراسة استراتيجيات التكيف والتطوير من منظور شامل يربط بين السلوك الطلابي وجودة التعليم، مما يفتح المجال لمزيد من الدراسات المستقبلية في هذا المجال الحيوي.

تقتصر الدراسة على الحدود الآتية:

الحد الموضوعي: تتناول الدراسة أثر التحولات المجتمعية على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم داخل المدارس، مع التركيز على استراتيجيات التكيف والتطوير التي تستخدمها المؤسسات التعليمية للتعامل مع هذه التحديات.

الحد المكاني: تم تنفيذ الدراسة في خمس مناطق تعليمية متجاورة ضمن مدينة الناصرة تشمل خمس مدارس ثانوية حكومية تتشابه في بيئتها التعليمية والاجتماعية والثقافية.

الحدود الزمانية: الفصل الثاني من العام الجامعي 2025/2024.

الحدود البشرية: استهدفت هذه الدراسة المعلمين والاداريين في المدارس الثانوية في خمس مناطق متجاورة.

الحدود المنهجية: اعتمدت الدراسة على المنهج النوعي، وتم جمع البيانات من خلال فهم التجارب الإنسانية والسلوكيات والاستراتيجيات عبر استخدام أدوات المقابلات والملاحظات الميدانية، مما يتيح التحليل العميق.

محددات الدراسة: كانت في البداية صعوبة في تنسيق مواعيد المقابلات بسبب الضغط في المدارس الثانوية والتحضيرات لامتحانات النهائية، فيما بعد تم التوصل إلى اختيار مواعيد متناسقة وفقاً لبرنامج مرن، شعرت بداية في ضغط بسبب ارتباط الباحثة بذلك، لكن فيما بعد وضحت أهمية الالتزام مما يؤدي إلى جودة سيرورة الدراسة والمتابعة وكان لذلك انعكاس إيجابي في الاستمرارية.

تعتمد الدراسة التعريفات الآتية لمصطلحاتها:

تحولات المجتمع

اصطلاحاً: كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية، وهو كل تغيير في التركيبة السكانية للمجتمع، أو البناء الطبقي، أو النظم الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في مختلف المؤسسات الاجتماعية (محمد، 2018).

إجرائياً: هي التغيرات التي يشهدها المجتمع في جوانبه القيمية، الثقافية، والاقتصادية والتكنولوجية، والتي تؤثر على سلوكيات الطلبة واتجاهاتهم داخل البيئة التعليمية، وتُقاس في هذه الدراسة من خلال مدى انعكاسها على أخلاقيات الطلبة، وجودة التعليم، والحاجة إلى استراتيجيات تربوية مناسبة للتكيف مع هذه التغيرات وتطوير العملية التعليمية.

أخلاقيات الطالب

اصطلاحاً: مجموعة من القيم والمعايير السلوكية التي تُلزم الطالب بالتصرف بما يتوافق مع مبادئ الاحترام والمسؤولية

والصدق والتعاون، والالتزام بالقوانين المدرسية والأعراف المجتمعية، بحيث يُنظر إليها كإطار ضابط لسلوك الطالب داخل البيئة التعليمية وخارجها، ويُراد بها توجيه سلوك الطالب نحو خدمة ذاته ومجتمعه بصورة إيجابية (Masudi, 2024)

إجرائيا: هي مجموعة من السلوكيات والقيم التي تنعكس في تصرفات الطلبة داخل البيئة التعليمية، مثل الالتزام بالأنظمة، احترام المعلمين والزملاء، وتحمل المسؤولية. وفي هذه الدراسة تُقاس أخلاقيات الطلبة من خلال مدى تأثرها بالتحويلات المجتمعية، ومدى ارتباطها بجودة سلوك الطالب وأدائه، وإمكانية تنميتها باستخدام استراتيجيات تربوية مناسبة.

جودة التعليم

اصطلاحا: عبارة عن نظام شامل متكامل يتناول جوانب النظام التعليمي المختلفة من المدخلات والعمليات والمخرجات بقصد تحسين منتجاتها (بن عويره، 2022).

إجرائيا: هي عملية مستمرة من التحسين والتطوير تهدف إلى تحقيق أعلى مستويات من الفعالية في العملية التعليمية، حيث تشمل تحديث المناهج الدراسية، تعزيز أساليب التدريس والتقييم، وتحقيق التفاعل المثمر بين المعلمين والطلبة وفي هذا السياق، تتضمن جودة التعليم تكيف النظام التعليمي مع التحويلات المجتمعية، الاقتصادية والتكنولوجية، وتطبيق استراتيجيات تعليمية مبتكرة تضمن تنمية أخلاقيات الطلبة وتحسين أدائهم. كما تشمل توفير بيئة تعليمية محفزة ومتوازنة تدعم التعلم المستدام وتلبي احتياجات المجتمع المتغيرة، بما يساهم في إعداد الطلبة لمواجهة تحديات المستقبل وتحقيق مخرجات تعليمية ذات جودة عالية.

استراتيجيات التكيف والتطوير

اصطلاحا: هي سلسلة من الإجراءات وعملية تفكير تستخدم في المواجهة الصريحة والضمنية التي ترتبط بالعمل بشكل مباشر أو غير مباشر يقوم بها الفرد في محاولة منه للتكيف.

إجرائيا: هي الأساليب والإجراءات التي يعتمد عليها الأفراد والمؤسسات التعليمية للتعامل مع التغيرات المجتمعية، وتحسين جودة التعليم. تشمل تطوير المناهج، استخدام التكنولوجيا، وتعزيز مهارات التكيف والمرونة لدى الطلبة، مع التركيز على تحسين القيم الأخلاقية ورفع الوعي الاجتماعي.

الإطار النظري

شهدت العقود الأخيرة تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمعات، انعكست بشكل مباشر على المنظومة التربوية وسلوكيات الطلبة داخل المؤسسات التعليمية. فقد أدت التغيرات المتسارعة في مجالات التكنولوجيا والاتصال، وظهور أنماط حياة جديدة، إلى تحديات غير مسبقة في مجالي التعليم والتربية، وفرضت على المعلمين والأنظمة التربوية البحث عن استراتيجيات جديدة قادرة على تعزيز جودة التعليم والحفاظ على أخلاقياته في ظل واقع متغير (شعبان، 2023).

ويشير نجمان وجلوب (2023) إلى أن التحويلات المجتمعية بما في ذلك ضعف الروابط الأسرية، وتأثير الإعلام الرقمي، وتغير منظومة القيم قد ساهمت في نشوء سلوكيات طلابية جديدة قد تتعارض أحياناً مع الأهداف التربوية المنشودة، وهذا ما يضع المؤسسات التعليمية أمام مسؤولية مضاعفة لتأهيل كوادرها للتعامل مع هذه التحديات، وتوفير بيئة تعليمية داعمة تساهم في تنمية شخصية الطالب المتكاملة، علمياً وأخلاقياً (أبو الحمد وآخرون، 2023).

من هذا المنطلق، تبرز الحاجة إلى تبني أطر نظرية تساعد في فهم العلاقة بين المتغيرات المجتمعية وأخلاقيات الطلبة،

وكيفية تأثير ذلك على جودة التعليم. وقد أولت النظريات التربوية والنفسية اهتمامًا خاصًا بهذا الجانب، وخاصة النظريات التي تدمج بين الفرد وبيئته الاجتماعية.

وفي الآونة الأخيرة حدثت تحولات بالمجتمع في عدة مجالات سياسية، اجتماعية وثقافية واقتصادية. أثرت على حياة الإنسان خاصة المجال الأخلاقي الذي أدى إلى أزمة في مجال التربية والتعليم بشكل عام والتربية الأخلاقية بشكل خاص (بوتي، 2020).

وهناك عدة نظريات فسرت التحولات المجتمعية وتأثيرها على أخلاقيات وسلوكيات الطلبة وجودة التعليم، وتُعد نظرية التعلم الاجتماعي (Social Learning Theory) لألبرت باندورا من أبرز النظريات النفسية التربوية التي تفسر سلوك الإنسان وتعلمه في سياقات اجتماعية. وتستند النظرية إلى فرضية أساسية مفادها أن الأفراد يتعلمون من خلال الملاحظة والنقل للنماذج المحيطة بهم، وليس فقط من خلال التجربة المباشرة أو التعزيز (Schultner et al., 2024).

ويرى باندورا أن السلوك الإنساني هو نتاج للتفاعل الدينامي بين ثلاثة عوامل رئيسية: الفرد، والسلوك، والبيئة، فيما يُعرف بـ "النموذج الثلاثي للتفاعل" (Reciprocal Determinism). ومن هذا المنطلق، فإن التحولات المجتمعية مثل التغيير في وسائل الإعلام، والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية تؤثر مباشرة في بيئة الطالب، ومن ثم في سلوكياته وقيمه الأخلاقية (عويس، 2024).

وفي سياق هذا البحث، تُستخدم نظرية التعلم الاجتماعي لفهم كيف تؤثر التحولات المجتمعية المتسارعة على أخلاقيات الطلبة، حيث يتعرض الطالب لنماذج متعددة من السلوك، سواء داخل الأسرة، المدرسة، أو عبر التكنولوجيا، مما يؤدي إلى تبني أنماط سلوكية وقيم جديدة قد تختلف أو تتعارض مع القيم التربوية التقليدية، (عاشور ومحمد، 2020).

كما تساعد النظرية في تحليل العلاقة بين هذه التحولات وجودة التعليم، إذ إن البيئة التي يلاحظ فيها الطالب القيم والسلوكيات تؤثر في دافعيته نحو التعلم، وفي التزامه الأخلاقي داخل البيئة المدرسية. وتقدم النظرية أساسًا لتصميم استراتيجيات تربوية فعالة للتكيف والتطوير، مثل توظيف مستحدثات تكنولوجياية لتحقيق التعلم المطلوب وتعزيز النماذج الإيجابية داخل البيئة المدرسية عن طريق المعلمين والقادة التربويين. واستخدام تقنيات التعليم القائم على السلوك الإيجابي وبناء ثقافة مدرسية داعمة للقيم الأخلاقية من خلال التفاعل الاجتماعي والنشاطات التربوية الهادفة، حيث يستطيع المعلم الاستفادة من التكنولوجيا وتعزيز الدراسة من خلال التعاون مع الطلبة وتحسين مستواهم التعليمي (الصبري، 2021).

وبناءً على هذه العلاقة، تم تسليط الضوء على أهمية تحولات المجتمع وتأثيرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم وكيفية تأثير تطبيقات نظرية السلوك الاجتماعي في استراتيجيات التكيف والتطوير، حيث يسهم ذلك في تقديم رؤية جديدة حول استراتيجيات التكيف وتطويرها لمواكبة هذه التحولات وتأثيرها على الطلبة في تفعيل سلوكهم الإيجابي والمحافظة على جودة التعليم.

الإطار المفاهيمي

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل تأثير تحولات المجتمع على البيئة التعليمية، إذ شهدت المجتمعات المعاصرة تحولات جذرية نتيجة للتقدم التكنولوجي، والعولمة، والتحول نحو الاقتصاد الرقمي. وأدى ذلك إلى تغييرات في البنية الاجتماعية والثقافية، مما أثر على القيم والسلوكيات، خاصة بين فئة الطلبة (Mwila & Silas, 2024).

وتشير الدراسات إلى أن هذه التحولات قد تؤدي إلى تراجع في بعض القيم الأخلاقية التقليدية، مما يستدعي إعادة تقييم

دور المؤسسات التعليمية في تعزيز هذه القيم (محمد وآخرون، 2023)؛ وذلك لأنّ الانفتاح على مصادر المعرفة المتنوعة والتواصل الرقمي المستمر أدى إلى تحديات في الحفاظ على القيم الأخلاقية بين الطلبة (حمد، 2021).

وأشار كاظم والشمري (2021) إلى أن الطلبة في العصر الرقمي بحاجة إلى مهارات التفكير النقدي والفهم والتحليل، بهدف تعزيز الحصانة الأخلاقية لديهم وتمكينهم من اختيار المحتوى المناسب الذي يتوافق مع قيمهم ومبادئ مجتمعهم.

وهذا يؤثر أيضا على جودة التعليم مما يجب في ظل التغيرات والتحولات المجتمعية إعادة النظر في جودة التعليم، حيث يجب أن يتكيف النظام التعليمي مع المتغيرات الحديثة. ويشير بعض الباحثين إلى أن التعليم الجيد والشامل يتطلب التزام المعلمين بتعزيز التعليم الذي يخدم مصلحة جميع الطلبة والمجتمع، مع التركيز على تطوير المهارات اللازمة لمواجهة تحديات العصر (حسين وعديل، 2020).

وبالتالي تكمن الحاجة الى استراتيجيات تكيف تتلاءم مع التحولات المجتمعية والتطوير لمواجهة التحديات الناتجة عن التحولات المجتمعية، وتبني استراتيجيات حديثة مناسبة منها: التعلم التعاوني لتشجيع العمل الجماعي بين الطلبة وتعزيز قيم الاحترام والتعاون والتواصل الفعال والتعليم الشامل، من أجل توفير بيئة تعليمية تحترم التنوع وتلبي احتياجات جميع الطلبة (القطان وآخرون، 2024).

وهذا يعزز من جودة التعليم، واستخدام التقييم المستمر بواسطة أدوات تقييم متنوعة لقياس تقدم الطلبة بشكل دوري وتحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين. ويتم ذلك من خلال التطوير المهني للمعلمين عن طريق توفير برامج تدريبية للمعلمين تساعد في تعزيز مهاراتهم في التعامل مع التحديات الحديثة وتطبيق استراتيجيات تعليمية فعالة (العيدم، 2022).

الدراسات السابقة

بناءً على أهمية تحولات المجتمع وتأثيرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، فقد قامت العديد من الدراسات السابقة بتناول المفاهيم الرئيسية المرتبطة بهذه التحولات وتأثيرها على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم وإيجاد استراتيجيات للتكيف والتطوير منها:

دراسة العدوان (2024) التي هدفت إلى استكشاف دور المعلمين في تعزيز القيم والأخلاق لدى طلبة مدارس التعليم قبل الجامعة بمراعاة مفهوم كفايات الأداء ومعايير الجودة ووظف البحث المنهج الوصفي باستخدام استبانة مقسمة الى محورين، استمارة ملاحظة لتقييم أداء معلمي المرحلة الثانوية في تحقيق البعد القيمي في قياسات الجودة وللكشف عن مستوى كفايات الدور الوظيفي في هذا المجال والمداخل الممكنة لتنميتها، واختبار مواقف للمعلم مع طلبته داخل الفصل. وتوصلت نتائج الدراسة الى أن المعلمين يعتبرون نموذجا حيا للقيم والأخلاق وبالتالي يمكنهم أن يكونوا مصدر الهام وتوجيه للطلبة.

كما هدفت دراسة بن قادة (2023) إلى تحديد العلاقة بين الموائيق الأخلاقية، المناخ التعليمي، والبيئة التعليمية من جهة، وجودة التعليم ومعايير التنافسية العالمية بين مؤسسات التعليم العالي من جهة أخرى، كما استكشفت الدراسة تأثير النظام القيمي الذي يمتصه المناخ التعليمي الجامعي على مخرجات التعليم، وتم استخدام منهج التحليل الواقعي، الذي يتضمن مؤشرات متعددة التخصصات، لاستكشاف العلاقة بين الأخلاقيات التعليمية والمناخ التعليمي وجودة التعليم، وتمت الدراسة على طلبة الجامعات، وتؤكد الدراسة على أن الأخلاقيات التعليمية تلعب دورًا حيويًا في تحسين جودة التعليم وتعزيز القدرة التنافسية العالمية للمؤسسات التعليمية، ويظهر تأثير النظام القيمي الذي يمتصه المناخ التعليمي على مخرجات التعليم، مما يسهم في تحسين تصنيفات الجامعات على المستوى العالمي. إذ أشارت النتائج إلى أهمية وجود بيئة تعليمية قائمة

على القيم والأخلاقيات لتحقيق نتائج تعليمية قوية تدعم المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية.

وهدف دراسة بنام وبراهمة (2023) إلى التعرف على واقع المناخ المدرسي كما يراه طلبة المرحلة الثانوية في محافظة أريحا والأغوار، وتكونت عينة الدراسة من (209) طالب وطالبة، واستخدمت الاستبانة أداة للدراسة، وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق في متوسطات واقع المناخ المدرسي يعزى لمتغير الجنس، حيث كانت الفروق لصالح الإناث، ووجود فروق في متوسطات واقع المناخ المدرسي يعزى لمتغير الفرع، ولصالح الفرعين العلمي والأدبي على الفرع التجاري.

وفحصت دراسة صانور وزيدان (2023) النزاهة كقيمة دينية أخلاقية واجتماعية لدى الطالبة الجامعية في ظل التحولات الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الجزائري، والتي شملت مختلف البناءات والانساق الاجتماعية كالأسرة والتعليم والقيم والثقافة وغيرها والمنهجية المتبعة في الدراسة استخدام المنهج الكيفي وجمع البيانات من خلال المقابلات المباشرة مع عينة من الطالبات لفهم سلوكياتهن في ظل التغيرات الاجتماعية. وأظهرت الدراسة وجود اغتراب قيمي وثقافي داخل الوسط الطالب نتيجة التغيرات الاجتماعية. وأن الطالبات تبنت قيم وسلوكيات جديدة تتعارض أحياناً مع قيم النزاهة التقليدية. وأكدت أيضاً النتائج على الصراع بين القيم التقليدية والقيم الجديدة، مما أثر على التزام الطالبات بقيم النزاهة.

أما دراسة عميش والحارثي (2023) فتعرفت على دور المدارس في تنمية القيم الأخلاقية لمواجهة تحديات العصر الرقمي لدى طالبات المرحلة الثانوية بمحافظة بيش. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (335) طالبة من طالبات المرحلة الثانوية بمحافظة بيش، حيث استخدمت استبانة لقياس دور المدارس في تنمية القيم الأخلاقية، وتوصلت الدراسة إلى أن واقع المدارس في تنمية القيم الأخلاقية جاء بدرجة متوسطة، وتقوم المدارس بتوعية الطالبات حول ضرر استخدام المواقع الإلكترونية المشبوهة، كما وتواجه المدارس تحديات بسبب تنوع محتوى الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ويوجد ضعف في ثقافة الشفافية لدى الطالبات تجاه المدرسة والأسرة.

أما دراسة (Sherchan & Saud, 2023) فهدفت إلى فهم كيف يعيش مديرو المدارس القيم الأخلاقية في ممارساتهم القيادية واستكشاف التأثير التحويلي للأخلاقيات في التعليم والمجتمع. وبناء تصور معرفي حول معنى "الأخلاق" في السياق التربوي، وتسليط الضوء على القيادة الأخلاقية كقوة تغيير داخل المدرسة والمجتمع، واستخدم الباحثان المنهج النوعي والاستقصاء السرد ونموذج Starratt للقيادة الأخلاقية وتكونت العينة من 4 مديرين ومديرات من المدارس الثانوية في وادي كاشماندو في نيبال، حيث تم من خلال مقابلات معمقة سردية وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي ان الأخلاق تُعد قيمة متبادلة بين الفرد، المؤسسة، والمجتمع وأن القادة الأخلاقيين يتصرفون بشفافية، رحمة، وعدالة، ويوازنون بين اللوائح والظروف الإنسانية كما أنه هناك وعي أخلاقي متقدم لدى القادة، لكن الممارسة العملية لا تزال غير مستقرة وتتأثر بعوامل خارجية.

وأجرى Widanti, et al. (2023) دراسة هدفت الى تحليل مساهمة التعليم العالي في تطوير المجتمع، ودوره في التحول الاجتماعي عبر تعزيز التفكير النقدي والإبداعي وبناء الشخصية الاجتماعية للأفراد، وتم استخدام منهجية وصفية نوعية تعتمد على مراجعة الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة، حيث اعتمدت الدراسة على البيانات المستمدة من أبحاث سابقة. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن التعليم العالي يلعب دوراً جوهرياً في تطوير المجتمع من خلال تعزيز التفكير النقدي والإبداعي والمؤسسات التعليمية تُسهم في الحفاظ على التراث الثقافي وتشكيل الشخصية الاجتماعية، والتعليم وسيلة لتقليل الفقر وبناء مجتمعات أكثر ديناميكية وتكيفاً مع التحولات السريعة، والتحول الاجتماعي يحدث عبر أشكال متعددة: تطويرية، ثورية، مخططة وغير مخططة، والتعليم أحد العوامل المؤثرة في توجيه هذه التحولات.

وحاولت دراسة (Smith, et al. (2022) فهم وشرح تأثير جودة خدمات التعليم الجامعي والتكيف الاجتماعي الثقافي على رضا الطلبة وأدائهم الأكاديمي، مع التركيز على كيفية تأثير هذه العوامل على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم. واعتمدت الدراسة على منهجية كمية باستخدام الاستبيانات لجمع البيانات من الطلبة الجامعيين، وشملت الدراسة 350 طالبًا جامعيًا من كلية العلوم الاجتماعية، وأظهرت النتائج أن التكيف الاجتماعي الثقافي يلعب دورًا وسيطًا مهمًا بين جودة التعليم ورضا الطلبة، مما يؤثر بدوره على أدائهم، وأشارت الدراسة إلى أن التحولات الاجتماعية والثقافية تؤثر بشكل كبير على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، مما يستدعي اهتمامًا خاصًا من قبل المؤسسات التعليمية لتعزيز التكيف الاجتماعي الثقافي وتحسين جودة الخدمات التعليمية.

وحلّت دراسة (Yilmaz & Temizkan, 2022) تأثير جودة الخدمات التعليمية وصعوبات التكيف الاجتماعي والثقافي على رضا الطلبة الدوليين في التعليم العالي، مع التركيز على جامعة كارابوك في تركيا، وجمعت البيانات باستخدام استبانة عبر الإنترنت. واعتمدت الدراسة على أسلوب العينة المتاحة، وتم تحليل البيانات باستخدام نموذج المعادلات الهيكلية، قد شملت العينة 413 طالبًا دوليًا، وتكونت بشكل رئيسي من طلبة سوريين هاجروا إلى تركيا بسبب الحرب، بالإضافة إلى طلبة متفوقين من دول إفريقية وآسيوية وشرق أوسطية ذات دخل منخفض، وأظهرت الدراسة أن عناصر "الضمان" و"التعاطف" من أبعاد جودة الخدمة، بالإضافة إلى "الاختلافات الثقافية" و"المعتقدات الدينية" من صعوبات التكيف الاجتماعي والثقافي، تؤثر إيجابيًا على رضا الطلبة بشكل عام. وتشير النتائج إلى أن جودة الخدمات التعليمية وصعوبات التكيف الاجتماعي والثقافي تلعب دورًا مهمًا في تحديد مستوى رضا الطلبة.

وأظهرت دراسة أبو ساق وعين (2021) أثر التغيرات الاجتماعية على بعض القيم عند الطالب الجامعي والتعرف على التغيرات الاجتماعية في المجتمع السعودي على منظومة القيم لدى الطالب الجامعي، وتم التركيز على أربع قيم اشتملت على قيمة العمل والوقت وقبول الآخر والزواج ووظفت الدراسة منهج المسح الاجتماعي واستخدمت أسلوب البحث الكمي في تحليل البيانات من خلال الاستبانة وتمثل مجتمع العينة في طلبة جامعة الملك بمدينة الرياض وبلغ إجمالي العينة 411 طالب وطالبة. أظهرت النتائج أن الطلبة تتجه اتجاه إيجابي إلى قبول الآخر، وهو من أهم المؤثرات للتقدم والتنمية الاجتماعية وتجاوز المجتمع التقليدي وقدرتهم على احترام بعض القيم المجتمعية كاحترام الوقت وأيضًا أظهرت ان اختيار العمل هو فردي ويرتبط بالعاطفة والقيم وليس فقط بالمكانة الاجتماعية، وأظهرت أيضًا ان الطلبة يميلون إلى تقبل الآخر وممارسة التقمص الوجداني وهي من صفات المجتمع المتغير والمتحضر.

وهدف دراسة (Beskan & Ivezic (2021 إلى تحليل كيف أثرت التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في صربيا بعد عام 2012 على سياسات التعليم وجودته، مع التركيز على كشف الآثار السلبية للسياسات الجديدة على استقلالية المؤسسات التعليمية، ومكانة المعلمين، وفعالية النظام التعليمي، وقد استخدمت الدراسة منهجية تحليلية وصفية، واعتمدت على مراجعة السياسات التعليمية والتشريعات الرسمية في صربيا بين عامي 2012 و2020. من خلال تحليل الوثائق والسياسات الرسمية والتشريعات. وأهم النتائج التي توصلت إليها هي أن التعليم أصبح أداة لنقل التوجهات السياسية السائدة، ما أدى إلى تقليص استقلالية المؤسسات التعليمية وتراجعت مهنية المعلمين واستقلالهم، وزادت المركزية في اتخاذ القرارات التعليمية، وتم فرض نظام التعليم المهني المزدوج رغم تعارضه مع استراتيجية تطوير التعليم كما أنه تم ربط التعليم بسوق العمل بشكل مفرط، مما أضعف البعد التربوي والثقافي، كما تمت العملية الرقمية تحت إشراف سياسي، مما أضعف جودة التعليم والدور التربوي للخبراء.

تعقيب على الدراسات السابقة

بناءً على الدراسات السابقة التي تم عرضها، يتضح وجود مجموعة من النتائج المشتركة والاتجاهات التي تستدعي التوقف والتحليل، ويمكن تلخيص أبرز ما تم رصده في التعقيب الآتي:

تُظهر الدراسات التي تم استعراضها تراكبًا بنيويًا بين التحولات الاجتماعية السريعة وأثرها العميق على المنظومات القيمية داخل المؤسسات التعليمية، وعلى وجه الخصوص، في أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم. فمن خلال منهجيات متعددة (كمية، ونوعية، وتحليلية وصفية)، تتقاطع النتائج لتشير إلى أن القيم التربوية لم تعد ثابتة أو مستقرة كما في السياقات التقليدية، بل أصبحت متغيرة ومشحونة بالتحديات التي يفرضها العصر الرقمي، وتنوع الثقافات، والتحولات الاقتصادية، والسياسية.

أولاً، يُلاحظ أن العديد من الدراسات مثل العدوانى (2024)، وعميش والحارثي (2023) تناولت دور المدرسة والمعلم في تعزيز القيم، معتبرين أن المؤسسة التربوية ما زالت تملك تأثيرًا فعالاً في توجيه السلوك الطلابي، رغم التحديات الناتجة عن بيئة الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، وضعف الشفافية. بينما كشفت دراسات أخرى مثل صانور وزيدان (2023)، وأبو ساق وعين (2021) عن اغتراب قيمي نتيجة التحولات الاجتماعية، والصراع بين القيم التقليدية والقيم المستجدة، مما يؤثر سلباً على التزام الطلبة بالقيم الأخلاقية مثل النزاهة والانتماء.

وأظهرت دراسات (Smith (2022)، Sherchan (2023)، Temizkan & Yilmaz (2022) أن المناخ التعليمي والثقافي، وجودة الخدمات التعليمية، والتكيف الاجتماعي والثقافي، كلها عوامل وسيطة تؤثر على أخلاقيات الطالب ورضاه وأدائه، مما يستوجب إعادة تصميم السياسات التربوية لتصبح أكثر حساسية للتحولات الاجتماعية والثقافية.

أما من زاوية السياسات التعليمية، فقد سلطت دراسة (Beskan & Ivezic (2021 الضوء على الخطر المترتب على تسييس التعليم، وربطه بسوق العمل على حساب الأبعاد التربوية والثقافية، ما يُضعف الدور القيمي والتربوي للمدرسة والمعلم، ويهدد جودة التعليم ومهنته.

ومن منظور مجتمعي شامل، ركزت دراسات مثل بن قادة (2023)، على ضرورة أن يكون النظام التعليمي جزءاً من عملية التحول الاجتماعي البناء، من خلال ترسيخ القيم، وتحفيز التفكير النقدي، وتكريس مفهوم التعليم كأداة تنمية.

وقد كشفت دراسات العدوانى (2024)، وعبد المعطي والسمان (2024) على تأثير التحولات المجتمعية في المؤسسات التربوية بين متطلبات العصر الرقمي، والضغط الاقتصادي والسياسية، والتنوع الثقافي، ما يتطلب استراتيجيات تكيف مرنة وشاملة. مطلوبة من أجل تعزيز المناعة القيمية للطلبة من خلال تطوير المناهج، وتمكين المعلمين، وتحقيق بيئة تعليمية داعمة تقوم على العدالة، والشفافية، والقيادة الأخلاقية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج النوعي الوصفي التفسيري، نظراً لملاءمته لطبيعة الدراسة التي تتناول موضوعاً إنسانياً يتطلب فهماً عميقاً لتجارب الأفراد وسلوكهم في سياقهم الواقعي، كما ويركز هذا المنهج على استكشاف الظواهر التربوية كما يعيشها المشاركون ويسعى إلى وصفها وتفسيرها استناداً إلى معطياتهم الذاتية وتفاعلاتهم مع البيئة المحيطة بهم.

وقد تم اختيار هذا المنهج نظراً لانسجامه مع نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا، التي تؤكد على أهمية السياق الاجتماعي والثقافي في تشكيل سلوك الأفراد، مما يتيح فهماً أعمق لتجارب المشاركين وتحليلها في ضوء تفاعلهم مع بيئتهم (Masaki, 2023).

مجتمع الدراسة

يتكوّن مجتمع الدراسة من المعلمين والمعلمات العاملين في المدارس الثانوية في خمس مناطق متجاورة، ممن لديهم خبرة كافية في التعامل مع التحولات السلوكية والقيمية لدى الطلبة نتيجة التغيرات المجتمعية والتكنولوجية.

المشاركون في الدراسة:

تم اختيار عينة قصدية من معلمين في مدارس ثانوية مختلفة في خمس مناطق متجاورة لمدينة الناصرة، ولم يتم تحديد العدد في البداية استنادًا إلى معيار تشبع البيانات المعتمد في البحث النوعي، وتشبعت البيانات وتكررت الأنماط عدما وصل عدد المشاركين إلى 10.

أداة الدراسة ومكوناتها

أُستُخدمت في هذه الدراسة أداة المقابلة شبه المنظمة المكونة من 10 أسئلة مفتوحة، والتي تم إعدادها بعناية لتغطي محاور البحث الأساسية، حيث تم بناء أسئلتها بناءً على الإطار النظري للدراسة التي غطت المحاور التالية:

مظاهر التحولات المجتمعية التي يلاحظها المعلمون والتغيرات في سلوكيات الطلبة وقيمهم داخل البيئة التعليمية.

وتأثير هذه التحولات على جودة التعليم والتفاعل الصفّي واستراتيجيات التكيف أو التطوير التي يعتمد عليها المعلمون.

الموثوقية والاعتمادية

تم عرض المقابلة على محكمين أكاديميين متخصصين في التربية والبحث النوعي، وتم تعديل بعض الصياغات بناءً على توصياتهم. كما أُجريت مقابلة تجريبية لاختبار وضوح الأسئلة، ولضمان الموثوقية، تم توثيق جميع مراحل الإعداد، وتسجيل المقابلات بعد أخذ موافقة المشاركين، ومن ثم تفريغها حرفياً لتحليلها بدقة.

إجراءات جمع البيانات

تم التواصل مع المشاركين هاتفياً وتحديد مواعيد المقابلات، ثم تمت جدولة المقابلات بالتنسيق مع المعلمين المشاركين في أماكن هادئة مناسبة للحديث، مع احترام خصوصيتهم وسرية المعلومات.

استغرقت كل مقابلة ما بين 30 و45 دقيقة.

تمت المقابلات وجهاً لوجه، وسُجلت بعد أخذ إذن مسبق.

تم تفريغ المقابلات حرفياً وتحليلها باستخدام التحليل الموضوعي؛ لاستخراج المحاور الرئيسية والمتكررة.

أولاً: التحولات المجتمعية، بما في ذلك التحولات التكنولوجية، الإعلامية، الثقافية، والاقتصادية، بوصفها عوامل خارجية تؤثر في السلوك التربوي (المقال، 2023).

ثانياً: أخلاقيات الطلبة وسلوكياتهم، من حيث الالتزام، الاحترام، التعاون، والانضباط داخل البيئة الصفية (الزيرة، 2022).

ثالثاً: جودة التعليم، ويُقصد بها مستوى التفاعل التربوي، المناخ التعليمي، والتحصيل الأكاديمي كما يدركه المعلمون (البقي، 2025).

رابعاً: استراتيجيات التكيف والتطوير، وتشمل آليات التفاعل التي يعتمد عليها المعلمون للتعامل مع مظاهر التحول المجتمعي (عبد المنعم، 2021).

وهي تسعى لفهم شامل لتجارب المعلمين ضمن سياق تربوي اجتماعي متغير، باستخدام المقابلات كأداة رئيسية لجمع البيانات النوعية ومن ثم تم استخدام الملاحظة الميدانية في ثلاثة مدارس بعد الانتهاء من المقابلات بمشاهدة البيانات التي تم التوصل إليها والتعمق.

تحليل البيانات

بعد الانتهاء من جمع البيانات عبر المقابلات شبه المنظمة، جرى تفريغ جميع المقابلات نصياً بدقة. ولغرض التحليل، اعتمدت الدراسة التحليل الموضوعي باعتباره أحد أكثر الأساليب شيوعاً ومرونة في البحوث النوعية، حيث يساعد على الكشف عن الأنماط والموضوعات المتكررة في النصوص وفهمها في سياقاتها الاجتماعية والتربوية.

يوفر التحليل الموضوعي خطوات إجرائية متسلسلة تساعد على تنظيم البيانات وضمان موثوقية النتائج، كما يؤكد Kiger & Varpio (2020) في دليلهم الحديث أن هذا الأسلوب يمكن الباحث من الانتقال من النصوص الخام إلى موضوعات تفسيرية ذات معنى، مع الحفاظ على الشفافية والصرامة المنهجية.

وقد اتبعت الدراسة الخطوات الستة الأساسية للتحليل الموضوعي كما يلي:

الإلمام بالبيانات (Familiarization): قراءة البيانات بشكل متكرر لبناء فهم شامل للسياق العام.

الترميز الأولي (Generating Initial Codes): تحديد وحدات دلالية مهمة من النصوص وتحويلها إلى رموز أولية.

البحث عن الموضوعات (Searching for Themes): تجميع الرموز المتشابهة في أنماط أو مجموعات أوسع تمثل موضوعات أولية.

مراجعة الموضوعات (Reviewing Themes): فحص مدى اتساق الموضوعات مع البيانات الأصلية وتنقيحها لضمان جودتها.

تعريف وتسمية الموضوعات (Defining and Naming Themes): صياغة تعريف واضح لكل موضوع رئيسي وتسمية دقيقة تعكس مضمونه.

إنتاج التقرير (Producing the Report): صياغة الموضوعات النهائية وعرضها في ضوء الإطار النظري للدراسة (نظرية التعلم الاجتماعي)، مدعومة باقتباسات مباشرة من المشاركين.

من خلال هذه العملية، جرى استخراج مجموعة من الموضوعات الرئيسية (Themes) التي عكست تأثير التحولات المجتمعية على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم، بالإضافة إلى الاستراتيجيات التي يعتمد عليها المعلمون للتكيف مع هذه التغيرات.

نتائج الدراسة

اعتمدت الدراسة في تحليل البيانات على منهج التحليل الموضوعي، حيث تم استخراج خمس موضوعات رئيسية من مضمون المقابلات بشكل يدوي، وتم تقسيم كل فئة بمضامين فرعية توضح مظاهر تأثير تحولات المجتمع على أخلاقيات الطلبة وجودة التعليم.

1. الفئة الأولى: تراجع في القيم الأخلاقية داخل المدرسة

- انتشار مظاهر قلة الاحترام تجاه المعلمين والزملاء.

- ضعف الالتزام بالأنظمة الصفية والمدرسية.
- انخفاض في مستوى الانضباط الذاتي والسلوك المسؤول.
- 2. الفئة الثانية: تأثير التحولات المجتمعية على السلوك الطلابي
 - ضغط الظروف الاقتصادية على الطلبة وأسرها.
 - تغليب القيم الفردانية والمظهرية على التعاون والانتماء.
 - تأثر الطلاب بنماذج سلوكية من وسائل التواصل تتعارض مع قيم المدرسة.
- 3. الفئة الثالثة: خلل في علاقة المدرسة بالطلاب والأسرة
 - ضعف الدور التربوي والرقابي للأهل.
 - فجوة في التواصل والثقة بين الطلبة والمعلمين.
 - تراجع مكانة المعلم كمصدر للقيم والقُدوة.
- 4. الفئة الرابعة: ضعف جودة التفاعل الصفي
 - قلة دافعية الطلاب للمشاركة والانخراط في الحصص.
 - استخدام الهواتف والانشغال عنها خلال الحصص الدراسية.
 - غياب بيئة تعليمية محفزة ومشجعة على التفكير والنقاش.
- 5. الفئة الخامسة: غياب استراتيجيات ممنهجة للتكيف والتطوير
 - وجود مبادرات فردية فقط دون إطار مؤسسي داعم.
 - ضعف في تخطيط ومتابعة الأنشطة التربوية واللاصفية.
 - غياب رؤية جماعية واضحة لمعالجة التحولات الأخلاقية والتربوية.

مناقشة النتائج:

من خلال تجربتي كباحثة، لاحظت أثناء المقابلات أن المعلمين يواجهون صعوبات تتجاوز المحتوى الأكاديمي، إذ يُطلب منهم أداء أدوار تربوية في بيئات تعاني من تفكك قيمي وضغط اجتماعي واقتصادي. كما أن الطلبة يتصرفون أحياناً وفق منطق "ما هو شائع رقمياً" أكثر من "ما هو تربوي وأخلاقي"، ما يجعل من الضروري إعادة بناء آليات التأثير داخل الصف. إن هذا الواقع يعكس الحاجة إلى تعزيز سلطة المعلم الأخلاقية، لا عبر العقاب، بل عبر إحياء نموذج القدوة في سياق معاصر يتطلب أدوات جديدة (عبد المعطي والسمان، 2024).

وتؤكد نتائج الدراسة صدق افتراضات نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا، والتي تشير إلى أن الطلبة يكتسبون السلوك من خلال الملاحظة والتفاعل مع البيئة، وليس فقط عبر التلقين المباشر (المندلوي، 2024).

وتظهر نتائج المقابلات أن النماذج السلوكية التي يراها الطلبة في وسائل الإعلام ووسائل التواصل أصبحت أكثر تأثيراً من نماذج المعلمين التقليدية، وتكشف نتائج الدراسة الحالية عن ملامح تحولات عميقة في سلوكيات الطلبة وقيمهم، وتراجع في

جودة التفاعل التربوي داخل المدارس الثانوية المختلطة في منطقة الجليل الأعلى.

وتتفق الدراسة مع ما توصلت إليه دراسة العدوانى (2024) التي بينت أن المعلمين قادرين على أن يكونوا قدوة أخلاقية حية، ولكنهم بحاجة إلى دعم مؤسسي لتعزيز تأثيرهم. وتبين في هذه الدراسة أن المبادرات الفردية غير كافية دون إطار تربوي جماعي واضح.

كما دعمت نتائج الدراسة ما جاء في دراسة صانور وزيدان (2023) حول وجود اغتراب قيمي متزايد لدى الطلبة، إذ لاحظت الدراسة سلوكيات تتم عن تمرد على القيم التقليدية، خصوصاً في ظل تأثير البيئة الرقمية، وهي نتائج ظهرت جلياً في أداة الملاحظة أيضاً.

أما دراسة (Beskan & Ivezic, 2021) التي ناقشت تراجع جودة التعليم بسبب تسييس السياسات التعليمية، فقد توافقت مع نتائج دراستي من حيث غياب خطة تربوية ممنهجة في المدارس، والاعتماد على قرارات مركزية غير مرتبطة بالسياق الفعلي للقيم والسلوك.

كذلك، تتقاطع نتائج الدراسة الحالية مع ما ذكرته دراسة المانع (2022) من أهمية التربية الدينية والقيمية في تنمية الوعي لدى الطلاب، وهو ما أكدته إفادات المعلمين الذين أشاروا إلى تراجع في قيم كالصدق، التعاون، والانتماء.

وفي السياق ذاته، أوضحت دراسة بن قادة (2023) أهمية المناخ التعليمي القيمي في رفع جودة التعليم، وهو ما افتقدته بعض المدارس في هذه الدراسة، خاصة في ظل انعدام التوجيه الأخلاقي الموحد في الأنشطة اللاصفية.

أما دراسة (Sherchan, 2023) فقد شددت على القيادة الأخلاقية كعنصر حاسم في التأثير التربوي، وهذا ما لاحظته أيضاً في مقابلات المعلمين الذين يفتقرون غالباً إلى دعم قيادي يعزز القيم ضمن بيئة مدرسية تعاني من ضغط الواقع المجتمعي.

وبالمثل، تتماشى النتائج مع دراسة عميش والحارثي (2023) التي أوضحت أن المدارس تواجه تحديات كبيرة في تعزيز القيم لدى الطالبات في العصر الرقمي، وهو ما لوحظ أيضاً في ساحات المدارس التي رُصدت خلالها سلوكيات فردانية ومادية.

أما دراسة (Smith et al, 2022) فقد أشارت إلى أن التكيف الاجتماعي والثقافي يؤثر على رضا الطلبة وسلوكهم، وهذا يتطابق مع ما توصلت إليه الدراسة بشأن تأثير العوامل المجتمعية على تراجع الحافز والانضباط.

وبينما أكدت دراسة (Temizkan & Yilmaz, 2022) أهمية فهم خلفيات الطلبة الثقافية لتطوير التعليم العالي، فإن الدراسة تُظهر الحاجة نفسها في التعليم الثانوي، حيث تتشكل الهويات في ظل صراع القيم.

كما أن دراسة أبو ساق وعين (2021) التي ناقشت التغيرات المجتمعية وتأثيرها على منظومة القيم لدى الطلاب، تتلاقى مباشرة مع الدراسة الحالية من حيث التأثير الاقتصادي والاجتماعي على فهم الطالب للانتماء والعمل والاحترام.

وأخيراً، تعزز الدراسة الحالية ما ورد في دراسة محمد وآخرين (2023) حول ضرورة استحداث استراتيجيات جديدة لمواجهة التحولات المجتمعية، فالنتائج تؤكد الحاجة الملحة لتبني استراتيجيات مرنة وشاملة للتربية الأخلاقية.

وانطلاقاً من تجربتي كباحثة في إجراء هذه الدراسة، أرى أن مفهوم "جودة التعليم" لم يعد ممكناً عزله عن البعد القيمي، فالواقع المدرسي الحالي يُظهر بوضوح أن الانفصال بين التعليم والتربية يؤدي إلى فراغ تربوي خطير (محمود وآخرين، 2023).

وقد أكدت الأدلة أن البرامج التي تدمج الأبعاد الاجتماعية والعاطفية في التعليم ترفع من جودة البيئة التعليمية وتعزز الانتماء والسلوك الإيجابي (الحربي وحويل، 2021)، لذلك فإن تطوير التعليم يجب أن يُبنى على فهم عميق للتحويلات المجتمعية والرقمية، والعمل على تعزيز التربية الأخلاقية من داخل السياق الثقافي للطلبة أنفسهم (شعبان، 2023).

الاستنتاجات

تكشف الدراسة أن تحولات المجتمع المتسارعة، الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتكنولوجية، تُحدث أثراً عميقاً في أخلاقيات الطلبة وسلوكياتهم اليومية، إذ تراجعت قيم أساسية كالانضباط، والتعاون، والمسؤولية. كما أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت مرجعاً مهيماً على تشكيل القيم والسلوك، ما جعل تأثيرها يفوق أحياناً دور المعلم والأسرة.

ويتضح أن جودة التعليم لم تعد تقاس فقط بالمرجات الأكاديمية، بل باتت مرتبطة بالسياق القيمي والتربوي داخل المدرسة وضعف العلاقة بين الأسرة والمدرسة، إلى جانب غياب استراتيجيات مؤسسية واضحة، يحدّ من قدرة النظام التعليمي على مواجهة هذه التحويلات. ولذلك فإن أي تطوير لجودة التعليم يجب أن يدمج البعد القيمي والتربوي بوضوح داخل السياسات والممارسات التعليمية، مع تعزيز شراكة حقيقية بين المدرسة والأسرة والمجتمع.

حيث أن هذا يظهر بشكل واضح وفقاً لهذه التحويلات والعوامل في:

1. تحولات المجتمع الحديثة تؤثر تأثيراً مباشراً وعميقاً في سلوكيات الطلبة داخل البيئة المدرسية، مما أدى إلى تراجع ملحوظ في القيم الأخلاقية الأساسية مثل الاحترام، الانضباط، المسؤولية، والالتزام.
2. العوامل الاقتصادية والاجتماعية لعبت دوراً كبيراً في تشكيل أولويات الطلبة وتصوراتهم حول التعليم، حيث باتت بعض القيم الاستهلاكية والمادية تغلب على قيمة التعلم، وظهر ذلك جلياً في المظاهر والسلوكيات اليومية داخل الصفوف والساحات المدرسية.
3. وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الرقمية أصبحت المصدر الأكثر تأثيراً في تشكيل سلوك الطالب، مما خلق فجوة بين ما تحاول المدرسة ترسيخه من قيم، وما يتلقاه الطالب من بيئته الرقمية والاجتماعية.
4. العلاقة بين المدرسة والبيت تشهد ضعفاً واضحاً، حيث تراجع الدعم الأسري والتواصل الفعال مع المدرسة، مما حدّ من قدرة المدرسة على التدخل المبكر أو معالجة السلوكيات غير المرغوب فيها.
5. المعلمون يبذلون جهوداً فردية لتعزيز القيم، إلا أن غياب رؤية مدرسية جماعية واستراتيجيات مؤسسية واضحة يحد من فاعلية هذه الجهود، ويجعل نتائجها محدودة وغير مستدامة.
6. جودة التعليم لم تعد تُقاس فقط بالمحتوى الأكاديمي أو التحصيل، بل أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياق القيمي والسلوكي داخل الصف والمدرسة، مما يستدعي إعادة تعريف شامل لمفهوم جودة التعليم.
7. نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا أثبتت صلاحيتها في تفسير نتائج الدراسة، حيث تبين أن سلوكيات الطلبة تتشكل نتيجة لتأثرهم بالنماذج الاجتماعية والرقمية المحيطة بهم، وليس فقط من خلال التوجيه المباشر داخل الصف.
8. المدرسة لا تستطيع بمفردها مواجهة هذه التحديات دون شراكة متكاملة مع الأهل، والمؤسسات المجتمعية، وسياسات تعليمية داعمة تدمج البعد القيمي بشكل صريح وواضح.

التوصيات

وفقاً لنتائج الدراسة، فتوصي الباحثة من واقع الملاحظة المباشرة والتفاعل مع المشاركين، بضرورة تبني نهج تشاركي في تطوير البرامج التربوية، بحيث تُبنى السياسات بالاستناد إلى آراء المعلمين والطلبة معاً. كما توصي الباحثة بإجراء بحوث مستقبلية تستكشف العلاقة بين تأثير وسائل التواصل الاجتماعي والمنظومة القيمية لدى الطلبة، باستخدام أدوات نوعية تدمج الملاحظة التفاعلية والمقابلات المطولة، إضافة إلى التوصيات الآتية:

1. مستوى السياسات التعليمية: يجب إدماج التربية القيمية ضمن الخطط الاستراتيجية للتعليم.

تعزيز دور المعلم كمربٍ وقائد أخلاقي من خلال برامج تطوير مهني متقدمة.

2. على مستوى المدرسة والمعلمين: إقامة شراكة فاعلة مع الأسر لاحتواء التحديات السلوكية.

وتصميم برامج تربوية تشاركية تُدمج القيم في الحياة المدرسية اليومية وتوظيف التكنولوجيا بشكل تربوي يعزز الانتماء والسلوك الإيجابي.

3. على مستوى البحث التربوي: إجراء دراسات نوعية تعتمد التحليل الموضوعي؛ لرصد تحولات السلوك الطلابي وتقييم البرامج التربوية الحالية وبناء تدخلات تجريبية جديدة تناسب الواقع الاجتماعي المتغير.

المراجع العربية:

أبو الحمد، عبد الراضي وأحمد، جابر ومحمود، محمد وهلال، ناجي (2023). دور معلم الثانوية العامة في تنمية القيم الأخلاقية لدى طلابه على ضوء تحديات مواقع التواصل الاجتماعي. *مجلة العلوم التربوية*، 57(1)، 297-350.

أبو ساق، حسين وبن إبراهيم، حسن (2021). أثر التغيرات الاجتماعية على بعض القيم عند الطالب الجامعي. *مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية*، 33(4)، 121-142.

البقي، هيا (2025). دور التكنولوجيا في تحسين جودة التعليم وتعزيز الاستدامة في التعليم ما قبل الجامعي في المملكة العربية السعودية. *مجلة كلية التربية، جامعة طنطا*، 91(1)، 67-93.

بن عويره، عبد المنعم. (2022). جودة التعليم الياتها ومتطلبات تحقيقها. *مجلة القياس والدراسات النفسية*، 1(5)، 72-80.

بن قادة، نادية (2023). المواثيق الأخلاقية والمناخ التعليمي في التعليم العالي. *المجلة الدولية للجودة في التعليم*، 10(2)، 101-119.

بويتي، شهرزاد (2020). *التربية والتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري المتحول: دراسة أنثروبولوجية بمدينة ورقلة* (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ثلاجية، منال وبولهاوش، عمر (2019). التحولات المجتمعية وتأثيرها على النسق القيمي للشباب العربي. *مجلة الاعلام والمجتمع*، 04(01)، 30-48.

جاموس، بنان وبراهمة، دعاء (2023). واقع المناخ المدرسي كما يراه طلبة المرحلة الثانوية في محافظة أريحا والأغوار. *مجلة رواد الإبداع العلمي*، 6(23).

الحربي، محمد وحويل، إيمان (2021). برامج تنمية مهارات التعلم الاجتماعي والعاطفي لدى طلاب التعليم العام في

- الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا: دراسة مقارنة. *المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية*، 5(22)، 434-407.
- حسين، شيماء وعديل، هبه (2020). دور معلم المرحلة الثانوية في مواجهة مخاطر العولمة الثقافية: دراسة ميدانية بمحافظة الوادي الجديد. *جامعة الأزهر. المجلة العلمية لكلية التربية*، 11(29)، 360-327.
- الخويلدي، محمد (2022). القيم الأخلاقية ومكانة المعلم في ظل التحولات المجتمعية. *مجلة الفكر التربوي*، 14(1)، 70-55.
- الزيرة، الشامسي وأحمد، خديجة (2022). اضطراب قيم الانضباط والسلوك العام أثناء التعلم عن بُعد في ظل أزمة جائحة كورونا بدولة الإمارات العربية المتحدة. *المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية*، 6(26)، 198-180.
- الشريف، دعاء (2022). رؤية مقترحة لمواءمة المعايير المهنية لإنجاح منظومة تطوير التعليم الجديد 2.0 في ضوء متطلبات الثورة الذهنية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية. *دراسات تربوية واجتماعية، مجلة كلية التربية، جامعة حلوان*، 28(12)، ص 310-213.
- شعبان، شادي (2023). دور الإعلام التربوي في دعم العملية التعليمية من خلال التحول الرقمي: دراسة ميدانية على الخبراء والمتخصصين. *مجلة دراسات وبحوث التربية النوعية*، 9(3)، 85-17.
- الصادق، حسن (2020). شرح القيم التربوية في البيئة المدرسية. *المجلة التربوية المعاصرة*، 19(2)، 41-23.
- صانور، محمد وزيدان، نور (2023). النزاهة كقيمة دينية واجتماعية في ظل التحولات المجتمعية. *المجلة الجزائرية لعلم الاجتماع*، 11(2)، 114-99.
- الصبري، نيرفانا (2021). التكنولوجيا والتعليم القيمي. *المجلة العربية للتربية المعاصرة*، 12(3)، 160-141.
- عاشور، عماد ومحمد، هالة (2020). نظرية التعلم الاجتماعي في السياق التربوي. *مجلة علم النفس التربوي*، 32(4)، 106-88.
- عبد المعطي، كامل وأحمد، عبد الله وسلمان، ليلي (2024). الثقافة الرقمية وجودة التعليم في العصر التكنولوجي. *المجلة العربية للتربية الحديثة*، 7(1)، 34-15.
- العدواني، سناء (2024). دور المعلمين في تعزيز القيم في مدارس التعليم قبل الجامعي. *المجلة العربية لضمان جودة التعليم*، 12(1)، 62-45.
- العيدم، منيفة (2022). مدى توافر مهارات القرن الحادي والعشرين لدى طلاب الدراسات العليا في جامعة حفر الباطن. *المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية*، 7(31)، 408-357.
- عساف، حنان (2022). دور التحول الرقمي في التعليم في تنمية الثقافة الرقمية لدى طالبات المدارس الحكومية ومعوقات ذلك من وجهة نظر المعلمات. *دراسات: العلوم التربوية*، 50(2)، 476-463.
- عميش، مريم والحارثي، عبد الرحمن (2023). دور المدارس في تنمية القيم الأخلاقية لدى الطالبات. *مجلة دراسات تربوية خليجية*، 9(2)، 130-112.
- عنانزة، مريم والعزّام، ماريّا (2024). ظاهرة التسرب في المدارس الأردنية وأثرها على المجتمع الأردني (دراسة نظرية). *المجلة العربية للنشر العلمي*، 7(4)، 646-632.

- عويس، منى (2024). الرقمنة وتحولات القيم والأخلاق في المجتمع المعاصر بين التحديات والفرص. *المجلة العربية للعلوم وإدارة البحث*، 13(29)، 1-46.
- القطان، عروب والشطي، هديل والكندري، عيسى (2024). تطوير السياسات التعليمية بدولة الكويت في ضوء خبرات بعض الدول: تصور مقترح. كلية التربية الأساسية - قسم الأصول والإدارة التربوية، الكويت.
- كاظم، أحمد والشمري، سامي (2021). التحديات القيمة لدى طلاب العصر الرقمي. *المجلة العراقية للعلوم التربوية*، 16(3)، 201-220.
- المانع، هاني (2022). دور التربية الإسلامية في تنمية القيم التربوية. *مجلة التربية الكويتية*، 36(1)، 75-91.
- مثقال، عبير (2023). واقع التحولات التربوية لطلبة المرحلة الأساسية في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر مدرّاء المدارس في مديرية التربية والتعليم للواء قسبة إربد. *مجلة كلية التربية - جامعة أسيوط*، 39(9)، 297-327.
- محمد، إبراهيم (2018). التحولات الاجتماعية ما بعد الربيع العربي وانعكاساتها على الشباب من منظور علم الاجتماع السياسي: دراسة حالة مصر خلال الفترة من 2011م-2018م. *مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية*، 4(14)، 115-132.
- محمد، فؤاد وعبد الكريم، سارة وأيوب، خالد (2023). تحولات المجتمع وأثرها على المنظومة القيمية. *المجلة العربية للدراسات الاجتماعية*، 14(2)، 51-70.
- محمود، محمد وأمين، محمد والضبيع، عماد (2023). أثر استخدام التحول الرقمي على جودة التعليم: دراسة تطبيقية على مؤسسات التعليم العالي. *المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية*، 14(2)، 4858-4886.
- مقداد، علي (2022). عوامل تغير القيم المدرسية في المجتمع الجزائري: دراسة وصفية تحليلية. *مجلة الإحياء*، 23(32)، 817-826.
- المندلوي، علاء (2024). نظرية التعلم الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية. *مجلة مؤسسة العراقة للثقافة والتنمية*، 3، جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية.
- نجمان، فرح وجلوب، نيراس (2024). مهددات التقنية الرقمية وتأثيرها على الأسرة. *مجلة لارك*، 52(1)، 511-520.

المراجع الأجنبية

- Da'as, R. (2023). Role of ethical school leadership in shaping adolescents' aggressive attitudes: A doubly latent multilevel SEM analysis. *Educational Management Administration & Leadership*. Advance online publication.
- Delgado-Galindo, P., García-Jiménez, J., Torres-Gordillo, J.-J., & Rodríguez-Santero, J. (2025). School climate and academic performance: Key factors for sustainable education in high-efficacy schools and low-efficacy schools. *Sustainability*, 17(14), Article 6497.
- Hirata, I., Nishimura, T., Osuka, Y., Wakuta, M., Tsukui, N., Tsuchiya, K. J., & Senju, A. (2024). Multifaceted perception of school climate: Association between students' and teachers' perceptions and other teacher factors. *Frontiers in Education*, 9, Article 1411503.
- Kiger, M. E., & Varpio, L. (2020). Thematic analysis of qualitative data: AMEE Guide No. 131. *Medical Teacher*, 42(8), 846-854.

- Masaki, F. (2023). Self-regulation from the sociocultural perspective—A literature review. *Cogent Education*, 10(2), Article 2243763.
- Masudi, K. A. (2024). Ethics in education: Teaching moral and ethical decision-making. *Eurasian Experiment Journal of Arts and Management*, 5(3), 45–49.
- Peškan, D., & Ivezić, S. (2021). The impact of post-2012 social and political transformations on educational policy and quality in Serbia. *European Journal of Comparative Education*, 15(1), 56–73.
- Schultner, D. T., Lindström, B. R., Cikara, M., & Amodio, D. M. (2024). Transmission of social bias through observational learning. *Science Advances*, 10(26), eadk2030.
- Sherchan, M., Sharma, R., & Devkota, B. (2023). Ethical leadership practices among secondary school principals: A narrative inquiry from Nepal. *International Journal of Educational Ethics*, 6(1), 30–48.
- Silas, T., & Mwila, P. M. (2024). The effects of technology adaptation on students' discipline in public secondary schools in Nyamagana District, Tanzania. *International Journal of Education and Development using Information and Communication Technology (IJEDICT)*, 20(1), 91–106.
- Smith, A., Johnson, R., & Lee, M. (2022). The impact of educational services and sociocultural adaptation on students' ethics and performance. *Journal of Higher Education Studies*, 11(3), 65–81.
- Temizkan, V., & Yılmaz, K. (2022). International students' satisfaction and challenges in Turkish higher education. *International Journal of Educational Research*, 46(2), 89–104.
- Widanti, N. P. T., Mahardhani, A. J., Willim, A. P., Safri, H., Asnora, F. H., & Amin, F. (2023). Social transformation in higher education: Basic foundations in social development. *Res Militaris*, 13(2), 3777–3787.

عنوان البحث

**أثر إدارة الموارد البشرية على تقييم الأداء بالتطبيق على جامعة العلوم والتقانة
(2020-2025)**

د/ عبد العال عبد الودود محمد حمزه¹

¹ استاذ ادارة الاعمال المشارك - جامعة الزعيم الازهري، السودان.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/10>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/10>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تستهدف الدراسة تحليل أثر إدارة الموارد البشرية في تحسين فعالية تقييم الأداء بالجامعات الأهلية، بالتطبيق على جامعة العلوم والتقانة خلال الفترة (2020-2025). انطلقت المشكلة من ملاحظة فجوة بين الطموحات والممارسات الفعلية في نظم تقييم الأداء، وافترضت وجود علاقة دالة إحصائية بين وظائف إدارة الموارد البشرية وأداء التقييم. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي مع الإفادة من المنهج التاريخي وأسلوب دراسة الحالة، وجمعت البيانات الأولية عبر استبيان مُحكم شمل مجتمع العاملين بالجامعة (250 استبانة موزعة، 200 مستردة بنسبة 75%). استخدم مربع كاي لاختبار دلالة الفروق عبر عبارات مقياس ليكرت، كما حُسب معامل ارتباط بيرسون بين محاور الموارد البشرية وتقييم الأداء. أظهرت النتائج وجود ارتباطات طردية دالة بين تقييم الأداء وكلٍّ من: وظائف إدارة الموارد البشرية ($r=0.425$)، التدريب ($r=0.435$)، الاختيار والتعيين ($r=0.460$)، والحوافز ($r=0.469$) عند مستوى معنوية ($p=0.000$). كما بيّنت النتائج أهمية دور الإدارة العليا في تمكين إدارة الموارد البشرية، وأن التدريب والحوافز العادلة يعززان سرعة الإنجاز ورفع الكفاءة، مع حاجة ملحة إلى نظام معلومات موارد بشرية يساند دورة التقييم ويوحد معاييرها. توصي الدراسة بتصميم وتفعيل نظام إلكتروني لتقييم الأداء، وتوسيع عدالة فرص التدريب، وتبني تقييم 360 درجة، ومراجعة سياسات الحوافز المادية والمعنوية بما يتسق مع الجهد والمخرجات، والاستفادة من التجارب الدولية الملائمة لبيئة الجامعات السودانية.

الكلمات المفتاحية: إدارة الموارد البشرية، تقييم الأداء، التدريب، الاختيار والتعيين، الحوافز، جامعة العلوم والتقانة.

RESEARCH TITLE

**Impact of Human Resources Management on Performance Evaluation:
A Case Study of the University of Science and Technology (2020–2025)****Dr. Abdelaal Abdelwadoud M. Hamza¹**¹ Associate Professor of Business Administration – Alzaiem Alazhari University, Sudan.HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/10>Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/10>**Received at 07/10/2025****Accepted at 15/10/2025****Published at 01/11/2025****Abstract**

This study analyzes the impact of human resources management (HRM) on the effectiveness of performance evaluation in private universities, with application to the University of Science and Technology during 2020–2025. The research problem stems from a gap between aspirations and actual practices in performance appraisal systems, and posits a statistically significant relationship between HRM functions and evaluation outcomes. The study adopts a descriptive–analytical design, drawing on historical insights and a case-study approach. Primary data were collected via a validated questionnaire administered to the university's workforce (250 distributed; 200 returned; 75% response rate). Chi-square tests were used to examine differences across Likert-scale items, and Pearson correlations were calculated between HRM dimensions and performance evaluation. Findings indicate positive, statistically significant associations between performance evaluation and each of the following: HRM functions ($r = 0.425$), training ($r = 0.435$), selection and appointment ($r = 0.460$), and incentives ($r = 0.469$) at $p = 0.000$. Results also underscore the role of senior leadership in empowering HRM, and show that equitable training and incentives enhance task completion speed and raise efficiency, while highlighting an urgent need for a dedicated human resources information system to support and standardize the evaluation cycle. The study recommends designing and deploying an electronic performance-evaluation system, expanding fair access to training, adopting 360-degree appraisal, revisiting monetary and non-monetary incentive policies to align with effort and outputs, and leveraging international best practices suited to the Sudanese university context.

Key Words: Human Resources Management; Performance Evaluation; Training; Selection and Appointment; Incentives; University of Science and Technology.

تمهيد: -

يمكن النظر لإدارة الموارد البشرية بوصفها ممارسة ونشاطاً الى أنها نشاط يتم بموجبه الحصول على الافراد اللازمين للمنظمة من حيث العدد والنوعية التي تخدم اغراضها وترغبهم في البقاء بخدمتها وتجعلهم يبذلون اكبر قدر ممكن من قدراتهم وطاقتهم ومعاونتهم في أن يقدموا اقصى انتاجيتهم بصفتهم مجموعة عمل متعاونة ومتآزرة ، كما انها تبحث في توفير شروط عادلة للتوظيف وظروف عمل مرضية للجميع وهي تعمل على وضع القواعد السليمة لمعاملة العنصر البشري في المنظمة معاملة انسانية تحترم فيها مشاعره ومساعدته في تحقيق آماله وتطلعاته وتقديم العون له في حل مشاكله.

مرت عملية تقييم الأداء بتطورات عديدة واصبحت اليوم تتطلب أنظمة التقييم التنسيق بين جهود كل من إدارة الموارد البشرية والمديرين المسؤولين عن تقييم الاداء وبالتالي اصبحت مسؤولية إدارة الموارد البشرية تتمثل في الإعداد والتصميم لتقييم الأداء وتحديد الطرق التي يمكن استخدامها لتقييم الأفراد وتدريب المديرين على كيفية القيام بتقييم الاداء مع ايجاد وسيلة لحفظ وتكوين وتسجيل تقييم أداء الافراد ، اما المديرين المسؤولين فيقع على عاتقهم تطبيق طرق تقييم الاداء على المرؤوسين ومراجعتها معهم ثم تسليمها لإدارة الموارد البشرية.

الجامعات السودانية الخاصة تهتم كثيراً بعملية تقييم وتطوير الاداء وتركز علي دور ادارة الموارد البشرية في عملية التقييم وتحسين كفاءة الاداء بها بهدف الارتقاء بمخرجات التعليم. جامعة العلوم والتقانة من الجامعات الرائدة في مجال التعليم الاهلي في السودان وتخطو بخطوات ثابتة نحو التقدم في التصنيف المحلي والاقليمي والدولي وتهتم هذه الجامعة بالموارد البشرية الا انه رغم ذلك مازالت الجامعة تحتاج الي الكثير حتي تنافس عالمياً.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أن تقييم الاداء يتأثر تأثيراً مباشراً بدور ادارة الموارد البشرية وعلي الرغم من إهتمام الإدارات العليا بالجامعات السودانية بصفة عامة وبجامعة العلوم والتقانة بصفة خاصة بتقييم اداء العاملين إلا أن عملية التقييم لا تتم بكفاءة ومهنية عالية مما يثير العديد من التساؤلات عن دور ادارة الموارد البشرية في عملية تقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة .عليه يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

أ- ما هو الدور الذي تلعبه إدارة الموارد البشرية في عملية تقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة؟

ب- ما ال علاقة بين وظائف الموارد البشرية وتقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة؟

أهداف الدراسة:-

هدفت الورقة الى تحقيق الاهداف التالية:-

1. دراسة العلاقة بين إدارة الموارد البشرية و تقييم الاداء في جامعة العلوم والتقانة.

2. بيان دور وظائف إدارة الموارد البشرية في عملية تقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة.

3. تقديم نتائج وتوصيات لتطوير عملية تقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة.

فرضيات الدراسة:

أ- توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين ادارة الموارد البشرية وتقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة.

ب- توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين وظائف الموارد البشرية وتقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة.

منهج الدراسة-

إتبعنا هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كما استفادت من المنهج التاريخي إضافة لأسلوب دراسة الحالة.

حدود الدراسة :

الحدود الزمانية : (2020 - 2025)

الحدود المكانية : جامعة العلوم والتقانة - الخرطوم - السودان

الحدود البشرية : العاملين بجامعة العلوم والتقانة

مصادر جمع المعلومات :

المصادر الأولية : الاستبيان والمقابلات والملاحظة

المصادر الثانوية : المراجع العربية والاجنبية والمجلات والدوريات العلمية والرسائل الجامعية

الدراسات السابقة:-**1/ دراسة علوية يس إبراهيم⁽¹⁾**

تناولت أثر إدارة الموارد البشرية على كفاءة أداء العاملين التطبيق على وزارة الثقافة السودانية في هذه الدراسة تم التأكيد على أهمية إدارة الموارد البشرية كإدارة متخصصة لها وضع في الهيكل التنظيمي ، كما لها دور استشاري بتقديم النصح للإدارة العليا. اهتمت هذه الدراسة بالتأكيد على أهمية الوظائف التي تقوم بها إدارة الموارد البشرية ، باعتبارها الإدارة المختصة بشؤون الاختيار والتدريب وتهيئة بيئة العمل ...الخ، وعدم حصر دورها في تقديم الاستشارات اللازمة للإدارة العليا ، ومن أهم نتائج الدراسة :- تعاني الوزارة من خلل في تحديد السلطات والمسؤوليات مما أدى إلى المخالفات الإدارية ، لا تطبق اللوائح والقوانين على حسب الأسس العلمية السليمة التي تنظم العمل. المناخ يكون غير صالح للعمل في ظل عدم وجود مقر دائم للوزارة وتوصلت الي جملة من التوصيات الالتزام بالقوانين واللوائح التي تنظم العمل، الاهتمام بتخطيط القوى العاملة بإتباع السياسات الرشيدة.

2/ دراسة مروان بن جابر صويلح⁽²⁾

تناولت دور إدارة الموارد البشرية في الارتقاء بمستوى أداء العاملين من منظور تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، دراسة دكتوراه غير منشورة، بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، أجريت في العام 2006م. هدفت الدراسة إلى إبراز مفهوم إدارة الموارد البشرية وإدارة الجودة الشاملة من منظور إسلامي، استشراف والتعرف على اتجاهات المستجيبين نحو ممارسات إدارة الموارد البشرية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة. ومن أهم نتائج الدراسة يوجد إدراك واهتمام من الإدارة العليا نحو تبني مفاهيم إدارة الجودة الشاملة، وإن ذلك يساعد على تحسين أداء العاملين، يوجد ادراك بان من الأولويات الاهتمام بإدارة الموارد البشرية ، اجتذاب واستقطاب الأفراد ذوي المؤهلات والكفاءات والمهارات التي تخدم احتياجات العمل، ومن أهم توصيات هذه الدراسة أهمية العمل على رفع مستوى ادراك ودعم الإدارة العليا بأهمية الجودة والتحسين المستمر على مختلف المستويات بالمصانع،تؤدي المشاركة بين المصانع المتنافسة إلى وفورات ومزايا إضافية لكل طرف مما ينعكس على الجودة والتحسين المستمر للخدمات أو المنتجات.

¹ علوية يس إبراهيم، "أثر إدارة الموارد البشرية على كفاءة أداء العاملين: تطبيق على وزارة الثقافة السودانية"، دراسة غير منشورة، السودان، دون سنة.

² مروان بن جابر صويلح، "دور إدارة الموارد البشرية بالارتقاء بمستوى أداء العاملين، رسالة دكتوراه غير منشورة،مقدمة لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2006

3/ دراسة مهند أحمد عثمان يوسف (3)

استعرضت دور إدارة الموارد البشرية في تنمية القوى العاملة في الشركات السودانية ، دراسة دكتوراه غير منشورة ، بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، أجريت الدراسة في العام 2009م. تهدف الدراسة إلى توضيح معنى ومفهوم تخطيط القوى العاملة والكيفية المثلى التي يتم بها الاختيار والتعيين معرفة أثر تخطيط الموارد البشرية في تنمية القوى العاملة، ومن أهم نتائج الدراسة يساعد تخطيط الموارد البشرية في القضاء على الكلفة المترتبة على وجود بطالة في العمل، كما يوفر التخطيط الجيد للموارد البشرية الاستخدام الأفضل للقوى العاملة، يساعد تخطيط الموارد البشرية في حصر وتوزيع المهام بعدالة. ومن أهم توصيات هذه الدراسة الاستفادة من الخريجين وتدريبهم بمؤسسات الدولة في فترات تدريبية محددة ، منح إدارات الموارد البشرية بالمؤسسات حرية العمل وفقاً للنظم واللوائح الموضوعية دون تأثير من مراكز ضغط داخلية أو خارجية، إهتمت هذه الدراسة بالقوى البشرية باعتبارها الدعامة الأولى للمؤسسة في مواجهة التحديات، لذلك ركزت على تنمية القوى العاملة لديها من خلال التخطيط السليم لهذه القوى وتدريبها وتأهيلها والاستفادة منهم بالصورة المثلى التي ترعى حقوقهم وتحقق أهداف المنظمة .

أولاً: إدارة الموارد البشرية

مر مصطلح إدارة الموارد البشرية بسلسلة من التغيرات (4) من حيث التسمية والمضمون أو التطبيق الموافق لتسميته إذ بدأت هذه الإدارة تحت مسمى إدارة الأفراد التي تتضمن إدارة الأفراد العاملين في المنظمة من حيث اختيارهم تدريبهم وتطويرهم وتحفيزهم وانتهاء خدمتهم بالتقاعد أو انتهاء خدماتهم ويلاحظ من هذا المفهوم ان إدارة الأفراد ما هي إلا نشاطات أو وظائف تبدأ مع الأفراد منذ دخولهم المنظمة كما وان هذه الوظائف هي لتنظيم عمل الأفراد مع المنظمة من كونها استثماراً للجوانب الانسانية لهذا العنصر ومع التطور العلمي للإدارة بصورة عامة وفي التوجه إلى العنصر البشري خاصة أصبح ينظر إلى الأفراد العاملين كمورد بشري و انسانية ولذلك فإن دور إدارة الموارد البشرية لم يعد محددًا بالأدوار الادارية الوظيفية بل امتد إلى ادوار اخرى استجابة لمتغيرات البيئة المؤثرة على المورد البشري كالمتغيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية إلى أن مقدار ومستوى ونوعية نشاطات ووظائف إدارة الموارد لتستجيب لمشاكل البيئة الخارجية المؤثرة على البيئة الداخلية وبهذا المفهوم أصبح ينظر للمنظمة كنظام ضمن النظام الاشم الذي هو المنظمة وبيئتها وفي ظل هذا المفهوم لإدارة الموارد البشرية ظهرت وظائف ونشاطات اخرى غير تقليدية من أهمها اختيار العاملين وجذبهم وإبقائهم أو الحفاظ عليهم في المنظمة واملفاوضات الجماعية وعقود العمل والمسوحات الخاصة برغبات واتجاهات العاملين (5) وهناك العديد من المفكرين عرّفوا إدارة الموارد البشرية ، إذ عرفت انها جميع الناس الذين يعملون في المنظمة سواء كانوا رؤساء أو مرؤوسين والذين جرى توظيفهم فيها لأداء كافة وظائفها وأعمالها تحت مظلة هي ثقافتها التنظيمية التي توضح وتضبط وتوحد انماطها السلوكية ومجموعة من الخطط لوظائف المنظمة لرسالتها واهدافها الاستراتيجية وتتقاضى الموارد البشرية نظير ذلك تعويضات متنوعة تتمثل في الاجور والرواتب ومزايا وظيفية اخرى في عمليات تبادل المنفعة التي تتم بين الموارد البشرية والمنظمة (6) كما عرفت بانها تلك المجموعات من الأفراد القادرين على أداء العمل والراغبين في هذا الأداء بشكل جاد وملتمزم وحيث يتعين أن تتكامل وتتفاعل القدرة مع الرغبة في اطار منسجم وتزيد فرص

³ مهند أحمد عثمان يوسف، دور إدارة الموارد البشرية في تنمية القوى العاملة في الشركات السودانية، دراسة دكتوراه غير منشورة، مقدمة لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2009م

⁴ سهيلة محمد عباس ، إدارة الموارد البشرية ، مدخل استراتيجي ، ط3 (الأردن : دار وائل للنشر ، 2003) ص 26

⁵ المرجع السابق ، ص 27

⁶ عمر وصفي عقلي، إدارة الموارد البشرية- المعاصرة ، ط1 (عمان : دار وائل للنشر ، 2005م) ص11.

الاستفادة الفاعلة لهذه الموارد البشرية عندما تتوفر نظم تحسن تصميمها وتطويرها بالتعلم والاختيار والتدريب والتطوير⁽⁷⁾. كما يمكن تعريف الموارد البشرية بأنها رأس المال البشري واحد عوامل الانتاج وهي القوى البشرية العاملة في الأنشطة الادارية المختلفة . كما عرفت (بانها مجموعة الافراد المشاركين في رسم اهداف وسياسات ونشاطات وانجاز الاعمال التي تقوم بها المؤسسات)⁽⁸⁾ . وسميت ايضاً إدارة الموارد البشرية بعدة مسميات منها : إدارة الأفراد ، وإدارة شؤون الموظفين وشؤون الاستخدام ، وإدارة التوظيف ، وإدارة شؤون الخدمة ، وإدارة القوى العاملة وإدارة شؤون العاملين . وتتعدد الاسماء والقصد واحد ولعل هذه التسمية الحديثة لإدارة الموارد البشرية تضمها في مصاف الموارد الاقتصادية الهامة للمنظمة⁽⁹⁾ يمكن النظر لإدارة الموارد البشرية بوصفها ممارسة ونشاطاً الى أنها نشاط يتم بموجبه الحصول على الافراد اللازمين للمنظمة من حيث العدد والنوعية التي تخدم اغراضها وترغبهم في البقاء بخدمتها وتجعلهم يبذلون اكبر قدر ممكن من قدراتهم وطاقاتهم ومعاونتهم في أن يقدموا اقصى انتاجيتهم بصفتهم مجموعة عمل متعاونة ومتآزرة ، كما انها تبحث في توفير شروط عادلة للتوظيف وظروف عمل مرضية للجميع وهي تعمل على وضع القواعد السليمة لمعاملة العنصر البشري في المنظمة معاملة انسانية تحترم فيها مشاعره ومساعدته في تحقيق آماله وتطلعاته وتقديم العون له في حل مشاكله ، نلاحظ أن وصف إدارة القوى العاملة كونها نشاطاً وممارسة متخصصة محوره العنصر البشري في المنظمة وكل مايتعلق به من أمور وظيفية فهذه الإدارة تضع قواعد وأسس علمية على شكل وظائف وبرامج تنظم الخدمة الوظيفية للقوى البشرية فيها وتتضمن تنمية وتطوير القوى البشرية وتأهيلها للعمل بشكل أفضل ووضع هيكل رواتب وأجور عادل في ضوء تقييم الوظائف كما تساهم مع الادارات الاخرى في المظمة في تحديد احتياجاتها من القوى البشرية في ضوء عبء العمل الحالي والمرتبب ضمن ما يسمى بتخطيط القوى البشرية وترغيبها ورفع روحها المعنوية وتحقيق التكامل بين مصالحها ومصالح المنظمة وتحقيق الانتماء والولاء من هذه القوى البشرية⁽¹⁰⁾ وهي وظيفة من الوظائف الادارية الصناعية التي تعنى بشؤون الافراد أي الاستخدام الأمثل للموارد البشرية على جميع المستويات بالمشروع (المنظمة، المؤسسة) بغية المساعدة على تحقيق أهداف المشروع وتعنى أساساً بتنمية قدرات ومواهب العاملين حتى يتسنى لهم بذل أقصى جهد ممكن وحتى يتوفر لهم في الوقت نفسه ، الحافز القوي على تحقيق أهدافهم الشخصية بجانب أهداف المشروع⁽¹¹⁾.

إن تاريخ إدارة الموارد البشرية يرجع إلى قرنين من الزمان تقريباً، إلى عصر الثورة أو النهضة الصناعية، إذ بدأ التفكير في أهمية العنصر البشري، فبدأت المنظمات بإنشاء إدارات خاصة بالموظفين، تبحث في شؤونهم وتعنى بكل ما يتعلق بهم، وسميت هذه الإدارات بمسميات مختلفة منها: إدارة شؤون الموظفين، إدارة الأفراد، إدارة شؤون العاملين. ومع اختلاف النظرة إلى العنصر البشري باختلاف تطور النظريات والمدارس الإدارية على مر العقود الزمنية، إلا أن هذا الاختلاف لم يمنع التطور الموازي في الاهتمام بالعنصر البشري.

1) مرحلة العبودية:

وذلك عندما ساد المجتمع الإنساني القديم نظام الرق، كان تعامل المنظمات مع الإنسان والعاملين الذين تحتاجهم العمل كأى وظيفة شراء، ونظام الرق هو نظام يسمح للإنسان أن يشتري آخر ويبيعه ويستخدمه كما يشتري ويبيع ويستخدم أية

⁷ احمد سيد مصطفى ، إدارة الموارد البشرية ، ط1 (القاهرة : المؤلف نفسه ، 2004) ص55

⁸ شبكة طلبة الجزائر ، www.etudiantd2.com

⁹ زكي مكي اسماعيل ، إدارة الموارد البشرية ، ط1 (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، 2009) ص 13 . 14

¹⁰ عبدالباري دره وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص 9

¹¹ محمد ماهر عليش، إدارة الموارد البشرية ، (القاهرة: دار غريب للطباعة ، دون سنة) ص 27

حاجة أخرى، لذلك لا تحتاج المنظمة التي تعمل في مجتمع يسوده هكذا نظام إلى وظيفة مستقلة لإدارة الموارد البشرية، فاهتماماته تصحب مشابهاة لاهتمامها بشراء أي شيء مادي آخر، وفي هذه المنظمة ينحصر دور (إدارة الموارد البشرية) في شراء الرقيق بالعدد والصفات التي تحتاجها المنظمة وتعويض من يموت منهم بجديد ومن دون الحاجة لمنهم أجور أو حوافز، أو تطويرهم أو الحفاظ عليهم⁽¹²⁾.

(2) مرحلة الطوائف والصناعات المنزلية :

الطائفة هي مجموعة من الصناع المتخصصين بمهنة واحدة ليحتكروا حق ممارستها في منطقة معينة، وقد تميزت هذه المرحلة بظهور العمالة متمثلة بالأجراء الذين لهم أجور محددة من قبل الطائفة وفقاً لساعات العمل.

وفي هذه المرحلة حدث تحول ملحوظ في طبيعة العلاقة بين رب العمل والعاملين معه ولا سيما في نظام الطوائف حيث برزت فئة من الصناع واصحاب الحرف في المدن كل منهم يملك رأس ماله وادواته ويتولى إدارة العمل بنفسه .

(3) مرحلة الثورة الصناعية :

تزامنت مرحلة الثورة الصناعية مع ثورات عدة في المجالات العلمية والسياسية والثقافية والتي امتدت ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر وتميزت بظهور العديد من الكتابات نبهت لضرورة الاهتمام بالعنصر البشري بشكل عام والاهتمام به خلال فترة عمله بشكل خاص. وتميزت هذه المرحلة بعدة خصائص منها : تطوير مكان العمل وربط العامل به وإنشاء المصانع التي توظف اعداد هائلة من الافراد ونتيجة لذلك أخذ كثير من اصحاب الحرف بهجر حرفته والاتجاه للعمل في المصانع ، مما زاد من تحسين انتاجية تلك المصانع وجودة العمل بها الشيء الذي انعكس في زيادة أجر العامل وزيادة ربحية المصانع ولكن بالرغم من ذلك ظهرت عدة مساوي منها كثرة الانتاج خلق مشكلات ادارية منها فرض رقابة ادارية على العمال وایجاد مجموعة من قواعد العمل التي تنظم عمل مجموعات كبيرة من العاملين ولا شك أن تعدد المستويات التنظيمية واتساع المسافة بين المالك والعاملين ادى لظهور النقابات حيث أخذ العاملون ينظمون انفسهم في نقابات تمثلهم وتدافع عن حقوقهم بعد أن عانوا من الحرمان والاستغلال ومن خلال النقابات العمالية استطاع العاملون في المنظمات من حل مشاكلهم المتعلقة بأجور وساعات العمل والمكافآت وتحسين ظروف العمل⁽¹³⁾.

(4) مرحلة الإدارة العلمية :

ويعتبر فردريك تايلور رائداً لهذه الحركة وعمل تايلر على تحديد كيفية اداء العمل والسرعة التي ينبغي على العامل أن يؤدي بها عمله واستند تايلر على أن الإدارة العلمية تعني استخدام المعرفة والاستقصاء العلمي بدلاً عن الأسلوب القديم القائم على الرأي والتقدير الشخصي . وركز على وضع معايير لتحسين العمل وقياس ادائه ووضع أنظمة للحوافز المالية وركز على التنبؤ بالسلوك وشجع على تدريب العاملين⁽¹⁴⁾.

(5) مرحلة التشريعات الحكومية:

ان تدخل الحكومات في تحديد شروط الاستخدام للأفراد ادى إلى مجموعة من تغيرات في مسؤوليات الحكومة لتشمل الاهتمام بالعلاقة بين اصحاب العمل والعمال⁽¹⁵⁾.

¹² سعاد نايف نوطي ، إدارة الموارد البشرية وإدارة الافراد_ ط2 (عمان: دار وائل للنشر ، 2004) صص 26- 27

¹³ يوسف حجي الطائي ومؤيد عبدالحسين فضل وهاشم فوزي العبادي ، إدارة الموارد البشرية_ ط1 (عمان : الوراق للنشر والتوزيع ، 2006م) صص 55 -

57

¹⁴ عبدالغفار حنفي، السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية_ ط1، (الاسكندرية : الدار الجامعية للنشر ، 2002) صص 20

¹⁵ يوسف حجي الطائي وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، صص 58

حيث استفادت هذه الحكومات من مفاهيم الإدارة العلمية وعلم النفس الصناعي والعلاقات الانسانية فيا لعديد من الممارسات كوضع شروط التعيين واستخدام الاختبارات النفسية والاهتمام بالمنظمة والاجور والفصل التعسفي⁽¹⁶⁾

(6) مرحلة حركة العلاقات الانسانية :

ظهرت هذه المرحلة من خلال البحوث العلمية والدراسات اجراها العديد من علماء الإدارة ومن أهم روادها (ماري باركر فوليت) والتي كانت مستشارة في الشؤون الادارية ورائدة في مجالات النظرية التنظيمية والسلوك التنظيمي، أيضاً من روادها التون مايو وفريتز روزث من جامعة هارفرد في مصانع هورثون للاكترونيات ، وكانت التجارب التي أجريت في المصانع لتحليل تأثير العوامل البيئية للعمل على المخرجات أو الاداء التنظيمي ولقياس العلاقة بين بعض العوامل المدروسة والانتاجية، ففي تجربة الاضاءة كانت الاضاءة الجيدة تزيد من الانتاجية اول الأمر ولكن عندما تم تخفيضها لم تنخفض الانتاجية، كذلك تجربة فترات الراحة والتهوية وعلاقتها بالانتاجية وبعد اجراء كل هذه التجارب توصل الباحثون إلى أن استجابة الافراد لزيادة الانتاجية لم تكن بسبب الاضاءة أو العوامل البيئية الاخرى بل بسبب اهتمام الإدارة بهم كذلك أهمية العلاقات الانسانية الجيدة ومعنويات الافراد العاملين لذا فقد عكست هذه الحركة الانسانية مدى التطور الكبير الذي طرأ على إدارة الموارد البشرية بعد أن كانت القوى البشرية تعامل معاملة سيئة بدون واجبات أو حقوق وجاءت هذه الحركة لتعطي الافراد حقوقهم.

(7) مرحلة إدارة الموارد البشرية :

ظهر مصطلح إدارة الموارد البشرية بعد عام 1980 تقريباً حيث تغيير مسمى (إدارة الافراد) إلى إدارة الموارد البشرية وهذا التغيير لم يكن في المسمى فقط، ولكن كان في المضمون أيضاً، فدور إدارة الأفراد كان محصوراً في تنفيذ سياسات الموارد البشرية التي تضعها الإدارة العليا في المنظمة، أما دور إدارة الموارد البشرية فقد امتد إلى التخطيط والتنفيذ معاً في آن واحد ولهذا أصبح لها استراتيجية تخطيطية وتنفيذية خاصة بها تعمل من خلالها على تحقيق الاستراتيجية الأم للمنظمة، وأصبح مدير إدارة الموارد البشرية من المتخصصين فهم اخصائيون لهم دراسات خاصة واحترفوا العمل في مجال إدارة الموارد البشرية.⁽¹⁷⁾

وتطور إدارة الموارد البشرية وهي ما يلي:⁽¹⁸⁾

- أ- إكتشاف مدى أهمية العنصر البشري في العمل ودوره الفعال في تحقيق أهداف المنظمة وبقائها واستمرارها.
 - ب- الحاجة للتعامل مع القوانين الحكومية الصادرة بشأن تنظيم خدمة الموارد البشرية في المنظمات وضمان حقوقها . .
 - ج- ظهور النقابات وتزايد دورها في ميادين الاعمال وحاجة المنظمات لإدارة الموارد البشرية للتفاوض معها فيما يخص موظفيها .
 - د- تضخم حجم المنظمات وكبر عدد العاملين فيها وكثرة مشاكلهم .
 - هـ- العولمة وما أحدثته من منافسة شديدة بين المنظمات والتوجه لارضاء الزبائن من خلال جودة الاداء البشري.
- أهداف إدارة الموارد البشرية

¹⁶ احمد ماهر ، إدارة الموارد البشرية ، ط1(الاسكندرية : الدار الجامعية للنشر ، 2005م)ص30

¹⁷ ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wikipedia.com تاريخ الزيارة 2025/7/2 الساعة 9 مساءً

¹⁸ عمر وصفي عقيلي، مرجع سبق ذكره ، ص46

إن إدارة الموارد البشرية من خلال وظائفها المتعددة تهدف فيما تهدف إلى وضع استراتيجية بشرية تتفق مع متطلبات استراتيجية المنظمة ككل سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل والاسهام في تحقيق رؤية ورسالة وأهداف المنظمة عن طريق توفير قدرات بشرية ذات مستوى عال من العلم والكفاءة والفعالية والانتاجية، ومن أهم تلك الاهداف التي تسعى إدارة الموارد البشرية إلى تحقيقها داخل المنظمة هي

(1) اهداف اجتماعية:

وتتمثل في تشغيل الافراد المؤهلين بالوظائف المختلفة الشيء الذي يساعد في القضاء أو خفض مستوى البطالة في المجتمع وزيادة نمو وتطور المجتمع.

(2) أهداف وظيفية :

مثل العمل على تحقيق الكفاية الانتاجية ويتم من خلال دمج الموارد البشرية مع الموارد المادية التي تمتلكها المنظمة لتحقيق الاستخدام الامثل لهذه الموارد مجتمعة فالموارد المادية المتمثلة في المواد الخام، والعِدَد والآلات، والمعدات، وتكنولوجيا التصنيع وغيرها، كلها مدخلات للعملية الإنتاجية، يستخدمها العنصرُ البشري داخل المنظمة.

(3) أهداف تنظيمية :

إدارة الموارد البشرية نظاماً جزءاً من النظام الأشمل (المنظمة) فهي تؤدي وظائفها بشكل مترابط مع الاجزاء الاخرى او الانظمة الاخرى للمنظمة وتبرز الاهداف التنظيمية لإدارة الموارد البشرية من خلال وظائفها التنفيذية والاستشارية⁽¹⁹⁾.

(4) الاهداف الانسانية :

إن واقع إدارة الموارد البشرية في المنظمات في وقتنا المعاصر تعتبر كبيراً عما كان عليه في الماضي إذ زاد الاهتمام بالعنصر البشري واصبحت إدارة الموارد البشرية هي الجهة المسؤولة عن حماية، وتأهيل وتنمية، وتنظيم علاقة العنصر البشري في العمل داخل المنظمة وعن تحفيزه بكل الوسائل المادية والمعنوية، لتزيد من انتمائه وولائه، وتستخرج مكنون قدراته وإبداعاته وابتكاراته وهي المسؤولية أيضاً عن حل مشكلاته وتهيئة المناخ والبيئة المناسبة والصالحة للعمل⁽²⁰⁾.

ثانياً وظائف إدارة الموارد البشرية:

إن الإطار العام لوظائف إدارة الموارد البشرية يشتمل على العديد من الوظائف التي تكوّن في مجموعها مجال عمل إدارة الموارد البشرية داخل المنظمة أو الشركة. ولتحقيق التوافق بين الفرد والوظيفة وجدت عدة وظائف للموارد البشرية هي كالآتي:

(1) تحليل وتوصيف الوظائف: يقصد بالتحليل الوظيفي عملية تحديد وتسجيل المعلومات المرتبطة بطبيعة وظيفة معينة. فهو يحدد المهام التي تتكون منها الوظيفة، والمهارات، والمعرفة، والقدرات والمسؤوليات المطلوبة من الفرد شاغل الوظيفة لكي يحقق مستوى أداء ناجح⁽²¹⁾.

¹⁹ سهيلة محمد عباس ، إدارة الموارد البشرية_ ط3 (عمان : دار وائل للنشر ، 2003) ، ص23

²⁰ عمر وصفي عكلي، إدارة الموارد البشرية المعاصرة ، ط1 (عمان : دار وائل للنشر ، 2005م) ص26

²¹ راوية حسن ، إدارة الموارد البشرية (القاهرة : الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000) ص58

(2) تخطيط الموارد البشرية : يقصد به تحديد احتياجات المؤسسة من الموارد البشرية كماً ونوعاً ويتطلب ذلك تقدير طلب المؤسسة من العاملين وتحديد ما هو متاح منها ومن ثم المقارنة بين جانبي العرض والطلب لتحديد صافي العجز أو الزيادة في الموارد البشرية⁽²²⁾ يتوقف نجاح المنظمة في الأجل الطويل على مدى الحصول على الأفراد المناسبين في الأعمال المناسبة وفي الوقت المناسب. حيث لا يمكن تحقيق الأهداف المرجوة من عملية التخطيط الإستراتيجي، إلا إذا توافر الأفراد ذوي المواهب والمهارات المناسبة⁽²³⁾

(3) جذب واستقطاب الموارد البشرية : يتضمن الاستقطاب البحث عن وعاء من الأفراد المؤهلين لشغل الوظائف الشاغرة، ويتحدد حجم مجهود المنظمة المبذول للاستقطاب والطرق والوسائل المستخدمة في هذه الجهود من خلال عملية تخطيط الموارد البشرية، ويهتم الاستقطاب بعملية البحث عن وجذب المرشحين الأكفاء والمؤهلين فقط للوظيفة⁽²⁴⁾

(4) الاختيار والتعيين: هو الجزء الأخير من عملية الاستقطاب عندما تقرر المنظمة تعيين المرشح المناسب في المكان المناسب من المتقدمين للوظيفة وتعمل هذه الوظيفة على الإنتقاء بعين الخبير أفضل المتقدمين لشغل الوظائف الشاغرة في المنظمة، والذين تم جذبهم واستقطابهم، وذلك بالاعتماد على أسس ومعايير اختيار دقيقة تم وضعها من خلال تصميم وتحليل العمل والوظائف وتتضمن هذه الوظيفة الحصول على الموارد البشرية والقيام بإجراءات الاختيار من مقابلة واختبارات لضمان وضع الشخص المناسب في المكان المناسب⁽²⁵⁾

(5) تدريب وتطوير العاملين : التدريب هو عملية تعلم يكتسب فيها الأفراد مهارات ومعارف تساعدهم في بلوغ الأهداف ويمثل التدريب أهمية كبيرة خاصة في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والتي تؤثر بدرجة كبيرة على أهداف واستراتيجيات المؤسسة ، ومن الناحية الأخرى فإن هذه التغيرات يمكن ان تؤدي إلى تقادم المهارات التي تم تعلمها في السابق وبالتالي يحتاج الموظف إلى تحديث مهاراته واكتساب مهارات جديدة لذلك وجب الاهتمام بالموظف وزيادة كفاءته التي تنعكس على كفاءة المؤسسة⁽²⁶⁾

6) تقييم اداء العاملين

وتقييم الاداء هو نظام لمراجعة وتقييم أداء المهمات للفرد، وهي مقارنة بين مستوى الأداء الحقيقي والأداء الأفضل، ويتم بموجبه تقييم الموظف بشكل دوري عن طريق الرئيس المباشر أو من لهم علاقة بالموظف⁽²⁷⁾

(7) الوقاية والسلامة المهنية : تعنى إدارة الموارد البشرية في المؤسسة بتوفير ظروف عمل مناسبة تعمل على منع وقوع الاخطار التي تهدد صحة الموظفين وسلامتهم وتستمد هذه العناية قوامها من عامل اخلاقي غايته المحافظة على العنصر البشري وتجنب الحوادث والاصابات التي تعرض حياته للخطر وتوفير شروط عمل صحية تضمن استمرار نشاط المنظمة⁽²⁸⁾

(8) تطوير علاقات العمل : تهتم هذه الوظيفة بتهيئة جو من الثقة والتفاهم بين العاملين، وتعمل على بحث مطالب وشكاوي النقابات العمالية، ووضع نظام لبحث ومعالجة شكاوي العاملين⁽²⁹⁾

²² نادر احمد ابو شيخه، إدارة الموارد البشرية (عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع ، 2000م) ص25

²³ علي محمد ربابعة ، إدارة الموارد البشرية ، (عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع ، 2003م) ص41

²⁴ راوية حسن محمد (إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، 2000م) ص99

²⁵ سهيلة محمد عباس ، مرجع سبق ذكره ص25

²⁶ حنا نصر الله ، مرجع سبق ذكره، ص210

²⁷ سهيلة محمد عباس ، مرجع سبق ذكره، ص45

²⁸ نادر ابو شيخه، مرجع سبق ذكره ، ص327

²⁹ نفس المرجع السابق ، ص325

9) أنظمة الرواتب والاجور والمكافآت والفوائد : أظهرت دراسات العلوم السلوكية في هذا القرن أهمية موضوع دوافع العمل الذي يركز على دراسة طبيعة الانسان العامل وسلوكه بهدف التعرف على حاجته ،ومن ثم محاولة إشباع هذه الحاجات لتحقيق أهداف المنظمة وبالتالي فإن ترغيب العاملين في العمل والإستمرار فيه يفرض إيجاد منظمة يسود فيها التعاون والولاء الجماعي والرغبة الصادقة في تحقيق الاهداف وهذا يعني إشباع حاجات العاملين وتحقيق رغباتهم بالاسلوب الذي الذي يحرك قدراتهم ويضعها في خدمة الاهداف .

ثانياً: تقييم الأداء

كان التطور الذي شهدته إدارة الافراد خلال الفترة التي واكبت حركة الإدارة العلمية التي تزعمها (فريدريك تايلور) وما تمخض عنها من نتائج دراسة الحركة والزمن ارتباط ذلك بأداة العاملين في المدرسة السلوكية (ماري فوليت باركر) التي اعتبرت الإدارة نشاطاً انسانياً يعتمد في المقام الاول على العنصر البشري إلى حركة العلاقات الانسانية بقيادة (التون مايو) حيث اكد اضافة للنظريات السابقة اهمية الفرد كعنصر من عناصر الاتاج واثرت العلاقات الانسانية في تحريكه دوافع العاملين نحو العمل من خلال تجارب هاوثرن الشهيرة.⁽³⁰⁾ كان لكل ذلك أثره الواضح في الاتجاه إلى دراسة الانسان كعنصر هام واساسي في العملية الانتاجية والدور الذي يمكن أن يقوم به في تهيئة الجو المناسب لنجاح منشآت الأعمال في الوصول إلى تحقيق أهدافها المرجوة . وتقييم الاداء من الاجراءات الادارية المرتبطة بالعنصر البشري في العمل وليس من الممكن ان يشار إليه دون التعرض للإدارة وبصفة خاصة إدارة الموارد البشرية . يشير الاداء إلى درجة تحقيق واتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد وهو يعكس الكيفية التي يحقق بها الفرد متطلبات الوظيفة وغالباً ما يحدث لبس وتداخل بين الاداء والجهد فالجهد يشير إلى الطاقة المبذولة اما الاداء فيقاس على أساس النتائج التي حققها الفرد.⁽³¹⁾

وعليه فالاداء يعبر عن مدى انجاز المهام واقتصر مفهومه لدى الكثير من الباحثين على المورد البشري دون غيره من الموارد الاخرى.⁽³²⁾

مفهوم وأهمية وفوائد تقييم الأداء

مرت عملية تقييم الأداء بتطورات عديدة واصبحت اليوم تتطلب أنظمة التقييم التنسيق بين جهود كل من إدارة الموارد البشرية والمديرين المسؤولين عن تقييم الاداء وبالتالي اصبحت مسؤولية إدارة الموارد البشرية تتمثل في الإعداد والتصميم لتقييم الاداء وتحديد الطرق التي يمكن استخدامها لتقييم الأفراد وتدريب المديرين على كيفية القيام بتقييم الاداء مع ايجاد وسيلة لحفظ وتدوين وتسجيل تقييم أداء الافراد ، اما المديرين المسؤولين فيقع على عاتقهم تطبيق طرق تقييم الاداء على المرؤسين ومراجعتها معهم ثم تسليمها لإدارة الموارد البشرية. هنالك العديد من المفكرين تناولوا هذا الموضوع ويمكن طرح بعض التعاريف لتقييم الاداء :

عرّف بانه دراسات وبحوث تستهدف الوقوف على العلاقات التي تربط الموارد المتاحة وتبين كيفية استخدامها من قبل الوحدة الاقتصادية وكيفية تطوير هذه العلاقة خلال مدة زمنية معينة عن طريق مقارنة ما تحقق فعلاً مع معايير محددة مسبقاً.⁽³³⁾ عرّف بانه جميع العمليات والدراسات التي ترمي لتحديد مستوى العلاقة بين الموارد المتاحة وكفاءة استخدامها من قبل الوحدة الاقتصادية مع دراسة تطور العلاقة خلال فترات زمنية متتابعة أو فترة زمنية محددة عن طريق اجراء

³⁰ حامد التاج الصافي ، إدارة الموارد البشرية مدخل تطبيقي (أبها : جامعة الامام محمد بن سعود ، 1996م) ص 230

³¹ راوية حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص 209

³² احمد ماهر ، مرجع سبق ذكره ص 45

³³ فلاح حسن الحسين ومؤيد عبدالرحمن الدوري ، إدارة البنوك مدخل علمي استراتيجي معاصر (عمان : دار وائل للنشر ، 2007) ص63

المقارنات بين المستهدف والمتحقق من الأهداف بالاستناد إلى مقاييس ومعايير معينة.⁽³⁴⁾ ومفهوم آخر يعتبر تقييم الأداء أحد الوظائف المتعارف عليها في إدارة الأفراد (الموارد البشرية) في المنظمات الحديثة، وهذه الوظيفة ذات مبادئ وممارسات علمية مستقرة، وهو نظام يتم من خلاله تحديد مدى كفاءة أداء العاملين لأعمالهم، ويحتاج الأمر أن يكون العاملون قد قضاوا فترة زمنية في أعمالهم، وبشكل يمكن من القيام بتقييم أدائهم خلالها، كما يطلق على تقييم الأداء مسميات أخرى مثل نظام تقييم الكفاءة، وأنظمة تقارير الكفاءة.⁽³⁵⁾

أهمية وفوائد تقييم الأداء

تعتبر عملية التقييم عملية هامة جداً لتحديد مدى كفاءة الموظف واحد سياسات الأفراد التي لا غنى عنها نظراً للفوائد التي تجنى من وراء تطبيقها على أسس سليمة مثل الموضوعية والبعد عن التحيز والمحسوبية، ومن أهم تلك الفوائد الآتي:⁽³⁶⁾

(أ) أهميته على مستوى المنظمة : ⁽³⁷⁾

- يساعد على إعداد سياسة جيدة للترقية من خلال اختيار انسب الموظفين وأكفاءهم لشغل الوظائف العليا.
- يساعد على ترشيد سياسة الاختيار والتعيين والحكم على سلامتها .
- اعداد سياسة تدريبية للعاملين على أسس علمية بناء على نقاط الضعف في أداء العاملين .
- يساعد تقييم الأداء المسؤولين في المنظمة على الحكم على مدى اسهام العاملين في تحقيق أهداف المنظمة كما يساعد تقييم الأداء الرؤساء على اتخاذ قرارات تتعلق بالاقتراحات لتحسين اداء المرؤسين أو اقتراح المكافآت المالية المناسبة وترقيتهم وكذلك توليهم مناصب قيادية أعلى.
- كما يزود تقييم الأداء مسؤولي ادارات القوى البشرية بمعلومات واقعية عن اداء العاملين واطمئنانهم في المنظمة مما يعتبر نقاط انطلاق لاجراء دراسات ميدانية تطبيقية تتناول اوضاع العاملين ومشكلاتهم وانتاجيتهم ومستقبل المنظمة نفسها.

(ب) أهميته على مستوى الوحدات التنظيمية في الآتي

- متابعة تنفيذ الاهداف بغرض التعرف على مدى تحقيق الوحدة الاقتصادية للاهداف الموضوعية بالمستوى المطلوب في الوقت المطلوب .
- تدعيم عمليات الاتصال وتحسين العلاقات بين الرؤساء والمرؤسين .
- تخطيط القوى العاملة وتحديد الاحتياجات التدريبية على مستوى الوحدة التنظيمية .
- الكشف عن المشكلات الادارية والتنظيمية داخل الوحدة.

³⁴ علي السلمي ، إدارة الافراد لرفع الكفاءة الانتاجية_ ، 1982م ، ص 45

³⁵ أحمد ماهر ، إدارة الموارد البشرية (القاهرة : الدار الجامعية للنشر ، 2005م) ص 284

³⁶ محمد عشاوي ، الإدارة الاستراتيجية في تنمية الموارد البشرية في ظل العولمة ط1 (الاسكندرية ، منشأة المعارف ، 2010م) ص 190

³⁷ عبدالباري درة وزهير الصباغ ومروة احمد وياسر العدوان ، إدارة القوى البشرية ، ط2 ، (القاهرة : الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيع ، 2010)

ج) أهميته على مستوى الأفراد (الموارد البشرية)

- يساعد التقييم على تعريف الافراد بنواحي القصور لتلافيها في المستقبل كما يساهم على خلق نوع من المنافسة البناءة بين العاملين بعضهم البعض والكشف عن القدرات والطاقات غير المستقلة لدى الفرد.⁽³⁸⁾
- اشعار الموظف بالمسئولية وتحقيق الرقابة الذاتية فعندما يدرك الموظف بأن نشاطه موضع تقييم من قبل رؤسائه وان نتائج هذا التقييم سترتب عليها اتخاذ قرارات هامة سوف يسعد بالمسؤوليات وبيذل طاقته.⁽³⁹⁾
- رفع الروح المعنوية وتحسين علاقات العمل حيث نجد أن التفاهم يسود بين الموظفين ورؤسائهم لشعور الموظف بأن جهده في تأدية العمل موضع تقدير واهتمام الإدارة وأن هدف التقييم لصالحه .
- الرقابة على الرؤساء وقدرتهم على الاشراف من خلال نتائج تقارير الكفاءة المرفوعة من قبلهم لتحليلها ومراجعتها.⁽⁴⁰⁾
- استخدامه في تقييم برامج الافراد فالحكم على دقة عملية تقديرات الاداء ونتائج الاختبارات والمقابلات والحكم على قيمة برنامج تدريبي يمكن ان تحدد بتحليل اداء الفرد بعد عملية التدريب.⁽⁴¹⁾
- تقليل معدل دوران العمل من خلال شعور العاملين بالعدالة الموضوعية في اتخاذ قرارات شؤون العاملين.
- يزد تقييم الاداء مسؤولي ادارات القوى البشرية بمعلومات واقعية عن اداء العاملين واطمأنهم في المنظمة مما يعتبر نقطة انطلاق لاجراء دراسات ميدانية تطبيقية تتناول اوضاع العاملين ومشكلاتهم وانتاجيتهم ومستقبل المنظمة نفسها.

طرق قياس و تقييم الأداء

بعد تطوير بعض أنظمة قياس الأداء أصبح بإمكان المديرين استخدام الكثير من طرق التقييم المناسبة وفق الأهداف التي يسعون لتحقيقها من هذه العملية يوجد نظامان رئيسيان لتقييم أداء العاملين بالاجهزة التنفيذية والادارية احدهما نظام الاختبارات والآخر نظام التقارير الدورية. نظام الاختبارات الدورية يعتمد على اجراء سلسلة من الاختبارات الشفوية أو التحريرية أو الاثنين معاً للموظفين الذين يراد تقييم أدائهم ، وذلك فيما يتعلق بالمعلومات والمهارات المتصلة بمجال عمله وتجويده، ويمتاز هذا النظام بأنه يوفر متطلبات الحياد والعدالة والموضوعية في تقييم الاداء ⁽⁴²⁾ لكن هذا النظام لم يسلم من المعارضة حيث إدعى معارضوه إلى أنه لا يمكن ان يوفر الدقة المطلوبة والموضوعية والثبات التي يجب أن تتوفر في أنظمة تقييم الأداء للعاملين فهو غير دقيق وذلك لجهل الرؤساء وعدم إلمامهم الدقيق بالعناصر والمعايير التي يتم بموجبها التقييم ، أما عدم موضوعيته فتتجلى في التفاوت الذهني والخلقي واختلاف مستوى المهارات بين الرؤساء المقيمين، مما يستدعي اختلافهم في مهارات التقييم وتعددت الطرق التي استخدمت في قياس أداء العاملين⁽⁴³⁾

الطرق التقليدية لتقييم الأداء هي الأكثر شيوعاً في الحياة العملية حيث تستخدم تقارير تقييم الأداء وذلك من خلال نماذج مطبوعة يقوم القائم بالتقييم باستيفاء كافة البيانات المدونة بالنموذج عن الافراد المقيمين، ويتضمن نموذج التقييم على عدد

³⁸ محمد عشاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص 190

³⁹ ثابت عبدالرحمن ادريس ، إدارة الأعمال النظرية ونماذج تطبيقية _ (الاسكندرية : مكتبة الابراهيمية ، 2007) ص 305

⁴⁰ نفس المرجع السابق ، ص 306

⁴¹ محمد محمد ابراهيم إدارة الموارد البشرية _ (القاهرة: الدار الجامعية ، 2010م) ص 757

⁴² ثابت عبدالرحمن ادريس ، مرجع سبق ذكره ، ص 200

⁴³ المرجع السابق ، ص 201

من الخصائص أو الصفات بعضها يتصل بسلوك المرؤوس وتصرفاته ويتصل بعضها بالعمل والانتاج.⁽⁴⁴⁾ ومن طرق التقييم:

1) طريقة تقدير المقياس المدرج (التقييم ببحث الصفات):

تعتبر هذه الطريقة من اوسع الطرق استخداماً في مجال تقدير كفاءة العاملين وتعتمد هذه الطريقة على أساس تمثل كل عوامل من عوامل التقييم على مقياس ذي درجات مختلفة بحيث يؤثر القائم على التقييم بالتقدير على الدرجة التي يعتقد بانها خاصة بالفرد موضع التقدير.⁽⁴⁵⁾

على أن توضع بعد ذلك اعادة النماذج (بعد الانتهاء من التقدير) إلى إدارة الموارد البشرية .

ومن مزايا هذه الطريقة سهولة فهمها واستخدامها كما أنها تسهل من الجدولة الاحصائية لنتائج التقدير في صورة مقاييس تفيد في الحكم على الاتجاهات الشائعة والانحرافات والتشتت . ، كما تساعد في مقارنة نتائج التقدير بالنسبة للعاملين والتي تكشف عن مزايا أو قيمة كل فرد في التنظيم ، وبالرغم مزاياها إلا ان لها بعض العيوب ، منها عدم الدقة في الحكم على كفاءة العاملين خاصة وأن المشرفين يميلون إلى التقدير العالي لكفاءة رؤسبهم ومن عيوبها أيضاً تأثير عنصر من عناصر التقييم على باقي العناصر، وأيضاً المغالاة في اللين أو الخشونة لأن الرئيس المباشر يتخوف من إعطاء تقديرات منخفضة لان ذلك قد يعكس انخفاض كفاءة الرئيس في قيادة المرؤسين.⁽⁴⁶⁾

ب) طريقة مقارنة العاملين :

وبموجبها يتم تقييم الاداء عن طريق مقارنة اداء الفرد مع زملائه وتنفذ بواسطة اسلوبين هما :

أ- الترتيب المستقيم Ranking:

بموجب هذه الطريقة يقوم المقيم بترتيب الافراد الخاضعين للتقييم تنازلياً أو تصاعدياً حسب مستويات كفاءتهم وذلك من الاحسن للأسوء والعكس.

وذلك بعد أن يقوم بمقارنة أداء وسلوك كل فرد بالآخرين ويجب ان لا يكون الترتيب حسب خاصية أو صفة معينة فقط بل حسب الاداء والسلوك العام للفرد.

ب) اسلوب المقارنة الثنائية المزدوجة (الزوجية) Paired comparison Method

تعتبر هذه الطريقة احد اشكال طرق الترتيب والتي فيها يطلب من القائم بالتقييم ان يوضح من هو العامل الذي مستوى ادائه أعلى من بين كل العاملين في سلسلة من المقارنات الزوجية بين اعضاء المجموعة المراد تقييمها بمعنى عقد مقارنات زوجية بين اعضاء المجموعة المراد تقييمها لكل اثنين من الافراد المراد تقييمهم.

من مساوي هذه الطريقة أيضاً انها محددة إلى حد بعيد إذ أنها لاتصلح لاغراض الترقية لأنها لا تبين السبب الذي تم من أجله تقييم أحد الاشخاص تقييماً عالياً أو منخفضاً ، وبنفس المنطق فإنها لا تصلح لاغراض النقل، التدريب ، الفصل ، لكن الغرض الوحيد الذي تصلح له هو اختبار مدى نجاح سياسة الاختيار والتعيين في اختيار الاشخاص المناسبين .⁽⁴⁷⁾

44 محمد عشاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص196

45 محمد محمد ابراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص 763

46 بكري الطيب موسى ، إدارة الأفراد (الخرطوم: دار جيتا للطباعة والنشر ، 2002م) ص66

47 احمد ماهر ، مرجع سبق ذكره ص299

3) طريقة التوزيع الإلجباري Forced Distribution Method: (48)

وتعتمد هذه الطريقة على أساس فكرة التوزيع الطبيعي Normal Distribution أي أن مجموعة الأشياء أو الأحداث تتركز حول وسط المنحنى ويقل تركيزها عند الأطراف وبالتالي فإنه يطلب من القائم بالتقدير أن يوزع تقديراته بشكل يتناسب مع التوزيع الطبيعي المعتاد ومن ثم يجب على المشرف أن يقسم مرؤسية إلى مجموعات ويترتب كل منها حسب تركيزها على منحنى التوزيع وعليه فإنه يخصص 10% من الأفراد للنهائية العظمى من المقياس (المجموعة الاولى) 20% المجموعة الثانية ، 40% الفئة الوسطى ، 20% للفئة التالية المنخفضة ، 10% للمجموعة الدنيا.

الطرق الحديثة لتقدير الكفاءة Checklist Method

أ- طريقة الاختيار الإلجباري Forced choice Method:

تقوم علي اساس إجبار القائم بالتقييم على الإختيار من بين عدد من العبارات الوصفية التي تبدو كأنها ذات قيمة متساوية بالنسبة له هذه العبارات الوصفية هي مجموعات رباعية كل منها يعبر عن صفتين ايجابيتين والأخريات تعبر عن صفتين سلبيتين في الأداء ويطلب من الشخص القائم على التقدير أو المشرف أن يقوم باختيار عبارتين فقط، واحدة تعبر عن الصفة المرضية في أداء المرؤوس وأخرى تعبر عن الصفة الغير مرضية في هذا الاداء ، أما عن القيمة الفعلية اووزن العبارات فإنها تبقى سرية عن المشرفين

لذلك لا يوجد تحيز في عملية التقييم بهذه الطريقة لكن من عيوبها صعوبة فهمها واستحالة المحافظة على سرية مفتاح التقييم وايضاً ارتفاع تكاليف اعداده .

2) طريقة البحث الميداني Field Review Method: (49)

تقوم هذه الطريقة بأن يذهب الشخص المكلف بعملية التقييم إلى موقع العمل ويطلب من المشرف تزويده بالعلومات التي تتعلق باداء وسلوك العاملين معهم أو يحاول الحصول على هذه المعلومات من اشخاص لديهم بعض المعلومات عن اولئك الافراد بعد الحصول عليها والتأكد من صحتها ثم يعود المتدرب إلى المكتب المخصص له للقيام بعملية التقييم من خلال المعلومات التي تحصل عليها بعد ذلك يرسل نتائج التقييم للمشرف المختص ليقوم بمراجعتها واعتمادها أو اجراء التعديلات التي يراها بما لا يؤثر على سلامة التقييم الذي يتم على مستوى الاداء بصفة عامة.

ومن مزاياها البعد عن التحيز والدقة في جمع البيانات ، أما عيوبها فإن التقييم لا يأخذ في الاعتبار رأي الرئيس المباشر في الموظف بل قد يصل الامر إلى اعطاء معلومات غير صحيحة وارتفاع تكلفة التقييم بسبب اللجوء إلى خبراء من خارج المنشأة.

3) طريقة: (L'évaluation 360°): Le 360° Feed-back :

تعتمد على تعدد مصادر أو مراكز التقييم، إذ يقيم الفرد من طرف زملائه، الزبائن الخارجيين، الزبائن الداخليين، مساعديه المباشرين، المسؤولين بالإضافة إلى تقييمه لذاته، وينتج عن هذا التعدد في الجهات القائمة بالتقييم تعدد واختلاف في المعايير التي يتم على أساسها التقييم. وتعتبر هذه النتيجة من إيجابيات هذه الطريقة بالإضافة إلى أنها تهدف إلى

48 محمد محمد ابراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص766ص767

49 بكري الطيب موسى ، مرجع سبق ذكره ، ص79

إشراك مجمل العاملين في عمليات تقييم الأداء، مما يشعرهم بالأهمية والاعتبار. (50)

4) طريقة الاحداث الجوهرية Critical incident Method:

تقوم على أساس أن هناك بعض الاحداث التي تؤثر على سلوك الفرد وتجعله ناجحاً أو فاشلاً في عمله وعلى ذلك فإنه يجب على القائم بالتقديرات ان يسجل أو يراجع بعض انواع الاحداث الجوهرية والتي تحدث اثناء العمل ، مثل ، قلق الفرد أو غضبه اثناء تأديته عمله ، رفضه في يوم ما الالتحاق باحد البرامج التدريبية أو محاولته لاقناع زميل له في احد الايام بقبول قرار الادارة.

هذا ويتم اكتشاف مثل هذه الاحداث الجوهرية من خلال دراسة سلوك الافراد اثناء العمل بعد ذلك ترتب مثل هذه الاحداث المجمعة حسب تكرارها أو اهميتها ثم تعطى اوزان لكل منها بحيث تكون اساساً لعملية التقدير. من مزايا هذه الطريقة أنها توفر اساساً موضوعياً لمناقشة المشرف للفرد في كيفية تجنب اوجه القصور في ادائه لعمله وتحسين هذا الاداء في المستقبل (51).

لكن اهم عيوبها انها تتطلب من المشرف ان يعطي اهتماماً بالغاً إلى ما يؤديه الافراد كما أن دقة الاشراف هذه قد تختلف لدى الافراد شعوراً بأن كل شيء يؤدونه سوف يكتب في القائمة السوداء لدى المشرف مما يؤدي إلى الاحباط في العمل. (52)

5) طريقة الإدارة بالأهداف Management by Objectives :

صُمم نظام الإدارة بالأهداف حتى يمكن التغلب على كثير من المشاكل الخاصة بالطرق التقليدية للتقييم والهدف الاساسي لهذا المدخل هو تقوية العلاقة بين الرئيس والمروؤوس وزيادة حفز الافراد على العمل . ومن أهم المقومات الاساسية للإدارة بالأهداف بصفة خاصة في مجال تقييم الاداء ما يلي:

المشاركة الجماعية بين المشرف والمروؤوس في وضع المهام الاساسية ومجالات مسؤولية عمل الفرد. موافقة المشرف والمروؤوس على معايير القياس وتقييم الأداء . من فترة لآخرى يتم عقد لقاء مشترك بين الرئيس والمروؤوس لتقييم مدى تحقيق الأهداف السابق تحديدها ،وفي أثناء هذه الاجتماعات يتم وضع أو تعديل أهداف خاصة بالفترات القادمة.

معوقات تقييم الأداء

تعاني كثير من المنظمات و المديرون من مشاكل خاصة أثناء عملية تقييم الأداء

ومن أهم المشكلات ما يلي: (53)

1) عدم وضوح المعايير: قد يحتوي نموذج تقييم الأداء على معايير غير واضحة للتقييم مما يدع مجال لاختلاف التفسيرات مثل ما هو التعريف المحدد لوصف أداء جيد ولوصف القدرة على الإبداع.

2) التركيز على الاداء الفردي أو الاداء الجماعي إذ تواجه بعض المنظمات مشكلة عدم فعالية اداء فرق أو جماعات العمل ولك باستخدام مقاييس تركز على اداء الفرد وليس الاداء الجماعي.

50 فداء محمود حامد ، مرجع سبق ذكره ، ص111ص112

51 محمد محمد ابراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص 769ص770

52 المرجع السابق ، ص77

53 محمد عشاوي ،مرجع سبق ذكره ، ص 192

(3) استخدام طريقة للتقييم لا تتناسب مع جميع الوظائف غالباً ما يستخدم طريقة واحدة للتقييم ويتم تعميمها على جميع الإدارات والأجهزة بغض النظر عن طبيعة ومستوى الوظائف وللعلاج لا بد من تنوع طرق التقييم وفقاً لطبيعة ومستوى الوظائف.

(4) عدم تدريب الرؤساء إذ أن الرؤساء بحاجة دائماً إلى التدريب والتركيز أو من خلال إصدار نشرات دورية تتضمن توجيهات وإرشادات متعلقة بتقييم الاداء الوظيفي.

(5) عدم اهتمام الرؤساء بأعداد التقارير وقد ينظر القائمين على تقييم الاداء بنظرة روتينية وبالتالي يقومون بملي النماذج بدون تحري الدقة بالإضافة لقيام بعض القائمين على تقييم الاداء دون الوقوف على الهدف الاساسي من التقييم.

(6) التحيزات الشخصية للرؤساء تتأثر عملية التقييم بالعلاقات الشخصية بين الرئيس والمرؤوس فيميل الرئيس إلى مرؤوس معين يؤثر تأثيراً ملحوظاً على التقديرات التي يمنحها له وقد يكون التحيز بسبب الجنس ، السن ، المستوى التعليمي. (54)

للتغلب على الأخطاء في عملية التقييم يجب تحسين وتعديل طرق تقييم الاداء. (55)

ثالثاً: الدراسة الميدانية

تمثل مجتمع الدراسة في العاملين بجامعة العلوم والتقانة والبالغ عددهم 250 موظف تم أخذهم جميعاً بنظام الحصر الشامل. تم تصميم استبيان وتحكيمة وتوزيع عدد 250 استبانة علي المبحوثين حيث تم استرداد 200 استبانة بنسبة استرداد بلغت 75%. والجدول (1) يوضح إجابات المبحوثين والتكرارات والنسب المئوية لآرائهم حول كل عبارة، ويوضح نتائج الإختبارات الإحصائية لعبارات الإستبانة حيث تم حساب قيمة مربع كاي لكل عبارة والقيمة الإحتمالية وتفسير الإتجاه الذي يشير اليه الفرق إن وجد فرق في آراء المبحوثين حول العبارة.

جدول (1) : إجابات المبحوثين والتكرارات والنسب المئوية لآرائهم حول كل عبارة

العبارة	ت	%	وافق بشدة	وافق	لا أوافق	لا أوافق بشدة	درجة الحرية	قيمة مربع كاي	معنوية الإختبار
1 تهتم إدارة الموارد البشرية بمواصفات الوظيفة (المؤهل العلمي)	ت		28	40	11	16	4	39.30	0.000
	%		28	40	11	16			
2 يزود نظام تقييم الأداء مسئول إدارة الموارد البشرية بمعلومات واقعية عن العاملين	ت		16	48	18	14	4	54.80	0.000
	%		16	48	18	14			
3 تقوم إدارة الموارد البشرية بتطبيق اللوائح	ت		20	34	28	12	4	26.00	0.000

54 نفس المرجع السابق ، ص 334 ص 335

55 أحمد ماهر ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 229-230

			6	12	28	34	20	%	المنظمة للعمل بصورة سليمة وتحقق العدالة والموضوعية	
0.000	82.13	3	-	5	4	31	60	ت	يتم تعيين الاشخاص وفق اسس ومعايير	4
	1		-	5	4	31	60	%	إختيار دقيقة مما يساعد علي توظيف الافضل للجامعة	
0.000	110.6	3	-	2	-	28	70	ت	التدريب يرفع الروح المعنوية ويؤدي لزيادة القدرة لدي العاملين لتحمل المسؤولية	5
			-	-	-	28	70	%		
			-	2	2	35	61	ت	يؤدي التدريب الي ضمان سرعة انجاز العمل ويمكن الجامعة من زيادة كفاءة الاداء	6
			-	2	2	35	61	%		
0.000	30.50	4	7	10	18	29	36	ت	تحرص الإدارة العليا على تعيين رئيس كفؤ لإدارة الموارد البشرية ويمثل حلقة وصل بين العاملين والادارة العليا	7
			7	10	18	29	36	%		
0.000	90.80	4	9	9	2	25	55	ت	الحوافز المعنوية تشعر الفرد بالتقدير والفخر مما يدفعه لبذل المزيد من الجهد والتحفيز ينمي مشاعر الولاء للعاملين بالجامعة	8
			9	9	2	25	55	%		
0.000	37.70	4	10	15	25	38	12	ت	تسير عملية تقييم الاداء بشكل دوري ومنتظم كما يتسم نظام التقييم بالبساطة	9
			10	15	25	38	12	%		
0.000	20.70	4	-	3	5	46	46	ت	عملية تقييم الاداء عملية مهمة تنعكس نتائجها علي العاملين ويستفاد منها في تصحيح الاخطاء الموجودة في أداء العاملين	10
			-	3	5	46	46	%		

المصدر : اعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية ، 2025

في الجدول أعلاه تم استخدام مربع كاي لمعرفة الفروق في آراء الباحثين حول عبارات الدراسة ، وحسب مقياس ليكرات الخماسي للبيانات الوصفية التي تكون خاضعة للترتيب فقد تم إعطاء قيم وهمية لمعرفة اهمية كل صفة من الصفات كالآتي (1:وافق بشدة2:وافق 3:محايد 4:لاوافق 5: لاوافق بشدة) اما القيمة الاحتمالية فهي عبارة عن قيمة الخطأ الذي يحدث نتيجة الاختلاف الحاصل في آراء الباحثين، علماً بأن أعلي قيمة يمكن أن يأخذها هذا الخطأ حتي تكون الفروق معنوية هي 0.05 أي إن من بين كل مائة محاولة هناك خمس محاولات فاشلة أو خاطئة.

معامل الارتباط الخطي Correlation لبيرسون Pearson بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع

يستخدم معامل الارتباط الخطي لقياس التغير الذي يطرأ على المتغير/المتغيرات التابعة عندما تتغير قيم المتغير/المتغيرات المستقلة ، ويكون الارتباط قوياً عندما تقترب قيمته من الواحد الصحيح. يوضح معامل الارتباط الخطي لبيرسون بين المتغيرات المستقلة للدراسة والمتغير التابع لمحاوّر /متغيرات الدراسة.

جدول (2) : معامل الارتباط الخطي لبيرسون بين المحاور الأربعة و تقييم الاداء في الجامعة

تقييم الاداء في الجامعة	إدارة الموارد البشرية	الحوافز	الاختيار والتعيين	التدريب
قيمة الارتباط	0.425**	0.469**	0.460**	0.435**
معنوية الاختبار	0.000	0.000	0.000	0.000
العدد	100	100	100	100

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية، 2025

يشير الجدول إلى معامل الارتباط الخطي لبيرسون لمتغيرات الدراسة ، كالآتي:

- (1) يوجد علاقة طردية (موجبة) بين وظائف ادارة الموارد البشرية وتقييم الاداء في الجامعة قيمته (0.425) بمستوى معنوية 0.000 ، وهذا يثبت الفرض الأول القائل بـ "هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين وظائف إدارة الموارد البشرية وتقييم الاداء بالجامعة"
- (2) يوجد علاقة طردية (موجبة) بين التدريب وتقييم أداء العاملين في الجامعة قيمته (0.435) بمستوى معنوية 0.000 ، وهذا يثبت الفرض الأول القائل بـ "هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التدريب وتقييم الاداء بالجامعة"
- (3) يوجد علاقة طردية (موجبة) بين الاختيار والتعيين وتقييم أداء العاملين في الجامعة قيمته (0.460) بمستوى معنوية 0.000 ، وهذا يثبت الفرض الأول القائل بـ "هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الاختيار والتعيين وتقييم الاداء بالجامعة"
- (4) يوجد علاقة طردية (موجبة) بين الحوافز وتقييم أداء العاملين في الجامعة قيمته (0.469) بمستوى معنوية 0.000 ، وهذا يثبت صحة الفرضية الرابعة القائلة بـ "هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الحوافز وتقييم الاداء بالجامعة".

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

خلصت الدراسة الي عدة نتائج أهمها :

- (1) وجود علاقة ايجابية بين إدارة الموارد البشرية وتقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة.
- (2) وجود علاقة ايجابية بين التدريب وتقييم الاداء بجامعة العلوم والتقانة
- (3) وجود علاقة ايجابية بين الاختيار والتعيين وتقييم أداء العاملين بجامعة العلوم والتقانة
- (4) وجود علاقة طردية بين الحوافز وتحسين الاداء بجامعة العلوم والتقانة
- (5) يزود نظام تقييم الأداء مسئول إدارة الموارد البشرية بمعلومات واقعية عن العاملين
- (6) تقوم إدارة الموارد البشرية بتطبيق اللوائح المنظمة للعمل بصورة سليمة.
- (7) سياسات إدارة الموارد البشرية تحقق العدالة والموضوعية و تستخدم إدارة الموارد البشرية أساس موحد للتقييم لضمان عدالة المعاملة.

- (8) تحرص الإدارة العليا على تعيين رئيس كفو لإدارة الموارد البشرية إذ يمثل مسئول إدارة الموارد البشرية حلقة وصل بين الإدارة العليا والمرؤوسين.
- (9) الحوافز المعنوية تشعر الفرد بالتقدير والفخر مما يدفعه لبذل المزيد من الجهد كما تنمي مشاعر العاملين بالولاء للجامعة.
- (10) اختيار العاملين بأسس سليمة يساعد على توظيف الأفضل في الجامعة كما يتم تعيين العاملين وفقاً للقوانين والأنظمة وبعد خضوعهم لاختبارات ومقابلات.
- (11) التدريب يرفع الروح المعنوية للعاملين، كما يؤدي التدريب لزيادة القدرة لدى العاملين على تحمل المسؤولية، ويساعد على مواكبة التطورات التقنية والتكنولوجية. إلا أن الجامعة لا تمنح برامج تدريبية للعاملين بعدالة.
- (12) يؤدي التدريب إلى ضمان سرعة انجاز العمل ، كما يساعد على زيادة كفاءة الأداء .
- (13) تسير عملية تقييم الأداء بشكل دوري ومنتظم كما أن نظام تقييم الأداء المتبع يتسم بالبساطة والفعالية
- (14) عملية تقييم الأداء عملية مهمة تنعكس نتائجها على أداء العاملين ويتم الاستفادة من التغذية المرتدة في عملية تقييم الاداء في معالجة نواحي القصور في الاداء.

ثانياً: التوصيات

علي ضوء النتائج السابقة خلصت الدراسة الي عدة توصيات أهمها :

- (1) علي الجامعة التركيز علي دور إدارة الموارد البشرية في عملية تقييم الاداء
- (2) يجب أن تهتم إدارة الموارد البشرية بمواصفات الوظيفة (المؤهل العلمي)
- (3) الدراسات والمقترحات التي تقدمها إدارة الموارد البشرية للإدارة العليا يجب أن تتميز بالتحليل العميق.
- (4) علي الجامعة أن تعيد النظر في الحوافز المادية للعاملين بصورة مكافئة للجهد المبدول.
- (5) يجب عدم إهمال الحوافز المعنوية للفرد و إيجاد سبل لتنمية مشاعر العاملين بالولاء للجامعة.
- (6) يجب دراسة التجارب الخارجية الناجحة واستنباط الدروس المفيدة في تقييم الاداء بالجامعة
- (7) علي إدارة الموارد البشرية تتوخى الحذر في تعيين الشخص المناسب في المكان المناسب.
- (8) علي الجامعة الإهتمام بعدالة تدريب العاملين بصورة دورية لرفع الروح المعنوية لهم.
- (9) يجب استخدام طريقة 360 درجة في عملية تقييم أداء العاملين بالجامعة.

المراجع:-

1. أحمد إبراهيم أبو سن .إدارة الموارد البشرية، ط1. الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، 2007م.
2. أحمد ماهر .إدارة الموارد البشرية، ط1. الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر، 2005م.
3. أحمد سيد مصطفى مصطفى .إدارة البشر: الأموال والمهارات .القاهرة: المؤلف نفسه، 2002م.
4. بكري الطيب موسى .إدارة الأفراد .الخرطوم: دار جيتاو للطباعة والنشر، 2002م.
5. جمال الدين محمد المرسي .الإدارة الاستراتيجية للموارد البشرية، ط1. الإسكندرية: الدار الجامعية، 2003م.
6. زكي مكي إسماعيل .إدارة الموارد البشرية، ط1. الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2009م.
7. يوسف حجيم الطائي، مؤيد عبدالحسين فضل، وهاشم فوزي العبادي .إدارة الموارد البشرية، ط1. عمان: دار الوراق للنشر والتوزيع، 2006م.
8. محمد الصيرفي .كيف تحفز مرؤوسيك .الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية للنشر، 2008م، ص5.
9. محمد ماهر عليش .إدارة الموارد البشرية .القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، دون سنة نشر.
10. مؤيد سالم السعيد .إدارة الموارد البشرية، ط1. عمان: دار إثراء للنشر والتوزيع، 2009م.
11. نادر أحمد أبو شيخة .إدارة الموارد البشرية .عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000م.
12. سهيلة محمد عباس .إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي، ط3. عمان: دار وائل للنشر، 2003م.
13. سعاد نايف نوطي .إدارة الموارد البشرية وإدارة الأفراد، ط2. عمان: دار وائل للنشر، 2004م.
14. عادل محمد زايد .إدارة الموارد البشرية: رؤية استراتيجية .القاهرة: بدون ناشر، 2003م.
15. عامر خضر الكبيس .إدارة الموارد البشرية في الخدمة المدنية، ط1. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2005م.
16. عبدالباري درة، زهير الصباغ، مروة أحمد، وياسر العدوان .إدارة القوى البشرية، ط2. القاهرة: الشركة العربية المتحدة، 2010م.
17. عبدالغفار حنفي .السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، ط1. الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر، 2002م.
18. علي محمد ربابعة .إدارة الموارد البشرية .عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2003م.
19. عمر وصفي عقلي .إدارة الموارد البشرية المعاصرة، ط1. عمان: دار وائل للنشر، 2005م.
20. صلاح الدين محمد عبد الباقي .إدارة الموارد البشرية، ط1. الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر، 2000م.

عنوان البحث

الاسرائيليون في السودان في الفترة من 1948-2007م

د. محمد زين سليمان حماد¹

¹ محاضر بجامعة أنجمينا كلية الاداب قسم التاريخ - تشاد

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/11>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/11>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تضمنت الدراسة المخططات الصهيونية لإنشاء دولتهم في السودان، وقضية الفلاشا التي بفضحها ساعدت على زوال نظام الرئيس جعفر نميري، وكذلك الهجرة العكسية لليهود بعد إعلان دولتهم، تمثلت مشكلة الدراسة في أن الوجود الإسرائيلي في السودان كان له عظيم الأثر في الحياة الاجتماعية والسياسية السودانية، نبعت أهمية الدراسة من الناحية المعرفية لتاريخ الوجود الإسرائيلي بالسودان والتوثيق له، وكذلك كيفية تماشي العائلات اليهودية مع الأحداث السودانية المؤثرة ظاهرياً مع إبقائهم خفية لمعتقداتهم وخطتهم، هدفت الدراسة إلى إبراز دور العائلات اليهودية في الشأن السوداني وتزاوجهم وتصاهرهم مع السودانيين، وتوضيح العلاقات الرسمية، أتبعته الدراسة المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي، ولقد حاولت الدراسة تقديم الأسباب الداعية لإقامة وطن لليهود بالسودان، كما تحاول أن تبين طيبة الشعب السوداني المتأصلة فيه وتعامله مع اليهود وبقية الأجناس لأجل إنسانيتهم فقط، دون وضع قيود مسبقة في التعامل أو حتى الحزر منهم، أثبتت الدراسة بأن اللقاءات بين الزعماء السياسيين السودانيين والإسرائيليين أدت إلى تغيير الأوضاع السياسية في السودان. توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها: ان تعامل السودانيين مع اليهود كان طبيعياً ودون تدخل الحكومات فيه مما يعكس أصالة وطيبة الشعب السوداني وتعامله مع جميع الأعراق والأجناس دون وضع قيد أو شرط، وتوصي الدراسة السودانيين بالمحافظة على هذه السجية في التعامل مع جميع الأعراق، وكذلك ضرورة الحزر من قبل متخذي القرار لكون السودان كان من ضمن مخططات اليهود لإنشاء دولتهم، وربما يحصل ذلك في المستقبل إن وجد حكومات تعظم من مصلحتها مقابل المصلحة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: خطة بابتور، خطة جلنتيه، العائلات اليهودية، يهود الفلاشا، الهجرة العكسية، لقاءات الزعماء.

RESEARCH TITLE

Israelis in Sudan from 1948 to 2007

Abstract

The study examined the Zionist plans to establish their state in Sudan, as well as the case of the *Falasha Jews*, the exposure of which contributed to the downfall of President Jaafar Nimeiri's regime. It also discussed the reverse migration of Jews after the declaration of the State of Israel. The problem addressed by the study lies in the significant impact of Israeli presence in Sudan on the country's social and political life. The importance of the study stems from its contribution to documenting and analyzing the history of Israeli presence in Sudan and how Jewish families adapted to Sudanese events—appearing to integrate outwardly while concealing their beliefs and long-term plans. The study aimed to highlight the role of Jewish families in Sudanese society, including their intermarriage with Sudanese citizens and their involvement in official relations. It employed both the historical and descriptive-analytical methods. The research sought to present the motives behind the idea of establishing a Jewish homeland in Sudan and to shed light on the inherent kindness and humanity of the Sudanese people, who interacted with Jews and others purely on human grounds, without prejudice or preconceptions. The study found that meetings between Sudanese and Israeli political leaders led to significant political changes in Sudan. Among the main findings was that the Sudanese people's interactions with Jews were natural and free from governmental interference, reflecting their authenticity and openness in dealing with all races and nationalities without restrictions or conditions. The study recommends that Sudanese people preserve this noble trait in their dealings with all ethnic groups, while decision-makers should remain cautious, as Sudan had once been part of the Zionist plans for a Jewish state—and such ambitions could resurface in the future if governments prioritize personal or political interests over national ones.

Key Words: Babourt Plan, Galantie Plan, Jewish Families, Falasha Jews, Reverse Migration, Leaders' Meetings.

مقدمة:

يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار ويروجون لذلك ويسعون لتكوين دولتهم في أرض الميعاد، ويعد كتاب بروتوكولات حكماء صهيون من الكتب التي تضع الاسس لتكوين دولة إسرائيل. ولأجل إنشاء دولتهم كانت هنالك العديد من المقترحات من بينها السودان لوفرة أراضيها وقلة عدد سكانه ومساحة الشاسعة ولكونه مستعمرة بريطانية، وبه الكثير من العائلات اليهودية التي تسيطر على التجارة، وبعد اعلان دولتهم غادرت معظم تلك العائلات. واستناداً للأبعاد الجيوسياسية والأيدولوجية والأمنية والاقتصادية، فإن السودان يمثل في التصنيف الإسرائيلي ما وراء دول المواجهة التي يجب الوصول إليها بشتى الطرق، لتنفيذ استراتيجيتها وخططها المعلنه بالقدر الذي تسمح به توازنات القوى الإقليمية، فإستراتيجية إسرائيل تجاه السودان، بدأت منذ عهد (بن قورين) أول رئيس وزراء لها، وفي ذلك الوقت لم ينل السودان استقلاله. وفي سبيل ذلك تم عقد الكثير من اللقاءات التي جمعت الزعماء السياسيين السودانيين والإسرائيليين وغيرت كثيراً من الأوضاع السياسية بالسودان.

تاريخ اليهودية في السودان:

لقد ظهرت في القرن الثامن عشر خطط متعددة لإقامة وطن يهودي، الخطة الأولى هي إيجاد موطن في فلسطين، إلا أنه نتيجة للصعوبات التي بدأت آن ذاك لتحقيق هذه الرغبة ظهرت خطط أخرى تناقش إيجاد موطن لليهود في أماكن أخرى. والأفكار المتعلقة بإقامة دولة يهودية في السودان ترجع إلى المنظمة الإقليمية اليهودية The Jewish Trinomial Organization فيما عرف بخطة (paport)¹ (المسيري، 2003م)، الصفحة 35) وهي أن السودان هو أكثر الأماكن المناسبة لإقامة اليهود، نسبة لاتساع أراضيها وقلة عدد سكانه ولكونه مستعمرة بريطانية، لكن اللورد كرومر أراد أن يعرف هل اقتراح (Paport) شخصي أم أن منظمة ال(Jewis Colonisation Association) واختصارها (J.C.A) لديها رأي آخر، لذلك لم يعط لهذه الفكرة اهتماماً، وكانت هناك أيضاً خطة من جلنتيه (Jalent plan) لاقتراح مماثل لإقامة وطن لليهودية في السودان، حيث ذكر أن مساحة السودان الكبيرة وأراضيها الصالحة للزراعة والثروة المعدنية والحيوانية الكبيرة ووجود نهر النيل، يمكن أن يكون وطناً مثالياً لليهود، ولكن هذا الاقتراح باء بالفشل، وأظهر إلى أية مدى سعت الحركة اليهودية السياسية للبحث عن مكان للإقامة سواء كان يوغندا، الأرجنتين، البرازيل، كندا، فلسطين.² (المسيري، 2003م، ص 55) وفي قيام الحركة الصهيونية لم يكن هرتزل³ هو أول من كتب عن ضرورة إقامة الدولة اليهودية كما هو متداول، فقد سبقه مفكرون من أمثال موسي هيس (1812-1875م) الذي أصدر كتاباً بعنوان (روما والقدس) دعا فيه الشعب اليهودي إلى الإقترء بالتجربة الإيطالية وإقامة دولة له في القدس.⁴ (شاش، 2008، الصفحة 65-66) يعتبر مؤتمر بازل هو الذي وضع حجر الأثاث للدولة الصهيونية، وقد ثار الخلاف بين من عرفوا بالصهيونيين السياسيين الذين يعطون الأولوية للحصول على اعتراف الدول وتأييدها، وبين من يسمون الصهيونيين العلمانيين الذين كانوا يرون التركيز على تهجير اليهود إلى فلسطين وبناء المستوطنات فيها. كان هيرتزل من الفريق الأول الذي يرى أن المسألة اليهودية قضية سياسة تتطلب إجراء المفاوضات مع الدول المعنية، وأن الاستيطان الذي بدأت حركة أحباء صهيون في أواخر القرن التاسع عشر قد وصل إلى أقصى ما يستطيع تحقيقه.⁵ (شاش، 2008م، الصفحة 66-68)

¹. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، دار الشروق، 2003م، ص 55.

². عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص 55.

³. هرتزل: (1860-1904م) من دعاة الصهيونية الأوائل واشتهر بأنه والد الصهيونية السياسية، ومعرف في اللغة العبرية بإسم (رؤيا الدولة) وهو صحفي نمساوي مجري وكاتب مسرحي. هاني الهندي، مرجع سابق، ص 86.

⁴. طاهر شاش، الصراع في الشرق الأوسط من هيرتزل إلى شارون، (القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، 2008م)، ص 65-66.

⁵. طاهر شاش، المرجع السابق، ص 66-68.

وحدد المؤتمر بأن السعي لإقامة وطن لليهود بفلسطين يكون معترفاً به وفقاً للقانون العام لاكتساب الصبغة الشرعية الدولية.

العائلات اليهودية في السودان:

يرجع ظهور العائلات اليهودية في السودان منذ آلاف السنين لما قبل الميلاد، بهجرة الاسباط إخوة يوسف عليه السلام واستقرارهم ببلاد كوش النوبية وتزاوجهم وتصاهرهم هنالك، مروراً بسيدنا موسى عليه السلام، وتأريخهم القديم الذي يؤصلون له بأبعاد توراتية ولاهوتية. وقد عُرف السودان في التوراة باسم كوش والنوبة بمتن الكتابين التوراة والإنجيل. فقد جاء في توراة سيدنا موسى عليه السلام في سفر التكوين المدون (1420-1450 ق.م) حيث إنداح سيدنا موسى بوصف بداية الخليقة (إذ خلق الله الإنسان ووضعه في جنة عدن التي يخرج منها أنهاراً، وأحد الأنهار هو نهر جيحون (النيل) المحيط بجميع أرض السودان. وقد ورد في سفر النبي أشعيا أن ملك السودان ترهاقا قد خرج بجيشه لمناصرة الملك (حزقيا) ملك المملكة الجنوبية في إسرائيل في الفترة (697 - 715) ق.م مما يدل على التعاون العسكري والاستخباري بين العبرانيين والكوشيين آنذاك.

وفي مزامير النبي داود عليه السلام، والتي تحتوى بعضها من الإشارات لأهل السودان وتنبئ بعض شأنهم، كما جاء في سفر أشعيا ويتناغم ذلك مع العقيدة اليهودية بالهجرة الأولى لهم كانت إلى أرض كوش(السودان).⁶(حيدر، 2017م، الصفحة، 616-618) وحسب الأساطير الإسرائيلية لم تنقطع صلة اليهود بالسودان عبر التاريخ، لأن الله جل وعلا فرض على بني إسرائيل التيه والشتات، قال تعالى: (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين).⁷(القرآن، سورة المائدة، الآية(26)) عرف اليهود السودان القديم، حيث تركزوا في منطقة مروي شمال السودان، وكان لهم دور في مملكة مروي التي تحالفت معهم ضد الأشوريين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. فوجدوا أماناً واستقراراً في تلك المنطقة.⁸ (عبدالرحمن، 2001م، ص52)

جاء في كتاب قاموس السودان التاريخي أن أول رحالة يهودي وصل إلى السودان بعد دخول الاسلام هو ديفيد روبيني، وقد قام بتسجيل مشاهداته في رحلته تلك والتي قام بها من ساحل البحر الاحمر إلى سنار ودنقلا حوالي(1490 - 1540م) وطاف الكثير من أقاليم السودان من ساحل البحر الأحمر إلى سنار ودنقلا، وما أن حل القرن السابع عشر حتى كان التجار اليهود من ضمن مجموعات التجار الأجانب في سنار واستقر عدداً كبيراً منهم على امتداد وادي النيل كممثلين تجاريين لبعض الشركات المصرية أبان الحكم التركي المصري على السودان ومن أشهر تجار اليهود في السودان عائلة مراد إسرائيل، وحبيب كوهين، وليون تمام، خوة سيرويس، وفيكتور شالوم وآل عبودي. ووصل احدهم وهو أمين باشا إلى مرتبة حاكم إقليم الاستوائية بجنوب السودان بين عامي(1878 - 1889م).⁹(محمد، 2020م، ص49)

كما كان هناك موشي بن زيون كوستي الذي ولد بفلسطين وعاش في السودان كممثل لشركة تجارية مصرية وظل يعمل بين الخرطوم والمسلمية حتى قامت الثورة المهدية وما يروى عن ذلك الرجل انه قدم قرصاً للجنرال التشارلز غوردون باشا لشراء الاغذية والمؤن أثناء حصار جيش المهدي للخرطوم بين عامي (1884-1885) وبعد سقوط الخرطوم تم القبض

⁶. احمد المنتصر حيدر، التعاون الإسرائيلي مع دول حوض النيل وتأثيره علي الأمن المائي السوداني،(أعمال المؤتمر العلمي الثامن للجمعية السودانية للعلوم السياسية تحت عنوان: السودان والمتغيرات الإقليمية والدولية، قاعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الخرطوم، 13-15/2/2017م)، ص616-618.

⁷. القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية(26).

⁸. حمدي عبدالرحمن، إسرائيل وإفريقيا في عالم متغير من التغلغل إلي الهيمنة، القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، برنامج الدراسات المصرية الأفريقية، سلسلة دراسات مصرية إفريقية، 2001م، ص52.

⁹. حنفي عبدالله محمد، ملف اليهود التاريخي بالسودان،(الخرطوم: الأكاديمية العليا للدراسات الإستراتيجية والأمنية، مجلة الدراسات الدولية، العدد الأول ديسمبر 2020م). ص49.

عليه وأجبر على الدخول في الاسلام وغير المهدي اسمه إلى موسى بيسيوني، ثم تزوج بسودانيات عدداً من يهود أمدرمان، وقد قام بتشييد معبد صغير ومقبرة يهودية، فكان بذلك أول مؤسس لمعبد يهودي في أمدرمان، وكان رئيس الجالية اليهودية حتى وفاته في 1917م وفي عام 1918م، حولت الجالية اليهودية مركزها من أمدرمان إلى الخرطوم والخرطوم بحري، وراحت تستقبل عدداً كبيراً من اليهود من مختلف أقطار الشرق الاوسط واوروبا واستقروا وعملوا في مجالات المصارف والتجارة والتصنيع والتعليم والقانون والطب، حيث كان ذلك بعد هجرة جماعية أخرى في نهايات القرن التاسع عشر، وقد وصل اليهود فيها إلى السودان إثر تحركهم في أكبر موجة هجرة يهودية واستوطنوا مدينة امدرمان وبالتحديد حي المسالمة، ومثلما أرخ مقرر النيلين الازرق والابيض عند نقطة التقائه في الخرطوم لأحداث سياسية واجتماعية وثقافية كثيرة، كذلك أرخ اليهود لوجودهم في السودان عند ذات النقطة فبالإضافة إلى ما أوردوه في كتبهم ألتى نشروها فيما بعد، كان هناك انتاج الفيلم الوثائقي الذي تم بثه اواخر عام 2013م، وجاء اسمه في إشارة إلى نقطة اقتران النيلين والتقاءهما. وترجع أغلب العائلات اليهودية بالسودان إلى التصنيف المعروف (بالسفارديم) وهم يهود الأندلس الذين هاجروا بعد سقوط غرناطة عام 1492م إلى شمال إفريقيا ثم إلى السودان، ومن تلك العائلات: (يهود آل إسرائيل، آل قرنفلي، آل منديل، آل كوهين، آل قارون، آل ساسون، آل حكيم، آل سامون)¹⁰ (محمد، 2020، ص50-51). وكانوا يسكنون في مدينة أم درمان في حي المسالمة، وقاموا ببناء أول معبد يهودي عام 1889م، وجرى تكوين رابطة للجالية اليهودية حينها برئاسة (بن كوستي) وهو ابن حاخام يهودي تعود اصوله إلى اسبانيا.¹¹ (صالح، 2016، الرابط: www.alfaisalmag.com) وبلغ عدد أفرادها في ذلك الوقت نحو ألف نسمة موزعين في العاصمة المثثة: الخرطوم، بحري، أم درمان، ولكن البعض فضل العيش في مدن أخرى مثل نوري ومروي والدبة وبور تسودان ومدني.¹² (صالح، 2016، الرابط: www.alfaisalmag.com)

وقد ذكر ريكارد هيل (Hill Richard) في كتابه (معجم السودان البيوجغرافي) أن بن تسيون اليهودي الذي عرف بإسم بيسيوني بعد أن أشهر إسلامه تولي عدة مهام سرية من قبل الخليفة عبدالله التعايشي وكان واحداً من مستشاريه في الشؤون المالية. وبعد الاحتلال الإنجليزي المصري للسودان (1896-1898م)، عادت الأسر اليهودية القليلة ألتى كانت قد أسلمت إلى أحضان اليهودية، وأولئك الذين تزوجوا من نساء لسن بيهوديات قاموا بتهويدهن وكذلك أبنائهن. وشذ واحداً منهم فقط وهو سليمان منديل الذي ظل على الإسلام.¹³ (واربورج، 1989م، بدون صفحه) وذكر الفريق حنفي: (أن سلمون هو من أجبره الخليفة عبدالله التعايشي على دخول الإسلام، ولكنه إرتد وأسهم في ارتداد الكثيرين من يهود السودان وفتح كنيسة في منزله بالمسالمة، وقد ورد في هذا الكتاب حقائق كثيرة عن الاجندة والانشطة الخفية ألتى كانت تجري وتنفذ تحت السطح الظاهري للطقوس والشعائر الدينية والاجتماعية بشارع فيكتوريا (شارع القصر حالياً) وقد أحال أفرد الجالية اليهودية هذا المحفل فيما بعد إلى سينما كلوزيوم وهناك غيرهما من مؤسسات ذات صبغة اجتماعية دينية يهودية في الاساس، كانت تجمع خلالها التبرعات والاموال، ويتم تبادل المعلومات والخبرات والتجارب)¹⁴. (محمد، 2020، ص50)

ابرز العائلات اليهودية بالسودان:

ابرز العائلات اليهودية ألتى قدمت الى السودان وطاب لها المقام فيه هم يهود (آل إسرائيل) الذين استوطنوا بالخرطوم، ووالدتهم كانت تدعي (وردة إسرائيل) ومن بناتها (ليلى) ابنة (إبراهيم إسماعيل داؤود) ألتى كانت تعمل مديرة

¹⁰ . نفس المرجع ، ص 50-51.

¹¹ . سهام صالح ، اليهود في السودان ماضٍ لن ينسى، مجلة الفيصل الإلكترونية بتاريخ 27/ديسمبر 2016م. علي الرابط الإلكتروني: www.alfaisalmag.com/?p=3832

¹² . نفس المرجع أعلاه.

¹³ . بروفيسور جبرائيل واربورج ، المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة، ب.ن، 1989م.

¹⁴ . حنفي عبدالله محمد، مرجع سابق، ص 50.

لمكتب السيد (بهاء الدين محمد احمد إدريس) وهي متزوجة من الصحفي حسن الرضي الصديق، ومنهم منصور اسحق (إسرائيل) الذي كان يمتلك صيدلية في شارع العرضة بأم درمان. وهناك اسرة (ال منديل) التي استوطنت باليهود، وكان (منديل) يعمل خبيراً للمجوهرات، وينحدر منهم (ادم داود منديل) الذي كان يعمل في مصلحة الغابات، و(سليمان داوود منديل) الذي كان يعمل في مصلحة البريد، ثم استقال منها ليؤسس (جريدة ملتقى النهرين) ومطبعة (منديل) بينما عملت (سميرة حسن ادم داود منديل) كطبيبة و(محمد داود منديل) الذي اسلم وطبع الكتب الدينية والاذكار و(مجي منديل) الذي عمل في (سودانير) و (عزيزة آدم منديل) وهي فتاة جميلة حتى عرفت بين أهل الحي بطيبة المسالمة، وجمالها هذا أثر ثلاثة أحياء بام درمان، وهي حي العرب والأمراء والمسالمة، واسمها عزيزة آدم منديل وكتب فيها عدة قصائد شعرية منها، لي في المسالمة غزال للشاعر الفحل عبدالرحمن الريح وتغني ألتى وبها أولاد الموردة ومبارك حسن بركات، كما تغني الفنان أحمد المصطفى للشاعر سيد عبدالعزيز الذي كان يسكن بالقرب منها، وقد رآها ذات مرة فكتب فيها قصيدته (بنت النيل)¹⁵ (ابراهيم، 2018، بدون) وسوف نستعرض أبياتاً منها وذلك لخلود الأغنية في نفوس السودانيين وهي تدل أيضاً على سماحتهم وطيبتهم وتعاملهم مع أية جنس أو عرق بلا وضع اعتبار لخلفيات سابقة.

يا بنت النيل النيل أحب النيل يا جميل
 ظبية المسالمة وفي الخمايل حاله
 وفيك يا ظالمه يا ظالمه يا ظالمه

كما كتب فيها الشاعر عمر البنا قصيدة تغني بها العديد من فنانيين الحقيبة وقتها، وتعد من أغاني الحقيبة الأكثر رواجاً إلى الآن، ومازال يتغني بها الكثير من فنانيين الجيل المعاصر وهي كما يلي:¹⁶ (صفحة على الفيس بوك)

بالحاصل بي أنتي عارفة لكنك ظالمة يا ظبية يا ظبية المسالمة
 يا مريده يا عطوفه يا حاله في الأدب ممتازة وليك طبيعه مسالمة
 مهما نفرتي وقلتي لي عاشقك ظالمة بتمنى ليك يا عزيزة تعيشي راقية وسالمة
 أنتي عارفه فراقك ذي جهنم وأحمى ليه ما يبقي قلبك فيه شفقه ورحمه
 لوما جمالك المغربي النفوس مزدحمه أما صورتك ساكنه في الفؤاد ملتئمه
 قمر السبعين أكتمل وأدور والوصول لسماكي أصلو ما بتصور
 يا رشيقة المنظر بثقافتك وعلمك في الفهم متطور
 وين ياظبة المسالمة دي المسالمة

اما اسرة (عدس) التي تنحدر أصولهم من يهود سوريا، سكنوا ود مدني، وتتكون اسرتهم من اولاد (يعقوب وفيكتور وموسى وزكي إبراهيم عدس، وسوزان إبراهيم عدس)، التي هاجرت إلى الاسكندرية، بينما ميري إبراهيم عدس تزوجت من رجل يهودي يدعى (زكي مراد العيني) وبعد هزيمة 1967م هاجرة هذه العائلة الى نيجيريا وكالك عائلة آل (سلمون ملكا) وهو حاخام من يهود المغرب استقدمه يهود السودان من أجل إقامة الصلوات، وتعليم الصغار ومن أولاده (الياهو)

¹⁵ . الشاعر يوسف أبوبكر يوسف إبراهيم، ظبية المسالمة، على صفحته بالفيس بوك بتاريخ 2018/11/19م.

¹⁶ . توثيق الأغاني السودانية صفحة علي الفيس بوك، بتاريخ 2012/5/2م

وهو مؤلف كتاب (أطفال يعقوب في بقعة المهدي) اما (دورا) زوجة (الياهو) فلم يطب لها المقام بالبلاد فقد هاجرت إلى سويسرا، ومن أبناء الياهو ملكا (ايستر سلمون) و (فورتو سلمون) و (ادمون ملكا) الذي قام بتأليف كتاب (على تخوم الايمان اليهودي) وسكنت أسرة (سلمون) في حي المسالمة بأمر درمان، حيث كان يقيم الاقباط واليهود الذين اجبرهم الخليفة عبدالله على الدخول في الإسلام واسهم (سلمون) في ارتداد الكثيرين من يهود السودان عن الإسلام، حيث اقام لهم كنيسة داخل منزله بحي المسالمة لإقامة شعائهم الدينية وهناك عائلة (آل قاوون) الذين ينحدر منهم (نسيم قاوون)، ومنهم (ديفد قاوون) الذي سكن في بورتسودان، واصبح باش كاتب بالميناء و(نسيم ديفيد) واخوه (البرت)، وهذه الأسرة هاجرت إلى السويد في فترة الخمسينيات.¹⁷ (محمد، 2020، ص53)

بينما عائلة (آل باروخ) الذين قدموا إلى السودان عن طريق مصر وهم ينحدرون من يهود المغرب، واستقروا في ودمدني، وعملوا في تجارة الأقمشة ومنهم (زكي باروخ) و(ايستر باروخ) و(حزقيال باروخ) الذين هاجروا من السودان إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وهناك أيضاً عائلة (آل دويك)، وهم من يهود سوريا المتشددين، وكانوا يعملون في تجارة الأقمشة بأمر درمان، واستقر بعضهم بالخرطوم بحري كإسحق إبراهيم دويك، ودويك إبراهيم دويك، وأرون دويك، وشاباتي دويك، وزكي دويك، الذين كانوا يعملون في القطاع الخاص والتجارة العمومية بالسودان. وأسرة (آل تمام) بأمر درمان والخرطوم، ومنهم (إيلي تمام)، و(فيكتور إيلي تمام)، (إينز موريس تمام)، و(زكي والبرت)، وهؤلاء هاجروا إلى نيجيريا ومنها إلى بريطانيا، ثم الولايات المتحدة الأمريكية أما آل (كوهين) فقد استقروا في الخرطوم، وأسسوا عملاً تجارياً بالشراكة مع (عثمان صالح)، ومن أبناء هذه العائلة (ليون كوهين) الذي هاجر إلى سويسرا، وهناك عائلة (آل ساسون)، وعاشوا في كردوفان وكان جدهم يعمل مع الأمير يعقوب المشهور بجراب الرأي في عهد المهدي، وهاجروا للخرطوم، ومن أبناء هذه الأسرة أول سفير لدولة إسرائيل في مصر، بعد توقيع اتفاقية السلام في عهد الرئيس الراحل انور السادات.¹⁸ (محمد، 2020، ص52-53) حيث ذكر الدكتور الصيدلاني منصور اسحاق إسرائيل بنيامين، السوداني الجنسية بالميلاد: (أن والده كان دائماً يحدثه عن موسى ساسون بأنه رجل ذكي ونابغه ولا يقل ذكائه عن المؤسسين الأوائل لدولة إسرائيل، وقد هاجر مع اليهود الذين هاجروا من السودان، بعد إعلان دولة إسرائيل في العام 1948م وأصبح أول سفير بمصر، والآخرين هاجروا بعد أن وجدوا مضايقات من الرئيس جعفر نميري الذي قام بحركة تأميم واسعة ومصادرة لممتلكاتهم، لأن جدهم كانوا يعملون بتجارة الإنشاءات والجلود والذهب بين مصر والسودان).¹⁹ (إسرائيل، 2015م، قناة أم درمان)

بينما عائلة (آل عبودي) الذين عاشوا بالخرطوم بحري، ومنهم (موريس)، و(إبراهيم جوزيف عبودي)، و(شلومو) و(يوسف) و(داود)، وقد هاجروا لأمريكا بينما كانت تعمل عائلة (آل حكيم) في تجارة وتصدير نبات (السنمكة) والمنتجات الزراعية الأخرى كالكردي والرجل وغيرهما واشهرهم روفائيل وشالو وصمويل وجيرشون، وأصلان حكيم ونسيم شالوم. وهناك عائلة (آل الياهو) الذين كانوا يسكنون في منطقة نوري بالشمال، حيث كانوا يعملون في تجارة الأواني المنزلية، ولكن بعد فيضان النيل سنة (1948م) نزحوا إلى كريمة. ثم أسرة (آل مراد بسيبي)، ألتى استوطنت في بربر، وهناك أيضاً عائلة (آل المليح زابت)، ألتى استقرت بكسلا. وعائلة (آل قرنظلي) ألتى ارتبطت في بورتسودان، وكل تلك العوائل اليهودية كانت تعمل في التجارة المتنوعة والاستيراد والتصدير والخرادوات.²⁰ (محمد، 2020، ص54)

¹⁷ . حنفي عبدالله محمد، مرجع سابق، ص52.

¹⁸ . حنفي عبدالله محمد، مرجع سابق، ص 52-53.

¹⁹ . د. منصور إسحاق إسرائيل، في برنامج نادي الاعترافات، مقدم البرنامج عادل سيد أحمد، اسم البرنامج دولة اليهود في السودان، علي قناة أم درمان، بتاريخ، 2015/1/9م

²⁰ . حنفي عبدالله محمد، المرجع السابق، ص54.

الهجرة العكسية:

بدأت هجرة اليهود العكسية من السودان في العالم 1948م تاريخ اعلان إسرائيل متوجهين إلى أوروبا وأمريكا وإسرائيل وبعض دول الجوار، ثم زادت وتيرة هجرتهم بعد عام النكسة في حرب 1967م التي انتهت بإحتلال إسرائيل لأراضي عربية واسعة وهذه العائلات منها من هاجر ومنها من انتقل الى أقاليم مختلفة في السودان حيث تصاهروا مع السودانيين وذابوا في المجتمع، أما كيف يعيشون الآن وسط المجتمع السوداني فهو إما بدخولهم الاسلام او محافظين على هويتهم ولكن لا يظهر الاسم اليهودي إلا في الاسم الرابع او الخامس، وذلك حتى يبقوا في مأمن من أية مضايقات، وبعضهم اختار أسماء طوائف مسيحية لا تعترف بها الكنيسة مع يهوديتهم سرّاً وبعضهم كان يحمل أسماء عربية مثل المغربي والاستانبولي، وهي أسماء تدلل على الاماكن التي جاؤوا منها او عاش فيها أجدادهم او آبائهم في حقبة معينة من حياتهم.²¹ (محمد، 2020، ص56)

العلاقات الرسمية:

بدأت العلاقات الرسمية بين الحكومة الإسرائيلية وحكومة السودان في 1949م، أي بعد عام واحد عقب إنشاء دولة إسرائيل وذلك بتوقيع اتفاقيات عديدة، وألتي تضمنت اتفاقيات تجارية واتفاقيات أخرى خاصة بخطوط الطيران، فقد سُمح لطائرات العال الإسرائيلية وهي شركة طيران وطنية بالهبوط والتزود بالوقود في مطار الخرطوم وعبور الأجواء السودانية، وعلى إثر ذلك بلغت الصادرات السودانية إلى إسرائيل خلال الفترة من (1949-1953م) على التوالي (450.000)، (697.000)، (343.000)، (800.000) جنية إسترليني. ويقول جهاد عودة: (منذ العام 1951م اتضح أن هنالك بعثة تجارية إسرائيلية في الخرطوم قوامها (50) شخصاً لشراء المنتجات والبضائع السودانية إلى إسرائيل، عن طريق جنوب إفريقيا بسبب تعنت مصر في المقاطعة وإحكام رقابتها على ميناء بورتيسودان خلال فترة الحكم الثنائي). وفي 1954/3/3م وبمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث لإتحاد التجار السوداني الفيدرالي طلب الشفيع أحمد الحسن (الأمين العام لإتحاد عمال السودان)، من إتحاد العمل الإسرائيلي (الهستدروت) إرسال ممثلين للمؤتمر، الذي وجدته الإتحادات الإسرائيلية فرصة لمواصلة العلاقات التجارية بين البلدين.²² (عامر، 2011، ص25-29) يمكن القول أنه خلال هذه الفترة كان السودان تحت الإحتلال البريطاني ولايملك قراره وبمجرد أن نال استغلاله في العام 1956م قام بقطع علاقاته التجارية معها في العام 1958م.

لقاءات الزعماء السياسيين السودانيين مع الاسرائيليين:

1. علاقة حزب الأمة مع إسرائيل في العام 1953م

بدأت علاقة تجمع بين حزب الأمة وإسرائيل في العام 1953م، وذلك بذهاب وفد رفيع برئاسة السيد الصديق المهدي رئيس الحزب والسيد محمد أحمد عمر رئيس تحرير صحيفة النيل، وذلك عقب فشل الإنتخابات التي أجريت في العام 1953م، بهدف طلب الدعم ضد عبدالناصر، وكان ذلك في سفارة إسرائيل بلندن.

2. لقاء عبدالله خليل مع غولدا مائير في العام 1956م

بعد إستقلال السودان في العام 1956م، جمع لقاء بين غولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل مع رئيس حكومة السودان عبدالله خليل في فندق (أثنا) في باريس حيث كان وقتها الدكتور منصور خالد سكرتيراً لعبدالله خليل، واتفق الطرفان على

²¹ . نفس المرجع أعلاه، ص56.

²² . أنعام عامر، عمليات الموساد السرية في السودان، (الخرطوم: المكتبة الوطنية، مطابع السودان للعملة المحدودة، 2011م، ص25-29).

دعم إنتاج القطن السوداني وإرسال مهندسين زراعيين إلى السودان على أن يقوم السودان بالاعتراف بإسرائيل والسماح لطائرات العال الإسرائيلية التزود بالوقود في مطار الخرطوم خلال رحلتها إلى جنوب إفريقيا.²³ (عامر، 2011، ص32)

مما سبق يتضح أن إسرائيل تعرف جيداً ماذا تريد من السودان، وهذا يؤكد أيضاً مدى الثبات في خطتها الإستراتيجية، حيث نجدها قد حققت ذلك بتطبيع علاقاتها مع السودان بعد زوال نظام البشير، إذاً تسعى لتحقيق خطتها عبر الحكام والزعماء، إلا أن كل ذلك لم يحصل وقتها، فهي تسعى لتحقيقه مستقبلاً متى سنحت لها الفرصة.

3. لقاء الرئيس جعفر نميري برئيس وزراء إسرائيل أرئيل شارون في العام 1982م

ورد أيضاً لقاء الرئيس الأسبق المشير جعفر نميري برئيس وزراء إسرائيل حينها أرئيل شارون عام 1982م في يوغندا وتمخض عن ذلك اللقاء تنفيذ ترحيل الفلاشا إلى إسرائيل.²⁴ (محمد، 2020، ص70)

قضية اليهود الفلاشا:

الفلاشا²⁵ (عبدالسلام، 1994، ص2) اسم يطلق على اليهود من أصل إثيوبي، وهو يعني باللغة الأمهرية (المنفيون) أو (الغرباء) ويستخدمه الآشوريون من غير اليهود بموجب ما تسميه إسرائيل بقانون العودة (1950م) أكثر من 90000²⁶ (تشيوي، الرابط: www.sudaneseonline.com) من الفلاشا هاجروا إلى إسرائيل، وبشكل ملحوظ في عمليتين عرفتا بإسم موسى (1984م) وسليمان (1991م). وفي العام 1983م بدأت عملية تهجيرهم من إثيوبيا عبر السودان إلى بلجيكا ثم إسرائيل، حيث كانت الولايات المتحدة وإسرائيل من وراء ما تم التوصل إليه مع السودان من اتفاقيات بخصوص هذا الترحيل.²⁷ (عبدالسلام، 1994، ص11)

التقى رونالد ريقان نائب الرئيس الأمريكي بالرئيس جعفر نميري في السودان في مارس 1985م، وطرح له مسألة (اللاجئين اليهود) وقال له النميري: (أن لليهود مطلق الخيار في مغادرة السودان شريطة أن لا يتوجهوا إلى إسرائيل).²⁸ (كيوان، 2012، بدون) نلاحظ أن ريقان أطلق عليهم إسم لاجئين يهود، وهذا ليس صحيحاً، لأن تاريخ الفلاشا يرجع إلى بلقيس ملكة سبأ وهذا تأريخ بعيد جداً، فما بالك بإسرائيل الحالية التي تتواجد على الأراضي الفلسطينية، هذا التعبير فيه شرعنه لدولة إسرائيل، على اعتبار أن لليهود دولة بفلسطين، وهؤلاء الفلاشا مواطنين أصليين، كانوا بإسرائيل الحالية ونريد إرجاعهم إلى بلدهم، لأن مفهوم اللاجئ هو الشخص الذي يتواجد خارج دولته بسبب خوف مبرر من التعرض للإضطهاد لأسباب عرقه أو دينه أو إنتمائه إلى عضوية اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، وأصبح بسبب ذلك التخوف يفتقر إلى القدرة على أن يستظل بحماية دولته. وكل ذلك يتنافى تماماً مع حالة الفلاشا، إذاً هذه الإدعاءات ليست صحيحة. كما أنه من حق أية شخص أن يذهب إلى أية مكان أرادته ولو كان ذلك المكان إسرائيل، لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا يذهبوا عبر السودان؟ أليس بإمكان إسرائيل ترحيلهم من إثيوبيا؟، علماً بأنه تم ترحيلهم بطيران وليس بالبر، إذاً هنالك مقصود من

²³. نفس المرجع أعلاه، ص32.

²⁴. حنفي عبدالله محمد، مرجع سابق، ص 70

²⁵. التعريف بالفلاشا: ينحدر نسبهم إلى الملكة بلقيس ملكة سبأ، والفلاشا لا ينتمون إلى كتل اليهودية الرئيسية وهي الاشكنار و السفارديم، ويعيشون في مناطق معينة بالقرب من بحيرة تانا شمال غرب إثيوبيا، في قرى فقيرة، ويعمل رجالهم في مجال الزراعة ورعي الأغنام. الفاتح عبدالله عبدالسلام مسألة تهجير اليهود الأثيوبيين الفلاشا إلى إسرائيل، (العراق: العتبه المقدسة، مجلة دراسات إفريقية، العدد العاشر، 1994م)، ص2.

²⁶. أشرف تشيوي، دراسة يهود الفلاشا، مقال منشور بجريدة الشعب الجديدة، علي الرابط: www.sudaneseonline.com

²⁷. الفاتح عبدالله عبدالسلام، مسألة تهجير اليهود الأثيوبيين الفلاشا إلى إسرائيل، (العراق: العتبه المقدسة، مجلة دراسات إفريقية، العدد العاشر، 1994م)، ص11.

²⁸. مأمون كيوان، سودان سفاري، صحيفة إلكترونية شاملة، الفلاشا منبؤون في الكيان، 2012/11/8م، بدون صفحة.

قبل السياسة الأمريكية يتمثل في إشراك النظام السوداني في هذه العملية، وشرط النميري في ترحيلهم امن السودان هو أن لا يتوجهوا إلى إسرائيل مباشرة، ربما يخشى أن يلفت الأنظار إليه، لأن هنالك قانون مقاطعة بين السودان وإسرائيل، وإن علم ذلك الإعلام العربي والشارع السياسي السوداني، يعني هذا أنه ألغى القانون وبدأ تطبيقاً معها لذلك اشترط هذا الشرط، وفي تقديرى لم يفلح النميري التعامل مع هذه الحادثة، حيث كان بإمكانه رفض ترحيلهم والتعلل بحجة، أنه من الأفضل ترحيلهم من إثيوبيا مباشرة، أو قبول ترحيلهم من السودان لإسرائيل مباشرة لتحقيق مصالح وطنية، ويقوم بإخطار الأحزاب السياسية السودانية والحصول على موافقتها إزاء ذلك، وإن لم توافق وأراد ترحيلهم يمكن له على سبيل العلم وليس اشتراط موافقتهم أن يرسلهم، وأن يخطر الشعب السوداني بأن مصلحة السودان تقتضي ترحيلهم.

وفي رأى أن النميري لو فعل ذلك لكان معه عامة الشعب الذين لا ينتمون إلى الأحزاب السياسية، وربما لن يتأثروا بمناداة الأحزاب في الخروج إلى الشارع. وأيضاً كان هنالك دور لل نقابات المهنية تمثل في الإضراب عن العمل، كل هذه الأحداث مجتمعة عجلت بزوال نظام النميري. وتقول الوثائق الإسرائيلية أن الغرض من هذه العملية (عملية موسى)، كما أطلق عليها هو إنقاذ يهود الفلاشا من خطر المجاعة، حيث بدأت سلسلة وتمت بيسر تحت إشراف الرئيس الأمريكي الأب جورج بوش، بدأت في 18 نوفمبر 1984م، واستمرت ستة أسابيع فقط. قامت المخابرات الأمريكية بتنفيذ الدور المطلوب منها في عملية عرفت باسم (Beta)، كانت الخطة المتفق عليها بين أجهزة المخابرات السودانية والأمريكية تقتضي ترحيلهم ليس إلى إسرائيل مباشرة ولكن عبر بلد ثالث من المفترض أن يكون مالطا، لكن المخابرات الأمريكية قامت بنقلهم إلى إسرائيل مباشرة. وتسرب الخبر في 6 ديسمبر 1984م، عندما قامت مجموعة يهودية بوضع إعلان في المجلة الاسبوعية لليهود في واشنطن.²⁹ (sudaneseonline.com)

ذكر مستر ملتون بيردن (Melton Burden) وهو كبير ضابط المخابرات الأمريكية في الخرطوم، أنه في نهار أحد الأيام اتصل برئيس جهاز أمن الدولة والنائب الأول لرئيس الجمهورية آنذاك اللواء عمر محمد الطيب حيث قال له: (أن هناك يهوداً فلاشا دخلوا من ضمن اللاجئين الأثيوبيين إلى السودان ويتراوح عددهم (7.500 - 8.000) شخص عن طريق الحدود واستقروا في منطقة القضايف وتحديداً بالقرب من معسكر الشوك للاجئين، وأن الحكومة الأمريكية تريد أن يقبل السودان بترحيلهم).³⁰ (sudaneseonline.com)

يمكن القول أنه ليس من المعقول أن معلومات كهذه قد تكون مجهولة بالنسبة للإستخبارات السودانية وذلك لتوكلهم داخل أراضيها ولم يبقوا على الحدود. تولى جهاز الأمن الإشراف على عملية النقل هذه بمقابل متفق عليه حسب ما أتضح لاحقاً في محكمة الفلاشا بعد سقوط نظام النميري، وأن الصفقة تمت مباشرة بين ضابط المخابرات الأمريكية في السفارة بالخرطوم مع رئيس جهاز أمن الدولة اللواء عمر محمد الطيب ومن البداية كان واضحاً أن كل شروط النجاح باتت متوافرة ومنذ اللحظة الأولى.³¹ (sudaneseonline.com)

ويقول مدير الأمن الخارجي اللواء عثمان السيد: (دون الرجوع إلي كوزير للدولة ومديراً للأمن الخارجي، اختار اللواء عمر اثنين من إدارة الأمن الخارجي وهما بالتحديد وحسب الأقدمية؛ العقيد موسى اسماعيل سعيد مدير فرع حركات التحرير واللاجئين، والعقيد الفاتح عروه مدير فرع التنفيذ والمتابعة بإدارة الأمن الخارجي، كما اختار الفاتح عروه اثنين من ضباط الأمن الخارجي هما المقدم دانيال الذي كان يعمل في القضايف تابعاً لإدارة الأمن الخارجي، والرائد فؤاد بندر من فرع

²⁹ .sudaneseonline.com

³⁰ .sudaneseonline.com

³¹ . www.sudaneseonline.com

اللاجئين وكانت تعليمات اللواء عمر للفتاح عروه وموسى إسماعيل، بأن تتم هذه العملية مباشرة بينهم أي من وراء ظهر مدير الأمن الخارجي، وليس غريباً أن يدخل لاجئين من يهود الفلاشا إلى السودان، ولكن الغريب في الأمر الطريقة التي تمت بها العملية وإخفاء المعلومات عمداً حتى عن رئيس الجمهورية بل وتضليله، ولو كانت الأمور تسير في اتجاهها الطبيعي لتمت استشارتي أنا بصفتي مديراً للأمن الخارجي).³² (sudaneseonline.com)

وفي تقديري أن هذا الحديث من وزير الدولة اللواء عثمان السيد ليس صحيحاً، أراد تبرأه نفسه ورئيس الجمهورية من التهم التي طالتهم في محكمة الفلاشا بعد زوال نظامهم، وكيف لا يكون على علم بهذه العملية ويذكر أن اللواء عمر قد اختار اثنين من ضباط جهاز الأمن الخارجي ويذكر أسمائهم! هذه تفاصيل لا يعلمها إلا من كان شريك في هذه العملية، أذاً هو على علم تام بهذه العملية ويعضد هذا الرأي شهادة النائب الأول للرئيس نميري الفريق الدكتور عمر محمد الطيب حيث قال: (أنا أعطيت عثمان السيد فضل السيد توجيهات الترحيل بقرار من رئيس الجمهورية، وعثمان السيد كان المخطط والمنفذ والمتابع للعملية، وهو الذي اختار الضباط الذين نفذوا العملية، والذين لا أعرف منهم أحداً خلاف الفاتح محمد أحمد عروة).³³ (sudaneseonline.com)

هذا التناقض بين كلام الفريق عمر محمد الطيب النائب الأول للرئيس وكلام اللواء عثمان السيد مدير الأمن الخارجي يجعلنا بحاجة للإستشهاد بشهادة أخرى، ونجدها لدى وزير الدفاع المشير سوار الذهب حيث شهد في محكمة الفلاشا ضد رئيس الجهاز مستنكراً ذلك بقوله: (كيف لمدير الجهاز أن يجهل هذا الأمر)، إذاً يمكن القول أن وزير الدولة ومدير الأمن الخارجي عثمان السيد على علم بهذه العملية؛ بتعليمات من رئيس الجمهورية أتهم عبر النائب الأول للرئيس الفريق الدكتور عمر محمد الطيب. وتقول الدكتورة فاطمة عمر العاقب: (أن الرئيس نميري لم يكن على علم بهذه الصفقة، وكل الذي يعلمه من قبل ضباط الأمن هو أن هؤلاء لاجئين أثيوبيين يريدون الذهاب إلى خارج أفريقيا وتحتاجهم أمريكا، وهذه العملية توضح أن أجهزة المخابرات عملت على رسم سياسة السودان الخارجية وغيرت كثيراً من شكل السودان على الخارطة الدولية، فهذه العملية أطاحت بالرئيس نميري، وعندما أراد الرجوع إلى السودان كان الشارع السوداني قد خرج في مظاهرات وعلى إثرها منع من دخول السودان).³⁴ (العاقب، 2015م، بدون)

يمكن القول بأن حديثها صحيح من مضامين أن أجهزة المخابرات، عملت على رسم سياسة السودان الخارجية، وذلك بفضحها لهذه العملية، حيث كانت أحد الأسباب التي أدت لزوال نظامه. وما يعزز من قلبي بأن النميري على علم بهذه العملية؛ لقائه بنائب الرئيس الأمريكي رونالد ريجان وحديثه له عن اللاجئين اليهود، الذين ترغب أمريكا ترحيلهم إلى إسرائيل، وكذلك لاعتماده على الأجهزة الأمنية اعتماداً كلياً في إدارة شؤون البلاد، ولأن القبضة الأمنية والعسكرية على المجتمع كانت قوية جداً، وفي ظل هذا الوضع نجد صفوف الضباط من القيادات تكون على علاقة شخصية مع الرئيس، أي أنه يعين من يدينون له بالولاء، ومثل هؤلاء لا يمكن أن يتخذوا قراراً دون علمه، خصوصاً أن قراراً مثل هذا يؤثر على الرأي العام المحلي والإقليمي والدولي. وعلى الرغم من ذكرها ذهاب النميري للولايات المتحدة ليخبرهم بعدم علمه بهذه العملية، إلا أن ذهابه لأمريكا كان للاستشفاء، وقبل فضح هذه العملية، وخروج الشعب في مظاهرات ضد حكمه. وبسبب هذه العملية إتهم النميري بالخيانة العظمى وأثارت استياء الرأي العام العربي، وكانت إحدى العوامل التي عجلت بسقوطه.

³² . www.sudaneseonline.com

³³ . www.sudaneseonline.com

³⁴ . د. فاطمة عمر العاقب، محاضرة مقدمة في جامعة الزعيم الأزهري، لطلاب الماجستير، بتاريخ 2015/10/25م، عند الساعة الرابعة و النصف.

ولمعرفة وضعية الفلاشا في إسرائيل نجد أنه تم إستغلالهم في الأعمال الهامشية، وبناء المستوطنات والزراعة لتحسين أوضاع الاقتصاد الإسرائيلي، وثمة دوافع ديمغرافية أيضاً تبرر سعي إسرائيل إلى جلب اليهود الإثيوبيين واستيعابهم في التجمع الاستيطاني، فجلب يهود الفلاشا قد يحسن صورتها الموصوفة بالعنصرية. واجه يهود الفلاشا تمييزاً منهجاً ضدهم وعنصرية شديدة من اليهود، لأننا نشاهد في وسائل الإعلام خروج مظاهرات ليهود الفلاشا احتجاجاً لمقتل أحد شبابهم بحجج واهية تتمثل في فض مشاجرة بينه ويهودي من فترة لاحقة. كل ذلك يدحض من مقولة إسرائيل بأنها تخاف عليهم من خطر المجاعة. وتعتبر عملية الفلاشا هذه هي تعاملًا مع إسرائيل، بعكس ما كان سائداً في الحكومات التي سبقت النميري.

4. لقاء الرئيس عمر البشير برئيس الوزراء نتتياهو في يوغندا في العام 2017م

هنالك بعض الإشارات تدل على أن البشير قد إلتقى رئيس الوزراء الإسرائيلي نتتياهو، يتضح ذلك في فترة الثورة السودانية في ديسمبر 2018م، ألتى كان فيها الضغط الشعبي كبيراً على نظام البشير، حيث كانت المظاهرات تنادي (بتسقط بس)، ورفعت شعارات حرية سلام وعدالة والثورة خيار الشعب، لم يجد نظام الإنقاذ مفراً إلا بالتنازل عن مبادئه الماثلة في رفضه التعامل معها، فوجد نفسه مطراً لفتح الأجواء السودانية لعبور طائرة الرئيس الإسرائيلي نتتياهو القادمة من دولة تشاد ومتجهة إلى دولة جنوب السودان، حيث يتطلب الأمر موافقة الخرطوم. علق بروفييسور حسن الساعوري على ذلك بقوله: (لم يتبق من الدول العربية سوى دولة أو دولتان للإنضمام بركب التطبيع، وأن السودان يمكن له أن يفكر في الأمر إذ صدر قرار من الجامعة العربية، لأن السودان موقفه قائم على موافقتين، الأولى هي قرارات الجامعة العربية، والثانية هي موقف فكري سياسي مبدئي يرفض الإحتلال والاستعمار.

ومسألة عبور طائرة إسرائيلية الأجواء السودانية، تعتبر مقدمات؛ أي يمكن أن نتعامل مع الدولة المعتدية على أراضيها في حدود ضيقة، ويكون ذلك مفتاح إلى أن تتسع هذه الحدود وتلغى مرة واحدة، ويمكن أن تأتي المصالح وتكون الدراسة).³⁵ (قناة سودانية 24، 2019م) يتضح أن حديثه فيه رفض مقنن للتطبيع. لأن هنالك ضِعفاً حل بجامعة الدول العربية؛ من دول رافضة له في قمة الخرطوم ألتى خرجت منها اللات الثلاث، إلى دول تتعاقد معها ابتداءً من مصر قائدة المواجهة بتوقيعها اتفاقية كامب ديفد عام 1978م تلتها الأردن عام 1994م³⁶، (amp-dw-) com.cdn.ampproject.org ومنذ تلك اللحظة تساقطت الكثير من الدول واحدة تلو الأخرى لحوفاً بركب التطبيع، ولم يبق سوى الجزائر وسوريا والسودان قبل ثورة ديسمبر 2018م.

كما أن الدول ألتى طبعتم لم تلتزم بقرارات الجامعة العربية، ولم يصدر أية إجراء من الجامعة العربية ضدها، لأنه يمكن أن يحدث في ظل دول تتعامل صراحةً معها دون إذنٍ منها، وأصبحت كل دولة تقدم مصلحتها فقط. وما يشير أيضاً إلى أن هنالك لقاء تم بين البشير ونتتياهو هو إعلان محافظ بنك السودان المركزي بأن البنك المركزي تلقي خطاباً من مدير مكتب العقوبات الاقتصادية بوزارة الخارجية الأمريكية، يفيد بتأكيد إنتهاء كافة أشكال العقوبات الاقتصادية المفروضة على السودان بموجب الأمرين التنفيذييين (13067) و(13412) الصادرين منذ 12 أكتوبر 2017م. وأشار أنه بموجب إلغاء الأمرين فقد تم رفع العقوبات عن(157) مؤسسة سودانية ولم يبق ضمن العقوبات سوى بعض الأفراد والمؤسسات

³⁵. قناة سودانية 24: تستضيف بروفييسور حسن الساعوري ، في برنامج دائرة الحدث، للحديث عن دلالات عبور طائرة إسرائيلية الأجواء السودانية، تقديم سالم الهاشمي، بتاريخ 2019/1/22م، الساعة الثامنة مساءً.

³⁶ amp-dw-com.cdn.ampproject.org.

المرتبطتين بالأحداث في دارفور.³⁷ (m-youm7.com.cdn.ampproject.org) إذاً قرار رفع العقوبات الاقتصادية، قد صدر في عهد الرئيس البشير في العام 2017م ولكن لم يدخل حيز التنفيذ، ويشترط لدخوله إحراز تقدم أكبر في التفاهم معها، وما يرجح من مقولة أن الرئيس السابق عمر البشير التقى نتنياهو في يوغندا بحضور موسيقيي ونجوى قدح الدم³⁸ إذاً لأن تاريخ صدور القرار في العام 2017م وفتح المجال الجوي في مطلع العام 2019م كل هذه إشارات قد ترجح من أن البشير إلتقى نتنياهو في يوغندا لكن ليس معلوماً لنا تاريخه لأن هذه تحليلاتي.

5. لقاء البرهان مع نتنياهو في العام 2020م

أعلن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي: (أن نتنياهو التقى البرهان في عنتبي بأوغندا وأنهما اتفقا على بدء حوار من أجل تطبيع العلاقات بين البلدين).³⁹ (www.bbc.com) وفي هذا اللقاء أخرجت قوى إعلان الحرية والتغيير⁴⁰ خطاباً قالت فيه: (هذا تجاوز كبير ومرفوض، ونحن لم نكن على علم بهذا الاجتماع، ولم يتم التشاور معنا في أية وقت سابق، ونؤيد حق الشعب الفلسطيني في العودة وبناء دولته المستقلة، كما نتمسك بحق مجلس الوزراء في رسم السياسات الخارجية، ومركز اتخاذ القرار له ومن ثم وزارة الخارجية).⁴¹ (youtube.com/alghadpopular)

يتضح أنه لم يظهر خبر هذه الزيارة إلا بعد أن أظهرها الإعلام الإسرائيلي ماذا يعني هذا؟ ربما أرد بها رئيس الوزراء الإسرائيلي كسب الانتخابات المقبلة عليه، إلا أن ذلك لا يعني أنه يريد إظهارها من أجل الإعلام فقط، لأن درجة تقبل الشارع السوداني لإسرائيل ما زالت بعيدة، لكونه خارج من نظام يجاهر بالعداء لها، وأثر بأفكاره هذه على الكثيرين من أفراد الشعب. ومن ظاهر حديث قوى الحرية والتغيير رفضهم التام لمسألة التطبيع، بتقديمهم حق الشعب الفلسطيني في خطابهم، ماذا يعني هذا؟ يعني أنهم متمسكون بحق الشعب الفلسطيني أكثر من حقهم لذلك ذكروا بأن هذا تجاوز كبير ومرفوض، ومن ثم أرجعوا أمر التطبيع إلى مجلس الوزراء ومركز صنع القرار الذي يكن فيه التشاور معهم على هذا الأمر، وهنا نؤكد على خطئهم المفاهيمي، لأن مجلس الوزراء ليس مسئولاً عن رسم معالم السياسة الخارجية، إنما هي مسؤولية السلطة التشريعية ماثلة في البرلمان، وتنفيذها بوزارة الخارجية، وأرجع عدم استشارتها في هذا الأمر نسبة لعدم تجانسهما مع بعضها ورئيس مجلس الوزراء الذي أتت به، فما بالك بالمكون العسكري الذي ابتدر هذه الزيارة.

أخرج الدكتور عبدالله حمدوك في ذلك خطاباً قال فيه: (نرحب بالتعميم الصحفي للبرهان حول لقائه بنتنياهو، أن الطريق إلى التغيير الحقيقي في السودان ملئ بالتحديات والعقبات، ومع ذلك يجب أن نعي بأن الإلتزام بالأدوار والمسؤوليات المؤسسية أمر أساسي لبناء دولة ديمقراطية حقيقية؛ وانطلاقاً من هذا يجب على الهياكل الإنتقالية ككل ضمان المساءلة

³⁷. أ.د. بدرالدين عبدالرحيم إبراهيم، محافظ بنك السودان المركزي، تصريحه عن رفع العقوبات، بتاريخ 2020/3/4م علي الرابط: m-youm7.com.cdn.ampproject.org

³⁸. نجوى قدح الدم: سودانية الجنسية بالميلاد ومستشارة الرئيس الأوغندي يوري موسيقيي ومهندسة العلاقات بين تل أبيب والخرطوم. مهندسة مكنيكية وخبييرة في الطاقات المتجددة، عملت في وكالة ناسا، وهي متخصصة في الشرائح الدقيقة، ولديها دكتوراه في التنمية المستدامة ومشكلات البيئة، وعملت في الأمم المتحدة في عام 2000م، في عام 2018م منحها الرئيس عمر البشير وسام النيلين. وأصيبت بفيروس كورونا في نهاية العام 2020م وانت طائرته إسرائيلية لإنقاذ حياتها إلي أن حالتها كانت خطيرة لم تسمح بذلك.

³⁹. بتاريخ: 2020/2/4م علي الرابط: www.bbc.com

⁴⁰. قوى إعلان الحرية والتغيير، هي مكونات سياسية تشكلت من تجمع المهنيين والجمهورية وتحالف قوى الإجماع الوطني والتجمع الإتحادي المعارض تأسس في يناير 2019م.

⁴¹. القوى السياسية السودانية تعبر عن رفضها للقاء رئيس مجلس السيادة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو علي قناة الغد في اليوتيوب بتاريخ 2020/2/5م: youtube.com/alghadpopular

والمسؤولية والشفافية في جميع القرارات المتخذة).⁴² هذا الحديث اقل حده من قوى التغيير للمكون العسكري، ومضمونه أن رئيس الوزراء ليس موافقاً ولا معترضاً على اقامة علاقات معها من حيث المبدأ، ولكن يجب أن يتم ذلك الأمر على يد السلطة التشريعية بعد الانتخابات. وذكر المتحدث باسم القوات المسلحة السودانية: (أن اللقاء كانت دواعيه وكل حقائقه ومحادثاته تنصب في المصلحة العليا للسودان على اعتبار المصلحة المشتركة لا غير مع تثبيت ثوابت السودان تجاه القضية الفلسطينية).⁴³ (Aljazeera.net)

من خلال رجوع رئيس مجلس السيادة لمؤسسته العسكرية وإصدار تصريح اتضح أنه أراد إرسال رسالتين، أولها تهديد المكون المدني على أن الجيش بيده السلطة العليا فوق المكونات الأخرى، لأننا شهدنا بعض التصريحات من البرهان يقول فيها بأنه يريد تقويضاً من الشعب لإستلام السلطة لإزالة المكون المدني، والرسالة الثانية هي أن المكون العسكري هو المسئول من رسم السياسة الخارجية على اعتبار أن مصلحة البلاد وأمنها الداخلي والخارجي مسؤوليته، وقد يقصد من المصلحة العليا للسودان هو رفعه من قائمة الدول الراعية للإرهاب، اقتضت أن يتم هذا اللقاء وليس ذلك فحسب بل المصلحة المشتركة ألتى قد تتجم جراء رفعه من الحظر الاقتصادي ايضاً، ويعني هذا أن المؤسسة العسكرية داعمة لكل ما قام به البرهان، ولكن في نهاية حديثه ثبت بأن الرفض للتطبيع من الثوابت الوطنية للشعب السوداني، وهذا فيه رضوخ لضغوط الشارع السوداني وقوى الحرية والتغيير، لأن بداية حديثه فيه تضمين على أمر التطبيع، أذاً هذه مجرد كلمة لامتناس ردة الفعل ألتى قد تكون عنيفة إن صرح بها الجهاز التنفيذي للدولة، ولكن ليس كل الشعب رافضاً له.

وذكر البرهان أن لقاءه مع نتنياهو: (لم يتطرق إلى التطبيع، وإن الزيارة هي علاقات حسن نية يتجه بها السودان حالياً للتعامل مع العالم كله، ومن بينه إسرائيل ألتى لا فرق بينها وسويسرا. فالعالم قد تغير وعقلية الخمسينيات والستينيات لم تعد تجدي نفعاً، والشعارات لن تأتي بخبزاً أو وقوداً، والاتصالات مع نتنياهو ووزير الخارجية الأمريكي بدأت منذ ثلاثة أشهر وطُرح خلالها ما يستفاد منه السودان ولم نطلب توسط نتنياهو لرفع اسم السودان من القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب).⁴⁴ (Aljazeera.net) يمكن أن نستنبط من حديثه أنه يعيش الحالة السودانية من عدم توافر الخبز والوقود والدواء والكهرباء، كأنه أراد أن يقول أن اتصالاتنا معها بصدد توفيرها وتيسير سبل الحياة، وأنه مؤمن تماماً بضرورة تغيير عقلية الشعب السوداني ألتى سادت في الفترة السابقة وتم فيها رفض الصلح والتفاوض والاعتراف بها، وأن المصالح هي ألتى تحكم العلاقات الدولية، وليست المبادئ، وهنا يظهر التوافق في وجهات النظر بينه ورئيس مجلس الوزراء في رؤيتهم للعلاقات الخارجية.

الخاتمة:

مما سبق يتضح أن الوجود الإسرائيلي قديماً للعائلات اليهودية وكان لها دوراً كبيراً ومؤثراً في الحياة السودانية، بل وتأثر بهم السودانيون وأحبوهم لشخصهم. ولكن منذ استقلال البلاد لم تنشأ أية علاقات دبلوماسية بين البلدين، ونجد أن السودان قد شارك في الحروب العربية ضد إسرائيل منذ (1948 - 1987م). واستضافت الخرطوم قمة اللأئت الثلاثة المعروفة بقمة الخرطوم 1968/8/29م، وبعد هزيمة يونيو 1967م (النكسة)، درجت القيادات السياسية السودانية خلال العقود الماضية على تأكيد وقفهم جنباً إلى جنب مع فلسطين. حيث كان السودان أول دولة تستقبل قوات ياسر عرفات بعد طردهم من بيروت عام 1982م، وبنهايات حكم نظام الرئيس عمر البشير نجدهم تنازلوا عن موقفهم الراض للتطبيع وقاموا

⁴² . عبدالله حمدوك abdalla hammdok. علي صفحته في الفيس بوك، بتاريخ 2020/2/5م

⁴³ . عامر محمد الحسن: الناطق باسم القوات المسلحة، علي قناة الجزيرة علي اليوتيوب بتاريخ 2020/2/5م: Aljazeera.net

⁴⁴ . عبدالفتاح البرهان لقائه علي قناة الجزيرة علي اليوتيوب 2020/2/6: Aljazeera.net

بفتح المجال الجوي للطيران الاسرائيلي، وبعد أن جاءت حكومة الفترة الإنتقالية بقيادة حنرال البرهان نجده قد قام بزيارتين إلى يوغندا للقاء ننتياهو، وقامت القوى السياسية بإلغاء قانون مقاطعة إسرائيل مما يعتبر تحولاً كبيراً في مجرى السياسة الإسرائيلية تجاه السودان.

النتائج:

1. أن الطيبة والسجبة السويه هي متجذرة ومتأصلة في السودانيين دون تكلف، ومع كافة الأعراق ألتى من بينها اليهود.
2. ان يهود الفلاشا ليسوا بلاجئين، كما يزعم نائب الرئيس الأمريكي بيقن لدى لقائه بالنميري، وإنما هم مواطنون أثيوبيون تريد إسرائيل الإستفادة منهم.
3. توصلت الدراسة أن الرئيس نميري على علم تام بمسألة يهود الفلاشا.
4. العلاقات الرسمية كانت قبل الإستغلال ورجعت مجدداً مع تولي الجنرال عبدالفتاح البرهان زمام الحكم بالسودان بنفس الذى كان سائداً مع المستعمر البريطاني وهو فتح المجال الجوي لعبور طائرات العال الإسرائيلية.

التوصيات:

1. نوصي السودانيين بضرورة المحافظة على هذه السجبة السليمة في التعامل مع جميع البشر طالما انهم ظاهرياً لم يتبين عليهم ما يدعوا للحزر.
 2. نوصي متخذي القرار بالإستعانة بالعلماء والأكاديميين والمختصين حتى يفسروا لهم المصطلحات ولا ينجروا وراء زعم بعض المدعين كما حصل في مفهوم اللاجئ.
 3. يجب ان تكون هنالك خطة من قبل متخذي القرار في الحكومة السودانية ومحددة بجدول زمنية، تجيب على التساؤل المهم وهو مالذى نريده من الحكومة الإسرائيلية، وتكليف فريق عمل من الجانبين لمتابعة التنفيذ.
 4. يجب على متخذي القرار في السودان أخذ الحيطة والحزر في تعاملهم مع الحكومات الإسرائيلية
- المصادر والمراجع:

1. بد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة: دار الشروق، 2003م.
2. هاني الهندي، هرتزل والدولة اليهودية: قراءة في الفكر الصهيوني المبكر، ب.م، ب.ت.
3. طاهر شاش، الصراع في الشرق الأوسط من هيرتزل إلى شارون، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، 2008م.
4. أحمد المنتصر حيدر، التعاون الإسرائيلي مع دول حوض النيل وتأثيره على الأمن المائي السوداني، أعمال المؤتمر العلمي الثامن للجمعية السودانية للعلوم السياسية، الخرطوم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 13-15 فبراير 2017م.
5. القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية. (26)
6. حمدي عبد الرحمن، إسرائيل وإفريقيا في عالم متغير: من التغلغل إلى الهيمنة، القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، برنامج الدراسات المصرية الإفريقية، 2001م.
7. حنفي عبد الله محمد، ملف اليهود التاريخي بالسودان، الخرطوم: الأكاديمية العليا للدراسات الإستراتيجية والأمنية، مجلة الدراسات الدولية، العدد الأول، ديسمبر 2020م.
8. سهام صالح، اليهود في السودان ماضي لن يُنسى، مجلة الفيصل الإلكترونية، 27 ديسمبر 2016م. الرابط :

www.alfaisalmag.com/?p=3832

9. جبرائيل واربورج، المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة، ب.ن، 1989م.
10. يوسف أبو بكر يوسف إبراهيم، طبية المسالمة، منشور على صفحته في فيسبوك بتاريخ 2018/11/19م.
11. توثيق الأغاني السودانية، صفحة فيسبوك، بتاريخ 2012/5/2م.
12. منصور إسحاق إسرائيل، دولة اليهود في السودان، برنامج نادي الاعترافات، تقديم عادل سيد أحمد، قناة أم درمان، 2015/1/9م.
13. أنعام عامر، عمليات الموساد السرية في السودان، الخرطوم: المكتبة الوطنية، مطابع السودان للعملة المحدودة، 2011م.
14. الفاتح عبد الله عبد السلام، مسألة تهجير اليهود الأثيوبيين (الفلاشا) إلى إسرائيل، العراق: العتبة المقدسة، مجلة دراسات إفريقية، العدد العاشر، 1994م.
15. أشرف تشيوي، دراسة يهود الفلاشا، مقال منشور في جريدة الشعب الجديدة، على الرابط : www.sudaneseonline.com
16. مأمون كيوان، الفلاشا منبوزون في الكيان، صحيفة إلكترونية سودان سفاري، 8 نوفمبر 2012م.
17. فاطمة عمر العاقب، محاضرة مقدمة في جامعة الزعيم الأزهرى لطلاب الماجستير، 25 أكتوبر 2015م.
18. قناة سودانية 24، برنامج دائرة الحدث، استضافة بروفيسور حسن الساعوري للحديث عن دلالات عبور طائرة إسرائيلية الأجواء السودانية، تقديم سالم الهاشمي، 22 يناير 2019م.
19. amp-dw-com.cdn.ampproject.org
20. بدر الدين عبد الرحيم إبراهيم، تصريح محافظ بنك السودان المركزي حول رفع العقوبات، 4 مارس 2020م. الرابط : m-youm7.com.cdn.ampproject.org
21. نجوى قدح الدم، مهندسة العلاقات بين تل أبيب والخرطوم، سيرة ذاتية منشورة، 2020م.
22. www.bbc.com
23. قوى إعلان الحرية والتغيير، مكونات سياسية تشكلت من تجمع المهنيين والجهة الثورية وتحالف قوى الإجماع الوطني والتجمع الاتحادي المعارض، تأسست في يناير 2019م.
24. القوى السياسية السودانية تعبر عن رفضها للقاء رئيس مجلس السيادة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، قناة الغد على يوتيوب، 5 فبراير 2020م. الرابط : youtube.com/alghadpopular
25. عبد الله حمدوك، منشور على صفحته في فيسبوك، 5 فبراير 2020م.
26. عامر محمد الحسن، تصريح الناطق باسم القوات المسلحة السودانية، قناة الجزيرة، يوتيوب، 5 فبراير 2020م. الرابط : Aljazeera.net
27. عبد الفتاح البرهان، لقاء على قناة الجزيرة، يوتيوب، 6 فبراير 2020م. الرابط : Aljazeera.net

ARTICLE DE RECHERCHE

L'apport des espaces verts dans la création des villes durables: cas de la ville de Safi

Gargouri Nouredine¹, Mohamed Mansoum², Abdelhadi Elmimouni²

¹ Doctorant, Laboratoire de géomorphologie, environnement et société (faculté des lettres et sciences humaines de Marrakech, université cadi ayad (Marrakech).

² Professeur dans la faculté des lettres et sciences humaines de Marrakech, université cadi ayad (Marrakech) .

Email du correspondant : nouredinegargouri@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/12>

Reçu le 07/10/2025

Accepté le 15/10/2025

Publié le 01/11/2025

Résumé

Bien que la ville de Safi a connu la prolifération des activités polluantes conséquentes et une explosion démographique exponentielle, on note une insuffisance en matière de création des espaces verts tant au niveau quantitatif que qualitative, ce qui sous-estime les bienfaits écosystémiques incontestables qu'ils peuvent offrir en vue d'atténuer leur impact écologique. Dans ce contexte, cet article traite la problématique suivante : **Dans quelle mesure l'évolution et la gestion des espaces verts dans la ville de Safi répondent aux attentes de sa population et servent leur épanouissement dans une ville durable ?**

Pour traiter cette problématique j'ai procédé au suivi de l'évolution quantitative des espaces verts urbains, via des images satellitaires qui couvrent les années 2004-2014-2024, en plus, dans l'intention de combler les lacunes existantes en termes du manque de statistiques qui couvrent la période de la deuxième moitié du 21ème siècle, j'ai jugé utile de me servir des travaux qui ont été menés par Monsieur (Fnini Abdelhalim, 2007) et de la documentation du service de l'environnement de la commune urbaine de Safi qui couvre la partie de 1950 jusqu'à 2004.

Pour essayer d'identifier les raisons qui ont régi ces transformations spatio-temporelles, des entretiens ont eu lieu avec les autorités compétentes. Pour identifier la perception des habitants vis-à-vis de la qualité de la gouvernance des espaces verts, un formulaire a été fait en la matière, soutenu par des fiches d'observation et de recensements sur le terrain.

Bien que des efforts colossaux ont été consentis de la part des gestionnaires en termes d'accessibilité des espaces verts, d'autant plus que le ratio, faisant état de 11,85 m² /habitant, assure le stricte minimum préconisé par l'organisation mondiale de santé(OMS) et qui fait état de 10 m²/habitant, les perceptions des habitants expriment un manque flagrant de satisfaction en ce qui concerne la gestion des espaces verts, aussi bien au niveau qualitatif que quantitatif, en plus, les résultats affichent un déficit consistant au niveau d'attractivité des espaces verts et une absence d'équité en termes de leur distribution spatiale, d'où la nécessité de doubler les efforts et d'adopter une gestion intégrée pour booster l'offre et assurer une exploitation durable de ces espaces en vue d'atténuer l'impact des changements climatiques qui ont déjà commencé à se faire sentir dans la zone étudiée.

Mots Clés: Espaces verts, ville de Safi, ratio, gestion.

RESEARCH TITLE**The contribution of green spaces to the creation of sustainable cities: the case of the city of Safi****Abstract**

Although the city of Safi has seen a proliferation of consequent polluting activities and an exponential demographic explosion, there is a shortfall in the creation of green spaces both quantitatively and qualitatively, which underestimates the undeniable ecosystemic benefits they can offer in mitigating their ecological impact.

Against this backdrop, this article addresses the following issue:

To what extent do the development and management of green spaces in the city of Safi meet the expectations of its population and serve their development in a sustainable city?

To address this issue, I monitored the quantitative evolution of urban green spaces, using satellite images covering the years 2004-2014-2024. In addition, with the intention of filling the existing gaps in terms of the lack of statistics covering the period of the second half of the 21st century, I found it useful to make use of the work carried out by Mr. (Fnini Abdelhalim, 2007) and the documentation of the environmental department of the urban commune of Safi, which covers the period from 1950 to 2004.

In an attempt to identify the reasons behind these spatio-temporal transformations, interviews were held with the relevant authorities.

To identify residents' perceptions of the quality of governance of green spaces, a form was filled in, supported by observation sheets and field surveys.

Although considerable efforts have been made by managers in terms of accessibility to green spaces, especially as the ratio of 11.85 m²/inhabitant ensures the strict minimum recommended by the World Health Organization (WHO), which is 10 m²/inhabitant, residents' perceptions express a flagrant lack of satisfaction with the management of green spaces, both qualitatively and quantitatively. Moreover, the results show a consistent deficit in the attractiveness of green spaces and a lack of equity in terms of their spatial distribution, hence the need to double efforts and adopt integrated management to boost supply and ensure sustainable use of these spaces with a view to mitigating the impact of climate change, which has already begun to make itself felt in the study area.

Key Words: Green spaces, city of Safi, ratio, management.

1. Introduction

L'étalement urbain qu'a connu les villes, rendant la population désormais citadine depuis 2009 (Stébé, J-M. et Marchal, H., 2010) et *le caractère dominant de la fonction économique des villes et qui* sont responsables de la rareté des espaces publics de sociabilité, des séparations physicospatiales des groupes sociaux, des stress liés au navettage et aux embouteillages, ce qui avaient certainement un impact sur la santé et le bien-être des citoyens ((Simard ; M, (2014), (Déoux ; S, 2020)), et *compromettaient ainsi la durabilité des ville*(ZABRÉ; N; G et al , 2024), exigent plus que jamais de la part des gestionnaires un déploiement conséquent des efforts en termes de création des espaces verts, tant au niveau quantitatif que qualitatif dont l'exemple est illustré par le passage de la France à l'adaptation des espaces verts à la gestion sans pesticides (Lefebvre ; M et al, 2021), en vue d'un accroissement harmonieux des villes qui emprunte la voie d'un développement durable, (A. Ali-Kodja, 2010), car ces espaces représentent un rempart au mouvement continu d'urbanisation (J. Choumert, 2009), d'autant plus qu'ils assurent le bien-être de l'individu et des sociétés (OMS, 2022), via les fonctions écologiques(purification de l'air, la conservation de la biodiversité et la régulation de la température (L. Laura, 2012), de régulation : la séquestration du carbone (Z. Davies, 2011)), urbanistiques, sociales(lieux de rencontres servant la cohésion sociale), sanitaires(la réduction des symptômes cardiovasculaires et des troubles respiratoires (E. Richardson, 2010)), psychiques(l'amélioration de la capacité de concentration (Faber ;T; A, 2009)); de renforcement de l'attachement communautaire (Arnberger ; A, 2012) et économiques très importantes(la réduction des risques d'inondation et à une plus-value immobilière (Hoshino ; T et Kuriyama ; K, 2010)).

Bien que la ville de Safi a connu d'une part, à partir des années 1960, une grande dynamique en termes de prolifération des activités polluantes industrielles telle que : OCP, la station thermique, les unités de valorisation des produits de la mer, les unités de textile, et d'autre part, une explosion démographique où la population urbaine de Safi est passée de 25.159 hab en 1936 à 321.581 hab en 2024(RGPH, 2024), on note une insuffisance en matière des espaces verts tant au niveau quantitative que qualitative.

Dans ce contexte, cette communication se veut une participation pour traiter la problématique suivante : **Dans quelle mesure l'évolution et la gestion des espaces verts dans la ville de Safi répondent aux attentes de sa population et servent leur épanouissement dans une ville durable ?**

L'hypothèse de la recherche stipule que les aménagements et l'urbanisation de la ville de Safi sont faits au détriment des espaces verts et du bien-être de la population et en font un écosystème déséquilibré et une ville non écologique.

2. Matériels et Méthodes

2.1 Localisation de la zone d'étude

La région étudiée fait partie du domaine de la Meseta marocaine, étant le substratum de la portion occidentale du pays, plissé à l'époque hercynienne puis érodé et recouvert de sédiments secondaires et tertiaires (Gentil,L, 1918) in (Anechade,M., Ejlaïdi,M , 2014).

La province de Safi fait partie de la région Marrakech Safi, s'étalant sur une superficie de 3633 km². Elle est délimitée au Nord par la province de Sidi Bennour, à l'Est par celle de Youssoufia, aux Sud par la province d'Essaouira et à l'ouest par la côte atlantique.(HCP Direction provincial de Safi, 2016).

La commune urbaine de Safi se situe entre 32°20' et 32°12' de latitude nord et entre 9°17' et 9°11' de longitude Ouest. Elle est délimitée au nord par la commune rurale Hrara, au nord est

et l'est par les deux communes Saadla et khatazakane, au sud par Oulad Salmane et à l'ouest par la côte atlantique, s'étendant sur une superficie de 74 km²(Figure: 1), et une zone côtière de 16km (PAC de Safi, 2016).

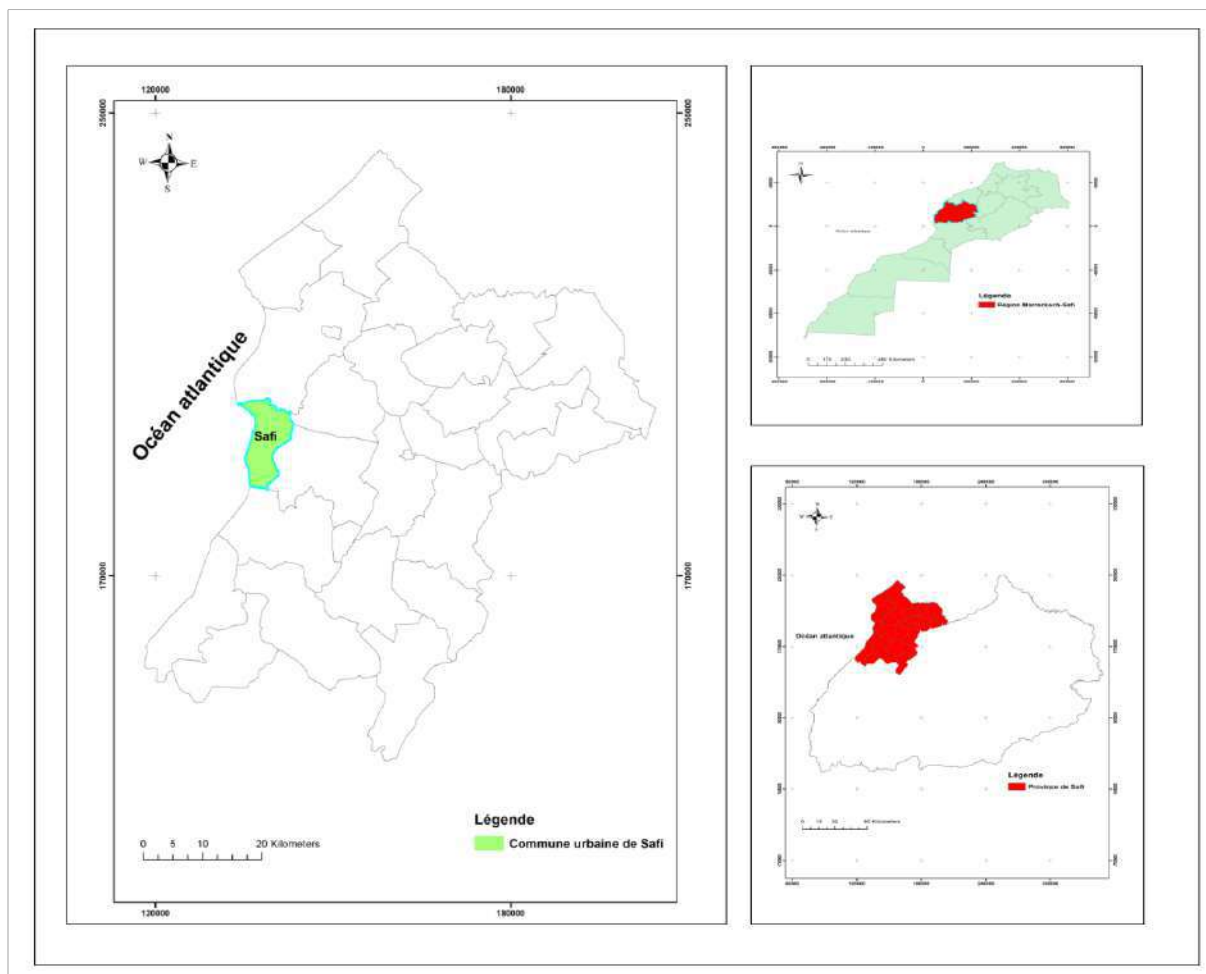


Figure: 1 Localisation de la zone d'étude

Source: Arcgis 10.4.1

2.2 Source d'information pour l'analyse de l'évolution spatio-temporelle et l'identification de la gouvernance des espaces verts à Safi

Pour traiter cette problématique j'ai procédé au suivi de l'évolution quantitative de la surface des espaces verts, via des images satellitaires qui couvrent les années 2004-2014-2024, en plus, dans l'intention de combler les lacunes existantes en termes du manque de statistiques qui couvrent la période de la deuxième moitié du 21ème siècle, j'ai jugé utile de me servir des travaux qui ont été menés par Monsieur (Fnini Abdelhalim, 2007) et de la documentation du service de l'environnement de la commune urbaine de Safi qui couvre la partie de 1950 jusqu'à 2004.

Pour identifier la perception des usagers, j'ai opté pour l'échantillonnage à l'aveuglette qui fait partie des méthodes d'échantillonnage non probabilistes. Pour ce faire, j'ai adressé mon questionnaire à 20% des étudiants de S4 de la filière de géographie à la FPS de Safi en 2022, toute tranches d'âge confondues (figure : 3) prenant en compte leur distribution spatiale dans la ville de Safi (Figure: 2).

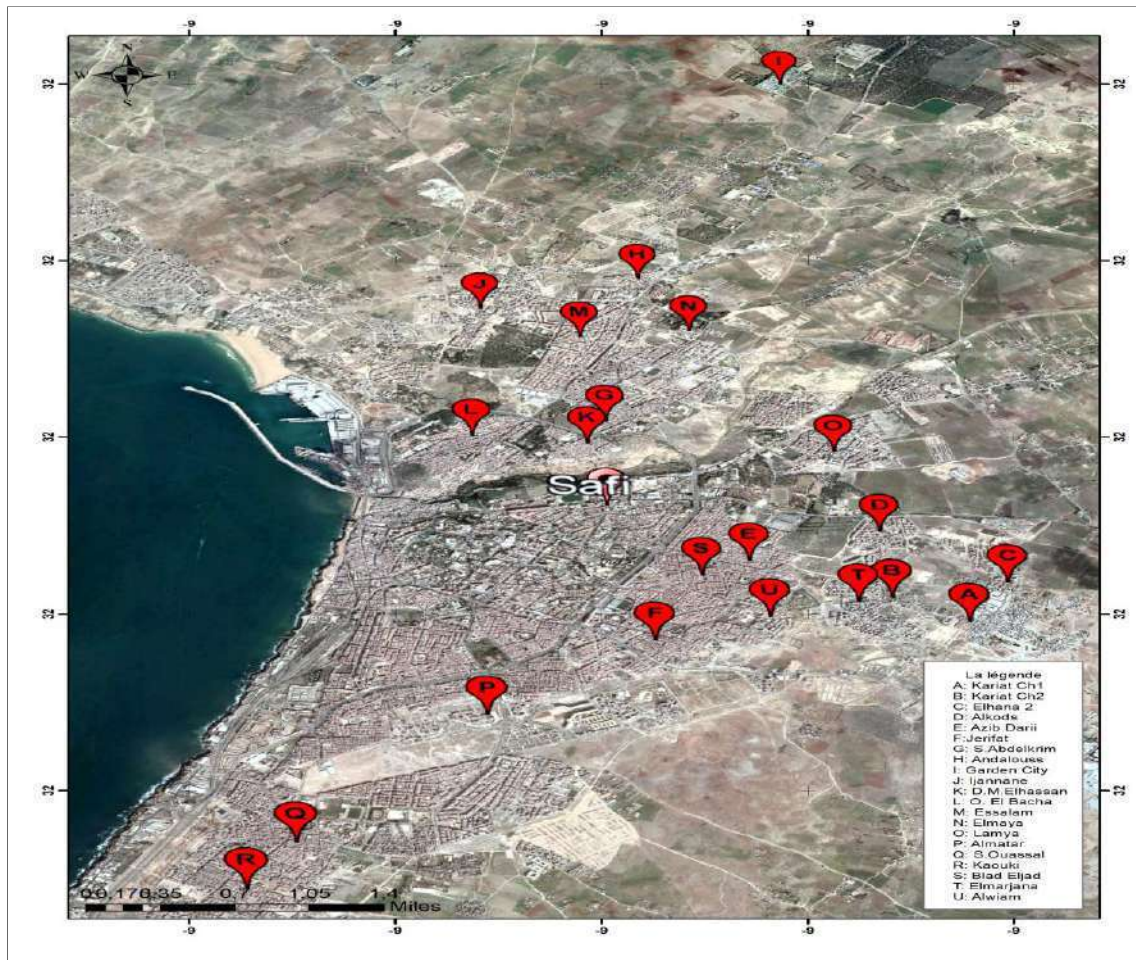


Figure :2 localisation des lieux de résidence des enquêtés. Source : Google eart pro (enquête en Avril 2022)

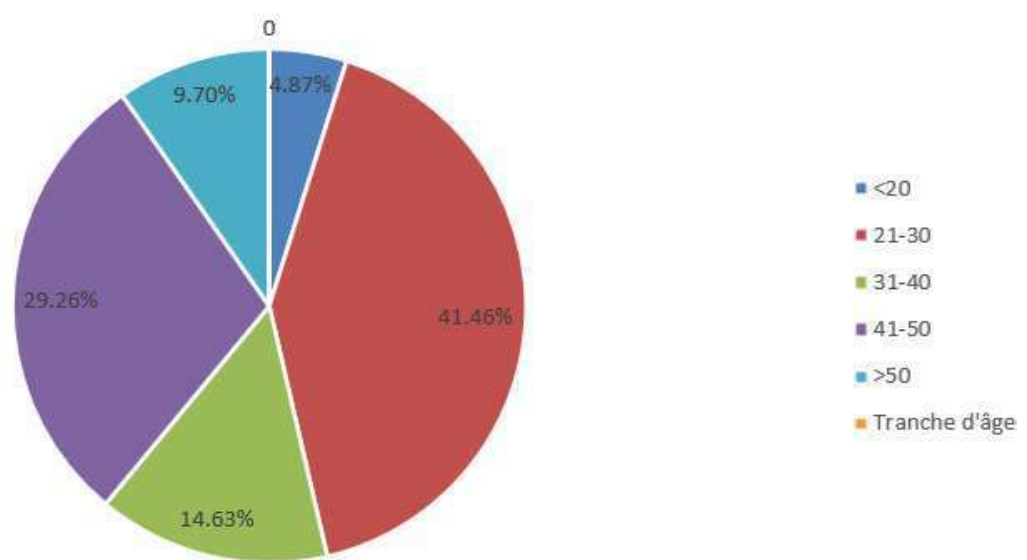


Figure : 3 Répartition des tranches d'âges des personnes enquêtés.

Source: Enquête en Avril 2022.

L'identification de la durabilité des espaces verts se faisait via des paramètres tels que l'accessibilité, l'attractivité de 32 jardins publiques (Figure : 5), le ratio, et la répartition spatiale de ces espaces dans la ville de Safi. Une visite de terrain guidée par une fiche technique renfermant des sous-critères des deux premiers paramètres et qui seront ensuite pondérés selon leur importance et quantifiés (Tableau: 1 et 2), couplée par des entretiens avec les gestionnaires (Figure: 4) ont permis de mieux saisir leur état de lieu.

Nous partons du postulat que le développement, l'aménagement et l'urbanisation de la ville de Safi sont faits au détriment de la durabilité des espaces verts et de l'épanouissement de la population et en font un écosystème déséquilibré.

Tableau :1 Quantification de l'accessibilité des espaces verts et des parcs dans la ville de Safi

Paramètre de durabilité et sa cartographie	Sous-critères d'accessibilité	Notation		Espaces verts					
				1	2	3	4	5	...
L'accessibilité	Proximité de la route	Oui	1point						3
		Non	0point						2
	Disponibilité du transports	Oui	1point						
		Non	0point						
	Accès praticable	Oui	1point						
		Non	0point						
	Mode d'accès(gratuit)	Gratuit	1point						
		Payant	0point						
	Période d'accès	(7/Semaine)	2point						
		<7Jours/Semaine	1point						
		(24Heures /24)	3point						
		(12 heures/24)	2point						
		(6heures/24)	1point						
	Total	.../9							
	Pourcentage	%							
Couleur du paramètre affichée dans la carte :(3)	Vert	Très bonne accessibilité		x=100%					
	Jaune	bonne accessibilité		70%<x<100%					
	Rouge	Assez bonne accessibilité		50%<x<70%					

Source : Travail personnel

Tableau :2 Quantification de l'attractivité des espaces verts et des parcs dans la ville de Safi

Paramètre de durabilité et sa cartographie	Sous-critères d'attractivité	Notation		Espaces verts					
				1	2	3	4	5	32
L'attractivité	Sièges	Oui	2point						
		Non	0point						
	Eclairage	Oui	2point						
		Non	0point						
	Poubelles	Oui	1point						
		Non	0point						
	Toilettes	Gratuit	2point						
		Payant	0point						
	Salubrité des espaces verts	Salubre	2point						
		insalubre	0point						
	Fontaines	Oui	1point						
		Non	0point						
	Restaurants	Oui	2point						
		Non	0 point						
	Café	Oui	2point						
		Non	0 point						
	Parc de jeux	Oui	2point						
		Non	0 point						
	Agents de sécurité	Oui	2point						
		Non	0 point						
	Pavé	Oui	1 point						
		Non	0 point						
	Bancs	Oui	1 point						
		Non	0 point						
	Pelouses	Oui	2point						
		Non	0 point						
		Moitié	1point						
	Aspect visuel maîtrisé	Oui	1point						
		Non	0 point						
	Commerçants ambulants	Oui	1point						
		Non	0 point						
	Naturalité	Calme	1point						
		Air pur	1point						
		Fleurs	1point						
		Ombre	1point						
		Non	0 point						
	Arbres fruitiers	Oui	1point						
		Non	0 point						
	Divertissement(adultes)	Oui	1point						
		Non	0 point						
	Total	.../30							
	Pourcentage	%							
Couleur du paramètre affichée dans la carte :()	Vert	Bonne attractivité		X>70%					
	Jaune	Assez bonne attractivité		50%<x<70%					
	Bleu	Attractivité passable		40%<x<50%					
	Rouge	Attractivité très faible		X<40%					

Source : Travail personnel

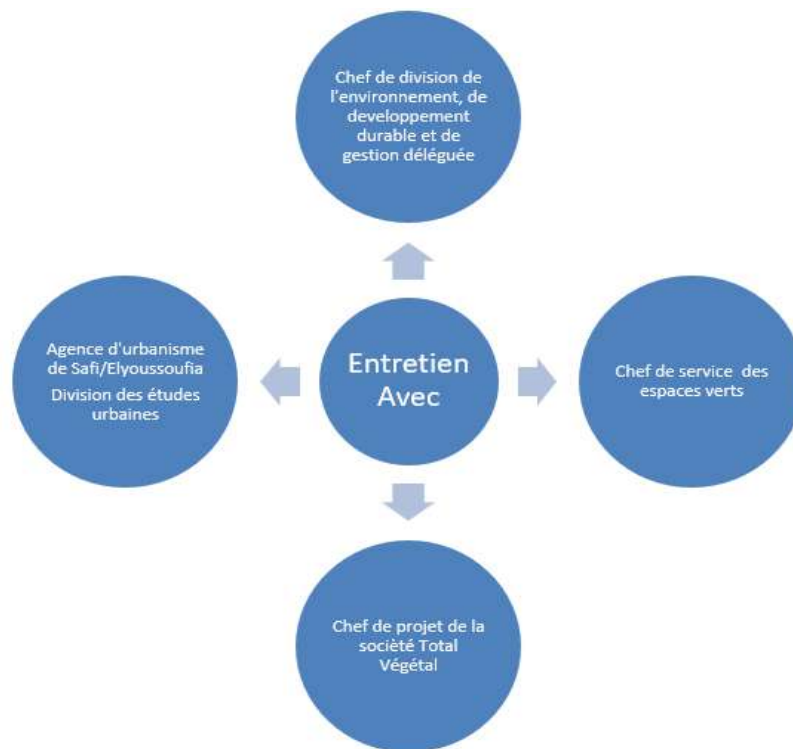


Figure : 4 Liste des entretenus pour l'identification d'état de lieu des espaces verts de la ville de Safi

Source: Travail de terrain en Juin 2025

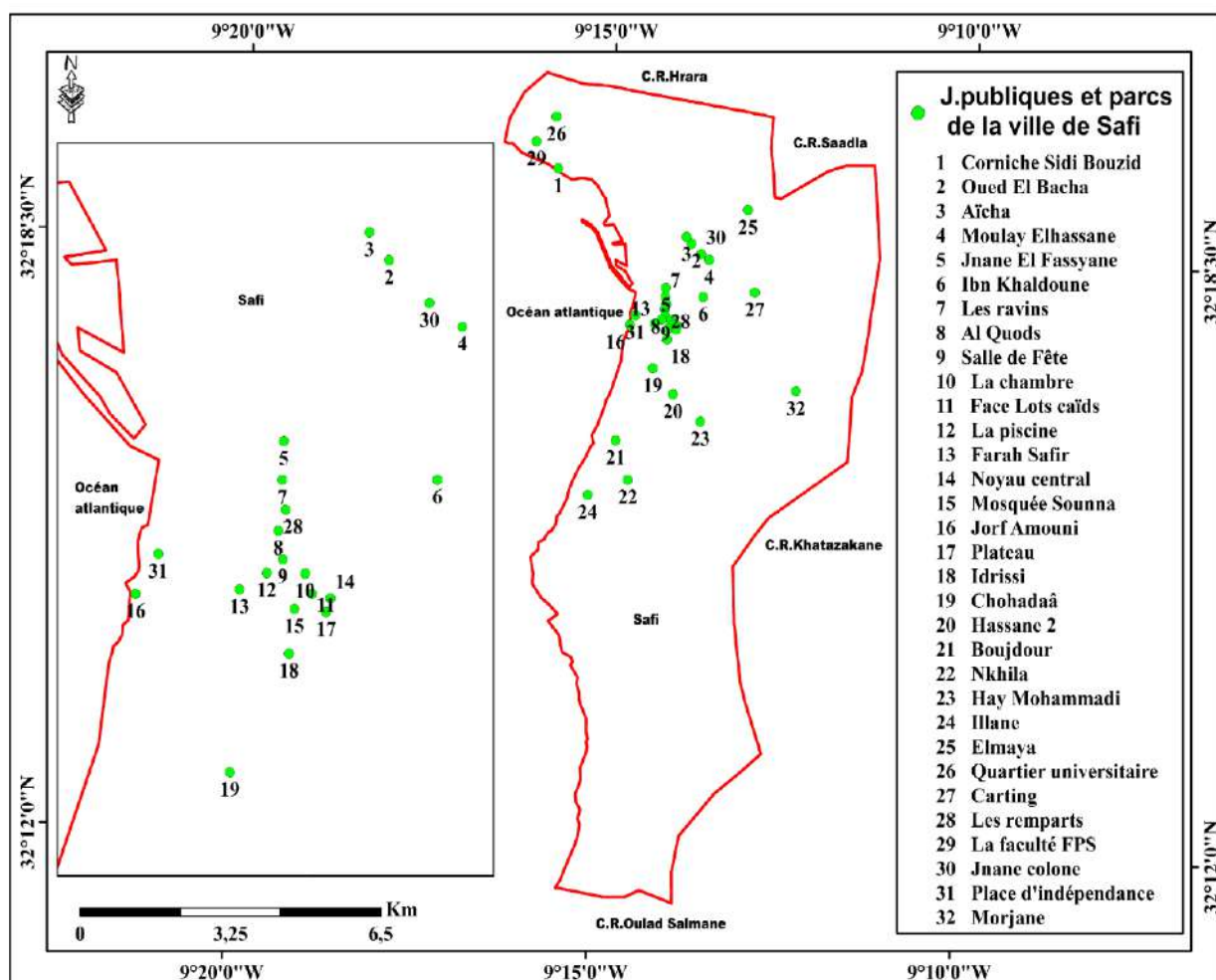


Figure : 5 Localisation des jardins publique et des parcs quantifiés dans la ville de Safi

Source: Travail personnel. Arcgis 10.4.1

3. Résultats

3.1 Etat de lieu des espaces verts dans la ville de Safi

Les espaces verts à Safi, qui font état de 193ha, représentent 2,71% de la surface globale de la ville (Fnini, A, 2007) et dont la typologie (Figure: 7) montre une dominance du boisement avec un pourcentage de 63,88% ce qui dépasse 120 ha (figure : 8), suivi des jardins publics et des jardins de quartier avec un pourcentage consécutif de 16,25% et de 9,29% (figure : 7) ce qui avoisine 40ha (figure : 8), d'autant plus que la figure: 6 montre que la plupart de ces espaces verts est concentrée au centre de la ville de Safi, ce qui illustre une grande défaillance enregistrée en termes de création des espaces verts en vue d'accompagner le processus d'urbanisation de la ville et une absence d'équité au niveau de leur distribution spatiale.

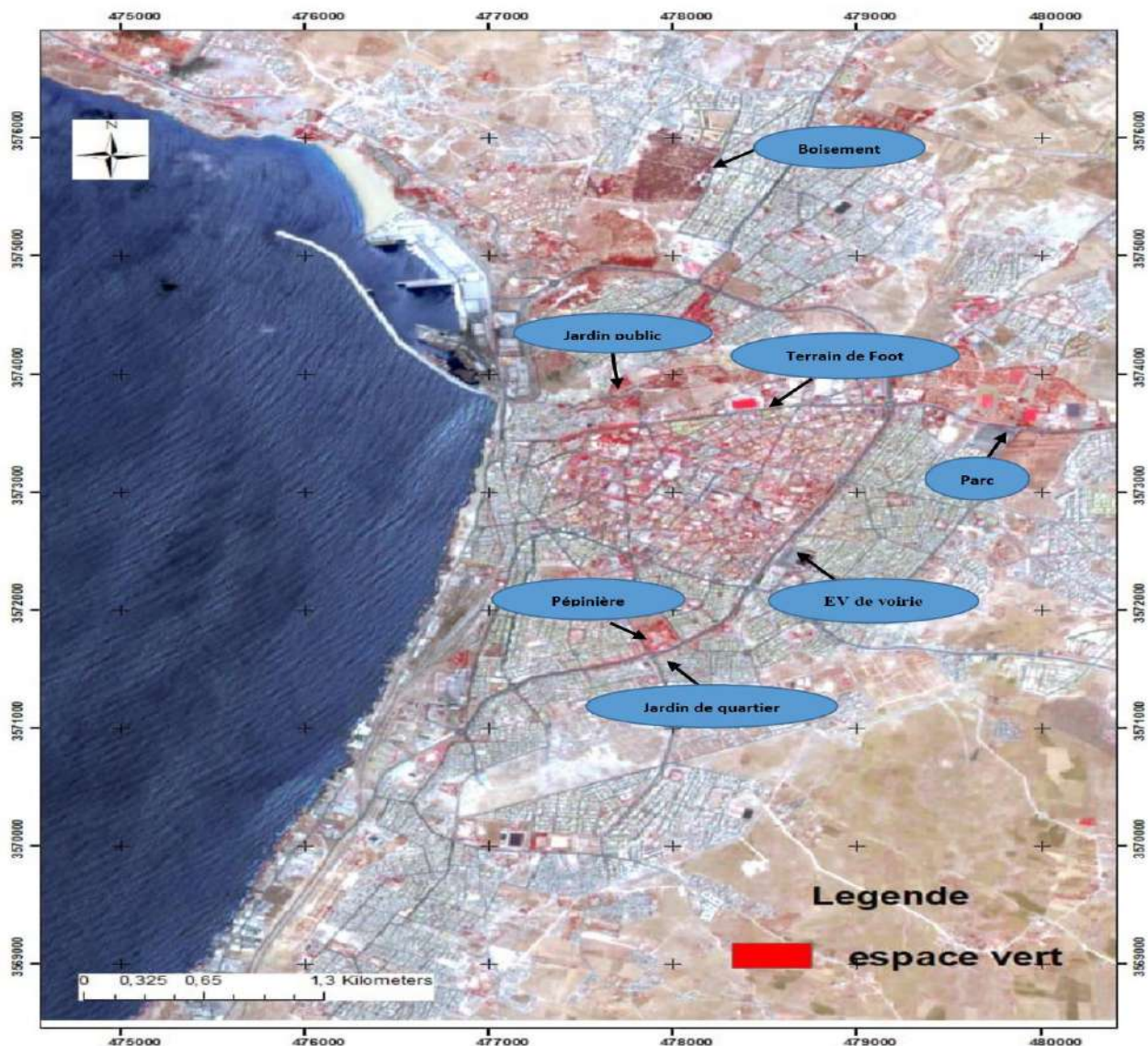


Figure: 6 Mise en valeur des espaces verts de Safi (technique de fausse couleur) Source: Sat (sentinel) à partir du site USGS en 2022

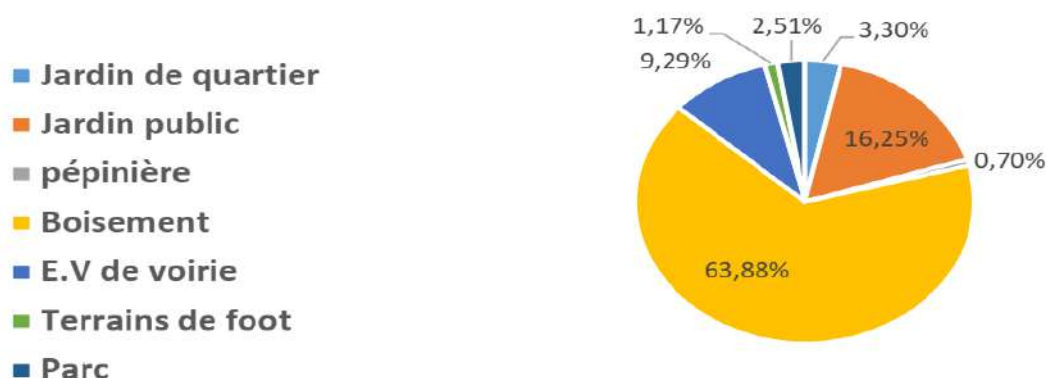


Figure: 7 Typologie et représentativité des espaces verts dans la ville de Safi

Source: Travail personnel basé sur la documentation de la C.U de Safi in(Fnini ; A, 2007)

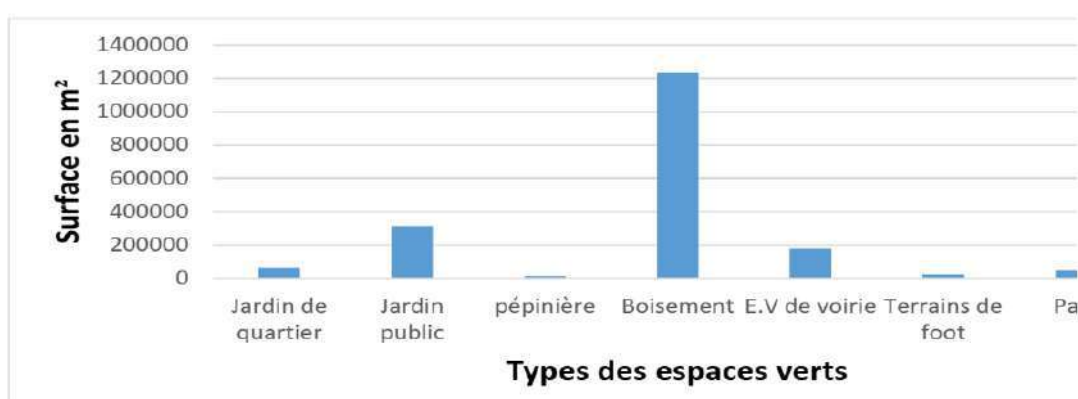


Figure : 8 Superficie des espaces verts dans la ville de Safi.

Source: Travail personnel basé sur la documentation de la C.U de Safi in (Fnini ; A, 2007)

D'après les entretiens menées avec les gestionnaires des espaces verts de la commune urbaine de Safi, la gestion déléguée a commencé en 2015 au profit de la société **Safi vert**, qui a pu décrocher le marché deux fois consécutive en 2015/2018 et 2019/2022, le troisième marché reconductible numéro : 18/2022 a été attribué à la société **Total végétal(SARL)** pour la période entre 7 mars 2023 et 6 mars 2026 dont la mission porte sur les travaux d'entretien et de maintenance des espaces verts et jardins de la commune urbaine de Safi, avec un montant de 6.344.944 dirhams par an et dont l'engagement de la société, recrutant un total fluctuant qui avoisine les 60 éléments dont 70 % sont hérités de l'ancienne société en vue de favoriser l'inclusion sociale de la population locale, concerne seulement 54 espaces verts y compris les parcs : (Borj Nador, Hay Mohamadi, Illane, Carting, Morjane), des refuges axiaux : (avenue moulay-youssef, avenue Moulay Abdellah, avenue des FAR, avenue Marrakech) et six giratoires (ronds-points) et des jardins publiques, via des agents fixes pour les petits sites et volants pour les grands, en toute concertation avec les responsables du service des espaces verts de la commune urbaine de Safi, disposant d'un personnel qui fait état de 15 agents et avec qui on doit communiquer des rapports journaliers, hebdomadaires, mensuels et annuels sur lesquels et suite au contrôle continu du service des espaces verts seront prise la décision de pourcentage de remboursement, qui ne dépassait pas 80 % la première et deuxième année et que les gestionnaires estiment atteindre 100 % la troisième année grâce à la conjugaison des efforts des deux parties, ou les pénalités si les lacunes ne sont pas redressées après 48 heures de leur détection et communication aux responsables de la société Total végétal via un groupe WhatsApp crée pour cet effet et qui regroupe les

gérants des deux parties, et qui est intitulé espace vert Safi.

Entre 2015/2018 la commune urbaine de Safi a creusé 20 puits pour atténuer la pression sur les ressources hydriques conventionnelles, comme elle se dote de deux citernes avec une capacité de 4 tonnes en plus d'une citerne de 8 tonnes appartenant à la société Total végétal pour approvisionner les espaces où les puits font défauts. Cependant la commune de Safi envisage des difficultés financières pour équiper et réhabiliter les puits tombés en panne notamment après l'annulation d'un budget de 700.000 dhs du cahier de prescriptions spéciales(CPS), dédié à cet effet .

Des initiatives innovantes qui portent sur le recyclage des déchets végétales via des broyeurs composteurs restent dans leur étape embryonnaire, du moment qu'elles montrent leur déficit en termes de rentabilité économique, car leur consommation reste dépendante de l'énergie électrique fossile, ce qui exige le déploiement des efforts pour profiter des opportunités offertes par l'utilisation des énergies renouvelables. Néanmoins la mise sur des espèces résilientes au stress hydrique et aux changements climatiques telle que : le focus, l'olivier....est déjà sur la bonne piste dans la pépinière de Safi(Figure: 9), ce qui exige l'implication des instances scientifiques et associatives et l'adoption des approches intégrées et participatives pour la mise en place d'une bonne gouvernance de ces espaces très prisés et qui renforcent la durabilité de la ville et l'épanouissement des citoyens.



Figure: 9 Culture des espèces résilientes aux changements climatiques dans la pépinière communale de Safi .

Source: Image prise le 30-6-2025

En termes d'accessibilité, la plupart des sites sont ouverts au public tout au long de la journée et de la semaine de façon gratuite(figure :10), en plus ils sont d'accès facile, praticable et jouissent de la disponibilité du transport publique(84%), en bref, la plupart des jardins publiques(71.87%) affichent une très bonne accessibilité tandis que les autres varient entre assez bonne et bonne accessibilité avec des pourcentages consécutifs de 6.26% et 21.87%(Figure : 12) et dont le tableau :(3) et la figure : (11) fait leur quantification et localisation pour aider les gestionnaires à booster leurs opportunités

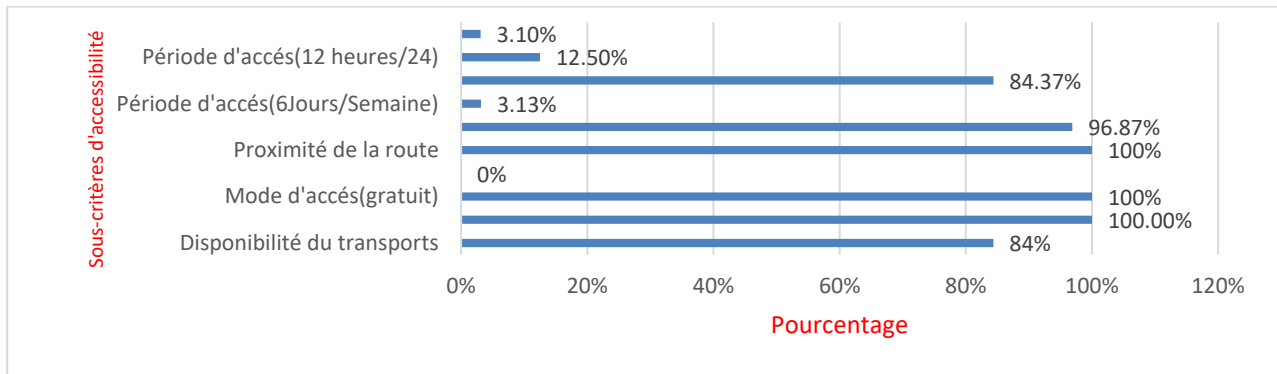


Figure : 10 Etat de lieu des jardins publique et des parcs dans la commune urbaine de safi

Source: Visite de terrain en Mai 2025

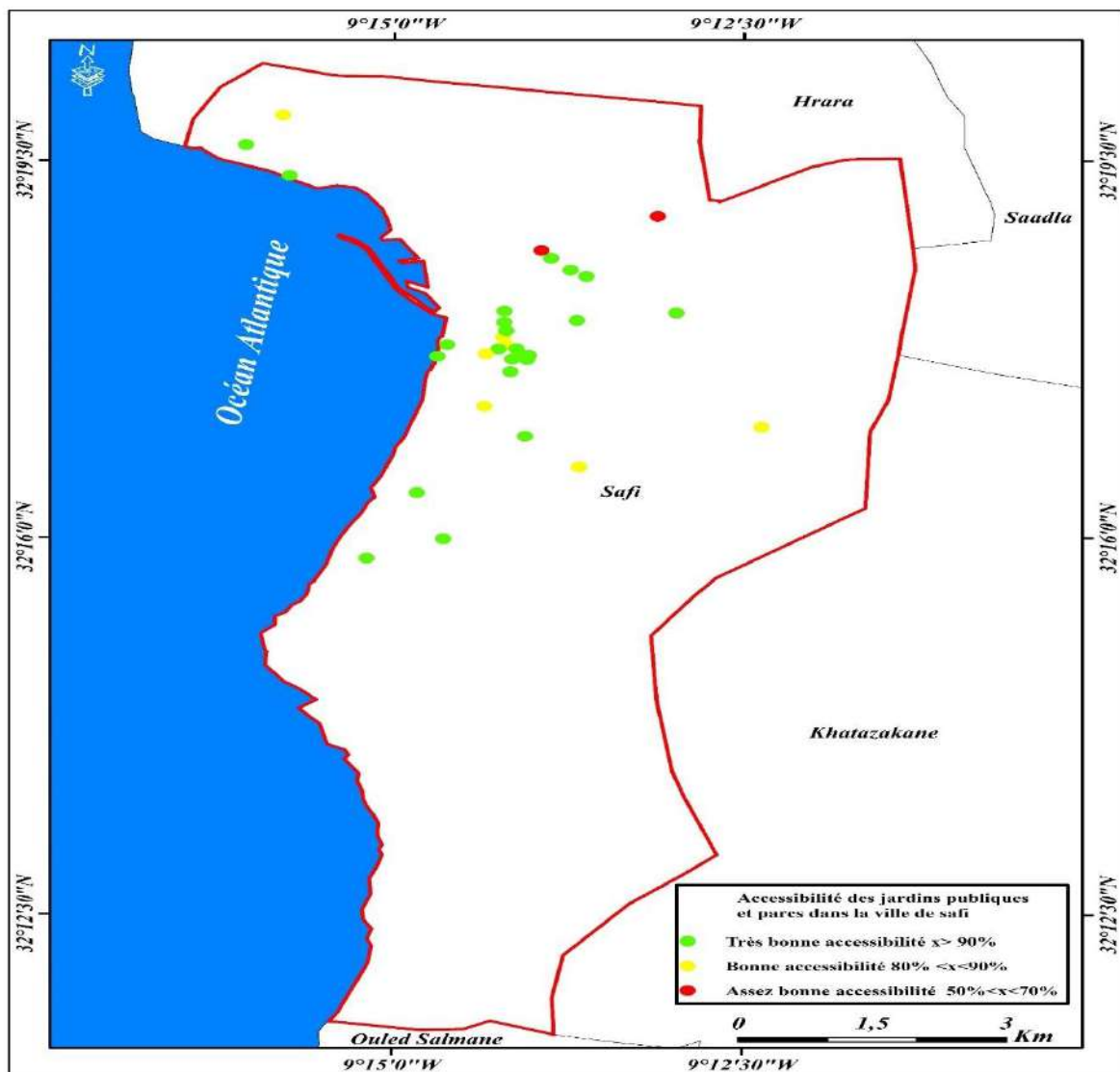


Figure : 11 Localisation et degré d'accessibilité des jardins publiques et des parcs dans la ville de safi Source : Travail personnel . Arcgis 10.4.1

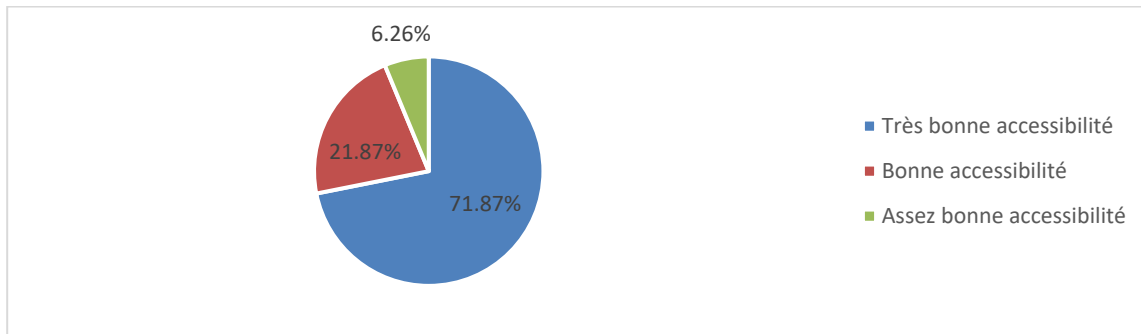


Figure : 12 Degré d'accessibilité des jardins publics dans la ville de Safi

Source : Visite de terrain en Mai 2025

Tableau: 3 Accessibilité et identification des jardins publics et des parcs dans la ville de Safi

Noms des jardins publics	Degré d'accessibilité	Nombre
✓ Corniche Sidi Bouzid ✓ Oued El Bacha ✓ Carting ✓ Les remparts ✓ Moulay Elhassane ✓ Jnane El Fassyane ✓ Ibn Khaldoune ✓ Les ravins ✓ La chambre ✓ Face Lots caïds ✓ La piscine ✓ La faculté FPS ✓ Noyau central ✓ Mosquée Sounna ✓ Jorf Amouni ✓ Plateau ✓ Idrissi ✓ Jnane colone ✓ Hassane 2 ✓ Boujdour ✓ Nkhila ✓ Place d'indépendance ✓ Illane	Très bonne accessibilité	23
✓ Corniche Sidi Bouzid ✓ Salle de Fête ✓ Morjane ✓ Face Lots caïds ✓ Noyau central ✓ Carting ✓ Boujdour ✓ Illane ✓ Quartier universitaire	Bonne accessibilité	9
✓ Aïcha ✓ Elmaya	Assez bonne accessibilité	2

Source: Visite de terrain en Mai 2025

En termes d'attractivité, les sites visités montrent un déficit flagrant en ce qui concerne les outils de sécurité à savoir : les agents de sécurité et les sièges avec des pourcentages consécutifs de 18,75% et 31,25%, comme ils sont dépourvus des services de restauration et de buvette, que ça soit fixes ou mobiles avec seulement un pourcentage de 15,62% pour les deux premiers et 34,37% pour les commerçants ambulants (Figure : 13). Le retard enregistré en termes de mobilisation des eaux non conventionnelles (traitement des eaux usées et retenue des eaux de pluie) se répercute sur leur mauvaise attractivité et se manifestent par les pourcentages très bas consécutifs 12,50%, 28,12% et 37,50% des toilettes, fontaines et pelouses.

Un focus doit être porté sur la diversification des espèces pour faire inclure les arbres fruitiers (Figure:16) qui ne dépasse pas 12,5 % et qui puissent représenter un apport financier servant leur bonne gouvernance. Enfin l'aménagement de ces espaces par des outils de divertissement adressé aux adultes à l'instar du jeu d'échec (Figure:15) etc, est susceptible de booster l'attractivité de cette tranche d'âge. Bref des efforts colossaux doivent être déployés pour booster leur attractivité dont plus de moitié sont de qualité passable ou faibles (Figure :14). Pour ce faire le tableau : (4) et la figure : (17) aident à les cartographier en vue d'une intervention pertinente et ciblée.

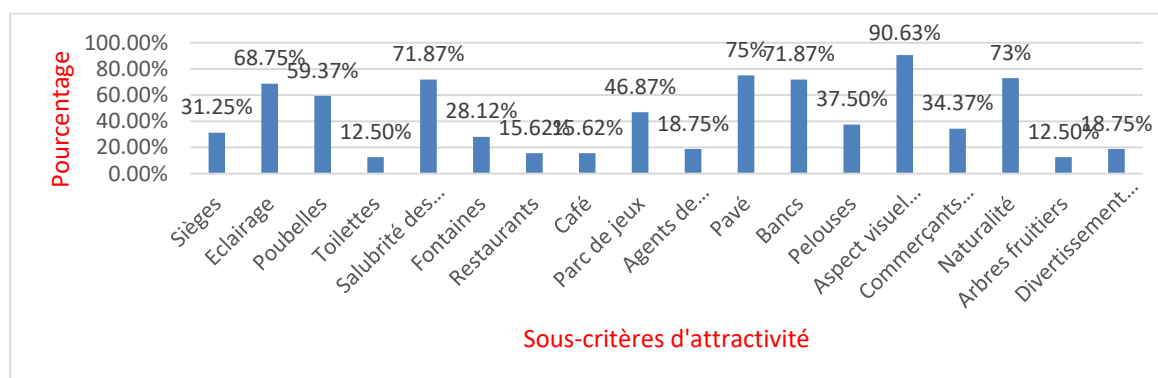


Figure: 13 Etat de lieu des jardins publics et parcs dans la c.urbaine de safi

Source : Visite de terrain en Mai 2025

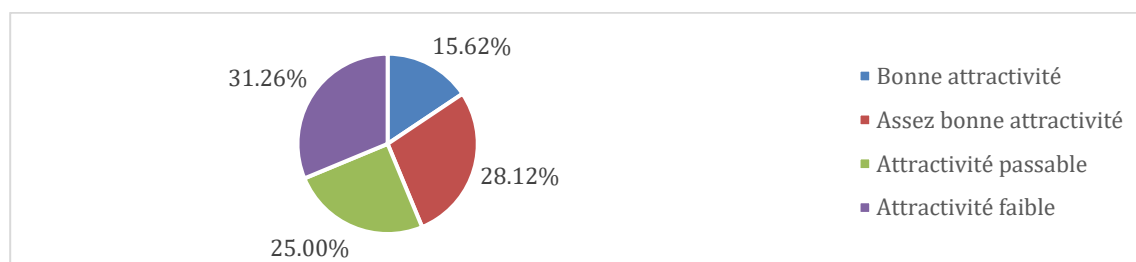


Figure : 14 Attractivité des jardins publics et des parcs dans la ville de Safi

Source : Visite de terrain en Mai 2025



Figure : 15 Espace de divertissement dédiés aux adultes

Source : Image prise le 27 Mai 2025



Figure : 16 Arbres fruitiers dans le jardin Elmaya

Source : Image prise le 27 Mai 2025

Tableau: 4 Degré d'attractivité des jardins publics et des parcs dans la ville de Safi.

Noms des jardins publics	Degré d'attractivité	Nombre
✓ Hassane 2 ✓ Illane ✓ Quartier universitaire ✓ AlQods ✓ Aïcha	Bonne attractivité	5
✓ Corniche Sidi Bouzid ✓ Salle de Fête ✓ Morjane ✓ Face Lots caïds ✓ Noyau central ✓ Carting ✓ Boujdour ✓ Nkhila ✓ Elmaya	Assez bonne attractivité	9

✓ Moulay Elhassane ✓ Jnane El Fassyane ✓ La chambre ✓ Mosquée Sounna ✓ Jorf Amouni ✓ Hay Mohammadi ✓ Jnane colone ✓ Place d'indépendance	Attractivité passable	8
✓ Oued El Bacha ✓ Ibn Khaldoune ✓ Les ravins ✓ La piscine ✓ Farah Safir ✓ Plateau ✓ Idrissi ✓ Chohadaâ ✓ Les remparts ✓ La faculté FPS	Attractivité faible	10

Source : Visite de terrain en Mai 2025

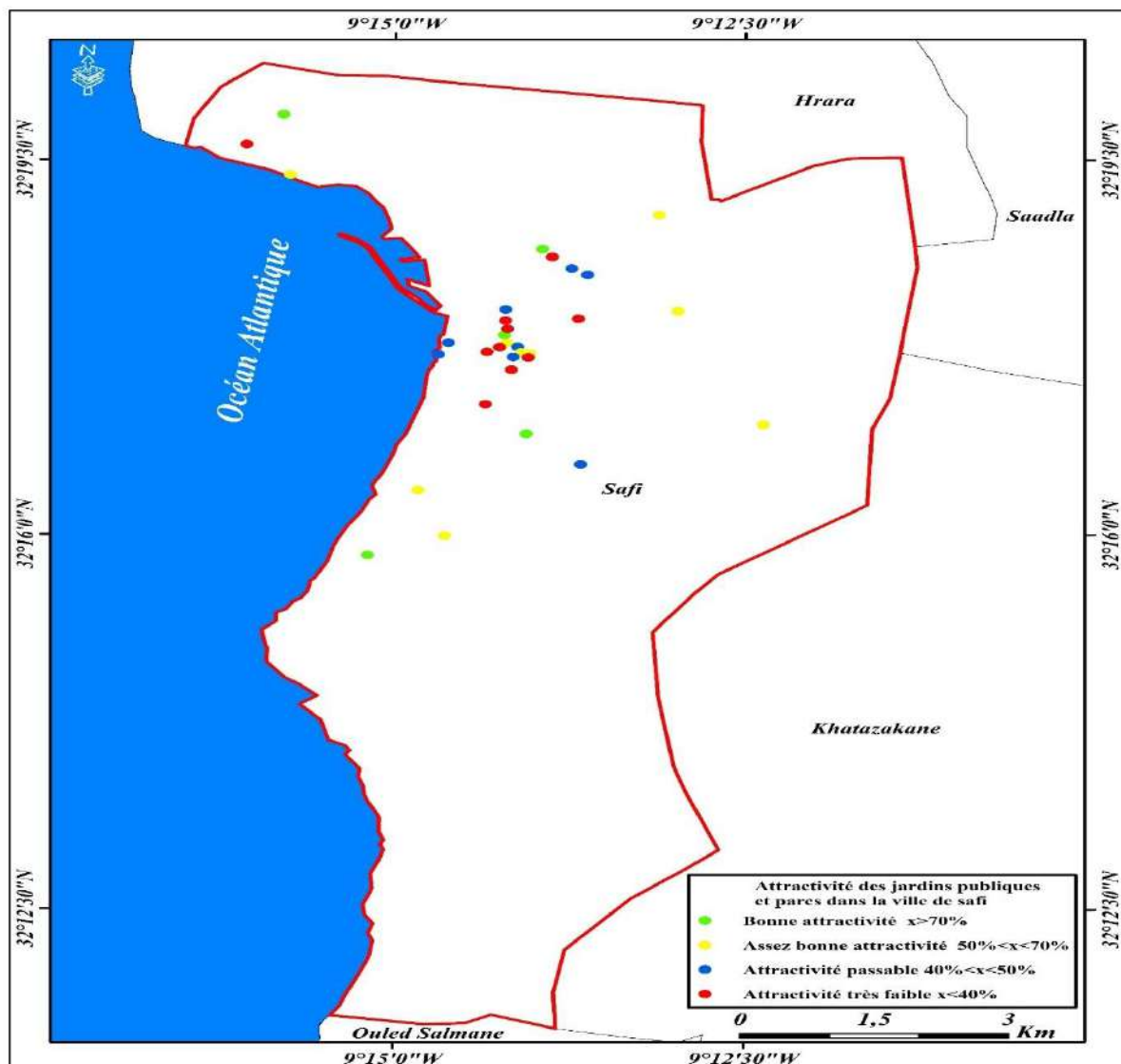


Figure : 17 Localisation et degré d'attractivité des jardins publics et des parcs dans la ville de safi

Source : Arcgis 10.4.1

3.2 Evolution des espaces verts dans la ville de Safi

3.2.1 Evolution quantitative des espaces verts

Sur le plan quantitatif, des efforts colossaux ont été consentis tout au long de la période (1961-1970) pour booster l'offre en matière des espaces verts, dépassant ainsi la barre de 62ha(Figure :18), néanmoins, à partir de 1990 leur évolution a connu une tendance à la baisse jusqu' à 2000, d'autant plus que cette évolution n'était pas à titre d'égalité sur les types y figurant, du moment qu'elle connaissait un focus sur la création des jardins publics et une dynamique très marquante dans les deux dernières décennies du 20^{ème} siècle vis-à-vis des jardins de quartiers(figure :22).

Force est de noter que des efforts louables ont été fournis durant la période (1960-1970) en termes de boisement, cependant cette dynamique ne durait pas longtemps et connaissait malheureusement une tendance à la baisse pour s'arrêter définitivement en 2000. La mise sur NDVI pour s'enquérir de l'état de lieu des espaces verts entre la période 2004 et 2024(Figure : 20) montre une fluctuation en ce qui concerne leur pourcentage dont on note un accroissement entre 2004 et 2014, néanmoins la tendance affiche un décroissement entre 2014 et 2024 pour céder l'espace à une évolution conséquente du bâtis au détriment des terres agricoles et des espaces verts impactés par la succession des années de sécheresse(Figures : 19 et21).

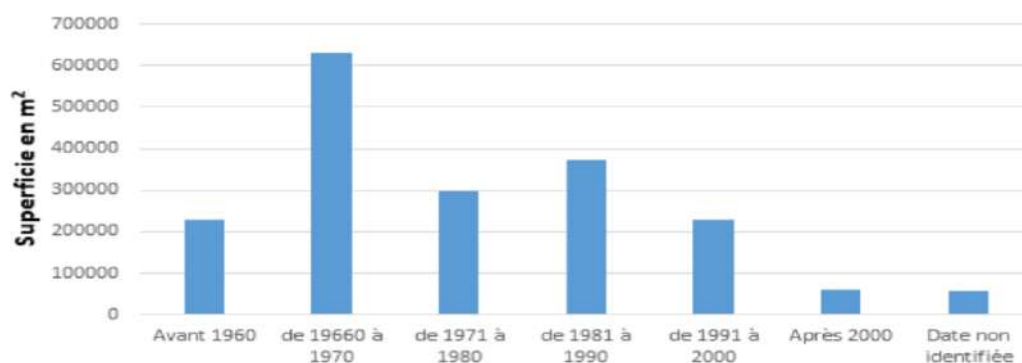


Figure: 18 L'évolution spatio-temporelle des espaces verts dans la ville de Safi

Source: Travail personnel basé sur la documentation de la c.u.de Safi in(Fnini ; A, 2007)

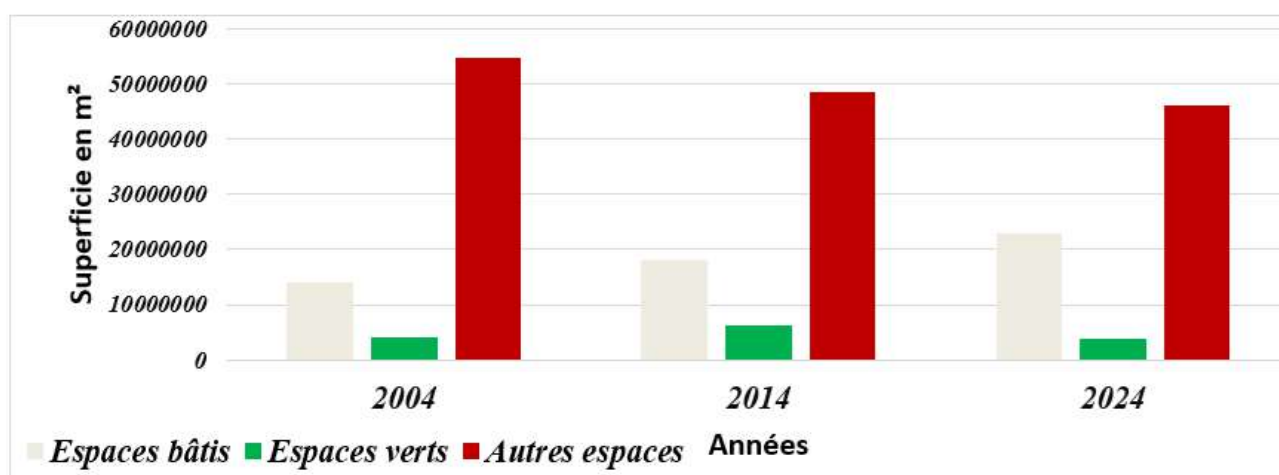


Figure: 19 Evolution d'utilisation du sol entre 2004 et 2024 basée sur NDVI des espaces verts

Source: Arcgis 10.4.1(Images satellitaires Landsat(5.8.9) en (23.14.19)/8/(2004.2014.2024)

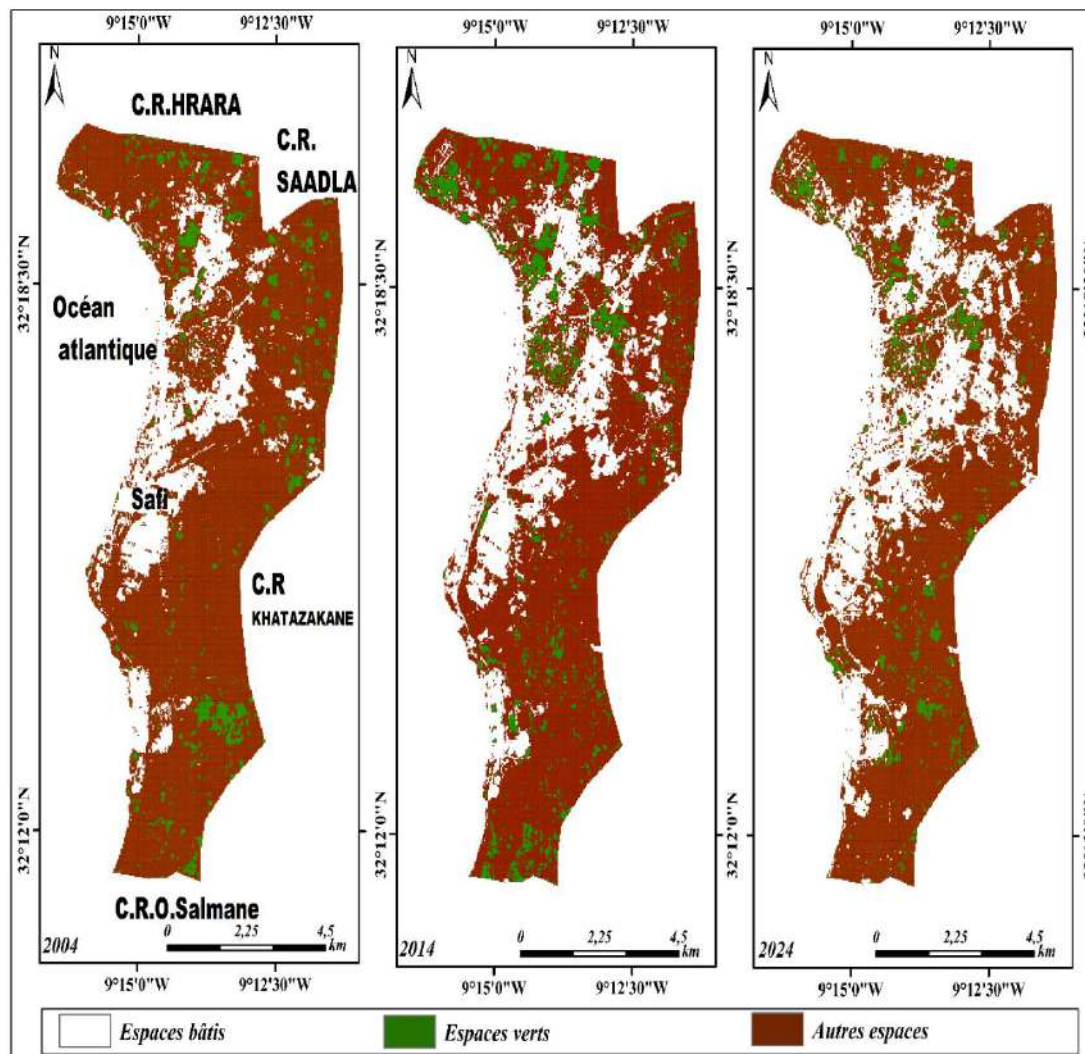


Figure : 20 Evolution d'utilisation du sol entre 2004 et 2024 Source : Arcgis 10.4.1(Images satellitaires Landsat(5.8.9) en (23.14.19)/8/(2004.2014.2024)

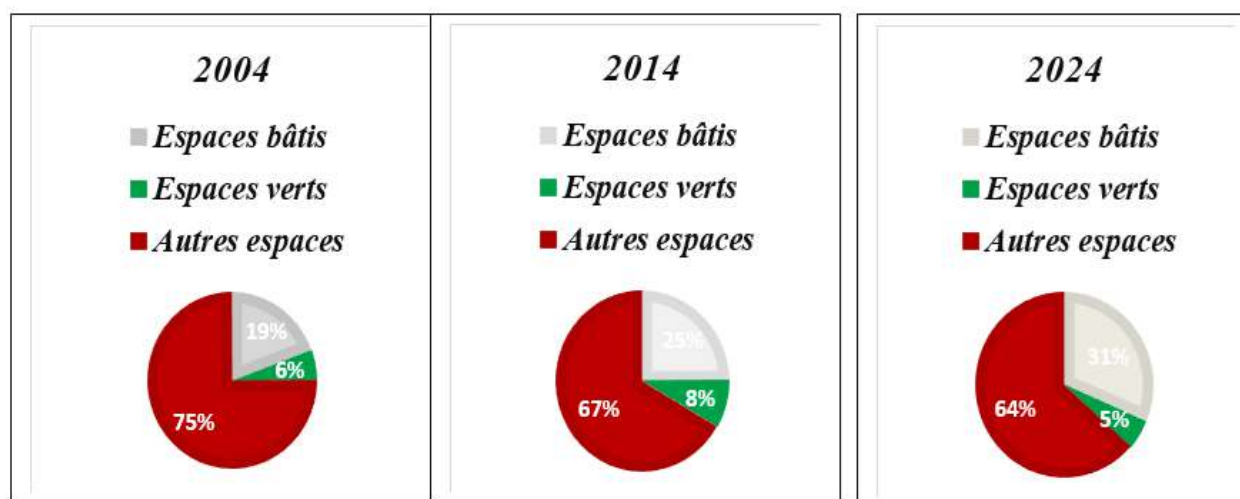


Figure: 21 Evolution d'utilisation du sol entre 2004 et 2024 basée sur NDVI des espaces verts Source: Arcgis 10.4.1(Images satellitaires Landsat(5.8.9) en (23.14.19)/8/(2004.2014.2024)

3.2.2 Evolution qualitative des espaces verts

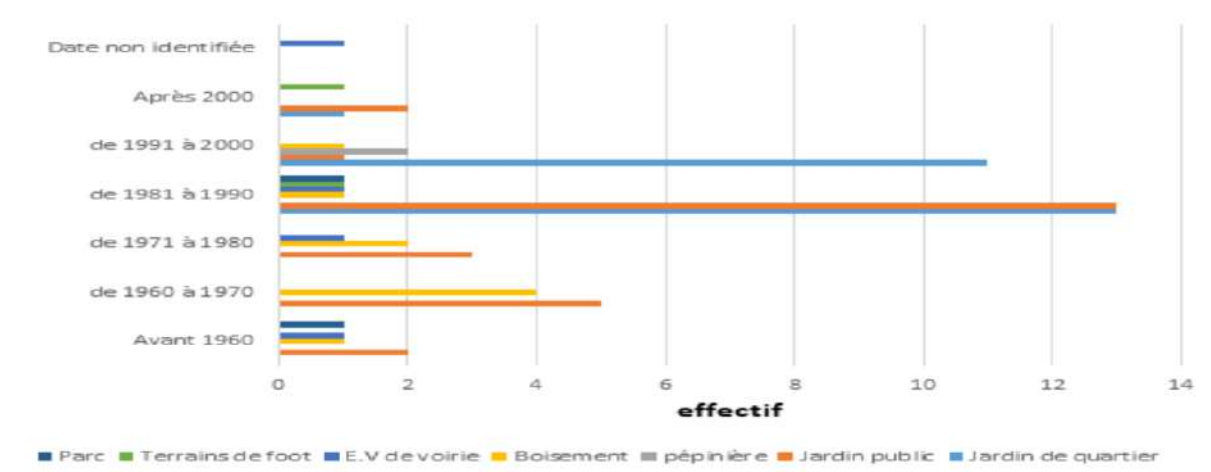


Figure : 22 Evolution spatio-temporelle qualitative de la création des espaces verts dans la ville de Safi
Source: Travail personnel basé sur la documentation de la c.urbaine de Safi (Fnini ; A, 2007)

3.3 Ratio global des espaces verts dans la ville de Safi:(m2 planté/ habitant)

Le ratio est un outil pertinent en matière d'espaces verts dans la mesure où il aide les décideurs aussi bien à prévoir les besoins d'une population qui ne cesse de croître que de mesurer la durabilité du mode du développement adopté. Cependant, au Maroc, il existe un vide réglementaire en la matière, ce qui laisse les acteurs œuvrer à leur guise, et par conséquence, la distribution spatiale dépend des terrains disponibles.

A défaut de normes marocaines, les chercheurs font recours à des normes de l'organisation mondiale de la santé, qui recommande d'assurer un seuil minimum de 10 m² plantés d'espaces verts pour chaque habitant au milieu urbain(ONU-Habitat, 2007). Pour déterminer le ratio global des espaces verts de la ville de Safi, on divise la surface totale aménagée en espaces verts qui concerne l'année 2024 (Figur: 23) sur le nombre global de la population urbaine de Safi selon le recensement de 2024 ; et on a : **3.811.154m²** : l'aire totale estimée des espaces verts urbains de Safi extraite à partir de NDVI de l'image satellitaire prise par Landsat en 2024. **321.581 hab** : Nombre total de la population Safiote(RGPH, 2024).

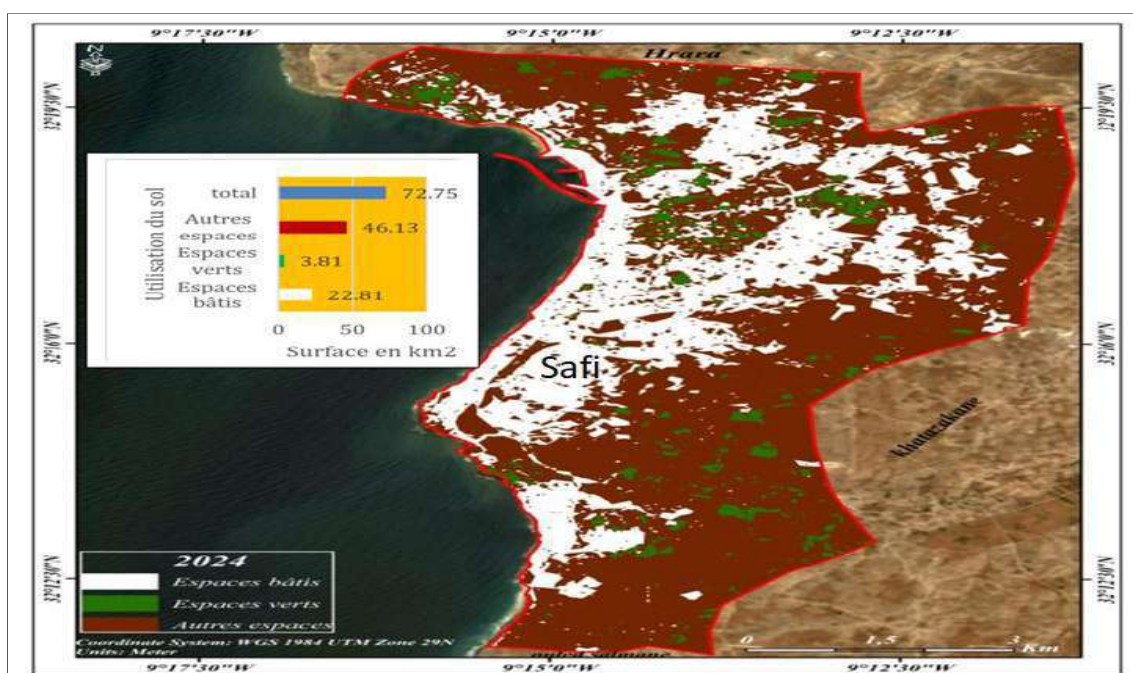


Figure : 23 Utilisation du sol dans la ville de Safi
Source : Arcgis 10.4.1(Landsat en 22/8/2024)

Donc, le ratio est comme suit : $3.811.154\text{m}^2 / 321.581 \text{ hab} = 11,85 \text{ m}^2 / \text{Habitant}$ ce qui assure le stricte minimum recommandé par l'OMS, néanmoins il reste en deçà de celui réalisé dans les pays développés qui avoisinent $30\text{m}^2/\text{hab}$.

3.3 Perceptions des habitants et perspectives de la bonne gouvernance des espaces verts

3.3.1 Vocation des espaces culturels

Les espaces verts produisent des services écosystémiques très variés : de provision, de soutien, de régulation et culturels (Tableau : 5), néanmoins, cet article focalise son intérêt sur ces derniers, et dont la perception des habitants de la ville de Safi affichent une grande reconnaissance, du moment qu'ils considèrent ces espaces comme un apport qui sert aussi bien au bien être psychique que physique de la population (Figure :24), d'autant plus qu'une grande partie y voit un lieu de sorties familiales et de rencontres avec les amis, ce qui sert à tisser davantage les liens sociaux entre les citoyens en vue de préserver la cohésion sociale (Figure :24 et 25) .

Tableau : 5 Types des services écosystémiques fournis par les espaces verts.

S.E. de provision	S.E. de soutien	S.E. de Régulation	S.E.Culturels
- Aliments et fibres . - Carburant . - Ressources génétiques. - Biochimiques, médicaments naturels et produits pharmaceutiques . - Ressources ornementales . - Eau douce.	- Formation du sol. - Cycle des nutriments. - Production primaire .	- Maintien de la qualité de l'air . - Régulation du climat . - Régulation de l'eau . - Contrôle de l'érosion. - Purification de l'eau et du traitement des déchets . - Régulation des maladies humaines . - Lutte biologique . - Pollinisation . - Protection contre les tempêtes.	- Diversité culturelle. - Valeurs spirituelles et religieuses. - Systèmes de connaissances. - Valeurs éducatives. - Inspiration. - Valeurs esthétiques. - Relations sociales. - Sentiment d'appartenance. - Valeurs du patrimoine culturel. - Loisirs et

Source: (Millenium ecosystem assessment, 2005)in(Maréchal, J, 2014)

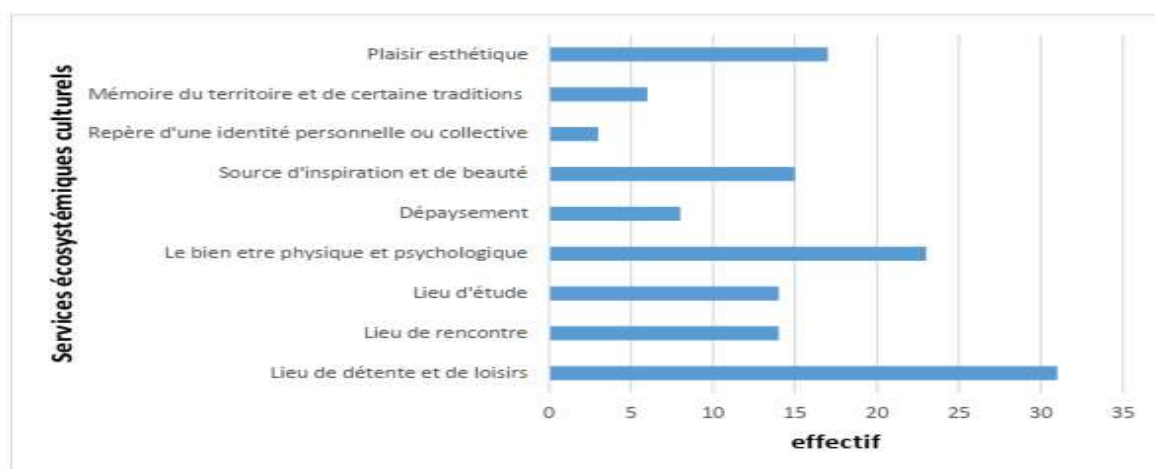


Figure: 24 Perception des habitants vis-à-vis des services écosystémiques culturels

Source: Enquête en Avril 2022

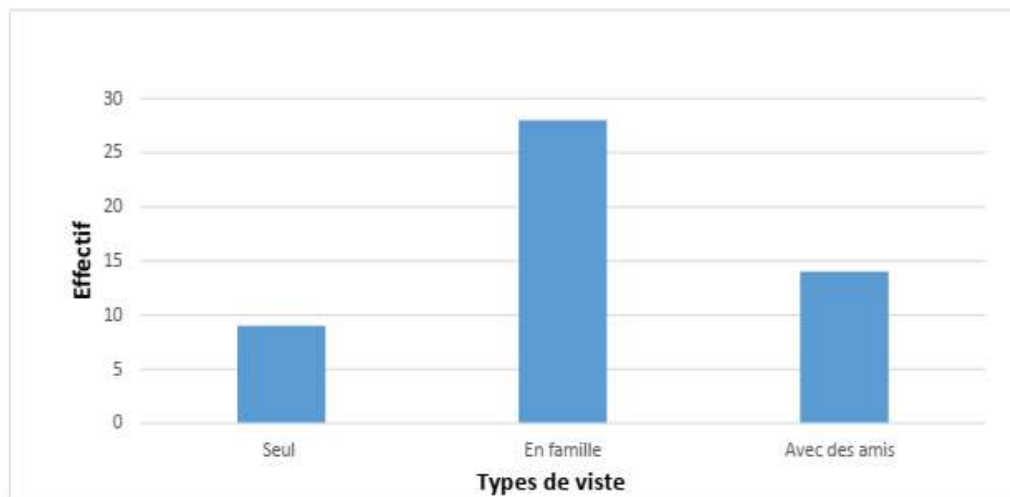


Figure:25 Préférences de fréquentation des espaces verts

Source: Enquête en Avril 2022

3.3.2 Espaces verts entre gestion anarchique et perspectives d'une bonne gouvernance

Les safiots sont presque unanimes que les prestations des espaces verts dans leur ville aussi bien au niveau quantitatif que qualitatif sont en deçà des attentes d'une population devenue plus en plus exigeante, notamment après la prolifération d'un ensemble d'activités industrielles très polluantes à l'instar de la station thermique, OCP.... de tel point que seulement 2,4% des enquêtés croient en leur suffisance, alors que plus de la moitié des enquêtés les jugent insuffisantes et que 46,34% les considèrent moyennes (figure :26), d'où le besoin de remettre en question le mode de gestion de ces espaces et d'adopter des approches qui sont plus intégrées qui font participer le tissu associatif(Figure :29) pour la responsabilisation des citoyens et les acteurs scientifiques en vue de faire apporter des espèces plus résilientes aux changements climatiques et moins gourmandes en eaux et qui puissent assurer des services écosystémiques aussi variés que possible afin de servir la multifonctionnalité de ces espaces et où les rôles des acteurs sont bien définis pour éviter toute sorte de chevauchement des prérogatives et faire de sorte que les acteurs économique et les citoyens contribuent au processus de financement de leur entretien(figure :27 et 29).

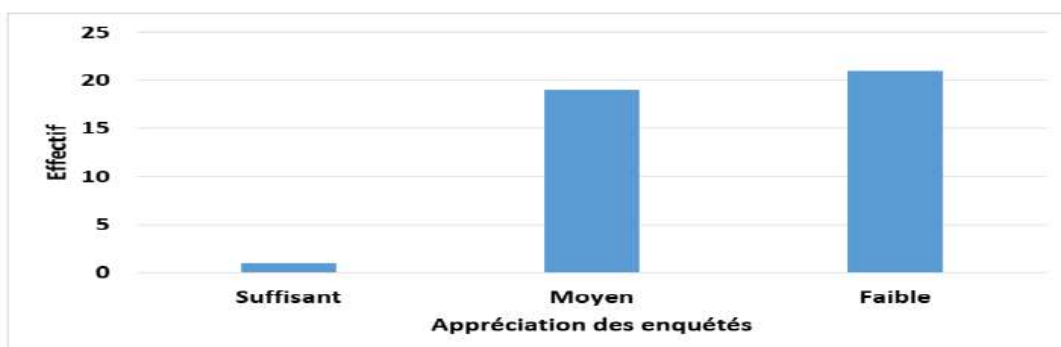


Figure: 26 Evaluation des prestations des espaces verts et de leur gestion

Source: Enquête en Avril 2022

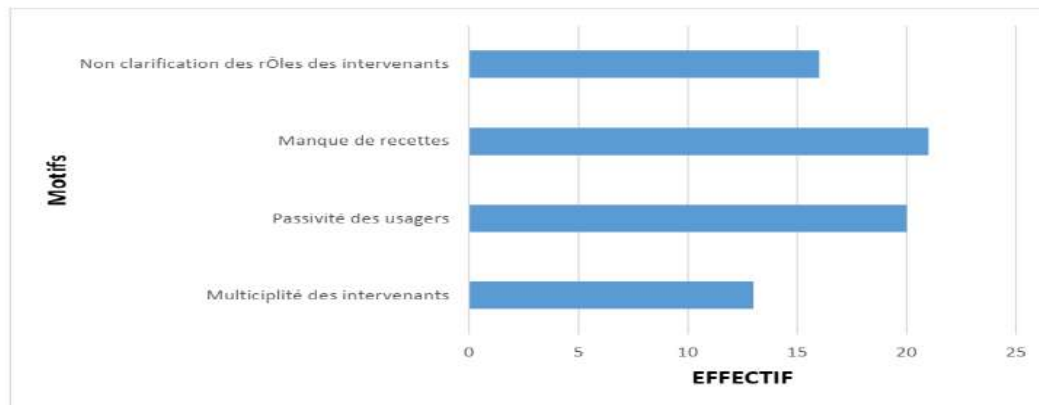


Figure: 27 Motifs de la mauvaise gestion des espaces verts

Source : Enquête en Avril 2022

Personne ne peut nier l'impact du niveau éducatif du citoyen et de son irresponsabilité sur la détérioration des espaces verts (Figure : 28), d'où la nécessité de conjuguer les efforts aussi bien au niveau du déploiement des agents de sécurité (82,92% des enquêtés) et la création d'une ligne verte pour la déclaration sur les actes leur portant atteinte (figure : 29), que sur le plan pédagogique en vue de booster le curriculum en ce qui concerne les valeurs qui visent la protection de l'environnement et faire de sorte qu'il y ait une éducation à ces valeurs via des activités parascolaires susceptibles de leur inculquer les pratiques durables, d'autant plus que les médias ont leur rôle primordial à jouer.



Figure: 28 Incivisme des citoyens et la pollution des EV

Image prise le : 22/5/2025

Pour booster l'attractivité des espaces verts, on suggère l'instauration et la diversification des équipements (bancs, pergolas, éclairage, eau potable, jeux) et des jeux des petits avec des pourcentages consécutifs de 61,46 % et 70,73% des enquêtés.

Pour pallier le manque des ressources hydriques susceptibles de subvenir à leurs besoins, étant une réalité qui pourrait s'empirer suite à l'impact des changements climatiques, des alternatives sont suggérées et qui s'avèrent plus durables telle que la mobilisation des eaux de pluie (Figure :29) .

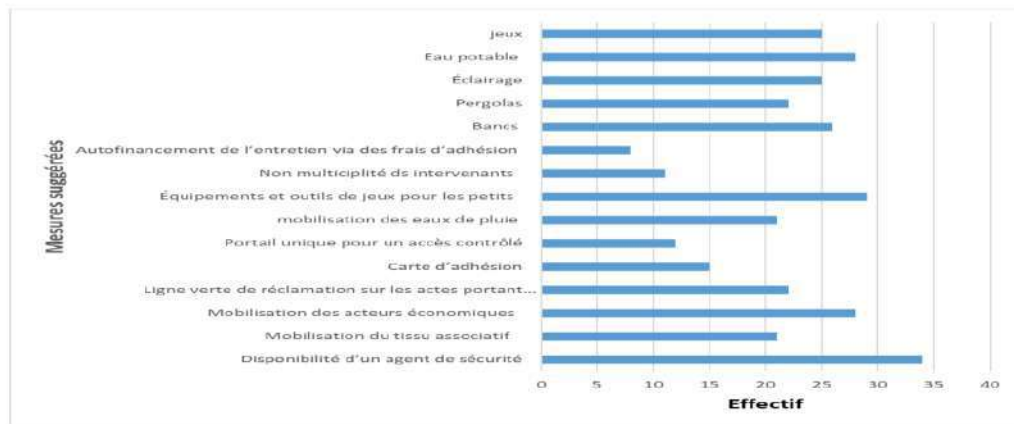


Figure: 29 Mesures suggérées pour une bonne gouvernance des espaces verts.

Source: Enquête avril 2022

4. Discussion

Certes, le ratio des espaces verts de Safi reste en deçà des attentes de sa population et loin des $20 \text{ m}^2/\text{hab}$ dont disposent les villes de Paris et de New York (Polorigni; B, 2015) sachant que ce ratio a été atteint en 2014 (Figure :30) ; malheureusement on n'a pas pu le maintenir actuellement en 2024 à cause des répercussions de la suite des séquences de la sécheresse.

Bien que la ville de Safi reste parmi les villes les plus favorisées en termes d'espaces verts au Maroc (Tableau: 6), des efforts colossaux à entreprendre restent de mise pour booster leurs opportunités aussi bien au niveau quantitatif que qualitatif afin de joindre les villes marocaines pionnières en la matière telle que : Sefrou et plus précisément Ifrane (Tableau :6) en vue de mieux s'aligner avec les recommandations sollicitées par l' O.M.S et assurer l'épanouissement de sa population.

Tableau: 6 Ratio des espaces verts dans quelques villes marocaines.

Les communes urbaines	Ratio M2/habitant	Les communes urbaines	Ratio M2/habitant
Ouezzane	0,25	Khénifra	1.12
Azilal	4,80	Oued zam	0,60
Taroudant	0,97	Ouarzazate	3,03
Khouribga	0,51	Tanger	0,5
Béni mellal	1,51	El hajeb	1,12
Settat	3,44	Essaouira	0,22
Tata	1,08	Tiflet	0,8
Sidi Kacem	0,29	Khemissat	2,5
Taza	1,4	Rommani	3,8
Ifran	47,60	Sefrou	17,33

Source : (Fnini ; A, 2007)

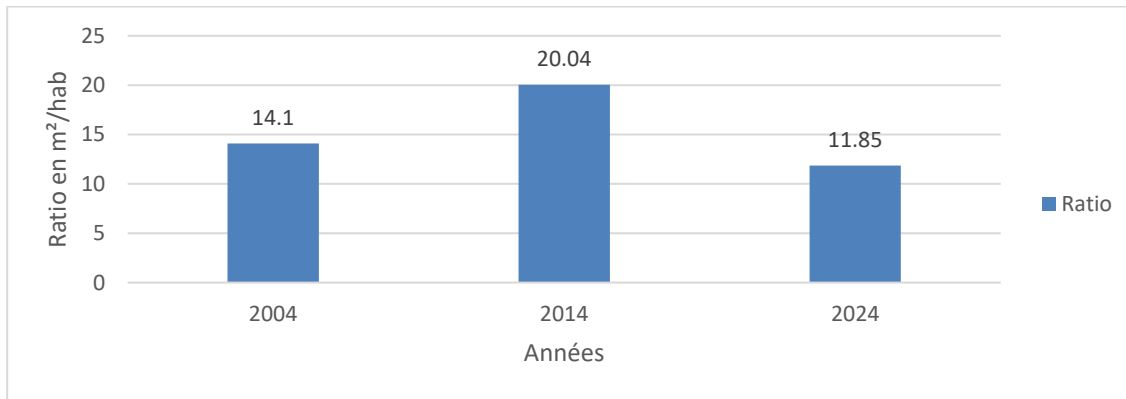


Figure: 30 Evolution du ratio. Source: Travail personnel basé sur NDVI des espaces verts (les Image satellitaires Landsat 5,8 et 9) en (23.14.19)/8/(2004.2014.2024) et HCP.

La gestion des espaces verts à Safi témoigne d'une mauvaise gouvernance en termes d'aménagement et de gestion, due d'une part au manque de moyens financiers, ce qui est comparable aux résultats de (M. A. A. Amontcha, 2017), dans la municipalité du grand Nokoué au Bénin, d'autre part au incivisme d'une partie des citoyens qui a fait à ce que les espaces verts se transforment en marchés pirates, en dépotoirs et lieux d'aisance ce qui est illustré par les travaux de (Kassay ; J, 2010) dans la ville de Kinshasa au Congo.

5. Conclusion et perspectives

La ville de Safi ne fait pas exception de la tendance de la sous-estimation des espaces verts par les citoyens, ce qui entame notre renommée à l'échelle mondiale comme l'a signalé **Feu sa Majesté Hassan 2** dans son discours royal du 19 Décembre 1979, lors du colloque de Marrakech, sur l'urbanisme et l'environnement. **"Le Maroc est l'un des rares pays qui n'accordent pas d'intérêt Particulier aux espaces verts, cette vérité entame notre renommée, car les Marocains sont réputés pour leur finesse et leur amour à la nature..". (discours royal, 1979) in (FNINI, A, 2008 : 3).**

Bien que des efforts louables ont été déployés après l'indépendance jusqu'à 1990 pour la création des espaces verts, la tendance ne se maintenait pas malheureusement, ce qui illustrent une distribution mal équilibrée connaissant une grande concentration au centre de la ville, une faible attractivité des jardins publiques et des parcs et un ratio (faisant état de 11,85m²/hab) qui ne représente que le stricte minimum préconisé par l'organisation mondiale de santé(10m²/hab).

Les perceptions des safiots montrent une conscience très poussée des rôles que puissent jouer les espaces verts pour leur épanouissement et leur bien-être, aussi bien physique que psychique, en plus des opportunités qu'ils offrent en matière de création des relations sociales et familiales, néanmoins, l'adoption par les gestionnaires d'une approche monosectorielle de gestion les met face à des défis majeurs tels que : Le manque de moyens , l'irresponsabilité des citoyens, le manque des équipements, leur sécurité et leur entretien..., d'où le besoin de switcher vers d'autres alternatives à l'instar de la gestion intégrée susceptible de faire associer tous les acteurs :économiques, associatifs, scientifiques, administratifs, politiques... pour drainer les investissements nécessaires et s'approprier ces espaces étant un vecteur de durabilité capable de renforcer la résilience de la ville face aux effets de changements climatiques et de miser sur la recherche scientifique pour apporter des solutions novatrices et innovantes aux problèmes de pénurie de ressources hydriques telles que la mobilisation des eaux conventionnelles : de pluie , des eaux usées et du dessalement des eaux de la mer ainsi que la construction des outils permettant le recyclage des déchets végétales suite aux activités rituelles de la taille des arbres et des arbustes et qui sont basés sur des énergies renouvelables.

Des recherches futures s'avèrent plus utiles et qui porteraient sur la quantification des services écosystémiques variés de toutes les espèces des arbres figurant dans le gradient urbain, ainsi que l'identification de leurs besoins en ressources hydriques en vue de faire de sorte qu'il y ait une multifonctionnalité des espaces verts : en préservant leur biodiversité, boostant leur résilience face aux impacts des changements climatiques et servant au bien-être de la population urbaine et de leur épanouissement dans une ville durable via un écosystème équilibré.

6. Références

1. ALI-KHODJA ; A, (2010) : Aménagement urbain : la problématique de l'espace vert public dans la ville de Constantine. *Sciences et Technologie*, 32: 9-18.
2. Amontcha, A. A. M., Djego, J. G., Loubegnon, T. O., & Sinsin, B. A. (2017). Typologie Et Répartition Des Espaces Verts Publics Dans Le Grand Nokoué (Sud Bénin). *European Scientific Journal*, ESJ, 13(21), 79. <https://doi.org/10.19044/esj.2017.v13n21p79>
3. Anechade, M ., Ejlaïdi, M, (2014). Caractéristiques géotechniques des sols gonflants de la région de Safi [Mémoire de fin d'étude, faculté de Science de la terre de Marrakech].
4. CHOUMERT ; J, (2009) : Analyse économique d'un bien public local : les espaces verts. Thèse de doctorat, Université d'Angers, 425 p.
5. DAVIES;Z, (2011) : Mapping an urban ecosystem service: quantifying above- ground carbon storage at a citywide scale. *Journal of Applied Ecology*, vol. 48, pp. 1125-1134.
6. Déoux ; S, 2020, *Livre blanc numérique pour l'architecture et le cadre de vie*. Urbanisme responsable et éthique pour la santé de tous.
7. FABER; T; A, (2009) : Children with attention deficits concentrate better after walk in the park. *Journal of Attention Disorders*, 12 (5): 402-409.
8. Fnini, A, (2008). Les espaces verts de la ville de Safi – Diagnostique et Perspectives[Étude, Commune urbaine de Safi, division de service des espaces verts]
9. HCP, Direction provincial de Safi, (2016). Monographie provinciale de Safi.
10. Haut commissariat au plan, (2024), Recensement général de la population et des habitats.
11. HOSHINO;T, KURIYAMA;K, (2010) : Measuring the benefits of neighbourhood park amenities: Application and comparison of spatial hedonic approaches. *Environmental et Resource Economics*, 45 (3) : 429-444.
12. Jules Kassay ; J ; N-I, (2010), La politique publique de la gestion des espaces verts par l'hôtel de ville de Kinshasa, *Afrique et Développement*, Vol. XXXV, No. 3, pp. 13 – 46, ISSN 0850-3907) .
13. Landry LAURA;L, (2012) : Roles of urban tree canopy and buildings in urban heat island effects: parameterization and preliminary results. *Journal of Applied Meteorology and Climatology*, 51(10): 1775-1793.
14. Lefebvre ; M, Maslianskaia-P; M, Laïlle, P, (2021), Préférences des usage pour la gestion des espaces verts urbains sans pesticides : l'exemple de la France, *Revue économique* , 6 Vol (72), pp : 947 à 967, ISSN 0035-2764.
15. OMS, 2022, *atteindre le bien-être : Un cadre mondial destiné à intégrer le bien-être à la santé publique au moyen d'une approche axée sur la promotion de la santé*. https://cdn.who.int/media/docs/default-source/health-promotion/french_framework4wellbeing_05092023.pdf?sfvrsn=c602e78f_29&download=true
16. ONU-Habitat, 2007. Programme des Nations Unies pour les Établissements Humains. Récupéré sur <http://www.unhabitat.org>

17. POLORIGNI ; B, (2015) : Les espaces verts dans les villes africaines, diagnostic et perspectives : cas de la ville de Lomé. Mémoire de DEA, gestion de l'environnement, Université de Lomé, Lomé, 104 p.
18. RICHARDSON;E, MITCHELL;R, (2010) : Gender differences in relationships between urban green space and health in the United Kingdom. *Social Science and Medicine*, 17(3): 568-575.
19. Simard ; M, 2014, Étalement urbain, empreinte écologique et ville durable. Y a-t-il une solution de rechange à la densification ? *Cahiers de géographie du Québec*(58(165)), Pp.331–352. doi:<https://doi.org/10.7202/1033008ar>.
20. Stébé, J-M & Marchal ; H, 2010, Appréhender, penser et définir la ville, (La sociologie urbaine (p. 3-16), Récupéré sur <https://www.cairn.info/la-sociologie-urbaine--9782130578017-page-3.htm#no4>.
21. ZABRÉ ; N ; G, SAWADOGO ; B, BONKOUNGOU : J, OUEDRAOGO I, 2024, La contribution sociale des espaces verts à la durabilité de la ville : la spécificité de Ouagadougou, Burkina Faso, *Revue de Sciences géographiques, d'environnement et d'aménagement*, N°15, Vol. VIII, pp : 259-274, ISSN ID : (2620748).

عنوان البحث

**أثر التقويم البديل في مدارس فالدورف على دافعية الطلبة من وجهة نظر المعلمين
(دراسة حالة مدرسة فالدورف)**

وفيقة إبراهيم أيوب¹

¹ طالبة دكتوراه - جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

بريد الكتروني: s12487365@stu.najah.edu

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/13>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/13>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدف البحث إلى استقصاء أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة في بيئة تعليمية بديلة، وتحديدًا في مدرسة من مدارس فالدورف، وذلك من خلال عرض وجهات نظر وتجارب المعلمين العاملين في هذه المدرسة. ويأتي هذا من خلال زيادة الاهتمام بالتربية الشمولية، وبالتحول من التقييم التقليدي القائم على الامتحانات إلى تقييم أصيل يتماشى مع طبيعة الطفل وتطوره المتكامل.

اعتمد البحث على المنهج النوعي التفسيري باستخدام دراسة الحالة، وشمل مقابلات شبه ممنهجة مع معلمين ذوي خبرة في التقويم البديل ضمن فلسفة فالدورف. وقد بينت النتائج أن التقويم البديل يسهم بشكل فعال في تقليل القلق المرتبط بالاختبارات، ويعزز مشاركة الطلبة، فضولهم، واستقلاليّتهم في التعلم، من خلال أدوات مثل: ملفّات الإنجاز، الملاحظة، المشاريع، والتقييم الوصفي. كما أظهرت النتائج وجود تحديات تتعلق بغياب المعايير الكمية، الحاجة إلى وقت وجهد كبيرين، ومحدودية أدوات التوثيق المؤسسية.

خلص البحث إلى أن التقويم البديل يتماشى مع مبادئ التعلم الإنسانيّ والشامل، ويعزز الدافعية الذاتية لدى الطلبة، شرط توفير تدريب مستمرّ للمعلمين، وبنية تنظيمية تدعم هذا التوجه. وقد تمّ اقتراح توصيات لتطوير أدوات تقويم مرنة، تعزيز مجموعات التعلم المهنية، وتوفير سياسات تعليمية مرنة تراعي خصوصية المدرسة.

الكلمات المفتاحية: التقويم البديل، دافعية الطلبة، مدارس فالدورف، استراتيجيات وأدوات التقويم البديل.

RESEARCH TITLE**Exploring the Impact of Alternative Assessment on Students' Motivation in Waldorf Schools: Teachers' Perspectives: A Case Study at the Waldorf School****Abstract**

This study aims to explore the impact of alternative assessment on student motivation within an alternative educational setting, specifically at the Waldorf School in Shefa-Amr. The research explored the perspectives and experiences of teachers working in this school, in light of the growing interest in holistic education and the shift from traditional exam-based assessment to authentic evaluation that aligns with the nature and comprehensive development of the child.

The study adopted a qualitative interpretive methodology using a case study approach. Semi-structured interviews were conducted with teachers experienced in alternative assessment within the Waldorf philosophy. The findings revealed that alternative assessment effectively reduces test-related anxiety and enhances student engagement, curiosity, and independence in learning, through tools such as portfolios, classroom observation, projects, and descriptive assessment.

However, the results also pointed to several challenges, including the lack of quantitative standards, the time and effort required, and limited institutional documentation tools. The study concluded that alternative assessment aligns with the principles of humanistic and holistic learning and fosters intrinsic motivation among students, provided that teachers receive ongoing training and that an organizational structure is in place to support this approach. Recommendations were proposed to develop flexible assessment tools, strengthen professional learning communities, and promote educational policies that accommodate the specific context of Waldorf schools.

Key Words: Alternative assessment, student motivation, Waldorf schools, strategies of alternative assessment, tools of alternative assessment.

مقدمة

يُعدّ تعليم فالدورف من النماذج التربوية البديلة التي تتميز بشمولية النظرة للطفل. وقد ظهر هذا النهج في مطلع القرن العشرين على يد الفيلسوف والمفكر النمساوي رودولف شتاينر حين أسس أول مدرسة فالدورف سنة 1919 لأبناء عمال مصنع سجاير في مدينة شتوتغارت بألمانيا (سليمان، 2022). اعتمد شتاينر على فلسفته "الأنثروبوسوفية" التي تدرس الإنسان في أبعاده الجسدية والروحية والفكرية، بهدف الوصول إلى تربية تحررية تُنمّي قدرات الطفل بكل جوانبها (ألوني 2013). وتتلخّص هذه الفلسفة بثلاث نقاط رئيسة؛ الأولى ترى أنّ الإنسان كائن حيّ، أي أنّ الطفل ليس مجرد متلقٍ للمعرفة، بل هو كائن ينمو في الجوانب العقلية والوجدانية والبدنية. لذا يتوجّب على التربية أن تحاكي هذه الأبعاد الثلاثة (غولدشتين، 2019). الثانية ترى أنّ التربية تنطلق من الطبيعة، لذا يتضمّن تعليم فالدورف أنشطة عديدة في الهواء الطلق، زيارات للطبيعة، والاعتماد على المواد الطبيعية في التعليم (مثل الخشب والصوف والألوان الطبيعية) لجعل الطفل أقرب إلى بيئته وجسده (إيستون 1997). والثالثة تعتمد الخيال والإبداع فتركز فلسفة فالدورف على أهمية قصص الأطفال، والمسرح، والأنشطة الفنية، كعناصر رئيسة تُنمّي خيال الطفل وتُحفّز إبداعه وتمنحه طرقاً للتعبير عن ذاته (سليمان، 2022).

وحالياً، ينتشر تعليم فالدورف في أكثر من 80 دولة حول العالم، ويتنوّع تطبيقه بين مدارس مرخصة أو حكومية، إلى مبادرات محلية مستقلة تعمل على التوفيق بين متطلبات الدولة والفلسفة الشتاينرية. وتُعرف هذه المدارس عادة بإدخالها لغة أو أكثر إلى جانب اللغة الأمّ، فضلاً عن تركيز كبير على الفنون والموسيقى والأشغال اليدوية (عبد الستار، 2018).

أمّا مدرسة فالدورف التي جرى فيها البحث فتتتمي للفئة الثانية حيث تأسست بمبادرة محلية من قبل مربّين وأهالٍ مثقفين، سعوا إلى توفير نموذج تربويّ بديل يتلاءم مع طبيعة المجتمع العربيّ وتنوّعه الثقافيّ والدينيّ في المدينة. تعتمد المدرسة على فلسفة رودولف شتاينر المعروفة باسم "الأنثروبوسوفيا"، والتي تنظر إلى الطفل بوصفه كياناً متكاملًا في جوانبه العقلية والوجدانية والبدنية. وكما في سائر مدارس فالدورف، يمتزج المنهج في المدرسة بين التعلّم النظريّ والتجارب العملية والأنشطة الفنية والحركية، ويشجّع الأطفال على الاحتكاك بالطبيعة وتنمية الخيال والإبداع. كما تدمج المدرسة بين تدريس المواد الأكاديمية (كاللغة العربية والعلوم والرياضيات) والأنشطة اليدوية (مثل الحياكة والتطريز والرسم) والمشاريع البحثية التي تربط الطلبة بالمجتمع وتعزّز لديهم الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، وتوازن بين الجوانب الأكاديمية والإنسانية. (جولدشميت، 2022).

بالإضافة لذلك، ينظر أصحاب المصلحة في مدرسة فالدورف لتحقيق إنجازات تستند إلى خصائص منهج فالدورف عمومًا، وإلى التحديات التي قد تواجهها أي مدرسة تتبنّى فلسفة تربوية بديلة في بيئة تعليمية رسمية، وأهمّها: تعزيز التكامل مع المناهج الرسمية، تطوير برامج للتطوير المهنيّ المستمرّ للمعلّمين، اعتماد أدوات تقييم حديثة ومتنوّعة تتوافق مع مفهوم "التقويم البديل" الذي يسعى إلى تجاوز الاختبارات المعيارية والتقليدية، ليُقدم صورةً شاملةً عن تطوّر الطالب وطريقة تعلّمه. ويتلخّص مفهوم هذا التقييم بما يلي:

- التقييم القائم على الملاحظة والتشخيص الفرديّ: ويعتمد على ملاحظات المعلّم للتطوّر الفرديّ للطلاب، من الناحية التحصيلية، الاجتماعية والفنية. وعادة، تستخدم ملفّات الإنجاز والسجّلات اليومية لتوثيق ملاحظات المعلّم حول سيرورة التطوّر للطلاب. (Rawson, 2021).
- تقارير الوصف بدل الدرجات: يقوم المعلّمون بتقديم تقارير وصفية دورية وشاملة بدل الدرجات، يشرحون فيها نقاط القوة والنقاط التي تحتاج تقوية عند الطالب، وتقديم خطة عمل لتحسين التعلّم بدلاً من درجات رقمية أو

تقييمات معيارية. هذا الأسلوب يعزز الثقة بالنفس ويحفز الطالب على التعلم الذاتي. (Nicol & Taplin, 2017)

- التعاون بين المعلم والطالب والأهل حيث تتعامل مدارس فالدورف مع عملية التعليم على أنها مسؤولية مشتركة بين المعلم والطالب والأهل. لذلك، يتضمن التقويم البديل اجتماعات منتظمة مع أولياء الأمور للتباحث حول تقدم الطالب واحتياجاته الخاصة. ويساعد هذا الأسلوب على وضع خطط تعليمية فردية تتوافق مع مستوى الطالب وقدراته. (Mazzone & Richer, 2022)
- التركيز على المهارات العملية والإبداعية حيث يركز المنهج في مدارس فالدورف على تنمية المهارات العملية والحرفية والأدائية، مثل الرسم والموسيقى والأشغال اليدوية. وعليه، فإن التقييم يأخذ بعين الاعتبار مدى تقدم الطالب في هذه المجالات، من خلال أدوات مثل التقييم العملي للمشروعات أو العروض الفنية. (Ullrich, 2019).

بناءً على ما تقدم، تظهر أهمية التقويم البديل في مدارس فالدورف، في مجال دافعية الطلبة التي تعتبر من أهم محركات التعلم. وهذا دفع الباحثة لإجراء البحث لضرورة فحص أثر هذا التقييم على دافعية الطلبة، الكشف عن التحديات التي تواجه المعلمين في تطبيقه، والكشف عن أهم الاستراتيجيات والأدوات التي يتم استخدامها.

مشكلة الدراسة

تزداد في أيامنا محاولة تطبيق التربية البديلة في عدة مجالات، وتمتاز مدارس فالدورف باهتمام متزايد لما تقدمه من نموذج تعليمي يركز على نمو الطالب الشامل، والابتعاد عن التقييم التقليدي المعتمد على الامتحانات والدرجات الرقمية. فالتقويم البديل أحد الأسس الهامة في هذا النموذج، حيث يُفترض أنه يساهم في تعزيز دافعية الطلبة من خلال التقويم التكويني، والمشاريع، والتأمل الذاتي، والتقييم القائم على الأداء. ورغم ما ورد في الدراسات التربوية عن أثر هذه الأساليب في تحسين التعلم، فإن تأثيرها الفعلي في بيئة مدارس فالدورف، وخصوصاً من حيث تحفيز الطلبة للمشاركة النشطة والمسؤولة في العملية التعليمية، لا يزال بحاجة إلى دراسة معمقة. كما يواجه المعلمون تحديات متعددة في تطبيق التقويم البديل، منها ما يتعلق بالتخطيط وتصميم الأهداف التعليمية، وتحقيق الإنصاف في إعطاء الفرص، والتشخيص لنقاط القوة ونقاط بحاجة لتعزيز للطلبة. وبالرغم من وجود دراسات نظرية حول مميزات التقويم البديل، إلا أن هناك نقصاً في الأبحاث التي تستند إلى آراء المعلمين وتجاربهم التطبيقية في تحويل التقويم البديل لواقع تعليمي. من هنا، رأت الباحثة أهمية هذا البحث في سدّ الفجوة المعرفية القائمة، من خلال فحص الاستراتيجيات والأدوات الأكثر استخداماً، وتحليل أثرها على دافعية الطلبة، والكشف عن التحديات المرتبطة بها داخل بيئة تعليمية بديلة مثل مدارس فالدورف.

أسئلة البحث

السؤال الرئيس

كيف يؤثر التقويم البديل في مدارس فالدورف على دافعية الطلبة من وجهة نظر المعلمين؟
الأسئلة الفرعية

1. ما الأدوات والأساليب الأكثر استخداماً في التقويم البديل داخل مدارس فالدورف؟
2. كيف يؤثر التقويم البديل على تحفيز الطلبة للمشاركة في العملية التعليمية؟
3. ما التحديات التي تواجه المعلمين عند تطبيق التقويم البديل، وكيف يمكن معالجتها؟

أهمية البحث وأهدافه

الأهمية النظرية

لهذا البحث أهمية كبيرة لأسباب عدة تتعلق بالجانب النظري والجانب التطبيقي في مجال التربية عموماً، وفي تطبيق التقويم البديل في مدارس فالدورف بشكل خاص؛ فمن جهة، سعى إلى سدّ الفجوة البحثية المتعلقة بدراسة التقويم البديل في مدارس فالدورف، إذ على الرغم من تزايد الاهتمام العالمي بالتقويم البديل بوصفه استراتيجية تعزز التعلم العميق وتنمي المهارات الإبداعية لدى الطلبة (Smith & Brown, 2021)، فإن الدراسات التي تتناول تطبيق هذه الاستراتيجية في مدارس فالدورف من وجهة نظر المعلمين ما تزال محدودة. وبالنظر إلى تفرد فلسفة فالدورف، التي تدمج بين الجوانب العقلية والوجدانية والفنية، فإن استكشاف أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة يُعد خطوة هامة لفهم مدى فعاليته في بيئات تربوية بديلة (Rawson, 2021).

ومن جهة أخرى، واكب هذا البحث التحول النظري العالمي نحو التقييم الشامل للطالب، الذي يركز على تنمية الجوانب الشخصية مثل المهارات الاجتماعية، التفكير النقدي، والقدرات الإبداعية (Coombe, 2019). وبالاستناد إلى تجربة فالدورف كنموذج رائد في التربية البديلة (Ulrich, 2019)، يُسهم البحث في تعزيز الأدبيات المتعلقة بفاعلية التقويم البديل في دعم هذه الجوانب الحيوية.

كما أنّ هذا البحث يثري النقاش الأكاديمي المتعلق بالتربية البديلة، من خلال تقييم أثر الأنشطة الإبداعية والحرية التعليمية والتركيز على التنمية الأخلاقية والوجدانية للطلبة، بما يعزز فهم جدوى ممارسات فالدورف التربوية (Rawson, 2021).

الأهمية التطبيقية

على الصعيد التطبيقي، يوفر هذا البحث معطيات عملية مهمة لتوجيه الممارسات التربوية وتعزيز دافعية الطلبة، إذ أن الدافعية تُعدّ عنصراً أساسياً في نجاح العملية التعليمية، حيث يرتبط ارتفاعها بزيادة المشاركة النشطة والتحصيل الأكاديمي طويل المدى (Ryan & Deci, 2020). وتُقدّم النتائج المنتظرة توصيات عملية للمعلمين وصانعي القرار التربوي حول كيفية توظيف التقويم البديل بفاعلية لدعم تحفيز الطلبة (Wigfield, & Wentzel, 2020).

علاوة على ذلك، سلّط البحث الضوء على دور المعلمين في تطبيق التقويم البديل، والكشف عن التحديات التي تواجههم، مما يساهم في صياغة تصوّرات واضحة حول احتياجات التطوير المهني والدعم المؤسسي اللازم لتعزيز نجاح هذه الاستراتيجيات التربوية (Freeman & Johnson, 2022; Mazzone & Richer, 2022).

كما أنّ النتائج التي توصل إليها هذا البحث قد تُستخدم في توظيف ممارسات التقويم البديل في سياقات تربوية أخرى، بما يتجاوز بيئة فالدورف، من خلال تكييف أساليب التقييم بما يتلاءم مع الاحتياجات المتنوعة للطلبة في المدارس الحكومية والخاصة على حدّ سواء (Smith & Brown, 2021).

أهداف البحث

الهدف الرئيس

التعرّف على كيفية تأثير التقويم البديل في مدارس فالدورف على دافعية الطلبة نحو التعلم، وذلك من وجهة نظر المعلمين.

الأهداف الفرعية

1. تحديد الاستراتيجيات والأدوات والأساليب الأكثر استخداماً في تطبيق التقويم البديل داخل مدارس فالدورف، وكيفية توظيفها في العملية التعليمية.
2. استقصاء أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة للمشاركة الفاعلة في العملية التعليمية، ودور المعلمين في تعزيز هذه الدافعية.
3. رصد التحديات التي تواجه المعلمين عند تطبيق التقويم البديل، والبحث في سبل معالجتها وتحسين الممارسات التربوية المرتبطة بها.

الإطار النظري

التقويم البديل

يُعدّ التقويم البديل من أهمّ التوجّهات الحديثة في العملية التعليمية، يسعى إلى استبدال الاختبارات التقليدية الموحدة باستراتيجيات متنوعة تركز على مخرجات التعلم الشاملة ومهارات التفكير العليا للطلبة. يُعرّف التقويم البديل بأنه استخدام مهام أداء حقيقية، مثل المشاريع، العروض التقديمية، التقارير، ملفّات الإنجاز الورقية والإلكترونية، والتقويم الذاتي، لتقويم مدى تحقيق الطلبة لمخرجات التعلم بطريقة أصيلة وواقعية. (Malley&Pierce, 2021). وقد أكّدت دراسات عربية؛ الزبيدي (2019) والعلوي (2023) وعلاونة (2014) أن اعتماد المعلمين على استراتيجيات بديلة في التقويم يساهم في رفع مستوى التفكير النقدي والابداعي لدى الطلبة، ويعزّز قدرتهم على الربط بين التعلم والتطبيق الواقعي.

وفي بيئات تعليمية بديلة كمدارس فالدورف، ينتقل التقويم البديل لأبعاد شمولية، حيث يتم التركيز على الجانب العقلي والوجداني والاجتماعي، انسجاماً مع فلسفة شتاينر التربوية (سليمان، 2022، Rawson, 2021).

الدافعية في التعلم

الدافعية عبارة عن مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية تحفّز الطالب نحو تحقيق أهداف التعلم. وتلعب دوراً رئيساً في تحفيز الطلبة للمشاركة الفعالة، الإصرار، والمثابرة، خصوصاً عندما يكون التعلم مرتبطاً بالاهتمامات الشخصية. ووفقاً لنظرية تحديد الذات يرتبط تعزيز دافعية الطلبة بثلاث حاجات نفسية أساسية؛ (Deci & Ryan, 2017) (الكفاءة، الاستقلالية، والانتماء

ويُشير الحواري (2019) إلى أن استراتيجيات التقويم البديل تساهم في رفع الدافعية الذاتية للطلبة من خلال تفعيل دورهم كمشاركين فعالين في تقويم تعلمهم، مما يعزّز شعورهم بالمسؤولية والاستقلالية.

التقويم البديل ودافعية الطلبة

تشير الدراسات الحديثة إلى وجود علاقة إيجابية بين استخدام أساليب التقويم البديل ومستوى دافعية الطلبة للمشاركة الفاعلة في العملية التعليمية. فقد وجد (Wigfield, Gladstone, & Turci 2021) أنّ الطلبة الذين يشاركون في تقييم مشاريعهم، أو يقومون بالتقييم الذاتي، يظهرون دافعية أعلى للتعلم مقارنة بالطلبة الذين يخضعون لاختبارات تقليدية.

وقد بيّنت دراسة القحطاني والمالكي (2020) أن اعتماد معلّمي المرحلة الابتدائية على أساليب التقويم البديل كان له أثر إيجابي في رفع تفاعل الطلبة مع الأنشطة الصفية، وتحفيزهم على التفكير النقدي والابداعي، ممّا انعكس إيجابياً على تحصيلهم الأكاديمي.

كما تؤكّد (Heritage 2020) أن التقويم البديل يرتبط بزيادة الرغبة الذاتية في التعلم، نظراً لارتباطه بتجارب تعلم حقيقية ذات مغزى بالنسبة للطلبة.

الفلسفة التربوية لمدارس فالدورف

تُعدّ مدارس فالدورف نموذجاً مميزاً في التربية البديلة، تقوم على فلسفة متكاملة تنظر إلى الطفل باعتباره كائناً نامياً في جوانبه الفكرية والعاطفية والحركية (جولد شميث. 2022). ويتلاءم التقويم في هذه المدارس مع هذه الرؤية، حيث يتم التركيز على الملاحظة المستمرة، كتابة التقارير الفردية التفصيلية، والابتعاد عن التصنيفات الرقمية الرسمية (Rawson, 2021).

وبحسب دراسة مركز دراسات فلسطين (2023)، فإن ممارسات التقويم البديل في مدارس التربية البديلة تسهم في تطوير الحس بالمسؤولية الذاتية لدى الطلبة، وتدعم تكوين صورة متكاملة عن مفهوم الشخصي والاجتماعي. ومن هنا، يصبح فهم أثر التقويم البديل في سياق مدارس فالدورف على دافعية الطلبة أمراً جوهرياً لفهم فعالية هذه الأطر التربوية البديلة.

وهكذا يتضح لنا، أن التقويم البديل يمثل إطاراً تربوياً شاملاً يسعى إلى تعزيز التعلم العميق وتنمية المهارات العليا لدى الطلبة، بما يتلاءم مع متطلبات التربية المعاصرة. كما تؤكد نظريات علم النفس الحديثة، مثل نظرية تحديد الذات، على أهمية تلبية احتياجات الطلبة للكفاءة، والاستقلالية، والانتماء، في تعزيز دافعيتهم الذاتية، وهي أهداف يتلاءم معها التقويم البديل بشكل طبيعي. وفي هذا السياق، تظهر مدارس فالدورف كنموذج تطبيقي فريد يجسد هذه المبادئ من خلال فلسفتها التعليمية المتكاملة التي تركز على النمو الشامل للطلاب.

بناءً عليه، يُعد استكشاف أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة في بيئة مدارس فالدورف، من وجهة نظر المعلمين، خطوة علمية ضرورية لسد الفجوة المعرفية القائمة، ولمواكبة التحولات العالمية نحو ممارسات تقييم أكثر إنسانية وشمولية. ومن هنا تنبثق أسئلة البحث التي تسعى إلى فهم الأدوات والأساليب المستخدمة، مدى تأثيرها على تحفيز الطلبة، والعوائق التي قد تحد من فاعليتها في البيئات التربوية البديلة.

الدراسات السابقة

شهدت العقود الأخيرة تحولاً ملحوظاً في فلسفة التقييم التربوي، مع تصاعد الاهتمام بأساليب التقويم البديل التي تركز على تنمية مهارات التفكير النقدي، الإبداع، والقدرة العملية لدى الطلبة، بدلاً من الاقتصار على تقييم قدرتهم على الحفظ والاسترجاع (O'Malley & Pierce, 202؛ الزبيدي، 2019). وتبنت العديد من المدارس البديلة، من بينها مدارس فالدورف، ممارسات تقييم تستهدف دمج الجوانب الأكاديمية مع الوجدانية والاجتماعية، انسجاماً مع رؤيتها التربوية الشاملة (Rawson, 2021؛ سليمان، 2022).

وعلى الرغم من النجاحات المنسوبة للتقويم البديل، إلا أن تطبيقه في البيئات التعليمية لا يخلو من التحديات، أبرزها الحاجة إلى تدريب المعلمين بشكل مكثف على تصميم أدوات تقييم أصيلة، بالإضافة إلى صعوبة موازنة هذه الأساليب مع متطلبات الأنظمة التعليمية الرسمية التي تركز على الامتحانات والدرجات الموحدة (العلوي، 2023؛ القحطاني والمالكي، 2020). كما أن قياس المهارات الاجتماعية والوجدانية يظل أمراً معقداً ويحتاج إلى أدوات دقيقة لضمان مصداقية التقييم (Heritage, 2020).

كما أكدت أبحاث حديثة أثر التقويم البديل الإيجابي على دافعية الطلبة وأدائهم الأكاديمي والشخصي. فقد أظهرت دراسة (Wigfield, Gladstone, & Turci 2021) أن إشراك الطلبة في تقويم مشاريعهم الذاتية يعزز من تحفيزهم الداخلي، بينما أشارت دراسة الحواري (2019) إلى أن استخدام استراتيجيات التقويم البديل رفع من مستويات تحصيل الطلبة ومهاراتهم فيما وراء المعرفة. وأكدت تقارير مركز دراسات فلسطين (2023) أن التقويم البديل في مدارس التربية البديلة العربية ساعد على تنمية الشعور بالمسؤولية الذاتية لدى الطلبة.

مع ذلك، تكشف مراجعة الأدبيات عن بعض الثغرات؛ فعدد من الدراسات الأجنبية ركز على بيئات تعليمية غربية، مما يجعل تعميم نتائجها على السياقات العربية أمراً مشكوكاً فيه (Freeman & Johnson, 2022) ومن جهة أخرى، ورغم أن الدراسات العربية بدأت تسلط الضوء على أهمية التقويم البديل، إلا أنها غالباً ما تقتصر على البحث الميداني العميق الذي يرتبط بتطبيقه الفعلي داخل مدارس التربية البديلة مثل مدارس فالدورف.

بناءً على هذه المعطيات، تتضح الفجوة البحثية في قلة الدراسات التي تناولت أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة في مدارس فالدورف من منظور المعلمين. فقد ركزت معظم الأبحاث السابقة على الجوانب الأكاديمية البحتة، بينما بقي جانب الدافعية والسلوك التعليمي غائباً عن التحليل المعمق. ومن هنا، سعى البحث الحالي إلى سدّ هذه الفجوة عبر دراسة كيفية تأثير ممارسات التقويم البديل على دافعية الطلبة، مستنداً إلى خبرات المعلمين وملاحظاتهم في بيئة تربوية بديلة تتميز بطابعها الشمولي والفني.

تشير مراجعة الدراسات السابقة إلى وجود إجماع علمي متزايد حول الأثر الإيجابي للتقييم البديل في تعزيز التعلم العميق وتنمية المهارات العليا لدى الطلبة، مع إبراز أهمية دمج الجوانب الوجدانية والاجتماعية ضمن العملية التعليمية. غير أنّ هذه الدراسات، سواء في السياقات العالمية أو العربية، كشفت أيضاً عن تحديات عملية ومعرفية تعرقل التطبيق الفعال لهذه الاستراتيجيات، خاصة في ظل القيود المؤسسية والاختلافات الثقافية والتنظيمية.

ورغم أهمية النتائج التي توصلت إليها الأبحاث السابقة، تظل هناك فجوة بحثية ملحوظة تتعلق بفهم أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة تحديداً، لا سيما داخل مدارس فالدورف التي تتميز بنموذج تربوي بديل وشامل. إنّ غياب دراسات ميدانية معمقة في هذا السياق يحول دون تكوين تصوّر واضح حول العلاقة بين ممارسات التقويم البديل ومستويات التحفيز الذاتي للطلبة.

بناءً عليه، يكتسب البحث الحالي أهميته من سعيه لسد هذه الفجوة عبر استكشاف تجارب المعلمين وتحليل انعكاسات التقويم البديل على دافعية الطلبة في بيئات تعليمية تتبنى فلسفة تربوية مختلفة عن السائد، مما يسهم في تطوير النظرية والممارسة في آن واحد.

مصطلحات البحث

التقويم البديل (Alternative Assessment)

لغويًا: مصدر "قَيَمَ"، وهو تقدير قيمة الشيء أو تحديد مستواه. و"بديل" من البديل، أي الشيء الذي يُستعاض به عن آخر (ابن منظور 2003).

اصطلاحياً: التقويم البديل هو استخدام أساليب غير تقليدية لقياس تعلم الطلبة، مثل المشاريع، العروض التقديمية، المحافظ التعليمية، والتقويم الذاتي، بدلاً من الاعتماد فقط على الاختبارات الموحدة (O'Malley & Pierce, 2021).

حسب الأدبيات: يعرفه Heritage (2020) بأنه "مجموعة من استراتيجيات التقويم التي تركز على الأداء الواقعي للمتعلمين في مهام تعليمية أصيلة ترتبط ببيئات التعلم الحقيقية".

الدافعية (Motivation)

لغويًا: من "دفع"، أي حثّ الشيء وإجباره على الحركة أو الفعل (ابن منظور 2003).

اصطلاحياً: تشير الدافعية إلى القوى الداخلية أو الخارجية التي تحفّز الفرد على القيام بسلوك معين لتحقيق هدف ما (Ryan & Deci, 2020).

حسب الأدبيات: بحسب نظرية تحديد الذات، يُنظر إلى الدافعية على أنها نابعة من حاجات نفسية أساسية: الكفاءة، الاستقلالية، والانتماء (Deci & Ryan, 2017).

التعلم الشمولي (Holistic Learning)

لغويًا: شمولي "مشتق من 'شمل'، أي احتوى وأحاط بجميع الجوانب. (قاموس المعاني).

اصطلاحياً: التعلم الشمولي هو نهج تربوي يهدف إلى تنمية جميع جوانب شخصية الطالب: المعرفية، العاطفية، الاجتماعية، والروحية، بطريقة متكاملة ومتراصة. (Rawson, 2021)

حسب الأدبيات: يرى (Ullrich 2019) أن التعليم الشمولي يتجاوز نقل المعرفة إلى تهيئة بيئة تربوية تدعم النمو المتوازن للطلاب وتراعي اختلافات الأفراد.

مدارس فالدورف (Waldorf Schools)

لغويًا: اسم علم، نسبة إلى مدينة فالدورف الألمانية، حيث أسست أول مدرسة من هذا النوع عام 1919 .

اصطلاحياً: مدارس فالدورف هي مؤسسات تربوية تعتمد على فلسفة رودولف شتاينر، وتتميز بتركيزها على التعليم الشمولي، احترام مراحل النمو الطبيعي للطفل، وتوظيف الفنون والإبداع ضمن المنهج الدراسي (Rawson, 2021) .

حسب الأدبيات: يشير (Rawson 2021) إلى أن التعليم في مدارس فالدورف يركز على تربية الطفل ككل: تفكيراً، شعوراً، وإرادةً.

حدود البحث

1. الحدّ المكاني

اقتصر البحث على مدرسة من مدارس فالدورف في الداخل الفلسطيني.

2. الحدّ الزمني

الفصل الثاني من السنة الدراسية 2024 - 2025.

3. الحدّ الموضوعي

فحص البحث التقويم البديل في سياق دافعية الطلبة من وجهة نظر المعلمين، دون التعمق في جوانب أخرى من العملية التعليمية (مثل المناهج أو الأنشطة الإضافية).

4. الحدّ البشري (عينة البحث)

ثمانية معلمين من مدرسة فالدورف.

محدوديات البحث

1. الاعتماد على وجهات نظر المعلمين فقط، حيث اعتمد البحث على تجربة المعلمين وتقييمهم لدافعية الطلبة، وهذا قد يؤدي إلى وجود تحيز في النتائج.

2. التعميم المحدود للنتائج نظراً لاختلاف السياقات الثقافية والبنية المؤسسية بين مدارس فالدورف عالمياً، فقد تكون النتائج قابلة للتطبيق بدرجة محدودة في بيئات أخرى غير تلك التي تناولتها الدراسة.

3. التأثيرات الخارجية: قد تتأثر دافعية الطلبة بعوامل خارجة عن نطاق التقويم البديل، مثل الظروف النفسية والاجتماعية أو خصائص المرحلة العمرية، الأمر الذي يجعل من الصعب عزل أثر التقويم البديل بدقة.

4. توفر الموارد والدعم المؤسسي

تُعدّ موارد المدرسة (الوقت، وتدريب المعلمين، والبنية التحتية) عاملاً مهماً في مدى نجاح تطبيق التقويم البديل. في حال عدم توفر هذه الموارد بشكل كافٍ، فقد يؤثر ذلك على دقة التوصيات النهائية للبحث.

منهجية البحث

تتنمي هذه الدراسة إلى المنهج النوعي التفسيري، الذي يُعنى بفهم الظواهر التربوية في سياقها الطبيعي، من خلال مقارنة معمقة للتجارب الفردية والتصورات الذاتية (Creswell & Poth, 2018). وقد تمّ اختيار هذا المنهج بوصفه الأنسب لفحص دور التقويم البديل في تحفيز الطلبة داخل مدارس فالدورف، من خلال مفاهيم المعلمين وخبراتهم التربوية، التي يصعب اختزالها في مؤشرات كمية (Heritage, 2020).

تصميم

اعتمدت الدراسة تصميم دراسة الحالة التفسيرية (Interpretive Case Study)، الذي يُمكن من متابعة الظاهرة ضمن سياق محدّد ومعقّد، مع محاولة استكشاف العلاقات غير المباشرة بين ممارسات التقويم ودافعية الطلبة. تمّ اختيار هذا التصميم لأنه يسمح بالجمع بين التحليل السياقي والمشاركة التفسيرية، وهو ما يلائم بيئة مدارس فالدورف ذات الطابع الفلسفيّ البديل. (Mazzone & Richer, 2022).

عينة البحث (Sampling)

أُستُخدمت العينة القصدية التراكمية حسب نموذج العينة القصدية المتوافق مع الإطار النوعي في الدراسات التربوية، كما أشار إليه الزبيدي (2022) في دراسة مشابهة حول استراتيجيات التقويم في المدارس الابتدائية. وقد تم اختيار المشاركين وفق معايير معلوماتية دقيقة، أهمّها:

- أن يكون المعلم قد عمل في مدارس فالدورف لمدة لا تقلّ عن ثلاث سنوات.
- أن تكون لديه تجربة وخبرة في استخدام أدوات أو أساليب تقويم بديل.
- أن يبدي استعدادًا للتأمل والتفكير في ممارساته والتعبير عنها بصدق ووضوح.

عدد المشاركين ثمانية معلمين، مع مراعاة الوصول إلى تشبع المعنى، (أي النقطة التي لا تضيف فيها البيانات الجديدة معانيًى نوعيّة جديدة).

أدوات وإجراءات جمع البيانات (Data Collection)

تم جمع البيانات من خلال مقابلات شبه مبنية (Semi-Structured Interviews)، صُممت بناءً على الإطار المفاهيمي والدراسات السابقة. شملت المقابلات محاور حول:

- فهم المعلمين للتقويم البديل واستخداماته.

- إدراك المعلمين لتأثير التقويم البديل على دافعية الطلبة.

- التحديات والفرص في تطبيقه.

كما استُخدمت الملاحظة بالمشاركة المحدودة أثناء تواجد الباحثة في المدرسة، وتحليل وثائق مدرسية مثل قوائم التقويم الوصفية. سُجّلت المقابلات صوتيًا بعد الموافقة (وتراوحت مدتها بين 45-60 دقيقة)، ثم فُرغت حرفيًا للتحليل.

تحليل البيانات (Data Analysis)

تم استخدام التحليل الموضوعاتي البنائي (Constructivist Thematic Analysis) وفقًا لمنهجية Braun & Clarke

(2006)، عبر المراحل التالية:

1. القراءة التمهيدية للنصوص وتحديد الوحدات المعنوية.
2. الترميز المفتوح، ثم تجميع الرموز في مواضيع فرعية.
3. تكثيف الموضوعات وربطها بالإطار النظري (مثل نظريات التحفيز الذاتي).
4. فحص التناقضات، وإعادة مراجعة الموضوعات وتفسيرها بعمق.

الموثوقية والصدق النوعي (Trustworthiness)

لتعزيز مصداقية النتائج، تم اتباع إجراءات منهجية:

- مراجعة وتحكيم لخبير في المجال.
- الصدق الداخلي: من خلال مراجعة المشاركين للنتائج الأولية (Member Checking)، ومقارنة الترميزات مع باحثين آخرين.
- القابلية للنقل (Transferability): بوصف بيئة البحث بثناء لغوي وسياقي يسمح بفهم النتائج في ضوء سياقات مشابهة.
- الاعتمادية (Dependability): عبر توثيق دقيق لكافة مراحل البحث، بما يتيح المراجعة أو التكرار من باحثين آخرين.
- الحيادية (Confirmability): بالاحتفاظ بمذكرات ميدانية، وتوثيق القرارات التفسيرية، لتقليل الأثر الشخصي للباحث.

تم تصميم هذه المنهجية بعناية لضمان عمق الفهم وتحليل السياقات التربوية التي تمارس فيها استراتيجيات التقويم البديل. وقد تم توظيف أدوات وإجراءات تتماشى مع المعايير النوعية العالمية، من أجل بناء معرفة تربوية أصيلة مصدرها الحقل، وتُغني النظرية بالممارسة الفعلية.

عرض النتائج

جدول تلخيص نتائج الدراسة

المحور	النتائج
استراتيجيات وأدوات التقويم البديل	تنوّع في الاستراتيجيات والأدوات: الملاحظة، الملف الشخصي، المشاريع، العروض، اليوميات، ملفّ الإنجاز. تلاؤم مع المنهج الشمولي في فالدورف.
شمولية التقويم البديل	يشمل الجوانب المعرفية، الوجدانية والمهارية. يقيم الطالب ككائن متكامل.
أثر التقويم البديل على دافعية الطلبة	رفع الثقة، تقليل القلق، دافعية داخلية قوية، تعزيز الاستقلالية.
التحديات والصعوبات المرتبطة بالتقويم البديل.	صعوبة التوثيق، محدودية الوقت، غياب المعايير الكمية، الحاجة إلى موارد زمنية.
الدعم المؤسسي والمجتمعي	وجود دعم إداري ومهني، دور إيجابي للطواقم التربوية.
التوصيات والاقتراحات	زيادة التوجيه للمعلمين، إشراك الطلبة والأهل، تطوير أدوات مرنة، دعم السياسات التعليمية.

وهكذا أظهرت نتائج المقابلات التي أجريت مع معلمي مدرسة فالدورف في شفاعمرو، كما ورد في الجدول أعلاه، اتفاقاً على الدور الإيجابي الذي يقوم به التقويم البديل في تعزيز دافعية الطلبة نحو التعلم. فقد أشار جميع المشاركون إلى أن هذا النوع من التقييم يساهم في تقليل مشاعر القلق والضغط المرتبطين بالتقييم التقليدي، ويزيد من مستويات الحماس، ويحفز الطلبة على المشاركة النشطة، واستكشاف مجالاتهم الإبداعية بشغف وفضول. وقد انعكس ذلك في أمثلة عملية، مثل انتظار الطلبة للمهام، وشغفهم بالمشاريع والعروض، وحتى الطلبة مع صعوبات تعليمية تحسن أدائهم بعد دمج أساليب التقويم المرنة.

كما بينت تصريحات المعلمين أن التقويم البديل يعزز استقلالية الطلبة وثقتهم بأنفسهم، من خلال منحهم مساحة لاختيار المهام، العمل ضمن مجموعات، وتنمية الشعور بالإنجاز دون التهديد بالعلامات الرقمية. وأكد المعلمون أن هذا الأسلوب يساعد على استثمار نقاط القوة الفردية للطلبة، وتوفير بيئة تعلم آمنة تتيح التطور الذاتي.

أما بالنسبة لأنواع التقويم المستخدمة في المدرسة، فقد شملت مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات والأدوات مثل: التقويم الوصفي، الملاحظة الصفية الممنهجة، ملفات الإنجاز، تقويم الأداء، المشاريع، العروض المسرحية، كتابة القصص واليوميات، وخرائط المفاهيم. وقد تم التأكيد على أن هذه الاستراتيجيات والأدوات تتيح تقويماً أكثر شمولية من الاختبارات التقليدية، إذ تراعي الجوانب المعرفية، الوجدانية، والمهارية عند الطالب.

ورغم هذه الإيجابيات، فقد أشار المعلمون إلى عدة تحديات تعيق تطبيق التقويم البديل، مثل الحاجة إلى جهد كبير في التحضير والمتابعة، ضرورة الإبداع المستمر، وصعوبة تحويل بعض المهارات الوجدانية والإبداعية إلى مؤشرات كمية قابلة للتقويم، بالإضافة إلى صعوبة توثيق التقدم بطريقة منهجية وشاملة.

من جهة أخرى، أكد المعلمون وجود دعم مؤسسي من إدارة المدرسة، انعكس في توفير الإرشاد الداخلي والخارجي، عقد حلقات طاقم تعاونية للتعلم من الزملاء، واستكمالات مهنية مرتبطة بتطوير التقويم ضمن مساق تخصص في فلسفة التعليم في مدارس فالدورف. ومع ذلك، أشار بعضهم إلى أن التطبيق الناجح بحاجة للمبادرة الفردية والدافعية الذاتية الداخلية للمعلم.

وفي ضوء هذه المعطيات، اقترح المشاركون عدة توصيات لتحسين التطبيق الفعال للتقويم البديل، منها: تطوير أدوات مرنة تراعي الفروق الفردية، تصميم معايير تقييم مناسبة لكل مرحلة عمرية، تعزيز التدريب المستمر للمعلمين، وتوفير أدوات رقمية أو ورقية لتوثيق ملفات الإنجاز والملاحظات الصفية بشكل منظم.

مناقشة النتائج

تدل نتائج المقابلات مع المعلمين في مدرسة فالدورف على وجود وعي تربوي عميق بأهمية التقويم البديل ودوره المحوري في تعزيز الدافعية لدى الطلبة، وهو ما يتقاطع مع الأدبيات التربوية الحديثة التي تؤكد مركزية التقويم البديل في بناء تعلم نشط وشامل (Panadero & Heritage, 2020) فقد أكد جميع المشاركون أن التقويم البديل يخفف من القلق والتوتر النفسي الناتج عن الاختبارات التقليدية، ويخلق بيئة صفية داعمة ومشجعة على الإبداع، والتعلم الذاتي، والمشاركة الفعالة، وذلك من خلال أدوات تقويم متنوعة تراعي الجوانب المعرفية، الوجدانية، والمهارية، مثل ملفات الإنجاز، الملاحظة، التقويم الوصفي، والعروض المسرحية. وهذا ينسجم مع مفاهيم التعلم البنائي التي وضع أسسها بياجيه (1965) والتي تؤكد على دور الطالب كمشارك نشط في بناء المعرفة، كما تدعمه نظرية الدافعية الذاتية (Self-Determination Theory) التي طرحتها Deci & Ryan (2020)، والتي تشير إلى أن إتاحة الاختيار للطلبة والتعبير الذاتي يساهم في تعزيز الدافعية الداخلية والتعلم العميق.

عند مقارنة هذه النتائج بالدراسات السابقة، نلاحظ تطابقاً مع ما توصلت إليه دراسة شحادة (2021) التي أكدت أهمية التقييم غير التقليدي في تفعيل أدوار الطلبة، وكذلك مع نتائج (Zoughbi & Daoud, 2023) التي طالبت بإعادة النظر في أشكال التقييم بما يتلاءم مع قيم المواطنة والتعلم النشط. كما دعمت دراسة (Fitri & Rifaat, 2022) فعالية التقويم الذاتي وتقويم الأقران في تحسين مهارات الكتابة والوعي الذاتي لدى الطلبة، وهو ما أشار إليه بعض المعلمين من خلال أمثلة التحول الإيجابي لدى طلبة لديهم صعوبات تعلم.

ومع ذلك، كشفت البيانات عن تحديات مركزية، أبرزها الجهد الكبير المطلوب من المعلم، وصعوبة تحويل المهارات الوجدانية إلى مؤشرات كمية قابلة للقياس، بالإضافة إلى الحاجة المستمرة للابتكار ومراعاة الفروق الفردية. وهو ما يتماشى مع ما أشار إليه (Sadler, 2021) حول إشكالية وضع معايير دقيقة للتقويم البديل للمحافظة على الموضوعية وعدم الوقوع في التقويم الانطباعي. وفي هذا السياق، تظهر الحاجة إلى بناء أطر تقييم مرنة ولكن منهجية، تستند إلى ممارسات واضحة وتوجيهات علمية، تُدمج فيها التكنولوجيا وأدوات التقييم المستمر، بما يضمن جودة التنفيذ والعدالة التربوية. كما تدعم هذه النتائج الدعوة إلى تكثيف تدريب المعلمين على فلسفة التقويم البديل وأدواته التطبيقية، وتوفير بنية مؤسسية داعمة تسمح بالتطور المهني التعاوني، كما هو مطرح في رؤية Darling-Hammond وآخرين (2020) حول مجموعات التعلم المهني وأثرها في إنجاح التقويم والممارسة الصفية.

كما يتضح من استجابات المعلمين أن التقويم البديل لا يُعدّ فقط إجراءً تقويمياً، بل مدخلاً تربوياً شاملاً يعكس فلسفة تعليمية متكاملة، يتلاقى فيها الجانب الأكاديمي مع البعد الإنساني في العملية التعليمية. فالمعلم في مدارس فالدورف لا يكفي بقياس التحصيل النهائي لعملية التعلم، بل يرصد سيورة التطور للمتعلم في أبعاده المختلفة، وهو ما يتلاءم مع النموذج التربوي التكاملي للفلسفة التربوية لمدارس فالدورف (سليمان، 2022، Rawson, 2021). وفي ضوء ذلك، يُصبح دور المعلم أشبه بالباحث التربوي الذي يراقب ويفكر ويخطط بناءً على الأدلة النوعية، وهو ما يتطلب درجة عالية من التأهيل المهني والاستعداد النفسي للتعلم المستمر. لذلك شددت آراء المشاركين على أهمية التدريب المتواصل، ليس فقط على الاستراتيجيات، بل على الفلسفة الكامنة وراء التقويم البديل التي تعيد تعريف العلاقة بين الطالب والمعرفة والتقييم. وقد أشار البعض إلى أهمية بناء ثقافة مدرسية مشتركة تتبنى هذا التوجه، من خلال مجموعات التعلم المهنية والمرافقة التربوية، مما يعكس اتساقاً مع ما ورد في أدبيات (Darling-Hammond 2020) بشأن بناء قدرات المعلمين المستدامة.

من جهة أخرى، عبّر بعض المشاركين عن التحديات المرتبطة بالعدالة في التقييم عند غياب المعايير الدقيقة، وخصوصاً فيما يرتبط بتقويم المهارات الوجدانية والفنية. وهذا يسلط الضوء على فجوة بين الطموح الفلسفي للتقويم البديل ومتطلبات التطبيقات الواقعية، التي تحتاج إلى أدوات مرجعية مرنة، تجمع بين التخصص والملاءمة الفردية. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى تجارب مثل تجربة (Panadero & Andrade 2017) في بناء سلالمة تقدير قائمة على وصف الأداء النوعي كوسيلة لتقليل الغموض وتوحيد المعايير عند المعلمين.

ما تقدّم من إجمال يشير إلى ضرورة إعادة التفكير في سياسات التقييم المدرسي، وتبني نماذج بديلة تتوافق مع متطلبات القرن الحادي والعشرين، وتستجيب لحاجات المتعلمين المعرفية والوجدانية والمهارية. فالتقويم البديل، في سياقه الصحيح، ليس فقط أداة للحكم على الأداء، بل فرصة لبناء متعلم مستقل، ناقد، ومشارك في بناء تعلمه.

الاستنتاج

للإجابة عن السؤال الرئيس للبحث حول كيفية تأثير التقويم البديل على دافعية الطلبة في مدرسة فالدورف ، تبين مما أدلى به المعلمون أنّ التقويم البديل يُشكّل مدخلاً فعالاً لدعم تعلّم الطلبة وتعزيز دافعتهم الداخلية. فقد أظهرت البيانات أن هذا النوع من التقويم يوفّر بيئة تعليمية داعمة تقلّل التوتر وتزيد التحفيز، تركّز على العملية التعليمية بأكملها وليس فقط على النتائج النهائية.

أمّا السؤال الأول الفرعيّ حول الاستراتيجيات الأكثر استخداماً في التقويم البديل داخل المدرسة فقد ذكر المعلمون أنّ أكثر الاستراتيجيات والأدوات استخداماً هي: التقويم الوصفي، الملاحظة الصفية، ملفّات الإنجاز، تقويم الأداء، العروض، كتابة اليوميات، والمشاريع التشاركية.

وعلى السؤال الثاني الفرعيّ، حول كيفية تأثير التقويم البديل على تحفيز الطلبة للمشاركة في العملية التعليمية فقد أفاد المعلمون أنّ التقويم البديل ساعد على تمكين المتعلّمين من التعبير عن ذاتهم، زاد الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية تجاه تعلّمهم، ضمن سياق تربوي إنسانيّ وشامل.

ومع ذلك، كرّد على السؤال الثالث الفرعيّ حول التحديات التي تواجه المعلمين أثناء تطبيق التقويم البديل وطرق العلاج، فقد أظهرت البيانات أنّ فعالية هذا التوجّه تظلّ مشروطة بوجود دعم مؤسسيّ مستمرّ، وأدوات تقويم مرنة وواضحة، ومرافقة مهنية تُمكن المعلم من أداء دوره كميسّر للتعلّم وملاحظ للتطور.

التوصيات

استناداً لنتائج البحث، توصي الباحثة وتقدّم ما يلي:

- تطوير برامج تدريبية مستمرة للمعلمين لتعميق فهمهم لفلسفة التقويم البديل، وتمكينهم من تصميم أدوات تقويم تراعي الفروق الفردية لتحفيز الدافعية الذاتية.
- بناء بنك أدوات تقييمية مصنّفة حسب الفئة العمرية ونوع المهارات المستهدفة.
- تفعيل التقويم الذاتي وتقويم الأقران كوسيلتين لتعزيز الانخراط الشخصي في عملية التعلّم.
- تبني استراتيجيات تقييم أصيلة ومتنوعة مثل: التقويم المعتمد على التواصل، سلالمة التقدير (الروبركات)، وخرائط المفاهيم.
- تطوير معايير أداء مرنة وقابلة للتطبيق، تتيح تقويم المهارات الوجدانية والإبداعية بإنصاف.
- *إتاحة أدوات رقمية أو ورقية منظمة تسهّل توثيق التقدّم الفردي في ملفّات الإنجاز وملاحظات الأداء.
- *تشجيع البحث التربويّ الإجرائي في المدارس بهدف تطوير أدوات تقويم بديلة تتناسب مع خصوصيات السياق المحلي.
- تنظيم مجموعات تعلّم مهنية داخل المدرسة لتبادل الخبرات وتقليل العبء الفردي على المعلمين.

الخلاصة

تُظهر نتائج الدراسة أن التقويم البديل في مدرسة فالدورف ليس مجرد أداة لتقويم نواتج التعلم، بل هو جزء ثابت من الفلسفة التربوية الشاملة التي تقوم عليها المدرسة كما باقي مدارس فالدورف، والتي تؤمن بأن التعلم الحقيقي يتم من خلال تفاعل عميق بين الجوانب المعرفية، الوجدانية، والمهارية لدى المتعلم. لقد تبين أن ممارسات التقويم البديل تسهم بفعالية في بناء بيئة تعليمية آمنة ومحفزة، تسمح للطلبة بالتعبير عن ذاتهم، وتحفز دافعتهم الذاتية، وتنمي لديهم روح المبادرة والفضول المعرفي، دون أن يكونوا تحت ضغط الدرجات أو الخوف من الفشل.

كما أكدت البيانات أن التقويم البديل يعزز استقلالية الطالب من خلال إشراكه في تقييم أعماله، وتفعيل التقويم الذاتي وتقويم الأقران، ما يمكنه من تعميق وعيه بذاته كمتعلم، وتحمل مسؤولية مساره التعليمي. وتتسجم هذه النتائج مع الأطر النظرية المعتمدة، لاسيما نظرية تحديد الذات (Self-Determination Theory) ونظرية البنائية الاجتماعية، اللتان تؤكدان على أهمية إشراك الطالب في عملية التعلم والتقييم على حد سواء.

ومع أن هذه الممارسات التقييمية حققت أثراً إيجابياً ملحوظاً على الدافعية والمشاركة، إلا أن تطبيقها لا يخلو من التحديات؛ فقد أشار المعلمون إلى صعوبات متعلقة بغياب معايير دقيقة لتقويم المهارات الوجدانية، والحاجة إلى وقت وجهد كبيرين، ومحدودية أدوات التوثيق المؤسسية. كما أظهرت النتائج الحاجة إلى تدريب متخصص ودعم تنظيمي ومهني مستمر من قبل إدارة المدرسة وجهات الإشراف التربوي.

بناءً على ذلك، يمكن القول إن نجاح التقويم البديل وفعاليته في بيئة مدرسة فالدورف ينبع من توافقه مع الفلسفة التربوية الكلية للمؤسسة، لكنه يظل بحاجة إلى أطر داعمة تتحدد الممارسات وتوفر الموارد اللازمة لتوسيعها وتحسينها. ويتطلب ذلك بناء سياسات تقويم مرنة لكنها ممنهجة، تراعي الفروق الفردية، وتُفعل دور المعلم كمصمم للتعلم، لا كمنفذ لخطة تقويمية جاهزة.

المراجع

- ابن منظور، ج.م.ب.م. (2003). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- الحواري، أ.ع. (2019). أثر استخدام استراتيجيات التقويم البديل في تحصيل الطلبة وإكسابهم مهارات ما وراء المعرفة. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، 3(25)، 112.95-.
- الزبيدي، م.ح. (2019). واقع التقويم البديل في التعليم العام في منطقة مكة المكرمة من وجهة نظر معلمي التعليم العام. *المجلة التربوية لكلية التربية بسوهاج*، 66(66)، 284.245-.
- الزبيدي، م.ح. (2022). ممارسات تقويم الأداء في المدارس الابتدائية الحكومية في ضوء المعايير المهنية. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، 6(11)، 109.88-.
- العلوي، و.ح.م. (2023). توظيف استراتيجيات التقويم البديل ومعوقاته من وجهة نظر معلمي اللغة العربية بالمرحلة الثانوية. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، 7(38)، 126.104-.
- القحطاني، ع.ب.ع.، والمالكي، إ.ب.م. (2020). أهمية أساليب التقويم البديل وأدواته في تقويم تعلم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، 4(34)، 39.16-.
- جولدشميت، ج. (2022). *عالم الطفولة: تربية ومرافقة من وجهة نظر تربوية فالدورف*. هاردوف: الجليل.

- سليمان، ن.ص.م.(2022).إجراءات مقترحة لتطوير التعليم في مصر في ضوء فلسفة رودولف شتاينر.دراسات تربوية واجتماعية، 28(2)، 91.84-
- عبد الستار، م.(2018).النظرية التربوية عند رودلف شتاينر: دراسة تحليلية.دار المنظومة.
- علاونة، م.(2014).الاحتياجات التدريبية في استراتيجيات التقويم البديل وأدواته عند معلمي الرياضيات في مديرية التربية والتعليم في مدينة نابلس.مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، 2(11).
- غولدشتين، غ.(2019).تربية فالدورف كترية روحانية.مجلة عينونم بحينوخ.جامعة حيفا.
- مركز دراسات فلسطين.(2023).مدارس التربية البديلة في المجتمع العربي الفلسطيني في الداخل.
- Aloni, N.(2012).*Empowering dialogues in humanistic education*.Sense Publishers.
- Coombe, C.(2019).Alternative assessment in language education: Promoting learner autonomy.*TESOL Journal*, 10(4), e473.
- Creswell, J.W., & Poth, C.N.(2018).*Qualitative inquiry and research design: Choosing among five approaches* (4th ed.).SAGE Publications.
- Deci, E.L., & Ryan, R.M.(2017).*Self-determination theory: Basic psychological needs in motivation, development, and wellness*.Guilford Publications.
- Freeman, D., & Johnson, K.E.(2022).Reconceptualizing the knowledge-base of language teacher education.*TESOL Quarterly*, 56(1), 9–30.
- Heritage, M.(2020).*Formative assessment: Making it happen in the classroom* (2nd ed.).Corwin Press.
- Mazzone, A., & Richer, J.(2022).Exploring teacher perceptions of alternative assessment in holistic education contexts.*Journal of Alternative Education*, 15(3), 45–59.
- O'Malley, J.M., & Pierce, L.V.(2021).*Authentic assessment for English language learners: Practical approaches for teachers*.Addison-Wesley.
- Rawson, M.(2021).Learning as a path of inner development: A Waldorf perspective on learning.*Research on Steiner Education*, 12(1), 8–19.
- Rawson, M.(2021).*Waldorf education in contemporary contexts: Global perspectives and local practices*.Hawthorn Press.
- Ryan, R.M., & Deci, E.L.(2020).Intrinsic and extrinsic motivation from a self-determination theory perspective: Definitions, theory, practices, and future directions.*Contemporary Educational Psychology*, 61, 101860.
- Smith, T., & Brown, J.(2021).Alternative approaches to educational assessment: Theory and practice.*Journal of Innovative Assessment*, 17(2), 45–59.
- Ullrich, H.(2019).Rudolf Steiner: Education for life and soul.*International Review of Education*, 65(1), 15–35.
- Wigfield, A., & Wentzel, K.R.(2020).*Handbook of motivation at school* (2nd ed.).Routledge.

عنوان البحث

تحليل محتوى الورشات التدريبية للصف الحادي عشر في ضوء مهارات الذكاء العاطفي

أ. مي عبد العزيز محمود كنعان¹، أ. شروق رياض أبو مخ¹

¹ كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

بريد الكتروني: mai.kanaan1983@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/14>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/14>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

الخلفية والأهداف: تستهدف الدراسة تحليل محتوى الورشات التدريبية المقدمة لطلبة الصف الحادي عشر في ضوء مهارات الذكاء العاطفي (الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار) في المدارس الثانوية بمنطقة المثلث داخل الخط الأخضر، خلال الفصل الدراسي الثاني 2024-2025. تنطلق الدراسة من إطار نظري يستند إلى نموذجي جولمان وبار-أون، وإلى أدبيات النمو النفسي في مرحلة المراهقة.

المنهجية: اعتماد منهج نوعي بتحليل محتوى موجّه. جُمعت البيانات من عيّنة قصديّة قوامها 46 طالباً/طالبة و17 من أفراد الطاقم التربوي، باستخدام استبانة بأسئلة مفتوحة، ومجموعات بؤرية، وملاحظة صفّية، مع تحكيم أدوات الدراسة ومراجعتها من مختصين لضمان الصدق، وتثليث البيانات لتحسين الموثوقية. نُفذت معالجة موضوعاتية (Thematic Content Analysis) لاستخراج الأنماط والعناصر الدالة.

النتائج: أظهرت الورشات أثراً إيجابياً واضحاً في: (1) تنمية الوعي الذاتي عبر تسمية الانفعالات وربطها بالسياقات اليومية، (2) تعزيز الثقة بالنفس والتجروء على التعبير والمبادرة والمشاركة الصفّية، (3) تحسين اتخاذ القرار من خلال فحص البدائل وتقدير العواقب والاستشارة، (4) دعم التنظيم الذاتي وتقليل التوتر عبر ممارسات عملية لإدارة الوقت، و(5) تحسّن تقبل التغذية الراجعة. أكد الطاقم التربوي ملائمة المحتوى لاحتياجات الطلبة، مع توصيات بتقليل أعداد المشاركين، وتوسيع زمن الحوار، وتنويع الفعاليات بما يلائم السياق الثقافي الرقمي.

الاستنتاجات: تبرهن الورشات على فاعليتها التربوية في تنمية مكونات الذكاء العاطفي المتداخلة لدى المراهقين، بما يدعم التوافق النفسي والمشاركة الأكاديمية واستعداد القرارات التعليمية. توصي الدراسة بتضمين هذه الورشات في البرامج المدرسية بصورة منظمّة، وتطوير أدوات تقييم كمية ونوعية، وبناء برامج تدريب للطواقم وأولياء الأمور، مع إتاحة دعم عاطفي متخصص للطلبة ذوي الاحتياج العالي.

الكلمات المفتاحية: الذكاء العاطفي؛ الوعي الذاتي؛ الثقة بالنفس؛ اتخاذ القرار؛ إدارة الوقت؛ تحليل المحتوى.

RESEARCH TITLE

Content Analysis of Eleventh-Grade Training Workshops in Light of Emotional Intelligence Skills

Abstract

Background and Objectives: This study aims to analyze the content of training workshops provided to eleventh-grade students in light of emotional intelligence skills—specifically self-awareness, self-confidence, and decision-making—within secondary schools in the Triangle region inside the Green Line during the second semester of the 2024–2025 academic year. The research is grounded in theoretical frameworks developed by Goleman and Bar-On, as well as in psychological development literature on adolescence.

Methodology: A qualitative approach was adopted using directed content analysis. Data were collected from a purposive sample of 46 students and 17 members of the educational staff through open-ended questionnaires, focus groups, and classroom observations. The research instruments were reviewed and validated by experts to ensure credibility, and data triangulation was applied to enhance reliability. Thematic Content Analysis was conducted to extract key patterns and indicators.

Results: The workshops demonstrated a clear positive impact on several areas: enhancing self-awareness through identifying emotions and linking them to daily contexts; strengthening self-confidence and encouraging expression, initiative, and classroom participation; improving decision-making through examining alternatives, anticipating consequences, and seeking advice; supporting self-regulation and reducing stress through practical time-management practices; and increasing acceptance of feedback. The educational staff confirmed the relevance of the workshop content to students' needs and recommended reducing group sizes, extending discussion time, and diversifying activities to better suit the digital cultural context.

Conclusions: The workshops prove pedagogically effective in developing interconnected components of emotional intelligence among adolescents, supporting psychological adjustment, academic engagement, and readiness for educational decision-making. The study recommends formally integrating these workshops into school programs, developing both quantitative and qualitative assessment tools, providing training for educators and parents, and offering specialized emotional support for students with higher needs.

Key Words: Emotional intelligence; Self-awareness; Self-confidence; Decision-making; Time management; Content analysis.

مقدمة الدراسة

يُعد الذكاء العاطفي عنصرًا حاسمًا في تحقيق التوازن النفسي لدى الطلبة، خاصة في ظل التغيرات المتسارعة في العالم المعاصر. فالطلبة يمثلون اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ومن هنا تبرز الحاجة إلى إعدادهم ليكونوا أفرادًا قادرين على التكيف مع الضغوطات، واكتساب المعرفة، وتنظيم انفعالاتهم. ويرتبط الذكاء العاطفي ارتباطًا وثيقًا بتعزيز الثقة بالنفس، وتمكين الطلبة من اتخاذ قرارات سليمة، والتفاعل بإيجابية مع الآخرين دون فقدان خصوصيتهم أو فرادتهم. كما يساهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على الحب، والانضباط، والانخراط في علاقات قائمة على التفاهم والتفاعل الإنساني، مما ينعكس إيجابيًا على التحصيل الأكاديمي وتحقيق الذات (العمار وكابور، 2022).

تشير الخبرات الميدانية إلى أن طلبة الصف الحادي عشر في المرحلة الثانوية يعيشون مرحلة حرجة تجمع بين النمو الجسمي السريع، والتغيرات النفسية والانفعالية العميقة، إلى جانب التحديات المعرفية والاجتماعية المتزايدة. لقد لاحظنا كموجهات في مجال إرشاد وتوجيه المجموعات، أن هؤلاء الطلبة بحاجة ماسة إلى تمكينهم من مهارات الذكاء العاطفي، خصوصًا مهارات: الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرارات. فقد تبين أن الورشات التدريبية تمثل أداة فعالة في تطوير هذه المهارات، لكنها تحتاج إلى مراجعة علمية وتحليل منظم لمحتواها، لتقييم مدى توافقه مع هذه الأهداف التربوية (ريحان، 2023).

تُعد مرحلة المراهقة مرحلة مركبة تتأرجح بين مشاعر الفرح والاندفاع، وبين لحظات الحزن والانكماش. إذ يسعى المراهق إلى بناء هويته الخاصة، مما قد يدفعه إلى سلوكيات متوترة، أو تمرد على الأسرة، ورفض التوجيهات. في ظل هذا، تصبح الحاجة ملحة لتوفير برامج تدخلية قائمة على الذكاء العاطفي، تساعد على فهم ذاته وتنظيم مشاعره وتعاطفه مع الآخرين (ريحان، 2023).

وفقًا لـ (Sawyer et al. 2018)، فإن فترة المراهقة تمتد حاليًا بين أعمار 10 إلى 24 عامًا، ويشهد هذا الطور ذروة في التحديات العاطفية والنفسية. وتشير الإحصاءات إلى أن نحو 16.5% من المراهقين في المملكة المتحدة يعانون من مشكلات في الصحة النفسية. ويؤكد (Fteiha & Awad 2020) أن مواجهة المراهق لمواقف حياتية معقدة دون امتلاك أدوات التكيف الانفعالي والعاطفي يؤدي إلى ظهور ردود فعل بدائية كالغضب والخوف، ما ينعكس في سلوكيات اندفاعية. أما (Brinto 2023)، فيشير إلى أن الذكاء العاطفي يعد مهارة حياتية حاسمة تدعم الرفاه العام، وتساهم في تمكين المراهق من فهم ذاته والآخرين. وتظهر دراسات متعددة مثل (Naurzalina et al., 2015) أن الذكاء العاطفي يؤثر إيجابيًا في النشاط المعرفي للطلبة، وفي قدرتهم على التنظيم الذاتي، والتحفيز الداخلي، وتحقيق الإنجازات الأكاديمية.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في ضعف امتلاك طلبة الصف الحادي عشر للمهارات العاطفية والاجتماعية الأساسية، رغم حاجتهم الملحة لها خلال مرحلة المراهقة. وتتلخص المشكلة في السؤال الرئيسي:

ما تحليل محتوى الورشات التدريبية المقدمة لطلبة الصف الحادي عشر في ضوء مهارات الذكاء العاطفي؟

ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما تحليل محتوى الورشات التدريبية في ضوء مهارة الوعي الذاتي؟
2. ما تحليل محتوى الورشات التدريبية في ضوء مهارة الثقة بالنفس؟
3. ما تحليل محتوى الورشات التدريبية في ضوء مهارة اتخاذ القرارات؟

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل محتوى الورشات التدريبية الموجهة لطلبة الصف الحادي عشر في ضوء مهارات الذكاء العاطفي، ومعرفة أثر هذه الورشات على تنمية وتمكين مهارات: الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرارات.

أهمية الدراسة

أولاً- أهمية نظرية: تبرز في عرض مفهوم الذكاء العاطفي ومهاراته، وأثره في حياة الطلبة المراهقين. ثانياً- أهمية تطبيقية: تحويل المعرفة النظرية الى استراتيجيات تربوية وعملية من أجل تنمية المهارات، وتضمن ان الجهود المبذولة في تحليل الورشات التدريبية تساهم مباشرة في بناء جيل من الشباب أكثر وعياً عاطفياً، واجتماعياً يتحلى بمرونة وقدرة على النجاح في عالم دائم التغير.

حدود الدراسة

- الزمانية: الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 2024-2025.
- المكانية: المدارس الثانوية في منطقة المثلث داخل الخط الأخضر.
- الموضوعية: تحليل محتوى الورشات التدريبية في مجال الذكاء العاطفي.

مصطلحات الدراسة

الذكاء العاطفي (اصطلاحاً): عرف جولمان (1995) بأن الذكاء العاطفي: "مجموعة من الكفاءات الانفعالية والاجتماعية والشخصية القابلة للتعليم والقائمة على مجموعة من القدرات الأساسية، والتي تعبر عن نفسها في مجال العمل كمهارات التعامل مع الآخرين وحل الصراعات(هادي،2017).

الذكاء العاطفي (إجرائياً): مجموعة من المهارات تبدأ بفهم الذات وتنتهي باتخاذ قرارات إيجابية متزنة، تشمل: الوعي، الضبط، التعاطف، التحفيز.

الورشات التدريبية (اصطلاحاً): هي عبارة عن برامج تعليمية تدريبية، صنعت لأجل مساعدة الأفراد العاملين أو الطلبة على زيادة المعرفة والمعلومات وتطوير المهارات المختلفة. تختلف مواضيع الورشات التدريبية وتطور حول مختلف المجالات. كما تمنح الورشات للمدربين فرصة لاكتساب معارف جديدة وتطوير وتنمية مهاراتهم (ريحان،2023).

الورشات التدريبية (إجرائياً): أنشطة عملية جماعية تهدف إلى بناء المهارات العاطفية من خلال التطبيق العملي والتفاعل. الوعي الذاتي (اصطلاحاً): تعكس قدرة الفرد على إدراك مشاعره الخاصة بشكل دقيق وفهمها فور حدوثها، مما يشمل متابعة الطريقة التي يميل فيها الفرد للاستجابة الى المواقف والأشخاص المحددين وفهمها بعمق وتحديد مصدرها، والتعبير عنها. إضافة للإدراك الدقيق لاماكن الضعف والقوة في الذات، وتقبل الفرد للنقد البناء (معوض محمود، 2025).

الوعي الذاتي (إجرائياً): قدرة الفرد على فهم مشاعره وتحليلها وتنظيمها بشكل صحي.

اتخاذ القرارات (اصطلاحاً): هو عملية اختيار او تفاضل بين مجموعة البدائل المتاحة لاختيار أفضل بديل من بينها للوصول الى أفضل النتائج (بلحاج، 2016).

اتخاذ القرارات (إجرائياً): قدرة عقلية وعاطفية تشمل جمع المعلومات، المفاضلة، والتطبيق.

جيل المراهقة (اصطلاحاً): هي مرحلة طبيعية من مراحل العمر تمتاز بسرعة النمو الجسمي، واكتمال النضج، فهي فترة عواصف وشدة تكتنفها الازمات النفسية وصعوبات التوافق حيث ينتقل الفرد فيها من مرحلة الطفولة الى مرحلة اكتمال

الرجولة أو الانوثة يتم فيها تنظيم القوة النفسية والعقلية كي يواجه المراهق مطالب الحياة (زهران، 1990).

جيل المراهقة (إجرائيًا): الفئة العمرية من 9 إلى 24 عامًا التي تشهد نموًا وتغيرات على كافة الأصعدة.

الثقة بالنفس (اصطلاحًا): " هي التماسك والاتزان النفسي نحو إمكانات الفرد وقدراته وتقييمه لذاته وتقديره إياها تقديرًا إيجابيًا واتجاهه نحو البيئة التعليمية" (السبناني وآخرون، 2020:40).

الثقة بالنفس (إجرائيًا): قدرة الفرد على تقييم ذاته واستجاباته ومواقفه بشكل إيجابي.

الصف الحادي عشر (إجرائيًا): مرحلة دراسية ضمن التعليم الثانوي وفق السلم التعليمي الرسمي، تشمل الفروع العلمية والأدبية.

في ضوء الخصائص النفسية والمعرفية التي تميز مرحلة المراهقة، تبرز أهمية فحص وتحليل الورشات التدريبية التي تدمج في مضمونها مهارة الوعي الذاتي، وذلك لما لهذه المهارة من أثر مباشر على تمكين المراهقين من فهم ذاتهم وتحديد نقاط قوتهم وضعفهم. فجيل المراهقة يتسم بكثرة التساؤلات والبحث المستمر عن الهوية، مما يجعل من مهارة الوعي الذاتي أداة محورية في دعم هذه المرحلة الحرجة. ويُعد طلبة الصف الحادي عشر فئة مركزية في هذا السياق، نظرًا لكونهم يقفون على أعتاب تحديد مساراتهم المستقبلية، سواء من حيث التخصصات الدراسية أو الاستعداد المهني. لذلك، فإن اختبار الورشات التي تتناول هذا المحور يساهم في تهيئة الطلبة للحياة العملية، من خلال تطوير قدرتهم على اتخاذ قرارات واقعية مبنية على فهم دقيق لذاتهم وميولهم، مما يعزز من اندماجهم في سوق العمل بثقة وكفاءة (ريحان، 2023).

الدراسات السابقة

تناولت الدراسات السابقة موضوع الذكاء العاطفي ومكوناته، لا سيما الوعي الذاتي، اتخاذ القرارات، والثقة بالنفس، باعتبارها مهارات حيوية وأساسية في تنمية شخصية الفرد، وخاصة في مرحلة المراهقة. وقد ركزت هذه الدراسات على أثر هذه المهارات في التكيف النفسي والاجتماعي والتحصيل الأكاديمي لدى فئات عمرية متعددة، أبرزها طلاب المرحلة الثانوية والجامعية، مما يوفر أرضية علمية صلبة لتبرير أهمية تحليل محتوى الورشات التدريبية في ضوء هذه المهارات.

تشير الأدبيات إلى أن الوعي الذاتي يُعد من أبرز مكونات الذكاء العاطفي، وقد أظهرت العديد من الدراسات وجود علاقة إيجابية بينه وبين التوافق النفسي والتوجه الإيجابي نحو الحياة. ففي دراسة بعنوان " الوعي الذاتي وعلاقته بالتوجه نحو الحياة"، التي طبقت على عينة من طالبات الجامعة، توصلت النتائج إلى وجود علاقة موجبة بين الوعي الذاتي والتوجه نحو الحياة، كما أظهرت إمكانية التنبؤ بهذا التوجه بناءً على درجة الوعي الذاتي. أما دراسة الخالدي (2021)، فقد أكدت وجود علاقة قوية بين الوعي بالذات والتوافق النفسي، مما يبرز أهمية تنمية هذه المهارة في المراحل التعليمية المختلفة. ودعم Bratton وزملاؤه (2011) هذا الاتجاه من خلال دراستهم على مدرء، حيث أظهرت النتائج أن ارتفاع مستوى الوعي الذاتي يرتبط بتحسين الأداء والقدرات القيادية.

كما بينت دراسة القوافزة (2015) أن مستوى الوعي الذاتي لدى طلاب الصف العاشر في محافظة جرش كان متوسطًا، بينما لم يظهر ارتباط واضح مع الكفاية الاجتماعية. في المقابل، توصلت دراسة سلطان (2018) إلى أن طالبات معهد الفنون الجميلة أظهرن مستوى عالٍ من الوعي الذاتي. وفي دراسة الخالدي (2021) التي أجريت على طلبة المرحلة الثانوية، تبين وجود علاقة إيجابية بين الوعي الذاتي والتوافق النفسي، مما يعزز نتائج الدراسات السابقة ويؤكد أهمية هذه المهارة في السياق التربوي.

أما فيما يتعلق بمتغير الثقة بالنفس، فقد أظهرت الدراسات أهميتها في تعزيز النجاح الأكاديمي والقدرة على اتخاذ قرارات فعالة. ففي دراسة الدرابكة (2021)، تبين أن الطلبة الموهوبين أظهروا مستوى أعلى من الثقة بالنفس ودافعية الإنجاز

مقارنة بغير الموهوبين. كما أظهرت نتائج دراسة Zhao وزملاؤه (2021) أن الثقة بالنفس تنبأت بشكل إيجابي بالمشاركة الأكاديمية للمراهقين، خاصة عند توافر الكفاءة الذاتية والدعم الاجتماعي.

وأظهرت دراسة اليوسف (2020) أن طلاب كلية العلوم التربوية يتمتعون بمستويات مرتفعة من التنظيم الذاتي وتقدير الذات، مع وجود علاقة إيجابية بين هذه المتغيرات الثلاثة. وتشير هذه الدراسات إلى أن الثقة بالنفس ليست فقط سمة انفعالية مكتسبة من التنشئة الاجتماعية، بل هي أيضًا أحد محركات الدافعية والتحصيل، ولها أبعاد أكاديمية واجتماعية ونفسية.

وفيما يخص مهارة اتخاذ القرار، فقد أبرزت الدراسات مدى ارتباط هذه المهارة بفعالية الذات والثقة بالنفس والنضج الانفعالي. دراسة الدميني والهادي (2022) التي أجريت على طلاب الصف الأول الثانوي في صنعاء، بينت وجود علاقة ارتباطية قوية بين فعالية الذات ومهارة اتخاذ القرار المهني، مع فروق لصالح الإناث. وفي دراسة Gul & Caglayan (2018) التي أجريت في تركيا، وجد الباحثان أن الطلاب الذين يمارسون الرياضة يتمتعون بمستوى أعلى من احترام الذات وأنماط اتخاذ القرار مقارنة بغيرهم، مما يؤكد على أهمية الأنشطة اللامنهجية في تطوير هذه المهارات.

أما دراسة اليوسف (2020) فقد بينت وجود علاقة ارتباطية بين التنظيم الذاتي وتقدير الذات ومهارة اتخاذ القرار، وأوصت بتقديم برامج تربوية لتنمية هذه المهارات خاصة لدى الطالبات. ومن خلال هذه النتائج، يتضح أن اتخاذ القرار مهارة مركبة تتأثر بعدة متغيرات نفسية وشخصية، مما يجعل تضمينها في الورشات التدريبية أمرًا ضروريًا وملحًا.

الدراسات المتعلقة بالنضج الانفعالي قدمت أيضًا دعمًا نظريًا وعمليًا للفكرة المركزية للدراسة. على سبيل المثال، أظهرت دراسة سعد وزملاؤه (2022) أن النضج الانفعالي يتألف من عدة عوامل مثل الطمأنينة النفسية، الاستقرار النفسي، والتوافق النفسي، وهذه العوامل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالوعي الذاتي والثقة بالنفس واتخاذ القرار. كما بينت دراسة Mridula (2020) أن غالبية المراهقين يعانون من انخفاض مستوى النضج الانفعالي، وأوصت بتطوير برامج تدعم هذه الفئة في التكيف مع المتغيرات الحياتية. وأظهرت دراسة Biswas (2018) أن طلبة المدارس الثانوية يمتلكون مستوى من النضج الانفعالي يساعدهم على التعامل بشكل ناضج مع عواطفهم، مع عدم وجود فروق حسب الجنس أو مكان السكن.

وبينت دراسة Rani وزملاؤه (2015) أن النضج الانفعالي يرتبط إيجابيًا بالثقة بالنفس والشعور بالأمان، وأن المراهقين الناضجين يظهرون قدرة أعلى على التعامل مع الضغوط واتخاذ قرارات مسؤولة. وتؤكد نتائج Khoriah & Lestari (2023) على دور النضج الانفعالي في اتخاذ قرارات مهنية ناجحة، وخاصة حين يكون مدعومًا بعلاقات داعمة مع الوالدين والمعلمين. كما أبرز Raj (2017) أن الطلبة الناضجين انفعاليًا يظهرون قدرة أعلى على اتخاذ القرارات تحت الضغط مقارنة بغيرهم، مما يجعل من النضج الانفعالي متغيرًا بسيطًا فاعلاً.

بناءً على ما سبق، تظهر فجوة بحثية واضحة في الدراسات السابقة، وهي أن معظمها ركز على دراسة العلاقة بين متغيرات الذكاء العاطفي بشكل عام أو على أثر كل مهارة بصورة منفصلة، في حين تنقصر الأدبيات إلى تحليل منهجي لمحتوى البرامج أو الورشات التدريبية الموجهة للطلاب من منظور الذكاء العاطفي. وهذا ما تسعى الدراسة الحالية إلى معالجته من خلال تحليل محتوى ورشات تدريبية قائمة وموجهة لطلبة الصف الحادي عشر، لتحديد مدى استيعابها وتنميتها لمهارات الذكاء العاطفي، خاصة الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار (ريحان، 2023).

كما أن قلة الدراسات النوعية التي استخدمت تحليل المحتوى كمنهج لدراسة البرامج التربوية الموجهة للمراهقين، تفتح المجال أمام هذه الدراسة لتقديم إسهام نوعي جديد يسد هذا النقص، ويقدم توصيات عملية لتطوير البرامج التدريبية وفق أسس علمية وتربوية سليمة تستند إلى فهم عميق لاحتياجات المراهقين في هذه المرحلة الحساسة (العمار وكابور، 2022).

الإطار النظري

دراسة راني وآخرين (Rani, 2015) هدفت إلى التعرف على تأثير النضج الانفعالي على الثقة بالنفس لدى المراهقين. أجريت الدراسة على 100 مراهق ومراقبة تتراوح أعمارهم بين 15 و 17 عامًا، وكشفت النتائج عن وجود علاقة طردية دالة بين النضج الانفعالي والثقة بالنفس.

أما دراسة شارما وآخرون (Sharma, et al.2022) سعت للتعرف إلى العلاقة بين النضج الانفعالي والثقة بالنفس بين المراهقين. شملت العينة 150 مراهقًا ومراقبة من سن مراقبة متوسطة، واستخدم الباحثون مقياس النضج الانفعالي المصمم من قبل باندي (2001). وأظهرت النتائج أن درجة النضج الانفعالي كانت مرتبطة إيجابيًا بالثقة بالنفس، خصوصًا لدى الذكور. ودراسة المومني (2022) هدفت للتعرف إلى النضج الانفعالي وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلبة الصف الحادي عشر في محافظة عمان، وتكونت العينة من 300 طالب وطالبة. أظهرت النتائج وجود فروق دالة في النضج الانفعالي والثقة بالنفس وفقًا لمتغيري الجنس والتخصص، وكانت الإناث أكثر نضجًا من الذكور. ودراسة خوريه وليستاري (Khoriah, A., & Lestari, A.2023) تناولت تأثير النضج الانفعالي على اتخاذ القرارات المهنية لدى المراهقين. أشارت النتائج إلى أن النضج الانفعالي العالي يسهم في اتخاذ قرارات مهنية أكثر دقة واتزانًا، ويعزز فهم الذات والقدرة على التعامل مع الضغوط، مما ينعكس على التوجه المهني الصحيح وبناء مستقبل مهني أكثر استقرارًا.

أشار جولمان (1995) إلى أن المدارس تُعد من أوائل الأماكن التي يمكن أن تديرها المجتمعات لتصحيح القصور في الكفاءة الاجتماعية والانفعالية لدى الطلبة. وبما أن تعلم المهارات الانفعالية يبدأ في المدرسة، فإن الطلبة يدخلونها وهم يختلفون في حالتهم الانفعالية. ومن هنا تواجه المدارس تحديات في معالجة وتطوير هذه المهارات لدى الطلبة. ويمكن التصدي لهذا التحدي من خلال التنشيط الانفعالي، والتغلب على الفجوات العاطفية عن طريق مناهج مُعدة خصيصًا لذلك، بالإضافة إلى خلق مناخ مدرسي يساعد على تنمية المهارات الانفعالية وتوظيفها في مجالات متعددة (السماذوني، 2007، ص189).

قررنا نحن الباحثان التطرق الى نموذجين فقمنا باختيار نموذج دانيال جولمان (نموذج مختلط – Mixed Model).

خصائص النماذج المختلطة (السمات) و نماذج الأداء (القدرة) في الذكاء العاطفي

نماذج الأداء (القدرة)	النماذج المختلطة (نماذج السمات)
مقاييسها مصممة بحيث يكون هناك إجابة واحدة صحيحة وتناسب المسألة المعروضة .	مقاييسها مصممة بطريقة التقرير الذاتي "السمات الشخصية تعكس تفضيلات شخصية أو ميولاً فردية لا تخضع للصحة و الخطأ المطلق"
يستخدم لقياسه اختبارات الأداء الأقصى	يستخدم لقياسه اختبارات الأداء المميز
هناك عدد قليل من أدوات القياس، تركيباتها الرئيسية ضئيلة العدد	هناك عدد كبير من أدوات القياس ، تعدد مظاهر هذه النماذج
لا تتعلق بالشخصية	تتعلق بالشخصية
تتعلق بالذكاء العقلي أو المعرفي	لا تتعلق بالذكاء العقلي أو المعرفي
ثبات الثقة يتراوح من منخفض الى مرتفع	ثبات عالي في الثقة

Source: Geher, Glen, "Measuring Emotional Intelligence", New York, Nova Science Publishers, inc., 2004, P.22

دانيال جولمان سيكولوجي وصحافي أمريكي حصل على درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة هارفارد، تحدث عن الذكاء العاطفي من خلال كتابه الذي نشره عام 1995 بعنوان "Emotional intelligence" ، هذا الكتاب تصدر اعلى نسبة مبيعات في بريطانيا لمدة عشر شهور وفي كتابه الثاني الذي صدر عام 1998 بعنوان " العمل بذكاء عاطفي –

Working with Emotional Intelligence" يذكر جولمان تحت عنوان الكفاءة العاطفية: " ان الذكاء العاطفي يتضمن خمس ابعاد او مهارات أساسية وخمس وعشرين كفاءة فرعية يعتمد النجاح المهني على عدد كبير منها، كما ان لكل شخص خصال خاصة تحدد قوة وحدود كل كفاءة، ولا يصل أي شخص الى حد الكمال في هذه الكفاءات.. وتعرف الكفاءة العاطفية بأنها القدرة المتعلمة التي تعتمد على الذكاء العاطفي وتؤثر في أداء الفرد، وان الذكاء العاطفي يحدد طاقاتنا الكامنة لتعلم المهارات العملية التي ترتكز على المهارات الخمس الأساسية (Goleman,2006,P.24-28). الشكل (9) عبارة عن رسم توضيحي أعده الباحث ويلخص فيه نموذج جولمان استناد الى نمودجه المذكور في كتاب العمل بذكاء عاطفي طبعة 2006، حيث تتوزع فيه المهارات الخمس على بعدين رئيسيين هما الكفاءة الشخصية والكفاءة الاجتماعية .



المصدر : جرد بواسطة الباحث من "Goleman, Daniel, "Working with Emotional Intelligence", New York, Bantam Books., 2006, P.26,P.27

كذلك أشار ريتشارد كليفر (1999)، Richard Culver إلى أن الأداء الأكاديمي الأفضل يتحقق عندما ينمي الطلبة مهارات الانضباط نحو التعلم الفعال، وهي مهارة تُعد من مكونات الذكاء العاطفي حسب جولمان (1999) .

وفي دراسة أجريت على 1426 طالباً في السنة الجامعية الأولى، هدفت إلى معرفة أثر الذكاء العاطفي على الانتقال من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية، تمت مقارنة مجموعتين من الطلبة في نهاية السنة الأولى. فظهر أن الطلبة ذوي المعدلات المرتفعة (590) طالباً بمعدل GPA 3 فأكثر امتلكوا مهارات ذكاء عاطفي أعلى من الطلبة ذوي المعدلات المتدنية (289) طالباً بمعدل GPA 2 فأقل. وعليه يتبين أن الذكاء العاطفي يلعب دوراً هاماً في مرحلة الانتقال الأكاديمي (Jamesc et al., 2005, p.1) كما أن هناك العديد من الدراسات المتوفرة على شبكة الإنترنت تطرقت بتفصيل إلى هذا الموضوع، وناقشت أثر الذكاء العاطفي على التحصيل الأكاديمي (بلحاج، 2016).

ومن هنا تبرز أهمية تنمية مهارات الذكاء العاطفي في مرحلة المراهقة (المرحلة الثانوية)، لما لها من تأثير كبير على بلورة شخصية المراهق التعليمية والمهنية والعاطفية والاجتماعية. وقد أشار ستيفن كوفي

(Stephen R. Covey)، صاحب كتاب "العادات السبع"، إلى أن: "الدراسات أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الذكاء العاطفي (EQ) أكثر أهمية من الذكاء المعرفي (IQ) في معظم الأدوار، وخاصة في أدوار القيادة (Newman, 2008, p.3).

ويؤكد جولمان في كتابه "الذكاء العاطفي" أن الأداء المتفوق في جميع المهن والمجالات يتطلب كفاءة عاطفية تعادل ضعف أهمية القدرات المعرفية وحدها، وأن النجاح في المناصب القيادية يعتمد بشكل شبه كامل على هذه الكفاءة. وتشير الدراسات العلمية إلى أن الذكاء المعرفي (IQ) يسهم بنحو 20% فقط من النجاح الشخصي، في حين يعود الجزء الأكبر (80%) إلى الذكاء العاطفي (Singh, 2006, p.26).

تعريف الذكاء العاطفي حسب التطور الزمني

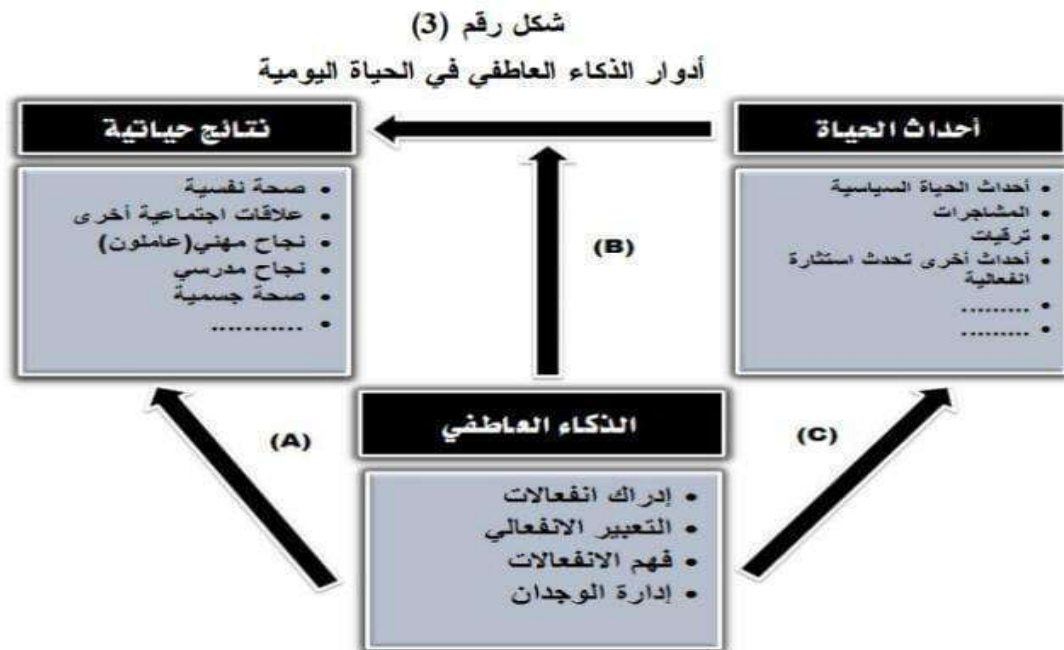
الكاتب و السنة	تعريف الذكاء العاطفي
Bar-On(1997) بار- أون	قدرة الأفراد للتعامل مع تحديات البيئة اليومية ويساهم في التنبؤ بنجاح الأشخاص في المجال المهني والمساوي الشخصية.
J. Freedman(1998) فريدمان	هو طريقة للتعرف على كيفية وفهم واختيار كيف نفكر ونشعر ونتصرف وهو الذي يشكل تصرفاتنا، وكذلك طريقة فهمنا لأنفسنا كيف ولماذا نتعلم، وهو يعطي القدرة على ترتيب الأولويات ويحدد معظم تصرفاتنا اليومية
Dalip Singh(2003) داليب سينغ	قدرة شخصية على الاستجابة الملائمة و الناجحة لتشكيلة واسعة من المثيرات الانفعالية التي يجري استخلاصها أو انتزاعها من داخل الشخص والبيئة المباشرة أو الفورية، والذكاء العاطفي له أبعاد ثلاثة هي: الحساسية الانفعالية، النضج العاطفي، والكفاءة الوجدانية التي تحفز الفرد على التعرف الحقيقي والتفسير الواضح والصريح لتصرف الإنسان والتعامل معه بطريقة ديناميكية ولبقة .
Vindo Sanwal (2004) فيندو ساتوال	هو الوعي في استخدام المشاعر والانفعالات وتوظيفها بمعايير وأساليب معرفية شخصية لمواجهة الأوضاع والمشاكل.
Samira Malekar(2005) سميرة مالكر	هو مجموعة من العوامل والتي تشمل الوعي بالذات وإدارة الانفعالات، وتنمية ذاتية عبر قوة التعاطف والتحفيز وبناء علاقات قوية مع الآخرين.

Source: Singh, Dalip, "Emotional Intelligence At Work", New Delhi, Response Books, 3rd Edition, 2006, p.36-37. "بتصرف من الباحث"

ويوضح الشكل مفهوم الذكاء العاطفي في مناحي الحياة اليومية، حيث يشير الشكل ان الناس الذين لديهم ذكاء عاطفي (وجداني) عالي يعرفون جيدا مشاعرهم الخاصة ويقومون بإدارتها جيدا ويتفهمون ويتعاملون مع مشاعر الآخرين بصورة ممتازة. وهم أنفسهم يكونون متميزين في كل مجالات الحياة وأكثر إحساسا بالرضا عن انفسهم، والتميز بالكفاءة في حياتهم ، وبقدرتهم على السيطرة على بنيتهم العقلية بما يدفع انتاجهم قدما وإلى الامام، اما الناس الذين لديهم ذكاء وجداني منخفض ليس لديهم القدرة على مواجهة الاحداث الضاغطة ويشعرون باليأس والاكتئاب او الإحباط وتدني مستوى انتاجهم، في الشكل رقم (3) ، يتضح كيف يؤثر الذكاء الوجداني في أمور الحياة اليومية وبصفة عامة، نتوقع ان الناس الذين لديهم ذكاء وجداني منخفض لا يتكيفون مع الاحداث الحياتية الضاغطة (الرابطة B) ، وتكون الاستجابة الشعور باليأس والاكتئاب ونتائج حياتية سلبية أخرى، وعلى العكس من ذلك الافراد الذين لديهم ذكاء عاطفي عال يتكيفون مع احداث الحياة الضاغطة وتكون استجاباتهم جيدة حيث ينظمون حياتهم بطريقة تجعلهم يخبرون بأحداث حياتية سلبية قليلة (الرابطة A) ان هؤلاء الافراد يكون لديهم مهارات عالية في تكوين علاقات اجتماعية والاحتفاظ بها (الرابطة C).

كما أن الشكل يوضح هذا التوجه، وتؤكدته نتائج دراسات أجراها سالوفي وماير (Salovey & Mayer) ، وجاردنر (Gardner)، وسترنبرج (Sternberg) ، حيث تبين أن الذكاء المعرفي يسهم بنسب تتراوح ما بين 4% إلى 10% . وقد شدد جولمان (1995) على ضرورة تنمية الذكاء العاطفي لدى طلبة المدارس، لما له من دور فعال في تكوين

الشخصية مقارنة بالذكاء المعرفي الذي يساهم بنسبة محدودة في هذا الجانب. فحتى الشخص الذي يتمتع بمستوى أكاديمي مرتفع قد يفشل في حياته العملية إذا لم يكن قادرًا على ضبط انفعالاته، أو إدارة أحاسيسه، أو مواجهة الإحباطات، مما يؤكد أن الذكاء العاطفي هو أحد مفاتيح النجاح في الحياة العملية، خاصة في سن المراهقة التي تُعد مرحلة انتقالية نحو النضج والرشد.



المصدر: السمدوني، السيد إبراهيم، "الذكاء الوجداني - أسسه - تطبيقاته - تنميته"، عمان، الأردن، دار الفكر ناشرون و موزعون، الطبعة الأولى، 2007، ص: 27.

وتُعد المراهقة من أهم المراحل من النواحي النفسية والاجتماعية والتربوية والوطنية، فالمرهقون هم عماد الأمة، والطاقة المنتجة فيها. إنها مرحلة التخلي عن الطفولة وبداية تحمل المسؤولية (ندى نصر الدين، 2011، ص 1123-1142). وتؤثر التغيرات التي تحدث خلالها في سلوك الفرد، واتجاهاته، وإدراكاته، مما يستلزم العمل على تطوير الوعي الذاتي والمهارات الانفعالية بشكل متوازن.

يشير مصطفى وآخرون (Mustafa et al., 2013) إلى أن الذكاء العاطفي، بوصفه عاملاً وسيطاً، يؤثر إيجابياً على سلوك الطلبة، ويقلل من السلوكيات العدائية، ويعزز من مهارات حل النزاع والتعلم والمشاركة والنشاط، مما يؤدي إلى تحسين مستوى التحصيل الدراسي.

بالتالي، تتضح أهمية تمرير البرامج التدريبية التي تركز على تنمية المهارات الشخصية والانفعالية، مثل: الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، اتخاذ القرار، التواصل الفعال، مما يساهم في دمج المراهقين بشكل مرّن وفَعّال في الحياة الأكاديمية والمهنية لاحقاً (العمار وكابور، 2022).

ويقصد بالبرامج التدريبية، وفق (Skillen's (2013)، مجموعة التغييرات والتطورات المطلوبة لإحداث أثر إيجابي على خبرات الطلبة ومهاراتهم وتوجهاتهم وسلوكهم، لجعلهم أكثر قدرة على أداء مهامهم بكفاءة وفعالية.

وتُعد الخدمات الإرشادية جزءاً أساسياً من هذه البرامج، وتتنوع مجالاتها إلى:

1. الإرشاد الديني والأخلاقي: يهدف إلى غرس القيم المستمدة من الشريعة الإسلامية، وتكوين الشخصية الأخلاقية السليمة (أبو أسعد، 2013، ص75).
2. الإرشاد النفسي: تتضمن معالجة الصعوبات النفسية، ومتابعة السلوكيات غير السوية داخل المدرسة (السويلم، 2002، ص33).
3. الإرشاد الاجتماعي: يشمل تعزيز العلاقات الاجتماعية واحترام القيم والتقاليد (أبو أسعد، 2013، ص77).
4. الإرشاد التربوي: يركز على تقديم الدعم التعليمي والنصائح الدراسية، ورعاية المتفوقين والمتأخرين (السويلم، 2002، ص34).
5. الإرشاد الوقائي: يهدف إلى التوعية بمخاطر التدخين والمخدرات والانحرافات، واستثمار وقت الفراغ فيما يفيد (السويلم، 2002، ص33).
6. الإرشاد المهني: يساعد الطلبة على اكتشاف قدراتهم وميولهم المهنية بما يتلاءم مع طموحاتهم (أبو أسعد، 2013، ص79).

تعريف الذكاء العاطفي

قدّم الباحثون تعريفات متعددة لمفهوم الذكاء العاطفي منذ بروز الاهتمام به، وغالبًا ما تتقاطع هذه التعريفات في الجوانب الأساسية، وإن اختلفت في تركيزها: فبعضها ينظر إليه كمجموعة من القدرات العقلية، بينما يرى آخرون أنه مزيج من السمات الشخصية والمهارات الاجتماعية والانفعالية.

الذكاء العاطفي يعرفه سلامة حسين (2006، ص35) بأنه: "قدرة الفرد على التعرف على الانفعالات لديه ولدى الآخرين، وتحديدتها، والقدرة على إظهار الاستجابات الملائمة للمثيرات البيئية. ويدور الذكاء العاطفي حول وعي الفرد بمشاعره وانفعالاته، والتحكم فيها وإدارتها، إضافة إلى الوعي بمشاعر وانفعالات الآخرين، والتعاطف معهم، والتفاعل البناء معهم. ويُعد قدرة مكتسبة قابلة للتعليم".

أما ثورنديك وستاين، فقد عرفاه بأنه "القدرة على فهم المشاعر والحالات العاطفية للآخرين من خلال تعبيرات الوجه، نبرات الصوت، أو السلوك التعبيري" (السمادوني، 2007، ص42).

وتشير أدلي لين (Lynn, 2001, p.2) إلى أن الذكاء العاطفي هو: "أحد أبعاد الذكاء المسؤولة عن إدارة الذات والعلاقات مع الآخرين".

بدوره يصف دانيال جولمان الذكاء العاطفي بأنه "قدرة الفرد على فهم الانفعالات الشخصية وانفعالات الآخرين، ومعرفة هذه الانفعالات، التمييز بينها، ضبطها، التعامل معها بإيجابية، وتحفيز الذات، بالإضافة إلى إدارة العلاقات بشكل فعال" (حسين، 2006، ص28).

أما سالوفي وماير (Salovey & Mayer)، فكانا من أبرز رواد هذا المفهوم، وقد عرفاه بأنه: "القدرة على التعبير والتحليل الدقيق للانفعالات الشخصية وانفعالات الآخرين، وتحديد مشاعر الفرد وتصنيفها والتعبير عنها لفظيًا ووجهًا" (هاشم، 2004، ص137). يعرف الباحث الذكاء العاطفي بأنه: "معرفة الفرد لانفعالاته وانفعالات الآخرين، وتوظيف هذه المعرفة بذكاء لاختيار الأسلوب الأمثل لإدارة مواقف الحياة المختلفة".

يظهر أن الأفراد الذين يتمتعون بمستوى عالٍ من الذكاء العاطفي يعرفون مشاعرهم جيدًا، ويديرونها بفعالية، ويتعاملون بإيجابية مع مشاعر الآخرين. هؤلاء الأشخاص يكونون أكثر رضا عن أنفسهم، وأكثر كفاءة في حياتهم، وقادرين على التحكم في حالتهم الذهنية ودفع إنتاجهم للأمام.

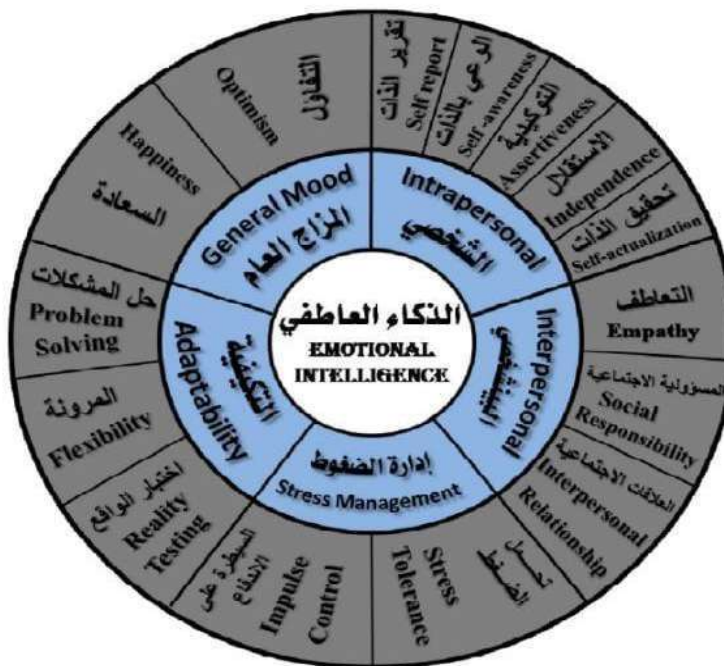
في المقابل، يعاني أصحاب الذكاء العاطفي المنخفض من ضعف في مواجهة الضغوط، وقد يميلون إلى الاكتئاب أو الإحباط، مع تدني في مستوى الإنجاز.

يُعرف جولمان الكفاءة العاطفية بأنها: "القدرة المتعلمة المعتمدة على الذكاء العاطفي والتي تؤثر في الأداء للفرد". (Goleman, 2006, p. 24–28) تفصيل المهارات الخمس:

1. الوعي الذاتي: معرفة الفرد بمشاعره، نقاط قوته وضعفه، ودوافعه.
2. تنظيم الذات: التحكم في المشاعر السلبية وتوجيهها نحو أهداف إيجابية.
3. التحفيز الذاتي: الرغبة في الإنجاز والتقدم.
4. التعاطف: مراعاة مشاعر الآخرين، خاصة عند اتخاذ القرارات.
5. المهارات الاجتماعية: القدرة على إدارة العلاقات الإيجابية وبناء شبكة تواصل فعالة.

شكل (11)

مكونات الذكاء العاطفي حسب نموذج بار - أون، 2000



المصدر: جرد بواسطة الباحث من الموقع الإلكتروني www.reuvenbaron.org

من هنا يشير النموذج الى ان الافراد الذين لديهم كفاءات عاطفية عالية هم أكثر قدرة على تلبية المتطلبات والضغوط البيئية مقارنة بذوي المهارات العاطفية الضعيفة ويعتبر نموذج الذكاء العاطفي والمعرفي من المكونات الأساسية للذكاء العام للفرد، والذي يعد مؤشرا عاما على النجاح (ريحان، 2023).

يُعد بار-أون عالم نفس إسرائيلي، ومديرًا لمعهد الذكاء التطبيقي في الدنمارك. في عام 1988، طرح مصطلح "النسبة العاطفية" EQ مقابل "النسبة الذهنية" IQ. وقدّم أول نموذج نظري للذكاء العاطفي، عرّفه فيه بأنه: "نسق من الكفايات والمهارات غير المعرفية التي تؤثر في قدرة الفرد على التعامل مع متطلبات البيئة وضغوطها" (هريدي، 2003، ص 65). يركز نموذج بار-أون على التنبؤ بـ "الإمكانات المستقبلية (potential) للفرد، أكثر من قياس الأداء الحالي. ويتضمن النموذج خمس مجموعات رئيسية، تشمل 15 مكونًا فرعيًا، هي:

1. الذكاء الشخصي (Intrapersonal)

2. الذكاء البين شخصي (Interpersonal)

3. القابلية للتكيف (Adaptability)

4. إدارة الضغوط (Stress Management)

5. الحالة المزاجية العامة (General Mood)

ويوضح الشكل (11) الذي أعده الباحثون توزيع هذه المكونات وعلاقتها بالكفاءات المختلفة.

ويخلص بار-أون إلى أن الأفراد ذوي الذكاء العاطفي المرتفع أكثر قدرة على التكيف مع الضغوط البيئية، وأن الذكاء العاطفي (EQ) والمعرفي (IQ) يشكّلان معاً الذكاء العام للفرد، وهو المؤشر الأبرز للنجاح الشامل.

الوعي الذاتي (Self-Awareness)

يرى جولمان (2000) أن الوعي الذاتي من العوامل الأساسية لضبط الانفعالات، والحدّ من الاندفاع، مما يساهم في تعزيز التواصل الاجتماعي والذكاء الاجتماعي. ويتميّز الأفراد ذوو الوعي الذاتي العالي بالقدرة على إدراك حالاتهم المزاجية، وفهم مشاعرهم، مما ينعكس على صحتهم النفسية ورؤيتهم الإيجابية للحياة وتعاملهم مع الضغوط بوعي وبقطة عقلية.

وقد أكدت دراسة شرّاب (2016) أن التوجه الإيجابي نحو الحياة يساهم في تعزيز السعادة والطمأنينة النفسية، بينما يرتبط التشاؤم بالغضب والاستسلام وقلة التفاعل الإيجابي مع الحياة، مما يؤثر سلباً على وعي الفرد بذاته ويزيد احتمالية إصابته بأمراض جسدية كارتفاع الضغط والتقرحات.

في ظل التغيرات المتسارعة، يحتاج طلبة المرحلة الثانوية، خصوصاً في الصف الحادي عشر، إلى تنمية وعيهم الذاتي لفهم قدراتهم والتعامل الناضج مع الحياة. ويتمثل الوعي الذاتي في قدرة الفرد على فهم مشاعره وتقييم أفكاره وانفعالاته، وهو ما يؤثر في توجهاته وتفاعله مع بيئته الاجتماعية (Golman, 2000).

يشير سعيد (2008) إلى أن الطلبة ذوي الوعي الذاتي المرتفع يتمتعون بصحة نفسية وجسدية جيدة، وقدرة عقلانية على تفسير الأمور. ويؤكد إبراهيم (2010) أن الذكاء العاطفي يعزز تقدير الفرد لذاته على المستويين الشخصي والاجتماعي، مما يساعد على النجاح والسعادة في الحياة الأكاديمية والمهنية.

ومن أبرز مؤشرات ضعف الوعي الذاتي، كما يذكر مبيض (2003) أن الأفراد الذين يعانون من اضطرابات سلوكية وعدوانية لا يتقنون التعبير عن عواطفهم، ولا يعرفون كيف يسمّون مشاعرهم، مما يؤدي إلى انفجارات عاطفية غير مبررة.

ويشير (Bradberry & Greaves 2009) إلى أن الوعي الذاتي يتطلب البقاء على اتصال دائم بردود الفعل والمشاعر، مع استعداد لتحمل المشاعر السلبية وتحليلها بعمق.

الوعي الذاتي الأسس والتأثيرات النفسية

تُعد بداية الاهتمام بمفهوم الوعي الذاتي مرتبطة بأعمال "ثورندايك" منذ عام 1936، ضمن تناوله لمفهوم الذكاء العاطفي. وقد طوّر "ماير وسالوفي" المفهوم لاحقاً، معرفين الوعي الذاتي بأنه قدرة الفرد على مراقبة مشاعره ومشاعر الآخرين وانفعالاتهم. أما "جولمان" (1995)، فقد وسّع المفهوم ليشمل إدراك الفرد لذاته، وقدراته، وإمكاناته، وتقييمه لنقاط قوته وضعفه، وربط ذلك بالذكاءات الأخرى كالفكري واللفظي والاستنتاجي.

الوعي الذاتي (Self-Awareness) والدراسات السابقة

تهدف العديد من الدراسات إلى فحص العلاقة بين الوعي الذاتي والتوجه نحو الحياة أو التوافق النفسي، لا سيما في مرحلة التعليم العالي والثانوي. في هذا السياق، سعت دراسة "الوعي الذاتي وعلاقته بالتوجه نحو الحياة لدى عينة من الطالبات الجامعيات" إلى معرفة مستوى الوعي الذاتي والتوجه نحو الحياة، إضافة إلى التحقق من الفروق بناءً على التخصص الأكاديمي. تكونت العينة من (247) طالبة، منهن (113) من كلية العلوم، و(61) من كلية الفنون الجميلة، و(73) من كلية الآداب. طبقت عليهن أدوات قياس أعدها حسّون وردّام (2016) وأحمد (2012). أشارت النتائج إلى وجود علاقة موجبة بين الوعي الذاتي والتوجه نحو الحياة، مع إمكانية التنبؤ بالتوجه نحو الحياة من خلال مستوى الوعي الذاتي. كما لم تُظهر النتائج فروقاً دالة إحصائية تبعاً للتخصص الأكاديمي.

ومن الدراسات التي تناولت الوعي الذاتي أيضاً، دراسة الخالدي (2021) التي بيّنت وجود علاقة ارتباطية قوية بين الوعي بالذات والتوافق النفسي والقدرة على التنظيم الإيجابي. كما أشار جولمان (1995) إلى أهمية هذا الوعي في مساعدة الفرد على التحكم في سلوكياته، والتمييز بين المثيرات الإيجابية والسلبية، وربط المشاعر بالأفكار وتفسير الأحداث المحيطة.

وفي دراسة لـ Bratton et al. (2011) على عينة مكونة من (146) مديراً، وُجد أن الأفراد ذوي الوعي الذاتي المرتفع يتمتعون بأداء وظيفي أعلى، إضافة إلى مهارات قيادية بارزة.

أما القوافرة (2015)، فقد أجرى دراسة على (202) طالب وطالبة من الصف العاشر في محافظة جرش، بهدف معرفة العلاقة بين الوعي الذاتي والكفاءة الذاتية. أظهرت النتائج أن مستوى الوعي الذاتي متوسط، ولم تثبت علاقة دالة بين الوعي الذاتي والكفاءة الاجتماعية.

وأجرى سلطان (2018) دراسة على طالبات معهد الفنون الجميلة (224 طالبة)، وتوصلت إلى أن مستوى الوعي الذاتي لديهن مرتفع. أما الخالدي (2021) فبيّن من خلال دراسة أجراها على (200) طالب وطالبة في المرحلة الثانوية، وجود علاقة موجبة بين الوعي الذاتي والتوافق النفسي.

وفي دراسة حديثة لـ Kenne's et al. (2021)، هدفت إلى فحص الخصائص السيكومترية لمقياس التوجه نحو الحياة لدى المراهقين (459 مشاركاً)، توصل الباحثون إلى أن مستوى التوجه نحو الحياة مرتبط بالتعاؤل والرفاهية النفسية.

كما أجريت دراسة بعنوان "الوعي الذاتي والتوافق النفسي لدى طلاب المرحلة الثانوية بمنطقة الجوف" على عينة عشوائية من (200) طالب وطالبة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الارتباطي. بيّنت النتائج وجود علاقة موجبة بين الوعي الذاتي والتوافق النفسي، وأوصى الباحث بتدريب المعلمين على تطوير الوعي الذاتي لدى الطلبة ضمن البرامج التربوية.

أما دراسة الشهري (2011) فقد بحثت في أثر برنامج تدريب المهارات الاجتماعية على الذكاء الوجداني والتوافق النفسي والتحصيل الأكاديمي لدى الطلاب المتأخرين دراسياً (32 طالباً). أظهرت النتائج فروقاً دالة لصالح المجموعة التجريبية.

وقد تناولت عسيري (2004) علاقة تشكيل الهوية الذاتية بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لدى (146) طالبة ثانوية، وأكدت على وجود علاقة ارتباطية بين تحقيق الهوية الاجتماعية والتوافق العام.

في المقابل، أظهرت دراسة غولي، حسن والعيدي (2013) أن البرنامج الإرشادي لتنمية الوعي الذاتي لدى الطلبة المتفوقين في المرحلة الثانوية (34 طالبًا موزعين على مجموعتين) لم يسفر عن فروق دالة إحصائية في مقياس الوعي الذاتي بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

الثقة بالنفس المفهوم والأبعاد

الثقة بالنفس من السمات الضرورية لكل فرد، وهي تلعب دورًا حاسمًا في القيادة، واتخاذ القرار، والتكيف الاجتماعي والمهني. يرى جولمان (2005) أن الأفراد ذوي الوعي العالي يتمتعون بقدرة على مواجهة المشكلات، وتحليل المواقف، وتقدير نتائج الأفعال بدقة.

رغم تنوع تعريفات مفهوم الثقة بالنفس، إلا أن الاتفاق السائد هو أنها من أهم السمات الانفعالية التي يكتسبها الفرد من بيئته الاجتماعية، ويلعب الوالدان دورًا أساسيًا في تنميتها لدى الأبناء (العمار وكابور، 2022).

كما أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنجاح في الحياة الأكاديمية والاجتماعية (الأحمد، 2021).

يُعرف مصطفى (2016، ص290) الثقة بالنفس بأنها "قدرة الفرد على الاعتماد على نفسه، واتخاذ القرار، وتمتعه بالعزيمة، وإدراكه لكفاءته الاجتماعية، وتفاعله الأكاديمي، واستثماره لطاقاته الجسمية. أما الدرابكة (2021) فيراها إدراك الفرد لمهاراته النفسية والاجتماعية والجسدية التي تسمح له بالتفاعل الإيجابي مع المواقف المختلفة. ويصفها بايرون بأنها "اعتقاد الفرد بنفسه وإيمانه باستحقاقه للنجاح، وقدرته الكامنة التي تؤهله لمواجهة تحديات الحياة" (عمرو، 2014، ص20).

وقد حدّد Bagri & Max خمس مكونات رئيسية للثقة بالنفس:

1. الإيمان بالقدرة على الإنجاز.
2. الشعور بالانتماء للمجتمع.
3. التفاوض بالمستقبل.
4. تحويل الفشل إلى فرص تعلم.
5. امتلاك مصادر تعزيز (المتولي، 2022).

ورغم أن الثقة بالنفس ترتبط غالبًا بتقدير الذات، إلا أنها مفهوم قائم بذاته يصلح كمدخل لدراسة التكيف التربوي والاجتماعي، كما أشار باشا (2014). يؤكد القيسي (2022) أن الثقة بالنفس قد تتفاوت في مجالات الحياة المختلفة، فقد يمتلك الفرد ثقة في المجال الأكاديمي، ويعاني من ضعفها في المجال الاجتماعي.

وتتمثل أبعاد الثقة بالنفس، بحسب العمار وكابور (2022) والدميني (2020) في:

1. الاعتماد على النفس: إنجاز المهام الشخصية وتحمل المسؤولية.
2. اتخاذ القرار وتنفيذه: لا سيما في القرارات المصيرية.
3. الإدراك للكفاءة الاجتماعية والأكاديمية والجسمية: واستثمارها لتحقيق الرضا والتوافق.

النظريات النفسية المتعلقة بالثقة بالنفس

اختلف العلماء في تحديد مفهوم مصطلح الثقة بالنفس، ويرجع ذلك الى كون مفهوم الثقة بالنفس مثل غيره من المفاهيم يواجه ازدواجية في تحديده كمصطلح علمي متفق عليه من قبل الباحثين. حيث تعد الثقة بالنفس من اهم السمات الانفعالية التي يكتسبها الفرد من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ويحرص الوالدان على تنميتها في الأبناء، لأنها من العوامل الأساسية التي تحقق التوافق النفسي والنجاح (العمار وكابور، 2022)، فهي متغير من متغيرات الشخصية التي تلعب دورا مهما في مساعدة الفرد على مواجهة تحديات الحياة، من خلال ما تؤدي اليه الثقة بالنفس من قدرة على اتخاذ القرار، وقدرة على التعبير عن الذات والتعبير عن الرأي (الأحمد، 2021) ومن ثم يمكن ان تعتبر في كثير من الحالات مفتاحا للنجاح في مجالات عدة، كالعمل، والدراسة، والعلاقات الاجتماعية، ولا يولد الانسان مزوداً بالثقة بالنفس، ولكنه يكتسبها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية (Moneva&Tribunalo, 2020).

وتعرف الثقة بالنفس بأنها "قدرة الفرد على الاعتماد على نفسه، واتخاذ القرار وتمتعه بالعزيمة والإصرار، وإدراكه لكفاءته الاجتماعية من حيث الإقبال على الآخرين والتفاعل معهم، وكفاءته الأكاديمية من حيث استمرار الخبرات وتعلم خبرات جديدة، وكفاءته الجسمية وحسن استثماره لها" (مصطفى، 2016، 290).

وعرفها الدراكية (2021) بأنها: مدى إدراك الفرد لكفاءته ومهاراته وقدراته الجسمية والنفسية والاجتماعية واللغوية التي من خلالها يتفاعل بفعالية مع المواقف المختلفة التي يتعرض لها في الحياة، وقد عرف جرودون بايرون الثقة بالنفس: بأنها " الاعتقاد في النفس والركون اليها والإيمان بها، وهي من مخرجات شعور الشخص بالحق في مواجهة تحديات الحياة واستحقاق العيش بسعادة، وطاقت كامنة وكافية ذاتية يتمتع بها الفرد" (عمرو، 2014، 20).

الدراسات السابقة المرتبطة بمتغير الثقة بالنفس

أما دراسة الدراكية (2021) أجريت في منطقة حائل بالمملكة العربية السعودية، وهدفت إلى الكشف عن مستوى الثقة بالنفس وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى الطلبة الموهوبين وغير الموهوبين في المرحلة المتوسطة. شارك فيها 80 طالباً وطالبة. أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الثقة بالنفس لصالح الطلبة الموهوبين، كما بينت أن الإناث يتمتعن بثقة بالنفس أعلى من الذكور، في حين لم تظهر فروقات دالة في صعوبات التعلم بين الجنسين.

ففي دراسة زهاو وآخرون (Zhao et al. 2021) هدفت الدراسة إلى فحص العلاقة بين الثقة بالنفس والمشاركة الأكاديمية لدى المراهقين، ودور الكفاءة الذاتية الأكاديمية كمتغير وسيط، والدعم الاجتماعي كمتغير معتدل. شملت العينة 480 مراهقاً من مقاطعة "هبي" في الصين. أظهرت النتائج أن الثقة بالنفس تنبئ إيجابياً بالمشاركة الأكاديمية، وأن الكفاءة الذاتية والدعم الاجتماعي يؤثران بشكل معتدل في هذه العلاقة. أوصت الدراسة بإنشاء نظام دعم اجتماعي فعال لتحسين مشاركة الطلبة.

مهارة اتخاذ القرار

تُعد مهارة اتخاذ القرار من المهارات الحياتية الأساسية، وهي مرتبطة بذكاء الفرد وثقته بنفسه. يشير (Noble 2023) إلى أن هناك علاقة قوية بين الثقة بالنفس واتخاذ القرار الإيجابي، حيث تتيح الثقة قدرة أوضح على تقييم الخيارات وتحمل المخاطر بثقة ووضوح.

أما العتيبي (2020) فيوضح أن الإنسان يتخذ قرارات كثيرة يومياً، سواء شخصية أو مهنية، وتتطلب مهارة اتخاذ القرار تقييماً واعياً للبدائل المتاحة.

وقد أدرج العوض ونحيلي (2018) اتخاذ القرار ضمن استراتيجيات التفكير المركبة، لما تتطلبه من مهارات تحليل،

استقرار، نقد، وتوقع للنتائج. ويرى موسى (2016، ص30) أن اتخاذ القرار هو: "عملية المفاضلة بين بدائل متاحة، واختيار أحدها بما يحقق الأهداف بكفاءة وفاعلية ضمن معطيات بيئية معينة." وهذا ينسجم مع تعريف العتيبي (2021) الذي اعتبرها عملية عقلانية متكاملة تعتمد على الدراسة والتفكير وتقدير العواقب. بالتالي يمكن القول إن اتخاذ القرار هو قدرة عقلية وعاطفية معًا، وتزداد فاعليته بازدياد النضج الانفعالي والثقة بالنفس.

الدراسات السابقة المرتبطة بمتغير اتخاذ القرار

أما دراسة الدميني والهادي (2022) هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين فاعلية الذات ومهارة اتخاذ القرار المهني لدى طلبة الصف الأول الثانوي بأمانة العاصمة صنعاء. شملت العينة 696 طالبًا وطالبة. وأظهرت النتائج علاقة ارتباطية دالة بين فاعلية الذات واتخاذ القرار المهني، كما وجدت فروق لصالح الإناث في كلا المتغيرين، مما يشير إلى إمكانية التنبؤ بمستوى اتخاذ القرار من خلال فاعلية الذات.

ففي دراسة جيل وكاجلاين (2018) Gul & Caglayan تناولت الدراسة العلاقة بين تقدير الذات وأنماط اتخاذ القرار لدى طلبة المرحلة الثانوية في تركيا، وفقًا لممارسة الرياضة. شملت العينة 403 طالبًا وطالبة، منهم 114 يمارسون الرياضة. وأظهرت النتائج أن الطلبة الذين يمارسون الرياضة يمتلكون مستويات أعلى من تقدير الذات، ومن مهارة اتخاذ القرار، وأن هناك علاقة إيجابية بين المتغيرين.

وقد أجرى اليوسف (2020) دراسة هدفت إلى معرفة مستوى التنظيم الذاتي، واتخاذ القرار، وتقدير الذات لدى طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية. استخدمت ثلاثة مقاييس، وشملت العينة 232 طالبًا وطالبة. أظهرت النتائج ارتفاع مستويات التنظيم الذاتي واتخاذ القرار وتقدير الذات، مع وجود فروق دالة لصالح الذكور في تقدير الذات، ولصالح طلبة السنة الرابعة. كما وجدت علاقة ارتباطية إيجابية بين التنظيم الذاتي واتخاذ القرار وتقدير الذات. وأوصت الدراسة ببرامج تربوية لتقوية تقدير الذات، خاصة لدى الطالبات.

العلاقة بين النضج الانفعالي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار وأثرها على الطلبة

يتسم عصرنا الحالي بتغيرات سريعة ومتعددة في مختلف مجالات الحياة، مما يفرض على الأفراد وخاصة فئة الطلبة متطلبات وتحديات جديدة. وتُعد القدرة على التوافق مع هذه المتغيرات من أبرز سمات الشخصية السليمة، إذ يواجه الطلبة مشكلات متزايدة ناتجة عن الضغوط النفسية، والقلق، والتوجس من المستقبل (الجنابي وبلال، 2020).

إن إعداد جيل ناضج وواعٍ قادر على التعامل مع هذه التحديات هو أحد أهم أهداف التربية الحديثة. فشريحة الطلبة هي المحور الأساس في بناء المجتمع، وهم القوة الفاعلة لإحداث التغيير المنشود. لذلك فإن تنمية النضج الانفعالي لدى الطالب، وتمكينه من الثقة بنفسه، ومساعدته على اتخاذ قرارات رشيدة، هي مكونات أساسية في بناء شخصيته وتطوير كفاءته.

أشار بالعربي وقُدوري (2020) إلى أن النضج الانفعالي يسهم في تطوير المعرفة لدى الطالب، ويعزز قدراته العقلية والانفعالية، مما يهيئته للمشاركة الفعالة في بناء المجتمع وازدهاره. كما يرى عطية (2016) أن الهدف التربوي لا يقتصر على تزويد الطالب بالمعرفة، بل يمتد إلى العناية بشخصيته، وتمكينه من التعبير المتوازن عن انفعالاته، واتخاذ القرارات الصائبة، وبناء علاقات اجتماعية قائمة على التفاعل الإيجابي.

وأكد العتيبي (2020) أن الطالب الناضج انفعاليًا يدرك مسؤوليته الذاتية، ويسعى لخلق روابط قوية مع الآخرين، مستندًا إلى خصوصيته الفردية، دون أن يفقد قدرته على الاندماج الاجتماعي.

تُعد الثقة بالنفس عاملاً مهماً في النجاح الأكاديمي، فهي تدفع الطالب إلى المثابرة والاجتهاد، مما يزيد فرص تفوقه. كما أن القدرة على فهم المشاعر والانفعالات تساعد على ضبط النفس واتخاذ قرارات أكثر توازناً، فالنضج الانفعالي عنصر حاسم في تحسين الأداء الإنساني وتفعيل اتخاذ القرار (موسى، 2016).

يرى اليوسف (2020) أن الثقة بالنفس تُمكن الطالب من تحمل المسؤولية والتفاعل السليم مع المواقف الحياتية، في حين أن ضعف الثقة يخلق شعوراً بالعجز، ويؤدي إلى الإحباط، وتراجع في الدافعية التعليمية والتكيف الاجتماعي.

وقد أظهرت دراسة (Rani et al. 2015) أن النضج الانفعالي يؤثر إيجابياً على الثقة بالنفس لدى المراهقين، ويزيد من شعورهم بالأمان والتفاؤل. كما أشارت دراسة (Khoriah & Lestari 2023) إلى وجود علاقة بين النضج الانفعالي واتخاذ القرارات المهنية الناجحة، حيث أن المراهقين الناضجين انفعالياً يمتلكون وعياً بذواتهم، مما يساعدهم على التعامل بفعالية مع المشكلات المهنية.

وفي ذات السياق، أكد (Raj 2017) على العلاقة بين النضج الانفعالي والثقة بالنفس، مبيناً أن ضعف النضج يرافقه غالباً ضعف في الثقة بالنفس، بينما يظهر الطلبة الناضجون قدرة أعلى على اتخاذ القرار حتى في ظل الضغوط.

وشدد السنتريسي ونبيل (2021) على أهمية تنمية النضج الانفعالي من خلال البرامج التدريبية والتجريب العملي، إذ يسهم ذلك في تعزيز مهارات اتخاذ القرار والثقة بالنفس.

ووفق دراسة شارما وآخرون (Sharma et al. 2022) تبين أن هناك علاقة إيجابية بين النضج الانفعالي والثقة بالنفس، وأظهرت النتائج أن الإناث في سن مبكرة يتمتعن بمستويات أعلى من الثقة بالنفس مقارنة بالذكور.

الدراسات السابقة المرتبطة بمتغير النضج الاجتماعي

وقد قام سعد وآخرون (2022) هدفت الدراسة إلى تحديد العوامل المؤثرة في النضج الانفعالي لدى طلبة كلية التربية في جامعة حلوان، والكشف عن الفروق وفق متغير الجنس. شملت العينة (350) طالباً وطالبة. أظهرت النتائج وجود ثلاثة عوامل أساسية للنضج الانفعالي: الثقة والطمأنينة النفسية، الضبط والاستقرار، والتوافق النفسي، دون فروق بين الذكور والإناث.

وقد قام مريدلا (Mridula, 2020) فحصت الدراسة مستوى النضج الانفعالي لدى 100 مراهق باستخدام مقياس سينغ وبارجافا. أشارت النتائج إلى أن 74% من المشاركين غير ناضجين انفعالياً، ولم تُظهر النتائج ارتباطاً للنضج بالعمر أو النوع الاجتماعي أو نوع الأسرة.

قام بيسواس بدراسة (Biswas 2018) هدفت إلى قياس مستوى النضج الانفعالي لدى طلبة المرحلة الثانوية (100 طالب من أربع مدارس). بينت النتائج أن معظم الطلبة يتمتعون بقدرة متوسطة على التعامل مع عواطفهم. ولم توجد فروق ذات دلالة تُعزى للجنس أو مكان السكن.

التعليق على الدراسات السابقة

عند مراجعة الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الذكاء العاطفي ومهاراته الأساسية - الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار - يتضح أن هذا الحقل البحثي قد حظي باهتمام علمي واسع، خاصة في العقدين الأخيرين. وقد أسهمت هذه الدراسات في بناء قاعدة معرفية صلبة حول الأثر الإيجابي لهذه المهارات على الصحة النفسية، التحصيل الأكاديمي، والتكيف الاجتماعي لدى المراهقين. غير أن تحليلاً نقدياً لهذه الدراسات يكشف عن عدة ملاحظات منهجية ومضمونية تسهم الدراسة الحالية في معالجتها.

أولاً، غالبية الدراسات التي تم تناولها اعتمدت المنهج الكمي الوصفي أو الارتباطي، ما حدّ من قدرتها على التعمق في تحليل مضامين البرامج والورشات التدريبية الموجهة للطلبة. على سبيل المثال، ركزت دراسات مثل (الخالدي، 2021)؛ (Zhao et al., 2021)؛ (Sharma et al., 2022) على قياس العلاقة بين متغيرين أو أكثر، دون التطرق إلى تحليل كيفية تمثّل هذه المهارات ضمن أنشطة تدريبية واقعية.

ثانياً، أظهرت معظم الدراسات عناية بالنتائج الإحصائية، لكنها لم تولِ اهتماماً كافياً للبعد السياقي والثقافي الذي يميز البيئات التعليمية المختلفة، وخاصة في مجتمعات مثل المجتمع العربي داخل الخط الأخضر. ومن هنا، تبرز مساهمة الدراسة الحالية في سد هذه الفجوة من خلال تحليل محتوى ورشات تدريبية واقعية موجهة لفئة محددة (طلبة الصف الحادي عشر)، في بيئة اجتماعية وثقافية قائمة على خصوصيات لغوية وتربوية مميزة.

ثالثاً، اقتصر بعض الدراسات على متغير واحد من مكونات الذكاء العاطفي، مثل دراسة القواقرة (2015) التي ركزت فقط على الوعي الذاتي، أو دراسة الدميني والهادي (2022) التي تناولت اتخاذ القرار، ما جعل من الصعب تكوين صورة متكاملة حول العلاقة بين هذه المهارات كمنظومة متداخلة. بالمقابل، تسعى الدراسة الحالية إلى دمج هذه الأبعاد الثلاثة ضمن تحليل موحد، ما يوفر رؤية شاملة حول طريقة تمثّلها في البيئة التربوية.

رابعاً، تُظهر غالبية الدراسات توجّهاً نحو دراسة الذكاء العاطفي في المرحلة الجامعية، بينما تقل الدراسات النوعية الموجهة لطلبة المرحلة الثانوية، رغم أن هذه المرحلة تُعد حاسمة في تكوين الهوية وبناء القرارات المستقبلية. وهنا تتقدم الدراسة الحالية كمبادرة بحثية تتناول هذه الفئة بعناية، مستندة إلى أدوات تحليل نوعي تسير عمق المحتوى التدريبي وتفكك بنيته.

خامساً، ومن حيث الإطار النظري، نجد أن معظم الدراسات اعتمدت على نموذج جولمان (1995) أو نموذج بار-أون (2000)، غير أن توظيف هذه النماذج ظل غالباً في الإطار النظري دون تطبيق عملي منهجي.

سادساً، تُعاني بعض الدراسات من ضعف في توصيف إجراءات التحكيم والصدق والثبات، الأمر الذي يحدّ من موثوقية نتائجها. على العكس من ذلك، تُولي الدراسة الحالية أهمية لاعتبارات الصدق والثبات من خلال استخدام أكثر من محلل وتحكيم الأداة من قبل خبراء.

يمكن القول إن الدراسات السابقة وفرت أساساً معرفياً ضرورياً لبناء الدراسة الحالية، إلا أنها افترقت إلى تحليل منهجي لمضامين البرامج التدريبية في ضوء الذكاء العاطفي، وإلى دمج مركّب بين المهارات المستهدفة. من هنا، تبرز أهمية الدراسة الحالية بوصفها دراسة نوعية تحليلية تستهدف التحقق من فاعلية الورشات التدريبية الموجهة للمراهقين، وتعكس فهماً عميقاً لحاجاتهم الانفعالية في ضوء متغيرات السياق الثقافي والتربوي المحلي.

الملخص للمادة النظرية

يُعد الذكاء العاطفي من أبرز المفاهيم النفسية الحديثة التي باتت تحتل مكانة مركزية في ميدان التربية، حيث أشار جولمان (1995) إلى أن المدرسة تمثل البيئة الأولى القادرة على تشكيل الكفاءة الانفعالية والاجتماعية للطلبة. وتبرز أهمية هذا الذكاء في قدرته على تعزيز النجاح الأكاديمي والمهني والاجتماعي، كما أظهرت دراسات عديدة مثل (James et al., 2005) أن الطلبة ذوي الذكاء العاطفي العالي يحققون انتقالاً أكثر سلاسة من المرحلة الثانوية إلى الجامعية.

يشمل الذكاء العاطفي عدداً من المكونات، أبرزها: الوعي الذاتي، ضبط الانفعالات، التعاطف، والتحفيز الذاتي، وهي

مكونات نظّر لها جولمان وبار-أون في نماذجهما. ويمثّل الوعي الذاتي حجر الزاوية في هذا الإطار، لما له من دور في تنظيم السلوك، وضبط المشاعر، وبناء القرارات بشكل سليم. وتشير الدراسات إلى وجود علاقة إيجابية قوية بين الوعي الذاتي والتوافق النفسي، كما يعزز هذا الوعي مستوى الصحة النفسية والرضا عن الذات (بلحاج، 2016).

من جهة أخرى، تعتبر الثقة بالنفس أحد الأعمدة الأساسية لبناء الشخصية المتوازنة، حيث تؤثر في اتخاذ القرار، والقيادة، والنجاح الأكاديمي. وقد أظهرت البحوث (الدرابكة، 2021)؛ (Zhao et al., 2021) أن الطلبة ذوي الثقة العالية يشاركون أكاديميًا بشكل أكثر فاعلية، كما أنهم أكثر تفاؤلاً وتفاعلاً اجتماعيًا.

أما اتخاذ القرار، فهو مهارة حياتية معقدة ترتبط باستخدام التفكير الناقد والتحليلي، وتتأثر بثقة الفرد بنفسه ونضجه الانفعالي. ويُعد هذا النضج عنصرًا وسيطًا محوريًا، حيث يوفر للطلاب توازنًا داخليًا يعكس على حسن اختياراته وسلوكه الأكاديمي والاجتماعي. تتقاطع هذه المتغيرات الثلاثة (الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، اتخاذ القرار) في بناء شخصية الطالب في مرحلة المراهقة، وهي مرحلة حرجية من حيث تكوين الهوية وبناء المستقبل ومن هنا، تتضح الحاجة التربوية الملحة لتضمين برامج تدريبية تُثمي هذه المهارات في البيئة المدرسية، باعتبارها مقومات أساسية للنجاح والتكيف في عصر مليء بالضغوط والتغيرات (ريحان، 2023).

منهجية الدراسة وإجراءاتها

1. أدوات الدراسة: اخترنا في هذه الدراسة أن نسمع للطلبة أنفسهم، وأن نقرب من أصواتهم وتجاربهم الحقيقية. استخدمنا استبانة أسئلة مفتوحة تركنا فيها المجال واسعًا للتعبير، واعتمدنا على الصور والتصوير، مجموعات بؤرية مركزة، وملاحظة. كما طلبنا من المعلمين والمستشارين أن يشاركوا ملاحظاتهم وانطباعاتهم من موقعهم القريب من الطلبة.

الاستبانة: وسيلة لجمع البيانات الأولية والميدانية حول مشكلة أو ظاهرة البحث. تُستخدم لمعرفة آراء المبحوثات واتجاهاتهم. أنواع الاستبيانات (عماد، 2014): المغلق - يحدد خيارات للإجابة.

المفتوح: يتيح حرية الرأي. المختلط: يجمع بين النوعين. المصور: يعتمد على الصور للحصول على الإجابات.

مجموعة بؤرية مركزة - سلسلة مناقشات مخططة بعناية تهدف إلى الحصول على تصورات حول مجال معين من الاهتمام، في بيئة متساهلة وغير مهددة. تدار كل مجموعة من قبل محاور ماهر وتضم من ستة إلى ثمانية أشخاص. يؤثر أعضاء المجموعة بعضهم على بعض من خلال الاستجابة لأفكار وتعليقات الآخرين (Krueger, 2000).

ملاحظة: تشير الملاحظة في البحث إلى الدراسات النوعية وغير التجريبية التي تهدف إلى مراقبة، تسجيل وتحليل مجتمع أو ثقافة معينة، أو سلوكيات ومواقف بشكل منهجي. حيث تتم هذه العملية في السياقات الطبيعية دون تدخل الباحث بشكل مباشر، لتقديم فهم ملموس ودقيق لواقع ما يلاحظه (Darlington, 2002).

صمم الاستبيان باستخدام Google Form وتوزيعه على مجموعات الطلاب عبر تطبيق واتس أب.

2. مجتمع الدراسة وعينتها: العينة كانت حقيقية، من طلبة يعيشون واقعهم بكل تحدياته، ومن طاقم تربوي يسعى للتأثير والدعم. كان عدد المشاركين من الطلبة (46)، بالإضافة إلى (17) من طواقم مدرسة ثانوية في المجتمع العربي، منطقة المثلث حيث يعيش أفرادها نفس السياق الاجتماعي والثقافي.

3. **صدق الأدوات وثباتها:** اعتمدنا على آراء مختصين في التربية والنفس لمراجعة الأسئلة والمضامين، وأعدنا تحليل الاستجابات بأكثر من عين تربوية، ولأكثر من أداة قمنا باستعمالها، كي نضمن أن ما خرجنا به يعكس ما ذكره الطلبة فعلاً، لا ما توقعناه نحن كباحثين.

4. **إجراءات تحليل النتائج:** اقتربنا من كل كلمة كتبها، كررها، الطلبة أو دَوَّنوها الطاقم، وقرأناها بروح الباحث والمربي معاً. بحثنا عن الأنماط، الرموز، التكرارات، الصور الشعورية، والعبر التي يمكن أن تُبنى عليها سياسات تربوية داعمة.

النتائج

نتائج استجابات الطلبة

الوعي وإدراك المشاعر

عبر معظم الطلبة عن شعور واضح بأن الورشات ساعدتهم على فهم مشاعرهم الشخصية بشكل أعمق. فقد أشار العديد منهم إلى أنهم للمرة الأولى ينتبهون لما يشعرون به في مواقف معينة، كالخوف، الغضب، الحيرة، أو الفرح. هذا الفهم لم يأت عبر شرح نظري فقط، بل من خلال تمارين تطبيقية وتجريب ذاتي مثل أنشطة تسمية المشاعر أو الكتابة الذاتية. أحد الطلبة قال: "كنت أعرف أنني متضايق، بس ما كنت أعرف ليش... بعد الورشة صرت أربط بين الشعور والموقف".

طالب آخر قال: "الورشة علمتني كثير أشياء وجعلتني أفهم مشاعري".

وأخر قال: "حسيت أنني صرت أقدر أفهم مشاعري وأعرف شو سببها، مش بس أحس فيها وأسكت".

اكتشاف وفهم مشاعر جديدة

نوّه كثير من الطلبة إلى مشاعر جديدة أو دفينّة أدركوها خلال الورشات، مثل الإحساس بالقدرة، أو التحدي، الصبر، القيادة، أو حتى اللذة والتعاون في مشاركة الآخرين. طلاب آخرون تحدثوا عن المسؤولية كأحد المشاعر المكتشفة، وهو أمر بالغ الدلالة في مرحلة المراهقة، حيث تتحول الذات من الاتكالية إلى الفاعلية.

حيث قال أحد الطلبة: "اكتشفت انه يوجد لدي الاحساس بشعور جديد وهو المسؤولية تجاه الآخرين".

طالب آخر تحدث وقال: "اكتشفت انني بحب التعاون مع اصدقائي ولكن لا أملك الجرأة الكافية في المشاركة او طلب التعاون معهم".

وأخر قال: "أكثر شعور مهم اكتشفته عن نفسي خلال الورشات هو أنني أفتقد أحياناً إلى الصبر، خصوصاً عندما لا تسير الأمور كما أتوقع أو عندما أشعر بالتوتر. من خلال الورشات فهمت أن هذا الشعور مرتبط برغبتني في السيطرة أو الخوف من الفشل. تعلمت أن الصبر مهارة يمكن تطويرها، وأن التمهّل والتفكير بهدوء يساعدني على اتخاذ قرارات أفضل والتعامل مع الآخرين بطريقة أكثر نضجاً".

وطالب آخر قال: "المسؤولية لما حسيت أنني عم بكبر وبوعي وانو لازم اوخذ قرار أنا رح أكون مسؤوله عنو لبعدين".

طالبة أخرى قالت: "اكتشفت انني شخصية قائدة".

تنمية الثقة بالنفس

أغلب الطلبة ذكروا أن الورشات ساعدتهم بشكل مباشر على تعزيز الثقة بالنفس. وقدّموا أمثلة ملموسة: الحديث أمام الصف والجمهور، اتخاذ قرار شخصي، القدرة على رفض ضغط سلبي. اللافت في الإجابات أن تعزيز الثقة لم يكن مصطنعاً، بل مرتبطاً بسياقات حياتية واقعية، مما يدل على أثر عميق وتحويلي في ذوات الطلبة.

حيث أشار إحدى الطلبة وقال: "لقد وقفت امام 400 شخص على المسرح وتحدثت بكل ثقة".

وطالب آخر قال: "انا كنت اخجل ان اظهر نفسي للآخرين ولاكن بعد الورشات اصبحت لا اخجل ابدا من الظهور امام الآخرين"

وطالبة أخرى قالت: "كنت في بعض الأحيان اسكت عن حقي ولا أتكلم لأن الآن أتكلم وأخذ حقي بدون ان اخجل او اقول لا الآن الثقة بالنفس هي السبب الرئيسي التي جعلني أتكلم مع الآخرين".

وأخرى قالت: "بعد الورشات، صرت أحس بثقة أكبر لما أُعبر عن رأيي قدام الناس. مرة حكيت وجهة نظري بنقاش مع زملائي وما خفت إذا حدا اختلف معي، حسيت إنني قوية وأفكاري إلها قيمة".

وأخرى أشارت: "لما اكون بفعالية مثلاً عن العمل كفريق، او موقف بده عمل كفريق، صرت أرتب الأفكار قبل أن نبدأ، ولما اقترح رأيي والفريق يلي معي يوافقوا بحس ثقة بحالي وهيك احساس قائد".

اتخاذ القرار

أجمع الطلبة تقريباً على أن الورشات ساعدتهم في تعلم كيفية اتخاذ قراراتهم بطريقة مدروسة. بعضهم أشار إلى التحسن في قرارات أكاديمية كاختيار التخصص، وآخرون ذكروا مواقف اجتماعية مثل الخروج من علاقات سامة أو رفض سلوك جماعي غير مقبول. وعند سؤالهم عن كيفية التطبيق، تعددت الإجابات بين "أفكر أكثر قبل ما أقرر" و"ما بتقش بحداء بسرعة".

وأخر قال: "اهذا وأفكر بالقرار الذي سوف اتخذه إذا كان سوف ينفعني ام لا وايضا قبل اتخاذ القرار افحص إذا كانت إيجابياته أفضل ام سلبياته".

طالبة أخرى قالت: "اصبحت اجمع معلومات أكثر حول الخيارات المتاحة لي في الكثير من المواقف".

وأخرى قالت: "ان أفكر جيداً واستشير من لديه خبره في الموضوع والأشخاص الأكبر مني وايضاً اخذ القرارات بذكاء".

الوعي بأهمية إدارة الوقت وتقليل التوتر

ورشة إدارة الوقت كانت من أكثر الورشات فاعلية حسب تقييم الطلبة. معظمهم أجابوا أنها ساعدتهم فعلياً على تنظيم وقتهم قبل الامتحانات، ما أدى إلى تقليل التوتر وزيادة الإحساس بالسيطرة. بعضهم قال: "قبل الورشة كنت أدرس بدون خطة. بعدها صرت أكتب جدول والتزم فيه". وقد ترافق ذلك مع وصف لتراجع في الشعور بالقلق وتحسن في الأداء الأكاديمي.

وطالب آخر قال: "أثرت بطريقة ايجابيه لأنني أصبحت اعطي الوقت اهميه أكثر وابذل جهد أكبر على استغلال كل دقيقة".

وأخر قال: "إدارة الوقت مهمة بحياتنا أنا قبل كنت ادرس قبل الامتحان بيوم اما بالوقت الحالي صرت ادرس قبل بفترة سبوع أربع ايام هيك اشفي وافهم المادة منيح".

وأخرى قالت: "حضورى لورشة "إدارة الوقت" كان له تأثير إيجابي كبير على أدائي الدراسي. فقد تعلمت من خلالها كيفية

تنظيم يومي وتحديد أولوياتي بفعالية، مما ساعدني على استثمار وقتي بشكل أفضل. بدأت في استخدام أدوات مثل الجداول الزمنية والقوائم اليومية لتخطيط مهامى الدراسية، مما قلل من التوتر الناتج عن تراكم الواجبات واقترب المواعيد النهائية".

المهارات التي تم تطويرها وطورت لدى الطلبة من خلال الورشات التدريبية

عند سؤالهم عن المهارة التي طوروها أكثر من غيرها، توزعت الإجابات بين:

- الثقة بالنفس: لمن كانوا يعانون من الخجل أو القلق الاجتماعي.
- اتخاذ القرار: لمن شعروا بالحيرة أو التردد في قضاياهم اليومية.
- الوعي الذاتي: بدرجة أقل، لكنه ذكر في عدة سياقات.
- التعامل مع مواقف صعبة بعد الورشات.

من خلال اجابات الطلبة برزت عدة محاور تُظهر التحول الذي أحدثته الورشات في حياتهم الشخصية والعاطفية والاجتماعية. ومن أهمها:

1. **التعامل مع المواقف الصعبة:** أظهر عدد كبير من الطلبة تحسناً في قدرتهم على مواجهة مواقف صعبة بطريقة أكثر هدوءاً ووعياً. أحد الطلبة كتب: "كنت أصرخ وأغضب فوراً، الآن أحاول أولاً أن أتنفس وأفكر قبل أن أتكلم". وأكد آخر: "تعلمت كيف أضبط مشاعري في لحظة الشجار مع أصدقائي". هذا يدل على انتقال واضح من ردود فعل تلقائية إلى استجابات مدروسة.

2. **التغيرات الشخصية:** عبّر العديد من الطلبة عن شعورهم بأن الورشات غيّرت شيئاً في شخصياتهم، حتى وإن لم يستطيعوا دائماً تسميته بدقة. بعضهم تحدث عن شعور جديد بالهدوء الداخلي، أو عن زيادة في الشعور بالرضا عن النفس. طالبة كتبت: "أنا مش زي قبل، بحس إنني صرت أعرف مين أنا وشو بدي أكثر". وأشار آخر إلى أنه صار يثق أكثر بنفسه عندما يتكلم أمام الصف.

3. **المزايا الجديدة التي أضيفت لشخصياتهم:** أظهرت إجاباتهم إدراكاً متزايداً لمفاهيم جديدة لم يكونوا يستخدمونها من قبل مثل: التفكير الإيجابي، احترام الذات، الإصغاء للآخرين، تنظيم الوقت، والتسامح. إحدى الطالبات كتبت: "صرت أكتب مشاعري بدل ما أحزنها جواي". وأضاف طالب آخر: "تعلمت أقول (لا) بدون ما أشعر بالذنب".

نتائج استجابات الطاقم التربوي

عناصر الورشة الداعمة للوعي الذاتي

1. وعي الطلبة بمشاعرهم: اتفق جميع المعلمين والمربين تقريباً على أن الورشات كان لها أثر واضح في زيادة وعي الطلبة بمشاعرهم، إذ أشاروا إلى تحسن قدرة الطلبة على التعبير، وعلى تسمية شعورهم بدقة، بل وشرح أسبابه. بعض الطاقم ذكر أن الطلبة بدأوا يستخدمون لغة شعورية في الحصص الصفية، وهو تغير تربوي حقيقي.
2. التعبير عن نقاط القوة والضعف: لاحظ الطاقم أن الطلبة أظهروا قدرة أكبر على الحديث عن أنفسهم بصدق. أحد المربين كتب: "صرت أسمع طالب يقول: أنا بعصب بسرعة، وعم بحاول أشتغل على الموضوع... هذا كان مستحيل قبل الورشات". هذه القدرة على التعرف على الذات تمثل إحدى أسس الذكاء العاطفي الأساسية.

3. التغيير في الجرأة والمبادرة: أظهرت ردود الطاقم أن الطلبة المشاركين أبدوا ارتفاعاً في الجرأة والمبادرة، مثل التطوع في أنشطة، أو التحدث بصوت مرتفع، أو المبادرة بحل مشكلة صفية. اعتُبرت هذه مظاهر لسلوك ناتج عن شعور داخلي بالتمكين الذاتي.

عناصر الورشة الداعمة للثقة بالنفس

ذكرت معظم الردود أن التعزيز الإيجابي، الأنشطة الجماعية، وتشجيع التعبير عن الذات كانت من أهم مكونات الورشة التي ساعدت على بناء الثقة بالنفس لدى الطلبة، خاصة ممن عانوا سابقاً من تهيمش أو خجل اجتماعي.

استجابة الطلبة للنقد

وُصف التحول في استجابة الطلبة للنقد بـ "التدريجي لكن الواضح". حيث أصبح الطلبة أكثر تقبلاً للتغذية الراجعة، خاصة حين تم تقديمها بلغة داعمة. تم ذكر استخدام المرشحات لأساليب مثل النقد البناء، ولغة الـ "أنا" بدلاً من الـ "أنت"، مما خفّض من مقاومة الطلبة.

عناصر الورشة الداعمة لاتخاذ القرارات

اتخاذ القرار وتفكير في البدائل

اتفق الطاقم على أن الورشات لم تكن نظرية فحسب، بل تضمنت تمارين تطبيقية في اتخاذ القرار، منها تمارين المحاكاة، الأسئلة المفتوحة، والحوار الجماعي. كما لاحظوا أن الطلبة بدأوا يفكرون في البدائل، ويحللون النتائج المحتملة قبل اتخاذ مواقف أو خيارات.

القدرة على اتخاذ قرارات مُتزنة

وصف العديد من المعلمين أن الطلبة أصبحوا أكثر توازناً في اختياراتهم، إذ لم يعودوا يتأثرون بآراء الآخرين بسهولة، بل صاروا يبررون قراراتهم بثقة ووضوح، وهو سلوك يدل على نضج داخلي ونقلة في التفكير النقدي.

توافق محتوى الورشات مع احتياجات الطلبة

أجمع الطاقم على أن الورشات كانت ملائمة جداً لاحتياجات الطلبة النفسية والعاطفية، حيث نجحت بمعالجة جوانب لا تُغطى عادة في المنهاج التقليدي، مثل تقبل الذات، وضبط الانفعالات، والتفكير الهادئ. وقد اقترح بعضهم تعميم هذه الورشات على مراحل دراسية أخرى، خاصة الصف العاشر.

استنتاجات تحليلية

1. الانسجام الكبير بين تقييم الطلبة وتقييم الطاقم يدل على أثر حقيقي وغير سطحي للورشات.
2. الورشات نجحت في تطوير مهارات أساسية من الذكاء العاطفي: الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار.
3. التغيير لم يكن سلوكياً فقط، بل بدا داخلياً وذاتياً كما يظهر من اللغة المستخدمة في الإجابات.
4. الورشات قدمت نموذجاً تربوياً مغايراً، يقوم على التفاعل، الحوار، التجربة، والدعم، بدلاً من التلقين والتقييم.

نتائج استجابات الطاقم التربوي

لاحظ الطاقم التربوي أيضا حب الطلبة واحتياجاتهم الى مثل هذه الورشات التدريبية، وأنه يجب ان يكون وقت مخصص لمثل هذه الورشات لإعطاء مساحة أكثر للطلبة للتعبير عن أنفسهم والمشاركة بشكل فعال وليس فقط زيادة الوقت للورشات وإنما إضافة لعدد اللقاءات في الورشات التدريبية. حيث أشارت إحدى المربيات: "خلال الورشات كان التنقل من فعالية لفعالية...كنت انصح التركيز كل مرة بفعالية وإعطاء مجال أكبر للنقاش والتوسع بها مع انه تم التطرق خلال اللقاءات لنقاط هامة وجيدة...".

الى جانب ان يكون اختلاف وتنوع أكثر بالفعاليات للطلبة بما يتناسب مع هذا العمر الرقمي والتكنولوجي واكساب أدوات شائعة ومحفزة.

كما اوصت المربيات بأن يكون عدد الطلبة المشتركين في الورشات أقل. حيث أضافت إحدى المربيات " يجب زيادة الوقت المخصص للنقاشات الفردية". ليتسنى للجميع المشاركة.

إضافة لذلك حث الطاقم التربوي على أهمية دراسة احتياجات الطلبة المشاركين لمعرفة احتياجاتهم وتوقعاتهم من الورشة حيث اشارت إحدى المربيات وكتبت بالاستبيان "يجب اجراء استطلاع او مقابلة قصيرة مع المشاركين قبل الورشة لفهم توقعاتهم ومستوى معرفتهم مما يضمن ملائمة المحتوى لاحتياجاتهم الفعلية".

مناقشة النتائج

معظم الدراسات التي استعرضت ركزت على طلبة المرحلة الثانوية والجامعية، وهو ما يوقر أساساً علمياً قوياً لتبرير أهمية تحليل محتوى الورشات التدريبية في ضوء مهارات الذكاء العاطفي.

تبيّن أن المهارات الثلاث (الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، اتخاذ القرار) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوافق النفسي، النجاح الأكاديمي، والنضج الانفعالي، ما يجعل إدماجها في البرامج التدريبية أمراً حاسماً.

أبرز نتائج الدراسات السابقة حسب المتغيرات الوعي الذاتي: علاقة إيجابية مع التوجه نحو الحياة والتوافق النفسي (الخالدية، 2021؛ Bratton وآخرون، 2011). تفاوت المستويات حسب المرحلة التعليمية والتخصص (القوازة، 2015؛ سلطان، 2018).

الثقة بالنفس: ترتبط بالتحصيل الأكاديمي ودافعية الإنجاز (الدرايكة، 2021؛ Zhao وآخرون، 2021). تساهم في تطوير التنظيم الذاتي والقدرة على اتخاذ قرارات فعّالة (اليوسف، 2020).

اتخاذ القرار: يرتبط بفعالية الذات والثقة بالنفس والنضج الانفعالي (الدميني والهادي، 2022؛ Gul & Caglayan، 2018). يتأثر بالأنشطة اللامنهجية والتنظيم الذاتي (اليوسف، 2020).

النضج الانفعالي: مكوّن من عوامل مثل الطمأنينة النفسية، الاستقرار، التوافق النفسي (سعد وآخرون، 2022).

يرتبط بالثقة بالنفس واتخاذ القرارات المسؤولة (Rani وآخرون، 2015؛ Khoriah & Lestari، 2023).

يهدف هذا الفصل إلى تحليل النتائج المستخلصة من تقييم محتوى الورشات التدريبية الموجهة لطلبة الصف الحادي عشر، في ضوء مهارات الذكاء العاطفي الثلاث: الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار. تأتي هذه المناقشة في إطار نظري شامل يستند إلى نموذج جولمان المختلط (1995، 2006)، ونموذج بار-أون (2000)، وإلى الأدبيات التربوية والنفسية

التي بينت أهمية تنمية الذكاء العاطفي في المراحل العمرية الحرجة، لا سيما مرحلة المراهقة، والتي تمتد حتى سن 24 عامًا كما أشار (Sawyer et al. (2018).

أولاً: الوعي الذاتي تشير النتائج النوعية المستخلصة من إجابات الطلبة وأفراد الطاقم التربوي إلى تنامي ملحوظ في قدرة الطلبة على إدراك مشاعرهم، والتعبير عنها، وربطها بسياقات حياتهم اليومية. فقد استخدم الطلبة مصطلحات شعورية دقيقة في وصف تجاربهم، مثل "شعرت بالتوتر لكنني فهمت السبب" أو "أدركت أنني أتهرب من المواقف بسبب الخوف"، ما يدل على تحقق هدف الورشات في بناء الوعي الذاتي. وقد بين الطاقم التربوي ملاحظته لتحسن القدرة على تسمية المشاعر وتحليلها. هذا الاتساق بين وعي الطلبة وملاحظات الطاقم يعكس فاعلية الورشات في ترسيخ إحدى أهم كفاءات الذكاء العاطفي، والتي تشكل بحسب جولمان (1995) الأساس الذي تبنى عليه بقية المهارات.

كما تؤكد هذه النتيجة ما توصلت إليه دراسات الخالدي (2021) وسلطان (2018) و (Bratton et al. (2011، من أن الوعي الذاتي مرتبط إيجابياً بالتوافق النفسي، ويُعد مؤشراً لنمو الشخصية السليمة.

ثانياً: الثقة بالنفس برزت الثقة بالنفس بوصفها المهارة الأكثر تكراراً في إجابات الطلبة عند الحديث عن التغيرات الشخصية بعد الورشات. أشار العديد منهم إلى أنهم "أصبحوا أكثر قدرة على التعبير أمام الصف"، أو أنهم "اختاروا تخصصهم الأكاديمي بثقة". وفي الوقت ذاته، لاحظ الطاقم أن الطلبة باتوا أكثر جرأة في طرح آرائهم، ومبادرة في المشاركة الصفية. هذه النتائج تتسق مع نموذج جولمان الذي يربط بين الوعي الذاتي والثقة بالنفس كمتابع تطوري في الذكاء العاطفي. ويعززها ما توصلت إليه دراسات Zhao et al. (2021) والدرابكة (2021) و Bagri & Max من أن الثقة بالنفس تسهم في المشاركة الأكاديمية والنجاح الدراسي.

كما يظهر من تحليل المعطيات أن تعزيز الثقة بالنفس لم يكن منفصلاً عن الإطار الأخلاقي والديني الذي يميز البيئة التربوية العربية، حيث أشار بعض الطلبة إلى مفهوم "التوكل" و"النية" في اتخاذ القرار، مما يعكس انسجاماً بين البناء النفسي والبناء القيمي في الورشات.

ثالثاً: اتخاذ القرار أظهرت نتائج الدراسة أن الورشات قد أسهمت بفعالية في تطوير مهارة اتخاذ القرار لدى الطلبة، إذ أشاروا إلى قدرتهم الجديدة على "تحليل الخيارات" و"موازنة النتائج" و"التفكير قبل الرد". كما أكد الطاقم أن الطلبة بدأوا يختارون تخصصاتهم ومواقفهم بشكل أكثر استقلالية.

تدل هذه النتائج على تحقق واحد من أبرز أهداف الورشات، وهو تمكين الطلبة من اتخاذ قرارات عقلانية وعاطفية متزنة، بالاعتماد على نموذج جولمان الذي يرى أن اتخاذ القرار يقع في مركز تفاعل بين الوعي الذاتي، التنظيم، والتعاطف. كما يتقاطع ذلك مع ما أشارت إليه دراسات الدميني والهادي (2022)، Caglaya&Gul (2018)، واليوسف (2020)، من أن اتخاذ القرار يرتبط ارتباطاً إيجابياً بالكفاءة الذاتية والثقة بالنفس والنضج الانفعالي.

رابعاً: التنظيم الذاتي وتقليل التوتر من خلال ورشة إدارة الوقت، التي كانت ضمن البرنامج التدريبي، أشار الطلبة إلى تحسن قدرتهم على تنظيم وقتهم، مما انعكس في تقليل القلق المرتبط بالامتحانات. وقد لاحظ المعلمون كذلك انخفاضاً في مظاهر التشتت والفوضى خلال الحصص، وارتفاعاً في الالتزام بالتخطيط.

هذا يدعم ما ذكره Kluger & DeNisi (1996) و Hattie & Timperley (2007) عن أهمية التوجيه المباشر في بناء التنظيم الذاتي، ودوره في تحسين الأداء الأكاديمي.

خامساً: التفاعل مع النقد والتغذية الراجعة أظهرت نتائج الطاقم أن الورشات أسهمت في إحداث تحول في استجابة الطلبة

للنقد، إذ انتقلوا من الرفض أو الانفعال إلى التقبل والتحليل. وقد تم رصد هذا التغير خلال الأنشطة الجماعية والنقاشات.

يدل هذا على تحقق أحد المؤشرات الثانوية للوعي الذاتي والتنظيم الانفعالي، ما يؤكد ما أشار إليه Bradberry & Greaves (2009) و Goleman (2006) من أن القدرة على تقبل الملاحظات وتحليلها هي سمة من سمات الأفراد ذوي الذكاء العاطفي العالي.

سادساً: توافق الورشات مع الاحتياجات النفسية أجمع الطاقم التربوي على أن محتوى الورشات متوافق بدرجة عالية مع الاحتياجات النفسية والعاطفية للطلبة، حيث اعتبروها "ملاً تدريبياً" وفر مساحة للتعبير والتفكير، في ظل بيئة مدرسية غالباً ما تركز على التحصيل.

تتسجم هذه الملاحظات مع ما ورد في أدبيات (OECD (2018 حول ضرورة دمج مهارات الحياة والذكاء العاطفي في السياق المدرسي، خاصة في مراحل الانتقال النفسي.

سابعاً: العلاقة بين المتغيرات الثلاثة أظهرت النتائج تفاعلاً دينامي بين الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار. فكلما زاد إدراك الطالب لذاته، تعززت ثقته بنفسه، مما مكنه من اتخاذ قرارات أكثر اتزاناً. وهذا يتفق مع تصور الدراسة النظرية التي ترى في هذه المهارات وحدة متكاملة ضمن بنية الذكاء العاطفي.

وقد بينت دراسات متعددة مثل (Khoriah & Lestari (2023، Raj (2017، وسعد وآخرون (2022) أن النضج الانفعالي يخلق قاعدة متينة لبناء القرار السليم، في حين تعمل الثقة بالنفس على تعزيز الإقدام وتحمل المسؤولية، والوعي الذاتي يوفر البوصلة.

خلاصة المناقشة: تكشف نتائج الدراسة عن أثر واضح وإيجابي للورشات التدريبية في تنمية مهارات الذكاء العاطفي الثلاث لدى طلبة الصف الحادي عشر، بما يعزز من توافقه النفسي، ونضجه الاجتماعي، واستعدادهم الأكاديمي. وقد شكلت الورشات، من خلال تصميمها التفاعلي، واستنادها إلى مفاهيم حديثة في الذكاء العاطفي، بيئة تربوية ملائمة لتفعيل هذه المهارات وتطويرها. وتشير هذه النتائج إلى أهمية اعتماد هذه الورشات كجزء من البرامج التربوية النظامية، وتكييفها وفق خصوصية كل مرحلة عمرية وسياق اجتماعي.

الفجوة البحثية: أغلب الدراسات تناولت كل متغير على حدة أو في إطار عام للذكاء العاطفي، بينما تفتقر الأدبيات لتحليل محتوى البرامج أو الورشات التدريبية وفق مهارات الذكاء العاطفي الثلاث. قلة الدراسات النوعية التي استخدمت تحليل المحتوى في هذا السياق تفتح المجال لإسهام بحثي جديد.

الإطار النظري اعتمد نموذج دانيال جولمان (النموذج المختلط) الذي يقسم الذكاء العاطفي إلى خمسة أبعاد: الوعي الذاتي، تنظيم الذات، التحفيز، التعاطف، المهارات الاجتماعية. تأكيد الأبحاث (جولمان، كوفي، Gardner، Sternberg) على أن الذكاء العاطفي يسهم أكثر من الذكاء المعرفي في النجاح الشخصي والمهني، خاصة في سن المراهقة.

التطبيقات التربوية البرامج التدريبية والخدمات الإرشادية (الدينية، النفسية، الاجتماعية، التربوية، الوقائية، المهنية) تسهم في تنمية المهارات الانفعالية والاجتماعية.

الحاجة إلى تصميم ورشات تدريبية تستند إلى فهم احتياجات المراهقين، مع دمج مهارات الوعي الذاتي، الثقة بالنفس، واتخاذ القرار كأهداف تعليمية واضحة.

خلاصة واستنتاجات

تعكس الورشات التدريبية قدرة عالية على تمكين الطلبة من مهارة الوعي الذاتي، إذ أظهرت النتائج تحسناً في التعبير عن المشاعر، وتسمية الانفعالات، وربطها بالمواقف اليومية.

1. تم تعزيز الثقة بالنفس بصورة ملموسة، حيث شعر الطلبة بمزيد من الجرأة والإيجابية في التعبير عن الذات، والانخراط في البيئة الصفية والاجتماعية بشكل فاعل.

2. أظهرت الورشات أثراً واضحاً في تمكين الطلبة من مهارة اتخاذ القرار، وذلك من خلال ممارسات تطبيقية ومحاكاة مواقف حياتية واقعية.

3. ساعدت الورشات على تنظيم وقت الطلبة وإدارة ضغوط الامتحانات، ما انعكس على تخفيف مستويات القلق وزيادة القدرة على الإنجاز.

4. بينت استجابات الطاقم التربوي تطوراً في استجابة الطلبة للنقد والتغذية الراجعة، مما يشير إلى تطور في التنظيم الانفعالي والتفكير الذاتي.

5. أشارت الاستجابات إلى انسجام كبير بين تصميم الورشات واحتياجات الطلبة النفسية والعاطفية، وهو ما يدل على ملاءمتها التربوية.

6. تؤكد النتائج تكاملية مهارات الذكاء العاطفي الثلاث، إذ يتفاعل الوعي الذاتي مع الثقة بالنفس واتخاذ القرار في شبكة واحدة تدعم النمو النفسي والاجتماعي.

بناءً على ما سبق، توصي الدراسة بدمج هذه الورشات بشكل ممنهج في البرامج التربوية، وتطوير أدوات تقييم خاصة بها، مع تدريب الطاقم التربوي على تمريرها وفق مبادئ التربية العاطفية الشاملة.

تحديات الدراسة

هذه الدراسة لم تكن مجرد تحليل أكاديمي، بل تجربة إنسانية ميدانية. وكان من الطبيعي أن تعترضها بعض التحديات، ومنها:

1. الخصوصية الثقافية والانفعالية: بعض الطلبة لم يعتادوا التعبير الصريح عن مشاعرهم، واحتاجوا وقتاً وثقة ليفتحوا قلوبهم.

2. تفاوت التفاعل: ليس كل معلم كان لديه الوقت أو الاستعداد للملاحظة الدقيقة أو الكتابة المطولة.

3. تفاوت العمق في إجابات الطلبة: بعض الطلبة عبّروا بتلقائية وعمق، بينما فضل آخرون الاكتفاء بجمل مقتضبة.

4. القيود الزمنية: كانت الورشات تُنفذ ضمن وقت المدرسة، ما فرض ضغطاً في بعض الأحيان على تنفيذ النشاطات الكاملة.

والجدير بالذكر ان:

1. من أبرز التحديات تغيرات الأوضاع الأمنية في البلاد، حيث تم تعطيل المدارس وذلك أجبرنا تغيير أداة البحث بدلا من المقابلات الى استبيان حيث شمل أسئلة مفتوحة وأسئلة مغلقة تم ارسالها عبر البريد الالكتروني للطلبة والطاقم وعبر تطبيق واتس اب.

2. فترة العمل على البحث كانت مع فترة الامتحانات في مرحلة التعليم مما أضاف للتحديات. والمجهود كان مضاعف بسبب الوضع النفسي والاجتماعي المركب والقلق وفقدان الشغف والدافع للعمل والانجاز، مع ذلك تحدينا جميع ذلك وتآزرنا بقوة الإيمان والإرادة للتغيير والتقدم.

3. أيضا بسبب الحرب لم يكن بالأمر السهل أن يقوموا الطلبة والطاقد بتعبئة الاستبيان مما تطلب منا مجهود واحتواء كبير كباحثتين في التواصل الدائم وتعزيزهم وتشجيعهم من خلال رسائل عبر الواتس والبريد الالكتروني من اجل تعبئة الاستبيانات وأهمية التعاون معنا رغم الظروف.

4. كما وواجهنا تحدي من حيث اختيار موضوع الدراسة يعتبر حديث نوعا ما، ولا توجد دراسات كثيرة حول هذا الموضوع، بالأخص ان الدراسة تخصصت بفئة طلبة الحادي عشر، وأيضا لأننا من خلال دراستنا تطرقنا الى عدة محاور في مجال الذكاء العاطفي (الوعي الذاتي، اتخاذ القرارات، والثقة بالنفس) ذلك تطلب منا مجهود وبحث واسع وعميق لإيجاد دراسات سابقة تمحورت حول هذا الموضوع والمحاور الأساسية. وغالبية الدراسات تطرقت حول طلبة الجامعات والكليات أو مؤسسات تشغيلية ليس لمدارس ثانوية.

5. تحدي إضافي صعوبة التنسيق بالأوقات بيننا كباحثتين، كل لديها التزاماتها العائلية والمهنية، والظروف الأمنية اضافت صعوبة وارتباك لحالة طوارئ غير متوقعة ومستمرة، مما أجبرنا لتكثيف المحادثات الصوتية واللقاءات عن بعد عبر منظومة (الزوم او المييت).

التوصيات

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة نقترح كباحثتين بالتوصيات التالية:

1. تكثيف الورشات التدريبية في مهارات الذكاء العاطفي (الوعي الذاتي، اتخاذ القرارات، الثقة بالنفس) للطلبة لجميع الأجيال بالأخص طلبة المدارس في المرحلة الثانوية مما ينعكس إيجابيا على تصورهم الذاتي الإيجابي، تثقهم بأنفسهم ووعيهم الذاتي، وقدرتهم على اتخاذ القرارات في الحياة العملية والمهنية والأكاديمية لاحقا وليس فقط على نطاق المرحلة الدراسية.
2. تنفيذ الورشات والبرامج الإرشادية لتنمية مهارات الوعي الذاتي لدى طلبة الثانوية العازمون للالتحاق بالجامعة لما لهذا النوع من الذكاء من أهمية في التكيف الإيجابي مع الحياة الجامعية بكل جوانبها، والذي ينعكس إيجابيا على تحصيل الطالب العلمي وصحته النفسية وثقته بنفسه.
3. عقد دورات وورشات عمل للمعلمين والمعلمات حول موضوع استراتيجيات التعلم الحديثة وفقا لمهارات SEL ومهارات الذكاء العاطفي للتنوع في الغرف الصفية والتعامل بصورة فعالة مع الطلبة. وتثقهم وتعاطف أكثر لاحتياجاتهم في هذه المرحلة الحرجة (جيل المراهقة) والتصدي للمشكلات التي يتعرض لها الطلبة في هذه المرحلة.
4. عقد دورات وورشات عمل إرشادية لأولياء الأمور لتبصيرهم بالخصائص النمائية، الاجتماعية، العاطفية والنفسية للطلبة في مرحلة الثانوية خاصة انهم يمروا بفترة المراهقة وهي مرحلة مليئة بالتحديات والتغيرات والانفعالات.
5. التقييم المستمر للورشات :وضع آلية تقييم مرحلية ونهائية لقياس أثر الورشات على الطلبة، باستخدام أدوات كمية (استبيانات) ونوعية (مقابلات، ملاحظات صفية).

6. تنمية مهارات الايمان بالقدرات لدى الطلبة من خلال الورشات التدريبية حيث ان الافراد الواثقون بأنفسهم لديهم ايمان بمهاراتهم ومواهبهم وانهم يدركون نقاط قوتهم ويدركون حدودهم ونقاط ضعفهم.
7. مواءمة الورشات مع السياق الثقافي المحلي :التأكد من أن أمثلة الورشات ومضامينها تتسجم مع القيم والثقافة المجتمعية، مع السماح بالمرونة في التكيف.
8. إتاحة الدعم العاطفي المتخصص :التنسيق مع مختصين في العلاج السلوكي-الانفعالي لتقديم دعم فردي أو جماعي للطلبة ذوي الاحتياج العالي.
9. إجراء دراسات مستقبلية مقارنة :تشجيع إجراء بحوث مقارنة بين مدارس طبقت الورشات وأخرى لم تطبقها، لرصد الفروق في التحصيل والسلوك.
10. دمج المهارات في الحياة اليومية المدرسية :تعزيز ممارسات الذكاء العاطفي خارج الورشات، كاعتمادها في المجالس الصفية، الحصص الاجتماعية، والنشاطات اللامنهجية.
11. تعزيز التواصل العاطفي من قبل الطواقم (ادارة المدرسة، معلمين، استشارة) مع الطلبة وذلك من خلال تقديم الدعم والاهتمام عند الشعور بالضغط او القلق.
12. تقديم نموذج لقصص نجاح لأشخاص متأثرين، ملهمين من عدة مجالات من خلال الورشات التدريبية مما يزيد من قدراتهم ويرفع الدافعية لديهم.
13. تصميم برنامج إرشادي تدريبي على تنمية ورفع الحصانة والمتانة النفسية في ظل الحروب، الأزمات والطوارئ لتحسين مستوى الثقة بالنفس لديهم واكسابهم آليات وأدوات للتعامل مع الضغوطات والتحديات. ورفع الوعي والإدراك الذاتي، للتعامل مع مشاعر القلق والحزن ورفع مهارات الذكاء العاطفي من إصغاء، تعاطف ومهارات اتخاذ القرارات لدى طلبة الصف الحادي عشر.

تأملات الباحثين

شروق: حين بدأت هذه الدراسة، لم أكن أتوقع أن يكون في أعماق كل طالبة وطالب هذا القدر من الكلمات المؤجلة، والمشاعر المكبوتة، والقصص التي تنتظر أن يُنصت لها أحد. كنت أظنني ذاهبة نحو تقييم أثر ورشات في الذكاء العاطفي على الطلبة، فاكشفت أنني دخلت حقلاً غنياً بالإنسان، ذلك الكائن المركب الذي "يعيش مشاعر متباينة ومركبة قد يجهل كيف يتعامل معها وكيف يعبر عنها".

في قراءة استجابات الطلبة من خلال الاستبيان، لمست احتياجات الطلبة لأن يعبروا عن مشاعرهم وأفكارهم وأحاسيسهم وان يملكون الثقة للتعبير عن هذه المشاعر. أحد الطلبة قال: "كنت أخاف من التعبير عن مشاعري أو ما كنت أعرف شو عم حس أصلاً"، فكيف يمكن للتعليم أن يكون فعالاً إن لم يبدأ من فهم الذات والوعي الذاتي؟

لقد لمست، من خلال تفاعل الطلبة مع الورشات، كيف بدأ بعضهم يخطو نحو ذاته للمرة الأولى، فصار "يُفرق بين مشاعره، ويقدر يسميها، ويتعامل معها بدون جلد". وهذه ليست مجرد مهارة حياتية، بل تحوّل جوهري في وعي الطالب لمشاعره. فالذكاء العاطفي ليس رفاهية تربوية، بل ضرورة نفسية. فكما كتبت إحدى الطالبات: "تعلمت إنو مش لازم أهرب من مشاعري، صرت أحكي عنها وأفهم من وين جايه". هذا الوعي لم يولد من تلقاء نفسه، بل من بيئة آمنة ومحتويه وداعمه أتاحت التعبير، الإصغاء، وعدم الحكم المسبق والتنمر.

"المشاعر مش ضعف"، قالها أحدهم، فشعرت وكأن جداراً قد تهاوى. كم من الطلبة كبروا معتقدين أن التعبير عن الحزن أو الخوف أو حتى الفرح تهديدٌ لصورة "الشخص القوي"؟ كانت الورشات بمثابة فسحة مقاومة لهذا القمع العاطفي الطويل. أكثر ما أثر بي، هو تكرار عبارة "صرت أقدر حالي"، كأن الطلبة يسترجعون علاقتهم مع ذواتهم، علاقة تشوّهت تحت ضغط التوقعات، والواجبات، ونظرة الآخرين لهم بالذات لأنهم في جيل المراهقة وهو جيل حرج لتكوين الهوية الذاتية ومتأثر بضغط الاقران والمجتمع والسوشيال ميديا.

لم يكن الهدف من الدراسة فقط قياس أثر، بل كنت أبحث عن لحظة صدق. وحين كتب أحد الطلبة: "تغيّرت نظرتي لنفسي، بطلت بس شوف أغلاطي"، أيقنت أن الأثر حقيقي، عميق، وإنساني. التأمل في هذه التجربة جعلني أعيد النظر بدوري كباحثة. لم أكن محايدة، ولم أرغب بذلك. كنت شاهدة على تشكّل وعي جديد، على بداية مصالحة مع الذات.

ولذلك، أستطيع أن أقول اليوم: لقد تعلمت من الطلبة كما تعلموا مني. تعلّمت أن الإصغاء فعل حب، وأن تمكين الطالب يبدأ من الاعتراف بإنسانيته. هذه الدراسة لم تُنه شيئاً، بل بدأت شيئاً في داخلي، وفي داخل كل من شارك فيها.

إن ما لمستّه خلال هذه التجربة الدراسية العميقة يُحتم عليّ، كباحثة ومُربية ومستشارة تربوية وموجهة مجموعات، أن أوصي بضرورة إدماج الورشات التدريبية في الذكاء العاطفي كجزء أساسي من المناهج التعليمية، لا كأشطة هامشية أو موسمية. فهذه الورشات لم تكن مجرد لقاءات تعليمية، بل كانت مساحة للتنفس، وإعادة تعريف العلاقة بين الطالب وذاته، وبين الذات والآخر. هي عملية تربوية شاملة تُعيد الاعتبار للإنسان داخل القاعة الصفية، في زمن الضغوطات.

إن تكرار عبارات مثل "صرت أفهم حالي"، "بطلت أخجل من مشاعري"، "تعلمت اسمي إحساسي بدل ما أكبته"، لم تكن مجرد تعبيرات عاطفية عابرة، بل مؤشرات على تحول حقيقي في رفع وعيه الذاتي وإدراكه لنفسه ولرفع ثقته بنفسه وتمكينه. لذلك، أوصي بتصميم برامج تدريبية طويلة المدى، تراعي الفروق الفردية والثقافية الاجتماعية والنفسية، وتُمرر بأساليب تفاعلية واستراتيجيات تُفعل الطلبة بدلاً من تعليم وتلقين نظري جامد.

وقد أظهرت هذه الورشات قدرتها على تنمية مجموعة من المهارات الجوهرية، كان في مقدّماتها: الوعي الذاتي، وتنظيم المشاعر، والتعبير العاطفي بطريقة ناضجة، إضافة إلى مهارات الاصغاء، والتعاطف اتخاذ القرارات. لقد أصبح بعض الطلبة أكثر قدرة على تسمية مشاعرهم والتعامل معها دون خوف أو خجل، مما انعكس إيجاباً على علاقاتهم داخل الصف وخارجه. كما ظهرت بوادر تحسّن في إدارة التوتر والضغوط الدراسية، ونشأت علاقة أكثر تعاطفاً مع الذات.

وفيما يخص أثر الورشات التدريبية، فقد تبين أنها لم تُسبب أي ضرر نفسي، بل كانت على العكس، محطة تنفّس وتعافٍ. بعض الطلبة وصفها بأنها "أول مرة يشعر فيها إنو في حدا عم يسمعني"، مما يؤكد أن الأمان العاطفي الذي وفّره الورشات ساعدهم على تجاوز حاجز الخوف من التعبير. نعم، واجه البعض صعوبات في الانكشاف على الذات، لكن لم تكن هذه الصعوبات نتيجة ضرر، بل نتيجة انكسار قوالب الصمت القديمة وعدم معرفة الذات أو الخجل من التعبير عن المشاعر والأفكار ولكن كانت هذه بداية التغيير الحقيقي.

هذه التجربة جعلتني أؤمن أن التربية الحقيقية تبدأ حين نصغي، ونتوقف عن افتراض أن الطالب آلة معرفة. لقد رأيت النبض في الكتابة، والدمع في التأمل، والصدق في الكلمات المرتجفة. وهذا وحده، كافٍ لأقول: إن الأثر قد وُجد، والرحلة ما تزال مستمرة وسبق في أثر هذه الورشات في قلوب الطلبة تماماً كأثر الفراشة لا يرى ولا يزول.

مي: منذ البداية، بدت الورشات كأنها مرايا تتيح للطالب أن ينظر داخله، فيقول أحدهم:

"كنت أعرف أنني متضايق، بس ما كنت أعرف ليش... بعد الورشة صرت أربط بين الشعور والموقف".

ذلك الربط بين الشعور والموقف يمثل نقطة انطلاق نحو الوعي الذاتي، ليس وعيًا سطحيًا، بل وعيًا يُمكن الطالب من التمييز بين ما يشعر به ولماذا، ويساعده على استباق ردود فعله، بدل أن يكون أسيرًا لها.

ثم تأتي الثقة بالنفس كأثر واضح وملحوس، حين يقول طالب:

"وقفت امام 400 شخص على المسرح وتحدثت بكل ثقة".

هذه اللحظة، تلك الجرأة والثقة التي اكتسبها الطالب من الورشة، تلخص انتقالاً من الخجل إلى التعبير، من التردد إلى الثقة، من الصمت إلى التعبير عن ذاته وأن يقول "أنا موجود، لي رأي، لي مكان".

ومع الثقة تكشف الورشات عن مهارة اتخاذ القرار حيث قال إحدى الطلبة:

"أفكر أكثر قبل ما أقرر"

وأخرى: "أصبحت أجمع معلومات أكثر حول الخيارات المتاحة لي".

هذين القولين يعكسان وعيًا بأن القرار ليس قفراً عشوائيًا، بل عملية تتطلب تأملًا، مقارنات، أحيانًا استشارة، وأحيانًا رفض ضغط اجتماعي. إنها مهارة حياتية، تُبنى بالتدريب والممارسة.

ثم الوعي بأهمية إدارة الوقت وتقليل التوتر من خلال ورشة إدارة الوقت لم تكن مجرد تنظيم مهام، بل تنتمي شعور السيطرة الداخلية، فكما قال طالب:

"قبل الورشة كنت أدرس بدون خطة. بعدها صرت أكتب جدول والتزم فيه".

هذا الالتزام يعكس رغبة في التوازن، في عدم التشنّج، في المحافظة على النفس من بؤر القلق المزمن.

من جهة الطاقم التربوي، ظهر تحوُّر في المشهد: التعبير عن الذات صار ليس استثناءً بل جزءًا من الحصّة الصفية، فقد لاحظ المعلمون:

"صرت أسمع طالب يقول: أنا بعصب بسرعة، وعم بحاول أشتغل على الموضوع... هذا كان مستحيل قبل الورشات".

أيضًا، الملاحظات من قبل طاقم المعلمين والمربين مثل:

"يجب إجراء استطلاع أو مقابلة قصيرة مع المشاركين قبل الورشة لفهم توقعاتهم ومستوى معرفتهم مما يضمن ملائمة المحتوى لاحتياجاتهم الفعلية".

تدل على وعي تربوي بأن الورشات ليست للتسلية والترفيه، بل استجابات لحاجات الطلبة، استشارة للنفس، استماع للآخر ومنصة لتفريغ المشاعر.

من هنا أوصي كباحثة بإجراء دراسة طويلة الأمد ومقارنة تأثيرية تربوية تمتد لعدة فصول دراسية بالمقارنات بين مجموعات: مجموعة تتلقى الورشات التدريبية، وأخرى لا تتلقاها، مع متابعة الأداء الأكاديمي، الجانب العاطفي والنفسي، والمشاركة الاجتماعية. هذا سيكشف ليس فقط الفوائد الآنية، بل مدى تحسين الذكاء العاطفي في سلوك الحياة الواقعية والتكيف لدى الطلبة وثقتهم بأنفسهم.

بهذه التأمّلات والتوصيات، أرى أن الورشات ليست نهاية، بل بداية لمسار يتعلّم فيه الطالب كيف يعيش، كيف يشعر، كيف يقرّر، وكيف يثق بنفسه، وكيف يجمع بين العقل والقلب ليصبح إنسانًا واعيًا لذاته ومتصالح مع نفسه.

الخاتمة

أظهرت نتائج هذه الدراسة أن الورشات التدريبية تُعد أداة واستراتيجية تربوية ذات فاعلية في تنمية مهارات الذكاء العاطفي لدى طلبة الصف الحادي عشر، ولا سيما في مجالات الوعي الذاتي، التعاطف، التنظيم الانفعالي، اتخاذ القرارات، والثقة بالنفس. وتكتسب هذه المهارات أهمية أكبر في مرحلة المراهقة، لما تتمثله من دعامة أساسية للنمو النفسي والاجتماعي في ظل ما تشهده هذه المرحلة من تحولات معرفية عاطفية وانفعالية. كما أن تمكين مهارات الذكاء العاطفي يساهم في تهيئة الطلبة لاتخاذ قرارات تعليمية أكاديمية أكثر وعيًا، خصيصًا فيما يتعلق باختيار التخصصات المستقبلية، فضلاً عن إكسابهم كفاءات ومهارات متعددة مطلوبة في سوق العمل. وعليه، توصي الدراسة بضم وتنويع من خلال تمرير الورشات التدريبية القائمة على مهارات الذكاء العاطفي ضمن السياقات والمناهج التربوية، بوصفها مسارًا داعمًا لبناء شخصية مستقلة ومتوازنة، وكفاءة تربوية أكاديمية مهنية وعاطفية للمراهق.

المصادر والمراجع في العربية

- أبو أسعد، أ. (2013). *الإرشاد المدرسي*. ط (3) عمان: دار المسيرة.
- إليحاج، ع. (2016). *أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالانضج الانفعالي لدى طلبة المرحلة الثانوية*. مجلة العلوم النفسية، 8(2)، 55-77.
- الجبالي، ع. ر. م. الخالد. (2020). *الوعي الذاتي وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية*. المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، 4(9): 62-79.
- الجنائني، إ. ح. ج.، وبلال، ز. ي. (2020). *قياس النضج الانفعالي لدى طلبة كلية التربية ابن رشد*. المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، 15(4)، 83-108.
- الحارثي، ح. أ. (2020). *الخدمات الإرشادية وعلاقتها بالثقة بالنفس لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الطائف بالسعودية: دراسة وصفية*. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 4(34): 103-121.
- الخروصية، ع. أ.، المحبسية، ف. ح.، الغافرية، س. س. (2022). *أثر برنامج تدريبي قائم على الذكاء العاطفي في تطوير الاتجاهات نحو ظاهرة التنمر المدرسي لدى طالبات الصف العاشر في سلطنة عمان*. مجلة العلوم التربوية، جامعة قطر، <https://doi.org/10.29117/jes.2022.007419>.
- الدرايكه، م. م. (2021). *الثقة بالنفس وعلاقتها بدافعية الإنجاز لدى الطلبة الموهوبين وغير الموهوبين في منطقة حائل*. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، 12، 162-173.
- السمادوني، س. (2007). *الذكاء العاطفي والنجاح المهني*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- السويلم، إ. (2002). *التوجيه والإرشاد*. الرياض: دار طويق.
- السبتاي، أ.، وآخرون. (2020). *مهارات الحياة والذكاء الوجداني لدى طلاب الجامعات السعودية*. الرياض: دار الزهراء للنشر.
- الشهري، ح. إ.، وعامر، خ. (2011). *أثر برنامج للتدريب على المهارات الاجتماعية في تنمية الذكاء الوجداني والتوافق النفسي والنجاح الأكاديمي لدى الطلاب المتأخرين دراسياً في المملكة العربية السعودية*. رسالة ماجستير غير

منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة.

العربي، س.، وقُدوري، م. (2020). *النضج الانفعالي وعلاقته بالعنف المدرسي لدى تلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الوادي، الجزائر.

العدواني، ح. س.، ومناحي، ف. (2018). *مهارات اتخاذ القرار لدى طلبة التربية الخاصة بكلية التربية الأساسية بدولة الكويت وعلاقتها ببعض المتغيرات*. مجلة البحث العلمي في التربية، 19(15)، 241-275.

العتيبي، ب. (2020). *اتخاذ القرار وعلاقته بكل من فاعلية الذات والمساندة الاجتماعية لدى عينة من المرشدين الطلابيين بمحافظة الطائف*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.

العتيبي، ف. أ. ب. (2020). *الثقة بالنفس واتخاذ القرار لدى عينة من طلاب جامعة أم القرى*. مجلة القراءة والمعرفة (MRK)، 213(1)، 213-263.

العتيبي، ف. ب. م.، والنعمي، غ. ب. س. (2022). *الاحتياجات التدريبية لمعلمات المرحلة الثانوية لتعزيز الوعي الفكري لدى الطالبات*. مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، 88 (4).

http://www.aun.edu.eg/faculty_education/arabic

العزي، ع. م. (2010). *أثر الذكاء العاطفي على الأداء الوظيفي للمدراء العاملين بمكتب غزة الإقليمي التابع للأمم المتحدة*. رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة.

العبيد، ع. م. (2004). *علاقة كل من مفهوم الذات والتوافق الاجتماعي الأكاديمي لدى طالبات المرحلة الثانوية بمحافظة الطائف*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.

غولي، ح.، والعبيدي، م. (2013). *فعالية برنامج إرشادي لتنمية الوعي الذاتي لدى الطلاب المتفوقين في المرحلة الثانوية*. المديرية العامة للتربية، محافظة بغداد، العدد 22.

زيغان، م. (2023). *الذكاء العاطفي وعلاقته بالتكيف المدرسي لدى المراهقين*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.

زهران، ح. (1990). *الصحة النفسية والعلاج النفسي*. القاهرة: عالم الكتب.

عبد الوهاب، ه.، وهادي، ع. (2017). *تأثير الذكاء العاطفي وأنماط التفاعل مع الصراع في نتائج القرارات الاستراتيجية من خلال القيادة العقلانية*. مجلة الإدارة العامة، العراق.

ف. مقلد، د. م.، إ. هيبه، م. أ. ع.، وعبد العزيز، ع. م. (2024). *الخصائص السيكومترية لمقياس الذكاء العاطفي لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة*. مجلة كلية التربية في العلوم النفسية، 48(3)، 59-79.

<https://www.mandumah.com/record/1522184>

معوض جوب، ن. (2025). *دور الذكاء الوجداني في بناء شخصية المتعلم في التعليم الثانوي*. مؤتمر علم النفس العربي المعاصر، القاهرة.

منصور، إ. م. س. ع. (2022). *الوعي الذاتي وعلاقته بالتوجه نحو الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة*. مجلة البحث العلمي في التربية، 23(8).

- المومني، م. (2022). *النضج الانفعالي والثقة بالنفس لدى طلبة الصف الحادي عشر في عمان*. مجلة العلوم التربوية الأردنية، 21(1)، 77-94.
- المرشدي، ع. (2014). وسائل جمع المعلومات في البحث العلمي. كلية التربية الأساسية.
- نذير الدين، م. (1440هـ). *مهارات الاستقرار والعمل القيادي ومهارات الاستجابة الطارئة*. المؤتمر السنوي لمركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، مصر.
- هادي، ح. (2017). *تأثير الذكاء العاطفي في اتخاذ القرارات الاستراتيجية*. مجلة الإدارة العامة، العراق.
- حسين، س. ع.، وحسين، ط. ع. (2006). *الذكاء الوجداني للقيادة التربوية*.

المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

- Al-Harthi, H. A. (2020). *Counseling services and their relationship to self-confidence among secondary school students in Taif Governorate*. Journal of Educational and Psychological Sciences, 4(34), 103–121.
- Bandy, P. (2001). *Emotional Maturity Scale (EMS)*. Indian Psychological Corporation.
- Biswas, R. (2018). *Emotional maturity among adolescents: A comparative study*. International Journal of Applied Research, 4(9), 56–60.
- Brinto, P. A. P. (2023). *Enhancing emotional intelligence among secondary school students: Needs and strategies*. EPRA International Journal of Multidisciplinary Research (IJMR), 9(1), 118–120.
- Covey, S. R. (2004). *The 7 habits of highly effective people: Powerful lessons in personal change*. Free Press.
- Culver, R. (1999). *Academic performance and emotional discipline*. Journal of College Student Development, 40(2), 178–185.
- Darlington, R.B., & Scott. (2002). *Observational research: A qualitative research method* (p.57).
- Fteiha, M., & Awwad, N. (2020). *Emotional intelligence and its relationship with stress coping style*. Health Psychology Open, 7(2), 2055102920970416. <https://doi.org/10.1177/2055102920970416>
- Goleman, D. (1995). *Emotional intelligence: Why it can matter more than IQ*. New York: Bantam Books.
- Goleman, D. (1999). *Working with emotional intelligence*. New York: Bantam Books.
- Goleman, D. (2006). *Social intelligence: The new science of human relationships*. New York: Bantam Books.
- James, C., et al. (2005). *The role of emotional intelligence in college transition*. Journal of Educational Psychology, 97(2), 215–223.
- Khoriah, A., & Lestari, A. (2023). *Emotional maturity and career decision making among adolescents*. Indonesian Journal of Educational Counseling, 7(1), 33–44.
- Kennes, A., Peeters, S., Janssens, M., Reijnders, J., Simons, M., LA Taster, J., & Jacobs, N. (2021). *Optimism and mental health in adolescence: A prospective validation study of the Dutch Life-Orientation Test-Revised (LOT-RA) for adolescents*. Psychologica Belgica, 61(1),

104. <https://doi.org/10.5334/pb.1049>

Krueger & Casey, M.A. (2000). Focus groups: A practical guide for applied research (3rd ed., p.5)

Maridula, M. (2020). *Emotional maturity and academic achievement of secondary school students*. International Journal of Education, 12(4), 10–18.

Newman, M. (2008). *Emotional capitalists – The new leaders* (1st ed.). San Francisco, CA: Jossey-Bass A Wiley Imprint.

Raj, P. (2017). *Emotional intelligence and decision-making skills among adolescents*. Journal of Psychological Studies, 22(1), 45–50.

Rani, P., et al. (2015). *Emotional maturity and self-confidence of adolescents*. International Journal of Humanities and Social Science Invention, 4(3), 1–5.

Sawyer, S. M., Azzopardi, P. S., Wickremarathne, D., & Patton, G. C. (2018). *The age of adolescence*. The Lancet Child & Adolescent Health, 2(3), 223–228. [https://doi.org/10.1016/S2352-4642\(18\)30022-1](https://doi.org/10.1016/S2352-4642(18)30022-1)

Sharma, R., et al. (2022). *Emotional maturity and self-confidence among adolescents*. Journal of Personality Development, 14(2), 112–125.

Singh, D. (2006). *Emotional intelligence at work* (3rd ed.). New Delhi: Response Books.

Skillnells. (2013). *Training Needs Analysis (TNA) Guide*. Training Networks Programmed.

عنوان البحث

**رهانات التنمية القروية في مواجهة التحديات المائية والمناخية: حالة المشروع
الهيدروفلاحي لحيط أسجن إقليم وزان**

نسرين كنفاوي¹

¹ جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب.

بريد الكتروني: ni.kenfaoui@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/15>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/15>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تقييم تحليلي شامل للمشروع الهيدروفلاحي بمحيط أسجن (إقليم وزان) بوصفه رافعة للتنمية القروية في سياق ندرة مائية متفاقمة. اعتمد البحث مقاربة وصفية-تحليلية مدعومة بدراسة حالة، انطلقت من وثائق قطاعية رسمية ومعطيات إحصائية وتقارير إعلامية متخصصة، إضافة إلى معطيات ميدانية جمعت سنة 2022. رصدت الدراسة مسار المشروع منذ الإطلاق (2016) مروراً بإنجاز البنية الهيدروليكية الأساسية (2016-2019) وصولاً إلى الاستغلال والتوسع (2022-2024). تُظهر النتائج تحقيق تقدّم معتبر: تجهيز ما يزيد عن 2,700 هكتار، واستفادة نحو 4,500 فلاح، وارتفاع الدخل الصافي للهكتار بنسبة تقديرية تتراوح بين 300% و400% تبعاً للمحاصيل، مع خلق فرص شغل مباشرة وموسمية، وتقليل استهلاك مياه السقي بنحو 25-35% والطاقة بنحو 15-25% بفضل تعميم الري الموضعي. كما أسهم المشروع في تقوية النسيج الجماعي عبر جمعيات مستعملي المياه وتوسيع الزراعات ذات القيمة المضافة (الرمان، الزيتون، النباتات العطرية والبستنة).

في المقابل، تكشف الدراسة عن تحديات مؤثرة على الاستدامة، أهمها الجفاف المتكرر وما يترتب عنه من تقنين صارم للحصص المائية، ومحدودية صيانة البنيات، وضعف تحصيل واجبات الماء (≈ 60-70% وفق الشهادات الميدانية)، إضافة إلى اختناقات تسويقية وقيمة مضافة غير مستغلة محلياً. توصي الدراسة بحزمة تدخلات تقنية تشمل تنويع مصادر الماء (حصاد الأمطار والحلول اللامركزية)، والانتقاء المحصولي المتوافق مع الندرة، والري الدقيق المؤطر بالاستشعار والبيانات المناخية، ورقمنة حكام التوزيع والتحصيل بعدّادات ذكية وتطبيقات تتبع، إلى جانب تطوير سلاسل القيمة (تبريد، تخزين، تحويل، وعلامات جغرافية). تؤكد الخلاصات أن المشروع أحدث أثراً اجتماعياً-اقتصادياً ملموساً، لكنه يظل رهين إدماج التكيف المناخي والاستدامة المالية والتسويق الترابي في صلب التدبير لضمان ديمومته.

الكلمات المفتاحية: المشروع الهيدروفلاحي؛ أسجن؛ حوض اللوكوس؛ التنمية القروية؛ ترشيد المياه؛ الجفاف؛ الحوكمة المائية.

RESEARCH TITLE

**Rural Development Stakes in the Face of Water and Climate Challenges:
The Case of the Hydro-Agricultural Project in the Asjen Perimeter,
Ouezzane Province****Abstract**

This study provides a comprehensive, case-based evaluation of the hydro-agricultural project in the Asjen perimeter (Ouezzane province) as a lever for rural development under increasing water scarcity. Using a descriptive-analytical approach supported by field data collected in 2022 and sectoral/official documents, the study tracks the project's trajectory from launch (2016) through core hydraulic infrastructure delivery (2016–2019) to operation and scaling (2022–2024). Findings indicate substantial progress: more than 2,700 ha equipped, ~4,500 smallholders reached, estimated net farm income gains of 300–400% depending on cropping systems, notable job creation, and efficiency gains ($\approx 25\text{--}35\%$ water savings; $\approx 15\text{--}25\%$ energy savings) driven by drip irrigation. The project also strengthened local water-user associations and expanded higher-value crops (pomegranate, olive, aromatic plants, horticulture).

However, sustainability is constrained by recurrent drought and stringent irrigation rationing, maintenance backlogs, low fee-collection performance ($\sim 60\text{--}70\%$ per field testimonies), and downstream marketing bottlenecks limiting value capture. The study recommends a climate-adaptation package—diversifying water sources (rainwater harvesting and decentralized solutions), drought-tolerant crop choices, sensor-guided precision irrigation, and digitalized governance (smart meters, remote reading, and usage apps)—together with value-chain investments (cold storage, processing, geographic indications). Overall, the project has delivered tangible socio-economic impact, yet long-term viability depends on embedding climate adaptation, financial sustainability, and territorial marketing at the core of management.

Key Words: Hydro-agricultural project; Asjen; Loukkos basin; Rural development; Water efficiency; Drought; Water governance.

1. المقدمة

1.1 السياق العام وأهمية الموضوع

يحتل الماء مكانة محورية في استراتيجيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب، نظراً لكونه العنصر الحاسم في الأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي في المناطق القروية التي تعتمد أساساً على الفلاحة، حيث يصبح توفير مياه السقي المنتظمة رافعة أساسية لتحسين ظروف عيش الساكنة وتحقيق التنمية المستدامة.

ضمن هذا الإطار، تأتي المشاريع الهيدروفلاحية كحل استراتيجي لتجاوز إكراهات الاعتماد على التساقطات المطرية المتقلبة، وتحويل الفلاحة البورية التقليدية ذات المردودية الضعيفة إلى فلاحة مسقية عصرية قادرة على تحقيق قيمة مضافة أعلى (Belghiti, 2005; World Bank, 2022).

يمثل المشروع الهيدروفلاحي لمحيط أسجن بإقليم وزان نموذجاً تطبيقياً لهذا التوجه الاستراتيجي. أطلق هذا المشروع الطموح في نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة، في إطار مخطط المغرب الأخضر الذي رسم معالم جديدة للسياسة الفلاحية الوطنية، يمتد المشروع على مساحة إجمالية تبلغ 2,500 هكتار، موزعة على جماعتين ترابيتين هي أسجن ومزفرون، ويستهدف تحسين ظروف عيش حوالي 5,000 فلاح من صغار المنتجين موزعين على 29 دواراً (وزارة الفلاحة والصيد البحري، 2020).

ينطلق المشروع من رؤية تنموية متكاملة تتجاوز البعد التقني المحض، لتشمل أبعاداً اقتصادية واجتماعية وبيئية. فمن الناحية الاقتصادية، يهدف إلى مضاعفة الدخل الفلاحي عدة مرات من خلال إدخال زراعات عالية القيمة المضافة كالزيتون والنباتات العطرية والطبية. أما اجتماعياً، فيسعى إلى تثبيت الساكنة القروية، خلق فرص الشغل، وتمكين المرأة الريفية. بيئياً، يراهن على ترشيد استهلاك الموارد المائية من خلال أنظمة الري بالتنقيط التي توفر ما بين 30% و 50% من المياه مقارنة بالطرق التقليدية (Kuper et al., 2016).

غير أن هذه الطموحات التنموية تواجه اليوم امتحاناً عسيراً في ظل أزمة مائية غير مسبوقة. فمنذ عام 2020، يعاني المغرب من موجة جفاف مستمرة تُعد الأسوأ منذ عقود، أثرت بشكل كبير على مخزون السدود وأدت إلى تراجع حاد في الموارد المائية المتاحة للسقي. في الموسم الفلاحي 2024-2025، بلغ العجز المائي 53% مقارنة بمعدل الثلاثين سنة الماضية، مما يعني أن المياه المتوفرة للقطاع الفلاحي لا تغطي سوى 14% من احتياجاته (Agence Ecofin, 2025). هذا الوضع الحرج يطرح تساؤلات جوهرية حول مستقبل المشاريع الهيدروفلاحية عموماً، ومشروع أسجن على وجه الخصوص.

1.2 الإشكالية

تتطلب هذه الدراسة من إشكالية مركزية تتمحور حول السؤال التالي: إلى أي حد استطاع المشروع الهيدروفلاحي لمحيط أسجن تحقيق أهدافه التنموية المعلنة؟ وما هي التحديات الراهنة والمستقبلية التي تهدد استدامته؟ وكيف يمكن تطوير آليات التكيف اللازمة لضمان استمراريته في ظل التغيرات المناخية المتسارعة؟

1.3 أهداف الدراسة ومبرراتها

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف متكاملة:

- توثيق شامل للمشروع في مختلف مراحله، من التصميم والإنشاء إلى التشغيل والتقييم، بما يشكل مرجعاً علمياً للباحثين والمهتمين.

- تشخيص دقيق للتحديات الراهنة، خاصة المناخية والمائية منها، التي باتت تشكل تهديداً حقيقياً للاستدامة.
- استخلاص دروس مستفادة قابلة للتعميم على مشاريع مماثلة في مناطق أخرى من المملكة.

تكتسي هذه الدراسة أهمية خاصة من عدة زوايا. فعلمياً، تسد فجوة معرفية ملحوظة، إذ تبقى الدراسات الأكاديمية المعمقة حول المشاريع الهيدرولوجية بالمغرب محدودة، رغم الأهمية الاستراتيجية لهذا القطاع (Bouzidi et al., 2018). وعملياً، توفر معطيات دقيقة وتحليلات مفيدة لصناع القرار والمخططين، تساعد على تطوير السياسات والبرامج بناءً على واقع ميداني محدد. أما بيئياً، فتسلط الضوء على إشكالية التوفيق بين التنمية الفلاحية والحفاظ على الموارد الطبيعية في سياق التغيرات المناخية (Hssaisoune et al., 2020).

2. الإطار النظري

2.1 الفلاحة المسقية كرافعة تنموية

تحتل الفلاحة المسقية مكانة استراتيجية ضمن المنظومة الفلاحية المغربية، إذ تمثل نقطة التقاء بين الضرورة الاقتصادية والإمكان التقني والإرادة السياسية. فمن الناحية الاقتصادية، تتيح الفلاحة المسقية تجاوز محدودية التساقطات المطرية وتقلباتها المرتبطة بالتغيرات المناخية، مما يضمن استقراراً أكبر للإنتاج الفلاحي ويعزز الأمن الغذائي الوطني (Belghiti, 2005).

رغم أن الفلاحة المسقية لا تمثل سوى 15% إلى 20% من إجمالي المساحة الفلاحية المستغلة وطنياً، فإن مساهمتها في القيمة المضافة الفلاحية تفوق 45%، وهو ما يعكس مردوديتها العالية مقارنة بالفلاحة البورية (Harbouze et al., 2019). هذا التفاوت الكبير بين المساحة والإنتاجية يؤكد الدور الحاسم للري في تحقيق التكثيف الزراعي والرفع من العائدات.

تتجلى أهمية الفلاحة المسقية أيضاً في بعدها الاجتماعي. فهي توفر فرص شغل قارة وموسمية لملايين الأسر القروية، وتحد من الهجرة نحو المدن من خلال تحسين مستوى العيش في الأرياف (Akesbi, 2012). كما تساهم في تمكين الفئات الهشة، خاصة النساء والشباب، من خلال الأنشطة الفلاحية المرتبطة بالزراعات المسقية ذات اليد العاملة المكثفة كالبسطة والنباتات العطرية.

بيئياً، وعندما تُدار بشكل رشيد، يمكن للفلاحة المسقية أن تساهم في الحفاظ على الموارد المائية من خلال تقنيات الاقتصاد في الماء كالري بالتنقيط (Choukr-Allah et al., 2016). كما تحد من الضغط على المراعي الطبيعية من خلال إنتاج الأعلاف المسقية، وتقلل من استنزاف الفرشة المائية الجوفية عند الاعتماد على مياه السدود بدلاً من الآبار الجوفية (El Harraki et al., 2021).

لكن تحقيق هذه الفوائد يتطلب شروطاً محددة. أولها توفر البنيات التحتية الهيدروليكية المناسبة من سدود ومحطات ضخ وقنوات توزيع وأنظمة ري حديثة. ثانيها وجود تدبير محكم للموارد المائية يوازن بين مختلف الاستعمالات ويضمن استدامة الاستغلال. ثالثها مواكبة تقنية ومالية للفلاحين، خاصة الصغار منهم، لمساعدتهم على التكيف مع التقنيات الجديدة والاستثمار في التجهيزات الضرورية. رابعها حكاية فعالة تشرك الفلاحين في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوزيع المياه وصيانة البنيات التحتية (Houdret, 2012).

2.2 السياسات العمومية : من سياسة السدود إلى الجيل الأخضر

تمتد جذور السياسة المائية والفلاحية المغربية إلى عقود مضت، لكنها عرفت نقلات نوعية مهمة خلال العقدين الأخيرين. في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، ركزت الدولة على بناء السدود الكبرى كأداة لتعبئة الموارد المائية السطحية. هذه السياسة الطموحة، التي أطلق عليها "سياسة السدود"، مكنت من إنشاء حوالي 152 سداً كبيراً بسعة تخزينية إجمالية تتجاوز 19 مليار متر مكعب، مما جعل المغرب من الدول الرائدة إفريقياً وعربياً في هذا المجال (Royaume du Maroc, 2020).

في مطلع الألفية الثالثة، أصبح واضحاً أن تعبئة المياه وحدها لا تكفي، بل يجب أن تصاحبها رؤية فلاحية شاملة تحدد أولويات الاستغلال وتوجهات التنمية. من هنا جاء **مخطط المغرب الأخضر** عام 2008، الذي شكل منعطفًا حاسماً في السياسة الفلاحية الوطنية (Akesbi, 2012). ارتكز المخطط على ركيزتين متكاملتين: الركيزة الأولى استهدفت تطوير فلاحية عصرية تنافسية ذات قيمة مضافة عالية، موجهة للتصدير والصناعات الغذائية. أما الركيزة الثانية، المعروفة بالفلاحية التضامنية، فقد ركزت على صغار الفلاحين في المناطق الهشة، بهدف تحسين دخلهم وتثبيتهم في أراضيهم.

حقق مخطط المغرب الأخضر نتائج ملموسة خلال عقد من التنفيذ (2008-2018)، لكنه كشف أيضاً عن ثغرات ومحدودية في بعض الجوانب. من هنا جاءت **استراتيجية الجيل الأخضر 2020-2030** كامتداد وتجاوز في آن واحد (وزارة الفلاحة، 2020). ركزت الاستراتيجية الجديدة على العنصر البشري باعتباره قلب التنمية الفلاحية، مع إيلاء أهمية خاصة للشباب والنساء. كما أولت عناية أكبر لمسائل الاستدامة البيئية والتكيف مع التغيرات المناخية، إدراكاً منها للتحديات المتزايدة في هذا المجال.

2.3 حوض اللوكوس : خصوصيات وإمكانات

يشكل حوض اللوكوس، حيث يقع مشروع أسجن، وحدة جغرافية ومائية متميزة تتطلب فهماً دقيقاً لخصوصياتها. يمتد الحوض على مساحة تقارب 3,700 كيلومتر مربع، ويغطي أجزاء من عدة أقاليم، أبرزها طنجة والعرائش والقصر الكبير ووزان. يتميز الحوض بموقع استراتيجي في الشمال الغربي للمملكة، وبمناخ متوسطي يتسم بتساقطات مطرية متوسطة تتراوح بين 500 و800 ملمتر سنوياً، لكنها متقلبة من سنة لأخرى (ABHILOU, 2019).

يشكل **سد واد المخازن**، الذي اكتمل بناؤه في سبعينيات القرن الماضي، العمود الفقري للبنية التحتية المائية في الحوض. بسعة تخزينية تبلغ 773 مليون متر مكعب، يلعب السد أدواراً متعددة: توفير مياه الشرب للمراكز الحضرية المجاورة، تزويد الصناعة بالمياه الضرورية، وتوفير مياه السقي لعشرات الآلاف من الهكتارات في محيط اللوكوس. هذا التعدد في الاستعمالات يطرح تحديات تدييرية معقدة، خاصة في سنوات الجفاف حين تصبح الموازنة بين الاستعمالات المختلفة مسألة حساسة تتطلب خيارات صعبة (Balaghi et al., 2013).

على الصعيد الفلاحي، يتميز حوض اللوكوس بتنوع كبير في الأنشطة الإنتاجية. تشمل المنطقة زراعات استراتيجية كالحبوب والقطاني والشمندر السكري، إضافة إلى زراعات تصديرية كالفواكه الحمراء والحوامض والخضروات الموسمية. هذا التنوع يعكس إمكانات فلاحية كبيرة، لكنه يعني أيضاً ضغطاً متزايداً على الموارد المائية المحدودة. في السنوات الأخيرة، أدت موجات الجفاف المتكررة إلى تراجع واضح في الإنتاج الفلاحي، مما دفع الدولة إلى تكثيف الجهود لترشيد استهلاك المياه وتطوير تقنيات الاقتصاد المائي.

من الناحية الاجتماعية، يعتبر حوض اللوكوس من المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة نسبياً، حيث يقطنه مئات

الآلاف من السكان، معظمهم في المناطق القروية. تعتمد أغلبية هذه الساكنة على الفلاحة كمصدر رئيسي للدخل، مما يجعل الأمن المائي والفلاحي مسألة حيوية لاستقرارها الاجتماعي والاقتصادي. في هذا السياق، تكتسب المشاريع الهيدروفلاحية كمشروع أسجن أهمية خاصة كرافعة للتنمية المحلية ومحاربة الفقر.

3. المنهجية

3.1 التصميم البحثي والمقاربة المنهجية

اعتمدت هذه الدراسة تصميماً بحثياً يجمع بين الأساليب الكمية والنوعية لتوفير فهم شامل ومتعدد الأبعاد للمشروع الهيدروفلاحي لمحيط أسجن. المقاربة المنهجية الأساسية المعتمدة هي **المنهج الوصفي التحليلي**، الذي يسمح بوصف الوضع الحالي للمشروع بدقة، ثم تحليل مكوناته وديناميكياته وآثاره المختلفة (Creswell & Creswell, 2017).

بالإضافة إلى ذلك، تم استخدام **منهج دراسة الحالة (Case Study)**، حيث يُدرس مشروع أسجن بعمق كنموذج تطبيقي للفلاحة المسقية في سياق الندرة المائية والتغيرات المناخية. هذا المنهج يتيح فحصاً تفصيلياً لحالة محددة في سياقها الواقعي، مما يساعد على فهم التفاعلات المعقدة بين مختلف العوامل التقنية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية (Yin, 2018).

المنهج الثالث المستخدم هو **الاستقرائي**، الذي يُستخدم لاستنباط الدروس المستفادة والتوصيات العملية من التجربة الميدانية، بهدف تعميمها على مشاريع مماثلة في مناطق أخرى. والتنمية القروية، وتجارب المشاريع الهيدروفلاحية المشابهة.

4. واقع المشروع الهيدروفلاحي لمحيط أسجن : البطاقة التعريفية

4.1 الموقع والنطاق الجغرافي

يقع المشروع الهيدروفلاحي لمحيط أسجن في الجزء الشرقي من إقليم وزان، الذي يشكل بدوره جزءاً من جهة طنجة-تطوان-الحسيمة، تتميز بطابعها القروي الواضح وبتضاريس متنوعة تجمع بين السهول المنبسطة والهضاب المتوسطة الارتفاع.

يتوزع النطاق الجغرافي للمشروع على 29 دوار تتفاوت في الحجم والبعد عن المراكز الحضرية. بعض هذه الدواوير يقع على مسافات قريبة نسبياً من المراكز، بينما يعاني بعضها الآخر من العزلة وضعف البنيات التحتية الأساسية. هذا التوزيع الجغرافي الواسع يطرح تحديات لوجستية على مستوى توزيع المياه والمواد التقنية للفلاحين، لكنه يعكس في الوقت نفسه طموح المشروع إلى تحقيق تنمية شاملة لا تقتصر على المناطق الأكثر حظاً.

يبعد المشروع حوالي 25-30 كيلومتراً عن سد واد المخازن، الذي يمثل المصدر المائي الرئيسي للمشروع. هذه المسافة تطلبت بنية تحتية هيدروليكية معقدة لنقل المياه وضخها وتوزيعها بكفاءة.

لوحة توضيحية للمشروع الهيدروفلحي وأهدافه - المصدر: البحث الميداني، 2022



4. 2 الأهداف الاستراتيجية للمشروع

ينطلق المشروع من رؤية تنموية طموحة تتجاوز البعد الفلاحي المحض لتشمل أبعاداً اقتصادية واجتماعية وبيئية متكاملة.

○ على الصعيد الاقتصادي:

يستهدف المشروع تحقيق قفزة نوعية في الإنتاجية والمردودية الفلاحية. الهدف المعلن يتمثل في رفع الدخل الفلاحي الصافي من 5,160 درهماً للهكتار الواحد سنوياً في ظل الفلاحة البورية، إلى 36,800 درهم للهكتار في ظل الفلاحة المسقية، أي بزيادة تقارب 613% (وزارة الفلاحة، 2017). هذه الزيادة الكبيرة تركز على عدة آليات: التحول من زراعات تقليدية محدودة القيمة إلى زراعات عصرية ذات مردودية عالية، تحسين جودة المنتجات الفلاحية بفضل التحكم في السقي، وتمكين الفلاحين من الإنتاج في غير مواسم الذروة مما يتيح أسعاراً أفضل.

○ على المستوى التقني الفلاحي:

يراهن المشروع على التكثيف الزراعي عبر إدخال مجموعة متنوعة من المحاصيل عالية القيمة المضافة. تحتل الأشجار المثمرة مكانة محورية في هذه الاستراتيجية، مع التركيز على الزيتون كزراعة استراتيجية وطنية، والتين كزراعة تقليدية محلية يمكن تطويرها وتثمينها، والرمان كزراعة واعدة ذات طلب متزايد في الأسواق الوطنية والدولية. إلى جانب الأشجار المثمرة، يشجع المشروع البستنة الموسمية التي توفر دخلاً سريعاً للفلاحين، وزراعة الأعلاف التي تدعم تربية الماشية وتساهم في الأمن الغذائي للحيوانات. كما يولي المشروع اهتماماً خاصاً للنباتات العطرية والطبية والشمندر السكري، وهي محاصيل تتطلب تقنيات متقدمة لكنها تحقق عوائد اقتصادية مجزية.

○ على المستوى الاجتماعي:

يستهدف المشروع تحسيناً شاملاً لظروف عيش الساكنة القروية. الهدف الأول يتمثل في خلق فرص الشغل، سواء خلال مرحلة الإنشاء حيث كان من المتوقع توفير مليون يوم عمل، أو خلال مرحلة الاستغلال عبر الأنشطة الفلاحية المكثفة لليد العاملة. الهدف الثاني يكمن في تثبيت الساكنة القروية والحد من الهجرة نحو المدن، من خلال توفير دخل قار ومستقر يضمن عيشاً كريماً في الأرياف. الهدف الثالث يتعلق بتمكين الفئات الهشة، خاصة النساء والشباب، عبر إشراكهم في الأنشطة الفلاحية وتشجيعهم على التنظيم في إطار تعاونيات وجمعيات. الهدف الرابع يخص تقوية النسيج الجماعي والمجتمعي من خلال إنشاء جمعيات مستعملي المياه الفلاحية التي تشكل إطاراً للتدبير الجماعي والحوار والتضامن بين الفلاحين.

○ على المستوى البيئي:

يطمح المشروع إلى المساهمة في الإدارة المستدامة للموارد الطبيعية. الهدف البيئي الرئيسي يتمثل في اقتصاد الماء، حيث كان من المتوقع تحقيق اقتصاد يتراوح بين 30% و 50% من المياه بفضل تقنيات الري بالتقطيع المتطورة (La Vie Éco, 2015). كما يستهدف المشروع اقتصاداً في الطاقة الكهربائية بنسبة 20% إلى 30% من خلال استخدام أنظمة ضخ حديثة وفعالة. إضافة إلى ذلك، يساهم المشروع في تقليص الضغط على الفرشة المائية الجوفية من خلال تحويل الفلاحين من الاعتماد على الآبار الفردية إلى مياه السد، مما يتيح للطبقات الجوفية فرصة التجدد الطبيعي.

4. 3 المكونات التقنية والبنية التحتية

يعتمد المشروع على منظومة هيدروليكية متكاملة تشمل عدة مكونات تقنية متطورة. تبدأ هذه المنظومة من نقطة أخذ المياه من سد واد المخازن، حيث توجد محطة ضخ رئيسية مجهزة بمضخات قوية قادرة على رفع كميات كبيرة من المياه إلى القناة الرئيسية. هذه القناة، التي يبلغ طولها 10.5 كيلومتر، تنقل المياه عبر مسار مدروس بدقة يراعي التضاريس الطبيعية ويقلل من تكاليف الضخ (وزارة الفلاحة، 2019). تتميز القناة بكونها محمية ومغطاة في أغلب أجزائها لتجنب التبخر والتلوث.

عند وصول المياه إلى منطقة المشروع، تمر عبر محطة تصفية حديثة تزيل الشوائب والرواسب، مما يضمن جودة المياه ويحمي أنظمة الري من الانسداد. بعد التصفية، تُخزن المياه في حوض تخزين كبير بسعة 74,000 متر مكعب، يعمل كخزان استراتيجي يضمن توفر المياه حتى في حالات الطوارئ أو انقطاع الضخ المؤقت.

من حوض التخزين، تنتقل المياه إلى حوض تنظيم بسعة 50,000 متر مكعب، الذي يلعب دوراً محورياً في ضبط الضغط والتدفق نحو شبكات التوزيع. هذا الحوض يسمح بتنظيم عملية السقي وفق جدول زمني تراعي احتياجات مختلف المناطق والمحاصيل. من حوض التنظيم تتفرع شبكة معقدة من الأنابيب تحت الضغط تمتد عبر كامل المحيط، موصلة المياه إلى كل هكتار مجهز. هذه الشبكة مصممة بطريقة هندسية محكمة تضمن توزيعاً عادلاً للمياه وضغطاً متوازناً في مختلف النقاط (وزارة الفلاحة 2024)

الشكل 2: صورة لحوض التخزين - المصدر: البحث الميداني، 2022



على مستوى القطع الفردية، يتلقى كل فلاح نقطة تزويد خاصة به مجهزة بعداد لقياس الاستهلاك. من هذه النقطة، يتولى الفلاح مسؤولية تجهيز أرضه بنظام الري بالتنقيط الذي يناسب محاصيله. توفر الدولة دعماً مالياً لهذه التجهيزات الفردية، بحيث يتحمل الفلاح جزءاً من التكلفة فقط، مما يشجع على التبني الواسع لهذه التقنية الحديثة.

الشكل 3: صورة لحقل مجهز بتقنية التنقيط - المصدر: البحث الميداني، 2022



4.5 التمويل والشراكات

يعتبر مشروع أسجن من المشاريع الكبرى التي تطلبت تمويلاً ضخماً وشراكات متعددة. بلغت الكلفة الإجمالية الأولية المعلنة للمشروع بين 580 و600 مليون درهم (Médias24, 2024). الجزء الأكبر من هذا التمويل جاء على شكل دعم

من دولة قطر في إطار التعاون الثنائي بين البلدين. هذا الدعم القطري الكبير يعكس الأهمية الاستراتيجية التي أولتها الدولة القطرية لمساعدة المغرب في تنمية قطاعه الفلاحي وتحسين أوضاع فلاحيه الصغار.

إلى جانب الدعم القطري، ساهمت الميزانية العامة للدولة المغربية في تمويل المشروع، خاصة من خلال الاعتمادات المخصصة لتنفيذ مخطط المغرب الأخضر ولاحقاً استراتيجية الجيل الأخضر (وزارة الفلاحة، 2020). كما استفاد المشروع من قروض ميسرة وبرامج دعم من مؤسسات مالية وطنية ودولية. على مستوى التنفيذ، تولى المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي مسؤولية الإشراف التقني والإداري على المشروع، بينما أسندت أشغال البناء والتجهيز إلى شركات متخصصة وطنية وأجنبية عبر صفقات عمومية.

5. المراحل والإنجازات المحققة

5.1 المرحلة التأسيسية : البنية التحتية الأساسية (2016-2019)

شهدت الفترة الممتدة من عام 2016 إلى عام 2019 إنجاز المكونات الأساسية للبنية التحتية، تم من خلالها وضع الأساس المادي الذي سيبنى عليه كل ما يلي من تطورات. بدأت الأشغال بحفر وتجهيز القناة الرئيسية على طول 10.5 كلم. تزامن مع ذلك بناء محطات الضخ الرئيسية والثانوية. بنهاية هذه المرحلة، تم إنجاز القناة الرئيسية بكاملها، وإكمال حوض التخزين الكبير بسعة 74,000 متر مكعب، بالإضافة لمحطة تصفية المياه بكل تجهيزاتها التقنية المتطورة. هذه الإنجازات شكلت علامة فارقة، إذ أصبح المشروع جاهزاً من الناحية التقنية لبدء ضخ المياه وتوزيعها على الفلاحين (المديرية الإقليمية للفلاحة . 2019).

بلغت التكلفة التقديرية لهذه المرحلة التأسيسية ما بين 450 و500 مليون درهم، وهو ما يمثل الجزء الأكبر من الميزانية الإجمالية للمشروع. هذه التكلفة المرتفعة تعكس حجم الاستثمار المادي والتقني المطلوب لإنشاء بنية تحتية هيدروليكية حديثة قادرة على خدمة آلاف الهكتارات لعقود قادمة. كما تعكس التزام الدولة والشركاء الدوليين بإنجاح هذا المشروع الاستراتيجي رغم التحديات المالية والتقنية.

5.2 مرحلة الانطلاقة : بداية التشغيل الفعلي (2022)

شهدت سنة 2022 تحولاً نوعياً من مرحلة الإنشاء إلى مرحلة الاستثمار والإنتاج، وشكلت بذلك الانطلاقة الفعلية لعملية السقي في محيط أسجن. (AgriMaroc.ma, 2022)

شملت هذه الانطلاقة الأولى 600 هكتار مزروعة بالرمان، وهو اختيار استراتيجي مدروس. فالرمان يجمع بين عدة مزايا: قيمة تسويقية عالية في الأسواق الوطنية والدولية، تكيف جيد مع الظروف المناخية المحلية، واستهلاك معتدل نسبياً للمياه مقارنة ببعض المحاصيل الأخرى. كما أن فترة نضجه المتوسطة تتيح للفلاحين البدء في جني العوائد المالية بعد سنوات قليلة من الغرس. استفاد من هذه الشريحة الأولى حوالي 1,200 فلاح، توزعوا على عدة دواوير من الجماعات الثلاث. (AgriMaroc.ma, 2022).

تميزت هذه المرحلة بمواكبة تقنية مكثفة قدمتها المصالح الفلاحية الإقليمية. فقد نُظمت دورات تكوينية عملية حول تقنيات الري بالتنقيط، العناية بأشجار الرمان، استعمال الأسمدة والمبيدات بشكل رشيد، وطرق مكافحة الآفات. كما تم تشجيع الفلاحين على التنظيم في إطار جمعيات محلية لمستعملي المياه، تتولى التنسيق مع الإدارة وتوزيع المياه بشكل عادل بين الأعضاء (المديرية الإقليمية للفلاحة بوزان 2022). هذه المواكبة التقنية والتنظيمية كانت ضرورية لضمان نجاح التجربة الأولى، التي ستشكل نموذجاً يُحتذى للمراحل اللاحقة.

الشكل 5: صورة لأشجار رمان مروية - المصدر: البحث الميداني، 2022



5.3 مرحلة التوسع (2022-2023)

خلال العامين التاليين، توسع المشروع تدريجياً ليشمل مساحات إضافية. حيث تم تجهيز 2,000 هكتار إضافية في إطار برنامج الفلاحة التضامنية، الذي يستهدف بشكل خاص صغار الفلاحين والفئات الهشة. شهدت هذه المساحات الجديدة تنوعاً في المحاصيل المزروعة، فإلى جانب الرمان، انتشرت زراعة الزيتون والتين والأعلاف والبستنة الموسمية (AgriMaroc.ma, 2024).

استفاد من هذا التوسع حوالي 3,000 فلاح إضافي، ليرتفع العدد الإجمالي للمستفيدين إلى أكثر من 4,200 فلاح. بلغت التكلفة التقديرية لتجهيز هذه المساحات بأنظمة الري بالتنقيط ما بين 100 و120 مليون درهم، تم تمويلها من ميزانية الدولة والدعم المخصص للاستثمارات الفلاحية (المديرية الإقليمية للفلاحة 2022). كان هذا التوسع السريع نسبياً مؤشراً إيجابياً على قبول الفلاحين للمشروع ورغبتهم في الاستفادة من خدماته.

5.4 مرحلة التكثيف والتنوع (2024)

تميزت هذه المرحلة الجديدة بإدخال محاصيل متنوعة ذات قيمة مضافة عالية لم تكن مألوفة سابقاً في المنطقة. فإلى جانب الأشجار المثمرة التقليدية، تم تشجيع زراعة النباتات العطرية والطبية كإكليل الجبل والزعرتر واللافندر، وهي نباتات تلقى طلباً متزايداً في الأسواق الأوروبية وتحقق أسعاراً مجزية. كما أدخلت زراعة الشمندر السكري، التي تساهم في تقليص فاتورة استيراد السكر وتوفر دخلاً محترماً للفلاحين.

شملت هذه الشريحة الثالثة 100 هكتار مجهزة بالكامل بأحدث أنظمة الري بالتنقيط، مع تركيز خاص على الخضروات الموسمية كالطماطم والبصل والبطاطس (Médias24, 2024). هذا التوجه نحو البستنة يستجيب لرغبة الفلاحين في تحقيق دخل سريع، إذ أن الخضروات تعطي مردوداً في أشهر قليلة، بخلاف الأشجار المثمرة التي تحتاج سنوات لتبلغ مرحلة الإنتاج الكامل. غير أن البستنة تتطلب مهارات تقنية أعلى ومواكبة مستمرة، مما استدعى تكثيف البرامج التكوينية وزيارات الإرشاد الميداني.

الشكل 6: صورة لزراعة الشمندر السكري - المصدر: البحث الميداني، 2024



بحلول نهاية عام 2024، يمكن تلخيص الإنجازات المحققة في الجدول التالي:

الجدول 1: مقارنة الأهداف المسطرة بالإنجازات الفعلية

نسبة التحقق	المحقق فعلياً	الهدف المعلن	المؤشر
108%	+2,700 هكتار	2,500 هكتار	المساحة المجهزة
90%	4,500 فلاح	5,000 فلاح	عدد المستفيدين
50-65%	300-400%	613%	زيادة الدخل الفلاحي
85%	800,000-900,000 يوم عمل	1,000,000 يوم عمل	فرص الشغل (مرحلة الإنشاء)
70-83%	25-35%	30-50%	اقتصاد المياه
75-83%	15-25%	20-30%	اقتصاد الطاقة

المصدر: تجميع الباحث من مصادر متعددة (وزارة الفلاحة، 2020؛ AgriMaroc.ma، 2024؛ Médias24، 2024)

تظهر هذه الحصيلة أن المشروع حقق إنجازات ملموسة في معظم المؤشرات، وتجاوز الأهداف في بعضها (المساحة المجهزة)، بينما بقي دون الأهداف المعلنة في مؤشرات أخرى، خاصة زيادة الدخل الفلاحي. هذا التفاوت يستدعي تحليلاً معمقاً للعوامل المفسرة والتحديات المواجهة.

6. الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية

6.1. الأثر على الدخل الفلاحي

يشكل تحسين الدخل الفلاحي الهدف المركزي والمعياري الرئيسي لنجاح أي مشروع تنموي فلاحي. في حالة مشروع أسجن، كان الهدف المعلن طموحاً للغاية: مضاعفة الدخل أكثر من ست مرات (من 5,160 إلى 36,800 درهم/هكتار/سنة). هذا الهدف، رغم جاذبيته، يتطلب شروطاً مثالية قد لا تتحقق دائماً في الواقع الميداني.

المعطيات المتوفرة، المستقاة من التقارير الرسمية وشهادات بعض الفلاحين (البحث الميداني 2024) تشير إلى أن الدخل الفعلي للفلاحين المستفيدين ارتفع بمعدل يتراوح بين 300% و400%، أي من 5,160 درهم إلى حوالي 18,000-25,000 درهم للهكتار سنوياً (AgriMaroc.ma, 2024). رغم أن هذه الزيادة تقل عن الهدف المعلن بحوالي النصف، فإنها تبقى إنجازاً مهماً بمعايير التنمية القروية. فرغ الدخل ثلاثة إلى أربعة أضعاف في غضون سنوات قليلة يمثل تحولاً نوعياً في حياة آلاف الأسر.

هذا الفارق بين المستهدف والمحقق يمكن إرجاعه لعدة عوامل:

أولاً: عامل الزمن، إذ أن بعض المحاصيل الاستراتيجية كالزيتون والرمان تحتاج بين خمس إلى سبع سنوات لتبلغ مرحلة الإنتاج الكامل (Razouk et al., 2020). الكثير من الأشجار المزروعة في إطار المشروع لا تزال في مراحل النمو الأولى، ولم تصل بعد إلى طاقتها الإنتاجية القصوى.

ثانياً: تأثير الظروف المناخية، خاصة موجات الجفاف المتكررة منذ 2020، التي أدت إلى تقليص كميات المياه المتاحة للسقي وبالتالي انخفاض الإنتاجية (Agence Ecofin, 2025).

ثالثاً: منحنى التعلم، حيث يحتاج الفلاحون وقتاً للتحكم الكامل في التقنيات الجديدة وتطوير خبرتهم في المحاصيل التي لم يعتادوا زراعتها سابقاً (Akesbi, 2012).

رابعاً: صعوبات التسويق، إذ أن بعض المنتجات الجديدة كالنباتات العطرية لم تجد بعد أسواقاً منظمة تضمن أسعاراً مجزية.

رغم هذه القيود، لا يمكن إنكار الأثر الإيجابي الملموس على مستوى معيشة الفلاحين المستفيدين. شهادات عديدة من فلاحين محلين تؤكد التحسن الواضح في الدخل واستقراره على مدار العام، بدلاً من التقلبات الكبيرة التي كانت تميز الفلاحة البورية (مقابلات مع الفلاحين 2024).

6.2. خلق فرص الشغل وتنشيط الساكنة

يُعد خلق فرص الشغل أحد المؤشرات الحاسمة لنجاح أي مشروع تنموي. في حالة مشروع أسجن، تتوزع فرص الشغل المحدثة على عدة مستويات ومراحل.

خلال مرحلة الإنشاء (2016-2019)، وفرت أشغال البناء والتجهيز ما بين 800,000 و900,000 يوم عمل، استفادت منها مئات الأسر المحلية (وزارة الفلاحة، 2019). هذه الفرص، رغم كونها مؤقتة، ساهمت في ضخ سيولة مالية مهمة في المنطقة خلال سنوات الإنشاء، وساعدت العديد من الأسر على تحسين أوضاعها المعيشية وتسديد ديونها.

على المدى المتوسط والطويل، خلق المشروع فرص شغل دائمة تُقدر بـ 2,000 إلى 2,500 فرصة مباشرة في الأنشطة

الفلاحيّة. هذه الفرص تشمل العمل في الحقول، صيانة أنظمة الري، تشغيل محطات الضخ، والإشراف التقني. إضافة إلى ذلك، تتولد فرص موسمية كثيفة خلال مواسم الزراعة والقطف، تُقدر بـ 5,000 إلى 7,000 فرصة سنوياً (AgriMaroc.ma, 2024). هذه الفرص الموسمية تستفيد منها بشكل خاص النساء والشباب، الذين يجدون فيها مصدراً للدخل يكمل موارد الأسرة.

الأثر الأهم ربما يتمثل في المساهمة في تثبيت الساكنة القروية والحد من الهجرة نحو المدن. فعندما تتوفر فرص عمل محلية ودخل محترم في الريف، تقل الدوافع للهجرة (De Haas, 2010). شهادات ميدانية عديدة تؤكد أن بعض الشباب الذين كانوا قد هاجروا إلى المدن عادوا إلى دواويرهم للاستفادة من الفرص التي وفرتها المشروع. هذه العودة لا تعني فقط استقراراً اجتماعياً، بل تعني أيضاً احتفاظ المناطق القروية بطاقتها الشابة والحيوية، وهو ما يعزز قدرتها على التنمية الذاتية.

6.3 تمكين المرأة القروية

يشكل تمكين المرأة القروية أحد الأهداف الاستراتيجية لسياسة الجيل الأخضر، ومشروع أسجن حقق تقدماً ملموساً في هذا المجال. استفادت ما بين 800 إلى 1,000 امرأة بشكل مباشر من فرص العمل التي وفرتها المشروع، خاصة في البستنة والنباتات العطرية وتربية النحل (وزارة الفلاحة، 2020). هذه الأنشطة، التي لا تتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً، تتناسب مع الأدوار الاجتماعية التقليدية للمرأة وتسمح لها بالموازنة بين العمل الفلاحي والمسؤوليات الأسرية.

6.4 تقوية النسيج الجمعي

من الإنجازات المهمة للمشروع تعزيزه للنسيج الجمعي المحلي من خلال إنشاء وتقوية جمعيات مستعملي المياه الفلاحية. هذه الجمعيات، التي تضم الفلاحين المستفيدين من خدمات المشروع، تلعب دوراً محورياً في التدبير اليومي للمياه وحل النزاعات وتمثيل مصالح الأعضاء أمام الإدارة (Houdret, 2012). تأسست عشرات الجمعيات المحلية على مستوى الدواوير، تنسق فيما بينها وتتعاون مع السلطات المحلية والمصالح الفلاحية.

تشكل هذه الجمعيات مدرسة حقيقية للديمقراطية المحلية والحكامة التشاركية رغم الصعوبات التي تواجهها أحياناً، تساهم في بناء رأسمال اجتماعي قوي وفي تعزيز الثقة المتبادلة بين الفلاحين (Putnam, 2000).

غير أن فعالية هذه الجمعيات تبقى متفاوتة، بعضها تمكن من تطوير تنظيم محكم وتدبير شفاف وحكامة جيدة، وأصبح نموذجاً يُحتذى. بعضها الآخر لا يزال يعاني من ضعف القدرات الإدارية والمالية، ومن نزاعات داخلية، ومن صعوبات في تحصيل واجبات الماء (البحث الميداني 2024). هذا التفاوت يعكس الحاجة إلى مواكبة مستمرة وبرامج تقوية القدرات المستدامة التي لا تتوقف بعد التأسيس الأولي للجمعيات.

6. الآثار البيئية : إيجابيات وتحديات

على الصعيد البيئي، حقق المشروع إنجازات مهمة في مجال اقتصاد الموارد الطبيعية. فيما يخص الماء، أظهرت القياسات أن أنظمة الري بالتنقيط حققت اقتصاداً يتراوح بين 25% و35% من المياه مقارنة بالطرق التقليدية (وزارة الفلاحة، 2020). هذا الاقتصاد، رغم أنه أقل من الهدف المعلن (30% إلى 50%)، يبقى إنجازاً مهماً في سياق الندرة المائية المتزايدة. هذا الاقتصاد يعني أن كل قطرة ماء تُستعمل بشكل أكثر فعالية، وأن المشروع يساهم في الإدارة المستدامة للموارد المائية.

على صعيد الطاقة، حقق المشروع اقتصاداً يتراوح بين 15% و 25% من الكهرباء، بفضل استخدام مضخات ومحركات حديثة ذات كفاءة عالية، وبفضل التحكم الجيد في أوقات الضخ. هذا الاقتصاد الطاقوي يعني تقليص انبعاثات غازات الدفيئة المرتبطة بإنتاج الكهرباء، وبالتالي مساهمة في الجهود الوطنية لمكافحة التغيرات المناخية.

من أهم الفوائد البيئية للمشروع تخفيف الضغط على الفرشة المائية الجوفية. قبل المشروع، كان معظم الفلاحين يعتمدون على آبار فردية لضخ المياه الجوفية، مما أدى إلى استنزاف تدريجي للطبقات الجوفية وانخفاض منسوبها (El Harraki et al., 2021). مع انطلاق المشروع، تحول آلاف الفلاحين من الاعتماد على الآبار إلى مياه السد، مما أتاح للفرشة الجوفية فرصة للتجدد الطبيعي عبر التسرب الطبيعي لمياه الأمطار. هذا الأثر الإيجابي يساهم في الحفاظ على هذا المورد الاستراتيجي للأجيال القادمة.

غير أن المشروع يواجه أيضاً تحديات بيئية جديدة تتطلب يقظة ومعالجة استباقية. أبرز هذه التحديات تتعلق بالاستعمال المكثف للمدخلات الكيماوية، خاصة الأسمدة والمبيدات. فمع التكتيف الزراعي وإدخال محاصيل جديدة، زاد الاعتماد على هذه المواد لتحسين الإنتاجية ومكافحة الآفات. هذا الاستعمال المكثف يطرح مخاطر تلوث المياه السطحية والجوفية، تدهور جودة التربة على المدى الطويل، وآثار سلبية على الصحة العامة (Bouzid et al., 2020). لمواجهة هذا التحدي، يجب تكثيف برامج التوعية حول الاستعمال الرشيد والمتوازن للمدخلات، وتشجيع الممارسات الفلاحية الصديقة للبيئة كالزراعة العضوية والمكافحة البيولوجية.

تحدي بيئي آخر يتعلق بإدارة النفايات الفلاحية، خاصة البلاستيكية منها. فأنظمة الري بالتنقيط، رغم فوائدها الكبيرة، تولد كميات معتبرة من الأنابيب والقطع البلاستيكية المستعملة التي تُرمى غالباً في الحقول أو على جوانب الطرق. كما أن البستنة تستعمل كميات كبيرة من الأكياس البلاستيكية والأغطية. في غياب نظام فعال لجمع وتدوير هذه النفايات، تتراكم في البيئة مسببة تلوثاً بصرياً وبيئياً. يتطلب هذا إنشاء نظام محلي لإدارة النفايات الفلاحية يشمل نقاط تجميع وآليات تدوير أو معالجة آمنة.

6.1 التحدي المناخي : الجفاف كتهديد وجودي

يمثل الجفاف المتكرر والمنقائم التهديد الأكبر والأكثر إلحاحاً لاستدامة مشروع أسجن والمشاريع الهيدروفلحية عموماً. منذ عام 2020، دخل المغرب في موجة جفاف استثنائية من حيث مدتها وشدها. للمرة الأولى في التاريخ الحديث، يعاني البلد من ست سنوات متتالية من العجز المطري، مما أدى إلى تراجع حاد ومقلق في مخزون السدود (Balaghi et al., 2022). فلأرقام الرسمية المعلنة في مطلع عام 2025 صادمة بكل المقاييس. فقد أعلنت المصادر الرسمية للقطاع الوصي أن العجز المائي بلغ 53% مقارنة بمعدل الثلاثين سنة الماضية (Agence Ecofin, 2025). هذا يعني أن التساقطات المطرية لم تتجاوز نصف المعدل الطبيعي، وهو وضع كارثي بكل المعايير. الأخطر من ذلك، أن حجم المياه المتاح للقطاع الفلاحي على المستوى الوطني لا يتجاوز 766 مليون متر مكعب، أي أقل من 14% من احتياجات القطاع. هذا العجز الهائل يعني أن الغالبية العظمى من الأراضي المسقية ستعاني من نقص حاد في المياه، مما يهدد الإنتاج الفلاحي الوطني والأمن الغذائي.

على مستوى مشروع أسجن، يترجم هذا الوضع إلى تقليص حاد في كميات المياه المتاحة من سد واد المخازن. فالسد، كغيره من سدود المملكة، شهد انخفاضاً كبيراً في منسوبه ومخزونه. هذا أجبر المسؤولين على اتخاذ قرارات صعبة تتعلق بتقنين توزيع المياه وترتيب الأولويات. فمن جهة، يجب ضمان مياه الشرب للسكان، وهو أولوية قصوى لا يمكن المساومة

عليها. من جهة أخرى، تحتاج الصناعة إلى حد أدنى من المياه لمواصلة نشاطها. ما يتبقى بعد تلبية هاتين الحاجتين الأساسيتين يُخصص للفلاحة، وهو للأسف قليل جداً.

بالنسبة للفلاحين المستفيدين من مشروع أسجن، تُرجم هذا الوضع إلى **تقليص أيام السقي، تخفيض كميات المياه المخصصة لكل هكتار، وأحياناً انقطاع كامل لفترات طويلة**. هذا التقنين القسري أثر بشكل مباشر على الإنتاجية والمردودية. بعض المحاصيل، خاصة الأشجار الفتية التي لم تترسخ جذورها بعد، تضررت بشكل كبير وبعضها جف تماماً. الخضروات الموسمية، التي تحتاج سقياً منتظماً، أعطت محاصيل ضعيفة أو فشلت كلياً. حتى الأشجار المثمرة المعمرة، رغم مقاومتها الأكبر، تأثرت سلباً من حيث كمية الثمار وجودتها (شهادات الفلاحين).

هذا الوضع المناخي القاسي لا يؤثر فقط على الإنتاج الحالي، بل **يزعزع ثقة الفلاحين في المستقبل**. فكيف يمكن لفلاح أن يستثمر في غرس أشجار تحتاج سنوات لتنتج، إذا لم يكن متأكداً من توفر المياه لسقيها؟ كيف يمكنه الاقتراض من البنوك لتجهيز أرضه، إذا كان يخشى عدم قدرته على تسديد القرض بسبب انعدام الإنتاج؟ هذه التساؤلات الوجودية تطرح تحدياً نفسياً واقتصادياً عميقاً يتجاوز البعد التقني المحض.

6.2 التحديات التقنية والتدبيرية

إلى جانب التحدي المناخي الكبير، يواجه المشروع تحديات تقنية وتدبيرية تؤثر على فعاليته وجودة الخدمات المقدمة. أول هذه التحديات يتعلق بـ **صيانة البنيات التحتية الهيدروليكية**. فالمنظومة المعقدة من المحطات والقنوات والأحواض والشبكات تحتاج إلى صيانة دورية ومنتظمة لضمان عملها الأمثل. لكن الواقع يكشف عن نقص في الميزانيات المخصصة للصيانة، وتأخيرات أحياناً في إصلاح الأعطاب، ومحدودية القطع المتوفرة محلياً.

6.3 التحديات المالية وإشكالية التمويل المستدام

يواجه المشروع تحدياً مالياً جوهرياً يتعلق بـ **تحصيل واجبات الماء من المستفيدين**. فالمنطق الاقتصادي السليم يقتضي أن يساهم الفلاحون المستفيدون في تغطية تكاليف التشغيل والصيانة من خلال أداء مبالغ محددة مقابل كميات المياه المستهلكة. هذا النظام، المطبق في معظم المشاريع الهيدرولوجية عالمياً، يضمن استدامة التمويل ويخلق شعوراً بالمسؤولية لدى المستفيدين (Ostrom, 1990).

غير أن الواقع الميداني يكشف عن صعوبات كبيرة في تطبيق هذا النظام. **معدل التحصيل الفعلي لا يتجاوز 60% إلى 70%**، مما يعني أن ثلث الواجبات المستحقة تقريباً لا تُحصل (شهادات أحد جمعيات مستعملي المياه بالجماعة). هذا العجز في التحصيل له أسباب متعددة ومتشابكة:

أولاً: السبب الاقتصادي البحت، إذ أن بعض الفلاحين، خاصة في سنوات الجفاف حين ينخفض الإنتاج، لا يملكون فعلاً القدرة المالية على الأداء.

ثانياً: السبب الثقافي، يتعلق بما يمكن تسميته "ثقافة المجانية". فلعقود طويلة، اعتاد الفلاحون المغاربة على استعمال المياه مجاناً، سواء من الأمطار أو من آبار خاصة لا تتطلب أداء واجبات لأحد. الانتقال فجأة إلى نظام يتطلب الأداء المنتظم مقابل الماء يصطدم بعقليات راسخة تعتبر الماء موهبة من الطبيعة لا يجب أن يُدفع مقابلها (Houdret, 2012). هذه العقلية، رغم عدم واقعيتها في سياق المشاريع الحديثة، لا تزال سائدة لدى شريحة من الفلاحين.

عواقب هذا الضعف في التحصيل وخيمة على استدامة المشروع. فالأموال المفترض تحصيلها ضرورية لتمويل الصيانة

الدورية، شراء قطع الغيار، دفع فواتير الكهرباء للضخ، وأجور العمال التقنيين. حين تنقص هذه الموارد، تتراجع جودة الصيانة، تتراكم الأعطاب، وتتدهور الخدمة تدريجياً. هذا التدهور يبرر بدوره عزوف بعض الفلاحين عن الأداء، بحجة أن الخدمة المقدمة لا تستحق المبلغ المطلوب، فتدخل المنظومة في حلقة مفرغة (Molle & Berkoff, 2007).

ولكسر هذه الحلقة، تحتاج جمعيات مستعملي المياه إلى تعزيز قدراتها المالية والإدارية. يجب تطوير أنظمة محاسبية شفافة وواضحة، نشر تقارير دورية عن الإيرادات والمصاريف، إشراك الأعضاء في القرارات المالية الكبرى، وتفعيل آليات ردعية متدرجة ضد المتخلفين عن الأداء. في الوقت نفسه، يجب أن تُظهر الجمعيات التزاماً قوياً بتحسين جودة الخدمة، حتى يشعر الفلاحون أن ما يدفعونه يُستثمر فعلاً في خدمتهم.

6.4 التحديات الاجتماعية والنزاعات المحتملة

في أي مشروع يتعلق بمورد حيوي ونادر كالماء، تبرز حتماً توترات ونزاعات حول التوزيع العادل والولوج المتساوي. في مشروع أسجن، حيث تنشأ بين فلاحين حول أولوية السقي. فحين تكون المياه شحيحة، كما هو الحال حالياً، وتُضطر الإدارة إلى تنظيم السقي بالتناوب، يشعر البعض أنهم يحصلون على نصيب أقل أو توقيت أسوأ من الآخرين.

أحياناً، تظهر توترات الفلاحين حيث يشعر أحدهم أنه مهمش أو يحصل على كميات أقل من المياه، هذا الشعور بالإجحاف، سواء كان مبنياً على وقائع فعلية أو مجرد تصورات خاطئة، يمكن أن يتطور إلى نزاعات جماعية تهدد التماسك الاجتماعي. كما تظهر أحياناً خلافات حول نوعية المحاصيل التي يجب أن تُعطى الأولوية في السقي: هل الأشجار المثمرة المعمرة التي تمثل استثماراً طويلاً الأمد، أم الخضروات الموسمية التي توفر دخلاً سريعاً؟

لمواجهة هذه النزاعات المحتملة، تلعب جمعيات مستعملي المياه دوراً حاسماً كفضاء للحوار وحل النزاعات. فالجمعيات الفعالة تتجح في وضع قواعد واضحة وشفافة لتوزيع المياه، يتفق عليها الجميع ويلتزم بها الجميع (Meinzen-Dick, 2007). هذه القواعد تأخذ في الاعتبار معايير متعددة كالمساحة المزروعة، نوع المحاصيل، البعد عن نقطة التزويد، وحتى الوضعية الاجتماعية للفلاح. كما تُنشئ الجمعيات لجاناً للتحكيم تتدخل عند نشوب نزاعات، مستفيدة من حكمة الأعيان والوجهاء المحليين.

تحدي اجتماعي آخر يتعلق بمقاومة بعض الفلاحين التقليديين للتغيير. رغم الفوائد الواضحة للمشروع، يبقى هناك دائماً من يفضل البقاء على الطرق القديمة المألوفة، خوفاً من المجهول أو عدم ثقة في الوعود الرسمية. هؤلاء قد يرفضون الانخراط في المشروع، أو يشكون في جدواه، أو حتى يشبّطون همم الآخرين. التعامل مع هذه المقاومة يتطلب صبراً وحكمة، واستخدام نماذج محلية ناجحة لإقناع المترددين (Rogers, 2003).

6.5 التحديات التسويقية ومحدودية القيمة المضافة

تحقيق إنتاج فلاحى وفير وذو جودة عالية لا يكفي وحده لضمان نجاح المشروع. فالإنتاج يجب أن يُسوّق بأسعار مجزية تحقق للفلاح ربحاً معقولاً يحفز على الاستمرار والتطور. هنا يكمن أحد أكبر تحديات مشروع أسجن: ضعف البنيات التسويقية ومحدودية القدرة على تجميع المنتجات.

المنطقة تفتقر إلى أسواق محلية مجهزة للجملة، حيث يمكن للفلاحين بيع منتجاتهم مباشرة بأسعار تنافسية. معظم الفلاحين يبيعون لوسطاء ووكلاء يأتون إلى الحقول، يشترون بأسعار منخفضة ويبيعون في المدن بأسعار مضاعفة (Akesbi, 2012). هذا النظام يحرم الفلاح من جزء كبير من القيمة المضافة لمنتجاته. المشكلة تتفاقم مع المنتجات

الجديدة كالنباتات العطرية والرمان عالي الجودة، حيث يجهل الفلاحون قيمتها الحقيقية ويبيعونها بأسعار لا تعكس جودتها.

غياب وحدات التبريد والتخزين يشكل عائقاً آخر. فالحضروات والفواكه الطازجة تتلف بسرعة في الحرارة، مما يضطر الفلاح إلى بيعها فوراً حتى لو كانت الأسعار متدنية. لو توفرت مخازن مبردة جماعية، لأمكن الاحتفاظ بالمنتجات لأيام أو أسابيع، وبيعها في توقيت أفضل أو في أسواق أبعد وأكثر ربحاً. كذلك، **غياب معامل التحويل والتثمين** يحرم المنطقة من فرص خلق قيمة مضافة محلياً. فبدل تصدير الرمان الطازج بسعر عادي، يمكن تحويله إلى عصير أو مربى أو منتجات تجميلية، بأسعار أعلى بكثير (Ait Hou et al., 2016).

المنافسة من مناطق أخرى أكثر تنظيماً تشكل تحدياً إضافياً. فمناطق كسوس أو الغرب أو الحوز، التي تتمتع ببنيات تسويقية متطورة وسمعة راسخة، تهيمن على الأسواق الكبرى. منتجات أسجن، رغم جودتها المحتملة، تصل متأخرة وبدون علامة تمييز، فتباع بأسعار أقل. لمواجهة هذا، يحتاج الفلاحون إلى تطوير هوية منتجاتهم، ربما عبر علامة جغرافية أو شهادة جودة، تميزها في السوق وتبرر أسعاراً أفضل.

التعاونيات الفلاحية يمكن أن تلعب دوراً محورياً في حل هذه المشاكل التسويقية. فبدل أن يبيع كل فلاح إنتاجه الصغير بشكل فردي بموقف ضعيف أمام الوسطاء، يمكن للتعاونية أن تجمع إنتاج العشرات أو المئات، وتفاوض جماعياً من موقف قوة. التعاونية يمكنها أيضاً الاستثمار في التجهيزات المشتركة كالثلاجات ووسائل النقل، وتطوير علامة تجارية خاصة، والبحث عن أسواق جديدة محلياً ودولياً. لكن هذا يتطلب تعاونيات قوية ومحترفة، وليس مجرد هياكل شكلية موجودة على الورق فقط (Mahdi, 2014).

7. الخلاصة والتوصيات :

7.1 الخلاصة:

تمكن هذه الدراسة من استخلاص صورة مركبة تجمع بين الإنجازات الملموسة والتحديات الجسيمة. فمن جهة، حقق المشروع تقدماً حقيقياً في تحويل حياة آلاف الأسر القروية، البنية التحتية المنجزة، المساحات المجهزة (2,700+ هكتار)، المحاصيل الجديدة المدخلة، وارتفاع دخل الفلاحين بمعدلات تتراوح بين 300% و400%، كلها مؤشرات إيجابية تستحق الاعتراف والتقدير.

التجربة أثبتت أن التحول من الفلاحة البورية التقليدية إلى الفلاحة المسقية الحديثة ممكن وفعال، حتى في مناطق تعاني من الفقر والهشاشة. المشروع نجح في إشراك آلاف الفلاحين الصغار، تمكين المئات من النساء، تقوية النسيج الجماعي، وخلق آلاف فرص الشغل. هذه الإنجازات الاجتماعية تتجاوز الأرقام والإحصاءات، لتلامس حياة بشرية ملموسة وطموحات إنسانية مشروعة في عيش كريم.

لكن من جهة أخرى، يواجه المشروع اليوم تحديات وجودية تهدد استدامته. الجفاف المستمر والعجز المائي الحاد (53%) في (2024-2025)، اللذان يشكلان التهديد الأكبر، يضعان المشروع أمام امتحان عسير

وتحديات تدبيرية ومالية، رغم كونها أقل إثارة إعلامياً من الجفاف، لا تقل خطورة. ضعف التحصيل (60-70%)، محدودية الموارد للصيانة، صعوبات بعض الجمعيات في التنظيم والإدارة، كلها مشاكل تتراكم تدريجياً وقد تؤدي، إن لم تُعالج، إلى تدهور البنيات وتراجع الخدمات.

هذا بالإضافة إلى تحديات تسويقية تذكر بأن الإنتاج الفلاحي ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة لتحقيق دخل لائق، فمهما أنتج الفلاح من محاصيل جيدة، فإن عجزه عن تسويقها بأسعار مجزية يحبط طموحاته ويهدد استمراريته.

7.2. التوصيات الاستراتيجية

بناءً على التحليل المعمق للمشروع وتحدياته، نقترح التوصيات التالية:

✓ استراتيجيات التكيف مع الجفاف والتغيرات المناخية

التوصية 1: تنوع مصادر المياه

- حصاد مياه الأمطار: تشجيع الفلاحين على إنشاء صهاريج فردية أو جماعية لتخزين مياه الأمطار
- الحصاد المائي على مستوى الأحواض: تطبيق تقنيات تبطين جريان المياه وتسمح بتسربها إلى الفرشة الجوفية

التوصية 2: اختيار محاصيل متكيفة مع الندرة المائية

- توجيه البحث الفلاحي نحو تحديد الأصناف والمحاصيل التي تعطي مردودية معقولة باستهلاك مائي محدود
- تشجيع زراعة أصناف حديثة من الزيتون والتين ذات قدرة عالية على مقاومة الجفاف (Balaghi et al., 2022)
- تثبيط المحاصيل المستهلكة جداً للماء كالبطيخ والأفوكادو

التوصية 3: تطوير تقنيات الري الدقيق

- استخدام أجهزة استشعار رطوبة التربة لتحديد متى تحتاج النباتات فعلاً للسقي
- محطات أرصاد فلاحية محلية لتوفير بيانات دقيقة عن الطقس

✓ تحسين الحكامة ورقمنة التدبير

التوصية 4: رقمنة التدبير المائي

- تركيب عدادات ذكية مع قراءة إلكترونية عن بعد
- تطبيقات هواتف ذكية للمسيرين لمراقبة الاستهلاك والتحكم في الضخ

التوصية 5: تقوية قدرات جمعيات مستعملي المياه

- برامج تكوينية متخصصة في الإدارة، المحاسبة، القانون، وحل النزاعات
- تبادل التجارب مع جمعيات ناجحة وطنياً ودولياً
- مواكبة قانونية دائمة من طرف متخصصين
- تعزيز الشفافية عبر نشر تقارير مالية دورية وإشراك الأعضاء في القرارات

✓ تطوير البنيات التسويقية وسلاسل القيمة

التوصية 6: إنشاء بنىات تسويقية محلية

- إنشاء سوق جملة مجهز بمساحات عرض ووحدات تبريد

- وحدات تبريد وتخزين جماعية تُدار من طرف التعاونيات
- معامل تحويل صغيرة أو متوسطة (عصير رمان، زيوت عطرية، مربيات)

التوصية 7: تطوير علامات جغرافية وشهادات جودة

- تسجيل "رمان أسجن" أو "زيت زيتون أسجن" كعلامات جغرافية محمية
- الحصول على شهادات الزراعة العضوية أو التجارة العادلة

التوصية 8: تقوية التعاونيات الفلاحية

- دعم التعاونيات بالتجهيزات المشتركة (ثلاجات، نقل، تعبئة)
- تكوين مسيري التعاونيات في التسويق والتدبير
- تسهيل الولوج إلى الأسواق الوطنية والدولية

✓ الإطار المؤسسي والتمويلي

التوصية 9: تطوير آليات تمويل مبتكرة

- إنشاء صندوق خاص للطوارئ المناخية
- تعميم التأمين الفلاحي ضد الجفاف بأقساط مدعومة

التوصية 10: تعزيز البحث والابتكار

- إنشاء محطة تجريبية محلية لاختبار أصناف وتقنيات جديدة
- دراسات معمقة حول علاقة الماء-النبات في الظروف المحلية
- تشجيع الابتكار التكنولوجي (طائرات بدون طيار، ذكاء اصطناعي، استشعار عن بعد)

8. الخاتمة

تقدم تجربة المشروع الهيدروفلاحي للمحيط السقوي أسجن دروساً قيمة تتجاوز السياق المحلي تتمثل أولاً في أهمية **التخطيط طويل الأمد** والرؤية الاستراتيجية الواضحة مع أهداف قابلة للقياس ومؤشرات لتتبع التقدم. وضرورة المشاركة الفعلية للمستفيدين في جميع مراحل المشروع، من التخطيط إلى التنفيذ والتقييم، لضمان القبول والالتزام. بالإضافة إلى **التكامل بين المشاريع** فالمشروع الهيدروفلاحي وحده لا يكفي ويجب أن يصاحبه تطوير للبنيات التحتية الأساسية ودعم للتسويق وتكوين مستمر، **إدماج التكيف المناخي** في صلب التخطيط أصبح ضرورة ملحة، مع وضع خطط طوارئ واستراتيجيات تكيف مدمجة منذ البداية وأهم عنصر هو **الاستدامة المالية**، فالاستمرارية تتطلب نموذجاً اقتصادياً متيناً يوازن بين قدرة الفلاحين على الأداء والحاجة إلى موارد كافية للتشغيل والصيانة.

في نهاية المطاف، مشروع أسجن ليس مجرد بنيات هيدروليكية وأنظمة ري، بل هو رهان على إمكانية التنمية المستدامة في ظل الندرة، ونموذج لما يمكن أن تحققه الإرادة السياسية حين تلتقي بالعمل الميداني الجاد والمشاركة الفعلية للمستفيدين. إن تطوير هذا الرهان، وتحسين هذا النموذج، مسؤولية جماعية تتطلب تضامناً وتضافراً من جهود الجميع: الدولة، الجماعات الترابية، المجتمع المدني، القطاع الخاص، والفلاحين أنفسهم.

المراجع

المصادر باللغة العربية:

- وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات. (2017). مشروع التهيئة الهيدروفلاحية لمحيط أسجن. الرباط، المغرب.
- وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات. (2019). التقرير السنوي حول تقدم مشروع أسجن. الرباط، المغرب.
- وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات. (2020). استراتيجية الجيل الأخضر 2020-2030. الرباط، المغرب.
- المملكة المغربية. (2020). الخطة الوطنية للمياه 2020-2050. الرباط، المغرب.
- وكالة الحوض المائي للوكوس (ABHILOU). (2019). تقرير حول الوضع المائي لحوض اللوكوس. العرائش، المغرب.
- وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات. (2024). المديرية الإقليمية للفلاحة بوزان. تقارير السنوية حول المشروع الهيدروفلاحي للمحيط السقوي أسجن امزفرون
- نسرین كنفاوی. (2023). الاستثمار الفلاحي وآثره على التنمية الترابية بجماعة أسجن إقليم وزان. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا البشرية. جامعة عبد المالك السعدي. تطوان.

المواقع الإلكترونية:

- AgriMaroc.ma. (2022، 1 أبريل). <https://www.agrimaroc.ma>
- AgriMaroc.ma. (2024، 4 أبريل). <https://www.agrimaroc.ma>
- Médias24. (2024، 4 أبريل). <https://www.medias24.com>
- La Vie Éco. (2015). <https://www.lavieeco.com>
- Agence Ecofin. (2025). <https://www.agenceecofin.com>

المصادر باللغات الأجنبية:

- Ait Hou, M., Boujnah, M., & El Keroumi, A. (2016). Value chain analysis of pomegranate in Morocco : Challenges and opportunities. *International Journal of Agricultural Management*, 5(3), 45-58.
- Akesbi, N. (2012). Une nouvelle stratégie pour l'agriculture marocaine : Le Plan Maroc Vert. *New Medit*, 11(2), 12-23.
- Balaghi, R., Jlibene, M., Tychon, B., & Eerens, H. (2013). Agrometeorological cereal yield forecasting in Morocco. *INRA Publication*, Rabat.
- Balaghi, R., Ouassou, A., & Ziad, A. (2022). Climate change impacts on water resources and agriculture in Morocco. *African Journal of Environmental Science and Technology*, 16(4), 156-168.
- Belghiti, M. (2005). Gestion de l'irrigation et du drainage au Maroc. In *Management of Irrigation and Drainage Systems* (pp. 78-92). FAO Publications.
- Benouniche, M., Kuper, M., Hammani, A., & Boesveld, H. (2014). Making the user visible:

- Analysing irrigation practices and farmers' logic to explain actual drip irrigation performance. *Irrigation Science*, 32(6), 405-420.
- Bouzid, S., Aboudi, A., & Sebbar, A. (2020). Assessment of pesticide contamination in agricultural soils of northern Morocco. *Environmental Monitoring and Assessment*, 192(8), 1-15.
- Bouzidi, Z., Fader, M., Bowling, L. C., & Msanda, F. (2018). Irrigation water management in the Loukkos basin (Morocco): Water use efficiency and environmental impacts. *Agricultural Water Management*, 204, 23-35.
- Choukr-Allah, R., Ragab, R., & Bouchaou, L. (Eds.). (2016). *Water resources in arid areas: The way forward*. Springer.
- Creswell, J. W., & Creswell, J. D. (2017). *Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches* (5th ed.). Sage Publications.
- De Haas, H. (2010). Migration and development: A theoretical perspective. *International Migration Review*, 44(1), 227-264.
- Denzin, N. K. (2017). *The research act: A theoretical introduction to sociological methods*. Routledge.
- El Harraki, W., Ouazar, D., Sbair, A., & Chehbouni, A. (2021). Groundwater management in semi-arid zones: Case study of the Saïss aquifer (Morocco). *Hydrogeology Journal*, 29(3), 1167-1182.
- FAO. (2023). *The state of food security and nutrition in the world 2023*. Food and Agriculture Organization of the United Nations.
- Harbouze, R., Pellissier, J. P., Rolland, J. P., & Khechimi, W. (2019). *Rapport de synthèse sur l'agriculture au Maroc*. CIHEAM-IAMM.
- Houdret, A. (2012). The water connection: Irrigation, water grabbing and politics in southern Morocco. *Water Alternatives*, 5(2), 284-303.
- Hssaisoune, M., Bouchaou, L., Sifeddine, A., Bouimetarhan, I., & Chehbouni, A. (2020). Moroccan groundwater resources and evolution with global climate changes. *Geosciences*, 10(2), 81.
- Jaouani, A., Sayadi, S., Khomri, I., Messaoud, M., & Boudhrioua, N. (2018). Wastewater reuse for irrigation in Tunisia: Opportunities and challenges. *Arabian Journal of Geosciences*, 11(16), 467.
- Karmaoui, A., & Balica, S. F. (2021). A new flood vulnerability index adapted for the pre-Saharan region. *International Journal of River Basin Management*, 19(1), 93-107.
- Kuper, M., Hammani, A., Chohin, A., Garin, P., & Bluemling, B. (2016). When groundwater takes over: Linking 40 years of agricultural and groundwater dynamics in a large-scale irrigation system in Morocco. *Irrigation and Drainage*, 65(S1), 45-53.
- Mahdi, M. (2014). Les coopératives féminines au Maroc: Entre logiques économiques et dynamiques sociales. *Revue Marocaine des Sciences Agronomiques et Vétérinaires*, 2(1), 32-45.
- Meinzen-Dick, R. (2007). Beyond panaceas in water institutions. *Proceedings of the National Academy of Sciences*, 104(39), 15200-15205.
- Molle, F., & Berkoff, J. (2007). *Irrigation water pricing: The gap between theory and*

practice. CABI Publishing.

Ostrom, E. (1990). *Governing the commons: The evolution of institutions for collective action*. Cambridge University Press.

Perret, S. (2002). Water policies and smallholding irrigation schemes in South Africa: A history and new institutional challenges. *Water Policy*, 4(3), 283-300.

Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and revival of American community*. Simon & Schuster.

Razouk, R., Chaoui, M., & Charafi, J. (2020). Pomegranate cultivation in Morocco: Current status and future prospects. *Acta Horticulturae*, 1286, 41-48.

Rogers, E. M. (2003). *Diffusion of innovations* (5th ed.). Free Press.

Royaume du Maroc. (2020). *Stratégie nationale de l'eau 2020-2050*. Ministère de l'Équipement, du Transport, de la Logistique et de l'Eau.

Salhi, N., Fauconnier, M. L., Bouseta, A., Tahri, M., & Sindic, M. (2017). Aromatic and medicinal plants in Morocco: A review of their traditional uses, essential oil composition and biological activities. *Journal of Essential Oil Research*, 29(4), 279-295.

World Bank. (2022). *Morocco - Promoting agriculture sector growth and jobs creation*. World Bank Group.

Yin, R. K. (2018). *Case study research and applications: Design and methods* (6th ed.). Sage Publications.

RESEARCH TITLE**The Usage of Symbols in the Poetry of Walt Whitman****Lecturer. Hafsa Ra'ad Abdullateef¹**

¹ Department of English / College of Education for Women- Al Iraqia University/ Baghdad- Iraq
HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/16>

Received at 07/10/2025**Accepted at 15/10/2025****Published at 01/11/2025****Abstract**

Walt Whitman is the most famous poet of the 20th century, widely regarded as the pioneer of American poetry and the resonating literary voice of the tangible nature of ideal democracy. The aim of Whitman's primary artistic focus was on the final rewriting of *Leaves of Grass* in each of its subsequent editions. The volume *Leaves of Grass* deals with studying the epic of America and the epic of science and democracy. Whitman is an American poet who accurately and comprehensively portrays the culture, way of life, and spirit of the nation. It acts as a reflection of contemporary American culture.

The analysis of Whitman's selected poems' symbolism and symbols is the main subject of this study. The purpose of this paper is to interpret the meaning of symbols found throughout Whitman's masterworks, with particular attention to those that are used in poetry. The poet takes advantage of the symbolism found in his works. Whitman's poems "One's Self I Sing," "Song of Myself," "Out of the Cradle Endlessly Rocking," and "Passage to India" are among his greatest literary works. Whitman uses vague and occasionally elastic symbols in his poems.

The critical study of symbols in Whitman's poems is summarized in this paper. Indeed, the poet uses symbols such as grass, sea, plants, trees, earth, birds, the 'self,' and the actual trip to India to convey the poet's perception of transcendental mystery. His work is quite descriptive; it implies symbolic images used to communicate fundamental truths and his apprehension of the mystery of the universe to his readers in his poems.

Key Words: Walt Whitman, Symbols, Symbolism.

استخدام الرموز في شعر والت ويطمان

المستخلص

الت ويطمان هو أعظم شاعر في القرن العشرين، ويعتبر على نطاق واسع أب الشعر الأمريكي والصوت الأدبي الرنان للطبيعة الملموسة للديمقراطية المثالية. كان الهدف الأساسي لويتمان هو التركيز الفني على إعادة الكتابة النهائية لديوان *أوراق العشب* في كل من الطبقات اللاحقة. وأن ديوان *أوراق العشب* يتناول دراسة ملحمة أمريكا حيث انها ملحمة العلم والديمقراطية. يصور الشاعر الأمريكي ويطمان بدقة وشمولية ثقافة الأمة وأسلوب حياتها وروحها. إنه بمثابة انعكاس للثقافة الأمريكية المعاصرة.

إن تحليل الرمزية والرموز لقصائده هو الموضوع الرئيسي لهذه الدراسة. و أن الغرض من هذه المقالة هو تفسير معنى الرموز الموجودة في جميع أعمال ويطمان الرائعة، مع اهتمام خاص للرموز المستخدمة في الشعر. إذ يستفيد الشاعر من الرمزية الموجودة في أعماله، حيث تعتبر قصائد ويطمان "أنا أغني ذاتي"، و "أغنية نفسي"، و"خارج المهد أترجح إلى ما لا نهاية"، و"الممر إلى الهند" من بين أعظم أعماله الأدبية. إذ أنه يستخدم رموزاً غامضة و مرنة أحياناً. تم تلخيص الدراسة النقدية للرموز في قصائد ويطمان في هذا البحث. إذ في الواقع، يستخدم الشاعر رموزاً مثل العشب والبحر والنباتات والأشجار والأرض والطيور و'الذات' والرحلة الفعلية إلى الهند لنقل تصور الشاعر للغموض المتعالي. أن عمله وصفي تماماً، حيث إنه يتضمن صوراً رمزية استخدمت لتوصيل الحقائق الأساسية وفهمه لسر الكون لقرائه في قصائده.

الكلمات المفتاحية: والت ويطمان، الرموز، الرمزية.

Introduction:

Walt Whitman, one of the most influential figures in American literature, stands as a revolutionary poet whose works bridge the realms of individual experience, democracy, and universal spirituality. His poetry reflects a deep awareness of human identity and an intimate connection with nature, freedom, and the divine. As the founder of a distinctly American poetic voice, Whitman broke away from traditional forms and embraced free verse to express the ideals of equality, individuality, and unity that characterize the American spirit.

Symbolism occupies a central place in Whitman's poetic universe. Through symbols, he captures the essence of human existence and the interconnectedness between the physical and the spiritual worlds. His use of natural symbols—such as grass, sea, birds, and plants—reveals profound philosophical meanings related to life, death, rebirth, and transcendence. In *Leaves of Grass* and other poems like “One's Self I Sing,” “Song of Myself,” “Out of the Cradle Endlessly Rocking,” and “Passage to India,” Whitman employs imagery and symbols not merely as decorative elements, but as vehicles to convey universal truths about the self, nature, and divinity.

This study, titled “The Usage of Symbols in the Poetry of Walt Whitman,” aims to analyze the symbolic dimensions of Whitman's poetry and explore how his symbols function as expressions of his transcendental vision. It also investigates how Whitman's symbolic language elevates ordinary objects into representations of profound philosophical concepts. By decoding the symbols embedded in his works, the study seeks to uncover Whitman's unique way of merging art, spirituality, and democracy into one poetic synthesis that continues to inspire generations of readers and writers alike.

Symbol:

The Greek verb *symbollein*, which means ‘to put together,’ is the root of the term ‘symbol,’ as is its noun *symbolon*, which means ‘mark,’ ‘emblem,’ ‘token,’ or ‘sign.’ It is an item, living or inanimate, that ‘stands for’ or ‘represents’ anything else. A setting, item, character, or incident in a story that conveys more than its literal meaning and thereby represents something important to comprehending the meaning of a literary work is referred to as a symbol. In other words, all symbols have a literal (concrete) and an abstract (figurative) meaning. Symbols used commonly have a predetermined meaning. (Cuddon, 1977, p. 671).

The History of Symbolism and Its Origins:

The symbolist movement emerged during the 1850s in France and flourished until about 1900 in literature. Symbolism maintained a significant influence on twentieth-century literature, making the transition from realism to modernism. It also created a powerful impact on the arts, encompassing theatre, painting, and music. The symbolists aimed to depict very private, unreasonable, and dreamlike phases of consciousness, depending greatly on symbolic phrases to suggest or portray an immortal spirit of being that they thought was separated from the extent of the five senses. These literary principles emerged as a response to the prominence of positive thinking, which promoted logical thinking, objectiveness, and the analytical technique. Symbolism also signified a revolt against realism and naturalism in literature, which aimed to precisely portray the real universe of nature and the human community with representations of truthful realities. (Galens, 2002, p. 326)

Symbolism is a literary school that refers to three stages in the emergence of literary modernism: first, an aesthetic movement in France and Belgium in the latter half of the nineteenth century; second, and more significantly, its explicit origins in French poetry beginning in the 1850s; and third, the effect that both of these had on the following literary

modernism and its influence on both European and American literary masterpieces during the first 19th and 20th centuries. The designation's first and formal use was limited to the second phase, which must be acknowledged as being the least important from a literary standpoint. The four great predecessors of the Symbolist movement, who remain among the most significant authors of the French tradition, not only concerning France's poems, transcended national constraints and genres of writing and were the focus of attention due to the movement's perceived inability to produce significant works by the 1920s. As a result, the particularly suggestive expression 'Symbolist' had become connected mainly with these writers. The four poets who came before the Symbolist movement were Charles Baudelaire (1821–67), Stéphane Mallarmé (1842–98), Paul Verlaine (1844–96), and Arthur Rimbaud (1844–1926). They are also the main sources of inspiration for many writers from countries other than France who were drawn to the new aesthetic movement they contributed to defining. The major strands of French literary heritage, dating back to the sixteenth century, combined with German, British, and American contributions to Romanticism, were each responsible for significant inventions. Symbolism is a valuable phrase when used in the works of poets since it alludes to a significant aspect of poetic substance and an attitude towards the figurative operation of literary language, going beyond the simple designation of an aesthetic inclination. Romantic poetry contributed to the symbol's popularity in modern literature and its connection to the visual image. In nineteenth-century writing, which, as Philippe Harmon and others have noted, is characterized by an increased propensity towards the visual referent, tropes like the symbol were particularly prevalent. A thing or a location that is depicted as the embodiment of a bigger truth is typically the subject of a romantic symbol. Furthermore, the greater truth is typically clear in Romantic poetry. (Bradshaw, 2006, pp. 155-156).

Walt Whitman was born in West Hill, Long Island, New York, on May 31, 1819. He is a significant poet as well as a notable figure in American literary history. He went from being relatively unknown to an enormous celebrity, becoming a recognised national personality. His accomplishment is significant, yet it has occasionally been overshadowed by unjustified, hostile criticism or, on the other hand, effusive acclaim. Although his accomplishments as a philosopher, mystic, and critic have also been highlighted, his primary talent is as a poet. The Civil War (1861-1865) was a crucial event in Whitman's life and writings. In 1862, Walt's brother George was wounded in the Civil War. Whitman saw a lot of the injured in hospitals when he went to Virginia to see him. Whitman's career was significantly impacted by the Civil War, which sparked his imagination and sensitivity while also moulding him into a healer of both physical and spiritual wounds while serving as a volunteer in hospitals. (Geismar, 1955, p. 15).

Up until the appearance of a letter from Emerson expressing a profound sense of their power and magnitude, the *Leaves of Grass* (1855) received little attention. His admiration for it as "the most extraordinary piece of wit and wisdom that America has yet contributed" immediately made him realize its brilliance and splendor. Whitman was once again inspired to think creatively by the unvarnished, terrible landscape. He discovered a counterpoint to the wild abandonment of the Western perspective and confirmation of the wild, unfettered spirit that inspires his poems. Even though he was old and seeing the sight for the first time, he had long since talked to the scene's living spirit while reading the early *Leaves of Grass*. Certainly, the title's reference to "the eternal cycle of life" is a perfect one for one of its central themes. (Rossetti, 1901, p. 12) A mystical sense of unity with the world, which had its reinforcement, if not its birth, in emotion, is reflected in Whitman's great novel, *Leaves of Grass*, which is a reflection of inner illumination. The roots go deep in the body and spirit of a young man—a body that is clean and sensual and a soul that has not yet been tormented by the more profound mysteries. Walt Whitman was not always an irrational libertine, yet to

think so would be to misunderstand who he was. In a recent essay, Mr. Chesterton claims that to enjoy anything, there is required “a certain boyish expectation.” Purity and simplicity are essential to passion, even to evil passions. Even vice demands a sort of virginity.” (Perry, 1906, p. 47) Whitman realized readers’ inspiration and comprehension are two key indicators of great poetry. “To have great poets,” he said, “there must be great audiences, too.” (Cowley, 1948, p. 333) He contributed to his disqualification from the greatest accolades by making claims that meet this standard’s strictest requirements. There should be only one example: “The proof of a poet shall be sternly deferred till his country absorbs him as affectionately as he has absorbed it.” (Holloway, 1938, p. 320)

Whitman’s Symbolism:

Whitman is frequently mentioned in connection with contemporary symbolism. The elements that have easily prompted comparison with symbolist aesthetics include his notion of poetry as an indivisible art, his propensity to treat the world of objects in terms of his subjective perspective, and the comprehensive use of poetic symbols to portray that foresight. Whitman, of course, has a very different sensibility from French symbolism or its 20th-century successors, who have adopted some of their defining attitudes. When analyzing Whitman’s symbolism, it is crucial to emphasize several key distinctions between current aesthetic philosophy and Transcendentalism, which Whitman is thought to have shared with Emerson, as well as Romanticism and Transcendentalism. However, these distinctions frequently get lost in Jean Cartel’s and Feidelson’s analyses of Whitman’s symbolism. Whitman’s desire to unite the material world with the soul, in Cartel’s opinion, is what distinguishes him as a symbolist. Whitman thought there was a mystical connection between the spirit of things and his own spirit. However, this should not be mistaken for the symbolist viewpoint. The symbolist correspondence theory did not imply any such mysticism. The symbolists saw the universe as little more than a ‘shop of images’ that could be used to personify and evoke a person’s feelings or state of mind. (Chari, 1971, pp. 173-174)

Whitman used symbols in part to uphold his belief that poetry should be evocative. In addition, he believed that using symbols was essential to conveying his ideas, including his belief in the “oneness” of all people, his understanding of the spiritual reality hidden behind the sensual and phenomenal, and the sense of ‘fluidity,’ ‘liquidity,’ or ‘shimmer’ of firm truths. He had to use the ‘seen’ objects in a way that implied the ‘unseen’ to convey all of this. An image, or a thing that engages the sense of the eye, ear, nose, or, in certain situations, heat and pressure, is a sensory item in a literary work. Whitman’s imagery has multiple levels of effectiveness. Whitman always used imagery to transport the reader from the realm of sensory awareness to the realm of intellect, where the former gains some perspective. (Dr. Sen, 1982, p. 14)

Key Symbols in Whitman’s poems:

The stars, the sea, the birds, the grass, the calamus plants, and the lilac represent some of Whitman's most prominent symbols. Most of his poetry employs symbols with clear, comprehensive meanings. This contrasts with the symbolist poets, whose symbols were often so subjective that they were incomprehensible.

The symbols in “One’s- Self I sing” and “Song of Myself”:

The exaltation of the ‘self’ is certainly Whitman’s poetry’s most significant element. His approach to the themes of love and death, his mysticism, and the democratic impulse are all aspects of his poetry that are tied to his belief in the self. Whitman’s entire poetic universe is an expression of the various aspects or facets of the self. It represents men and women, slaves and masters, soldiers and saints, every atom of this creation and the entire universe, the subtle

and the gross, the sacred and the ordinary, the sublime and the grotesque. Whitman thus seeks to convey multiple ideas at once through the symbolic use of language. In this sense, a symbol is associative and immediately conjures up pictures in the reader. (Lal Sharma, 2000, p. 36)

In “One’s-self I Sing”, Whitman writes about “one’s-self”, which stands for a simple person as well as ‘En-Masse.’ “One’s-self, I sing” alludes to the poet’s singing of oneself, but it also alludes to the reader. The poet sings of himself as “a simple, separate person,” but he also sings of the people in general and the ordinary person. However, he mentions the words ‘democracy’ and ‘mass,’ and he is a democrat, a supporter of camaraderie and empathy. His poetry captures the fundamental essence of democracy—what the word ‘En-Masse’ denotes. His poetry is concerned with democracy. (Tilak, 2008, p. 144) The ‘self’ is the most important symbol. Whitman’s idea of the self is unquestionably symbolic because it is limitless and has endless ramifications. Whitman refers to a ‘self’ that is more than just a person (a man, a woman, etc.); according to Chari, it also refers to the “transcendental witness” within us, the soul, the divinity present in every human being, the over-soul, and the totality of the cosmos. Whitman’s usage of the first-person singular ‘I’ carries a wealth of metaphorical implications. In fact, Whitman’s repeated usage of the ‘I’ protagonist in Leaves of Grass overlaps with the idea of the “self” and its explicit and implicit meanings. (Lal Sharma, 2000, p. 37) In “One’s-self, I Sing”, the poet seeks to develop in his unique way a picture of the interplay between the self and other selves, the natural world outside, and other moments in time other than the one he is currently experiencing. The poet’s relation to the outside world is not one in which the poet relies on the natural world for scenic inspiration or as a setting for human emotion. (Dr. Sen., 1982, p. 27)

“Song of Myself”, the poem for which Whitman is best known and which contains practically every literary invention, theme, and subject found in Leaves of Grass, is the center of the significant text of Whitman’s poetry. The poem thus exhibits the basic ideas and originality of Whitman’s work while also serving as an example of many of the advancements and changes that Whitman’s poetry underwent over his career. (Casale, 2010, p. 82) “Song of Myself” creates the New World personality, a new conscious selfhood that serves as a role model for modern man and America. The poet magnifies himself:

*“I celebrate myself, and sing myself,
And what I assume you shall assume,
For every atom belonging to me as good belongs to you
I loafe and invite my soul,*

I lean and loafe at my ease observing a spear of summer grass.” (Whitman, 1995, p. 26)

The long poem’s theme is introduced in these lines. It examines the poet individually. He will sing about himself, and because he discovers his entire identity in the difference between himself and others, he will also sing of others. In “Song of Myself”, Whitman concisely states that “I assume you shall assume,” for “every atom belonging to me as good belongs to you.” These lines serve as a visual representation of the fundamental unity between the poet and the reader, the lover and the beloved, and the first- and second-person singular. Whitman says, “Thou reader, throb best life and pride and love the same I./ Therefore, for thee the following chants,” which elegantly dissolves the line between the poet’s ‘I’ and the reader’s ‘you.’ Whitman’s feeling of unity and comprehension derives from his intense identification with the second-person singular and the wider world. Whitman’s ‘You’ is illuminated by ‘a nimbus of gold-colored light,’ emphasizing its glorious atmosphere. In a symbolic sense, the

Whitmanesque ‘you’ merges with the ‘I’ and the self. The persona achieves the tranquility that mystics thought to be necessary for entering a visionary state and speaking inspired words by lounging (and therefore relaxing his physical and mental tension) and by inviting his soul to spiritual communication. He prefers the elevated air of the inspirational afflatus to the ‘perfumes’ that stand for manufactured doctrines, and he takes pleasure in his good health since it makes him feel as important as a participant in the divine plan. But the persona presents the philosophic (and personal) dualism that underlies most of *Leaves of Grass* by urging his soul to join with whatever aspect of himself is not his soul. (Aspiz, 2004, p. 35)

The word ‘I’ has a symbolic meaning, and all of the other symbols that are constantly related to it are gathered around it. The entire world is symbolized by ‘grass’ in the identical way that ‘I’ represents the universe’s individual and collective self. Of course, under this broad definition, ‘summer grass’ takes on a variety of connotations; it may be the visible symbol of his self or his poetic ego, and it may also stand for God, the Supreme Self; it may also stand for man and the hope of the future, equality, and comradeship; it may also symbolize both life and death. Whitman’s crucial idea of democracy—individuality in accord with the mass, distinct singleness in harmony with enormous grouping—becomes graphically represented in the grass. The spear of summer grass represents the wonder of the universe. It sets the poet off on a mystical journey. The universe’s mystery is revealed by the silent spear of grass. It is the ideal representation of democracy in nature and, in its simplicity, it symbolizes the splendor of the world. It serves as a bridge between the earth and the heavens, the ordinary and the divine. (Dr. Sen., 1982, p. 14)

In words of astounding creativity, the enormous task of expressing the mystique of life and death is stated:

“A child said What I the grass? fetching it to me with full hands,

How could I answer the child? I do not know what it is any more than he does.

I guess it must be the flag of my disposition, out of hopeful green stuff woven.

Or I guess it is the handkerchief of the Lord.” (Whitman, 1995, P. 31)

These lines are taken from Whitman’s poetry in its entirety. These ambiguous phrases from the poem’s section “Grass” demonstrate the existence of God. A child asks the poet what the tuft of grass represents, and the poet responds with a variety of responses. A child gives the poet a spear of grass and inquires about its composition. The persona’s delightful acknowledgement that he is unable to put this master symbol into language that will satisfy the child or satisfy himself, however, is a rhetorical technique used to start a succession of hesitant explanations intended to demonstrate how thoroughly Whitman has explored this riddle. The poet uses analogy and metaphor, rhetorical techniques he employs throughout the poems, to clarify the meaning of death in answer to the child’s request to explain the significance of the grass. Of course, the grass is a master metaphor in and of itself, and as with all metaphors, it is defined by the use of other metaphors. The persona makes the playful (and subjective) conjecture that the grass that covers the earth may be the objectification of himself, “the flag of my disposition, out of hopeful green stuff woven,” even though the grass appears in the Psalms as a symbol of mankind’s powerless susceptibility to mortality and dissolution. (Aspiz, 2004, 37) A child is curious as to what a spear of summer grass means. Because he is unsure of the nature of the question, the poet finds it challenging to respond. The grass may represent his personality. He then explains to the child that it symbolizes his personality. (Tilak, 2008, p. 85)

This epic poem's central symbol, 'Grass,' depicts the spirituality of daily objects. As grass is an image of the everlasting cycle of life found in the natural world, which assures each man's eternal existence, the natural beauty of grass illustrates the subjects of death and eternity. Given that God's immortal presence in the natural world is apparent everywhere, nature symbolizes God. Grass holds the keys to how man and the divine interact. It implies that everything is God and that God is everything. (Carey, 1972, p. 18) The poem makes a forceful argument for the fusion of the subjective and objective worlds. 'Grass' serves as the section's primary symbol. Whitman speculates with confidence that it is either the 'flag of my disposition' or 'the handkerchief of the Lord.' Additionally, the grass stops being literal and becomes a 'uniform hieroglyphic.' In this context, grass represents the permanence of the life-death cycle and the ordinary existence of man. As a result, this representation of 'grass' takes on the characteristics of a 'baby of vegetation' and a 'child.' Additionally, it refers to the wonderful 'uncut hair of graves.' Whitman sees deathlessness as he writes about the symbolic meaning of 'grass':

*"The smallest sprout shows there is really no death,
And if ever there was, it led forward life and does not wait at the end to arrest it,
And ceased the moment life appeared"* (Whitman, 1995, P. 31)

The section clarifies the whole meaning of a grass leaf, which represents Whitman's poetry's primary symbol. As a result, the symbolic representation of the 'grass' plays a significant part in helping Whitman recognize the presence of a subtle and profound process in a man's existence that is defined by eternity. It also highlights the poet's optimistic and cheerful personality. He is so enthusiastic that, contrary to what is typically believed, he sees death as only a metamorphosis. When he proposes that the corpses of the dead sprout in the shape of grass blades growing on the graves and thus continue to live even after their so-called death, he expresses the scientific conviction in the indestructibility of matter. This section is therefore of utmost relevance because it combines mysticism and science. (Ranchan, 2000, p. 24)

The symbols in "Out of the Cradle Endlessly Rocking"

The poem's title, "Out of the Cradle Endlessly Rocking", offers a framework for analysis. The 'cradle' symbolizes beginnings, motion, and childhood. 'Endlessly rocking' signifies both the development of the child into a man as well as the difficulties that a man must face in life. The title really refers to an endless birth process. (Lal Sharma, 2000, p. 40) After several pictures of birth and beginnings in the opening stanza, the poet considers his lyrical abilities, which cause him to recollect a potent childhood memory. The poet recalls a specific sequence that he saw as a child, and it later inspired him to become a poet. His self-description, "chanter of pains and joys, the uniter of here and hereafter," demonstrates what a poet does for a living. Whitman's childhood, as stated by Frances Winwar, was wonderful, spent by the sea and surrounded by nature:

"best of all he liked the summer when he could feel the warmth of the sun on the hard sand beneath his feet, or plunge into the waves and lie floating on his back, watching the clouds change in the sky. . . . He soared with the water birds that made their home in the bays and learned from the life about him more than from any book. He knew joy and gladness and the exultation of a healthy body, but he learned also that all was not happiness in life, that parting and sorrow, too, formed the heart of experience." (Winwar, 1941, p. 20)

In her subsequent explanation of 'Cradle,' Winwar expresses a literal interpretation of the young child's memories. "Walt recognized the song of the sorrowful bird as something

ineffable even though he was just a kid when he first heard it.” One is the poet’s use of a group of pictures (boy, bird, and sea) to develop his theme through dramatic colloquy. (Ibid., 1941, P. 25).

*“Throwing myself on the sand, confronting the waves,
I, chanter of pains and joys, uniter of here and hereafter,
Taking all hints to use them, but swiftly leaping beyond them,
A reminiscence sign.”* (Whitman, 1995, P. 228)

He imagines himself as a small boy exploring the sands near the sea. He observed the environment around him with interest. The poem’s main symbol is a pair of birds. The birds are keeping an eye on the eggs in their nest. He heard the joyful singing of two mockingbirds. He was delighted to see them:

*“Two feather’d guests from Alabama, two together
And their nest, and four light-green eggs spotted with brown,
And every day the he-bird to and fro, near at hand,
And every day the she-bird crouch’d on her nest, silent, with bright eyes,”*
(Whitman, 1995, P.229)

Unfortunately, one of the birds perishes because she never returns to the nest. The he-bird is in excruciating discomfort. Here, Whitman uses the poetic device of contrast to great effect. The overabundance of joy from the birds’ solidarity has been exquisitely juxtaposed with the shock and jolt of mortality. The poet intentionally shakes the boy from the inside out. He empathizes with the suffering of the abandoned he-bird, Walter Sutton states:

“The influence of music is seen in the device, inspired by the model of the opera, of the arias or bird songs, of fulfillment and frustration, which provide interludes of lyric expression of the feelings and emotions aroused by the events presented and analysed in the narrative and dramatic frame-work of the poem.” (Miller, 1957, p. 29)

Whitman highlights the bird’s desire by making him wait an eternity for his mate. By hearing the bird’s painful states, the child understands the agony and misery of the animal. As a young boy, the poet feels the bird’s suffering, identifies with it, and establishes a bond with it by referring to it as ‘brother’. Mocking-birds stood for love. In every instance of the bird imagery in *Leaves of Grass*, this symbolism is there. James Miller aptly says, “The mockingbird symbolizes the creative transfiguration brought by consuming but unfulfilled love. And when the sea sends forth its word of death as the ‘clew’, the boy requests the ‘out setting bard’ has found the theme of all his songs.” (Ibid., 1957, p. 30) The poem’s mocking-bird is related to love, one of the themes that the bird is connected to. Their love was symbolized by a bird, and the phrase ‘two together’ perfectly captured their being. He addressed the wind, saying, “Blow up sea-winds along Paumanok’s shore; I wait and wait till you blow my mate to me,” the he-bird eagerly awaiting her. The curious child who ‘treasured every note’ was moved by his singing because he learnt the significance of the bird, which he referred to as his ‘brother.’ (Carey, 1972, p. 44)

In “Out of the Cradle Endlessly Rocking,” Whitman describes the sea as ‘some old crone rocking the cradle.’ The sea is a kind of motherhood emblem. The kneeling, observant child is perplexed by the poet’s description of the two birds as ‘two feather’d guests from Alabama’ and the death of the female bird that follows. He never stops ‘cautiously peering.’ The boy is faced with the brutal reality of death after witnessing a bird die. The old crone (the sea), shaking the cradle, ultimately gives him the “clew” he needs to solve the riddle of death

in the world. It symbolizes life, motherhood, birth, and deathlessness. The sea was definitely speaking about death before this, but towards the end, it was rocking the cradle, signifying rebirth and regeneration. Whitman has therefore deliberately and purposefully used the symbolism of the 'bird' and the 'sea' to give the child (the protagonist) a sense of maturity and knowledge. (Lal Sharma, 2000, p. 41).

Since childhood, the poet has returned to the location numerous times at night because the experience of the child's intense love and heartbreaking loss has stayed with him or her. Then, one day, as the poet is still standing on the sand, the sea's swelling waters surround him. The waves wash over his feet, midriff, chest, and head:

*"But edging near as privately for me, rustling at my feet,
Creeping thence steadily up to my ears and loving me softly all over,
Death, death, death, death, death."* (Whitman, 1995, P. 230)

The 'sea' at this point has been presented as the mother, an 'old crone' rocking the cradle. Whitman has effectively made the reader aware of the message of death. However, the message of 'the cradle,' which is being rocked by an 'old crone,' is one of resurrection, renewal, rebirth, and life. In reality, Whitman attempted to answer the riddle of death and rebirth in the poem "Out of the Cradle Endlessly Rocking." He believes that although dying is an unpleasant and fundamental element of life, it is also possible for the beginning of life to grow at the moment of death, and death is an integral part of the never-ending process that is life. The poet's pain and despair stop when he realizes he has a more excellent vision. The boy has a sincere desire to comprehend the meaning of death, which is not the conclusion but rather a stage in an endless, never-ending process known as life, and this desire has been greatly aided by the bird's song. The bird symbolizes love, agony, and longing, as well as the poet's soul (inner self), which has been forced to endure the painful pain of separation, in contrast to the youngster, who stands for inquisitiveness, curiosity, fresh perspective, creativity of thoughts, innocence, and purity. The sea is a symbol of life and a mother (Mother Nature), who, perhaps on a spiritual level, rocks the cradle of a new life. Also, the sea is eternal; it is timeless. It seems to follow a cycle of tides and currents, like the cycle of life. It ebbs and flows, like a lifetime. These symbols have been skilfully employed to underline and highlight the evolution of the poet's mind from that of a child. As Geoffrey Dutton puts it, "Out of the Cradle Endlessly Rocking washes up with the sea images of birth, death, love, and music." (Miller, 1957, p. 40) The poem's original title was "A Child's Reminiscence." However, it appears more like the memories of a wise, experienced person who develops into a 'chanter of pains and joys' and a 'writer of here and hereafter.' In conclusion, "Out of the Cradle Endlessly Rocking" is a unique poem in which Whitman uses rich but complex symbolism to emphasize the maturation of the poet in the boy, who is an experiencer and a quester par excellence and achieves maturity and holistic growth at the end of the poem. To conclude with the words of Walter Sutton:

"This poem reveals the detachment of the poet and a distancing of a subject through the device of the three related central figures who, as dramatic characters, contribute to the development of the theme. The poem's dramatic quality is heightened by the lyric interludes already discussed. The figures of the boy, the bird and the sea (as earth's mother) are introduced, the significance of their roles is revealed, and the conclusion of the poem resolves the colloquy as the bird's cries of unsatisfied love and the message of death whispered by the sea are fused the poet's own songs awakened from that hour." (Ibid)

The symbols in “Passage to India”

The poem “Passage to India” is overflowing with hints of symbolism. This poem largely focuses on man’s never-ending quest for knowledge and exploration of both the physical and spiritual worlds. Whitman’s commemoration of the Union Pacific Railroad’s completion, the laying of the transatlantic cable, and the opening of the Suez Canal The poem aims to track the development or coming of a poet as he presumes a contemporary, epic, and noble subject; therefore, it may be more about poets and poetry than it is about the significant achievements of the nineteenth century. (Davidson, 1983, p. 59) The completion of the physical journey to India in Whitman’s poem merely symbolizes the beginning of the spiritual trip to India, the East, and eventually to God:

“In the Old World, the East, the Suez Canal,

The New by its mighty railroad spann’d

The seas inlaid with eloquent, gentle wires;

Yet first to sound, and ever sound, the cry with thee O soul,” (Whitman, 1995, P. 372)

The poem’s primary symbolism refers to the geographical east, specifically the east of the Suez and the east past the ‘mighty railway.’ Then, as ‘India’ represents the essence of old faiths and scriptures, which further symbolizes spirituality, the focus shifts. India also represents ‘primal thought.’ According to Whitman, India is the ‘moral, spiritual fountain’ and the ‘source of affection.’ Whitman’s trip is transformed into a “passage to more than India” in the poem’s last section, symbolizing the soul’s ongoing, tireless search for a union with God. ‘More than India’ has broad symbolic ramifications, involving ‘the earth and sky,’ ‘waters of the sea,’ ‘woods and fields,’ ‘strong mountains,’ ‘prairies,’ and ‘grey rocks.’ (Lal Sharma, 2000, p. 41) Through a past that involves the present—a vision from history as a ‘retrospect’ of what is coming into being—the poet travels through imagination and history. Everything that had ever been was in the past. Even a voyage across America is a restitution of what dreamers and mystics saw and knew in ancient times, and the vision of the Genoese explorer, Christopher Columbus, is confirmed in the modern era. The poem also represents man’s past, which is full of religions, the Bible, stories, and fables—all of which represent spirituality or the soul’s search for the divine—as well as the Garden of Eden, from whence Adam and Eve descended and from where they and their children started their excited spiritual quest. It also represents the location where a person can find inner peace, fulfil their purpose, and live a simple life in harmony with the environment. (Davidson, 1983, p. 59) Man must be committed to making this journey. He must keep moving forward ‘like trees on the earth.’ In the poem’s final lines, the word ‘India’ is changed to ‘soul,’ which Whitman exhorts to travel as far as possible:

“O my brave soul!

O farther, farther sail!

O daring joy, but safe! are they not all the seas of God?

O farther, farther, farther sail”! (Whitman, 1995, P. 375)

Invoking the divine, the poet exhorts his soul to travel ‘farther than India’ and attain the mystic union with the divine, which is the ultimate goal or purpose of human life, without which the soul is miserable and dissatisfied. The physical exploration undertaken by sailors, navigators, adventurers, and explorers through railroads and steamships is symbolized by ‘The Passage.’ ‘The Passage’ represents man’s investigation into his past and progress to a time of myth and religion. It stands for his intellectual quest to link the past, present, and

future—that is, to comprehend space-time continuity. Finally, it represents spiritual awakening, which results in the unity of the human spirit with the divine. Throughout *Leaves of Grass*, the image of a procession, a journey, a quest, or a voyage is used. The ‘open road’ invites the self towards the goal of uniting with the over-soul or the divine source. The significance of the symbol is made obvious in “Passage to India.” The idea of life is a quest for reality. The ‘river’ and ‘stream’ symbolize a lifelong journey that leads to the ‘mystical Ocean:’ “Bathe me O God in thee, morning to thee,/ I and my soul to range in a range of thee.” (Tilak, 2008, p. 170)

Even though the soul may ‘farther and farther sail,’ the poet’s place and identity remain uncertain. By this point, Whitman had realized that his goal and ideal of a new poetry for America had suffered an impediment. He had pretended to be able to contain many people at first. He was referring to the fact that he could take on a variety of forms just as himself. His presumption was carried out by the recurrence of fresh appearances, shapings, and constant triplings and doublings in which he would simultaneously be himself and everyone else. Because all elements are similar and all forms are one form, distinctions and hierarchies would vanish. The poem’s final lines, which begin, “O thou [or God] transcendent, / Nameless the fibre and the breath. / Light of the light, shedding forth universes, thou center of them,” culminate this progression from collective experience to personal knowledge, from material success to spiritual success, and from fear and solitary confinement to tranquility and liberty. It concludes by tracing the development of India as imagery, from its origins as a geographical region to the perennial human desire for the knowledge of God. In this rich, evocative poetry, the words ‘passage’ and ‘India’ both have a developing symbolic meaning and importance, and the development of both meanings is indirectly tied to the poem itself. (Davidson, 1983, p. 60)

Conclusion:

In terms of the structure of Whitman’s poetry and his method of communication, Whitman was a major revolutionary and technical pioneer. The greatest American poet of the 19th century, he foresaw some of the most important and creative technological advancements of the 20th century. Even when symbolism became a political movement in Europe, he was a symbolist. He conveyed transcendental truths—his understanding of the mystery of the universe—to his readers through “indirect” language and symbols. In conclusion, Whitman’s claim to be a modern symbolist must rely on a few unique passages, like those in his poems. He does not resemble the symbolists in either his style of writing or the way he has organized his greatest works. Whitman generated a great number of symbolic pictures, some of which are employed as organizing symbols around which whole poems are structured and others of which are prevalent pictures that propose a particular meaning in the larger picture of the poetry. The life of plants serves as a symbol of development and variety through Whitman’s poems. Constant plant growth corresponds to a steady population increase in the United States. A grass leaf with several leaves represents democracy. Whitman’s interest in a person is seen in his respect for the individual. He views the self as the origin of poetry and establishes relations between the self and the concept of poetry through his writing. His poems, “One’s- Self I Sing”, “Song of Myself”, “Out of the Cradle Endlessly Rocking,” and “Passage to India”, show how symbolically charged these poems are. Whitman’s writing style shows a stronger affinity with symbolist language. (Nathanson, 1992, p. 44)

References

- Aspiz, Harold. *So Long: Walt Whitman's Poetry of Death*. The United States of America: The University of Alabama Press, 2004.
- Bradshaw, David & Dettmar, Kevin. J. H. "Literary Symbolism: A Companion to Modernist Literature and Culture". (URL:<http://digitalcommons.unl.edu/Lincoln.molds2@unl.edu>) 2006.
- Carey, Gary, ed. *Walt Whitman: Leaves of Grass*. The United States of America: Hungry Minds, Inc., 1972.
- Casale, Frank D. *How to Write about Walt Whitman*. The United States of America: Bloom's Literary Criticism Press, 2010.
- Chari, V. K. "The Limits of Whitman's Symbolism". *Journal of American Studies*, Vol. 5, No. 2 (Aug. 1971), Published by: Cambridge University Press on behalf of the British Association for American Studies. <http://www.jstor.org/>
- Cowley, Malcolm, ed. *Complete Poetry and Prose of Walt Whitman*. New York: New York University Press, 1948.
- Cuddon, J.A. *A dictionary of literary terms*. The United States of America: Doubleday & Company, Inc., 1977.
- Davidson, Edward H. "The Presence of Walt Whitman". *The Journal of Aesthetic Education*, Vol. 17, No. 4, Special Issue: Distinguished Humanities Lectures (winter, 1983). University of Illinois Press Stable URL: <http://www.jstor.org>.
- Dr. Sen, S. *Walt Whitman: Selected Poems*. New Delhi: Amarjeets & Chopra, 1982.
- Galens, David. *Literary Movements for Students*. New York: The Gale Group, Inc., 2002.
- Geismar, Maxwell. *The Walt Whitman Reader*. New York: Pocket Books, Inc., 1955.
- Holloway, Emory, ed. *Complete Poetry and Selected Prose and Letters of Walt Whitman*. England: Penguin Books Press, 1938.
- Lal Sharma, Roshan. *Walt Whitman: A Critical Evaluation*. New Delhi: Vrinda Publications LTD., 2000.
- Miller, James E. *A Critical Guide to Leaves of Grass*. Chicago: University of Chicago Press, 1957.
- Nathanson, Tenney. *Whitman's Presence: Body, Voice, and Writing in Leaves of Grass*. New York: New York University Press, 1992.
- Perry, Bliss. *Walt Whitman, His Life and Work: With Illustrations*. New York: Houghton, Mifflin and Company Press, 1906.
- Ranchan, Som P. *Walt Whitman as a poet: A Critical Study of his Major Poems*. New Delhi: Vrinda Publications LTD., 2000.
- Rossetti, William Michael, ed. *Poems by Walt Whitman*. London: Chatto & Windus Ltd., 1901.
- Tilak, Raghukul. *Walt Whitman: Selected poems*. New Delhi: Rama Brothers India PVT.LTD., 2008.
- Whitman, Walt. *The Complete Poems of Walt Whitman*. Great Britain: The Wordsworth LTD., 1995. (All the subsequent quotations will be taken from this source.)
- Winwar, Frances. *American Giant: Walt Whitman and His Times*. New York: New York University Press, 1941.

عنوان البحث

استخدامات موقع التواصل الاجتماعي تيك توك وأثره على القيم الأخلاقية لدى الشباب الجامعي (دراسة حالة طلاب كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية - جامعة بحري)

د/ سحر كمال مصطفى¹، د/ محمد يحيى المكرمي²

¹ كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، جامعة بحري، السودان. بريد الكتروني: Saharkamalali00@gmail.com

² كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، جامعة بحري، السودان. بريد الكتروني: m.almakrami@gmail.com
HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/17>
المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/17>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر استخدام تطبيق «تيك توك» على القيم الأخلاقية والسلوك القويم لدى طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي ضمن إطاره المسحي، واستخدمت استبانة مكونة من ثلاثة محاور (بيانات أولية، تردّي القيم الأخلاقية وعلاقته باستخدام تيك توك، السلوك القويم وعلاقته باستخدام تيك توك) مطبّقة على عينة عشوائية بلغ عددها (64) طالبًا وطالبة. تم التحقق من خصائص الأداة؛ إذ بلغ معامل الثبات (ألفا كرونباخ) 0.81 ومعامل الصدق 0.90، ما يؤكد ملاءمتها للقياس. جرى تحليل البيانات باستخدام SPSS عبر الأساليب الوصفية (التكرارات، النسب المئوية، الرسوم) والاستقرائية (تحليل التباين الأحادي One-way ANOVA واختبار T لعينتين مستقلتين).

أظهرت النتائج أن 73.4% من أفراد العينة يستخدمون تيك توك بانتظام، وأن طلبة المستوى الرابع يمثلون النسبة الأعلى استخدامًا (54.8%)، فيما غلبت الفئة العمرية الأكبر من 26 سنة (59.4%). بيّنت اختبارات ANOVA وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام تيك توك وتردّي القيم الأخلاقية ($F=6.658, p=0.002$) وبين استخدامه والسلوك القويم ($F=5.540, p=0.006$). لم تُسجَل فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في السلوك القويم المرتبط باستخدام تيك توك وفق اختبار T ($p=0.329$) وتدل هذه النتائج على تأثير واضح للتطبيق في تشكيل القيم والسلوكيات لدى الشباب الجامعي، بما يستدعي برامج توعية رقمية، وإدماج محتوى تربوي داعم للقيم، وتشجيع إنتاج محتوى محلي إيجابي، وتوسيع نطاق الدراسات المستقبلية على عينات أكبر ومتنوعة.

الكلمات المفتاحية: تيك توك؛ القيم الأخلاقية؛ السلوك القويم؛ الشباب الجامعي؛ جامعة بحري.

RESEARCH TITLE**Uses of the Social Media Platform TikTok and Its Impact on Moral Values among University Youth (A Case Study of Students at the Faculty of Social and Economic Studies – University of Bahri)****Abstract**

This study aims to examine the impact of using the TikTok application on moral values and upright behavior among students of the Faculty of Economic and Social Studies at the University of Bahri. The research adopted a descriptive survey approach and employed a questionnaire comprising three axes: (1) demographic data, (2) the relationship between the deterioration of moral values and TikTok use, and (3) the relationship between upright behavior and TikTok use. The instrument was administered to a random sample of 64 students. Reliability and validity were verified, with Cronbach's alpha reaching 0.81 and the validity coefficient 0.90, indicating strong measurement properties. Data were analyzed using SPSS through descriptive statistics (frequencies, percentages, charts) and inferential tests (one-way ANOVA and independent-samples t-test).

Results showed that 73.4% of respondents use TikTok regularly, with fourth-level students constituting the largest group of users (54.8%), and a majority of participants being over 26 years old (59.4%). ANOVA tests indicated statistically significant differences between TikTok use and the deterioration of moral values ($F = 6.658$, $p = 0.002$), as well as between TikTok use and upright behavior ($F = 5.540$, $p = 0.006$). Conversely, there were no statistically significant differences between males and females in upright behavior associated with TikTok use according to the t-test ($p = 0.329$). These findings suggest a clear influence of TikTok on students' values and behaviors, underscoring the need for digital awareness programs, the integration of value-supporting educational content, encouragement of positive local content creation, and future studies with larger and more diverse samples.

Key Words: TikTok; moral values; upright behavior; university youth; University of Bahri.

1. الإطار المنهجي

1.1 المقدمة:

يشهد العالم اليوم تحولاً عميقاً نحو عصر الرقمية والمعرفة، حيث أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي من أبرز أدوات الاتصال والتفاعل بين الأفراد. وقد أسهم هذا التحول في تغيير أنماط الحياة والسلوك والتفكير لدى مختلف فئات المجتمع، وخاصة فئة الشباب. ومن بين أبرز هذه المنصات، برز تطبيق تيك توك الذي ظهر في عام 2016، وحقق انتشاراً واسعاً بفضل اعتماده على الفيديوهات القصيرة والمحتوى السريع والجاذب.

يتيح التطبيق للمستخدمين أدوات متعددة لإنتاج المحتوى، مثل الفلاتر، والمؤثرات الصوتية، والملصقات، مما جعله مساحة مفتوحة للإبداع والمشاركة، خاصة بين المراهقين والشباب الجامعي. ورغم الجوانب الترفيهية والإيجابية التي يقدمها، إلا أن الاستخدام غير المنضبط لهذا التطبيق أدى إلى ظهور سلوكيات ومظاهر سلبية لدى بعض الشباب، كالتخلي عن بعض القيم الأخلاقية والدينية، واتباع تقليعات لا تتناسب مع الهوية الثقافية أو الأخلاقية لمجتمعنا، إضافة إلى ضعف الرقابة الأسرية والإدمان على المحتوى.

وانطلاقاً من هذه الملاحظات، جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أثر تيك توك على القيم الأخلاقية لدى الطلاب الجامعيين، من خلال تحليل مدى تأثير محتوى التطبيق على سلوكياتهم وتوجهاتهم الفكرية والاجتماعية. وتشمل خطة الدراسة إطاراً منهجياً يحتوي على الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية، وأهداف وأهمية البحث، إلى جانب عرض للدراسات السابقة والمفاهيم الأساسية، وتحديد المنهج المستخدم، وأداة جمع البيانات، والعينة المدروسة.

كما تتناول الدراسة في الفصل الثاني تعريفاً تحليلياً بتطبيق تيك توك، بينما خُصص الفصل الثالث لتحليل البيانات من خلال الجداول والرسوم البيانية التي توضح النتائج، وصولاً إلى الفصل الرابع الذي يتضمن أهم الاستنتاجات والتوصيات لمعالجة الظواهر السلبية المرتبطة باستخدام التطبيق.

1.2 أسباب اختيار الموضوع:

- أسباب ذاتية: الرغبة في فهم تأثير موقع "تيك توك" على الشباب الجامعي، ومعرفة آثاره الإيجابية والسلبية.
- أسباب موضوعية: اهتمام الباحث بظاهرة شائعة بين الشباب، ودراسة مدى تأثير وسائل التكنولوجيا الحديثة على القيم والسلوكيات لديهم.

1.3 أهمية البحث:

- الأهمية العلمية: إذ يساهم في إثراء الأدب النظري المرتبط بدراسة أثر وسائل التواصل الاجتماعي، خصوصاً تيك توك، على القيم الأخلاقية والسلوكيات لدى طلاب الجامعات.
- الأهمية العملية: تتمثل في تقديم نتائج وتوصيات يمكن أن تساعد المؤسسات التعليمية والأسر وصناع القرار على فهم طبيعة تأثير هذه المنصات على الشباب الجامعي، والعمل على توجيهها نحو الاستخدام الأمثل.

1.4 مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن أثر استخدام تطبيق "تيك توك" على القيم الأخلاقية لدى طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري، مع بحث ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعود إلى الجنس أو المستوى الدراسي.

انطلاقاً من مشكلة البحث، يمكن صياغة الأسئلة التالية:

1. ما أثر استخدام تطبيق "تيك توك" على القيم الأخلاقية لدى طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري؟
2. ما أثر استخدام تطبيق "تيك توك" على السلوك القويم لدى الطلاب والطالبات؟

3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات في السلوك القويم المرتبط باستخدام تيك توك؟

1.5 أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق العديد من الأهداف ومن أهمها:

1. التعرف على أثر استخدام تطبيق "تيك توك" في تردي القيم الأخلاقية لدى طلاب الجامعة.
2. بيان العلاقة بين استخدام تيك توك والسلوك القويم لدى الطلاب والطالبات.
3. التحقق من وجود أو عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك القويم بين الذكور والإناث.
4. تقديم توصيات علمية وعملية يمكن أن تساعد في توجيه استخدام تطبيقات التواصل الاجتماعي بما يخدم العملية التعليمية ويحافظ على القيم الأخلاقية.

1.6 فروض البحث

1. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تردي القيم الأخلاقية واستخدام تطبيق تيك توك.
2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين السلوك القويم واستخدام تطبيق تيك توك.
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في السلوك القويم المرتبط باستخدام تيك توك.

1.7 حدود البحث:

- المجال المكاني: كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية – جامعة بحري (السودان).
- المجال الزمني: تم تطبيق الدراسة خلال العام (2024-2025م).

1.8 مجتمع وعينة البحث

تكون مجتمع البحث من طلبة كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية قسم الإحصاء جامعة بحري ، وتم اختيار عينة ممثلة منهم لإجراء الدراسة.

1.9 المنهجية والأدوات المستخدمة :

اعتمد هذا الدراسة على المنهج الوصفي المسحي بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر الاجتماعية والسلوكية، إذ يتيح وصف الظاهرة موضوع الدراسة وتحليلها واستخلاص النتائج ذات الصلة. وقد تم اختيار هذا المنهج لملاءمته لدراسة أثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي "تيك توك" على القيم الأخلاقية والسلوك القويم لدى طلاب الجامعة.

واستخدم الباحث الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات، حيث جرى تصميمها استناداً إلى الأدبيات النظرية والدراسات السابقة ذات الصلة، وتم عرضها على مجموعة من الخبراء والمحكمين للتأكد من صدقها وملاءمتها للأهداف البحثية. وقد تضمنت الاستبانة ثلاثة محاور أساسية: البيانات الأولية للمبحوثين، العلاقة بين استخدام تيك توك وتردي القيم الأخلاقية، والعلاقة بين استخدام تيك توك والسلوك القويم. واعتمدت الاستبانة على مقياس ليكرت الخماسي لقياس اتجاهات وآراء الطلاب، لما يوفره من مرونة في التعبير عن المواقف المختلفة.

وللتحقق من ثبات وصدق الأداة، تم استخدام معامل ألفا كرونباخ، حيث بلغت قيمة الثبات (0.81) بينما بلغ معامل الصدق (0.90)، مما يدل على أن الأداة تتمتع بدرجة عالية من الموثوقية والقدرة على قياس ما وضعت لقياسه.

أما في جانب التحليل الإحصائي للبيانات، فقد استعان الباحث ببرنامج SPSS لإجراء التحليلات اللازمة. واستخدمت الأساليب الوصفية مثل التكرارات، النسب المئوية، والجداول والرسوم البيانية لتوصيف خصائص العينة، في حين تم الاعتماد على الأساليب الاستقرائية لتحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA) واختبار (T) لعينتين مستقلتين لاختبار فرضيات الدراسة والتأكد من وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متغيرات البحث.

2. الإطار النظري

2.1 مقدمة عن مواقع التواصل الاجتماعي

تُعرف مواقع التواصل الاجتماعي بأنها شبكات إلكترونية تمكّن المشترك فيها من إنشاء صفحة شخصية وربطها مع أعضاء آخرين يشتركون في اهتمامات وهوايات مشابهة. وفقاً لأزهر أراضي، فإن هذه الشبكات تتيح لمستخدميها التفاعل الاجتماعي عبر نظام إلكتروني يربط بين الأفراد.

كما تشير هبة محمد خليفة إلى أن هذه الشبكات تسهل التواصل بين الأصدقاء والمعارف، وتمكنهم من البقاء على اتصال بعد سنوات طويلة من خلال وسائل التواصل الصوتي والمرئي وتبادل الصور، مما يعزز العلاقات الاجتماعية.

وتُعرف وسائل الإعلام الاجتماعي مواقع التواصل الاجتماعي بأنها تطبيقات إلكترونية تمكن المستخدمين من التواصل من خلال تبادل المعلومات، التعليقات، الرسائل، والصور. وتعد هذه المواقع من أبرز التطورات التكنولوجية الحديثة، إذ غيّرت الطريقة التي يتواصل بها الأفراد على مستوى العالم، وامتدت لتشمل التطبيقات التعليمية، الترفيهية، والتجارية.

تظهر أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في كونها بيئة متكاملة للتفاعل الاجتماعي والتبادل الثقافي، تؤثر بشكل كبير على سلوكيات الأفراد وقيمهم الاجتماعية، خصوصاً بين الشباب الجامعي.

2.2 نشأة وتطور مواقع التواصل الاجتماعي

بدأت فكرة مواقع التواصل الاجتماعي في أواخر التسعينيات، مع إطلاق أول منصة اجتماعية حقيقية تُعرف باسم **Six Degrees** عام 1997، التي أتاحت إنشاء ملفات شخصية والتواصل مع الأصدقاء، لكنها انتهت في 2001 بسبب قلة الاهتمام والمنافسة المحدودة.

في العقد الأول من الألفية الجديدة، ظهرت منصات مثل **MySpace** و**Friendster**، التي قدمت إمكانيات أكثر تطوراً، مثل تخصيص الصفحات وإضافة الوسائط المتعددة. على الرغم من توقف **Friendster**، نجح **MySpace** في جذب ملايين المستخدمين، خاصة الفنانين لمشاركة الموسيقى.

أحدثت **فيسبوك** عام 2004 ثورة في الشبكات الاجتماعية، تلاها **تويتر** 2006، و**يوتيوب** 2005، و**إنستغرام** 2010، مع ظهور تطبيقات مثل **واتساب** و**سناب شات**، بينما أحدث **تيك توك** 2016 ثورة في مجال الفيديوهات القصيرة التفاعلية.

يمثل هذا التطور انتقالاً من مجرد إنشاء الملفات الشخصية إلى المشاركة الفاعلة في المحتوى المتنوع، مما يعكس تغيراً في نمط الحياة الاجتماعية للشباب، حيث أصبح التفاعل اللحظي والمحتوى الترفيهي والتعليمي عنصراً أساسياً في حياتهم اليومية.

2.3 أنواع مواقع التواصل الاجتماعي

- **فيسبوك (Facebook)**: تأسست 2004، لإنشاء الحسابات الشخصية ومشاركة الملفات، الصور، والفيديوهات، ويبلغ عدد مستخدميها أكثر من 800 مليون شخص.

- **تويتر (Twitter):** منصة للتدوين المصغر منذ 2006، تسمح بنشر تحديثات نصية قصيرة ومتابعة الأخبار الفورية.
- **يوتيوب (YouTube):** موقع لمشاركة الفيديوهات منذ 2005، يشمل الأفلام والموسيقى والمحتوى التعليمي.
- **إنستغرام (Instagram):** تطبيق لمشاركة الصور والفيديوهات منذ 2010، مع فلاتر وقصص يومية، ويملكه فيسبوك حاليًا.
- **سناپ شات (Snapchat):** تطبيق للصور والفيديوهات المؤقتة منذ 2011، يتيح إضافة فلاتر ومؤثرات.
- **واتساب (WhatsApp):** تطبيق رسائل فورية منذ 2009، لإرسال النصوص والصور والفيديوهات عبر الإنترنت.
- **تيك توك (TikTok):** تطبيق للفيديوهات القصيرة بدأ 2016، يركز على المحتوى الترفيهي، ويتميز بخوارزميات ذكية لتخصيص المحتوى للمستخدمين.

2.4. تيك توك: نشأته وتطورات

تم تطوير تيك توك بواسطة شركة بايت دانس الصينية، وبدأ في الصين باسم Douyin 2016، ثم أُطلق عالميًا باسم TikTok 2017. يوفر التطبيق منصة لإنشاء وتبادل الفيديوهات القصيرة مع مؤثرات صوتية وموسيقية، مستهدفًا الشباب، خصوصًا الطلاب الجامعيين.

2.4.1 عوامل نجاح تيك توك

1. سهولة الاستخدام: واجهة بسيطة لتحميل وتحرير الفيديوهات حتى للمبتدئين.
2. الخوارزميات الذكية: اقتراح محتوى بناءً على اهتمامات المستخدم.
3. التفاعل الاجتماعي: الإعجابات، التعليقات، والمشاركة لتعزيز التواصل.

2.4.2 الخصائص الرئيسية

- مقاطع الفيديو القصيرة (<15 ثانية) لجذب المستخدمين.
- المؤثرات الصوتية والموسيقى، مع مكتبة واسعة للاختيار.
- التفاعل المستمر عبر عرض فيديوهات متتالية تتناسب مع اهتمامات المستخدم.
- أدوات الإبداع والتخصيص مثل الفلاتر والمؤثرات المرئية والكتابة.

2.4.3 أنماط المحتوى الشائع

- الرقصات والتحديات: التفاعل مع الأغاني والتحديات الجماعية.
- الفيديوهات التعليمية: مواضيع متعددة مثل العلوم، اللغات، الصحة.
- المحتوى الترفيهي: الميمات، السكيتشات الكوميدية، والألعاب التفاعلية.

نجاح تيك توك يعكس المزج بين الترفيه والإبداع والتفاعل الاجتماعي، مما يجعله منصة مؤثرة بشكل كبير على سلوك الشباب، سواء في التعبير عن الذات أو في تشكيل اهتماماتهم الثقافية والاجتماعية.

2.5 تأثيرات تيك توك على القيم والسلوكيات

2.5.1 التأثيرات الإيجابية

- الإبداع الشخصي: التعبير الفني المبتكر باستخدام أدوات التطبيق.
- التفاعل الاجتماعي بين ثقافات متعددة: تعزيز التفاهم والتواصل بين الشباب من خلفيات مختلفة.
- فرص العمل: تحويل الشهرة على التطبيق إلى مصدر دخل عبر الشراكات التجارية.

2.5.2 التأثيرات السلبية

- الإدمان: قضاء ساعات طويلة على التطبيق يؤثر على الأداء الأكاديمي.
 - التنمر الإلكتروني: التعرض للسخرية والضغط الاجتماعي.
 - نشر المعلومات المغلوطة: سرعة انتشار الأخبار المضللة وتأثيرها على المواقف والقيم.
- تُظهر التأثيرات الإيجابية والسلبية لتطبيق تيك توك أنه منصة ذات حدين؛ فهي تعزز الإبداع والتعلم والتفاعل الاجتماعي، لكنها قد تؤثر سلبًا على الانتباه الأكاديمي والقيم التقليدية إذا لم يتم استخدامها بطريقة مسؤولة.

2.6 الدراسات السابقة

1. دراسة^[1] Smith (2023) – The Impact of TikTok on Youth Behavior
أشارت الدراسة إلى أن الاستخدام المكثف لتطبيق "تيك توك" يؤدي إلى تراجع النشاطات اليومية لدى الشباب، ويعزز القيم الفردية أحيانًا على حساب القيم الاجتماعية التقليدية.
2. دراسة^[2] Lee & Chen (2022) – TikTok's Influence on Cultural Identity and Globalization Among Generation Z
أظهرت الدراسة أن تطبيق "تيك توك" يعزز العولمة الثقافية والتنوع بين الجيل Z، لكنه قد يشكل تهديدًا للهوية الثقافية المحلية.
3. دراسة^[3] Johnson (2022) – Social Media Usage and Its Effects on Academic Performance
أكدت الدراسة أن الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي يؤثر سلبًا على التحصيل الدراسي، بينما يمكن الاستفادة من المحتوى التعليمي إذا تم إدارة الوقت بشكل مناسب.
4. دراسة^[4] Patel & Kumar (2023) – TikTok as a Source of Information
بينت الدراسة أن تطبيق "تيك توك" يؤثر على المواقف السياسية ويزيد الوعي السياسي، لكنه قد ينشر معلومات مغلوطة أحيانًا.

5. دراسة Ahmed & Wang (2023) – The Role of TikTok in Shaping Moral Values Among Adolescents [5]

أظهرت الدراسة أن التطبيق يعزز الإبداع والتعاون بين المراهقين، لكنه قد يشجع أحياناً سلوكيات سطحية تؤثر على القيم الأخلاقية.

توضح الدراسات السابقة أن تأثير تيك توك متعدد الأبعاد: فهو يعزز الإبداع والوعي الثقافي والسياسي، لكنه قد يشكل تهديداً للهوية الثقافية المحلية والقيم الأخلاقية إذا لم يتم استخدامه بوعي وإشراف مناسب.

2.7 الخلاصة

تشير الأدلة إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي، وتطبيق تيك توك على وجه الخصوص، تلعب دوراً مزدوجاً في تشكيل القيم والسلوكيات لدى الشباب. فهي توفر فرصاً للإبداع والتفاعل الاجتماعي والتعلم، لكنها تحمل تحديات تتعلق بالإدمان، المعلومات المغلوطة، وتأثير المحتوى على القيم الأخلاقية والاجتماعية. لذلك، يصبح من الضروري تعزيز الاستخدام المسؤول والتوجيه الأكاديمي لضمان الاستفادة القصوى من هذه المنصات.

3. الجانب التطبيقي

3.1 مقدمة

يهدف هذا الفصل إلى توضيح المنهجية المتبعة في دراسة أثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي "تيك توك" على القيم والسلوك الأخلاقي لدى طلاب وطالبات كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري - السودان. ويتضمن الفصل تحديد مجتمع البحث وعينته، وعرض أداة جمع البيانات المستخدمة، بالإضافة إلى شرح الأساليب الإحصائية التي تم اعتمادها لتحليل البيانات واختبار فرضيات الدراسة.

كما يعرض هذا الفصل نتائج التحليل الإحصائي للبيانات الأولية، بدءاً من التحليل الوصفي للخصائص الديموغرافية لأفراد العينة، مروراً باختبارات صدق وثبات الاستبانة، وصولاً إلى اختبار الفرضيات الثلاثة باستخدام تقنيات التحليل الإحصائي المناسبة مثل تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA) واختبار t لعينتين مستقلتين.

ويهدف الفصل إلى تقديم رؤية واضحة عن العلاقة بين استخدام "تيك توك" وتردي القيم الأخلاقية والسلوك القويم لدى الطلاب والطالبات، لتسهيل فهم نتائج البحث واستخلاص التوصيات العلمية المبنية عليها.

3.2 مجتمع الدراسة:

يتكون أفراد مجتمع الدراسة من جميع طلاب وطالبات كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري - السودان.

3.3 عينة الدراسة:

هي جزء من مجتمع الدراسة تم اختيارها بطريقة عشوائية من أفراد مجتمع الدراسة. ليتم اجراء الدراسة عليها وتعميم نتائجها على جميع افراد مجتمع الدراسة حيث بلغ حجم العينة (64) طالب وطالبة من كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري - السودان.

3.4 أداة الدراسة:

لجمع البيانات الأولية من عينة الدراسة، من اجل الاجابة على اسئلة الدراسة والتحقيق من فرضياتها قام الباحث

بتصميم استبانة مكونة عدد من الاسئلة، واستند الباحث في صياغة اسئلة الاستبيان على مراجعة الادب النظري والدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع، وتم عرضها على عدد من الخبراء والمحكمين في المجال، وبعد اجراء بعض التعديلات من قبلهم خرجت الاستبانة بصورتها النهائية علي النحو التالي:

- عنوان الاستبانة

- المحور الاول: البيانات الاولية: تشمل (النوع، هل تستخدم تيك توك، المستوى الدراسي ، السكن، العمر).

- المحور الثاني: العلاقة بين تردي القيم الاخلاقية واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي متمثل في تيك توك، ويحتوي على 9 اسئلة.

- المحور الثالث: العلاقة بين السلوك القويم واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي متمثل في تيك توك ، ويشتمل على 14 سؤال.

واستخدم الباحث مقياس ليكرت الخماسي (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة)، للإجابة على اسئلة الاستبيان في المحورين الثاني والثالث.

3.5 الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل البحث:

خطوات إجراء تحليل التباين

1. نقدر تباين المجتمع من التباين بين متوسطات العينات (MSA)

2. نقدر تباين المجتمع من التباين داخل العينات (MSE)

3. نحسب النسبة $F = (MSA / MSE)$

$F = \frac{\text{التباين بين متوسط العينات}}{\text{التباين داخل العينات}}$

التباين داخل العينات

إذا كانت F المحسوبة أكبر من قيمة F الجدولية عند مستوى المعنوية ودرجات الحرية المعينة

فإن الفرض العدمي H_0 عن تساوي متوسطات المجتمعات، يرفض لصالح الفرض البديل، H_1 .

لتحقق من فرضيات الدراسة والكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تردي القيم الاخلاقية وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك من جهة . ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك من جهة اخرى. وكذلك اختبار ما اذا كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية في سلوك مستخدمي التيك توك بين الذكور (طلاب) والاناث (طالبات). تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية: الاحصاء الوصفي (التوزيع التكراري، النسب المئوية، الرسوم البيانية) حساب معامل ألفا كرونباخ لاختبار صدق وثبات الاستبيان، الاحصاء الاستقرائي (لاختبار الفرضين الاول والثاني باستخدام تحليل التباين one-way ANOVA . على النحو التالي:

ولاختبار الفرضية الثالثة تم استخدام اختبار t لعينتين مستقلتين بالخطوات التالية

صياغة الفرض :

فرض العدم

$$H_0: \mu_1 = \mu_2$$

اي لا توجد فروق في سلوك الذكور والاناث

فرض البديل

$$H_1: \mu_1 \neq \mu_2$$

- صياغة المعادلة:

لهذا الاختبار معادلتين تعتمدان على ما إذا كان تباين المتغير المتغير التابع في المجتمع الأول (σ_1^2) يساوي تباينه في المجتمع الثاني (σ_2^2) أو لا يساويه.
المعادلة الأولى: إذا كان تباين المجتمعين متساويين فإنه يتم استخدام احصائية الاختبار التالية لحساب قيمة (t) المحسوبة

$$t = \frac{(\bar{X}_1 - \bar{X}_2) - d}{\sqrt{\frac{(n_1 - 1)s_1^2 + (n_2 - 1)s_2^2}{n_1 + n_2 - 2}} \times \sqrt{\frac{1}{n_1} + \frac{1}{n_2}}}$$

حيث أن:

 $\bar{X}_1$: متوسط المتغير الأول (الذكور) $\bar{X}_2$: متوسط المتغير الثاني (الاناث) n_1 : عدد الذكور ، n_2 : عدد الاناث s_1^2 تباين المتغير الأول (الذكور)، s_2^2 : تباين للمتغير الثاني (الاناث)

d : الفرق المفترض بين المتوسطين

أي توجد فروق في سلوك الذكور والاناث

المعادلة الثانية: إذا كان تباين المجتمعين غير متساويين فإنه يتم استخدام احصائية الاختبار التالية في حساب قيمة (t) المحسوبة والتي تسمى باحصائية اختبار ويلتش Welch's Test statistic. هي:

$$t = \frac{(\bar{X}_1 - \bar{X}_2) - d}{\sqrt{\frac{s_1^2}{n_1} + \frac{s_2^2}{n_2}}}$$

قيمة (t) الجدولية :

وهذه الإحصائية تتبع توزيع : الاحتمالي ب درجات حرية

تساوي $df = n_1 + n_2 - 2$ ، أي أن $t \sim t_{(n+n2-2)}$.

- الاختيار بين القيمتين (t) (المعادلة الأولى والثانية) :
نستخدم اختبار (F) لاختبار أي الاختبارين ل (t) نعتمد عليه في اتخاذ القرار الإحصائي وذلك باختبار الفرضية التالية:

H_0 : تباين المتغير التابع في مجتمعي الدراسة متساويان، (أي $\sigma_1^2 = \sigma_2^2$).

H_1 : تباين المتغير التابع في مجتمعي الدراسة غير متساويين، ($\sigma_1^2 \neq \sigma_2^2$).

فإذا تم «قبول» فرضية العدم فإنه يتم استخدام نتائج إحصائية الاختبار الأولى أما إذا تم رفض فرضية العدم فإنه يتم استخدام نتائج إحصائية الاختبار الأخرى

للحصول على نتائج دقيقة قدر الإمكان ، قام الباحث باستخدام برنامج التحليل الإحصائي SPSS ، و الذي يشير اختصارا إلى الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Sciences.

3.6 تحليل البيانات وعرض نتائج الدراسة ومناقشتها

1- صدق وثبات أداة الدراسة:

يقصد بثبات الاستبانة أنها تعطي نفس النتيجة فيما إذا تم إعادة توزيع الاستبانة أكثر من مرة، تحت نفس الظروف والشروط، أو بعبارة أخرى، أن ثبات الاستبانة يعني الاستقرار في نتائج الاستبانة، وعدم تغييرها بشكل كبير فيما إذا تم إعادة توزيعها على أفراد العينة، عدة مرات، خلال فترات زمنية معينة، ويقاس الثبات بمعامل (ألفا كرونباخ). أما الصدق فهو مقياس يستخدم لمعرفة مدى اتساق جميع فقرات الاستبانة مع المحور الذي تنتمي إليه أي أن العبارة تقيس ما وضعت لقياسه ولا شيء آخر، ويحسب الصدق بطرق عديدة أسهلها كونه يمثل الجذر التربيعي لمعامل الثبات. وتتراوح قيمة كل من الصدق والثبات بين الصفر والواحد الصحيح. وتجدر الإشارة على أن معامل الثبات (ألفا كرونباخ) يكون مقبولا إحصائيا إذا زاد عن (0.60).

الجدول رقم (1) يبين قيمة معامل ألفا كرونباخ لعبارات الاستبانة

عدد العبارات	الثبات (قيمة معامل ألفا كرونباخ)	الصدق
24	0.81	0.90

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

يتضح من الجدول (1) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ (الثبات) مرتفعة جدا (0.81)، وكذلك نلاحظ أن قيمة معامل الصدق تساوي (0.90) وهذا دليل على أن الاستبيان يتمتع بثبات وصدق عالي جدا، مما يجعله مقبولا لتحقيق أغراض الدراسة، ويجعل التحليل الإحصائي سليماً ومقبولاً علمياً.

2- التحليل الوصفي للبيانات الأولية للاستبيان:

الجدول التالي توضح التحليل الوصفي للبيانات الأولية للاستبانة على النحو التالي:

المحور الأول: البيانات الديموغرافية

جدول رقم (2) توزيع عينة الدراسة حسب النوع والعمر

المتغير	الفئة	التكرار (عدد)	النسبة المئوية (%)
الجنس	ذكور	13	45%
الجنس	إناث	17	55%

المتغير	الفئة	التكرار (عدد)	النسبة المئوية(%)
الفئة العمرية	أقل من 20 سنة	3	10%
الفئة العمرية	20 – 25 سنة	19	65%
الفئة العمرية	أكثر من 25 سنة	8	25%

يتضح من الجدول رقم (2) أن نسبة الإناث تفوق نسبة الذكور، وهو ما يتوافق مع الاتجاهات الحديثة التي تشير إلى انتشار استخدام تطبيق "تيك توك" بين الفتيات بصورة أكبر. كما تمثل الفئة العمرية (20-25 سنة) الغالبية العظمى من العينة، وهي الفئة الجامعية الأكثر نشاطاً على المنصات الرقمية والأكثر تأثراً بالمحتوى الثقافي والاجتماعي.

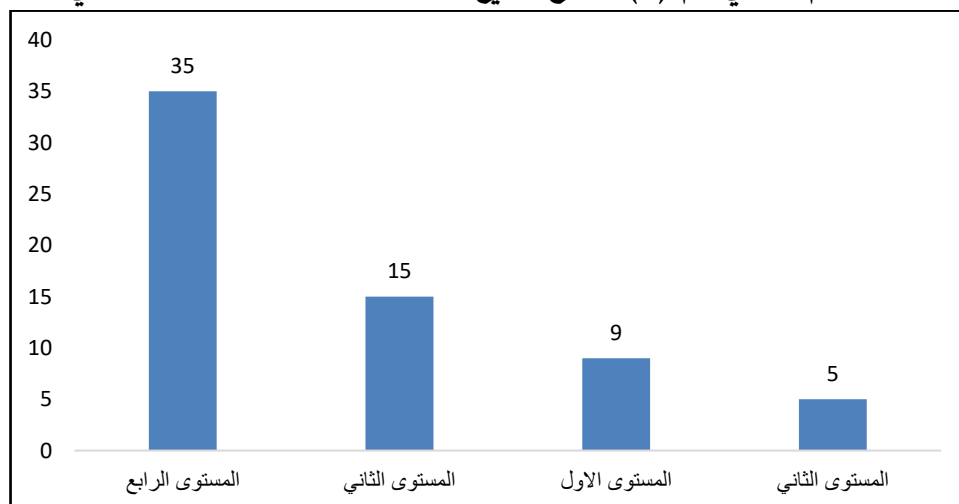
الجدول رقم (3) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

ت	رارات	ب المئوية
المستوى الرابع	35	54.8%
المستوى الثاني	15	23.4%
المستوى الأول	9	14%
المستوى الثاني	5	7.8%
مالي	64	100%

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

يتضح من الجدول رقم (3) أعلاه إن 54.8% من أفراد العينة هم من طلاب وطالبات المستوى الرابع، وهي النسبة الاعلى بين كل المستويات. ويليه من هم في المستوى الثاني بنسبة 23.4%. ثم من هم في المستوى الاول بنسبة 14% ثم من هم في المستوى الثاني بنسبة 7.8%، كما ما هو معلوم ان جميع هؤلاء (64) الطلاب والطالبات يدرسون في كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري - السودان.

الرسم البياني رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي



المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

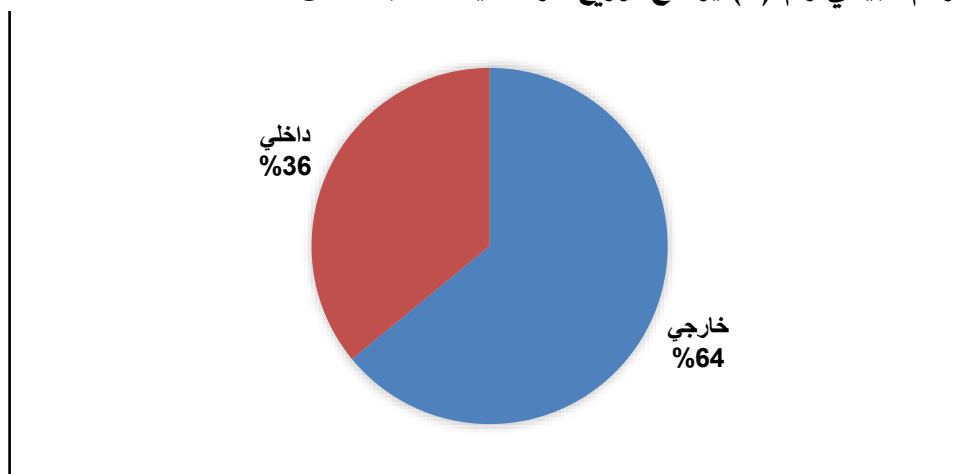
الجدول رقم (4) يوضح توزيع أفراد العينة حسب السكن

ات	نارات	ب المئوية
خارجي	41	%64.1
داخلي	23	%35.9
مالي	64	%100

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

يلاحظ من الجدول رقم (4) أعلاه إن اغلب طلاب وطالبات يسكنون في سكن خارجي بنسبة بلغت تقريبا 64%، واما من هم يسكنون سكن داخلي (داخلية) بلغت نسبتهم تقريبا 36% من اجمالي افراد العينة.

الرسم البياني رقم (2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب السكن



المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

المحور الثاني: عادات الاستخدام

جدول رقم (5) توزيع عينة الدراسة مدة ومكان الاستخدام اليومي لتيك توك

بند الاستخدام	الفئة	التكرار (عدد)	النسبة المئوية (%)
مدة الاستخدام اليومي	أقل من ساعة	3	10%
مدة الاستخدام اليومي	1 - 2 ساعة	6	20%
مدة الاستخدام اليومي	أكثر من ساعتين	21	70%
مكان الاستخدام	المنزل	18	60%
مكان الاستخدام	السكن الجامعي	6	20%
مكان الاستخدام	أماكن أخرى	6	20%
وسيلة الوصول للتطبيق	الهاتف الذكي	28	92%
وسيلة الوصول للتطبيق	الأجهزة اللوحية أو الحاسوب	2	8%

تشير النتائج إلى أن الغالبية العظمى من المشاركين يستخدمون تطبيق تيك توك لأكثر من ساعتين يومياً، مما يدل على ارتفاع مستوى الارتباط والاستخدام المكثف الذي قد يصل إلى درجة الإدمان الجزئي. كما أن الاستخدام يتم في الغالب داخل المنزل، أي في أوقات الفراغ بعيداً عن الرقابة أو التوجيه المباشر. ويُلاحظ الاعتماد شبه الكامل على الهواتف الذكية (92%)، ما يعكس سهولة الوصول وسرعة التفاعل مع المحتوى القصير والمرئي.

المحور الثالث: الإشباعات المحققة من استخدام تيك توك

جدول رقم (6) توزيع عينة الدراسة حسب الإشباعات المحققة من استخدام تيك توك

نوع الإشباع	المتوسط الحسابي (من 5)	الترتيب	التفسير
الإشباع الترفيهي	4.0	1	مرتفع جدًا - يدل على دافع ترفيهي أساسي للاستخدام
الإشباع الاجتماعي (التواصل والتفاعل)	3.3	2	متوسط - يعكس اهتمامًا بالتفاعل والمشاركة
الإشباع المعرفي والثقافي	2.1	3	منخفض - ضعف الاستفادة المعرفية والثقافية
الإشباع الذاتي (الثقة والتعبير عن الذات)	2.9	4	متوسط - بعض المستخدمين يوظفون التطبيق للتعبير الشخصي

يتضح أن الدافع الترفيهي هو المحرك الأساسي لاستخدام تيك توك بين الشباب الجامعي، في حين أن الإشباعات المعرفية والثقافية تأتي في أدنى المستويات، مما يشير إلى أن التطبيق يُستخدم بصورة ترفيهية أكثر من كونه وسيلة تعليمية أو تثقيفية. كما يظهر أن بعض المستخدمين يوظفون المنصة للتعبير عن الذات وبناء الثقة، لكن هذه الفائدة تبقى محدودة مقارنة بالأثر الترفيهي الغالب.

المحور الرابع: أثر استخدام تيك توك على القيم الأخلاقية

جدول رقم (7) توزيع عينة الدراسة حسب تأثير استخدام تيك توك على القيم الأخلاقية

نوع الأثر	التكرار (عدد)	النسبة المئوية (%)	المتوسط الحسابي (من -2 إلى +2)
تأثير سلبي واضح	15	50%	-0.6
تأثير محايد	10	33%	0
تأثير إيجابي طفيف	5	17%	+0.3

تشير النتائج إلى أن نصف العينة تقريبًا ترى أن لتطبيق تيك توك تأثيرًا سلبيًا على القيم الأخلاقية، خاصة في ما يتعلق بتقليد المشاهير، والانفتاح غير المنضبط على الثقافات الغربية، وانتشار السلوكيات غير المتوافقة مع الأعراف الجامعية والمجتمعية. في المقابل، يرى عدد محدود من المشاركين أثرًا إيجابيًا يتمثل في تعزيز الثقة بالنفس والتعبير عن الذات. وهذا يبرز الحاجة إلى وعي رقمي وتوجيه تربوي للحد من الانعكاسات السلبية المحتملة.

3.7 اختبار الفرضيات:

الفرضية الأولى:

فرض العدم: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تردي القيم الأخلاقية وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك.

فرض البديل: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تردي القيم الأخلاقية وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك.

الجدول رقم (8) يوضح نتائج تحليل التباين الاحادي one way-ANOVA لاختبار صحة الفرضية الاولى

الاخلاق	Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
Between Groups	8.360	2	4.180	6.658	.002
Within Groups	38.295	61	.628		
Total	46.654	63			

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

يلاحظ من الجدول (8) ان القيمة الاحتمالية المقابلة لاختبار F تساوي (sig=0.002) وهي اقل من مستوى المعنوية الاحصائية (0.05). عليه نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تردى القيم الاخلاقية وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك عند مستوى معنوية (0.05). وهذا يدل على وجود اختلاف في القيم الاخلاقية بين مستخدمي التيك توك ضمن الثلاثة خيارات (نعم، لا، احيانا) وهذا يدفعنا لاجراء اختبارات المقارنة المتعددة لبونفيرني (Bonferroni) للكشف عن الفروق الاحصائية.

الجدول رقم (9) يوضح نتائج اختبارات المقارنة المتعددة لبونفيرني (Bonferroni) للكشف عن الفروق الاحصائية للفرضية الاولى

(I) هل تستخدم تطبيق تيك توك	(J) هل تستخدم تطبيق تيك توك	Mean Difference (I-J)	Std. Error	Sig.	95% Confiden ce Interval Lower Bound	95% Confiden ce Interval Upper Bound
نعم	لا	-.93932*	.28829	.006	-1.6490	-.2296
	احيانا	-.64303	.30303	.114	-1.3890	.1030
لا	نعم	.93932*	.28829	.006	.2296	1.6490
	احيانا	.29630	.38500	1.000	-.6515	1.2441
احيانا	نعم	.64303	.30303	.114	-.1030	1.3890
	لا	-.29630	.38500	1.000	-1.2441	.6515

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

من الجدول رقم (9) نلاحظ الاتي

- وجود اختلاف (فروق) في تردى القيم الاخلاقية بين مستخدمي التيك توك (اجابوا بنعم) وبين الذين لا يستخدمون التيك توك (الذين اجابوا بلا)، وذلك لان القيمة الاحتمالية للاختبار تساوي (Sig=0.006) مما يدفعنا لرفض فرض العدم.
- لا يوجد اختلاف (فروق) في تردى القيم الاخلاقية بين مستخدمي التيك توك بشكل دائم (الذين اجابوا بنعم) وبين الذين يستخدمونه احيانا (الذين اجابوا باحيانا)، وذلك لان القيمة الاحتمالية للاختبار تساوي (Sig=0.114) مما يدفعنا لقبول فرض العدم.

- وجود تكافؤ بين القيم الاخلاقية بين الذين لا يستخدمون التيك توك (الذين اجابوا بلا) وبين الذين يستخدمونه احيانا (الذين اجابوا باحيانا)، وذلك لان القيمة الاحتمالية للاختبار تساوي (Sig=1.00) بالتالي نقبل فرض العدم.
الفرضية الثانية:

فرض العدم: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك.

فرض البديل: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك

الجدول رقم (10) يوضح نتائج تحليل التباين الاحادي one way-ANOVA لاختبار صحة الفرضية الاولى

السلوك	Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
Between Groups	3.646	2	1.823	5.540	.006
Within Groups	20.074	61	.329		
Total	23.720	63			

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

يلاحظ من الجدول (9) ان القيمة الاحتمالية المقابلة لاختبار F تساوي (sig=0.006) وهي اقل من مستوى المعنوية الاحصائية (0.05) . عليه نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل وهذا يعني هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات وما بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تيك توك. عند مستوى معنوية (0.05). وهذا يدل على وجود اختلاف السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات بين مستخدمي التيك توك ضمن الثلاثة خيارات (نعم، لا، احيانا) وهذا يحتم علينا اجراء اختبارات المقارنة المتعددة لبونفيرني (Bonferroni) للكشف عن الفروق الاحصائية.

الجدول رقم (11) يوضح نتائج اختبارات المقارنة المتعددة لبونفيرني (Bonferroni) للكشف عن الفروق الاحصائية للفرضية اثنائية

(I) هل تستخدم تطبيق تيك توك	(J) هل تستخدم تطبيق تيك توك	Mean Difference (I-J)	Std. Error	Sig.	95% Confidence Interval	
					Lower Bound	Upper Bound
نعم	لا	.69125*	.20873	.005	.1774	1.2051
	احيانا	.03848	.21940	1.000	-.5016	.5786
لا	نعم	-.69125*	.20873	.005	-1.2051	-.1774
	احيانا	-.65278	.27875	.067	-1.3390	.0334
احيانا	نعم	-.03848	.21940	1.000	-.5786	.5016
	لا	.65278	.27875	.067	-.0334	1.3390

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

من الجدول رقم (11) نلاحظ الاتي

- وجود اختلاف (فروق) في السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات بين مستخدمي التيك توك (اجابوا بنعم) وبين الذين لا يستخدمون التيك توك (الذين اجابوا بلا)، وذلك لان القيمة الاحتمالية للاختبار تساوي (Sig=0.005) لذلك نرفض فرض العدم.
- يوجد تكافؤ في السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات بين مستخدمي التيك توك بشكل دائم (الذين اجابوا بنعم) وبين الذين يستخدمونه احيانا (الذين اجابوا باحيانا)، وذلك لان القيمة الاحتمالية للاختبار تساوي (Sig=1.0) مما يدفعنا لقبول فرض العدم.
- لا يوجد اختلاف (فروق) في السلوك القويم لدى الطلاب وطالبات بين الذين لا يستخدمون التيك توك (اجابوا بلا) وبين الذين يستخدمونه احيانا (اجابوا باحيانا)، وذلك لان القيمة الاحتمالية للاختبار تساوي (Sig=0.067) بالتالي نقبل فرض العدم.

الفرضية الثالثة:

فرض العدم: لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في سلوك مستخدمي التيك توك بين الذكور والاناث.

فرض البديل: توجد فروق ذات دلالة احصائية في سلوك مستخدمي التيك توك بين الذكور والاناث.

الجدول رقم (12) يوضح ملخص نتائج اختبار t لعينين مستقلتين لكل نوع (ذكر او انثى) لاختبار الفرضية الثالثة

Group Statistics					
	النوع	N	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
السلوك	ذكر	44	3.6273	.50019	.07541
	انثى	20	3.7900	.81428	.18208

المصدر: من اعداد الباحث من نتائج دراسة الحالة، برنامج SPSS-V25

يلاحظ من الجدول رقم (11) ان متوسط الاجوبة عن السلوك القويم يكاد يكون متساوي بين الطلاب (3.62) والطالبات (3.79)

الجدول رقم (13) يوضح نتائج اختبار t لعينين مستقلتين لاختبار الفرضية الثالثة

Independent Samples Test									
		Levene's Test for Equality of Variances		t-test for Equality of Means					
		F	Sig.	t	df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	Std. Error Difference	95% Confidence Interval
									Lower Upper
السلوك	Equal variances assumed	3.764	.057	-.983	62	.329	-.16273	.16552	-.49360 .16815
	Equal variances not assumed			-.826	25.742	.417	-.16273	.19708	-.56802 .24257

من الجدول رقم (13) نختبر تساوي التباين بين متوسطي (الطلاب والطالبات) باستخدام اختبار F تستخدم لتحديد إي القيمتين من قيم Sig -2tailed تستخدم للاختبار. وبما إن قيمة الاحتمالية المقابلة لاختبار F تساوي (Sig=0.057)

أكبر من مستوى المعنوية (0.05) عليه نقبل فرض العدم أي بتساوي تباين بين متوسطي (الطلاب والطالبات) لذا سوف تستخدم القيمة الاحتمالية لاختبار 2-tail Sig التي تقابل Equal variance في قبول أو رفض فرض العدم. ونلاحظ أن هذه القيمة تساوي (Sig=0.329) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) عليه فإننا نقبل فرض العدم القائل لا توجد فروق إحصائية بين سلوك مستخدمي التيك توك بين الطلاب والطالبات.

4. النتائج والتوصيات

4.1 مقدمة :

بعد الانتهاء من جمع البيانات وتحليلها إحصائياً باستخدام أداة الاستبانة وبرنامج SPSS ، أصبح بالإمكان عرض نتائج الدراسة المتعلقة بأثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي "تيك توك" على القيم الأخلاقية والسلوك القويم لدى طلاب وطالبات كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري - السودان.

يهدف هذا الجزء من الدراسة إلى تقديم نتائج واضحة ومفصلة حول العلاقة بين استخدام "تيك توك" وبين تردي القيم والسلوك القويم، بالإضافة إلى تقديم توصيات عملية وعلمية تستند إلى هذه النتائج، بغرض تعزيز السلوكيات الإيجابية وتقليل التأثيرات السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي على الطلاب.

أولاً: نتائج الدراسة:

استناداً إلى التحليل الإحصائي للبيانات المستخلصة من عينة الدراسة المكونة من 64 طالباً وطالبة في كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة بحري - السودان، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. الخصائص الديموغرافية للعينة:

- يشكل الذكور نسبة 68.8% من العينة، بينما تشكل الإناث 31.3%.
- أغلب الطلاب يستخدمون تطبيق "تيك توك" بنسبة 73.4%، في حين أن 14.1% لا يستخدمونه و 12.5% يستخدمونه أحياناً.
- تتوزع مستويات الطلاب على النحو التالي: المستوى الرابع 54.8%، المستوى الثاني 23.4%، المستوى الأول 14%، والمستوى الثالث 7.8%.
- يعيش 64.1% من الطلاب في سكن خارجي، بينما 35.9% في السكن الداخلي.
- تتراوح أعمار معظم الطلاب فوق 26 سنة بنسبة 59.4%، و 35.9% بين 20 و 25 سنة، و 4.7% أقل من 20 سنة.

2. صدق وثبات أداة البحث:

- أظهرت الاستبانة مستوى عالي من الثبات ($\alpha=0.81$) والصدق (0.90)، مما يجعلها مناسبة للتحليل الإحصائي واختبار الفرضيات.

3. اختبار الفرضيات:

- **الفرضية الأولى:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تردي القيم الأخلاقية واستخدام "تيك توك"، إذ يختلف مستخدمو التطبيق بشكل دائم عن غير المستخدمين في القيم الأخلاقية.
- **الفرضية الثانية:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين السلوك القويم لدى الطلاب والطالبات واستخدام "تيك توك"، حيث يظهر اختلاف في السلوك القويم بين المستخدمين الدائمين وغير المستخدمين.
- **الفرضية الثالثة:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في سلوك مستخدمي "تيك توك"، إذ كان المتوسط متقارباً بين الجنسين.

ثانياً: توصيات الدراسة:

على ضوء النتائج التي تم التوصلت لها الدراسة تم التوصل الي التوصيات الآتية:
استناداً إلى نتائج الدراسة، توصي الدراسة بما يلي:

1. زيادة الوعي لدى الطلاب الجامعيين حول التأثيرات السلبية لاستخدام "تيك توك" على القيم والسلوكيات الأخلاقية.
2. تشجيع الاستخدام الإيجابي للتطبيقات الاجتماعية عبر المحتوى التعليمي والثقافي الذي يعزز القيم والسلوك القويم.
3. تطوير برامج توجيهية وإرشادية داخل الجامعات لمساعدة الطلاب على تنظيم وقتهم على وسائل التواصل الاجتماعي بطريقة صحية ومتوازنة.
4. إجراء المزيد من الدراسات المستقبلية على عينات أوسع وفي جامعات مختلفة لدراسة تأثير منصات التواصل الاجتماعي الأخرى على القيم والسلوكيات الأخلاقية.
5. تقديم توصيات للباحثين والمربين لتصميم برامج تعليمية وتربوية تستفيد من المنصات الرقمية بطريقة إيجابية لدعم السلوك القويم والقيم الأخلاقية.

المراجع والمصادر :

المراجع

1. Smith, J. (2023). *The Impact of TikTok on Youth Behavior*. Journal of Social Media Studies, 12(3), 45–62.
- تأثير تيك توك على سلوك الشباب: الاستخدام المكثف يؤدي لتراجع النشاطات اليومية ويعزز القيم الفردية أحياناً على حساب القيم الاجتماعية التقليدية.
2. Lee, A., & Chen, Y. (2022). *TikTok's Influence on Cultural Identity and Globalization Among Generation Z*. International Journal of Cultural Studies, 18(4), 77–95.
- تأثير تيك توك على الهوية الثقافية والعولمة لدى الجيل Z: يعزز العولمة الثقافية والتنوع لكنه قد يهدد الهوية الثقافية المحلية.
3. Johnson, R. (2022). *Social Media Usage and Its Effects on Academic Performance*. Educational Research Review, 15(2), 33–50.
- استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيره على التحصيل الدراسي: الاستخدام المفرط يؤثر سلباً، بينما يمكن الاستفادة من المحتوى التعليمي عند إدارة الوقت بشكل مناسب.
4. Patel, S., & Kumar, N. (2023). *TikTok as a Source of Information*. Journal of Media & Communication, 20(1), 101–120.
- تيك توك كمصدر للمعلومات: التطبيق يؤثر على المواقف السياسية ويزيد الوعي السياسي، لكنه قد ينشر معلومات مغلوطة.
5. Ahmed, L., & Wang, H. (2023). *The Role of TikTok in Shaping Moral Values Among Adolescents*. Journal of Youth Studies, 21(3), 55–74.
- دور تيك توك في تشكيل القيم الأخلاقية لدى المراهقين: يعزز الإبداع والتعاون لكنه قد يشجع أحياناً سلوكيات سطحية تؤثر على القيم الأخلاقية.

6. Brown, T., & Davis, M. (2021). *Digital Media and Student Behavior*. Journal of Educational Technology, 10(2), 23-40.
 - الإعلام الرقمي وسلوك الطلاب: يوضح تأثير وسائل التواصل على السلوكيات اليومية والتحصيل الأكاديمي.
7. Al-Shehri, F. (2020). *Social Media and Cultural Values in Saudi Youth*. Middle East Journal of Social Sciences, 7(1), 15-30.
 - وسائل التواصل الاجتماعي والقيم الثقافية لدى الشباب السعودي: التركيز على تأثير المنصات الرقمية على القيم المحلية.
8. Wang, Y., & Li, X. (2022). *Adolescents' Moral Development and Online Platforms*. Journal of Child and Adolescent Studies, 19(2), 88-105.
 - التطور الأخلاقي للمراهقين والمنصات الرقمية: تحليل العلاقة بين استخدام التطبيقات والسلوك القيمي.

Modélisation épidémiologique spatiale de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* à partir des données de l'incidence de la dernière décennie dans la zone de santé rurale d'Oicha au Nord Kivu en RD Congo

Bailanda Mumbere Pascal^{1,2,6}, Kahindo Nzalamingi Anselme⁵, Kimbilwa Katavali Emery⁷, Kakule Kithanga Jean de Dieu⁷, Kambale Mbakwiravyo Obede⁵, Mumbere Muvunga Shukuru⁵, Kule Kyusa Archip⁷, Nzanu Ndulutulu Joachin⁷, Kambale Soheranda Sadraka⁷, Manwa Budwaga Baudouin⁴, Wembo Ndeo Oscar³, Barhwamire Kabesha Theophile⁴, Muhindo Sahani Walere², Paluku Sabuni Louis³

1. Université Officielle de Semuliki de Beni, République Démocratique du Congo

2. Université Catholique du Graben de Butembo, République Démocratique du Congo

3. Université Officielle de Ruwenzori de Butembo, République Démocratique du Congo

4. Université officielle de Bukavu, République Démocratique du Congo

5. Institut Supérieur Pédagogique d'Oicha, République Démocratique du Congo

6. Centre Hospitalier le Rocher d'Oicha, République Démocratique du Congo.

7. Zone de santé rurale d'Oicha, République Démocratique du Congo.

Auteur correspondant : drbailanda1@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/18>

Reçu le 07/10/2025

Accepté le 15/10/2025

Publié le 01/11/2025

Résumé

Introduction : La bilharziose, ou schistosomiase, constitue l'une des maladies parasitaires les plus importantes en termes de morbidité dans les régions tropicales et subtropicales. Elle est causée par des vers plats du genre *Schistosoma*, dont *Schistosoma mansoni* responsable de la forme intestinale. La **modélisation épidémiologique spatiale** s'impose aujourd'hui comme un outil précieux pour mieux comprendre, prédire et visualiser la dynamique de transmission de la bilharziose dans l'espace et le temps. L'objectif de l'étude était d'évaluer l'évolution spatio-temporelle de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha, en utilisant les données de prévalence de la dernière décennie et la méthode du rapport à la tendance, afin d'identifier les foyers de transmission persistants et d'orienter les interventions de contrôle de manière ciblée.

Matériel et méthodes : Il s'agissait d'une **étude épidémiologique spatiale sur les habitants de la zone de santé d'Oicha** dont les données épidémiologiques humaines de l'incidence de la décennie (2015-2024) étaient chiffrées à 4 731, récoltées durant deux mois, soit du 1^{er} Janvier au 1^{er} mars 2025 ; sélectionnées et extraites à partir des canevas du **Système National d'Information Sanitaire (SNIS)** en utilisant une approche d'**échantillonnage exhaustif** des enregistrements disponibles pour la zone de santé rurale d'Oicha.

Résultats : Les périodes à risque étaient en 2016, 2020 et 2023 ; les périodes où l'incidence avaient diminué : 2018, 2022 et 2024. La variable aléatoire normale réduite vaut : $Z = 0,2399/\sqrt{0,00231} = 4,9914$, et donc $P(Z \geq 4,9914) = 0,000$. Le coefficient kappa de Cohen est très hautement significatif. Le classement, qui donne lieu à un léger accord, n'est donc pas l'effet du hasard. Les limites de confiance du Kappa ainsi estimé, au seuil de signification $\alpha = 0,05$, sont $0,2399 \pm 1,96\sqrt{0,00231}$, soit 0,146 et 0,334. L'incidence de la bilharziose à *S. mansoni* est **fortement influencée par les conditions écologiques des mollusques vecteurs**.

Conclusion : La modélisation épidémiologique spatiale constitue un outil précieux pour la planification et l'orientation des programmes de contrôle, en permettant de prioriser les aires de santé les plus vulnérables et d'optimiser l'allocation des ressources. Elle met en évidence la nécessité d'une approche intégrée associant interventions médicales, environnementales et communautaires pour réduire durablement la charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha.

Mots Clés: Modélisation épidémiologique, Bilharziose, incidence, décennie, ZSR Oicha.

RESEARCH TITLE

Spatial Epidemiological Modeling of Schistosomiasis (*Schistosoma mansoni*) Based on Incidence Data from the Last Decade in the Rural Health Zone of Oicha, North Kivu, DR Congo

Abstract

Introduction: Schistosomiasis, or bilharzia, is one of the most important parasitic diseases in terms of morbidity in tropical and subtropical regions. It is caused by flatworms of the genus *Schistosoma*, including *Schistosoma mansoni*, which is responsible for the intestinal form. Spatial epidemiological modeling has emerged as a valuable tool to better understand, predict, and visualize the transmission dynamics of bilharzia in space and time.

The objective of this study was to assess the spatiotemporal evolution of *Schistosoma mansoni* bilharzia in the rural health zone of Oicha, using prevalence data from the last decade and the trend ratio method, in order to identify persistent transmission foci and guide targeted control interventions.

Material and methods: This was a spatial epidemiological study on the inhabitants of the Oicha health zone whose human epidemiological incidence data for the decade (2015-2024) were estimated at 4,731, collected over two months, from January 1 to March 1, 2025; selected and extracted from the National Health Information System (SNIS) framework using an exhaustive sampling approach of the records available for the rural health zone of Oicha.

Results: The risk periods were in 2016, 2020 and 2023; the periods where the prevalence had decreased: 2018, 2022 and 2024. The reduced normal random variable is: $Z=0.2399/\sqrt{0.00231}=4.9914$, and therefore $P(Z\geq 4.9914)=0.000$. Cohen's kappa coefficient is very highly significant. The ranking, which gives rise to a slight agreement, is therefore not the effect of chance. The confidence limits of the Kappa thus estimated, at the significance threshold $\alpha=0.05$, are $0.2399\pm 1.96\sqrt{0.00231}$, or 0.146 and 0.334. The incidence of *S. mansoni* bilharzia is strongly influenced by the ecological conditions of the vector mollusks.

Conclusion: Spatial epidemiological modeling is a valuable tool for planning and guiding control programs, enabling the prioritization of the most vulnerable health areas and optimizing resource allocation. It highlights the need for an integrated approach combining medical, environmental, and community interventions to sustainably reduce the burden of *Schistosoma mansoni* bilharzia in the Oicha rural health zone.

Key Words: Epidemiological modeling, Schistosomiasis, incidence, decade, Oicha SRZ.

1.Introduction

La bilharziose, ou schistosomiase, constitue l'une des maladies parasitaires les plus importantes en termes de morbidité dans les régions tropicales et subtropicales. Elle est causée par des vers plats du genre *Schistosoma*, dont *Schistosoma mansoni* responsable de la forme intestinale. La transmission de cette parasitose est étroitement liée à des facteurs environnementaux, sociaux et comportementaux, notamment la présence de plans d'eau douce infestés par des mollusques du genre *Biomphalaria*. La **modélisation épidémiologique spatiale** s'impose aujourd'hui comme un outil précieux pour mieux comprendre, prédire et visualiser la dynamique de transmission de la bilharziose dans l'espace et le temps. En intégrant les données épidémiologiques (prévalence, intensité d'infection), écologiques (température, végétation, précipitations, hydrologie), géographiques (coordonnées GPS, proximité des rivières ou marécages), et sociales (pratiques de contact avec l'eau) [1].

En France, bien que la bilharziose soit historiquement considérée comme une maladie tropicale, la **découverte de foyers autochtones de *Schistosoma* en Corse depuis 2013**, et les **flux migratoires en provenance de zones endémiques d'Afrique subsaharienne**, soulèvent de **nouvelles préoccupations de santé publique en France métropolitaine et dans les territoires d'outre-mer**. Dans ce contexte, *Schistosoma mansoni* devient une espèce d'intérêt, notamment dans les **territoires ultramarins français**, où des cas autochtones ont été recensés [2].

En Angleterre, la bilharziose à *Schistosoma mansoni*, n'est pas une maladie endémique. Toutefois, le pays est confronté à une **augmentation notable de cas importés**, principalement chez les **migrants, réfugiés, demandeurs d'asile et voyageurs** revenant d'Afrique subsaharienne. Ces cas sont souvent asymptomatiques ou sous-diagnostiqués, ce qui représente un **défi pour les services de santé** peu familiarisés avec cette parasitose. Les patients infectés par *S. mansoni* arrivent majoritairement de zones endémiques comme l'Érythrée, l'Éthiopie, le Nigeria ou le Soudan. Or, le NHS (National Health Service) ne dispose pas d'un **système de surveillance systématique** de la schistosomiase, et les cas sont souvent identifiés de manière opportuniste dans les services de maladies infectieuses [3,4].

Le Canada a connu une **augmentation significative du nombre de cas importés de la bilharziose à *Schistosoma mansoni***, en lien avec l'**immigration** en provenance de zones endémiques ainsi que les **voyages internationaux**. Le **système de santé canadien**, bien qu'avancé, est confronté à des défis en matière de **diagnostic précoce**, de **sensibilisation des professionnels de santé**, et de **suivi spatial des cas de la maladie à *Schistosoma***, qui restent souvent sous-déclarés ou détectés tardivement. Ces limites compromettent l'identification des foyers d'exposition à l'étranger, et la prise en charge ciblée dans les communautés à risque. La **modélisation épidémiologique spatiale** s'impose comme un outil essentiel pour **cartographier la répartition spatiale des cas importés** à l'échelle locale, pour **identifier les zones de concentration de populations migrantes exposées** dans leur pays d'origine et **aider à la planification des stratégies de dépistage et de sensibilisation**, dans une optique de santé publique préventive [5].

L'Australie est concerné par un nombre croissant de **cas importés** de bilharziose liés aux mouvements migratoires, aux voyages internationaux, et à la présence d'une diaspora provenant de zones endémiques, notamment d'Afrique et d'Amérique latine. Ces cas représentent un enjeu de santé publique émergent, principalement en termes de **diagnostic précoce**, **prise en charge clinique et surveillance épidémiologique**. La diversité géographique du pays, ainsi que ses vastes zones rurales et urbaines, rendent la compréhension spatiale des cas importés et des populations à risque essentielle. Par ailleurs, les conditions écologiques australiennes ne favorisent pas la survie des mollusques hôtes nécessaires à la transmission locale, ce qui limite le risque d'**émergence autochtone**. L'utilisation des systèmes d'information géographique (SIG), couplée à des modèles statistiques avancés (modèles bayésiens, apprentissage automatique), permettrait d'améliorer la cartographie de la maladie, d'identifier les facteurs de risque environnementaux et sociaux, et d'accompagner la prise de décision sanitaire [6].

Au Sénégal, la bilharziose à *Schistosoma mansoni* demeure une maladie parasitaire endémique, particulièrement dans les zones de la vallée du fleuve Sénégal, du delta du Saloum, et certaines

régions du sud-est. La persistance et la variabilité spatiale de la maladie sont influencées par plusieurs facteurs écologiques, sociaux et hydrologiques, notamment la présence de mollusques hôtes, les pratiques agricoles et la distribution des populations humaines. La lutte contre la bilharziose au Sénégal est confrontée à des défis majeurs, dont la **variabilité spatiale importante de la transmission**, la réapparition de foyers malgré les campagnes de traitement, ainsi que les effets des modifications environnementales liées aux aménagements hydro-agricoles et aux changements climatiques. L'intégration des technologies modernes de télédétection, des systèmes d'information géographique (SIG) et des modèles statistiques avancés (comme les modèles bayésiens spatiaux) est essentielle pour une surveillance efficace et une prise de décision éclairée dans le cadre des programmes nationaux de lutte [7].

En Afrique du Sud, la bilharziose à *Schistosoma mansoni* est une maladie parasitaire d'importance variable selon les régions, avec une distribution focalisée principalement dans les provinces du KwaZulu-Natal, du Limpopo et du Mpumalanga. Les conditions écologiques, notamment la présence de milieux aquatiques propices aux mollusques vecteurs, ainsi que les activités humaines (agriculture, pêche, utilisation domestique de l'eau), influencent fortement la dynamique spatiale de la transmission. La maladie demeure un problème de santé publique, en particulier dans les zones rurales défavorisées où l'accès à l'eau potable et aux installations sanitaires est limité. Malgré les efforts de contrôle, la persistance et la variabilité spatiale des foyers infectieux compliquent la lutte. La modélisation épidémiologique spatiale est un outil essentiel pour comprendre la distribution géographique de la maladie, identifier les zones à risque élevé, et guider les interventions ciblées. Elle permet d'intégrer divers types de données climatiques, environnementales, sociales et démographiques pour mieux prédire les schémas de transmission [8].

Au Kenya, la bilharziose à *Schistosoma mansoni* constitue une importante maladie parasitaire à transmission focalisée, principalement dans les régions riveraines du lac Victoria, du lac Baringo, ainsi que dans certaines zones du Rift Valley et des régions côtières. La transmission est fortement influencée par la présence d'hôtes intermédiaires mollusques (*Biomphalaria*) et par les interactions entre les pratiques agricoles, l'accès à l'eau, et les comportements humains. La variabilité spatiale et temporelle de la maladie est marquée, avec des zones de haute prévalence coexistant avec des régions où la maladie est absente ou sporadique. Cette hétérogénéité rend les interventions de contrôle complexes et nécessite une compréhension fine des déterminants locaux. La modélisation fait face à des défis, notamment la qualité et la disponibilité des données, la complexité des interactions écologiques, et la nécessité d'adapter les modèles aux réalités locales pour une application efficace dans la planification sanitaire [9].

En RD Congo, La bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* constitue un problème majeur de santé publique en République Démocratique du Congo, particulièrement dans les zones rurales et périurbaines le long des systèmes hydrographiques (rivières, marais, canaux). La prévalence de la maladie reste élevée dans plusieurs provinces, notamment celles du Nord-Kivu, du Sud-Kivu, de la Tshopo, du Kasai et de l'Ituri. Malgré les campagnes de traitement de masse par le praziquantel, la persistance des foyers de transmission révèle des lacunes dans la surveillance, la cartographie précise et la compréhension des dynamiques locales de transmission. Cependant, en RDC, l'approche de la modélisation épidémiologique spatiale reste encore peu développée, notamment à cause de la disponibilité limitée des données géoréférencées, du manque d'outils d'analyse spatiale à l'échelle locale, et d'une faible intégration des données écologiques, démographiques et sanitaires dans les modèles prédictifs [10,11].

A Kinshasa, La bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* est une maladie parasitaire à transmission hydrique qui reste un défi de santé publique à Kinshasa, malgré son statut urbain. La ville, traversée par plusieurs cours d'eau, rivières et canaux, ainsi que par le fleuve Congo, présente des zones d'endémie souvent méconnues ou sous-estimées, en raison de la forte urbanisation et de la disparité des conditions sanitaires. Le principal problème est que la transmission est fortement localisée autour des milieux aquatiques stagnants ou lentement courants, où les hôtes intermédiaires (escargots du genre *Biomphalaria*) trouvent un environnement favorable. La variabilité écologique dans une métropole aussi vaste et diverse que Kinshasa génère une hétérogénéité spatiale marquée de la transmission, allant de zones urbaines à faible risque à des poches endémiques persistantes dans les

quartiers périphériques, les marécages et les zones à faible assainissement. Cependant, la modélisation épidémiologique spatiale reste encore insuffisamment développée à Kinshasa, en raison notamment : du manque de données systématiques géoréférencées à l'échelle intra-urbaine, des difficultés d'intégrer la diversité des milieux hydrologiques urbains, des contraintes liées aux mobilités humaines et aux dynamiques urbaines complexes et du peu de recours aux techniques avancées comme les SIG et les modèles bayésiens dans les études locales. Cette situation limite la capacité des autorités sanitaires à identifier précisément les zones à haut risque, à prioriser les interventions (notamment les campagnes de distribution de praziquantel) et à mettre en place une surveillance efficace pour prévenir la réémergence [12].

En Ituri, une région forestière du nord-est de la République Démocratique du Congo, est une zone d'endémie reconnue pour la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni*. La prévalence y est souvent élevée, avec des foyers concentrés autour des cours d'eau, rivières et zones marécageuses où les escargots vecteurs (*Biomphalaria*) prolifèrent. Cependant, la région est caractérisée par une grande hétérogénéité spatiale liée à sa diversité écologique, ses infrastructures limitées et ses dynamiques humaines complexes. La modélisation épidémiologique spatiale de la bilharziose à *S. mansoni* en Ituri devrait viser à comprendre cette variabilité locale de la transmission pour **identifier précisément les hotspots à risque élevé**, souvent dispersés et parfois isolés, dans un territoire difficile d'accès, intégrer les facteurs environnementaux (température, humidité, végétation, hydrographie) et socio-économiques (accès à l'eau potable, assainissement, pratiques agricoles) qui influencent la répartition des infections [13].

La province du Sud-Kivu, située dans l'Est de la République Démocratique du Congo, est une zone reconnue pour la prévalence élevée de la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni*. Cette région est caractérisée par une topographie variée incluant des hauts plateaux, des vallées et des cours d'eau majeurs (notamment la rivière Ruzizi, le lac Kivu et plusieurs affluents), créant ainsi des milieux favorables à la survie des escargots vecteurs du genre *Biomphalaria*. La transmission de la bilharziose y est fortement focalisée et varie d'un micro-territoire à un autre en fonction des facteurs écologiques (présence d'eau stagnante, température, végétation), socio-économiques (accès à l'eau potable, pratiques agricoles) et démographiques (densité de population, mobilité). Cette hétérogénéité spatiale rend difficile la planification d'interventions de santé publique efficaces sans une compréhension fine de la dynamique locale de transmission. La modélisation épidémiologique spatiale est donc essentielle pour cartographier précisément les foyers à haut risque, intégrer des données écologiques, climatiques et démographiques pour expliquer les variations spatiales, suivre l'évolution temporelle de la transmission dans un contexte marqué par les déplacements de population liés aux conflits et aux activités économiques et optimiser le ciblage des campagnes de traitement de masse par praziquantel pour une meilleure efficacité [14].

La province du Nord-Kivu, située à l'est de la République Démocratique du Congo, est aussi une zone endémique pour la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni*. La région est traversée par plusieurs cours d'eau, rivières et lacs, notamment le lac Édouard, qui constituent des habitats favorables aux escargots vecteurs (*Biomphalaria*), vecteurs indispensables à la transmission du parasite. La transmission de la bilharziose y est fortement influencée par les caractéristiques environnementales et hydrologiques, ainsi que par les activités humaines telles que l'agriculture, la pêche, et l'accès limité à l'eau potable et à l'assainissement. La modélisation épidémiologique spatiale est essentielle pour cartographier les foyers de transmission et identifier les zones à risque élevé, intégrer les données écologiques, hydrologiques et démographiques pour mieux comprendre la répartition spatiale, prédire les zones où les interventions de la santé publique seront les plus efficaces et surveiller l'évolution temporelle des foyers de transmission dans un contexte marqué par les déplacements humains [15, 16].

La zone de santé rurale d'Oicha, située dans la province du Nord-Kivu en République Démocratique du Congo, est une région où la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* est endémique. Cette zone est caractérisée par un environnement tropical humide, marqué par la présence de nombreux cours d'eau, rivières et marécages, favorables au développement des escargots vecteurs du genre *Biomphalaria*. La transmission de la bilharziose y est influencée par plusieurs facteurs environnementaux et socio-économiques, la proximité des populations avec les sources d'eau douce stagnante ou à faible courant, les activités humaines telles que l'agriculture, la pêche et la collecte d'eau pour usage domestique, les conditions sanitaires souvent précaires, notamment l'accès limité à

l'eau potable et aux installations d'assainissement et les déplacements de population dus aux conflits et instabilités dans la région, qui peuvent modifier la dynamique de transmission. La modélisation quasi absente rencontre plusieurs défis dans la zone de santé rurale d'Oicha : la disponibilité limitée de données précises et actualisées, notamment en raison des difficultés d'accès et du contexte sécuritaire fragile, la complexité des interactions entre facteurs naturels et humains qui influencent la transmission et la nécessité données.

La question principale de l'étude était de savoir l'évolution spatio-temporelle de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha au cours de la dernière décennie et quels sont les foyers de transmission persistants identifiables à partir des données de l'incidence. L'hypothèse principale est que l'incidence de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha a augmenté au cours de la dernière décennie, les foyers de transmission persistants subsistent, pouvant être identifiés grâce à la modélisation spatiale et à la méthode du rapport à la tendance.

Objectif général

Évaluer l'évolution spatio-temporelle de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha, en utilisant les données de l'incidence de la dernière décennie et la méthode du rapport à la tendance, afin d'identifier les foyers de transmission persistants et d'orienter les interventions de contrôle de manière ciblée.

Objectifs spécifiques

1. Évaluer le niveau de concordance entre les résultats des deux laboratoires à l'aide du coefficient Kappa, afin d'apprécier la fiabilité, la reproductibilité et la validité des tests réalisés sur les mêmes échantillons.
2. Analyser l'incidence de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* et les paramètres écologiques des mollusques.

2. Matériel et méthodes

2.1. Cadre de l'étude

Notre étude était menée dans la zone de santé rurale d'Oicha se situant dans le Territoire de Beni au Nord Kivu en République Démocratique du Congo, couvre une superficie de 1.656 Km², située latitude Est 77696,989 m, longitude Nord 780671,652 m, altitude 1050,9 m avec une précision de 1,5 m et une population de 341.730 habitants répartis dans 27 aires de santé.

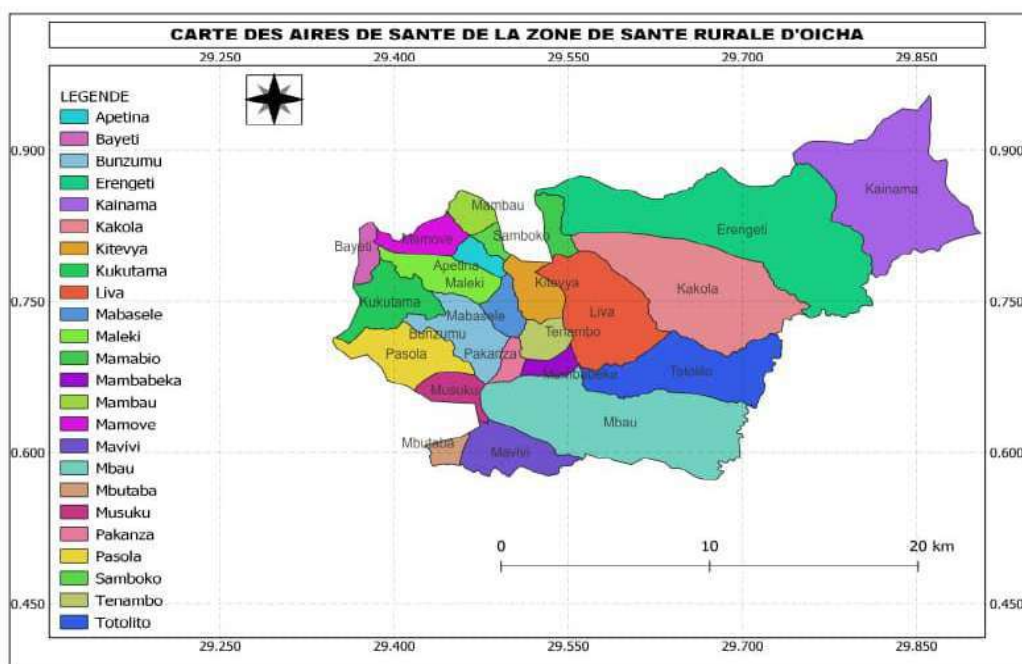


Figure 1. Carte postale de la zone de santé rurale d'Oicha.

2.2.Type d'étude

Il s'agissait d'une **étude épidémiologique spatiale**.

2.3. Variables d'étude

Les variables indépendantes : les facteurs environnementaux et écologiques, socio comportementaux, liés aux interventions de la santé publique, temporels et géographiques.

La variable dépendante : la bilharziose à *Schistosoma mansoni*.

2.4. Population, taille et période d'étude

La population d'étude comprenait les **habitants de la zone de santé rurale d'Oicha dont les données épidémiologiques humaines de l'incidence de la décennie (2015-2024) étaient chiffrées à 4 731**, récoltées durant deux mois, soit du 1^{er} Janvier au 1^{er} mars 2025.

2.5. Technique d'échantillonnage des données

Les données de la décennie ont été **sélectionnées et extraites à partir des canevas du Système National d'Information Sanitaire (SNIS)** en utilisant une approche **d'échantillonnage exhaustif** des enregistrements disponibles pour la zone de santé rurale d'Oicha. Cette méthode avait permis de **prendre en compte toutes les informations pertinentes sur l'incidence de la bilharziose à *Schistosoma mansoni*** enregistrées au cours des dix dernières années, tout en garantissant la représentativité des données pour l'analyse spatio-temporelle.

2.6. Critères d'éligibilité

Les critères d'inclusion : Les données de la bilharziose à *S. mansoni* récoltées dans les laboratoires des formations sanitaires de la zone de santé rurale d'Oicha, les données de l'incidence de la décennie se trouvant dans les canevas de SNIS bien rempli, les **données écologiques des mollusques hôtes intermédiaires récoltées dans les rivières de la zone de santé rurale d'Oicha**.

Les critères de non inclusion : tous les cas venus en dehors de la zone de santé, toutes les données mal enregistrées dans les canevas de SNIS, les étangs, les marées.

2.7. Collecte, analyse et traitement des données

Nous avons **collecté rigoureusement les données d'une décennie (2015-2024) sur la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans les registres**, correctement enregistrées. Leur **nettoyage**, transcription par le logiciel Word 2010, leurs **analyses étaient faites à l'aide du logiciel R** ; qui avait permis de prédire la **dynamique spatiale de transmission** et de guider les **interventions de santé publique dans l'avenir**.

2.8. Considérations éthiques

L'étude avait obtenu une autorisation du comité d'éthique médicale de l'Université de Goma, en République Démocratique du Congo par l'attestation N° Approbation : UNIGOM/CEM/010/2023 du 01 Mars 2023. Nous avons contacté les autorités politico administratives locales pour visa et autorisation de l'étude dans la zone de santé rurale d'Oicha.

L'étude était menée dans l'intégrité, la discrétion et confidentialité des données récoltées.

3. Résultats

I. Méthodes de mesure des variations saisonnières de la bilharziose à *Schistosoma mansoni*.

Tableau 1. Méthode du rapport à la tendance

ANNEE	T1	T2	T3	T4	TOTAUX	(X)	Moyenne trimestrielle (y)	xy	x ²	y=a+bx
2015	67	55	49	74	245	-5	61,25	-306,25	25	125,1
2016	102	97	66	70	335	-4	83,75	-335	16	123,975
2017	111	227	139	128	605	-3	151,25	-453,75	9	122,85
2018	92	168	336	407	1003	-2	250,75	-501,5	4	121,725
2019	166	146	125	88	525	-1	131,25	-131,25	1	120,6
2020	70	111	83	74	338	1	84,5	84,5	1	118,35
2021	89	109	128	135	461	2	115,25	230,5	4	117,225
2022	116	101	99	90	406	3	101,5	304,5	9	116,1
2023	95	89	72	111	367	4	91,75	367	16	114,975
2024	124	115	107	148	494	5	123,5	617,5	25	113,85
							1194,75	-123,75	110	

$$a = 1194,75/10 = 119,475 \text{ et } b = -123,75/110 = -1,125$$

Incrément : $b/4 = -0,28125$

Coefficient de corrélation : $r = -0,074$

Valeurs observées en % des valeurs de tendance				Valeurs observées en % des valeurs de tendance				
T1	T2	T3	T4	T1	T2	T3	T4	
125,522	125,241	124,959	124,678	53,38	43,92	39,21	59,35	
124,397	124,116	123,834	123,553	82,00	78,15	53,30	56,66	
123,272	122,991	122,709	122,428	90,04	184,57	113,28	104,55	
122,147	121,866	121,584	121,303	75,32	137,86	276,35	335,52	
121,022	120,741	120,459	120,178	137,17	120,92	103,77	73,22	
118,772	118,491	118,209	117,928	58,94	93,68	70,21	62,75	
117,647	117,366	117,084	116,803	75,65	92,87	109,32	115,58	
116,522	116,241	115,959	115,678	99,55	86,89	85,37	77,80	
115,397	115,116	114,834	114,553	82,32	77,31	62,70	96,90	
114,272	113,991	113,709	113,428	108,51	100,89	94,10	130,48	
			Totaux	862,88	1017,05	1007,62	1112,82	
			Moyenne	86,29	101,71	100,76	111,28	100,01
		Indice saisonnier		86,28	101,70	100,75	111,27	

Le tableau 1 permet de visualiser les années critiques, la progression ou la diminution de la maladie, et de repérer les périodes d'augmentation ou de contrôle de l'infection.

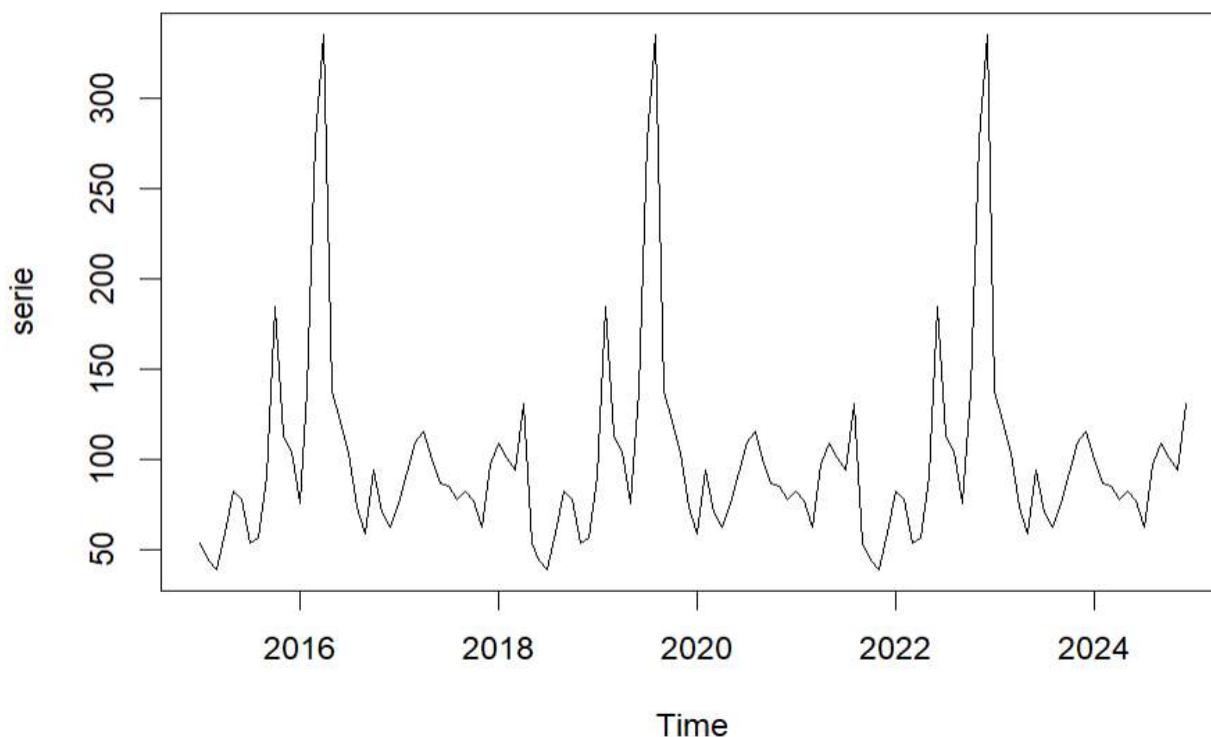


Figure 2. Diagramme évolutif trimestriel de la bilharziose intestinale : Méthode du rapport à la tendance.

La lecture de la figure 5 nous permet d'identifier les années avec une forte augmentation des cas ou périodes à risque élevé en 2016, 2020 et 2023 ; les périodes où la prévalence diminue 2018, 2022 et 2024, reflétant l'efficacité des interventions et les années de stabilité, indiquant un contrôle relatif de la maladie dans la zone de santé rurale d'Oicha.

II. Etude de la concordance des tests de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* par deux laboratoires.

Tableau 2. Dépistage de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* pour 400 échantillons par la méthode standard.

Test Kato-Katz / Kato-Katz	Méthode classique de dépistage		Totaux
	Test positif	Test négatif	
Test positif	120	100	220
Test négatif	54	126	180
Totaux	174	226	400

Le tableau 2, nous informe que deux laboratoires de dépistage de la bilharziose intestinale ont été utilisées sur 400 échantillons : la méthode Kato-Katz / Kato-Katz et la méthode classique. On se demande s'il y a concordance dans la classification par ces deux laboratoires autour de test ; le résultat obtenu et consigné dans le 2 laboratoires.

La variable étant catégorielle nominale, on peut bien faire le test de signification du coefficient kappa de Cohen, les valeurs estimées de κ et de σ_{κ}^2 étant respectivement égales à :

$$\hat{\kappa} = \frac{2 \cdot (120 \cdot 126 - 100 \cdot 54)}{220 \cdot 226 + 180 \cdot 174} = 0,2399 \text{ et}$$

$$\hat{\sigma}_{\kappa}^2 = \frac{0,615(1-0,615)}{400 \cdot (1-0,4935)^2} = 0,00231, \text{ ou } p_A = (120 + 126)/400 = 0,615 \text{ et}$$

$$p_A = (220 \cdot 174 + 180 \cdot 226)/400^2 = 0,4939.$$

La variable aléatoire normale réduite vaut: $Z = 0,2399/\sqrt{0,00231} = 4,9914$, et donc $P(Z \geq 4,9914) = 0,000$. Le coefficient kappa de Cohen est très hautement significatif. Le classement, qui donne lieu à un léger accord, n'est donc pas l'effet du hasard. Les limites de confiance du Kappa ainsi estimé, au seuil de signification $\alpha = 0,05$, sont $0,2399 \pm 1,96\sqrt{0,00231}$, soit 0,146 et 0,334.

III. Incidence de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* et les paramètres écologiques des mollusques.

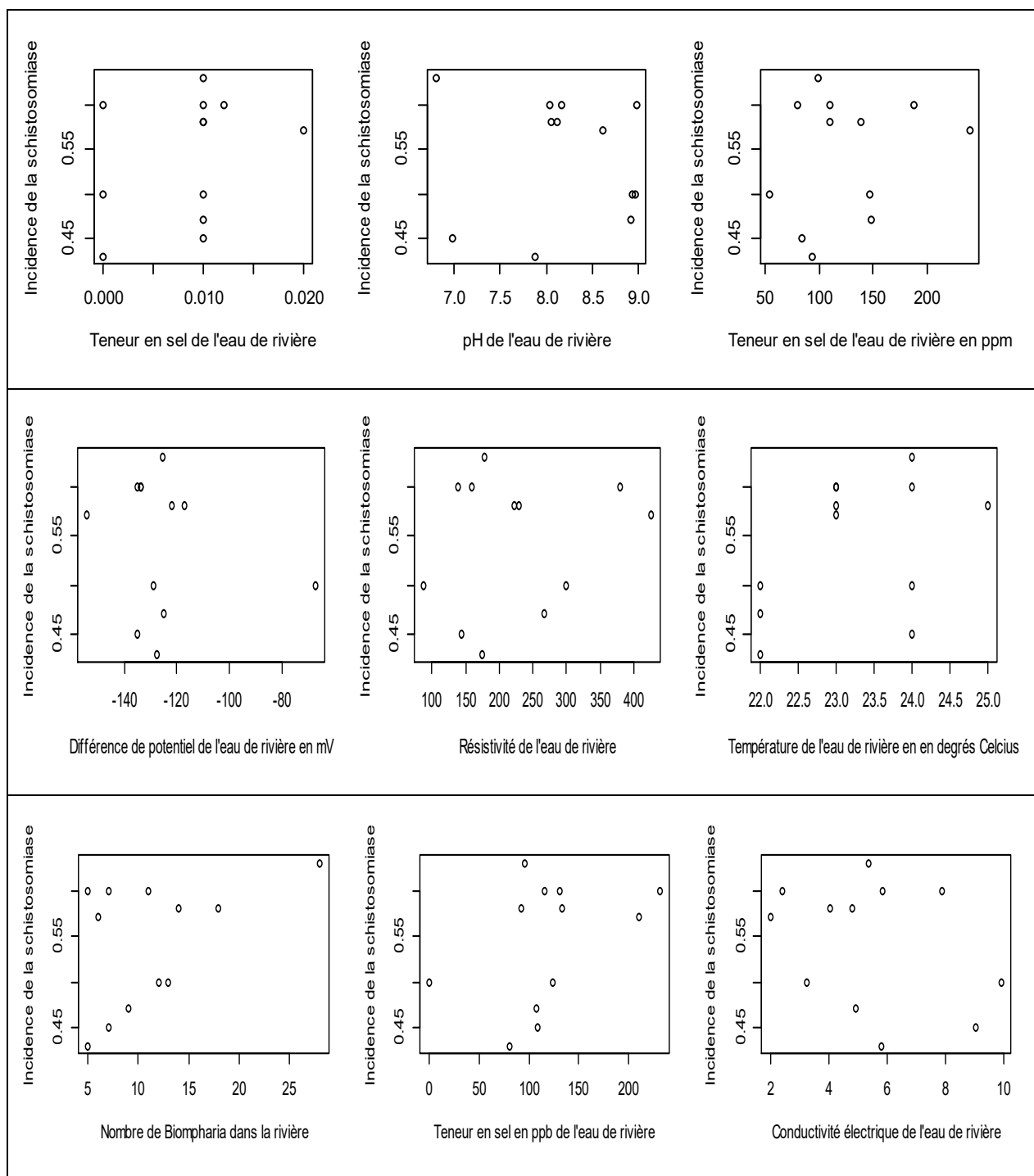


Figure 3. Incidence de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* et les paramètres écologiques des mollusques.

La figure 3 nous informe que l'incidence de la bilharziose à *S. mansoni* est **fortement influencée par les conditions écologiques des mollusques vecteurs**. Les interventions ciblant les sites à forte densité de mollusques ou les périodes où les conditions écologiques favorisent leur reproduction peuvent **réduire efficacement la transmission**. Le potentiel d'oxydoréduction de l'eau est inférieur à la valeur normale, cela prouve que l'eau des rivières est polluée dans la zone de santé rurale d'Oicha.

Discussion

La méthode du rapport à la tendance

Le tableau 1 permet de visualiser les années critiques, la progression ou la diminution de la maladie, et de repérer les périodes d'augmentation ou de contrôle de l'infection. Cette méthode du **rapport à la tendance** nous a permis d'intégrer et de synthétiser la série de l'incidence décennale en extrayant, année par année, en regroupant trimestriellement, la direction et l'amplitude des changements (variation annuelle) puis en caractérisant chaque segment temporel comme **hausse, baisse ou stable**. Cette approche, associée à la modélisation spatiale, nous a facilité une lecture opérationnelle des résultats qui correspondent aux résultats obtenus par BERRY A ET AL., MOUAHID G, SIMOONGA C, ETZINGER J, BROOKER S, VOUNATSOU P dans leurs recherches qui avaient identifié non seulement une tendance globale dans la zone de santé, mais aussi des disparités locales (poches endémiques, points chauds) et des périodes critiques.

Le diagramme évolutif trimestriel de la bilharziose intestinale

La lecture de la figure 5 nous a permis d'identifier les années avec une forte augmentation des cas ou périodes à risque élevé en 2016, 2020 et 2023 ; les périodes où la prévalence diminue 2018, 2022 et 2024, reflétant l'efficacité des interventions et les années de stabilité, indiquant un contrôle relatif de la maladie dans la zone de santé rurale d'Oicha. Le diagramme a montré une évolution globale marquée par une tendance à la baisse progressive de l'incidence dans la plupart des trimestres, traduisant un impact positif des interventions (traitements de masse, sensibilisation communautaire, amélioration de l'accès à l'eau potable). Toutefois, certains pics trimestriels récurrents persistent, ce qui indique la présence d'un cycle de transmission saisonnier non totalement maîtrisé. Les résultats montrent une augmentation des cas au cours des trimestres correspondant à la saison des pluies, où les rivières et points d'eau sont plus accessibles et fréquentés par la population pour les activités domestiques, agricoles ou récréatives. En revanche, une diminution relative est observée en saison sèche, période où les points d'eau sont moins nombreux et moins fréquentés. Cette variation saisonnière confirme les résultats obtenus par CLEMENTS ACA ET BROOKER RASO G, VOUNATSOU P, SINGER BH, N'GORAN ; l'influence directe des facteurs hydrologiques et écologiques sur la dynamique de la bilharziose intestinale. Malgré les fluctuations saisonnières, la comparaison des courbes trimestrielles d'une année à l'autre montre que les pics annuels tendent à être moins élevés au fil du temps, ce qui traduit une diminution de l'intensité de transmission. Le diagramme évolutif trimestriel révèle une **baisse progressive de la bilharziose intestinale sur la décennie**, tout en mettant en évidence des **cycles saisonniers persistants** et des **disparités locales**. Ces résultats orientent vers la nécessité de renforcer les interventions de manière **ciblée, intégrée et saisonnièrement adaptée**.

Le tableau 2, nous a informé que deux laboratoires de dépistage de la bilharziose intestinale ont été utilisées sur 400 échantillons : la méthode Kato-Katz / Kato-Katz et la méthode classique. On se demande s'il y a concordance dans la classification par ces deux laboratoires autour de test ; le résultat obtenu et consigné dans le 2 laboratoires.

La variable étant catégorielle nominale, on peut bien faire le test de signification du coefficient kappa de Cohen, les valeurs estimées de κ et de σ_{κ}^2 étant respectivement égales à :

$$\hat{\kappa} = \frac{2 \cdot (120 \cdot 126 - 100 \cdot 54)}{220 \cdot 226 + 180 \cdot 174} = 0,2399 \text{ et}$$

$$\hat{\sigma}_{\kappa}^2 = \frac{0,615(1-0,615)}{400 \cdot (1-0,4935)^2} = 0,00231, \text{ ou } p_A = (120 + 126)/400 = 0,615 \text{ et}$$

$$p_A = (220 \cdot 174 + 180 \cdot 226)/400^2 = 0,4939.$$

La variable aléatoire normale réduite vaut : $Z = 0,2399/\sqrt{0,00231} = 4,9914$, et donc $P(Z \geq 4,9914) = 0,000$. Le coefficient kappa de Cohen est très hautement significatif. Le classement, qui donne lieu à un léger accord, n'est donc pas l'effet du hasard. Les limites de confiance du Kappa ainsi estimé, au seuil de signification $\alpha = 0,05$, sont $0,2399 \pm 1,96\sqrt{0,00231}$, soit 0,146 et 0,334.

Incidence de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* et les paramètres écologiques des mollusques.

La figure 3 nous a informé que l'incidence de la bilharziose à *S. mansoni* est **fortement influencée par les conditions écologiques des mollusques vecteurs**. Les interventions ciblant les sites à forte densité de mollusques ou les périodes où les conditions écologiques favorisent leur reproduction peuvent **réduire efficacement la transmission**. Les résultats montrent une corrélation positive entre la densité des mollusques du genre *Biomphalaria* et l'incidence de la bilharziose. Dans les sites où la densité des mollusques était élevée, les taux d'incidence humaine se sont révélés significativement supérieurs. Cela confirme que la densité des mollusques constitue un facteur déterminant de la transmission, comme le rapportent des études similaires en Afrique subsaharienne par **ONYEKACHI ESTHER NWOKO, TAWANDA MANYANGADZE ET MOSES JOHN CHIMBARI** dans leur article *“Spatial distribution, abundance, and infection rates of Human schistosome-transmitting snails and related physicochemical parameters in KwaZulu-Natal (KZN) province, South Africa”*. L'influence des paramètres physico-chimiques de l'eau : température : une incidence plus élevée est observée dans les zones où la température de l'eau se situe entre 20 et 30 °C, gamme favorable à la survie et à la reproduction des mollusques ainsi qu'à la maturation des cercaires, le pH : des valeurs légèrement neutres à basiques ont coïncidé avec des foyers de transmission plus intense, reflétant l'optimum physiologique pour les mollusques, la turbidité et profondeur : une turbidité modérée et des eaux relativement stagnantes ont favorisé la concentration des mollusques et donc un risque accru de contamination humaine. L'influence des facteurs hydrologiques et saisonniers : l'incidence de la bilharziose présente une variabilité saisonnière, avec une augmentation pendant ou juste après la saison des pluies, période où les habitats des mollusques s'élargissent et où la fréquentation humaine des points d'eau est plus importante. Durant la saison sèche, une diminution relative des cas est observée, traduisant la contraction des habitats aquatiques. Pour la comparaison avec d'autres études : les tendances observées concordent avec les résultats rapportés dans d'autres contextes endémiques : plus la densité et l'infection des mollusques augmentent, plus l'incidence humaine s'élève. Cependant, la force de la corrélation peut varier selon la nature des points d'eau et le degré d'exposition communautaire ; ces résultats sont semblables à ceux trouvés par GAZZINELLI A, LOBATO L, MATOSO L, AVILA R. et NDEFFO MBAH ML, SKRIP LA, GALVANI AP.

Limites : 1) les limites liées aux données : les **données historiques incomplètes ou manquantes**, la **variabilité de la qualité des données**. 2) Limites méthodologiques : **le modèle de modélisation spatiale** : les modèles reposent sur des hypothèses (homogénéité de la population, distribution des vecteurs) qui peuvent simplifier la réalité. 3) Limites écologiques et environnementales : **variabilité des paramètres environnementaux** (pluviométrie, végétation aquatique) non intégrée ou mesurée approximativement. 4) Limites liées à la dynamique de la maladie : la prévalence observée reflète **la transmission passée**, pas nécessairement l'état actuel de la transmission. 5) **Limites analytiques** : la corrélation entre prévalence humaine et la distribution des mollusques peut ne pas refléter une causalité directe.

Conclusion

L'analyse et la modélisation épidémiologique spatiale des données de l'incidence de la bilharziose intestinale au cours de la dernière décennie dans la zone de santé rurale d'Oicha montrent que cette parasitose demeure un problème majeur de santé publique. La cartographie spatiale révèle une distribution hétérogène de la maladie, fortement influencée par la proximité des points d'eau douce et la présence des mollusques vecteurs. L'évolution temporelle met en évidence des fluctuations liées aux conditions écologiques, aux variations climatiques, ainsi qu'aux pratiques humaines favorisant le contact avec l'eau contaminée. La méthode de modélisation spatiale avait permis d'identifier des aires de santé à haut risque, constituant des foyers endémiques persistants, où la transmission reste active malgré les efforts de lutte. Ces résultats avaient souligné l'importance de renforcer les interventions ciblées, telles que la chimio prévention de masse, l'amélioration de l'accès à l'eau potable et à l'assainissement, ainsi que la surveillance écologique des gîtes à mollusques.

En définitive, la modélisation épidémiologique spatiale constitue un outil précieux pour la planification et l'orientation des programmes de contrôle, en permettant de prioriser les aires de santé

les plus vulnérables et d'optimiser l'allocation des ressources. Elle met en évidence la nécessité d'une approche intégrée associant interventions médicales, environnementales et communautaires pour réduire durablement la charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha.

Recommandations

Renforcement du contrôle médical, la surveillance et la recherche : Prioriser les zones à haut risque identifiées par la modélisation pour la chimio prévention de masse au praziquantel, assurer une couverture optimale des populations scolaires et des groupes les plus exposés et instituer un système de suivi épidémiologique et écologique régulier (incidence, densité des mollusques) et actualiser périodiquement les modèles spatiaux en intégrant les données climatiques, écologiques et comportementales.

Amélioration des conditions environnementales et WASH : développer l'accès à l'eau potable et aux infrastructures sanitaires et mettre en œuvre des actions de gestion écologique des gîtes de mollusques pour réduire la transmission.

Approche communautaire et multisectorielle : renforcer la sensibilisation et l'éducation sanitaire des communautés et promouvoir une collaboration intersectorielle (santé, eau, environnement, agriculture) pour une lutte durable.

Conflit d'Intérêt : Les auteurs ne déclarent aucun conflit d'intérêt par rapport à l'étude.

Contribution des auteurs

Bailanda Mumbere Pascal était l'auteur principal, avait conçu et piloté l'étude ,Paluku Sabuni Louis, Muhindo Sahani Walere, Barhwamire Kabesha Théophile, Wembo Ndeo Oscar, Manwa Budwaga Baudouin ont apprécié, orienté et supervisé le processus de recherche de l'étude ; plus de conseil Kambale Soheranda Sadraka, Kule Kyusa Archip, Nzanzu Nduluthulu Joachin, Kahindo Nzalamingi Anselme, Kimbilwa Katawali Emery, Kakule Kithanga Jean de Dieu, Kambale, Nzalamingi Anselme Mbakwiravyo Obede et Mumbere Muvunga Shukuru.

Conflit d'intérêt : Les auteurs ne déclarent aucun conflit d'intérêt par rapport à l'étude.

Financement : Cette étude n'avait reçu aucun financement externe.

Références

1. Lai YS, Biedermann P, Ekpo UF, Garba A, Mathieu E, Midzi N, et al. Spatial distribution of schistosomiasis and treatment needs in sub-Saharan Africa: a systematic review and geostatistical analysis. *Lancet Infect Dis*. 2015;15(8):927–40. Doi:10.1016/S1473-3099(15)00066-3
2. Clements ACA, Brooker S. Epidemiological applications of geographical information systems: spatial analysis of helminth infections in Africa. *Acta Trop*. 2008 ;108(2-3):168–74. Doi: 10.1016/j.actatropica.2008.09.001
3. Sturrock HJW, Gething PW, Clements ACA, Brooker S. Optimal survey designs for targeting chemotherapy to control schistosomiasis in sub-Saharan Africa: a modelling study. *Parasit Vectors*. 2011;4:52. Doi:10.1186/1756-3305-4-5
4. Utzinger J, Raso G, Brooker S, De Savigny D, Tanner M, Ornbjerg N, et al. Schistosomiasis and neglected tropical diseases: towards integrated and sustainable control and a word of caution. *Parasitology*. 2009;136(13):1859–74. doi:10.1017/S0031182009991600
5. Raso G, Vounatsou P, Singer BH, N'Goran EK, Tanner M, Utzinger J. An integrated approach for risk profiling and spatial prediction of *Schistosoma mansoni*-hookworm coinfection. *Proc Natl Acad Sci U S A*. 2006;103(18):6934–9. Doi :10.1073/pnas.0601553103

6. Gazzinelli A, Lobato L, Matoso L, Avila R, Gazzinelli MF, Kloos H. Spatial distribution of *Schistosoma mansoni* infection before and after control activities in a rural area of northeastern Brazil. *Mem Inst Oswaldo Cruz*. 2006 ;101 Suppl 1:63–71. Doi :10.1590/S0074-02762006000900011
7. Ndeffo Mbah ML, Skrip LA, Galvani AP. Improving spatial allocation of schistosomiasis treatment by geostatistical model-based decision making. *PLoS Negl Trop Dis*. 2014;8(9):e3136. doi:10.1371/journal.pntd.0003136
8. Raso G, Vounatsou P, Gosoni L, Tanner M, N'Goran EK, Utzinger J. Risk factors and spatial patterns of *hookworm* infection among schoolchildren in a rural area of western Côte d'Ivoire. *Int J Parasitol*. 2006;36(2):201–10. doi:10.1016/j.ijpara.2005.09.009
9. Simoonga C, Utzinger J, Brooker S, Vounatsou P, Appleton CC, Stensgaard AS, et al. Remote sensing, geographical information system and spatial analysis for schistosomiasis epidemiology and ecology in Africa. *Parasitology*. 2009;136(13):1683–93. doi:10.1017/S0031182009005998
10. Soares Magalhães RJ, Barnett AG, Clements ACA. Geographical analysis of the role of water supply and sanitation in the risk of helminth infections of children in West Africa. *Proc Natl Acad Sci U S A*. 2011;108(50):20084–9. doi:10.1073/pnas.1106784108
11. Berry A, Moné H, Iriart X, Mouahid G, Aboo O, Boissier J. Schistosomiasis haematobium, Corsica, France. *Emerg Infect Dis*. 2014 ;20(9):1595–7. doi:10.3201/eid2009.140928
12. Boissier J, Grech-Angelini S, Webster BL, Allienne JF, Huyse T, Mas-Coma S, et al. Outbreak of *urogenital schistosomiasis* in Corsica (France): an epidemiological case study. *Lancet Infect Dis*. 2016 ;16(8) :971–9. doi:10.1016/S1473-3099(16)00175-4
13. Collinet-Adler S, Ward BJ, King CH. Schistosomiasis in travelers: a review of the literature and recommendations for management. *Travel Med Infect Dis*. 2016;14(3):243–52. doi: 10.1016/j.tmaid.2016.04.005
14. Simoonga C, Utzinger J, Brooker S, Vounatsou P, Appleton CC, Stensgaard AS, et al. Remote sensing, geographical information system and spatial analysis for schistosomiasis epidemiology and ecology in Africa: a review. *Parasitology*. 2009;136(13):1683–93. doi:10.1017/S0031182009005998
15. Clements ACA, Lwambo NJS, Blair L, Nyandindi U, Kaatano G, Kinung'hi S, et al. Bayesian spatial analysis and disease mapping: tools to enhance planning and implementation of a schistosomiasis control programme in Tanzania. *Trop Med Int Health*. 2006;11(4):490–503. doi:10.1111/j.1365-3156.2006.01594.x
16. Onyekachi Esther Nwoko, Tawanda Manyangadze et Moses John Chimbari dans leur article “*Spatial distribution, abundance, and infection rates of human schistosome-transmitting snails and related physicochemical parameters in KwaZulu-Natal (KZN) province, South Africa*”. PMC

Evaluation des facteurs associés au faible taux de couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois dans l'aire de santé de Kanzulinzuli en zone de santé de Beni au Nord Kivu, RD Congo

Kambale Mwaka Joseph¹, Tabiyo Kondema Julienne¹, Ndungo Kitsamuli Josué², Lobho Lokana Jules⁵, Katungu Metya Joséphine², Katungu Mulinda Espérance², Makechi Essombo Didier¹, Kayamba Monga Jonas¹, Kakule Mutsunga Maurice³, Matiaba Binda Paul⁴, Lisimo Abwa Hilaire⁶, Bailanda Mumbere Pascal^{7,9}, Paluku Sabuni Louis⁸.

1. Institut Supérieur du Bassin du Nil de Beni, République Démocratique du Congo.

2. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Beni, République Démocratique du Congo.

3. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Mangina, République Démocratique du Congo.

4. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Walikale, République Démocratique du Congo.

5. Université Evangélique de Beni, République Démocratique du Congo.

6. Université de l'Uelé, République Démocratique du Congo.

7. Université Officielle de Semuliki, République Démocratique du Congo.

8. Université Officielle de Ruwenzori, République Démocratique du Congo.

9. Centre Hospitalier le Rocher, République Démocratique du Congo.

Co-Auteur correspondant : drbailanda1@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/19>

Reçu le 07/10/2025

Accepté le 15/10/2025

Publié le 01/11/2025

Résumé

Introduction : La vaccination demeure l'une des interventions de santé publique les plus efficaces et les plus rentables pour la prévention des maladies infectieuses infantiles. Elle permet de réduire significativement la morbidité et la mortalité des enfants, en particulier dans les pays à faible revenu où le fardeau des maladies évitables par la vaccination reste élevé. L'objectif principal était d'analyser les facteurs associés au faible taux de couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois dans l'aire de santé de Kanzulinzuli.

Matériel et méthodes : Il s'agissait d'une étude transversale descriptive à visée analytique pour une période de 6 mois soit du 1er janvier au 30 juin 2025 ; nous avons utilisé la formule de Cochran pour avoir notre échantillon et nous récolté les données auprès des parents des enfants.

Résultats : 52 % étaient du sexe masculin ; 5,5 % avait l'âge variant entre 19 à 35 ans ; 66,9 % sont des mariés ; 63,8 % de niveau secondaire, 77 %, 54,9% sont des agriculteurs, 74,4% et la condition environnementale est de 96,3%, la distance entre le domicile et le Centre de santé de <5Km ; l'urbanisation à 25,5%, la motivation et la motivation à 87,2%, il existe un lien significatif entre les facteurs associés et la vaccination des enfants, avec une P-value est de 0,043.

Conclusion : Nous avons mené une étude sur l'évaluation des facteurs associés du faible taux de couverture vaccinale des enfants âgés de 0 à 59 mois et d'identifier les facteurs associés à la vaccination complète ou partielle. Les résultats montrent que, malgré les efforts du système de santé, un nombre significatif d'enfants restent partiellement vaccinés ou non vaccinés, exposant ainsi cette population à un risque accru de maladies évitables par la vaccination.

En somme, la protection des enfants de 0 à 59 mois contre les maladies évitables par la vaccination dans l'aire de santé de Kanzulinzuli dépend d'une approche intégrée, combinant actions sanitaires, interventions éducatives, et mesures de sécurité adaptées au contexte local.

Mots Clés: Evaluation, faible taux de couverture vaccinal, enfants, AS Kanzulinzuli.

RESEARCH TITLE

Evaluation of Factors Associated with the Low Vaccination Coverage Rate among Children Aged 0 to 59 Months in the Kanzulinzuli Health Area, Beni Health Zone, North Kivu, DR Congo

Abstract

Introduction: Vaccination remains one of the most effective and cost-effective public health interventions for preventing childhood infectious diseases. It significantly reduces child morbidity and mortality, particularly in low-income countries where the burden of vaccine-preventable diseases remains high. The primary objective was to analyze the factors associated with low vaccination coverage among children aged 0 to 59 months in the Kanzulinzuli health area.

Material and Methods: This was a descriptive, analytical cross-sectional study for a 6-month period, from January 1 to June 30, 2025. We used the Cochran formula to obtain our sample and collected data from the children's parents.

Results: 52% were male; 5.5% were aged between 19 and 35 years; 66.9% were married; 63.8% had secondary education, 77% were farmers, 54.9% were farmers, 74.4% were farmers, and the environmental condition was 96.3%, the distance between home and the health center was <5 km; urbanization was 25.5%, and motivation and motivation were 87.2%. There was a significant relationship between the associated factors and childhood vaccination, with a P-value of 0.043.

Conclusion: We conducted a study to assess the factors associated with the low vaccination coverage rate of children aged 0 to 59 months and to identify the factors associated with complete or partial vaccination. The results show that, despite the efforts of the health system, a significant number of children remain partially vaccinated or unvaccinated, thus exposing this population to an increased risk of vaccine-preventable diseases. In summary protecting children aged 0 to 59 months against vaccine-preventable diseases in the Kanzulinzuli health area depends on an integrated approach, combining health actions, educational interventions, and safety measures adapted to the local context.

Key Words: Assessment, low vaccination coverage rate, children, Kanzulinzuli health area.

1.Introduction

Selon l'OMS et l'UNICEF, pour assurer une immunité collective et prévenir les flambées épidémiques, il est nécessaire d'atteindre une couverture vaccinale d'au moins 90 à 95 % pour la plupart des antigènes. Or, dans plusieurs zones de santé, les taux restent bien en deçà de cette cible, exposant les enfants de 0 à 59 mois à des maladies évitables telles que la rougeole, la poliomyélite, la diphtérie ou encore la coqueluche. Ce faible niveau de couverture vaccinale est souvent lié à une combinaison de facteurs : **les facteurs liés aux parents/tuteurs** (manque de connaissances, réticences, croyances culturelles ou religieuses, crainte des effets secondaires, oubli ou négligence) ; **les facteurs socio-économiques** (pauvreté, niveau d'instruction, occupation des parents, difficultés de transport) ; **les facteurs liés au système de santé** (ruptures de stock, personnel de santé insuffisant, accueil et qualité des services, horaires inadaptés) et **les facteurs géographiques et structurels** (éloignement des centres de vaccination, manque de campagnes mobiles, insécurité dans certaines zones [1,2,3,4].

En France, la vaccination constitue l'un des piliers majeurs de la santé publique et a permis, en France comme ailleurs, de réduire considérablement la morbidité et la mortalité liées aux maladies infectieuses. Depuis 2018, onze vaccins sont obligatoires pour les enfants de moins de deux ans, dans le but de renforcer la protection individuelle et collective, et de prévenir la réémergence de maladies évitables telles que la rougeole, la méningite ou la coqueluche.

Malgré ces mesures et la gratuité des vaccins, la couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois demeure parfois insuffisante pour certains antigènes, ou inégalement répartie selon les régions et les milieux sociaux. Des poches de sous-vaccination persistent, exposant certaines populations à des flambées épidémiques locales, comme l'ont montré les récentes recrudescences de la rougeole et de la coqueluche en Europe [5,6,7].

Au Nord Kivu (RDC), la vaccination est l'une des interventions de santé publique les plus efficaces pour prévenir les maladies infantiles et réduire la mortalité des enfants de moins de cinq ans. Dans la province du Nord-Kivu, le Programme Élargi de Vaccination (PEV) vise à protéger les enfants contre les maladies évitables telles que la poliomyélite, la diphtérie, le tétanos, la coqueluche et la rougeole. Malgré les efforts des autorités sanitaires et des partenaires humanitaires, la couverture vaccinale reste insuffisante dans plusieurs zones de santé de la province. Cette situation expose les enfants à un risque accru d'épidémies locales et constitue un frein majeur à l'atteinte des objectifs nationaux et internationaux de santé infantile [8,9,10,11].

Dans la zone de santé de Beni, le Programme Élargi de Vaccination (PEV) vise à protéger les enfants contre les maladies évitables telles que la poliomyélite, la diphtérie, le tétanos, la coqueluche et la rougeole. Malgré les efforts fournis par les autorités sanitaires locales et leurs partenaires, la couverture vaccinale des enfants âgés de 0 à 59 mois reste insuffisante dans plusieurs aires de santé de Beni. Cette situation expose les enfants à un risque accru de maladies évitables et constitue un obstacle important à l'atteinte des objectifs nationaux et internationaux de santé infantile [12].

Dans l'aire de santé de Kanzulinzuli, le Programme Élargi de Vaccination (PEV) a pour objectif de protéger les enfants contre des maladies telles que la poliomyélite, la diphtérie, le tétanos, la coqueluche et la rougeole. Cependant, malgré les efforts des autorités sanitaires locales et de leurs partenaires, la couverture vaccinale des enfants de 0 à 59 mois reste insuffisante dans cette aire de santé. Cette situation expose les enfants à un risque élevé de maladies évitables et constitue un obstacle majeur à l'atteinte des objectifs nationaux et internationaux en matière de santé infantile [13,14,15].

La question principale de l'étude était de savoir l'association entre les différents facteurs et le faible taux de couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois dans l'aire de santé de Kanzulinzuli. L'hypothèse principale est que les facteurs socio-économiques, culturels, géographiques sont liés au système de santé significativement associés au faible taux de couverture vaccinale chez les enfants de 0 à 59 mois dans l'aire de santé de Kanzulinzuli.

Objectifs de l'étude

Objectif général

Evaluer les facteurs associés au faible taux de couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois dans l'aire de santé de Kanzulinzuli.

Objectifs secondaires

1. Identifier l'influence des facteurs socio-économiques des parents (niveau d'éducation, occupation, revenu) sur la couverture vaccinale des enfants.
2. Évaluer l'impact des facteurs géographiques et sécuritaires (distance aux centres de santé, insécurité) sur la vaccination des enfants.
3. Examiner le rôle des facteurs liés au système de santé (disponibilité des vaccins, organisation des campagnes, qualité des services) sur la couverture vaccinale. Étudier l'effet des facteurs culturels et comportementaux (croyances traditionnelles, hésitation vaccinale, influence des leaders communautaires) sur la vaccination des enfants.

2. Matériel et méthodes

2.1. Cadre de l'étude

L'étude était menée dans l'aire de santé Kanzulinzuli, située dans la zone de santé de Beni au Nord Kivu en RD Congo. L'aire de santé regorge 40 267 habitants et 18 structures sanitaires confondues dont un centre de santé.

2.2. Type et période de l'étude

Il s'agissait d'une étude transversale descriptive à visée analytique pour une période de 6 mois soit du 1er janvier au 30 juin 2025.

2.3. Variables d'étude

Variable dépendante : couverture vaccinale.

Variables indépendantes : facteurs sociodémographiques, économiques, facteurs sanitaires, facteurs culturels et comportementaux, facteurs sécuritaires, facteurs socioéconomiques.

2.4. Population d'étude et taille de l'échantillon.

La population cible de l'étude comprenait les parents ou tuteurs légaux d'enfants âgés de 0 à 59 mois résidant dans l'aire de santé de Kanzulinzuli. Cette tranche d'âge est cruciale pour l'évaluation de la couverture vaccinale, car elle couvre les périodes clés de vaccination infantile. L'échantillonnage était réalisé de manière aléatoire ou stratifiée, en fonction des caractéristiques démographiques de la population locale, afin d'assurer une représentativité des résultats.

Pour une étude transversale sur une proportion, on utilise généralement la formule de Cochran suivante :

$$n = \frac{Z^2 \cdot p(1-p)}{d^2} = \frac{(1,96)^2 \cdot 0,5 \cdot (1-0,5)}{(0,05)^2} = 364,16 = 364$$

Avec n : taille de l'échantillon, Z : 1,96 pour 95% de confiance, p : proportion d'enfants vaccinés ou non) et d : marge d'erreur tolérée à 5% (0,05).

2.5. Technique d'échantillonnage

Nous avons procédé à un échantillonnage probabiliste en trois degrés (aire de santé, avenues et ménages) qui nous avait permis d'obtenir la représentativité.

2.6. Critères d'éligibilité

Les critères d'inclusion : Enfant âgé de 0 à 59 mois résidant dans l'aire de santé Kanzulinzuli et dont le parent/tuteur consent à l'enquête.

Les critères de non inclusion : enfants temporaires (visiteurs), refus de consentement des parents, données vaccinales impossibles à vérifier et parents non disponibles après trois visites.

2.7. Techniques de collecte des données et analyses statistiques

Une formation initiale des enquêteurs sur l'administration du questionnaire, le consentement éclairé et la vérification des carnets auprès de nos cibles. Le questionnaire structuré était remis auprès des parents/tuteurs, la vérification des cartes de vaccination et les fiches de consultation dans les structures sanitaires. Un pré-test était réalisé comme pilote pour adapter le questionnaire, qui était traduit en langue locale pour les enquêtés qui ne savaient pas lire ni écrire. La collecte était réalisée par des entretiens en face à face à domicile ou au centre de santé. Les analyses statistiques sont : Descriptives pour les caractéristiques sociodémographiques des ménages, le taux de couverture vaccinale par antigène et couverture complète. Les analyses bivariées pour la comparaison du statut vaccinal avec les variables indépendantes ; avec IC à 95 % et l'associations bivariées avec un seuil de significatif : $p < 0,05$.

2.8. Considérations éthiques

L'étude était conduite dans le strict respect des principes éthiques visant à protéger les droits, la dignité et la confidentialité des participants, conformément aux recommandations internationales et nationales en matière de recherche impliquant des êtres humains. Le protocole de recherche était soumis et approuvé par le comité scientifique de l'ISBN Beni compétent avant le début de l'étude sous l'autorisation de recherche N°01/ISBN/BS-KMS/2025, présentée et validée par le Médecin Chef de zone de santé de Beni et l'infirmier titulaire de l'aire de santé Kanzulinzuli. Avant toute collecte des données, un consentement libre et éclairé était obtenu auprès des parents ou tuteurs légaux des enfants. Les données collectées étaient traitées de manière confidentielle. L'étude ne présentait pas de risque majeur pour les participants. Le respect des droits des enfants pour les mesures prises étaient conformes aux droits de l'enfant tels que définis par la convention internationale des droits de l'enfant.

3. Résultats

Tableau 1. Répartition selon les facteurs socio démographiques

Facteurs	Fréquence	%
Sexe de l'enquêté		
Féminin	200	52,0
Masculin	184	47,9
Age de l'enquêté		
[15 à 18 Ans]	35	9,1
[19 à 35 Ans]	198	51,5
[36 à 65 Ans]	139	36,1
[66 et Plus]	12	3,1
Etat civil de l'enquêté		
Célibataire	105	27,3
Mariés	257	66,9
Veufs (ves)	22	5,7
Profession de l'enquêté		
Agriculteurs	204	53,1
Élèves (étudiant)	29	7,5
Commerçants	57	14,8
Enseignants	45	11,7
Personnels soignants	49	12,7
Niveau d'étude de l'enquêté		
Aucun	16	4,1
Primaire	58	15,1
Secondaire	245	63,8
Supérieur ou universitaire	65	16,9

Il ressort de ce tableau 1 que 52 % étaient du sexe masculin ; 5,5 % des enquêtés avait l'âge variant entre 19 à 35 ans ; 66,9 % des répondants sont des mariés ; 63,8 % avaient le niveau secondaire.

Tableau 2. Répartition selon les facteurs socio-économiques

Facteurs	Fréquence	%
Niveau d'instruction des parents		
Elevé	296	77,0
Faible	88	22,9
Niveau de revenu des parents		
Commerce	43	11,1
Agriculture	211	54,9
Employé	94	24,4
Sans emploi	36	9,3
Occupation et la disponibilité des parents		
Non occupés	74	19,2
Occupés	310	80,7
Accessibilité financière pour le transport		
Non accessible	98	25,5
Accessible	286	74,4
Condition d'hébergement et de l'environnement		
Bon	370	96,3
Mauvais	14	3,6

Il ressort du tableau 2 que 77 % ont une bonne instruction en rapport avec la vaccination des enfants, 54,9% sont des agriculteurs pour leur revenu, 80,7 % des parents sont occupés et disponibles à la vaccination, l'accessibilité au centre de santé à 74,4% et la condition environnementale est de 96,3%

Tableau 3. Répartition selon les facteurs géographiques

Facteurs	Fréquence	%
Distance entre le domicile et le Centre de santé		
<5 Km	362	94,2
>5 Km	22	5,7
Accessibilité des infrastructures de santé		
Accessible	368	95,8
Non accessible	16	4,1
Qualité des voies de communication et de transport		
Mauvais	210	54,6
Bon	174	45,3
Urbanisation ou ruralité		
Mauvaise	98	25,5
Bonne	286	74,4
Isolement géographique		
Oui	65	16,9
Non	319	80,7
Disponibilité de l'électricité et chaîne du froid		
Disponible	384	100
Non disponible	0	0
Sécurité et contexte géopolitique local		
Oui	77	20,0
Non	307	79,9

Le tableau 3 nous informe que distance entre le domicile et le Centre de santé de <5 Km à 94,2%, l'accessibilité des infrastructures de santé à 95,8%, la qualité des voies de la communication et de transport à 54,6%, l'urbanisation ou ruralité mauvaise à 25,5%, l'isolement géographique à 16,9%, la disponibilité de l'électricité et chaîne du froid 100%.

Tableau 4. Répartition selon les facteurs sanitaires

Facteurs	Fréquence	%
Disponibilité et accessibilité des services de vaccination		
Oui	368	95,8
Non	16	4,1
Disponibilité des vaccins et logistique		
Oui	338	88,0
Non	46	11,9
Qualité de l'accueil et des soins		
Bon	365	95
Mauvais	19	4,9
Ressources humaines en santé		
Qualifiée	348	90,6
Moins qualifiée	36	9,3
Organisation du système de santé		
Bon	311	80
Mauvais	73	19,0
Couverture sanitaire et surveillance épidémiologique		
Oui	322	83,8
Non	62	16,1
Accessibilité financière des soins associés		
Oui	115	29,9
Non	269	70,0

Il ressort du tableau 4 que la disponibilité et l'accessibilité des services de vaccination à 95,8 %, la disponibilité et la logistique à 88%, la qualité de l'accueil et des soins à 95%, les ressources humaines en santé disponibles à 90,6 %, l'organisation du système de santé est appréciée en 80%, la couverture sanitaire et la surveillance épidémiologique appréciées à 83,8% et l'accessibilité financières à 70 %.

Tableau 5. Répartition selon les facteurs culturels et sécuritaires

Facteurs	Fréquence	%
Croyances et perceptions traditionnelles		
Oui%	16	4,1
Non	368	95,8
Influence des leaders communautaires et religieux		
Oui	42	10,9
Non	342	89,0
Normes sociales et habitudes familiales		
Oui	371	96,6
Non	13	3,3
Conflits armés et insécurité civile		
Oui	384	100
Non	0	0,00
Déplacement et mobilité des familles		
Oui	275	71,6
Non	109	28,3

Il ressort des résultats du tableau 5 que les croyances et perception traditionnelles sont à 95,8%, l'influence des leadeurs communautaires et religieux est de 89%, les normes sociales et habitudes familiales sont à 96,6%, les conflits armés et l'insécurité civile majoritairement à 100%, les déplacements et mobilités des familles à 71,6%

Tableau 6. Répartition selon les facteurs comportementaux

Facteurs	Fréquence	%
Connaissances et perceptions sur la vaccination		
Oui	368	92,0
Non	16	8,0
Attitude vis-à-vis des vaccins		
Confiance envers l'efficacité et la sécurité des vaccins.	298	58,4
Peur des effets secondaires, méfiance ou hésitation vaccinale.	86	11,4
Pratiques de santé des parents		
Respect du calendrier vaccinal (assiduité aux rendez-vous).	311	67,8
Abandon après une ou deux doses.	63	32,3
Recours aux médecines traditionnelles ou à l'automédication au lieu de la vaccination.	10	2,6
Motivation et priorité		
Parents motivés considèrent la vaccination comme une priorité.	335	87,2
Négligence ou manque d'intérêt réduit la couverture vaccinale.	49	12,7

Le tableau 6 nous enseigne que les habitants ont une connaissance et les perceptions sur la vaccination à 92 %, l'attitude vis-à-vis des vaccins à 58,4 %, les pratiques de santé des parents à 67,8 %, la motivation et la motivation à 87,2%.

Tableau 7. Liaison entre les facteurs associés et la vaccination chez l'enfant âgés de 0 à 59 mois

Facteurs associés	Vaccination de l'enfant âgé de 0 à 59 mois					
	Oui	Non	Total	P	Kh2	Cramer
Oui	120	51	171	0,043	1,236	0,71
	61,3%	27,1 %	44,5%			
Non	76	137	213			
	38,7%	72,8 %	55,4%			
Total	196	188	384			
	100,00%	100,00%	100,00%			

De ce tableau 7, nous constatons qu'il existe un lien significatif entre les facteurs associés et la vaccination des enfants, avec une P-value est de 0,043.

Discussion

Les facteurs socio démographiques Il ressort de ce tableau 1 que 52 % étaient du sexe masculin ; 5,5 % des enquêtés avait l'âge variant entre 19 à 35 ans ; 66,9 % des répondants sont des mariés ; 63,8 % avaient le niveau secondaire. Ces résultats ressemblent ceux de l'OMS, en RDC, proportion de "zero-dose" (12-23 mois) associée à absence d'éducation de la mère, jeunes mères, faible équipement domestique (pas de téléphone, pas de radio), absence de registre civil et durant et après la pandémie de COVID-19, plusieurs pays ont observé une diminution de la couverture vaccinale globale, ce qui a accru le nombre d'enfants non vaccinés ou partiellement vaccinés. Les facteurs sociodémographiques demeurent similaires, mais l'impact des perturbations du système de santé a été aggravant.

Les facteurs géographiques

Le tableau 3 nous informe que distance entre le domicile et le Centre de santé de <5 Km à

94,2%, l'accessibilité des infrastructures de santé à 95,8%, la qualité des voies de la communication et de transport à 54,6%, l'urbanisation ou ruralité mauvaise à 25,5%, l'isolement géographique à 16,9%, la disponibilité de l'électricité et chaîne du froid 100%. André et al. (2008), rappellent que la couverture vaccinale varie fortement entre pays et à l'intérieur des pays (zones urbaines vs rurales, régions éloignées vs centrales). Ces inégalités géographiques expliquent en grande partie les poches persistantes d'enfants non vaccinés ; le rôle du développement

des systèmes de santé locaux. Les régions qui manquent d'infrastructures (centres de santé, chaîne du froid, routes praticables) ont des couvertures plus faibles. André et coll. soulignent que l'accès logistique (transport, électricité pour la chaîne du froid) conditionne la disponibilité réelle des vaccins.

Les facteurs socio-économiques

Il ressort du tableau 2 que 77 % ont une bonne instruction en rapport avec la vaccination des enfants, 54,9% sont des agriculteurs pour leur revenu, 8 à 7 % des parents sont occupés et disponibles à la vaccination, l'accessibilité au centre de santé à 74,4% et la condition.

L'étude de Clark & Sanderson (2009) montre que l'état socio-économique influence de façon significative **la rapidité avec laquelle les enfants reçoivent les vaccins**. Voici des éléments précis :

Les enfants des **ménages les plus pauvres** ou des quintiles socio-économiques inférieurs subissent des retards plus importants pour les doses de DTP/polio, BCG, etc. Les enfants dont les mères ont **un niveau d'éducation faible ou nul** (mère non éduquée) présentent des retards plus importants. Par exemple, dans l'étude de Ghana (qui cite Clark & Sanderson comme référence) : les enfants des mères sans éducation recevaient certains vaccins **2,5 semaines plus tard** que ceux des mères ayant un niveau d'éducation post-secondaire pour la dose.

Les facteurs sanitaires

Il ressort du tableau 4 que la disponibilité et l'accessibilité des services de vaccination à 95,8 %, la disponibilité et la logistique à 88%, la qualité de l'accueil et des soins à 95%, les ressources humaines en santé disponibles à 90,6 %, l'organisation du système de santé est appréciée en 80%, la couverture sanitaire et la surveillance épidémiologique appréciée à 83,8% et l'accessibilité financière à 70 %. L'étude de Damien B. G. (2024) intitulée « Déterminants communautaires de non-vaccination et de la vaccination incomplète des enfants de 0 à 11 mois dans l'Aire de santé Kabimba, en République Démocratique du Congo » met en lumière plusieurs **facteurs sanitaires** influençant la couverture vaccinale des enfants de 0 à 59 mois. Voici les principaux résultats relatifs à ces facteurs : Manque de connaissance sur les activités vaccinales, Méconnaissance des avantages de la vaccination, Distance entre le domicile et la structure de santé et le Soutien paternel insuffisante.

Les facteurs culturels et sécuritaires

Il ressort des résultats du tableau 5 que les croyances et perception traditionnelles sont à 95,8%, l'influence des leaders communautaires et religieux est de 89%, les normes sociales et habitudes familiales sont à 96,6%, les conflits armés et l'insécurité civile majoritairement à 100%, les déplacements et mobilités des familles à 71,6%. Cette information donne une orientation selon l'OMS qui nous informe la **sensibilisation communautaire** : Collaborer avec les leaders communautaires et religieux pour promouvoir les avantages de la vaccination et surmonter les résistances culturelles. Planification **adaptée** : Développer des stratégies locales pour atteindre les enfants non vaccinés ou partiellement vaccinés, en tenant compte des spécificités culturelles et sécuritaires, **Intégration des services** : Intégrer la vaccination avec d'autres interventions de santé de base pour maximiser l'impact et l'efficacité des programmes et l'**utilisation de la technologie** : Exploiter les technologies numériques pour améliorer la collecte de données, la surveillance et la gestion des programmes de vaccination.

Les facteurs comportementaux

Le tableau 6 nous enseigne que les habitants ont une connaissance et les perceptions sur la vaccination à 92 %, l'attitude vis-à-vis des vaccins à 58,4 %, les pratiques de santé des parents à 67,8 %, la motivation et la motivation à 87,2%. Les études de Orenstein, W. et al., (2017). Pour améliorer la couverture vaccinale, il est essentiel de : **renforcer l'éducation et la sensibilisation** des parents sur les avantages de la vaccination et la sécurité des vaccins, **impliquer les leaders communautaires et religieux** pour surmonter les résistances culturelles et religieuses, **améliorer l'accès à l'information** et fournir un soutien social adéquat aux familles et **cibler les interventions** en fonction du niveau d'éducation des parents et des croyances culturelles spécifiques.

Liaison entre les facteurs associés et la vaccination chez l'enfant de 0 à 59 mois

Le tableau 7, nous constatons qu'il existe un lien significatif entre les facteurs associés et la vaccination des enfants, avec une P-value est de 0,043. Nos résultats coïncident avec ceux de l'OMS avait mené plusieurs études et analyses pour identifier les facteurs influençant la couverture vaccinale des enfants âgés de 0 à 59 mois. Ces facteurs sont généralement regroupés en catégories telles que sociodémographiques, géographiques, sanitaires, culturels, sécuritaires et comportementaux.

Les facteurs socio-économiques

Il ressort du tableau 2 que 77 % ont une bonne instruction en rapport avec la vaccination des enfants, 54,9% sont des agriculteurs pour leur revenu, 84,7 % des parents sont occupés et disponibles à la vaccination, l'accessibilité au centre de santé à 74,4% et la condition.

L'étude de Clark & Sanderson (2009) montre que l'état socio-économique influence de façon significative **la rapidité avec laquelle les enfants reçoivent les vaccins**. Voici des éléments précis :

Les enfants des **ménages les plus pauvres** ou des quintiles socio-économiques inférieurs subissent des retards plus importants pour les doses de DTP/polio, BCG, etc.

Les enfants dont les mères ont **un niveau d'éducation faible ou nul** (mère non éduquée) présentent des retards plus importants. Par exemple, dans l'étude de Ghana (qui cite Clark & Sanderson comme référence) : les enfants des mères sans éducation recevaient certains vaccins **2,5 semaines plus tard** que ceux des mères ayant un niveau d'éducation post-secondaire pour la dose

Les facteurs culturels et sécuritaires

Il ressort des résultats du tableau 5 que les croyances et perception traditionnelles sont à 95,8%, l'influence des leaders communautaires et religieux est de 89%, les normes sociales et habitudes familiales sont à 96,6%, les conflits armés et l'insécurité civile majoritairement à 100%, les déplacements et mobilités des familles à 71,6%. Cette information donne une orientation selon l'OMS qui nous informe la **sensibilisation communautaire** : Collaborer avec les leaders communautaires et religieux pour promouvoir les avantages de la vaccination et surmonter les résistances culturelles.

-Planification **adaptée** : Développer des stratégies locales pour atteindre les enfants non vaccinés ou partiellement vaccinés, en tenant compte des spécificités culturelles et sécuritaires.

-**Intégration des services** : Intégrer la vaccination avec d'autres interventions de santé de base pour maximiser l'impact et l'efficacité des programmes.

-**Utilisation de la technologie** : Exploiter les technologies numériques pour améliorer la collecte de données, la surveillance et la gestion des programmes de vaccination.

Les facteurs comportementaux

Le tableau 6 nous enseigne que les habitants ont une connaissance et les perceptions sur la vaccination à 92 %, l'attitude vis-à-vis des vaccins à 58,4 %, les pratiques de santé des parents à 67,8 %, la motivation et la motivation à 87,2%. Les études de Orenstein, W. et al., (2017). Pour améliorer la couverture vaccinale, il est essentiel de : **renforcer l'éducation et la sensibilisation** des parents sur les avantages de la vaccination et la sécurité des vaccins, **impliquer les leaders communautaires et religieux** pour surmonter les résistances culturelles et religieuses, **améliorer l'accès à l'information** et fournir un soutien social adéquat aux familles et **cibler les interventions** en fonction du niveau d'éducation des parents et des croyances culturelles spécifiques.

Liaison entre les facteurs associés et la vaccination

Le tableau 7, nous constatons qu'il existe un lien significatif entre les facteurs associés et la vaccination des enfants, avec une P-value est de 0,043. Nos résultats coïncident avec ceux de l'OMS avait mené plusieurs études et analyses pour identifier les facteurs influençant la couverture vaccinale des enfants âgés de 0 à 59 mois. Ces facteurs sont généralement regroupés en catégories telles que sociodémographiques, géographiques, sanitaires, culturels, sécuritaires et comportementaux.

Limites : Une étude sur l'étude des facteurs associés au faible taux de couverture vaccinale chez les enfants âgés de 0 à 59 mois est multidisciplinaire, cela nécessite l'implication de tout le monde.

Conclusion

L'étude menée dans l'aire de santé de Kanzulinzuli a permis d'évaluer la couverture vaccinale des enfants âgés de 0 à 59 mois et d'identifier les facteurs associés à la vaccination complète ou partielle. Les résultats montrent que, malgré les efforts du système de santé, un nombre significatif d'enfants restent partiellement vaccinés ou non vaccinés, exposant ainsi cette population à un risque accru de maladies évitables par la vaccination. L'analyse des déterminants met en évidence que la vaccination des enfants dans cette aire de santé est influencée par des facteurs multiples et interconnectés, notamment : Sociodémographiques Géographiques, Sanitaires, Culturels et comportementaux : croyances, rumeurs, hésitation vaccinale, implication des parents dans le suivi vaccinal, Sécuritaires.

En somme, la protection des enfants de 0 à 59 mois contre les maladies évitables par la vaccination dans l'aire de santé de Kanzulinzuli dépend d'une approche intégrée, combinant actions sanitaires, interventions éducatives, et mesures de sécurité adaptées au contexte local.

Recommandations

Renforcement de la sensibilisation et de l'éducation, amélioration de l'accessibilité aux services de vaccination, faire le suivi et qualité des services de vaccination, une bonne prise en compte des facteurs culturels et sécuritaires.

Conflit d'intérêt : Les auteurs ne déclarent aucun conflit d'intérêt par rapport à l'étude

Remerciements

Kambale Mwaka Joseph était l'auteur principal et piloté l'étude, Paluku Sabuni Louis et Bailanda Mumbere Pascal avaient apprécié, supervisé et orienté l'étude, Tabiyo Kondema Julienne avait récolté les données, les conseils de Ndungo Kitsamuli Josué, Lobho Lokana Jules, Katungu Metya Joséphine, Katungu Mulinda Espérance, Makechi Essombo Didier, Kakule Mutsunga Maurice, Matiaba Binda Paul, Lisimo Abwa Hilaire.

Financement : L'étude était financée par les contributions des auteurs.

Références

1. Andre, F. E., Booy, R., Bock, H. L., Clemens, J., Datta, S. K., John, T. J., ... & Schmitt, H. J. (2008). *Vaccination greatly reduces disease, disability, death and inequity worldwide*. Bulletin of the World Health Organization, 86(2), 140–146. <https://doi.org/10.2471/BLT.07.040089>
2. Bisvigou, U. (2020). Évaluation du statut vaccinal et des rappels dans les communautés rurales. <https://pmc.ncbi.nlm.nih.gov/articles/PMC7250231>
3. Clark, A., & Sanderson, C. (2009). *Timing of children's vaccinations in 45 low-income and middle-income countries: An analysis of survey data*. The Lancet, 373(9674), 1543–1549. [https://doi.org/10.1016/S0140-6736\(09\)60212-3](https://doi.org/10.1016/S0140-6736(09)60212-3)
4. Damien, B. G. (2024). Couverture vaccinale complète des enfants de 12 à 59 mois et raisons de non-vaccination en milieu périurbain abidjanais en 2010.
5. GAVI, the Vaccine Alliance. (2021). *The importance of immunization for children*.
6. Institut national de santé publique du Québec. (2012). Avis sur la pertinence d'ajouter les enfants âgés de 24 à 59 mois au Programme québécois d'immunisation. https://www.inspq.qc.ca/pdf/publications/1654_AvisPertAjoutEnfants24-59MoisPQVI.pdf
7. Institut national de santé publique du Québec. (2016). Enquête sur la couverture vaccinale des enfants de 1 an, 2 ans et 7 ans, 2016.
8. Institut national de santé publique du Québec. (2021). Étude sur la couverture vaccinale des enfants québécois âgés de 1 an, 2 ans et 7 ans, 2021.

- <https://www.inspq.qc.ca/sites/default/files/publications/3570-etude-couverture-vaccinale-enfants-quebecoises-1-2-7-ans-2021.pdf>
9. La Fond, A., Kanagat, N., Steinglass, R., Fields, R., Sequeira, J., & Mookherji, S. (2015). *Drivers of routine immunization coverage improvement in Africa: Findings from district-level case studies*. *Health Policy and Planning*, 30(3), 298–308. <https://doi.org/10.1093/heapol/czu011>
 10. Ministry of Health, Democratic Republic of Congo. (2022). *Programme élargi de vaccination (PEV) – Rapport annuel*. Kinshasa : Ministère de la Santé Publique.
 11. Orenstein, W. A., & Ahmed, R. (2017). *Simply put: Vaccination saves lives*. *Proceedings of the National Academy of Sciences*, 114(16), 4031–4033. <https://doi.org/10.1073/pnas.1704507114>
 12. Organisation mondiale de la Santé (OMS). (2024). Les niveaux de vaccination infantile dans le monde ont stagné en 2023, laissant de nombreux enfants sans protection salvatrice. <https://www.who.int/fr/news/item/15-07-2024-global-childhood-immunization-levels-stalled-in-2023-leaving-many-without-life-saving-protection>
 13. Organisation mondiale de la Santé (OMS). (2025). Établir et renforcer la vaccination au cours de la deuxième année de vie. <https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/273824/9789242513677-fre.pdf>
 14. Santé publique Montréal. (2025). Vaccination des enfants : un rendez-vous à ne pas manquer. <https://santepubliquemontreal.ca/conseils-et-prevention/conseils/vaccination-des-enfants-un-rendez-vous-ne-pas-manquer>.
 15. UNICEF. (2022). Leçons apprises et Bonnes pratiques : Activités de vaccination pendant la pandémie de COVID-19. <https://www.unicef.org/media/130001/file/Lessons-Learned-and-Good-Practices-Immunization-Activities-During-the-COVID-19-Pandemic-2021-FRENCH.pdf>

عنوان البحث

**التصوّف ودوره في الشعر العربي: دراسة الحالة التشادية من خلال شعر عبد الحق
الترجمي (1853-1917م)**

د/ محمد حبيب الغالي آدم¹

¹ محاضر بقسم اللغة والإعلام العربي بكلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بجامعة مندو. بجمهورية، تشاد.
HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/20>
المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/20>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تبحث هذه الدراسة أثر التصوّف الإسلامي في تشكيل النتاج الشعري العربي في تشاد، عبر نموذج الشاعر الصوفي عبد الحق محمد أحمد الترمجي (1853-1917م). تنطلق الدراسة من إطار تاريخي-ثقافي يوضح مسارات دخول الطرق الصوفية—وخاصة التيجانية—وانعكاسها على الذائقة الجمالية ووظائف الشعر في مجتمع وداي، ثم تُجري تحليلاً وصفيًا-فنيًا لنصوص الترمجي المتاحة. تفكّك الدراسة أبرز الأغراض التي اشتغل بها الشاعر: المديح النبوي، ومديح رجال الدولة (ولا سيما السلطان أصل)، والثناء—خاصة رثاء شيخه—إلى جانب أدعية واستغاثات تحمل نزوعًا تربويًا وإصلاحيًا. وتُبرز توظيفه لمصادر نصّية غنية (القرآن والحديث والتراث الشعري العربي) وآليات بلاغية كالتضمين والاقتباس والتناص، ضمن لغة فصحة مأنوسة وإيقاعات تقليدية محكمة.

تُظهر النتائج أن الحركة الصوفية كانت محفّزًا رئيسًا لازدهار الشعر العربي التشادي؛ إذ صاغت منظومة قيم روحية وأخلاقية (المحبة الإلهية، التزكية، السلوك) ترجمتها القصيدة إلى خطاب يوازن بين التعبّد والجمال، ويتداخل فيه الديني بالاجتماعي والسياسي (الدعوة إلى السلم، نقد الانحراف، وتقوية اللحمة المجتمعية). كما تؤكد الدراسة مكانة الترمجي قطبًا أدبيًا ومعرفيًا، مع الإشارة إلى ضياع جانب من ديوانه الكبير وبقاء نصوص متناثرة تقتضي جمعًا وتحقيقًا. وتوصي بإنشاء مجمع لغوي تشادي، وبمشروعات توثيق وتحقيق ونقد للتراث الصوفي-الأدبي في تشاد، بما يُثري المكتبة العربية الإفريقية ويُعيد إدماج هذا المتن في خرائط الأدب العربي المقارن.

الكلمات المفتاحية: التصوّف، الشعر العربي التشادي، عبد الحق الترمجي، المديح النبوي، الرثاء، التيجانية، التناص، الجماليات الصوفية.

RESEARCH TITLE

Sufism and Its Role in Arabic Poetry: The Chadian Case through the Poetry of ‘Abd al-Ḥaqq al-Tarjumi (1853–1917)

Dr. Mahamat Habib Alkhali Adam¹

¹ Lecturer in the Department of Arabic Language and Media at the Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences at the University of Moundou - Chad.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/20>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/20>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study examines the impact of Islamic Sufism on Arabic poetic production in Chad by focusing on the Sufi poet ‘Abd al-Ḥaqq Muḥammad Aḥmad al-Tarjumi (1853–1917). Framed within a historical-cultural overview of how Sufi orders—especially the Tijaniyya—entered and shaped aesthetic taste and the social functions of verse in Wadai, the research conducts a descriptive-formal analysis of surviving poems by al-Tarjumi. It disaggregates the principal genres he cultivated—Prophetic panegyric, encomia of state figures (notably Sultan Aṣīl), and elegy, alongside supplicatory and devotional pieces with reformist and pedagogical inflections. The study highlights his rich textual sourcing (Qur’an, Hadith, and the classical Arabic canon) and his rhetorical procedures—quotation, allusion, and intertextual weave—within fluent classical diction and tightly regulated meters.

Findings indicate that Sufi culture was a primary catalyst for the flourishing of Chadian Arabic poetry, articulating a value system of spiritual love, ethical refinement, and disciplined conduct. The poem thus mediates between worship and aesthetics while intersecting with social and political discourse (calls for peace, critique of moral lapses, and social cohesion). The research also reaffirms al-Tarjumi’s status as a literary and intellectual pivot, noting the loss of significant portions of his large dīwān and the need to collect and edit scattered texts. Recommendations include establishing a national Chadian language academy and launching documentation, editing, and critical projects on Sufi-literary heritage in Chad to enrich Afro-Arab letters and reposition this corpus within comparative Arabic literary maps.

Key Words: Sufism, Chadian Arabic poetry, ‘Abd al-Ḥaqq al-Tarjumi, Prophetic panegyric, Elegy, Tijaniyya, Intertextuality, Sufi aesthetics.

المقدمة:

يُعدّ التصوّف أحد أبرز المظاهر الفكرية والروحية التي أثّرت بعمق في الثقافة العربية الإسلامية منذ قرونها الأولى، إذ لم يكن مجرد تيار ديني أو فلسفي فحسب، بل شكّل منظومة متكاملة من القيم الجمالية والأخلاقية انعكست على النتاج الأدبي، ولا سيما الشعر. فالشعر الصوفي بما يحمله من رموز وإيحاءات ومضامين روحية سامية، عبّر عن أشواق الإنسان نحو الكمال الإلهي، وعن تجربة وجدانية تتجاوز المألوف الحسي إلى آفاق التأمل والمكاشفة والعشق الإلهي.

وفي السياق الإفريقي، برزت تشاد بوصفها إحدى الحواضن التي استوعبت الفكر الصوفي مبكراً، عبر الطرق التيجانية والقادرية وغيرها، فصار التصوف مكوناً أساسياً من مكونات الهوية الثقافية والأدبية التشادية. وقد انعكس هذا التأثير في النتاج الشعري العربي بها، الذي اتخذ من التصوف منهجاً ومدرسةً تعبّر عن الإيمان العميق، والسمو الروحي، والدعوة إلى الفضائل والسلم والإصلاح الاجتماعي.

وتأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على الشاعر الصوفي عبد الحق محمد أحمد الترجمي (1853-1917م)، بوصفه أحد أعلام الأدب العربي التشادي، الذي أسهم في بلورة الملامح الفنية والفكرية للشعر الصوفي في بلاده. فكان شعره مرآةً تعكس تفاعلات الروح مع الواقع، يجمع بين التأمل الديني والنزعة الجمالية، ويجسد وحدة الدين والفن في قالب شعري عربي رصين.

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الدور الذي اضطلع به التصوف في إثراء التجربة الشعرية العربية في تشاد، من خلال تحليل نماذج مختارة من شعر الترجمي، ودراسة خصائصها اللغوية والفنية والفكرية، واستجلاء أثر البيئة الصوفية في تشكيل رؤيته للعالم والوجود والإنسان. كما تسعى إلى ربط هذا التراث التشادي بالمنظومة الأدبية العربية الكبرى، بما يعزز حضور الأدب الإفريقي العربي في الدراسات النقدية الحديثة.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. علاقة الدراسة بالصوفية باعتبارها جزءاً من الثقافة العربية الإسلامية.
2. التعامل مع الشعر الصوفي لمعرفة القدرة على الربط بين التجربة الصوفية كسلوك وإبداع وكتابة.
3. تكمن الأهمية فيما يسعى إليه الشعر الصوفي لتطهير النفس والروح، وإتمام الخلق الإنساني الرفيع.

أهداف الدراسة: وهي الدراسة:

1. دراسة التطورات الفكرية والمعرفية المتعلقة بتجربة الشاعر الصوفي.
2. كشف معاني هذا الشعر من خلال الكنايات، والاستعارات، والسجع، للوصول إلى المعاني الروحية.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي الفني التاريخي.

حدود الدراسة: الصوفية ودورها في الأدب التشادي من خلال علم من أعلامها "عبد الحق الترجمي" حياته العامة وأهم خصائص شعره اللفظية والمعنوية.

الدراسات السابقة:

1. الأدب التشادي من خلال شعر عباس محمد عبد الواحد - عبد العزيز أبكر (1989م)⁽¹⁾

تتناول هذه الدراسة البنية الفنية والفكرية للشعر التشادي العربي من خلال نموذج الشاعر عباس محمد عبد الواحد، أحد

(1) عبد العزيز أبكر / الأدب التشادي من خلال شعر عباس محمد عبد الواحد. مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل، تشاد، 1989م.

أبرز الأصوات الشعرية في القرن العشرين. ركز الباحث على السمات اللغوية والأسلوبية في شعره، وعلاقته بالتراث العربي والإسلامي، مبيِّناً دور الشعر في حفظ الهوية الثقافية في تشاد. وقد أسهمت هذه الدراسة في تأكيد عمق الارتباط بين الأدب التشادي والعربية الفصحى بوصفها أداة للتعبير الديني والاجتماعي.

2. الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي في دار وداي (1853-1917م) - محمد صالح أيوب (2001م)⁽²⁾

هي رسالة دكتوراه بحثت في الإسهامات الدينية والسياسية للشيخ عبد الحق السنوسي خلال حقبة حساسة من تاريخ مملكة وداي. اعتمد الباحث المنهج التاريخي التحليلي للكشف عن تأثير الفكر الصوفي السنوسي في الحياة العامة، ودوره في نشر التعليم الإسلامي ومقاومة الاستعمار الفرنسي. وقد أبرزت الدراسة كيف كان التصوف في تشاد عاملاً رئيساً في بناء الوعي الجمعي وتشكيل القيادة الروحية والاجتماعية.

3. الشعر الدعوي في تشاد: الواقع والواجب - د. مرتضى الزين (1999م)⁽³⁾

تناولت هذه الدراسة الاتجاه الدعوي في الشعر التشادي الحديث، مركزة على الأغراض الوعظية والإصلاحية التي تبناها الشعراء المتأثرون بالمدارس الصوفية والإسلامية. ناقش الباحث وظائف الشعر في الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ومواجهة الانحراف الاجتماعي، مع تحليل لأسلوب الخطاب الديني في الشعر التشادي. وقد مثّلت هذه الدراسة جسراً بين الأدب الدعوي والتجربة الصوفية في المجتمع التشادي.

4. عبد الحق الترجمي: حياته وأدبه - عبد الرحمن حسين (مخطوط)⁽⁴⁾

يُعدّ هذا العمل من أوائل المحاولات المنهجية لتوثيق سيرة الشاعر عبد الحق الترجمي وتحليل نتاجه الأدبي. تناول المخطوط الجوانب التاريخية والفكرية لشخصية الترجمي، مع عرض تحليلي لقصيدته الشهيرة "النونية الكبرى"، مبرزاً ما فيها من مضامين دينية وصوفية ووطنية. ويُعدّ هذا المخطوط مرجعاً تأسيسياً في دراسة شعر الترجمي، لكونه المصدر الأهم الذي حفظ لنا جانباً من تراثه الشعري الضائع.

تختلف هذه الدراسة عن الأبحاث والدراسات السابقة من عدة أوجه أهمها:

1/ ركزت الدراسة في الصوفية ودورها في النتاج الأدبي في تشاد ومدى التأثير والتأثر في الفكر والتأمل في أمور قد تبدو غائبة، والوقوف على الآداب الشرعية في بيئة عبد الحق الترجمي واليقظة الشعورية الشعرية في أهم موضوعاته ومظاهره.

2/ تحليل النص الشعري وإظهار الفكرة من خلال معاني شعر عبد الحق الترجمي المتشابهة بين معاني بقيه وإظهاره بالنقل الاتباعي.

إشكالية البحث: توضيح وبيان منهج الشاعر ومدى التأثير بالمدرسة الصوفية ودورها لإيراد الفكر وتلاقى الموضوعات في قطر كتشاد.

النتائج: توصلت الدراسة للآتي:

(2) محمد صالح أيوب. الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي في دار وداي. (1853-1917) رسالة دكتوراه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2001م.

(3) مرتضى الزين. الشعر الدعوي في تشاد: الواقع والواجب. بحث مقدم في الندوة الدولية، جامعة الملك فيصل، تشاد، 1999م.

(4) عبد الرحمن حسين. عبد الحق الترجمي: حياته وأدبه. مخطوط محفوظ في خزانة الباحث الدكتور محمد صالح أيوب، تشاد، دون تاريخ.

1. إن تراثنا الأدبي في تشاد ظهر مع ظهور الصوفية.
2. إن الشعر الدال على الحب الإلهي والرسول صلى الله عليه وسلم أظهر لنا شعراً يدعو إلى الفضائل الإسلامية.
3. تكوين مجمع لغوي تشادي عام تدعّمه كل الدول العربية مادياً ومعنوياً مع مشاركتها في إدارته واختيار أعضاء من علماء اللغة والأدب حتى يتشاوروا في قضايا اللغة العربية وآدابها.

هيكل البحث:

- الموضوع: من أعلام الاتجاه الصوفي الديني في الشعر العربي التشادي عبد الحق محمد أحمد الترجمي (1852 - 1917م) دراسة تحليلية نقدية لشعره.

وتكوّنت الدراسة من فصل وثلاثة مباحث بمطالب مختلفة:

❖ الفصل: الصوفية ودورها في النتاج الأدبي الشعري.

- التمهيد: تشاد ونشأة الشعر العربي وتطوره ومراحلته.
- المبحث الأول: عبد الحق محمد الترجمي، حياته وشعره
- اسمه، لقبه، ثقافته، مكانته العلمية والسياسية والاجتماعية، وأثاره الأدبية، ومشاركته في أحداث عصره - شيوخه وتلاميذه، المؤثرات في شعره، ومصادر شعره.
- المبحث الثاني: دراسة شعره وأجناسه:
- المدح النبوي، مدحه لكبار عصره، رثاؤه لشيخه.
- المبحث الثالث: الخصائص العامة في شعره:
- الخصائص الفنية، الألفاظ، لفته الشعرية، الأفكار، المعاني، العاطفة.

الفصل الأول: الصوفية ودورها في النتاج الأدبي (الشعر).

- التمهيد: تشاد ونشأة الشعر العربي، (تطوره ومراحلته).

لمحة:

يرجى إطلاق اسم "تشاد" على البلد المعروف حالياً بهذا الاسم إلى الجماعات التي سكنت البحيرة، وهي عناصر متباينة استقرت وامتزج بعضها ببعض، فنتج عن ذلك عناصر مختلفة اتخذت لها من البحيرة موطناً.

ومما يدل على ذلك وجود ثقافات قديمة، منها: (التماثيل، الأواني، الأسلحة، الفخار)، ويذكر الدكتور أحمد شلبي أن هذه التسمية أخذت من نوع من السمك الغني بالمواد الغذائية يُعرف باسم "Chad - Shad"، وهو الأكثر تواجداً في هذه البحيرة⁽⁵⁾، ومدلول التسمية "تشاد"، يرى أغلب الباحثين أن القبائل العربية كانت تتخذ من ضفاف البحيرة قرى لها، فسَمّوا هذه القرى بقرى شاطئ البحيرة، وبمرور الزمن حُرّف لفظ "شاطئ" إلى "تشاد" بإضافة توصلاً في أول الكلمة، وقيل إن التاء زائدة⁽⁶⁾.

وبحيرة تشاد تقع شمال وسط إفريقيا، ويقع معظمها داخل الأراضي التشادية، وجزء قليل منها في نيجيريا والكاميرون⁽⁷⁾،

⁽⁵⁾ شلبي، أحمد، "موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية"، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1983م، ص 613.

⁽⁶⁾ الماحي، عبد الرحمن عمر، "تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1893 - 1982)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.

⁽⁷⁾ الموسوعة العربية العالمي، ج6، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (د.ت).

وتُعتبر البحيرة الحد الفاصل بين شرق إفريقيا وغربها، وملتقى الحضارات الزاحفة من الشرق والغرب، مما جعل تشاد امتداداً للجهة الشرقية في اللغة العربية والدين.

هي كذلك معبر للثقافة الشرقية للتجار بين المشرق والمغرب العربيين، ومن ناحية أخرى فإن أراضيها تمتد فتشمل بعض صحراء الشمال وسهول الجنوب، وهي حلقة اتصال بين مجموعة من البلدان، ومجموعة من الثقافات والحضارات. وتبلغ مساحتها 63.000، وعمقها 7 م.⁽⁸⁾

- تشاد جغرافياً

تشاد دولة إفريقية تقع وسط القارة الإفريقية، بمنطقة تمتد بين درجتي خط العرض 23.8 درجة شمالاً، وبين درجتي خط الطول 24.14 درجة شرقاً، وتبلغ مساحتها 1.286.340 كم²، وهي عبارة عن حصن حصين يتكوّن من سلسلة جبال تبستي وأندي، ومرتفعات وداي وملحقاتها، وجبال أبو تلفان وأبدييه وأبو طيور. وتتخللها عدّة أنهار وبحيرات وغابات كثيفة.⁽⁹⁾

وتشاد من الدول الحبيسة حيث تبلغ المسافة بينها وبين أقرب السواحل البحرية إليها 800 كم، ويمكنها اختراق أراضي جيرانها. ويبلغ عدد سكانها حتى سنة 1993م: (4.279.913) نسمة، 85% مسلمون، 5% نصارى، 10% إحيائيون، وتحدها من الشرق السودان، ومن الغرب النيجر ونيجيريا والكاميرون، ومن الشمال ليبيا، ومن الجنوب إفريقيا الوسطى⁽¹⁰⁾، والعاصمة التشادية تُعرف بـ "فورت لامي"، وتُعتبر اللغة الفرنسية واللغة العربية هما السائدتان والرسميتان⁽¹¹⁾ في الدولة التشادية الحديثة.

- الصوفية والنتاج الأدبي في تشاد "الشعر"

الصوفية: لغة: الصفاء، أي صفاء الأسرار ونقاء الآثار، ونسبةً إلى أهل الصفة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.⁽¹²⁾

في الاصطلاح: مثلما اختلف الباحثون حول كلمة التصوف في اللغة، اختلفوا في مدلولها الاصطلاحي على تعريفات مختلفة، منها: أن التصوف هو (الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني).⁽¹³⁾ وهو (المعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها، يقبل عليه الجمهور من لدّة ومال وجاه، وإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة)⁽¹⁴⁾، لأنه عبارة عن: (فكر وتأمل في أمور تبدو غامضة، والوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً)⁽¹⁵⁾. فالتصوف هو نزعة إنسانية يُعبّر بها المتصوف عن شوقه ورغبته في الاستعلاء على المادة بصفاء روحه، ورفعها إلى الكمال الأخلاقي في جميع تصرفات حياته.

⁽⁸⁾ شيلي، أحمد، مرجع سابق، ص 615.

⁽⁹⁾ الماحي، عبد الرحمن عمر، "الدعوة الإسلامية في إفريقيا: الواقع والمستقبل"، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1999م، ص 79.

⁽¹⁰⁾ جاكو، محمد شريف، العلاقات السياسية بين تشاد وليبيا، قضية ازو، من 1960هـ/1995م، ط1، 1997م، ص 17. ونظر: عبد الغني محمد، الموقع الجغرافي لتشاد أثره في تكوينها العام مع الاهتمام باللغة العربية والدين، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2001/26/12م، ص 6.

⁽¹¹⁾ مؤمن، مصطفى، "قسمات العالم الإسلامي المعاصر"، دار الفتح، ط1، 1997م، ص 405.

⁽¹²⁾ زقزوق، محمد حمدي، الموسوعة الإسلامية العامة، 1422هـ/2001م، ص 386.

⁽¹³⁾ أحمد، عبد الفتاح سيد، "التصوف بين الغزالي وابن تيمية"، دار الوفاء، ط1، 1420هـ/2000م، ص 15.

⁽¹⁴⁾ ابن خلدون، "مقدمة ابن خلدون"، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط2، 1419هـ/1998م، ص 432.

⁽¹⁵⁾ فقي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية، صافي تونس، ط1، 1986م، ص 90.

ويعد العصر العباسي الأول هو الدور الأول للتصوف الإسلامي وبلوغه مرحلة الزهد وولادة الزهد الفلسفي أو التصوف الذي يقوم على إرادة الإنسان للسيطرة على نوازغ النفس والإمعان في زجرها وردعها والمبالغة في العبادة والأخذ بالزهد والتقشف الذي عرف به أصحاب البصرة وتنافسهم المستمر مع الكوفة حتى قيل عبادة بصريّة وفقه كوفي، والبصرة منشأ التصوف والمتصوفة، وأول من أطلق عليه لقب صوفي هو أبو هشام الكوفي، أما صيغة الجمع صوفية فقد أطلق على مذهب من مذاهب التصوف بالكوفة سنة 199هـ⁽¹⁶⁾. فمكة والمدينة أكبر مركزين يجتمع فيهما الزهاد والمتصوفة في مراسم ومواسم الحج، يمتدحون النبي صلى الله عليه وسلم بالنظم والأشعار الداعية إلى الزهد والتقشف الذي طرأ على حياة المسلمين في تشاد، فكان ثمرة دينية واجتماعية بسبب دخول الطريقة التجانية في تشاد عن طريق الجزائر والمغرب في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ولم تتورع عن اللجوء إلى السيف، بل كانت الدعوة عن سلام تدعو إلى التعبد والتمعن في الكون بقصد الوقوف على وجود الله وقدرته، وإبراز حب الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالوعظ والإرشاد والكلمة الطيبة وبالحكمة السائدة في علمائها وقادتها⁽¹⁷⁾.

ويرجع تاريخ دخول الطريقة التجانية في تشاد إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري الموافق 1820م، فانتشرت على يد رجال علماء مشهود لهم بالولاية والصلاح، منهم: عبد العزيز أبو غرة، محمد أبو رأس، محمد الصغير، عبد الله الشهير بأبي جورية، وكثير من علماء تشاد⁽¹⁸⁾ الذين كان لهم الفضل في تعاليم الأمة مبادئ الطريقة التجانية، حتى غدت رابطة روحية عظيمة، فكانت لهم جهود إصلاحية موجهة للمجتمع التشادي من كل جوانبه، التعليمية والتربوية فبدأ التنافس حول اتقان اللغة العربية وبخاصة الشعر والنظم الذي يعتبر المادة الأساسية للمدائح النبوية، لدرجة أنه أصبح لغة التخاطب في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر المرهفة والمشاعر الدينية الصادرة من نفسية المتدين المتخذ لهذا الجانب مدرسة ومنهجاً لحياته وتعامله مع الآخرين، فصارت المادة الأدبية لهم مادة خصبة يلهج بها اللسان والقلم بواقع الدعوة الإسلامية ورمزها الساطع محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا قد شهدنا حركة أدبية تموج بتيارات مختلفة متفاعلة مع التيارات العالمية⁽¹⁹⁾، تمثل في الواقع نزاعات ومفاهيم وتقنيات ليست منقطعة الصلة بنظائرها في العالم المجاور لها من البلاد العربية والإسلامية، فكان لابد للمصطلحات أن تحتل مكانها المناسب في اهتمامات الحركة الأدبية في بيئة وعصر عبد الحق الترجمي، وارتباط هذا المصطلح بمشاكل الحياة الأدبية الفعلية للقدرة على إتاحة الطريق أمام المنتج الأدبي والناقد والقارئ⁽²⁰⁾.

لذا أصبح الشعراء وخاصة علماء وشعراء الصوفية لا يتركون مناسبة إلا جعلوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم محوراً التي تدور حوله همومهم وهموم الأمة، فجاءت أساليبهم صادقة هي قيم دينية سامية تهدف إلى التصدي لمعالجة الانحراف والخلاف في هذا المجتمع وتوجيه النقد والنصح والإرشاد. فمن هؤلاء الشعراء الشاعر الفقيه أحمد الحبو⁽²¹⁾ في قصيدة له بعنوان: "ضراعة الملهوف"، منها قوله: "الرجز"

(16) الحموي، ياقوت، "معجم البلدان"، بيروت، لبنان، دار صادر، م1، (د،ت)، ص 490.

(17) أنوت سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة دكتور حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ط2، 1970م، ص 370.

(18) مكي، عبد الله، طريق الهدى والرشاد في التصوف القديم وتاريخ دخول الإسلام والطريقة التجانية في تشاد، دار التضامن، الخرطوم، 1990م، ص 102.

(19) عيسى، عبد الظاهر حسن، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلان، دار الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1981م، (د،ت)، ص 315.

(20) القاعون، حلمي، "محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، 1408هـ/1978م، ص 89 - 90.

(21) أحمد الحبو ولد في القرن الثامن عشر الميلادي، نشأ وتعلم في مدارس أبشة له من الأشعار الكثير في التصوف، والزهد. ينظر: الاستنكار لما لعلماء كانمبرنوم الآثار والأخبار، إبراهيم صالح الحسيني، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل، ص 41.

ثم صلاة الله ربي والسلام **** على النبي محمد نور الأنام

إلى أن قال:

"إني توسلت باسم الله **** إليك يا الله يا إلهي

وباسمك العظيم الأعظم العلي **** إني توسلت إليك يا علي

فالقصيد شملت على معاني دعائية وتوسل بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وأظهرت الحب الإلهي. بما أن هذه القصيدة في مدح النبي وآله، إلا أنها قد خرجت عن الشروط الفنية للشعر لعدم شيوع الأسلوب المنطقي وقوة الربط بين الأبيات، وتسلسل الموضوعات والانتقال غير المنظم، فجاءت قريبة من النثر بل هي عبارة عن دعاء في جمل إيقاعية.

ومن النماذج الدالة على التصوف قصيدة الشيخ محمد حلو آدم⁽²²⁾ من الكامل، مطلعها:

ذهبت سعاد بنومي ورقادي **** لا خير في نوم وحب سعاد

إن الأحبة أزمعوا سفرًا **** إلى بيت الإله وزور قبر الهادي

ما حيلتي إلا مديح محمد **** يسلا همومي مسعفاً بمراد

بهذه القصيدة وما ماثلها نلاحظ أن الشعر الصوفي في بيئة عبد الحق الترجمي قد طرق طوراً جديداً نحو التكامل الفني، وبدأ يتسرب في الوجدان كأداة متميزة مواكبة للأحداث متأسيماً بما قاله الشعراء من قبل، ففي مطلع القصيدة يحدثنا عن محبوبته، وهذا ليس بجديد على شعراء التيار الصوفي، لأن أرقى ما قاله المتصوفة هو بدء قصائدهم بالغزل أو الخمر، ولا يجدون في ذلك حرجاً، بل يصرفون ذلك من المعاني الحسية إلى المعاني المعنوية.

وفي قصيدة الشاعر محمد طاهر التليبي⁽²³⁾ يتضح لنا العناية بعمق نحو التوسل بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو العلامة الكبرى من علامات التصوف، كقوله:

إني توصلت إلى الرحمن **** بسيد الوجود والتجاني

وتوسلت يا رب بالقرآن **** وبجملته الكتب والمثان

توسلت بسيد الوجود **** أجرني يا إلهي من حسود.

هكذا اتسم الشعر الصوفي بصدق العاطفة والحب الإلهي وتعلق القلب بالحبيب، وهو الله، تألقاً لا ينقطع، ومحبة للصفات الإلهية وارتباط بالمقامات الروحية، وجعل شخصية النبي صلى الله عليه وسلم مفتاحاً لكل كرب، فقال التليبي "الوافر"⁽²⁴⁾:

وعلمك يا رسول الله بحر ***** لأهل الأرض طراً والسماء

(22) محمد حلو آدم جبريل، من قبيلة المناوشي ولد عام 1864م، نشأ يتيماً حفظ القرآن الكريم وألفية ابن مالك والشاطبية وعقود الجمان، سافر إلى برنوا لتلقي العلوم وسكن باقرمي حتى توفاه الأجل. ينظر: طريق الهدى والرشاد، مرجع سابق، ص 47، والقصيدة في الاستنكار، 200 بيت، ص 41.

(23) محمد الطاهر الحاج الشريف الحياوي، ولد بقرية مراي شرق مدينة أم تيمان الواقعة جنوب شرق تشاد عام 1819م، درس العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم في تشاد ونيجيريا ودار فور غرب السودان حتى لقب بالحفاظة لسرعة حفظه وفهمه، سافر إلى اليمن والحجاز. ينظر: دافيوم يعقوب محمد، تاريخ علماء تشاد، مخطوط، ص 24.

(24) محي الدين، حبيب، "الطاهر بن التليبي: حياته وشعره"، مخطوط، مكتبة جامعة الملك فيصل - تشاد، والقصيدة من 14 بيتاً.

وذكر الشاعر أحمد البرعي⁽²⁵⁾ في قصيدته "تنمة التوحيد" من البسيط موضعاً حقية التصوف بقوله:

ليس التصوف لبس الصوف يُرَقِّعه ***** ولا بكاء إن غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ***** ولا بكاء كأن قد صرت مجنونا

إن تصوف أن تصوف بلا كدر ***** وتتبع الحق والقرآن والدنيا

فبهذا يؤكد لنا الشاعر أحمد البرعي أن القرآن الكريم والسنة الشريفة والاجتهاد من علماء الأمة العارفين والقياس هو التصوف، وكذا الخلق الحميد ومحاربة البدع وتوجيه النصائح المفيدة.

هكذا وقد تناول الشعراء الزهد، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، والتصدي للفساد الأخلاقي والخلقي، والحث نحو كثرة الدعاء والحديث عن علو منزلة النبي صلى الله عليه وسلم وشدة كرمه، تلك هي المعاني الشائعة، كل ذلك بسبب الصوفية ودورها في النتاج الشعري الذي ظل لغة العلماء مما جعل أغلب أشعارهم ذات طابع صوفي، لأن أغلبهم عاش حياته مع الفقهاء الذين لا يقرضون الشعر إلا في إطار نشاطهم الديني، ولا ننكر الضعف والألفاظ الركيكة والعيوب في الوزن والقافية في بعض أشعار شعراء هذا التيار.

المبحث الأول: عبد الحق الترجمي: حياته وشعره

اسمه ولقبه: عبد الحق محمد أحمد ابن يعقوب ابن إدريس الترجمي⁽²⁶⁾، وقد اختلف الباحثون حول تاريخ ميلاده، قيل بقرية ترجم⁽²⁷⁾ عام 1853م، وقيل 1853م و1855م⁽²⁸⁾، ولكننا نرجح عام 1853م، وهي رواية أغلب الباحثين⁽²⁹⁾.

وعبد الحق شاعر وأديب ومحدث في عصره، لذا فإن معظم المصادر والمراجع التي أثبتت نسبته للمكان الذي وُلِدَ فيه والقبيلة المسماهتبرجم التي ينتمي إليها، أثبتت أنه من منطقة وداي مولداً ومنشأً ومدفنًا في واقعة الككب، حيث قُتِلَ فيها من قبل المستعمر الفرنسي في 1336هـ، الموافق يوم 15 من شهر 11 عام 1917م⁽³⁰⁾، وقد تم دفنه مع الشهداء في مقبرة جماعية وسط مدينة أبشة "تشاد" وكان سبب قتل هؤلاء هو أن الإسلام واللغة العربية وصلا إلى الذروة وأصبحت العربية في الإنتاج والنتاج العلمي والتعبير الأدبي، فظهرت صفوة مثقفة عربياً وإسلامياً من الكتّاب والأدباء، منهم الرماصي⁽³¹⁾ القائل في قصيدة له، منها قوله:

قتلوا مشايخنا الكلاب الجحل ***** في كَرٍّ من شهر الحرم الأسد

"كَرٍّ" هو من الأشهر الحرم - وهو شهر محرم

(25) هو أحمد محمد عبد الدائم محمد يعقوب محمد أيوب محمد فضل تاج الدين موسى محمد بن ناصر الدين، ولد عام 1914م بقرية ارقيدي الزاوية أبقدام، حفظ القرآن في سن مبكر، ودرس بمعهد أم درمان - السودان، البرعي عالماً فقيهاً محدثاً. ينظر: عامر، أحمد، الشيخ أحمد البرعي، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل - تشاد، ص 1.

(26) دافيوم، محمد يعقوب، "تاريخ علماء تشاد"، مرجع سابق، ص 29.

(27) قرية واقعة غرب مدينة أبشة.

(28) المرجع نفسه، ص 29.

(29) يعقوب محمد، وأحمد عبد الله بركة، وإبراهيم جباي، من أعلام تشاد بمدينة أبشة.

(30) الحسيني، إبراهيم صالح، "الاستنكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار والأخبار"، خزانة الدكتور محمد صالح أيوب - تشاد.

(31) الرمّاصي بن يعقوب، أحد كبار العلماء فقيها تخرج من معهد الدراسات الإسلامية بأبشة، ولد بقرية أم شرييب واستشهد مع إخوانه بعد فترة قصيرة من ضربة ألمته.

ثقافته ومكانته العلمية والسياسية والاجتماعية وآثاره الأدبية ومشاركته في أحداث عصره:

عاش عبد الحق الترجمي فيما بين سنتي 1852م - 1917م، وقد شهدت مملكة وداي⁽³²⁾ تيارات سياسية وعالمية وإقليمية خطيرة كانت لها نتائج بعيدة المدى على التطور السياسي والفكري، وكان وقتها النظام السياسي نظاماً بدائياً يتمثل في القبيلة التي يرأسها الشيخ، له الصلاحية في اتخاذ القرار بخصوص أفراد القبيلة، وفي بعض الأحيان يُتخذ بالرأي الجماعي المتفق عليه من قبل الأفراد، مع مراعاة الكبار في السن لتجاربهم وظروف الحياة.⁽³³⁾

وفي فترة عبد الحق الترجمي بلغ النظام السياسي مرحلة متقدمة عندما أسست روابط واتحادات للتعاون، وقد تم ذلك بعد اتخاذه "أبشة" عاصمة له، وقامت السلطنة بتنظيم نفسها سياسياً، فشُكلت القيادات على أساس العقدا، مثل: عقيد راشد، وبقيت المحامين، عقيد المحاميد، وعقد الجماتنة.⁽³⁴⁾

وُلد عبد الحق الترجمي في عهد لم تكن الأوضاع فيه مستقرة، وكذلك الأمن الاجتماعي، وذلك لعدم استقرار السلطنة والتعاقب على الحكم، وولادته في أواخر أيام السلطان محمد شريف صالح، ثم ابنه دينار، فيوسف محمد الشريف عام 1874م في عهد هذا الأخير، ففي هذا العهد عاش الشاعر عبد الحق الترجمي وسط بيئة علمية تمثل الصفوة التي كانت تنصدر الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية في زمانه.

فبدأ تعليمه بالتوجيه نحو المدرسة القرآنية لتعلم القراءة والكتابة، فتلقته يد والده وتعلم وحفظ القرآن الكريم وكثير من السنة لمملكة الحفظ لديه⁽³⁵⁾، ودرس الكثير من الكتب في العلوم الإسلامية، وتأثر بدراسات التشريع الإسلامي، فكانت رغبته في الزيادة في العلم، فهاجر إلى منواشي⁽³⁶⁾، حيث أخذ عن علمائها بعض العلوم الشرعية والعربية، ثم هاجر إلى أرض الحجاز لأداء فريضة الحج، ومكث بها فترة، التقى بالشيخ الزبني والشنقيطي محمد حبيب الله، فدرس عنهما علوم السنة⁽³⁷⁾، ثم التحق بالأزهر الشريف في مصر للمزيد من العلوم الإسلامية وعلوم العربية الأخرى، وفي اختياره للأزهر الشريف باعتباره مجمع العلماء من شتى أنحاء العالم لما كان يتمتع به الأزهر من ثقة راسخة في نفوس المجتمع الإسلامي⁽³⁸⁾، ومما ساعده في مواصلة الدراسة بالأزهر أن لسلطنة وداي صلة قوية بالأزهر، وأن ظروف عبد الحق ترجمي الاقتصادية الصعبة ولمستواه التعليمي وتفوقه كل ذلك كان سبباً للالتحاق بالأزهر.⁽³⁹⁾

ويرجع تاريخ رحلته العلمية والتعليمية عام 1868م، وهو في السادسة عشر من عمره، فقضى سنوات تتلمذ أثناءها على يد العديد من العلماء، ثم عاد من مصر وهو دون الثلاثين من عمره، بعد أن تزود من فروع العلوم التي درسها في جامعة الأزهر الشريف، وقد تأهل لمزاولة نشاطه الأزهري والعلمي والفكري في بلاده تشاد، ولم يلبث أن اشتهر بين علماء عصره

(32) مملكة وداي من الممالك العظيمة في السودان الأوسط، ويبدأ تاريخها الحديث من عام 1615م وتمتد شمالاً حتى منطقة أم شعلوبة، ومن الغرب حتى بحر الغزال ومشارف بحيرة تشاد، ومن الجنوب دار السلامات، وقيل حتى دار فور شرقاً والبرقو شمالاً حتى حدود كانموالباقري غرباً والكنغو الفرنسي جنوباً. ينظر: أيوب، محمد صالح، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي: دار وداي، تشاد، 1953م - 1912م، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، طرابلس، 2001م، ص 120. وينظر: الغنيمي، عبد الفتاح المقلد، الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا، سلطنة البالا، مكتبة مدلولي، القاهرة، 1996م، ص 114

(33) التونسي، محمد عمر، رحلة إلى وداي، تحقيق: د. عبد الباقي محمد، دار منكوب، (د،ت)، ص 90-92.

(34) أيوب، محمد صالح، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي، مرجع سابق، ص 199.

(35) دافيوم، محمد يعقوب، "تاريخ علماء تشاد"، مرجع سابق، ص 29.

(36) قرية غرب مدينة أبشة - تشاد. ينظر: المرجع السابق، ص 29.

(37) التبهاني، يوسف ابن إسماعيل التبهاني، رئيس محكمة الحقوق في بيروت سابقاً. ينظر: الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، ص 17.

(38) حسين، عبد الرحمن، "عبد الحق محمد"، حياته وأدبه"، مخطوط، خزانة د. محمد صالح أيوب، ص 17.

(39) أيوب، محمد صالح، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي، مرجع سابق، ص 219.

في تلك المجالات التي خاض غمارها، وقد دلت آثاره على ذلك.

من آثاره الأدبية:

يُعد عبد الحق محمد الترجمي في الأوساط العلمية والأدبية في دار وداي وتشاد حتى يومنا هذا عالماً فاضلاً وأديباً أصيلاً، فإن مكانته الأدبية لا تقل عن مكانته العلمية، لولا غياب كثير من هذه الآثار.

فمن آثاره الأدبية:

1/ ديوان المدائح النبوية والصوفية: يحتوي هذا على اثنين وسبعين قصيدة، وأقل قصيدة فيه تتكون من مائة بيت، وبسبب الإهمال ضاع هذا الديوان.

2/ النونية الكبرى: 187 بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شمائله ومعجزاته.

3/ الدالية: في الاستغاثة.

4/ التائية.

5/ النونية الصغرى: مدح لأحد السلاطين، وهي من 26 بيتاً.

6/ السينية: وهي في آثار شيخه محمد أبو راس وذكر حياته، وهي من 39 بيتاً.

ومن هذه الآثار:

7/ تاريخ دولة وداي المشهورة ب(الدولة الإسلامية الوداوية).

8/ تبصرة الحيران من حول فتن الزمان، تناول هذا المخطوط كل ما حدث من مشكلات سياسية، ثم قَدَّم من خلاله نصائح عامة.

9/ رسالة الكنز المدخر: عبارة عن أدعية وأقوال العلماء المأثورة.

10/ رسالة في البيان والمجاز والتشبيه، جمع فيه مطالب البلاغة والفصاحة، والشروط التي ينبغي أن تتوفر، وحسن التراكيب، وصحة الابتداء والانتها، مع علم البديع اللفظي والمعنوي.

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ عبد الحق لترجمي على أيدي نخبة من العلماء، منهم من تشاد نفسها، ومنهم من العالم العربي الإسلامي، وفي مقدمتهم علماء الأزهر، ومن أبرز شيوخه:

أ/ الشيخ محمد بن يعقوب، والده الذي نهل منه مبادئ العلوم والكتابة، ويعد الشيخ محمد والد عبد الحق من العلماء، ولكن لا ندري عن حياته شيئاً، ولا ندري أين تلقى تعليمه ومتى توفي.⁽⁴⁰⁾

ب/ الإمام محمد الجزولي، المولود بقرية ديكو من مناطق نيجيريا، ويُعد الإمام محمد من المتخصصين في الفقه والتفسير والحديث والقراءات القرآنية بجامع القيروان والزيتونة بتونس، فعاد إلى بلده تشاد ينشر العلم بين أهله، حتى صارت له مكانة وشرف علمي عند مجتمعه، فكان إماماً لمسجد السلطان، والمفتي العام، والمستشار العام للسلطان، وكانت له مكتبة علمية واسعة جمعت المصنفات من العلوم المختلفة، وكان لوالده الجزولي كتب كثيرة ومؤلفات عدة، نُقل منها الكثير إلى

(40) الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، مرجع سابق، ص 39.

المتاحف الفرنسية، ويوجد منها الكثير في فرنسا حتى الآن.⁽⁴¹⁾

ج/ الشيخ محمد آدم أبو راس، ولد بقرية منواشي غرب أبشة، حفظ القرآن الكريم على يد والده، وهاجر إلى المغرب ودرس العلوم العربية والشرعية، وقد تعلم عبد الحق محمد الترجمي منه أهم تلك العلوم، وكان محمد آدم من أحب مشايخ عبد الحق إليه حتى أنه رثاه بقصيدة توصي بذلك، والعلاقة القوية التي كانت بينه وبين شيخه.⁽⁴²⁾

د/ الشيخ الشنقيطي محمد حبيب الله، والشيخ يوسف إسماعيل محمد ناصر التبهاني.⁽⁴³⁾

تلاميذه:

كان لعبد الحق الترجمي نشاط ملحوظ بعد عودته من مصر في بعض المجالات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.... الخ، واستطاع أن يكون جيلاً من العلماء، ومن هؤلاء:

أ/ الشيخ الطاهر بن عمر، المولود بقرية حجيلجة، نشأ فيها وتعلم، ثم التحق بعدد من العلماء، من بينهم الشيخ بدر نصر، المتوفي رحمه الله عام 1345هـ.⁽⁴⁴⁾

ب/ محمد أبو بكر بن الجزولي، المتوفى عام 1319 هـ/1971م والشيخ عبد الرحيم محمد، وعمر عبد السلام، والقاسم أبو فليح، ومحمد سليمان، والعلامة النجيب محمد، ومحمد الصغير بن عبد الله، والشيخ فضل بريش، ومحمد بشير، والفتح الحاج مختار.⁽⁴⁵⁾

المؤثرات في شعر عبد الحق الترجمي:

للتجارب الشخصية المحلية والبيئية، تأثير واضح في شعره، ثم أنه عاش حياة بدوية وحضرية لا يمكننا تحديد فترة زمنية لتلك الحياة، ولكن من المؤكد أن سيرته في البادية واضحة من خلال مجتمعه الذي بدأ حياته معه، وكان لاختلاطه بأفراد من قومه من أهل البادية أو ممن يسكنون قرية "ترجم" وما جاورها تأثير في تفكيره، ثم إن الحواضر التي انتقل إليها عبد الحق الترجمي تمثل الدور البارز في فهم قضايا أمته الاجتماعية والسياسية والأدبية؛ فهو عاش بمدينة أبشة وسكن مصر والسودان والحجاز، وغيرها. وتكاد حياة البادية تظهر في معظم أشعاره، وخصوصاً في لغته الشعرية وصوره. وللبيئة أثر في معانيه الدالة على الأصالة والنزوع إلى الخير وعزة النفس.

- مصادر شعره:

لقد استمد الشاعر عبد الحق الترجمي كثيراً من مضامين شعره من القرآن الكريم، الذي يُعد أول مصدر من مصادره. ومن ذلك قوله:

والجن غنّت إذ روت أخباره **** مسنودة بمدارس الكهان.

فهذا من قوله تعالى: ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً﴾.⁽⁴⁶⁾

(41) مكي، عبد الله، طريق الهدى والرشاد، مرجع سابق، ص 106.

(42) دافويم، محمد يعقوب، "تاريخ علماء تشاد"، مرجع سابق، ص 42.

(43) المرجع نفسه، ص 42.

(44) دافويم، محمد يعقوب، "تاريخ علماء تشاد"، مرجع سابق، ص 42.

(45) الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، مرجع سابق، ص 102.

(46) سورة الجن، الآية (1).

وقوله:

ما زاغ منه ولا طغى بصرُ له **** عن نظرة من غير كيف عيان⁽⁴⁷⁾

من قوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾.⁽⁴⁸⁾

وقوله:

كلا ولا كذب الفؤاد لما رأى **** طبقات لعين رأسه الروحاني⁽⁴⁹⁾

من قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾.⁽⁵⁰⁾

وفي قوله لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم:

ما قال قائلهم كما قالت لمو ***** سى قومه اذهب أنت غير معان⁽⁵¹⁾

ذلك من قوله تعالى: ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾.⁽⁵²⁾

وفي توسله وتضرعه إلى الله تعالى كثيراً ما يرجع إلى الآيات القرآنية، وذلك كقوله:

وكما تحب العفو فاعف جميع ما ***** منا علمت وخطاه المكان.⁽⁵³⁾

من قوله تعالى: ﴿ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.⁽⁵⁴⁾

ومن مصادر شعره: الشعر العربي، الذي استقى منه المعاني والموضوعات والأساليب.

ففي افتخار الشاعر عبد الله الترجمي بشجاعة قومه في الهرب نجده متأثراً بقول الأعشى.⁽⁵⁵⁾ من قصيدته: "قررت وما صبرتم" عند قوله:

فقد صبرنا ولم نول ***** وليس من شأننا الفرار.

وقد فررت وما صبرتم ***** وذاك شين لكم وعار.⁽⁵⁶⁾

هذا ما أخذ عنه عبد الحق الترجمي معنى قوله:

وتراكبوا خيل الفرار وخلفوا ***** لكم النساء وقدما حمدون.⁽⁵⁷⁾

(47) الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، مرجع سابق، ص 88.

(48) سورة النجم، الآية (17).

(49) الترجمي، عبد الحق، "النونية الكبرى"، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل بتشاد.

(50) سورة النجم، الآية (11).

(51) الترجمي، عبد الحق، "النونية الكبرى"، مخطوط، مرجع سابق.

(52) سورة المائدة، الآية (24).

(53) الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، مرجع سابق، ص 93.

(54) سورة البقرة، الآية (286).

(55) الأعشى هو ميمون بن قيس، ولد بقرية منفوحة من اليمامة في قوم بني قيس بن ثعلبة، وكنيته أبو بصير، ولقب بالأعشى لأنه أعشى العينين، وسمي صناجة العرب لأنه كان يتغنى شعره، توفي سنة 629م/7 للهجرة. ينظر: ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة والنشر 1400هـ/1980م.

(56) ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة والنشر 1400هـ/1980م، ص 29

وفي قوله: (58)

يا يوم بدر إذ بالأشبال قد **** لاقى بهم ضوال الضأن

يقصد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وذلك من قول كعب بن مالك في الهمزية: (59)

فما ظهرت فوارسكم ببدر **** وما رجعوا إليكم بالسواء

وفي قوله: (60)

سائل ديارى أبشة عن جيران **** وأروي الحديث لهم عن الجيران.

من قول كعب: (61)

سائل فُريشاً غداة السفح من أحد ***** فإذا ألقينا وما لاقوا من الهرب

فيعد هذا نوع من مضامين شعره قد يكون مصدرها الكتاب والسنة وأقول العرب، وإن الشاعر عبدالحق الترميحي يومنا هذا لم يتوفر لدينا ديوان يجمع أشعاره ويحفظ آثاره الأدبية، فكل ما ورد عنه ما يزال مخطوطاً، وقد نجد له أشعاراً متفرقة ومتناثرة في مخطوطات.

ومن مصادر شعره مخطوط للأستاذ عبد الرحمن حسين بعنوان: "الشيخ عبد الحق: حياته وأدبه"، ويتكون من 100 صفحة، تناول فيه تحليلاً موجزاً لقصيدته الشهيرة بالنونية الكبرى. ومن مصادر شعره: "الملاحم الأدبية والأغراض الشعرية" للباحث أحمد الحبيب أحمد، وكذلك دراسة فنية للباحث أحمد محمد علي بعنوان: "البناء الفني لقصيدة الشيخ عبد الحق".

ومن أهم هذه المصادر مخطوط للشيخ إبراهيم صالح الحسيني، قد أورد فيه أربع قصائد للشاعر عبد الحق، وهو "الاستنكار" لما لعلماء كانم برنومن الآثار والأطبار.

المبحث الثاني: دراسة شعره وأجناسه

إن الأدب عموماً هو الصورة الناطقة لأي مجتمع، والحافظ لحضارتها وأعلامها؛ لذا فإن الأدب مصطلح ورد ذكره في المعاجم اللغوية وفي مصادر الأدب العربي، فقد تعددت معانيه تبعاً لتفسيرات المعنيين به⁽⁶²⁾، وهو إما شعر أم نثر، والمعني بالدراسة هنا الشعر. فالشعر هو منظوم القول بالوزن والقافية، المحدد بعلاقات لا تتجاوزها⁽⁶³⁾. ويذكر قدامة بن جعفر بأنه قول موزون مقفي يدل على معنى⁽⁶⁴⁾. فالشعر فن من الفنون يوحي عن طريق الإيقاع الصوتي واستعمال

(57) الترميحي، عبد الحق، "النونية الكبرى"، مرجع سابق.

(58) الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، مرجع سابق، ص 89.

(59) مالك، كعب، الديوان، تحقيق سامي العاني، علام الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ/1997م، ص 145.

(60) النونية الكبرى، مصدر سابق.

(61) مالك، كعب، مرجع سابق، ص 149.

(62) ينظر: الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج 1، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394هـ / 1974م، ص 31. والفرايدي، أحمد

الخليل، "العين"، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، انتشار أسرة التابعة لمنطقة الآفاق والأمور الخيرية، ط1، 1414هـ، ص 71. وينظر: ابن

منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1412هـ / 1992م، ص 93.

(63) كامل، مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984م، ص 210.

(64) ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 53.

المجاز بإدراك الحياة والأشياء مع سلامة الوزن والقافية ودلالته على معنى لا يوحي به النثر الإخباري ما استخدام الخيال. أولاً: المديح:

المدح فن أدبي يقصد منه الثناء على إنسان بذكر أفضاله وتعداد خلاله الكريمة وخصاله العظيمة مع نزعة داخلية تنشأ مع الإنسان بالفطرة وتتساب في دمه جارية بعروقه ونبضات قلبه وروحه.⁽⁶⁵⁾

ويعد المدح من الأغراض التي ارتبطت بنشأة الشعر العربي ونصوصه الأدبي، وهذا (منذ أن تنفس الإنسان على هذه الأرض، ووعي ذاته وما حوله وأحس بالفوارق المختلفة بينه وبين الآخرين وشعر باختلاف مواهبه عن مواهب سواه وقدره عن أقدار غيره)⁽⁶⁶⁾، والمدح عند الشاعر عبد الحق إما مدح للرسول صلى الله عليه وسلم أو بعض سلاطين عصره. فالشاعر عبد الحق الترجمي التشادي مثله مثل الشاعر الجاهلي حيث سلك طريقة الإفصاح والإشادة، فكان أرفع منزلة في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة حيث أنه لا يكتسب بشعره كما هو عند بعض شعراء تشاد، والمدح عند الشاعر عبد الحق الترجمي قد ظفر بالنصيب الأعظم من شعره وخاصة المدح النبوي وشأنه في ذلك شأن شعراء عصره وقد أفرد ديواناً كبيراً يضم أكثر من سبعين قصيدة وكل قصيدة فوق المائة من الأبيات مدحاً للرسول الله صلى الله عليه وسلم.⁽⁶⁷⁾

فمن يحلل أشعار الشاعر عبد الحق الترجمي ينتهي إلى وحدات خلقية وهي أساس بناء فن المديح النبوي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم في نظره ونظر المسلمين هو العطاء الرباني والقيادة الفذة التي أخرجت مواهبه الشعرية لهذا تأثرت موضوعاته في هذا الغرض بعبارات قرآنية والشخصية المحمدية منطلقاً، فظهر هذا الغرض في شعره كثير، وقد اهتم به خاصة بعد زهده وتنسكه وانصرافه عن الدنيا فاتجه إلى الله بكل أعماله وأحاسيسه، فكان المدح تعبيراً عما أحس به في هذا الطور من حياته، وقد تطلعتنا عاطفة جياشة تفيض حباً وإجلالاً لهذا النبي، وإكباراً لجهاده وتعظيماً لصحابته وتقديساً لهذا الدين، ومن ذلك ما جاء في النونية الكبرى الدالة على المدح، وذكر الأماكن المقدسة وقد بدأها بالنسب ثم انتقل إلى الغرض الأساسي مشيراً إلى الزهد والحث على التقوى واتباع هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء هادياً إلى الصراط المستقيم فيقول:⁽⁶⁸⁾ (الكامل)

وجزيل رسل الله مسك وختامهم ***** ومحيط سبعة أبحر العرفان

رفعت عناية ربه ذكر اسمه ***** معه بعرش منا كل أذان

إذ شق من معنى اسمه علماً له ***** وبنى عليه دعائم الإيمان

فاعجب به لأغيد خلقه فكأنها ***** ولدته من بين الورى العمران

يتضح من ذلك أن الشاعر عبدالحقيريد أن يقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المثل الكامل للمسلم في نسكه وجهاده وفي سبيل نشر دعوة الإسلام، وأن هذا النبي صلى الله عليه وسلم هو المعني دائماً بمدحه، ثم يشير إلى العناية الربانية

⁽⁶⁵⁾ شبيب غازي، في المديح النبوي في العصر المملوكي، المكتب العصرية صيدا، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1998م، ص 33.

⁽⁶⁶⁾ أمين، بكري شيخ، "الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية"، در العلم للملايين، ط4، 1985م، ص 240.

⁽⁶⁷⁾ الغالي، محمد حبيب، "الشعر التشادي العربي الحديث"، دراسة بلاغية نقدية، رسالة دكتوراه غير منشور، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، 2018م، ص 60.

⁽⁶⁸⁾ الترجمي، عبد الحق، "النونية الكبرى"، مرجع سابق.

بهذا الرسول الكريم، حيث هو المبدأ للأنبياء ومنتهاهم.⁽⁶⁹⁾

ويبين لنا أن هذا النبي الكريم هو الخاتم للرسالات ورسالته آخر ما يصل البشرية من رسالة السماء وأن اسمه مقترن باسم الرحمن في الأذان والذي هو إشارة لإقامة الصلاة، ثم تحدث

عن جمال النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:

وكأن يوسف عاد في حدث وقد ***** تمت لنظم جماله الشطران

فلذا استنفل البدر قطع يد له ***** وأتى بشق جبينه المزدان

فقد شبه ظهوره صلى الله عليه وسلم بيوسف عليه السلام؛ لأن يوسف أجمل خلق الله تعالى فكان على الشاعر أن يضرب به المثل، والحقيقة التي يقصدها هي أن الرسول عليه الصلاة والسلام أجمل خلق على الإطلاق، فهو الذي لا تبلغ منزلته ودرجته الرفيعة منزلة أي نبي أو رسول فهو المفضل على جميع الخلق والرسل بطهارة نسبه وكرم نفسه وحميد خلقه.

ثم ينتقل إلى معجزاته والإبلاغ عنه قبل مولده فيقول:

وأتى لنا الإنجيل قبل مبشراً ***** بقميص بعثته مع الرهبان

والجن غنت إذ روت أخباره ***** مسنودة بمدارس الكهان

لم ندر أن الدهر كان له أخ ***** حتى أتى فتثلث الملوان

والدين أصبح في العرائس ضاحكاً ***** للشرك عند جناز الأوثان

إلى أن قال:

والذئب ظاهر فارشد راعياً ***** ورعى له غنماً بشرط صمان

وفي الغزال له بوجه ضمانه ***** والفحل خرّ بسجدة الإذعان

والجذع حنّ من الغرام لأجله *** وأتيته أشجار بطوع عنان

فهذه المعجزات التي نظمها الشاعر توحى بأن هذا حقاً نبي مرسل من عند الله وقد جاءت أخباره وذكر اسمه في الإنجيل، وبهذا المدح للنبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته البالغة أكثر من 30 بيتاً وغيرها فقد أظهر ما خص به هذا النبي الكريم من معجزات فهو بذلك قد عرف بحبه له واتباع نهجه وقد أصبح ذلك له سمه ولكثير من شعراء عصره ولعلّ هذا الحرص كان ردّة فعل لما شاع من أنواع الفجور والفسق والعصيان، فما كان عليه إلا أن يوجه طاقته لمدح النبي صلى الله عليه وسلم معلياً من شأنه.⁽⁷⁰⁾ وهذا يصدر عن معتقد صوفي⁽⁷¹⁾، لأن الحقيقة المحمدية عماد الحياة الصوفية وعن صاحبته صلى الله عليه وسلم قال:

يا يوم بدر إذ أبا الأشبال قد ***** لاقى بهم فيه ضوال الضان

ولكل شبل همه منها يرى ***** كبش الكتيبة أهون الخرفان

⁽⁶⁹⁾ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: عصر الدولة والإمارات، مصر، دار المعارف، ط2، 1119م، ص 451 - 364.

⁽⁷⁰⁾ صالح، مخيمر، "المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري"، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1968م، ص 100.

⁽⁷¹⁾ كيلاني، قمر، "في التصوف الإسلامي"، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، 1962م، ص 84.

ما قال قائلهم كما قالت لمو **** سى قومه اذهب أنت غير مهان
 إذ كل قرن منهم طالوت بعد **** النهر بعد سكيئة اطمئنان
 فبعد ذكره لشمائلهم يخلص إلى قسم التوسل والرجاء والشفاعة عارضاً حاجته كالغفو والغفران وطلب الشفاعة له، ولأمة
 الإسلامية ويأتي هذا التوسل والرجاء على شكل دعاء فيقول:
 يا سيد الكونين والثقلين في الدا **** رين يا أبا قاسم الديوان
 فيحق صديق وفاروق الهدى **** وأبي التراب وجامع القرآن
 وبطلحة وأميننا وجواري **** والأسعدين وعابد الرحمن
 والآل والأصحاب والأزواج والأ **** ولاد والأسباط لا تتسان
 أو تجعلني عبد حق جناية **** فيما جنى بل قم بفك رهان
 الشاعر عبد الحق ينيب إلى ربه بقلب خاشع متوسلاً برسول محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خير المرسلين وأولهم فضلاً
 ومقاماً تشرفت الإنس به وتفاخرت وانقادت إليه الجن وبظهوره أمحت الضلالة وأشرق نور الهداية، فصحبه خير الأصحاب
 وآله خير الآل، كما في القراع وأبطال في القرى⁽⁷²⁾، في مقدمتهم الصديق أبو بكر والفاروق عمر وعثمان وطلحة والزبير.
 فمن خلال مدحه هذا نلتبس روحاً صوفية ويقظة شعورية دينية فمدحه للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته يروي غليله
 وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشفيع له ولأمة.
 فالشعر الصوفي متنوع في موضوعاته بين الزهد والحب الإلهي والمدائح النبوية وشعر الآداب والحكم والدعاء، والتسبيح
 ومن فنونه الاستغاثة وهي نوع من أنواع الأدب الرفيع
 ومن موضوعاته مثل قول عبد الحق محمد الترجمي بقصيدته منها قوله:⁽⁷³⁾
 ياربنا ياربنا ياربنا يا **** ربنا يارب كل فلان
 فكما بلا سبب مننت بنعمة الإ **** يمان فامن معه بالغفران
 فانظر لنا منها بعين عناية **** تنجو مساعينا من الحرمان
 لقد نزع عبد الحق نزعة ذاتية عميقة وحاول الوصول بقلبه إلى ما يتسنى للعقل والحواس الوصول إليه، وهذا من أثر
 الصوفية فيه ولأن المتصوف قلبه قد فتح أمام الشعر الديني النوافذ والأبواب ووسعت جوانبه ومذاهبه في الأداء والتعبير
 والدافع لهذا الحب الإلهي والرغبة في الظفر بالوصول إلى السعادة الأبدية.
 وللشاعر عبد الحق قصائد في التوسل بسيد المرسلين والصالحين من ذلك قوله⁽⁷⁴⁾: (الرجز)
 بجاه شيخ سيد الامام **** حبيبنا القلب المهام
 بجاه شيخ سيدي العلامة *** يعقوبنا الوالي التقي الفهامة

(72) شبيب، غازي، فن المديح النبوي في العصر المملوكي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م، ص ١٣١.

(73) الترجمي، عبد الحق محمد، النونية الكبرى، مصدر سابق.

(74) الترجمي، عبد الحق قصيدة، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل، تشاد.

بجاه شيخ أحمد الوالي **** صاحب الولي جامع هو الزاكي

فالشاعر توسل بمشايقه الذين كانوا له نوراً اهتدى بهم، مع هذه دلالة واضحة على أن عبد الحق الترجمي بدأ حياته مزودة بنفسية تميل إلى التصوف وانضمامه إلى الطريقة التجانية، لأن أهل التصوف أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء الصالحين⁽⁷⁵⁾، وهؤلاء من القدوة الحسنة المثلى.

ثانياً: مدح رجال الدولة:

إن من بين الصفات المميزة لشعر عبد الحق الترجمي وفرة الموضوعات ليست المدحية فحسب وإنما السياسية، وقد تتلاقى الموضوعات السياسية المدحية في الأساس في أشعار المناسبات فهي تتميز بتبعية الشعر لأحد حماة الأدب أو رجال الدولة من الملوك والسلاطين، وقد ينظم الشاعر في موضوعات خاصة كمناسبة سجنه من قبل ملوك وسلاطين مملكة وداي.

هذا النوع من مدائحه لا يدخل في متح التكسب وإنما لم يرفض ذلك العطاء الذي يقدم إليه، لأن الحياة والظروف التي عاشها وعاشها تجعله وتجعل من قلمه أن يعبر بمثل هذا المدح، فكان طبيعياً أن تأتي مدائحه هنا وقد امتزجت بالفخر والشكوى، فنجده يعدد فضائل ممدوحه ويشكو من خلالها سوء حظه في أسلوب لا يخلو من السخرية والتشديد بما فيه من مفارقات.

فاتخذ من ممدوحه وسيلة للتعرف والتقرب ورجاء الظفر بالمنصب والمكانة التي قد تمكنه من الإصلاح السياسي والاجتماعي وغيرهما في مملكة وداي، وممن مدحهم الشاعر عبدالحق السلطان أصيل⁽⁷⁶⁾، فقال في قصيدة له:⁽⁷⁷⁾

أبشر وطب نفساً وقرّ عيوناً **** يا واحداً في عصره يدعوناً بعد أن وعى الشاعر عصره ووعى رسالته في مجتمعه، أراد أن يأخذ بيد ممدوحه إلى حيلة مستقبلية كتأمين الدولة من الأعداء. فبدأ بأفعال شريفة دالة على كمال الإنسان مشرعياً برضا النفوس.⁽⁷⁸⁾ وهذا إعلان ولاء الشاعر لممدوحه ووقوفه معه. لأن لهجته في الإشادة به في قوله: (أبشر، وطب، وقر عيون) وفي الشطر الثاني قوله: (يا واحداً في عصره يدعوناً).

فهذه اللغة تتعدى غاية المديح إلى المبالغة فيه وتأكيداً لهذا تهادى الشاعر في تعظيم ممدوحه فقال:

وتهن بالملك المؤثلو انبسط **** في عمر نوح أو غنى قارونا

هنا متمنياً لممدوحه الزيادة في العمر والعيش الرغد وهنا يقصد الشعب التشادي الذي تحرر من ظلم السلطان ودومة وحظي بالحرية في الرأي واتخاذ القرار بالشورى.

وما زال يفتخر بممدوحه مؤكداً بالقسم الدال على صدق عاطفته وحرارتها وعمقها حباً ووفاءً، فكان عليه أن يعبر عن شعوره بقوله:

تَاللهِ مَا افْتَحَرَ الْمُلُوكُ بِحَصْلَةٍ *** مِنْ مُلْكٍ أَوْ نَسَبٍ بِهِ يَعْثُونَ

⁽⁷⁵⁾ صالح، مخيمر، المدائح النبوية، ص ٥٧.

⁽⁷⁶⁾ هو آدم أصيل عبد المحمود، سلطان مملكة وداي ما بين عام 1909 إلى 1912، قد هرب إلى دار موبى (تشاد) واحتوى بالقوات الفرنسية وأجرى معها مفاوضات وهذا ما قد مكنه من الاستيلاء على السلطة، ينظر: الحسيني، إبراهيم صالح، الاستنكار، ص ٣٩.

⁽⁷⁷⁾ النونية الصغرى، مدحاً للسلطان أصيل وشكوى من الزمان وهي من 17 بيت، ينظر: أحمد، محمد الحبيب، وجباي، يحيى إبراهيم، ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبد الله الترجمي، مخطوط، خزانة الباحث، محمد حبيب الغالي، ومركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل بتشاد.

⁽⁷⁸⁾ القرطاجي، أبي الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، مكتبة الثقافة الدينية، (د،ت)، ص ٣٣٩.

إِلَّا وَأَنْتَ جَمَعْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ **** فَبِذَلِكَ سَمَّيْتَ الْأَصِيلَ شُؤُونًا

ومن أهدافه وقصده لمدح ممدوحه ولشعب ذكره بأن تكون هناك شروط لمن يتولى السلطة منها الشجاعة والسخاء والعدل والمساواة بين أبناء البلد الواحد بهدف إيقاظ النفوس النائمة وتحريكها من مضجعتها بإقامة ثورة هادفة ضد السلطان دود مرة وحث الناس على الوقوف والمناصرة للسلطان أصيل لأصاليته وصدقه في إدارته وشؤون دولته، ولهذا على حسب فهم الشاعر عبد الحق ولشيء في نفسه أو لتحقيق هدف آخر، وإلا فإن حكام السلطنة أو الرئاسة حتى يومنا هذا هناك التام في منظور البعض والقاصر في الطرف الآخر، وإن الكمال لله تعالى.

ولعلّ الهدف للشاعر عبد الحقالترجمي وإيمانه بمثالية خلق أصيل وجدارته يتجسد في ملامح أهل وداي القوة والجد لتعيد تاريخها الناصع وتقوى على قهر أعدائها.

ثالثاً: الرثاء: هو الوفاء بعهد أو شكر لصنيع جميل برق وإحساسدقيق مخلوط بالتلهفوالأسف والاستعظام بتفجع وتحسر⁽⁷⁹⁾، شاجي الأقاويل مبكي المعاني مثيراً للتباريح بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصود⁽⁸⁰⁾، لأنه أصدق الفنون الشعرية شعوراً وأحفلها عاطفةً لصدوره من قلب ملتان ونفس فقدت أثراً فتفيض من المشاعر ألماً وحرناً دموعاً وبكاءاً⁽⁸¹⁾، ولهذا قد احتل مساحة كبيرة في ديوان الشعر العربي كما احتل البكاء على الأطلال وهو ضرب آخر من ضروب الرثاء⁽⁸²⁾، فالشاعر عبد الحق في رثائه لشيخه أبو رأس⁽⁸³⁾ قصيدة طويلة تشير إلى النهج التقليدي بقصائد الرثاء في الشعر العربي وقد جمعت بين النذب والبكاء والتأبين، وفيها أثر الحزن على المرثي بصدق عاطفة منها قوله⁽⁸⁴⁾: "البسيط"

أضحى مريضاً فؤاديناكس الرأس **** يبكي لفرقةأحباب وجلاسي

توجع الشاعر لفقد هذا العلامة الذي تربى على يده وفي مدرسته التي أهلته وكونته علمياً، وقد نجد هذه التوجعات النفسية والزفريات والآهات التي تقطع لهولها وشدتها نياط القلوب وتجرح النفوس وخاصة حين نجد الشاعر يبكي صفوة عزيز من أهله وأقاربه فبدأ بالفعل أضحى وظل مريضاً حتى كاد لا يجد أمامه ما ينفعهاو يشفع منه بأطيب الكلام فقال:

تشتيتهم شتت الحاجات من ألمي **** وشتت النوم من عيني بإخلاص

فجلت في الناس كي ألقى بهم بدلاً **** فلم أجد غير وسواس وخناس

فالشاعر عبد الحق يبالغ في ندبه وتحسره وفقد شيخه حتى أنه لم يجد مثله ولم يبق مثله فكل الذين أمامه ما بين شيطان في المعاملة فظل عبد الحق متشوقاً لمجالسة شيخه حين قال:

تالله لو لم أذق من فقدهم كمداً **** ما بات ساقي جفوني متهف⁽⁸⁵⁾ الكأس

(79) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، تح: محمد قمر قرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1408 هـ - 1988م، ص 147.

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1408 هـ - 1988م، م 2، ص 1122.

(80) القرطاجي، أبي الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مرجع سابق، ص 351.

(81) بهجت، مجاهد مصطفى، التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، سلسلة الكتب الحديثة، ط 1، 1402 هـ - 1982م، ص 281.

(82) النابلسي، شاعر مجنون للتراث، دراسة في شعر وفكر، محمد درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1987م، ص 392.

(83) هو محمد آدم، ولد بقرية متواشي غرب أبشة، تعلم العلوم العربية والإسلامية بالمغرب. ينظر: مكّي، عبد الله، طريق الهدى والرشاد في التصوف القديم

وتاريخ الطريقة التجانية في تشاد، دار التضامن، الخرطوم، 1995م، ص 112.

(84) الترجمي، عبد الحق محمد، السينية، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعه الملك فيصل بتشاد.

(85) متهف - من التهف، وهو الحزن الشديد، ينظر: الزاوي، الظاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، ج 2، الدار العربية للكتاب، ط 4، ص 117.

فالملاحظ في الشاعر عبد الحق وقصائده نسج الصورة الرائعة وحرصه علناً لأساليب البلاغية التي تدل على أنها وليدة ذهن وعاطفة جياشة، فبمفارقة لأحبابه وأصدقائه وإخوانه فقد انقطع أمله وكأن حياته مرتبطة بحياتهم وخاصة شيخه لشدة حبه إياه فقد كان رسولاً له في العلم ورسم الخطط المستقبلية والآمال الهادفة لمسيرة حياته الباقية؛ فبموت أستاذته وشيخه ماتت آماله وأحلامه وصار النوم مفارقاً لعينه، لأنه يذكرهم دائماً ويتذكرهم دوماً في مخيلته.

ولشدة حزنه صار لا يستطيع الصبر على ما ألم به فشبه حالته هذه وكأنه محتمي بدرع صلب وهو الصبر وإذا لقول الخرافي يسلب منه الدرع، فبدأ يتوجع ويتحسر فقال:

يا حسرتي لمن لواشي رقتي أسفاً *** لولاه ما عدلتني عين حراس

يا سيدي في الهوى العذري من وله *** لريم إنس وأسد فوق أفراس

فحزنه قد فاق حزن الأم التي فقدت أولادها فقال:

وقد دعاني لنوح الثاكلات لهن **** داعي هديل على أغصان مياس

وبعد أن تحدث عن منهجه في الرثاء انتقل إلى المرثي فأشاد بصفاته ومآثرهم معدداً مناقبه ومكانته في العلم والحلم والحزم والعدل والإيمان فقال:

وهاج بلبل أشجاني على شجن **** ناعي إمام المهدي محمد نبراس

فوالشمس الهدى من أفقها أفلت **** وتلك حجتنا في موكب البأس

كأن في صدره بستان معرفة *** سقاه من عين خضر خير غراس

فالبحر مع مده سبع البحار ندى *** أقل من مده لزهر قرطاس

يَا مَنْ تَطَوَّفَ بِحُبِّ الْعِلْمِ فَأَشَدُّوا بِنَا **** لِسِدْرَةِ الْمُنتَهَى فِيهِ مِنَ النَّاسِ

لقد أبان الشاعر عما بينه وشيخه وهي علاقة أبوية حقيقية، فبموته عمّ الظلام لأن شيخه كالستان المخضر والحديقة اللينة لغزارة علمه الذي شبهه بالبحر، فبموته ماتت العلوم وضعفت فكأنه شجرة مثمرة ثم تحانت أوراقها فقال:

أوراق كتب الدين قد ذهب **** مع أصلها وتحانت بعد إيباس

يا تكل أم الكتاب فابن بجدها **** وثاني كفتها في وزن قسطاس

ويا تأيمأبكار الحواشي لها **** عن زوجها النفاس والكأس

تالله لو لا انتظام للمثاني له *** ما كان خالفه الحبر ابن عباس

وبموت العلامة يعقوب فإن الكتب قد نسجها العنكبوت بخيوطه فعمّ الجهل تلك الديار فقال:

آلاف كتب فنون الدين قد نسجت **** فيها عناكب جهل بعد كناس

فريدة النحو والكافية انطمسا *** إذا لخلاصة صارت أنداس

فالشاعر عبد الحق يعلم أن هذا هو القدر والقضاء، فكان لزاماً عليه أن يلتزم ويحتسب إلى الله فقال:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّا رَاجِعُونَ لَهُ *** فَكَيْفَ الْمَقَامِ بِلَا شَيْخٍ وَسَيَّاسِ

الشوق والحنين:

لقد صور الشاعر حنينه إلى قومه فكان هذا الحنين وهو في أبشة يثير أشجانه ويكدر عليه صفو حياته فيشكو من خلالها، ومن ذلك قوله⁽⁸⁶⁾:

ذهب الكرام كما تراه وفرقوا **** من بعدهم شملي على البلدان

وغدت أذليل المنتحكي لنا **** أخبارهم عن كاذبات أمني

وسوى النسيم على رسم ربوعهم **** وهنا ينزع ناعي البنيان

فقد هفا قلبه لأحبابه ورفاقه حين مواجهته للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ألمت به حينها قال:

فسكت نهج الناعياتديله **** ولها تنشد لاعب الأغصان.⁽⁸⁷⁾

وصحبت سرب الثاكلات وحيدها **** ليلاً بها ضرب من الهذيان

ورجوت دولاب الزمان لعله *** يأتي بهم فبمطله أعيان

ولا يزال يذكر أحبته حين تطول به فترة اللقاء لبعد المسافة عن أهله وموطنه فيقول⁽⁸⁸⁾:

قد هام قلبي لوادي أبشة علّ بها **** خيالهم فوق ماء أمكامل الرأس

إذا النسيم عليها مر في سحر **** وعاد ينعشني من طيب إيناس

هكذا كانت دموعه بعد انفطار قلبه نهراً لا ينضب، يتدفق إذا تذكر الأحبة والأصحاب وطاف معهم بخياله في محاولة للسيطرة على الانفعالات من خلال التجربة الذاتية والإحساس الداخلي الذي يشعر به، لأن التجربة الشعرية هي العنصر الذي يدفع الشاعر إلى التعبير، ولأنها الإحساس لهذه الانفعالات، لذا فإن تعبير الشاعر عبدالحق هو عبارة عن تجربة للشعور الذي لا يقصد به مجرد التعبير والرسم للصورة اللفظية مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين⁽⁸⁹⁾، فكان من الطبيعي أن يحن ويشتاق إلى وطنه والأماكن المقدسة.

المبحث الثالث: الخصائص العامة في شعر الترجمي

الخصائص الفنية: الألفاظ ولفته وعاطفتها الشعرية

الألفاظ هي المظهر المدرك للأفكار بحيث لا وجود للفكرة قبل صياغتها ألفاظاً.

وإن الرصيد المذكور من الألفاظ وصورها وظلالها وإيقاعاتها في الذاكرة أو في ما وراء الوعي قد انطلق متناسقاً متناسماً مع الانفعال الشعوري بالتجربة الحاضرة ومن ثم تشيع الألفاظ أكبر شحنة من صورها وإيقاعاتها فتطابق الانفعال الشعوري مطابقة تامة أو مقاربة فما للأديب أو الشاعر إلا أن يهيئ لألفاظه هذه نظاماً ونسقاً وجواً يسمح له اختيار الألفاظ المناسبة وتنسيقها، لأن اللفظ هو الوسيلة الوحيدة إلى إدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي والأداة الوحيدة المهيأة للأديب بإمكانه

(86) الترجمي، عبد الحق، "النونية الكبرى"، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل بتشاد.

(87) المرجع نفسه.

(88) عبدالحق الترجمي: النسبة، المحفوظة مركز الوثائق والمخطوطات، جامعة الملك فيصل.

(89) سيد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط ٦، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٠ م، ص ١٥.

أن ينقل من خلالها تجاربه الشعورية.⁽⁹⁰⁾ وهذه مسألة من مسائل علم الجمال الفني الحديث، وقد عد اللفظ من أسس الحكم على العمل الأدبي من الناحية الفنية للمنظوم والمنثور.⁽⁹¹⁾

فألفاظ الشاعر جاءت دقيقة فصيحة عذبة ولا غرابة في أن ألفاظه الشعرية قد تنجح إلى لغة البادية في أصالتها وفصاحتها، فالمفردات عربية مجردة من التكلف؛ لأن الشاعر المطبوع يختار اللفظ الصالح لإحداث الرعشة النفسية وإحياء العاطفة الشعرية⁽⁹²⁾ ولعل هذا مفقود في شعر عبد الحق الترميوزي كان من الشعر المحكم بالوزن والقافية.

وقد نلتبس أن شعره عربي إسلامي دأبيه إفريقي إسلامي، وهذه لازمة من لوازم كل شاعر أصيل؛ لأنه نشأ في بيئة دينية محافظة، وخالط الصالحين وذوي الصفات والرسالات والهدايات أثناء رحلاته الطويلة فكان في ألفاظه مقلداً، فقد افتخر بأرض السلام مكة قائلاً:

بلد بأبطحه تجد أم القرى **** في بيتها المعمور ربع أمني

أكرم بها من حرة محروسة *** ليست شعاراً للنقاش الايمان

فقد جعلت لوجهها روعي فدا *** من بعد جعل دمي من القربان

فلفظ (العمرة، الإيمان، الأمان) تأثيراً بأشعار المسلمين قبله.

ومن الطبيعي أن يكون للثقافة المتنوعة أثرها في لغته الشعرية التي جاءت سهلة تمتاز بالرقّة والصفاء الذي يرقى إلى الرصانة والمتانة كما سبق، وتارة نجد الشاعر يعدد مصادر ثقافته العربية والإسلامية من ذلك بقوله:

فريدة النحو والكافية انطمسا **** إذأخلص صارت أدناس

والشاطبي لناشطت مسافته *** من بعد لم يصفه شم حساس

وجاءت ألفاظه التقوى، الحشر، الحلال، الحرام في قوله:

ما للوسيلة والشفاعة واللوى **** لابن بجدة حضرة الديان

واحضر بها في موتنا وبقبرنا *** وبنشرنا والحشر والميزان

جاءت ألفاظه عبارة عن أسماء علوم العربية وبعض مصطلحات الفقه وغيرها، فهذه ليست من قبيل ألفاظ الشعر الأدبية في معظم منها، إلا أنها في مدلولاتها الحسية والمعنوية قد تستوفي الأداء مدلولها.⁽⁹³⁾

الأفكار والمعاني

إن الشاعر في جوهر عمله هو الشاعر سواء وجد في العصر القديم أو الحديث و سواء أكان عربياً أو أعجمياً، إلا أنه الإنسان الذي تسعفه قواه الداخلية المتميزة على خلق معاني جمالية متجددة على الزمان تدفع الناس إلى التحول والتغيير ويشكل من القوائم منافذ واسعة تطل منها الإنسانية على المستقبل المشرق⁽⁹⁴⁾، فعمل عبد الحق الترميوزي الشعري من خلال

(90) المرجع السابق، ص ٣٨.

(91) هلال، محمد محمود غنمي، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، 1987م، ص 251

(92) بكار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٢، 1982م، ص 145.

(93) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ص 226.

(94) الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، ط٢، مكتبة الكتالي، اربد، الأردن، 1995م، ص 167.

أفكاره ومعانيه وثيقة الصلة لمن يريد أن يعرف حياته وبيئته، بوديانها من هذه المعاني والتي في معظمها معانٍ تقليدية طالما تناولها سابقوه من الشعراء في بلده تشاد وخارجها لم يكن بدعاً في التقليد لمعاني السابقين.

ومن هنا جاء معانيه معروفة وبخاصة في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم لعلو منزلته وشدة كرمه فهي من المعاني الشائعة في شعره، وكذا الحديث عن معجزاته صلى الله عليه وسلم كقوله:

وَكَأَنَّهُ نَجْمُ السَّمَاءِ عَلَى الْغَلَا * * * * وَالنَّاسُ نَجْمُ الْمَاءِ ذُو الْخَيْلَانِ⁽⁹⁵⁾

وفي قوله مادحاً لكبار الشخصيات في عصره:

وانزح حصن حصين الصرف إذ عجزوا * * * عن وزن أركان بموته هنداس⁽⁹⁶⁾

فالواضح في المعاني التي استخدمها عبد الحق في شعره عموماً عدم السرقات، وهي في مجملها معانٍ فيها التوافق والتشابه بين معانٍ سابقه فهو مقلد في معانيه.

العاطفة:

الأدب تعبير عن العاطفة التي تحيش بنفس الأديب⁽⁹⁷⁾، فعبد الحق الترجمي شعره ينبع من عاطفة صادقة؛ لأن مجال الشعر هو الشعور، سواء أثار الشعر هذا شعور في تجربة ذاتية محطّة ليكشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو ينفذ من خلالها مسألة كونية، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، وهذا ما يتراءى من خلال شعر عبد الحق، نجده قد عبّر بصدق عن أحاسيسه، فظهرت العاطفة الدينية في مدحه بالرسول صلى الله عليه وسلم، فدارت عاطفته حول الشوق واللوعة والفرق والشكوى، فقد هام قلبه لرؤية الأماكن المقدسة وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم، فكان تعبيره ناتج عن عاطفة صادقة في قوله، ورهافة حسّ، ورقة طبع، وإخلاص في العقيدة وعفة في القلب وانصراف عن العبث والمجون.⁽⁹⁸⁾ ومن هنا جاءت عاطفته حباً للنبي صلى الله عليه وسلم وحباً لسلطان عصره فقال:

وَأْمُرْ عَلَى السُّوقِ الْقَدِيمِ وَقِفْ بِنَا * * * تَبْكِي لَيْلِ يُوسُفَ السُّلْطَانِ

أَيَّامَ كَانَ اللَّهُ دِينِي وَالْهَوَى * * * شُعْلِي وَلَالِيَايَمَ أَوْ شَانَ

وَالْعَيْشُ رَغْدٌ بَيْنَ إِنْسٍ غَزَائِلٍ * * * وَأُسُودُ غَابِمِ الْخَلَانِ

أكرم به مسكناً عهدت كأنه * * * * بدر توسط هالة السودان⁽⁹⁹⁾

فالعاطفة جعلته يبكي تلك الأيام التي قضاها والسلطان يوسف، فقد نلتمس من خلال شعره الروح الصادقة في التعابير. فمعايير القيمة في هذه العاطفة هو صدقها وقدرتها في أن تجعل هذا العمل الفني يشق طريقه وسط زحمة الموجودات ليبرز بدلالة واضحة، ويلوح برسالة صادقة عن الصدق الأدبي والإخلاص الذي ينبع من منطق العمل الأدبي أو من موضوعيته بكل أبعادها وتفصيلاتها.⁽¹⁰⁰⁾

⁽⁹⁵⁾ النونية الكبرى، مصدر سابق.

⁽⁹⁶⁾ السينية، مصدر سابق.

⁽⁹⁷⁾ ضيفة، عبد الستار، جار الله محمود الزمخشري، حياته وشعره، عالم الكتب، ط1، 1414 هـ - 1994م، ص 222.

⁽⁹⁸⁾ الطبايع، عمر فاروق، مواقف في الأدب الأموي، دار العلم، بيروت، لبنان، 1414 هـ - 1991م ص

⁽⁹⁹⁾ النونية الكبرى.

⁽¹⁰⁰⁾ زاكى، أحمد كمال، النقد الأدبي الحديث: أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 93.

الخاتمة

أولاً: النتائج

- 1/ إن تراثنا الأدبي في تشاد ظهر مع ظهور الصوفية في عهد الشيخ أبو جويرية ونهضتكون بتقاليد الفنية والفكرية في عصر عبدالحق الترجمي.
- 2/ إن لشعر الحبّ الإلهي والرسول صلى الله عليه وسلم والشوق إلى الأماكن المقدسة كل هذا أظهر لنا شعر يدعو إلى الفضائل الإسلامية.
- 3/ الغزل الصوفي كالشعر الهادي لولا المعاني الرمزية التي تضمنتها الألفاظ.
- 4/ إن النتائج ليست مطلقة ولا نهائية بل نسبية تبقى في إطار العين المتمثلة للدراسة.
- 5/ إن ألفاظ الشاعر عبدالحق الترجمي دقيقة والمفردات مجردة من التكليف،
- 6/ إن الشاعر عبدالحق الترجمي مثقف ثقافة إسلامية متأثر بها.
- 7/ إن معاتبة تقليدية فيها التوافق والتشابه بين معاني سابقه فهو مقلد.

ثانياً: التوصيات

- 1/ تكوين مجمع لغوي تشادي عام تدعمه كل الدول العربية مادياً ومعنوياً مع مشاركتها في إدارته واختيار أعضائه من علماء اللغة والأدب حتى يشاور في قضايا اللغة العربية.
- 2/ توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة التراث العربي الإفريقي من خلال رموزه لإثراء المكتبة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

المطبوعات

1. أبو العشار مرسي، شعره صوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، ابني القارط نموذجاً، رساله دكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران أحمد بله، كلية الآداب والفنون، الجزائر، 1436 هـ / 1915م.
2. ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، ط 1412، ٢ هـ / 1992م.
3. الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج ١، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394 هـ / 1974م.
4. بهجت، مجاهد مصطفى، التيار الإسلامي للشعر العصر العباسي الأول، سلسلة الكتب الحديثة، ط 1402، ١ هـ / 1982م.
5. بكار، يوسف حسين، من القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديثي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1982، ٢م.
6. الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقض الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، ط ٢، مكتب الكتابي، 1995م.
7. جاكو، محمد شريف، العلاقات السياسية بين تشاد وليبيا، قضية اوزو، من 1960 - 1995م، ط 1997، 1م.

8. أرنوت سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة دكتور حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ط2، 1970م.
9. زكي أحمد كمال، النقد الأدبي: أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، دون تاريخ النشر.
10. سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، دار الشروق 1445هـ / 1990.
11. شبيب غازي، فني المديح النبوي في العصر المملوكي، المكتب العصرية صيدا، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1998م.
12. شبلي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1983م.
13. صالح مخيمر، المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ - 1968م.
14. الطباع، عمر الفاروق، مواقف في الأدب الأموي، دار العلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ - 1999م.
15. عبد الغني محمد، الموقع الجغرافي لتشاد أثره في تكوينها العام مع الاهتمام باللغة العربية والدين، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 12 / 26 / 2001 م.
16. عيسى، عبد الظاهر حسن، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلان، دار الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1981م.
17. الغنيمي، عبد الفتاح المقلد، الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا، سلطنة البالة، مكتبة مدلولي، القاهرة، 1996م.
18. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية، صافي تونس، ط1، 1986م.
19. الماحي، عبد الرحمن عمر، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1893 - 1982)م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
20. أيوب، محمد صالح، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي: دار وداي، تشاد، 1953م - 1912م، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، طرابلس، 2001م.
21. كامل، مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984م.
22. مكي، عبد الله، طريق الهدى والرشاد في التصوف القديم وتاريخ دخول الإسلام والطريقة التجانية في تشاد، دار التضامن، الخرطوم، 1990م.
23. الموسوعة العربية العالمي، ج6، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (د،ت).

عنوان البحث

**العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة
الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023**

أ. خيرالله حسن داود خاسكيه¹

¹ طالب دكتوراة في التعلم والتعليم كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين

بريد الكتروني: khairallahabohassan@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/21>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/21>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي في الداخل الفلسطيني خلال حرب غزة عام 2023. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي، وطُبقت على عينة عشوائية طبقية من طلبة المرحلة الثانوية في منطقة المثلث الجنوبي خلال العام الدراسي 2024. استخدمت الدراسة مقياسين رئيسيين: مقياس الكفاءة الذاتية المدركة في التعلم الإلكتروني بأبعاده الأربعة (النفسي، الاجتماعي، الدافعي، المعرفي)، ومقياس الدافعية لحضور الدروس الإلكترونية بأبعاده الثلاثة (الممارسات التعليمية، إدارة الفصول المتزامنة، خصائص التكنولوجيا). أظهرت النتائج أن مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى أفراد العينة كان مرتفعاً، وأن مستوى الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية كان مرتفعاً جداً. كما كشفت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين الكفاءة الذاتية المدركة بأبعادها المختلفة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية. وأظهرت النتائج أن البعد المعرفي (الاستقلالية والكفاءة المعرفية) حقق أعلى ارتباط بالدافعية، يليه البعد الاجتماعي، ثم البعد النفسي، وأخيراً البعد الدافعي. وتشير هذه النتائج إلى أن تعزيز الكفاءة الذاتية المدركة لدى الطلبة، خاصة في أبعادها المعرفية والاجتماعية والنفسية، يسهم بشكل فعال في رفع دافعتهم نحو حضور الدروس الإلكترونية والاستمرار فيها، وهو ما يُعد ضرورياً لضمان استمرارية التعليم وجودته في ظل الظروف الاستثنائية كالحروب والأزمات.

الكلمات المفتاحية: الكفاءة الذاتية المدركة، الدافعية، التعليم الإلكتروني، حرب غزة.

RESEARCH TITLE

The Relationship Between Perceived Self-Efficacy and Motivation to Attend Online Lessons Among High School Students in the Southern Triangle During the Gaza War 2023

Abstract

This study aimed to explore the relationship between perceived self-efficacy and motivation to attend electronic classes among secondary school students in the Southern Triangle in the Palestinian interior during the 2023 Gaza war. The study adopted a descriptive correlational approach and was applied to a stratified random sample of secondary school students in the Southern Triangle region during the 2024 academic year. The study utilized two main instruments: the Perceived Self-Efficacy Scale in e-learning with its four dimensions (psychological, social, motivational, and cognitive), and the Motivation to Attend Electronic Classes Scale with its three dimensions (educational and pedagogical practices, synchronous classroom management, and characteristics of learning technology). The results revealed that the level of perceived self-efficacy among the sample was high, and the level of motivation and continuity in attending electronic classes was very high. The findings also revealed a positive and statistically significant correlation between perceived self-efficacy in its various dimensions and motivation to attend electronic classes. The results showed that the cognitive dimension (autonomy and cognitive competence) achieved the highest correlation with motivation, followed by the social dimension, then the psychological dimension, and finally the motivational dimension. These results indicate that enhancing students' perceived self-efficacy, especially in its cognitive, social, and psychological dimensions, effectively contributes to increasing their motivation to attend and continue electronic classes, which is essential for ensuring the continuity and quality of education under exceptional circumstances such as wars and crises.

Key Words: Perceived self-efficacy, motivation, e-learning, Gaza war.

المقدمة

شهد التعليم في العقدين الأخيرين تحولاً جذرياً نحو استخدام التقنيات الرقمية، حيث أصبح التعليم الإلكتروني ضرورة حتمية لا مجرد خيار تربوي، خاصة في ظل الظروف الاستثنائية التي تشهدها مناطق مختلفة من العالم. وقد أثبتت الأزمات العالمية، كجائحة كورونا والنزاعات المسلحة، أن التعليم عن بُعد يمثل البديل الأفضل لضمان استمرارية العملية التعليمية وحماية حق المتعلمين في التعليم.

في السياق الفلسطيني، وتحديدًا منذ السابع من أكتوبر 2023، فرضت الحرب على قطاع غزة واقعاً تربوياً استثنائياً امتدت تداعياته إلى مناطق الداخل الفلسطيني. فقد شهد المثلث الجنوبي تحديات غير مسبقة في العملية التعليمية، حيث تأثر الطلبة نفسياً ووجدانياً بمشاهد الدمار والإبادة، وبات التعليم الإلكتروني الملاذ الوحيد للحفاظ على استمرارية التعلم في ظل هذه الظروف العصيبة.

إن نجاح التعليم الإلكتروني في تحقيق أهدافه لا يعتمد فقط على توفر البنية التقنية، بل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعوامل نفسية وتربوية محورية، تتصدرها الكفاءة الذاتية المدركة لدى المتعلمين. فالكفاءة الذاتية المدركة، بوصفها إدراك الفرد لقدرته على أداء المهام وتحقيق الأهداف المنشودة، تُعد من أهم المحددات التي تؤثر في مواجهة الطلبة للتحديات والمواقف الصعبة. فالأفراد الذين يتمتعون بكفاءة ذاتية مرتفعة يُظهرون قدرة أكبر على التكيف مع الظروف غير الطبيعية، ويتعاملون مع المهمات المعقدة بمثابرة وإصرار، بينما يشعر أصحاب الكفاءة الذاتية المنخفضة بالقلق واليأس في مواجهة مثل هذه الظروف (محمد وعلي، 2021). كما أن البيئة الانفعالية والفسولوجية للمتعلم تؤثر بشكل مباشر في قدرته على توظيف كفاءته الذاتية في مختلف المجالات المعرفية والعقلية، مما يستدعي تنشيط البنية الصحية والحد من الضغوط النفسية السلبية (الصرايرة، 2023).

ومن جهة أخرى، تمثل الدافعية الشرارة الأساسية التي تحفز المتعلمين وتثير فضولهم نحو الانخراط في الأنشطة التعليمية واكتساب المعرفة والمهارات. فهي القوة الداخلية التي تدفع المتعلمين للمشاركة الفاعلة في عملية التعلم، وتمنحهم المثابرة اللازمة للاستمرار والتغلب على العقبات والمشكلات التي قد تعترض مسيرتهم التعليمية (فهيم وآخرون، 2023). وفي سياق التعليم الإلكتروني خاصة، تتضاعف أهمية الدافعية نظراً لافتقاره إلى عناصر التفاعل المباشر والحضور الجسدي التي توفرها الفصول التقليدية، مما يجعل الدافعية الذاتية للمتعلم عاملاً حاسماً في مدى انخراطه وحضوره المنتظم للدروس الافتراضية.

تكتسب العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة والدافعية نحو حضور الدروس الإلكترونية أهمية خاصة في ظل الظروف الاستثنائية التي يمر بها طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي. فالطلبة في هذه المرحلة العمرية الحرجة يواجهون تحديات نفسية واجتماعية مركبة، تتفاقم في ظل الأوضاع الأمنية والإنسانية المتأزمة. وعلى الرغم من أن جزءاً من الطلبة لا يزالون يفضلون حضور الدروس الصفية وجهاً لوجه على التعليم الإلكتروني (عبد التواب وآخرون، 2023)، إلا أن الواقع الراهن يفرض ضرورة التكيف مع أنماط التعليم عن بُعد وتطوير استراتيجيات فاعلة لتعزيز دافعية الطلبة نحوها.

ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية دراسة العوامل النفسية والتربوية التي تؤثر في استمرارية الطلبة في حضور الدروس الإلكترونية خلال فترات الأزمات. فهم هذه العوامل وتحليل العلاقات المتداخلة بينها يمكن أن يساهم في تطوير سياسات تربوية وممارسات تعليمية تدعم الطلبة وتساعدهم على تجاوز التحديات والحفاظ على حقهم في التعليم. كما أن المربين والقائمين على العملية التعليمية يولون اهتماماً بالغاً لتحفيز المتعلمين وجذبهم للتعلم، والحرص على أن يكونوا في حالة نشطة وفاعلة في المواقف التعليمية، وهو ما يزداد إلحاحاً في الظروف غير الطبيعية (فهيم وآخرون، 2023).

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة

المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023، بهدف تقديم فهم علمي معمق لهذه العلاقة، وتقديم توصيات عملية تساعد الجهات المعنية على اتخاذ قرارات تربوية مناسبة تدعم استمرارية العملية التعليمية وتعزز جودتها في ظل الظروف الاستثنائية.

مشكلة الدراسة

أظهرت الدراسات السابقة اهتمامًا متزايدًا بدراسة العلاقة بين الكفاءة الذاتية والدافعية في بيئات التعلم الإلكتروني، خصوصًا في ظل جائحة كوفيد-19 التي فرضت على المؤسسات التعليمية الانتقال نحو أنماط التعليم عن بُعد. فقد تناولت دراسات ماسرون وروسدينال (2022)، ومحمدي ورضايي (2023)، وأوزدغر (2022) أثر الكفاءة الذاتية على الدافعية الأكاديمية لدى الطلبة في مراحل وجامعات مختلفة، وخلصت مجملها إلى وجود علاقة إيجابية بين هذين المتغيرين، مع تأكيد دور البيئة التعليمية في تعزيز هذه العلاقة. كما ركزت دراسات عربية مثل جبر وآخرون (2024) وعامر (2024) على قياس مستويات الكفاءة الذاتية والتحفيز الدراسي لدى الطلبة العرب في بيئات مستقرة نسبيًا. إلا أن هذه الدراسات، رغم أهميتها، لم تتناول بعمق تأثير الظروف الطارئة والحروب على دافعية الطلبة وكفاءتهم الذاتية في مواصلة التعلم الإلكتروني.

وانطلاقًا من تجربة الباحث الشخصية في خوض تجربة التعليم الإلكتروني خلال الأزمات، برزت ملاحظات حقيقية تتعلق بتفاوت مستويات الدافعية بين الطلبة، وشعور كثيرين منهم بالعجز أو ضعف الكفاءة الذاتية أمام التحديات التقنية والنفسية المصاحبة للواقع الأمني الصعب، وأجواء نفسية مثقلة بالخوف والاضطراب، مما جعل تجربة التعليم الإلكتروني خلال الحرب تجربة قسرية أكثر منها اختيارية، أثرت بوضوح في استمرارية حضور الطلبة للدروس الافتراضية، وفي مدى ثقتهم بقدرتهم على التعلم عبر هذا النمط.

وعلى الرغم من وفرة الأبحاث التي درست التعليم الإلكتروني زمن الأزمات الصحية كجائحة كورونا، فإن الدراسات التي تناولت التعليم الإلكتروني في ظل الحروب والنزاعات ما زالت نادرة، خاصة في السياق الفلسطيني. لا تتوافر بيانات كافية توضح مستوى الكفاءة الذاتية والدافعية لدى طلبة المدارس الثانوية في المناطق المتضررة من الحرب، ولا سيما في المثلث الجنوبي الذي يعاني من انقطاع الخدمات الأساسية بشكل متكرر. من هنا، تتبع مشكلة الدراسة الحالية من الحاجة إلى سد هذه الفجوة البحثية، واستكشاف العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في ظل ظروف الحرب على غزة، سعياً لفهم أعمق لآليات التكيف والتعلم في بيئات الأزمات والطوارئ.

أسئلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مستوى كل من الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023؟

السؤال الثاني: ما العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الكشف عن مستوى الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023، وتحديد أبرز أبعادها (النفسية، الاجتماعية، الدافعية، المعرفية).

2. تحديد مستوى دافعية حضور الدروس الإلكترونية واستمراريتها لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال فترة الحرب.
3. استقصاء طبيعة العلاقة الارتباطية بين الكفاءة الذاتية المدركة بأبعادها المختلفة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى أفراد عينة الدراسة.
4. تحليل مدى مساهمة أبعاد الكفاءة الذاتية المدركة في التنبؤ بدافعية حضور الدروس الإلكترونية واستمراريتها في ظل الظروف الاستثنائية.

أهمية الدراسة

الأهمية النظرية:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها النظرية من كونها تساهم في إثراء المكتبة العربية بدراسة علمية تتناول العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة والدافعية نحو التعليم الإلكتروني في سياق استثنائي، وهو ما يُعد إضافة نوعية للأدبيات التربوية في هذا المجال. كما توفر الدراسة توثيقاً علمياً دقيقاً للواقع التعليمي في المثلث الجنوبي خلال فترة حرب غزة 2023، مما يساعد الباحثين والمهتمين على فهم عميق لتأثير الأزمات والظروف الاستثنائية على العملية التعليمية والمتغيرات النفسية والتربوية المرتبطة بها. وتسلط الدراسة الضوء على العلاقة الديناميكية بين الكفاءة الذاتية المدركة كمتغير نفسي والدافعية كمتغير سلوكي، مما يوفر فهماً أعمق للعوامل المؤثرة في نجاح التعليم الإلكتروني واستمراريته. وبما أن هذه الدراسة تُجرى في ظل ظروف غير عادية تتمثل في الحرب وتداعياتها النفسية والاجتماعية، فإنها تُعد مرجعاً مهماً للدراسات المستقبلية المعنية بالتعليم في أوقات الأزمات، وتفتح آفاقاً بحثية جديدة حول الصمود التعليمي والنفسي في الظروف الصعبة.

الأهمية التطبيقية:

تتجلى الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في تقديمها معلومات علمية دقيقة وموثوقة يمكن أن تساعد المسؤولين في وزارة التربية والتعليم والهيئات التعليمية على اتخاذ قرارات تربوية مستنيرة تتلاءم مع الظروف الاستثنائية التي يمر بها المجتمع الفلسطيني. كما توفر الدراسة توصيات عملية للمعلمين والمشرفين التربويين حول كيفية تعزيز الكفاءة الذاتية المدركة والدافعية لدى الطلبة في بيئة التعليم الإلكتروني، مما يساهم في تطوير استراتيجيات تعليمية فعالة تأخذ بعين الاعتبار العوامل النفسية والتربوية التي تؤثر في نجاح التعليم عن بُعد. وتساعد نتائج هذه الدراسة في تصميم برامج إرشادية ودعم نفسي تستهدف تعزيز الكفاءة الذاتية لدى الطلبة، خاصة في الظروف الصعبة، وتقديم الأسس توصيات حول كيفية دعم أبنائهم وتحفيزهم على الاستمرار في التعليم الإلكتروني رغم التحديات المحيطة. كذلك توفر الدراسة أدوات قياس موثوقة ذات ثبات عالٍ لقياس الكفاءة الذاتية المدركة والدافعية، يمكن استخدامها في دراسات مستقبلية وفي تقييم البرامج التعليمية والإرشادية.

حدود الدراسة

الحد الموضوعي: تناولت الدراسة العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية.

الحد المكاني: تم تنفيذ الدراسة في مدارس المرحلة الثانوية في منطقة المثلث الجنوبي في الداخل الفلسطيني.

الحد البشري: شملت الدراسة عينة من طلبة الثانوية بلغت بحدود (11%) من إجمالي المجتمع الأصلي المكوّن من نحو (2000) طالب وطالبة للعام الدراسي 2024، حيث بلغ عدد أفراد العينة 224 طالب، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية.

الحد الزمني: أجريت الدراسة خلال العام الدراسي 2024، عقب الحرب على غزة عام 2023، في فترة تميّزت بظروف استثنائية أثرت على استمرارية التعليم.

الإطار النظري

الكفاءة الذاتية المدركة

تُعرف الكفاءة الذاتية المدركة بأنها مقدرة الفرد على أداء السلوك الذي يحقق نتائج مرغوبة في موقف معين، والتحكم في الأحداث التي تؤثر في حياته، وإصدار التوقعات الذاتية عن كيفية أداء المهام والأنشطة التي يقوم بها، والتنبؤ بمدى الجهد والمثابرة المطلوبة لتحقيق ذلك النشاط أو العمل (ناصر وعبد الله، 2023).

وتُعد الكفاءة الذاتية المدركة من المتغيرات النفسية المحورية التي تؤثر في سلوك الأفراد وأدائهم في مختلف المجالات الحياتية والتعليمية (حمادي وخضير، 2023). فالفرد الذي لديه القناعة بكفاءته الذاتية المدركة يعزز عنده مواجهة المهمات الصعبة والمواقف في الظروف غير الطبيعية، أما الأفراد الذين يتصفون بالكفاءة الذاتية المدركة المنخفضة فيشعرون بالقلق واليأس وعدم الراحة في مثل هذه الظروف غير الطبيعية (Yao & Wang, 2024).

إن البيئة الفسيولوجية والوجدانية أو الانفعالية لها تأثير كبير على قدرة الكفاءة الذاتية المدركة للأفراد في مختلف المجالات والوظائف العقلية والمعرفية والحسية لديهم، وهذا يرجع إلى تنشيط البنية البدنية أو الصحية، والتقليل من الضغوط الانفعالية السالبة، وتصحيح التفسيرات الخاطئة لما يعتري الجسم (Basileo et al., 2024). وبالتالي، فإن الحالة النفسية والجسدية للمتعلم تلعب دوراً حاسماً في تحديد مستوى كفاءته الذاتية وقدرته على التعامل مع التحديات والمواقف الصعبة، خاصة في الظروف الاستثنائية كالحروب والأزمات.

الدافعية

تُعرف الدافعية بأنها حالة داخلية عند المتعلم تدفعه إلى الانتباه للموقف التعليمي، والإقبال عليه بنشاط موجه، والاستمرار في هذا النشاط حتى تحقيق الهدف. أما إجرائياً فهي الرغبة والقوة الموجهة لسلوك المتعلم والتي تُقاس من خلال إجراءات سلوكية معينة (المطيري، 2015).

كما عرّف أكوا وآخرون (Acquah et al., 2021) الدافعية بأنها الاستعداد النسبي في الشخصية، ويحدد بشكل نسبي سعة الفرد ومثابرته بهدف بلوغ النجاح والذي يترتب عليه نوع معين من الإشباع، وذلك في المواقف التي تتضمن مستوى معيناً من التحدي. وهي المجموعة الشاملة من العوامل التي تحفز وتوجه السلوك نحو تحقيق هدف معين أو إكمال مهمة محددة. في سياق التعلم وعلم النفس التربوي، تشير الدافعية إلى القوة أو الديناميات التي تحفز الفرد على القيام بأنشطة معينة، وتؤثر على استمراريته وجهوده في تحقيق الأهداف.

دافعية التعلم هي حالة داخلية شعورية للمتعلم تعمل على إثارة انتباهه نحو الموقف التعليمي ومتابعته والاستمرار بالقيام بأنشطته لكي يتحقق الهدف المنشود المراد تعلمه (فهيم وآخرون، 2023). وتُعتبر الدافعية الشرارة التي تحفز المتعلمين وتثير فضولهم للقيام بأنشطة التعلم لاكتساب المعرفة والمهارات، وهي الركيزة الحيوية التي تنمي مشاركة المتعلمين في عملية التعلم وتوجههم للمثابرة والاستمرار والتغلب على العقبات والمشكلات التي قد تعترض مسيرتهم التعليمية.

إن المربين يهتمون بتحفيز المتعلمين وجذبهم للتعلم، وكلهم حرص على أن يكون المتعلمون دائماً في حالة نشطة وفعالة في المواقف التعليمية، ويزداد هذا الاهتمام في الظروف غير الطبيعية، من خلال توجيههم لتحقيق أهداف ونشاطات تعليمية لصالحهم وصالح المجتمع (فهيم وآخرون، 2023). فالدافعية ليست مجرد عامل مساعد في عملية التعلم، بل هي المحرك الأساسي الذي يضمن استمرارية المتعلم وانخراطه الفعال في الأنشطة التعليمية، خاصة في الأوقات الصعبة التي تتطلب مثابرة وإصراراً أكبر.

التعليم الإلكتروني

يُعرف التعليم الإلكتروني بأنه أسلوب من أساليب التعليم في إيصال المعلومة للمتعلم، يعتمد على التقنيات الحديثة للحاسوب، والشبكة العالمية، ووسائطهم المتعددة، مثل: أقراص مدمجة، وبرمجيات تعليمية، وبريد إلكتروني، وساحات حوار ونقاش، وفصول افتراضية (شيخ العيد وآخرون، 2021)

وبشكل أوسع، يُعد التعليم الإلكتروني أسلوباً لتقديم التعليم باستخدام وسائل الاتصال الحديثة مثل الحواسيب وشبكات، ووسائط متعددة مثل الصوت والصورة والرسومات، ووسائل التفاعل، والمكتبات الإلكترونية، والبوابات الإلكترونية عبر الإنترنت، سواء كان ذلك عن بُعد أو في السياق الدراسي المحلي. يهدف استخدام التقنية بمختلف أشكالها في توصيل المعلومات إلى المتعلم بشكل أكثر كفاءة وفعالية، حيث يُستخدم لتحقيق هدف معين بأقل جهد وفي وقت أقل، مما يؤدي إلى تحقيق فائدة أكبر.

يمثل التعليم الإلكتروني وسيلة مهمة في التعلم عن بُعد، حيث يعتمد على آليات الاتصال الحديثة مثل الحواسيب والشبكات والإنترنت لنقل المعرفة بشكل أسرع وأقل تكلفة. يلعب التعليم الإلكتروني دوراً هاماً في تلبية الاحتياجات الحالية والمستقبلية، ويساهم في تقديم معرفة شاملة وسهولة تداول المعلومات وتسهيل تعلم مستمر.

يُقسم التعليم الإلكتروني إلى نوعين رئيسيين:

1. التعليم الإلكتروني المباشر (Online Learning)

يعتمد على الإنترنت كوسيلة لتسهيل توصيل وتبادل الدروس والمواضيع بين المتعلم والمعلم. يمتاز هذا الأسلوب بارتباطه بتقنيات التعلم عبر الإنترنت، حيث يتيح للمتعلمين الوصول إلى المحتوى التعليمي والموارد التعليمية عبر الشبكة العالمية. شهد العقد الثمانينات اعتماد الأقراص المدمجة (CD) كوسيلة للتعلم، ورغم الفوائد التي قدمها هذا النهج، إلا أنه كان يفقر إلى خاصية التفاعل بين المحتوى والمدرس والمتعلم. مع انتشار الإنترنت، ظهرت تقنيات التعلم الإلكتروني المباشر، حيث يتم توفير المحتوى التعليمي عبر الإنترنت، مما يتيح للمتعلمين التفاعل مع المواد التعليمية والمدرسين بشكل فعال. هذا النمط من التعليم يقدم فرصاً أكبر للتفاعل والمشاركة بين المتعلم والمعلم، ويسمح بنقل المعرفة والمهارات بطريقة فعالة ومباشرة عبر الشبكة الإلكترونية.

2. التعليم الإلكتروني غير المباشر (Computer-Based Training – CBT)

المعتمد على الحاسوب هو أسلوب يعتمد على استخدام الحواسيب كوسيلة لتقديم وإدارة الدورات التعليمية. يُعتبر CBT مرادفاً للتعليم التقليدي ويُستخدم أحياناً كوسيلة تكميلية للأساليب التقليدية. يمكن تقسيم التعليم الإلكتروني غير المباشر إلى نوعين فرعيين:

أ. التعليم الإلكتروني المتزامن: (Synchronous Learning)

يتيح هذا النوع للمتعلمين التفاعل المباشر مع المعلم وبعضهم البعض. يمكن للمتعلمين التفاعل مع المحتوى التعليمي في الوقت الفعلي والمشاركة في فصول افتراضية تتيح التداول بين الطلاب والمعلمين.

ب. التعليم الإلكتروني غير المتزامن: (Asynchronous Learning)

يتيح هذا النوع للمتعلمين التعلم في أي وقت يناسبهم. يُمكن للمعلم وضع مصادر تعليمية وخطط دراسية على الموقع

التعليمي، ويمكن للطلاب الوصول إليها في أي وقت يشاءون دون الحاجة إلى تواجد متزامن مع المعلم.

يعكس التعليم الإلكتروني المعتمد على الحاسوب استفادة من التقنيات الحديثة لتحسين عمليات التعلم وتقديم الدورات التعليمية بشكل فعال ومرن (حبيب الله، 2015).

الدروس الافتراضية (Virtual Classrooms)

تُعرف الدروس الافتراضية بأنها أدوات وتقنيات وبرمجيات على الشبكة العالمية "الإنترنت" تمكن المعلم من نشر الدروس والأهداف ووضع الواجبات والمهام الدراسية والاتصال بطلابه من خلال تقنيات متعددة، كما أنها تمكن الطالب من قراءة الأهداف والدروس التعليمية وحل الواجبات وإرسال المهام والمشاركة في ساحات النقاش والحوار والاطلاع على خطوات سير الدرس والدرجة التي حصل (Han & Bailenson, 2024).

رغم أهمية التعليم الإلكتروني ودوره الحيوي في استمرارية التعليم، لا يزال جزء من الطلبة يفضلون حضور الدروس الصفية وجهاً لوجه على استخدام التقنيات الحديثة في التعليم من خلال التعليم الإلكتروني (عبد التواب وآخرون، 2023). وأشار الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2020) أن عدم مشاركة المتعلمين في التعليم الإلكتروني في جائحة كورونا بلغت 13%، ويرجع ذلك إلى عدم رغبة المتعلم في تنفيذ النشاطات التعليمية (شيخ العيد وآخرون، 2021).

إن تفاعل الطلبة نحو المشاركة لحضور الفصول الافتراضية في التعلم عن بُعد مقارنة بالفصول الدراسية العادية يتأثر بالسياسات والأساليب المناسبة سواء من جانب المدرسة أو المعلم أو الأسرة لتنمية ورفع دافعتهم تجاه التعلم والعملية التعليمية برمتها (عبد التواب وآخرون، 2023).

الحرب وأثرها على العملية التعليمية

لغة، تُعرف الحرب في المعجم الوسيط بأنها القتال بين فئتين. أما اصطلاحاً، فالحرب تُعتبر صراعاً عنيفاً ومسلحاً بين مجموعتين أو أكثر من الدول أو الأطراف المتنازعة، تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية، اقتصادية أو اجتماعية. تتضمن الحرب استخدام القوة العسكرية والأسلحة، وتتميز بالعنف والقتال المباشر والتدمير. يمكن أن تكون الحرب نتيجة لصراع على المصادر الطبيعية، الإقليمية، الدينية، العرقية، الإيديولوجية أو الاستعمارية، وتتسبب غالباً في خسائر فادحة للأرواح والممتلكات والبنية التحتية. يمكن للحرب أن تؤدي أيضاً إلى تغيير في توازن القوى وتأثير اقتصادي واجتماعي وسياسي على الأمم المتحاربة (العريزي، 2018).

وتتلخص الحرب في السلوكيات والإجراءات التي يتخذها الأطراف المشاركة في النزاع المسلح. وهو يشمل الممارسات العسكرية التي تتضمن التخطيط والقرارات العسكرية، والحركات العسكرية على الأرض وفي الجو، واستخدام الأسلحة والتكتيكات العسكرية، والاستراتيجيات التي تستخدمها الأطراف المتحاربة في سبيل تحقيق أهدافها في النزاع. وتشمل أيضاً القوانين والقواعد الدولية المنظمة للصراعات المسلحة، مثل القانون الدولي الإنساني واتفاقيات جنيف الأربع (العريزي، 2018).

حرب غزة 2023

ليس هنالك رواية واضحة وكاملة عن الأحداث التي وقعت في السابع من شهر أكتوبر 2023، ولكن هنالك روايات متفرقة لأحداث ذلك اليوم. في الساعة الرابعة من فجر 7 أكتوبر، صدرت الأوامر من قادة حماس في قطاع غزة بأن يذهب أي شخص كان حاضراً في الدورات التدريبية إلى صلاة الفجر في المسجد الذي اعتاد الذهاب إليه، وهذا ما كان يحصل دائماً

مما لم يثر حفيفة أجهزة الأمن الإسرائيلية، وهكذا كانت أول رسائل انطلاق "ساعة الصفر". وقد امتد بعد ذلك الصراع المسلح بين إسرائيل والفصائل المسلحة في قطاع غزة، وسلسلة من الاشتباكات والقصف المتبادل الذي حدث بين الجانبين، وقد أدت إلى توتر شديد وأسفرت عن سقوط آلاف الضحايا وخسائر في الممتلكات (الخنساء، 2023).

الدراسات السابقة

دراسة ماسرون وروسدينال : (Masrun & Rusdinal, 2022) هدفت هذه الدراسة إلى تحليل العوامل النفسية لدى الطلبة، والتمثلة في الكفاءة الذاتية المدركة (Self-efficacy)، والدافعية للتعلّم (Learning motivation)، والبيئة التعليمية (Learning environment)، وتأثيرها على نتائج التعلم في مادة التربية البدنية عبر التعليم الإلكتروني خلال جائحة كوفيد-19 في مدارس المرحلة الثانوية بمدينة بادانغ - سومطرة الغربية. اعتمدت الدراسة المنهج الكمي باستخدام أسلوب تحليل المسار (Path Analysis) ضمن نموذج المعادلات البنائية، وذلك للكشف عن علاقات السببية المباشرة وغير المباشرة بين المتغيرات. تم جمع البيانات من (160) طالباً من مدارس الثانوية في بادانغ من خلال استبانة إلكترونية، ثم تحليلها إحصائياً باستخدام الأساليب الوصفية والتحليلية، وأظهرت النتائج أن للكفاءة الذاتية والدافعية نحو التعلم تأثيراً مباشراً ومعبراً إحصائياً على نتائج التعلم الإلكتروني، كما تبين أن البيئة التعليمية تلعب دوراً وسيطاً يعزز من هذا التأثير. وأوصت الدراسة بضرورة تحسين نماذج وتصميمات التعليم الإلكتروني بما يسهم في الحد من التأثيرات السلبية التي قد تقلل من فاعلية تعلم الطلبة ونتائجهم الأكاديمية.

دراسة محمدي ورضايي (Mohammadi & Rezaei, 2023) : تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين الكفاءة الذاتية والمرونة النفسية والدافعية الأكاديمية لدى الطلبة في التعليم الإلكتروني. وقد شارك في الدراسة عينة مريحة مكونة من 120 طالباً جامعياً من جامعتين حكوميتين في جنوب إيران، وتمت الاستعانة باستبيانات الكفاءة الذاتية، والمرونة النفسية، والدافعية الأكاديمية لجمع البيانات، وأظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية بين الكفاءة الذاتية والدافعية الأكاديمية، كما تبين أن الطلبة ذوي مستويات أعلى من المرونة النفسية لديهم دافعية أكاديمية أعلى. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت نتائج اختبار الانحدار المتعدد أن كل من الكفاءة الذاتية والمرونة النفسية يمكن أن تتنبأ بشكل كبير بالدافعية الأكاديمية للطلبة المشاركين في التعليم عبر الإنترنت. وتقترح الدراسة مجموعة من التوصيات لتعزيز مستوى الكفاءة الذاتية والمرونة النفسية لدى الطلبة من خلال تنفيذ تدخلات تربوية متنوعة، بما يسهم في رفع مستوى دافعتهم الأكاديمية وبالتالي تحسين معدل تعلمهم، خاصة في سياق تعلم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

دراسة أوزدغر (Özüdoğru, 2022) هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر التعليم عن بُعد خلال جائحة كوفيد-19 على تصورات مرشحي الإرشاد النفسي حول الكفاءة الذاتية تجاه استخدام التقنيات عبر الإنترنت ودافعتهم للتعلّم الإلكتروني. اعتمدت الدراسة المنهج الكمي باستخدام نموذج مجموعة واحدة قبل-بعد، وشارك في الدراسة طلاب السنة الثالثة في كلية التربية، قسم الإرشاد النفسي والتوجيه، في فصل الخريف 2020-2021. وتم جمع البيانات باستخدام استمارة المعلومات الديموغرافية، ومقياس الكفاءة الذاتية في استخدام التقنيات عبر الإنترنت، ومقياس الدافعية للتعلم الإلكتروني، وأظهرت النتائج أن درجات مرشحي الإرشاد النفسي في الكفاءة الذاتية تجاه استخدام التقنيات والدافعية للتعلم الإلكتروني كانت أعلى من المتوسط. وخلصت الدراسة إلى أن التعليم عن بُعد خلال جائحة كوفيد-19 أحدث فرقاً ذا دلالة إحصائية في الكفاءة الذاتية تجاه التقنيات عبر الإنترنت، بينما لم يحدث فرق في الدافعية للتعلم الإلكتروني. ولم توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الكفاءة الذاتية حسب الجنس أو مكان الإقامة، أما بالنسبة للدافعية فلم توجد فروق حسب الجنس، بينما لوحظ فرق ذو دلالة إحصائية لصالح سكان مركز المدينة بالنسبة لمكان الإقامة. وأكدت الدراسة على أهمية

عرض تصورات ودوافع مرشحي الإرشاد النفسي تجاه التعليم عن بُعد كجزء من تطويرهم المهني المستمر.

دراسة جبر وآخرون: (2024) هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن التحفيز الدراسي وعلاقته بالكفاءة الذاتية والانخراط في التعلم لدى طلبة المرحلة المتوسطة. قام الباحثون ببناء ثلاثة مقاييس شملت مقياس التحفيز الدراسي، ومقياس الكفاءة الذاتية، ومقياس الانخراط في التعلم، حيث طُبّق مقياس التحفيز الدراسي على عينة من المدرسين والمدرسات بلغ عددهم (62)، بينما طُبّق مقياس الكفاءة الذاتية والانخراط في التعلم على عينة من طلبة المرحلة المتوسطة بلغ عددهم (200) طالب وطالبة، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة. أظهرت النتائج، بعد التحليل الإحصائي للبيانات، وجود مستوى مرتفع من التحفيز الدراسي، وعلاقة إيجابية بينه وبين الكفاءة الذاتية والانخراط في التعلم، مما يدل على أن ارتفاع التحفيز الدراسي يسهم في تعزيز ثقة الطلبة بأنفسهم وزيادة اندماجهم في عملية التعلم.

دراسة عامر (2024): هدفت هذه الدراسة إلى قياس مستوى الكفاءة الذاتية للتعلم عبر الإنترنت لدى طلبة جامعة السلطان قابوس في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19). استخدم الباحث مقياس الكفاءة الذاتية للتعلم عبر الإنترنت (OLSES) بعد ترجمته إلى اللغة العربية، وتحقق من خصائصه السيكومترية من حيث الثبات والصدق على عينة استطلاعية مكونة من (120) طالباً وطالبة من كليات الجامعة. وبعد التأكد من صلاحية الأداة، طُبّق المقياس على عينة قوامها (1560) طالباً وطالبة من الجامعة نفسها. أظهرت النتائج ارتفاع مستوى الكفاءة الذاتية للتعلم عبر الإنترنت لدى الطلبة، ووجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث لصالح الإناث، في حين لم تُسجل فروق دالة تبعاً لمتغيري بيئة الطالب (ريف/حضر) أو نوع الكلية (إنسانية/عملية). كما أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة فيما يتعلق بمحور "إدارة الوقت" لصالح الطلبة من الدفعات الأقدم الذين درسوا خمس سنوات أو أكثر.

التعليق على الدراسات السابقة

تبين من استعراض الدراسات السابقة أن أغلبها اعتمد المنهج الكمي وأساليب البحث الوصفي أو التحليلي لقياس العلاقة بين الكفاءة الذاتية والدافعية للتعلم في التعليم الإلكتروني. فقد استخدم ماسرون وروسدينال (2022) تحليل المسار ضمن نموذج المعادلات البنائية للكشف عن التأثيرات المباشرة وغير المباشرة بين المتغيرات، بينما اعتمدت دراسة محمدي ورضايي (2023) استبيانات معيارية للكفاءة الذاتية والمرونة النفسية والدافعية الأكاديمية، في حين استخدمت دراسة أوزدغر (2022) تصميم المجموعة الواحدة قبل-بعد لقياس أثر تجربة التعليم عن بُعد على تصورات الطلبة. أما الدراسات العربية مثل جبر وآخرون (2024) فقد اعتمدت مقاييس من إعداد الباحثين للكفاءة الذاتية والتحفيز الدراسي والانخراط في التعلم، في حين استخدم عامر (2024) مقياس الكفاءة الذاتية للتعلم عبر الإنترنت (OLSES) بعد ترجمته وتحقق من خصائصه السيكومترية.

تتميز الدراسة الحالية عن هذه البحوث السابقة ليس فقط من حيث الموضوع والسياق، بل كذلك من حيث منهجها وأداتها البحثية؛ إذ تعتمد المنهج الوصفي الارتباطي لدراسة العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية في ظل ظروف الحرب على غزة، وهي بيئة تتسم بضغط نفسي وتحديات تقنية وتعليمية غير تقليدية. كما استخدمت الدراسة استبانة محكمة صُممت خصيصاً لقياس متغيري الكفاءة الذاتية والدافعية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي، ما يمنحها خصوصية في استهداف فئة عمرية مختلفة عن معظم الدراسات السابقة التي ركزت على طلبة الجامعات. وبهذا، تسعى الدراسة إلى توسيع الإطار المنهجي والمعرفي لفهم العلاقة بين الكفاءة الذاتية والدافعية في سياق الأزمات والطوارئ التعليمية.

المنهجية

أولاً: منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي لملاءمته لطبيعة أهدافها التي تسعى إلى الكشف عن العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي في الداخل الفلسطيني خلال حرب غزة عام 2023.

ثانياً: مجتمع الدراسة

تمثل مجتمع الدراسة في جميع طلبة المرحلة الثانوية في منطقة المثلث الجنوبي، والبالغ عددهم نحو (2000) طالب وطالبة للعام الدراسي 2024.

ثالثاً: عينة الدراسة

تم اختيار العينة بطريقة العينة العشوائية الطبقية بنسبة (11%) من المجتمع الأصلي، ليبلغ حجمها (224) طالباً وطالبة من مختلف المدارس الثانوية في المنطقة، ممثلين لجميع الصفوف الثانوية.

رابعاً: أدوات الدراسة

استخدمت الدراسة أداتين لجمع البيانات:

1. مقياس الكفاءة الذاتية المدركة في التعلم الإلكتروني.

تم إعداد مقياس الكفاءة الذاتية المدركة استناداً إلى الأبعاد النفسية والاجتماعية والدافعية والمعرفية، حيث اشتمل على (34) فقرة تغطي مختلف جوانب الكفاءة الذاتية لدى طلبة المرحلة الثانوية. وقد تم عرض المقياس على لجنة تحكيم مكونة من سبعة خبراء في التربية وعلم النفس وطرق البحث التربوي، وذلك لتقييم مدى وضوح الفقرات ودقتها وسهولة فهمها وملاءمتها لأهداف الدراسة. وبناءً على ملاحظاتهم، تم إدخال تعديلات طفيفة على صياغة بعض الفقرات لضمان دقتها اللغوية وسهولة استيعابها من قبل الطلاب، كما تم التأكد من ملائمة ترتيب الفقرات وترابطها مع الأبعاد النظرية للمقياس، وللتحقق من ثبات أداة الدراسة، تم حساب معامل ألفا كرونباخ لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة وكانت النتائج كما في الجدول (1)

جدول (1): معامل ألف كرونباخ بمقياس الكفاءة الذاتية المدركة

Reliability Statistics	
Cronbach's Alpha	N of Items
.941	34

أظهرت نتائج اختبار الثبات الداخلي لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة أن قيمة معامل كرونباخ ألفا بلغت (0.941) ، وهي قيمة مرتفعة جداً وتشير إلى درجة عالية من الاتساق الداخلي بين فقرات المقياس.

وتعد هذه القيمة مؤشراً ممتازاً على ثبات المقياس، إذ إن القيم التي تتجاوز (0.70) تُعد مقبولة في الدراسات النفسية والتربوية، بينما القيم الأعلى من (0.90) تدل على ثبات قوي جداً وموثوقية مرتفعة للأداة المستخدمة في القياس.

2. مقياس الدافعية لحضور الدروس الإلكترونية.

اشتمل مقياس الدافعية على (24) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد رئيسية، هي: الممارسات التعليمية والتربوية، إدارة الفصول الدراسية المتزامنة، وخصائص التكنولوجيا. وقد تم عرض المقياس أيضًا على نفس لجنة التحكيم المكونة من سبعة خبراء، حيث قِيموا وضوح الفقرات وصياغتها اللغوية وملاءمتها للسياق التعليمي الإلكتروني، بالإضافة إلى قابلية الطالب لفهمها بسهولة. ونتيجة لملاحظات المحكمين، تم تعديل بعض الصياغات لتصبح أكثر وضوحًا ودقة، كما تم ضبط ترتيب الفقرات داخل كل بُعد لضمان الاتساق المنطقي والتناسق مع أهداف الدراسة، وللتحقق من ثبات أداة الدراسة، تم حساب معامل ألفا كرونباخ لمقياس الدافعية لحضور الدروس الإلكترونية وكانت النتائج كما في الجدول (2).

جدول (2): معامل ألف كرونباخ بمقياس الدافعية لحضور الدروس الإلكترونية

Reliability Statistics	
Cronbach's Alpha	N of Items
.861	24

أظهرت نتائج اختبار الثبات الداخلي لمقياس الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية أن قيمة معامل كرونباخ ألفا بلغت (0.861)، وهي قيمة مرتفعة وتشير إلى مستوى عالٍ من الاتساق الداخلي بين فقرات المقياس.

وتُعد هذه القيمة دليلاً قوياً على ثبات الأداة، إذ يُعد المدى المقبول لمعامل ألفا ما بين (0.70 - 0.80)، بينما القيم الأعلى من (0.80) تُشير إلى ثبات مرتفع وموثوقية جيدة جداً، مما يؤكد صلاحية الأداة للاستخدام في البحث الحالي

إجراءات الدراسة

تمت الدراسة على عدة مراحل لضمان دقة جمع البيانات وتحقيق أهداف البحث:

1. تحديد المجتمع والعينة: شمل مجتمع الدراسة طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023 (2000 طالب وطالبة)، واختيرت عينة بنسبة 11% باستخدام المعاينة العشوائية الطبقية.
2. اختيار الأدوات والتحقق من صلاحيتها: استخدم الباحث استبيانين لقياس الكفاءة الذاتية المدركة والدافعية لحضور الدروس الإلكترونية، وعرضهما على 7 محكمين لإجراء التعديلات اللازمة.
3. الثبات والصدق: تم حساب معامل ألفا كرونباخ للتأكد من موثوقية الأدوات، وأظهرت النتائج ثباتاً عالياً.
4. جمع البيانات: وزعت الاستبيانات على الطلبة في المدارس المختارة وُجمعت بطريقة منظمة.
5. تحليل البيانات: استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحديد مستوى الكفاءة الذاتية والدافعية، ومعاملات ارتباط بيرسون لدراسة العلاقة بين المتغيرين.

نتائج الدراسة

فيما يأتي الإجابة عن أسئلة الدراسة:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول للدراسة

ما مستوى كل من الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على مقياس الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية، ويوضح الجدول (3) النتائج:

جدول (3): المتوسطات الحسابية ومستويات التقدير للكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية

نوع المقياس	البعد	N	المتوسط الحسابي	مستوى التقدير
الكفاءة الذاتية المدركة	البعد النفسي (التحكم بالانفعالات والضبط الذاتي)	224	3.89	مرتفع
	البعد الاجتماعي (الكفاءة في التعامل مع الآخرين)	224	3.83	مرتفع
	البعد الدافعي (الإصرار على النجاح وتحمل التحدي)	224	3.87	مرتفع
	البعد المعرفي (الاستقلالية والكفاءة المعرفية)	224	4.24	مرتفع جدًا
	المتوسط الكلي للكفاءة الذاتية المدركة	224	3.98	مرتفع
الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية	الممارسات التعليمية والتربوية	222	4.07	مرتفع
	إدارة الفصول الدراسية المتزامنة	222	4.64	مرتفع جدًا
	خصائص التكنولوجيا المستخدمة في التعلم	224	4.32	مرتفع جدًا
	المتوسط الكلي للدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية	224	4.29	مرتفع جدًا

أظهرت نتائج التحليل الوصفي لمقياس الكفاءة الذاتية المدركة أن المتوسط العام بلغ 3.98، مما يشير إلى أن مستوى الكفاءة الذاتية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي كان مرتفعًا.

كما تبين أن أعلى متوسط تحقق في البعد المعرفي (الاستقلالية والكفاءة الذاتية) بمتوسط (4.24)، وهو ما يعكس قدرة الطلبة على الاعتماد على الذات في اتخاذ القرارات والتعامل مع المواقف التعليمية المختلفة. في حين جاء أقل متوسط في البعد النفسي (الضبط الانفعالي والتحكم بالذات) بمتوسط (3.89)، ومع ذلك يبقى ضمن المستوى المرتفع.

أما فيما يتعلق بنتائج مقياس الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية، فقد أظهرت النتائج أن المتوسط الكلي بلغ 4.29، وهو مستوى مرتفع جدًا، مما يدل على وجود دافعية قوية لدى الطلبة لحضور الدروس الإلكترونية خلال فترة الحرب.

كما حقق بعد إدارة الفصول الدراسية المتزامنة أعلى متوسط بلغ (4.64)، مما يشير إلى أن وضوح النظام داخل الحصص الإلكترونية وتخصيص الدرجات والمشاركة الفعالة يسهمان في تعزيز الدافعية. بينما جاء بعد الممارسات التعليمية والتربوية في المرتبة الأخيرة بمتوسط (4.07)، وهو أيضًا ضمن المستوى المرتفع.

وبصورة عامة، تعكس هذه النتائج أن الطلبة يمتلكون كفاءة ذاتية مرتفعة ودافعية عالية نحو حضور الدروس الإلكترونية واستمراريتها، مما يعزز الفرضية القائلة بوجود علاقة ارتباطية موجبة بين المتغيرين في ظل الظروف الاستثنائية التي صاحبت حرب غزة 2023.

يعزو الباحث هذه النتائج إلى عدة عوامل محتملة: أولاً، الظروف الاستثنائية التي صاحبت الحرب جعلت الطلبة يعتمدون على أنفسهم أكثر ويطورون مهاراتهم في الاستقلالية والكفاءة المعرفية للتكيف مع التعلم الإلكتروني في بيئة مضطربة. ثانياً، تنظيم الحصص الإلكترونية وإدارة الفصل من قبل المعلمين بشكل واضح ساهم بشكل كبير في رفع مستوى الدافعية، حيث انعكس ذلك في ارتفاع متوسط بعد إدارة الفصول المتزامنة.

تتوافق هذه النتائج مع ما أظهرت دراسة ماسرون وروسدينال (2022)، حيث أظهرت العلاقة الإيجابية بين الكفاءة الذاتية والدافعية نحو التعلم الإلكتروني، وأكدت على دور البيئة التعليمية في تعزيز تأثير هذه المتغيرات. كما تدعم نتائج محمدي ورضايي (2023) وأوزدغر (2022) استنتاج أن الكفاءة الذاتية تؤثر بشكل مباشر على الدافعية الأكاديمية، بينما توضح الدراسة الحالية أن الظروف البيئية الصعبة (الحرب) قد تكون سبباً إضافياً لارتفاع الكفاءة الذاتية والاستقلالية بين الطلبة، وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة التي ركزت على أزمات صحية أو بيانات تعليمية عادية.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني للدراسة

ما العلاقة بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية لدى طلبة المرحلة الثانوية في المثلث الجنوبي خلال حرب غزة 2023؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب معاملات ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) بين درجات أفراد العينة على مقياس الكفاءة الذاتية المدركة بأبعاده الأربعة ودرجاتهم على مقياس دافعية حضور الدروس الإلكترونية بأبعاده الثلاثة، ويوضح الجدول (4) النتائج:

جدول (4): معاملات ارتباط بيرسون بين الكفاءة الذاتية المدركة ودافعية حضور الدروس الإلكترونية

البعد من الكفاءة الذاتية	المتوسط الكلي للدافعية واستمرارية الحضور	الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية	إدارة الفصول الدراسية المتزامنة	خصائص التكنولوجيا المستخدمة في التعلم
البعد النفسي (التحكم بالانفعالات والضبط الذاتي)	0.551**	0.633**	0.441**	0.203**
البعد الاجتماعي (الكفاءة في التعامل مع الآخرين)	0.567**	0.681**	0.394**	0.179**
البعد الدافعي (الإصرار على النجاح وتحمل التحدي)	0.486**	0.632**	0.295**	0.134*
البعد المعرفي (الاستقلالية والكفاءة المعرفية)	0.765**	0.808**	0.589**	0.333**
المتوسط الكلي للكفاءة الذاتية المدركة	0.690**	0.804**	0.506**	0.250**

تشير النتائج إلى أن البعد النفسي (التحكم بالانفعالات والضبط الذاتي) يرتبط بشكل واضح مع الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية (0.633)، ويظهر تأثيراً معتدلاً على إدارة الفصول الدراسية المتزامنة (0.441) وضعيفاً على خصائص التكنولوجيا المستخدمة في التعلم (0.203)، ما يوضح أن التحكم بالانفعالات يعزز بشكل رئيسي الدافعية والمشاركة في التعلم الإلكتروني.

أما البعد الاجتماعي (الكفاءة في التعامل مع الآخرين)، فيظهر ارتباطاً قوياً مع الدافعية واستمرارية حضور الدروس الإلكترونية (0.681)، مع انخفاض تدريجي في علاقته بإدارة الفصول (0.394) وخصائص التكنولوجيا (0.179)، ما يشير إلى أن مهارات التعامل الاجتماعي تعزز التفاعل والمثابرة بشكل أساسي، دون أن تؤثر كثيراً على الجوانب التقنية والإدارية.

وبالنسبة لـ البعد الدافعي (الإصرار على النجاح وتحمل التحدي)، فهو مرتبط بالدافعية واستمرارية حضور الدروس (0.632) بشكل مشابه للبعد النفسي، لكنه يظهر تأثيراً ضعيفاً على إدارة الفصول (0.295) وخصائص التكنولوجيا (0.134)، مما يعكس أن المثابرة والتحفيز الداخلي يرفع الالتزام بالحضور والمشاركة، بينما لا ينعكس بشكل كبير على الجوانب التقنية والإدارية.

أما البعد المعرفي (الاستقلالية والكفاءة المعرفية)، فيظهر أعلى ارتباط مع الدافعية واستمرارية حضور الدروس (0.808)، ويظهر تأثيراً معتدلاً على إدارة الفصول (0.589) وعلى خصائص التكنولوجيا (0.333)، مما يعكس أن الاستقلالية والكفاءة المعرفية تمكن الطلاب من التفاعل بفعالية مع مختلف عناصر البيئة التعليمية، سواء على مستوى الحضور والدافعية أو على مستوى إدارة الصف والتكنولوجيا.

وأخيراً، المتوسط الكلي للكفاءة الذاتية المدركة يعكس أن جميع الأبعاد مجتمعة مرتبطة بشكل واضح بالدافعية واستمرارية الحضور (0.804) وبشكل متوسط مع إدارة الفصول (0.506) وخصائص التكنولوجيا (0.250)، مما يدل على أهمية الكفاءة الذاتية المدركة في تعزيز الأداء الشامل للطلاب في البيئة التعليمية الإلكترونية.

يعزو الباحث هذه العلاقة إلى أن الطلبة، نتيجة الظروف الصعبة الناتجة عن الحرب، طوروا مهارات التكيف والتحكم بالذات، الأمر الذي عزز قدرتهم على مواجهة التحديات الإلكترونية والحفاظ على دافعية حضور الدروس. كما أن الاستقلالية والكفاءة المعرفية ساعدت الطلبة على التفاعل الفعّال مع البيئة التعليمية الإلكترونية، بما في ذلك إدارة الوقت والاستفادة من المصادر المتاحة.

تتفق هذه النتائج مع ما أظهرته دراسة ماسرون وروسدينال (2022) التي بينت وجود تأثير مباشر للكفاءة الذاتية على نتائج التعلم، وكذلك مع محمدي ورضايي (2023) التي أظهرت قدرة الكفاءة الذاتية والمرونة النفسية على التنبؤ بالدافعية الأكاديمية. كما تدعم نتائج أوزدغر (2022) أن الكفاءة الذاتية مرتبطة بالدافعية في التعلم عن بعد. وبالمقارنة، تقدم الدراسة الحالية إضافة مهمة من حيث الظروف الطارئة (الحرب)، حيث يبين الباحث أن سياق الأزمة كان محفزاً للطلبة على تعزيز مهاراتهم الذاتية ودافعتهم للبقاء نشطين في بيئة التعلم الإلكتروني، وهو ما يمثل مساهمة جديدة تميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

توصيات الدراسة

1. تعزيز الكفاءة الذاتية لدى الطلبة: يُوصى بتصميم برامج تدريبية وورش عمل تركز على تنمية مهارات الاستقلالية، وضبط الانفعالات، والإصرار على الإنجاز، بحيث يتمكن الطلبة من التكيف بشكل أفضل مع التعلم الإلكتروني، خصوصاً في الظروف الطارئة مثل الحروب والأزمات.
2. تحسين بيئة التعلم الإلكتروني: على المدارس والمعلمين الاهتمام بتنظيم الفصول الإلكترونية وإدارة الحصص بوضوح، مع تخصيص الدرجات، وتشجيع المشاركة الفعّالة للطلبة، لتقوية الدافعية وحافز الحضور المستمر للدروس الإلكترونية.

3. تنويع استراتيجيات التدريس الإلكترونية: يوصى باستخدام أساليب تعليمية متنوعة مثل الفيديوهاات القصيرة، العروض التقديمية، والمناقشات التفاعلية، بالإضافة إلى تقديم محتوى مرتبط بالحياة الواقعية، وذلك لتعزيز دافعية الطلبة وتحفيزهم على المشاركة الفعالة في التعلم الإلكتروني.

4. الاستفادة من التكنولوجيا بشكل فعال: يجب التركيز على تحسين مهارات المعلمين في استخدام أدوات التعلم الإلكتروني مثل Moodle و Zoom والعروض التعليمية، لضمان تقديم محاضرات سلسلة تشجع الطلبة على الحضور والمشاركة المستمرة.

5. تقديم الدعم النفسي للطلبة: نظرًا للظروف الصعبة المصاحبة للحرب، يُوصى بتوفير دعم نفسي واستشارات للطلبة لمساعدتهم على التعامل مع الضغوط النفسية، ما يعزز قدرتهم على التحكم بالانفعالات واستمرار المشاركة في التعلم الإلكتروني.

6. إجراء دراسات مستقبلية: يُوصى بإجراء بحوث مستقبلية لدراسة تأثير الكفاءة الذاتية والدافعية في التعلم الإلكتروني على التحصيل الأكاديمي طويل المدى، ولتقييم فاعلية برامج التدريب والتدخلات التربوية المقترحة.

المصادر:

جبر، جلال، والخفاجي، سعد، وعبد الخضر، سري. (2024). التحفيز الدراسي وعلاقته بالكفاءة الذاتية والانخراط في التعلم لدى طلبة المرحلة المتوسطة. *مجلة وميض الفكر*، (22)، 20.1-

حبيب الله، محمد (2015). التعليم الإلكتروني، منهجية جديدة بالتعليم الجامعي، مجلة كلية الفنون والاعلام ، جامعة مصراته، كلية الفنون والاعلام.

حمادي، ميسون وخضير، وفاء. (2023). الكفاءة الذاتية المدركة لدى معلمي المرحلة الابتدائية. *Psychological Science*, 34(A02).

الخنساء، احمد (2023). حرب غزة زلزال سياسي وعسكري (الاسباب، افاق للمستقبل). مركز الدراسات الاستراتيجية. الشهري، ظافر (2018). أثر استخدام القصة الرقمية على تحصيل ودافعية الطلاب. العدد 10، كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

شيخ العيد، وثام وإبراهيم، سلام وبدوان، خديجة. (2021). تقييم توظيف الصفوف الافتراضية في التعليم عن بعد من وجهة نظر معلمي ومشرفي الرياضيات في محافظات غزة في ظل جائحة كوفيد - 19، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مج (29)، ع (4)، 25-50.

الصرايرة، أسماء. (2023). الصمود الأكاديمي وعلاقته بالكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة جامعة مؤتة. *Humanities and Social Sciences Series*, 37(7).

عبد التواب، عبد الإله، وعبد المعطي، أحمد وحسين، محمد، وعلي، الشيماء. (2023). معايير ضمان جودة التعليم في حالات الطوارئ، المجلة التربوية لتعليم الكبار، كلية التربية- جامعة أسيوط، مج (5)، ع (2)، 30 - 58.

العزيزي، محمود (2018). أثر الحروب والصراعات المسلحة على التحصيل العلمي لطلبة المرحلة. جامعة الاندلس للعلوم التقنية.

محمد، ميثم وعلي، محمد. (2021). الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة المرحلة الاعدادية. Psychological Science, 32(B03).

المطيري، منى (2015). أثر التدريس باستخدام بيئة تعليمية محوسبة. المجلة التربوية الدولية المتخصصة.

ناصر، وسام وعبد الله، رجاء. (2023). الكفاءة الذاتية المدركة لدى طلبة الجامعة. Al-Bahith Journal, 42(1- الجزء الاول).

Acquah, A., Nsiah, T. K., Antie, E. N. A., & Otoo, B. (2021). Literature review on theories of motivation. *EPRA International Journal of Economic and Business Review*, 9(5), 25–29.

Basileo, L. D., Otto, B., Lyons, M., Vannini, N., & Toth, M. D. (2024, May). The role of self-efficacy, motivation, and perceived support of students' basic psychological needs in academic achievement. In *Frontiers in education* (Vol. 9, p. 1385442). Frontiers Media SA.

Han, E., & Bailenson, J. N. (2024). Lessons for/in virtual classrooms: Designing a model for classrooms inside virtual reality. *Communication Education*, 73(2), 234–243.

Masrun, & Rusdinal. (2022). Self-efficacy, learning motivation, learning environment and its effect on online learning outcomes. *Jurnal Kependidikan Penelitian Inovasi Pembelajaran*, 6(2), 143–151. <https://doi.org/10.21831/jk.v6i2.49445>

Mohammadi, P., & Rezaei, M. (2023). Self-efficacy and resilience as predictors of students' academic motivation in online education. *Journal of Educational Psychology*, 115(4), 587–601. <https://doi.org/10.1037/edu0000563>

Özüdoğru, G. (2022). The effect of distance education on self-efficacy towards online technologies and motivation for online learning. *Journal of Learning and Teaching in Digital Age*, 7(1), 108–115. <https://doi.org/10.53850/joltida.1003915>

Yao, N., & Wang, Q. (2024). Factors influencing pre-service special education teachers' intention toward AI in education: Digital literacy, teacher self-efficacy, perceived ease of use, and perceived usefulness. *Heliyon*, 10(14).

عنوان البحث

**أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية
(دراسة ميدانية على مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض)**

د. سحر كمال مصطفى¹، د. محمد يحيى المكرمي²

¹ جامعة قاردين سيتي، السودان.

بريد الكتروني: Saharkamalali@gmail.com

² باحث، المملكة العربية السعودية.

بريد الكتروني: M.almakrmi@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/22>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/22>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى قياس أثر تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر، التوجه الاستراتيجي، التدريب والتطوير) في تحسين الأداء المؤسسي داخل مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات. شمل مجتمع الدراسة أصحاب المصلحة ومتخذي القرار والعاملين في المستويات الإدارية العليا، وتم تحليل الاستجابات الصالحة (ن=66) باستخدام برنامج SPSS. وأظهرت اختبارات الموثوقية ارتفاع ثبات الأداة (كرونباخ ألفا الكلي ≈ 0.98)، كما تم توظيف الإحصاء الوصفي، واختبارات التحقق من ملاءمة البيانات، والانحدار الخطي المتعدد، واختبار ليفين لتجانس التباين. توصلت النتائج إلى وجود أثر دالٍ إحصائياً لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بأبعادها الثلاثة في تحسين الأداء المؤسسي عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$ كما بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة في تقديرات أفراد العينة تُعزى لمتغيرات الجنس والعمر وعدد سنوات الخبرة، في حين ظهرت فروق دالة تعزى للمؤهل الدراسي. عكست المؤشرات الوصفية ارتفاع مستوى تبني ممارسات الجودة (خاصة التحسين المستمر والتوجه الاستراتيجي) وارتباطها بتحسين كفاءة تنفيذ الأعمال وجودة الخدمات وفعالية المتابعة وتحديث الأنظمة. توصي الدراسة بتبني إدارة الجودة الشاملة بصورة شمولية ومنظمة في جميع العمليات، ونشر ثقافة الجودة على مستوى الجمعيات، والاستعانة بالخبرات المتخصصة، وبناء قرارات واقعية تستند إلى معايير الجودة الشاملة، إلى جانب الاستثمار في التدريب والتطوير المستمرين لرفع كفاءة الأداء وتعزيز استدامته.

الكلمات المفتاحية: الجودة، إدارة الجودة الشاملة، التحسين المستمر، التوجه الاستراتيجي، التدريب والتطوير، الأداء المؤسسي، الجمعيات الخيرية.

RESEARCH TITLE

The Impact of Applying Total Quality Management on Improving Institutional Performance in the Kingdom of Saudi Arabia: A Field Study of Charitable Associations in Riyadh

Abstract

This study examines the effect of Total Quality Management (TQM)—specifically continuous improvement, strategic orientation, and training & development—on institutional performance within a group of charitable associations in Riyadh, Saudi Arabia. Employing a descriptive-analytical design and a questionnaire as the primary data-collection tool, the study targeted stakeholders, decision-makers, and senior administrators. Valid responses (≈ 66) were analyzed using SPSS. Reliability analysis indicated excellent internal consistency for the instrument (overall Cronbach's $\alpha \approx 0.98$). Descriptive statistics, normality checks, multiple linear regression, and Levene's homogeneity tests were applied. Findings reveal a statistically significant positive impact of TQM practices on institutional performance at $\alpha \leq 0.05$. No significant differences were found in respondents' assessments attributable to gender, age, or years of experience, whereas significant differences emerged by academic qualification. The descriptive indicators point to a high level of adoption of quality practices—particularly continuous improvement and strategic orientation—linked to better task execution, higher service quality, effective follow-up, and ongoing technological updating. The study recommends institutionalizing TQM across all operations, diffusing a quality culture, engaging specialized expertise, grounding decisions in TQM standards, and investing in continuous training and development to sustain performance gains.

Key Words: Quality; Total Quality Management (TQM); Continuous Improvement; Strategic Orientation; Training and Development; Institutional Performance; Charitable Associations.

المقدمة:

شهد العالم تغيرات وتطورات سريعة، ومتلاحقة في كافة القطاعات العامة والخاصة، لذا وجدت الإدارة نفسها من وقت لآخر أمام تحديات تفرض عليها التحول نحو الأساليب الحديثة في مجال التطوير والتحسين. لذا فإن تطبيق المبادئ والأساليب الحديثة على المنظمات، يُعد في غاية الأهمية وذلك من أجل الارتقاء بها إلى معدلات عالية من الأداء والجودة ورفع كفاءة الخدمات المقدمة للجودة. تحتل الجودة أهمية متميزة في الفلسفة الإدارية المعاصرة للمنظمات الوطنية والعالمية، خاصة في ظل التطورات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية التي يشهدها العالم، والموارد بمكوناتها المتعددة سواء أكانت مادية أم مالية أم بشرية مما يتطلب امتلاك رؤية وفلسفة شمولية قادرة على مواجهة التحديات البيئية الحالية والمستقبلية، وزيادة قدراتها الذاتية في التكيف والمواءمة مع التغيرات في البيئة التنافسية.

لهذا تُعد إدارة الجودة الشاملة منهجاً من المناهج المعاصرة في الإدارة التي يمكن أن تتبناها المنظمات من أجل الوصول إلى أفضل أداء ممكن، فهذه الإدارة تركز على الاهتمام بالجودة، وخاصة أن تطبيقها يعتمد بالدرجة الأولى على مدى التزام الإدارة والعاملين بذلك التطبيق وذلك باعتباره المحرك الأساسي لعملية التغيير.

مشكلة الدراسة:

يعتبر العمل التطوعي أحد أهم روافد التنمية والدعم الاجتماعي، ونظراً لأهميته فقد تطور ليصبح صناعة عالمية لها دور مؤثر في مواجهة الأزمات والكوارث الإنسانية، وكذلك محاربة الفقر والجهل، وحماية حقوق الإنسان، وله أهمية في تطوير المجتمع المدني وتعزيز رأس المال الاجتماعي، ومما يدل على الاهتمام العالمي فقد حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة السنة الدولية للتطوعين لعام 2008م. إن نظرنا إلى العمل التطوعي على أنه ممارسة إنسانية راقية تجسد نهجاً وسلوكاً حضارياً يُعبر عن مدى رُقي الأمم والشعوب، وذلك لما يمثله من رمز للتآخي والتآزر والتعاون، وأيضاً لارتباطه الوثيق وتعبيره الصادق عن أرفع معاني وقيم الخير الإنسانية، كما يمثل العمل التطوعي إحدى القيم الأساسية للتفاعل الإنساني للبناء في المجتمعات المتحضرة. مع الاتجاه الحديث في الأعمال التجارية والخدمية العالمية، تم تنفيذ إدارة الجودة الشاملة (TQM) على نطاق واسع في جميع انحاء العالم. تستخدم المنظمات إدارة الجودة الشاملة على نطاق واسع منذ عام 1992م

وبالتالي توصلت العديد من المنظمات إلى استنتاج مفاده أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة الفعال يمكن أن يحسن قدراتها ويوفر مزايا استراتيجية في السوق العالمية (Pattanayak, 2017).

تعتبر العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وأداء المنظمة قضية مناقطة في جوانب مختلفة من إدارة الأعمال وظلت قضية تثير قلق المديرين والباحثين والعلماء. أشار بعض الباحثين إلى وجود علاقة إيجابية بين إدارة الجودة الشاملة والمنظمة في الوقت نفسه، أشارت العديد من المنظمات إلى أنها تمتعت بفوائد كبيرة من تنفيذ إدارة الجودة الشاملة بما في ذلك المكاسب المالية وتحسين الأداء التشغيلي ورضا العملاء ورضا الموظفين (بانواتوانيتش، نجوين، 2082). وحيث أن العمل التطوعي له خصوصيته وطابعه الإنساني، وهو خدمة تقدم للمحتاجين ولضمان استمرارها فينبغي أن يُجود أداء هذه الخدمة وفق معايير الجودة لتلبية حاجيات وتوقعات العميل أي المنتفع بهذه الأعمال التطوعية. وعليه يحتاج العمل التطوعي إلى إدارة جودة شاملة لرفع مستوى الأداء، ومن هنا تجلت لنا مشكلة البحث بالسعي نحو الإجابة على تساؤل البحث الرئيسي وهو "ما هو أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية؟" ويتفرع من سؤال البحث الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

- ما المقصود بإدارة الجودة الشاملة، وما هي متطلباتها؟
- ما هو مدى تطبيق أبعاد إدارة الجودة الشاملة داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية؟ 8. ما هو مستوى تقييم الأداء داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على مفهوم إدارة الجودة الشاملة ومراحل تطبيقها داخل الجمعيات الخيرية بالمملكة العربية السعودية.
- إبراز المتطلبات التي يجب الأخذ بها لتطوير خدمات القطاع الثالث عامة والجمعيات الخيرية خاصة، وأيضاً الارتقاء بجودتها بغرض دعم الميزة التنافسية لها.
- محاولة وضع تصور لإطار العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وتحسين الأداء المؤسسي.
- الوقوف على مستويات تطبيق أساليب وأدوات إدارة الجودة داخل الجمعيات الخيرية محل الدراسة.
- محاولة إظهار مستوى الالتزام باستخدام أدوات إدارة الجودة الشاملة كأساس لتطوير الأداء.
- التعرف على مستوى تقييم وتطوير الأداء في الجمعيات الخيرية محل الدراسة.
- يأمل الباحث بأن تضيف هذه الدراسة شيئاً إلى رصيد المعرفة العلمية، مما يثري المكتبة الجامعية من جهة وأن تكون الدراسة مرجعية للجهات ذات العلاقة.
- تقديم مجموعة من الاقتراحات التي يمكن أن تساعد متخذي القرار في الجمعيات الخيرية محل الدراسة على تفعيل تطبيقات وأدوات وأساليب الجودة الشاملة والاستفادة المثلى منها.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوع ثقافة الجودة والفهم الصحيح لأبعادها، ومدى تأثيرها على كفاءة وفعالية المنظمات، عدا عن كونها تبحث في أحد الروافد الهامة في أحد القطاعات الهامة والناشئة في المملكة العربية السعودية وهو القطاع الغير ربحي فموضوع أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي يشكل أحد المحاور المهمة ضمن النظرية المتعلقة بجودة المنظمات والتي بدورها تشكل إحدى الإشكاليات الحديثة في هذا المجال وقد أخذت اهتمام العديد من الباحثين والمختصين في قطاع الأعمال الربحي والغير ربحي منع علي وجه التحديد وبالتالي محاولة إثراء المادة العلمية من ناحية تسليط الضوء علي وجود تطبيق لأدوات الجودة في مؤسسات القطاع الغير ربحي وكذا توضيح مؤشرات الأداء بأبعادها الإدارية والمجتمعية ومحاولة تطوير العلاقة التبادلية بين كفاءة وفعالية استخدام وتطبيق أدوات الجودة وأساليبها علي مستويات تطوير أداء الجمعيات الخيرية خاصة في ظل وجود يبدو حقيقياً داخل المنظمات بناءً علي ما قامت به الجهة الرقابية من إصلاحات شاملة وعميقة وإخضاع تلك المنظمات للمساءلة ربحي فموضوع أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي بشكل أحد المحاور المهمة ضمن الأدبيات المتعلقة بجودة المنظمات والتي بدورها تشكل إحدى الإشكاليات الحديثة في هذا المجال وقد أخذت اهتمام العديد من الباحثين والمختصين في قطاع الأعمال الربحي والغير ربحي منه علي وجه التحديد وبالتالي محاولة إثراء المادة العلمية من ناحية تسليط الضوء علي وجود تطبيق لأدوات الجودة في مؤسسات القطاع الغير ربحي وكذا توضيح مؤشرات الأداء بأبعادها الإدارية والمجتمعية ومحاولة تطوير العلاقات التبادلية بين كفاءة وفعالية استخدام وتطبيق أدوات الجودة وأساليبها علي مستويات تطوير أداء الجمعيات الخيرية خاصة في ظل وجود توجه يبدو حقيقياً داخل هذه المنظمات للمساءلة والتقييم للأداء باستمرار ما يعني حتمية التوجه هذه المنظمات ومحاولة تطوير العلاقة التبادلية بين كفاءة وفعالية استخدام وتطبيق أدوات الجودة الشاملة وأساليبها علي مستويات الرقابة الداخلية والخارجية .

فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية الأولى:

1. لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأثر إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$)، وتنتزع من الفرضية الرئيسية مجموعة من الفرضيات الفرعية التالية:
2. لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتحسين المستمر على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).
4. لا يوجد أثر ذي دلالة إحصائية للتوجه الإستراتيجي على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).
5. لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتدريب والتطوير على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية الرئيسية الثانية:

6. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى للبيانات الشخصية داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$)، وتنتزع من الفرضية الرئيسية مجموعة من الفرضيات الفرعية التالية:
7. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير الجنس داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوي
8. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير العمر داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).
9. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير المؤهل الدراسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).
10. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الإطار النظري والدراسات السابقة:

إدارة الجودة الشاملة:

الجودة الشاملة ظاهرة عالمية وأصبحت منظمات الأعمال في العالم توليها اهتماماً خاصاً، في ظل التحديات الكبيرة التي تشهدها منظمات الأعمال في المجتمع الإنساني المعاصر التي تقترن بالجوانب النوعية على الصعيدين السلعي والخدمي، وتستخدم الجودة كسلاح تنافسي بين الدول حيث أنها تعتمد على ثلاث مرتكزات هادفة في هذا المجال هي: تحقيق رضا المستهلك، مساهمة العاملين في المنظمة، واستمرارية التحسين والتطوير في الجودة. حيث أصبحت إدارة الجودة الشاملة فلسفة إدارية وأسلوب حياة لأي منظمة تمكنها من الحصول على ميزة تنافسية في ظل المتغيرات السريعة وظواهر الأسواق العالمية وتزايد طلبات المستهلكين للجودة، فإدارة الجودة الشاملة هدفها البحث عن إشباع حاجات ومتطلبات العميل الحالية والمحتملة، أي خدمة المستهلك والبحث عن رضائه ووفائه للمنظمة، ولأجل الوصول إلى هذه الغاية فإن الأمر يتطلب إحداث تغييرات جذرية وعميقة في ثقافة المنظمة وفي هذا الإطار فإن إدارة الجودة الشاملة هي فلسفة إدارية حديثة تأخذ شكل منهج أو نظام إداري شامل، قائم على أساس إحداث تغييرات إيجابية جذرية لكل شيء داخل المنظمة بحيث تشمل هذه التغييرات: الفكر، والسلوك، والقيم، ونمط القيادة الإدارية، ونظم وإجراءات العمل والأداء... إلخ، من أجل تحسين وتطوير مكونات المنظمة للوصول إلى أعلى جودة في مخرجاتها، بأقل تكلفة بهدف تحقيق أعلى درجة من الرضا لدى عملائها، عن طريق إشباع حاجاتهم ورغباتهم، وفق ما يتوقعونه، بل يتخطى هذا التوقع تماشياً مع إستراتيجية أن رضا العميل وهدف المنظمة هما هدف واحد، وبقاء المنظمة ونجاحها واستمراريتها يعتمد على هذا الرضا وكذلك على رضا كل من يتعامل معها من غير العملاء كالموردين وغيرهم.

ولذلك فإن إدارة الجودة الشاملة هي تغيير تنظيمي تشجع على تطبيق وتوفير أساليب تحسين الجودة في جميع المجالات وتبني فلسفة التحسين المستمر والاهتمام بضرورة دعم الإدارة العليا لهذه الفلسفة وتطوير رؤية إستراتيجية بمشاركة العاملين. إدارة الجودة الشاملة هي نشاط استراتيجي مستمر ذو أفق طويل الأمد وبشكل جزئي "مهما" وأساسياً من ثقافة المنظمة وأحد ركائز دستورها، وهي ليست مجرد شعارات بل واقع عملي ملموس يشعر به العميل (عزت، 2006).

إدارة الجودة الشاملة تُعد من المفاهيم الإدارية الحديثة التي تهدف إلى التطوير المستمر والمحافظة على القدرات المختلفة داخل المنظمة. فهي لا تقتصر على تحسين المنتجات أو الخدمات فحسب، بل تشمل جميع العمليات والأنشطة في المنظمة من مرحلة تحديد احتياجات العميل إلى مرحلة التقييم الدقيق للأداء. ويُنظر إلى الجودة في هذا السياق بوصفها وسيلة لتلبية توقعات العميل والنظر إلى احتياجاته بعين شمولية تأخذ في الاعتبار كل أبعاد العملية الإدارية والإنتاجية (العبادي، 2008).

كما يرى بعض الباحثين أن إدارة الجودة الشاملة تمثل أسلوباً إدارياً متكاملاً يقوم على الالتزام الكامل بمبادئ الجودة من قبل الإدارة والعاملين على حد سواء، مع التركيز على العملاء والعمل على إشباع احتياجاتهم الحالية والمتوقعة. ويُعتبر التحسين المستمر جوهر هذا النظام، إذ تسعى إدارة الجودة الشاملة إلى تطوير جميع العمليات في مختلف مراحل العمل بطريقة استباقية تمنع حدوث الأخطاء بدلاً من معالجتها بعد وقوعها. (Bockmish, 2011)

وتؤكد الأدبيات الإدارية أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة يساهم في تمكين المنظمة من تحقيق ميزة تنافسية مستدامة من خلال رفع مستوى رضا العملاء الداخليين والخارجيين، وزيادة فعالية العمليات الإدارية، وتحسين الأداء المؤسسي على المستويين التشغيلي والاستراتيجي. فالجودة الشاملة ليست مجرد إجراءات تقنية أو تعليمات تنفيذية، بل هي فلسفة إدارية وثقافة تنظيمية تقوم على المشاركة الجماعية والمسؤولية المشتركة من أجل تحقيق التميز في الأداء الشامل للمنظمة.

بشكل عام هناك نوعان من أهداف الجودة هما (مأمون السلطي وآخرون، 1111):

أهداف تخدم ضبط الجودة: وهي التي تتعلق بالمعايير التي ترغب المنظمة في المحافظة عليها وهذه المعايير تصاغ على مستوى المنظمة ككل وذلك باستخدام متطلبات ذات مستوى أدنى تتعلق بصفات مميزة مثل الأمان وإرضاء الزبائن... إلخ.

أهداف تحسين الجودة: وهي غالباً ما تنحصر في الحد من الأخطاء والفاقد وتطوير منتجات جديدة ترضي حاجات الزبائن بفاعلية أكبر.

يؤدي تطبيق فلسفة إدارة الجودة الشاملة إلى زيادة القدرة التنافسية للمنظمة وزيادة درجة رضا العملاء (داخلياً وخارجياً)، وزيادة قدرة المنظمة على استيعاب التغيرات البيئية السريعة، وزيادة الربحية وتقليل التكاليف، وتقصير الوقت اللازم لإتمام العمل، وتقليل نسبة العيوب والأخطاء، وتنمية المهارات، وتشجيع عمليات التطوير المستمر (وفاء سعود، 2088).

أكدت إحدى الدراسات أن إدارة الجودة الشاملة هي أحد المفاهيم الإدارية الحديثة التي تعبر عن التميز في الأداء والتحسين استجابة لمتطلبات العملاء ولهذا حظيت باهتمام واسع بعد أن حققت العديد من المكاسب لمنظمات الأعمال، وبالتالي تمثل نهجاً متكاملًا لخدمة العملاء، وعملية متكاملة تشمل جميع الوظائف والأنشطة بطريقة متسلسلة لأنها ليست مجرد إدارة متخصصة تهدف إلى تحقيق الجودة في مجال معين داخل المنظمة، وأن أي خلل في هذه السلسلة يعتبر ضعفاً يؤثر على إدارة الجودة الشاملة (جمال الدوسور، 2082).

الأداء المؤسسي:

يعتبر الأداء المؤسسي القاسم المشترك لجميع الجهود المبذولة من قبل الإدارة والعاملين في إطار المؤسسات، لذا يعد الأداء مفهومًا هامًا وجوهريًا بالنسبة للمنظمات بشكل عام، بل يكاد يكون الظاهرة الشمولية لكافة فروع وحقول المعرفة الإدارية. وبالرغم من كثرة البحوث والدراسات التي تناولت مفهوم الأداء، إلا أنه لم يتم التوصل إلى إجماع أو اتفاق حول مفهوم محدد لهذا العنوان ويعود ذلك لاختلاف المقاييس والمعايير التي تعتمد عليها المنظمات والمدراء في دراسة الأداء وقياسه والتي ترتبط بشكل وثيق بالأهداف والاتجاهات التي تسعى المنظمة لتحقيقها (الزطمة، 2088).

ويعد الأداء مفهومًا جوهريًا بالنسبة للمنظمات وله العديد من المفاهيم المتعددة المعاني وقد اختلف الباحثون في طرح مفهومه حسب اختلاف الخلفيات الفكرية، فمنهم من يرى أن الأداء هو المخرجات أو الأهداف التي يسعى النظام إلى تحقيقها لذا فهو مفهوم يعكس كلا من الأهداف والوسائل اللازمة لتحقيقها (بو كريطة، 2088).

تسعى المؤسسات إلى الارتقاء بأدائها، وتعمل على التطور والتحسين المستمر في البرامج والخدمات التي تقدمها، وذلك لتمتعها بخصوصية تجعل منها قبلة لكل رواد العلم وراغبي تطوير المعارف الكونية، لذا كان حتمًا عليها أن تقدم الأفضل وأن تبقى في الصدارة لكل جديد من العلوم والمعارف التي تؤدي لتحسن أدائها. وفي هذه السطور نسلط الضوء على ما كتب في المضمار بما يخدم موضوع الدراسة.

ويرتبط مفهوم الأداء المؤسسي بكل فرد في المؤسسة، ومدى القيام بدوره، للحصول على نتائج نهائية، فالعامل الجيد في المؤسسة تكون نتائجه عالية الأداء، كما ويسهم في تقليل المشاكل في المؤسسة، وتعددت التعريفات فيه ومنها (الدوسري، 2088)

عرّف (ربابعة، 2088)، الأداء المؤسسي بأنه: "المحصلة النهائية للجهود، أو النشاطات، أو العمليات، أو السلوكيات، والتي تتعلق بالأهداف أو النتائج التي تسعى المنظمات إلى تحقيقها، وذلك على مستويات ثلاث هي: المستوى الفردي، والوظيفي الجزئي (أداء الوحدات)، والكلية (أداء المنظمة ككل في إطار من التأثيرات البيئية المتبادلة).

ويُعرف (المدهون، 2082)، الأداء المؤسسي بأنه: "مجموع المدخلات والمخرجات التي تنتج عن تفاعل المنظومة المتكاملة لعمليات الإدارة ومكوناتها مع البيئة الداخلية والخارجية داخل المؤسسة لتحقيق أهدافها التنظيمية بكفاءة وفعالية".

فالأداء المؤسسي هو المنظومة المتكاملة لنتائج أعمال المنظمة في ضوء تفاعلها مع عناصر بيئتها الداخلية والخارجية. والأداء المؤسسي بهذا المفهوم يشتمل على أبعاد ثلاثة (مخير وآخرون، 8999):

1. أداء الأفراد في إطار الوحدات التنظيمية المتخصصة.

2. أداء الوحدات التنظيمية في إطار السياسات العامة للمؤسسة.

3. أداء المؤسسة في إطار البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

4. هذا وبناء على ما تقدم، يرى الباحث أن الأداء المؤسسي:

5. هو "درجة تحقيق المنظمة لأهدافها بكفاءة وفاعلية".

6. هو "درجة تفاعل البيئة الداخلية والخارجية للمنظمة لتحقيق أهدافها بكفاءة وفاعلية".

الدراسات السابقة:

الدراسات العربية:

دراسة (الفاضل، أبوالموس، 1211) بعنوان: دور إدارة الجودة الشاملة في تحسين مستويات الأداء المؤسسي - دراسة تطبيقية على شركات توزيع الكهرباء في فلسطين.

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور إدارة الجودة الشاملة في تحسين مستوى الأداء المؤسسي في شركات توزيع الكهرباء في فلسطين، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وعلى أداة الاستبيان لجمع البيانات الأولية اللازمة للدراسة،

لاوتكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في (شركة كهرباء القدس، شركة كهرباء الشمال، شركة كهرباء طوباس، شركة كهرباء الجنوب، شركة كهرباء الخليل)، والبالغ عددهم (2022) موظفاً، وتم توزيع (820) استبيان بطريقة العينة العشوائية البسيطة، استرد منها (800) استبيان بنسبة استرداد بلغت (62.2%)، وباعتماد على برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها، أن واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة جاء بدرجة موافقة عالية بنسبة (20.22%)، كما أن

مستوى الأداء المؤسسي جاء بدرجة موافقة عالية بنسبة (28.98%)، وجود علاقة ارتباط قوية موجبة بين إدارة الجودة الشاملة ومستوى الأداء المؤسسي حيث بلغت قيمة معامل ارتباط العلاقة (0.098)، ووجود أثر لأبعاد إدارة الجودة الشاملة (اقتناع ودعم الإدارة العليا، التحسين المستمر للعمليات، التركيز على العميل، اتخاذ القرارات بناء على معلومات)، في الأداء المؤسسي وتفسر ما نسبته (89.0%) من التغير في مستوى الأداء المؤسسي.

دراسة (الفياض، 1212) بعنوان: أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة على كفاءة الأداء المؤسسي في الشركات الخدمية (دراسة حالة الشركة الفنية لخدمات التأمين).

تهدف هذه الأطروحة إلى دراسة أثر تطبيق مبادئ الجودة الشاملة على كفاءة الأداء المؤسسي لدى شركة وساطة تأمين في الامارات العربية المتحدة، كذلك تسعى هذه الرسالة إلى التعرف على واقع تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في المؤسسات الخدمية، والتعرف على مقاييس الأداء الذي تتبعه هذه المؤسسات. ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم تصميم استبيانين منفصلين لاختبار الفرضيات المطروحة أحدهما على مستوى العميل والآخر الموظفين في الشركة وتم توزيع الاستبيان على عينة عشوائية من العملاء عددهم 86 وأجاب على استبيان الموظفين 82 موظف بعد التدقيق تم قبول معظم الإجابات وقد توصلت الدراسة إلى وجود اهتمام كبير من قبل الشركة الفنية لخدمات التأمين - مكان الدراسة- بمبادئ الجودة الشاملة، وتطبيق هذه المتغيرات بدرجات ومستويات إيجابية متفاوتة، فقد كان أعلى مستوى تطبيق من نصيب التركيز على العميل، بينما اعتبر متغير التحسين المستمر الأقل من حيث التطبيق. كما وتوصلت الدراسة أيضاً إلى وجود اهتمام كبير من قبل هذه المؤسسة بالأداء المؤسسي

لأقسامها ومهامها والعمل الحثيث على تحسين وتطوير وتطبيق هذه المتغيرات بدرجات ومستويات إيجابية متفاوتة من خلال تحقيق رضا المؤسسة والزبائن والعاملين والمجتمع. أظهرت الدراسة أيضاً أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين جميع متغيرات مبادئ الجودة الشاملة التي اعتمدتها

الباحثة في الدراسة والأداء المؤسسي المتبع.

دراسة (عبد الرحمن، 1212) بعنوان: دور الثقافة التنظيمية في تعديل العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة والأداء المؤسسي في القطاع الصناعي بولاية الخرطوم.

هدفت هذه الدراسة للتعرف على دور الثقافة التنظيمية في تعديل العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة والأداء المؤسسي في القطاع الصناعي بولاية الخرطوم، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وعلى الاستبيان كأداة رئيسية في جمع البيانات الأولية من المبحوثين الذين بلغ عددهم (208) مبحوث. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين إدارة الجودة الشاملة الموجهة والأداء المؤسسي، ووجود تأثير جزئي للثقافة التنظيمية على العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة والأداء المؤسسي.

دراسة (درويش، 1212) بعنوان: دور تطبيق معايير الجودة الشاملة في تحسين الأداء بالمؤسسات الاجتماعية في محافظة السليمانية.

هدفت الدراسة إلى إبراز دور تطبيق معايير الجودة الشاملة في تحسين الأداء بالمؤسسات الاجتماعية في محافظة السليمانية، ولتحقيق أهداف الدراسة اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليل ودراسة الحالة، وتم الاعتماد على الاستبانة كأداة للدراسة. وتوصلت الدراسة إلى أن المؤسسات موضوع الدراسة تطبيق معايير الجودة الشاملة بصورة متوسطة، كما أن هنالك اهتمام لحد ما بتحسين الأداء في المؤسسات الاجتماعية بمحافظة السليمانية.

دراسة بن عودة وأيوب (2012): طبيعة العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة والأداء الوظيفي في المؤسسات الإنتاجيتين بولاية وهران

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة والأداء الوظيفي في مؤسستين إنتاجيتين بولاية وهران. شملت عينة الدراسة (80) عاملاً من المؤسسات، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة.

أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين جميع أبعاد إدارة الجودة الشاملة والأداء الوظيفي، مما يعني أن تطبيق ممارسات الجودة الشاملة يسهم بشكل مباشر في تحسين أداء العاملين. كما بينت النتائج وجود اهتمام كبير من المؤسسات بتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة والسعي المستمر إلى رفع مستوى الأداء الوظيفي من خلال تطوير بيئة العمل وتعزيز ثقافة الجودة بين الموظفين.

دراسة (بدر والمدهون، 1212) بعنوان: أثر تطبيق مبادئ الجودة الشاملة على أداء المؤسسات في المنظمات الأهلية الأجنبية العاملة في قطاع غزة.

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة أثر تطبيق مبادئ الجودة الشاملة على أداء المؤسسات في المنظمات الأهلية الأجنبية العاملة في قطاع غزة، ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم تصميم استبانة، وتكون مجتمع البحث من العاملين في الإدارة العليا (مدير المؤسسة، نائب المدير، رئيس قسم) في المؤسسات والمنظمات غير الحكومية (الأهلية) الأجنبية التي تعمل في قطاع غزة، حيث تم توزيع عدد (60) استبانة على عينة الدراسة، وتم استرداد (22) استبانة أي ما نسبته (90%). وبينت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين جميع متغيرات مبادئ الجودة الشاملة التي اعتمدها الباحث في الدراسة والأداء المؤسسي المتبع في تلك المؤسسات الأهلية.

الدراسات الأجنبية:

Study (Gezew Megersa, 2022): The Impact of Total Quality Management on Enterprise Performance – A Case Study on the National Cement Company

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل تأثير إدارة الجودة الشاملة على الأداء التنظيمي في شركة مساهمة الإسمنت الوطنية، مع السعي إلى سد الفجوة المعرفية في الأدبيات المتعلقة بتطبيقات الجودة الشاملة في قطاع الصناعة. اعتمد الباحث المنهج الوصفي التوضيحي والمنهج المختلط، حيث جُمعت البيانات من خلال استبيانات منظمة ومدارة ذاتياً ومغلقة وُرعت على موظفي الشركة العاملين في وحدات مختلفة.

استخدمت الدراسة التحليل الإحصائي الوصفي وأدوات الارتباط والانحدار المتعدد لفحص العلاقة بين مكونات إدارة الجودة الشاملة (TQM) والأداء التنظيمي. كما اعتمدت على أسلوب أخذ العينات الاحتمالية، وتحديدًا العينة الطبقية والعينة العشوائية البسيطة، وجمعت البيانات من مصادر أولية وثانوية لضمان شمولية التحليل. أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين جميع أبعاد إدارة الجودة الشاملة وأداء المنظمة، كما أظهرت نتائج تحليل الانحدار أن تطبيق ممارسات الجودة الشاملة يؤثر إيجابياً وبشكل معنوي في تحسين الأداء المؤسسي. وخلصت الدراسة إلى أن استمرار تطبيق إدارة الجودة الشاملة يُعد عاملاً أساسياً في رفع كفاءة الأداء وتحقيق التميز التنظيمي، وأوصت بضرورة الاستمرار في تبني برامج الجودة الشاملة كاستراتيجية مستدامة لتعزيز الأداء المؤسسي والتنافسية في القطاع الصناعي.

Study (Mahmoud Abbas Ahmad, 2022): The Impact of Total Quality Management on the Performance of Organizations in the Nigerian Service Sector

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة (TQM) على الأداء التنظيمي في قطاع الخدمات النيجيري. استخدم الباحث المنهج الكمي وجمع البيانات من خلال استبيانات موجهة إلى موظفي إحدى المؤسسات العاملة في قطاع الخدمات.

أظهرت نتائج الدراسة أن ضعف مشاركة جميع المستويات الإدارية في تنفيذ مبادئ إدارة الجودة الشاملة، إضافة إلى العوائق التنظيمية وضعف برامج التدريب المستمر للموظفين، يشكلان عوامل سلبية تعيق تحسين الأداء. كما أكدت النتائج أن تطبيق مبادئ الجودة الشاملة يؤدي إلى تحسين الأداء التنظيمي وزيادة رضا العملاء، بينما يؤدي إهمال الجودة إلى انخفاض الرضا وفقدان العملاء لصالح المنافسين.

وأوصت الدراسة بضرورة تكاتف جميع مستويات الإدارة في تبني وتنفيذ إدارة الجودة الشاملة، مع التركيز على احتياجات العملاء وتكرار برامج التدريب المستمر لضمان جودة الأداء ورفع كفاءة الخدمات المقدمة.

Study (Kagiri & Njung, 2020): The Role of Total Quality Management in the Performance of Outstanding Business Projects in Kenya

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد دور إدارة الجودة الشاملة في تحسين أداء المشاريع التجارية المتميزة في كينيا. تكون مجتمع الدراسة من الإدارة والموظفين في شركة F Horticulture Limited، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات، وتم تحليلها من خلال الأساليب الإحصائية الكمية والنوعية. بلغت عينة الدراسة (28) مشاركاً.

أظهرت النتائج وجود علاقات ارتباط إيجابية وذات دلالة إحصائية بين أداء المشاريع التجارية المتميزة في كينيا وجميع المتغيرات المستقلة، وتشمل تخطيط إدارة الجودة، تركيز العمل، الصفات القيادية، ونهج إدارة الجودة. وخلصت الدراسة إلى أن تطبيق ممارسات إدارة الجودة الشاملة يساهم في تعزيز كفاءة الأداء وتحقيق التميز المؤسسي في المشاريع التجارية.

1. منهجية البحث منهج الدراسة:

في ضوء طبيعة الدراسة والتساؤلات المطروحة والفرضيات والأهداف المسطرة التي تسعى الدراسة لتحقيقها، والتي تتركز على دراسة أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في الجمعيات الخيرية في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية كما هي في الواقع ومحاولة وصفها وصفاً دقيقاً، اعتمدنا في دراستها على المنهج الوصفي التحليلي لأنه يرتبط بدراسة الموضوعات المتعلقة بالمجالات الإنسانية، وهو أحد أشكال البحوث الشائعة التي يعتمد عليها العديد من الباحثين حيث

يسعى إلى تحديد الوضع الحالي لظاهرة معينة ومن ثم يعمل على وصفها وتوضيح خصائصها، حيث يتم وضع عدد من الفرضيات الرئيسية والفرعية ليقرر الجانب الميداني للدراسة قبولها أو رفضها، باعتبار كونها إجابات مؤقتة للظاهرة المدروسة التي يجري قياسها والتحقق منها باستعمال أساليب التحليل المناسبة من أجل الوصول إلى الاستنتاجات التي تحقق أهداف الدراسة وتساهم في فهم الواقع وتطويره.

مصادر البيانات:**البيانات الأولية:**

وهي مجموعة البيانات التي يتم جمعها بشكل مباشر من خلال المقابلات أو الاستبيانات بحيث تكون تلك البيانات فريدة بالنسبة للشخص التي قام بجمعها وتكون متاحة أو متوفرة فقط لذلك الشخص أو ممن يختار من الأشخاص. ومن مزايا استخدام البيانات الأولية أن الباحثين يجمعون المعلومات لأغراض محددة من دراستهم، حيث تكون الأسئلة التي يطرحها الباحثون مصممة خصيصاً لاستخراج البيانات التي من شأنها مساعدتهم في دراستهم. تم تطوير استبانة خاصة متعلقة بفرضيات الدراسة ونموذج البحث بالاعتماد على ما أورده الكُتّاب والباحثون بخصوص أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي ليتم الاعتماد عليها كمصدر أولي. تم جمع البيانات الأولية لهذه الدراسة من خلال الملاحظات والاستبيانات والمقابلات، لكن كان ذلك بشكل رئيسي من خلال الاستبيان.

البيانات الثانوية:

بالإضافة إلى البيانات التي تم جمعها من المصدر الأولي والتي هي أساس عملية التحليل، تم أيضاً استخراج بعض البيانات من خلال الكتب والمجلات والأبحاث والأطروحات والمقالات وأوراق العمل والشبكة العالمية. بهذه الطريقة سهلت بناء خلفية نظرية قوية لتوضيح تعريف المشكلة واختبارها ومقارنتها بنتائج الدراسة مع نتائج الأدبيات.

مجتمع وعينة الدراسة:

تألف مجتمع الدراسة من أصحاب المصلحة ومتخذي القرار وجميع العاملين ذوي المستويات الإدارية العليا (مدير عام، مدير، مدير فرع، رئيس قسم)، داخل الجمعيات الخيرية محل الدراسة بالمملكة العربية السعودية بمدينة الرياض حيث بلغ عددها (2) جمعيات خيرية وتعمل جميعها في مدينة الرياض، وقد راعى الباحث التوزيع الجغرافي لهذه الجمعيات لضمان تمثيل كامل مجتمع الدراسة. بلغ عدد أفراد عينة الدراسة (68) مبحوثاً والذين يمثلون كامل مجتمع الدراسة. أستخدم الباحث كامل مجتمع

الدراسة وتم توزيع الاستبيان عليه كعينة الدراسة والبالغ عددهم (68) مبحوثاً حيث تم استرداد (68) استبانة، وبعد فحص الاستبانات، تم استبعاد (2) استبانة لعدم صلاحيتها للتحليل وبهذا يكون عدد الاستبانات الصالحة للتحليل (68) استبانة، وهو ما يمثل ما نسبته (92.09%) من إجمالي عدد الاستبانات المستردة.

أداة الدراسة (الاستبانة) والمنهجية المستخدمة

اعتمدت هذه الدراسة على الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات، حيث صُممت خصيصاً لتحقيق أهداف البحث واختبار فرضياته. تضمنت الاستبانة خمسة وعشرين سؤالاً مغلقاً إلى جانب مجموعة من الأسئلة الديموغرافية المتعلقة بخصائص أفراد العينة مثل النوع، العمر، المؤهل العلمي، وعدد سنوات الخبرة، وذلك بهدف وصف الخصائص العامة للمشاركين وتحليل تأثيرها في متغيرات الدراسة. تألفت أداة الدراسة من ثلاثة أجزاء رئيسية على النحو الآتي:

1. الجزء الأول: تناول البيانات الشخصية لأفراد عينة الدراسة، وشمل المتغيرات الديموغرافية (النوع، العمر، المؤهل العلمي، وعدد سنوات الخبرة) بهدف التعرف على خصائص المشاركين وتحليل تباين آرائهم تبعاً لها.
2. الجزء الثاني: خُصص لقياس أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة بأبعادها الثلاثة:

- التحسين المستمر
- التوجه الاستراتيجي
- التدريب والتطوير

واشتمل هذا الجزء على (16) فقرة تقيس مدى تطبيق هذه الأبعاد في بيئة الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض.

3. الجزء الثالث: تضمن مقياس تحسين الأداء المؤسسي، واحتوى على (9) فقرات تهدف إلى قياس مستوى تطور الأداء المؤسسي من حيث كفاءة الخدمات وجودتها وفاعلية العمليات الإدارية.

تم بناء الاستبانة بعناية استناداً إلى الأدبيات السابقة المتعلقة بإدارة الجودة الشاملة والأداء المؤسسي، بما يضمن صدق الأداة وثباتها، ويسهم في جمع بيانات دقيقة تساعد في اختبار الفرضيات الإحصائية وتحقيق أهداف الدراسة.

صدق أداة الدراسة وثباتها:

تم إجراء اختبار الموثوقية باستخدام اختبار **Cronbach's alpha**، لقياس الاتساق الداخلي لأداة الدراسة (الاستبيان) وكذلك الثبات، وكانت النتائج مبنية في الجدول التالي:

جدول 1 - معامل ثبات كرونباخ ألفا لكافة متغيرات الدراسة

Reliability Statistics	
Cronbach's Alpha	No. of Items
.980	4

جدول 2 - معامل ثبات كرونباخ ألفا لكل محور من محاور الدراسة

عدد الفقرات	المتغير	معامل كرونباخ ألفا
5	إدارة الجودة الشاملة	.876
0		.946
6		.945
16	الإجمالي	.967
9	تحسين الأداء المؤسسي	.962
9	الإجمالي	.962
25	الإجمالي الكلي	.980

يظهر من خلال الجدول أعلاه أن قيمة معامل كرونباخ ألفا لإجمالي فقرات الاستبيان بلغت (0.980) وهي قيمة مرتفعة جداً تعكس درجة الثبات العالية التي يتمتع بها، كما نلاحظ كذلك أن معامل الثبات لكل المتغيرات كانت متقاربة وتوقع جميعها الحد الأدنى المطلوب لتحقيق شرط الثبات وهو (0.60).

ملائمة البيانات:

لأغراض التحقق من موضوعية نتائج الدراسة وملائمة البيانات للتحليل الإحصائي، فقد تم إجراء اختبار (Smirnov Kolmogorov)، وذلك كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول 3 - اختبار التوزيع الطبيعي لمتغيرات الدراسة

النتيجة	Kolmogorov-Smirnov	Shapiro-Wilk	المتغير	
التحسين المستمر	0.200*	0.687	التحسين المستمر	1
	0.212*	0.719	التوجه الإستراتيجي	1
	0.200*	0.09	التدريب والتطوير	1
	0.200*	0.292	تحسين الأداء المؤسسي	1

من خلال الجدول السابق يلاحظ أن كافة محاور ومتغيرات الدراسة تتبع التوزيع الطبيعي، حيث يكون التوزيع طبيعياً إذا كان مستوى الدلالة (Sig.) أكبر من (0.05).

1. التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة: المتغيرات المستقلة:

إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر):

وحتى تتمكن من وصف مستوى أهمية أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية بالتطبيق على مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض، لجأ الباحث إلى استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتحقق من معنوية الفقرة وأهميتها كما يلي:

جدول 4 - المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمحور أثر إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر)

إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر)					
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الأهمية
8	تسعى الجمعية إلى تحسين جودة الخدمات المقدمة للمستفيدين.	2.06	0.60	8	مرتفع
2	تعمل الجمعية على تطوير خدمات جديدة.	2.22	8.08	2	مرتفع
8	تسعى الجمعية لتطوير الطرق والأساليب المتبعة في تقديم الخدمات للمستفيدين.	2.28	0.99	8	مرتفع
2	لدى الجمعية القدرة على الاستجابة للظروف المحيطة.	2.88	0.92	2	مرتفع
0	تقوم إدارة الجمعية بإجراء دراسات مسحية لتحديد حاجات المستفيدين ورغباتهم بشكل مستمر.	8.68	8.80	0	مرتفع
لمتوسط العام		2.28	0.29	مرتفع	

يظهر الجدول في الأعلى إجابات عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بمحور أثر إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر)، فقد جاءت في المرتبة الأولى فقرة (تسعى الجمعية إلى تحسين جودة الخدمات المقدمة للمستفيدين) بمتوسط حسابي بلغ (2.06) وهو أعلى من المتوسط الحسابي العام البالغ (2.28)، وانحراف معياري بلغ (0.60)، فيما حصلت الفقرة (تعمل الجمعية على تطوير خدمات جديدة) على المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2.22) وهو أعلى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (2.28) وانحراف معياري (8.08). وحصلت فقرة (تسعى الجمعية لتطوير الطرق والأساليب المتبعة في تقديم الخدمات للمستفيدين) على المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بمتوسط حسابي بلغ (2.28) وهو أعلى من المتوسط الحسابي الكلي

والبالغ (2.28) وانحراف معياري (0.99). وفي المرتبة الرابعة جاءت فقرة (لدى الجمعية القدرة على الاستجابة للظروف المحيطة) بمتوسط حسابي بلغ (2.88) وهو أقل من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (2.28) وانحراف معياري (0.92). وفي المرتبة الخامسة جاءت فقرة (تقوم إدارة الجمعية بإجراء دراسات مسحية لتحديد حاجات المستفيدين ورغباتهم بشكل مستمر) بمتوسط حسابي بلغ (8.68) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (2.28) وانحراف معياري (8.80).

بشكل عام هذه النتيجة تؤكد من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة مدى أهمية محور أثر إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر)، حيث كان مرتفعاً، ويبين الجدول أيضاً التشتت المنخفض في استجابات أفراد عينة الدراسة حول متغير (التحسين المستمر) بفقراته وهو ما يعكس التقارب في وجهات نظر أفراد عينة الدراسة حول الأهمية العالية لهذا المتغير في دعم وتحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية على مجموعة الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض محل الدراسة.

إدارة الجودة الشاملة (التوجه الاستراتيجي):

وحتى نتمكن من وصف مستوى أهمية أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية بالتطبيق على مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض، لجأ الباحث إلى استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتحقق من معنوية الفقرة وأهميتها كما يلي:

جدول 5 - المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمحور أثر إدارة الجودة الشاملة (التوجه الإستراتيجي)

إدارة الجودة الشاملة (التوجه الإستراتيجي)				
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
مستوى الأهمية				
8	تأخذ الجمعية إدارة الجودة الشاملة بعين الاعتبار كخطة استراتيجية لها.	2.06	8.08	8
2	تقوم الجمعية بتغيير الخطة الاستراتيجية باستمرار تبعاً لتغيير حاجات المستفيدين ورغباتهم.	8.29	8.82	8
8	تسعى الجمعية باستمرار بفحص آثار تطبيق الخطة الاستراتيجية الموضوعة سلفاً والمتعلقة بجودة الخدمة المقدمة للمستفيدين.	8.90	8.02	2
2	تقوم الجمعية بدراسة البيئة الخارجية والداخلية قبل وضع الخطة الإستراتيجية لها.	8.28	8.88	0
0	تعمل الجمعية على توظيف مختصين بوضع الخطة الإستراتيجية ومتابعة تنفيذها.	8.22	8.80	2
المتوسط العام		8.60	0.99	مرتفع

يظهر الجدول في الأعلى إجابات عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بمحور أثر إدارة الجودة الشاملة (التوجه الإستراتيجي)، فقد جاءت في المرتبة الأولى فقرة (تأخذ الجمعية إدارة الجودة الشاملة بعين الاعتبار كخطة إستراتيجية لها) بمتوسط حسابي بلغ (2.06) وهو أعلى من المتوسط الحسابي العام البالغ (8.60)، وانحراف معياري بلغ (8.08)، فيما حصلت الفقرة (تسعى الجمعية باستمرار بفحص آثار تطبيق الخطة الإستراتيجية الموضوعة سلفاً والمتعلقة بجودة الخدمة المقدمة للمستفيدين) على المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (8.90) وهو أعلى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.60) وانحراف معياري (8.02). وحصلت فقرة (تقوم الجمعية بتغيير الخطة الإستراتيجية باستمرار تبعاً لتغيير حاجات المستفيدين ورغباتهم) على المرتبة الثالثة

من حيث الأهمية بمتوسط حسابي بلغ (8.29) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.60) وانحراف معياري

(8.82). وفي المرتبة الرابعة جاءت فقرة (تعمل الجمعية على توظيف مختصين بوضع الخطة الإستراتيجية ومتابعة تنفيذها) بمتوسط حسابي بلغ (8.22) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.60) وانحراف معياري (8.80). وفي المرتبة الخامسة جاءت فقرة (تقوم الجمعية بدراسة البيئة الخارجية والداخلية قبل وضع الخطة الإستراتيجية لها) بمتوسط حسابي بلغ (8.28) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.60) وانحراف معياري (8.88).

نتائج محور التوجه الاستراتيجي في إدارة الجودة الشاملة

أظهرت نتائج الدراسة أن محور التوجه الاستراتيجي يمثل أحد أهم أبعاد إدارة الجودة الشاملة في الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض. فقد جاءت آراء أفراد عينة الدراسة مرتفعة بشأن مستوى تطبيق هذا البعد داخل الجمعيات، مما يعكس إدراكاً عالياً لأهمية التخطيط الاستراتيجي في تعزيز الأداء المؤسسي وتحقيق أهداف الجودة.

كما أظهرت النتائج وجود تشتت منخفض في استجابات المشاركين، وهو ما يدل على تقارب وجهات النظر بين أفراد العينة حول أهمية التوجه الاستراتيجي كعنصر محوري في نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة. ويُشير ذلك إلى أن الجمعيات الخيرية قيد الدراسة تولي اهتماماً واضحاً بوضع الخطط الاستراتيجية، وتحرص على مراجعتها وتحديثها بما يتوافق مع احتياجات المستفيدين وتطور بيئة العمل.

بناءً على ذلك، يمكن القول إن التوجه الاستراتيجي يسهم بفاعلية في دعم وتحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية، من خلال توجيه الجهود نحو تحقيق الأهداف التنظيمية وتطوير العمليات بشكل مستدام.

إدارة الجودة الشاملة (التدريب والتطوير)

وحتى نتمكن من وصف مستوى أهمية أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية بالتطبيق على مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض، لجأ الباحث إلى استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتحقق من معنوية الفقرة وأهميتها كما يلي:

جدول 6 - المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمحور أثر إدارة الجودة الشاملة (التدريب والتطوير)

إدارة الجودة الشاملة (التدريب والتطوير)					
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الأهمية
8	تقوم إدارة التدريب داخل الجمعية بتحديد الاحتياجات التدريبية من خلال وضع خطة سنوية.	8.28	8.86	2	مرتفع
2	يتم تصميم الدورات التدريبية بناء على المشكلات القائمة في العمل بهدف حلها.	8.20	8.02	8	مرتفع
8	يتم تحديد الاحتياجات التدريبية للعاملين داخل الجمعية بناء على نتائج تقييم الأداء.	8.00	8.29	8	مرتفع
2	تستخدم الجمعية الوسائل والتقنيات الحديثة لتنفيذ برامج التدريب.	8.22	8.06	2	مرتفع
0	تستخدم الجمعية أدوات تقييم لقياس مدى تحقيق البرنامج التدريبي لاحتياجات المتدربين.	8.89	8.80	0	مرتفع
8	تؤهل الجمعية منسوبيها للتعامل مع الحالات الاستثنائية.	8.98	8.08	8	مرتفع
المتوسط العام		8.28	8.00	مرتفع	

يظهر الجدول في الأعلى إجابات عينة الدراسة عن العبارات المتعلقة بمحور أثر إدارة الجودة الشاملة (التدريب والتطوير)، فقد جاءت في المرتبة الأولى فقرة (تؤهل الجمعية منسوبيها للتعامل مع الحالات الاستثنائية) بمتوسط حسابي بلغ (8.98) وهو أعلى من المتوسط الحسابي العام البالغ (8.28)،

وانحراف معياري بلغ (8.08)، فيما حصلت الفقرة (تستخدم الجمعية الوسائل والتقنيات الحديثة لتنفيذ برامج التدريب) على المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (8.22) وهو أعلى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.28) وانحراف معياري (8.06). وحصلت فقرة (يتم تصميم الدورات التدريبية بناءً على المشكلات القائمة في العمل بهدف حلها) على المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بمتوسط حسابي بلغ (8.20) وهو أعلى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.28) وانحراف معياري (8.02). وفي المرتبة الرابعة جاءت فقرة (تقوم إدارة التدريب داخل الجمعية بتحديد الاحتياجات التدريبية من خلال وضع خطة سنوية) بمتوسط حسابي بلغ (8.28) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.28) وانحراف معياري (8.86). وفي المرتبة الخامسة جاءت فقرة (تستخدم الجمعية أدوات تقييم لقياس مدى تحقيق البرنامج التدريبي لاحتياجات المتدربين) بمتوسط حسابي بلغ (8.89) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.28) وانحراف معياري (8.80). وفي المرتبة السادسة جاءت فقرة (يتم تحديد الاحتياجات التدريبية للعاملين داخل الجمعية بناءً على نتائج تقييم الأداء) بمتوسط حسابي بلغ (8.0) وهو أدنى من المتوسط الحسابي الكلي والبالغ (8.28) وانحراف معياري (8.29).

نتائج محور التدريب والتطوير في إطار إدارة الجودة الشاملة

أظهرت نتائج الدراسة أن محور التدريب والتطوير يمثل أحد الركائز الأساسية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض. وقد اتضح من إجابات أفراد عينة الدراسة أن مستوى الاهتمام بالتدريب والتطوير كان مرتفعاً، مما يعكس إدراكاً عميقاً لأهمية هذا البعد في رفع كفاءة الأداء وتحسين جودة الخدمات المقدمة للمستفيدين.

كما أظهرت النتائج وجود تشتت منخفض في استجابات أفراد العينة، الأمر الذي يدل على توافق وتجانس الآراء حول الدور المحوري الذي يلعبه التدريب والتطوير في تعزيز الأداء المؤسسي. ويشير ذلك إلى أن الجمعيات الخيرية تولي أهمية واضحة لتأهيل موظفيها من خلال برامج تدريبية منظمة ومستمرة تساهم في تطوير المهارات وتحديث المعارف بما يتناسب مع متطلبات العمل ومبادئ الجودة الشاملة.

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن الاستثمار في التدريب والتطوير يُعد عاملاً أساسياً في دعم وتحسين الأداء المؤسسي، إذ يساعد على ترسيخ ثقافة الجودة داخل الجمعيات الخيرية ويضمن استدامة الأداء المتميز في بيئة العمل الخيرية بالمملكة العربية السعودية.

المتغيرات التابعة:

تحسين الأداء المؤسسي (تحسين الأداء المؤسسي):

وحتى نتحقق من وصف مستوى أهمية أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي في المملكة العربية السعودية بالتطبيق على مجموعة من الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض، لجأ الباحث إلى استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتحقق من معنوية الفقرة وأهميتها كما يلي:

جدول 7 - المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمحور تحسين الأداء المؤسسي (تحسين الأداء المؤسسي)

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الأهمية
9	تحرص الجمعية على تحسين الأداء بشكل مستمر.	2.80	8.88	1	مرتفع
3	يتم تنفيذ المعاملات والمهام داخل الجمعية في الوقت المحدد لها.	2.00	8.09	2	مرتفع
4	تقدم الجمعية خدماتها للمستفيدين بجودة وكفاءة عالية.	1.98	8.20	3	مرتفع

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى الأهمية
8	تسعى الجمعية باستمرار بمتابعة المستفيدين حتى بعد حصولهم على الخدمة.	1.98	8.08	4	مرتفع
7	تعمل الجمعية على تطوير وتحديث الأنظمة التقنية المتبعة فيها باستمرار.	1.92	8.82	5	مرتفع
1	يتم تنفيذ الأعمال والمهام المطلوبة داخل الجمعية وفقاً للخطط المعدة مسبقاً.	1.92	8.86	6	مرتفع
2	تضع الجمعية مؤشرات قياس محددة ومناسبة لقياس الأداء المؤسسي.	1.66	8.08	7	مرتفع
5	تأخذ الجمعية بالحسبان الشكاوى والمقترحات المقدمة من المستفيدين بهدف تحسين الأداء.	1.29	8.20	8	مرتفع
6	تتقادى الجمعية باستمرار الأخطاء السابقة في حالة وجودها.	1.28	8.82	9	مرتفع

تحليل نتائج محور تحسين الأداء المؤسسي

يُظهر الجدول أعلاه إجابات أفراد عينة الدراسة حول العبارات المتعلقة بمحور تحسين الأداء المؤسسي، حيث جاءت النتائج بدرجة مرتفعة، مما يدل على إدراك المشاركين لأهمية هذا المحور في تطوير العمل داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض.

فقد جاءت الفقرة "تحرص الجمعية على تحسين الأداء بشكل مستمر" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.80)، وهو أعلى من المتوسط العام البالغ (1.92)، وانحراف معياري (8.88)، مما يعكس اهتمام الجمعيات بثقافة التحسين المستمر.

أما الفقرة "يتم تنفيذ المعاملات والمهام داخل الجمعية في الوقت المحدد لها" فجاءت في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2.00) وانحراف معياري (8.09)، وهو ما يشير إلى التزام الجمعيات بالدقة الزمنية في تنفيذ الأعمال.

وجاءت الفقرة "تقدم الجمعية خدماتها للمستفيدين بجودة وكفاءة عالية" في المرتبة الثالثة بمتوسط (1.98) وانحراف معياري (8.20)، مؤكدةً الاهتمام برفع جودة الخدمات المقدمة.

وفي المرتبة الرابعة جاءت الفقرة "تسعى الجمعية باستمرار بمتابعة المستفيدين حتى بعد حصولهم على الخدمة" بمتوسط حسابي (1.98) وانحراف معياري (8.08)، وهو ما يعكس الحرص على بناء علاقة مستدامة مع المستفيدين.

أما الفقرة "تعمل الجمعية على تطوير وتحديث الأنظمة التقنية المتبعة فيها باستمرار" فاحتلت المرتبة الخامسة بمتوسط (1.92) وانحراف معياري (8.82)، مما يدل على السعي نحو التطوير التقني المستمر.

وفي المرتبة السادسة جاءت الفقرة "يتم تنفيذ الأعمال والمهام المطلوبة داخل الجمعية وفقاً للخطط المعدة مسبقاً" بمتوسط (1.92) وانحراف معياري (8.86)، بينما جاءت الفقرة "تضع الجمعية مؤشرات قياس محددة ومناسبة لقياس الأداء المؤسسي" في المرتبة السابعة بمتوسط (1.66) وانحراف معياري (8.08). أما الفقرة "تأخذ الجمعية بالحسبان الشكاوى والمقترحات المقدمة من المستفيدين بهدف تحسين الأداء" فجاءت في المرتبة الثامنة بمتوسط (1.29) وانحراف معياري

(8.20)، تليها الفقرة "تتقاضي الجمعية باستمرار الأخطاء السابقة في حالة وجودها" في المرتبة التاسعة بمتوسط (1.28) وانحراف معياري (8.82)

بشكل عام، تؤكد هذه النتائج من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة على الأهمية الكبيرة لمحور تحسين الأداء المؤسسي، حيث ظهر تشتت منخفض في الاستجابات، مما يعكس تجانس الآراء حول أهمية هذا المحور في دعم وتطوير الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية.

اختبار فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسية الأولى

عنوان الفرضية:

أثر إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

الفرضية الصفرية: (H_0)

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \geq 0.05$)

الفرضية البديلة: (H_1)

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \leq 0.05$)

من أجل التحقق من صحة هذه الفرضية واختبار العلاقة بين أبعاد إدارة الجودة الشاملة (التحسين المستمر، التوجه الاستراتيجي، التدريب والتطوير) وتحسين الأداء المؤسسي، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد (Multiple Linear Regression) لقياس مدى تأثير المتغيرات المستقلة الممثلة لأبعاد إدارة الجودة الشاملة على المتغير التابع المتمثل في تحسين الأداء المؤسسي.

جدول 8 - نتيجة تحليل معامل الانحدار الخطي المتعدد - الفرضية الرئيسية الأولى

المتغير التابع	المتغير المستقل (المفسرة)	R	R2	F	Sig. (F)	β	t	Sig. (t)	VIF
تحسين الأداء المؤسسي	أثر إدارة الجودة الشاملة	0.919 ^a	0.844	249.209	.000 ^b	0.919	15.787	.000	1.00

نتائج اختبار الفرضية الرئيسية الأولى

من أجل التعرف على العلاقة بين تحسين الأداء المؤسسي والمتغيرات المفسرة المتمثلة في أثر إدارة الجودة الشاملة بأبعادها (التحسين المستمر، التوجه الاستراتيجي، التدريب والتطوير)، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد، حيث اعتُبر أثر إدارة الجودة الشاملة متغيراً مستقلاً، بينما اعتُبر تحسين الأداء المؤسسي متغيراً تابعاً.

أظهرت نتائج التحليل أن نموذج الانحدار كان معنوياً، وذلك من خلال قيمة ($F = 229.209$) عند مستوى دلالة ($\text{Sig} = 0.00$)، وهي أقل من مستوى المعنوية المفترض ($\alpha \leq 0.05$)، مما يدل على معنوية النموذج الإحصائية. كما أوضحت النتائج أن المتغيرات المستقلة تفسر 62.2% من التباين الحاصل في المتغير التابع (تحسين الأداء المؤسسي) وفقاً لقيمة معامل التحديد ($R^2 = 0.622$).

كما بلغت قيمة بيتا ($\beta = 0.989$) ، وهي قيمة دالة إحصائياً، مما يعني أن كل زيادة بمقدار وحدة واحدة في تطبيق إدارة الجودة الشاملة تؤدي إلى تحسن في مستوى الأداء المؤسسي بمقدار 0.989 وحدة. وتدعم هذه النتيجة العلاقة القوية والموجبة بين تطبيق مبادئ الجودة الشاملة وتحسين الأداء داخل الجمعيات الخيرية. وبالإضافة إلى ذلك، أظهر اختبار عامل تضخم التباين ($VIF = 1.00$) أنه أصغر من (8)، مما يشير إلى عدم وجود مشكلة تعددية خطية بين متغيرات النموذج.

النتيجة:

استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي، تم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، إذ تبين أن الانحدار معنوي عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$). وبالتالي، يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية.

الفرضية الفرعية الأولى

الفرضية الصفرية: (H_0)

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتحسين المستمر على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0.05$).

الفرضية البديلة: (H_1)

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتحسين المستمر على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$).

وللتأكد من صحة الفرضية الفرعية الأولى، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد لقياس العلاقة بين أثر التحسين المستمر (كأحد أبعاد إدارة الجودة الشاملة) وتحسين الأداء المؤسسي، وذلك لتحديد قوة وتأثير هذا البعد في تعزيز الأداء داخل الجمعيات الخيرية محل الدراسة.

جدول 9 - نتيجة تحليل معامل الانحدار الخطي المتعدد - الفرضية الفرعية الأولى

المتغير التابع	المتغير المستقل (المفسرة)	R	R2	F	Sig. (F)	β	t	Sig. (t)	VIF
تحسين الأداء المؤسسي	التحسين المستمر	0.859 ^a	0.738	129.780	.000 ^b	0.859	11.392	.000	1.00
				6					

من أجل معرفة العلاقة بين تحسين الأداء المؤسسي والمتغيرات المفسرة (التحسين المستمر)، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد والذي اعتبرت فيه متغير التحسين المستمر كمتغير مستقل، وتحسين الأداء المؤسسي كمتغير تابع.

أظهرت نتائج نموذج الانحدار أن نموذج الانحدار معنوي وذلك من خلال قيمة (f) البالغة (829.268) بدلالة (0.00) أقل من مستوى المعنوية (0.00)، وتفسر النتائج أن المتغيرات المفسرة (المتغير المستقل) تفسر (28.6 %) من التباين الحاصل في تحسين الأداء المؤسسي (المتغير التابع) وذلك بالنظر إلى معامل التحديد (R^2). كما جاءت قيمة بيتا التي توضح العلاقة بين تحسين الأداء المؤسسي (المتغير التابع) والتحسين المستمر (المتغير المستقل) بقيمة (0.609) وهي ذات دلالة إحصائية، حيث يمكن استنتاج ذلك من قيمة (t) والدلالة المرتبطة بها. ويعني ذلك أنه كلما زاد التحسين المستمر (كمتغير مستقل) بمقدار وحدة واحدة تحسن مستوى الأداء المؤسسي (كمتغير تابع) بمقدار (0.609) وحدة. كما يوضح الجدول نتائج اختبار التعددية الخطية (VIF) حيث كشفت النتيجة أن عامل تضخم التباين للنموذج كان (8.00) أصغر من (8) مما يشير إلى عدم وجود

مشكلة تعددية خطية بين متغيرات النموذج.

النتيجة: بنا "ء على نتائج التحليل السابق، يتم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة لأن الانحدار معنوي. يوجد أثر ذي دلالة إحصائية للتحسين المستمر على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.05$).
الفرضية الفرعية الثانية:

الفرضية الصفرية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتوجه الإستراتيجي على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية البديلة: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتوجه الإستراتيجي على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

من أجل معرفة العلاقة بين أثر إدارة الجودة الشاملة (بإبعادها) وتحسين الأداء المؤسسي، وللتأكد من صحة الفرضية من عدمها، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد كما يلي:

جدول 10 - نتيجة تحليل معامل الانحدار الخطي المتعدد - الفرضية الفرعية الثانية

المتغير التابع	المتغير المستقل (المفسرة)	R	R2	F	Sig. (F)	β	t	Sig. (t)	VIF
تحسين الأداء المؤسسي	التوجه الاستراتيجي	0.904 ^a	0.818	206.542	.000 ^b	0.904	14.372	.000	1.00

نتائج الفرضية الفرعية الثانية: أثر التوجه الاستراتيجي على تحسين الأداء المؤسسي

من أجل التعرف على العلاقة بين تحسين الأداء المؤسسي والمتغير المفسر (التوجه الاستراتيجي)، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد، حيث اعتبر التوجه الاستراتيجي متغيراً مستقلاً، بينما اعتبر تحسين الأداء المؤسسي متغيراً تابعاً.

أظهرت نتائج التحليل أن نموذج الانحدار كان معنوياً، حيث بلغت قيمة ($F = 208.022$) عند مستوى دلالة ($\text{Sig} = 0.00$)، وهو أقل من مستوى الدلالة المفترض ($\alpha \leq 0.05$)، مما يدل على معنوية النموذج الإحصائية. كما أوضحت النتائج أن المتغير المستقل (التوجه الاستراتيجي) يفسر 68.6% من التباين الحاصل في المتغير التابع (تحسين الأداء المؤسسي) وفقاً لقيمة معامل التحديد ($R^2 = 0.686$).

كذلك، بلغت قيمة بيتا ($\beta = 0.902$) وهي دالة إحصائية، مما يعني أن كل تحسن بمقدار وحدة واحدة في التوجه الاستراتيجي يؤدي إلى تحسن في الأداء المؤسسي بمقدار 0.902 وحدة. كما بينت نتائج اختبار عامل تضخم التباين ($VIF = 1.00$) أنه أصغر من (8)، مما يشير إلى عدم وجود مشكلة تعددية خطية بين متغيرات النموذج.

النتيجة:

استناداً إلى نتائج التحليل السابق، تم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة لأن النموذج الإحصائي معنوي. وبالتالي، يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتوجه الاستراتيجي على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$).

الفرضية الفرعية الثالثة: أثر التدريب والتطوير على تحسين الأداء المؤسسي

الفرضية الصفرية: (H_0)

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتدريب والتطوير على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0.05$)

الفرضية البديلة: (H_1)

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتدريب والتطوير على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$).

وللتأكد من صحة هذه الفرضية، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد لقياس العلاقة بين أثر التدريب والتطوير كأحد أبعاد إدارة الجودة الشاملة وتحسين الأداء المؤسسي، بهدف تحديد مدى قوة التأثير واتجاه العلاقة بينهما في بيئة الجمعيات الخيرية محل الدراسة بمدينة الرياض.

جدول 11 - نتيجة تحليل معامل الانحدار الخطي المتعدد - الفرضية الفرعية الثالثة

المتغير التابع	المتغير المستقل (المفسرة)	R	R ²	F	Sig. (F)	β	t	Sig. (t)	VIF
تحسين الأداء المؤسسي	التدريب والتطوير	0.427 ^a	0.684	99.721	.000 ^b	0.397	.827	.000	1.00

من أجل معرفة العلاقة بين تحسين الأداء المؤسسي والمتغيرات المفسرة (التدريب والتطوير)، تم استخدام نموذج الانحدار الخطي المتعدد والذي اعتبرت فيه متغير التدريب والتطوير كمتغير مستقل، ومتغير تحسين الأداء المؤسسي كمتغير تابع.

أظهرت نتائج نموذج الانحدار أن نموذج الانحدار معنوي وذلك من خلال قيمة (f) البالغة (99.228) بدلالة (0.00) أقل من مستوى المعنوية (0.00)، وتفسر النتائج أن المتغيرات المفسرة (المتغير المستقل) تفسر (86.2 %) من التباين الحاصل في تحسين الأداء المؤسسي (المتغير التابع) وذلك بالنظر إلى معامل التحديد (R^2). كما جاءت قيمة بيتا التي توضح العلاقة بين تحسين الأداء المؤسسي (المتغير التابع) والتدريب والتطوير (المتغير المستقل) بقيمة (0.892) وهي ذات دلالة إحصائية، حيث يمكن استنتاج ذلك من قيمة (t) والدلالة المرتبطة بها. ويعني ذلك أنه كلما تحسن التدريب والتطوير (كمتغير مستقل) بمقدار وحدة واحدة تحسن مستوى الأداء المؤسسي (كمتغير تابع) بمقدار (0.892) وحدة. كما يوضح الجدول نتائج اختبار التعددية الخطية (VIF) حيث كشفت النتيجة أن عامل تضخم التباين للنموذج كان (8.00) أصغر من (8) مما يشير إلى عدم وجود مشكلة تعددية خطية بين متغيرات النموذج.

النتيجة: بناء على نتائج التحليل السابق، يتم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة لأن الانحدار معنوي. يوجد أثر ذي دلالة إحصائية للتدريب والتطوير على تحسين الأداء المؤسسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 2.23$).

الفرضية الرئيسية الثانية:

الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى للبيانات

الشخصية داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى للبيانات الشخصية داخل الجمعيات الخيرية

بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$). وللتأكد من صحة الفرضية من عدمها سيتم تقسيم الفرضية إلى عدد من الفرضيات الفرعية كما يلي:

الفرضية الفرعية الأولى:

- الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير

الجنس داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

- الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير الجنس داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

من أجل التحقق من صحة الفرضية من عدمها، سيقوم الباحث بإجراء اختبار تجانس التباين بين متغير تحسين الأداء المؤسسي ومتغير النوع من خلال اختبار (ليفين) كما يلي:

جدول 12 - نتيجة اختبار (ليفين) - الفرضية الفرعية الأولى

Test of Homogeneity of Variance					
		Levene Statistic	df1	df2	Sig.
الأداء المؤسسي	Based on Mean	2.283	1	46	.138
	Based on Median	1.578	1	46	.215
	Based on Median and with adjusted df	1.578	1	36.119	.217
	Based on trimmed mean	1.892	1	46	.176

يظهر الجدول في الأعلى نتيجة اختبار تجانس التباين (ليفين) الأربع سواء التي تعتمد على (المتوسط الحسابي، الوسيط، الوسيط مع تصحيح درجات الحرية، المتوسط الحسابي المقطوع)، وبالتدقيق في نتائج الجدول نلاحظ أن قيم (Sig.) لجميع اختبارات (ليفين) أكبر من مستوى الدلالة (0.00) والذي يعني أن الاحصائيات ستعطي نفس القرار حول تجانس التباين من عدمه والتي توضح أن مستويات التباين بين مجموعات النوع (الذكور والإناث) متجانسة.

وعليه يتم قبول الفرضية الصفرية ورفض الفرضية البديلة. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير الجنس داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية الفرعية الثانية:

الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير العمر داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير العمر داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

من أجل التحقق من صحة الفرضية من عدمها، سيقوم الباحث بإجراء اختبار تجانس التباين بين متغير تحسين الأداء المؤسسي ومتغير العمر من خلال اختبار

ليفين كما يلي:

جدول 13 - نتيجة اختبار (ليفين) - الفرضية الفرعية الثانية

Test of Homogeneity of Variance					
		Levene Statistic	df1	df2	Sig.
الأداء المؤسسي	Based on Mean	1.444	3	44	.243
	Based on Median	1.354	3	44	.269
	Based on Median and with adjusted df	1.354	3	35.395	.273
	Based on trimmed mean	1.431	3	44	.246

يظهر الجدول في الأعلى نتيجة اختبار تجانس التباين (ليفين) الأربع سواء التي تعتمد على (المتوسط الحسابي، الوسيط، الوسيط مع تصحيح درجات الحرية، المتوسط الحسابي المقطوع)، وبالتدقيق في نتائج الجدول نلاحظ أن قيم (Sig.) لجميع اختبارات (ليفين) أكبر من مستوى الدلالة (0.00) والذي يعني أن الاحصائيات ستعطي نفس القرار حول تجانس التباين من عدمه والتي توضح أن مستويات التباين بين مجموعات العمر متجانسة.

وعليه يتم قبول الفرضية الصفرية ورفض الفرضية البديلة. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير العمر داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية الفرعية الثالثة:

الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير المؤهل الدراسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير المؤهل الدراسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

من أجل التحقق من صحة الفرضية من عدمها، سيقوم الباحث بإجراء اختبار تجانس التباين بين متغير تحسين الأداء المؤسسي ومتغير المؤهل الدراسي من خلال اختبار ليفين كما يلي:

	Based on Median and with adjusted df	3.440	2	33.171	.044
	Based on trimmed mean	3.646	2	45	.034

يظهر الجدول في الأعلى نتيجة اختبار تجانس التباين (ليفين) الأربع سواء التي تعتمد على (المتوسط الحسابي، الوسيط، الوسيط مع تصحيح درجات الحرية، المتوسط الحسابي المقطوع)، وبالتدقيق في نتائج الجدول نلاحظ أن قيم (Sig.) لجميع اختبارات (ليفين) أقل من مستوى الدلالة (0.00) والذي يعني أن الاحصائيات ستعطي نفس القرار حول تجانس التباين من عدمه والتي توضح أن مستويات التباين بين مجموعات المؤهل الدراسي غير متجانسة.

وعليه يتم قبول الفرضية البديلة ورفض الفرضية الصفرية. توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير

المؤهل الدراسي داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية الفرعية الرابعة:

الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

من أجل التحقق من صحة الفرضية من عدمها، سيقوم الباحث بإجراء اختبار تجانس التباين بين متغير تحسين الأداء المؤسسي ومتغير عدد سنوات الخبرة من خلال اختبار ليفين كما يلي:

جدول 15 - نتيجة اختبار (ليفين) - الفرضية الفرعية الرابعة

Test of Homogeneity of Variance					
		Levene Statistic	df1	df2	Sig.
الأداء المؤسسي	Based on Mean	.001	1	45	.979
	Based on Median	.020	1	45	.889
	Based on Median and with adjusted df	.020	1	44.986	.889
	Based on trimmed mean	.010	1	45	.920

يظهر الجدول في الأعلى نتيجة اختبار تجانس التباين (ليفين) الأربع سواء التي تعتمد على (المتوسط الحسابي، الوسيط، الوسيط مع تصحيح درجات الحرية، المتوسط الحسابي المقطوع)، وبالتدقيق في نتائج الجدول نلاحظ أن قيم (Sig.) لجميع اختبارات (ليفين) أكبر من مستوى الدلالة (0.00) والذي يعني أن الاحصائيات ستعطي نفس القرار حول تجانس التباين من عدمه والتي توضح أن مستويات التباين بين مجموعات عدد سنوات الخبرة متجانسة.

وعليه يتم قبول الفرضية الصفرية ورفض الفرضية البديلة. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لآراء عينة الدراسة حول تحسين الأداء المؤسسي تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة داخل الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عند مستوى دلالة معنوية ($\alpha \geq 0.00$).

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. أظهرت النتائج ارتفاع مستوى تطبيق **التحسين المستمر** في الجمعيات الخيرية بمدينة الرياض، مع انخفاض التشتت في الإجابات، مما يدل على اتفاق أفراد العينة حول أهميته في دعم الأداء المؤسسي.
2. تبين أن **التوجه الاستراتيجي** يحقق مستوى مرتفعاً من التطبيق، ويُعد عنصراً أساسياً في تحسين الأداء المؤسسي من خلال التخطيط الفعال ومتابعة الأهداف.
3. أظهرت النتائج أن **التدريب والتطوير** يمثل محوراً مهماً في تعزيز كفاءة العاملين ورفع جودة الأداء، مع توافق كبير في آراء المشاركين حول أهميته.
4. سجل **تحسين الأداء المؤسسي** مستوى مرتفعاً أيضاً، مما يعكس وعي الجمعيات الخيرية بأهمية التطوير المستمر في العمليات والخدمات.

5. بينت نتائج نموذج الانحدار وجود أثر دال إحصائياً لإدارة الجودة الشاملة بأبعادها الثلاثة على تحسين الأداء المؤسسي عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$.
6. أوضحت النتائج أن التحسين المستمر، والتوجه الاستراتيجي، والتدريب والتطوير جميعها تؤثر بشكل إيجابي ومعنوي في تحسين الأداء المؤسسي.
7. أظهر اختبار تجانس التباين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة تُعزى لمتغيرات الجنس، العمر، المؤهل الدراسي، أو عدد سنوات الخبرة.
8. تعكس النتائج اتفاقاً عاماً بين المشاركين على أهمية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في تعزيز الأداء وتحقيق كفاءة مؤسسية مستدامة.

ثانياً: التوصيات:

1. يجب النظر إلى إدارة الجودة الشاملة بأنها عملية متكاملة تشمل وتخدم جميع الأنشطة والوظائف على شكل سلسلة وأي خلل في أي حلقة يعتبر نقطة ضعف تؤثر في الأداء العام للجمعية.
2. أن تتبنى الجمعية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جميع العمليات والأنشطة وبطريقة علمية منظمة، وأن تستعين بذوي خبرة الاختصاص في هذا الشأن.
3. نشر ثقافة الجودة على مستوى الجمعية وبصورة مستمرة.
4. توعية العاملين بأهمية الجودة الشاملة في خلق فرص تساهم في تحسين العمل؛ وتنمي من مهارات الفرد.
5. أن تتسم قرارات الجمعيات بالواقعية وذلك بالاعتماد على معايير إدارة الجودة الشاملة لإثبات فعالية القرارات.
6. مشاركة الجمعيات في ورش العمل والندوات المتعلقة بمفهوم إدارة الجودة الشاملة وسبل تعزيزها من خلال مجموعة من النماذج الناجحة المحلية والدولية.

المراجع:

المراجع العربية:

- أبو كريم، أيمن محمد. (2088). علاقة نظم المعلومات الإدارية في تحسين الأداء الإداري، دراسة ميدانية بالتطبيق على المنظمات غير الحكومية بقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر.
- أسامة جمال النسور. (2082). أثر أساليب المحاسبة الإدارية الاستراتيجية في تعزيز فاعلية وكفاءة حوكمة الشركات في الشركات الصناعية المساهمة العاملة في الأردن، عمان: جامعة جرش، مجلة المحاسبة والتدقيق والحوكمة، المجلد 2، العدد 2، صفحة 20.
- بدر، رشاد محمود، والمدهون، محمد. (2082) أثر تطبيق مبادئ الجودة الشاملة على أداء المؤسسات الأهلية الأجنبية العاملة في قطاع غزة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد (20)، العدد (2) صفحة 802-888، غزة.
- بن طولة. (2089). دور العمل التطوعي في تحقيق رؤية المملكة 2080، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، صفحة 2-80
- بن عودة، قصير وأيوب مختار. (2082). " إدارة الجودة الشاملة وعلاقتها بالأداء الوظيفي - دراسة ميدانية بمؤسستي بوهرا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 88، ص 886 - 802، الجزائر.
- بوكريطة، نوال. (2088). أثر الاتصال في رفع الأداء التسويقي للمؤسسة الخدمية: دراسة حالة وكالة السفر والسياحة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر.
- حسينة، قليو. (2080). دور إدارة المعرفة في تحسين الأداء المؤسسي: دراسة حالة كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير بجامعة محمد خيضر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

- درويش، سامان توفيق. (2082). دور تطبيق معايير الجودة الشاملة في تحسين الأداء بالمؤسسات الاجتماعية - دراسة حالة المؤسسات الاجتماعية في محافظة السلبيانية بإقليم كوردستان - العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين.
- الدوسري، محمد وضاح. (2088). دور المراجعة الداخلية في تحسين الإبداع المؤسسي في المؤسسة العامة للصناعات العسكرية، رسالة ماجستير غير منشورة؛ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية؛ الرياض، السعودية.
- ربابعة، فاطمة. (2088). المقارنة المرجعية مدخل لتحسين الأداء المؤسسي في المنظمات العامة: دراسة تطبيقية على المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، مجلة جامعة مؤتة، المجلد (28)، العدد (2)، صفحة 809-892.
- الزطمة، نضام محمد. (2088). إدارة المعرفة وأثرها على تميز الأداء، دراسة تطبيقية على الكليات والمعاهد التقنية المتوسطة العاملة في قطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية بغزة.
- السلطي مأمون والياس. سهيل. (8999). دليل عملي لتطبيق أنظمة الجودة الآيزو 9000، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- سمير عزيز العبادي، وآخرون. (2088). تخطيط ومراقبة العمليات الانتاجية، القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتوريدات، بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، صفحة 226-229.
- العابد، محمد ومكيد، علي. (2088). دور إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء المؤسسي، مجلة الدراسات المالية والمحاسبية، جامعة الشهيد حمة لخضر -الوادي، العدد السابع، الجزائر.
- عائش، شادي. (2006). أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة على الأداء المؤسسي (دراسة تطبيقية على المصارف الإسلامية العاملة في قطاع غزة)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- عبد الرحمن. (2086). دور الثقافة التنظيمية في تعديل العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة والأداء المؤسسي في القطاع الصناعي بولاية الخرطوم، رسالة دكتوراه غير منشورة، السودان.
- عبد الرحمن، عادل محمد. (2082). أثر التخطيط الاستراتيجي على تحسين الأداء المؤسسي للمنظمات العامة، مجلة البحوث التجارية المعاصرة، كلية التجارة، جامعة سوهاج، مجلد (26)، العدد (2) صفحة 829-888.
- عبد الوهاب، محمد نور الله. (2082). أثر إدارة الجودة الشاملة على أداء قطاع الصناعات الغذائية السودانية، دراسة حالة مجموعة شركات معاوية البربر"، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، السودان.
- عزت محمد أحمد. (2006). تحديث الإدارة التعليمية والنظارة والإشراف الفني، القاهرة: دار المطبوعات الجديدة، صفحة 6.
- الفاضل، أبوالموس. (2022). دور إدارة الجودة الشاملة في تحسين مستويات الأداء المؤسسي، دراسة تطبيقية على شركات توزيع الكهرباء في فلسطين، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 20.
- الغياض. (2020). أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة على كفاءة الأداء المؤسسي في الشركات الخدمية (دراسة حالة الشركة الفنية لخدمات التأمين)، نشرت بالجامعة السورية.
- مخير، عبد العزيز وآخرون. (8999). قياس الأداء المؤسسي للأجهزة الحكومية، المنظمة العربية
- المدهون، محمود عطا. (2082). عمليات إدارة المعرفة وعلاقتها بتميز الأداء المؤسسي: دراسة تطبيقية على وزارة التربية والتعليم العالي في محافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الادارة والسياسة للدراسات العليا، غزة، فلسطين.

وفاء عبد السميع عمارة سعود. (2088). مدى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مستشفيات القطاع العام والخاص - دراسة مقارنة، حلوان: جامعة حلوان، كلية التجارة وإدارة الأعمال، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، العدد 2، صفحة 860

المراجع الأجنبية:

- Ahmad, Mahmoud Abbas. (2022). the impact of total quality management on the performance of organizations in the Nigerian service sector, World Journal of Management and Business Studies, (ISSN: 2795-2525) Vol. 2, No 3.
- Dhafer. (2015). "The Impact of Total Quality Management on Organization", European Journal of Business and Management 7, 119-127.
- Hung, R.; Lien, B.; Fang, S.; and McLean, G. (2010). Knowledge as a Facilitator for Enhancing Innovation Performance through Total Quality Management. Total Quality Management, 21(4), 425-438.
- Kim-son. (2012). Quality management and practices, Croatia: In Tech.
- Megersa, Gezew. (2022). the impact of total quality management on enterprise performance: a case study on the National Cement Company, International Journal of Management and Business Studies, ISSN 2167-0439, Vol. 12(3), pp. 001-005.
- Nguyen Hoai Anh, Brian H. Kleiner. (2006). "Effective human resource management in the entertainment industry", Management Research News, Vol. 28 Iss: 2/3, pp.100 – 107.
- Nguyen, T. (2006). "Improving Performance Through Linking it and TQM in Vietnamese Organizations". Unpublished thesis doctor. University of Fribourg. Switzerland.
- Pattanayak, D., Koilakuntla, M. and Punyatoya, P., (2017). Investigating the influence of TQM, service quality and market orientation on customer satisfaction and loyalty in the Indian banking sector. International Journal of Quality & Reliability Management, 34(3), 362–377
- Pattanayak, D., Koilakuntla, M. and Punyatoya, P., (2017). Investigating the influence of TQM, service quality and market orientation on customer satisfaction and loyalty in the Indian banking sector. International Journal of Quality & Reliability Management, 34(3), 362– 377.
- Tarek Abdel-Raouf, Ihab Issa Al-Masry. (2014). the overall quality, accreditation and academic in education; 1st floor, Cairo: The Arab Group for Training and Publishing.

RESEARCH TITLE

A Critical Discourse Analysis of Social Deviance in Al-Imam Ali's (Peace be upon him) Speech

Dr. Zina Abdu Hussein Khudhair¹, Asst. Lect. Zahraa Kareem Ghannam²

¹ University of Babylon, College of Education for Human Sciences, Iraq.

Email: Hum975.zynh.abdulhussein@uobabylon.edu.iq

² University of Babylon, College of Management and Economics, Department of Accounting, Iraq.

Email: bsc.zahraa.karim@uobabylon.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/23>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

The current study deals with social deviance which is, a behavior that deviates from social norms, from a Critical analysis perspective for the speeches of Al-Imam Ali (Peace be upon him). Therefore; the study tries to answer the following questions: What is meant by social deviance? What are the dominant processes of the transitivity analysis used in Al-Imam Ali (Peace be upon him) speech? How are the lexical and the rhetorical levels employed in the text in order to uncover the social deviance? The current paper aims to: Giving an explanation about the term social deviance. And also showing the ideological message of Al-Imam Ali (Peace be upon him) in relation to social deviance. It is hypothesized that: Lexicalization, apparent illustration and examples, actor description, can be the major structural devices employed within the text in relation to social deviance. Antithesis, irony rhetorical question are the dominant rhetorical devices used in the speech of Al-Imam Ali (Peace be upon him). This study adapts Fairclough model 1995 for analyzing the data. It is concluded that. The integration of ideological analysis of the micro level (using rhetorical, lexical and transitivity analysis) and macro level (using in-group, out-group and social analysis) elucidate the social deviance of individuals as they exceed the social norms.

Key Words: Critical discourse analysis, social deviation, norms, Al- Imam Ali (peace be upon him)

التحليل النقدي للخطاب حول الانحراف الاجتماعي في خطبة الإمام عليّ (عليه السلام)

المستخلص

تتناول هذه الدراسة الانحراف الاجتماعي، وهو سلوكٌ ينحرف عن الأعراف الاجتماعية، من منظور تحليل نقدي لخطب الإمام علي (عليه السلام). لذا، تحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية: ما المقصود بالانحراف الاجتماعي؟ ما هي العمليات السائدة لتحليل التعدية المستخدمة في خطاب الإمام علي (عليه السلام)؟ كيف وُظِّفت المستويات المعجمية والبلاغية في النص للكشف عن الانحراف الاجتماعي؟ تهدف هذه الدراسة إلى: تقديم شرح لمصطلح الانحراف الاجتماعي، وإظهار الرسالة الأيديولوجية للإمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بالانحراف الاجتماعي. وتفترض الدراسة أن: التعابير المعجمية، والتوضيحات والأمثلة الظاهرة، ووصف الفاعل، يمكن أن تكون الأدوات الهيكلية الرئيسية المستخدمة في النص فيما يتعلق بالانحراف الاجتماعي. يُعدّ الاستفهام البلاغي، المُناقض والمُفارق، من أبرز الأساليب البلاغية المُستخدمة في خطاب الإمام علي (عليه السلام). وقد اعتمدت هذه الدراسة نموذج Fairclough (1995) لتحليل البيانات. وخلصت إلى أن دمج التحليل الأيديولوجي على المستوى الجزئي (باستخدام التحليل البلاغي والمعجمي والتحليل الانتقالي) والمستوى الكلي (باستخدام التحليل الداخلي والخارجي والاجتماعي) يوضح الانحراف الاجتماعي للأفراد نتيجة تجاوزهم للمعايير الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التحليل النقدي للخطاب، الانحراف الاجتماعي، المعايير، الإمام عليّ (عليه السلام).

1. Introduction

For a long time, Sociologists consider that what is different from the norm is considered as deviant. Social deviance includes a wide range of actions, from minor norm such as rule-violating behavior to breaking criminal laws or other laws intended to forbid or restrict it. So, social deviants are labeled to any behavior that differs from their own. The deviation is mainly related to the social environment in which an individual is located. Therefore; the sociological approach does not focus on the fact that the deviation depends on the heredity and character of an individual. Tozhibayev and Isokov (2022:395) define deviation as an action, activity or even way of life that deviates from the norms that are broadly accepted in a society.

1.1 The problem

In the United States, in the late 1930s, the concept social deviance emerged as a result of cultural conflict. In other words, adopting the norms of one culture will result to deviation in another.

Henery (2009:16) summaries the process for identifying deviance, or how to decide whether a behavior qualifies as deviant or not. We could begin with the well-known concept of statistical deviance. The underlying evidence of this theory is that all behavior is distributed according to a normal. "Behavior that is commonly occurring forms the body of norms, whereas behavior on the extremes, which occurs less frequently, is designated as "deviant. Thus, in one direction, there can be both negative and positive deviance " Negative deviance is therefore possible in both directions; on the other end of the spectrum is "positive deviance," which includes things like being a genius, exceptionally gifted academically, or musically. The study tries to answer the following questions:

1. What is meant by social deviance?
2. What is the ideological message of Al-Imam Ali (Peace be upon him)?
3. What are the dominant processes of the transitivity analysis used in Al-Imam Ali (Peace be upon him) speech?
4. How are the lexical and the rhetorical levels employed in the text in order to uncover the social deviance?

1.2 The Aims

The current paper aims to:

1. Give an explanation about the term social deviance.
2. Show the ideological message of Al-Imam Ali (Peace be upon him) in relation to social deviance.
3. Identify the dominant processes of the transitivity analysis used in Al-Imam Ali's (Peace be upon him) speech
4. Present the mostly used lexical and the rhetorical levels in the text in order to uncover the social deviance?

1.3 The Hypotheses

It is hypothesized that:

1. Lexicalization, apparent illustration examples and actor description can be the major structural devices employed within the text in relation to social deviance.
2. Antithesis, irony rhetorical question are the dominant rhetorical devices used in the speech of Al-Imam Ali (Peace be upon him).
3. The use of the ideological group of the macroanalysis reinforces the analysis of social deviance.

1.4 The Procedures

The following steps will be adopted:

1. Giving some definitions to some major concepts used in critical discourse analysis, therefore CDA.
2. Analyzing Al-Imam Ali's (Peace be upon him) speech by adapting Fairclough model in 1995.

2. Definitions of Critical Discourse Analysis

Fairclough (1995:132-3) defines CDA as a discourse analysis that attempts to discover the vague relations of "causality" and "determination" between practice, events, and texts, and "wider social and cultural structures, relations, and processes" discovering how these are formed and how they are affected by ideology and power, also to notice how the vagueness of these relationships between discourse and society is itself "hegemony". Thus, when trying to connect discourse with society, various phenomena will appear such as inequality, power abuse, racism, feminism and so on.

Likewise, Van Dijk (1998:1) defines CDA as "a research that is concerned with the way power abuse, dominance, and inequality are enacted, reproduced, and resisted by text and talk in the social and political context". That is, CDA is concerned with social affairs and how a weak group is dominated by a powerful one. CDA tries to present a mode for analysis and application, rather than being a direction or a school by itself.

Both Fairclough (1995:132-3) and Van Dijk(1998:1) consider this branch of linguistics as a social practice trying to use these discourses or the side of the dominant groups to enable them to exploit those who have less power. Though, Fairclough deals with CDA as an approach concentrating on linguistic parameters to reveal their hidden elements in the social system, and to which extent these elements affect that linguistic system. Meanwhile, Van Dijk's approach linked CDA to cognition. He believes that people discourse is a reflection to their mentality.

3. Social Deviance

For a long time, sociologists consider what is different from the norm considers as deviant. Meanwhile, who decides what is conventional and what is normal? "Normality" refers to any shared set of cultural norms and values concerning appearance, appropriate behavior, and also thought processes. Social deviation refers to any deviance from accepted norms and values including acting, appearing, or thinking

Social deviance includes a wide range of actions, from minor norm such as rule-violating behavior to breaking criminal laws or other laws intended to forbid or restrict it. So, social deviants are labeled to any behavior that differs from their own. Those who are considered as deviant may or may not accept their identity. The results of the social processes that give rise to deviance are whether or not they are categorized as such, and whether they choose to embrace or reject the label of deviant. These procedures entail interpreting the act's meaning, and the historical and social context has a significant impact on meaning (Henery, 2009:2).

In the United States, in the late 1930s, the concept social deviance emerged as a result of cultural conflict. In other words, adopting the norms of one culture, will result to deviation in another. For illustration, when Muslims residing in the West deal with this cultural conflict within their own homes and respond to the perceived threat by adhering to cultural norms, social deviance problems will occur. A girl who does not wear a hijab is viewed by Muslims as a deviation from traditional Muslim standards and brings shame to their family, who are viewed as failures by their community. (ibid:7).

Elements that contribute to youth deviations is categorized as societal shifts. the primary requirement for classifying these factors is the interpretation of the deviation. The analysis of social system processes is in conflict with this deviation as to Parsons' opinion (Komlev, 2014: 145).

Deviation is defined as "behavior that deviates from social norms and is regarded as normative in a particular social context in the sociological lexicon". (Veche,1999: 161) cited in (Tozhibayev and Isokov, 2022:395).

The deviation is mainly related to the social environment in which an individual is located. Therefore; the sociological approach does not focus on the fact that the deviation depends on the heredity and character of an individual. Tozhibayev and Isokov (2022:395) define deviation as an action, activity or even way of life that deviates from the norms that are broadly accepted in a society.

Henery (2009:16) summaries the process for identifying deviance, or how to decide whether a behavior qualifies as deviant or not. We could begin with the well-known concept of statistical deviance. The underlying evidence of this theory is that all behavior is distributed according to a normal. "Behavior that is commonly occurring forms the body of norms, whereas behavior on the extremes, which occurs less frequently, is designated as "deviant. Thus, in one direction, there can be both negative and positive deviance " Negative deviance is therefore possible in both directions; on the other end of the spectrum is "positive deviance," which includes things like being a genius, exceptionally gifted academically, or musically. The more extreme one deviates from the norm, the less frequent and more serious one is. Positive deviance is the term used to describe people who honorably exceed conventional expectations. The primary determinant of what constitutes deviance in statistical terms is the proportion of individuals engaging in the behavior compared to the total population. For example, homosexuality manifestly deviates from heterosexual relationships on this criterion.

4. Some Deviated Islamic Norms

Although Prophet Muhammad (may God bless him and his family), established serious political, social and economic foundations showed the features of life and the systematic methods that must be followed after his death so that the nation does not go astray, including the guardianship of Ali Ibn Abi Talib. But some Muslims were driven by the love of power to usurp the rule from Ali ibn Abi Talib, and thus the situation in the Islamic community deteriorated because they did not follow the approach of the Messenger of Allah. But Imam Ali, peace be upon him, during his reign he followed all the rules of Allah and urged people to do the same. Among the things that were violated is justice and equality. The Messenger of Allah adopted the principle of complete equality in the matter of distributing gifts among all Muslims, and he ordered the spoils to be distributed equally among Muslims. After the Prophet (may God bless him and his family), and for many years, Muslims gradually got used to the issue of giving privileges to individuals close to the Caliph and the ruling authority, as the method of distributing unfair gifts during the era of Caliphs Omar and Othman led to the emergence of social effect represented by the problem of class disparity among the individuals of the Islamic community, which led to the creation of a class of the destitute who did not receive the annual giving and a class saturated with wealth. (14-15: 2022). But Imam Ali (peace be upon him) showed great rigidity towards these issues, and he used to say: (1375:1 هـ كاظم حمدي) (فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيّق...) Even his companions came to him one day requesting him to have more than other people but he said: (أتأمرونني أن) (1375:19 هـ) (أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير That means, you are asking me to strive to achieve my goals through injustice and depriving people of their

rights! No, this will never happen from me, even if time passes. That is, politics at that time (i.e. in the era of the three caliphs) was managed on the basis of treachery, deceit and cunning, to the point that some of them said: Ali had no politics at all, unlike Muawiyah who, in their view, was a shrewd politician. Imam Ali (peace be upon him) handed over power to a society that had inherited corruption and many complex problems awaited it on various levels, so Imam Ali (peace be upon him) worked with his new revolutionary system that he decided to follow in order to achieve the goals for which he accepted being Caliph. (الحسيني, 14-15:2022)

5. Methodology

The data chosen will be analyzed by adopting Fairclough's (1995) model due to its being the cornerstone of the entire field of CDA. This model assumes that language is an essential part of society. Furthermore, he is the first who attempts to expose ideological and power patterns in texts. For him, the analysis of the text is divided into microanalysis and macro analysis. The micro- analysis level, is divided into discursive strategies and transitivity analysis. Macro-analysis is divided into contextual analysis, ideological squire and social analysis.

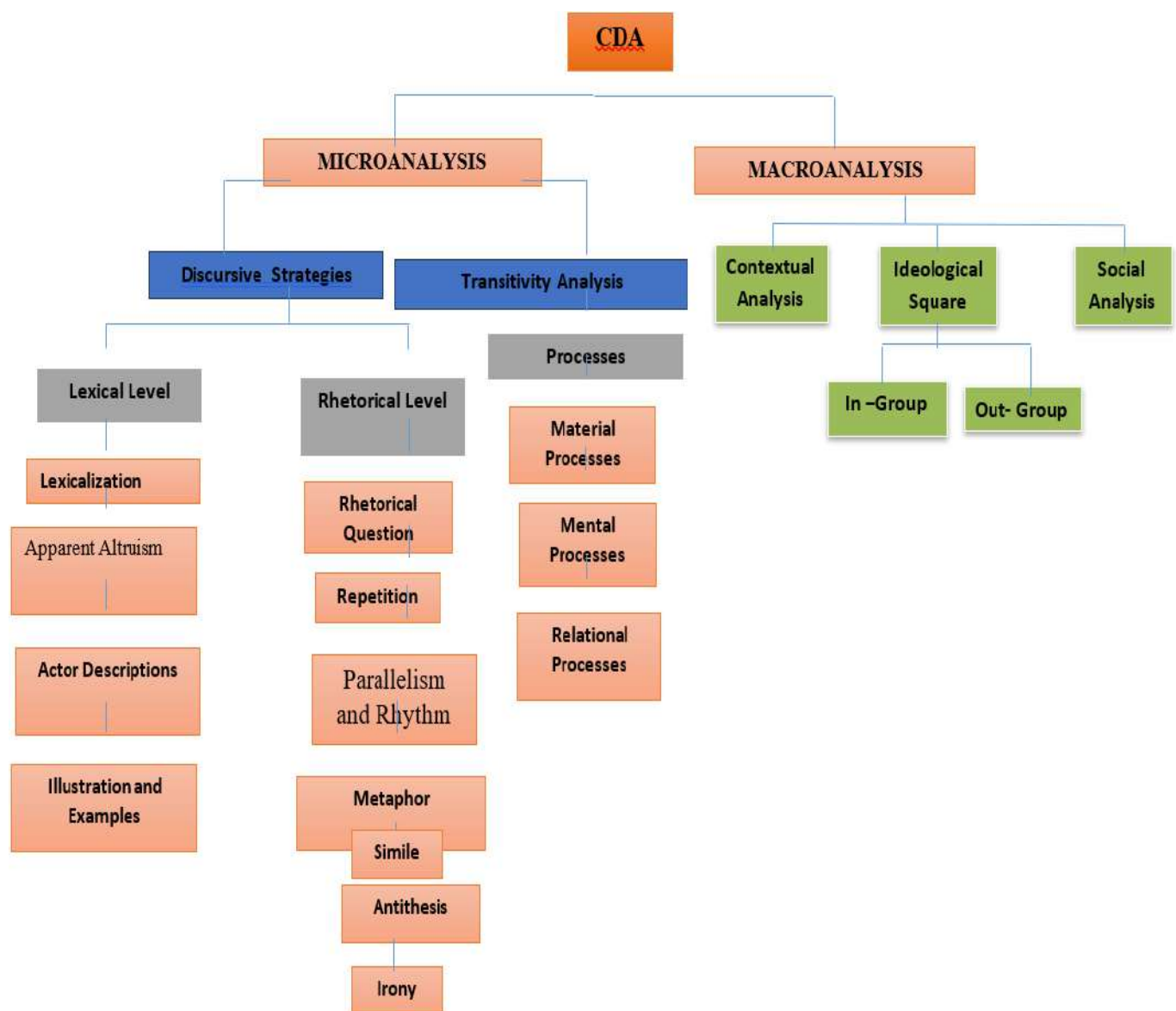


Fig.1 : The eclectic model adopted for the analysis

6. The Analysis

This section is concerned with the analysis of the following speech by Al Imam Ali (peace be upon him)

(أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ألا وإن اليوم المضممار، وغدا السباق، والسبق الجنة، والغاية النار. أفلا تأتت من خطيئته قبل منيئته! ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه! ألا وإنكم في أيام أمل من ورأيه أجل؛ فمن عمل في أيام أمه قبل خضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أجله، ومن قصر في أيام أمه قبل خضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة! ألا وإني لم أر كالجنة نام طاليها ولا كالنار نام هاربها! ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى. ألا وإنكم قد أمرتم بالطعن ودللتم على الراد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فتروا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا).

)And now, the world has turned away and announced its farewell, and the Hereafter has approached and appeared with a glimpse. Beware, today is the racetrack, and tomorrow is the race, and the lead is Paradise, and the goal is Hell. Is there no one who repents from his sin before his death? Is there no one who works for himself before the day of his misery? Beware, you are in days of hope, behind which is a term. So whoever works in the days of his hope before his death comes, his work will benefit him and his death will not harm him. And whoever falls short in the days of his hope Before his appointed time arrives, his deeds have been lost and his appointed time has harmed him. So work in your desire as you work in your fear. Indeed, I have never seen anything like Paradise, whose seeker sleeps, nor like Hell, whose fugitive sleeps. Indeed, he whom the truth does not benefit will be harmed by falsehood, and he whom guidance does not set straight will be dragged by misguidance to ruin. Indeed, you have been commanded to set out. And you have been shown the provisions, and what I fear most for you is following desires and long hopes, so take provisions in this world from this world that will protect yourselves tomorrow.

(Translated by the researchers)

6.1 Micro Analysis Level

6.1.1 Lexical level

1. Lexicalization

This part of the speech is full of lexicalization, for example the words "أقبلت" "أذنت" "أدبرت" and "أشرفت" in which Imam Ali (peace be upon him) uses these words to attract the attention of the hearer adding aesthetic affect to the text.

2. Apparent Altruism

In the above-mentioned text of Al Imam Ali (peace be upon him) the use of this device is clear since the speaker cares about the destiny of human beings in general. Al Imam Ali (peace be upon him) advises people to leave the sins and return to God. This call to the society at that time was a warning from the abuse of the rules of Islam which is concerned as social deviance.

3. Actor Description

أفلا تأتت من خطيئته قبل منيئته! ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه! ألا وإنكم في أيام أمل من ورأيه أجل

In the above-mentioned text of Al Imam Ali (peace be upon him) describes those who prefers life to heaven. Those who don't work for their afterlife will regret.

4. Illustration and Examples

الْيَوْمَ الْمَضْمَارَ وَغَدَا السَّبَّاقِ

In the speech of Al Imam Ali (peace be upon him) uses the device of illustration and example to convince the hearer that the life is something transient just like a track there is an end in it so that they must focus on their deeds and adhere to the norms of Islam. Illustrations and examples as devices powerful strategies of discourse. They are considered as a way to make the abstract facts more concrete. (Van Dijk, 1998:49).

6.1.1.2 Rhetorical Level

1. Rhetorical Question

أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ

In this speech Al Imam Ali (peace be upon him) employed rhetorical question to reflect Imam Ali's method of advice, counseling, and spiritual education, where he combines wisdom, reminders, and psychological impact, without direct accusation, which makes it more effective in moving hearts. In relation to social deviance they refer to the people who do not deny the moral failure they will be regarded as part of it.

2. Repetition

The word "أَلَا" has repeated more than one time to draw the attention of the audience so that Al Imam Ali (peace be upon him) emphasizes the urgency of each statement.

Another repetition is when Al Imam Ali (peace be upon him) repeats the structure

فَمَنْ عَمِلَ فَقَدْ نَفَعَهُ
وَمَنْ قَصَرَ ... فَقَدْ خَسِرَ

The repetition of these parallel words reinforces the gap between good and bad actions. Those who deviate from the norms of Islam will lose in comparison with who do not deviate.

3. Parallelism and Rhythm

أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ

This balance in structure (parallel construction) makes the message memorable and rhythmic, aiding in oral delivery and impact. The use of parallelism in this speech serves as a rhetorical tool to address social deviance by promoting consistency in moral actions, aligning with cultural norms, confronting moral hypocrisy, encouraging self-reflection, and enhancing the cognitive impact of the message.

4. Antithesis

لحق / الباطل – الجنة / النار

الهدى الضلال

الجنة النار

نام طالبها _ نام هاربها

These opposites expressions that are used in the above speech show the consequences of deviance. That's to say truth vs. falsehood, and reward vs. punishment, heaven vs. hell. All these words are used in a perfect way to make people warrens of what is coming when not following Allah's rule.

5. Irony

أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرِ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا!

Imam Ali, peace be upon him, used irony to criticize the religious deviation that had occurred in society, where the seeker of Paradise could not be lenient in obtaining it.

5. Metaphor

وإن اليوم المضمار، وغدا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار

In this line, Al Imam Ali (peace be upon him) described live as preparation or just like warming up. The day of judgment as a "race". The reward is heaven and the consequence of failure is hell. These lines refers to the violation of social norms, values. The manipulation of metaphor in these lines is used not only for poetic devices but also as a moral framework.

"فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ"

Al- Imam Ali (peace be upon him) associates good actions with provisions that help humanity to live. Emphasizing the necessity of doing good deeds before death, so that they will be ready to die in any time. Thus Al- Imam Ali (peace be upon him) tries to say that life is not immortal so that any human being must be ready to leave it.

6. Simile

"أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ"

Al- Imam Ali (peace be upon him) urges people to do in time of (الرغبة) the same deeds (just like worshipping and good manners) that they do it when in days of trouble and fear (الرَّهْبَةِ) because in these days humans be sincere to God in order to help them. Therefore Al- Imam Ali (peace be upon him) tries to tell people to be sincere in all of the situations whether in fear or in comfort.

6.1.2 Transitivity Analysis/ Process Type

Transitivity analysis of selected excerpts

1. Process: Material (action)

"أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ حَاطِيَّتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ!"

Participants:

Actor: "تَأْتِبُ" (the one who repents)

Goal: "حَاطِيَّتِهِ" (his sin)

Circumstances: "قَبْلَ مَنِيَّتِهِ" (before his death)

A material process occurs in the verb (repent). The Actor represents the action on the Goal (The sin). The circumstance is temporal that indicate the action should occur.

2. Mental (reaction)

"أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ!"

Participants: Sener: "أَنْتُمْ" (you) Phenomenon: "فِي الرَّغْبَةِ" (in hope), "فِي الرَّهْبَةِ" (in fear)

A material process is clear in the verb "تَعْمَلُونَ" (you work). It concentrates on the mental state hope and fear. It influences actions. Regardless of the emotional states, the comparison emphasizes the consistency of action.

"أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ"

The process in this verb is mental (reaction)

Participants:

Senser: "مَنْ" (who)

Phenomenon: "الْحَقُّ" (truth), "الْبَاطِلُ" (falsehood)

Both of the verbs "يَنْفَعُهُ" (benefits him) and "يَضُرُّهُ" (harms him) are material processes. Therefore; it concentrates on the influence of truth and falsehood on the individual.

3. Relational (attribution)

"أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا!"

Participants:

Carrier: "طَالِبُهَا" (its seeker), "هَارِبُهَا" (its evader)

Attribute: "نَامَ" (slept)

The type of process is material in the verb "نَامَ". Its function is to attribute the sleeping state of the participants. It also highlights the contrast between the evader of hell and the seeker of paradise.

6.2 Macro-analysis Level

In this level, three components will be discussed:

6.2.1. Contextual Level: Historical and Situational Analysis

This speech of Al Imam Ali (peace be upon him) is delivered to people in a period that political turmoil and moral laxity are separated in the society. Al Imam tries to awaken the people at that time from their inattentive of spiritual duties and ethical responsibilities, urging individuals to think about their actions before the inevitable approach of death. Therefore, Al Imam Ali (peace be upon him) emphasizing the necessity of repentance and self-accountability. Thus, the sermon contains vocabularies that are related to time, action and participants as in: (أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ)

6.2.2 Ideological Level

Al Imam Ali (peace be upon him) differentiates between two groups: (in-group) and (out-group) in the sense that each group has its own characteristics. 'In group' are those who adhere to divine guidance and the 'Out group' are those who deviate from divine guidance and follow their own desire.

1. In-group

"أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ!"

This line shows the nature of people who are regarded as in group. They are characterized by repentance, self-accountability. This type of people have recognized in advance the transient nature of life as it is not lasting forever but it has an end so that they try of follow the rules of Allah.

2. Out- group

"أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ"...

This line explicates the second type of people, who are seeking their desire only without thinking in death. They are procrastinating repentance because they are occupied with worldly distractions. Actually, this type of people has ideological nature that deviates from the moral norms.

6.2.3 Social Analysis

Imam Ali, peace be upon him, set some standards for society, and among these standards are social justice and Islamic morals which Prophet Muhammad (may God bless him and his family) urges Muslims to follow these values and not violate them. These values are considered as social heritage for people which they return to whenever they face a problem.

The speech of Al Imam Ali (peace be upon him) criticizes people who neglect divine commandments for their personal inclinations. Thus, this is regarded as ideological deviance because it leads to moral and spiritual decay. Therefore, Al Imam Ali (peace be upon him) makes clear the fact that there must be a correspondence between one's action with divine rules and not to follow personal desires and harboring excessive hope (اتباع الهوى و طول الأمل)

7. Conclusions

1. Al Imam Ali (peace be upon him) uses different devices in the lexical level which are lexicalization, apparent illustration and examples, actor description not only for elucidating different ideas but also for evoking deep emotional responses, so that to motivate people to align their behaviour with morals. Thus, this validates the first hypothesis which reads as "Lexicalization, apparent illustration and examples, actor description, can be the major structural devices employed within the text in relation to social deviance".
2. The eloquence of Al-Imam's words, through the use of different rhetorical devices make the text influential not only in his time but in all subsequent generations, as moral, religious and social deviation exists in all periods. This validates the second hypothesis which reads as "Antithesis, irony rhetorical question are the dominant rhetorical devices used in the speech of Al-Imam Ali (Peace be upon him)".
3. The integration of ideological analysis of the macro level, and the use of in-group and out-group analysis, elucidate the social deviance of individuals as they exceed the social norms. This validates the third hypothesis which reads as "The use of the ideological group of the macroanalysis reinforce the analysis of social deviance".

References:

- Enikeev, M.I.. 1996. *Fundamentals of General Legal Psychology*. Moscow: Hopnctb.
- Fairclough, N. (1995). *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. Longman.
- Hennerly, S. 2009. *Social Deviance: Short Introduction*. Policy Press: Cambridge.
- Komlev, Ju. 2014. *Theories of Deviant Behavior*: Tutorial [Teorii deviantnogo povedenija: uchebnoe posobie]. 2nd edition, revised and added – SPb.: «ALEFPRESS»,. (In Rus.).
- Tozhibayev, B and, Isokov, S. 2022. *Youth Social Deviation in the Process of Reforms in Uzbekistan*. Technological Institute, Namangan, Uzbekistan
- Van Dijk. 1998. *Ideology. A Multidisciplinary Approach*. London: Sage Publications.

Arabic references:

- الحسيني, علي. 2022. قيم الإنتاج في عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأثرها في التنمية الاقتصادية (35-40هـ). رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة كربلاء, كلية التربية للعلوم الإنسانية.

<https://uokerbala.edu.iq/wp-content/uploads/2022/11/Rp-The-Production-Values-in-the-Time-of-Ameer-Al-Muminean-Ali-Bin-Abi-Talib-p.b.u.h-and-their-Impact-on-the-Economic-Development-35-40-H-.pdf>

كاظم حمدي. 1375هـ. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة. مؤسسة النشر الإسلامي.

عنوان البحث

حقوق موظف الخدمة الجامعية وفقاً للقانون

د. زينب ثامر حميدي¹

¹ هيئة البحث العلمي/مركز البحوث النفسية، العراق.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/24>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/24>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة الحقوق القانونية والوظيفية لموظف الخدمة الجامعية في العراق وفقاً لقانون الخدمة الجامعية رقم (23) لسنة 2008 وتعديلاته، بوصفه الإطار التشريعي الذي ينظم أوضاع أعضاء الهيئة التدريسية والفنية في مؤسسات التعليم العالي. أوضحت الباحثة أن هذه الفئة تمثل الركيزة الأساسية للنهوض بالتعليم والبحث العلمي، ومن ثمّ منحها المشرّع مجموعة من الحقوق المالية وغير المالية لضمان استقرارها الوظيفي وتحفيز عطائها الأكاديمي.

تشمل الحقوق المالية الرواتب والعلاوات والمخصصات بنوعيتها الثابتة وغير الثابتة، ولا سيما مخصصات الخدمة الجامعية ومخصصات اللقب العلمي ومكافآت البحوث المنشورة. أما الحقوق المعنوية فتتضمن التفرغ العلمي، والترقية الأكاديمية، والإجازة الدراسية، والرعاية الصحية داخل العراق وخارجه، فضلاً عن الحق في الإيفاد والمشاركة البحثية. كما يغطي القانون الحقوق التقاعدية بموجب قانون التقاعد الموحد رقم (9) لسنة 2014، مع ضمان احتساب مدد الخدمة الجامعية والدراسية لأغراض التقاعد.

وتبيّن الدراسة أن قصور النصوص التفصيلية والغموض في التطبيق يؤديان إلى إضعاف البيئة البحثية والتدريسية، مما يستدعي تحديث التشريعات وتبسيط الإجراءات الإدارية وتعزيز الحماية القانونية لهذه الفئة الحيوية.

الكلمات المفتاحية: قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008، الحقوق المالية، الحقوق المعنوية، التفرغ العلمي، التقاعد الجامعي.

RESEARCH TITLE

The Rights of University Service Employees under Iraqi Law

Abstract

This study examines the legal and professional rights of university service employees in Iraq in accordance with the University Service Law No. (23) of 2008 and its amendments, which serve as the main legislative framework governing the conditions of faculty and technical staff in higher education institutions. The researcher emphasizes that this group represents a cornerstone of the state's development, as their role extends beyond teaching to contributing effectively to scientific research and societal progress. Accordingly, the legislator granted them a comprehensive set of financial and non-financial rights to ensure stability and promote academic productivity.

Financial rights include salaries, allowances, and benefits—particularly university service and academic title allowances, along with rewards for published research. Non-financial rights cover academic and professional privileges such as sabbatical leave, academic promotion, study leave, health care, and participation in conferences and research missions. Retirement rights are regulated under the Unified Pension Law No. (9) of 2014, which safeguards entitlements related to service duration and pension calculation.

The study concludes that certain procedural ambiguities and gaps in the law may undermine academic motivation and research quality. Therefore, it calls for updating the legal framework, simplifying administrative procedures, and strengthening the protection of faculty rights to ensure a stable and productive academic environment in Iraq.

Key Words: University Service Law No. 23 of 2008, faculty rights, financial entitlements, academic promotion, sabbatical leave, university pension system.

مقدمة

تُعَدّ الوظيفة العامة تكليفاً وطنياً وخدمة اجتماعية، تستهدف تحقيق المصلحة العامة وخدمة المواطنين في ضوء القواعد القانونية النافذة. وفي هذا السياق، يبرز دور موظف الخدمة الجامعية باعتباره أحد أركان الدولة الحديثة، فهو لا يقتصر على أداء واجباته الوظيفية فقط، بل يتجاوزها إلى المساهمة الفعالة في بناء المجتمع وتطويره من خلال مهامه الأكاديمية والعلمية والتربوية. ومقابل هذه الواجبات الجسيمة، كفل له المشرع العراقي جملة من الحقوق والامتيازات التي تضمن له بيئة عمل مستقرة ومحفزة على الإبداع والتميز. وقد عرف القانون موظف الخدمة الجامعية بأنه (كل موظف يقوم بممارسة التدريس الجامعي والبحث العلمي والأستشاره العلميه والفنية في ديوان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أو مؤسساتها ممن تتوفر فيه شروط عضو الهيئه التدريسية المنصوص عليها في قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي رقم 40 لسنة 1988 أو اي قانون يحل محله(1) .

أهمية البحث وأهدافه: - تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على حقوق فئة حيوية من موظفي الدولة، وهي فئة موظفي الخدمة الجامعية، الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إعداد الأجيال وصقل الكفاءات. ويهدف البحث إلى تحليل هذه الحقوق وتصنيفها بشكل منهجي، مع التركيز على النصوص القانونية التي تنظمها في كل من قانون الخدمة الجامعية رقم (23) لسنة 2008، وقوانين الخدمة المدنية المكمل له .

إشكالية البحث وتساؤلاته: تتمثل إشكالية هذا البحث في تحديد نطاق هذه الحقوق وتداخلها بين القوانين الخاصة بالخدمة الجامعية والقوانين العامة للخدمة المدنية. ففي بعض الأحيان، قد تبدو بعض الأحكام غير واضحة أو غير مكتملة، مما يثير تساؤلات حول كيفية تطبيقها وتوفير الحماية القانونية الكاملة لهذه الفئة. وعليه، يسعى البحث للإجابة على التساؤلات الآتية:

1- المادة (1/3) من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.

ما هي الحقوق المالية التي يتمتع بها موظف الخدمة الجامعية، وكيف يتم تنظيمها بموجب القوانين النافذة؟

ما هي الحقوق غير المالية والمعنوية التي تُعنى بتنظيم شؤونهم الأكاديمية والوظيفية؟

هل توفر القوانين العراقية حماية كافية للحقوق التقاعدية لموظفي الخدمة الجامعية؟

هيكلة البحث: - يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: يتناول الحقوق المالية لموظف الخدمة الجامعية.

المبحث الثاني: يركز على الحقوق غير المالية (المعنوية).

المبحث الثالث: يتطرق إلى الحقوق التقاعدية لهذه الفئة.

المبحث الأول: الحقوق المالية لموظف الخدمة الجامعية

تتمثل الحقوق المالية لموظف الخدمة الجامعية في مجموع ما يتقاضاه من راتب ومخصصات وأجور ومكافآت، بالإضافة إلى أي امتيازات مالية أخرى تُقرر بموجب القوانين النافذة. وعلى الرغم من أن المشرع العراقي لم يُحدد في قانون الخدمة الجامعية رقم (23) لسنة 2008 مقدار الرواتب والعلاوات، إلا أنه أحال تنظيمها إلى قوانين الخدمة المدنية، وبالتحديد قانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم (22) لسنة 2008 .

المطلب الأول: الراتب الشهري والعلاوة السنوية

يُعد الراتب المقابل المالي الذي يتلقاه الموظف شهرياً مقابل قيامه بالخدمة التي يؤديها للإدارة. كما يُعرف بأنه المقابل المالي الذي يتقاضاه الموظف العام نظير خدمته، لتمكينه من مواجهة تكاليف المعيشة⁽¹⁾ لم يحدد قانون الخدمة الجامعية رقم (23) لسنة 2008 المعدل مقدار الرواتب والعلاوات السنوية والدرجات الوظيفية لموظفي الخدمة الجامعية. وبذلك، فقد أحال المشرع تنظيم هذه الأمور إلى قانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم (22) لسنة 2008 والجدول الملحق به. وفقاً لذلك، يتم تحديد رواتب موظفي الخدمة الجامعية حتى الدرجة الأولى من سلم الرواتب والعلاوات السنوية الملحق بالقانون المذكور. أما ذوو الدرجات الخاصة، مثل وكيل الوزير ورئيس جهاز الإشراف والتقويم العلمي ورئيس الجامعة، فيتقاضون رواتب الدرجة العليا (أ). في حين يتقاضى مساعد رئيس الجامعة وعميد الكلية أو المعهد، الذين هم بدرجة مدير عام، رواتب الدرجة العليا (ب). ويستحق موظف الخدمة الجامعية علاوة سنوية عند إكماله سنة واحدة في الخدمة الوظيفية، وفقاً للمقدار المحدد في جدول الرواتب والعلاوات السنوية الملحق بقانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم (22) لسنة 2008 .

المطلب الثاني: المخصصات

تُعرف المخصصات بأنها مبالغ إضافية تُصرف للموظف علاوة على راتبه، إما مقابل أعمال إضافية، أو لتعويض نفقات معينة، أو بسبب ظروف عمله⁽³⁾. ويستحق موظف الخدمة الجامعية هذه المخصصات بالإضافة إلى مخصصات الخدمة الجامعية الخاصة به. وتنقسم المخصصات إلى أنواع ثابتة وغير ثابتة :

أولاً: المخصصات الثابتة

وهي مخصصات تُصرف للموظف مع راتبه بشكل دائم، ولا تتوقف في الإجازات الاعتيادية والمرضية والدراسية التي يتمتع بها الموظف براتب تام. وتتضمن :

مخصصات الشهادة: تُمنح بنسبة 100% من الراتب لحاملي شهادة الدكتوراه، و 75% لحاملي شهادة الماجستير، و 55% لحاملي شهادة الدبلوم العالي التي لا تقل مدة دراستها عن سنة واحدة بعد الدراسة الجامعية⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

المخصصات العائلية: تُمنح للموظف الذي يتحمل أعباء عائلية. وتتكون من:

مخصصات الإعالة: تُمنح لأحد الزوجين بقيمة 50,000 دينار شهرياً إذا كان كلاهما يتقاضيان راتباً وظيفياً أو تقاعدياً⁽⁶⁾.

مخصصات الأطفال: تُمنح بقيمة 10,000 دينار عن كل طفل، بحد أقصى أربعة أطفال، وتستمر حتى بلوغ الطفل سن الثامنة عشرة أو تركه الدراسة أو حصوله على دخل خاص.

(1) 1- مختار عيسى سليمان، الوظيفة العامة في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، عمان، 1998، ص 6

(2) لتفصيلات أكثر حول رواتب الدرجات الخاصة أنظر مالك منسي الحسيني ومصدق عادل، النظام القانوني لذوي الدرجات الخاصة في العراق، مؤسسة الصفا للطبوعات، بيروت، 2011، ص 127 ومابعداها.

(3) أن قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل أحال في كل ما لم يرد به نص بالنسبة لموضوع الراتب إلى قوانين الخدمة المدنية

(4) د. عصام البرزنجي ود. مهدي السلامي، مبادئ وأحكام القانون الإداري، مديرية الكتب للطباعة والنشر، بغداد، 1993، ص 333.

(5) المادتين (4/رابعاً) و(14) من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.

(6) أنظر المادتين 15 و16 من قانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم 22 لسنة 2008 المعدل.

ثانياً: المخصصات غير الثابتة

تُعد هذه المخصصات مؤقتة وتُمنح بصلاحيّة تقديرية وتُحجب في ظروف معينة. وتشمل :

مخصصات المنصب الاستثنائية: تُمنح لشاغلي المناصب الإدارية القيادية. ويُحدد مبلغها بموجب قانون رواتب ومخصصات مجلس الوزراء رقم (27) لسنة 2011 .

مخصصات الموقع الجغرافي: تُمنح للموظف الذي يعمل في مناطق بعيدة أو نائية. وتتراوح قيمتها بين 60,000 دينار للمناطق النائية و 20,000 دينار لمركز المحافظة⁽⁷⁾.

مخصصات الخطورة المهنية: تُمنح للموظف المستمر بالخدمة في مهن تتضمن خطورة، وهي صلاحية تقديرية للوزير أو رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارة⁽⁸⁾ .

مخصصات الإيفاد والسفر: تُمنح للموظف المكلف بمهام وظيفية داخل العراق أو خارجه بناءً على أمر تحريري .

مخصصات السكن: لا ينص قانون الخدمة الجامعية النافذ على صرف مخصصات سكن لموظفي الخدمة الجامعية .

مخصصات الخدمة الجامعية: تُعتبر من أهم الامتيازات المالية. تُمنح بنسبة 100% من الراتب الشهري لموظف الخدمة الجامعية المتفرغ أو المتفرغ علمياً. هذه المخصصات غير ثابتة وتُحجب في حالة عدم التفرغ.

مخصصات اللقب العلمي: تُمنح للموظف المستمر في البحث العلمي، وتتراوح نسبتها من 15% للمدرس المساعد إلى 50% للأستاذ من الراتب الإسمي⁽⁹⁾ .

المطلب الثالث: الأجور والمكافآت

إضافة إلى الراتب والمخصصات، يحق لموظف الخدمة الجامعية تقاضي أجور ومكافآت على أعمال محددة. أجور المحاضرات: يستحق موظف الخدمة الجامعية أجور المحاضرات لما زاد عن نصابه التدريسي المقرر. وقد حددت تعليمات الأمانة العامة لمجلس الوزراء الحد الأعلى للمحاضرات التي يجوز منح أجور إضافية عنها بثمان ساعات أسبوعياً، باستثناء أجور المحاضرات في الدراسات المسائية والدراسات العليا والإشراف بعد إكمال النصاب⁽¹⁰⁾ .

أجور ساعات العمل الإضافية: يحق لموظف الخدمة الجامعية تقاضي أجور ساعات العمل الإضافية في حالات الضرورة القصوى بعد أوقات الدوام الرسمي، بناءً على تكليف يصدر من وزير التعليم العالي والبحث العلمي. ويجب أن يصدر التكليف بأمر تحريري يحدد ماهية الضرورة والأعمال المكلف بها، ومدة الاشتغال التي لا تتجاوز ثلاثة أشهر ولا تزيد عن ساعتين في اليوم. وتُقطع هذه الأجور في حالة تمتّع الموظف بالإجازات المرضية أو الاعتيادية أو في حالة الإيفاد أو الانقطاع عن العمل الإضافي لأي سبب كان .

مكافأة البحوث المنشورة: يُمنح موظف الخدمة الجامعية مكافأة مالية مقطوعة مقدارها أربعة ملايين دينار عن كل بحث يُنشر في المجلات العالمية ذات "معامل التأثير (Impact Factor)" الذي لا يقل عن المتوسط العالمي لسنة النشر في موضوع اختصاصه⁽¹¹⁾ .

(7) المادة (11/سابعاً) من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل .

(8) هذه المخصصات تمنح استناداً إلى المادة 13 من قانون رواتب موظفي الدولة رقم 22 لسنة 2008.

(9) انظر المادة (6/و) من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.

(10) المادة (13/ثانياً) من القانون أعلاه.

(11) أنظر المادة 11 من نفس القانون.

مكافآت أخرى: يستحق موظف الخدمة الجامعية المكافأة في حالة بذله جهوداً علمية قيمة فيما يتعلق بالتأليف والترجمة والنشر، ومنها مكافأة تأليف الكتاب المنهجي، والكتاب المترجم، ومكافأة براءة الاختراع، ومكافأة التقويم العلمي واللغوي. كما يحق له الحصول على نسبة 80% من الأجور المستحقة جراء قيامه بإجراء بحوث وتجارب ونشاطات ذات علاقة باختصاص الوزارة بناءً على اتفاق أو عقد مبرم⁽¹²⁾.

المبحث الثاني: الحقوق غير المالية (المعنوية) لموظف الخدمة الجامعية

تتضمن الحقوق غير المالية لموظف الخدمة الجامعية مجموعة من الامتيازات الأكاديمية والإدارية التي لا تتعلق بالجانب المالي المباشر، بل ترتبط بتنظيم شؤونه الوظيفية والمهنية⁽¹³⁾

المطلب الأول: الحق في الرعاية الصحية

يُعد الحق في الرعاية الصحية من أبرز الحقوق المعنوية لموظف الخدمة الجامعية، كونه يضمن سلامته البدنية والنفسية، مما ينعكس إيجاباً على أدائه الوظيفي والإنتاجية العلمية. ينص الملف المرفوع على أن "لموظف الخدمة الجامعية الحق في الرعاية الصحية من خلال تحمل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أو المؤسسة التعليمية تكاليف علاج الموظف خارج العراق إذا تعذرت المعالجة داخل العراق بناءً على تقرير صادر من لجنة طبية مختصة". وقد ورد هذا الحق في المادة (8) من قانون الخدمة الجامعية رقم (23) لسنة 2008 المعدل.

ورغم أن القانون لم يحدد مصدر تمويل هذه التكاليف، إلا أن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وضعت عدة ضوابط إدارية لصرفها، وذلك لضمان شفافية الإجراءات وتحديد المسؤوليات. وتتضمن هذه الضوابط ما يأتي:-

وجوب تقديم تقرير طبي: يجب على الموظف تقديم تقرير طبي من جهة طبية رسمية داخل العراق يوضح أن حالته الصحية تستدعي العلاج في الخارج وأنه يتعذر علاجه داخل البلاد تقديم تقرير طبي من الخارج: يجب أيضاً تقديم تقرير طبي من جهة طبية خارج العراق يُحدد تكاليف العلاج المتوقعة.

صرف سلفة أو تكاليف لاحقة: في حالة الموافقة على طلب العلاج، تُصرف للموظف سلفة مالية مقدماً قبل السفر، أو تُصرف التكاليف لاحقاً بعد العلاج بناءً على وصولات معتمدة.

تصديق الوثائق: يجب أن تكون جميع الوثائق والوصولات مصدقة من السفارة العراقية في بلد العلاج، استناداً إلى قانون تصديق التوقيعات على المستندات والوثائق العراقية والأجنبية رقم (52) لسنة 1970 المعدل.

المطلب الثاني: الحقوق الأكاديمية

تتعلق هذه الحقوق بشكل مباشر بطبيعة العمل الأكاديمي والبحثي لموظف الخدمة الجامعية، وتهدف إلى تطوير قدراته العلمية ورفع مكانته المهنية.

أولاً: الحق في التفرغ العلمي

يُقصد به فترة يتفرغ فيها عضو هيئة التدريس لإجراء الأبحاث والدراسات العلمية بهدف رفع مستواه العلمي وزيادة إنتاجه. يُمنح هذا التفرغ بقرار من وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ويُتاح للأستاذ أو الأستاذ المساعد أو المدرس مرة واحدة كل خمس سنوات لمدة سنة دراسية أو فصل دراسي واحد⁽¹⁴⁾.

(12) ماهر صالح علاوي الجبوري، مبادئ القانون الإداري، دراسة مقارنة، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1996.

(13) أنظر المادة 16/أولاً من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل، والمواد 15 و 16 و 5 من تعليمات تعضيد البحث العلمي رقم 51 لسنة

1992 المعدلة بالتعليمات رقم 163 لسنة 2010

(14) المادة (3/ثانياً) من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.

ثانياً: الحق في الترقية العلمية: هي انتقال عضو هيئة التدريس من مرتبة علمية إلى مرتبة أعلى بعد استيفاء الشروط والمتطلبات المحددة قانوناً. ويترتب على الترقية العلمية آثار وظيفية ومعنوية، مثل التمتع بحقوق وامتيازات المرتبة الجديدة، وزيادة المهام، واكتساب مكانة أكاديمية مرموقة. وقد حدد المشرع العراقي شروطاً للترقية إلى مرتبة "مدرس"، و* "أستاذ مساعد"، و* "أستاذ"، وتتضمن قضاء مدة معينة في المرتبة السابقة، والحصول على معدل تقييم محدد، ونشر عدد من البحوث العلمية⁽¹⁵⁾

ثالثاً: الحق في الإجازة الدراسية

هي حق مقرر للموظفين للحصول على شهادة أعلى من الشهادة التي يحملونها⁽¹⁶⁾. تُمنح الإجازة الدراسية بقرار من الوزير المختص، أو رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارة⁽¹⁷⁾ وتُعد خدمة فعلية لأغراض العلاوة والترفيه والتقاعد في حال الحصول على الشهادة المتعاقد عليها. وتُمنح براتب ومخصصات ثابتة⁽¹⁸⁾.

رابعاً: الحقوق الأكاديمية الأخرى

تشمل هذه الحقوق مجموعة من الامتيازات التي تدعم الجانب المهني والبحثي لموظف الخدمة الجامعية، ومنها -الإيفاد لأغراض أكاديمية: يجوز لوزير التعليم العالي والبحث العلمي إيفاد عضو هيئة التدريس خارج العراق للمشاركة في المؤتمرات والندوات أو لإجراء البحوث⁽¹⁹⁾.

-التعويض العلمي: يشمل إنجاز المشاريع البحثية، وتأليف الكتب المنهجية، والمشاركة في الترجمة، حيث تُصرف لقاء ذلك مكافآت مادية أو عينية⁽²⁰⁾.

-العمل الاستشاري: يُسمح لموظف الخدمة الجامعية بممارسة العمل الاستشاري من خلال تأسيس مكاتب خدمات علمية واستشارية⁽²¹⁾.

-الاحتفاظ باللقب العلمي: يحق لحامل اللقب العلمي من حملة شهادة الدكتوراه الاحتفاظ بلقبه عند تعيينه في الجامعات العراقية⁽²²⁾.

(15) أنظر في ذلك تعليمات الترقية العلمية رقم 167 لسنة 2017.

(16) حيث عرف البعض الإجازة الدراسية أنها (الإجازة التي تمنح للموظف لتحسين مستواه العلمي والفني أو المهني أو الثقافي إذا كان لهذا التحسين علاقة مباشرة بمهام وواجبات الموظف الوظيفية) أنظر في ذلك د. عادل الطبطبائي، قانون الخدمة المدنية الكويتي الجديد، 1983، ص 109. أنظر كذلك قاسم تركي، الإجازة الدراسية للموظفين مقال منشور في مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، مجلد 32 لسنة 2017.

(17) تعد سلطة رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارة سلطة مقيدة تخضع لسلطة الوزير وذلك منعا للتعسف في استخدام صلاحيته هذه.

(18) لمعرفة تفصيلات أحكام وشروط منح الإجازة الدراسية أنظر المادة 50 من قانون الخدمة المدنية رقم 24 لسنة 1960، كذلك تعليمات منح الإجازة الدراسية رقم 165 لسنة 2011.

(19) أنظر في ذلك تعليمات إيفاد أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات وهيئة التعليم التقني والهيئة العراقية للأختصاصات الطبية الى خارج العراق رقم 4 لسنة 1989.

(20) أنظر في ذلك تعليمات التعويض والبحث العلمي رقم 51 لسنة 1992 وتعليمات تأليف وترجمة الكتب المنهجية رقم 32 لسنة 1990.

(21) نظم قانون مكتب الخدمات العلمية والاستشارية في مؤسسات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي رقم 7 لسنة 1997 والتعليمات التنفيذية الصادرة بموجبه رقم 128 لسنة 1999 كيفية ممارسة العمل الاستشاري لموظفي الخدمة الجامعية

(22) أنظر المادتين 11/12 وخامسا من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.

المبحث الثالث: الحقوق التقاعدية لموظف الخدمة الجامعية

تتعلق الحقوق التقاعدية بالامتيازات التي يستحقها موظف الخدمة الجامعية بعد انتهاء خدمته الوظيفية⁽²³⁾. وعلى الرغم من أن النص المرفق لا يخصص مبحثاً كاملاً للحقوق التقاعدية، إلا أنه يشير إليها في سياق الحديث عن الإجازات

المطلب الأول

الحق في الإجازات الاعتيادية والمرضية والعطلة السنوية

يتمتع موظف الخدمة الجامعية بالحق في الإجازات الاعتيادية، وهي إجازة براتب تام تُمنح لمدة (15) يوماً، عن كل سنة دراسية. كما يجوز له جمع هذه الإجازات وتراكمها. والمشرع لم يضع حداً أعلى لتراكم الإجازات الاعتيادية، على عكس مشروع قانون الخدمة المدنية الذي حدد حداً أقصى بـ (180) يوماً⁽²⁴⁾.

ويُعتقد أن الحكمة من وراء هذا التراكم غير المحدود هو إمكانية الاستفادة من هذه الإجازات المتراكمة كخدمة تقاعدية عند إحالة الموظف على التقاعد، بناءً على طلب تحريري يُقدم منه .

وفيما يتعلق بالإجازات الأخرى، يستحق موظف الخدمة الجامعية إجازة العطلة السنوية لمدة (60) يوماً⁽²⁵⁾. ولرئيس الجامعة صلاحية دعوته لأداء واجبات رسمية خلال هذه العطلة، على أن يتم تعويضه بمدة مماثلة أو ما يعادل ذلك من راتب ومخصصات شهرية. ولا يجوز تكرار هذا التكليف سنتين متتاليتين إلا بموافقة .

أما الإجازة المرضية، فيستحق الموظف إجازة مرضية براتب تام بمعدل (30) يوماً عن كل سنة كاملة من الخدمة، وخمسة وأربعين يوماً بنصف الراتب. ويجب ألا تتجاوز مدة الإجازة المرضية في المرة الواحدة (120) يوماً براتب تام، يليها (90) يوماً بنصف الراتب. ويشمل ذلك أيضاً الإجازات المرضية الخاصة المنصوص عليها في القوانين، مثل إجازة مرضية بحد أقصى (3) سنوات براتب تام في حالة الإصابة بمرض مستعصٍ أو خبيث. ويُشترط في منح الإجازات الاعتيادية والمرضية والخاصة مراعاة الأنظمة والتعليمات السارية⁽²⁶⁾.

المطلب الثاني

الحقوق التقاعدية الأخرى

يخضع موظف الخدمة الجامعية لأحكام قانون التقاعد الموحد رقم (9) لسنة 2014، وأهم ما نص عليه:

1. شروط الاستحقاق: خدمة لا تقل عن 15 سنة، أو بلوغ السن القانونية (63 سنة)، أو الإحالة بطلب تحريري إذا بلغت الخدمة 20 سنة.
2. احتساب الخدمة التقاعدية: تشمل الخدمة الفعلية والإجازات المجمعة والخدمة العسكرية والدراسية.
3. احتساب الراتب التقاعدي: بنسبة (2.5%) عن كل سنة خدمة تقاعدية، وبحد أقصى 80% من الراتب الأخير.
4. حقوق ذوي المتوفى: صرف راتب تقاعدي للورثة المستحقين.

(23) نجيب خلف أحمد، القانون الإداري، دار المسلة للطباعة والنشر، 2022، ص 17.

(24) أنظر المادة (10/أولاً/ثانياً) من قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.

(25) أنظر المادة (10/ثالثاً) من القانون أعلاه.

(26) لتفصيل أكثر أنظر المواد 2/ج من تعليمات اللجان الطبية رقم 1 لسنة 1995 المتضمنة لية تشكيل لجان طبية خاصة بموظفي وزارة التعليم العالي

والترتبة كذلك المادة (2/أولاً) من قانون العجز الصحي للموظفين رقم 11 لسنة 1999.

5. المكافآت والتعويضات: مكافأة نهاية خدمة لمن لم يكمل 15 سنة، وتعويض خاص في حالة العجز أو الوفاة أثناء الخدمة.
6. استثناءات خاصة: احتساب مدد الدراسة العليا (ماجستير ودكتوراه) لأغراض التقاعد، وإمكانية مضاعفة بعض مدد الخدمة الجامعية تشجيعاً للكادر الأكاديمي.

خاتمة

في ختام هذا البحث، الذي تناول حقوق موظف الخدمة الجامعية وفقاً للقوانين العراقية النافذة، يمكن القول إن المشرع قد أولى هذه الفئة اهتماماً خاصاً، نظراً لدورها المحوري في بناء المجتمع وتنميته. لقد تم تبين أن هذه الحقوق تتوزع على محاور أساسية هي: الحقوق المالية، والحقوق غير المالية (المعنوية)، والحقوق التقاعدية.

النتائج

من خلال تحليل النصوص القانونية المتاحة، تم التوصل إلى النتائج الرئيسية الآتية:

- شمولية الحقوق: كفل المشرع العراقي لموظف الخدمة الجامعية مجموعة شاملة من الحقوق المالية وغير المالية التي تغطي جوانب متعددة من حياته المهنية والشخصية، بما في ذلك الراتب، والمخصصات، والأجور، والإجازات .
- أهمية المخصصات: تُعد المخصصات المالية، وبخاصة مخصصات الخدمة الجامعية، من أهم الامتيازات التي تُمنح بنسبة تصل إلى 100% من الراتب الشهري للموظف المتفرغ، مما يعكس تقدير المشرع للدور الأكاديمي .
- دعم البحث العلمي: تهدف الحقوق غير المالية، مثل التفرغ العلمي ومكافأة البحوث المنشورة، إلى تحفيز الإبداع والإنتاج العلمي، مما يعزز مكانة الجامعة كمؤسسة بحثية مرموقة .
- نقص في التفاصيل: رغم شمولية الحقوق، إلا أن بعض جوانبها، مثل الحق في الرعاية الصحية خارج العراق، لم يُفصل القانون فيها بشكل كافٍ، وأُحيلت إلى ضوابط إدارية، مما قد يترك مجالاً للغموض في التطبيق .

التوصيات

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها، يوصي البحث بما يأتي:

- تحديث النصوص القانونية: ضرورة مراجعة وتحديث القوانين الخاصة بالخدمة الجامعية لتكون أكثر وضوحاً وشمولاً، خاصة فيما يتعلق بآليات صرف المخصصات وتحديد شروطها بشكل دقيق.
- تعزيز الحقوق التقاعدية: يجب العمل على تضمين تفاصيل أكثر وضوحاً في النصوص القانونية بخصوص الحقوق التقاعدية، مثل كيفية احتساب الإجازات المتراكمة كخدمة فعلية، لضمان حقوق الموظف عند التقاعد .
- تسهيل الإجراءات الإدارية: تبسيط الإجراءات المتعلقة بالحقوق، وخاصة الإجازات المرضية والعلاج خارج العراق، لضمان حصول الموظف على حقه ببسر وسهولة، دون تعقيدات بيروقراطية .
- مواكبة التطورات العالمية: تحديث القوانين واللوائح بشكل مستمر لمواكبة التطورات العالمية في مجال التعليم العالي والبحث العلمي، لضمان بيئة عمل محفزة ومناسبة لموظفي الخدمة الجامعية

المصادر

- 1-د. عصام البرزنجي ود. مهدي السلامي، مبادئ وأحكام القانون الإداري، مديرية الكتب للطباعة والنشر، بغداد،.
- 2-ماهر صالح علاوي الجبوري، مبادئ القانون الإداري، دراسة مقارنة، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1996،
- 3-د. عادل الطبطبائي، قانون الخدمة المدنية الكويتي الجديد، 1983،.
- 4- قاسم تركي، الاجازة الدراسية للموظفين مقال منشور في مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، مجلد 32 لسنة 2017.
- 5-مختار عيسى سليمان، الوظيفة العامة في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، عمان، الجامعة الاردنية، 1998.
- 6-مالك منسي الحسيني ومصدق عادل، النظام القانوني لذوي الدرجات الخاصة في العراق، مؤسسة الصفا للمطبوعات، بيروت، 2011.
- 7- نجيب خلف أحمد، القانون الإداري، دار المسلة للطباعة والنشر، 2022.
- 8- أحمد سليم سغفان، قانون الوظيفة العامة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2017.
- 9-علي مرهد أيوب، الوظيفة العامة في لبنان واجبات وحقوق، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 1999.
- 10- علي عمر فتاح، مرشد في الوظيفة العامة، بغداد، 2011

القوانين

- 1-قانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008 المعدل.
- 2- قانون التعديل الاول لقانون الخدمة الجامعية رقم 23 لسنة 2008.
- 3- قانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم 22 لسنة 2008 المعدل.
- 4- قانون الخدمة المدنية رقم 24 لسنة 1960.
- 5- قانون مكتب الخدمات العلمية والاستشارية في مؤسسات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي رقم 7 لسنة 1997 والتعليمات التنفيذية الصادرة بموجبه رقم 128 لسنة 1999 .
- 6- تعليمات تعضيد البحث العلمي رقم 51 لسنة 1992 المعدلة بالتعليمات رقم 163 لسنة 2010
- 7- تعليمات الترقية العلمية رقم 167 لسنة 2017.
- 8- تعليمات منح الاجازة الدراسية رقم 165 لسنة 2011.
- 9- تعليمات ايفاد أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات وهيئة التعليم التقني والهيئة العراقية للأختصاصات الطبية الى خارج العراق رقم 4 لسنة 1989.
- 10- تعليمات التعضيد والبحث العلمي رقم 51 لسنة 1992 .
- 11- تعليمات تأليف وترجمة الكتب المنهجية رقم 32 لسنة 1990.
- 12- تعليمات اللجان الطبية رقم 1 لسنة 1995 المتضمنة لية تشكيل لجان طبية خاصة بموظفي وزارة التعليم العالي والتربية .

عنوان البحث

**مواقف الأهل ومدى معرفتهم حول استخدام الريتالين وأثره الاجتماعي على الطفل،
وأعراضه الجانبية كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط**

أ. شريهان مصاروة¹؛ و د. هيام صندوقة²؛ و أ.د. خالد أبو عصب³

¹ المركز التكنولوجي، بيت بيرل، فلسطين.

² مديرية التربية والتعليم، محافظة القدس، فلسطين.

³ الجامعة العربية الأمريكية، فلسطين.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/25>

<https://arsri.org/10000/611/25> المعرفة العلمي العربي للأبحاث:

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدفت الدراسة إلى فحص مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط. وفحص الفروق لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لهذا الاضطراب، تم استخدام المنهج الكمي الارتباطي في الدراسة. تكون مجتمع البحث من ثلاث مدارس من الصفوف الأولى حتى الثالثة في مدينة الطيبة، وقد تم اختيار 200 من الآباء والأمهات لطلاب ذوي اضطراب التركيز والنشاط المفرط من هذه المدارس بطريقة عشوائية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وتم التحقق من صدقها بواسطة عرضها على محكمين، ومن ثباتها من خلال معامل كرونباخ ألفا، وتم تحليل النتائج بالطريقة الإحصائية.

أظهرت النتائج أنّ مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط جاءت بدرجة متوسطة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تعزى للمستوى الثقافي والجيل والوضع الاقتصادي للعائلة، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تعزى لجنس الأهل لصالح الآباء.

الكلمات المفتاحية: الريتالين، الأثر الاجتماعي، اضطراب التركيز والنشاط.

RESEARCH TITLE**Parents' attitudes and their knowledge of the use of Ritalin, and the social effect on the child, and its side effects as a treatment for ADHD****Abstract**

The aim of this paper is to test parents' attitudes on using Ritalin to treat Attention Deficit Hyperactivity Disorder, most commonly known as ADHD on their children. The paper also examines the socio-economic, gender and age factors among parents that lead to different stands on using Ritalin for their children.

The quantitative method was used in this research. A proper tool that matches the study's targets. Data was collected from 200 parents of children diagnosed with ADHD from the first till the third grade. The schools were randomly selected and the school counselors provided a list of pupils diagnosed with ADHD that we chose according to their age. After the data was collected; it was statistically analyzed using the research's question, main and sub hypotheses.

The results showed that: Parents standpoints were average on the use of Ritalin in all parameters and general stance. Socio-economic and age factors showed no apparent differences with statistical significance. The parents' gender played a factor on prescribing Ritalin to their children as statistics showed that the male parent (AKA the father) inclined towards using Ritalin more than the mother.

It can be deduced from the research results that parents' attitudes concerning Ritalin use are not positive but tend to be more reluctant and disapproving. Furthermore, despite the fact that ADHD is a major concern for parents with children suffering from the disorder; Ritalin use is not agreeable or likeable solution. This can be contributed due to parents' insufficient information on Ritalin, the proper use and dose for their children and not following up the treatment with a doctor.

A future study is recommended to answer this research question: Are there any differences towards the use of Ritalin for children with ADHD between parents who have taken parental workshops and doctor's follow-up and between parents who have not participated in parental workshops.

Key Words: Ritalin, social impact, Attention deficit hyperactivity disorder.

المقدمة

يعتبر اضطراب التركيز والنشاط المفرط من أكثر الاضطرابات شيوعاً، ولهذا الاضطراب تأثير بارز (سلبي على الأغلب) على النواحي التعليمية، الاجتماعية والعاطفية، إلا أنَّ قضية الجدل الدائر حول تقديم دواء الريفالين للأطفال الذين يعانون من هذا الإضطراب لم تحسم نهائياً، فهناك من يؤيد وهناك من يعارض اعطاء هذا الدواء ولكل فريق منهما توجد الاسباب والتعليقات لمواقفه.

هناك من يؤيد تقديم دواء الريفالين لعلاج مشكلة الطالب الذي لم ينجح في دراسته بسبب اضطراب الانتباه والنشاط المفرط لديه، إذ أن الدواء يحد من هذا الاضطراب ويجعله منشغلاً في نشاطه التعليمي في المدرسة. بالمقابل، هناك من يعارض تناولها بسبب ضررها وآثارها الجانبية الجسدية والنفسية، أو بسبب القضية الأخلاقية التي تثار حول الموضوع، حيث أننا غير مخولين للتدخل في نفسية الطفل ولا يسمح لنا حتى لو كنا آباء، أن نتدخل في شخصية الطفل وتكوينه المولود.

هدفت الدراسة التعرف لموقف الاهل إزاء اللجوء لاستخدام الرتالين لعلاج اضطراب التركيز والنشاط المفرط، والتطرق للأعراض وكيفية التشخيص والعلاج، وانعكاس استخدامه على الطالب والاهل على حد سواء وتأثيره على الاصعدة النفسية، الاجتماعية والطبية؛ نظراً للمواقف المتضاربة حول استعمال الرتالين لعلاج هذا الإضطراب؛ لما فيها ضرر وتأثير سلبي على الطالب ونموه الجسدي والعقلي.

بالنسبة للسياق الثقافي الاجتماعي لهذا الموضوع، يصنف ذوي اضطراب التركيز والنشاط المفرط كفئة من فئات ذوي الاحتياجات الخاصة، وفي مجتمعنا العربي هناك نظرة سلبية تجاه هذه الفئة، حتى الأهل يدخلون بأبنائهم ذوي الاحتياجات الخاصة ويتوجهون لهم بشكل سلبي، فتشير نتائج دراسة القشاعلة (אלקשאוול, 2007) أن مواقف الأهل من أبنائهم ذوي الاحتياجات الخاصة سلبية جداً، كما أن المعلمين لديهم اتجاهات سلبية نحوهم باستثناء معلمي التربية الخاصة (תארי, 2004)، كما أن للطلاب العاديين اتجاهات ونظرة سلبية أيضاً تجاه هذه الفئة من الطلاب للمجتمع العربي عامة (السبيعي، 2009)، هذه الاتجاهات السلبية للمعلمين والطلاب تؤثر سلباً على وضع ذوي الاحتياجات الخاصة الاجتماعي داخل المدرسة وخارجها (العزة، 2002). وتشير دراسة الروسان (2000) لأهمية مواقف الطلاب والمعلمين في المدارس العادية اتجاه الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة المُدمجين وتقبلهم لهم؛ فهذه المواقف تؤثر على الطلاب العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة من ناحية اجتماعية وتحصيلية.

من ناحية أخرى، فإن ذوي الاضطراب في التركيز والنشاط المفرط يستخدمون الرتالين وهو نوع من السموم، ومن الناحية الدينية السموم محرمة وتؤدي للإدمان، وهذا سبب آخر يجعل نظرة المجتمع تجاه الذين يستخدمون الرتالين أكثر سلبية (الدوسري، 2009)، وهناك حركات اجتماعية ودينية ترفض التدخل الطبي والنفسي، وترى في استخدامه وبقية الأدوية النفسية وسيلة مرفوضة؛ لاعتقادهم أن علم النفس لا يصل لمستوى العلم المثبت، من بين هذه الأوساط الراضية للفكرة نجد رابطته حماية حقوق الإنسان والتي تدير لوبي ضد استخدامه (Silveira, Lejderman, Ferreira, & Rocha, 2014).

وفقاً للصعوبات والصراعات التي تواجهها كمعلمين وأخصائيين في التربية الخاصة في علاقتنا وتعاملنا اليومي مع طلاب ذوي اضطراب التركيز والنشاط المفرط، تم الإنطلاق لدراسة هذا الموضوع والتوسع فيه بشكل عميق، من خلال بحوث ودراسات ونتائج سابقة، وللإجابة على الاسئلة التالية:

- ما هي مواقف الأهل تجاه استخدام الريفالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط؟
- هل توجد فروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريفالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى لمتغيرات: المستوى الثقافي، الجيل، الجنس والمستوى الاقتصادي؟

الخلفية النظرية

اضطراب الإصغاء والنشاط المفرط واستخدام الريتالين

يمكن أن نفقد في بعض الأحيان القدرة على التروي والتركيز والتحكم في تصرفاتنا واندفاعتنا، خاصة إذا كنا مرهقين ووقعنا لضغوطات حياتية، ولكن تلك المشاكل تتفاقم لبعض الأطفال وتصبحهم في فترة المراهقة وتستمر معهم حتى البلوغ، لدرجة تؤثر على قدرتهم لأداء واجبات حياتهم اليومية المنوطة بهم، وعند التوقف أمام تلك الحالات يمكننا التعرف لوجود إعاقة تُعرف باضطراب نقص الانتباه والنشاط الحركي المفرط "Attention Deficit and Hyperactivity Disorders" اضطراب ADHD.

يعرف اضطراب الاصغاء والنشاط المفرط بأنه اضطراب عصبي يؤدي لخلل في التركيز والاصغاء وحركة زائدة أو بدونها، الخلل في الاصغاء يعني عدم قدرة الفرد لاختيار المحفز الأساسي والمهم من مجموعة المحفزات المحيطة به، وعدم القدرة على التركيز للمحفز الأساسي والرد عليه بصورة إيجابية، بمعنى أن تفكير الطالب الذي يعاني من اضطراب في الاصغاء ينحرف من الموضوع المركزي الأساسي المتناقش في وقت معطى (Morton & Stockton, 2000).

التعريف السلوكي لقلة الانتباه وفرط الحركة، عرفه باركلي "في نظريته عن قلة الانتباه وفرط الحركة على أنه: "اضطراب في منع الاستجابة للوظائف التنفيذية حيث قد يؤدي إلى قصور في تنظيم الذات وعجز في القدرة على تنظيم السلوك تجاه الأهداف الحاضرة والمستقبلية مع عدم ملائمة السلوك بينيا". يعرف برجن الأطفال ذوي قلة الانتباه وفرط الحركة على أنهم: "لم يحصلوا على اهتمام من الوالدين، فحدث لهم هذا الاضطراب السلوكي". يعرفه تشير نومازونا على أنه "اضطراب نتيجة النشاط الحركي البدني والنشاط العقلي للطفل عندما يكون في حالة هيجا ثورة لانتصاره على أي شيء ممنوع عنه، وأكد جوردين بأن الأطفال ذوي قلة الانتباه وفرط الحركة الذين يعانون مشاكل متعلقة بالوظيفة التنفيذية أثناء التعلم قد تكون السبب لإعاقة نموهم الأكاديمي ومعاناتهم من صعوبات العمليات اللفظية المتصلة باللغة (اليوسفي، 2005).

مما سبق، نجد أن قلة الانتباه وفرط الحركة عبارة عن اضطراب سلوكي، والطفل المصاب قابل للتشتت مما يؤثر على تركيزه، الحركة الزائدة تظهر للتلميذ عندما يرد حركياً على كل محفز، وتكون كمية حركاته أكثر من المقبول ويكون غير مطمئن وغير هادئ، ويعاني من الفعالية الزائدة، حيث يكثر من القيام من مكانه والالتفاف داخل غرفة التدريس، ولا يكون متمحوراً بالمهمة أو الفعالية داخل الصف؛ لذلك يميل لمضايقة زملائه، كما أنّ حركته الزائدة تعيق مهاراته التعليمية وتمس بالمهام التي تتطلب المواظبة، وقد تؤدي للإستخدام بينه وبين معلميه أو أبناء صفه لإثارتها الانتباه الآخرين، وقد يفسرها المعلمون بأنها عبارة عن عدم طاعة التلميذ لنظام المدرسة، مما يؤدي لعلاقات متوترة بين التلميذ والمدرسة (Parkes et.al, 2015).

لهذا، فالتألم المصاب بالاضطراب لا يصل للتحصيل الدراسي المطلوب، ويسبب المشاكل لزملائه ومعلميه في الصف، والازعاج لوالديه وأخوته في إطار العائلة والمجتمع، مما يؤثر على حياته ومن حوله يشمل الآباء والمعلمين (Partridge & Hall, 2013).

من جهة ثانية أشارت البحوث أن اضطراب ADHD ينشأ عن تلف في المخ أو اضطراب الجهاز العصبي المركزي؛ لوجود تشابه بين أعراض هذا الاضطراب وأعراض أطفال مصابين بآفات دماغية؛ لذلك ساد الاعتقاد الشائع أن نقص الانتباه والنشاط الزائد وضعف التحكم بالدوافع يعد علامة للإصابة الدماغية (1996، 2001).

ورغم تعدد المصطلحات المستخدمة لتوضيح طبيعة هذا الاضطراب؛ إلا أن هناك اتفاقاً بين العلماء بخصوص الخصائص

والصفات السلوكية المميزة لهذا الاضطراب، والأعراض الثانوية المصاحبة له مثل: التحصيل الدراسي المنخفض اضطراب المزاج، القلق والاكتئاب، وعدم التوافق النفسي والاجتماعي (بأركلي، 2003).

يعتبر الريفالين من أكثر العلاجات شيوعاً لعلاج هذا الاضطراب فهو العلاج المركزي، ويعتبر علاجاً سريعاً وفعالاً، تجدر الإشارة أن هذا العلاج لا يستهدف الاضطراب نفسه بل يعالج أعراضه، وذلك للتخفيف على المصاب ليتمكن من الدراسة والعمل وممارسة النشاط الاجتماعي (Cohen, & Shlafman, & Ifergane, 2015).

تفيد المنبهات العصبية في علاج النشاط المفرط وقلة التركيز على عكس ما هو متوقع، فهي تؤدي لزيادة فترات التركيز، ولا تعطى هذه المنبهات إلا للأطفال في سن المدرسة وما بعدها، ومن أهم هذه الادوية الريفالين-ميثيل فينيدات، ولتناول هذا النوع التوفير بين كافة التدابير العلاجية واتباع البرنامج العلاجي بدقة لتحقيق افضل النتائج الممكنة للمدى البعيد.

الريفالين هو الاسم التجاري لمادة ميثيل فينيدات وهي مادة فعالة نفسياً، تنتمي هذه المادة لمجموعة مثيل امينات، وتركيبها الجزيئية الكيميائية ($C_{14}H_{19}NO_2$) تشبه تركيبة مخدرات الكوكايين، مادة الأدرنالين، الدوبامين وغيرها، تسوق هذه المادة تحت أسماء تجارية مثل: ريتالين (أو ريتالين SR أو ريتالين LA) وكونسيرتا وأسماء أخرى، من الناحية القانونية فالمادة مدرجة في قائمة المخدرات الخطيرة (الفئة C)، وبهذا فهي ملزمة بوصفة طبيب مختص (Hammerness, Fried, & Petty, 2014).

يعمل الريفالين على تنشيط جهاز الاعصاب المركزي ويستعمل كعلاج نفسي لاضطرابات الاصغاء والنشاط المفرط، واضطرابات النوم نركوليبسيا (גולן, 2004; לוקוב, 2007). مما لا شك فيه أن الريفالين يندرج تحت قائمة المواد المنشطة، لمعالجة الاضطرابات الناتجة عن قلة الانتباه وزيادة النشاط عند الأطفال، فعند تناوله يصبح الطفل المفرط النشاط أقل نشاطاً لما يحتويه من مواد كيميائية كعنصر الهيدروكلوريد في حالة النشاط المفرط يكون للمادة تأثير مهدئ رغم كونها ذات تأثير منشط على الدماغ، مما يساعد المخ على التحكم في الانتباه والسلوك (Babcock & Byrne, 2000; & Beyer et al, 2014).

من المعروف أن الريفالين مستعمل منذ سنوات الخمسين من القرن العشرين، وقد وجدت له استعمالات أخرى ليست بالضرورة في أوساط الأطفال، كتحسين الذاكرة لأولئك الذين لا يعانون من اضطراب الإصغاء، كما استعمل في حرب الغفران عام 1973 في أوساط الجيش المصري كمادة منشّطة ومنبهة (Silveira, et al., 2014).

حسب القانون الإسرائيلي فإن مادة ميثيل فينيدات معروفة كمسببة للإدمان، ولهذا تسري عليها قواعد صارمه، إذ يُسمح باستعمالها فقط لأغراض طبية، وهي ملزمة بوصفة من طبيب مختص، والعمر الأدنى لإعطاء الدواء هو ست سنوات، وهناك ضرورة للتشخيص في الصيدلية، بالرغم من هذه القواعد الصارمة، فهناك ادعاء أن الاستعمال فوضوي ومبالغ فيه، فقد وجد من يخرق القانون بناء على قرار رابطة طب الأطفال الأمريكية التي قررت سنة 2011 تقديم الدواء ابتداء من سن 4 سنوات، اذا تم تشخيص الاضطراب لتحسين احتمالات نجاح الطفل في سن الروضة (لوكوب وפרדמן, 2007).

يعتبر ميثيل فينيدات بأنه مضادات نفسية، ويوصف لزيادة نشاط الجهاز العصبي المركزي، وينتج تأثيرات للحفاظ على القظة ومكافحة التعب وتحسين الاهتمام، ويوصف أيضاً للاستخدام خارج التسمية في حالات مقاومة العلاج من الاضطراب الثنائي القطب والاضطراب الاكتئابي الرئيسي (גולובצ'יק, סבר, וויצמן, 2011).

تشير التحليلات التلوية والمراجعات المنهجية لدراسات التصوير بالرنين المغناطيسي (MRI) أن المعالجة طويلة المدى بمنبهات ADHD (على وجه التحديد، الأمفيتامين والميثيل فينيدات) تقلل التلويحات في بنية الدماغ والوظيفة الموجودة

للأشخاص المصابين باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه (غابر، ريغلر، شوفر ودياموند، 2017).

علاوة على ذلك، فإن مراجعات البحوث المنشئة السريرية حددت سلامة وفعالية الاستخدام طويل المدى لمنشطات ADHD للأفراد المصابين، حيث أثبتت فعالية العلاج المستمر وسلامة كل من الأمفيتامين والميثل فينيدات في تجارب المخدرات للرقابة منذ عدة سنوات، ومع ذلك، فإن الحجم الدقيق للتحسينات في أعراض ADHD ونوعية الحياة التي يتم إنتاجها من قبل العلاج لا يزال غير مؤكد اعتباراً من نوفمبر 2015 تمت الموافقة على ميثل فينيدات من قبل إدارة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) لعلاج هذا الإضطراب.

إن إضافة علاج تعديل السلوك (كالعلاج السلوكي المعرفي CBT) يمكن أن يكون له فوائد إضافية على نتائج العلاج باختلاف الجرعة المستخدمة بشكل كبير بين الأفراد، وبالتالي يجب معايرة الجرعة على وجه التحديد (بولوبلا'يك ولاميتي، 2011)، توحى النماذج الحالية من اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه بأنها مرتبطة بضعف وظيفي في بعض أنظمة الناقل العصبي في الدماغ، لا سيما التي تشمل الدوبامين والنورادرينالين.

العلاج بواسطة الريتالين

من المعتقد علمياً أنّ اضطراب الاصغاء والنشاط المفرط يتعلق بقلة نشاط الناقل العصبي مثل الدوبامين، النويروفينبرين في الدماغ، وبهذا يكون العلاج بالريتالين بهدف المحافظة على مستويات عالية من الناقل في الدماغ، ومن المثير حقاً أنّ للمواد المنشطة مثل الـريتالين يوجد تأثير مهدئ لذوي النشاط المفرط؛ فهو يقلل من مستويات النشاط الزائد والميل لعدم التركيز (Otram, 2010).

يشير Hallahn & Kauffman (2006) أنّ الأبحاث التاريخية الطبية دلت أنّ أسباب الإصابة بهذا الإضطراب تعود لوجود تلف في الدماغ، وقد أخذ الباحثون بدراسة جميع العوامل البيولوجية المتعلقة بالاضطراب، ولكن لا يوجد دليل قاطع لوجود خلل في الدماغ والمخيخ، فمن خلال فحوصات طبية وجدوا أنّ أحجام المناطق الثلاثة لدى الأطفال ذوي الإضطراب أصغر مقارنة بالأشخاص العاديين (الزراع، 2007).

وكأي دواء، للريتالين مزايا وحسنات عديدة كونه انجح علاج لهذا الإضطراب، ومن أبرز هذه المزايا صعوبة الإدمان عليه. ورغم الحسنات العديدة، يواجه العلاج بالنقد؛ فقد يتسبب ببعض الاضطرابات مثل القلق وعدم النوم، الغثيان، انعدام الشهية للطعام والام الرأس، ولا تُعرف بالضبط ما هي الآثار طويلة المدى لتناوله (Habibzadeh, et, 2011).

إضافة لذلك، فقد يسبب الدواء أبلغ الضرر للطفل عند التشخيص الخاطئ لحالته، وإعطائه الدواء دون حاجة، فقد يعاني من عدم تطور الدماغ على المدى الطويل، وقد أثبتت التجارب على الحيوانات بأن تناوله دون حاجة يصبح حساساً وعصبياً (ألام، 2008).

قد تكون مضادات الاكتئاب مثل ميثل فينيدات وأمفيتامين فعالة في علاج ADHD لزيادتها نشاط الناقل العصبي لهذه الأنظمة ما يقرب من 70% من أولئك الذين يستخدمون هذه المنشطات يرون تحسناً في أعراض ADHD، عادةً ما يكون لدى الأطفال المصابين بهذا الإضطراب الذين يستخدمون الأدوية المنشطة علاقات أفضل مع الأقران وأفراد العائلة، ويكون أداءهم أفضل في المدرسة وأقل تشويشاً ولديهم اهتمام أطول (غابر ولاميتي، 2017).

تشير بعض الدراسات أن تشخيص اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه يتزايد بشكل كبير في جميع أنحاء العالم، فتعاطي العقار قد يتسبب بضرر أكثر مما ينفع في بعض المجتمعات المصابة، ينطبق هذا على أشخاص لديهم الأعراض

نفسها لكن تم تشخيصهم خطأ، يمكن للأشخاص في هذه الفئة أن يواجهوا الآثار الجانبية السلبية للدواء التي تزيد من حالتهم سوءاً، ويجعل من الصعب تلقي الرعاية الكافية، حيث قد يعتقد مقدمو الرعاية من حولهم أن الأدوية كافية وأن المشكلة تقع على عاتق المستخدم (גולובצ'יק ועמיתיו، 2011).

وعن فاعلية استخدام أدوية كهذه للحد من أعراض هذا الاضطراب، تؤكد بعض الأبحاث بأن الأطفال الذين استخدموها قد تحسن أدائهم وتنشيط مراكز التحكم والانتباه من خلال تنشيط المخ، وأوضحت دراسة ليرنر (Lerner، 2000) لاختبار فعالية العلاج بالأدوية النفسية المنبهة للأطفال ذوي الاضطراب ويعانون من القصور في الاداء الحسابي، تحسنت سرعتهم المعرفية وحسنت من ادائهم على المهام الحسابية. وأغلب الباحثين اظهرت نتائج ابحاثهم ان اعطاء الريتالين للأطفال بنظام جرعات ثابتة ومتدرجة زمنياً، يؤدي لتحسن السلوك وأعراض الاضطراب بصورة ايجابية، على صعيد تحسين مستوى الذات وتقليل المظاهر للسلوك العدوانى والانفعالي.

كما أجرى جنيفر ووليم (1995) دراسة بهدف معرفة تأثير العقار الميثيل فينيدات على التحصيل الدراسي للأطفال المصابين في مرحلة الطفولة المبكرة، وتم تقسيم مجموعتين، حيث تلقت المجموعة الاولى علاجاً طبياً من الريتالين، والمجموعة الثانية لم تتلقى اي دواء، أشارت النتائج أنّ دواء ميثيل فينيدات كان فعالاً في خفض الاعراض لاضطراب ال ADHD، ولم يكن له تأثير على التحصيل الدراسي لأفراد العينة (مماي، 2015).

تجدر الإشارة الى أنه لا يوجد بين جميع الادوية المستخدمة لخفض أعراض الاضطراب ما يساعد على الشفاء التام، فبعضها يساعد على تحسن الاداء الاكاديمي والاجتماعي في إطار الصف والمنزل على المدى البعيد؛ لذلك وجهت عدة انتقادات للاعتماد على العلاج الطبي بسبب الفاعلية النسبية التي يقدمها، ولاستغراقه زمناً طويلاً لظهور النتائج الفعالة، والسبب الآخر هو احتمالية إدمان العقاقير المهدئة والكحوليات.

المواقف تجاه استعمال الريتالين في الأوساط المختلفة

هناك من يؤيد استعمال الريتالين في قسم من الحالات، لكن الواقع يشير للمبالغة في الاستعمال عند عدم التدقيق في التشخيص، وأحياناً في حالات الحاجة لدواء آخر، ففي أوساط الإدارة التربوية والقانون، هناك من يدّعي وجود تشخيص مفرط وبالتالي ازدياد عدد حالات استعمال الريتالين، بهدف فرضه حتى لو كان على حساب صحة الطفل وقضايا أخلاقية أخرى، فهؤلاء يطالبون بالكف عن تقديم الدواء حتى لو تكررت قضايا عدم الانضباط، فهناك طرق أخرى مثل الدعم والتعزيز أو ايجاد طرق بديلة لتعليم هذه الفئة من الطلاب أو التوجيه لإطار التعليم الخاص (Morton & Stockton, 2000, Outram, 2010).

في الأوساط التربوية هناك من يعارض استعمال أية أدوية كوسائل مساعده في التدريس والتعليم؛ وذلك من منطلق مبدأي (Outram, 2010)، هؤلاء يدعون لا يجب التخفيف على المعلم بواسطة الادوية، بل على المعلم أن يلائم نفسه وطرق تدريسه لمثل هؤلاء الطلاب المضطربين، وعليه إيجاد طرق بديلة وفريدة كي يتمكن من تعليمهم، وعدم استعمال الدواء والتنشيط لساعات المدرسة المحدودة، مما يؤدي عملياً للهدوء وليس لعلاج المشكلة من أساسها، حيث يمكن علاج الاضطراب من خلال العلاج المعرفي الذي يتضمن تدريب على التنظيم والضبط الذاتي، التعزيز الذاتي، وحل المشكلات الشخصية ذاتياً، واتباع هذه الاستراتيجيات تعمل على زيادة وعي وإدراك الفرد المصاب بسلوكياته السلبية وإدراك الاستجابات التي تصدر منه تجاه المهام الدراسية والاجتماعية ومختلف الأنشطة التي يمارسها وذلك بناء على ادارة الذات (גולובצ'יק ועמיתים، 2011، الزراع، 2007).

كما أن هناك أوساط من رجال الفكر التي تعارض التشخيص والطب النفسي لأسباب فكرية وأيديولوجية وتعتمد في معارضتها على التحليل الفلسفي وعلم الأخلاق والمنطق وفلسفة ما بعد الحداثة، حيث أنها ترى في هذا تلاعب في الوعي وسير ضد الطبيعة الإنسانية (Silveira et al., 2014).

حتى في أوساط النفسانيين هناك معارضة لاستعمال الدواء لعدم وجود مشكله اصلاً وفقاً لهم، فهناك أشخاص ولدوا مع نشاط مفرط وعدم اصغاء تام أو مثالي، وهذا بحد ذاته ليس مشكلة تحتاج العلاج، فالمشكلة هي اجتماعيه واستغلت طبياً ونفسياً، فالتعلق المستمر بالدواء سوف يزيد المشكلة بدلاً من حلها (Morton & Stockton, 2000). وهناك من يثير قضية العلاقة الاقتصادية والتعاون بين شركات الأدوية والأطباء النفسانيين لتسويق الأدوية والربح على حساب صحة الجمهور (Silveira et al., 2014).

وتتفق الجمعية البريطانية لعلم النفس مع الجمعية الأمريكية للطب النفسي (APA) بأن اضطراب عجز الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد هو اضطراب عصبي نفسي يتمثل بضعف الانتباه والنشاط الحركي الزائد والاندفاعية، ويسبب خللاً في التفاعل الاجتماعي، والتحصيل الدراسي، وعجزاً في تنظيم السلوك (Chu, 2003) في حين أشارت المؤسسة الوطنية للصحة النفسية (National Institute of Mental Health, 2014) الأمريكية المتحدة بالولايات أن الطلاب المصابين غالباً ما يواجهون صعوبات في الاحتفاظ بأفكارهم ويشعرون بالملل بعد بضع دقائق من القيام بمهمة ما، وعدم القدرة لأداء الواجبات الدراسية؛ لذلك فالأساليب العلاجية السلوكية من أنجح الطرق لمساعدة هؤلاء الطلاب، يتميز العلاج السلوكي بسهولة ضبطه للسلوك، وسهولة تطبيقه من قبل أولياء الأمور والمعلمين، وفي تقديم معززات مادية رمزية (Dills, 2003) ويستخدم بشكل كبير مع فئات التربية الخاصة.

وهناك حركات اجتماعيه ودينيه ترفض التدخل الطبي والنفسي، وترى في تناول الريتالين وبقية الأدوية النفسية وسيلة مرفوضة، وذلك لاعتقادهم أن علم النفس لا يصل الى مستوى العلم المثبت. من بين هذه الأوساط الرافضة للفكرة نجد رابطه حماية حقوق الإنسان (למחות מגן לזכויות אנוש) والتي تدير لوبي ضد الريتالين (Silveira et al, 2014).

كما نجد اوساط طبيه بديله تقدم طرقاً بديله للعلاج الدوائي ولا تعتمد على السموم والادوية التحليلية، العلاج الطبيعى برأيهم أفضل وانبل، وهم ينظرون الى من يعانون من اضطراب الاصغاء والنشاط المفرط كذوي طاقه كبرى نافعه في الرياضة والحركة مثل فنون القتال، رقص الأيروبيك، التمرين المستمر والرياضة المكثفة التي تستنزف النشاط المفرط وتشمل طرق الانضباط بأنواعها، لها نتائج ايجابية على المدى المتوسط والطويل (Silveira et al., 2014).

بالنسبة لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين، فإن العامل المؤثر الرئيسي على مواقف الأهل هو فاعلية الريتالين في تحسين أداء الابن السلوكي، الاجتماعي والتعليمي (Reimers et al, 1992)، أعراضه الجانبية على ابنهم (Gorman, et al, 2006) ومستوى المعرفة والمعلومات التي لدى الأهل حول هذا العقار (١٦٦٥، 2009)، وطريقة استخدامه، ففي دراسة طرجين (١٦٦٥، 2009) بينت النتائج أن الأهل الذين استخدموا الريتالين مع أبنائهم بشكل سري كانت مواقفهم إيجابية ولاحظوا نتائج إيجابية وفاعلية أكثر، بينما الذين استخدموه بالشكل المعتاد كانت مواقفهم سلبية، كذلك دمج العلاج بالريتالين مع العلاج السلوكي يعطي نجاعة أكبر من العلاج بالريتالين فقط.

كما بينت نتائج دراسة طرجين (١٦٦٥، 2009) بأن زيادة المعلومات حول الريتالين وطريقة استخدامه تزيد مواقف الأهل إيجابية تجاه استخدامه، وهذا يتفق أيضاً مع نتائج مك-كويد (Mc Quaid, 2007) بأن الأهل الذين يتلقون الإرشادات والمعلومات حول الدواء (اليتالين) تتحسن مواقفهم تجاه استخدام الريتالين وتصبح إيجابية أكثر.

دور الأهل

في كل عام، يتم تشخيص 2-3% من الأطفال في إسرائيل على أنهم يعانون من مزيج من اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه وفرط الحركة والعدوانية والاندفاع، ولكن وفقاً للبيانات الدولية يتجلى هذا الاضطراب في سلوك ما لا يقل عن 5-10% من الأطفال حتى سن 18 عاماً، وعادة ما يتم تشخيص هذه المتلازمة فوق سن الثالثة، وتتميز بصعوبات كبيرة في التركيز واضطرابات السلوك غير المضبوطة في مرحلة المدرسة وما قبلها والمنزل (גאבר ופמיתיו، 2017).

يجد الآباء والأمهات أنفسهم محبطين وعاجزين في مواجهة الأطفال ذوي الإمكانات والقدرات المجردة الذين يجدون صعوبة في الاستماع أو التركيز بمرور الوقت، لتجنبهم ورفضهم أداء المهام التعليمية والاجتماعية التي تطلب منهم، ويجدون صعوبة في كبح غضبهم وبأن يكونوا متسامحين، وغالباً ما يتصرفون بقوة وقلة الأدب تجاه والديهم، والأشقاء والأصدقاء (גולד، 2004).

مع مرور الوقت فإن استمرار وجود الصعوبات السلوكية لدى الأطفال، يُحبط قدرتهم على التعلم مما يؤدي لنشوء حالة توتر صعبة مؤلمة لأفراد العائلة للآباء أنفسهم والمربين للطفل في الإطار التعليمي الذي ينتمي إليه، الفشل المستمر من الآباء والمربين المعنيين بمساعدة الأطفال في التغلب على الاضطراب من خلال الأدوات التعليمية يجلبهم إلى عتبة مهنة الطب والدواء لمعالجتها (גאבר وפמיתיו، 2017).

في الواقع، اليوم الملايين من الأطفال في جميع أنحاء العالم الذين يعانون من هذا الاضطراب يأخذون الدواء يومياً وخاصة الريتالين؛ لتخفيف المعاناة والسماح لهم بالتخلص من هذه الصعوبات إن أمكن، وهناك جدلاً واسعاً بين الآباء المعارضين لاستخدام الريتالين والآباء الذين يرون أنه دون دواء ليس هناك فرصة للمساعدة بشكل كبير (מנור وפמיתיו، 2012)، فيجب على الآباء الخروج من الإرتباك والسير بأمان نحو الحل التعليمي الأمثل لأطفالهم:

1. الأدوية تساعد

عندما يعطى الأخصائي الدواء المناسب الذي يأخذ بعين الاعتبار عمر الطفل، في طبيعة صعوبات السلوك والآثار الجانبية المتوقعة (كما هو الحال مع أي دواء آخر) وافترض تناول الطفل الدواء في الأوقات المحددة، من المحتمل أن يجعل الطفل يتعامل بشكل جيد في الحالات التي يكون فيها من الصعب دون الدواء. ويجب التذكر أن التحسن في أداء الطفل وسلوكه ومشاعره الجيدة لن يستمر إلا عندما يكون الطفل تحت تأثير الدواء (סרור وפמיתיו، 1998).

2. التدخل التعليمي الصحيح ضروري

إن الاضطراب في عملية الانتباه قد يقف عائق وراء العديد من أشكال صعوبات التعلم كالعجز في الإدراك أو الذاكرة أو صعوبات التعلم المدرسي وفي المجالات الأكاديمية، والتي قد تستمر معهم على مدى سنوات دراستهم، كما يؤكد زينثال وجود علاقة بين اضطراب عجز الانتباه وصعوبات التعلم، وأن هذه الصعوبات تتمحور في ضعف تكوين الانتباه، أو الاحتفاظ به في ظل وجود العديد من المشتتات، ومواجهة قصوراً في الانتباه الانتقائي (Zentall, 2005).

حتى المحترفين الذين يدعون إلى توفير الدواء للأطفال الذين يعانون من اضطرابات السلوك يفضلون لتقادي ذلك والرضا عن تعليم والدي الطفل والمربين في تنفيذ برنامج تدخل تعليمي فعال. وبالفعل، وتوجيه الكبار كبير في حياة الطفل من قبل خبراء في التحليل تعديل برنامج التدخل الطفل السلوك التطبيقي، وبالتالي القضاء على الحاجة للدواء، تكمن المشكلة في أن مثل هذا التدخل التعليمي يتطلب ويستند إلى تغيير سلوك الطفل من خلال تغيير الطرق التي تتفاعل بها الآباء

والمعلمون، ومن هنا التعقيد والصعوبة وأحيانا التردد في اختيار هذا الطريق، ليس من السهل على الكبار أن يغيروا طرقهم المتعلقة بسلوك أبنائهم، ومن ثم التوجه نحو الصيدلية والأمل في أن يأتي الخلاص من هناك (منور وليميتيم، 2012).

3. دمج العلاج الطبي والتربوي

وفي مجال العلاقة بين صعوبات التعلم واضطراب عجز الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد، فقد أكدت بعض الدراسات وجود علاقة بينهما من خلال الاستناد إلى نسبة الانتشار، فقد أشار جينسن وآخرون (Jensen, 2001) أن 40-60% من الطلاب الذين لديهم صعوبات في التعلم قد يظهر لديهم اضطراب عجز الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد، والذي قد يؤثر في تحصيلهم الدراسي فقد يواجهون صعوبات تعليمية في القراءة أو الرياضيات أو الاستيعاب. (Masseti et al, 2008; Hart et al, 2010)، كما ان الانتباه قد يؤثر في المهارات الاجتماعية لدى الطلاب ذوي ADHD، مما يحول دون تكوين علاقات بينهم وبين أقرانهم العاديين؛ نتيجة لذلك يعتبر المزج من التدخل التعليمي مع الدواء هو مزيج من التآزر العملية والفعالة لتأثير الدواء على قدرة الطفل على الاستماع، والتركيز والسلوك المندفع معتدل يخلق نقطة انطلاق ملائمة للعمل التربوي بشكل صحيح مع الطفل.

تحت تأثير الدواء، هناك احتمال أكبر أن يكون لدى الوالد فرصة ذهبية لتحويل تركيزه واهتمامه من مشكلات سلوك الطفل إلى سلوكياته الصحيحة وأداء مهام أكثر تعقيدا وتعزيز التحسن ووقف السلوكيات غير المرغوب فيها، وسيكون أسهل للتعامل والتوجيه من قبل الآباء والمعلمين لأداء ثابت وصحيح (766، 2004).

البحث الحالي

يدور الجدل منذ عقود حول قضية علاج الاطفال الذين يعانون من اضطراب الإصغاء والنشاط المفرط عن طريق الريتالين، وينقسم المتحاورون ما بين مؤيد ومعارض ولكل من الفئتين تعليلاتها المختلفة، من خلال ما جاء في هذه الدراسة نستنتج أنه من أهم الاضطرابات السلوكية لدى الاطفال التي يجب البحث فيها، ويمكن ملاحظة هذا الاضطراب من الحركات الجسمية والسلوكيات فوق الحد المقبول والمسموح، فهو عبارة عن مجمل اعراض جسمية واجتماعية وتعليمية، يمكن أن تكون راجعه لأسباب وراثية وعضوية ونفسية اجتماعية وبيئية، ومن الممكن تشخيص هذا الاضطراب بناء على اختبارات نفسية لبناء استراتيجية للخفض من حدة الاضطراب، وإرشاد الاهل الى السبل السليمة للتعامل مع هذه الفئة، لخلق بيئة من الراحة النفسية والامان للطفل في محيطه الاسري والاجتماعي، ويتوافق ويتكيف على الصعيدين النفسي والاجتماعي، وقد ظهرت بحوث وتجارب تدعم رأي كل من الجهتين، وبهذا بقي الانقسام قائماً حتى اليوم.

استعرضنا اعلاه أبحاث عديدة حول موضوع العلاج بالريتالين وقدمنا كل من الرأيين وجاءت هذه الخلفية النظرية، مقدمة لسؤال البحث الرئيس التالي:

ما هي مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط؟

انبثق عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

- 1- ما هي مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط؟
- 2- هل توجد فروق لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى لمتغيرات: المستوى الثقافي، الجيل، جنس الأهل والمستوى الاقتصادي، جنس الطفل.
- 3- هل توجد علاقة بين المعلومات التي يملكها الاهل عن الريتالين وموقفهم من استعمال الريتالين؟

4- ما مدى تأثير الريتالين على الحياة الاجتماعية للطفل؟

5- هل لموقف الأهل من الريتالين تأثير على مدى استمرارية استعماله؟

6- هل استعمال الريتالين يؤثر على سلوكيات الطفل؟

فرضيات البحث:

1- للأهل مواقف إيجابية تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط.

2- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين موقف من الأهل باستخدام الريتالين وذلك حسب المتغيرات: المستوى الثقافي، الجيل، جنس الأهل، المستوى الاقتصادي للعائلة، جنس الطفل.

3- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين معرفة الأهل للريتالين، وبين موقفهم من استعمال الريتالين.

4- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين موقف استعمال الريتالين بين الأطفال، وبين الحياة الاجتماعية للطفل.

5- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين موقف الأهل من الريتالين وبين الاستمرارية في استعمال الريتالين بين الأطفال.

6- موقف الأهل من استعمال الريتالين وبين سلوكيات الطفل.

منهجية البحث

لتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الكمي الارتباطي، وذلك لجمع البيانات كما هي دون تدخل.

مجتمع البحث

تكون مجتمع البحث من أهالي طلاب لديهم اضطراب في التركيز والنشاط المفرط، من ثلاث مدارس ابتدائية مختلفة موزعة في مدارس الطيبة، بناءً على عينة عشوائية لقوائم الطلاب الذين يعانون من هذا الإضطراب لدى مستشاري هذه المدارس.

عينة البحث

اشتملت عينة البحث على 200 أب وأم لأولاد يدرسون في صفوف المرحلة الابتدائية، من الصفوف الأولى وحتى الصفوف الثالثة لطلاب يعانون اضطراب في التركيز والنشاط المفرط، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، مع الأخذ بعين الاعتبار مقارنة النسب بين المشتركين من كلا الجنسين.

وصف متغيرات أفراد عينة الدراسة

يبين (الجدول رقم 1) توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس ، ويظهر أنّ عدد الأمهات أعلى من عدد الآباء المشتركين في البحث (الأمهات 107 والآباء 93)، بحسب متغير الجيل فإن أعلى نسبة من الأهل تتراوح أعمارهم ما بين (31-35)، وأقل فئة الذي أعمارهم فوق 50 عاماً، بالنسبة للمستوى الثقافي أعلى نسبة لفئة الذين أنهوا المرحلة الثانوية وأقل فئة الحاصلين على الدكتوراه، بالنسبة لمتغير المستوى الاقتصادي فإن غالبية الأهل بمستوى اقتصادي جيد (جيد 117، متوسط 61، دون المتوسط 22)، بالنسبة لمتغير جنس الطفل أعلى عدد من الأهالي لفئة الذكور الذين يعانون من ADHD (ذكور 129 إناث 71).

جدول رقم 1: توزيع عينة البحث بحسب المتغيرات الديمغرافية n=200

المتغير	الفئة	العدد
جنس الأهل	آباء	93
	أمهات	107
الجيل	30-25	40
	35-31	49
	40-36	44
	45-41	25
	50-46	17
	أكثر من 50	11
المستوى الثقافي	إنهاء المرحلة الإعدادية	18
	إنهاء المرحلة الثانوية	85
	لقب أول	53
	لقب ثاني	36
	دكتوراه	8
المستوى الاقتصادي	جيد	117
	متوسط	61
	دون المتوسط	22
جنس الطفل	ذكر	129
	أنثى	71

أدوات البحث

تم بناء استبيان لتحقيق أهداف الدراسة، وقد تكونت الاستبانة من قسمين:

القسم الأول: تضمن المعلومات الشخصية الخاصة بالمبحوثين، وهي: (جنس الأهل، الجيل، المستوى الثقافي، الوضع الاقتصادي، جنس الطفل الذي لديه اضطراب تركيز ونشاط مفرط، جيل الطفل).

القسم الثاني: تضمن (31) فقرة، تناولت العبارات السلوكيات التي تميز أعراض هذا الاضطراب في البيئة المدرسية : 1. ضعف القدرة على الانتباه، 2. زيادة النشاط الحركي، 3. الاندفاعية، وبذلك فإن العبارات تفحص 6 أبعاد لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط:

- البعد الأول: معرفة الأهل "معلومات عامة عن الريتالين.
- البعد الثاني: "مواقف الأهل من الريتالين.
- البعد الثالث: "الآثار على الحياة الاجتماعية للطفل".

- البعد الرابع: "مواقف الأهل من استخدام الريتالين".
- البعد الخامس: "الآثار الجانبية وجودة العلاج".
- البعد السادس: "مواقف الأهل من الاستمرار بالريتالين".

عبارات الاستمارة مرتبة على مقياس ليكرت خماسي الاستجابة، تدرج العلامات في هذه الاستمارة يتراوح من 1 إلى 5، حيث أن "1" يمثل عدم موافقة بالمرة، في حين أن "5" يعني موافقة تامة أي بنسبة مرتفعة جداً.

المصادقية والثبات

لفحص ثبات الاستمارة تم حساب معامل الثبات ألفا كرونباخ، قيمة معامل "كرونباخ ألفا" الكلي للاتساق الداخلي لمواقف الأهل ($\alpha=0.89$) وهي تشير لدرجة ثبات عالية، بالنسبة لقيمة معامل "كرونباخ ألفا" للبعد الأول "معلومات عامة عن الرتالين" ($\alpha=0.91$) وهي تشير لدرجة ثبات عالية، قيمته للبعد الثاني "مواقف الأهل من الرتالين" ($\alpha=0.47$) وهي درجة ثبات منخفضة، لذا تم حذف العبارة 5 لتصبح قيمة معامل ألفا كرونباخ لهذا البعد ($\alpha=0.54$) وهي درجة ثبات عالية نسبياً. قيمة معامل الثبات للبعد الثالث "الآثار على الحياة الاجتماعية للطفل" ($\alpha=0.82$) وهي تشير لدرجة ثبات عالية، بينما جاءت للبعد الرابع "مواقف الأهل من استخدام الريتالين" ($\alpha=0.78$) وهي تشير لدرجة ثبات عالية، وجاءت للبعد الخامس "الآثار الجانبية وجودة العلاج" ($\alpha=0.72$) وهي تشير لدرجة ثبات عالية، والبعد السادس "مواقف الأهل من الاستمرار بالريتالين" ($\alpha=0.56$) وهي تشير لدرجة ثبات عالية كما هو موضح في (الجدول رقم 2).

جدول رقم 2: معامل الثبات ألفا كرونباخ لأبعاد الاستمارة

البعد	العبارات	قيمة α
معلومات عامة عن الريتالين	1-4	0.915
مواقف الأهل من الريتالين	5-9	0.478*
الآثار على الحياة الاجتماعية للطفل	10-14	0.828
مواقف الأهل من استخدام الريتالين	15-18	0.784
الآثار الجانبية وجودة العلاج	19-26	0.724
مواقف الأهل من الاستمرار بالريتالين	27-31	0.566
الموقف العام	1-31	0.898

* إذا تم حذف العبارة 5 يرتفع معامل ألفا كرونباخ 0.541.

أما صدق الأداة فقد بلغ الصدق لمقياس مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط (0.947) وهي قيمة مرتفعة وتدل على صدق المقياس.

تحليل النتائج

تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية (SPSS) لمعالجة البيانات ولفحص فرضيات البحث المختلفة، وتم استخدام تحليل الثبات من أجل فحص قيمة الثبات من نوع الاتساق الداخلي، وتحليل التباين الأحادي (One Way Anova) للفرق بالمواقف بحسب المستوى الثقافي، الجيل والوضع الاقتصادي للعائلة، تحليل t-test للفرق بالمواقف بحسب الجنس، بالإضافة لمعامل الارتباط بيرسون.

نتائج البحث

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

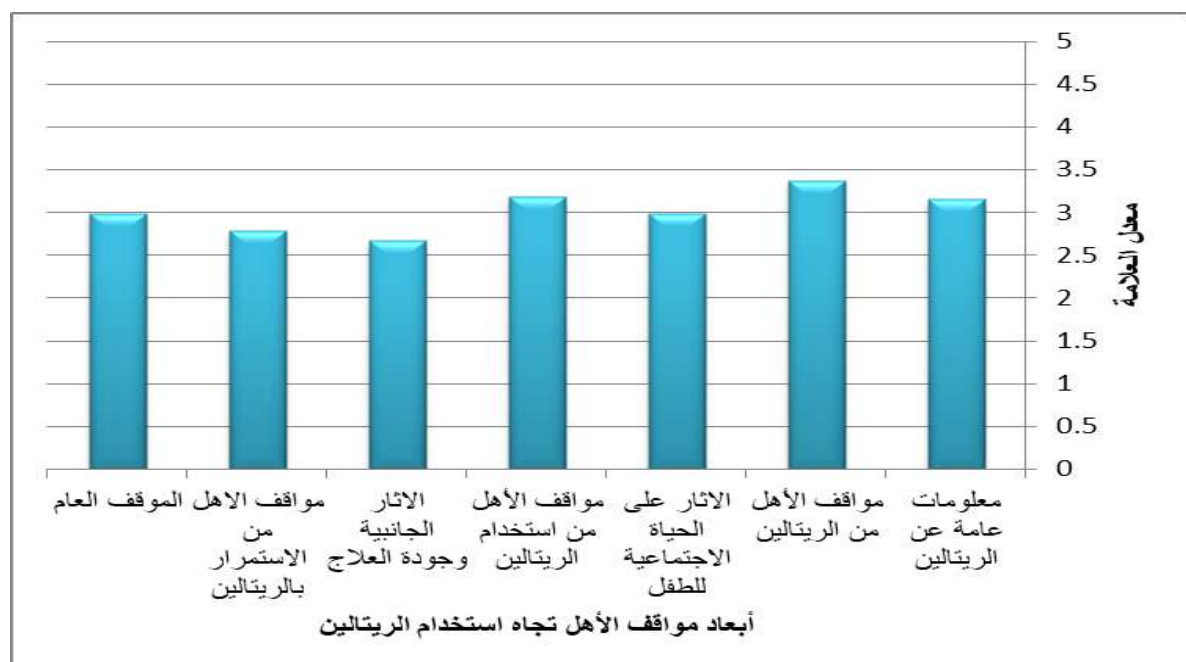
ما مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط؟

لفحص هذا السؤال تم حساب المعدلات والانحرافات المعيارية، كما يظهر في الجدول رقم (3) والرسم البياني رقم (1)، تبين أن مواقف الأهل من استخدام الريتالين موجودة بالمستوى المتوسط في جميع الأبعاد وفي الموقف العام، في بعد "معلومات عامة عن الريتالين" المعدل 3.17 مع انحراف معياري 1.27، في بعد "مواقف الأهل من الريتالين" المعدل 3.38 مع انحراف معياري 0.58، في بعد "الآثار على الحياة الاجتماعية للطفل" المعدل 3.01 مع انحراف معياري 0.91، في بعد "مواقف الأهل من استخدام الريتالين" المعدل 3.23 مع انحراف معياري 0.92، في بعد "الآثار الجانبية وجودة العلاج" المعدل 2.67 مع انحراف معياري 0.63، في بعد "مواقف الأهل من الاستمرار بالريتالين" المعدل 2.80 مع انحراف معياري 0.65، أما في الموقف العام المعدل 3.002 مع انحراف معياري 0.62.

جدول رقم 3: المعدلات والانحرافات المعيارية لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط

البعد	المعدلات	الانحرافات المعيارية
معلومات عامة عن الريتالين	3.17	1.27
مواقف الأهل من الريتالين	3.38	0.58
الآثار على الحياة الاجتماعية للطفل	3.01	0.91
مواقف الأهل من استخدام الريتالين	3.23	0.92
الآثار الجانبية وجودة العلاج	2.67	0.63
مواقف الأهل من الاستمرار بالريتالين	2.80	0.65
الموقف العام	3.002	0.62

رسم بياني رقم 1: مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط



مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير المستوى الثقافي

لفحص الفروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب المستوى الثقافي تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، كما يظهر في الجدول رقم (4)، بحيث يظهر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى للمستوى الثقافي ($F= 1.28, P>0.05$).

جدول رقم 4: تحليل التباين الأحادي لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير المستوى الثقافي

F	معدل المربعات	مجموع المربعات	
1.28	1.09	4.39	مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط
	0.85	166.30	
		170.70	

مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير الجيل

لفحص الفروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب الجيل تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، كما يظهر في الجدول رقم (5). بحيث يظهر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى للجيل ($F= 1.25, P>0.05$).

جدول رقم 5: تحليل التباين الأحادي لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير الجيل

F	معدل المربعات	مجموع المربعات	
1.25	1.06	5.33	مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط
	0.85	165.37	
		170.70	

مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير الجنس

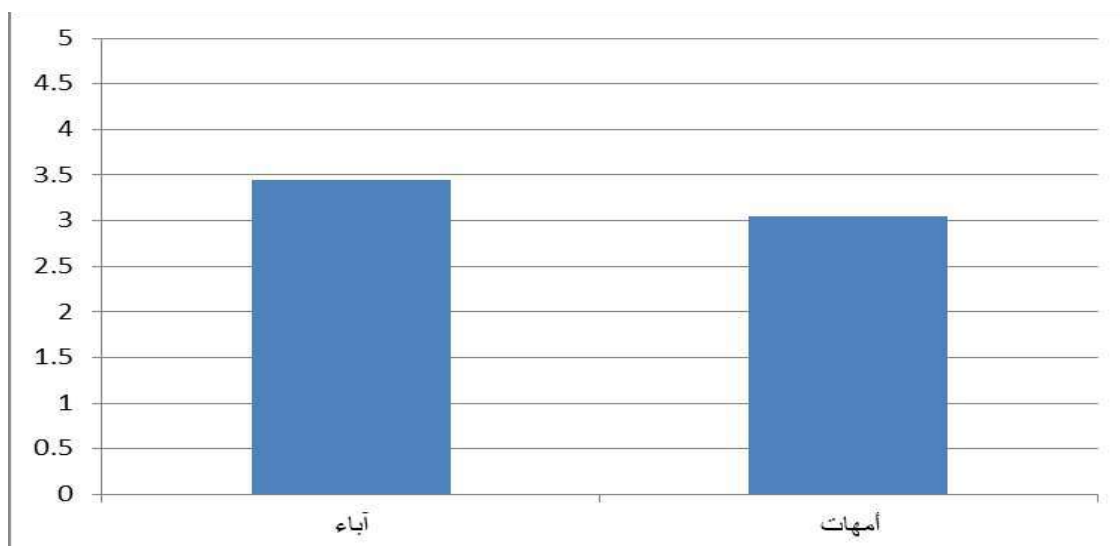
لفحص الفروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب جنسهم تم حساب المعدلات والانحرافات المعيارية واختبار t لمجموعتين مستقلتين، كما يظهر في الجدول رقم (6)، تُبين النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى لجنس الأهل ($t=0.19, P<0.01$) لصالح الآباء، حيث أن مواقف الآباء إيجابية (معدل 3.44 وانحراف معياري 0.80) أكثر من مواقف الأمهات (معدل 3.05 وانحراف معياري 0.98).

جدول رقم 6: المعدلات والانحرافات المعيارية وقيم t لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب جنسهم

البيد	آباء (N=93)		أمهات (N=107)		قيمة t
	المعدلات	الانحرافات المعيارية	المعدلات	الانحرافات المعيارية	
مواقف الأهل من استخدام الريتالين	3.44	0.80	3.05	0.98	3.02**

** $P=0.01$

رسم بياني رقم 2: الفروق بمواقف الآباء والأمهات تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط



مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير المستوى الاقتصادي للعائلة لفحص الفروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب المستوى الاقتصادي تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، كما يظهر في الجدول رقم (7). بحيث يظهر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى للمستوى الاقتصادي ($F=0.19, P>0.05$).

جدول رقم 7: تحليل التباين الأحادي لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب متغير المستوى الاقتصادي

F	معدل المربعات	مجموع المربعات	
0.19	0.16	0.33	مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج
	0.86	170.37	لاضطراب التركيز والنشاط المفرط
		170.70	

العلاقة بين المعلومات التي يملكها الأهل عن الريتالين وبين موقفهم من استخدام الريتالين

لفحص العلاقة بين المعلومات التي يملكها الأهل عن الريتالين وبين موقفهم من استخدام الريتالين، تم حساب معامل الارتباط بيرسون، كما يظهر في الجدول رقم (8)، حيث بينت النتائج وجود علاقة ارتباط إيجابية ذات دلالة إحصائية بين المعلومات التي يملكها الأهل عن الريتالين وبين موقفهم من استخدام الريتالين ($r=0.67, p<0.001$).

جدول رقم 8: معامل الارتباط بيرسون للعلاقة بين المعلومات التي يملكها الأهل عن الريتالين وبين موقفهم من استخدام الريتالين $n=200$

معلومات عامة عن الرتالين	مواقف الأهل من استخدام الرتالين	
(1)	(2)	
—		(1)
0.67***	—	(2)

*** $p<0.001$

علاقة موقف الأهل من الريتالين بمدى استمرارية استعماله

لفحص العلاقة بين موقف الأهل من الريتالين ومدى استمرارية استعماله، تم حساب معامل الارتباط بيرسون، كما يظهر في الجدول رقم (9). حيث تُبين النتائج عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين موقف الأهل من الريتالين ومدى استمرارية استعماله ($r=0.13$, $p>0.05$).

جدول رقم 9: معامل الارتباط بيرسون للعلاقة بين موقف الأهل من الريتالين ومدى استمرارية استعماله $n=200$

موقف الأهل من استخدام الريتالين (1)	مدى استمرارية استعمال الريتالين (2)
–	
0.13	–
(1)	
(2)	

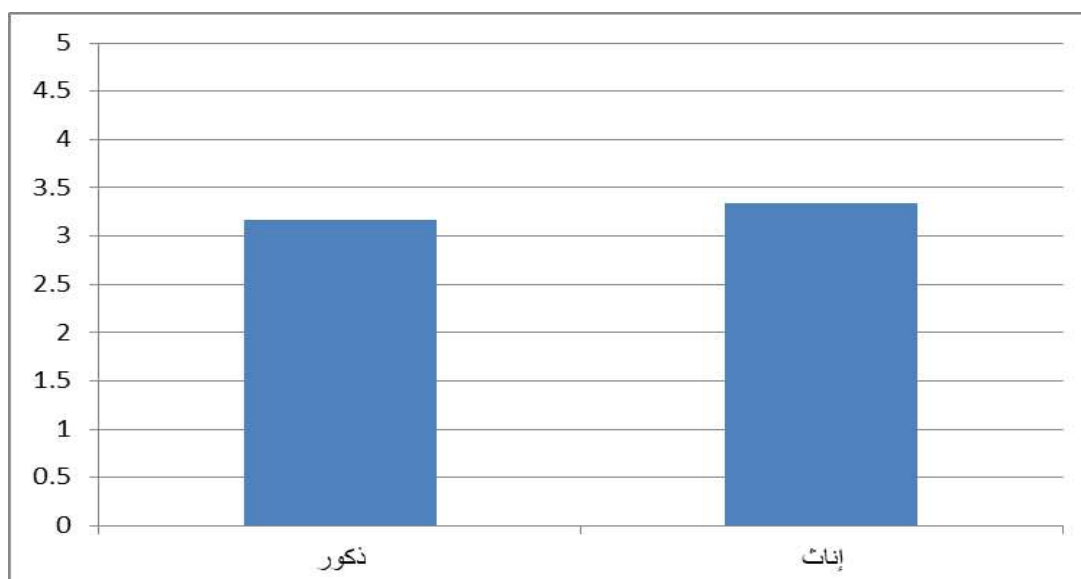
العلاقة بين جنس الطفل (ولد- بنت) واستخدام الأهل للريتالين

لفحص الفروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب جنس الطفل تم حساب المعدلات والانحرافات المعيارية واختبار t لمجموعتين مستقلتين، كما يظهر في الجدول رقم (10). تُبين النتائج أن مواقف أهالي الأطفال الذكور تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط متوسطة (معدل 3.17 وانحراف معياري 0.98) ومواقف أهالي الإناث (معدل 3.34 وانحراف معياري 0.79) وهذه الفروق بين معدلات المجموعتين غير دالة إحصائياً ($t=-1.20$, $P>0.05$).

جدول رقم 10: المعدلات والانحرافات المعيارية وقيم t لمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب جنس الطفل

البيد	ذكور (N=129)		إناث (N=71)		قيمة t
	المعدلات	الانحرافات المعيارية	المعدلات	الانحرافات المعيارية	
مواقف الأهل من استخدام الريتالين	3.17	0.98	3.34	0.79	-1.20

رسم بياني رقم 3: الفروق بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب جنس الطفل



مواقف الأهل من تأثير الريتالين على سلوكيات الطفل

لفحص مواقف الأهل من تأثير الريتالين على سلوكيات الطفل تم حساب المعدلات والانحرافات المعيارية لعبارة 30 في الاستمارة "استعمال الريتالين يحسن من سلوك الولد"، كما يظهر في الجدول رقم (11)، تبين النتائج أن مواقف الأهل من تأثير الريتالين على سلوكيات الطفل متوسطة (معدل 3.36 وانحراف معياري 1.28).

جدول رقم 11: المعدلات والانحرافات المعيارية لمواقف الأهل من تأثير الريتالين على سلوكيات الطفل

الانحراف المعياري	المعدل	
1.28	3.36	استعمال الريتالين يحسن من سلوك الولد

العلاقة بين جيل الطفل وبين موقف الأهل من استخدام الريتالين

لفحص العلاقة بين جيل الطفل وبين موقف الأهل من استخدام الريتالين، تم حساب معامل الارتباط بيرسون، كما يظهر في الجدول رقم (13). حيث بينت النتائج وجود علاقة ارتباط إيجابية ذات دلالة إحصائية بين جيل الطفل وبين موقف الأهل من استخدام الريتالين ($r=0.14$, $p<0.05$).

جدول رقم 13: معامل الارتباط بيرسون للعلاقة بين جيل الطفل وبين موقف الأهل من استخدام الريتالين $n=200$

مواقف الأهل من استخدام الريتالين (2)	جيل الطفل (1)	
	-	(1)
-	0.14*	(2)

* $p<0.05$

تحليل ومناقشة

سيتم في هذا الفصل مناقشة النتائج من خلال المادة النظرية ومقارنتها مع نتائج الدراسات السابقة وإظهار جوانب اتفاقها وتعارضها معها.

مناقشة نتائج الفرضية الأولى "للأهل مواقف إيجابية تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط"

أظهرت النتائج أن مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط متوسطة في جميع الأبعاد وفي الموقف العام، هذه النتيجة دحضت فرضية البحث الأولى، وهذا يعني أن هناك تردد لدى الأهل في استخدام الريتالين، ويمكن عزو هذه النتيجة المعلومات السلبية التي يعرفها الأهل عن الريتالين، كما جاء في (Hammerness et al., 2014)، والأعراض الجانبية للدواء والتي يلاحظها الأهل على أبنائهم نتيجة تناولهم الريتالين، وفق (Ziv, 2008)، وبالرغم من أن العديد من الدراسات أثبتت فاعلية وإيجابيات الريتالين كما أوضحت دراسة ليرنر (Lerner, 2000).

هذه النتيجة تتفق أيضاً مع بعض رجال فكر الذين، حيث أنها ترى في كل هذا تلاعب في الوعي وسير ضد الطبيعة الإنسانية (Silveira et al., 2014)، كذلك بعض النفسانيين الذين يعارضون استعمال الدواء، كما أشار كل من (Morton & Stockton, 2000).

مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط بحسب المتغيرات: المستوى الثقافي، الجيل، الجنس والمستوى الاقتصادي للعائلة، جنس الطفل، جيل الطفل ونوع المدرسة التي يدرس بها

أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى للمستوى الثقافي، الجيل، المستوى الاقتصادي للعائلة، جنس الطفل، ويمكن تفسير هذه النتائج من كون العامل المؤثر الرئيسي على مواقف الأهل هو فاعلية الريتالين في تحسين أداء الابن السلوكي، الاجتماعي والتعليمي (Reimers et al, 1992)، أعراضه الجانبية على ابنهم (Gorman et al, 2006) ومستوى المعرفة والمعلومات التي لدى الأهل حول هذا العقار (١٦٦٥، 2009)، كذلك طريقة استخدام هذا العقار حيث أظهرت دراسة طرجين (١٦٦٥، 2009) أن الأهل الذين استخدموا الريتالين مع أبنائهم كانت مواقفهم إيجابية، بينما الذين استخدموه بالشكل المعتاد كانت مواقفهم سلبية، كذلك دمج العلاج بالريتالين مع العلاج السلوكي يعطي نجاعة أكبر من العلاج بالريتالين فقط.

من جهة أخرى، أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بمواقف الأهل العامة تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط تعزى لجنس الأهل لصالح الآباء، وأن المعلومات العامة عن الريتالين لدى الآباء أعلى منها لدى الأمهات ويمكن عزو ذلك كسبب للفروق في المواقف بين الآباء والأمهات، وهذا ما بينته نتائج دراسة (١٦٦٥، 2009) بأن زيادة المعلومات حول الريتالين وطريقة استخدامه تزيد مواقف الأهل إيجابية تجاه استخدامه.

كما بينت النتائج وجود علاقة ارتباط إيجابية ذات دلالة إحصائية بين جيل الطفل وبين موقف الأهل من استخدام الريتالين، يمكن عزو هذه النتيجة إلى تخوفات الأهل من تناول أبنائهم في جيل كبير للريتالين وبالتالي انحدارهم إلى الإدمان على الدواء بالإضافة إلى نظرة المجتمع السلبية تجاههم (الدوسري، 2009)، في هذه الحالة ممارسة الرياضة والتخلص من الطاقة الزائدة أفضل (Silveira et al., 2014).

علاقة المعلومات التي يملكها الأهل عن الريتالين بموقفهم من استخدام الريتالين

بينت النتائج وجود علاقة ارتباط إيجابية ذات دلالة إحصائية بين المعلومات التي يملكها الأهل عن الريتالين وبين موقفهم من استخدامه، وهذه النتيجة تدعم فرضية البحث الثالثة، هذه النتيجة تتفق مع نتائج (Mc Quaid, 2007) أن الأهل الذين يتلقون الإرشادات والمعلومات حول الدواء (الريتالين) بمتابعة إرشادية ومعلوماتية حول كيفية الاستمرار بالعلاج، مواقفهم إيجابية أكثر، كما تتفق ونتيجة دراسة طرجين (١٦٦٥، 2009) التي بينت أن زيادة المعلومات حول الريتالين وطريقة استخدامه تزيد مواقف الأهل إيجابية تجاه استخدامه.

علاقة مواقف الأهل من الريتالين ومدى استمرارية استعماله

أظهرت النتائج عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين موقف الأهل من الريتالين واستمرارية استعماله، هذه النتيجة تدحض فرضية البحث الخامسة، فمواقف الأهل كما بينت نتائج البحث غير إيجابية إلا أن الأهل ما زالوا يستخدمون الريتالين بغض النظر عن مواقفهم تجاه استخدامه، ويمكن عزو ذلك لإحباط الأهل لأبنائهم الذين يجدون صعوبة في الاستماع أو التركيز، ويتجنبون ويرفضون أداء المهام التعليمية والاجتماعية، ويجدون صعوبة في كبح غضبهم، وغالباً ما يتصرفون بقوة وقلة الأدب تجاه والديهم، والأشقاء والأصدقاء (١٦٦٥، 2004).

من هنا يمكن أن نستخلص أن مواقف الأهل تجاه استخدام الريتالين كعلاج لاضطراب التركيز والنشاط المفرط غير إيجابية بل تميل بعض الشيء إلى السلبية، ويمكن عزو ذلك للمعلومات غير الكافية لدى الأهل حول الريتالين، كيفية استخدامه مع الأبناء وعدم المتابعة مع الطبيب خلال فترة العلاج.

قائمة المراجع

- الدوسري، س. (2009). اتجاهات الطلبة نحو استخدام العقاقير المنبهة ودورها في السلوك الدراسي: دراسة تطبيقية على طلبة كلية الآداب والعلوم بواحي الدواسر. دراسة ماجستير، جامعة مؤتة.
- الروسان، فاروق. (2000). دراسات وأبحاث في التربية الخاصة. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزراع، ن. (2007). اضطراب الانتباه والنشاط الزائد دليل عملي للآباء والمختصين. عمان: دار الفكر.
- السبيعي، ج. (2009). الفروق بين اتجاهات المعلمين في مدارس التربية العادية (مدارس الدمج). المملكة العربية السعودية: د.م.
- العزة، س. (2002) المدخل إلى التربية الخاصة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة: المفهوم، التشخيص، أساليب التدريس. عمان: الدار العلمية الدولية.
- مماي، ش. (2015). فعالية برنامج لتدريب المعلمين في خفض النشاط الزائد عند تلاميذ المرحلة الابتدائية. عمان - الأردن: دار عالم الثقافة.
- موريس، ش. (1986). التطور المعرفي عند جان بياجيه. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- اليوسفي، م. (2018). النشاط الزائد لدى الأطفال، أسبابه وبرامج خفض. المنيا: المركز العلمي للتعليم والتنمية.

المراجع الأجنبية

- Babcock, Q., & Byrne, T. (2000). Student perceptions of methylphenidate abuse at a public liberal arts college. *Journal of American college health*, 49(3), 143-145.
- Bell, S., Partridge, B., Lucke, J., & Hall, W. (2013). Australian university students' attitudes towards the acceptability and regulation of pharmaceuticals to improve academic performance. *Neuroethics*, 6(1), 197-205.
- Beyer, C., Staunton, C., & Moodley, K. (2014). The implications of Methylphenidate use by healthy medical students and doctors in South Africa. *BMC medical ethics*, 15(1), 20.
- Cohen, Y. G., Segev, R. W., Shlafman, N., Novack, V., & Ifergane, G. (2015). Methylphenidate use among medical students at Ben-Gurion University of the Negev. *Journal of neurosciences in rural practice*, 6(3), 320.
- Dills, R. (2003). Diagnosis and treatment of attention deficit hyperactivity disorder. *Pharmacy Times*, 69(9), 66.
- Gorman, E. B., Klorman, R., Thatcher, J. E., Borgstedt, A. D. (2006). Effects of Methylphenidate on Subtypes of Attention-Deficit/Hyperactivity Disorder. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry* (45), 808-816.
- Habibzadeh, A., Alizadeh, M., Malek, A., Maghbooli, L., Shoja, M. M., & Ghabili, K. (2011). Illicit methylphenidate use among Iranian medical students: prevalence and knowledge. *Drug design, development and therapy* (5), 71.
- Hallahn, D. P., & Kauffman, J. M. (2006). *Exceptional learners: An introduction to special education* (10th ed.). Boston: Allyn & Bacon.
- Hammerness, P., Fried, R., Petty, C. (2014). Assessment of Cognitive domains during treatment with OROS methylphenidate in adolescents with ADHD. *Child*

Neuropsychology, 20(3), 310-327.

- Hart, S., Perril, S., Willcutt, E., Thompson, L., Schatschneider, C., Deater-Deckard, K., & Cutting, L. (2010). Exploring how symptoms of attention deficit/ hyperactivity disorder are related to reading and mathematics performance: General genes, general environments. *Psychological Science* (21), 1708-1715. From: <http://www.nimh.nih.gov/health/topics/attentiondeficit-hyperactivity-disorder-adhd/index.shtml>.
- Jensen, P., Hinshaw, S., Kraemer, H., Lenora, N., Newcorn, J., Abikoff, H., Vitiello, B. (2001). ADHD Comorbidity findings from the MTA Study: Comparing comorbid subgroups. *Journal of the American Academy of Child Adolescent Psychiatry*, 40(2), 147-158.
- Lane, J., Finlay, F., & Marcer, H. (2015). G505 (P) Medical students buying methylphenidate online. *BMJ Journals*. 24/5/2018 From: https://adc.bmj.com/content/100/Suppl_3/A217.1
- Maier, L. J., Liakoni, E., Schildmann, J., Schaub, M. P., & Liechti, M. E. (2015). Swiss university students' attitudes toward pharmacological cognitive enhancement. *PloS one*, 10(12), e0144402.
- Massetti, G., Lahey, B., Pelham, W., Loney, J., Ehrhardt, A., Lee, S., & Kipp, H. (2008). Academic achievement over 8 years among children who met modified criteria for attention-deficit/ hyperactivity disorder at 4-6 years of age. *Journal of Abnormal Child Psychology* (36), 399-410.
- Mc Quaid, E. (2007). Guiding patients and families toward treatment compliance. *The Brown University Child and Adolescent Behavior Letter* (23), 1-6.
- Morton, W. A., & Stockton, G. G. (2000). Methylphenidate abuse and psychiatric side effects. *Primary care companion to the Journal of clinical psychiatry*, 2(5), 159.
- National Institute of Mental Health. (2014). What is attention deficit hyperactivity disorder (ADHD, ADD). 24/5/2018 From: <https://www.webmd.com/add-adhd/guide/attention-deficit-hyperactivity-disorder-adhd#1>
- Outram, S. M. (2010). The use of methylphenidate among students: the future of enhancement?. *Journal of medical ethics*, 36(4), 198-202.
- Parkes, Aisling, Shore, Conor , O'Mahony Caroline and Kenneth ,Burns (2015) 'The right of the child to be heard? Professional experiences of child care proceedings in the Irish District Court'. *Child and Family Law Quarterly*, 27 (4):423-444
- Reimers, T.M., Wacker, D.P., Cooper, L.J., De Raad, A.O. (1992). Acceptability of behavioral treatments for children: analog and naturalistic evaluations by parents. *School Psychology Review* (21), 628-643.
- Silveira, R. D. R., Lejderman, B., Ferreira, P. E. M. S., & Rocha, G. M. P. D. (2014). Patterns of non-medical use of methylphenidate among 5th and 6th year students in a medical school in southern Brazil. *Trends in psychiatry and psychotherapy*, 36(2), 101-106.
- Tarnowski, K. J., & Simonian, S. J. (1992). Assessing treatment acceptance: The abbreviated acceptability rating profile. *Journal of Behavior Therapy and Experimental Psychiatry*, 23(2), 101-106.
- Zentall, S. (2005). Theory – and evidence – based strategies for children with attention problems. *Psychology in the schools*, 42(8), 821-836.

المراجع العبرية

- אלקשאעלה, ב. (2007). "הקשר בין סגנונות ההורות ושיטות החינוך המשפחתי לבין ההערכה העצמית אצל ילדים בכלל וילדים בעלי צרכים מיוחדים בפרט במגזר הבדואי". ג'אמעה (11), 1-8.
- בארקלי, ר' (2003). לשלוט ב- ADHD, המדריך השלם והמוסמך להבנת הפרעות קשב וריכוז. [ל.מ.]: צא לאור ע"י הוצאת דיונון.
- גאבר, ל', ריגלר, ש', שופר, א' ודיאמונד, ג' (2017). אפידמיולוגיה של מתן מתילפנידאט (ריטלין) לילדים בני 6-18 שנים בישראל - עת לשינוי מדיניות. הרפואה, 156(7), 460-464. הורד ב- 12/7/2018 <https://www.ima.org.il/medicine/Download.aspx?fi=121153>
- גולובצ'יק, פ', סבר, י', וויצמן, א' (2011). יעילות ובטיחות של טיפול במעוררים ולא מעוררים בקרב מבוגרים הלוקים בהפרעת ליקוי בקשב עם פעלתנות יתר (ADHD). הרפואה, 150(10), 788-790. הורד בתאריך 12/7/2018 מ-: <https://www.ima.org.il/medicine/Download.aspx?fi=13687>
- גולן, נ' (2004). יחסי הגומלין בין הפרעת קשב וריכוז (ADHD) להפרעת שינה ועוררות. הרפואה, 143, 679-676.
- גרין כ' וציי, מ' (2001). להבין ולטפל ADHD. הוצאת שמעוני.
- טרגין, ד. (2009). עמדות הורים כלפי הטיפול במטילפנידת (ריטלין) בקרב ילדים להם הפרעת קשב וריכוז, השוואה בין מערך כפול סמיות והגישה המסורתית. עבודת תזה.
- זלצמן, א. (2008). בעד/נגד: מתן ריטלין לילדים בעלי הפרעות קשב וריכוז. שיעור חופשי (83).
- ישי-קריין, נ' (2005). אבחון פסיכולוגי בגיל הגן, בהתייחס לליקויי למידה והפרעת קשב, פסיכולוגיה עברית. הורד ב- 2/6/18: <https://www.hebpsy.net/articles.asp?id=568>
- לוקוב, ל', ופרידמן, נ' (2007). השפעת הרטלין על ביטויין של דיסלקציות שונות. שפה ומוח (6), 99-97. הורד בתאריך 2/6/2018 מ-: http://www.language-brain.com/journal/docs/Lukov_Friedmann_LanguageBrain6_dyslexia_rytalin.pdf
- מנור, א', וטיאנו, ש' (2012). לחיות עם הפרעת קשב, ריכוז והיפראקטיביות. תל אביב: דיונון.
- סרוף, א', קופר, ת', ודהארט, ג' (1998). התפתחות הילד: טבעה ומהלכה. תל אביב: הוצאת האוניברסיטה הפתוחה.
- שינין, כ' (1990). עמדות כלפי חריגות של תלמידים ומוריהם בבתי ספר יסודיים. מחקר לשם קבלת התואר דוקטור לפילוסופיה, אוניברסיטת חיפה.
- שלו-מבורך, ל', וסיטבון-פרחי, מ' (2011). הפרעת קשב וריכוז. בתוך מור, נ', מאירס, י', מרום, צ', וגלבוע - שכטמן, א' (עורכים). טיפול קוגניטיבי התנהגותי בילדים: עקרונות טיפוליים (עמ' 267-286). ת"א: דיונון.
- תאיה, ע' (2004). עמדות מורים משלבים מהחינוך המיוחד והרגיל כלפי שילוב תלמידים בעלי צרכים מיוחדים בכיתות רגילות במגזר הערבי. עבודה לתואר שני, אוניברסיטת בר-אילן, ביה"ס לחינוך.

Gestion des déchets biomédicaux et son impact à la santé dans la zone de santé rurale de Nyiragongo, DR Congo

Badiambila Mulumba Josué¹, Kamundu Kahima A², Bitwe Mihanda R³, Wembonyama Okitotsho S⁴, Baguma Bahati M⁵, Mukandirwa Wetemwami R⁶, Muisha maonero S⁷, Katovya Kighoma D⁸, Kakule kitakya E⁹, Paluku Mutaka F¹⁰, Lemba kendho J¹¹.

1. Ecole de Santé Publique, Université de Goma, Goma, DR Congo, 1,2,3,5,6,7,8,9,10,11

2. Université de Lubumbashi, Lubumbashi, DR Congo ⁴.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/26>

Reçu le 07/10/2025

Accepté le 15/10/2025

Publié le 01/11/2025

Résumé

Introduction : La problématique de gestion des déchets biomédicaux, réside au niveau des risques, qu'elle représente pour la santé publique et l'environnement. Les défis majeurs sont liés au manque d'infrastructures adéquates, du personnel non qualifié et de l'absence de protocoles clairs, surtout dans les pays en développement. Le risque de contamination est susceptible, pendant la collecte, le tri, le transport et élimination, à des infections professionnelles, la pollution et la propagation de maladies.

Matériel et méthodes : L'étude est transversale analytique, menée dans la zone de santé rurale de Nyiragongo, province du Nord-Kivu, DR Congo, auprès de 61 FOSA. Une fiche guide de collecte des données a été élaborée, soumise et complétée par les responsables des FOSA cible, en présence des enquêteurs.

Résultats : L'économie de cette étude montre que, la zs de Nyiragongo est constituée en prédominance par des FOSA privées, 49 sur 61, soit 80,3 %, le **Tri à la source** est observé dans 21 FOSA sur 61, soit 34,4 %, la **collecte interne** réalisée de manière quotidienne dans 41 FOSA sur 61, soit 67,2%, l'utilisation des EPI complets dans 21 FOSA sur 61, soit 34,4%, le **traitement final** 15 FOSA sur 61/ incinération contrôlée, soit 24,6 %, l'incinération à ciel ouvert 27 FOSA sur 61 soit 44,3 %, l'enfouissement non sécurisé 12 FOSA sur 61, soit 19,7 %, le brûlage de fortune, l'abandon, 7 FOSA sur 61, soit 11,4 %, l'**absence d'un plan écrit** de gestion des DBM 50 FOSA sur 61 soit 82 %. **Les accidents d'exposition au sang (AES)** chez le personnel est signalés dans 18 FOSA sur 61, soit 29,5 %, 21 FOSA rapportent les **plaintes liées à la pollution ou aux nuisances** (odeurs, fumées, dispersion de déchets) selon les communautés autour soit 34,4 %, dans 14 FOSA. Présence de seringues/aiguilles usagées dans l'environnement proche soit 23 % et dans 47 FOSA la **Perception des soignant** estime que la gestion actuelle des DBM expose le personnel et la population à un risque élevé de maladies infectieuses (hépatites, VIH, infections cutanées) soit 77 %, 41 FOSA disent qu'il y a non-respect des normes « Transport sûr, Tri sélectif, Respect de l'environnement et Formation du personnel » soit 67,2 %, 21 FOSA disposent des infrastructures spécifiques pour la gestion des déchets biomédicaux soit 34 %, 11 FOSA sur 61 ont des infrastructures avec zones de stockage, tri et de traitement» soit 18 %.

Conclusion: Une gestion rationnelle des déchets biomédicaux, protège la santé publique et l'environnement, des risques infectieux et toxiques. Elle prévient la propagation des maladies aux malades, garde-malades et les prestataires des soins de santé. Elle limite et protège les communautés environnantes de la contamination des sols, des eaux et réduit les coûts de traitement. Un plan de gestion clair, de formation du personnel et de l'application de mesures préventives sont obligatoires. La gestion des déchets biomédicaux dans la zone de santé de Nyiragongo est une nécessité. Il y a l'absence d'un de gestion des DBM écrit dans la majorité des FOSA, et témoigne en suffisance que, le risque de contamination est imminent.

Mots Clés: Gestion, déchets biomédicaux, Nyiragongo.

RESEARCH TITLE

Management of Biomedical Waste and Its Impact on Health in the Rural Health Zone of Nyiragongo, DR Congo

Abstract

Introduction: The issue of biomedical waste management lies in the risks it poses to public health and the environment. The main challenges are linked to the lack of adequate infrastructure, unqualified personnel, and the absence of clear protocols—especially in developing countries. The risk of contamination may occur during collection, sorting, transportation, and disposal, leading to occupational infections, pollution, and the spread of diseases.

Materials and Methods: This is a cross-sectional analytical study conducted in the rural health zone of Nyiragongo, North Kivu Province, DR Congo, involving 61 health facilities (FOSA). A data collection guide sheet was developed, submitted, and completed by the heads of the targeted facilities in the presence of the investigators.

Results: The findings of this study show that the Nyiragongo health zone is predominantly composed of private facilities—49 out of 61 (80.3%). Sorting at the source is practiced in 21 out of 61 facilities (34.4%), and internal waste collection is carried out daily in 41 out of 61 (67.2%). Complete use of personal protective equipment (PPE) was reported in 21 out of 61 facilities (34.4%). Final treatment by controlled incineration is practiced in 15 out of 61 (24.6%), open-air incineration in 27 out of 61 (44.3%), unsecured burial in 12 out of 61 (19.7%), and makeshift burning or abandonment in 7 out of 61 (11.4%). A written biomedical waste management plan was absent in 50 out of 61 facilities (82%). Blood exposure accidents (BEA) among staff were reported in 18 out of 61 (29.5%), while 21 facilities (34.4%) reported community complaints related to pollution or nuisances (odors, smoke, waste dispersion). Used syringes/needles were found in the nearby environment of 14 facilities (23%). In 47 facilities (77%), healthcare workers perceived that the current biomedical waste management exposes staff and the population to a high risk of infectious diseases (hepatitis, HIV, skin infections). Moreover, 41 facilities (67.2%) reported non-compliance with standards for “Safe transport, Selective sorting, Environmental protection, and Staff training.” Only 21 facilities (34%) had specific infrastructure for biomedical waste management, and 11 out of 61 (18%) had facilities equipped with storage, sorting, and treatment areas.

Conclusion: Rational management of biomedical waste protects public health and the environment from infectious and toxic risks. It prevents disease transmission among patients, caregivers, and healthcare workers, limits soil and water contamination, and reduces treatment costs. A clear management plan, staff training, and the enforcement of preventive measures are mandatory. Biomedical waste management in the Nyiragongo health zone is an urgent necessity. The absence of written biomedical waste management plans in most facilities sufficiently indicates that the risk of contamination is imminent.

Key Words: Management, Biomedical Waste, Nyiragongo.

Introduction

La production de déchets biomédicaux augmente dans le monde entier. En 2020, elle a été estimée à 2,24 milliards de tonnes de déchets solides à l'échelle mondiale, soit l'équivalent de 0,79 kg par personne et par jour. Compte tenu de la croissance démographique et de l'urbanisation rapide, ce chiffre devrait augmenter de 73 % pour atteindre 3,88 milliards de tonnes en 2050 [3]. Les déchets hospitaliers sont des substances solides, liquides ou gazeuses issues des activités de soins, de diagnostic ou non, produites au niveau des formations sanitaires. Ils présentent des risques d'infection ou non, de contamination ou d'intoxication et de pollution de l'environnement. De ce fait, leur gestion doit être pluridisciplinaire et s'inscrire au centre des préoccupations non seulement du politique, des collectivités mais également des formations sanitaires qui les produisent [4]. Les objets tranchants, qui s'ils ne sont pas correctement séparés peuvent devenir agents de propagation de maladies mortelles telles que le VIH-SIDA, les hépatites B et C; Les tissus humains et animaux, qui contiennent également de nombreux micro-organismes pathogènes en plus de ceux mentionnés ci-dessus ; Les déchets cytotoxiques, ainsi que les déchets recyclables comme les objets en plastique et en caoutchouc souillés ou non souillés, qui s'ils sont éliminés de façon inappropriée pourrait avoir un impact négatif sur l'équilibre écologique [5]. La gestion des déchets doit attirer l'attention de tous vu que c'est l'affaire de tout le monde dans sa globale. C'est une question de préoccupation croissante, car le nombre d'établissements de soins de santé augmente alors que la croissance démographique réduit l'espace de l'élimination des déchets. Dans les pays du Méditerranéen cette même étude a été conduite, et les recherches ont abouti aux résultats selon lesquels 1,3kg ont été produit par lit et par jour, tandis qu'au Bangladesh, 1,14-1,26 kg par lit et par jour [6]. En Afrique, Les résultats ont révélé des insuffisances considérables dans le cadre organisationnel avec des absences de comité d'hygiène fonctionnel, de micro-plans, de cadre de rencontre, d'échange entre les acteurs et aucun rôle ou responsabilité défini dans la presque totalité des services. Un déficit en ressources humaines (techniciens de surface). Un déficit des ressources matérielles à travers des ruptures de boîtes de sécurité (23,8%), poubelles codifiées (28,60%), sachets poubelles (14,3%), un site de stockage non sécurisé, un déficit financier. Le tri était inadapté par le personnel soignant (38,1%), avec des boîtes de sécurité remplis à débordement (28,6%) [3]. En République Démocratique du Congo, il y a peu d'études sur l'estimation de la quantité de production de déchets hospitaliers. Environ 10% à 25% de DBM totaux sont dangereux et peuvent être préjudiciables à l'homme ou aux animaux [5] Dans la province du Nord-Kivu aucun mécanisme n'est mis en marche pour la gestion des déchets biomédicaux. Les DBM produits dans les FOSA de la zone de santé de Nyiragongo, sont gérés sur place voir même pour leurs éliminations, pourtant les FOSA sont entourés ou voisins des ménages. C'est dans ce contexte qu'il nous a paru nécessaire d'analyser la gestion des DBM dans les FOSA de la zone de santé de Nyiragongo en vue de proposer un programme pour réduire les risques de contamination et améliorer l'état de santé environnementale et des populations [5]

Matériel et méthodes

L'étude est transversale analytique, menée dans la zone de santé rurale de Nyiragongo, province du Nord-Kivu, DR Congo, auprès de 61 FOSA. Une fiche guide de collecte des données a été élaborée, soumise et complétée par les responsables des FOSA cible, en présence des enquêteurs.

Résultats

Tableau I : Répartition du profil démographique des FOSA de Zone de santé de Nyiragongo

Caractères des variables	N=61	%
Catégorie de la FOSA / statut juridique :		
Etatiques	12	19,7
Paraétatiques	49	80,3
Type d'établissement de soins		
Centre de santé	41	67,2
Postes de santé	17	27,9
HGR (1), CSR (2)	3	4,9

Nombre de lits dans la FOSA			
1 à ≤ 20 Lits	56		92
20 lits et plus	5		8
Personne(s) en charge de la gestion des déchets biomédicaux dans la FOSA			
Chef des hygiénistes	21		34,42
DN	21		34,42
Point focal PCI	11		18
Responsable de la FOSA	8		13,11
Infrastructures liées à la gestion des DBM			
Présence d'une fosse à déchets biomédicaux	Oui	35	57,4
	Non	26	42,6
Incinérateur fonctionnel disponible			
Oui	12		19,7
Non	49		80,3
Système de tri des déchets à la source (bacs de couleurs différenciées) :			
Oui	21		34,4
Non	40		65,6
Un local de stockage temporaire conforme aux normes	20		32,7

Les FOSA paraétatiques et privées 49/61, soit 80,3%, plus de la moitié, soit 57,4 disposent des fosses à déchets, incinérateurs fonctionnels, représentent 19,7%, le tri des DBM 34,4% et les locaux de stockage temporaire conforme aux normes 32,7%.

Tableau II : Identifier les modes de gestion des déchets biomédicaux mis en marche dans la zone de santé de Nyiragongo

Caractères des variables	N=61	%
Tri à la source		
Observé	21	34,42
Qui n'observe pas	40	65,57
Collecte interne		
Réalisée de manière quotidienne	41	67,2
Réalisée de manière non quotidienne	20	32,7
les EPI		
Utilise les EPI	21	34,42
N'utilise pas	40	65,57
Traitement final		
Incinération contrôlée	15	24,6
Incinération à ciel ouvert	27	44,3
Enfouissement non sécurisé	12	19,7
Autres méthodes (brûlage de fortune, abandon)	7	11,4
Plan écrit de gestion des DBM		
Présence	11	18
Absence	50	82

Le **Tri à la source** est observé dans 21 sur 61 structures soit 34,4 %, la **collecte interne** réalisée de manière quotidienne dans 41 FOSA sur 61, soit 67,2%, l'utilisation des EPI complets dans 21 FOSA sur 61, soit 34,4%, le **traitement final** 15 FOSA sur 61/ incinération contrôlée, soit 24,6 %, l'incinération à ciel ouvert 27 FOSA sur 61 soit 44,3 %, l'enfouissement non sécurisé 12 FOSA sur 61, soit 19,7 %, le brûlage de fortune, l'abandon, 7 FOSA sur 61, soit 11,4 %, l'**absence d'un plan**

écrit de gestion des DBM 50 FOSA sur 61 soit 82 %.

Tableau III : Impact de la gestion des déchets biomédicaux sur la santé

Caractères des variables	N=61	%
Accidents d'exposition au sang (AES) chez le personnel		
Accidents Exposition	18	29,5
Plaintes liées à la pollution ou aux nuisances (odeurs, fumées, dispersion de déchets) : rapportées par les communautés		
Présent	21	34,4
Problèmes environnementaux		
Présence de seringues/aiguilles usagées dans l'environnement proche	14	23
Perception des soignants		
estiment que la gestion actuelle des DBM expose le personnel et la population à un risque élevé de maladies infectieuses (hépatites, VIH, infections cutanées).	47	77
Transport sûr, Tri sélectif, Respect de l'environnement et Formation du personnel	41	67,2
Disposition des infrastructures spécifiques pour la gestion des déchets biomédicaux	21	34
Types des infrastructures de la FOSA avec une « Zone de stockage, tri et de traitement ».	11	18

Les accidents d'exposition au sang (AES) chez le personnel est signalés dans 18 FOSA sur 61, soit 29,5 %, 21 FOSA rapportent les **plaintes liées à la pollution ou aux nuisances** (odeurs, fumées, dispersion de déchets) selon les communautés autour soit 34,4 %, dans 14 FOSA Présence de seringues/aiguilles usagées dans l'environnement proche soit 23 % et dans 47 FOSA la **Perception des soignant** estime que la gestion actuelle des DBM expose le personnel et la population à un risque élevé de maladies infectieuses (hépatites, VIH, infections cutanées) soit 77 % , 41 FOSA disent qu'il y a non-respect des normes « Transport sûr, Tri sélectif, Respect de l'environnement et Formation du personnel » soit 67,2 %, 21 FOSA Disposent des infrastructures spécifiques pour la gestion des déchets biomédicaux soit 34 % ,11 FOSA ont des infrastructures avec une « Zone de stockage, tri et de traitement» soit 18 % .

Conclusion

Une gestion rationnelle des déchets biomédicaux, protège la santé publique et l'environnement, des risques infectieux et toxiques. Elle prévient la propagation des maladies aux malades, garde-malades et les prestataires des soins de santé. Elle limite et protège les communautés environnantes de la contamination des sols, des eaux et réduit les coûts de traitement. La bonne gestion des déchets biomédicaux exige le tri dès le site de production, l'utilisation de contenants adaptés et la coloration pour chaque catégorie (ex : jaune pour les piquants/tranchants), des procédures de collecte et de stockage sécurisées dans des locaux aérés, la mise en place de mesures de protection individuelle pour le personnel, et le recours au traitement approprié (incinération, désinfection) avant l'élimination finale. Un plan de gestion clair, de formation du personnel et de l'application de mesures préventives sont obligatoires. La gestion des déchets biomédicaux dans la zone de santé de Nyiragongo demeure préoccupante, caractérisée par une faible pratique du tri à la source, une utilisation insuffisante des EPI, et un recours fréquent à des méthodes de traitement non sécurisées telles que l'incinération à ciel ouvert et l'enfouissement. L'absence d'un plan écrit dans la majorité des structures traduit également une faiblesse organisationnelle persistante.

Références bibliographiques

1. Ndié J. *Étude de la gestion des déchets hospitaliers dans les structures sanitaires de référence de la région du Nord-Cameroun*. **European Scientific Journal**, 2016. [URL: <http://dx.doi.org/10.19044/esj.2016.v12n11p364>]. ISSN 1857-7431.
2. Fonds Mondial. *Rapport: Prévention, réduction et gestion sûre des déchets médicaux*. Genève: Note d'information technique, 3 janvier 2022. Lef22.
3. Ananth P.A. et al. *Healthcare Waste Management in Asia*. **Waste Management**, 2010, Vol. 30, No. 1, pp. 154–161.
4. Yadannavar et al. *Biomedical Waste Management: A Study of Knowledge, Attitude and Practices in a Tertiary Health Care Institution in Bijapur*. **Indian Journal of Community Medicine**, 2010, Yad10, p. 17.
5. Mupenda B., Mavinga I., et al. *Analyse de l'offre des soins de santé dans les zones urbaines de la RDC*. Ministère de la Santé, RDC; 2019.
6. Kabinda J.M. *Organisation des soins et système de santé en RDC*. Kinshasa: Presses Universitaires du Congo; 2020.
7. Luntadila K. et al. *Cartographie des formations sanitaires en RDC: Focus sur les zones périurbaines*. Kinshasa: Ministère de la Santé; 2018.
8. Kayembe L., Tshimanga P., et al. *Profil des structures de santé en RDC: Cas de Kinshasa*. **Revue Médicale des Grands Lacs**, 2021; 12(1): 21–30.
9. Mabiala B. et al. *Gestion des déchets biomédicaux au Congo-Brazzaville*. **Santé Publique Afr.** 2016.
10. Nzanu B., Mukeba A., et al. *Gestion des déchets médicaux dans la ville de Goma*. **Revue Congolaise de Santé Publique**, 2019; 8(2): 31–37.
11. Dicko S. *Infrastructures de gestion des déchets biomédicaux au Mali: État des lieux*. Ministère de la Santé du Mali; 2024.
12. World Health Organization. *Safe Management of Wastes from Health-Care Activities*. Geneva: WHO; 2017.
13. World Health Organization. *Management of Health-Care Waste*. Geneva: WHO; 2005.
14. Organisation mondiale de la santé (OMS). *Waste: A Guide to Health Care Waste Management*. WHO; 2018.
15. N'Zi G.A., Kouassi L., et al. *Pratiques de gestion des déchets biomédicaux en Côte d'Ivoire*. **Revue Ivoirienne de Santé Publique**, 2018; 4(2): 40–48.
16. Mokoko I.K., Obengui F., et al. *Défis de la gestion des déchets médicaux en Afrique centrale*. **Revue Santé et Environnement**, 2018; 5(3): 15–25.
17. OMS. *Rapport: Déchets liés aux soins de santé*. Genève: www.who.int. Consulté le 26 novembre 2022, 8 février 2018.
18. Ndiaye M., Ba A., Sow M., et al. *Évaluation de la gestion des déchets médicaux dans les hôpitaux de Dakar*. **Revue Africaine de Santé Publique**, 2012; 9(1): 45–52.
19. Magassa O. *Évaluation de la gestion des déchets biomédicaux dans les établissements de santé à Bamako (Mali)*. Université de Bamako; 2021.

أسلوب التورية والعلاقة بينه وبين الكناية والمجاز والمشارك اللفظي

د. فائزة محمد الغفير¹

¹ جامعة إسطنبول آيدن، قسم الترجمة، تركيا.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/27>

<https://arsri.org/10000/611/27> المعروف العلمي العربي للأبحاث:

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يُعالج هذا البحث أحد الأساليب البلاغية الدقيقة في علم البديع وهو أسلوب التورية، باعتباره فناً بيانياً يعزز بلاغة الخطاب ويكشف عن عمق الدلالة في النصوص العربية عامة، والقرآن الكريم خاصة. يهدف البحث إلى توضيح مفهوم التورية وحدودها وأنواعها، وبيان موقعها ضمن منظومة الفنون البلاغية الأخرى، مع تحليل العلاقة التي تربطها بكل من المجاز والكناية والمشارك اللفظي، وما يميزها عن هذه الفنون من حيث المعنى والاستخدام.

تناول الباحث تعريف التورية من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، مبرزاً أنها تقوم على استخدام لفظ له معنيان: قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المقصود، كما تناول أنواع التورية الرئيسة: المجردة، والمبينة، والمرشحة، والمهيأة، موضحاً خصائص كل نوع وأمثله في الشعر والنثر والقرآن الكريم والحديث النبوي. وأبرز البحث كيف تسهم التورية في إضفاء عمق فني ومعنوي على الخطاب من خلال الإيهام والتخييل وحسن التخلص.

كما فصل البحث التمييز بين التورية والمجاز والكناية؛ فبين أن قرينة التورية تكون خفية بينما في المجاز والكناية تكون ظاهرة، وأن العلاقة بين المعنيين في التورية منقطعة، بخلاف المجاز والكناية اللذين تربط بينهما علاقة لزوم أو مشابهة. وفي محور آخر، تناول الباحث العلاقة بين التورية والمشارك اللفظي موضحاً أن المشارك اللفظي يعد أصلاً للتورية، إذ يقوم على اشتراك لفظ واحد في معانٍ متعددة على السواء، بينما تمثل التورية فرعاً بلاغياً يوظف هذا الاشتراك لأغراض تداولية وأسلوبية، فتخضع للنية والمقام، لا للنظام اللغوي وحده.

خلصت الدراسة إلى أن التورية ليست مجرد محسن بديعي، بل أداة بلاغية تمكن المتكلم من التعبير عن المعاني الدقيقة بطريقة إيحائية تحفظ المعنى وتمنح النص بعداً جمالياً ودلالياً راقياً. وأوصت بإعادة النظر في تصنيف أنواع التورية، وردّ التورية المهيأة إلى قسمي المبينة والمرشحة، كما دعت إلى اعتبار التمييز بين دلالة اللفظ المفرد ودلالاته المشتركة نوعاً من البلاغة التي تكشف عن العلاقة الوثيقة بين المشارك اللفظي والمحسنات البديعية.

الكلمات المفتاحية: التورية، الكناية، المجاز، المشارك اللفظي، علم البديع، البلاغة العربية.

RESEARCH TITLE

The Style of Tawriya and Its Relationship with Kenaya, Metaphor, and Lexical Ambiguity

Abstract

This study examines one of the refined rhetorical styles in Arabic *Ilm al-Badi'* — **the style of Tawriya** (double entendre or pun) — as a unique artistic device that enhances the eloquence and expressive depth of Arabic discourse, particularly within the Qur'an. The research aims to define the concept, boundaries, and types of *Tawriya*, while exploring its position among other rhetorical arts, namely **metaphor**, **kenaya (metonymy)**, and **lexical ambiguity** (*mushtharak lafzi*), and distinguishing it from them in meaning and usage.

The study first defines *Tawriya* linguistically and terminologically, showing that it involves a word carrying two meanings — a near, apparent meaning that is unintended, and a far, hidden meaning that is intended. It then analyzes the main **types of Tawriya** (simple, explicit, qualified, and prepared), clarifying the characteristics of each with examples from poetry, prose, the Qur'an, and Hadith. The study highlights how *Tawriya* enriches the artistic dimension of speech through illusion, subtlety, and elegance of expression.

Furthermore, it differentiates between *Tawriya*, metaphor, and kenaya, noting that the clue (*qarina*) in *Tawriya* is concealed, whereas in metaphor and kenaya it is explicit; and that there is no logical or semantic relationship between the two meanings in *Tawriya*, unlike metaphor or kenaya, where such a relationship is essential. Another focus of the study is the **relationship between Tawriya and lexical ambiguity**, establishing that lexical ambiguity is the linguistic basis of *Tawriya* — every *Tawriya* involves a lexical ambiguity, though not every ambiguous word constitutes *Tawriya*. The study shows that while lexical ambiguity is a systemic linguistic phenomenon, *Tawriya* is a stylistic, communicative device governed by context and speaker intention.

The study concludes that *Tawriya* is not merely an ornamental feature of style, but rather a **rhetorical tool that enables the speaker to express subtle meanings with artistic and aesthetic precision**. It recommends revising the classification of *Tawriya* types — merging the “prepared” category into the explicit and qualified types — and viewing the distinction between single and multiple word meanings as a form of rhetorical insight, since lexical ambiguity serves as a linguistic source for various rhetorical embellishments such as pun (*jinas*) and *Tawriya*.

Key Words: Tawriya, Kenaya, Metaphor, Lexical Ambiguity, *Ilm al-Badi'*, Arabic Rhetoric.

المقدمة

يتكون علم البلاغة العربية من ثلاثة أقسام وهي علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع باب التورية جزء من علم البديع، الذي ينقسم إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية. تعد التورية فناً بديعاً مستقلاً بذاته، له دوره في بلاغة الكلام، وقوة الأساليب، وفي إعجاز القرآن الكريم، فهو داخل في صميم البلاغة. وقد اخترنا البحث فيه لأهميته وجماله؛ وهو من قبيل المشتبه اللفظي، وكما قال الزمخشري: ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين.

أما المجاز مع كونه باباً من أبواب علم البيان، لكن تجتمع التورية معه في كثير من الأساليب والفرق بين المجاز والكناية فرق بسيط، ولأن التحسين بجميع هذه الفنون الثلاثة هو ذاتي لا عرضي كان البحث في هذه الأبواب معاً لبيان حد كل منها، وعلاقته بالفنون الأخرى مع توضيح الفرق في المعنى والاستخدام، وللتمييز وعدم الخلط الذي بينها والمشارك اللفظي تم حصره منذ القديم داخل الناحية المعجمية بعيداً عن البلاغة والأدب، مع أن العلاقة بين المشارك اللفظي والتورية علاقة قوية، فالمشارك اللفظي أصل للتورية، والتميز بين دلالة اللفظ على معنى واحد ودلالته على معانٍ مشتركة نوع من البلاغة فكان البحث في توضيح التورية وبيان علاقتها مع هذا الموضوع.

معنى التورية

التورية في معناها المعجمي هي إخفاء الشيء⁽¹⁾، أما معناها الاصطلاحي المراد في علم البديع هي ذكر لفظ معين، ولهذا اللفظ معنيين؛ أحدهما متبادر للذهن يسهل على المخاطب فهمه من سياق الجملة، والمعنى الآخر بعيد عن ذهن المخاطب، ويكون الأول (الظاهر القريب غير مراد في قصد المتكلم، بينما يكون المعنى الآخر الخفي البعيد هو المعنى المقصود)⁽²⁾ التورية قد تُسمى تخيلاً، أو إيهاماً، أو توجيهاً⁽³⁾، باعتبار حال السامع، ولأن كل تلك المعاني تعبر عن أنها لفظ يُراد به معنيان، أحدهما قريب غير مقصود، والآخر بعيد وهو المقصود⁽⁴⁾. ثم إن التورية في أساليب العرب تقيد بإخفاء ما يريد المتكلم دون أن يُشعر المخاطب بأنه يخفي مراده، فتحصل بها فائدة تتأتى في مواقف قد يصعب الخلاص منها دون ذلك⁽⁵⁾. ولعل أهم فائدة لاستخدام التورية المبدأ التداولي القائل بأن المخاطب يجني في التواصل بقدر ما ينفق على التورية⁽⁶⁾.

أنواع التورية

من المسلمات أن "طبيعة اللغة تعتمد على تحققها في أذهان المتكلمين⁽⁷⁾ وللسياق المحيط بالأسلوب الأدبي دور كبير في الوصول إلى المعنى المراد من النص، ومن المهم في التورية التمييز بين المورى به (المعنى القريب غير المراد، والمورى عنه المعنى البعيد المراد)، لأن تسمية التورية تتغير بحسب ذكر ما يدل على التورية وعدم ذكره، فنحدد نوعها بحسب

(1) معجم المعاني اطلع عليه بتاريخ 2022/4/9، بتصرف.

(2) عصام شعيتو مع خزانة الأدب وغاية الأرب 39/2

(3) نعيم زرزور مح، مفتاح العلوم 427

(4) قاسم، ديب علوم البلاغة البيان والبديع جامعة المدينة، 441/1.

(5) أحمد الهاشمي جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع / <https://www.hindawi.org/books/85925824/3.1>

(6) عشري محمد على محمد التورية دراسة تداولية 208

(7) اللغة والمعرفة قضايا البحث الليمعرفي، 328

سياق الجملة، والمعنى الذي يرد فيه لفظها⁽⁸⁾، وأنواعها هي:

1. التورية المجردة هي التورية التي لا يُذكر فيها ما يدل على المورى به، أو يدل على المورى عنه، فلا يمكن الاستدلال على خفايا التورية بشيء مما يلائم أحد أركانها، فهذا النوع من التورية يعتمد على فهم المخاطب للمعنى الذي أراده المتكلم، دون وجود ما يدل على ذلك المعنى. فلا تقتزن بشيء مما يلائم المعنى القريب المورى به، أو يرافقها شيء يلائمها وآخر يلائم المعنى البعيد⁽⁹⁾.

ولهذا النوع من التورية صور ثلاث:

1. الصورة الأولى: أن تكون مجردة مما يلائم المعنى القريب، مع تجردها مما يلائم المعنى البعيد كذلك
2. الصورة الثانية: أن تجيء مجردة مما يلائم المعنى القريب مع اقترانها بما يلائم المعنى البعيد، وهذه نراها في قول عمر بن أبي ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمان

فالتورية في لفظي "الثريا" و "سهيل" وهما هنا اسمان الثريا وهي الزوجة في هذا العرس وسهيل هو الزوج في هذا العرس؛ فهذان هما المرادان في البيت، لكن الشاعر أوهم السامع أنه يريد النجمين المشهورين؛ لأن الثريا من منازل القمر الشامية، وسهيلا من النجوم اليمانية، إلا أنه أراد صاحبتة المسماة بهذا الاسم، وكان أبوها قد زوجها برجل يدعى سهيلاً، فورى ابن أبي ربيعة بالنجمين عن الشخصين؛ ليكون أدعى للإنكار متى أراد. وقد جاءت التورية هنا مجردة مما يلائم المورى به المعنى القريب، ولكن الشاعر أتى بما يلائم المعنى البعيد وهو قوله: "المنكح"؛ لأن النكاح من صفات الإنسان لا من صفات الكواكب.

3. الصورة الثالثة: تكون بأن يصاحب التورية شيء مما يلائم المعنى القريب وشيء آخر يلائم المعنى البعيد فيجتمع فيها الشيئان كلاهما، وكان الشيئين تعارضا فتساقطا، فكأن لم يكن في الكلام شيء، لا من ملائمت المعنى القريب، ولا من ملائمت المعنى البعيد. ومثال هذه الصورة قول الشاعر:

يا عاذلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلو

يمر بي كل وقت وكلما مر يحلو

التورية مجردة في البيتين؛ لأنها اجتمع فيها قرينة تدل على المعنيين فكانت كأنها لم تقتزن بشيء. وهي في لفظ "مر" إذ معناه القريب الواضح من المرارة، والمعنى البعيد الخفي من المرور. وقد قرنت التورية هنا بما يلائم المعنى القريب وهو قوله: "يحلو" كما قرنت أيضاً بما يلائم المعنى البعيد وهو قوله: "يمر بي كل وقت".

- 2 التورية المبينة: تشتمل الجملة فيها على لفظ أو معنى يدل على المورى عنه، فيمكن للمخاطب أن يهتدي إليه، إذ المتكلم لم يترك المعنى مجرداً من التوضيح، ولذلك سميت بهذا الاسم⁽¹⁰⁾.

(8) عبد الحميد هندايي مح.. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 243/2

(9) عشري محمد على محمد التورية دراسة تداولية 197

(10) قاسم، ديب علوم البلاغة البيان والبدیع جامعة المدينة، 444/1.

3. التورية المرشحة هذا النوع فهو أشد الأنواع صعوبة لما في الإيهام؛ فالمتكلم يذكر فيها ما يدل على المورى به المعنى القريب غير المراد، فيتبادر هذا المعنى إلى ذهن المخاطب، ويبعد عن ذهنه المعنى المورى عنه المعنى البعيد فيزداد تخفياً واحتجاباً، وقد تأتي الألفاظ الدالة على المورى به قبل لفظ التورية أو بعده، منه قوله:

لما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريمة ولا نحن أغضينا الجفون على وقر

لفظ (الجفون) له معنيين قريب واضح وهو (جفون العين، وبعيد خفي وهو جفون السيف، والمعنى البعيد هو المراد. (11)

4. **التورية المهيأة:** هذا النوع يحتوي على دلائل، ولكن هذه الدلائل هنا تدل على التورية بأكملها، لا على ركن واحد من أركانها دون غيره، وهي إما مهيأة بلفظ قبلها، لولاه لما تهيأت التورية في الجملة ولا فهمت أو مهيأة بلفظ بعدها، لولاه أيضاً ما فهمت التورية في الجملة، وإما مهيأة بلفظين، لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر (12). من أمثلتها نثر قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الأشعث بن قيس: (إنه كان يحوك الشمال باليمين، فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهي الكساء يشتمل به، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي إحدى اليدين ونقيض اليمين، وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد.

فنرى أن أنواع التورية جميعها تكون بحسب المورى به والمورى عنه، وبحسب وجود أي منهما في السياق وعدمه يكون إطلاق التسمية على التورية، فإما مجردة من أي دليل أو دالة على معنى عام، أو مفضلة لمعنى دون الآخر (13). وكلما كانت التورية أدخل في السطر صارت أبلغ، وكان المخاطب بها أشد فطنة من غيره من المخاطبين.

ولا بد من إعادة النظر في أقسام التورية، ورد كل صور القسم الرابع من أقسام التورية، وهو التورية المهيأة إلى قسمي التورية المبينة والتورية المرشحة لأنها تشملها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن قدرة المخاطب تتناسب تناسباً طردياً مع الصعوبة التي يواجهها، فتتصاعد درجة الصعوبة من التورية المبينة إلى التورية المجردة حتى التورية المرشحة (14).

المواضع التي وردت فيها التورية

يقول الزمخشري: ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين، وقال السكاكي: "أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية والإيهام (15) فنذكر ما ورد في هذا الأسلوب في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وفي الشعر.

1. التورية في القرآن الكريم: يقول الله تبارك وتعالى: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (16)، فكلمة (يد) في هذه الآية بمعناها القريب الظاهر هي العضو المعروف من جسم الإنسان، وهذا المعنى غير مراد.

أما المعنى المراد منها هو الصغار والذل، وهو المعنى الخفي الذي يؤدي دورة في الآية، ويؤكد ما بعد ذلك

(11) عبد العزيز عتيق، كتاب علم البديع، 127

(12) عبد العزيز عتيق، كتاب علم البديع، 126

(13) هبة خير الله، التورية في اللغة العربية". <https://sotor.com>

(14) عشري محمد على محمد التورية دراسة تداولية 207

(15) على دحروج مح، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1/527

(16) سورة التوبة: 29

من قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ ، أَيْ أَذِلَّةٌ .

2 التورية في الحديث النبوي الفصاحة النبوية فيها من البساطة وعدم التكلف ما يجعلها تنصدر الكلام وفيها من العمق وحسن التعبير ما يجعلها في مقدمة المعاني⁽¹⁷⁾. " عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لقي طليعة للمشركين وهو في سفر مع أصحابه، فقال المشركون ممن أنتم؟ فقال النبي : نحن من ماء، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : أحياء اليمن كثيرة، لعلهم منهم، وانصرفوا⁽¹⁸⁾. وفي كلامه -- إيهام للمشركين بأنهم من قبيلة يمنية اسمها ماء، أما المعنى الخفي فهو الماء الذي يُخلق منه الإنسان، وقد استطاع في هذا الموضع ببلاغته وحكمته أن ينجو من بطش المشركين، فأدت التورية هنا دوراً مهماً⁽¹⁹⁾. "

3. التورية في الشعر : تعددت أغراض التورية في الشعر العربي لما تضيفه من جماليات على البيت، وهذه أهم الأغراض:

1. أن يكون الهدف من استخدامها الغاز الكلام وإعطائه صبغة الغموض.
2. أن يكون الهدف منها محاولة إعمال فكر المخاطب ولفت انتباهه للمعاني المستخدمة.
3. أن يكون الهدف منها رفع المستوى الفني والبلاغي للبيت الشعري، من خلال ازدواج المعنى الذي يعتمد إليه الشاعر في توريته، ومن الأمثلة على ذلك:

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب

ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافي لهم به حبيب

التورية في هذا البيت في كلمة (حبيب المعنى الظاهر المتبادر للذهن هو إنسان محبب إلى قلوبهم، ولكن الشاعر أراد المعنى الخفي لها، وهو الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، والمعنى: رغم بلاغة أبي تمام وعلق شأنه في الشعر وشهرته الواسعة لا يقبل هؤلاء الناس الشعر منه لشدة رفضهم للشعر وأهله⁽²⁰⁾.

الفرق بين التورية وبين المجاز والكناية

معنى الكناية والمجاز والتورية

الكناية والمجاز والتورية مباحث بلاغية يتم الخلط بينهما عند كثير من المتعلمين، بينما حد التورية وهنا نوضح المجاز والكناية .

تعريف الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، نحو: فلان طويل اليد، فالمقصود هنا أنه سارق، وقد عبر عن هذا المعنى بـ طويل اليد، وقد يصح المعنى الحقيقي، وهو أن يده طويلة مقارنة مع طول يد أخرى.

تعريف المجاز في اللغة التجاوز والتعدي، وفي الاصطلاح استعمال اللفظ في غير موضعه، مع صرف اللفظ عن معناه الظاهر لوجود قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي، ويُعد المجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس قال الله

(17) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية 59

(18) ابن هشام، السيرة النبوية 2/255

(19) سيد قطب التصوير الفني في القرآن 34

(20) قاسم، ديب، علوم البلاغة البيان والبديع جامعة المدينة ، 1/79.

تعالى: فَقِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⁽²¹⁾ المجاز في لفظة (رحمة الله) أي جنته فالجنة هي رحمة الله. ونجد من المثال وجود القرينة (خالدون) التي تمنع حصول المعنى الحقيقي في المجاز أما مثال الكناية فيخلو من هذه القرينة، وهذه أهم فارق بين الكناية والمجاز⁽²²⁾.

الفرق بين الكناية والمجاز وبين التورية

من المؤكد أن التورية تجتمع مع المجاز والكناية في كثير من الأساليب، لكن هناك فرق في جوانب، وهي:

1. أن المعنيين في التورية يفهمان من اللفظ دون وساطة من أحدهما لفهم الآخر، لكن المعنى الثاني في الكناية يكون لازماً للمعنى الأول، فالكناية عبارة عن لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، نجد هذا المعنى في قول من يصف راعي إبل أو غنم

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعاً

يريد أنه مشفق على غنمه، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير ما لأن من العصا، فقوله: (ضعيف العصا) لفظ أطلق ولم يرد به حقيقة معناه، وإنما أراد معنى آخر، هو لازمه وتاليه في الوجود، وهو الرفق واللين، وردفاً له، فضعف العصا يلزمه الرفق واللين⁽²³⁾.

2. أن قرينة الكناية تكون ظاهرة لا خفاء فيها ولا غموض، وهذا واضح من المثال السابق، بينما قرينة التورية شرطها أن تكون خفية غير ظاهرة.

3. أن المعنيين في التورية لا علاقة بينهما، بينما في المجاز والكناية لا بد من علاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ، وبين المعنى المجازي أو الكنائي.

فأساس أسلوب التورية على كون المراد بعيداً مع خفاء القرينة، فخفاء القرينة هو الحد الفاصل بين عد اللفظ من باب المجاز وعده من باب التورية. لكن خفاء القرينة أو قربها غير مسلم عند بعض البلاغيين، إلا أن فرق العلاقة بين التورية وكل من المجاز والكناية هي الميزة الفاصلة، فمبنى التورية على ألا يعتبر بينهما لزوم وانتقال من أحدهما للآخر، وبهذا الفرق وحده يخرج هذا الفن عن علم البيان.

التورية والمشتراك اللفظي

معنى المشترك اللفظي

تعريف أهل الأصول للمشتراك هو أدق ما يحد به، فهو عندهم: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة⁽²⁴⁾ ومثلوا له بعين الماء، وعين المال، وعين السحاب⁽²⁵⁾.

العلاقة بين المشترك اللفظي والتورية

ذكر الجاحظ أن في التمييز بين المشترك والمفرد نوعاً من البلاغة بصفة عامة، و البلاغيين من بعده قد أكدوا بلاغة

(21) آل عمران، الآية 21.

(22) معجم المصطلحات الشرعية، موقع الجهرة 8865/word/dictionary/islamic-content.com/https://

(23) كتاب البلاغة البيان والبيدع جامعة المدينة، 1/441

(24) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، 302

(25) ابن حجة الحموي، خزنة الأدب، 2/40

التورية بصفة خاصة، يقول الزمخشري: "ولا نرى باباً في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين" (26). لكن التورية عولجت في مبحث بلاغي منفصل عن أي منظور دلالي واضح، على الرغم من ارتباطها الوثيق بظواهر دلالية عميقة الصلة بالظاهرة اللغوية كالمشتراك اللفظي، والأمر نفسه قد حدث مع المشترك اللفظي تم حصره داخل الناحية المعجمية بعيداً عن البلاغة والأدب. مع أن العلاقة بين المشترك اللفظي والتورية علاقة قوية، فالمشتراك اللفظي أصل للتورية، والتورية فرع عنه، فبينهما عموم وخصوص فكل تورية مشترك لفظي، وليس العكس، (27) و ليس كل لفظ مشترك يتصور فيه التورية، بل لابد من اشتهاار معانيه وتداولها على الألسنة بخلاف اللغات الغريبة، إلا أن يختص قوم باشتهار لغة غريبة بينهم فينبغي اعتبار حال المخاطب بها. (28)

الفروق التي تميز بين المشترك اللفظي والتورية

من جهة الاستعمال التداولي يعد البلاغي الكلمة داخل الخطاب أو النص تورية، حيث يُظهر المتكلم المعنى القريب، ويخفي المعنى البعيد، ومن جهة علاقة الدال بالمدلول يرى اللغوي الكلمة التي لها معنيان فأكثر مشتركاً لفظياً، والاشتراك يعد ظاهرة نظامية طبيعية، أما التورية فتقوم على ضرب من التصرف الأسلوبي، فتعتبر نوعاً من السلوك الفردي، بما يطبعها بطابع استهداف تحقيق مقصد التأثير بالقول القائم على التورية، في حين أن الاشتراك ظاهرة موضوعية تتصف بها بعض الكلمات، وليس الفرد مسؤولاً عن وضعها أو ابتكارها؛ بل يوفرها له الرصيد المعجمي في اللغة.

يتضح من هذا ان ظاهرة المشترك اللفظي تخضع لنظام اللغة، اما التورية فتابعة لأسلوب الكلام، فالمشتراك اللفظي يمثل الرصيد الإيجابي الذي يوفره الفاظ اللغة للمتكلمين بها، أما التورية فترتبط بالمقاصد التداولية لأصحاب هذه اللغة ودوافعهم، ويأتي تنوع معنى المشترك اللفظي من تنوع استعماله.

ويمكننا القول انه اذا كان التميز بين دلالة اللفظ على معنى واحد ودلالاته على معان مشتركة نوعاً من البلاغة فإن المشترك اللفظي يعد رافداً لغوياً لعدد من المسنات البديعية، مثل الجناس والتورية حيث تستعين الأخيرة بالألفاظ التي تحتمل معنيين فأكثر. (29)

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة نستنتج ان التورية فن يمكن ان ينقذ الانسان فيه نفسه، او يشتم عدوه، او يغازل محبوبه، او يطلب العطاء من غيره، بأسلوبه البديعي وايقاله في الفصاحة العربية دون ان يؤخذ على المتكلم انه يقصد تلك المعاني بمعناها المباشر، وأن الاستعمال هو العامل المرجح للتورية عند البلاغيين، وهو المحدد أيضاً لمعنى الكلمة عند علماء الدلالة، وان قدرة المخاطب تتناسب تناسباً طردياً مع الصعوبة التي يواجهها، فتتصاعد درجة الصعوبة من التورية المبينة الى التورية المجردة حتى التورية المرشحة.

وانه يمكننا التعرف بي التورية وبين كل من المجاز والكناية بالنظر في القرينة فتكون في المجاز والكناية ظاهرة واضحة، بينما قرينة التورية ينبغي ان تكون خفية تحتاج الى نوع من التفكير والتأمل، كما ان المعنيين في التورية لا علاقة بينهما

(26) عشري محمد علي محمد التورية دراسة تداولية ، 187

(27) شاكر هادي شكر مح. أنوار الربيع في أنواع البديع 5/15

(28) السيوطي، المزهر، 1/293

(29) عشي محمد علي محمد، التورية دراسة تداولية، 207، بتصرف.

بينما في المجاز والكناية لابد من علاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ وبين المعنى المجازي أو الكنائي، وتوصي الدراسة بإعادة النظر في أقسام التورية ورد كل صور القسم الرابع من أقسام التورية، وهو التورية المهيأة، الى قسمي: التورية المبينة والتورية المرشحة. وباعتبار بحث التمييز بين دلالة اللفظ على معنى واحد، ودلالاته على معان مشتركة نوعاً من البلاغة بذلك فإن المشترك اللفظي يعد رافداً لغويًا لعدد من المحسنات البديعية.

المصادر والمراجع:

1. ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت: دار المعرفة، بلا تاريخ، ص 5252.
2. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 8، 2005م.
3. الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، بيروت: دار العلم للملايين، ص 302.
[المصدر الإلكتروني: <https://al-maktaba.org/book/9998/292#p3>]
4. عتيق، عبد العزيز، علم البديع، بيروت: دار النهضة العربية، بلا تاريخ.
5. علي محمد عشري محمد، التورية دراسة تداولية، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة: جامعة القاهرة، العدد 112، ص 207، 2018م.
6. قاسم، محمد أحمد ديب محيي الدين، علوم البلاغة: البيان والبديع والمعاني، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003م.
7. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، القاهرة: دار المعارف، ط 9، 1980م.
8. اللغة والمعرفة، قضايا البحث البيمعرفي، مجلة النقد الأدبي، المجلد 25، العدد 4.
9. هبة خير الله، «التورية في اللغة العربية»، موقع سطور، اطلع عليه بتاريخ 9 أبريل 2022م.
[الرابط: <https://sotor.com/الرباط-في-اللغة-العربية>]
10. هندواي، عبد الحميد (مح.)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج 2، ص 243، بيروت: المكتبة العصرية، 2003م.
11. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت: دار الهندواي.
[الرابط: <https://www.hindawi.org/books/85925824/3.1>]
12. دحجروج، علي (مح.)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي التهانوي، ج 1، ص 527، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.
13. شكر، هادي شاكر، أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، ج 5، ص 15، النجف: مطبعة النعمان، 1969م.
14. شعيتو، عصام (مح.)، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج 2، ص 39، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2004م.
15. مرزور، نعيم (مح.)، مفتاح العلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1987م.
16. منصور، فؤاد علي (مح.)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، ص 293، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
17. معجم المعاني، موقع المعاني، اطلع عليه بتاريخ 9 أبريل 2022م [https://www.almaany.com]

دور وسائل التواصل الاجتماعي في تكوين الرأي العام

د. عادل بن عبد الرحمن الخضير¹

¹ جامعة الملك سعود - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: adelalkhudiri@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/28>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/28>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تناولت الدراسة دور وسائل التواصل الاجتماعي في تكوين الرأي العام، لما للرأي العام من دور محوري في صناعة القرار وتوجيهه عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة، ويعد الرأي العام من أبرز الموضوعات التي يوليها علم الاجتماع السياسي اهتماماً بالغاً، لما له من أهمية في بناء النظامين السياسي والاجتماعي، وكذلك في دعم استقرار أنظمة الحكم داخل المجتمعات، فالرأي العام يُعبّر عن توجهات أفراد المجتمع تجاه قضية أو قرار يمس مصالحهم ويعكس تطلعاتهم، سواء كانت هذه القضايا اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وتتبع أهمية الدراسة من الحاجة إلى توعية أفراد المجتمع بما يسهم في تحقيق نقلة ثقافية ومعرفية. وتصنف هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التي تهدف إلى تحليل أبعاد الرأي العام وأهميته لدى الأفراد والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، من خلال جمع البيانات والحقائق المتعلقة بالظاهرة، وتفسير عوامل تكوين الرأي العام وطرق قياسه. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوثائقي، وهو أحد المناهج المتبعة في البحوث الاجتماعية، عبر مراجعة وتحليل المصادر والمراجع والدراسات السابقة ذات الصلة، بهدف الوصول إلى فهم علمي وعملي لموضوع الدراسة. وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج أبرزها: أن الرأي العام يتشكل لتحقيق أهداف مجتمعية تسهم في رقي المجتمع، وأن تأثير منصات التواصل الاجتماعي قد تجاوز التوقعات، وأصبحت من أهم أدوات تشكيل وحشد الرأي العام، كما أكدت الدراسة على ضرورة التعامل الواعي مع الرأي العام، وعلى أهمية احتوائه من قبل صناع القرار، ودراسة المطالب السياسية والاجتماعية، وبينت النتائج أن تزايد الاهتمام بالرأي العام في عصرنا الحديث هو نتيجة تعدد وسائل الاتصال والأحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الواقعة في المجتمعات العربية والغربية، وضرورة تأهيل متخصصين لإدارة الأزمات الناتجة عن التأثيرات السلبية للرأي العام واحتوائه بطرق علمية، وضرورة تدريب كوادر مؤهلة تجيد التعامل مع التقنيات الحديثة لمراقبتها للحد من مخاطر الشائعات.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع السياسي، وسائل التواصل الاجتماعي، الرأي العام.

RESEARCH TITLE

The Role of Social Media in Shaping Public Opinion

Abstract

The study examined the role of social media in shaping public opinion, given the central role that public opinion plays in influencing and guiding decision-making through modern technological means. Public opinion is one of the most prominent topics that political sociology pays great attention to, due to its significance in building both political and social systems and in supporting the stability of governance within societies. Public opinion reflects the attitudes of individuals toward issues or decisions that affect their interests and express their aspirations, whether these issues are social, political, or economic.

The importance of the study stems from the need to raise public awareness in ways that contribute to achieving cultural and intellectual transformation. This research is classified as a descriptive study that aims to analyze the dimensions of public opinion and its significance for individuals and governmental and non-governmental institutions. It does so by collecting and interpreting data and facts related to the phenomenon and by explaining the factors that shape public opinion and the methods of measuring it.

The study adopted the documentary approach, one of the recognized methods in social research, by reviewing and analyzing relevant sources, references, and previous studies to reach a scientific and practical understanding of the subject.

The study reached several key findings, the most important of which are: public opinion is formed to achieve societal goals that contribute to the advancement of society; the influence of social media platforms has exceeded expectations and has become one of the main tools for shaping and mobilizing public opinion; the study emphasized the need for conscious engagement with public opinion and the importance of addressing it by decision-makers through examining political and social demands. The findings also indicated that the growing interest in public opinion in the modern era is a result of the multiplicity of communication means and the ongoing social, economic, and political events in both Arab and Western societies. Finally, the study highlighted the necessity of training specialists to manage crises arising from the negative impacts of public opinion and to address them scientifically, as well as training qualified personnel capable of using modern technologies to monitor and reduce the risks of misinformation and rumors.

Key Words: Political Sociology, Social Media, Public Opinion.

مقدمة الدراسة:

يُعد الرأي العام عنصراً بالغ الأهمية لجميع أنظمة الحكم حول العالم، سواء في الدول المتقدمة أو النامية، ديمقراطية الحكم أو ديكتاتورية الحكم، ففي الأنظمة الديمقراطية، يُشكّل الرأي العام مصدراً رئيسياً للقوة والشرعية، إذ يعكس حرية التعبير والتقدم السياسي، ويُعزز مكانة النظام بين الشعوب، أما في الأنظمة الديكتاتورية، فرغم اختلاف طبيعة الحكم، فإنها تولي اهتماماً كبيراً بالرأي العام، وتحرص على مراقبة أدواته لضمان استمرار السيطرة على السلطة، وغالباً ما تسعى هذه الأنظمة إلى إظهار تأييد شعبي واسع لها، بهدف تعزيز قوتها أمام الدول الأخرى أو الخصوم.

ومن هنا، يتضح أن الرأي العام يمثل ركيزة أساسية لا غنى عنها في مختلف أشكال الحكم.

تتألف هذه الدراسة من أربعة فصول رئيسية، خصص الفصل الأول لعرض مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وتساولاتها، بالإضافة إلى توضيح المفاهيم الأساسية المرتبطة بها، وسيتم في هذا الفصل تناول المفاهيم الواردة في الدراسة كما وردت في الأدبيات والمراجع العلمية، مع استعراض تعريفات الباحثين لها، كما سيتم تقديم تعريف إجرائي لمفهوم "الرأي العام" مستنداً إلى واقع المجتمعات المعاصرة والأحداث الجارية، مع إبراز ما يمثله هذا المفهوم من أهمية سياسية واجتماعية واقتصادية، حيث يُنظر إلى الرأي العام بوصفه أحد الحقوق الأساسية للإنسان، إذ يُتيح له التعبير عن آرائه بما ينسجم مع تحقيق طموحاته وتطلعاته في مختلف مجالات الحياة.

يتناول الفصل الثاني من هذه الدراسة الإطار النظري، حيث يتم استعراض أبرز النظريات التي تفسر مفهوم الرأي العام، إلى جانب مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة. أما الفصل الثالث فيُخصص لتقديم لمحة شاملة عن الرأي العام، تشمل نشأته، أنواعه، طرق قياسه، العوامل المؤثرة في تكوينه، وأوجه تأثيره في مختلف المجالات.

وفي الفصل الرابع، يتم عرض الإجراءات المنهجية المتبعة في الدراسة، بما في ذلك نوع الدراسة والمنهج المستخدم في الدراسة. بينما سيتضمن الفصل الخامس عرض للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال مراجعة الأدبيات العلمية والدراسات السابقة، بالإضافة إلى تقديم مجموعة من التوصيات المتعلقة بالرأي العام، تُسهم في تطوير الفهم والممارسة في هذا المجال، ويُختتم الفصل بذكر المراجع التي تم الاعتماد عليها، راجياً أن تُسهم هذه الدراسة في إثراء المعرفة العلمية حول موضوع الرأي العام.

الفصل الأول

أولاً: مشكلة الدراسة:

يكتسب الرأي العام أهمية في تقرير المصير للأمم كافة والأنظمة الحاكمة خاصة فلا وجود لحاكم أو نظام بدون الرأي العام والذي هو تأييد الشعب، حيث تحدد الشعوب وتختار أنظمتها وحكامها، وذلك ما هو سائر في الدول الديمقراطية حيث تعتمد على أصوات شعبها في تكوين القرار السياسي والانتخابي.

وقد أقر الاسلام حقوقاً للإنسان في السياسة والاقتصاد والاجتماع وتمثل ذلك بالمشاركة بالرأي والاستشارة والتكافل الاجتماعي والتعاون (الجوهري، 2001 : 322-326).

ولأهمية الرأي العام في المجتمعات البشرية فقد تم تناول العديد من الدراسات منذ القدم حول الرأي العام مثل كتابات جيمس برايس James Bryce في الكومنولث الأمريكي، عام 1881م، وكتاب (كارل فون جيرنر دورف) فكرة الرأي العام وطبيعته، وكذلك كتاب (لويس جورج كورنوبل) عن السلطة والرأي العام، وكذلك اهتمام العديد من العلماء والمفكرين للرأي العام (الانترنت).

ولأهمية الرأي العام ظهرت أول مجلة تبحث في شؤون الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1937م، وأنشأت العديد من مراكز قياس الرأي العام مثل معهد "جالوب" الأمريكي، كما كان للثورة الفرنسية تأثير في وضوح الرأي العام والاهتمام به من قبل الحكام والمفكرين والعلماء والسياسيين.

ومن الاهتمامات حول الرأي العام ما تضمنه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1984، بأن الرأي حق من حقوق الإنسان وقد تضمن الإعلان التالي:

1- لكل إنسان الحق في حرية الرأي والتعبير.

2- لكل إنسان الحق في حرية الاشتراك في الجماعات الانسانية والمجتمعات.

3- لكل إنسان الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده مباشرة أو عن طريق ممثلين يختارون اختياراً حراً.

4- لكل فرد الحق في أن يشترك حراً في حياة المجتمع الثقافية.

وقد شهد القرن العشرون تطوراً ملحوظاً في وسائل الاتصال الحديثة، مما أسهم في تقليص الفوارق المكانية والزمانية بين الشعوب، وسهل انتقال المعلومات بسرعة وفعالية غير مسبوقة، وقد انعكس هذا التطور بشكل مباشر على تنامي الاهتمام بالرأي العام، سواء على المستوى المحلي، أو على الصعيد العالمي، حيث أصبح للرأي العام دور متزايد في التأثير على السياسات والقرارات، وفي تشكيل الاتجاهات العامة في مختلف القضايا داخل المجتمعات.

ثانياً: أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية:

كل إنسان يهتم بالرأي العام؛ لأنه قوة ذات أثر كبير في حياة الناس اليومية فهو الذي يبني الشهرة ويهدمها، ويضع القوانين ويلغيها ويراعي التقاليد الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية.

ومما لاشك فيه بأن الرأي العام يُعد من المؤثرات الأساسية في حياة الإنسان اليومية، إلا أن قلة من الأفراد قد أولوه اهتماماً عميقاً أو سعوا لفهم آليات تشكّله وتأثيره، ولا يقتصر الاهتمام بالرأي العام على الزعماء وقادة الجماعات فحسب، بل يشمل أيضاً العاملين في مجالات الصحافة، والسياسة، وعلم الاجتماع، والأخلاق، والاقتصاد، ومن خلال دراسة الرأي العام وتحليل اتجاهاته، يمكن اكتساب معرفة واسعة ومتنوعة حول ثقافات متعددة وقضايا شاملة، تمتد عبر مستويات اجتماعية وسياسية واقتصادية مختلفة، مما يُسهم في تعزيز الفهم العام وتوسيع الأفق المعرفي لدى الأفراد والمجتمعات.

الأهمية العملية:

للرأي العام أهمية عملية في جوانب الحياة المختلفة تتمثل فيما يلي:

1- يساعد في تنمية أفراد المجتمع وتعليمهم والحصول على الفائدة العملية وتحقيق المصلحة للمجتمع والمساهمة في الجهود الحكومية الخدمية.

2- يساهم بالمحافظة والاهتمام بالمال العام والمصالح العامة وإحداث التغييرات اللازمة للتطور ومواكبة الاحتياجات والمشروعات المتعلقة بالتنمية وغيرها من مواضيع مختلفة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية.

3- كل ما من شأنه إحداث نقله ثقافية ومعرفة عملية وخبرة في الحياة.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

- 1- التعرف على أهمية الرأي العام لأفراد المجتمع.
- 2- التعرف على طريقة تكوين الرأي العام في المجتمع.
- 3- التعرف على تأثير الرأي العام على النظام والقوانين وصنع القرار السياسي.
- 4- التعرف على دور الرأي العام في المجتمع وعوامل تأثيره.
- 5- التعرف على طرق قياس الرأي العام.
- 6- التعرف على وظائف الرأي العام وأساليبه.
- 7- التعرف على أنواع الرأي العام ومدى تأثير كل منها.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

- 1- ما مدى أهمية الرأي العام لأفراد المجتمع؟
- 2- ما هي طريقة تكوين الرأي العام في المجتمع؟
- 3- ما هي تأثيرات الرأي العام على النظام والقوانين وصنع القرار السياسي؟
- 4- ما هو دور الرأي العام في المجتمع؟
- 5- ما هي طرق قياس الرأي العام؟
- 6- ما هي وظائف الرأي العام وأساليبه؟
- 7- ما هي أنواع الرأي العام ومدى تأثير كل منها على أفراد المجتمع؟

خامساً: مفاهيم الدراسة:

مفهوم الرأي العام: حظي الرأي العام باهتمام الكثير من العلماء والمفكرين والباحثين وقد اختلفوا في تعريف الرأي العام وقدموا تعريفات مختلفة، منها:

- أن الرأي العام هو: تلك الآراء التي يعتقدونها ويحملها أشخاص معينون والتي يرى أن من الحكمة الانتباه لها.
- عرفه "وليم البيج Albig": بأنه تعبير حول موضوع جدلي تُرجم إلى كلمات وهو نتاج التفاعل بين الأفراد بعضهم مع بعض في أي شكل من أشكال الجماعات المختلفة والتي قد يتراوح عددها بين اثنين فأكثر، ويظهر الرأي العام في صورة أفكار ويمكن أن تعرف الأفكار من خلال بعض وسائل الاتصال وعلى ضوء هذه الأفكار يمكن افتراض اتجاهاته وقوانينه.
- عرفه "يونج kimbail young": بأنه المعتقدات والاعتقادات أو آراء الأفراد حول أمور واسعة الانتشار أو مصلحة عامة، وقد يدرس الرأي العام في نطاق الاقتناع الخالص بالمسائل في لحظة معينة من الزمن أو قد ينظر إليها حركياً في إطار عمليات التفاعل التي ينطوي عليها في تكوين اتفاق ما أو رأي مشترك.
- كما عرفه "دوب Doob": بأنه اتجاهات الناس إزاء قضية معينة حينما يكونون أعضاء في نفس الفصيلة الاجتماعية أو الجماعة المحلية.
- ويرى "سمير حسن": أن الرأي العام في مجتمع ما هو الرأي الغالب أو الاعتقاد السائد أو إجماع الآراء أو الاتفاق الجماعي لدى غالبية فئات الشعب أو الجمهور تجاه أمر أو ظاهرة أو قضية أو موضوع معين يثور حوله الجدل وهذا الإجماع له قوة وتأثير على القضية أو الموضوع الذي يتعلق به (عوض، 1985: 120).

كما عُرف الرأي العام بأنه: موقف الجماهير نحو القضايا السياسية العامة التي تمس حياتها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة في فترة معينة (الكفارنة، 2011: 186).

وذكر (الحسن، 2008)، في تفسيره للرأي العام، أنه عند دراسة الرأي العام لابد أن نعرف مفهوم (الرأي) ومفهوم (العام)، فاصطلاح الرأي يعني فكرة أو عقيدة أو مذهب لم تبرهن صحته في الوقت الحاضر ولم تثبت فرضياته وحججه، لذا يحتاج إلى براهين وأدلة وتجارب تؤيد صحته وتعزز مبادئه وتثبت فرضياته ليصبح حقيقة لا تشوبها الشكوك ولا تتأثر بالقيم.

واصطلاح العام يعني الأشياء والأحداث التي لا تتعلق بأفراد كثيرين وجماعات مختلفة وجماهير متعددة ومجتمعات محلية متباينة بصفات الموضوعية والذاتية، وعند دمج المصطلحين الرأي العام فيكون معناه الشامل هو: مجموعة من الأفكار والآراء والمعتقدات المنتشرة بين الناس حول حادثة أو ظاهرة معينة لن تثبت صحتها ولن تؤيد شرعيتها وقانونيتها لكونها تتعلق بالجوانب الذاتية للأفراد والجماعات ولم تتيسّر لهم الوقت الكافي لبرهان طموحاتها ومبادئها (الحسن، 2008: 119-120).

والرأي العام أعرفه إجرائياً: بأنه حالة من التوافق الجماعي بين أفراد يُشكّلون الأغلبية داخل مجتمع معين، وفي سياق زمني ومكاني محدد، تجاه فكرة أو موقف أو حدث يُنظر إليه على أنه ذو أهمية خاصة بالنسبة لهم، بغض النظر عن طبيعة الموضوع، وينبع هذا التوافق من وجود أهداف وغايات مشتركة يسعى هؤلاء الأفراد إلى تحقيقها، بما يعكس تطلعاتهم ويخدم مصالحهم في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

استعمالات الرأي العام:

يستعمل في معنيين مختلفين كما يلي:

الأول: يتميز بالثبات والاستقرار، أي جامد وغير مُحرك للجماهير ولا يمكن إثبات صحته وشرعيته.

الثاني: يتميز بالحركة والديناميكية، أي كون الرأي قادراً على دفع الناس لاتخاذ مواقف وقرارات تشبع حاجاتهم وتحقيق طموحاتهم القريبة والبعيدة (الحسن، 2008: 121).

- ومن هذه التعاريف نصل إلى مجموعة من القواعد الأساسية المرتبطة بالرأي العام والمؤثرة فيه، وهي:

- 1- أنه مجموعة من الآراء ووجهات النظر للناس في الحياة العامة.
- 2- الرأي العام متعدد الوجهات والتيارات والأفكار والحجج المختلفة لكل تيار.
- 3- الرأي العام له تأثيره في الحياة السياسية.
- 4- يتميز الرأي العام بالحساسية تجاه الأحداث الهامة.
- 5- يتأثر الرأي العام بمؤثرات خارجية وعوامل ثقافية واقتصادية وتربوية وحياة الجماعة وموقف الفرد منها.
- 6- الرأي العام ديناميكي أي دائم الحركة والتبدل والتطور.
- 7- الرأي العام هو الظاهرة الفكرية الناجمة عن الحشد الذهني للجماعات التي يترتب عليها أقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم الجماعة، وتوجه الأفراد جماعياً.
- 8- الرأي العام نتاج اجتماعي لعملية اتصال وتأثير متبادل بين والاتفاق ضرورة على الموضوع ومناقشة وجوه الاختلاف.

وقد كتب "ميكافيللي" عن الرأي العام في كتابه "الأحاديث" قائلاً: لا يستطيع إنسان وإع أن يُغفل الرأي العام في مسائل معينة كتوزيع الوظائف وإجراء الترتيبات.

وعرف "بيرنارد هينس" الرأي العام أنه: رأي من بين الآراء العديدة حول موضوع عام له أهميته، وقال أن الرأي العام كالإعلام إلا أنه تطور وأصبح هو الأداة المهيمنة على الرأي العام، وأصبح الإعلام من بعد صورة للرأي العام والتأثير في الرأي العام وخداع الرأي العام وتوجيهه (عوض، 1985: 120-124).

الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة

يُعد الرأي العام من القضايا الجوهرية التي يوليها علم الاجتماع السياسي اهتماماً بالغاً، نظراً لما له من تأثير مباشر في تشكيل القرارات والسياسات العامة. وقبل الخوض في الإطار النظري المتعلق بالرأي العام، من الضروري تقديم عرض موجز للعلاقة بين علم الاجتماع وعلم السياسة، لما لهذه العلاقة من أهمية في فهم السياقات التي يتشكل فيها الرأي العام.

فعلم الاجتماع يهتم بدراسة البنى الاجتماعية، والسلوك الجمعي، والتفاعلات داخل المجتمع، بينما يركز علم السياسة على تحليل السلطة، والحكم، وصنع القرار، وتكمن أهمية العلاقة بين العلمين في أن الظواهر السياسية لا تنفصل عن السياق الاجتماعي، بل تتأثر به وتؤثر فيه، ومن خلال هذا الترابط، يمكن فهم كيف يتشكل الرأي العام ضمن بيئة اجتماعية معينة، وكيف يُسهم في توجيه السياسات العامة وصياغة القرارات السياسية.

وتكمن أهمية دراسة علم الاجتماع السياسي لارتباطه بالعلوم الاجتماعية متمثلة بالعلاقات الاجتماعية والثقافية والسلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد، كما تطورت دراسات التنشئة السياسية التي اهتمت بالأسرة والمدرسة والجماعة وتأثيرها على التفاعلات السياسية، وتطور علم الاجتماع السياسي باهتمامه بالبعد الاجتماعي لسلوك الإنسان السياسي (الكفارنة، 2011: 18-19).

وقد أكد "سارتوري" على أن علم الاجتماع السياسي هو الفرع الذي يدرس العلاقة بين السياسة والمجتمع أي بين البناءات السياسية والاجتماعية، بين السلوك السياسي والسلوك الاجتماعي، ويوضح الارتباط بين علم الاجتماع وعلم السياسة السلوك الانتخابي وقضايا المشاركة السياسية والأحزاب السياسية، وجميع هذه القضايا لها جذورها الاجتماعية وترتبط بالنظام الاجتماعي في المجتمع كما ترتبط بأنظمة الحكم والرأي العام (الجوهري، 2001: 20).

كما أن العالم الاجتماعي السياسي يعتمد على دراسات علم الاجتماع في فهم العلاقة المتفاعلة بين مؤسسات المجتمع وأثر الإنسان فيها واستعمال المصطلحات المنهجية والنظريات المختلفة في علم الاجتماع التي تدرس الظواهر والعمليات والتفاعلات الاجتماعية والسياسية التي يتخصص فيها العالم الاجتماعي السياسي (الحسن، 2005: 40).

وهناك علاقة مميزة لعلم الاجتماع السياسي افتراضه بأن النظام السياسي لا يمكن إدراكه كمجموعة من القواعد والمؤسسات القانونية بل ينبغي النظر له باعتباره النظام الاجتماعي بأكمله الذي يتفاعل في بعد من أبعاده المتعددة، حيث هناك علاقة بين القيم ونظام الحياة في المجتمع (عوض، 1985: 18).

وبناء على ما سبق ذكره فإنه لا يمكن تفسير ظاهرة سياسية أو حدث سياسي ظهر في أي مجتمع باستخدام علم الاجتماع أو علم السياسية على حده بل لا بد من الاستفادة من العلمين في تفسير الظاهرة تفسيراً وافياً لجميع الجوانب والأحداث.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الرأي العام يحظى باهتمام بالغ في إطار علم الاجتماع السياسي، نظرًا لما يمثله من صلة وثيقة ومؤثرة بالسلطات الثلاث في الدولة: التشريعية، والقضائية، والتنفيذية. فالرأي العام يُعد أداة فاعلة في توجيه السياسات العامة، وصياغة التشريعات، ومراقبة أداء المؤسسات، كما يُسهم في تعزيز الشفافية والمساءلة ويُعزز من التفاعل بين المواطن والدولة، مما يجعله عنصرًا محوريًا في فهم طبيعة العلاقة بين المجتمع والنظام السياسي.

أولاً: النظريات المُفسِّرة للدراسة:

النظرية البنائية الوظيفية:

ظهرت النظرية في القرن التاسع عشر على يد العالم البريطاني "هربرت سبنسر" وطورها كل من (تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون وهانز كيرث وسي رايت ميلز)، وقد ظهرت كرد فعل للتراجع الذي وصلت إليه النظرية البنائية والنظرية الوظيفية كل على حده، حيث تنظر النظرية البنائية الوظيفية إلى الظاهرة الاجتماعية على أنها وليدة الأجزاء وأن لها وظيفة اجتماعية مباشرة أو غير مباشرة مع الأجزاء الأخرى للبناء الاجتماعي، والنظرية تعترف ببناء الكيانات الاجتماعية وترتكز البنائية الوظيفية على مبادئ منها:

- 1- أن المجتمع يتكون من أجزاء وهذه الأجزاء مترابطة ومتساندة ومتجاوبة مع الأخرى.
- 2- أن المجتمع أو المؤسسة أو الجماعة لكل منهم له وظيفة أساسية.
- 3- أن لكل جزء من الأجزاء دور ومكانة ووظيفة وكل جزء مكمل للآخر وبذلك يحدث التكامل وعملية التغير الاجتماعي.
- 4- أن الوظيفة التي تؤديها الجماعة أو المؤسسة تشبع الحاجات (الانترنت).

وبناء على ما ذكر حول النظرية البنائية الوظيفية فإنها تفسر أهمية الرأي العام من جانب أن أفراد المجتمع باعتبارهم أنساق وأن لكل نسق دور وعند تكامل هذه الأنساق واتحادها فهي تقوم بتحقيق أهدافها ومصالحها وذلك بتكوينها رأي عام يحقق طموحاتهم وغاياتهم، وهذا الرأي العام يقوم به كل فرد من أفراد المجتمع، كون هذا الفرد ذا أهمية في تقديم ما فيه منفعة له ولمجتمعه باعتباره نسق.

النظرية التفاعلية الرمزية:

تدرس النظرية الأفراد في المجتمع ومفهومهم عن المواقف والمعاني والأدوار وأنماط التفاعل، وكان من أبرز ممثلي النظرية التفاعلية الرمزية العالم "جورج هربرت ميد" الذي يعد من أشهر الرواد المؤسسين في الاتجاه التفاعلي والذي ركز على فهم التفاعل المتبادل والذات الاجتماعية داخل المجتمع، كما ركز على الوحدات الصغرى للسلوك الاجتماعي.

ومن علماء التفاعلية الرمزية " تشارلز كولي وهربرت بلومر، والعالم الألماني ماكس فيبر" الذي اهتم بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الصغرى، وقد أكد فيبر أن المجتمعات الإنسانية يمكن دراستها من خلال فحص المعاني الفردية وفهم معاني السلوك للأفراد اللذين يتفاعلون مع بعضهم البعض وقد أطلق عليها (الفهم).

تدور فكرة التفاعلية الرمزية على أساسين هما: الرموز والمعاني في صورة للتفاعل في المجتمع وتشير التفاعلية الرمزية على أن الرموز هي القدرة التي يمتلكها الكائن للتعبير عن الأفكار باستخدام الرموز في تعاملاتهم مع بعضهم البعض، ولهذه الرموز أهمية في تبادل الأفكار والمعلومات والاتصال فيما بينهم ومن أهم تلك الرموز اللغة المستخدمة في عملية التفاعل الاجتماعي.

ويشير "هربرت بلومر" إلى فرضيات التفاعلية، بالتالي:

- 1- أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
- 2- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني(الانترنت).

ومن هذا الطرح يمكن أن نفسر أن النظرية التفاعلية الرمزية تشرح طريقة تكوين الرأي العام في أي مجتمع وذلك بالتبادل للرموز والمعاني والمحادثات والحوار بين طرف وآخر لتحقيق هدف ما، وبذلك التبادل بين الأفكار يحصل هناك تكوين للرأي العام الذي من شأنه إحداث تفاعل يقود إلى سلوك معين.

نظرية الرأي العام:

إن النظرية مشتقة من الديمقراطية كشكل للحكومة، حيث أن الرأي العام يحظى باهتمام الحكومات الديمقراطية التي تعتمد على الرأي العام أكثر من القوة، وهناك مجموعة افتراضات تستند إليها هذه النظرية تتلخص في التالي:

- (1) أن الجمهور يهتم بالمسائل السياسية المتعلقة بالحكومة.
- (2) أن الجمهور يعرف بدقة ما هي حاجاته ومتطلباته.
- (3) أن الجمهور لديه القدرة على التعبير عن حاجاته ومطالبه.
- (4) أن إرادة الجمهور يتعين أن تصاغ في قوانين نافذة المفعول.

فالرأي العام يقيم الأحداث ويتضمن عنصر الإرادة أي توجيه السلوك وجهة معينة، حيث يقول "فاينر" إن السياسة تهتم بعنصر الإرادة المتضمن في الرأي العام، بينما يرى "برايس" أن الرأي العام يمثل القوة المطلقة النهائية في كافة الأمم خلال كل العصور، والخاصية المميزة للديمقراطية هي اعتمادها على رأي الأغلبية التي يتولى مراقبة الحكومة (محمد، 1977: 386-387).

ومن نظرية الرأي العام يمكن فهم أن الرأي العام عبارة عن قوة متمثلة بالشعب وأن الشعوب هي التي تصنع القرار باتخاذها موقف موحداً وحازماً تجاه مصالح الأفراد وحاجياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

ونظراً لأهمية موضوع الرأي العام في علم الاجتماع السياسي، فإن من الضروري التطرق إلى أبرز مناهج البحث المستخدمة في هذا المجال، والتي تُسهم في تحليل الظواهر السياسية والاجتماعية المرتبطة بالرأي العام. وتشمل هذه المناهج مجموعة متنوعة من الأساليب العلمية التي تساعد الباحثين على فهم كيفية تشكل الرأي العام، والعوامل المؤثرة فيه، وطرق قياسه، بالإضافة إلى دوره في التأثير على السياسات العامة والقرارات السياسية، وهي:

- (1) المنهج التاريخي: يدرس تطور الظواهر السياسية عبر الزمن بالنظر في مجريات التاريخ وأحداث الماضي.
- (2) المنهج المقارن: يُستخدم لمقارنة الظواهر بين مجتمعات أو أنظمة سياسية مختلفة، بالمقارنة بين حالتين والتعرف على عناصر الظاهرة.
- (3) المسح الاجتماعي: وذلك بمسح آراء الناس واتجاهاتهم الاجتماعية والسياسية (الجوهري، 2001: 226-232).

كما يمكن استخدام مناهج أخرى في تحليل الظواهر السياسية والاجتماعية المرتبطة بالرأي العام كالمنهج الوصفي ومنهج دراسة الحالة والمنهج التجريبي ومنهج تحليل المضمون والمنهج الإحصائي الذي يُعتمد في تحليل البيانات الكمية مثل نتائج الاستبيانات واستطلاعات الرأي، ويُوفر مؤشرات دقيقة حول توجهات المجتمع.

ثانياً: الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: للدكتور محي الدين عبدالحليم (2009) بعنوان: الرأي العام، مفهومه وأنواعه، عوامل تشكيله، وظائفه وقوانينه، طرق قياسه وأساليب تغييره.

وقد تناول الباحث في الدراسة نشأة ومراحل تطور الرأي العام وأنواعه ووظائفه وطرق قياسه وعوامل تكوينه وأساليبه، واستعرض الباحث فيها أهمية الرأي العام في المجتمعات منذ القدم وبعد الثورة الفرنسية وتطور مفهوم الرأي العام واستخداماته بين الجماهير وتعدد أساليب استخدام الرأي العام في تحقيق المطالب والأهداف.

الدراسة الثانية: للدكتور حسان بصفر، والدكتور حامد القداح (2009) بعنوان: الرأي العام.

وتناول الباحث في الدراسة نشأة الرأي العام ومفهومه وأهميته ووظائفه وخصائصه وأنواعه ووظائفه وعوامل تكوين الرأي العام وتمثلت الدراسة مع البحث من ناحية الرأي العام الإلكتروني وأهميته في تكوين رأي جماهيري وتحدث الباحث في الدراسة عن الرأي العام العربي واستخداماته.

الدراسة الثالثة: للدكتور عبدالكريم الدبيسي (2011) بعنوان: الرأي العام، عوامل تكوينه وطرق قياسه.

واستعرض الباحث في دراسته نشأة الرأي العام ومفهومه وتقسيمات الرأي العام وأنواعه وخصائص الرأي العام ووظائفه ومظاهره الايجابية والسلبية وعوامل تكوينه وطرق قياس الرأي العام واستطلاعات الرأي العام في المجتمع. وتشابهت الدراسة مع البحث في معظم فصولها ونتائج البحث حول أهمية الرأي العام في المجتمعات وتأثيراتها المختلفة سواء الايجابية أم السلبية.

حيث أشار الباحث في دراسته لعدة مظاهر ايجابية للرأي العام ومنها:

- 1- استخدام وسائل الاتصال الجماهيري دون عوائق.
- 2- عقد الندوات والاجتماعات العامة دون قيود.
- 3- الانتخابات الحرة ووسائل التأييد وبرقيات التعبير عن الرأي.

والمظاهر السلبية للرأي العام:

- 1- الإضرابات السلمية.
- 2- نقشي السلبية واللامبالاة.
- 3- المقاطعة.

وتلتقي الدراسات السابقة مع هذه الدراسة في المفاهيم والإطار النظري وفي بعض النتائج التي أكدت أهمية الرأي العام في المجتمعات وتأثيراتها المختلفة سواء الايجابية أم السلبية.

الفصل الثالث: لمحة عن الرأي العام

نشأة الرأي العام:

يُعد الرأي العام من المفاهيم الراسخة في تاريخ المجتمعات الإنسانية، إذ حظي باهتمام بالغ منذ أقدم العصور، حيث أولت المجتمعات الإنسانية اهتمامًا كبيرًا بآراء الناس ومواقفهم بهدف الوصول إلى قرارات رشيدة تعبر عن إرادة الجماعة. وقد تجلّى هذا الاهتمام في حضارات عريقة مثل حضارة وادي الرافدين ووادي النيل، وكذلك لدى السومريين، الذين نظموا المجالس الشعبية، وعقدوا المؤتمرات والاجتماعات الجماهيرية الكبرى، في مسعى من الحكّام لكسب رضا الشعوب، وهو ما تؤكدّه الشواهد التاريخية.

كما ظهرت مفاهيم مشابهة للرأي العام لدى اليونانيين والمسيحيين، وإن كانت تختلف في المصطلحات المستخدمة، مثل الاتجاهات الجماعية، الإجماع، الاتفاق، والاطلاع، ولكن كلها تعكس أهمية مشاركة الناس في اتخاذ القرار، حيث عرفت المدن اليونانية الرأي العام عن طريق المناقشات والحوارات والخطب السياسية أو الدينية أو الحربية، بهدف تحفيز الشباب وكسب تأييدهم حول قضية ما.

ومع تطور الفكر السياسي والاجتماعي، بدأ مصطلح "الرأي العام" يأخذ شكله الحديث في أواخر القرن الثامن عشر، متأثرًا بأحداث مفصلية مثل الثورة الفرنسية واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصبح التعبير عن رأي الجماهير عنصرًا أساسيًا في الحياة السياسية وصياغة السياسات العامة

وفي السياق الإسلامي، برز مفهوم الرأي العام من خلال مبدأ الشورى، الذي يُعد من أسس الحكم الرشيد، حيث أخذ برأي الناس في القضايا العامة، بما يعكس احترامًا لتوجهات الجماعة ومشاركتها في صنع القرار.

ويشير (الدبيسي، 2011) أن التشريعات السماوية كانت انطلاقة نحو الرأي العام، فقد عرفت المسيحية عبارة الاتفاق العام وهي مبنية على فكرة الشعور الجمعي والتي تستعمل لاتجاهات الرأي العام، كما عرف في الإسلام منهج الشورى وهي منهج للتعبير والتشارك بالرأي وذلك من أهمية الرأي العام، وكما ظهر اهتمام الرأي العام في كثير من الحضارات حيث كان لأفلاطون وسقراط وأرسطو تخمينات حول الرأي العام ويعني ذلك وجود ظاهرة الرأي العام قبل القرن الثامن عشر والذي عرف فيه مصطلح الرأي العام (الدبيسي، 2011: 15-19).

كما أن ميكا فلي حث في كتابه (الأمير) على ضرورة الاهتمام بما يتفاعل داخل المجتمع كأساس للتعامل معها ولضمان التفوق والاستمرار والسطوة (بصفر، القذاح، 2009: 15).

أهمية الرأي العام:

للرأي العام أهمية كبرى لدى المنظمات الدولية أو الإقليمية أو الوطنية ولدى المنشآت الحكومية والمؤسسات المختلفة، حيث يشير "هارود" إلى أهمية الرأي العام والعوامل التي ساعدت على ازدياد الاهتمام بالرأي العام هو ازدهار الديمقراطية وانتشارها وازدياد عملية التصويت وانتشار التعليم واتاحته أما مختلف طبقات الشعب، والنمو الكبير في الاتصال بين الجماهير، والتطورات الاقتصادية التي كان لها التأثير الكبير على الرأي العام ومحاولة كسب الرأي العام في المجال الدولي.

أنواع الرأي العام:

ينقسم الرأي العام إلى أقسام عديدة تختلف باختلاف المعايير التي يضعها الباحثون والعلماء للتمييز بين أنواع

مختلفة من الرأي العام، من حيث الظهور والمكان والنضج، مثل:

- 1- الرأي العام الظاهر، وهو المصرح به غير الخفي وتسمح به النظم الديمقراطية.
- 2- الرأي العام الكامن، وهو الخفي ولا يسمح بظهوره.
- 3- الرأي العام الإقليمي.
- 4- الرأي العام المحلي.
- 5- الرأي العام الدولي.
- 6- الرأي العام المستتير، ويقصد به المتقف والواعي ويكون معتدل وأكثر استقراراً.
- 7- الرأي العام المنقاد أو المنقلب أو العفوي، وهو يميل إلى التطرف ويصدق كل ما يقال له دون التأكد من صحة المعلومة.

● قسم "اميل دوفيفات" الرأي العام إلى: عام - كلي - مؤقت - يومي.

● كما هناك تقسيمات أخرى للرأي العام مثل:

- 1- الرأي العام النابه أو القائد ويمثله الصفوة والعلماء والساسة.
- 2- الرأي العام القارئ والمتقف ويمثله المتعلمون
- 3- الرأي العام المنقاد وتمثله الأكثرية من الأميين والعمال وغير المتقفون (عوض، 1985: 126-127).

● وهناك باحثون قسموا الرأي العام إلى:

- 1- رأي الأغلبية أو الأقلية.
- 2- رأي الأقليات مجتمعة.
- 3- الرأي الساق.
- 4- الرأي الجامع (عوض، 1985: 127-128).

● كما قسم (حامد ربيع) الرأي العام إلى:

- 1- الرأي العام القومي أو الوطني.
- 2- الرأي العام المحلي أو الإقليمي.
- 3- الرأي العام النوعي.
- 4- الرأي العام العادي تجاه مجتمع آخر موقف عدائي.

● وقسم الرأي العام حسب التصنيفات إلى:

التصنيف الجغرافي:

- 1- رأي عام وطني أو قومي، مرتبط هذا الرأي بالدولة أو الوطن
- 2- رأي عام محلي.
- 3- رأي عام خارجي.
- 4- رأي عام عالمي (عبدالحليم، 2009: 62).

التصنيف الزمني:

- 1- رأي عام يومي.
- 2- رأي عام مؤقت.
- 3- رأي عام دائم.

التصنيف الكيفي :

- 1- رأي عام قائد.
- 2- رأي عام منقاد.
- 3- رأي عام مثقف.

التصنيف الكمي :

- 1- رأي الأغلبية.
- 2- رأي الأقلية.
- 3- الرأي الساحق.
- 4- الرأي الائتلافي.

التصنيف الفكري:

- 1- رأي عام عاطفي.
- 2- رأي عام عقلاني (عبدالحليم، 2009: 65-69).

وظيفة الرأي العام:

- 1- الرأي العام يسن القوانين ويلغيها.
- 2- الرأي العام سنداً للهيئات والمؤسسات الاجتماعية.
- 3- الرأي العام يرعى المثل الاجتماعية .
- 4- الرأي العام يمنح الروح المعنوية العامة الحيوية (عوض، 1985: 132-133).

عناصر الرأي العام:

- 1- تسجيل الواقع، أي ما هو كائن بالفعل في الحياة الاجتماعية.
- 2- الاعتقاد، ويقصد به الايمان باتجاه معين في المستقبل وقيم الأحداث.
- 3- الإرادة، أي توجيه السلوك والأحداث وجهة معينة (محمد، 1977: 387).

مراحل تكوين الرأي العام:

- 1- مرحلة الاحساس والإدراك، وهذه من الفرد ذاته واحساسه بما حوله إدراك عقله لجميع اتجاهات الحياة المختلفة.
- 2- مرحلة الرأي الفردي، ويقصد به تعبير الفرد عن رأيه وتصوراته تجاه حدث ما في الحياة.
- 3- مرحلة صراع الفرد مع آراء الجماعة، وذلك نتيجة النقاش والجدل المتبادل مع أفراد المجتمع حول قضية أو فكرة.
- 4- مرحلة تحول آراء الأفراد إلى آراء الجماعة، وبذلك يصبح رأياً عاماً يمثلته أغلب أعضاء الجماعة (الانترنت).

طرق دراسة ومعرفة الرأي العام:

- 1) إجراء استقصاء أو استفتاء .
 - 2) سؤال ذوي الرأي وممثلي الاتجاهات المختلفة.
 - 3) طريقة المقابلات الشخصية.
 - 4) طريقة المناظرات والمناقشات وإشراك العدد من الجمهور تكشف حقيقة اتجاهات الرأي العام.
 - 5) الدراسة الإحصائية التاريخية، وجمع الحقائق التاريخية (الكفارنة، 2011: 187).
- التأثير في الرأي العام:**

يتأثر الرأي العام بنوع الأخبار المنشورة و وطريقة عرضها والتميز بها، حيث يكون للإعلام المقدرة على تكوين الرأي العام في التالي:

- 1- في حالة استخدام الأمانة والنزاهة والصدق.
 - 2- أن تتوفر حرية الرأي العام (الكفارنة، 2011: 187).
- عوامل تشكيل الرأي العام:**

- 1- الزعماء والقادة والمصلحون.
- 2- المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية اليومية.
- 3- النشأة الاجتماعية والضغط النفسية.
- 4- حملات الهمس والشائعات.
- 5- التربية والتعليم.
- 6- العوامل الجغرافية.
- 7- الجماعات الأولية.
- 8- العقيدة الدينية.
- 9- الأوضاع السياسية للدولة أو في الإقليم.
- 10- جماعات التأثير والضغط.
- 11- الدعاية والإعلام (عبدالحليم، 2009: 70-80).

العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام:

- 1- العوامل الذاتية: وهي تصور الفرد وقيمه ومعتقداته التي تجعله يؤمن برأي معين.
- 2- الجماعات المرجعية: التي ينتمي لها الفرد في مجتمعه سواء حزب أو عائلة أو تجمع ديني أو اجتماعي، له وظائف وطموحات وأهداف محددة.
- 3- أثر الطبقة الاجتماعية: حيث تأثر الطبقة الاجتماعية التي تتميز بالملكية والمال والمستوى العلمي والمهني في أفراد المجتمع وتغير من أفكارهم وميولهم واتجاهاتهم السياسية.
- 4- عامل القيادة: حيث يلعب القائد الثوري أو الجماهيري الدول الحاسم في تكوين الرأي العام، كما يمكنه تغيير الرأي العام والأحكام عند تسلمه للسلطة وبذلك يحدد سلوك الأفراد وأفكارهم ومواقفهم السياسية.

5- وسائل الإعلام الجماهيرية: مثل التلفزيون والراديو والمجلات والكتب والأفلام، حيث تعمل هذه الوسائل في تغيير أفكار الأفراد وسلوكهم ومواقفهم لسياسية (الحسن، 2008: 124-131).

عوامل الاهتمام بدراسة الرأي العام:

- 1- نمو وانتشار التعليم، حيث أن الفئة المثقفة هي التي تنادي بالتغيير والاهتمام بالوضع الاجتماعي.
- 2- تطور الوسائل الفنية، متمثلاً ذلك بوسائل الاتصال والتواصل الحديثة.
- 3- محاولة الحصول على تأييد الرأي العام، وذلك من الأحزاب أو جماعات معنية داخل إقليم الدولة.
- 4- زيادة ارتباط الرأي العام بالسياسة الخارجية، ويظهر ذلك أوقات الأزمات والحروب والدفاع عن الأمة (مهنأ، 2006: 176).

الرأي العام وعلاقته بالحرية:

يرى "جون ستيوارت ميل" أن الحكومة لا تمثل كل الشعب بل تمثل الرأي العام للأغلبية وأن قوة الرأي العام يهدد حقوق الأقلية في المجتمع، ودعا إلى قيام رأي عام متسامح ويقدر الاختلافات في وجهات النظر. ورأى أن الرأي العام يُقيد المجتمع ويحد من تطوره ويقف عائقاً أمام الأقلية مما يجعلهم يتلونون بلون مجتمعهم حسب الأغلبية.

كما يقرر "جون ستيوارت ميل" بأن هناك حريات ضرورية للفرد لا يجوز الحد منها وقسمها إلى :

1. حرية الضمير: وهي حرية العقيدة والتفكير وإبداء الرأي.
2. حرية الذوق والعمل: وذلك بما يلائم شخصية الفرد وتكيفه.
3. حرية التجميع بين الأفراد: بمعنى تكوين الأحزاب والجمعيات بدون الإضرار بالآخرين، وأن تلك الأفعال التي تضر بالآخرين من حق الحكومة السيطرة عليها وحصرها.

وقد أكد "جون ستيوارت ميل" بأن الحرية خير للفرد والمجتمع وتحقق رفاهيته (ابراهيم، 2011: 202-205).

الرأي العام والأحزاب والمواقف السياسية:

أثر الأحزاب في الرأي العام: الأحزاب من الجماعات المرجعية المهمة التي تشارك مشاركة فعالة في تكوين الرأي العام وتبديل الآراء والمواقف وبلورتها لدى أبناء الشعب إزاء قضايا وأمور سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية معينة تهم المجتمع، وتقوم تلك الأحزاب بدورها من خلال الاحتكاك والتفاعل مع أفراد المجتمع، كما أن الأحزاب تكونت من الجماهير ولخدمة الجماهير وتلبية رغباتهم وطموحاتهم وهي الصوت لمعاناتهم لدى الدولة، وتختلف مكانة الحزب حسب قربه من السلطة وقوة السيطرة لديه على الإعلام ووسائله المختلفة التي تصل إلى كافة الجماهير أو الأغلب منهم والمطلع على وسائل الإعلام.

حيث تستطيع الأحزاب السياسية التأثير في أفكار ومواقف الجماهير إذا توفرت الشروط التالية:

- 1- أن يكون هدف الحزب خدمة الجماهير وممثلاً له ليحقق أهدافه.
- 2- أن يسيطر الحزب على وسائل الإعلام المختلفة ويصل إلى الجماهير المختلفة.
- 3- أن لا يكون هناك انقسامات سياسية واجتماعية ودينية في المجتمع.
- 4- أن لا يكون لدى الجماهير آراء متعصبة ومتطرفة لا يستطيع الحزب تغييرها.

5- أن تكون أهداف الجماهير والأحزاب متوافقة لتحقيق المصالح العامة.

6- أن تكون الآراء المتفق عليها مع الأحزاب لا تتعارض مع المجتمع ومعتقداته (الحسن، 2008: 185-187).

تتجلى أهمية الرأي العام في المواقف المصيرية التي تواجهها الدولة، كإعلان الحروب أو عقد الاتفاقيات الدولية، حيث تسعى الحكومات إلى استقطاب دعم المواطنين وضمان اصطفاقيهم خلف قراراتها في مواجهة التحديات الخارجية. ومن خلال هذا التفاعل، تعمل الدولة على تعبئة الرأي العام وتوجيهه بما يخدم مصالحها، فتسهم مشاركة المواطنين في تعزيز شرعية السياسات المتبعة، وتمنح الدولة قوة معنوية وسياسية تمكنها من تحقيق أهدافها الوطنية وطموحاتها الاستراتيجية.

الرأي العام وجماعات الضغط:

جماعات الضغط هم أفراد لهم مصالح وأهداف مشتركة ومتقاربة وقد تكون هذه الجماعات دينية أو حقوقية تسعى للضغط على الحكومة.

● أنواع الجماعات الضاغطة:

- 1- جماعات المصالح.
- 2- جماعات الأفكار (مهنيا، 2006: 182-184).
- أساليب عمل الجماعات الضاغطة:
- 1- التنظيم.
- 2- المناقشة.
- 3- الاستمالة والاقناع.
- 4- النشر والترويج (مهنيا، 2006: 182-184).

وسائل التعبير عن الرأي العام:

- 1- بطريقة مباشرة: مثل الاستفتاء الشعبي.
- 2- بطريقة غير مباشرة: مثل البرلمان أو معهد غامب بأمريكا (مهنيا، 2006: 185-187).

الرأي العام ووسائل التأثير في الجماهير:

1. الإعلام: حيث يستخدم كوسيلة للتأثير في اتجاهات الجماهير عن طريق الأخبار والأحداث وإذاعتها دون تعقيب عليها.

2. العلاقات العامة: حيث تعمل على تحقيق التقارب بين الرأي العام والمسؤولين ويمكن تحقيق ذلك بوسائل النشر والدعاية.

3. الدعاية السياسية: بتوجيه الناس نحو فكر معين وذلك بنشر الآراء التي تؤثر على الرأي العام.
4. الحرب النفسية: وذلك بالتأثير على نفسية العدو وتثبيط همته والقضاء على روح المقاومة فيه.
5. غسيل المخ: بالسيطرة على عقل الانسان وتفكيره وسلوكه (مهنيا، 2006: 185-187).

طرق قياس الرأي العام:

- 1- الاستفتاء: بالتعرف على رأي اتجاهات الرأي العام في المجتمع.
- 2- المسح: بالمقابلة والملاحظة.
- 3- تحليل المضمون: وتستخدم في قياس الرأي العام الأجنبي في دولة معينة (مهنيا، 2006: 190-194).

الفصل الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة:

أولاً: نوع الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية، حيث تسعى إلى تحليل أبعاد موضوع الرأي العام، وتبسيط الضوء على أهميته لدى الأفراد والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية. وتهدف الدراسة إلى جمع البيانات والحقائق المتعلقة بهذه الظاهرة، مع محاولة تفسير العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام، وبيان أساليب قياسه، بما يساهم في فهم دوره الحيوي في الحياة السياسية والاجتماعية، ويعزز من إمكانات توظيفه في خدمة التنمية والاستقرار المجتمعي.

ثانياً: منهج الدراسة:

تُعد هذه الدراسة من البحوث المكتبية التي تعتمد على المنهج الوثائقي، وهو أحد المناهج المعتمدة في البحوث الاجتماعية، ويقوم على جمع وتحليل المعلومات من المصادر المكتوبة ذات الصلة بموضوع الدراسة. ومن خلال هذا المنهج، سيتم استعراض المراجع والدراسات السابقة، ومقارنتها وتحليلها، بهدف الوصول إلى فهم معمق لموضوع الرأي العام، وتحديد أهميته العلمية والعملية، بما يساهم في بناء إطار معرفي متكامل يدعم أهداف الدراسة ويعزز من نتائجها.

ويُعد المنهج الوثائقي من المناهج الفاعلة في تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية، إذ يتيح للباحث استقراء المفاهيم وتفسيرها من خلال مراجعة الأدبيات والنصوص العلمية ذات الصلة، ومن خلال هذا المنهج يمكن بناء تصور معرفي متكامل حول موضوع الرأي العام، يستند إلى تحليل نقدي للمصادر المتاحة، ومقارنة الاتجاهات الفكرية المختلفة، مما يُساهم في تعزيز الفهم النظري والتطبيقي للظاهرة المدروسة، ويمنح الدراسة عمقاً علمياً يثري نتائجها ويُعزز من موثوقيتها.

الفصل الخامس: نتائج الدراسة:

1) يمثل الرأي العام مجموع الأفكار والمواقف التي يتبناها الأفراد تجاه قضية معينة تمسهم بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء كانت ذات طابع اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو غير ذلك من مجالات الحياة العامة، ويُعد هذا الرأي انعكاساً لتفاعل الأفراد مع محيطهم، وتعبيراً عن وعيهم الجمعي، مما يجعله عنصراً فاعلاً في تشكيل السياسات وتوجيه القرارات داخل أي مجتمع.

2) يتشكل الرأي العام غالباً بهدف تحقيق أهداف وطموحات جماعية، قد تساهم في رقي المجتمع وتقدمه، أو تؤدي في بعض الحالات إلى نتائج سلبية إذا انحرفت توجهاته عن المسار البناء، ويعتمد أثر الرأي العام على طبيعة القضايا المطروحة، ومدى وعي الأفراد، والوسائل التي تُستخدم في تشكيله وتوجيهه، مما يجعل من الضروري التعامل معه بوعي ومسؤولية لضمان توظيفه في خدمة المصلحة العامة.

3) أصبح تأثير منصات التواصل الاجتماعي مثل/ فيسبوك وإكس (تويتر سابقاً) وغيرها من الوسائط الرقمية في تشكيل الرأي العام ظاهرة لا يمكن تجاهلها، فقد تحولت هذه المنصات إلى فضاءات لتكوين الرأي العام، وتجميعه، وحشده حول قضايا معينة، فضلاً عن دورها الحيوي في نقل المعلومات وتداول الأخبار بين أفراد المجتمع بسرعة وانتشار غير مسبوق، مما جعلها أحد أبرز المؤثرات في الاتجاهات الجماهيرية وصناعة القرار العام.

4) يُعد الرأي العام من الركائز الأساسية في بناء المجتمعات الحديثة، نظراً لما يتمتع به من تأثير بالغ في توجيه السياسات العامة وصناعة القرار، ومن هذا المنطلق يتبين ضرورة العناية بالرأي العام ومراعاته والتعامل معه بوعي ومسؤولية، من خلال تبني أطر علمية منهجية وآليات حوكمة فعالة، فالتفاعل المدروس مع الرأي العام لا يساهم فقط

في تعزيز الاستقرار المجتمعي، بل يُعد أيضًا مؤشرًا على نضج المؤسسات وشفافيتها، وقدرتها على الاستجابة لتطلعات المواطنين وتحقيق التوازن بين السلطة والإرادة الشعبية.

(5) الرأي العام يمكن تشكيله وتوجيهه نحو قضايا معينة من خلال أدوات متعددة، إلا أن هذا التشكيل لا يُعد دائمًا أو ثابتًا، إذ سرعان ما يتأثر بالوعي المجتمعي والثقافة العامة ومستوى الاطلاع لدى الأفراد، فالرأي العام بطبيعته ديناميكي ومتغير، يتبدل بتبدل المعطيات والمعلومات، مما يستدعي التعامل معه بمرونة وفهم عميق لطبيعة التحولات الفكرية والاجتماعية التي تؤثر في اتجاهاته.

(6) شهد العصر الحديث تناميًا ملحوظًا في الاهتمام بالرأي العام، نتيجة للتطور المتسارع في وسائل الاتصال والتواصل، وتعدد المنصات الإعلامية التقليدية والرقمية، إلى جانب تصاعد وتيرة الأحداث السياسية في كل من المجتمعات العربية والغربية، وقد أسهم هذا التداخل بين الإعلام والسياسة في تعزيز دور الرأي العام كفاعل مؤثر في توجيه السياسات العامة، وصياغة المواقف الجماهيرية، ومراقبة أداء المؤسسات، مما جعله محورًا أساسيًا في الدراسات الاجتماعية والسياسية المعاصرة.

(7) تُعد محاولة كسب الرأي العام من قبل صنّاع القرار السياسي هدفًا استراتيجيًا بالغ الأهمية، إذ تمثل وسيلة فعالة لاحتواء المواقف والمطالبات ذات الطابع السياسي أو الاجتماعي، وتوجيهها ضمن إطار يخدم الاستقرار العام.

(8) تتطلب الأزمات الناتجة عن تأثيرات الرأي العام السياسي السلبي تجاه السلطة السياسية استجابة مدروسة ومهنية، مما يستدعي تأهيل متخصصين في إدارة الأزمات وتكوين فرق عمل قادرة على التعامل مع هذه التحديات وفق أسس علمية ومنهجية، ويُعد هذا التأهيل ضرورة لضمان احتواء التوترات المجتمعية، وتحقيق التوازن بين حرية التعبير والاستقرار السياسي، من خلال تحليل اتجاهات الرأي العام، وتقديم حلول استراتيجية تضمن التفاعل الإيجابي مع المطالب الجماهيرية دون الإخلال بالنظام العام.

(9) تُعد عملية تدريب الكفاءات المؤهلة على التعامل مع أنظمة التقنية الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة ومنها الذكاء الاصطناعي أمرًا بالغ الأهمية، لا سيما في ظل التحديات التي يفرضها انتشار الشائعات السلبية والفن عبر الوسائط الرقمية، فالرأي العام غير الواعي أو غير المثقف قد ينجرّف بسهولة خلف التيارات المغرضة، مما يُشكل تهديدًا لاستقرار المجتمعي، ومن هنا يتضح الحاجة إلى إعداد كوادر متخصصة قادرة على مراقبة هذه المنصات وتحليل محتوياتها، واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة للحد من آثار التضليل الإعلامي، بما يضمن حماية المجتمع وتعزيز ثقافة الوعي والمسؤولية الرقمية.

التوصيات:

انطلاقًا من أهمية الرأي العام في بناء المجتمعات، توصي هذه الدراسة بعدد من الإجراءات التي من شأنها تعزيز دور الرأي العام الإيجابي وضمان توظيفه بما يخدم الصالح العام:

(1) إنشاء مراكز بحثية متخصصة تُعنى بدراسة الرأي العام، وتحليل اتجاهاته، وتقديم آليات علمية لاحتوائه والتفاعل معه بفعالية.

(2) وضع خطط واستراتيجيات تنظيمية تهدف إلى إدارة الرأي العام الجماهيري باحترافية، بما يضمن الاستجابة السريعة لتقلباته وتوجيهه نحو المشاركة البناءة.

(3) تطبيق منظومة حوكمة للرأي العام ضمن إطار علمي منظم، يحقق التوازن المجتمعي، ويعزز مبادئ الشفافية والمساءلة في التعامل مع القضايا العامة.

- 4) تعزيز الوعي المجتمعي بمخاطر الشائعات المغرضة، خاصة تلك التي تحرض على مخالفة الأنظمة أو تهدد مقدرات الوطن والمواطنين، وذلك من خلال حملات إعلامية توعوية وتربوية مستمرة، واستباقية لأي حدث.
- 5) تأهيل كوادر متخصصة في إدارة الأزمات المرتبطة بالرأي العام، لا سيما في الحالات التي تنشأ فيها توجهات جماهيرية سلبية تجاه السلطة السياسية أو المؤسسات العامة، وذلك من خلال برامج تدريبية تعتمد على أسس علمية واستراتيجيات تواصل فعالة، لضمان احتواء تلك الأزمات وتحويلها إلى فرص للحوار والتصحيح.

الخاتمة:

بعد استعراض الفصول السابقة التي تناولت مفهوم الرأي العام، وأهميته، وأنواعه، وطرق قياسه، إلى جانب عدد من القضايا المرتبطة به، تبين لنا مدى مركزية هذا المفهوم في الحياة السياسية والاجتماعية، وما يحظى به من اهتمام واسع لدى الأفراد، من علماء وباحثين ومفكرين، وكذلك لدى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، والسلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية.

فقد أظهرت الدراسة أهمية الرأي العام في علم الاجتماع السياسي بوصفه قوة فاعلة ومؤثرة في تشكيل السياسات وتوجيه القرارات، وهذا ما يؤكد الحاجة إلى العناية بما يصدر عن الرأي العام، والحرص على دراسة الظواهر الجديدة والغريبة التي تظهر فيه، بما يضمن فهماً أعمق وتحليلاً أدق لتوجهات المجتمع.

وأنه في ظل التحولات السياسية والاجتماعية المتسارعة، بات الرأي العام يشكل عنصراً حاسماً في توجيه السياسات العامة وصياغة القرارات المصيرية، إذ لم يعد مجرد انعكاس لتوجهات المواطنين، بل أصبح قوة ضاغطة ومؤثرة في مراكز صنع القرار، وقد ساهم تطور وسائل الإعلام والاتصال، ولا سيما المنصات الرقمية، في توسيع نطاق التعبير الجماهيري، مما أتاح للأفراد إيصال آرائهم ومطالبهم بشكل مباشر وفعال، وهذا ما يفرض على المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ضرورة الإنصات للرأي العام، والتفاعل معه بوعي ومسؤولية، لضمان تحقيق التوازن بين متطلبات السلطة وتطلعات المجتمع، وتعزيز الاستقرار والتنمية المستدامة.

ولا شك أن تعزيز الوعي والاهتمام بالرأي العام يساهم في بناء مجتمع مثقف ومدرك، قادر على التفاعل الإيجابي مع مختلف القضايا، ويحقق لأفراده مستويات متقدمة من التنمية والارتقاء، ويمنحهم مكانة مرموقة بين الأمم.

وفي الختام، أحمد الله على التمام، وأسأله سبحانه أن ينفع بما كتبت، وأرجو أن تساهم هذه الدراسة في إثراء المعرفة حول الرأي العام، وأن تشكل منارة علمية يستفيد منها الباحثون والمهتمون بما يعود بالنفع على المجتمع، ويعزز وعي أفراده.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المراجع العلمية

أولاً: المراجع العربية:

- (1) ابراهيم، موسى(2011م)، الفكر السياسي الحديث والمعاصر، دار المنهل اللبناني للنشر، الطبعة الأولى، بيروت.
- (2) بصفر، حسان و القداح، حامد(2009م)، الرأي العام، دار حافظ للنشر والتوزيع، جده
- (3) الجوهري، عبد الهادي(2001م)، دراسات في العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الثامنة، المكتبة الجامعية، الاسكندرية.
- (4) الحسن، إحسان محمد(2008م)، علم الاجتماع السياسي، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان.
- (5) الدبيسي، عبد الكريم(2011م)، الرأي العام، عوامل تكوينه وطرق قياسه، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- (6) عوض، السيد حنفي(1985م) علم الاجتماع السياسي، مدخل إلى الاتجاهات والمجالات، الطبعة الأولى، دار التوفيق النموذجية، مصر.
- (7) عبد الحليم، محي الدين(2009م)، الرأي العام، مفهومه وأنواعه - عوامل تشكيله، وظائفه وقوانينه - طرق قياسه وأساليب تغييره، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- (8) الكفارنة، أحمد عارف ارحيل(2011م) مقدمة في العلوم السياسية، الطبعة الأولى، دار قنديل للنشر والتوزيع، الأردن.
- (9) محمد، محمد علي(1977م)، دراسات في علم الاجتماع السياسي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية.
- (10) مهنا، محمد(2006م)، تطور النظريات والمذاهب السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة.

ثانياً: المصادر الإلكترونية (الإنترنت):

1. <http://www.scribd.com/doc/45226877/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D9%85%D8%A7%D8%AC%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D8%B1>
2. <http://etudiantdz.net/vb/t34472.html>
3. <http://etudiantdz.net/vb/t34472.html>
4. <http://www.ejtemay.com/showthread.php?t=21615>
5. <http://thiagaruni.org/policy/77.pdf>

عنوان البحث

الاحتباك في القرآن الكريم: دراسة بنيوية أسلوبية دلالية تحليلية

د. عبدالحفيظ خضر محمد بادي¹

¹ أستاذ البلاغة والنقد المساعد، كلية اللغات والعلوم الإنسانية - بريدة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

بريد الكتروني: bady@qu.edu.sa

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/29>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/29>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تُعنى هذه الدراسة بتحليل ظاهرة الاحتباك في القرآن الكريم من منظور جديد يجمع بين المناهج الأسلوبية، والبنيوية، والدلالية. وتهدف إلى الكشف عن الأبعاد الخفية لهذه الظاهرة، التي تتجاوز مجرد الحذف البلاغي التقليدي. لقد تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث قامت بتأصيل المفهوم نظرياً، ثم طبّقه على خمس آيات قرآنية مختارة، تمثل كل آية نوعاً من أنواع الاحتباك.

أظهرت نتائج التحليل أن الاحتباك ليس مجرد أداة للإيجاز، بل هو خيار لغوي مقصود يخدم أغراضاً متعددة: فهو أسلوبياً يساهم في تكثيف المعنى وإحداث أثر جمالي، وبنيوياً يعمل على إحكام ترابط النص وتماسكه، ودلالياً يضيف طبقات من المعاني العميقة. كما أكدت الدراسة على أن هذه الظاهرة تتفق مع أسس نظرية النظم، مما يؤكد انسجام البلاغة القرآنية مع المفاهيم اللغوية الحديثة. وفي الختام توصي الدراسة بتوسيع البحث عبر المناهج الحديثة ليشمل ظواهر بلاغية أخرى، إثراء للمكتبة القرآنية واللغوية.

الكلمات المفتاحية: الاحتباك، القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دراسة بنيوية، دراسة دلالية، نظرية النظم، الإعجاز القرآني.

RESEARCH TITLE

Ellipsis in the Holy Quran: Structural, Stylistic, Semantic, and Analytical Study

Dr. Abdelhafiz Khidir Mohammed Badi¹

¹ Assistant professor of rehtoric and criticism-Depatment of Arabic Language-College of languages and Humanities- Qassim. University Buraida

Email: bady@qu.edu.sa

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/29>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/29>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study focuses on analyzing the phenomenon of *Iḥtibāk* (ellipsis through mutual implication) in the Holy Qur'an from a new perspective that integrates stylistic, structural, and semantic approaches. It aims to uncover the hidden dimensions of this phenomenon, which go beyond the traditional rhetorical notion of omission. The study adopts a descriptive-analytical method, establishing the concept theoretically before applying it to five selected Qur'anic verses, each representing a distinct type of *Iḥtibāk*.

The results reveal that *Iḥtibāk* is not merely a tool for brevity but a deliberate linguistic choice serving multiple purposes: stylistically, it intensifies meaning and creates aesthetic impact; structurally, it reinforces textual cohesion and unity; and semantically, it adds layers of profound meaning. The study also confirms that this phenomenon aligns with the principles of the *naẓm* (syntactic harmony) theory, demonstrating the coherence of Qur'anic rhetoric with modern linguistic concepts. In conclusion, the research recommends expanding future studies through modern methodologies to explore other rhetorical phenomena, thereby enriching the Qur'anic and linguistic corpus.

Key Words: *Iḥtibāk*, Holy Qur'an, stylistic study, structural study, semantic study, theory of *naẓm* (syntactic harmony), Qur'anic inimitability.

مقدمة البحث:

تُعَدُّ دراسة القرآن الكريم من خلال المناهج اللغوية الحديثة أحد أهم ميادين البحث العلمي المعاصر، لما في ذلك من إغناء لجوانب الإعجاز البياني والجمالي في القرآن الكريم. ومن بين هذه المناهج، يبرز المنهج الأسلوبي الذي يُعنى بتحليل الخصائص اللغوية المميزة للنص، والمنهج البنوي الذي يركز على علاقات الأجزاء ببعضها لتكوين بنية متكاملة.

يتناول هذا البحث ظاهرة بلاغية دقيقة وفريدة في النص القرآني، وهي الاحتباك، وتُعرَّف هذه الظاهرة بأنها نوع من الحذف المزدوج، الذي يشمل كلمتين أو أكثر من تركيبين متقابلين، بحيث يكون المحذوف من إحدهما مذكوراً في الجملة الأخرى، مما يؤدي إلى إيجاز بليغ وغني بالدلالات.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة جديدة لظاهرة الاحتباك، للكشف عن أبعاده البنوية والأسلوبية والدلالية في القرآن الكريم، من خلال تحليل مجموعة من الشواهد القرآنية المنتقاة، حيث تركز الدراسة البنوية على وظيفة الاحتباك في ترابط النص وتماسكه وإحكام بنية الآية القرآنية، وتهتم الدراسة الأسلوبية بالجانب الإبداعي في اللغة، لأن الاحتباك خيار أسلوبي بليغ يخدم غرضاً محدداً، وتبحث الدراسة الدلالية عن المعنى، فالاحتباك يضيف إلى المعنى عمقاً، ويفتح آفاقاً واسعة للتأويل والفهم. وسيعمل البحث على الإجابة عن تساؤلات مركزية، مثل: ما الأغراض البنوية والأسلوبية والدلالية الكامنة وراء الاحتباك؟ وكيف يسهم هذا الحذف في ترابط النص القرآني وتماسكه؟ وكيف يؤثر الاحتباك في دلالة الآية القرآنية؟

مشكلة البحث:

على الرغم من أن ظاهرة الاحتباك قد حظيت باهتمام علماء البلاغة والنحو القدامى، إلا أن دراستها ظلت محصورة في إطار التفسير اللغوي التقليدي، وتكمن مشكلة هذا البحث في عدم وجود دراسات كافية تُعالج هذه الظاهرة من منظور المناهج اللغوية الحديثة، مثل المنهج البنوي الذي يحل ترابط الأجزاء، والمنهج الأسلوبي الذي يركز على الخيارات اللغوية، والمنهج الدلالي الذي يبحث في المعنى. وهذا النقص في الدراسات يحد من إمكانية الكشف عن آليات عمل الاحتباك ودوره في إحكام الآيات القرآنية.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الاحتباك وأبرز أنواعه في القرآن الكريم؟
- كيف يساهم الاحتباك في إحكام البنية النصية للآية القرآنية؟
- ما الأبعاد الأسلوبية لظاهرة الاحتباك في الآيات القرآنية؟
- ما هي الأبعاد الدلالية (المعنوية) التي يُضيفها الاحتباك إلى النص القرآني؟
- ما علاقة الاحتباك بالمفاهيم اللغوية الحديثة؟

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الفني الوصفي التحليلي، سبيداً الإطار النظري بوصف ظاهرة الاحتباك من خلال أقوال العلماء القدامى، ثم تحليل الآيات القرآنية المختارة من خلال ثلاثة مناهج متكاملة: المنهج البنوي: لفهم كيفية ترابط أجزاء الآية مع بعضها بفضل الاحتباك، والمنهج الأسلوبي: لتحليل الخصائص اللغوية التي تميز الاحتباك، والمنهج الدلالي: لاستخلاص المعاني العميقة التي يضيفها الحذف.

أهمية البحث:

تكمُن أهمية هذا البحث في أنه يفتح آفاقاً جديدة لدراسة الإعجاز القرآني من خلال المناهج اللغوية الحديثة، ويُقدم نموذجاً لتحليل الظواهر البلاغية في القرآن الكريم بطريقة منهجية منظمة، ويُعمّق الفهم لطبيعة الاحتباك ودوره في بناء الآيات القرآنية، مما يثري المكتبة العربية بدراسة نوعية في هذا المجال.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الغايات التالية:

- 1- تأصيل مفهوم الاحتباك، وتطور مصطلحه، وأنواعه في القرآن الكريم.
- 2- تحليل الأبعاد البنيوية، والأسلوبية، والدلالية لظاهرة الاحتباك.
- 3- إبراز العلاقة بين الاحتباك ونظرية النظم، والنظريات الحديثة.
- 4- توضيح دور الاحتباك في إحكام بناء النص القرآني وجماليته.

الدراسات السابقة:

- بحث بعنوان (الاحتباك عند السيوطي - دراسة وصفية تحليلية)، كتبه الدكتور أحمد بن سليمان بن أحمد المنيفي، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، نُشر بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 51 بتاريخ 2024/10/1م. تناول تعريف الاصطلاح لغة واصطلاحاً، ونشأة مصطلح الاحتباك، ومفهوم الاحتباك عند السيوطي، ونماذج تطبيقية، وخلص إلى مجموعة من النتائج منها أن السيوطي أول من أدخل الاحتباك في فن البديعيات، ومن أوائل من استخدم مصطلح الاحتباك إسماعيل بن محمد الغرناطي، وأحمد بن يوسف الرعيني في أواخر القرن الثامن الهجري.

- بحث بعنوان (من أساليب الحذف التركيبي في القرآن الكريم - الاحتباك) كتبه الأستاذان الدكتور بومدين مصطفى لامين، والدكتور بوعرارة محمد - جامعة أحمد يحيى الونشريسي، الجزائر. نُشر بمجلة المعيار المجلد 16 العدد 1 تاريخ النشر أبريل 2025م، تناول البحث مفهوم الاحتباك في اللغة والاصطلاح، وأنواع الاحتباك، وبلاغة الاحتباك، وخلص إلى أن الاحتباك عُرف بمصطلحات كثيرة، منها الحذف المقابل، والاكتفاء بالمقابل، والتشبيب، والقياس المضمّر.

المبحث الأول

التأصيل النظري لفن الاحتباك

مفهوم الاحتباك لغة:

الاحتباك من الحبك وأصله الشد والإحكام، قال الجوهري (ت: 393هـ) في الصحاح: (قال ابن الاعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنّت عمله فقد احتبكتُهُ، والمحبوك: الشديّد الخلق من الفرس وغيره). (الجوهري، 1987م، حبك) يُحدد الجوهري المعنى الأصلي للفعل "الاحتباك" نقلاً عن ابن الأعرابي وهذا التعريف يجعل الإتقان والضبط هو الجوهر الدلالي للكلمة. فـ "الاحتباك" هو فعل مصحوب بالجودة البالغة وحسن الصنعة. ويطبق الجوهري هذا الوصف مفهوم الإحكام على الخلق البنيوي للكائنات (كالفرس)، مما يعني أن "المحبوك" هو ما جُعِل متيناً ومشدوداً في أجزائه. وتكمُن قوة هذا التعريف في أنه يسرد العلاقة السببية بين الفعل والوصف؛ فإذا أحكمت (احتبكت) شيئاً، كانت نتيجته أنه أصبح شديد الخلق ومتقن

الصنعة (محبوك). وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ): (وأصله من قولهم: بعير مَحْبُوكُ القرى، أي: محكمه، والاحتباك: شَدَّ الإزار) (الأصفهاني، 1412هـ، حبك) يُفسر الراغب الأصفهاني كلمة "الاحتباك" بتتبع أصلها اللغوي، حيث يرى أن أصل الكلمة مأخوذ من قولهم: (بعير مَحْبُوكُ القرى)، ومعنى ذلك: أي محكم البنية قوي الخلق، لأنَّ (القرى) هو ظهر البعير الذي يجب أن يكون قوياً ومشدوداً. ثمَّ يشرح الراغب أنَّ الفعل المشتق من هذا الأصل، وهو (الاحتباك)، قد أصبح يُستخدم للدلالة على المعنى الحسي المادي الذي يحمل ذات الدلالة على الشد والإحكام، فيقول والاحتباك: شَدَّ الإزار، وبذلك يكون الجامع بين الأصل والاستخدام المشتق هو مفهوم الشد والجمع بقوة وإحكام ومثانة.

تطور الدلالة الاصطلاحية:

وبعد استعراضنا المعنى اللغوي لجذر "حَبَكَ" وما يحمله من دلالة الإحكام، والشد، يصبح من السهل أن نتابع الدلالة الاصطلاحية للاحتباك وتطور هذه الدلالة، فالاحتباك نوع من أنواع الإيجاز، وهو فنُّ بلاغي يعتمد على حذف بعض الألفاظ من الكلام، مع المحافظة على المعنى كاملاً وواضحاً، إنه إيجاز ذكي وحذف مُتَقَن لطيف، ولم يكن هذا الفن وليد لحظة، بل هو ثمرة تطور طويل في دراسة القرآن الكريم، ولقد أشار إليه الأئمة الأوائل كسيبويه وإن لم يسموه بهذا المصطلح في مصنفاتهم وتحليلاتهم لآيات القرآن الكريم. وسنتبع رحلة "الاحتباك" في الفكر البلاغي، مُقسِّمين ذلك إلى ثلاث محطات رئيسية: سنبدأ بالإشارات الأولية التي رصدها العلماء قبل تبلور المصطلح، ثم ننتقل إلى المرحلة الوسطى حيث بدأ المصطلح بالظهور والتبلور، ثم ننتقل إلى مرحلة اكتمال المصطلح حيث استقرت تعريفاته، وهذا التتبع التاريخي المنهجي سيوضح لنا كيف تبلور هذا الفن البلاغي الدقيق ليجمع بين الإيجاز في سبك العبارة وإحكام معناها.

ورد الاحتباك في شكل إشارات لدى إمام النحو سيبويه (ت: 180هـ): في حديثه عن قوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً" (البقرة: 171) إذ يقول: (وإنما شَبَّهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى). (سيبويه، 1988م، 212/1) يقدم سيبويه، إمام النحاة، في تحليله السابق رؤية واضحة تتوافق تماماً مع دلالة الاحتباك، وإن لم يستخدم المصطلح نفسه. حيث يرى سيبويه أن التشبيه في الآية الكريمة ليس مباشراً كما يبدو للوهلة الأولى، فلو كان التشبيه بظاهره، لكان "الذين كفروا" مشبَّهين بـ "المنعوق به" (أي الأنعام)، وهذا لا يستقيم تماماً مع السياق القرآني الذي يذم عدم الفهم والإدراك، لذلك يوضح سيبويه أن المعنى الحقيقي الكامن وراء التركيب القرآني هو: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. وهذا التقدير الذي أورده سيبويه يكشف عن وجود حذف مزدوج في الآية، وهذا هو بيت القصيد في علاقته بالاحتباك: فحذف من الجانب الأول (المشبَّه): [مثلكم] وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...، وحذف من الجانب الثاني (المشبَّه به): "... كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ [والمنعوق به] بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً". ويُعلق سيبويه على هذا الحذف بقوله: (ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى). وهذا التعليق مهم للغاية: حيث تشير عبارة (سعة الكلام والإيجاز) إلى أن اللغة العربية تتميز بمرونة وجمال في التعبير، تسمح بالاختصار الشديد دون الإخلال بالمعنى، وهذا ما يهدف إليه الاحتباك. كما تؤكد عبارة (لعلم المخاطب بالمعنى) أن هذا الحذف قائم على ثقة المتكلم (وهنا القرآن الكريم) بذكاء المتلقي وقدرته على استنتاج المحذوف من السياق والمعنى، وهذا يعكس جانباً من "إحكام" الصياغة البلاغية التي تتيح للمتلقي استكمال الصورة الذهنية. وما وصفه سيبويه هنا هو تجسيد دقيق لفن الاحتباك، لتوفر الحذف المتقابل، والإيجاز مع وضوح المعنى، والاعتماد على فهم المتلقي. وعلى الرغم من أن سيبويه لم يستخدم مصطلح (الاحتباك) لأن المصطلح لم يكن قد استقر بعد بهذا الشكل، إلا أن تحليله للآية الكريمة ووصفه لعملية الحذف المتقابل والإيجاز فيها، هو في أصله وصف دقيق ومنهجي لفن الاحتباك كما عُرف لاحقاً في البلاغة العربية. وقول سيبويه هذا يدل على أن

اللغويين والبلاغيين الأوائل كانوا على وعي تام بهذه الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم.

ثم جاء بدر الدين الزركشي (ت794هـ) وسماه الحذف المقابلي، وعرفه بقوله: (الْحَذْفُ الْمُقَابِلِيُّ: هُوَ أَنْ يَجْتَمَعَ فِي الْكَلَامِ مُتْقَابِلَانِ، فَيُحْذَفُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقَابِلَةٌ لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ" مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ" (البقرة: 222) فَتَقْدِيرُهُ: "وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ [وَيَتَطَهَّرْنَ] فَإِذَا تَطَهَّرْنَ [وَأْتُوهُنَّ] وَهُوَ قَوْلٌ مُرَكَّبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ نِسْبَةُ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّالِثِ كَنِسْبَةِ الثَّانِي إِلَى الرَّابِعِ وَيُحْذَفُ مِنْ أَحَدِهِمَا لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ). (الزركشي، 1957م، 129/3) ويُعَدُّ الإمام بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) معلماً بارزاً في تقعيد المصطلح البلاغي، لا سيما بتبنيه لمصطلح (الحذف المقابلي)، الذي يمثل نقطة مهمة في مسيرة تطور فن الاحتباك. كما أن تعريفه الدقيقة وتطبيقه المحكم يُشير إلى تطور منهجي وفكري عما سبقه من إشارات. لقد أشار أئمة اللغة بعد سيبويه وقبل الزركشي إلى ظاهرة الحذف المتقابل في القرآن الكريم، ووصفوها بصفات دقيقة، لكنهم لم يضعوا لها مصطلحاً خاصاً. وهذا يدل على أن الظاهرة كانت ملحوظة ومقدَّرة بلاغياً، لكنها لم تتبلور بعد في قالب اصطلاحى جامع. فجاء الإمام الزركشي ليملاً هذه الفجوة. فبتسميته (الحذف المقابلي)، فقد أسبغ على فن الاحتباك سمة اصطلاحية محددة. وهذه التسمية نفسها تُشير إلى أصل الاحتباك (فالحذف) يوضح وجود حذف لفظي. و(المقابلي) يُشير إلى طبيعة هذا الحذف، وهو كونه قائماً على التبادل والتقابل بين أجزاء الكلام. وهذا التحول من مجرد الوصف إلى التسمية الاصطلاحية، يُعدُّ خطوة أساسية في ترسيخ هذا الفن البلاغي وتصنيفه، مما يسهل دراسته وتناوله كفن مستقل بذاته.

ويتسم تعريف الزركشي بالدقة حيث يقول: (أن يجتمع في الكلام متقابلان)، فهذا هو الشرط الأساسي؛ وجود طرفين أو أجزاء متقابلة في المعنى أو التركيب. هذا التقابل ضروري لحدوث الاحتباك. (فيحذف مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا) يؤكد على وجود الحذف في أحد الطرفين. (مقابلة لدلالة الآخر عليه) وهذا هو جوهر الفن، فالحذف مبني على أن الطرف المذكور يُغني عن الطرف المحذوف، ويكمل المعنى، بمعنى أن السياق وما ذُكر يُشير بوضوح إلى ما حُذف في المقابل. وهذا يُظهر العلاقة الوثيقة بين المذكور والمحذوف. كما يُقدم الزركشي مثلاً تطبيقياً بالغ الدلالة على تعريفه، وهي قوله تعالى: "فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ". وتحليله لهذه الآية يظهر فهمه العميق لظاهرة الاحتباك، حيث يرى الزركشي أن تقدير الاحتباك هو "لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ [وَيَتَطَهَّرْنَ] فَإِذَا تَطَهَّرْنَ [وَأْتُوهُنَّ] فَأْتُوهُنَّ". فقد ذُكر في الجزء الأول: "يَطْهَرْنَ" بمعنى انقطاع الدم، وحُذف [وَيَتَطَهَّرْنَ] بمعنى الاغتسال. وذكر في الجزء الثاني: "تَطَهَّرْنَ" بمعنى الاغتسال، وحُذف [طَهَّرْنَ] بمعنى انقطاع الدم. وقال الزركشي عن الاحتباك: (وهو قول مركب من أربعة أجزاء نسبة الأول إلى الثالث، كنسبة الثاني إلى الرابع)، وهذا التعبير يَشْف عن فهم رياضي منطقي للظاهرة. فالزركشي يرى أن هناك تقابلاً بين أربعة عناصر (اثنين مذكورين واثنين محذوفين). فما سماه الزركشي بـ (الحذف المقابلي) هو في جوهره الاحتباك نفسه. فتعريفه وتطبيقه يطابق تماماً الشروط التي استقرت عليها البلاغة العربية لتعريف الاحتباك: الإيجاز، والتقابل ودلالة المذكور على المحذوف. بحيث يفهم المتلقي ما حُذف من خلال ما ذُكر في الجانب المقابل. لهذا يُعدُّ الزركشي بتعريفه لـ (الحذف المقابلي) خطوةً مركزية في ترسيخ الاحتباك كفن بلاغي مستقل. ولقد انتقل بفن الاحتباك من مجرد الإشارة العابرة التي كانت لدى سيبويه وغيره، إلى التصنيف والتأصيل المصطلحي الدقيق.

ومن أوائل العلماء الذين ورد مصطلح (الاحتباك) في مصنفاتهم إسماعيل بن محمد بن هانئ اللخمي الغرناطي (ت771هـ) وذلك في شرحه لألفية بن مالك، وقد عرفه بقوله: (أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول) (ابن هانئ، 1994م، ص: 10) ثم ذكر تقديراً للاحتباك في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ [يُصَلِّي]

و[إِنَّ] مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ" فحذف [يُصَلِّي] من الجزء الأول لدلالة "يُصَلُّونَ" و[إِنَّ] من الجزء الثاني لدلالة "إِنَّ" الأولى عليه، وهذا من أفصح ما جاء عن العرب، وأجمعه وأوجزه، ويُسمَّى في ألقاب البديع الاحتباك). (ابن هاني، 1994م، ص: 10-11)

كما ورد مصطلح الاحتباك في شرح أحمد بن يوسف الرعيني الأندلسي (ت779هـ). لبديعية (العميان) المسماة (الخلة السيرا في مدح خير الورى) التي نظمها شمس الدين أبو عبد الله جابر محمد بن جابر الأندلسي، المشهور بابن جابر الأندلسي (ت780هـ)، فقد ورد مصطلح (الاحتباك) في (باب الجمع - وهو أن تجمع بين شيئين في أمر واحد)، يقول الناظم:

قَدْ أَحْرَزَ الْبَاسَ وَالْإِحْسَانَ فِي نَسَقٍ .

والعلم والحلم قبل الدرك للطلب

قال الرعيني في الشرح: كالجمع بين البأس والإحسان، وبين العلم والحلم، ثم استطرده وقال: (وفيه أيضاً لقب غريب من ألقاب البديع يُقال له (الاحتباك)، وهو عزيز عندهم، وهو أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول). (الرعيني، 1985م، ص: 115).

وورد ذكر مصطلح الاحتباك واسم ابن يوسف في منظومة السيوطي (عقود الجمان في علم المعاني والبيان) إذ يقول (السيوطي، 2012م، ص: 107):

قُلْتُ وَمِنْهُ الْإِحْتِبَاكُ يُخْتَصَرُ مِنْ شَقِي الْجُمْلَةِ ضِدُّ مَا ذُكِرَ .

وَهُوَ لَطِيفٌ زَاقٌ لِلْمُقْتَبَسِ بَيْنَهُ ابْنُ يُوسُفَ الْأَنْدَلُسِيِّ

ثم علق السيوطي في كتابه شرح عقود الجمان، بقوله: (هذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلها من زياداتي، فمن أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع لطيف لم ينتبه إليه أحد من أهل هذا الفن، ولا ذكره أصحاب البديعيات، ولم نقف على أحد تعرض لذكره إلا رفيق الأعمى في شرح بديعته). (السيوطي، 2012م، ص: 302) ويقصد السيوطي برفيق الأعمى أبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي (ت779هـ)، صديق ابن جابر الأندلسي (ت780هـ)، الذي صحبه في الرحلة لطلب العلم، ولما طال تلازمهما سُميا بالأعمى والبصير، وقد ألف ابن جابر بديعته (الخلة السيرا في مدح خير الورى) وله عليها شرح موجز، أما صاحبه أبو جعفر ابن يوسف الرعيني فله عليها شرح طويل، سمّاه (طرار الخلة وشفاء الغلة) وأورد الاحتباك فيه كما ذكر السيوطي استطراداً. ومع أن المعلومات التي وصلت إلينا تؤكد أن أول استخدام مصطلح الاحتباك هما إسماعيل بن محمد بن هاني اللخمي الغرناطي (ت771هـ) في شرحه لألفية بن مالك، وأبو جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي (ت779هـ)، صديق ابن جابر الأندلسي (ت780هـ)، لكن هذه المعلومات لا تؤكد أنهما أول من ابتدعا هذا المصطلح، لأن عبارتهما لا توحي بذلك، بل توحي بأن هذا المصطلح وجد قبل ذلك، وربما يرجع ظهور المصطلح إلى منتصف القرن الثامن الهجري.

وكذلك ورد مصطلح (الاحتباك) على لسان العلامة علي بن محمد الجرجاني المشهور بالشريف الجرجاني (ت816هـ) في كتابه (التعريفات) وعرفه بقوله: (الاحتباك هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويُحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه). (الشريف الجرجاني، د.ت، ص: 13) يعد تعريف الشريف الجرجاني لـ الاحتباك محطة مهمة في تطور المصطلح البلاغي، رغم أن المصطلح والتطبيق كانا موجودين قبله. ولكن لأنه قدم له صياغة شاملة ومُحكمة أسهمت في

ترسيخه وتوضيح آليته الجمالية. فقله: "أن يجتمع في الكلام متقابلان" هذه النقطة أساسية في الاحتباك، فالاحتباك لا يحدث إلا بوجود تركيبين أو جملتين متقابلتين في المعنى أو الصورة. وهذا التقابل يخلق نوعاً من التوازن بينهما، مما يمهّد لعملية الحذف. وقله: "يُحذف من كل واحد منهما مقابله": هنا تكمن بلاغة الاحتباك. فبدلاً من ذكر كل جزء بشكل صريح في كلا الجملتين، يتم حذف ما يقابل المذكور في الجملة المقابلة. وقله: "لدلالة الآخر عليه": هذا الشرط هو الذي يميز الاحتباك عن الحذف العام. فالمحذوف لا يزال مفهوماً تماماً من خلال سياق الجملة المقابلة وما ذكر فيها. أي أن المتلقي لا يقع في لبس؛ لأن الجزء المذكور في أحد الشقين يدل على نظيره المحذوف في الشق الآخر.

واحتقى العلامة برهان الدين البقاعي (ت885هـ) احتقاً عظيماً بفن الاحتباك، وشغف به كثيراً وتعلق به عميقاً، وصنّف فيه كتاباً، ووصف الاحتباك بأنه كنز فني عظيم الشأن، حين قال: (وهو فن عزيز نفيس، وقد جمعت فيه كتاباً حسناً ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللغة، وما حضرني من أمثله من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء، وسميته (الإدراك لفن الاحتباك)). (البقاعي، 1984م، 225/1) ثم عرّفه بقوله: (الاحتباك، وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازاً ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه). (البقاعي، 1984م، 263/4) يقدم برهان الدين البقاعي تعريفاً واضحاً وموجزاً لفن (الاحتباك) إذ يُسلط الضوء على أصله وأبعاده الجمالية والبلاغية، ويمكننا تفكيك تعريف البقاعي إلى عناصر أساسية توضح مفهوم الاحتباك بدقة. (أن يؤتى بكلامين): يؤكد البقاعي أن الاحتباك لا يتم إلا بين تركيبين أو جملتين. وهذا يعني أنه لا يظهر في كلمة مفردة أو جملة واحدة منعزلة، بل يتطلب وجود سياق مزدوج أو متقابل. هذان (الكلامان) غالباً ما يكونان متوازيين في التركيب أو متقابلين في المعنى. وقله: (يحذف من كل منهما شيء إيجازاً): هذه العبارة هي لبّ عملية الاحتباك. ففي كلتا الجملتين، يتم حذف عنصر معين. هذا الحذف يهدف إلى الإيجاز، أي اختصار الكلام وتكثيف المعنى. وهذا يدل على رغبة المتكلم في التعبير عن الفكرة بأقل قدر ممكن من الألفاظ دون الإخلال بالمعنى. وقله: (يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر). هذا هو الشرط الأهم الذي يميز الاحتباك عن الحذف العادي. فالمحذوف في إحدى الجملتين يُصبح مفهوماً؛ لأن الجزء المذكور في الجملة المقابلة يدل عليه دلالة واضحة. وهذه العلاقة التبادلية في الدلالة هي التي تحقق المعنى بدقة وتزيل الإبهام، وتُبرز براعة المتكلم في التصرف باللفظ والمعنى. وتكرار المعنى بصيغة أخرى يُظهر حرص البقاعي على توضيح الفكرة وتأكيدّها، وهذه الصياغة الثانية تُبسّط المفهوم وتجعله أكثر استيعاباً، مؤكدة على العلاقة التكاملية بين المحذوف والمذكور.

وذكر الإمام السيوطي (ت911هـ) في كتابه (شرح عقود الجمان) موقفاً طريفاً جمعه ببرهان الدين البقاعي، إذ يقول: (وقلت في نفسي هذا نوع لكن لا أعرف من أنواع البديع ما يدخل فيه، ثم اجتمعت بصاحبنا العلامة برهان الدين البقاعي، فذكر لي أن بعض شيوخه أفاده أن من أنواع البديع ما يُسمى الاحتباك، وهو أن تُذكر جملتان في كلّ متقابلان، ويحذف من كل ضد ما ذكر في الأخرى. وقال لي: لم أقف على من تعرّض لهذا ولم أره في كتاب، وقد ألفت فيه كراسة سميتها (الإدراك)، فلما طالعتُ شرح بديعية ابن جابر لرفيقه أحمد بن يوسف الأندلسي، رأيته ذكره في أثناء كلامه استطراداً، فقال من أنواع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يُحذف من الأول ما ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول). (السيوطي، 2012م، ص: 303) اعترف البقاعي في هذا النص أن بعض مشايخه نبهه إلى فن الاحتباك، وأنه لم يخترع هذا الفن، لكنه ربما يكون شيخه الذي لم يفصح باسمه هو أول من ابتدع مصطلح الاحتباك.

وأشار السيوطي (ت911هـ) إلى سبب تسمية هذا الفن بالاحتباك لغوياً، فقال: (وَمَأْخَذُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ مِنَ الْحَبْكِ الَّذِي مَعْنَاهُ الشَّدُّ وَالْإِحْكَامُ وَتَحْسِينُ أَثَرِ الصَّنْعَةِ فِي النَّوْبِ، فَحَبْكُ النَّوْبِ شَدُّ مَا بَيْنَ خُيُوطِهِ مِنَ الْفَرْجِ وَشَدُّهُ وَإِحْكَامُهُ بِحَيْثُ يَمْنَعُ عَنْهُ

الْخَلَلَ مَعَ الْحُسْنِ وَالرُّوْنَقِ، وَبَيَّانُ أَخْذِهِ مِنْهُ مِنْ أَنَّ مَوَاضِعَ الْحَذَفِ مِنَ الْكَلَامِ شُبِّهَتْ بِالْفَرْجِ بَيْنَ الْخُيُوطِ فَلَمَّا أَدْرَكَهَا النَّاقِذُ الْبَصِيرُ بِصَوْغِهِ الْمَاهِرِ فِي نَظْمِهِ وَحَوْكِهِ فَوَضَعَ الْمُحْذُوفَ مَوَاضِعَهُ كَانَ حَابِكًا لَهُ مَانِعًا مِنْ خَلَلٍ يَطْرُقُهُ فَسَدَ بِتَقْدِيرِهِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْخَلَلَ مَعَ مَا أَكْسَبَهُ مِنَ الْحُسْنِ وَالرُّوْنَقِ). (السيوطي، 1974م، 205/3)

وقال السيوطي (ت911هـ) في تعريف الدلالة الاصطلاحية لهذا الفن: (الِإِخْتِبَاكُ وَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الْأَنْوَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَقَلَّ مَنْ تَنَبَّهَ لَهُ أَوْ نَبَّهَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ فَنِّ الْبَلَاغَةِ وَلَمْ أَرَهُ فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ الْأَعْمَى لِرَفِيقِهِ الْأَنْدَلُسِيِّ وَذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ وَلَمْ يَسْمِهِ هَذَا الْأِسْمَ بَلْ سَمَّاهُ الْحَذَفَ الْمُقَابِلِيَّ وَأَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الْعَلَّامَةُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْبِقَاعِيُّ قَالَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي شَرْحِ الْبَدِيعِيَّةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ الْإِخْتِبَاكُ وَهُوَ نَوْعٌ عَزِيزٌ وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي وَمِنْ الثَّانِي مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ {الْآيَةَ التَّقْدِيرُ وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكَفَّارِ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ} وَالَّذِي يَنْعُقُ بِهِ فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ الْأَنْبِيَاءَ لِذِلَّةِ "الَّذِي يَنْعُقُ" عَلَيْهِ وَمِنْ الثَّانِي الَّذِي يَنْعُقُ بِهِ لِذِلَّةِ "الَّذِينَ كَفَرُوا" عَلَيْهِ). (السيوطي، 1974م، 204/3) يوضح السيوطي في هذا النص أن علماء البلاغة السابقين لم ينتبهوا إلى صياغة مصطلح للاحتباك، وأن أصحاب البديعيات لم يدرجوه في بديعياتهم مع أنها مخصصة لأنواع البديع، فالإمام السيوطي أول من ذكر مصطلح الاحتباك في البديعيات وذلك بنسبته لابن يوسف الأندلسي كما مر بنا في سابقاً.

علاقة الاحتباك بالبنوية الحديثة:

ظهرت فكرة البنية السطحية والعميقة لأول مرة في كتاب نعوم تشومسكي (البنى النحوية)، عام 1957م، وكان الهدف توضيح أن اللغات البشرية يمكن أن تنتج عدداً لا نهائياً من الجمل من عدد محدود من القواعد. وتمثل البنية العميقة المستوى المجرد الذي يحمل المعنى الأساسي للجملة. والذي يمكن اعتباره بمثابة الفكرة أو المعنى قبل أن يتم التعبير عنه لغوياً. أما (البنية السطحية) فهي الشكل الظاهر للجملة كما يتم نطقها وكتابتها. ولقد قدم تشومسكي هذه الفكرة لشرح كيف أن المتحدثين الأصليين للغة يمكنهم فهم الجمل الجديدة وغير المألوفة بسهولة، وكيف أن الجمل ذات المعنى المتشابه يمكن أن يكون لها أشكال مختلفة، هذه الفكرة كانت نقطة انطلاق للغويات التوليدية التحويلية التي أحدثت ثورة في دراسة اللغة. وفي حالة الاحتباك تكون البنية السطحية هي الجملة المحذوف منها بعض عناصرها، والبنية العميقة هي البنية الأساسية الكاملة التي تحمل المعنى الأصلي. ويمثل الاحتباك عملية تحويلية إذ ينتقل المتحدث أو الكاتب من البنية العميقة إلى البنية السطحية المختصرة، وهذا الانتقال يخضع لقواعد بلاغية ومعرفية، مثل قرينة الحال والسياق، التي تضمن للمتلقي استعادة البنية العميقة بشكل صحيح. ويحقق الاحتباك إيجازاً في البنية السطحية، مما يقلل من تكرار الكلمات، وكذلك يضيف جمالية إلى الآيات القرآنية، فالحذف يثير الذهن ويدعو المتلقي إلى المشاركة في بناء المعنى، فإذا نظرنا إلى البنية السطحية في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" والبنية العميقة المتمثلة في "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه [صلاة] وسلموا [عليه] تسليماً"، نجد أن وظيفة الاحتباك هي الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية، مع الاعتماد على قرينة "تسليماً" لإعادة "صلاة"، وعلى قرينة "صلوا عليه" لإعادة "عليه"، وهذا المنهج يُظهر الاحتباك نظاماً لغوياً محكماً ومتكاملاً.

علاقة الاحتباك بنظرية الاقتصاد اللغوي:

الاقتصاد اللغوي مبدأ بلاغي ولغوي يعني استخدام أقل قدر ممكن من الكلمات لإيصال أكبر قدر من المعنى، وهذه الفكرة ليست حديثة، بل لها جذور عميقة في البلاغة العربية القديمة والحديثة، حيث إننا نجد هذا المفهوم متأصلاً في فنون مثل الإيجاز، الذي يُعتبر من أعظم أسرار البلاغة العربية. فالبلاغة عندهم هي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، والقدرة على الإيجاز والاختصار دون إخلال بالمعنى كانت تُعتبر قمة البلاغة والفصاحة. وقد تبني علماء الأسلوبية الحديثة هذا

المفهوم، ورأوا أن الكاتب المبدع هو الذي يختار الكلمات بعناية ليحقق أقصى تأثير بأقل جهد لغوي، وهذا المبدأ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوظيفة التعبير؛ فكل كلمة تُحذف هي اختيار أسلوبية مقصود، يُضفي على النص قوةً وجمالاً. وإذا نظرنا إلى تحليل الاحتباك في آية سورة الأحزاب من خلال تطبيق مبدأ الاقتصاد اللغوي نجد أن الاحتباك يحقق اقتصاداً لغوياً من خلال حذف الألفاظ التي يمكن الاستغناء عنها، فقد تم حذف (صلاة) و(عليه)، مما جعل الجملة أكثر إيجازاً وتركيزاً. وعلى الرغم من الحذف، لم ينقص المعنى أو يختل. فالمتلقي يستطيع استعادة الكلمات المحذوفة بفضل السياق، مما يثبت أن الحذف كان مقصوداً لتحقيق الاقتصاد اللغوي. وهذا الاقتصاد اللغوي يُنتج تأثيراً بلاغياً عميقاً. فالحذف يجعل المتلقي يتفاعل مع النص، ويشارك في بناء المعنى، مما يزيد من تأثير الرسالة وقوتها. فالاحتباك تطبيق عملي لمبدأ الاقتصاد اللغوي، حيث يُظهر النص القرآني قدرته الفائقة على تحقيق أقصى بلاغة بأقل عدد ممكن من الكلمات، وهذا يجعله نموذجاً فريداً في دراسة الأسلوب.

المبحث الثاني

أنواع الاحتباك في القرآن الكريم

خصصت هذا المبحث الثاني من هذه الدراسة للجانب التطبيقي على أنواع الاحتباك المختلفة، وذلك من خلال تحليل آية قرآنية واحدة لكل نوع من أنواع الاحتباك، ليركز التحليل على نوع الاحتباك، وخصائصه الفنية، والألفاظ المحذوفة والمذكورة، ثم الأبعاد البنوية والأسلوبية والدلالية. ونعني بالأبعاد البنوية القواعد التي تحكم ترتيب الكلمات والجملة، ونعني بالأبعاد الأسلوبية طريقة اختيار الكلمات، أما الدلالة فتعني المعنى الذي ينتج عن الترتيب والاختيار.

أنواع الاحتباك:

يمثل فن الاحتباك بأنواعه المختلفة أبرز أساليب الإيجاز الدلالي، ويتسم بقدرته على استيعاب فكرتين مترابطتين في سياق لغوي واحد، ويرجع التنوع في فن الاحتباك (إلى تقدير المحذوف). (أسعد، 2006م، 52) كما يختلف التصنيف (حسب نوع التقابل الذي يقع بين طرفي المقابلة) (حماش، 2022م، 13) وتعتمد فكرة الاحتباك على أساس حذف ما يُفهم من سياق الكلام، مما يُضفي على النص تماسكاً بنائياً وعمقاً دلالياً.

أولاً: الاحتباك الضدي.

الاحتباك الضدي (هو الذي يقع بين ألفاظ العلاقة بينهما قائمة على التضاد) (أسعد، 2006م، 53)

حيث يتم الحذف المزدوج بين لفظين متضادين مع ذكر قرائن تدل على المحذوف، وتتجلى هذه الآلية ببراعة في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا" (يونس: 67). فالجزء الأول من الآية: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ"، والجزء الثاني: "وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا". فقد حُذف من الجزء الأول لفظ (مُظْلَمًا) لِذِكْرِ ضده في الجزء الثاني (مُبْصِرًا)، وحُذف من الجزء الثاني (لتعملوا فيه) لِذِكْرِ ضده في الجزء الأول (لتسكنوا فيه). والتقدير الكامل للاحتباك الضدي في هذه الآية: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ [مُظْلَمًا] لِتَسْكُنُوا فِيهِ"، "وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا" [لتعملوا فيه]. فالآية الكريمة أوجزت ببراعة في الألفاظ، فاكتفت بذكر صفة النهار (مبصرًا) ولم تذكر صفة الليل (مظلمًا)، كما اكتفت بذكر وظيفة الليل الأساسية (لتسكنوا فيه)، وحذفت الوظيفة المقابلة لها للنهار (لتعملوا فيه)، مع ترك تقدير المحذوف للاستنتاج، وهنا تظهر قدرات العلماء وملكاتهم على استنتاج إحياء اللفظ، وهذا الحذف الاحتبائي يضفي على الآية القرآنية مزيداً من الظلال والمعاني. ولقد رأيت في هذا الجانب التطبيقي تقديم الأبعاد البنوية على الأسلوبية، وذلك لأن البنية اللغوية تدل على وجود الاحتباك في الآية، ثم ننقل بعد ذلك إلى تحليل تأثيرات الاحتباك الأسلوبية والدلالية.

الأبعاد البنيوية والدلالية:

يعرض هذا التحليل الأبعاد البنيوية للاحتباك الضدي في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا"، مُبيّنًا أن الآية بُنيت على نسق يربط بين أجزائها، ويعمل الاحتباك كعنصر بنوي محكم يربط بين المذكور والمحذوف، وهذا الحذف المزدوج يُنشئ وحدة دلالية متكاملة، ويخدم بنية حجاجية كبرى تُثبت قدرة الخالق وعظمته، وترسخ نظاماً كونياً وتشريعياً يقوم على التوازن والازدواجية المتقابلة بين السكون والنشاط.

1- الإطار البنوي للاحتباك: تعتمد بنية الآية على محورين متقابلين (الليل والنهار)، ويعتمد كل منهما على الآخر في تمام المعنى والدلالة، ويُشكّل هذا التوازي المتبادل بين المذكور والمحذوف البنية الكاملة للاحتباك الضدي. ويؤكد البقاعي وجود الاحتباك بقوله: (فالآية من الاحتباك) (البقاعي، 1984م، 158/9). كما يرى البقاعي أن الحذف البلاغي يعزز من تماسك الآية، فالمحذوفان "مُظْلَمًا" و"لَتَنْتَشِرُوا فِيهِ" لا يزالان موجودان في البنية النصية العميقة، ويُستدلّ عليهما بالأجزاء المذكورة، وهذا الترابط تصور الآية بنية متكاملة، فالاحتباك عنصر بنوي أساسي يربط بين طرفي هذا التوازي. فالحذف من أحد الطرفين وذكر ما يقابله في الطرف الآخر يضمن الترابط العضوي للآية. وهذا الترابط يجعل الآية وحدة دلالية متكاملة. وعندما تنتقل للسياق العام لسورة يونس، نجد أن الآية جزءاً من بنية حجاجية أكبر تهدف إلى إقامة الدليل على قدرة الله وعظمته، وتعد ظاهرة الاحتباك آية من آيات الله في اللغة، تدل على إحكام الصنعة في صياغة الكلام. ويُفسّر الألوسي هذه الآية بشكل دقيق: (التقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمصالحكم، فحذف من كل ما ذكر في الآخر... وفيه على هذا صنعة الاحتباك) (الألوسي، 1997م، 146/6)، وهذا الإيجاز المتوازن والمقابلة التامة يدلّ على التفرد بالقدرة والنعمة الشاملة. ويشير أبو السعود إلى أن الحذف المتقابل جاء (اكْتِفَاءً بِالْمَذْكُورِ عَنِ الْمَتْرُوكِ). (العمادي، د.ت، 162/4). ويقول أبو حيان الأندلسي: (جَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلِمًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا لِتَتَحَرَّكُوا فِيهِ فِي مَكَاسِبِكُمْ وَمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ بِالْحَرَكَةِ) (أبو حيان، 2000م، 85/6) وهذا الأسلوب يقوم على ذكر جزء من الكلام مع حذف قرينه المقابل، ففي شطر الليل ذكرت الآية علة الخلق وهي قوله "لَتَسْكُنُوا فِيهِ"، ولكنها حذفت وصف الليل وهو (مُظْلِمًا)، وفي شطر النهار ذكرت الآية وصف النهار وهو "مُبْصِرًا"، ولكنها حذفت علة الخلق، وهي (لَتَتَحَرَّكُوا فِيهِ)، وهذا الإيجاز البليغ يؤكد على عظمة قدرة الله ونعمته التي لا يدركها إلا من لديه سماع مُعْتَبَرٍ يقود إلى التفكير والاعتبار. ويؤكد القاسمي أن قمة الإيجاز تكمن في (حذف من كل من الجانبين ما ذكر في الآخر) (القاسمي، 1418هـ، 47/6) وهذا الحذف المتقابل يضمن الإيجاز دون إخلال، إذ يكون المذكور دليلاً كافياً على المتروك، مما يجعل القرآن معجزاً في الإحكام اللفظي.

2- الوظائف الدلالية في الحجة القرآنية والتناسب الوجودي: يتجاوز الاحتباك الجانب الأسلوبي ليقدم أغراضاً دلالية عميقة، تؤكد على الوحدة الشاملة للنص القرآني، ويُعدّ الاحتباك في هذه الآية مثلاً بارزاً على النظم القرآني المحكم، الذي يخدم أغراضاً استدلالية وبنائية. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا البعد، حيث بيّن أن الآية جاءت لتكون حجة عقلية ضد من يظنون أن الله اتخذ ولداً، فهي (جَاءَتْ مَجِيءَ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى فَسَادِ ظَنِّهِمْ وَخَرَصِهِمْ بِشَوَاهِدِ خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) (ابن عاشور، 1984م، 226/11). وهذا الربط بين الاحتباك (كظاهرة لغوية) والاستدلال (كعملية منطقية) هو جوهر المنهج البنوي الذي يرى أن بنية النص هي التي تحمل الحجة وتقدمها. فالاحتباك يصف بنية جزئية في الآية، أما القصر فيصف بنية أعم وأشمل، وهي بنية الحجة القرآنية. ويؤكد ابن عاشور على هذه البنية المتقابلة بقوله: (وَلَمَّا قَابَلَ السُّكُونُ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ بِالْإِبْصَارِ فِي جَانِبِ النَّهَارِ... دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ عِلَّةَ السُّكُونِ عَدَمُ الْإِبْصَارِ). (ابن عاشور، 1984م، 227/11) هذا التلازم في الحذف والذكر يُثبت أن الاحتباك جزء أساسي من بنية الحجة القرآنية، وتعتمد الآية على شكل

بنوي يرسخ فكرة الازدواجية المتقابلة، حيث يُكمل كل شق من الزمن وظيفة الشق الآخر، وهذا التناغم هو جوهر الاستدلال على القدرة الإلهية. فالآية لا تكتفي بذكر الليل والنهار كظاهرتين، بل تدمج في بنيتها الهدف والغاية، فالليل بنية للسكون لذلك (مُظْلَمٌ، لِأَجْلِ يَسْكُنُ الْعِبَادُ فِيهِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْتَّعَبِ، وَيُرِيحُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْكَدِّ وَالْكَسْبِ) (الشوكاني، 1414هـ، 523/2) مما يؤسس لمفهوم الراحة كضرورة حياتية، والنهار كبنية نشاط وإبصار (مُبْصِرٌ، لِأَجْلِ يَسْعَوْنَ فِيهِ بِمَا يَعُودُ عَلَى نَفْعِهِمْ وَتَوْفِيرِ مَعَايِشِهِمْ) (الشوكاني، 1414هـ، 523/2) هذه البنية المزدوجة تُظهر نظاماً تشريعياً كونياً يضمن استمرارية الحياة البشرية، حيث لا يمكن تحقيق وظيفة النهار دون سكون الليل. إنها هندسة إلهية للوجود البشري قائمة على التوازن.

3- الأبعاد الروحية والتكامل البنوي: يُقدم الألوسي قراءة رمزية للآية تحوّلها من ظاهرة كونية إلى رمز لحالة الإنسان الروحية، وهي السمة الأبرز في هذا النص. حيث يقول: (وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ أَي أَلْبَسَهُ سُرْبَالُ أَنْوَارِ الْقُدْرَةِ لَتَقْضُوا فِيهَا حَاجَاتِكُمُ الضَّرُورِيَّةَ، وَقِيلَ: الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى لَيْلِ الْجِسْمِ وَنَهَارِ الرُّوحِ أَي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ الْجِسْمِ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَنَهَارِ الرُّوحِ لِتَبْصُرُوا بِهِ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَمَا تَهْتَدُونَ بِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقِيمُونَ بِوَاطْنِهِ وَحُدُودِهِ وَيَطْلَعُونَ بِهِ عَلَى صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ). (الألوسي، 1997م، 168/6) وهذا التحويل يربط بين حركة الكون وحركة القلب، وليل الجسم هو وقت الخلوة والسكون عن مشاغل الدنيا، لراحة الجسد وتهيئته للتأمل، ونهار الروح هو وقت الاستنارة الروحية والكشف المعرفي، حيث ترى الروح حقائق الأشياء التي لا تُرى بالعين المجردة. ومناجاة المشتاقين إشارة إلى سكون العشاق والمشتاقين في الليل، وميلهم إلى مناجاة محبوبهم وانجذابهم إلى مشاهدة مطلوبهم وتلذذهم بما يرد عليهم من الواردات الإلهية واستغراقهم بأنواع التجليات الربانية. وهذا البعد الصوفي يربط الليل بالعبادة الخاصة، حيث يرى أن وقت السكون هو وقت اللقاء الروحي بين العبد وربّه، وهي أعلى درجات القرب. ويركز السعدي على الأبعاد الحياتية والإيمانية للآية، ويبنّي تحليله على ربط النعم الكونية بالعبادة والتعرف على صفات الخالق. لذا يعتمد تفسير الآية على بنية تُظهر كمال التدبير الإلهي من خلال خلق التضاد والتقابل الوظيفي، ويُحدد السعدي الغاية من الليل بأمرين، النوم والراحة، مع الإشارة إلى السبب المادي (الظلمة). ويُبرز قيمة هذه النعمة بذكر نقيضها المحتمل: (فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا) (السعدي، 2000م، 368)، هذا التضاد يُظهر أن الظلمة في نفسها نعمة ضرورية لحياة الإنسان، ويربط الإبصار بوظيفة عملية مزدوجة (فيتصرفون في معاشهم ومصالح دينهم ودنياهم) (السعدي، 2000م، 368) هذه البنية تدمج بين الغرض الدنيوي والعبادي في حركة الإنسان اليومية.

الأبعاد الأسلوبية:

تكمّن جمالية الأسلوب في الاستعارة التصريحية والتكثيف اللغوي، ودقة اختيار الأفعال لتحقيق أعلى درجات التأثير والإقناع.

1- المجاز اللغوي وبلاغة التضخيم: تكمن البلاغة في وصف النهار بـ "مُبْصِرًا"، وهو مجاز عقلي؛ حيث أُسند الإبصار (فعل الإنسان) إلى النهار (الزمان/السبب) لوجود علاقة بينهما. ويوضح البقاعي هذه الظاهرة البلاغية بعبارته الدقيقة: (وأعار السبب وصف المسبب) فقال: "مبصرًا" (أي لتنتشروا فيه، حذف وصف الليل، وذُكرت علته، عكس ما فعل بالنهار ليدل ما ثبت على ما حذف) (البقاعي، 1984م، 185/9) وهذا التوظيف الأسلوب يهدف إلى المبالغة والتضخيم في دلالة نعمة النور. ويحلل ابن عاشور هذا المجاز على أنه (لِلْمُبَالَغَةِ فِي حُصُولِ الْإِبْصَارِ فِيهِ حَتَّى جَعَلَ النَّهَارَ هُوَ الْمُبْصِرَ). (ابن عاشور، 1984م، 227/11) ويُوضح البقاعي أن هذا الوصف هو على سبيل المجاز أو التوسع في الكلام، مستشهدًا بمثلين من أساليب العرب: "لَيْلٌ نَائِمٌ" و "عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ"، ليخلص إلى أن إسناد الإبصار إلى النهار هو

إسناد الشيء إلى محله أو زمانه، فصار النهار مُبْصِرًا لتمكن الناس من الإبصار فيه) (البغوي، 1420هـ، 427/2) ويفسر الشوكاني المجاز بقوله: (وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُبْصِرٌ صَاحِبُهُ، كَقَوْلِهِمْ نَهَارُهُ صَائِمٌ) (الشوكاني، 1414هـ، 523/2) وهذا الأسلوب يمنح النهار خاصية الفاعلية، مما يزيد من قيمة النعمة ويجعل الإحساس بها أعمق.

2- غاية الأسلوب والاستدلال والتفخيم: فالغاية النهائية من الأسلوب البليغ هي توجيه المتلقي إلى السماع الاستدلالي (الاعتبار) وإقامة الحجة على الانفراد بالخلق والامتنان، ويؤكد ابن عاشور أن الآية تجمع بين الاستدلال والامتنان، حيث حَصَلَ (مَعَ الْإِسْتِدْلَالِ امْتِنَانٌ عَلَى النَّاسِ بِجَعْلِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ) (ابن عاشور، 1984م، 227/11)، ويُجمع المفسرون على أن السماع المذكور في ختام الآية "لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" ليس السماع الحسي، بل السماع الاستدلالي الذي يفضي إلى التدبر والإيمان. يقول البغوي: ("إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" ختمت الآية بالغاية من هذا التفسير، وهي أن هذه الظواهر الكونية (الليل للسكون، والنهار للإبصار) هي حجج ودلائل لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ، والمراد بالسماع عند البغوي: (سَمْعَ الْإِعْتِبَارِ أَنَّهُ مِمَّا لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَالَمُ قَادِرٍ) (البغوي، 142هـ، 427/2) أي ليس سماع الأذن، بل سماع التدبر والتفكير والاستدلال. كما وضح أبو السعود: (سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها). (العمادي، د.ت، 162/4) ومع أن الآيات (الليل والنهار) منصوبة لمصلحة الكل، إلا أن تخصيص المنتفعين بها يؤكد على أن الهدى لا يُمنح إلا لمن استخدم عقله في الإدراك، وهذا التخصيص هو بمثابة توجيه ولوم ضمني لمن يسمع الآيات المتلوة ويشاهد الكونية ثم لا ينتفع بها، مما يرفع من قيمة العقل والتدبر كشرط أساسي لتحقيق الإيمان، فالآية مبنية على أسلوب المقابلة الإيجازية (الاحتباك) التي تخدم غرض الإقناع بكمال القدرة، وتستخدم المجاز العقلي لتعظيم النعمة، وتنتهي بتخصيص الخطاب للقوم السامعين، الذين يُفَعِّلُونَ عقولهم (الفقه)، لتؤكد أن الإيمان نتيجة منطقية للتدبر. ولعل أبرز ما يُميز تفسير السعدي هو فهمه لدلالة "لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"، حيث يُحوّل السماع من مجرد حاسة إلى منهج فكري متكامل، ويُشدد السعدي على أن السماع المطلوب هو (سمع فهم، وقبول، واسترشاد) (السعدي، 2000م، 368) ويُقابلة بـ (لا سمع تعنت وعناد) (السعدي، 2000م، 368) وهذا الأسلوب يضع شروطاً قلبية للسماع النافع، مُشيراً إلى أن السماع الحسي لا قيمة له ما لم يقترن بالنية الصادقة لقبول الحق والاهتداء به.

ثانياً: الاحتباك المتشابه.

الاحتباك المتشابه (هو الذي يقع الحذف فيه بين ألفاظ متشابهة) (أسعد، 2006م، 58) مع ذكر ما يدل عليهما، ويُفهم اللفظ المحذوف من اللفظ المذكور في الجملة المقابلة. ففي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۖ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" (الأنفال: 65) نجد الاحتباك في هذه الآية في: "إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا"، ففي الجملة الأولى، حُذِفَ وصف "من الذين كفروا" لأن الجملة الثانية ذكرته، وفي الجملة الثانية، حُذِفَ وصف "صابرة" لأن الجملة الأولى قد ذكرته. وهذا الحذف المتبادل هو ما يسميه البقاعي (الاحتباك) وتقدير الاحتباك: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ [من الذين كفروا] وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ [صابرة] يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا).

الأبعاد البنوية والدلالية:

يتجاوز الاحتباك كونه حذفاً بلاغياً ليصبح تحويلاً بنوياً يخدم دلالة تشريعية عميقة، ويُنشئ رابطاً شرطياً ملزماً بين الثبات الإيماني والنصر الموعود.

1- القيمة البلاغية والتحول البنوي: تكمن القيمة الجمالية والبنوية للاحتباك في تحقيق الاقتصاد اللغوي من خلال

اختصار الجملة إلى حدها الأدنى، مع تحميلها أقصى قدر من المعنى. وقد أكد الألوسي أن (في النظم الكريم صنعة الاحتباك) (الألوسي، 1997م، 228/5) وهو ما يدل على أن هذا الحذف المتبادل هو قمة الإحكام في النظم القرآني. كما يُشرك الاحتباك القارئ في عملية بناء المعنى، فهو يُجبره على استدعاء العنصر المحذوف من الجزء المقابل، وهذا التفاعل الذهني يزيد من تأثير النص في النفس. ويُعلل ابن عاشور الإيجاز بكونه نابعاً من البنية المتقابلة بين الأعداد التي توضح المعنى في كل شطر، مُشيراً إلى أن فصل الجملة الشرطية الأولى كان (لِأَنَّهَا لَمَّا جُعِلَتْ بَيِّنَاتٍ لِإِجْمَالِ كَانَتْ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِثْنَاءً بَيِّنَاتٍ)، (ابن عاشور، 1984م، 66/10) وهذا الفصل البنيوي هو ما يُمهّد لتأسيس قاعدة الاحتباك.

2- الدلالة البنيوية لشرط الصبر: إن حذف وصف "صابرون" من الشطر الثاني حذف بليغ، يُشير إلى دلالة بنيوية تفيد بأن الصبر قد أصبح صفة لازمة ومؤصلة في هوية المؤمنين، لا تحتاج إلى تكرار، وهذا يرفع الشرط من كونه فعلاً طارئاً إلى كونه ركيزة إيمانية في هوية المقاتل. ويُعلّق البغوي على صياغة الغلبة كخبر شرطي (إِنْ يَكُنْ... يَغْلِبُوا) بالقول إن (وَهَذَا خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ) (البغوي، 1420هـ، 308/2)، مما يؤكد أن هذا الإخبار بالنسب العددية هو تشريع إلزامي وواجب بالثبات على قتال نسبة الواحد للعشرة، مما يرفع من قيمة هذا التركيب إلى وجوب التحريض على القتال بهذه النسبة.

3- تكرار الأعداد والمقصد التشريعي: تضمنت الآية مثالين عدديين (200/20 و 1000/100) وعلى الرغم من كفاية المثال الأول لتأسيس قاعدة الواحد للعشرة، يُعلّل أبو السعود هذا التكرار بـ (لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان) (العمادي، د.ت، 34/4)، وقد أوضح الشوكاني أن هذا التكرار العددي يرسخ قاعدة استمرارية الحكم الواحد للعشرة، مؤكداً أن هذه القاعدة (جَارِيَةٌ فِي كُلِّ عَدَدٍ)، وينتقل الشعراوي إلى طرح سؤال منطقي يتبادر إلى الذهن حول أسلوب القرآن، لماذا ذكرت الآية أمثلة مفصلة ("عشرون يغلبوا مائتين"، "مائة يغلبوا ألفاً") بدلاً من الإيجاز بعبارة "الواحد يغلب عشرة"؟ (الشعراوي، 1997م، 4794/8) ويُجيب بأن التفصيل القرآني هنا ليس مجرد تكرار، بل هو مراعاة لواقع التشكيلات القتالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الشعراوي: (أما البعثات القتالية التي لم يخرج فيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يكتفي فيها بإرسال عدد من المؤمنين، فقد كانت تسمى سرايا، وهذه السرايا كانت لا تقل عن عشرين مقاتلاً ولا تزيد على مائة، فذكرها الله تعالى مرة بالعشرين ومرة بالمائة) (الشعراوي، 1997م، 4794/8) وهذا التحليل يمثل عمقاً في التفسير يربط بين الآية القرآنية والواقع التاريخي الجهادي، مُظهراً أن كل لفظة قرآنية لها سند واقعي أو تشريعي.

الأبعاد الأسلوبية:

يتجلى الأسلوب في الآية في ترتيب الحذف الواعي للعناصر، والتناغم الإيقاعي للألفاظ، والتعليل البلاغي الذي يفسر التفوق المادي بخلل معنوي في العدو.

1- الأسلوب في ترتيب الحذف ودلالته النفسية: يتمثل الأسلوب في اختيار القرآن الكريم أن يبدأ بذكر السبب الداخلي للنصر (الصبر)، ثم يختم بذكر سبب هزيمة العدو عدم الفقه، وهذا الترتيب الأسلوبية يحمل دلالة نفسية هادفة؛ حيث يوجه المؤمن إلى التركيز على قوته الداخلية أولاً (الصبر والثبات)، ثم ينظر إلى ضعف عدوه الخارجي (عدم الفقه)، وهذا يمنحه دفعة نفسية قوية. وإن الإبقاء على كلمة "صابرون" في الموضع الأول يحمل دلالة التوكيد الأولي على مفتاح النصر قبل الانتقال إلى التفصيل العددي. فالنصر في هذه الآية مشروط بنيوياً بـ "صِفَةِ الصبر"، وهذا الشرط هو الحارس على البنية الإلهية للوعد، وقد أجاب الشوكاني عن سؤال الواقع، قائلاً: (وَأُجِيبُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ وُجُودَ الْإِخْفَاقِ فِي الْخَارِجِ لَا يُخَالِفُ مَا فِي الْآيَةِ لِاحْتِمَالِ أَنْ لَا تَكُونَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُنْصِفَةً بِصِفَةِ الصبر) (الشوكاني، 1414هـ، 370/2). وهذا يرسخ أن الخلل ليس في الوعد، بل في تحقق الشرط. كما أشار الألوسي إلى أن النصر مقيد بـ (بإذن الله) (الألوسي، 1997م،

228/5) مما يربط النصر بالمشيئة الإلهية، رافعاً الأمر عن مجرد القوة البشرية. ويكمن المقصد النهائي للتشريع هنا في ربط النصر المطلق بقوله تعالى: "وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" هذه المعية الإلهية هي قانون إلهي ينص على أن من كان الله معه لا يُغلب، وهي مقترنة بالصبر كصفة عامة، مما يجعل النصر حتمياً لمن استوفى الشرط. هذا التفصيل يوضح أن التحدي ليس تعجيزياً، بل هو ممكن بسبب العون الإلهي.

2- النظم الصوتي والتناغم الإيقاعي: يركز ابن عاشور بشكل كبير على الجانب الأسلوبي، وهو ما يتجلى في تحليله الدقيق لاختيار الألفاظ وترتيب الجمل ومراعاة الجمال الصوتي والإيقاع وفواصل الآيات، حيث يقول: (أَمَّا اخْتِيَارُ لَفْظِ الْعِشْرِينَ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَرْتَبَةِ الْعِشْرَاتِ دُونَ لَفْظِ الْعِشْرَةِ؛ فَلَعَلَّ وَجْهَهُ أَنَّ لَفْظَ الْعِشْرِينَ أَسْعَدُ بِتَقَابُلِ السَّكَنَاتِ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ لِأَنَّ لِفَظَةِ مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ بِسَكَنَاتِ كَلِمَاتِ الْفَوَاصِلِ مِنَ السُّورَةِ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْمِائَةَ مَعَ الْأَلْفِ، لِأَنَّ بَعْدَهَا ذِكْرَ مُمَيَّزِ الْعَدَدِ بِالْأَلْفِ تَتَأَسَّبُ سَكَنَاتُ الْفَاصِلَةِ). (ابن عاشور، 1984م، 68/10) يركز ابن عاشور في هذا النص على جانب النظم القرآني والتناغم الصوتي والموسيقى الداخلية، وهو لا ينظر إلى الكلمات من ناحية معانيها فحسب، بل من ناحية إيقاعها وتأثيرها الصوتي على السمع، فيربط أسلوبياً بين اختيار كلمة "عشرين" وكلمة "مائة" بمسألة "تقابل السكّنات في أواخر الكلم"، وهي قضية صوتية تتعلق بجمال النطق، كما يرى أن كلمة "عشرين" تتناسب صوتياً مع كلمة "مائتين" في الجملة نفسها، وتتوافق مع فواصل الآيات في سورة الأنفال بشكل عام، وهذا التناغم الصوتي يضفي على الآية جمالاً إيقاعياً، مما يجعلها أكثر سلاسة في القراءة والحفظ. وتطبق هذه الفكرة على اختيار كلمة "مائة" في الجزء الثاني من الآية، ويوضح ابن عاشور أن هذه الكلمة تتناسق مع الكلمات التي تليها، مثل "ألفاً"، ومع كلمة "لا يفقهون" في نهاية الآية، وهذا الانسجام الصوتي دليل على أن القرآن الكريم قد أحكمت ألفاظه بحيث تتكامل من الناحيتين الدلالية والصوتية. فالاختيار اللفظي في القرآن يخدم غرضاً جمالياً إيقاعياً، فكل كلمة تُوضع في مكانها بدقة لكي تتناغم مع ما قبلها وما بعدها، وهذا يُعزز فكرة أن القرآن نص مُعجز، لا يمكن تبديل آية كلمة فيه دون الإخلال بجمال نظمه. كما يُعدّ هذا التناغم الصوتي جزءاً أساسياً من الأسلوب القرآني الفريد، فالقرآن يخاطب العقل بالمعنى، ويخاطب الوجدان بالنغم والإيقاع، وهذا ما يُميّزه عن أي نص آخر. وابن عاشور يُبين أن هذه الجمالية هي جزء لا يتجزأ من الإعجاز البلاغي للقرآن. وعندما يتناغم النص صوتياً، يصبح له تأثير أقوى على المتلقي، فالتناغم الصوتي يُسهّل الحفظ ويُعمّق الفهم، ويُشعر السامع بالراحة النفسية، وهذا يُساعد في إيصال الرسالة الإيمانية بفاعلية أكبر.

3- الذروة الأسلوبية في ربط النصر بالفقه: يمثل قوله تعالى: "بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" الذروة الأسلوبية التي تفسر الغلبة بعلّة معنوية، وذكر ابن عاشور أن استخدام اسم الموصول (الذين) في قوله تعالى "الَّذِينَ كَفَرُوا" أسلوب بلاغي دقيق يحمل دلالة تعليلية، فالأسماء الموصولة في اللغة العربية تستخدم لربط الجمل، ولكنها في القرآن تحمل أبعاداً دلالية أعمق، فاستخدام "الذين كفروا" بدلاً من مجرد (الكفار) يربط صفة (الكفر) بالصفة التي ستأتي لاحقاً في الآية، (لِلْإِيمَانِ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَبَرِ الْآتِي، وَهُوَ سَلْبُ الْفَقَاهَةِ عَنْهُمْ) (ابن عاشور، 1984م، 68/10) يعني ابن عاشور أن استخدام هذا الاسم الموصول يمهّد للسبب الذي سيذكر لاحقاً، وهذا الكفر هو السبب المباشر لسلب "الفقه" عنهم. فالعلاقة ليست مجرد وصف، بل هي علاقة سببية. واستخدام اسم الموصول في هذا الموضع له عدة دلالات مهمة: دلالة التعليل، فالاسم الموصول يعمل هنا كأداة تعليل ضمنية، فهو يربط الكفر بعدم الفقه، ويُعلّل النصر على هؤلاء القوم بهذا السبب. ودلالة الإحاطة والشمول، فاستخدام "الذين" يُفيد أن كل من ينتمي إلى هذه الصفة (الكفر) فهو يتصف بعدم الفقه في الأمور الخفية المتعلقة بالإيمان. ودلالة الملازمة، حيث يوحي هذا الأسلوب بأن هناك ملازمة بين الكفر وغياب الفقه الصحيح للأمر. فالذي لا يؤمن بالغيب، لا يمكن أن يفقه حقيقة الصراع الذي يتجاوز المادة والعدد. لذلك، فإن اختيار "الذين

كفروا" جزء من النظم القرآني الذي يُفسّر أسباب النصر والهزيمة في المعارك. ويرى الزمخشري أن عبارة "لا يُفْقَهُونَ" تعني الجهل بالهدف الأسمى من القتال، فالكفار يقاتلون كالبهائم (بسبب أنهم قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، فيقل ثباتهم) (الزمخشري، 1987م، 2/235) يقاتلون من أجل أسباب دنيوية كالعصبية القبلية، والكبرياء، ولذلك يفقدون للثبات الحقيقي، فالمؤمن يقاتل على بصيرة، أي يرى بقلبه ما لا يراه غيره، فيثق بنصر الله، وهذا اليقين يمنحه ثباتاً لا يُقهر. ويرى الزمخشري أن الكافرين يقاتلون بلا "احتساب" طلب ثواب، ولذلك فهم يستحقون خذلان الله وعقابه.

4- الأسلوب في توظيف المجاز اللغوي: يحمل الفعل "حَرَضَ" دلالة أسلوبية أعمق من مجرد الحث، فهو مُشتق من (الحَرْض)، وهو الإشراف على الهلاك بسبب المرض. وهذا المجاز اللغوي يرفع دلالة التحريض إلى المعافاة من الهلاك، بمعنى أن القتال والثبات هو عملية إزالة للضعف المعنوي والنجاة من الهلاك الوجودي، مما يجعله أسلوباً بلاغياً قوياً في شحن النفوس بالدافعية. وقد ربط الشيخ أحمد المراغي في تفسيره التوجيه القرآني بالتحليل الاجتماعي والوجودي، ليرفع معنى القتال من مجرد فريضة إلى ضرورة طبيعية وإصلاحية. لذلك لم يكتفِ بالتفسير الفقهي (خبر بمعنى الأمر) أو العقدي (الجهالة مقابل البصيرة)، بل أضاف بُعداً بنيوياً وفلسفياً يجعل الأمر بالقتال سُنَّةً طبيعية لازمة للحياة البشرية، ويُرسخ أن الأمر بالقتال ليس فقط لدفع ظلم، بل هو (من ضرورات الاجتماع البشري وسنة التنازع في الحياة والسيادة) (المراغي، 1946م، 30/10) وهذا الربط يُعدّ إضافة بنيوية، حيث يضع الحكم الشرعي (الجهاد) ضمن الإطار الكوني والاجتماعي، مُخرِجاً إياه من كونه مجرد تكليف خاص بالمسلمين إلى قانون وجودي لا مفر منه لتحقيق العدل والسيادة، ويستخدم المراغي أسلوباً يجمع بين الحث والتحذير من التراخي في خلاصة تحليله لمعنى التحريض (حثهم على ما يقيمهم أن يكونوا حرضاً أو يكونوا من الهالكين بعدوان الكافرين عليهم) (المراغي، 1942م، 30/10) وهذا التعبير يربط النصر الخارجي على العدو بالنجاة الداخلية من الهلكة والضعف، وهذا يمثل تحليلاً نفسياً للتحريض يجعله وقاية ذاتية قبل أن يكون حرباً.

ثالثاً: الاحتباك المتناظر.

هو الاحتباك الذي (يقع بين ألفاظ بينهما صفات مشتركة) (أسعد، 2006م، 63) يقع هذا الاحتباك بين لفظين يجمعهما حقل دلالي واحد، أو بينهما اتساق وانسجام في بعض الصفات، فالتشابه ليس كلياً في اللفظ والمعنى لكنه جزئي. والاحتباك المتناظر هو حذف لفظين منسجمين، فيدل اللفظ المذكور في كل جزء على اللفظ المحذوف من الجزء الآخر، ففي قوله تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" (النصر: 3) نجد في هذه الآية القرآنية انسجاماً بين ألفاظ الذكر والعبادة، فذكر في الجزء الأول من الآية لفظ (واستغفره) وحذف لفظ (غفارا)، وذكر في الجزء الثاني لفظ (توابا) وحذفت عبارة (ثب إليه)، والتقدير العام للاحتباك في هذه الآية: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ [إنه كان غفارا]، [وتب إليه] "إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا". فالاحتباك جزء أساسي من نظم الآية الذي يخدم هدفاً أكبر في السورة، فسورة النصر تأمر النبي بالاستغفار بعد إتمام رسالته، ونظم الآية يربط بين الذكر (التسبيح والحمد) والتواضع والتقشير (الاستغفار)، والاحتباك يبرز هذا التلازم بين الكمال والتقشير بشكل بياني عميق، فيؤكد أن أي انتصار إلهي يجب أن يتبعه استغفار؛ لأن الإنسان مهما بلغ من الطاعة لا يخلو من التقصير، وهذا النظم البديع يعكس التوازن بين الحمد لله على النعمة والاستغفار من الذنب ولرفع المكانة، وكلاهما يُتَوَجَّه بتوبة الله ورحمته.

الأبعاد البنيوية والدلالية:

يركز هذا العنوان على أن الاحتباك (الحذف المتقابل) يخدم بنية الآية ككل، حيث يربط بين الأوامر المذكورة التسبيح والاستغفار، والمعاني المحذوفة الأمر بالتوبة وتعليل الاستغفار في بناء واحد محكم.

1- الاحتباك عنصر بنيوي محوري: ينظر المنهج البنيوي إلى النص كبناء متكامل، تعمل أجزاؤه كوحدة واحدة. وفي سياق آية سورة النصر، يظهر الاحتباك كعنصر بنيوي أساسي يربط بين الأوامر المذكورة وبين المعاني المحذوفة، وهذا الترابط يُعد تجسيداً حياً لنظرية النظم، حيث يكمن إعجاز النص في العلاقات والروابط بين الألفاظ. فبنية الآية محكمة؛ إذ إن العلة "إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" لا تفسر فقط الأمر المذكور بالاستغفار، بل تمتد وظيفتها البنيوية لتعليل التوبة المحذوفة، مما يجعلها بمثابة محور يجمع كل أجزاء الآية في بناء واحد لا يمكن فصله، فالاحتباك بذكر الاستغفار، مع إيراد علة المغفرة (التواب)، يؤكد على أن هذا الحذف هو جزء من بناء لغوي دقيق، وأن الحذف لم يُخلَّ بالبنية، بل أكملها وأحكمها. كما أن استخدام "تَوَّابًا" بدلاً من "غفارًا" المحذوفة، هو اختيار بليغ يخدم البناء؛ فـ "التواب" تعني الذي يقبل توبة عباده مرارًا وتكرارًا، بينما "الغفار" تعني الذي يستر الذنوب، وهذا التركيز على "التوبة" يعطي دلالة أعمق، وهي أن الحق سبحانه وتعالى لا يكتفي بالمغفرة، بل يريد من عباده أن يعودوا إليه.

2- بنية الأوامر المركبة (التسبيح والتحميد والاستغفار): تعتمد بنية الآية على تركيب إنشائي ثلاثي الأركان يمثل اختصاراً للمنهج التعبدية بعد تمام النصر، وهي: التسبيح، والتحميد، والاستغفار. وقد أمرت بـ "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ"، (وهذا الدمج البنيوي يُنشئ وحدة تعبدية، فالجمع بينهما يعني أن التسبيح لا ينبغي أن يفصل عن التحميد) (العمادي، د.ت، 209/9). وهذا التكامل يمثل الاعتراف بكمال الله المطلق. وهذا البناء يضع قاعدة بنيوية للمؤمن فبعد الفتح والنصر لا يكون الاغترار بالقوة، بل يجب أن يتحول النصر إلى عبادة مزدوجة تجمع بين التنزيه والشكر. ويرى الشنقيطي أن هذا الاقتران البنيوي يؤكد أن النصر يستوجب التسبيح لعظم القدرة، كما يستوجب الحمد لشكر عظيم المنّة، حيث يقول: (نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ وَيَسْتَحِقُّ مَوْلِيَهَا الْحَمْدَ) (الشنقيطي، 1995م، 140/9)، وبالنظر إلى الاختيار البنيوي في ربط البنية باسم (الرب) يوضح الشنقيطي أن صفة (الرّبوبيّة) في قوله: "بِحَمْدِ رَبِّكَ" (لِيُشْعِرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَوْلَى لِلنِّعَمِ لَأَنَّ صِفَةَ الرُّبُوبِيَّةِ مُشْعِرَةٌ بِالْإِنْعَامِ) (الشنقيطي، 1995م، 141/9) وهذا التركيز على اسم (الرب) يرسخ أن الأمر بالعبادة نابع من علاقة الرعاية والمنّة التي أسسها الحق سبحانه وتعالى مع نبيه. وأوضح أبو حيان الأندلسي أن هذا الترتيب يمثل قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، (وَالْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ مَعَ التَّسْبِيحِ تَكْمِيلٌ لِلْأَمْرِ بِمَا هُوَ قَوَامٌ أَمْرُ الدِّينِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَلَيَكُونَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لُطْفًا لِأُمَّتِهِ، وَلِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ، فَهُوَ عِبَادَةٌ فِي نَفْسِهِ). (أبو حيان، 2000م، 564/10) وهذا التزاوج يشكل توازناً فريداً؛ فبعد أن ارتفع العبد إلى أوج إثبات كمال ربه، يُؤمر فوراً بهضم النفس والتواضع من خلال الاستغفار، وبذلك يكون الاستغفار عبادة في نفسه يمارسها حتى النبي المعصوم ليكون لُطْفًا وتعليماً للأمة.

3- بنية التعليل الختامي: لقد خُتمت الآية باسم الله التّوّاب، وهو تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة المحذوفة، وهذا البناء يربط الأمر (الاستغفار) بصفة الله (التواب)، ليضمن للمستغفر القبول، فإله عز وجل (مبالغاً في قبول توبتهم فليكن كُلُّ تَائِبٍ مُسْتَغْفِرٍ مُتَوَقِّعاً لِلْقَبُولِ) (العمادي، د.ت، 209/9)، وقد أشار الشوكاني إلى أن البنية الأساسية للآية بنية شرطية محذوفة: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" يليه "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ"، فالخلاف النحوي حول العامل في "إذا" هل هو "جاء" أم "سبح" يُوجه الانتباه إلى تلازم الحدث والعبادة، والإمام الشوكاني يرجح الرأي الذي يجعل العبادة لاحقة (إذ تقديره: فسبح بحمد ربك إذا جاء نصر الله) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5) وهذا التقدير البنيوي يثبت أن العبادة هي رد الفعل المنطقي والواجب بعد النعمة العظمى، مما يجعلها تتجاوز مجرد الأمر إلى كونها قانوناً إيمانياً. ويوضح الشوكاني أن ("بِحَمْدِ رَبِّكَ" في محل نصب على الحال أي متلبساً بحمده) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5) وهذه البنية النحوية تؤسس لوحدة لا تنقسم بين التنزيه والشكر؛ فالتسبيح يجب أن يكون مصحوباً بالحمد، فكأن التسبيح (نفي النقائص) لا يكتمل إلا بالحمد (إثبات

الكلمات). فالتفاعل بين المنهجين الأسلوبي والبنوي ليس منعزلاً عن دلالات السورة، فسورة النصر تُشير إلى اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم بعد إتمام رسالته، لذلك يربط نظم الآية بين نصر الله الذي يستوجب الحمد والتسبيح، والاستعداد للقاء الله الذي يتطلب التوبة والاستغفار، ويعبر الاحتباك الفني عن هذه الدلالة السامية، فيجعل الأوامر متلازمة في البنية والأسلوب، مما يوصل رسالة عميقة بأن النصر يتبعه تواضع، وصورة التواضع تكون بالتسبيح والحمد والاستغفار. قال السعدي (كان صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن، ويكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي) (السعدي، 2000م، 936).

الأبعاد الأسلوبية:

يعنى المنهج الأسلوبي بالكشف عن الخيارات اللغوية الدقيقة التي تُضفي على النص جمالاً وتأثيراً خاصاً. وقد برز الاحتباك كخيار أسلوبي وإعٍ لتحقيق إيجاز بليغ وتكثيف للمعنى.

1- الأسلوب الإشاري والتوديع: يرتقي أسلوب الآية من الأمر بالعبادة إلى أسلوب التلويع والترميز والإشارة الخفية لقرب انتهاء مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتتمثل الجمالية الأسلوبية الأعمق في هذه السورة، في كونها سورة التوديع والنعي، كما أشار إلى ذلك الحسن وقتادة والرازي. فالإخبار بالفتح العظيم (دخول الناس في دين الله أفواجا) يتبعه أمر الاختتام بالعبادة. وهذا الترتيب يولد مفارقة بلاغية؛ فبدلاً من أن يكون النصر بداية لمرحلة جديدة من العمل الدنيوي، جعل نهاية مرحلة ودعوة لختم العمر بصالح العمل. وأشار الشوكاني إلى أن السورة (إِغْلَامُ اللَّهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ فَأَمَرَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّوْبَةِ لِيُخْتِمَ لَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ) (الشوكاني، 1414هـ، 625/5) وهذا التحليل يؤكد أن الآية جمعت بين البناء الوجيز المُحكّم والعمق الأسلوبي الدال على تمام التشريع والنبوة.

2- أسلوب التكثيف الدلالي: ويُعد أسلوب التكثيف الدلالي في الأمر بالاستغفار من أعظم فنون الإيجاز القرآني، حيث يجعل الأمر الواحد صالحاً لأكثر من نية ومقصد تشريعي في آن واحد، مما يخدم النبي صلى الله عليه وسلم والأمة في لحظة واحدة. وقد أشار الشوكاني إلى ثلاثة أبعاد تحقق هذا التكثيف: الاستغفار كعبادة محضة تخص النبي صلى الله عليه وسلم، وتجعله في أعلى مراتب العبودية، فالاستغفار هنا (تَعَبُّدٌ تَعَبَّدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، لَا لِطَلَبِ الْمَغْفَرَةِ لِذَنْبٍ كَائِنْ مِنْهُمْ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، بل هو تعبير عن كمال العبودية المطلقة. والاستغفار كأمر وتنبيه للأمة، ويمثل هذا الأمر أسلوباً بلاغياً بديعاً في التوجيه بالقُدوة، فالرسالة الضمنية هي (تَنْبِيْهُهَا لِأَمَّتِهِ وَتَغْرِیْضًا بِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ هُمْ الْمَأْمُورُونَ بِالِاسْتِغْفَارِ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، والاستغفار كشفاة، وهنا يتحول الاستغفار إلى وظيفة قيادية ورحمة من النبي لأتباعه، فالأمر (لِأَمَّتِهِ لَا لِذَنْبٍ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، ليثبت عمق العناية النبوية بأمته في ختام حياته. كما يُعزز الشنقيطي هذا الأسلوب بـ الاستقراء النبوي، مُستدلاً بسياقات توبة الأنبياء ليثبت أن الاستغفار منهج نبوي، و(التَّوْبَةُ دَعْوَةُ الرُّسُلِ) (الشنقيطي، 1995م، 141/9) ومن خلال هذا السرد يفهم أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار يماثل طلب إبراهيم عليه السلام "وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة: 128) مما يؤكد أنه طلب لتثبيت المقام وزيادة الخير، (رَفَعَ لِرَجَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (الشنقيطي، 1995م، 142/9)

3- أسلوب التزكية: يُقدم الإمام القاسمي والمراغي تحليلاً فريداً يخرج بالاستغفار من معناه التقليدي لتكفير الذنوب الظاهرة، إلى معنى نفسي وروحي عميق. حيث يفسران الاستغفار في هذا السياق بأنه طلب المغفرة لما (كان من القلق والضجر والحزن، لتأخر زمن النصر والفتح) (القاسمي، 1418هـ، 560/9) وهذا يضع عوارض النفس البشرية في خانة ما يستوجب التوبة والمغفرة، فالهدف هو تكميل الثقة بوعده الله وتغليبها على خواطر النفس التي تثيرها الشدائد، وكذلك يرى المراغي أن الاستغفار هنا ليس لذنوب ظاهرة، بل هو طلب المغفرة لضعف الثقة الذي يظهر في خواطر النفس وقت الشدة

فالمراد بـ "وَأَسْتَغْفِرُ" (واسأله أن يغفر لك ولمن اتبعك من أصحابك ما كان منهم من القلق والضجر والحزن والأسى لتأخر النصر) (المراغي، 1946م، 259/30). ويُشير المراغي إلى أن التوبة من هذا القلق (إنما تكون بتكميل الثقة بوعده الله، وتغليبها على خواطر النفس التي تحدثها الشدائد، وإن كان ذلك مما يشق على نفوس البشر) (المراغي، 1946م، 259/30) وهذا يضع الأمر بالاستغفار كهدف تربوي لرفع النفس البشرية إلى أقصى درجات الثقة واليقين حتى في أصعب الظروف.

4- التعجب اللاشعوري: يحمل التسبيح المقترن بالحمد بعض المعاني التعبيرية العفوية مثل التعجب الشديد، والسرور العظيم بالنعمة، والدهشة الروحية من تيسير الله أمراً (لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ وَلَا بَالِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، وهذا الأسلوب يجعل التسبيح ليس مجرد قول، بل تعبيراً عن الشعور الطاغي بالعظمة الإلهية عند رؤية النعمة، فهو ترجمة فورية للفرح والدهشة بالقدرة القاهرة على الأعداء، (وَنُزُولِ الدِّلَّةِ بِهِمْ وَحُصُولِ الْقَهْرِ لَهُمْ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5). فالتسبيح هنا هو رد فعل لا شعوري يفيض من القلب عند رؤية عظيم صنع الله وتيسيره لما لم يكن ليخطر على بال. إنها العبادة التي تُعبّر عن الربط بين العاطفة والإيمان، وهذه النكتة اللطيفة توضح أن التسبيح (سُبْحَانَ اللَّهِ) في سياق النصر والفتح لا يؤدي وظيفته المعتادة تنزيه الله عن كل نقص، بل يحمل وظيفة إضافية هي التعبير عن الذهول الروحي والسرور العميق بالنعمة التي تفوق التصور البشري. فالجمالية هنا تكمن في تحرير العبادة من الرتابة، فالتسبيح يأتي كرد فعل لا شعوري بعد وقوع الحدث الجلل، "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" هذا الترتيب الزمني يحول التسبيح من فعل روتيني إلى رد فعل انفعالي تلقائي ومفاجئ يصدر عندما يرى القلب عظمة الصنع الإلهي. فدهشة النصر وفتح مكة كان بالنسبة للصحابه والنبي صلى الله عليه وسلم أمراً عظيماً ومدهشاً، لأنه جاء بعد إخراج، وعداوة، وسنوات من الكفاح. فعندما يرى الإنسان ما لم يكن يخطر بباله قد تحقق بتيسير إلهي مطلق، يكون أول ما يرتسم على لسانه هو "سُبْحَانَ اللَّهِ!". وهذا التسبيح لا يعني التنزيه، بل يعني: (يا لعظمة قدرتك يا الله!) وهذا الأسلوب يرسخ أن الإيمان ليس عقائد جافة، بل حالة وجدانية حية تتفاعل مع أحداث الكون والحياة، وهذا هو الجمال الروحي أن تجعل العبادة هي الترجمة الفورية لسرور القلب ودهشته أمام قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

رابعاً: الاحتباك المنفي المثبت.

يحدث هذا النوع من الاحتباك (بين ألفاظ العلاقة بينهما قائمة على النفي والإثبات) (أسعد، 2006م، 68) ويقع هذا النوع بين لفظين أو عبارتين، تجمعهما علاقة النفي والإثبات، وفي هذا الاحتباك يُحذف من الجزء الأول ما هو مثبت لدلالة النفي عليه في الجزء الثاني، ويُحذف من الجزء الثاني ما هو مثبت لدلالة النفي عليه في الجزء الأول. ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ." (الشورى: 18) يمثل الاحتباك في هذه الآية في حذف أجزاء من الجملتين المتقابلتين. فالحديث في هذه الآية عن حال طائفتين من قيام الساعة. فإذا نظرنا إلى الجزء الأول من الآية "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا" فقد حُذفت من الجزء الأول العبارة المنفية [لا يشفقون منها] لدلالة العبارة المثبتة عليها "مُشْفِقُونَ" في الجزء الثاني. كما حُذف من الجزء الثاني "وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا" العبارة المنفية [لا يستعجلونها] للدلالة عليها في الجزء الأول بالعبارة المثبتة "يَسْتَعْجِلُ". وعندما نقسم الآية لجزأين لمعرفة تقدير الاحتباك: نجد تقدير الجزء الأول: "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا" [ولا يشفقون منها]. وتقدير الجزء الثاني: "وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا" [ولا يستعجلون بها]. فالكافرون يستعجلون قيام الساعة سخرية وإنكاراً، وهذا الاستعجال يعني عدم إشفاقهم أو خوفهم من يوم الحساب، بينما المؤمنون لا يستعجلون قيام الساعة، بل هم خائفون ووجلون منها؛ لعلمهم بأهوالها وما فيها من حساب وجزاء. قال الألوسي: (فالإشفاق عناية مختلطة بخوف، فإذا عُدي بمن كما هنا فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدي بعلی فمعنى العناية أظهر، وعنايتهم بها لتوقع الثواب). (الألوسي، 1997م، 27/13).

الأبعاد البنوية والدلالية:

يركز هذا البعد على أن البنية الأساسية للآية تعتمد على تقابل الأفعال والسلوكيات بين الفريقين، وتعمل المحذوفات كروابط سببية لإقامة حجة منطقية متكاملة.

1- بنية التقابل والتوازي التركيبي: تقيم الآية توازناً بنوياً يجعل كل حكم في الشطر الأول يُقابل ضده في الشطر الثاني، مما يرسخ ثنائية معرفية حاسمة. حيث تُقابل الآية فعل "يَسْتَعْجِلُ" الذي ينبع من الاستخفاف والإنكار، مع وصف "مُشْفِقُونَ" الذي فسره البغوي بقوله: (أَيُّ خَائِفُونَ، مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ، أَنَّهَا آيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) (البغوي، 1420هـ، 4/142) الذي ينبع من التقدير واليقين. وهذا التضاد السلوكي يوضح تفاوت نظرة الفريقين للمستقبل؛ فبينما يستهزئ فريق بجدية الأمر، يتجهز الفريق الآخر له بمنتهى الحذر. وكذلك تقابل الآية بين الظنّ الباطل بأن الساعة غير آتية وبين اليقين والعلم بأنها الحق. وهذا البناء يؤسس لثنائية معرفية؛ فالكفر يستند إلى الجهل والتوهم، والإيمان يعتمد على اليقين والمعرفة. فالبنية هنا تخدم غرضاً عقدياً منطقياً، وهو إظهار فساد عقلية المكذب؛ فلو آمن بها ولو ظناً لما استعجلها، ولو استعجلها لم يكن خائفاً. ويُضيف المراغي تحليلاً بنوياً مُركّزاً على حالتين متلازمتين هما: الإشفاق من الساعة واليقين بأنها حق، وهذا البناء يؤسس لسلوك المؤمن على توازن فريد بين الخوف والرجاء، (حيث إن اليقين يؤدي إلى الاستعداد والعمل، بينما الخوف يُبقي المؤمن على حذر دائم). (المراغي، 1946م، 32/25)

2- الاحتباك والبنية العميقة والسطحية: يعمل الاحتباك كـ "جسر" يربط بين اللفظ المكتوب (البنية السطحية) والمعنى الكامل (البنية العميقة) ليحكم بناء النص ويجعله متماسكاً، فالبنية العميقة المُقدّرة: [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها لأنهم لا يخشونها، والذين آمنوا مشفقون منها ولذلك لا يستعجلون بها]. ويؤكد الألوسي الاحتباك بقوله: (الآية من الاحتباك، والأصل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها، والذين آمنوا مشفقون منها فلا يستعجلون بها وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) (الألوسي، 1997م، 27/13) وتكمن جمالية الاحتباك هنا في التأثير النفسي والفني؛ فالاحتباك أداة فنية لصنع توازن في الآية، حيث إن استعجال الكافرين يبدو أسوأ عندما يُقابل بإشفاق المؤمنين، وإشفاق المؤمنين يكتسب قيمته عندما يُقارن بطيش الكافرين. هذا التقابل السريع يزيد من وضوح الفارق بين البصيرة العمياء والبصيرة المستنيرة. ويرى البقاعي أن (اعتقاد الكافرين بأنها الباطل يقابل يقين المؤمنين بأنها الحق) (البقاعي، 1984م، 283/17) وهذا الربط البنيوي يعزز التماسك المنطقي للآية ويُبرز أن الأجزاء المذكورة والمحذوفة هي جزء من حجة واحدة.

3- بنية الحجة المنطقية والروابط السببية: بنية الآية ليست مجرد وصف، بل هي إقامة لحجة منطقية، حيث يربط النظم بين السبب (الإيمان/الكفر) والنتيجة (الإشفاق/الاستعجال)، فالاحتباك رابط معنوي محكم. ويوضح البقاعي أن كلمات القرآن مرتبة بطريقة منطقية تُحاكي علاقة السبب والنتيجة؛ فجهل الكافرين هو السبب الأول الذي أدى إلى استعجالهم ويأسهم من الحق، بينما إيمان المؤمنين هو السبب الذي أدى إلى إشفاقهم. وهذا الربط السببي المحكم هو جوهر نظرية النظم عند الجرجاني، لذا، ففهم هذه العلاقة بين السبب والنتيجة هو ما يجعلنا نرى أن الآية ليست مجرد وصف، بل هي حجة وبناء منطقي متكامل.

الأبعاد الأسلوبية:

يبرز المنهج الأسلوبي الخيارات اللغوية الدقيقة التي وظّفها القرآن لتحقيق أثر بلاغي معين، حيث يُعد الاحتباك خياراً أسلوبياً بليغاً لإحداث المقابلة والتكثيف.

1- الأسلوب البليغ للإيجاز والتبادل الدلالي: الاحتباك في هذه الآية خيار أسلوبية يخدم غرض الإيجاز المكثف، فهو

أكثر إعجازاً من الحذف المعروف. وقد أشار البقاعي إلى أن هذا الحذف هو تبادل دلالي: (ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، والإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً) (البقاعي، 1984م، 283/17) ويعتمد الاحتباك على الإيحاء، فهو يلزم المتلقي على استنتاج المعنى المحذوف، وهذا الإيحاء أبلغ من التصريح. فالاستعجال يقتضي عدم الخوف، والإشفاق يقتضي عدم الاستعجال، وهذا الربط الذهني يُعمّق الأثر البلاغي للآية ويُرسخ المعنى في الذهن. كما يعزز الاحتباك أسلوب المقابلة (التضاد) بشكل بديع، فإنه لا يكتفي بعرض المتناقضات، بل يدمجها في بنية واحدة، مما يجعل التناقض أكثر وضوحاً وأبلغ تأثيراً.

2- أسلوب التجريد والعمق النفسي: تتميز الآية بأسلوب مؤثر يستخدم البلاغة لتصوير الحالات النفسية والإدراكية بدقة متناهية. استخدمت الآية لفظ "مُشْفِقُونَ" لوصف حال المؤمنين، وهو أسلوب يفوق مجرد (الخوف). فالإشفاق أسلوبياً يحمل معنيين هما: الخوف من العقاب، والحذر الممتزج بالاهتمام والرعاية. ويفسر الشوكاني الإشفاق بأنه (خوف المحسن الذي يخشى أن لا يُقبل منه عمله، وليس خوف المسيء الذي يخشى العقاب، ويربطه بآية "وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ") (الشوكاني، 1414هـ، 609/4) فالأسلوب القرآني يصف حالة داخلية عميقة ويرفع من قيمة الخوف إلى قيمة إيمانية متقدمة. ويوظف سيد قطب أسلوب التصوير لوصف الحالة النفسية لكل فريق، فيصور الكافرين مستهترين لأنهم محجوبون، بينما يصف المؤمنين بأنهم (يشفقون ويخافون وينتظرونها بوجل وخشية) (قطب، 2003م، 3151/5)، وهذا يربط الفعل بمصدره القلبي والدوافع الخفية.

3- الأسلوب الرذعي وبنية الإدانة: بعد تفصيل حال الفريقين، تنتقل الآية إلى حكم عام وشامل على جميع المشككين والمجادلين، باستخدام أدوات التوكيد والزّدع، فالحكم يشمل كل من "يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ" ويجادلون فيها. وقد اهتم أبو السعود بتأصيل لفظ "يُمَارُونَ"، فربطه بـ "المِراية" (الاستخراج والمُشادة)، وشبه الجدال بأنه عملية عنيفة يسعى فيها كل طرف (لاستخراج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة) (العمادي، د.ت، 28/8)، وهذا التشبيه يعكس حدة الجدل الذي يقوم به الكافرون، ويُضفي بُعداً حركياً على مفهوم المخاصمة. كما أن جملة (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) مُؤكّدة بـ "إِنَّ" واللام المزحلقة، مما يرسخ الحكم ويُضفي عليه قوة اليقين المطلق. ويُعلّل الألوسي وصف الضلال بـ "البعيد"؛ لأن البعث أقرب الغائبات بالمحسوسات (كإحياء الأرض بعد موتها)، (فمن لم يهتد إليه فهو عن الاهتداء إلى ما وراءه أبعد وأبعد) (الألوسي، 1997م، 27/13) وهذا يربط الإيمان بالغيب بالمشاهدة الحسية ويجعل الشك في الساعة دليلاً على عمق الضلال.

4- أسلوب الاستدلال الكوني واليقظة القلبية: تُعد هذه الآية مرجعاً روحياً لتحديد ماهية اليقظة القلبية وسبيلها، حيث إن الإيمان بالآخرة ليس مجرد إيمان غيبي مُطلق، بل هو استدلال منطقي مُدرك بالتفكير في الآيات الكونية. ويطرح الشوكاني الدليل الروحي الأقوى: (وَلَوْ تَعَكَّرُوا لَعَلِمُوا أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ) (الشوكاني، 1414هـ، 609/4)، مما يحول الشك في الساعة إلى جهل بقدرة الخالق على الإعادة، وهذا يرسخ أن الشك هزيمة عقلية قبل أن تكون هزيمة إيمانية. وتكمن الجمالية الروحية للإشفاق في أنه يمثل الإيمان في أنقى صورته، لأن اليقين بأنها الحق هو ما يدفع المؤمن إلى العمل والاستعداد الدائم، وهذا الإحساس بالمسؤولية الوجودية هو النواة الروحية للعمل الصالح. إن الاحتباك المتناظر أداة إعجازية ربطت بين التقابل المعنوي (الاستعجال والإشفاق) والحجة المنطقية (اليقين مقابل التكذيب)، وجمعت بين الوصف العميق لحالة القلب الإيمانية (الإشفاق) والتحذير المطلق من الجدل العقيم.

خامساً: الاحتباك المشترك.

الاحتباك المشترك هو الذي يجمع كل أنواع الاحتباك السابقة (الضدي، والمتشابه، والمتناظر، والمنفي المثبت)، وأُطلق عليه (المشترك) لأنه يجمع كل أنواع الاحتباك تحت جناحيه، لذلك يكون تقابل الألفاظ فيه مختلفاً ومتنوعاً، حيث يجتمع

في الكلام متقابلان فيحذف من الأول ما يدل عليه نفيه في الثاني، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أو يحذف من الأول ما يدل عليه مثله في الثاني، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أو بين المتشابه والمتناظر، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ" (الأنعام: 36) يجتمع في هذه الآية الاحتباك المنفي المثبت والاحتباك الضدي، وتقدير الاحتباك في الآية: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ [الأحياء] الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى [الذين لا يسمعون] يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"

الأبعاد البنوية والدلالية:

يعمل المنهج البنوي على توضيح أهمية الاحتباك في إحكام بناء الآية وتماسكها، بوصفه أداة هندسية تربط بين البنية السطحية الظاهرية للنص وبنيته الذهنية العميقة الكاملة.

1- الاحتباك يربط بين البنيتين: يعمل الاحتباك في الآية كجسر يربط بين البنية العميقة والبنية السطحية، مما يحقق تماسكاً نصياً ودقة في النظم. فالبنية السطحية هي الكلمات الظاهرة "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" أما البنية العميقة، فهي المعنى الكامل في الذهن "إنما يستجيب [الأحياء] الذين يسمعون، والموتى [لا يستجيبون الآن، ولكن] سيبعثهم الله فيستجيبون". ويوضح البقاعي كيفية تبادل الألفاظ المذكورة للدلالة على الألفاظ المحذوفة، حين قال: "فالآية من الاحتباك، حذف من الأول الحياة لدلالة "الموتى" عليها، ومن الثاني السماع لدلالة "يسمعون" عليه (البقاعي، 1984م، 103/7) إن نظم الآية يُحقق غايته البنوية ببراعة، فيُغني عن التصريح الكامل، ويوصل المعنى بشكل أكثر فاعلية. وينشئ الاحتباك روابط معنوية بين الأجزاء؛ فكلمة "يَسْمَعُونَ" في الشطر الأول هي الرابط الذي يُشير إلى أن المحذوف في الشطر الثاني هو عدم السماع (مجازاً)، وكلمة "وَالْمَوْتَى" هي الرابط الذي يُشير إلى أن المحذوف في الشطر الأول هو "أحياء"، وهذا التلازم بين البنيتين يُظهر أن الاحتباك أداة هندسية لغوية تُحقق أقصى درجات الإيجاز مع الحفاظ على التماسك الكامل.

2- بنية الحصر والقصر والتأسيس: لقد بُنيت هذه الآية على قوام منطقي مُحكم يهدف إلى تصنيف البشر حسب استجاباتهم للحق، ويعتمد هذا القوام الثابت على بنية الحصر والتشبيهه البليغ والإيجاز اللفظي. حيث تبدأ الآية بأسلوب الحصر والقصر باستخدام أداة "إنما" وهذا البناء يخدم غرضاً بنوياً دقيقاً، وهو قصر الاستجابة على السامعين، "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ"، كما يلغي وهذا الحصر إمكانية الاستجابة والانتفاع بالذكر والدعوة من أي فئة أخرى. ويتمثل التأسيس للسمع الفقهي في أن المقصود هنا ليس السماع بالأذان، بل السماع الذي يُتبعه فقه وتطبيق، وقد أكد البغوي هذا التفسير بقوله: "(يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَنْتَعِمُونَ بِهِ دُونَ مَنْ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ) (البغوي، 1420هـ، 122/2) وهذا يرفع من قيمة الفاعلية العقلية للمؤمن في بنية الخطاب القرآني.

3- بنية الاستعارة ونظم الحجة: تعتمد الآية على بنية إنشائية دقيقة لتحديد مصدر الفشل الإدراكي، مع تفعيل بنية تشبيهية بليغة. فلفظ "وَالْمَوْتَى" هو تشبيه حذف بليغ (استعارة تصريحية تبعية) للذين لا يسمعون (الكفار)، حيث يشبه جهلهم بموتهم. فمن لا يسمع سماع الانتفاع، هو في حكم الميت. ويرى أبو السعود أن هذا الجزء (تمثيلاً لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور) (العماوي، د.ت، 130/3) وهذا التفسير يحلل البنية على أنها تشبيه مركب للقدرة الإلهية، فكما أن البعث من الموت الحقيقي يختص بالله، كذلك إخراج الكافر من موت الجهل يختص به سبحانه. ويقابل حال الكفار في الدنيا موتى القلوب بـ "وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" في الآخرة، وهذا الترتيب البنوي يربط بين الموت المجازي والموت الحقيقي؛ فمن لا ينتفع بحياته (الموت القلبي) سيواجه حتماً مصير البعث للحساب، وهذا هو العمود الفقري للتوبيخ والزجر. وقد أكد القاسمي أن الآية ليست مجرد تشبيه، بل هي حكم

قاطع (يُخرج إيمان هؤلاء الكفار من دائرة التوقع البشري، ليرفع العبء النفسي عن الداعية) (القاسمي، 1418هـ، 349/4).

الأبعاد الأسلوبية:

تتمحور الأبعاد الأسلوبية للآية حول الاحتباك كخيار معجز لتحقيق التكثيف والإيجاز بأقصى درجات الاقتصاد اللغوي، والتركيز على دلالات الألفاظ والتشبيه البليغ.

1- الاحتباك أداة أسلوبية للتكثيف والإيجاز: يُعدّ الاحتباك في الآية خياراً أسلوبياً بليغاً يحقق أعلى درجات الاقتصاد اللغوي (الإيجاز) مع الحفاظ على المقابلة المتبادلة بين طرفي الجملة، وقد اختار القرآن الكريم أسلوب الإيجاز المُكثَّف، الذي هو جوهر الاحتباك، بدلاً من القول الكامل: "إنما يستجيب [الأحياء] الذين يسمعون، والموتى [لا يستجيبون ولكن] يبعثهم الله". كما اعتمد القرآن على أسلوب الإيحاء، فالإيجاز الاحتبائي يحفز ذهن المتلقي على استنتاج العلاقة، ويُشعره بعمق المعنى المُتضمن. فالنص لم يقل "إنهم لا يسمعون" ولكنه أشار إلى حقيقة أنهم "أموات"، وهذا الإيحاء أبلغ وأقوى.

2- جمالية التجريد الأسلوبية: يركز الأسلوب القرآني على تشبيه الكفار بـ "الموتى" كأداة استعارية بليغة ترسخ الموت القلبي وتُجرد الكافر من صفة الحياة ذات القيمة. فلفظ "وَالْمُوتَى" هو استعارة للكفار، (بِجَمَاعِ أَنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَفْهَمُونَ الصَّوَابَ وَلَا يَعْقِلُونَ الْحَقَّ) (الشوكاني، 1414هـ، 128/2) وهذا التعبير الأسلوبية إلغاء لصفة الحياة الحقيقية عن الكافر؛ فحياته الجسدية لا قيمة لها ما لم تُترجم إلى حياة إدراكية وعقلانية. وقد أكد البقاعي أن هؤلاء قد (ساووا الموتى في عدم قابلية السماع للختم على مشاعرهم) (البقاعي، 1984م، 101/7) مما يؤكد أن "الموت" ليس حقيقة، بل هو موت معنوي. ويرى القاسمي أن في تسميتهم "موتى" (تهكمًا بهم وإزرًا عليهم) (القاسمي، 1418هـ، 349/4)، وهو تعليق بلاغي يبرز قوة اللفظ القرآني في الذم والتجريد من صفة الحياة الموصولة بالوحي.

3- الفروق الأسلوبية بين (يستجيب وأجاب): يتجلى التفريق الأسلوبية في اختيار الفعل (يَسْتَجِيبُ) ليدل على الطاعة المقرونة بالتنفيذ والتحقيق الفعلي، مقابل (الإجابة) التي تعني الرد الشكلي. ويشير الشعراوي إلى دلالة زيادة المبنى وزيادة المعنى عندما يوضح أن الفرق بين الإجابة والاستجابة هو أن الأخيرة (بزيادة السين والتاء) تقيد الطلب والقبول والتنفيذ، فهي: (أن يجيبك من طلبت منه إلى ما طلبت ويحققه لك، أما الإجابة فهي مجرد الرد وقد يكون بالرفض)، (الشعراوي، 1997م، 3603) فالمطلوب من المؤمن اتحاد حسن الاستماع مع انفعال الحب لتنفيذ ما سُمع. ويؤكد أبو حيان مستشهداً برأي الرُّماني بأن صيغة "استجاب" تقيد قبولاً لما دُعي إليه، أي أن الاستجابة تحمل معنى الإيجابية والموافقة والتحقيق، بينما الفعل "أجاب" (لا يحمل بالضرورة هذا القبول، إذ قد يُجيب الشخص بالمخالفة أو الرفض) (أبو حيان، 2000م، 498/4) وهذا يرسخ أن الاستجابة الحقيقية مُقتصرة على من يمتلكون الاستعداد الفطري، وقد لُخص هذا القبول الكلي بكلمة "يَسْمَعُونَ". وتفرّد المراغي بالإشارة إلى أن القرآن الكريم (استعمل أفعال الإجابة في المواضع التي تدل على حصول المسئول دفعة واحدة، واستعمل أفعال الاستجابة في المواضع المفيدة لحصول المسئول بالتهيؤ والاستعداد) (المراغي، 1946م، 110/7)، وهذا يُعدّ دليلاً على دقة النظم القرآني في اختيار الألفاظ للدلالة على الزمن وحركية الفعل. وذكر أبو حيان نقلاً عن ابن عطية أن هذا الخطاب يأتي في سياق التسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم، فالفكرة الأساسية هي: (لا تُخَفّل بمن أعرض، فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لِذَاعِي الْإِيمَانِ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْآيَاتِ وَيَتَلَقَّوْنَ الْبَرَاهِينَ بِالْقَبُولِ) (أبو حيان، 2000م، 498/4) فالاستجابة الحقيقية مُقتصرة على من يمتلكون الاستعداد الفطري، وقد لُخص هذا القبول الكلي بكلمة "يَسْمَعُونَ"، كون السماع هو الطريق الأولي لمعرفة النبوة والمعجزات.

خاتمة البحث:

لقد تجاوز البحث المفهوم التقليدي للاحتباك كحذف بلاغي بسيط، ليظهره كآلية لغوية دقيقة بديعة تخدم أغراضاً بنيوية، وأسلوبية، ودلالية. وتبين من خلال التحليل التطبيقي للآيات الخمس المختارة أن الاحتباك خيار بلاغي مقصود يهدف إلى: إحكام البناء النصي للآية، وخلق ترابط عضوي بين أجزائها، بحيث يكون المحذوف حاضراً في ذهن المتلقي، مما يُعزز من تماسك النص. وتحقيق أقصى درجات التركيز والتكثيف اللفظي، مع الحفاظ على وضوح المعنى، مما يُولد أثراً جمالياً ونفسياً فريداً. وإضافة طبقات من المعنى غير المباشر والإيحاءات، وفتح آفاق للتأويل، حيث يُصبح المعنى الكامن في الحذف لا يقل أهمية عن المعنى المصرح به.

إن هذا التفاعل بين الأبعاد الثلاثة يؤكد أن الاحتباك جزء من هندسة لغوية بديعة، تتفق مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، التي ترى أن إعجاز القرآن يكمن في نظمه وتأليفه، لا في كلماته المفردة. ويبرهن هذا البحث على أن المناهج اللغوية الحديثة يمكن أن تكون أدوات فعالة لاستكشاف أسرار القرآن وإعجازه، مما يفتح الباب أمام المزيد من الدراسات المستقبلية التي تتناول ظواهر بلاغية أخرى من منظور مشابه.

التوصيات:

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يُوصى بما يلي:

- تناول ظاهرة الاحتباك في نصوص عربية أخرى غير القرآن الكريم، مثل الشعر الجاهلي والحديث، لمقارنة طرق توظيفها وأغراضها البلاغية.
- استخدام المنهج الأسلوبى والبنيوي والدلالي في تحليل ظواهر بلاغية أخرى في القرآن، مثل الالتفات، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، وغيرها.

ثبت المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- 3- ابن هانئ، الشيخ الإمام سري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هانئ اللخمي الأندلسي، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق ودراسة أحمد بن محمد بن أحمد بن محبوب زيان القرشي، رسالة دكتوراه، العام 1414هـ - 1994م.
- 4- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- 5- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- 6- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- 7- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان، الطبعة: الأولى، (١٣٨٩-١٤٠٤ هـ) (١٩٦٩-١٩٨٤ م).
- 8- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، كتاب: المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
- 9- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- 10- الرّعيني، شمس الدين أبو عبد الله جابر محمد بن جابر الأندلسي الهوّاري، الخُلَّة السَّيراء في مدح خير الورى، تحقيق على أبو زيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية: 1405 هـ - 1985 م.
- 11- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ثم صوّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 12- الزّمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورّبه: مصطفى حسين أحمدن الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- 13- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- 14- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- 15- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- 16- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق وضبط: عبد الحميد ضحا، عُقُودُ الجُمَانِ في عِلْمِ المَعَانِي وَالْبَيَانِ، الناشر: دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- 17- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن السيد الشريق الجرجاني، التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر - القاهرة.
- 18- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- 19- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- 20- العمادي، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- 21- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- 22- قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق القاهرة - بيروت، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، 1423 هـ - 2003 م.
- 23- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

عنوان البحث

الحكاية الشعبية والأسطورة والمثل الشعبي بالريف المغربي: مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية

محمد أدراوي¹

¹ مختبر التراث الثقافي والتنمية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.

تحت إشراف فاطمة الزهراء مازاري

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/30>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/30>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الموروث الشفهي المغربي وخاصة الحكاية الشعبية، والأسطورة، والمثل الشعبي بوصفه نظاماً رمزياً معقداً يعكس البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الريفي المغربي، ويعبر عن آليات الوعي الجمعي في إنتاج المعنى وضبط السلوك وإعادة إنتاج القيم والتراثية الاجتماعية. اعتمد البحث مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية تستند إلى تحليل الرموز، والعلاقات بين النوع الاجتماعي والسلطة والخيال الجمعي، انطلاقاً من أمثلة ريفية مغربية مثل **حمو الحلاقي** و**عيشة قنديشة** و**كول العام زين**.

أظهرت النتائج أن الحكاية الشعبية في الريف ليست مجرد ترفٍ حكاوي، بل فضاء رمزي للتفاوض الاجتماعي ومقاومة الهيمنة، حيث تقوم بوظائف مزدوجة: حفظ الذاكرة الجماعية من جهة، وممارسة النقد الاجتماعي غير المباشر من جهة أخرى. أما الأسطورة المغربية فتتمثل نظاماً رمزياً لإدارة المخاوف الجماعية وتنظيم العلاقة بين المقدس والدنيوي، وتبرز بوضوح التوتر بين السلطة الأبوية والأنوثة المتمردة. في حين تعكس الأمثال الشعبية منظومة من الحكم الاجتماعية التي توطد السلوك وتعيد إنتاج قيم الجماعة عبر صياغة لغوية مكثفة.

كما بيّن البحث أن **المرأة الريفية** تلعب دوراً محورياً في نقل الموروث الشفهي والحفاظ عليه، باعتبارها الراوية الأساسية والذاكرة الجمعية للمجتمع، وأن الموروث الشفهي الريفي يتضمن أبعاداً **نوعية وثقافية** تكشف عن **ambivalence** تجاه الأنوثة بين الحكمة والخطر، وتعزز في الوقت نفسه رمزية السلطة الذكورية. ومن خلال تتبع الأعراف المحلية المرتبطة بالحكي وطقوسه، مثل الحكي الليلي وممارسة "العنصرة"، خلصت الدراسة إلى أن التراث الشفهي الريفي يشكل منظومة ديناميكية تجمع بين المحلي والكوني، بين الوظيفة الاجتماعية والرمزية، وتتيح فهماً معمقاً لآليات تشكل الهوية الجماعية في الريف المغربي.

الكلمات المفتاحية: الحكاية الشعبية، الأسطورة، الأمثال الشعبية، الرموز الثقافية، الريف المغربي.

RESEARCH TITLE

Folk Tale, Myth, and Proverb in Moroccan Rural Society: A Socio-Anthropological Approach

Abstract

This study aims to analyze the Moroccan oral heritage—particularly folktales, myths, and proverbs—as a complex symbolic system reflecting the social and cultural structure of rural Moroccan society. It explores how these oral narratives express collective consciousness and reveal mechanisms of meaning production, social control, and the reproduction of values and hierarchies. Adopting a **socio-anthropological approach**, the study examines the interrelations between symbols, gender, power, and collective imagination, drawing on Moroccan rural examples such as **Hamou El Halaïgui**, **Aïcha Qandisha**, and **Koul El Aam Zine**.

The findings indicate that the Moroccan folktale is not merely a form of entertainment but a **symbolic arena for social negotiation and resistance to domination**, serving dual functions: preserving cultural memory and practicing indirect social critique. Myths, on the other hand, function as symbolic systems for managing collective fears and organizing the relationship between the sacred and the secular, highlighting tensions between patriarchal authority and rebellious femininity. Moroccan proverbs encapsulate communal wisdom and serve as social instruments for reinforcing moral values and behavioral norms through concise linguistic expressions.

The study also reveals the **central role of rural women** as primary storytellers and custodians of oral memory, emphasizing that Moroccan oral tradition embodies **gendered and cultural dimensions** that reflect ambivalence toward femininity—oscillating between wisdom and danger—while simultaneously reinforcing symbolic male authority. Through the exploration of local storytelling customs and rituals such as **nighttime narration** and **the fire festival (L'Anşra)**, the research concludes that rural oral heritage constitutes a **dynamic system** that bridges the local and the universal, combining social and symbolic functions to offer a deep understanding of the formation of collective identity in Moroccan rural life.

Key Words: Folk tale, myth, proverbs, cultural symbols, Moroccan countryside.

1. مقدمة تحليلية

لا يمكن فهم المجتمع المغربي دون استحضار النصوص الشفوية التي تنتجها الجماعة وتعيد إنتاجها عبر الزمن. فالحكاية والأسطورة والمثل ليست مجرد أدوات للتسلية، بل وسائل لإعادة التفاوض حول السلطة، القيم، والهوية. عندما تُروى قصة حمو الحلاقي، لا يتعلق الأمر فقط بالدهاء أو السخرية؛ بل يعكس السرد صراع الفرد مع السلطة الاجتماعية، ويقدم رؤية ضمنية لكيفية إدارة الفقر والمحدودية الاجتماعية. هذه النصوص تشكل بذلك "فضاءات رمزية" تسمح للجماعة بالتعبير عن نفسها بطريقة لا يمكن للواقع الاجتماعي الرسمي أن يسمح بها.

2. التحليل السوسيو-أنثروبولوجي للحكاية الشعبية

الحكاية الشعبية المغربية تمثل آلية مزدوجة: فهي تحفظ الذاكرة الثقافية وتعمل كـ"أداة نقد اجتماعي" ضمن حدود الرموز المقبولة. فمثلاً، شخصية حمو الحلاقي ليست مجرد بطل ذكي، بل رمز للمقاومة الرمزية، حيث يكشف عن ثغرات السلطة الاجتماعية عبر الذكاء والفكاهة. تحليل هذه الحكاية يظهر أن الجماعة الشعبية تستخدم السرد لموازنة العلاقات الاجتماعية غير المتكافئة، ولإيجاد مساحة رمزية للرفض أو التهكم على القواعد المفروضة.

يمكن تفسير ذلك بأن الحكاية تعمل كمرآة للوعي الجمعي المغربي، حيث تتجسد القيم مثل العدالة، الشجاعة، والدهاء في الشخصيات الرمزية، ويتم التعبير عن المخاوف الجماعية والمطامح الفردية عبر السرد الرمزي.

3. الأسطورة: التوتر بين الخيال والواقع الاجتماعي

الأسطورة المغربية، كما في حالة عيشة قنديشة، تكشف عن صراعات رمزية متعلقة بالنوع الاجتماعي والسلطة الأبوية. فالأسطورة لا تقدم مجرد حكاية خارقة، بل تعكس صراع المجتمع مع الخروج عن القواعد، والتوتر بين ما هو اجتماعياً مقبول وما هو مرفوض.

تحليل الأسطورة يظهر كيف يتم تحويل المخاطر الاجتماعية إلى رموز خرافية: المرأة الخارجة عن المألوف تصبح كائنًا مهيمنًا، والرجال يمثلون السلطة المنظمة. هذا التحليل يوضح أن الأسطورة تعمل كـ"نظام تنبيه رمزي"، يحافظ على القيم المهيمنة ويعيد إنتاج الهيمنة الرمزية على السلوك الاجتماعي، خاصة فيما يتعلق بالأنوثة والجنس.

4. المثل الشعبي: تقطير الحكمة الجماعية

الأمثال الشعبية المغربية لا تنقل الخبرة فقط، بل تشكل آلية تحليل اجتماعي ضمنية. مثل قول العام زين يعكس فلسفة القبول بالقدر، ويكشف عن سلوك ثقافي في مواجهة الحوادث اليومية. أما مثل اللي دارها بيده يفكها بسنانه فهو تعليم ضمني حول المسؤولية الفردية.

التحليل السوسيو-أنثروبولوجي يظهر أن الأمثال تعمل كـ"شبكة رمزية" تربط الفرد بالمجتمع، وتعيد إنتاج القيم الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، كما أنها تكشف عن الوعي الجمعي المغربي في التعامل مع التحديات الاقتصادية والاجتماعية والنوع الاجتماعي.

5. البعد الرمزي والنوعي في الموروث الشفهي

التحليل العميق يظهر أن النصوص الشفوية المغربية تصوغ صوراً نمطية معقدة عن الجنسين:

- المرأة غالباً بين قطبي الحكمة والخطر، ما يعكس ambivalence ثقافية مرتبطة بالأنوثة والسلطة الأبوية.
 - الرجل يمثل الفاعل الاجتماعي المهيمن، ويظهر في النصوص كحامل للقيم والسلطة.
- هذا التحليل يؤكد أن الموروث الشفهي ليس محايداً جنسياً، بل يعيد إنتاج التراتبية والهيمنة الرمزية عبر الرموز الثقافية.

6. الوظائف الاجتماعية والثقافية

من خلال التحليل، يمكن ملاحظة أن الموروث الشفهي المغربي:

- يحفظ الذاكرة الثقافية، عبر نقل تجارب المجتمع وقيمه.
- يضبط السلوك الاجتماعي، من خلال العقاب الرمزي والمكافأة في السرد والأسطورة.
- ينتج ويعيد إنتاج الهويات، بما في ذلك الهوية النوعية والهوية الثقافية.
- يعكس التوترات الاجتماعية، بين السلطة والمقاومة، بين المخاطر والخيال، بين الذكر والأنثى.

المحور الثاني: سياق تشكل الحكاية الشعبية في مجتمع البحث

تمهيد

سنسلط الضوء على موضوع يقع في قلب المشهد الثقافي في منطقة البحث وهو الحكاية الشعبية، والحديث عن هذه النيمة يقودنا مباشرة للتغلغل والحفر في ذاكرة ووجدان الإنسان بمنطقة البحث والريف عموماً، طبعاً هذه الذاكرة قديمة قدم الذات واستطاعت أن تمتد في الزمن وهذا دليل على أن الحكاية الشعبية لعبت أدوراً في الحفاظ على تماسك هذه المجتمعات وليس كما يعتقد البعض أنها تدخل في نطاق الفلكلور الشعبي الذي يعرض للاستهلاك الداخلي والخارجي. وبطبيعة الحال الإنسان الريفي بمجتمع البحث اشتهر بقيم إيجابية عديدة لا تعد ولا تحصى، فرضتها عليه طبيعة المنطقة وتاريخها والظروف الحياتية والجغرافية والحضارية إذ أن منطقة البحث تنتمي إلى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط التي احتضنت أعرق الحضارات وعرفت تلاحق ثقافات كما اسلفت، وفي الغالب الإنسان المنتمي إلى هذه المناطق الجبلية ميال بطبيعته إلى الحرية وتحكمه ثقافة الأرض التي يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً وفي اعتقادنا هذا المعطى على الأقل ساهم في خلق تصورات حوله في مجملها إيجابية، من قبيل الإنسان في المنطقة "يموت على ولادوا ولا على بلادو" أي أنه متمسك بكرامته ومحب للحياة كلما استطاع إليها سبيلاً.

في هذا المحور سنحاول النباش في الكثير من مقومات التي تشكل إحدى الدعامات وتدخل في عمق وتركيب الحكاية الشعبية بـ "كرت" والريف عموماً والتي لازالت صالحة لكل الأزمان بل وينشأ عليها الخلف نسوق أبرزها -على سبيل التمثيل لا الحصر- موقفهم من الأبطال التاريخيين الذين كتبوا تاريخ المنطقة بمداد من ذهب، فهذا البطل هو بالنهاية إنسان عادي واقعي، لكن الاجيال المتعاقبة يصبغون عليهم كل الصفات الممكنة والغير الممكنة وكل الصفات الخارقة والايجابية وطبعاً يصفون عليهم صبغة القداسة لدرجة التأليه، بذلك يدخل في باب التصور الخرافي والأسطوري، فالحكايات الشعبية بالمنطقة في الكثير من الأحيان دائماً ما ترهن مستقبلها بعودة هؤلاء الأبطال، لذلك فهم لا يتقبلون فكرة اللا عودة لهؤلاء ولعل ذلك هو ما يفسر استمرار تساؤل اهل منطقة "كرت" والريف عموماً حول عدم عودة عبد الكريم الخطابي - وطرح هذا السؤال في كل مرة والتشبيث به- إلى الريف، طبعاً هي تصورات مرتبطة بموضوع محورنا والتي تغطي عليها الرغبة والخيال والوهم بل وحتى الخرافة في كثير من الأحيان.

أ- الأسطورة، الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية ب "كارت"

الفروق بين هذه الأنواع متقاطعة ومتباينة في الآن نفسه لذلك ينبغي التدقيق في هذه المفاهيم لاستجلاء الغموض الذي يكتنفها:

✓ الأسطورة

على الرغم من تقاطعها مع الحكاية والخرافة، مع ذلك هناك اختلاف أولا في الوظيفة وفي البنية.

الأسطورة هي نمط من التفكير الجنيني أو الطفولي التأملي في الكون وفي خلق الإنسان، فالعقل البشري في بداياته الأولى لم يكن قادرا على تقديم إجابات علمية حول مجموعة من الظواهر التي اصطدم بها، وهنا نسوق بعض الأساطير التي اشتغل عليها الأنثروبولوجي الفرنسي "كلود ليفي ستراوس" في بعض الجماعة الهندية الذين كانوا يرجعون أصل ظواهر طبيعية من قبيل "الريح" و "المطر" إلى إبداع أبطال ينتمون إلى تلك المجموعات، لذلك فالمجتمع هو من يضفي طابع القدسية ويؤله أبطال المجتمع ويجعل منهم أساطير، لذلك أمكننا القول أن الأسطورة صناعة إنسانية. وهناك من الدارسين الأنثروبولوجيين من اعتبروا الأسطورة مجرد قصة ولكنها حقيقة حية، وذلك لأدوارها الوظيفية الجلية وتأثيرها في العالم وفي مصير الناس، لذلك استطاعت أن تعمر وتمتد وتعيش في طقوسهم وشعائهم وأخلاقياتهم، لذلك عندما انبرى "افانز بريتشارد" في دراسته لـ "قبائل النوير"، فإنه لم يهتم أن كانت هذه الأسطورة صحيحة أم خاطئة بقدر ما اهتم بما تقدمه للناس من خدمات ووظائف. هكذا نشأت وتشكلت الأسطورة بدافع الحاجة وفهم الكون وظواهره، أمام جنينية العقل، لذلك هذا الفهم تميز بشموليته وبطبيعته الما وراء الطبيعية التي تفسر الطبيعي بما هو طبيعي ومادي وملموس.

✓ الحكاية الخرافية

إذا ما حاولنا التحدث عن نشأتها وتشكلها، فهي رغم تقاطعها مع الأسطورة إلا أن هناك خيط رقيق يفصل بينهما، فإذا كانت الأسطورة محاولة فهم وتقديم إجابات حول ظاهرة اجتماعية أو طبيعية في المراحل الأولى البدائية للإنسان، فإن الحكاية الخرافية قد نجدها تفرض وجودها في المجتمعات الحالية، وهي ببساطة تبرز نتيجة فقدان التوازن بين الرغبات الذاتية والطموح المتزايد والقدرة العقلية المحدودة، فالإنسان دائما تواق لتحقيق أحلام ورغبات، وعندما يفشل في ترجمتها على أرض الواقع يطلق العنان للخيال والعواطف ويجيش كل أفكاره لبناء عوالم خرافية وسحرية، لذلك فهو عادة ما يخلق أشخاص وهميين وأشباح وجن يعطيها مكانة مرموقة وتحل مركز الصدارة في حكاياته الخرافية.

ويذهب التطوريين إلى القول بأن الحكاية الخرافية هي مرحلة أكثر تطورا من الأسطورة، لأنها من وجهة نظرهم استطاعت على الأقل التخلص من الأسطوري إلى التفكير الخرافي.

فهذا الجنس استطاع تجاوز الرؤية التأملية الأسطورية وانكب على التفكير ولو خرافيا على الظواهر المجتمعية التي تتمتع بقواعد وقوانين وعادات يفترض الحفاظ عليها وتمددتها في الزمن. ومن الرواد والعلامات البارزة الذين اشتغلوا على هذا الجنس واشتغلوا على مرفولوجية الحكاية الشعبية الروسية، هو "بروب V. propp".

إن خلاصة القول يمكن أن نفهم مما تقدم أن الأجناس الثلاث الأسطورة والحكاية الخرافية والشعبية، هي أجناس تعبر عن نوعية التفكير الذي خضع لمنطق تطوري ابتداء بتأمل وتفسير الطبيعي لينتقل لاحقا للتفكير في الظاهرة الاجتماعية رغم افتقار العقل البشري في هذه المرحلة لأليات التحليل.

بعد هذا التحديد للمفاهيمي سنحاول الحفر في أعراف الحكاية الشعبية بمجتمعنا الدراسي "كارت" بالريف.

ب-الأعراف المحلية ب "كرت"

✓ العرف الأول

جرت العادة في مجتمعنا الدراسي أن تروي الجدات الحكاية الشعبية، باحترام تام لمقدمة الحكاية التي دائما وأبدا تتشكل من لازمة تتكرر في كل حكاية سواء درامية أو هزلية أو حتى تلك المرتبطة بفك لغز ما، هذه الحقيقة في حياة الريفيين أكد عليها الناقد "عبد الفتاح كيليطو" حين قال "إن السرد الكلاسيكي والشعبي يحرص على احترام افتتاحية معينة تتكرر بصفة ملحوظة وأن شيئا من التفكير يجعلنا نعتقد بأن السرد القديم يحترم كذلك خاتمة معينة تؤكد نهاية الحكاية وتثبت أهمية الإطار"¹

إن الحكاية الشعبية "بكرت" كما ترويها الجدات يسوق لنا الأستاذ "محمد أقضاض" مثالا حيا من الواقع الريفي في مقاله إذ يقول "بأن الحكاية الشعبية تبدأ بعبارة "حببتك ما حببتك"، "سيسكو اتيازيت، نش اذ شغ ثمصات شك انتشاذ انتقصات"، افترض ترجمة هذه اللازمة على الشكل التالي: "حكاية صغيرة، الكسكس بالدجاج. أنا آكل الفخدة وانت تأكل المؤخرة" تتكون هذه اللازمة من ثلاث وحدات توفر تشكلا إيقاعيا، تنتهي كل منها بنبرة متكررة أو متشابهة التركيب هي "يت" يحتفظ الراوي على الوحدتين الأولى والثانية دائما بينما لا تذكر اللازمة الثالثة إلا إذا كان الفضاء يسمح بالاختراق الأخلاقي خاصة مع الأطفال أو بين أفراد من نفس الجنس والسن لما فيها من خدش للأخلاق، وهي تحمل روح المرح والسخرية"²

إذا ما حاولنا التدقيق في هذا المقطع يتبين لنا منذ الوهلة الأولى أنه يتكون من وحدة ذات مصدر لغوي عربي فكلما حببتك ما حببتك مشتقة من اللغة العربية، والمقصود بها الأحجية أو الأحاجي وهي تدل على الكلام الملغز وتطفو معانيه على السطح أو القشرة الخارجية للأشياء بل يتطلب فكه قدرا كبيرا من التركيز والتفكير فمعنى الأحاجي تكون في العادة تاوية ومخبأة في اللفظ. وهذه الأحجيات أو الأحاجي أضحت تراثا يؤثث الذاكرة الشعبية خصوصا المجتمعات التقليدية التي يكون فيه الزمن بطيئا وبعيدة عن الوسائطية أقصد هنا مذياع، تلفاز، أو أي وسيلة ينشغل بها الانسان وتبطل من تدفق وانسيابية الزمن.

لكن الملاحظ أن كلمة أحاجي تم تمزيغها في مجتمع البحث إلى "اتحاجيت أنتوافيت" وكلمة "حاجيتك وما حببتك" لها دلالة، فأن يول الراوي حاجيتك معناها انها يختبر قدرتك وسرعة بديهتك، والمقصود ب"ماحببتك" يري بعض النقاد أن الكلمة وردت بشكل اعتباطي، لكن هناك تفسيرات من بعض الأشخاص في مجتمعنا المحلي الذين يفترضون أن راوي اللغز لن يسرع في تقديم المساعدة. الملاحظ أن التركيب الأمازيغي قادر على استيعاب كلمات من لغات مجاورة وتحديدا العربية، وهناك العديد من الأمثلة في هذا الباب على سبيل المثال لاحصر، مصطلح "تنفيست" - تنفاس، ...

وبالرجوع إلي أفكار "دوسوسير" الذي تحدث عن علاقة الدال بالمدلول أنها علاقة اعتباطية، كذلك تركيب العبارة الافتتاحية للأحجية المندرجة في إطار الحكاية الشعبية "حاجيتك ما حببتك" تركيب اعتباطي لا منطق له في علاقة داله بمدلوله، لكن مع ذلك يذهب البعض إلى أن المقطع ينم عن قدر من التشويق والمتعة التي تثيرها الحكاية، طبعا هذه المتعة يجب تجسيدها على أرض الواقع، وبالتالي فإن الأرحام الأولى الجدات والأمهات كانتا يشبهان الأحجية بالأكلة اللذيذة التي تجتمع حولها المنطقة "الكسكس" هذه الأكلة الشهيرة أضحت تشكل هوية جماعية في المنطقة، لذلك يسارع الناس إلى

¹ الحكاية والتأويل دراسة في السرد العربي، ص34 دار توبقال للنشر. سلسلة المعرفة الأدبية.

² محمد اقضاض، اشكاليات وتجليات ثقافية في الريف، مقال مقارنة سوسيوسيما نطقية للحكاية الشعبية في الريف، ص 83

تشبيه الحكاية الشعبية، والموقف لا يخلو من استعارة، فالكسكس باللحم أو الدجاج تتلف الساكنة في مختلف الأعمار للفوز بتذوقه والاستمتاع به، وما يصاحب اللمة حول "قصيرة الكسكس" من فرح ومتعة وترويح عن النفس، كذلك يظل في بعده الغذائي رمزا لتوفير الطاقة وتغذية الجسم بكل ما يلزم لمجابهة الصعاب، والكد في الحقول وأن وجه الشبه بين أكلة الكسكس والحكاية الشعبية بمجتمع البحث يمكن إرجاعها إلى موقفين اثنين على الأقل، فكلاهما يغذيان الروح والعقل ويخففان من تعب الحياة وبعض التوترات النفسية، لذلك يركز السارد أو الحكواتي على ضرورة الاسراع للاستمتاع لتناول وجبة الكسكس بالدجاج لذلك نجده يلح إلى الالتحاق مبكرا للتمتع بفخذ أو صدر الدجاج، أما أن تباطأت فلن تجد أمامك الا مؤخرة الدجاج وفي منطقتنا من يأكل الفخذ والصدر له مكانة اجتماعية مرموقة، لذلك فإن بقي السامع للحكاية خارج الدائرة فلن يستفيد من الوجبة جيدا.

الموقف يكمن في كون الكسكس يتطلب الجماعة و اللمة كذلك، الأحاجي أو الحكاية الشعبية لا تحقق أهدافها ومعانيها إلا بتوفر هذا الشرط، الكسكس يستهلك جماعيا الكل يشارك، فعادة ما تشغل الجدة بإعداد "لقمة من الكسكس" على شكل كرة دائرية للأطفال وحتى للكبار كذلك الحكاية كثيرا ما يكون جماعيا ومشارك، فكل من له القدرة على الحكاية، وقادر على استمالة الجماعة، يحكي حكايته، وبذلك يعتبر كل الحضور فاعلين في العملية السردية والحكاية أو ما يمكن أن نسميه بلغة "بريخت" -تحطيم الجدار الرابع ببعض التحفظ-، خصوصا وأن الليلة الواحدة يمكن تروى فيها حكايات عديدة من ساردين مختلفين، خصوصا وأن الزمن في مجتمعنا الدراسي التقليدي بطيئا.

✓ العرف الثاني

بمجتمعنا الدراسي "كرت" زمن الحكاية لا يكون إلى أثناء الليل، وتحديدًا عندما يهب الجميع إلى النوم، وذلك لاعتبار أن الحكاية يساعد الفرد على النوم خصوصا إذا كان مصابا بالأرق، ثانيا في هذا الزمن بالذات هناك امكانية متاحة للترفيه فمجتمعنا مجتمع تقليدي، يكدر فيه الرجل والمرأة على السواء، فالنساء يقمن بوظائف متعددة منها جلب العلف للماشية، تنظيف الاسطبلات، سقي الماء، اعداد الخبز... وبالنسبة للرجل يتجه لوظائف الحرث، الحصاد، التجارة، أو بعض الصناعات التقليدية التي تزخر بها المنطقة. و جرت العادة أن يمنع الحكاية خلال النهار وهذا المنع صار عرفا لا يمكن تخطيه بأي حال من الأحوال، لأن ممارسة الحكاية نهارا يعرض الحاكى لعقاب غير مباشر، واستقينا من خلال مقابلاتنا مع محوئين مسنين أن القيام بهذا العمل هو خرق سافر قد تترتب عنه أمراض تساقط الشعر، أو انجاب أطفال "صلعا" أي بلا شعر، والدلالة التي يمكن استخلاصها هنا هو أن هذا الزعم رغم ثقافته من وجهة نظرنا نحن، فإنه كان يحمل في ثناياه معاني متعددة، ويقوم بوظيفة خفية مسكوت عنها ، فبنسبة للريفي لا يشجع أبناءه في تنسنتهم على التراخي والتعاس أثناء النهار، لأن النهار بالنسبة له هو زمن الكد والجد والعمل الدؤوب والمضني، فحتى الأطفال لا يستثنون من هذه التربية و الفلسفة التي تحت على العمل فتراهم ينتشرون في الحقول يسرحون البهائم ويساعدون ذويهم كبار السن ، ويجلبون المياه ومنهم من يذهب إلى المسيد أو المدرسة إن هي توفرت، وقد تراهم يقتنصون بعض الوقت للعب الجماعي أثناء عملهم.

كما أن الحكاية الشعبية لا تستقيم الا أثناء الليل، لأن التركيز أثناء النهار يكون مشتتا، وبذلك تضمحل القدرة على التخيل والتفكير والتأمل والتتبع، بطبيعة الحال لذلك لا نقي الحكاية الشعبية بالغرض ولا تؤدي أدوارها ووظائفها. أما في الليل فالإنسان يشعر بالرغبة الأكيدة للتخفيف من تعب النهار وتهذئة النفس والتمتع بقدر من الارتخاء واستراحة للأعصاب.

✓ العرف الثالث

مكانة المرأة في المجتمعات التقليدية، أساسية وجوهرية فهي الحاضنة والمسؤولة عن التراث والناقلة له للأجيال القادمة، لذلك أوكلت مهمة عملية الحكى للمرأة، بالدرجة الأولى الجدة هي تعتبر بحق مرجع وخزان حقيقي للتراث بكل أنواعه وهي المحافظة على التاريخ الاجتماعي للمنطقة، تليها الأم ثم الأخت الكبرى أو العمة أو الجارة ... الريف ومنطقة البحث كرت" تختلف كلية عن جميع ربوع المغرب، ففي مناطق أخرى كبلاد جبالة أو غمارة أو حتى عند الفاسيين والمراكشيين فإن الرجال في كثير من الأحيان وفي جلسات عامة للترفيه يحكون الأحجيات والحكايات، لكن في الريف الأمر يختلف تماما فهذه المهمة من اختصاص النساء. أكدنا في فيما سبق وتحديدًا في العرف الثاني أن الأحجية تحكى بالليل، وفي حالة ما إذا تم هذا العرف وتم حكيها بالنهار تصاب المرأة بالصلع، وهذا الأمر المفزع بالنسبة للمرأة جعلها تحرص كل الحرص على حكي الأحجيات ليلا، لأن رمزية وقيمة الشعر الطويل وطوله وكثافته من علامات المرأة الريفية لذلك فهي لا يمكنها بأي حال من الأحوال سرد الحكايات والأحاجي نهارا، وما يؤكد على أن الشعر الطويل نموذج من نماذج جمال المرأة الريفية حضور "سالف نونجا" في الحكايات الشعبية وهي إحدى الشخصيات الرئيسية التي تؤثث المشهد الحكائي في الريف. هذا بالإضافة إلى كثرة مهام المرأة الريفية في النهار من تنشئة للأطفال وحمايتهم وغرس فيهم قيم الجماعة والعائلة والعشيرة، لذلك طبعت الحكاية الشعبية في الريف وفي مجتمعنا تحديدا بطابع نسوي ويتجلى ذلك بوضوح: -أولا الراوي أو السارد، هو امرأة بالضرورة.

-ثانيا عدد شخوص الحكايات الشعبية يغلب عليها الطابع النسائي.

-ثالثا الحكايات تركز في موضوعاتها على تصرفات المرأة ودعائها ويقظتها وفطنتها في التعامل مع الأحداث.

وهو ما يدفعنا لطرح التساؤل التالي: ما مقصدية الحكاية الشعبية ب "كرت"؟

✓ المقصدية الأولى

الواقع أن الحاكي وهو يحكي حكايته، لا يضع في حسابه البتة ابعادها الدلالية والوظيفية والرمزية، فهو يحكي حكايته الريفية دون أن يحدد أهداف ما يحكي. لكن الوظائف التي تنتجها الحكاية بمجتمع البحث تلقائية وتحقق أهداف بشكل غير مباشر. ومن بين أهم الوظائف النمطية في الحكاية الشعبية وظيفة التنشئة وتربية الخلف، فالحكاية تنقل قيم المجتمع الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية التي في العادة تجسدها الشخصية الرئيسية/البطل. من بين هذه القيم الصبر، الرجولة، العطاء، الإيثار، مواجهة المصاعب، الكرم، مساعدة الضعيف، استعمال العقل والذهاء لتجنب المشكلات...، كما نؤكد على البعد التواصلية التي تلعبه الحكاية الشعبية بين أطراف متعددة تنصت إلى أجزاء الحكاية فالعملية برمتها في قدر كبير من الانصات والتأمل الجماعي وفي الآن نفسه تستوجب استعمال الذكاء وإعمال العقل. كما يجدر بنا التأكيد على أهمية اللغة التي يعمل المتلقي على اكتسابها وكذلك العمل على فك مغاليقها حتى يتسنى له أن يتواصل انساني واجتماعيا

والجدير بالقول أن هذه الحكايات الشعبية، تسمو على الخطاب التقريرية المباشر، لما تحتويه من إبداع وخيال الذي ينزاح عن التصوير الواقعي الفوتوغرافي إلى آخر غرائبي، "فانتازي" مكسر للمنطق اليومي المعاش، وهو الأمر الذي يستنفر العقول ويفتح باب وفاق الخيال على مصرعيها ويستفز الذاكرة من أجل بناء رؤية إلى الواقع والحياة الاجتماعية مستوعبة للواقع كما هو كائن والتفكير أيضا في الآفاق الممكنة.

وللحكي أبعاد أخرى مهمة تندرج في إطار بعد فينومينولوجي صرف فالمتلقي وأثناء الحكيم تراه على الدوام مرتبط بالآخر، في إطار تفاعلي صرف، فالارتباط بالآخر من الضرورات إذا ما رغب الفرد مجابهة الأخطار والأهوال، لذلك في الغالب الأعم نجد الحكاية تركز على حماية الطفل و المرأة وحثهم على عدم الخروج من الجماعة، لأنه كما تجسد العديد من الحكايات أن الأخطار والأهوال التي يواجهها الفرد تكون مترتبة عن الخروج القهري أو الاختياري من الجماعي، وبذلك أن فلسفة الحكايات الشعبية في كليتها تذهب في اتجاه ترميم الجماعة والحفاظ على تماسكها حتى تتمكن من مواجهة الأهوال ومن تم تضمن استمراريتها وامتدادها في الزمن.

وكمثال حي عن هذه الصورة، فالمتلقي من خلال انصاته لهذه الحكايات الشعبية يزداد تشبثه أكثر بالجماعة، الآن كما أسلفت المخاطر تسلط على الفرد إذا انزاح عن الجماعة، أسرته على وجه الخصوص، خاصة وأن الكائنات في الطبيعة مخيفة قاتلة كما تصورها الحكاية (تامزة، الافاعي، الادغال...) هي مخلوقات ترمز إلى الخوف والموت والفناء... لذلك فوجودها مرتبط بالادغال وهي امكنة موحشة، وفي الغالب يتيه فيها الفرد إن هو تسلل من الجماعة، لذلك تبرز الحكاية لتحمي أفراد الجماعة.

✓ المقصدية الثانية

المقصدية الثانية هي قصدية دلالية ورمزية بحيث الحكايات الشعبية تكرر سلطة الرجل وفي الوقت ذاتها، فالرجل في الحكايات الشعبية سلطته لا تمس وهو في الغالب الأعم يظل خارج سياق الحكاية وفي أحسن الأحوال يلعب دور الوساطة ودور الصلحاء، طبعاً هذه المكانة تؤكد أن المجتمعات الريفية هي مجتمعات بطريقية، أبوية بالرغم من كون المرأة تقوم بأدوار عسوية على ألف رجل ورجل، تنهض في صباح الباكر، تجمع الحطب، تعد الفطور، تخرج الكسبية إلى الحقل، تكنس، تطبخ وهكذا دون كلل أو ملل على العكس الرجل بمجتمعنا الدراسي يقوم بأعمال محددة، وفي المساء يجتمع الرجال في مقهى عبارة عن "حانوت" يحتسون كؤوس القهوة والشاي ويتنافسون على تناول عشبة القنب الهندي، طبعاً هناك استثناءات، ومع ذلك يحظى الرجل بمكانة اجتماعية مهمة في الوقت المرأة تحظى بمكانة أقل، وبحيف منقطع النظير وبذلك تسلط الأخيرة ضعفها على الأطفال أبناء الضرة أو اليتامى وذلك من أجل اقتناص مكانة لها ولأبنائها.

وتأكيداً على هذه المقصدية الدلالية والرمزية في الحكاية الشعبية بكرة، نشير إلى بعض رموز السلطة وابعادها الدلالية في الأحاجي والحكايات التي ترويها الجدات، فالسلطان على سبيل المثال لا يفرض سلطته على كل الرعية، بل يكرس اهتمامه لشؤون أهل بيته وتقوية نفوذه ومراكمة ثرواته، وفي الغالب الأعم يتلقى المساعدة من الشخصية الرئيسية، كذلك الحكاية الريفية تلمس ذلك التفاعل والتلاقح الثقافي خصوصاً في ما يتعلق باللغة العربية، فإحكام كلمة من القاموس العربي ضرورة لا محيدة عنها وتدخل في صميم شروط الحكيم، من قبيل توظيف أسماء، عثمان، عبد الرحمان الذي يحور أحياناً إلى "حب الرمان"، كذلك توظيف بعض الصفات من قبيل "الجرب"، ناهيك عن التوظيف الديني في الحكايات الشعبية بالمنطقة وهو الأمر الذي ينم على تأثير الديانة الإسلامية في نفوس ساكنة "كارت" وعموم الريف.

كما لا يفوتنا إبراز سمات واضحة لنمط العيش في الحكاية الشعبية بمجتمعنا الدراسي "كارت" والمتمثلة في الطابع الفلاحي الجلي، وتربية الماشية والصيد البحري التقليدي، كما تشمل الحكاية الشعبية تقسيماً واضحاً للعمل، بين الرجل والمرأة، وحتى الأطفال الذين يكبرون بسرعة في مجتمعنا فتراهم ينخرطون في أعباء الحياة في سن مبكرة.

مما سبق تكون الحكاية الشعبية علامة دالة ومعبرة على مجتمعنا وواقعنا الحضاري، وفي نفس الآن لها وظائف ظاهرة وخفية، الاجتماعية والفكرية والتربوية لذلك فالحكاية الشعبية أكثر ارتباطاً بالواقع المعيش للسكان ولمختلف الأعمار من الأسطورة والملحمة والخرافة، والواقع أن الحكاية الشعبية مادة دسمة ساهمت في تشكل القصة والرواية بمفهومهما الحديث.

المحور الثالث: طقس العنصرة بالريف بين المحلي والكوني

معلوم أن منطقة بحثنا "كارت" منطقة تنتمي للمجتمعات التقليدية، وهناك اعتقاد سائد أنها مجتمعات راكدة ومتكلسة، والواقع غير ذلك مجتمعنا الدراسي مجتمع دينامي بطقوسه الشعبية الموازية للأنشطة الفلاحية، فعلاقة الإنسان الريفي بمجاليه علاقة ضاربة في القدم، لذلك يمكن اعتبار موضوع الطقوس الشعبية الموازية مدخلا سوسيو-ثقافيا ذا أهمية بالغة في رصد هذه التحولات خصوصا في مسألة تفاعلات الإنسان مع الأرض، هذه الأخيرة تعتبر بحق طقس عبور في دورة حياة الأرض.

ونحن نتحدث عن الطقوس المحلية الشعبية الموازية للأنشطة الفلاحية "بكارت" أرى من الضروري تناول طقس فلاحي بالغ الأهمية في كل مجتمعات الريف الشرقي والأوسط والغربي، حتى أن صدها عبر الحدود إلى قبائل غمارة وجباله وبي مروان ...

ويكتسي موضوع العنصرة في صيغته الريفية أهمية بالغة، لأنه موضوع يجسد حقيقة ما طرحناه في البداية عن أن أنثروبولوجيا حوض البحر الأبيض المتوسط، لأن طقس العنصرة لا يقتصر فقط على منطقة بحثنا "كارت" والريف المغربي عموما، ولكنه يمتد في بقاع جغرافية متباعدة، هذا التباعد يمنح الطقس بعدا كونيا. وبذلك سنحاول من خلال بحثنا ملامسة جوانب الموضوع والكشف عن خصوصيته الريفية، والنبيش كذلك في المشترك وفي أبعاده الكونية.

من خلال تسليط الضوء أولا على "طقس العنصرة" كظاهرة ثقافية لها جذور وامتدادات في الثقافة الريفية، وهي ما يقتضي منا معالجة الموضوع في إطاره المحلي، لكن مفهوم المحلي لا يشتغل بمعزل عن المؤثرات الخارجية، لذلك سنقارب الموضوع في تقاطعاته واختلافاته مع طقوس مشابهة في ثقافات أخرى وبذلك سنتنظم اشكاليتنا في المبحثين التاليين:

- أين تبرز الخصوصية الريفية في طقس العنصرة؟

- أين تكمن أوجه التقاطعات بين طقس العنصرة في بعده الريفي والطقوس الثقافية الأخرى في البقاع المختلفة من العالم؟

✓ التأصيل التاريخي لطقس العنصرة ومرجعياته

عرف حوض البحر الأبيض المتوسط تلاقحا ثقافيا كبيرا بين شعوب المنطقة، فقد مرت به حضارات وثقافات جعلت كل المنطقة وخصوصا جنوب أوروبا و شمال أفريقيا وشرق آسيا، تعتبر منطقة ثقافية التي أفرزت دينامية حضارية نتج عنها تبادل مجموعة من الظواهر الثقافية نذكر من بينها ،ثقافة الغابة ، تملك الأرض والاستقرار بها، النظام القبلي،... وما يهمنا في هذا المحور طقس العنصرة الذي يعتبر من الظواهر المنتشرة في كل بقاع حوض البحر الأبيض المتوسط الأمر الذي يدفعنا دخول مغامرة البحث عن جذوره والتساؤل عن مرجعيته، الأمر ليس بتلك السهولة المتوقعة خصوصا وإن البحث في الجذور التاريخية لطقس العنصرة في نسخته الأمازيغية، الأمر يظل مخاتلا ومشوشا خصوصا إذا ما حاولنا البحث في الأصول والنشأة الأولى لهذا الطقس. لذلك لا مفر من الاستعانة باباحثين في حقل السوسيوولوجيا والأنثروبولوجيا.

في هذا الشأن نستحضر "ادموند دوتي" "Edmont Douité"

إدموند دوتي Edmond Douité (1867-1926): يؤكد في منجزه المعروف كعمل تاريخي وأنثروبولوجي كبير "السحر والدين في شمال أفريقيا" أنه ثمة فئة من الممارسات الشعبية ببلدان المغرب، هي طقوس النار. وهي تقام خاصة في أوج الصيف... أما المصدر اللغوي "لعنصرة" فهو مجهول، أو على الأقل المصادر الاشتقاقية التي تقدم لها غير ذات

جدوى لتفسر هذا الطقس ... ومهما كان الأمر فإذا كان الاسم مقتبسا، فالعيد سابق عليه. فهو احتفال عتيق جدا، إذ يتعلق الأمر هنا بطقوس تمارس بشكل كوني وتتصل بالتصورات الأقدم للإنسانية عن مجرى الأمور الطبيعية³

هذا القول ليس قطعيا ولكنه يكتنفه غموض حول طقس العنصرة لكن من المرجح من خلال "دوتي" أن مرجعية العيد الصيفي لدى الأمازيغ، هي نتاج تلاقح ثقافات وحضارات متعاقبة على منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ومجتمعنا الدراسي جزء لا يتجزأ من هذا المجال، وإذا ما تبينا المنظور التطوري في مقارنة الطقس فيمكن اعتباره أي طقس العنصرة، إحدى البقايا بقايا الديانات الوثنية التي عرفت المنطقة، وهو منظور تطوري دافع عنه "لويس هنري مورغان"، الذي يرى أن بعض المظاهر التي لازالت صامدة في هذه المجتمعات رغم تقادم الزمن فإنها مجرد بقايا ناجمة عن سيرونة الترسيمية التطورية، وهذه البقايا توجد منها أمثلة كثيرة في مجتمعنا الدراسي من قبيل مثلا خطف النساء ففي منطقة البحث يقوم العريس بخطف العروسة هذه العادة بدأت في الانقراض لكنها تثبت حسب التطوريين أنها دليل على بروز ما يسمى بالزواج الخارجي.

لذلك وأمام تشوش الرؤية، وغياب حقائق تاريخية حول أصول طقس "العنصرة"، قد نسلم بأن طقس النار هو تراث متوسطي، لكنه في اعتقاد الكثيرين يتجاوز هذه الحدود الجغرافية المتوسطية، فجرت العادة بعد أن ينتهي الأمازيغي بعد سنة من الكد والعمل في الحقول، فبمجرد انتهاءه من الحصاد فإنه كان يخلق لنفسه ولجماعته أجواء فرجية بقره على النار والرقص حولها مرددا أهازيج تعبر عن سعادته، لكن هي نفس الطقوس والمشاهد التي تكررت عند الكرد والفرس في احتفالاتهم الشتوية ضمن احتفالات رأس السنة الفارسية.

خلاصة تحليلية

تحليل الحكاية والأسطورة والمثل الشعبي المغربي يوضح أن الموروث الشفهي ليس مجرد نصوص قديمة، بل شبكة ديناميكية من الرموز الاجتماعية التي تساهم في إنتاج المعنى وضبط القيم.

هذه النصوص تمثل فضاءً للتحليل السوسيو-أنثروبولوجي، حيث تتفاعل البنيات الرمزية مع الواقع الاجتماعي، وتكشف عن طرق المجتمع المغربي في معالجة المخاطر، إدارة السلطة، وإعادة إنتاج التراتبية والنوع الاجتماعي.

إن فهم هذه النصوص يتيح للباحث رؤية عميقة لكيفية تشكل الهوية الجماعية، ولعب الرموز دوراً محورياً في حياة المجتمع المغربي اليومية.

³ السحر والدين في شمال أفريقيا، إدموند دوتي، ص: 461 - 462.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1. الجابري، محمد عابد. العقل الأخلاقي العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.
2. بنسالم حميش. الذاكرة والتاريخ والأسطورة. الدار البيضاء: دار توبقال، 1998.
3. الخطيبي، عبد الكبير. الذاكرة الموشومة. الدار البيضاء: دار توبقال، 1980.
4. رحالي، فاطمة الزهراء. الحكاية الشعبية في المغرب: دراسة سوسيولوجية رمزية. الرباط: منشورات كلية الآداب، 2016.
5. فاطمة المرنيسي. الحريم السياسي: النبي والنساء. بيروت: دار الطليعة، 1991.
6. عبد الله حمودي. الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الإسلامية. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1988.
7. الحكاية والتأويل دراسة في السرد العربي، دار توبقال للنشر. سلسلة المعرفة الأدبية.
8. محمد اقضا، اشكاليات وتجليات ثقافية في الريف، مقال مقارنة سوسيوسيمانية لنطقية للحكاية الشعبية في الريف.
9. السحر والدين في شمال أفريقيا، إدموند دوتي.

المراجع الأجنبية:

1. Bourdieu, Pierre. La Distinction: Critique sociale du jugement. Paris: Les Éditions de Minuit, 1979
2. Geertz, Clifford. The Interpretation of Cultures. New York: Basic Books, 1973
3. Lévi-Strauss, Claude. Anthropologie structurale. Paris: Plon, 1958
4. Malinowski, Bronislaw. Myth in Primitive Psychology. London: Kegan Paul, 1926
5. Dundes, Alan. Interpreting Folklore. Bloomington: Indiana University Press, 1980
6. Propp, Vladimir. Morphology of the Folktale. Austin: University of Texas Press, 1968

عنوان البحث

الإطار النظري للتنمية المكانية وآليات التطبيق في الدراسات الجغرافية

إبراهيم الزبير عبدالقادر الزبير¹

¹ قسم التخطيط والدراسات السكانية - كلية الآداب والعلوم وادي عتبة - جامعة فزان

بريد الكتروني: ibr.alzubair@edu.ly

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/31>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/31>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأسس النظرية للتنمية المكانية وتقديم إطار تطبيقي متكامل لها، وقد اعتمدت الدراسة على التحليل النظري لأبرز النماذج التنموية كنظرية المركز والهامش وأقطاب النمو، مع ربطها بآليات التطبيق العملي، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن نجاح التنمية المكانية مرهون بتبني نهج ثلاثي الأبعاد يجمع بين أدوات التحليل المكاني المتقدم كنظم المعلومات الجغرافية، وآليات المشاركة المجتمعية الفاعلة، وأطر التكامل بين المستويات التخطيطية. كما أظهرت الدراسة أن المعوقات المؤسسية تشكل تحدياً أكبر من نقص الموارد المالية، وخلصت إلى مجموعة من التوصيات أبرزها: تطوير أنظمة الحوكمة الرشيدة، والاستثمار في البنية التحتية للبيانات المكانية، وتبني نهج المشاركة في التخطيط، والتركيز على بناء قدرات الكوادر البشرية المتخصصة، مما يمثل إطاراً متكاملًا يمكن للباحثين والمخططين من البناء عليه لتحقيق تنمية مكانية متوازنة ومستدامة.

الكلمات المفتاحية: التنمية المكانية، العدالة المكانية، نظرية المركز والهامش، نظم المعلومات الجغرافية، الحوكمة المكانية، التكامل النظري التطبيقي.

RESEARCH TITLE

The Theoretical Framework of Spatial Development and Its Application Mechanisms in Geographical Studies

Abraheem Alzubayr Abdulqadir Alzubayr¹

¹ Lecturer at Fezzan University –Faculty of Arts and Sciences Wadi Attaba

Email: ibr.alzubair@edu.ly

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/31>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/31>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study aims to analyze the theoretical foundations of spatial development and present an integrated applied framework for it. The methodology relied on a theoretical analysis of prominent developmental models, such as the Core-Periphery theory and Growth Poles theory, linking them to practical application mechanisms. The results concluded that the success of spatial development depends on adopting a three-dimensional approach that combines advanced spatial analysis tools like Geographic Information Systems (GIS), effective community participation mechanisms, and frameworks for integration between planning levels. The study also showed that institutional constraints pose a greater challenge than a lack of financial resources. The study concludes with a set of recommendations, most notably: developing good governance systems, investing in spatial data infrastructure, adopting a participatory approach in planning, and building the capacities of specialized human resources. This represents an integrated framework upon which researchers and planners can build to achieve balanced and sustainable spatial development.

Key Words: Spatial Development, Spatial Justice, Core-Periphery Theory, Geographic Information Systems – GIS, Spatial Governance, Theory-Practice Integration.

المقدمة:

تشكل قضايا التنمية وتفاوتها المكاني التحدي الأبرز الذي يواجه المجتمعات المعاصرة على مختلف مستوياتها، من المحلي إلى العالمي، فالتوزيع الجغرافي غير المتوازن للسكان والثروات والاستثمارات والبنى التحتية لا يولد تباين في مستوى المعيشة فحسب، بل يهدد الاستقرار الاجتماعي، ويهدر الطاقات الاقتصادية الكامنة في مختلف أرجاء الإقليم، ويعيق عملية تحقيق التنمية المستدامة بمقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

في خضم السعي لتحقيق نمو شامل ومستدام، برز مفهوم التنمية المكانية كمدخل أساسي وجوهري يتجاوز النظرة القطاعية الضيقة إلى رؤية تكاملية شاملة، فلم يعد هذا المفهوم مجرد مصطلح أكاديمي، بل تحول إلى استراتيجية عمل تتبناها الحكومات والمنظمات الدولية، فهو لا يقتصر على تفسير عدم التوازن في توزيع السكان والموارد والأنشطة الاقتصادية عبر الإقليم، بل يطمح إلى معالجته من خلال سياسات وإجراءات مدروسة. لقد اتضح أن النمو الاقتصادي المحصور في مراكز جغرافية محددة - أو ما يعرف بالمراكز على حساب الأطراف - هو نمو غير مستقر على المدى البعيد، لذلك أصبح التخطيط لتحقيق عدالة مكانية تضمن تقليص الفوارق بين المناطق وفعالية اقتصادية تستفيد من المزايا النسبية لكل منطقة أمراً محورياً في صياغة سياسات الدول واستراتيجيات التخطيط الطموحة.

قد تبلور هذا المفهوم عبر عقود من التطور الفكري، بدءاً من النظريات الكلاسيكية مثل نظرية المركز والهامش، مروراً بنظريات الأقطاب النامية، ووصولاً إلى النماذج المعاصرة التي تدمج بين أبعاد الاستدامة والمرونة والتكنولوجيا، ويبقى التحدي الحقيقي الذي لا يزال يقف عائقاً أمام تحقيق الأهداف المنشودة التباين الكبير والفجوة بين التنظير والتطبيق، فغالباً ما تبقى هذه النظريات والأطر والمفاهيم حبيسة الكتب الأكاديمية ومجالاتها المتخصصة، بينما تفتقر إلى أدوات التشغيل العملية التي تمكن المخططين وصناع القرار من ترجمتها إلى مشاريع ملموسة، وبرامج تنفيذية، ومؤشرات قياس أداء على أرض الواقع. هذه الهوة بين ثراء الإطار النظري وعدم الاستفادة من الآليات التطبيقية الفعالة هي المشكلة الجوهرية التي تستدعي البحث والدراسة.

وتتبع الإضافة العلمية لهذه الورقة من كونها لا تقتصر على استعراض النظريات المكانية التقليدية، بل تسعى إلى بناء إطار تكاملي لسد الفجوة بين النظرية والتطبيق في مجال التنمية المكانية.

فعلى خلاف الدراسات السابقة التي ركزت على جانب واحد من أبعاد التنمية (الاقتصادي أو الاجتماعي أو المؤسسي)، فإن هذه الورقة تدمج بين ثلاث مقاربات نظرية - نظرية المركز والهامش، النظرية المؤسسية، ونظرية أقطاب النمو - لتشكيل منظومة تحليلية موحدة تفسر التفاوت المكاني وتقرح آليات عملية لمعالجته.

كما تقدم الدراسة تحولاً من التحليل الوصفي إلى التحليل الإجرائي عبر صياغة آليات تطبيقية قابلة للتنفيذ مثل سياسات نقل الاستثمار والحوكمة متعددة المستويات.

وبذلك تسهم الورقة في إثراء الأدبيات الجغرافية من خلال تطوير نموذج معرفي قابل للتطبيق في البيئات العربية التي تعاني من اختلالات تنموية مكانية.

إشكالية الدراسة:

على الرغم من الثراء النظري الذي تزخر به الأدبيات الجغرافية والتخطيطية فيما يخص مفاهيم التنمية المكانية، إلا أن هناك فجوة ملحوظة بين هذا الإطار النظري المتقدم وبين التطبيق الفعلي على أرض الواقع، فكثيراً ما تظل النظريات حبيسة البحوث الأكاديمية، دون أن تترجم بشكل منهجي إلى آليات عملية قابلة للتطبيق من قبل المخططين وصناع القرار، وتكمن المشكلة في كيفية تقليل الفجوة بين الإطار النظري للتنمية واليات تطبيقه العملي في الحقل الجغرافي، ولأجل الوصول لذلك تحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات الآتية:

- [1]- ما هي المكونات الأساسية للإطار النظري الشامل للتنمية المكانية؟
- [2]- ما هي الآليات والتقنيات العملية التي يمكن من خلالها ترجمة هذا الإطار النظري إلى سياسات ومشاريع قابلة للتنفيذ؟

[3]- ما هي التحديات التي قد تعترض عملية التطبيق هذه؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى:

- [1]- تحليل الإطار النظري للتنمية المكانية من خلال استعراض أهم نظرياتها ومفاهيمها المحورية.
- [2]- محاولة ربط الجانبين النظري والعملي في العملية التنموية، من خلال اقتراح بعض الآليات التحليلية والتطبيقية والتخطيطية.
- [3]- المساهمة في تقديم رؤية حول كيفية استفادة الدراسات والتطبيقات الجغرافية المعاصرة من هذا الإطار النظري بشكل أكثر فعالية.

أهمية البحث:

- [1]- تقديم إطاراً عملياً يحول النظريات الكلاسيكية للمركز والهامش وأقطاب النمو من أطر تفسيرية إلى أدوات تخطيطية قابلة للتطبيق على أرض الواقع.
- [2]- توفير منهجية تكاملية ثلاثية الأبعاد تطرح رؤية متكاملة تجمع بين الأدوات التقنية المتقدمة (كنظم المعلومات الجغرافية)، وآليات المشاركة المجتمعية، وأطر التكامل بين مستويات التخطيط، وهو نهج شمولي كامل.
- [3]- تزود الباحثين الجغرافيين والمخططين بحزمة من الآليات التشغيلية المباشرة (كالتقييم متعدد المعايير) التي يمكن تطبيقها فوراً في تشخيص الواقع المكاني وصياغة الحلول التنموية.

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي، من خلال مراجعة منهجية للأدبيات الأكاديمية الرصينة ذات الصلة في مجالات الجغرافيا والتخطيط الحضري والإقليمي واقتصاديات التنمية. وسيتم تحليل هذه الأدبيات لاستخلاص مكونات الإطار النظري واستنتاج الآليات التطبيقية المناسبة.

الدراسات السابقة:

- [1]- قدم الباحث **مصطفى منصور جهان** بحثاً بعنوان "التخطيط الإقليمي بين النظرية والتطبيق"⁽¹⁾، حيث سلّطت الدراسة الضوء على أهمية التخطيط الإقليمي في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية من خلال تحقيق التوازن بين الأقاليم وتقليص الفوارق فيما بينها. كما استعرضت الدراسة تجارب عالمية في تطبيق التخطيط الإقليمي، وأشارت إلى تبنيه من قبل الدول النامية لتعزيز قطاعاتها الاقتصادية، كما ركزت الدراسة على العلاقة بين التخطيط الإقليمي وعلوم الجغرافيا، وقسمت الدراسة إلى محورين: الأول يوضح المفهوم العام للتخطيط الإقليمي، والثاني يشرح دور نظرية المواقع المركزية في صياغة الخطط الإقليمية.
- [2]- قدم الباحث **مصطفى جليل إبراهيم** بحثاً بعنوان: أثر الخصائص المكانية في آليات التنمية (النظرية والتطبيق)⁽²⁾، ناقشت الدراسة إشكالية إهمال التباين المكاني عند وضع الآليات التنموية، والتفاوت بين الجانب النظري والتطبيقي.

¹ - جهان مصطفى منصور. (2025) "التخطيط الإقليمي بين النظرية والتطبيق". مجلة كلية الآداب - جامعة مصراتة، عدد 6، يونيو.

² - مصطفى جليل إبراهيم، (بدون سنة) "التخطيط الإقليمي بين النظرية والتطبيق"، جامعة بغداد، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، دراسة من الانترنت.

وتفترض الدراسة أن الخصائص المكانية هي التي تحدد الآلية التنموية الواجب اتباعها لتطوير أي حيز مكاني، وليس العكس. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتحديد أهم الآليات التنموية النظرية ثم كيفية تطبيقها عملياً. وأكدت الدراسة على أن وضع الآلية التنموية يعتمد بشكل أساسي على خصائص المكان المتباينة، سواء كانت بشرية أو مادية كالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

[3]- قدم الباحثان هبة كردوش وعبدالقادر حريري دراسة بعنوان "التنمية المكانية: استراتيجيات وآليات التطبيق" (3)، لتقديم رؤية شاملة لمعالجة التفاوت التنموي بين المناطق من خلال تحليل بعض الاستراتيجيات الرئيسية مثل نقل العاملين ونقل الاستثمارات، وأظهرت الدراسة أن تطبيق هذه الاستراتيجيات يعتمد على منهجية من أربع مراحل تبدأ بتحليل الواقع الراهن، ووضع المؤشرات، ثم إعداد المخططات واختيار البديل الأمثل، كما قدمت الدراسة تحليلاً مقارناً للتجارب الدولية كتجربة إزمير في تركيا التي طبقت استراتيجية أقطاب النمو، وتجربة عمان في الأردن التي اعتمدت على نقل الاستثمارات، وتوصلت الدراسة إلى أن أولويات التنمية تختلف حسب خصائص كل منطقة وإمكانياتها، وأوصت الدراسة بضرورة دمج التنمية الريفية وبناء البنى التحتية مسبقاً وتطوير النقل العام لضمان نجاح الاستراتيجيات، مع التأكيد على أن اختيار الاستراتيجية المناسبة يجب أن يستند إلى الواقع الإقليمي وطبيعة الموارد المتاحة.

[4]- قدم الباحثان (ليو و بيلجيكي) بحثاً بعنوان "مراجعة لتطبيقات الذكاء الاصطناعي الجغرافي المكانية الصريحة في الجغرافيا الحضرية" (4) حيث هدفت الدراسة إلى رصد التطورات في نماذج الذكاء الاصطناعي الجغرافي ذات الصراحة المكانية، وركزت على معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية في الدراسات الحضرية، وقد اعتمدت المنهجية على تحليل 581 دراسة منشورة بين السنوات 2018 و 2021 وتم اختيار 24 دراسة استوفت معايير الدمج الصريح للمفاهيم المكانية، وقد غطت المراجعة ثلاثة محاور رئيسية: ديناميكيات النمو الحضري، والتميز الاجتماعي، والاستثمار الاجتماعي. وأظهرت النتائج هيمنة تقنيات التشفير المكاني والشبكات العصبية البيانية، كما كشفت عن ندرة الدراسات المتخصصة في التحليل الاجتماعي الديموغرافي، وخلصت الدراسة إلى الحاجة لنماذج قابلة للتفسير متعددة المقاييس.

[5]- قدم الباحثون سباليفيرو وآخرون (2019) دراسة بعنوان "إطار التنمية المكانية لتسهيل الإدارة الحضرية في البلدان ذات أنظمة التخطيط الضعيفة" (5)، هدفت الدراسة إلى تقديم منهجية لإطار التنمية المكانية (SDF) كأداة تخطيط استراتيجي بسيطة ومرنة مصممة خصيصاً للبلدان التي تعاني من أنظمة تخطيط ضعيفة وتواجه تحضراً سريعاً، كما هو الحال في العديد من دول الجنوب العالمي، واعتمدت منهجية الدراسة على الدمج بين ثلاث أدوات رئيسية هي: مصفوفة الوظائف (MoF) لتحليل التسلسل الهرمي الوظيفي للمستوطنات، والورش التشاورية لضمان المشاركة، والتقييم المكاني متعدد المعايير (SMCE)، لتقييم الهيكل المكاني الناشئ في ضوء السياسات القائمة، وتم تطبيق المنهجية وتقييمها عملياً في حالتين دراستين هما: دارفور في السودان ورواندا، حيث أثبتت فعاليتها في فهم البنية المكانية المعقدة، وتحديد مناطق الاستثمار ذات الأولوية، وربط السياسات الوطنية بالواقع الإقليمي والمحلي، مما يسهل تنفيذها، وخلصت الدراسة إلى أن منهجية SDF تقدم إطاراً عملياً وقابلاً للتكيف يمكنه سد الفجوة بين المعرفة التخطيطية والممارسة الفعلية في السياقات الصعبة.

³ - هبة كردوش وعبدالقادر حريري (2020) "التنمية المكانية: استراتيجيات وآليات التطبيق". مجلة بحوث جامعة حلب - سلسلة الهندسة المدنية والمعمارية والبيئية، العدد 32، 1-22

⁴ - Liu, P., & Biljecki, F. (2022). A review of spatially-explicit GeoAI applications in Urban Geography. International Journal of Applied Earth Observation and Geoinformation, 112, 102936

⁵- Spaliviero, M., Boerboom, L., Gibert, M., Spaliviero, G., & Bajaj, M. (2019). The Spatial Development Framework to facilitate urban management in countries with weak planning systems. International Planning Studies, 24(3-4), 235-254

من خلال الاطلاع على هذه الدراسات تتجلى لنا الفجوة البحثية في تركيز معظم الجهد البحثي في الدراسات الجغرافية على تطوير آليات تطبيق متطورة تقنياً مثل GeoAI أو على تقديم آليات عملية للسياسات الضعيفة مثل SDF. تسعى هذه الورقة لتقدم إطاراً نظرياً وتطبيقياً موحداً ومتكاملاً يربط بين هذه الآليات المختلفة، ويحدد متى وأين وكيف يمكن تطبيق كل منها، لتحقيق تنمية مكانية فعالة (من الدول متطورة التقنية إلى تلك محدودة الموارد)، بمعنى محاولة لسد فجوة التكامل النظري والتطبيقي بين أحدث الأدوات التقنية والمنهجيات العملية في مجال التنمية المكانية ضمن الدراسات الجغرافية.

المبحث الأول: الأسس النظرية للتنمية المكانية:

يعرف فريدمان التنمية المكانية بأنها (العملية التي تهدف إلى تحقيق التوزيع المتوازن والفعال للأنشطة البشرية عبر المكان لتحقيق التكامل والتنمية المستدامة) ⁽⁶⁾، وعليه فإن التنمية المكانية تعتبر عملية توجيه التوزيع الجغرافي للأنشطة البشرية والاستثمارات لتحقيق تكامل مكاني متوازن وفعال لبناء المجتمعات وضمان تنميتها واستدامتها.

أولاً: مفهوم التنمية المكانية:

إن مفهوم التنمية المكانية يبنى على مجموعة من المبادئ تعطي في مجملها مفهوماً لمصطلح التنمية المكانية:

[1]- العدالة المكانية: تُعد العدالة المكانية حجر الزاوية في تحقيق تنمية متوازنة وشاملة للمجتمعات، وتعني التوزيع العادل للخدمات الأساسية والفرص والاستثمارات بين مختلف المناطق الجغرافية، دون تمييز بين المركز والأطراف. وتهدف إلى تقليل الفجوات التنموية بين المناطق الحضرية والريفية، وضمان وصول الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والمواصلات لجميع السكان. كما تسعى لتحقيق تكافؤ الفرص الاقتصادية والاجتماعية، مما يعزز التماسك الاجتماعي والاستقرار.

[2]- الكفاءة المكانية: يعرفها تقرير البنك الدولي عن التنمية في العالم بأنها: (تحقيق أقصى استفادة ممكنة من الموارد والمساحات المتاحة بأقل تكلفة وجهد، من خلال التوزيع الأمثل للأنشطة والخدمات، مع الحفاظ على التوازن بين متطلبات الكفاءة الاقتصادية ومبادئ العدالة الاجتماعية والاستدامة البيئية) ⁽⁷⁾، فالكفاءة معياراً أساسياً لتحقيق الاستغلال الأمثل للموارد والمساحات المتاحة، وتهدف إلى تعظيم العوائد الاقتصادية والاجتماعية من خلال التوزيع المنطقي للأنشطة والخدمات، وتساعد في تقليل تكاليف الإنتاج والنقل ورفع إنتاجية الاستثمارات المكانية، كما تعمل على تحقيق التكامل بين شبكات البنية التحتية والمرافق الخدمية.

[3]- الاستدامة المكانية: الاستدامة المكانية تحقيق التوازن بين متطلبات التنمية الحالية والحفاظ على الموارد الطبيعية والقدرات البيئية للأجيال القادمة، فهي ركيزة أساسية للتنمية المستدامة ووسيلة لتحقيق التوفيق بين الاحتياجات البشرية والحدود البيئية من خلال التخطيط المتوازن لاستخدامات الأرض، كما أن الاستدامة تعمل على تعزيز المرونة البيئية في مواجهة التغيرات المناخية والمخاطر الطبيعية، بالإضافة لتحقيق التكامل بين النظم البيئية والأنشطة البشرية بقصد ضمان استمرارية الخدمات البيئية. وتُمثل الاستدامة المكانية ضماناً لاستمرار التنمية دون استنزاف للموارد الطبيعية.

[4]- التكامل المكاني: إن تحقيق الترابط الوظيفي الفعال بين مختلف المناطق والوحدات المكانية ضمن نظام متكامل بغية تعزيز الروابط والتبادل بين المناطق الحضرية والريفية، والمراكز والأطراف، وكذلك المساهمة في تحقيق التكامل بين شبكات البنية التحتية والخدمات لتعزيز الكفاءة الاقتصادية، والعمل على تحسين إمكانية الوصول وتبادل المنافع بين

⁶ - World Bank. 2009. World Development Report 2009: Reshaping Economic Geography.

⁷ - نفس المصدر السابق، ص 45.

مختلف المناطق الجغرافية، يُشكل أساساً لتحقيق التنمية المتوازنة، وتعزيز للتماسك الاجتماعي والاقتصادي بين مناطق الإقليم الواحد، بالإضافة للأقاليم الأخرى.

[5]- المرونة المكانية: وهي المقدرة الديناميكية للنظم الحضرية والإقليمية على امتصاص الصدمات والتكيف مع المتغيرات، مع الحفاظ على وظائفها الجوهرية واستعادة توازنها بعد مرور الأزمة، وتبرز أهميتها في تعزيز قدرة المدن على مجابهة تداعيات التغير المناخي والكوارث الطبيعية والتقلبات الاقتصادية. كما تسهم في تخفيف حدة المخاطر من خلال تصميم بيئات قادرة على الاستجابة للظروف الطارئة، وتُعتبر هذه السمة ضرورة حتمية لضمان استمرار عجلة التنمية في ظلّ عالم يتسم بتعقيدات متزايدة وأوضاع غير مستقرة.

[6]- الهوية المكانية: إن مجموع السمات المادية وغير المادية التي تعطي للمكان طابعه المميز تُشكل البعد الثقافي والروحي للتنمية المكانية، وتتحقق هذه الهوية من خلال التفاعل بين العوامل الطبيعية والعوامل البشرية كالعمرارة التقليدية وأنماط العمران (حيث يظهر بجلاء الاستغلال الأمثل لموارد الحيز المكاني واستخدامها في عملية التنمية، فالبناى بالأحجار أو استخدام اغصان الأشجار لم يكن وليد اللحظة، بل غالباً ما يكون عبر تفاعل الانسان مع بيئته مما نتج عنه أنماط متعددة للعمارة التقليدية)، وتسهم الهوية المكانية في تعزيز الانتماء والارتباط النفسي بين السكان ومحيطهم المكاني، كما تلعب دوراً محورياً في الحفاظ على الاستمرارية التاريخية والتماسك الاجتماعي، وتُعد حماية الهوية المكانية ضرورة لتحقيق تنمية متوازنة تحترم الخصوصيات المحلية في ظل العولمة.

[7]- الحوكمة المكانية: هي (الإطار المؤسسي والقانوني والإداري الذي يتم من خلاله اتخاذ القرارات المتعلقة باستخدام الأراضي والموارد الطبيعية، وتنظيم الفضاء الجغرافي، بمشاركة فعالة من جميع أصحاب المصلحة)⁽⁸⁾، وتسهم الحوكمة في تحقيق التنسيق الفعال بين المستويات الحكومية المختلفة والمؤسسات ذات العلاقة. كما تعزز كفاءة استخدام الموارد وضمان عدالة توزيع منافع التنمية. وتُعد الحوكمة المكانية الرشيدة شرطاً أساسياً لتحقيق التنمية المستدامة والحد من الفساد في إدارة الشأن المكاني.⁽⁹⁾

ثانياً: نظريات التنمية المكانية:

تم اختيار ثلاث نظريات هي (المركز والهامش، المؤسسية، وأقطاب النمو) لكونها تمثل منظومة مترابطة تفسر ظاهرة التفاوت المكاني وتقدم إطاراً متكاملًا لمعالجتها. فنظرية فريدمان تمثل أساساً لتشخيص جذور الاختلال في توزيع التنمية بين المركز والأطراف، بينما تبرز النظرية المؤسسية أهمية البنى التنظيمية والحوكمة واللامركزية كشرط لضمان فاعلية التطبيق، أما نظرية أقطاب النمو، فتُمثل الجانب العملي التطبيقي الذي يترجم الأفكار النظرية إلى سياسات تنموية ومشروعات ميدانية، هذا التدرج بين التشخيص والتفسير والتطبيق يجعل من الجمع بين هذه النظريات الثلاث خياراً علمياً ومنهجياً متكاملًا لتحقيق أهداف الدراسة.

نظرية المركز والهامش:

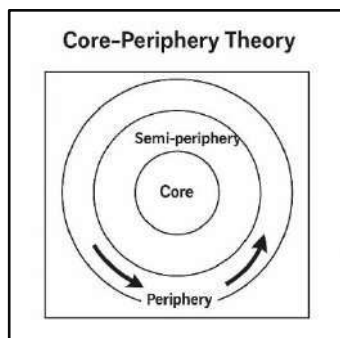
بينما اهتمت نظرية المكان المركزي (كريستالر، 1933) بالأنماط المثالية لتوزيع الخدمات، جاءت نظرية المركز والهامش (فريدمان، 1966) لتعالج الإشكالية الأكثر واقعية المتمثلة في التفاوت والتباين الإقليمي، مما يجعلها الإطار الأنسب لتحليل إشكالية هذا البحث، فقد قدم فريدمان نظريته في كتابه "سياسة التنمية الإقليمية: دراسة حالة لفرنزويلا"، حيث حاول

⁸ - OECD (2017), Effective Spatial Governance Handbook, Paris: OECD Publishing, p. 23

⁹ - للتوسع أكثر في هذه المبادئ يرجع الرجوع الى:

UN-Habitat. (2015). International Guidelines on Urban and Territorial Planning. Nairobi: United Nations Human Settlements Programme, pp. 8-14.

تفسير لماذا تتطور بعض الأقاليم بينما تتخلف الأخرى، وجاءت نظريته كرد فعل على النماذج الاقتصادية التقليدية التي تجاهلت البعد المكاني للتنمية، تقوم النظرية على فكرة بسيطة لكنها عميقة: الفضاء الجغرافي ليس متجانساً، بل هو بناء هرمي من العلاقات غير المتكافئة بين منطقتين رئيسيتين:



المنطقة الأولى، التي يُشار إليها باسم المركز، تتميز بالخصائص التالية:

- [1]- تركيز رأس المال والاستثمارات.
- [2]- وجود مراكز صناعية ومالية متطورة.
- [3]- كثافة سكانية عالية ومهارات بشرية متقدمة.
- [4]- القدرة على الابتكار والتأثير في عمليات صنع القرار.
- [5]- هيمنة القيم الثقافية والحضرية.

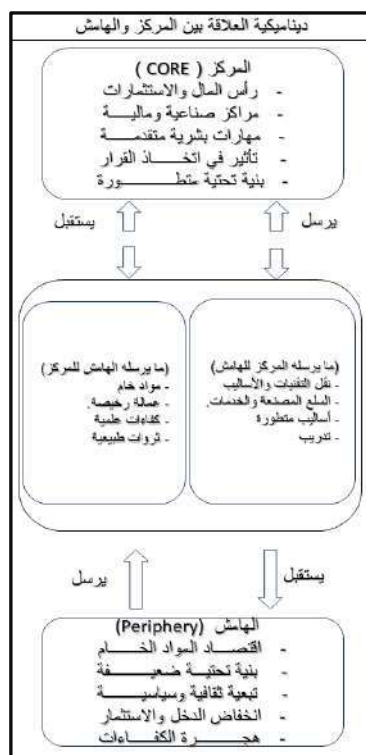
تُعتبر هذه المنطقة الجغرافية فضاء يشهد تطوراً ونموً كبيرين، ولكنه يعتمد في ذلك على الفئة الثانية.

أما المنطقة الثانية والتي يُشار إليها باسم الهامش، فتُوصف بالميزات التالية:

- [1]- اقتصاد يعتمد على إنتاج المواد الخام والزراعة التقليدية.
- [2]- هجرة الكفاءات والعقول إلى المركز.
- [3]- بنية تحتية وخدمات ضعيفة.
- [4]- تبعية ثقافية وسياسية للمركز.
- [5]- انخفاض مستويات الدخل والاستثمار.

يؤدي الهامش دور المورد للمواد الخام والعمالة الرخيصة، ويمثل سوقاً لتصريف منتجات منطقة المركز.

آلية عمل النظرية (الديناميكية):



العلاقة بين المركز والهامش ليست ثابتة، بل هي عملية ديناميكية ت، منها تتعزز ذاتياً، منها استنزاف الموارد مثل هجرة الكفاءات العلمية، وقد تكون هناك جوانب إيجابية مثل التدريب ونقل الأساليب المتطورة من المركز إلى الهوامش وفي الغالب المرسل من الهوامش أكثر بكثير مما تستقبله خصوصاً في المراحل الأولى مما يؤدي إلى الاتساع والتباين بين المركز والأطراف أو الهامش، ولعل هذا ما يحدث في كثير من الدول المتخلفة والنامية حيث تأخذ التنمية منحناً رأسياً يرتكز في أماكن معينة دون غيرها واهمال الدواخل ومناطق الأطراف، مما يسبب فجوة تنموية لها سلبياتها من هجرة للعقول في المناطق النائية وضغط سكاني على

يحدث على مشاكل تعيق قيام المدينة بوظائفها، ولعل الأسوأ في ذلك عندما تكون هذه المناطق حدودية لدول تعاني من الفقر مما يسبب بتغيرات ديموغرافية تؤثر في الوجود الديموغرافي للدولة في مناطقها الحدودية.

الآليات التطبيقية المستنبطة من النظرية (الجسر بين النظرية والتطبيق):

لتطبيق نظرية فريدمان في معالجة التفاوت الإقليمي، تظهر مجموعة من الآليات التخطيطية التي يؤدي العمل بها إلى تعزيز الجانب الإيجابي في علاقة المركز والهامش.

[1]- سياسات نقل الاستثمار: بهدف عكس اتجاه تدفق رأس المال من الهامش إلى المركز، وذلك بإقامة مناطق تنموية خاصة في الأطراف، مع تقديم حزمة من الحوافز مثل: تقديم أراضي بأسعار رمزية، ودعم تكاليف البنية التحتية، والعمل على منح قروض ميسرة للمستثمرين.

[2]- سياسات تطوير البنية التحتية: والهدف من هذه السياسة تقليل تكلفة النقل بين المركز والهامش وجعل الهامش أكثر جاذبية للاستثمار. ويمكن تطبيق ذلك من خلال الاستثمار الموجه من الحكومة في شبكات النقل والطاقة والمياه، وكذلك في مجال الاتصالات.

[3]- سياسات تعزيز الاستقلالية الإقليمية: وذلك من خلال تمكين الأقاليم الهامشية من اتخاذ قراراتها التنموية بدلاً من انتظار التوجيه من المركز، فمن خلال تطبيق نظام اللامركزية، وإنشاء الإدارات المحلية القوية والمستقلة إدارياً ومالياً المالكة للموارد والصلاحيات اللازمة لإحداث تنمية مستدامة لحيزها المكاني.

[4]- سياسات تنمية الموارد البشرية: تعمل هذه السياسة على وقف هجرة العقول والاحتفاظ بالكفاءات في المناطق الهامشية، والأمر يحتاج لإقامة مراكز تدريب مهني متطورة في مناطق الهامش، وأن يرتبط برنامج هذه المراكز المهنية أو حتى الجامعات بفرص عمل حقيقية بمناطق الأطراف (الهوامش)، كما أن الأمر يحتاج لوضع سياسات تدعم فرص الاستقرار والتوطن مثل توفير الخدمات المختلفة، مما يساهم إضافة لاستقرار السكان المحليين لحدوث هجرة عكسية من المركز (المدن) إلى الهوامش (الأرياف).

تظل نظرية فريدمان أداة تحليلية قوية لا غنى عنها في تقدم التبرير النظري الأقوى لضرورة تدخل الدولة لتحقيق العدالة المكانية، فالآليات التطبيقية للتنمية المكانية هي في جوهرها أدوات عملية مصممة لكسر نموذج المركز والهامش الذي وصفه فريدمان، وتحويل العلاقة من علاقة تبعية إلى علاقة تكامل.

النظرية المؤسسية في التنمية المكانية

تقوم فكرة هذه النظرية على مبدأ أن التنمية ليست رهناً بالموارد المادية والإمكانات التقنية فحسب، بل أن جودة العملية التنموية ونجاحها يعتمد بشكل أساسي على الأطر المؤسسية والاجتماعية، وعلى هذا فإن هذه النظرية تقدم الأسباب وراء نجاح أو فشل الآليات الموضوعة لتقليص الفوارق بين المناطق والأقاليم بناءً على جودة عمل الإدارات المؤسسية والاجتماعية التي تشرف على عملية التنمية المكانية.

الآليات التطبيقية المستنبطة من النظرية المؤسسية:

[1]- الحوكمة متعددة المستويات واللامركزية: فمن خلال إنشاء مجالس تنموية إقليمية ومحلية تمتلك صلاحيات التخطيط والموازنة، بحيث يجعل عملية صنع القرار أقرب إلى احتياجات السكان المحليين.

[2]- المشاركة المجتمعية وبناء الشراكات: من خلال العمل على المشاركة المجتمعية في تحديد أولويات المشاريع، وتشجيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص في تنفيذ مشاريع البنية التحتية.

[3]- الشفافية والمساءلة: الحرص على وجود أنظمة للرصد والمتابعة وتقييم المشاريع التنموية، وتقديم بيانات دورية عن الميزانيات بشكل علني لضمان الاستخدام الفعال للموارد ومكافحة الفساد.

[4]- التنسيق بين المؤسسات: التنسيق يخلق فرصة للتكامل، فمن خلال تشكيل لجان مشتركة بين مختلف الجهات المناط بها العمل التنموي، سيشكل ضمان لسير عملية تخطيط التنمية المكانية بالشكل الذي يحقق الأهداف التنموية المنشودة.

إن تركيز النظرية المؤسسية على إنتاج وتصميم الآليات الفاعلة لتطبيق التنمية المكانية، وكذلك تحسين نظام الحوكمة يقدم الأطر المناسبة لنقل برامج التنمية وسياساتها من الجانب النظري الصرف إلى إجراءات واليات قابلة للتنفيذ والاستدامة على الأرض.

نظرية أقطاب النمو

تُنسب هذه النظرية بشكل أساسي إلى الاقتصادي الفرنسي فرانسوا بيرو في خمسينيات القرن العشرين، مع تطورات لاحقة مهمة من قبل الجغرافي جاك بوفيه الذي نقل المفهوم من الفضاء الاقتصادي المجرد إلى الفضاء الجغرافي الملموس. تفترض هذه النظرية أن النمو الاقتصادي لا يظهر في كل مكان وفي نفس الوقت، بل يتركز في نقاط أو أقطاب محددة ذات ديناميكية عالية، ثم ينتشر منها لاحقاً إلى المناطق المحيطة عبر قنوات مختلفة، هذه الأقطاب هي عادةً صناعات رائدة أو مجمعات صناعية أو مدن كبرى تمتلك تأثيراً قوياً. وتشكل أقطاب النمو استراتيجية عملية لكسر ثنائية المركز والهامش، وذلك بخلق مراكز تنمية جديدة في الأطراف ذات فاعلية، وتمثل هذه النظرية تطبيقاً عملياً ملموساً لآليات تنمية مثل تركيز الاستثمار، والتخطيط للإقليم، وتنمية البنية التحتية في مواقع استراتيجية.

الآليات التطبيقية المستنبطة من النظرية:

- [1]- تحديد واختيار الصناعات الرائدة (10): وذلك بإجراء دراسات الجدوى لتحديد المناطق ذات الإمكانيات الأعلى لقيادة التنمية في إقليم معين مثل الصناعات التكنولوجية أو السياحة المتخصصة، أو الصناعات التحويلية.
- [2]- التخطيط لخلق مجمعات صناعية أو تكنولوجية متكاملة (11): إنشاء "مدن صناعية، أو واحات تكنولوجية، أو مناطق اقتصادية خاصة مجهزة ببنية تحتية متطورة وحوافز استثمارية لجذب الصناعات الرائدة والشركات المساندة.
- [3]- تعزيز تأثيرات الانتشار والروابط الإقليمية (12): بتطوير شبكات النقل والمواصلات لربط القطب بالمناطق المحيطة، وتطوير الموردين المحليين، واستثمار جزء من عوائد القطب في تحسين الخدمات الاجتماعية والتعليمية في المنطقة المحيطة.

إن نظرية أقطاب النمو النموذج التطبيقي الحي الذي يختبر فعالية الإطارين النظريين السابقين. فنجاح "قطب النمو" في تحقيق تنمية إقليمية حقيقية ومتوازنة مرهون بفهم علاقات القوة المكانية (نظرية المركز والهامش) من ناحية، ووجود نظام مؤسسي وحوكمة رشيدة (النظرية المؤسسية) لضمان عدالة توزيع منافعه وإدارته بكفاءة من ناحية أخرى، بهذا تكتمل الدائرة: من التشخيص، إلى تصميم آلية الحوكمة، وصولاً إلى الأداة التطبيقية الملموسة.

المبحث الثاني: الآليات التطبيقية للتنمية المكانية:

يأتي هذا المبحث ليجسد الإطار النظري في أدوات عملية قابلة للتطبيق، إذ يمثل الانتقال من مرحلة التشخيص إلى مرحلة المعالجة، ويركز على ثلاثة محاور رئيسية تشكل في مجموعها المنهجية التكاملية للتنمية المكانية، وهي: أدوات التحليل المكاني المتقدم، وآليات المشاركة المجتمعية الفاعلة، وأطر التكامل بين المستويات التخطيطية، وتسهم هذه الآليات مجتمعة في تحويل المبادئ النظرية إلى خطط تنفيذية ومشاريع ميدانية تحقق التنمية المتوازنة.

¹⁰ – Perroux, François. 1955. "Note sur la notion de 'pôle de croissance'." Économie Appliquée 8 (1-2): 307-320

¹¹ – Porter, M. E. (1998). Clusters and the New Economics of Competition. Harvard Business Review, 76(6), 77-90.

¹² – Hansen, N. (1990). Economic Development and Regional Growth in Developing Countries. Economic Development Quarterly, 4(1), 36-44.

أولاً: أدوات التحليل المكاني نظم المعلومات الجغرافية: (GIS)

تمثل نظم المعلومات الجغرافية العمود الفقري للتحليل المكاني الحديث، حيث تعرف على أنها منصات تقنية متكاملة لجمع، تخزين، معالجة، تحليل، وعرض البيانات المكانية والوصفية، وقد تحولت من مجرد أدوات رسم خرائط إلى منصات حيوية لدعم اتخاذ القرار في التخطيط التنموي.

إن نظم المعلومات الجغرافية يمكن أن تسهم بشكل فعال في العملية التنموية للحيز الجغرافي، فهي وسيلة لدراسة أنماط التوزيع المكاني للظواهر الجغرافية البشرية منها والطبيعية، ولها القدرة على التحليل من خلال مجموعة الأدوات المتوفرة لقياس درجات الترابط والتباين، وكذلك تقديم العديد من البدائل التنموية وتقييم المشاريع والمتابعة الدقيقة للعمليات التنموية.

إن برمجيات أنظمة المعلومات الجغرافية لها مزايا كبيرة على المستوى التنموي نذكر منها:

[1]- يتيح الجانب التطبيقي التنفيذي العملي لنظم المعلومات الجغرافية رسم الخطط المستقبلية المتعلقة بالتخطيط والتنمية.

[2]- إعطاء فرصة كبيرة وإمكانات هائلة لعمليات التنبؤ بسير الظواهرات الجغرافية وبأنماطها المكانية.

[3]- تؤدي أنظمة المعلومات الجغرافية إلى التحول من المنهجية النظرية إلى المنهجية التطبيقية للجغرافية وترتبط أكثر بالتقنيات الحديثة.

[4]- تساعد أنظمة المعلومات الجغرافية على فحص مدى واقعية ودقة وقوة بعض النظريات.

[5]- نظم المعلومات الجغرافية هي نظم تدعم القرارات، وتساعد في وضع الخطط المستقبلية لمشاريع التنمية من خلال تقديم تحاليل متقدمة لقواعد البيانات. (13)

ولتوضيح التطبيق العملي لنظم المعلومات الجغرافية، يمكن افتراض سيناريو تطبيقي في تخطيط استخدامات الأراضي بإحدى المدن الكبرى، حيث يتم استخدام GIS لتحليل ملائمة الأراضي للتوسع العمراني بدمج عدة طبقات معيارية تشمل:

1- الملاءمة الطبوغرافية (الميل والارتفاع)

2- توفر البنية التحتية (شبكات الطرق والخدمات)

3- الحساسية البيئية (المناطق المحمية والأراضي الزراعية)

4- الكلفة التنموية (قيمة الأراضي وتكاليف التجهيز)

يُنتج التحليل خريطة ملائمة توزع الأراضي حسب درجات الأفضلية، وهذا يساهم في: رفع كفاءة تخصيص الاستثمارات عبر تحديد المواقع الأمثل، وتعزيز الشفافية في عملية اتخاذ القرار، وتوفير قاعدة موضوعية للتخطيط التنموي، وتمكين المتابعة والتقييم للمشاريع المنفذة.

التقييم المكاني متعدد المعايير:

هو أداة تحليلية متقدمة تجمع بين التحليل المكاني واتخاذ القرار متعدد المعايير، وتعتمد هذه الأداة على تحويل الأهداف الاستراتيجية للتنمية المكانية إلى مجموعة من المعايير القابلة للقياس وتحديد الأولويات مما يُمكن المخططين من تقييم البدائل المكانية بشكل منهجي وموضوعي، ويتكون التقييم المكاني متعدد المعايير من المكونات التحليلية التالية:

[1]- المعايير:

¹³ - علي عبد عباس العزاوي (2009)، نظم المعلومات الجغرافية GIS أسس وتطبيقات، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ط1، 90-91.

تتوزع هذه المعايير على أربع فئات رئيسية تشمل: المعايير الاقتصادية مثل القيمة العقارية، الربحية المتوقعة، ثم المعايير الاقتصادية وتركز على متطلبات السكان مثل تكافؤ توزيع الخدمات، ثم الاعتبارات البيئية مثل خصوبة التربة، المصادر المائية، وأخيراً المعطيات التقنية (درجة الانحدار، التضاريس، الخصائص الجيولوجية).

[2]- أوزان المعايير:

يتم تحديد أوزان المعايير السابقة، بناءً على أهميتها النسبية من خلال آليات تحليلية متخصصة كالمقارنات والنمذجة الهرمية، ما يضمن مخرجات دقيقة تدعم عمليات التخطيط التنموي.

[3]- دوال التقييم:

وتعتمد على تحويل البيانات إلى قيم قياسية، وثانياً على توحيد وحدات القياس المختلفة.

الخطوات التشغيلية للتقييم المكاني متعدد المعايير:

المرحلة الأولى: بناء هيكل القرار:

[1]- تحديد الهدف الرئيسي (اختيار موقع لمدينة صناعية).

[2]- تحديد المعايير الفرعية المؤثرة.

[3]- تنظيم المعايير في هيكل هرمي.

المرحلة الثانية: جمع البيانات والمعالجة.

[1]- إنشاء طبقات نظم المعلومات الجغرافية للمعايير المختلفة.

[2]- توحيد وحدات القياس والقيم.

المرحلة الثالثة: الترجيح والتقييم

[1]- إسناد أوزان نسبية للمعايير.

[2]- تطبيق دوال التقييم المناسبة.

[3]- دمج الطبقات المُرَّجة.

المرحلة الرابعة: التحليل والحساسية.

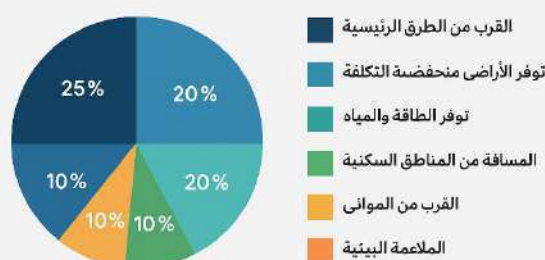
[1]- توليد خرائط الملاءمة النهائية.

[2]- اختبار حساسية النتائج لتغير الأوزان.

في سيناريو دراسة حالة يتضمن اختيار مواقع للمناطق الصناعية الجديدة، تم استخدام معايير مثل القرب من الطرق الرئيسية، وتوفير الأراضي منخفضة التكلفة، والمسافة من المناطق السكنية، وتوفير موارد الطاقة والمياه، والملاءمة البيئية، والقرب من الموانئ والمطارات، وتم ترجيح هذه المعايير بناءً على أولويات التنمية الصناعية، حيث حصل القرب من الطرق الرئيسية على أعلى وزن 25% (لدوره المحوري في خفض تكاليف النقل وربط المنطقة بأسواق

التصدير، وتقاسمت توفر الأراضي منخفضة التكلفة وتوفير الطاقة والمياه على الأهمية ذاتها (20% لكل منهما) لضمان الجدوى الاقتصادية للمشروع واستمرارية التشغيل، وتم ترجيح المسافة من المناطق السكنية بوزن متوسط (15%) لحماية المجتمعات من الآثار البيئية للصناعة، وتخصيص وزن متواضع للقرب من الموانئ (10%) لدعم الصناعات التصديرية، ووزن مماثل للملاءمة البيئية (10%) كشرط أساسي للاستدامة.

معايير اختيار مواقع المناطق الصناعية الجديدة



التحليل الكمي للوظائف الحضرية:

يُعد التحليل الكمي للوظائف الحضرية أداة تحليلية حيوية تقيس كفاءة وأداء النظم الحضرية من خلال مؤشرات رقمية دقيقة، وتمثل هذه الأداة الجسر بين البيانات الوصفية والقرار التخطيطي، حيث تحول الخصائص النوعية إلى مقاييس كمية قابلة للمقارنة والتحليل، ويتكون التحليل الكمي للوظائف الحضرية مما يلي:

[1]- مؤشرات أداء حضرية:

تُعد مؤشرات الأداء الحضري أداة لقياس وتقييم كفاءة النظم العمرانية، حيث تشمل كفاءة استخدام الأراضي المتمثلة في تحليل الكثافات السكانية والعمرانية، وعدالة التوزيع الخدمي التي تقاس بنصيب الفرد من الخدمات الأساسية، بالإضافة إلى التكامل الوظيفي الذي يعكس درجة التنوع والترابط بين الاستخدامات المختلفة، تُسهم هذه المؤشرات مجتمعة في تقديم صورة شاملة عن أداء المدينة، وتُشكل أساساً موضوعياً لاتخاذ القرارات التخطيطية الرشيدة

[2]- مقاييس الكفاءة المكانية:

تُشكل مقاييس الكفاءة المكانية إطاراً تحليلياً يُستخدم لقياس فاعلية الأداء الحضري، حيث تشمل مؤشرات إمكانية الوصول للخدمات التي تقيس سهولة وصول السكان إلى المرافق المختلفة، ومقاييس التوازن الوظيفي التي تُقيّم مدى تناسب المساحات المخصصة للاستخدامات مع الاحتياجات الفعلية للمجتمع، بالإضافة إلى معدلات الاستفادة التي تحدد درجة استخدام المرافق والخدمات المتاحة، تُسهم هذه المقاييس مجتمعة في تقديم تشخيص دقيق للكفاءة المكانية، وتُعد أساساً لتحسين توزيع الخدمات ورفع كفاءة استخدام الموارد الحضرية.

الآليات التطبيقية للتحليل الكمي للوظائف الحضرية:**[1]- بناء قاعدة المؤشرات:**

1. تحديد المؤشرات الكمية ذات الصلة بموضوع الدراسة.
2. وضع أطر قياسية للمقارنة (معايير مرجعية).
3. تصميم نماذج جمع البيانات الميدانية

[2]- التحليل الكمي.

1. تطبيق أساليب الإحصاء المكاني.
2. قياس درجة الترابط بين المتغيرات.
3. تحليل الاتجاهات والتغيرات الزمنية

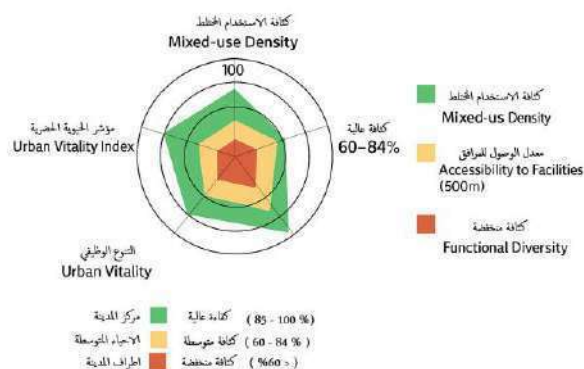
[3]- التفسير والتطبيق.

1. ربط النتائج الكمية بقرارات التخطيط.
2. تحديد أولويات التدخل.
3. وضع معايير أداء قابلة للقياس

دراسة حالة لتحليل الكفاءة الوظيفية لمركز المدينة تشمل المؤشرات التالية:

- كثافة الاستخدام المختلط (نسبة المساحات التجارية/سكنية/خدمية)
- معدل الوصول للمرافق (500 متر)
- درجة التنوع الوظيفي (عدد الوظائف المختلفة في المنطقة)
- مؤشر الحيوية الحضرية (حركة المرور والأنشطة الاقتصادية)

النتائج الكمية :

تحليل الكفاءة الوظيفية لمركز المدينة
Functional Efficiency Analysis of the City Center

- مناطق عالية الكفاءة (85-100%) - مركز المدينة
- مناطق متوسطة الكفاءة (60-84%) - الأحياء المحيطة
- مناطق منخفضة الكفاءة (أقل من 60%) - الأطراف

التكامل مع الأدوات الأخرى يشمل:

مع نظم المعلومات الجغرافية:

- [1]- تحويل البيانات المكانية إلى مؤشرات رقمية
- [2]- تمثيل النتائج على الخرائط الموضوعية مع التقييم متعدد المعايير:

[1]- توفير بيانات كمية للترجيح

[2]- دعم عملية اتخاذ القرار بمؤشرات دقيقة

المخرجات التخطيطية تشمل:

أولاً: تحديد أولويات التنمية:

- [1]- مناطق تحتاج تدخلاً عاجلاً (كفاءة أقل من 50%)
- [2]- مناطق تحتاج تحسيناً (كفاءة 50-75%)
- [3]- مناطق نموذجية (كفاءة أعلى من 75%)

ثانياً: دعم قرارات التخطيط:

- [1]- توجيه الاستثمارات للمناطق الأكثر احتياجاً
- [2]- تحسين توزيع الخدمات والمرافق
- [3]- رفع كفاءة استخدام الموارد الحضرية

ثانياً: آليات المشاركة المجتمعية:

في ظل تطور مفاهيم الحوكمة والشفافية، أصبحت المشاركة المجتمعية ركيزة أساسية لنجاح خطط التنمية المحلية. لم تعد هذه المشاركة ترفاً، بل ضرورة لضمان قبول المجتمع للمشاريع واستدامتها، ويمكن تصنيفها إلى الأشكال الرئيسية التالية:

- [1]- المشاركة الاستشارية: هي أبسط أشكال المشاركة، حيث يتم استطلاع آراء أفراد المجتمع واستقبال مقترحاتهم بشأن قضية أو مشروع تموي معين بهدف الحصول على معلومات ورؤى من المجتمع لتحسين جودة المشروع وقبوله، دون منحهم سلطة اتخاذ القرار النهائي.

- [2]- المشاركة التشاركية: هي صورة أكثر تطوراً، حيث ينتقل المجتمع من مجرد مستشار إلى شريك فاعل في عملية صنع القرار ذاتها، لتمكين المجتمع وبناء شعور بالملكية تجاه المشاريع، مما يضمن استدامتها على المدى الطويل.

- [3]- المشاركة في التنفيذ: المساهمة في تنفيذ المشاريع. الوصف: هنا ينتقل المجتمع من مرحلة التخطيط واتخاذ القرار إلى مرحلة العمل الميداني والتنفيذ الفعلي للمشاريع، لأجل تخفيض تكاليف التنفيذ، وبناء قدرات المجتمع المحلي، وتعزيز الشعور بالإنجاز والمسؤولية الجماعية.

[4]- المشاركة في المتابعة: تمكين المجتمع من مراقبة وتقييم أداء المشروع بعد تنفيذه، ومتابعة جودة الخدمات المقدمة، والهدف ضمان استمرارية وفعالية المشروع، ومنع الفساد وإهدار الموارد، والمساءلة المجتمعية.

الآليات التشغيلية:

أولاً: حلقات النقاش وورش العمل:

- [1]- عقد جلسات حوارية مع أصحاب المصلحة
- [2]- تنظيم ورش تخطيط تشاركية
- [3]- إجراء مقابلات معمقة مع الخبراء المحليين

ثانياً: المنصات الرقمية:

[1]- تطبيقات المشاركة المجتمعية

- [2]- خرائط الويب التفاعلية: هي منصات رقمية تعرض الخرائط وتتيح للمستخدمين التفاعل معها، غالباً لإضافة معلومات أو تعديلها، أو استعراض بيانات محددة تتعلق بالتنمية المحلية والمشاركة المجتمعية.
- [3]- استطلاعات الرأي الإلكترونية

ثالثاً: اللجان المجتمعية:

- [1]- تشكيل لجان محلية تمثل المجتمع
- [2]- إشراك القيادات المجتمعية في التخطيط
- [3]- تفويض صلاحيات للمجالس المحلية

ثالثاً: اليات التكامل بين المستويات التخطيطية

يمثل التكامل بين المستويات التخطيطية المختلفة التحدي الأكبر في تنفيذ استراتيجيات التنمية المكانية. يضمن هذا التكامل اتساق السياسات وتكامل الأدوار وتجنب ازدواجية الجهود.

أولاً: آليات الربط بين التخطيط الوطني والإقليمي والمحلي

[1]- التسلسل الهرمي للتخطيط

- من الأعلى إلى الأسفل: ضمان اتساق الخطط المحلية مع الأهداف الوطنية
- من الأسفل إلى الأعلى: رفع الاحتياجات المحلية إلى مستوى التخطيط الوطني
- التخطيط التكاملية: الجمع بين النهجين في عملية تخطيطية ديناميكية

[2]- لجان التنسيق المشتركة:

- اللجان الوطنية الإقليمية: لمتابعة تنفيذ الخطط الإقليمية
- اللجان الإقليمية المحلية: لتنسيق المشاريع على مستوى المحافظات
- اللجان المحلية المجتمعية: لضمان مشاركة المجتمع في التخطيط

[3]- أنظمة المتابعة والتقييم الموحدة:

- مؤشرات أداء موحدة لجميع المستويات.
- منصات إلكترونية لمتابعة تقدم التنفيذ.
- تقارير دورية عن مدى تحقيق الأهداف.

ثانياً: آليات تكامل الخطط المكانية مع خطط التنمية الاقتصادية

[1]- التخطيط المتزامن:

- دمج البعد المكاني في خطط التنمية الاقتصادية منذ مراحلها الأولى
- مراعاة الجدوى الاقتصادية عند إعداد الخطط المكانية
- تزامن دورات التخطيط للجانبين المكاني والاقتصادي

[2]- حزم التمويل المتكاملة:

- موازنات مخصصة للمشاريع ذات البعد المكاني-الاقتصادي
- صناديق تنمية متكاملة تدعم المشاريع المشتركة
- حوكمة مالية موحدة لإدارة الموارد المشتركة

[3]- مؤشرات الأداء المتكاملة:

- مؤشرات اقتصادية-مكانية مثل: الكثافة الاستثمارية لكل منطقة
- مقاييس الكفاءة مثل: تكلفة تقديم الخدمات لكل فرد
- مؤشرات الأثر مثل: تأثير المشاريع على النمو الاقتصادي الإقليمي

الخاتمة:

تمكننا هذه الورقة البحثية من تحقيق هدفها الرئيسي في تحليل الأسس النظرية للتنمية المكانية وتقديم إطار تطبيقي متكامل لها، وقد أكدت الدراسة أن الانتقال من المفهوم النظري إلى التطبيق الجغرافي الفعال يتطلب تبني رؤية تكاملية تجمع بين الأسس النظرية المتينة والآليات التطبيقية العملية، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات كما يلي:

أولاً: النتائج:

- [1]- لا تزال النظريات الكلاسيكية تحتفظ بأهميتها في فهم التفاوتات المكانية بين المناطق المختلفة.
- [2]- تبرز الحتمية بدمج النظريات الحديثة التي تركز على الأبعاد المؤسسية والمجتمعية.
- [3]- تمثل أدوات التحليل المكاني العمود الفقري لتحويل البيانات إلى قرارات تحول الرؤية التنموية إلى واقع ملموس.
- [4]- تضمن المشاركة المجتمعية قبول الخطط واستدامة نتائجها.
- [5]- التكامل بين مستويات التخطيط يمنع التكرار ويحقق التماسك.
- [6]- تشكل المعوقات المؤسسية والتقنية تحدياً أكبر من ندرة الموارد المالية.
- [7]- تظهر الحاجة الملحة لبناء قدرات مؤسسية متخصصة في التنمية المكانية وآليات تطبيقها.
- [8]- يتوقف نجاح التنمية المكانية على تكامل الأدوات التقنية والآليات المجتمعية.
- [9]- يتطلب تحقيق التنمية المتوازنة الإدماج الشامل لكافة أجزاء الإقليم.
- [10]- يستلزم الانتقال من التنظير إلى التطبيق تبني رؤية متكاملة تجمع بين المعرفة النظرية والأدوات التطبيقية والتكامل المؤسسي، لتحويل المفاهيم المجردة إلى مشاريع تنموية قابلة للتنفيذ على أرض الواقع، مما يضمن تحقيق تنمية مكانية متوازنة وفعالة.
- [11]- أبرزت الدراسة أهمية الربط بين المناهج التحليلية الوصفية والكمية في الدراسات الجغرافية التطبيقية.
- [12]- بينت الدراسة إمكانية ردم الفجوة بين النظرية والتطبيق من خلال ربط النظريات الكلاسيكية بآليات التطبيق المعاصرة.

[13]- أن تكامل المقاييس المكانية المتعددة (المحلية، الإقليمية، الوطنية) في التحليل الجغرافي يمكن أن يساهم في تحقيق تنمية مكانية شاملة ومتكاملة.

توصيات الدراسة:

- [1]- إنشاء إطار تكاملي يربط النظريات الكلاسيكية والمعاصرة بآليات التطبيق العملي في تخطيط التنمية المكانية.
- [2]- تعزيز القدرات المؤسسية من خلال إنشاء وحدات متخصصة في التحليل المكاني وتطوير آليات التخطيط التشاركي.
- [3]- الاستفادة من أدوات التحليل المكاني المتقدمة مثل نظم المعلومات الجغرافية والتقييم متعدد المعايير لدعم اتخاذ القرار.
- [4]- تفعيل المشاركة المجتمعية عبر المنصات الرقمية واللجان المحلية لضمان قبول الخطط واستدامتها.
- [5]- ربط مستويات التخطيط (المحلي والإقليمي والوطني) لمنع الازدواجية وتحقيق التكامل في سياسات التنمية.
- [6]- تطوير مؤشرات كمية لقياس العدالة المكانية وكفاءة توزيع الخدمات بين المناطق.
- [7]- تعزيز التكامل بين السياسات القطاعية لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وبيئية متوازنة.
- [8]- إنشاء أنظمة للرصد والتقييم قائمة على التحليل المكاني لمتابعة تنفيذ المشاريع وتقييم أثرها.
- [9]- تبني إستراتيجية عملية لإحياء النظريات الكلاسيكية ولا سيما نظرية المركز المكاني وتحويلها إلى أدوات تخطيطية فاعلة، وذلك من خلال دمجها في منظومة تطبيقية متكاملة تعتمد على الآليات المعاصرة، مثل أدوات التحليل الكمي المتقدم، ونظم المعلومات الجغرافية (GIS)، وأطر الحوكمة التشاركية، بهدف نقل هذه النظريات من حيز التنظير المجرد إلى حيز التطبيق العملي في صياغة السياسات وتنفيذ المشاريع التنموية على أرض الواقع.

قائمة المراجع:

1. جهان مصطفى منصور. (2025). التخطيط الإقليمي بين النظرية والتطبيق. مجلة كلية الآداب - جامعة مصراتة، العدد (6)، يونيو.
2. مصطفى جليل إبراهيم. (بدون سنة). التخطيط الإقليمي بين النظرية والتطبيق. جامعة بغداد، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي. دراسة منشورة عبر الإنترنت.
3. هبة كردوش، وعبد القادر حريري. (2020). التنمية المكانية: استراتيجيات وآليات التطبيق. مجلة بحوث جامعة حلب - سلسلة الهندسة المدنية والمعمارية والبيئية، العدد (32)، ص 1-22.
4. علي عبد عباس العزاوي. (2009). نظم المعلومات الجغرافية: GIS أسس وتطبيقات. دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص 90-91.
5. Liu, P., & Biljecki, F. (2022). A review of spatially-explicit GeoAI applications in Urban Geography. *International Journal of Applied Earth Observation and Geoinformation*, 112, 102936.
6. Spaliviero, M., Boerboom, L., Gibert, M., Spaliviero, G., & Bajaj, M. (2019). The Spatial Development Framework to facilitate urban management in countries with weak planning systems. *International Planning Studies*, 24(3-4), 235-254.
7. World Bank. (2009). *World Development Report 2009: Reshaping Economic*

- Geography*. Washington, DC: The World Bank.
8. OECD. (2017). *Effective Spatial Governance Handbook*. Paris: OECD Publishing, p. 23.
 9. UN-Habitat. (2015). *International Guidelines on Urban and Territorial Planning*. Nairobi: United Nations Human Settlements Programme, pp. 8–14.
 10. Perroux, F. (1955). *Note sur la notion de "pôle de croissance"*. *Économie Appliquée*, 8(1–2), 307–320.
 11. Porter, M. E. (1998). *Clusters and the New Economics of Competition*. *Harvard Business Review*, 76(6), 77–90.
 12. Hansen, N. (1990). *Economic Development and Regional Growth in Developing Countries*. *Economic Development Quarterly*, 4(1), 36–44.

عنوان البحث

تحليل محتوى الأنشطة والتقييمات في المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية للمستوى المبتدئ (A1-A2) في ضوء مهارات التفكير العليا، وفق الإطار المرجعي الأوروبي ومستوياته اللغوية الأربعة

أماني أبو زرقعة¹، أ.د. معزوز علاونه²

¹ كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

بريد الكتروني: amaniabozarka4@gmail.com

² جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/32>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/32>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني لمستوى A1- A2 وفق الإطار المرجعي الأوروبي، مع التركيز على مهارات التفكير العليا وأبعاد اللغة الأربعة: الاستقبال، الإنتاج، التفاعل، والوساطة. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي واستخدم تحليل المحتوى كأداة رئيسة لجمع البيانات، تم إعدادها بالاستناد إلى الإطار المرجعي الأوروبي لتحديد الأبعاد اللغوية الأربعة (الاستقبال، الإنتاج، التفاعل، الوساطة)، وإلى تصنيف مهارات التفكير العليا (التحليل، التقييم، الإبداع) وفق تصنيف بلوم المعدل. أظهرت النتائج أن المقرر يركز بشكل كبير على تعزيز مهارات التحليل والفهم، بينما يلاحظ محدودية في تنمية مهارات التقييم والابتكار. كما تبين أن فعالية الأنشطة تختلف حسب البعد اللغوي، حيث تميل بعض الأنشطة إلى دعم الإنتاج والتفاعل أكثر من الوساطة والاستقبال. تشير هذه النتائج إلى أهمية إعادة تصميم المقررات والأنشطة الإلكترونية لتعزيز التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلاب، وتحقيق توافق أكبر بين محتوى المقرر ومتطلبات الإطار المرجعي الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: مستوى A2-A2 - الإطار المرجعي الأوروبي - مهارات التفكير العليا - المحتوى الإلكتروني للمقرر الجامعي.

RESEARCH TITLE

Content Analysis of Activities and Assessments in the Electronic University English Course for the Beginner Level (A1–A2) in Light of Higher-Order Thinking Skills According to the Common European Framework of Reference and Its Four Language Levels

Abstract

This study aims to analyze the content of the A2 level university online course according to the CEFR framework, focusing on higher-order thinking skills across the four linguistic dimensions: reception, production, interaction, and mediation. The research employed content analysis to examine course units and related activities, categorizing them according to analysis, evaluation, and creativity skills. Findings revealed that the course primarily emphasizes analytical and comprehension skills, while evaluation and creativity skills are less promoted. Furthermore, the effectiveness of activities varied across linguistic dimensions, with some activities supporting production and interaction more than reception and mediation. These results highlight the need to redesign online content and activities to better foster students' critical and creative thinking skills, enhance engagement across all language dimensions, and ensure alignment with the CEFR standards. Such improvements can contribute to a more balanced development of linguistic and cognitive skills, preparing students to achieve academic success and higher competence in language learning.

Key Words: A1-A2 levels – CEFR – Higher-order thinking skills – University online course content.

في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها التعليم العالي عالميًا، أصبحت الكفاءة في اللغة الإنجليزية مطلبًا أساسيًا في معظم التخصصات الجامعية، نظرًا لدورها المحوري في الوصول إلى المعرفة، والمشاركة الفاعلة في سوق العمل، والتفاعل مع المجتمعات الأكاديمية متعددة اللغات. ومع التوجه العالمي نحو اعتماد أطر ومعايير موحدة لتعليم وتقييم الكفاءة اللغوية، فقد برز الإطار الأوروبي المرجعي الموحد للغات كأحد أهم الأدوات التي تعتمد عليها المؤسسات الأكاديمية في تصنيف وتوظيف مستويات اللغة وتنظيم عمليات التدريس والتقييم. (Council of Europe, 2020).

يوفر الإطار المرجعي الموحد للغات توصيفًا دقيقًا للمستويات اللغوية، بدءًا من مستوى A1 وحتى C2، ويُعنى بتطوير المهارات الأربع: الاستماع، التحدث، القراءة، والكتابة، من خلال أنشطة تواصلية تشمل: الاستقبال (Reception)، الإنتاج (Production)، التفاعل (Interaction)، والوساطة (Mediation). وقد أصبح استخدام هذا الإطار شائعًا في تصميم المناهج الجامعية، خاصة في البرامج التي تُدرّس الإنجليزية لغة أجنبية أو لغة ثانية (Council of Europe, 2020).

في السياق نفسه، شهدت العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بتنمية مهارات التفكير العليا (HOTS)، كالتحليل والتقييم والإبداع، استنادًا إلى تصنيف بلوم المعدّل. (Anderson & Krathwohl, 2001). وتُعَدُّ هذه المهارات من الركائز الأساسية التي يجب أن يعززها التعليم الجامعي، ليس فقط في التخصصات المعرفية، بل أيضًا ضمن مساقات تدريس اللغات، لتأهيل متعلمين مستقلين، ناقدين، ومبدعين قادرين على التعامل مع النصوص والمواد المعقدة.

ورغم أن الإطار الأوروبي المرجعي الموحد للغات يُمثل إطارًا غنيًا يُمكن من خلاله دمج المهارات اللغوية والتفكير المعرفي، إلا أن تطبيقه في السياقات الجامعية خاصة خارج أوروبا لا يزال في كثير من الأحيان يقتصر على الأبعاد اللغوية التقليدية، دون توظيف فعلي لمهارات التفكير العليا. وقد بيّنت بعض الدراسات وجود فجوة بين ما تنص عليه الأطر التعليمية وما يتم تنفيذه فعليًا في المناهج والتقييمات، مما يؤثر على جودة المخرجات التعليمية ويحدّ من فاعلية المناهج الجامعية في إعداد خريجين يمتلكون قدرات تحليلية وتعبيرية عالية (Johansson, 2020؛ Kedar & Joshi, 2024).

هذا أيضًا ينطبق على السياق داخل الخط الأخضر، وعلى الرغم من دمج الإطار الأوروبي المرجعي في بعض البرامج الأكاديمية، إلا أن مدى التزام المقررات الجامعية الإلكترونية في اللغة الإنجليزية، وخصوصًا في المستويات الأساسية A1-A2، بالأنشطة اللغوية التواصلية الأربعة من جهة، ومدى تضمينها لمهارات التفكير العليا من جهة أخرى، لا يزال غير واضح في ضوء قلة الدراسات التي تناولت هذا الجانب بعمق.

من هنا، تنبع أهمية هذه الدراسة التي تهدف إلى تحليل محتوى الأنشطة والتقييمات في المقرر الجامعي الإلكتروني لمستوى A1-A2، وذلك وفق الإطار الأوروبي المرجعي، وبالتركيز على مهارات التفكير العليا: التحليل، التقييم، والابتكار. وتسعى الدراسة إلى الكشف عن مدى تكامل البعدين اللغوي والمعرفي في المقررات الإلكترونية الجامعية، وتقديم توصيات علمية لتطوير المحتوى التعليمي بما يعزز تعليمًا جامعيًا شاملاً، متماشياً مع معايير الجودة العالمية ومهارات القرن الحادي والعشرين.

مشكلة الدراسة

يُعدّ الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات أحد أكثر الأطر استخدامًا عالميًا في تعليم وتقييم الكفاءة اللغوية، إذ يوفّر معايير واضحة لتطوير المناهج وتقييم الأداء اللغوي في جميع المهارات التواصلية. (Council of Europe, 2020). ومع ذلك، فإن تطبيقه في السياقات الجامعية لا يزال في كثير من الأحيان يركّز على تحقيق الكفاءة اللغوية الأساسية دون دمج فعال لمهارات التفكير العليا، التي تُعدّ من أهم مخرجات التعليم العالي.

تشير دراسات متعددة إلى أن المناهج القائمة على الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات قد تُهمل في بعض الأحيان الجوانب المعرفية الأعمق، خاصة مهارات التفكير العليا مثل التحليل والتقييم والابتكار، رغم أن هذه المهارات تُعدّ ضرورية لتأهيل الطلبة لمتطلبات الحياة الجامعية وسوق العمل (Johansson, 2020)، (Kedar & Joshi, 2024). كما يظهر في تصنيف بلوم المعدّل أن مهارات التفكير العليا تقع في المستويات العليا من المجال المعرفي، وتشمل التحليل، والتقييم، والابتكار، وهي جوهر عمليات التعلم المعمق (Anderson & Krathwohl, 2001).

في سياق داخل الخط الأخضر، ورغم اعتماد بعض الجامعات للإطار المرجعي الأوروبي في تصميم مقررات اللغة الإنجليزية، إلا أن هناك فجوة بحثية واضحة تتعلق بتحليل مدى توافق المقررات الجامعية الإلكترونية مع الأنشطة التواصلية الأربعة (Reception, Interaction, Production, Mediation) من جهة، ومدى تضمينها لمهارات التفكير العليا من جهة أخرى.

تتبع مشكلة الدراسة من الحاجة إلى تحليل محتوى الأنشطة والتقييمات في المقرر الجامعي الإلكتروني لمستوى A1-A2، بهدف الوقوف على مدى تضمينه لمهارات التفكير العليا وفق الإطار المرجعي الأوروبي. وترى الباحثة، بكونها محاضرة في هذا المستوى، أن المقرر يفتقر بدرجة ملحوظة إلى توظيف مهارات التفكير العليا ضمن أنشطته وتقييماته، مما يستدعي دراسة علمية منهجية للكشف عن هذا القصور وتحليل أبعاده التعليمية والتربوية بهدف:

1. التحقق من مدى توافقها مع الأنشطة اللغوية التواصلية وفق الإطار المرجعي الأوروبي للغات.

2. الوقوف على مدى دمج مهارات التفكير العليا (التحليل، التقييم، الابتكار) فيها.

وذلك في سبيل الكشف عن الفجوات المحتملة، وتقديم توصيات تدعم تطوير مقررات جامعية إلكترونية تدمج بين الكفاءة اللغوية والتفكير المعرفي العميق.

أسئلة الدراسة

تتخصر مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. إلى أي مدى يتوافق محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية ضمن مستوى A1-A2 مع الأنشطة اللغوية التواصلية الأربعة حسب الإطار المرجعي الأوروبي؟

2. ما مدى تضمين مهارة التحليل في الأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية ضمن مستوى A1-A2؟

3. ما مدى تضمين مهارة التقييم في الأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية ضمن مستوى A1-A2؟

4. ما مدى تضمين مهارة الابتكار في الأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية ضمن مستوى A1-A2؟

اهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. التعرف على مدى توافق محتوى الأنشطة والتقييمات في المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية لمستوى A1-A2 مع الأنشطة اللغوية التواصلية الأربعة وفق الإطار المرجعي الأوروبي.
2. التعرف على مدى تضمين مهارة التحليل كإحدى مهارات التفكير العليا في الأنشطة والتقييمات الموجودة في المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية لمستوى A1-A2 .
3. التعرف على مدى تضمين مهارة التقييم في الأنشطة والتقييمات ضمن المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية لمستوى A1-A2 .
4. التعرف على مدى تضمين مهارة الابتكار في الأنشطة والتقييمات في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية لمستوى A1- A2.

6. أهمية الدراسة

نبح أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات تربوية وعملية، من أبرزها:

الأهمية النظرية

أولاً الإسهام في سد الفجوة البحثية حيث تُعد هذه الدراسة من الدراسات القليلة في سياق داخل الخط الأخضر خاصة وعلى مستوى العالم العربي التي تربط بين الإطار المرجعي الأوروبي ومهارات التفكير العليا في تحليل محتوى المقررات الجامعية الإلكترونية للغة الإنجليزية، مما يسهم في إثراء الأدبيات التربوية في هذا المجال. ثانياً، تسعى الدراسة الى تعزيز التكامل بين المجالين اللغوي والمعرفي حيث تقدم إطاراً نظرياً يُبرز العلاقة بين الكفاءة اللغوية والمهارات الذهنية العليا، بما يعزز التوجهات المعاصرة في تعليم اللغة القائمة على التفكير الناقد والتحليلي، وليس فقط على اكتساب اللغة كأداة تواصل تقليدية. كما انها تسعى الى تطوير أدوات تحليل المناهج من خلال الاعتماد على أسس الإطار المرجعي الأوروبي من جهة، وتصنيف بلوم لمهارات التفكير من جهة أخرى، تقدم الدراسة نموذجاً مزدوجاً لتحليل محتوى المقررات الجامعية الإلكترونية يمكن الاستفادة منه في دراسات لاحقة داخل وخارج ميدان تعليم اللغة.

الأهمية التطبيقية

تُمكن نتائج الدراسة مصممي المناهج والمحتوى الرقمي من التعرف على جوانب القوة والقصور في تكامل المهارات اللغوية والتفكير العليا، مما يسهم في تحسين جودة المقررات الجامعية الإلكترونية. كما وتوفر للمدرسين رؤى عملية حول كيفية توظيف أنشطة وتقييمات تدمج بين الكفاءة اللغوية ومهارات التفكير العليا، بما يساعد على تصميم أنشطة أكثر تفاعلية وفعالية. كما وانه من خلال التركيز على التفكير التحليلي والتقييمي والإبداعي، تساعد الدراسة في إعداد طلبة أكثر قدرة على مواجهة متطلبات الحياة الجامعية وسوق العمل في القرن الحادي والعشرين. وأخيراً تقدم الدراسة مؤشرات يمكن أن يستند إليها المسؤولون عند وضع خطط لتطوير المناهج الجامعية الرقمية بما يتماشى مع معايير الجودة العالمية.

7. حدود الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على الحدود التالية:

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على تحليل محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية في المستوى الأساسي A1- A2 وذلك وفقاً لمعايير الإطار الأوروبي المرجعي الموحد للغات. وتركّز على الأنشطة والتقييمات الرقمية

الواردة في الموقع الإلكتروني للمقرر، بهدف التحقق من مدى اتساقها مع الأنشطة اللغوية التواصلية الأربعة (الاستقبال، الإنتاج، التفاعل، الوساطة)، بالإضافة إلى مدى تضمينها لمهارات التفكير العليا (التحليل، التقييم، والابتكار) وفق تصنيف بلوم المعدل. وسيتم اعتماد محتوى المقرر English Pre basic 2 المنشور عبر المنصة الجامعية الإلكترونية كعينة أساسية للتحليل.

الحدود المكانية: تجرى الدراسة ضمن إطار إحدى الجامعات في داخل الخط الأخضر، والتي تعتمد الإطار الأوروبي المرجعي الموحد في تصميم مقررات اللغة الإنجليزية الجامعية، بما يعكس واقع تطبيق هذا الإطار في سياق التعليم العالي المحلي.

الحدود الزمانية: تم تحليل محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني كما هو معتمد ومتوافر على المنصة التعليمية خلال العام الأكاديمي 2024-2025.

8. التعريفات الإجرائية

المستوى A1-A2

التعريف الاصطلاحي: يشير المستويان A1 و A2 إلى أول مستويين من ستة مستويات ضمن الإطار المرجعي الأوروبي (CEFR)، حيث يمثل "A1 مستوى المبتدئ" الذي يستطيع فيه المتعلم استخدام تعبيرات مألوفة وأساسية، بينما يشير A2 إلى "المستوى الابتدائي" الذي يسمح للمتعلمين بفهم واستخدام عبارات متكررة تتعلق باحتياجات يومية بسيطة (Council of Europe, 2001).

التعريف الإجرائي: يقصد بهما المستويين الأوليين من تصنيف الكفاءة اللغوية في اللغة الإنجليزية، وذلك وفق تقسيم الإطار المرجعي الأوروبي (CEFR)، كما يُتوقع من الطلبة تحقيقهما خلال مسيرتهم الجامعية حتى استكمال اللقب الأكاديمي.

الإطار المرجعي الأوروبي CEFR

التعريف الاصطلاحي: الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات (CEFR) هو معيار دولي يُستخدم لتصنيف مهارات اللغة لدى المتعلمين في ستة مستويات، ويغطي مهارات الفهم، التحدث، والكتابة، ويُستخدم كمرجع لتصميم المناهج التعليمية وتقييم الكفاءة اللغوية.

(Council of Europe, 2001; North, 2014).

التعريف الإجرائي: يقصد بـ CEFR في هذه الدراسة الأداة الإطارية التي تُستخدم لتحليل مدى اتساق الأنشطة والتقييمات في المقرر الإلكتروني الجامعي مع المهارات اللغوية التواصلية الأربع (الاستقبال، الإنتاج، التفاعل، الوساطة) ضمن مستويي A1-A2.

مهارات التفكير العليا (Higher-Order Thinking Skills – HOTS)

التعريف الاصطلاحي: مهارات التفكير العليا هي مهارات معرفية تتطلب استخدام عمليات عقلية معقدة تشمل التحليل، التقييم، وحل المشكلات والإبداع، وهي تقع في المستويات العليا من تصنيف بلوم المعدل. (Anderson & Krathwohl, 2001; Zohar & Dori, 2003).

التعريف الإجرائي: تشير مهارات التفكير العليا في هذه الدراسة إلى ثلاث مهارات محددة سيتم تحليلها داخل الأنشطة والتقييمات في الكتاب الجامعي، وهي: التحليل، التقييم، والإبداع، وذلك وفقاً لتصنيف بلوم المعدل.

المحتوى الإلكتروني للمقرر الجامعي

التعريف الاصطلاحي: جميع المواد التعليمية الرقمية المتاحة على منصة الجامعة الإلكترونية، بما في ذلك النصوص، الأنشطة التفاعلية، التمارين، الاختبارات الإلكترونية، والفيديوهات التعليمية.

التعريف الإجرائي: يُقصد به في هذه الدراسة جميع الوحدات والأنشطة والتقييمات التي يمكن الوصول إليها عبر الموقع الإلكتروني للمقرر English Pre Basic 2، والتي سيتم تحليلها للتحقق من توافقها مع CEFR ودمج مهارات التفكير العليا.

الإطار النظري والدراسات السابقة

الإطار النظري

في ظل التوجهات الحديثة في تعليم اللغات وموافقتها للمعايير العالمية، تزايد الاهتمام بدمج الكفاءات اللغوية والمهارات المعرفية العليا ضمن مناهج اللغة الأجنبية، سواء في الكتب المطبوعة أو في المنصات التعليمية الإلكترونية. وتتمحور هذه الدراسة حول ثلاثة مفاهيم رئيسية تُعد من المرتكزات النظرية المهمة: الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات، مستويات A1-A2، ومهارات التفكير العليا. ويعتمد الإطار النظري على تفسير هذه المفاهيم من خلال الأدبيات التربوية والدراسات السابقة ذات الصلة، مع التركيز على التعليم الإلكتروني ومحتويات المقررات الجامعية عبر الإنترنت.

يُعد الإطار الأوروبي المرجعي الموحد للغات أداة وصف معيارية دولية لتقييم الكفاءات اللغوية عبر ستة مستويات تبدأ بـ A1 وتنتهي بـ C2. ويحدد هذا الإطار ما يجب أن يكون المتعلم قادراً على أدائه في المهارات الأربع الأساسية: الاستماع، التحدث، القراءة، والكتابة. (Council of Europe, 2001). وقد أشار Joshi (2024) إلى أن الإطار الأوروبي المرجعي يمثل مرجعية قوية لتصميم المناهج والاختبارات التي تعكس مهاماً لغوية واقعية وتراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، سواء في التعليم الوجاهي أو عبر الإنترنت.

وتُقسّم الأنشطة اللغوية التواصلية ضمن الإطار الأوروبي المرجعي إلى أربعة أنواع رئيسية تُشكّل الأساس لتصنيف الكفاءة اللغوية، وهي: أنشطة الاستقبال (مثل الاستماع والقراءة)، أنشطة الإنتاج (مثل التحدث والكتابة)، أنشطة التفاعل (مثل المحادثة والتبادل الكتابي)، وأنشطة التوسط (مثل التلخيص أو الترجمة أو إعادة الصياغة). وتهدف هذه الأنشطة إلى تطوير قدرة المتعلم على استخدام اللغة بشكل فعال في مواقف حياتية حقيقية، مع التركيز على تحقيق المعنى والتواصل الفعال بدلاً من التركيز على البنية الشكلية للغة. ويؤكد مجلس أوروبا (Council of Europe, 2001) أن هذا التصنيف يعكس الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد فعلياً في البيئات متعددة اللغات والثقافات، مما يجعل من الإطار الأوروبي المرجعي إطاراً وظيفياً شاملاً لتخطيط التعلم وتعليمه وتقييمه. كما يساعد هذا التصنيف في تصميم مناهج دراسية تراعي التدرج في الكفاءة، خاصة في المستويين الأوليين A1-A2، واللذين يركّزان على تمكين المتعلمين من أداء مهام تواصلية بسيطة تتعلق بالمواقف اليومية.

تمثل مستويات A1-A2 الحد الأدنى من حيث الكفاءة في الإطار المرجعي الأوروبي، وهي مخصصة للمتعلمين المبتدئين. يعرف المستوى A1 بأنه يتيح للمتعمّل استخدام تعبيرات مألوفة وأساسية جداً، بينما يمكن لمتعمّل المستوى A2 فهم الجمل والتعبيرات المستخدمة بكثرة والمتعلقة باحتياجات مباشرة. (Council of Europe, 2001). وقد بيّن فيتر (2023) في دراسته حول تحليل محتوى تعلم اللغة أن تصنيف الأنشطة وفق مستويات الإطار الأوروبي المرجعي ساهم في الكشف عن مدى مواءمة المحتوى مع احتياجات المتعلمين. كما أظهرت دراسة كورتكوملار (2021) أن كثيراً من

المواد التعليمية تحتوي على مفردات أو أنشطة لا تتناسب بدقة مع متطلبات المستوى الأساسي، مما قد يؤثر على نجاعة التعلم التدريجي.

وفي الوقت ذاته، يبرز بعد آخر أكثر أهمية في التعليم الجامعي الحديث، وهو دمج مهارات التفكير العليا. وتشير هذه المهارات إلى العمليات العقلية المعقدة التي تشمل التحليل، والتقييم، والإبداع، وهي تشكل قمة تصنيف بلوم المعدل الذي قدمه أندرسون وكرازوول (Anderson & Krathwohl, 2001). وتُعتبر هذه المهارات أساسية لتطوير متعلم مستقل وقادر على التعامل مع المعلومات بعمق وفعالية. وقد أكدت دراسة (Johansson, 2020) أن تصميم الأنشطة والتقييمات في المقررات الإلكترونية لتعليم الإنجليزية كلفة أجنبية يجب أن يتجاوز التمارين التقليدية نحو استراتيجيات تُمكن الطلاب من ممارسة التحليل والنقد والإبداع. كما يتضح أن اختبارات اللغة التي تركز على مهارات التفكير العليا توفر تقييماً أكثر دقة للفهم الحقيقي لدى الطلاب، مقارنة بالاختبارات التقليدية التي تركز فقط على استذكار المعلومات (Heliyanti, 2020). وقد أشارت دراسة (Al Maawali, 2021) إلى أن المنهج العماني للغة الإنجليزية يُظهر ضعفاً في دمج مهارات التفكير العليا في الأنشطة والتقييمات، ما يؤدي إلى ضعف في مخرجات التعليم النقدي. وفي ذات السياق، وجد (Manalu & Harahap, 2025) أن أسئلة القراءة في الكتب المدرسية تفتقر إلى التنوع في مستويات التفكير، مما يُقلل من فاعلية تطوير قدرات التحليل والتقييم.

تشير الأدبيات الحديثة إلى أهمية التكامل بين الإطار الأوروبي المرجعي الموحد للغات (CEFR) ومهارات التفكير العليا (HOTS) في تصميم مناهج اللغة الأجنبية، لا سيما على المستويات المبتدئة A1-A2. إذ يوفر الإطار الأوروبي المرجعي الموحد إطاراً وظيفياً لتوصيف الكفاءة اللغوية من خلال أنشطة تواصلية متنوعة، بينما تمثل مهارات التفكير العليا مثل التحليل والتقييم والإبداع عاملاً محورياً في تطوير قدرة المتعلم على التعامل مع اللغة بعمق واستقلالية (Council of Europe, 2001). (Anderson & Krathwohl, 2001) وقد أكدت دراسات متعددة أن هذا التكامل يساهم في تحسين جودة التعلم والتقييم، خصوصاً في البيئات الرقمية، حيث يدفع المتعلم إلى تجاوز الاسترجاع السطحي للمعلومات نحو الفهم النقدي والتوظيف العملي للغة (Heliyanti, 2020)؛ (Joshi, 2024)؛ (Johansson, 2020). وتتبع أهمية هذا الدمج من نتائج دراسات كشفت عن فجوات في المواءمة بين المحتوى اللغوي والمستويات اللغوية الأربعة (Kurtçumlar, 2021)؛ (Fitria, 2023)، وايضاً ضعف في تضمين مهارات التفكير العليا داخل الأنشطة والتقييمات (Al Maawali, 2021)؛ (Manalu & Harahap, 2025).

التعليم الإلكتروني ومهارات التفكير العليا في تدريس اللغات

أدى التوسع في استخدام المنصات الرقمية والمقررات الإلكترونية إلى إحداث نقلة نوعية في تعليم اللغات الأجنبية، حيث لم تعد المناهج تقتصر على المحتوى المطبوع فقط، بل أصبحت البيئات الرقمية توفر فرصاً أكبر لتوظيف مهام تواصلية تفاعلية تعكس معايير الإطار المرجعي الأوروبي (CEFR). وفي هذا السياق، يشير (Johansson, 2020) إلى أن المقررات الإلكترونية لتعليم اللغة الإنجليزية كلفة أجنبية يمكن أن تكون بيئة فعالة لتعزيز مهارات التفكير العليا، على أن تُصمم أنشطتها وتقييماتها بطريقة تستثير قدرات التحليل والنقد والإبداع، وليس فقط التذكر أو الاسترجاع السطحي للمعلومات.

كما أن التعليم الإلكتروني يتيح أدوات تقييم متنوعة مثل المنتديات، المدونات، الاختبارات القصيرة، وأنشطة رقمية، والتي يمكن أن تساهم في الكشف عن مستويات التفكير العليا لدى الطلاب (Heliyanti, 2020). غير أن بعض الدراسات بيّنت أن غياب التخطيط الواعي لتضمين هذه المهارات في المنصات التعليمية يؤدي إلى ضعف في نواتج التعلم النقدي والإبداعي، مما يجعل الحاجة ملحة لتطوير محتوى إلكتروني يتكامل فيه البعدان: اللغوي والمعرفي (Al Maawali, 2021).

2021؛ (Manalu & Harahap, 2025).

بذلك، فإن دمج مستويات اللغة الأربعة حسب معايير الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات مع استراتيجيات التعليم الإلكتروني يُمثل توجهاً معاصراً يواكب متطلبات مهارات القرن الحادي والعشرين، ويعزز من جودة مخرجات تعليم اللغة على المستويات المبتدئة (A1-A2) وما بعدها. وعليه يُعد هذا الإطار النظري مدخلاً مهماً لفهم التوجهات التي سارت عليها الدراسات السابقة، والتي سيتم عرضها في الفقرات التالية.

الدراسات السابقة

مع التطور المتسارع نحو التعليم الإلكتروني، يكتسب تحليل محتوى المقررات الإلكترونية أهمية خاصة، إذ يوفر رؤية دقيقة حول مدى موافقة الأنشطة والتقييمات مع المعايير الأكاديمية العالمية وقدرتها على تطوير مهارات التفكير العليا لدى المتعلمين.

الدراسات العربية

أظهرت الدراسات العربية تكراراً في نتائجها حول ضعف دمج مهارات التفكير العليا في مناهج اللغة الإنجليزية الجامعية والمدرسية.

- هدفت دراسة الحربي (2021) إلى تحليل محتوى كتاب اللغة الإنجليزية للمرحلة الجامعية الأولى في السعودية، من حيث تضمينه لمهارات التفكير العليا وتوافقه مع مستويي A1-A2 وفق المستويات اللغوية للإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وشملت العينة الكتاب الجامعي الأساسي. أظهرت النتائج تركيزاً كبيراً على مهارات التذكر والفهم، مع غياب شبه كامل لمهارات التحليل والتقييم والإبداع، مما أبرز الحاجة لتضمين أنشطة تعليمية وتقييمية تدعم التفكير المععمق، ويمكن توسيع تطبيقها على المقررات الإلكترونية لتعزيز التفاعل الذكي مع المحتوى.
- العتيبي (2019) تناول مدى تضمين كتاب اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية في السعودية لمهارات التفكير العليا، باستخدام أداة تحليل المحتوى المبنية على تصنيف بلوم المعدل على كتاب الطالب والأنشطة. أظهرت النتائج أن المهارات العليا لم تُغط بشكل كافٍ، مع هيمنة مهارات التذكر والفهم على أغلب الأنشطة، ما يحذر من تطوير التفكير النقدي. تطبيق هذه النتائج على المقررات الإلكترونية يتطلب تصميم أنشطة تفاعلية تحفز التحليل والتقييم.
- الحمادي (2020) ركز على تحليل كتاب اللغة الإنجليزية للصف الثاني الثانوي في سلطنة عمان وفق مهارات التفكير العليا، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي على الكتاب كاملاً للفصلين الدراسيين. أظهرت النتائج نقصاً واضحاً في مهارات الإبداع وحل المشكلات، مع سيطرة المهارات الدنيا على الأنشطة. يُبرز هذا أهمية تصميم المقررات الإلكترونية بحيث تشمل تمارين متعددة المستويات لتعزيز التفكير النقدي والإبداعي.
- هدفت دراسة الفضلي (2017) إلى تحليل محتوى مقرر اللغة الإنجليزية للمرحلة المتوسطة في الكويت، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وأداة قائمة مهارات التفكير العليا المبنية على تصنيف بلوم المعدل. أظهرت النتائج أن المحتوى يركز على مهارات بسيطة، بينما كانت مهارات الإبداع وحل المشكلات غير ممثلة بوضوح، مما يشير إلى أن المقررات الإلكترونية تحتاج إلى أدوات تقييم تفاعلية لقياس مستويات التفكير العليا.

- أما دراسة عبد الغني (2018) تناولت تحليل كتاب اللغة الإنجليزية للصف الثالث الإعدادي في مصر وفق مهارات التفكير العليا، باستخدام المنهج التحليلي. أظهرت النتائج سيطرة أسئلة الحفظ والاسترجاع على الأنشطة، مع ضعف في تمثيل مهارات التحليل والتقييم، مما يحد من تطوير التفكير النقدي لدى الطلاب.

الدراسات الأجنبية

تركزت الدراسات الأجنبية على جوانب مشابهة، مع إضافة بعد السياق الإلكتروني والتقييم العملي:

- (Manalu & Harahap (2025) هدفت الدراسة إلى تحليل أسئلة القراءة في كتب اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية في إندونيسيا، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي على ثلاثة كتب مدرسية معتمدة وفق تصنيف بلوم المعدل. أظهرت النتائج هيمنة مهارات التفكير الدنيا مع نقص واضح في التحليل والتقييم والإبداع، وهو ما يسلط الضوء على أهمية تطوير أنشطة تفاعلية ضمن المقررات الإلكترونية لتعزيز هذه المهارات.
- (Joshi (2024) تناول مدى مواءمة اختبارات اللغة الإنجليزية للمستويات اللغوية الأربعة حسب الاطار المرجعي الأوروبي للغات في السياقات غير الأوروبية، باستخدام المنهج التحليلي الكيفي على اختبارات لغوية صادرة عن وزارات التعليم المختلفة. أظهرت النتائج قصوراً في الطابع التواصلية للمهارات اللغوية الأربع، مما يشير إلى ضرورة تصميم المقررات الإلكترونية بما يضمن توازناً بين المهارات المختلفة.
- (Fitria (2023) حلت كتاب تعليم اللغة الإندونيسية للناطقين بغيرها (BIPA) وفق مستويات اللغة الأربعة باستخدام المنهج التحليلي الوثائقي. بينت النتائج أن تصنيف الأنشطة وفق تلك المستويات ساعد في الكشف عن مدى ملائمة المحتوى لمستوى A1، لكنه كشف أيضاً عن فجوات في التوازن بين مهارات اللغة، ما يستدعي تصميم وحدات تفاعلية إلكترونية تعزز التعلم المتدرج.
- (Johansson (2020) ركزت على دور التفكير النقدي ضمن تعليم اللغة الإنجليزية الجامعي باستخدام المنهج الكمي من خلال استبانة على 120 طالباً. أظهرت النتائج أن دمج التفكير النقدي يعزز الفهم والتحليل ويزيد من استقلالية المتعلم، وهو ما يمكن تطبيقه عبر المقررات الإلكترونية من خلال أدوات تقييم تفاعلية ومحاكاة للمهام الواقعية.
- هذه الدراسة (Heliyanti (2020) سعت إلى قياس أثر تضمين مهارات التفكير العليا في اختبارات اللغة الإنجليزية باستخدام المنهج شبه التجريبي على مجموعتين من الطلاب، مع اختبار قبلي وبعدي. أظهرت النتائج أن الاختبارات التي اعتمدت على مهارات التفكير العليا رفعت مستوى الفهم العميق مقارنة بالاختبارات التقليدية، ما يؤكد أهمية إدراج أنشطة تحتوي على مهارات التفكير العليا ضمن المقررات الإلكترونية.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراسات السابقة

توافقت الدراسات العربية والأجنبية على ضعف تضمين مهارات التفكير العليا في المناهج التقليدية، مع هيمنة المهارات الدنيا كالذكر والفهم، وغياب مهارات التحليل والتقييم والإبداع (الحربي، 2021)؛ (العتيبي، 2019)؛ (Manalu & Harahap, 2025). كما أكدت الدراسات الأجنبية مثل (Johansson (2020) و (Heliyanti (2020) أهمية دمج التفكير النقدي لتحسين استقلالية المتعلم والفهم العميق، فيما لاحظت دراسات مثل (Fitria (2023) و (Joshi (2024) قصوراً في توازن المهارات وفق معايير الاطار المرجعي الأوروبي للغات، مما يعكس الحاجة إلى تحسين مواءمة المقررات الإلكترونية مع المستويات المرجعية.

رغم هذا الاتفاق، تختلف الدراسات من حيث الأهداف والمنهجيات والعينات المستخدمة؛ فقد ركزت بعض الدراسات العربية

على دمج مستويات الاطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات مع مهارات التفكير العليا (الحربي، 2021)، بينما اقتصرت دراسات أخرى على تحليل التفكير فقط (الفضلي، 2017). كما تنوعت المنهجيات بين الوصفي التحليلي في الدراسات العربية والمنهج شبه التجريبي أو الكمي في الدراسات الأجنبية (Heliyanti، 2020، Johansson، 2020). علاوة على ذلك، اختلفت السياقات بين تحليل الكتب المدرسية والمناهج المحلية، مقابل اختبارات اللغة أو تعليم اللغة كلفة ثانية في الدراسات الأجنبية (Fitria، 2023، Joshi، 2024).

استفادة وتميز الدراسة الحالية

استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في تحديد الفجوات المعرفية، خاصة فيما يتعلق بضعف تضمين مهارات التفكير العليا ضمن كتب ومقررات اللغة الإنجليزية، وغياب الربط المنهجي بين هذه المهارات والمستويات اللغوية الأربعة. كما استفادت من الأدوات والمنهجيات التي استخدمها الباحثون السابقون، مما سيساعد على بناء أداة تحليل شاملة تأخذ في الاعتبار كلاً من أبعاد التفكير ومستويات الكفاءة اللغوية.

وتتميز الدراسة الحالية بعدة جوانب، أولاً، تركيزها على المحتوى الجامعي الإلكتروني، وهو مستوى قلما تناولته الدراسات العربية، مما يضيف بعداً معاصراً يرتبط بالتحول الرقمي في التعليم. ثانياً، دمجها لبُعدين أساسيين لم يُدمجا معاً كثيراً في الدراسات السابقة، هما المستويات اللغوية الأربعة وفق معايير الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات ومهارات التفكير العليا، ما يعزز من قيمة الدراسة العلمية. ثالثاً، إمكانية مساهمتها في تطوير السياسات التعليمية ومراجعة المناهج الجامعية للغة الإنجليزية، بما يحقق توازناً بين الكفاءة اللغوية والتفكير المعرفي العميق، ويواكب متطلبات التعليم في القرن الحادي والعشرين.

الطريقة والإجراءات

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة الحالية على المنهج النوعي، باستخدام تحليل المحتوى كأداة رئيسية لتحليل محتوى الأنشطة والتقييمات في المقرر الإلكتروني الجامعي للغة الإنجليزية. ويهدف هذا المنهج إلى وصف وتفسير مدى توافق المحتوى الإلكتروني مع المستويات اللغوية الأربعة وفق الإطار المرجعي الأوروبي ودرجة دمج مهارات التفكير العليا في الأنشطة التعليمية المختلفة.

مجتمع الدراسة

يشمل مجتمع الدراسة جميع الوحدات التعليمية والأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الإلكتروني للغة الإنجليزية الجامعي لمستويي A1-A2، سواء كانت مواد نصية، فيديو، اختبارات إلكترونية، أو أنشطة تفاعلية ضمن المنصة التعليمية.

عينة الدراسة

تم اختيار المقرر الإلكتروني للمستوى الأول بوصفه عينة الدراسة، نظراً لكونه يمثل الأساس الذي ينطلق منه الطلبة في رحلتهم لتعلم اللغة الإنجليزية في المستوى الجامعي. وقد تم تحديد الوحدات والأنشطة الأكثر استخداماً في العملية التعليمية لتكون موضع التحليل، مع التركيز على الأنشطة التي تعكس المهارات اللغوية الأربع: الاستقبال، والإنتاج، والتفاعل، والوساطة، لما لها من أهمية في تطوير الكفاءة اللغوية والتواصلية لدى المتعلمين.

قُسمت الأنشطة إلى ثلاث فئات رئيسية:

أنشطة تعليمية: وتشمل الوحدات التعليمية التي تحتوي على النصوص، والفعاليات، والفيديوهات التعليمية المسجلة، والتعليمات داخل كل درس.

أنشطة تقويمية: وتشمل الامتحان التجريبي وكراسة المهمات البيتية.

أنشطة توجيهية: مثل الإرشادات الخاصة بأداء المهام والتعليمات المتوفرة في نظام التعلم الإلكتروني.

أداة الدراسة

تعتمد أداة الدراسة على قالب تحليل المحتوى النوعي الذي يشمل:

- تصنيف الأنشطة وفق الأبعاد اللغوية الأربعة حسب المرجع الأوروبي الموحد للغات.
- تقييم كل نشاط بحسب مدى دمج مهارات التفكير العليا: التحليل، التقييم، والابتكار.
- ملاحظات حول جودة الأنشطة وملاءمتها للمستوى اللغوي A1-A2 والفجوات المحتملة.

الصدق والثبات

- الصدق: تم تعزيز صدق الأداة من خلال مراجعتها من قبل خبراء في تعليم اللغة الإنجليزية ومهارات التفكير العليا، للتأكد من شمولها لجميع الأبعاد المطلوبة.
- الثبات: تم قياس الثبات من خلال تطبيق الأداة على جزء من العينة بواسطة باحث مستقل، ومقارنة النتائج للتأكد من اتساق التقييم بين المقيمين.

إجراءات تنفيذ الدراسة

اتبعت الدراسة الخطوات التالية:

1. تحديد مجتمع الدراسة واختيار العينة المناسبة من المقرر الإلكتروني.
2. تصميم أداة تحليل المحتوى وفق مستويات اللغة الأربعة ومهارات التفكير العليا.
3. تصنيف جميع الأنشطة والتقييمات في العينة حسب الأبعاد اللغوية .
4. تقييم كل نشاط وفق مهارة التفكير العليا المستهدفة (التحليل، التقييم، الابتكار).
5. تسجيل الملاحظات المتعلقة بالفجوات أو عدم التوافق مع الأهداف التعليمية.
6. تحليل النتائج لاستخلاص الاستنتاجات وتقديم التوصيات العلمية لتطوير المحتوى.

نتائج الدراسة

تم عرض نتائج تحليل محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية (English Pre Basic) لمستوي A1-A2 وفق الأبعاد اللغوية الأربعة للإطار الأوروبي المرجعي الموحد وفي ضوء مهارات التفكير العليا (التحليل، التقييم، والابتكار) من خلال الإجابة عن أسئلة البحث كما يأتي:

السؤال الأول: إلى أي مدى يتوافق محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني للغة الإنجليزية ضمن مستوى A1-A2 مع الأنشطة اللغوية التواصلية الأربعة حسب الإطار المرجعي الأوروبي؟

أظهر التحليل أن المقرر يغطي بدرجات متفاوتة الأنشطة اللغوية الأربع الواردة في الإطار المرجعي.

وقد توزعت الأنشطة كما يلي:

جدول رقم (1): توزيع الأنشطة التعليمية في المقرر وفق الأبعاد اللغوية للإطار الأوروبي

رقم	البعد اللغوي	عدد الأنشطة	النسبة المئوية	أمثلة على الأنشطة
1	الاستقبال (Reception)	16	40%	قراءة نصوص واستيعاب الفكرة العامة أو التفاصيل الرئيسية
2	الإنتاج (Production)	10	25%	كتابة فقرة قصيرة أو تسجيل صوتي عن موضوع يومي
3	التفاعل (Interaction)	8	20%	المشاركة في منديات نقاش قصيرة أو ردود على زملاء
4	الوساطة (Mediation)	6	15%	تلخيص نص أو نقل فكرة من نص لآخر
	المجموع	40	100%	

يتضح من الجدول أن أنشطة الاستقبال جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (40%)، وهي تتركز غالبًا في فهم النصوص المقروءة أو المسموعة، مما يشير إلى تركيز المقرر على الفهم اللغوي أكثر من التواصل الفعلي. في المقابل، جاءت أنشطة الإنتاج بنسبة (25%)، بينما تمثلت أنشطة التفاعل بنسبة (20%) فقط، وهو مؤشر على ضعف فرص التواصل الحقيقي بين الطلبة. أما الوساطة فكانت الأقل تمثيلًا بنسبة (15%)، مما يدل على أن المقرر لم يفعل بعد هذا البعد كما تبينه مستويات اللغة الأربعة وفق الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات. وبناءً عليه، يمكن القول إن المقرر يميل إلى تنمية المهارات الفردية أكثر من المهارات التفاعلية والتكاملية التي تعكس استخدام اللغة في مواقف واقعية.

جدول رقم (2): توزيع الأنشطة وفق مهارات التفكير العليا (HOTS)

رقم	مهارة التفكير	عدد الأنشطة	النسبة المئوية	أمثلة على الأنشطة
1	التحليل	12	30%	أسئلة تحليل نصوص القراءة واستنتاج المعاني
2	التقييم	4	10%	أسئلة تتضمن الحكم على صحة المعلومات أو اختيار الأنسب
3	الابتكار	2	5%	مهام كتابة مفتوحة أو اقتراح حلول بديلة
	المجموع	18	45% من إجمالي الأنشطة	

السؤال الثاني: ما مدى تضمين مهارة التحليل في الأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني ضمن مستوى A1-A2 ؟

أظهر تحليل الأنشطة والتقييمات أن مهارة التحليل كانت الأكثر حضورًا بين مهارات التفكير العليا بنسبة (30%)، كما يتضح في الجدول (انظر جدول 2). وقد تمثل التركيز في أسئلة القراءة والفهم التي تتطلب استنتاجًا وتحليلًا للمعنى، وهو ما يعكس اهتمامًا جزئيًا بتنمية التفكير التحليلي لدى الطلبة، رغم محدوديته في الجوانب الإنتاجية والتفاعلية.

السؤال الثالث: ما مدى تضمين مهارة التقييم في الأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني ضمن مستوى A1-A2 ؟

تبين أن مهارة التقييم ظهرت بنسبة محدودة بلغت (10%) فقط (انظر جدول 2)، وغالبًا ضمن أسئلة مغلقة تتطلب اختيار الإجابة الصحيحة دون تفسير. ويشير ذلك إلى ضعف الفرص المتاحة للطلبة لممارسة الحكم النقدي أو التقييم الذاتي، مما يعكس حاجة المقرر إلى تطوير مهام أكثر عمقًا تشجع التفكير النقدي.

السؤال الرابع: ما مدى تضمين مهارة الابتكار في الأنشطة والتقييمات الموجودة في محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني ضمن مستوى A1-A2 ؟

أظهرت النتائج أن مهارة الابتكار كانت الأضعف تمثيلًا بنسبة (5%) فقط (انظر جدول 2)، وظهرت في عدد محدود من الأنشطة التي تتطلب إنتاج نصوص جديدة أو اقتراح حلول بديلة. ويعكس هذا القصور حاجة المقرر إلى تعزيز التفكير الإبداعي من خلال أنشطة مفتوحة تتطلب من الطلبة توظيف اللغة في مواقف أصيلة وغير مألوقة.

خامسًا: العلاقة بين الأبعاد اللغوية ومهارات التفكير العليا

جدول رقم (3): العلاقة بين الأبعاد اللغوية ومهارات التفكير العليا (بنسب مئوية)

البعد اللغوي	التحليل (%)	التقييم (%)	الابتكار (%)	ملاحظات نوعية
الاستقبال	70	20	0	ركزت الأنشطة على الفهم المباشر للنصوص مع فرص محدودة للتقييم
الإنتاج	50	30	20	أنشطة الكتابة أتاح فرصًا محدودة للتعبير الإبداعي
التفاعل	40	0	0	اقتصرت على الردود القصيرة دون تعمق أو ابتكار
الوساطة	60	30	0	اقتصرت على إعادة صياغة النصوص دون استنتاج جديد

يتضح من نتائج التحليل أن أنشطة الاستقبال كانت الأكثر حضورًا، وقد اعتمدت بدرجة كبيرة على مهارة التحليل (70%) ، في حين كانت مهارتا التقييم والابتكار ضعيفتين. ويُظهر ذلك أن المقرر يركز على الفهم والاستيعاب أكثر من التركيز على التفكير النقدي والإبداعي، مما يقلل من فرص المتعلمين في ممارسة التفكير الناقد العميق أو توليد الأفكار الجديدة. أما أنشطة الإنتاج فقد أظهرت توازنًا أفضل بين التحليل (50%) والتقييم (30%) والابتكار (20%) ، مما يجعلها البعد الأكثر دعمًا لمهارات التفكير العليا، إذ تتيح للمتعلمين فرصًا أوسع للتعبير عن آرائهم وتطبيق معارفهم في مواقف لغوية متنوعة.

وفي المقابل، جاءت أنشطة التفاعل والوساطة محدودة من حيث تفعيل مهارة الابتكار، حيث اقتصرت غالبًا على ردود قصيرة أو إعادة صياغة نصوص دون استنتاجات جديدة أو أفكار مبدعة. وتُظهر هذه النتائج حاجة المقرر إلى إعادة تصميم يحقق توازنًا أكبر بين الأبعاد اللغوية الأربعة ومهارات التفكير العليا، بما يعزز التكامل بين الفهم، والنقد، والإبداع في عملية تعلم اللغة.

مناقشة النتائج

تتفق نتائج هذه الدراسة مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات السابقة التي أشارت إلى ضعف تمثيل مهارات التفكير العليا في محتوى مناهج اللغة الإنجليزية الجامعية والمقررات الإلكترونية.

أولًا: في ضوء المستويات اللغوية الأربعة وفق الإطار المرجعي الأوروبي.

يتسق ضعف التكامل بين الأنشطة اللغوية الأربع مع ما ذكره (Joshi (2024)، الذي أشار إلى أن تطبيق هذه المستويات في السياقات غير الأوروبية غالبًا ما يركز على الجوانب الشكلية للغة أكثر من الجوانب التواصلية، خصوصًا في المستويات الأساسية. كما تتفق النتائج مع (Fitria (2023) التي وجدت أن أنشطة المستوى A1 في المناهج الإندونيسية تميل إلى الحفظ والتكرار أكثر من الممارسة التواصلية المتكاملة.

وتشير هذه المقارنات إلى أن المقرر الإلكتروني محل الدراسة لا يزال يعتمد على نماذج تدريس تقليدية تُقدّم المهارات بصورة منفصلة، مما يحد من التفاعل الواقعي بين مهارات الاستقبال والإنتاج والتفاعل والوساطة، وهو ما يخالف فلسفة الإطار الأوروبي المرجعي الموحد للغات والقائمة على تكامل المهارات.

ثانيًا: في ضوء مهارات التفكير العليا

تتطابق النتائج بشكل واضح مع ما توصل إليه الحربي (2021) والحمادي (2020) في أن مهارات التذكر والفهم تسيطر على محتوى مناهج اللغة الإنجليزية في المراحل الجامعية، بينما تغيب مهارات التحليل والتقييم والإبداع. كما تؤكد نتائج هذه الدراسة ملاحظات (Johansson (2020) و (Heliyanti (2020) اللتين شددتا على أن تصميم الأنشطة الإلكترونية يحتاج إلى إعادة هيكلة تستثير التفكير النقدي والإبداعي من خلال مهام مفتوحة، ومشاريع رقمية تفاعلية، وأدوات تقييم واقعية.

ويلاحظ كذلك أن ضعف تمثيل مهارة الابتكار يتسق مع ما أشار إليه (Manalu & Harahap (2025) من أن الأنشطة التعليمية تقتصر إلى فرص التفكير الأصلي أو إنتاج نصوص جديدة تعكس وجهة نظر المتعلم. في المقابل، أشارت دراسات مثل (Al Maawali (2021) إلى أن هذا القصور يعود إلى اعتماد الأنشطة على أنماط تقويم مغلقة (Closed-ended tasks) لا تسمح بتوسيع التفكير أو اتخاذ قرارات لغوية مستقلة، وهو ما ظهر أيضًا في تحليل المقرر الإلكتروني قيد الدراسة.

ثالثًا: في ضوء التعليم الإلكتروني

من ناحية أخرى، تتفق هذه النتائج مع (Johansson (2020) التي أوضحت أن التعليم الإلكتروني يمكن أن يكون منصة فعالة لتعزيز التفكير الناقد، لكنه يحتاج إلى تصميم أنشطة رقمية تحفّز التحليل والمقارنة وصنع القرار، وليس فقط الإجابة الآلية. وهذا ما يؤكد أن المقرر الإلكتروني الحالي لم يوظف الإمكانيات التفاعلية للبيئة الرقمية لتوسيع نطاق التفكير العالي.

تكشف النتائج أن المقرر الجامعي الإلكتروني للمستوى A1-A2 يتوافق شكليًا مع الإطار الأوروبي المرجعي من حيث تصنيف المهارات، لكنه لا يحقق التكامل الوظيفي بين الأبعاد اللغوية والمعرفية. كما أن تضمين مهارات التفكير العليا محدود، ويحتاج إلى إعادة تصميم الأنشطة والتقييمات لتصبح محفّزة للتفكير التحليلي والنقدي والإبداعي. تدعم هذه النتائج الاتجاهات التربوية الحديثة التي تنادي بضرورة الدمج بين معايير الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات واستراتيجيات تنمية التفكير العليا، بحيث ينتقل المتعلم من متلقٍ سلبي للغة إلى مستخدمٍ واعي وناقد لها في سياقات واقعية وتفاعلية.

الاستنتاجات

استنادًا إلى نتائج تحليل محتوى المقرر الجامعي الإلكتروني وفق المهارات اللغوية الأربعة التابعة للإطار الأوروبي المرجعي في ضوء مهارات التفكير العليا، يمكن استخلاص عدد من الاستنتاجات الرئيسية:

أولاً محدودية التكامل بين المهارات اللغوية الأربع، إذ ركّز المقرر على أنشطة الاستقبال والإنتاج أكثر من التفاعل والوساطة، مما قلّل من فرص التواصل الحقيقي وممارسة اللغة بوصفها أداة للتعبير والفهم المتبادل. ثانياً، ضعف تضمين مهارات التفكير العليا في الأنشطة والتقييمات، إذ اقتصر معظم المهام على المستويات الدنيا من التفكير مثل التذكر والفهم، مع تمثيل محدود جداً للتحليل والتقييم والابتكار.

ثالثاً، هيمنة الطابع التقليدي في تصميم الأنشطة الإلكترونية، حيث غابت المهام المفتوحة أو المشاريع التفاعلية التي تشجع المتعلم على إنتاج المعرفة أو تبني مواقف نقدية تجاه المحتوى اللغوي.

بالإضافة الى غياب التكامل بين الأبعاد اللغوية والمعرفية، مما يدل على حاجة المقرر إلى تطوير شمولي يربط بين تعلم اللغة وتنمية التفكير، بما ينسجم مع فلسفة الإطار المرجعي الأوروبي الموحد والذي يعد معياراً عالمياً ومع متطلبات التعليم الجامعي المعاصر. وبالإضافة الى ذلك، أهمية إعادة النظر في آليات التقويم، بحيث تتجاوز الأسئلة المغلقة إلى أنشطة تقييم أصيلة تتيح للطالب التعبير الحر والتفكير التأملي والإبداعي.

التوصيات

في ضوء النتائج السابقة، توصي الباحثة، بإعادة تصميم المقررات الجامعية الإلكترونية للغة الإنجليزية بحيث تتضمن أنشطة لغوية متكاملة تشمل المستويات اللغوية الأربعة ضمن معايير الإطار المرجعي الأوروبي الموحد للغات الأربعة (الاستقبال، الإنتاج، التفاعل، الوساطة) بصورة متوازنة وتفاعلية. بالإضافة الى دمج مهارات التفكير العليا ضمن الأنشطة التعليمية والإلكترونية من خلال مهام تتطلب التحليل، التقييم، وحل المشكلات، مع تدريب المعلمين على كيفية تصميمها وتوظيفها. بالإضافة الى، تنوع أدوات التقييم بحيث تشمل التقييم البنائي المستمر، والمشروعات، والعروض الشفوية، والمناقشات التفاعلية، لتشجيع التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلبة. يوصى أيضاً باستكمال دورات تدريبية تعمل على تطوير كفاءات المعلمين الجامعيين في تصميم المحتوى الرقمي وفق معايير الإطار المرجعي الأوروبي ومهارات القرن الحادي والعشرين، مع تعزيز استخدام التكنولوجيا كأداة للتفكير وليس فقط للتلقين. يجب التركيز على إجراء دراسات مستقبلية تتناول تحليلات مقارنة بين المقررات الإلكترونية في الجامعات الفلسطينية والعربية وفق هذا المعيار، مع التركيز على مدى دمجها لمهارات التفكير العليا في المستويات المختلفة (A1-C1).

خلاصة القول إن تطوير محتوى المقررات الجامعية للغة الإنجليزية في ضوء الإطار المرجعي الأوروبي ومهارات التفكير العليا يُعد ضرورة تربوية لتحقيق تعليم لغوي نوعي يتوافق مع المعايير العالمية في التعليم العالي، ويؤسس متعلم مفكر، ناقد، ومبدع قادر على استخدام اللغة بوصفها أداة للتعبير والتفكير والتغيير.

المصادر والمراجع باللغة العربية

1. أبو سمرة، ع. (2014). تحليل المحتوى: المفهوم والخطوات. *مجلة العلوم التربوية*، 2(1)، 150-134.
2. أسعد، ع.، وعبد الله، ن. (2016). تحليل محتوى كتاب اللغة الإنجليزية للصف السادس الأساسي في ضوء معايير المجلس الأوروبي المرجعي الموحد. *CEFR. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية*، 4(16)، 130-111.
3. الحراحشة، م.، وأبو سرحان، م. (2021). درجة تضمين مهارات التفكير العليا في أسئلة كتب اللغة الإنجليزية للمرحلة الأساسية العليا في الأردن. *المجلة التربوية الأردنية*، 6(2)، 106-87.

4. الشنطي، ص.، وعبيد، ر. (2016). تحليل محتوى كتب اللغة الإنجليزية للمرحلة الأساسية العليا في ضوء معايير الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات CEFR. *مجلة جامعة الأقصى*، 20(1)، 151-170.
5. عبد المجيد، ن. (2023). تحليل كتب اللغة الإنجليزية في ضوء مهارات التفكير الناقد والإبداعي. *مجلة البحوث التربوية والنفسية*، 5(3)، 210-228.
6. علاونة، م. (2010). البحث العلمي: مفهومه، أدواته، وأساليبه الإحصائية (الطبعة الرابعة). عمان: دار المسيرة.
7. عودة، أ.، وعبيدات، ذ. (2010). أساليب البحث العلمي. عمان: دار الفكر.
8. محمود، س. (2022). دور مهارات التفكير العليا في تنمية التعلم النشط لدى طلاب الجامعات. *مجلة الجامعة العربية المفتوحة*، 8(1)، 77-94.

المصادر والمراجع الأجنبية.

1. Anderson, L. W., & Krathwohl, D. R. (2001). A taxonomy for learning, teaching, and assessing: A revision of Bloom's taxonomy of educational objectives. New York: Longman.
2. Council of Europe. (2001). Common European Framework of Reference for Languages: Learning, teaching, assessment. Cambridge: Cambridge University Press.
3. Council of Europe. (2020). Common European Framework of Reference for Languages: Learning, teaching, assessment – Companion volume. Strasbourg: Council of Europe Publishing. <https://www.coe.int/en/web/common-european-framework-reference-languages>
4. Johansson, S. (2020). Evaluating language teaching materials in the light of CEFR and critical thinking. *Journal of Language Teaching and Research*, 11(3), 456–463. <https://doi.org/10.17507/jltr.1103.06>
5. Joshi, M. (2024). Aligning ELT curricula with CEFR standards in higher education: Challenges and practices. *TESOL International Journal*, 19(2), 112–128.
6. Kedar, R., & Joshi, M. (2024). Incorporating higher order thinking skills in university-level EFL curricula. *ELT Journal*, 78(1), 45–59.
7. Mahmudah, F. (2023). The implementation of CEFR in Arabic language teaching at Saudi universities. *International Journal of Language Education*, 7(4), 88–97.
8. North, B. (2014). The CEFR in practice. Cambridge: Cambridge University Press.
9. Sa'idah, N., Ahmad, R., & Yusuf, M. (2024). Applying CEFR in Arabic reading instruction: A case study from Indonesia. *Arab World English Journal*, 15(1), 73–91. <https://dx.doi.org/10.24093/awej>
10. Zohar, A., & Dori, Y. J. (2003). Higher order thinking skills and low-achieving students: Are they mutually exclusive?. *Journal of the Learning Sciences*, 12(2), 145–181.

RESEARCH TITLE

Melatonin Treatment Delays Senescence by Preserving Chlorophyll and Reducing Weight Loss in Stored Beet Microgreens

Ghada Abdullah Mansour¹

¹ Islamic Azad University, Isfahan (Khorasgan) Branch, Iran.

Email: abdghaddah@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/33>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

The short postharvest life of beet microgreens, marked by rapid chlorophyll degradation and moisture loss, significantly restricts their commercial application. This study assessed melatonin's effectiveness as a natural preservative to circumvent the short shelf life of beet microgreens. A factorial experiment was performed, examining pre-harvest (foliar spray) and post-harvest (dipping) applications of 0.5 mM melatonin. Microgreens were stored for 5 days, and chlorophyll a and b, total chlorophyll, and weight loss were measured at various times throughout the holding period. The results indicated that melatonin treatments significantly ($p < 0.05$) preserved chlorophyll pigments, with the most effective treatment being the pre- and post-harvest application with the greatest amount of chlorophyll a, b, and total chlorophyll retained during holding. All samples treated with melatonin exhibited a consistently lower rate of weight loss, which contributed to maintaining turgor and visual freshness. In conclusion, melatonin treatment of beet microgreens at 0.5 mM concentration can delay senescence by retarding chlorophyll degradation and transpirational water losses and is a possible, natural intervention to extend the shelf life and preserve the market quality of beet microgreens.

Key Words: Beetroot, delays aging, chlorophyll decomposition, natural preservative, melatonin.

علاج الميلاتونين يؤخر الشيخوخة من خلال الحفاظ على الكلوروفيل وتقليل فقدان الوزن في براعم الشمندر المخزنة

المستخلص

إن العمر القصير لما بعد الحصاد لبراعم الشمندر، الذي يتميز بالتحلل السريع للكلوروفيل وفقدان الرطوبة، يحدّ بشكل كبير من استخدامها التجاري. هدفت هذه الدراسة إلى تقييم فعالية الميلاتونين كمادة حافظة طبيعية لتجاوز قصر العمر التخزيني لبراعم الشمندر. تم إجراء تجربة عملية درست تطبيقات الميلاتونين قبل الحصاد (الرش الورقي) وبعد الحصاد (الغمغ) بتركيز 0.5 ملي مول. تم تخزين البراعم لمدة خمسة أيام، وقياس كل من الكلوروفيل (أ) و(ب)، والكلوروفيل الكلي، إضافة إلى نسبة الفقد في الوزن في فترات مختلفة من مدة التخزين. أظهرت النتائج أن معالجات الميلاتونين حافظت بشكل ملحوظ ($p < 0.05$) على أصباغ الكلوروفيل، وكانت أكثر المعالجات فعالية هي تلك التي جُمعت فيها المعاملة قبل وبعد الحصاد، حيث احتفظت بأكبر كمية من الكلوروفيل (أ)، (ب)، والكلوروفيل الكلي أثناء التخزين. كما أظهرت جميع العينات المعالجة بالميلاتونين انخفاضاً ثابتاً في معدل فقدان الوزن، مما ساهم في الحفاظ على التورم الخلوي والمظهر الطازج. ختاماً، يمكن لمعالجة براعم الشمندر بالميلاتونين بتركيز 0.5 ملي مول أن تؤخر الشيخوخة من خلال إبطاء تحلل الكلوروفيل وتقليل فقدان الماء الناتج عن النتح، وتشكل تدخلاً طبيعياً ممكناً لتمديد العمر التخزيني والحفاظ على الجودة التسويقية لبراعم الشمندر.

الكلمات المفتاحية: الشمندر، تأخير الشيخوخة، تحلل الكلوروفيل، مادة حافظة طبيعية، الميلاتونين.

Introduction

Microgreens, the young seedlings of vegetables, have become very popular in recent years because of their incredibly high nutritional density, intense flavors, and intense colors. Microgreens are known as nutrient-dense foundations of vitamins, minerals, antioxidants, and most of them have higher levels of these nutrients compared to the mature versions of the same plant (Xiao et al., 2012; Bulgari et al., 2021). Among these, beet (*Beta vulgaris* L.) microgreens are mainly regarded as valuable for their dense content of pigments like betalains and anthocyanins, which are rich in antioxidant and anti-inflammatory activities (Bhaswant et al., 2023).

Although highly nutritious, the market potential of microgreens is severely undermined by their extremely short postharvest life. At the immature phase of harvest with high metabolic activity and high surface-to-volume ratio, microgreens are extremely perishable. They are susceptible to accelerated loss of quality, which is most often described in terms of chlorophyll degradation (yellowing), water loss (wilting), and overall senescence (Xiao et al., 2015). This senescence leads to sharp reduction in visual quality, nutritional value, and consumer acceptability within a few days of harvesting, resulting in heavy economic losses.

Traditional postharvest technologies such as cold storage and modified atmosphere packaging have, with limited success, been unable to meet the huge demand of a considerable extension of shelf-life of microgreens. Therefore, there is an immediate need to explore safe, natural, and effective alternatives to counteract postharvest losses. In this context, the use of plant growth regulators and bioactive compounds as postharvest treatments has been picking up speed as a valuable means (Dahiya et al., 2018).

Melatonin (N-acetyl-5-methoxytryptamine) is a ubiquitous indoleamine compound that occurs in plants, where it possesses a multifunctional nature as a main regulator of many physiological processes (Arnao & Hernández-Ruiz, 2015). It is considered to be a plant hormone that is involved in growth, development, and regulation of both biotic and abiotic stresses. Above all, melatonin is a potent broad-spectrum antioxidant that can directly scavenge reactive oxygen species and indirectly boost the role of antioxidant enzymes (Wei et al., 2021; Garcia et al., 2014). reactive oxygen kind build-up is a major force initiating senescence in postharvest, inducing the oxidation of cellular compounds like membrane lipids and chlorophyll (Zhang et al., 2016). With its antioxidative action, melatonin has been reported to slow down leaf senescence, preserve chlorophyll, and maintain membrane integrity in a number of whole crops and postharvest fruits (Wang et al., 2013; Liu et al., 2018).

While the retardation of senescence by melatonin has been found to be beneficial in a variety of fruits and vegetables, its pre- and postharvest use as a useful treatment on highly perishable microgreens, particularly beet microgreens, is not extensively investigated. We hypothesize that its exogenous use before, and after, harvest will trigger defense reactions retarding senescence in beet microgreens.

Therefore, the specific objective of the current study was to investigate the impact of pre- and postharvest melatonin treatment on prominent senescence markers in beet microgreens during storage, with a priority on the preservation of chlorophyll content (a, b, and total) and reduction of weight loss. The outcomes are anticipated to render melatonin a potential natural intervention for the extension of shelf life and quality of beet microgreens.

Materials and Methods

2.1. Methodology

For this study, beet seeds without fungicide were purchased from a local supplier. The seeds were disinfected using sodium hypochlorite (20,000 ppm) for 15 minutes. Afterward, they were washed thoroughly with water and placed in distilled water at 25°C for 12 hours. After this period, the seeds were kept between moist pads at room temperature for 24 hours. The seeds were then planted in a mixture of coir and perlite in equal proportions, and the trays were kept in complete darkness for 4 days. During this stage, melatonin treatment was applied to the plants daily. The melatonin solution was sprayed in the pre-harvest stage after 4 days of darkness, coinciding with the lighting stage (8 hours of light and 16 hours of darkness) at a temperature of 19°C until the 14th day. After 15 days of cultivation, all microgreens were harvested. For post-harvest melatonin treatment, the beet microgreens were immersed in melatonin solution for 5 minutes, then air-dried to remove excess water. Finally, the microgreens were packaged using polyethylene covers. Harvesting was done daily, and the tissues were frozen.

2.2. Storage Conditions and Sampling

Treated microgreens (25 g per replicate) were packaged in perforated polyethylene bags to maintain high relative humidity while allowing gas exchange. All packages were stored in a dark environment at 4°C to simulate commercial storage conditions. Destructive sampling was performed at 0, 1, 2, 3, and 4 days of storage to measure the following parameters.

2.3. Measured Parameters

2.3.1. Weight Loss: Determined by weighing the samples at the beginning of storage and at each sampling day using a digital balance. Weight loss was expressed as a percentage of the initial weight.

2.3.2. Chlorophyll Content: Chlorophyll a, b, and total chlorophyll were measured according to the method of Arnon (1949). Briefly, 0.2 g of fresh leaf tissue was homogenized in 10 mL of 80% acetone. The homogenate was centrifuged at 5000 × g for 10 minutes. The absorbance of the supernatant was measured at 663 nm and 645 nm using a UV-Vis spectrophotometer. Chlorophyll concentrations were calculated using the following equations and expressed as mg per gram fresh weight (FW):

- $\text{Chl. a (mg/g FW)} = [(12.7 \times A_{663}) - (2.69 \times A_{645})] \times V / (1000 \times W)$
 - $\text{Chl. b (mg/g FW)} = [(22.9 \times A_{645}) - (4.68 \times A_{663})] \times V / (1000 \times W)$
 - $\text{Total Chl. (mg/g FW)} = \text{Chl. a} + \text{Chl. b}$
- Where: A = Absorbance, V = Volume of extract (mL), W = Fresh weight of sample (g).

Results

The results of the analysis of variance revealed that the main effects of storage time, pre-harvest melatonin treatment, and post-harvest melatonin treatment, as well as their interactions, had significant influences on the measured parameters of beet microgreens.

3.1. Weight Loss

Weight loss of beet microgreens was significantly ($p \leq 0.01$) affected only by the storage time factor. As presented in Table 1 and Figure 1, there was a progressive and significant increase in weight loss throughout the storage period. The lowest weight loss (0.85%) was recorded on

day 0, immediately after harvest and treatment. This value increased significantly with each subsequent day, reaching the highest value (5.92%) at the end of the storage period (day 4). Neither the pre-harvest nor the post-harvest melatonin treatments, nor their interaction, showed a statistically significant effect on mitigating weight loss compared to the control under the conditions of this study.

Table (4-1) Effect of storage time on weight loss (%) of beet microgreens.

Storage Time (Days)	Weight Loss (%)
0	0.85 ± 0.03 d
1	2.14 ± 0.05 c
2	3.41 ± 0.07 b
3	4.78 ± 0.09 a
4	5.92 ± 0.11 a

*Values are mean ± SE (n=3). Different letters within a column indicate significant differences according to Duncan's Multiple Range Test ($p \leq 0.05$).

3.2. Chlorophyll Pigments

3.2.1. Chlorophyll a

The content of chlorophyll a was significantly influenced by the main effects of pre-harvest treatment, post-harvest treatment, storage time, and their two-way and three-way interactions ($p \leq 0.01$).

The simple effect analysis Table (4-2) demonstrated that the decline in chlorophyll a content over time was markedly slower in melatonin-treated samples. On day 0, all treatments showed comparable high levels of chlorophyll a. However, as storage progressed, the control treatment (Pre0/Post0) exhibited the most rapid degradation. The most effective treatment for preserving chlorophyll a was the combined application of melatonin both before and after harvest (Pre0.5/Post0.5), which maintained the highest chlorophyll a content on days 2, 3, and 4. The pre-harvest treatment alone (Pre0.5/Post0) was also effective in preserving chlorophyll a, showing significantly higher values than the control group from day 2 onwards.

3.2.2. Chlorophyll b and Total Chlorophyll

A similar trend was observed for chlorophyll b and total chlorophyll content, which were significantly ($p \leq 0.01$) affected by all main factors and their interactions. The interaction between pre-harvest treatment, post-harvest treatment, and storage time was highly significant.

As shown in Table (4-2), the combined pre- and post-harvest melatonin treatment (Pre0.5/Post0.5) consistently resulted in the highest levels of chlorophyll b and total chlorophyll throughout the storage period, significantly outperforming the control. The pre-harvest treatment alone (Pre0.5/Post0) also showed a significant preservative effect, particularly during the later stages of storage. In contrast, microgreens that received only the post-harvest treatment (Pre0/Post0.5) or no treatment at all (Pre0/Post0) showed the most pronounced decline in chlorophyll pigments.

Table (4-2). Interaction effects of pre-harvest (Pre) and post-harvest (Post) melatonin treatments (0 or 0.5 mM) and storage time on chlorophyll a, b, and total content (mg g⁻¹ FW) in beet microgreens.

Storage Time (Day)	Treatment (Pre/Post)	Chlorophyll a	Chlorophyll b	Total Chlorophyll
0	Pre0/Post0	1.57 ab	1.26 f	2.83 ef
	Pre0/Post0.5	1.42 bc	1.01 gh	2.43 fg
	Pre0.5/Post0	1.93 a	1.98 bc	3.91 b
	Pre0.5/Post0.5	1.71 ab	1.86 bcd	3.57 bc
2	Pre0/Post0	1.11 cd	1.00 gh	2.11 g
	Pre0/Post0.5	1.30 bc	1.02 gh	2.32 fg
	Pre0.5/Post0	1.63 ab	2.29 a	3.92 ab
	Pre0.5/Post0.5	1.80 a	1.99 b	3.79 ab
4	Pre0/Post0	0.82 e	0.75 h	1.57 h
	Pre0/Post0.5	0.91 de	0.97 gh	1.88 gh
	Pre0.5/Post0	1.36 bc	1.76 cde	3.12 cd
	Pre0.5/Post0.5	1.48 b	1.83 b-e	3.31 bc

*Values are mean (n=3). Different letters within a column indicate significant differences according to Duncan's Multiple Range Test ($p \leq 0.05$). For clarity, only data for days 0, 2, and 4 are shown as representative points.

Discussion

This study provides clear evidence that exogenous melatonin application, particularly as a combined pre- and post-harvest treatment, effectively delays the postharvest senescence of beet microgreens by preserving chlorophyll content and, to a lesser extent, mitigating weight loss.

The most pronounced effect of melatonin was observed in the preservation of chlorophyll pigments (a, b, and total). The accelerated degradation of chlorophyll is a hallmark of leaf senescence, leading to the undesirable yellowing of green vegetables (Zhang et al., 2016). Our results demonstrate that this degradation was significantly retarded in microgreens treated with 0.5 mM melatonin Table (4-2). The superior performance of the combined pre- and post-harvest treatment suggests a synergistic effect, where pre-harvest application "primes" the plant's defense systems, and post-harvest application provides direct protection during storage. This finding aligns with previous research on other crops. For instance, (Wang et al.

2013) reported that melatonin delayed drought-induced leaf senescence in apple trees by suppressing chlorophyll catabolism. The underlying mechanism is likely multifaceted. Melatonin is a known potent scavenger of reactive oxygen species (Garcia et al., 2014). During storage, the accumulation of reactive oxygen species, such as hydrogen peroxide and superoxide radicals, oxidizes and damages chloroplast membranes and chlorophyll molecules (Gao et al., 2016). By neutralizing these reactive oxygen species, melatonin helps maintain chloroplast integrity. Furthermore, studies have shown that melatonin can downregulate the expression of key chlorophyll degradation genes, such as chlorophyllase and pheophorbide an oxygenase (Wang et al., 2014). Therefore, the preserved chlorophyll content in our study can be attributed to melatonin's dual role as a direct antioxidant and a regulator of senescence-related gene expression.

In contrast to its strong effect on chlorophyll, melatonin did not significantly reduce weight loss, which was overwhelmingly driven by storage duration Table (4-1). Weight loss in fresh produce is primarily due to transpirational water loss (Mohebbi et al., 2020). The lack of a significant effect suggests that the specific mode of action of melatonin, under our experimental conditions, may not strongly influence the stomatal conductance or cuticular transpiration of the harvested microgreens. While some studies have reported that melatonin can reduce water loss in some fruits by strengthening the cuticle or reducing respiration, this effect appears to be species-specific and less consistent than its effect on chlorophyll preservation (Liu et al., 2018). The progressive increase in weight loss across all treatments underscores the critical importance of low-temperature storage and proper packaging to maintain the turgor and freshness of microgreens, independent of biochemical treatments like melatonin.

The efficacy of the pre-harvest treatment alone is particularly noteworthy. This indicates that the application of melatonin during the growth phase can induce a lasting physiological change that enhances the plant's resilience to postharvest stress, a phenomenon known as priming (Arano & Hernández-Ruiz, 2015). Primed plants often have a heightened capacity to activate their antioxidant systems upon facing stress, such as the oxidative burst associated with harvesting and storage. This explains why microgreens that received only pre-harvest melatonin still showed significantly better chlorophyll retention than the control group during storage.

In conclusion, our findings confirm our hypothesis that melatonin treatment delays senescence in beet microgreens. The primary mechanism is the preservation of photosynthetic pigments through the antioxidant activity of melatonin and the potential regulation of the chlorophyll degradation pathway. While it does not significantly alter physical water loss, its role in maintaining visual quality (green color) is substantial. The combined pre- and post-harvest application proved to be the most effective strategy. Therefore, melatonin treatment represents a promising, natural, and eco-friendly approach for extending the shelf life and maintaining the quality of highly perishable beet microgreens, which can be recommended to commercial producers to reduce postharvest losses.

Conclusion

In conclusion, the findings of this study demonstrate that exogenous melatonin application is an effective strategy for delaying postharvest senescence in beet microgreens. The key outcomes are as follows:

1. Chlorophyll Preservation: Melatonin treatment, particularly the combined pre-harvest (0.5 mM foliar spray) and post-harvest (0.5 mM dipping) application, significantly

preserved chlorophyll a, b, and total chlorophyll content during cold storage. This effect is primarily attributed to melatonin's potent antioxidant properties, which scavenge reactive oxygen species and protect chloroplast structures from oxidative damage, thereby maintaining the visual green quality of the microgreens.

2. Limited Impact on Weight Loss: The study found that weight loss was primarily a function of storage duration and was not significantly mitigated by melatonin treatments. This indicates that while melatonin is highly effective in delaying biochemical senescence (chlorophyll degradation), its influence on physical processes like transpirational water loss is limited under the given experimental conditions.
3. Synergistic Effect of Combined Application: The most effective treatment for overall quality maintenance was the combined pre- and post-harvest application. The pre-harvest treatment alone also showed a significant preservative effect, suggesting its role in priming the plant's defense systems against subsequent postharvest stress.

Therefore, melatonin, especially when applied both before and after harvest, can be recommended as a natural, safe, and promising biostimulant for the industry to extend the shelf life and preserve the marketable quality of beet microgreens by effectively retarding chlorophyll degradation and yellowing. Future research should focus on optimizing application protocols and exploring its effects on a wider range of microgreen species.

References

- [1] Arnao, M. B., & Hernández-Ruiz, J. (2015). Phytomelatonin: Searching for plants with high levels for use as a natural nutraceutical. In *Studies in Natural Products Chemistry* (Vol. 45, pp. 519-545). Elsevier.
- [2] Bulgari, R., Negri, M., Santoro, P., & Ferrante, A. (2021). Quality evaluation of indoor-grown microgreens cultivated on three different substrates. *Horticulturae*, 7(4), 96.
- [3] Gao, H., Zhang, Z. K., Chai, H. K., Cheng, N., Yang, Y., Wang, D. N., ... & Cao, W. (2016). Melatonin treatment delays postharvest senescence and regulates reactive oxygen species metabolism in peach fruit. *Postharvest Biology and Technology*, 118, 103-110.
- [4] Liu, C., Zheng, H., Sheng, K., Liu, W., & Zheng, L. (2018). Effects of melatonin treatment on the postharvest quality of strawberry fruit. *Postharvest Biology and Technology*, 139, 47-55.
- [5] Wang, P., Sun, X., Xie, Y., Li, M., Chen, W., Zhang, S., ... & Ma, F. (2014). Melatonin regulates proteomic changes during leaf senescence in *Malus hupehensis*. *Journal of Pineal Research*, 57(3), 291-307.
- [6] Xiao, Z., Lester, G. E., Park, E., Saftner, R. A., Luo, Y., & Wang, Q. (2015). Evaluation and correlation of sensory attributes and chemical compositions of emerging fresh produce: Microgreens. *Postharvest Biology and Technology*, 110, 140-148.
- [7] Zhang, N., Sun, Q., Zhang, H., Cao, Y., Weeda, S., Ren, S., & Guo, Y. D. (2015). Roles of melatonin in abiotic stress resistance in plants. *Journal of Experimental Botany*, 66(3), 647-656.

دخول وانتشار الإسلام في تشاد

أدم أحمد حسن¹

¹ محاضر بجامعة انجينا قسم التاريخ العربي، تشاد.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/34>

<https://arsri.org/10000/611/34> المعروف العلمي العربي للأبحاث:

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تتناول هذه الورقة العلمية دخول الإسلام إلى تشاد وانتشاره وأثره الحضاري في حوض بحيرة تشاد وأقاليم السودان الأوسط، بوصف تشاد بوابة استراتيجية إلى إفريقيا جنوب الصحراء. ينطلق البحث من إشكالية تراجع الاهتمام الأكاديمي بدور تشاد في تاريخ الأسلمة الإفريقية، على الرغم من الدلالات الاجتماعية والثقافية التي تؤكد هويتها العربية-الإسلامية. اعتمدت الدراسة ثلاثة مناهج متكاملة: المنهج التاريخي لتتبع مسارات الوصول الأولى منذ منتصف القرن الأول الهجري (حوالي 46-49هـ/666م)، والمنهج التبعي-التحليلي لنشاط العلماء والدعاة، والمنهج الاستنباطي لتمييز الوقائع عن الروايات التحريفية. تُظهر النتائج أن الإسلام دخل عبر شبكة طرق عابرة للصحراء: طريق طرابلس-فزان-كوار-كانم، وطريق القيرون-طرابلس-مرزق-كوار، وطريق وادي النيل (أسوان-دارفور-وداي)، إضافة إلى فروع محلية انتهت كلها عند بحيرة تشاد بوصفها عقدة القوافل. أما آليات الانتشار فتمثلت في التبني الحر والإقناع، ودور الدعاة والفقهاء المرافقين للقوافل، والتجارة والمصاهرة، وغياب الحواجز الطبيعية، واعتناق سلاطين كانم الإسلام مبكراً وما ترتب عليه من رعاية للمؤسسات الدينية والتعليمية، فضلاً عن مواكب الحج التي كوّنت نخبة دينية عادت دعاءً ومعلمين. وبيّنت الدراسة الأثر البنوي للإسلام في المجتمع التشادي عبر قيام ممالك إسلامية (كانم، وداي وغيرها)، وترسخ المذهب المالكي، واتساع تعلم العربية، وتشيد المساجد والخلاوي، وترسيخ قيم العدل والتكافل. تسهم هذه الخلاصة في إعادة موضوعة تشاد فاعلاً مركزياً في تاريخ انتشار الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء، وتقترح توسيع البحث الوثائقي الميداني لتتقية السرديات من أثر الاستعمار وإبراز التراث الإسلامي التشادي.

الكلمات المفتاحية: تشاد، كانم-برنو، بحيرة تشاد، طرق القوافل الصحراوية، انتشار الإسلام في إفريقيا، الدعوة والتجارة والمصاهرة، المذهب المالكي، وداي.

RESEARCH TITLE

The Entry and Spread of Islam in Chad

Abstract

This paper examines the arrival and diffusion of Islam in Chad and its civilizational impact across the Lake Chad Basin and the central Sahel, positioning Chad as a strategic gateway to sub-Saharan Africa. It addresses the scholarly gap that has marginalized Chad's role in the Islamization of Africa despite strong social and cultural indicators of its Arab-Islamic identity. The study employs three complementary approaches: a historical method to trace the earliest ingress routes since the mid-first Islamic century (c. 46–49 AH / 666 CE); a follow-up analytical method to map the activities of scholars and preachers; and an inferential method to sift established facts from colonial-era distortions.

Findings show that Islam entered via a trans-Saharan network: the Tripoli–Fezzan–Kawar–Kanem corridor; the Kairouan–Tripoli–Murzuq–Kawar route; and the Nile Valley route (Aswan–Darfur–Wadai), alongside local branches converging on Lake Chad as a caravan hub. Mechanisms of diffusion included voluntary adoption and persuasion; the work of preachers and jurists who accompanied caravans; trade and intermarriage; the absence of major natural barriers; the early conversion of Kanem's rulers and their patronage of religious and educational institutions; and organized pilgrimage caravans that formed learned elites who returned as teachers and missionaries. The study highlights Islam's structural imprint on Chadian society through the rise of Islamic polities (Kanem, Wadai and others), consolidation of the Maliki school, expansion of Arabic learning, the proliferation of mosques and Qur'anic schools, and the entrenchment of values of justice and social solidarity. The paper re-centers Chad as a pivotal actor in the history of Islam's spread in sub-Saharan Africa and calls for expanded archival and field research to decolonize prevailing narratives and foreground Chadian Islamic heritage.

Key Words: Chad, Kanem–Bornu, Lake Chad, Saharan caravan routes, spread of Islam in Africa, da'wa, trade and intermarriage, Maliki school, Wadai.

مقدمة:

تعتبر دولة تشاد من الدول الأفريقية التي دخلها الإسلام مبكراً ، منذ عام 49هـ 666م، عندما وصل القائد الفاتح عقبة بن نافع إلى إقليم كوار (شمال تشاد) وترك بعض الفقهاء يعلمون الناس، فمنذ ذلك التاريخ بدء العلماء والتجار الدعاة يقومون بنشر الإسلام ويمارسون هذه المهنة الشريفة داخل دولة تشاد خاصة ودول أفريقيا جنوب الصحراء عامة .

دولة تشاد تعتبر البوابة الرئيسية لجميع الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء ، بالنسبة لدخول وانتشار الإسلام فيها، فقام القادة العلماء والتجار الدعاة الصوفيون بدور بارز في دخول وانتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث أنهم اتبعوا وسائل مهمة في أداء هذه المهمة الصعبة آن ذاك، إذ أنهم جعلوا الوسائل المتمثلة في التجارة والمصاهرة جسراً للوصول إلى هدفهم المنشود، فبلغوا مناطق بعيدة وواسعة في مناطق أفريقيا جنوب الصحراء .

وعليه فإن دخول وانتشار الإسلام في معظم مناطق أفريقيا جنوب وجنوب غرب الصحراء يرجع الفضل للعلماء والدعاة التجار الصوفيون، وعلى الرغم من هذه الجهود التي بذلها هؤلاء الدعاة التي لا تقدر بثمن، إلا أن الباحثين لم يلوهما العناية التامة ، يجب على الباحثين توضيح ذلك الدور عبر دراسات بحثية أكاديمية علمية حتى يتبين دور تشاد في هذا المجال،

*** - مشكلة البحث**

ان دولة تشاد على الرغم من أنها لا تعد من الدول الإسلامية ولا تحكم بنظام حكم إسلامي ولا عضو في جامعة الدول العربية إلا أن واقعها يدل بوضوح على أنها دولة عربية إسلامية، ولكن من المؤسف جداً أن الباحثين لم يتناولوا هذا الموضوع في دراساتهم البحثية الأكاديمية بشكل كبير حتى كاد أن يكون دور تشاد في نشر الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء مجهولاً لدى كثير من الباحثين وهذا كان للمستعمر دوره البارز فيه.

*** - أهمية البحث**

لهذا البحث أهمية بالغة تكمن في النقاط التالية :-

- 1- دراسة موضوع حي يتطلع إلى معرفته الجميع .
- 2- إضافة متواضعة في التاريخ والحضارة الإسلامية للمكتبة التاريخية التشادية.
- 5- توضيح الطرق التي دخل بها الإسلام تشاد، وأهم وسائل انتشاره.

*** - أهداف البحث**

- 1- معرفة دخول الإسلام إلى تشاد
- 2- إبراز الطرق التي دخل بها الإسلام تشاد
- 3- الإضافة العلمية للتاريخ والحضارة
- 4- معرّفو إنتشار الإسلام في تشاد.

منهج البحث:

وقد اتبع الباحث في كتابته هذا البحث ثلاثة مناهج هي:

1-المنهج التاريخي: وذلك لدراسة الطرق التي دخل عبرها الإسلام تشاد، ثم دخول الإسلام وانتشاره في تشاد، ودور الدعاة التشاديين في نشر الإسلام في تشاد والدول المجاورة لها في أفريقيا جنوب الصحراء، منذ دخول الإسلام فيها عام 46هـ/ 666م، وما قام به العلماء والدعاة التجار من دور بارز في نشر الإسلام وتعاليمه السمحاء، وغرس بذور الألفة والمحبة والأمانة والصدق في صدور الأفارقة.

2-المنهج التتبعي التحليلي: وذلك لتتبع نشاط العلماء والدعاة في نشر الإسلام والتعاليم العربية وتحليلها.

3-المنهج الاستنباطي أو الاستدلالي: وذلك للوقوف على الحائق الموجودة واستبعاد الشوائب.

وقد واجه الباحث أثناء كتابته لهذا البحث صعوبات جمة تتعلق بجمع المادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع في بداية الأمر إلا أنني بفضل الله تعالى تجاوزتها.

هيكل البحث:

سار الباحث في كتابة وفق الخطوات التالية:

قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كالتالي:

بدأ الباحث **بالمقدمة**. ناقش فيها: تشاد ودورها في نشر الإسلام في دول أفريقيا جنوب الصحراء.

وتمهيد: ناقش فيه منطقة الدراسة، اسم تشاد وموقعها ومساحتها والتركيب السكاني واللغة والديانة.

المبحث الأول: ناقش فيه أهم الطرق التي دخل بها الإسلام تشاد.

المبحث الثاني: ناقش فيه أهم الوسائل التي اتبعها العلماء والدعاة التجار في دخول وانتشار الإسلام في تشاد والدول المجاورة لها جنوب الصحراء.

المبحث الثالث: ناقش فيه أثر الإسلام على المجتمع التشادي.

الخاتمة: شملت النتائج التي توصل إليها الباحث، والتوصيات والمقترحات.

المصادر والمراجع

وقد بذل الباحث جهودا جادة من أجل الحصول إلى المعلومات المتعلقة بهذا البحث التي تحتويها المصادر والمراجع، حيث أنه واصل جهوده من أجل المواظبة على المكتبات العامة والخاصة، العامة منها : مكتبة جامعة الملك فيصل بتشاد، والخاصة منها مكتبة الأستاذ الدكتور/ محمد صالح أيوب ومكتبة الباحث الخاصة، ومكتبة الأخ الأستاذ/ محمد الأمين مهدي فضلة، ومكتبة الأخ الأستاذ/ عبد الله يونس، ومكتبة الشيخ المغفور له بإذن الله تعالى/ الشيخ علي أحمد طه، وغيرها.

وأخيرا أتوجه بالشكر لله عز وجل على توفيقه لي لإكمال هذا البحث، والشكر كل الشكر إلى كل من وقف معي أثناء إعدادي لهذا البحث.

وأخيرا أتمنى أن يكون هذا البحث نقطة انطلاق للباحثين والأساتذة نحو دراسة دخول وانتشار الإسلام في تشاد.

تمهيد

جمهورية تشاد، التسمية والموقع، والمساحة والتركيب السكانية

أ/ التسمية

أخذت جمهورية تشاد اسمها من البحيرة التي أطلق عليها العرب منذ القدم بحيرة "الشط" وهذه البحيرة تقع في الوقت الحاضر على حدود كل من: نيجيريا والنيجر والكامرون وتشاد، ومن الملاحظ أن دولة تشاد وحدها من الدول المجاورة أخذت تسميتها من البحيرة، وتعتبر بحيرة "الشط" من أكبر البحيرات العذبة في وسط أفريقيا،⁽¹⁾ يغذيها نهري شاري ولوغون، حيث أنها كانت تغطي مساحات واسعة تمتد من الضفة الجنوبية لسلاسل جبال تبستي ومنطقة انيدي شمالاً وحتى جنوب العاصمة أنجمينا جنوباً، وقد كانت تقدر مساحتها الكلية بـ "25" ألف كيلومتر مربع، إلا أن هذه المساحة تقلصت بسبب زحف الكثبان الرملية عليها من ناحية الشمال لشرقي ومخلفات نهري شاري ولوغون، فأصبحت مساحتها حالياً تتراوح بين 8 ألف إلى 10 ألف كيلومتر مربع، وعمقها لا يتجاوز 6 أمتار.⁽²⁾

وعلى الرغم من الوضوح في التسمية إلا أن هناك الكثير من التحريف الذي أصاب التسمية خاصة بعد الاستعمال الأجنبي لها بما جعل الكثير من الكتاب يجتهدون في رسم اسم تشاد انطلاقاً من الرسوم الأجنبية، وقد أورد الباحث/ محمد صالح أيوب بعض اجتهادات الكتاب حول رسم اسم تشاد وهي:

* **الرسم الأول:** انطلاقاً من الرسم الفرنسي (تشاد) وهو الرسم الشائع، وتواجهنا فيه مشكلة رسم التاء في بداية الاسم، لأن وجودها في تركيب (TCH) للضرورة الصوتية وهي حرف ساكن في هذا التركيب يعرف أنه في اللغة العربية يمنع البدء بالحرف الساكن، وفي الفرنسية أيضاً لا ينطق به، هذا بالإضافة إلى حقيقة أن السكان المحليين في تشاد مثل الفرنسيين تماماً، لا ينطقون هذه التاء التي تكتب في بداية الرسم الشائع،

ويستنكرون سماعها حينما ينطقها من يعتمد على الرسم المتداول، ولكن وجودها في الرسم العربي يقتضي نطقها، وهذا ما تخالف النطق الفرنسي والعربي والنطق الأصلي على السواء.

* **الرسم الثاني:** يرسم الاسم (اتشاد) وهو رسم شائع في الخرائط، وبعض المطبوعات في شمال أفريقيا (ليبيا) وسبب زيادة الألف في الاسم على هذا الرسم هو: أن ذلك كان حلاً لمشكلة الابتداء بالساكن في قضية التاء في الرسم الشائع السابق، وهو اجتهاد وجيه ومنطقي.

* **الرسم الثالث:** يرسم الاسم (التشاد) وهو رأي الكاتب/ عبد الرحمن عمر الماحي، وهو رأي في الطريق الصحيح طالما اكتشاف صيغة قريبة من النطق التشادي الذي لا يستطيع الابتداء الساكنة في الرسم الشائع، فأدخل الألف واللام، وهذا يعني من الناحية الصوتية تجاوز مشكلة تحريك التاء وكذلك مشكلة الابتداء بالساكن.

* **الرسم الرابع:** يرسم اسم (شاد) هكذا بدون تاء، وهو تحريف لكلمة "شط" العربية كما يقول بذلك الكثير من الكتاب، حيث أورد البيلي هذا الرسم بقوله: بحيرة شاد، والكلمة تحريف لكلمة "شط" العربية.⁽³⁾

(1) أيوب، محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة، مطابع الصفا للمطبوعات التجارية، الطبعة الأولى 2008م، ص 14

(2) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894-1960م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م، ص 11.

(3) أيوب، محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة، مطابع الصفا للمطبوعات التجارية، الطبعة الأولى 2008م، ص 14

ب/ الموقع والمساحة:

الموقع الفلكي:

تقع جمهورية تشاد فلكياً بين دائرتي عرض 8 إلى 23,5 شمال خط الاستواء، على امتداد مسافة طولها 1,760 كيلومتر، وبين خطي طول 14 إلى 24 شرق خط غرينتش، على امتداد مسافة طولها 1,200 كيلومتر.

أما موقعها الجغرافي: فهي تقع وسط القارة الأفريقية، تحدها ست دول: الجماهيرية العربية الليبية من الشمال وجمهورية إفريقيا الوسطى من الجنوب وجمهورية السودان من الشرق وجمهورية النيجر ونيجيريا من الغرب وجمهورية الكمرون من الجنوب الغربي.

تبلغ مساحة جمهورية تشاد: 1,284,000 كيلومتر مربع⁽⁴⁾، وهي تحتل المرتبة الخامسة من بين الدول الأفريقية من حيث المساحة، بعد كل من: الجزائر 2,381,741 كيلومتر مربع، والكنغو الديمقراطية (زائير) 2,345,095 كيلومتر مربع، والسودان 1,886,068 كيلومتر مربع، وليبيا 1,759,540 كيلومتر مربع⁽⁵⁾، كما تعتبر جمهورية تشاد أكبر دولة حبسية⁽⁶⁾ في أفريقيا، وثالث دول العالم الحبسية، بعد كل من: كازاخستان 2,717,300 كيلومتر مربع، ومنغوليا 1,566,500 كيلومتر مربع⁽⁷⁾.

حيث يتميز سطح جمهورية تشاد بالاستواء وقلّة المرتفعات، حيث أن سطحها شبيه بإناء مفتوح من الغرب تكون المرتفعات جدرانها، من الشمال (سلاسل جبال تبستي) ومن الشرق (مرتفعات وداي) ومن الجنوب (جبل مونت لام) وفي الوسط توجد مرتفعات قيرا ومرتفعات أبو دية، وتسود السهول الطينية في المناطق الوسطى والجنوبية، والسهول الرملية في المناطق الشمالية، هذا بالإضافة للأودية الموسمية والبحيرات، كما يوجد بها الغابات المتدرجة في الكثافة من الجنوب إلى الشمال نسبة لتدرج كمية الأمطار،

التركيبة السكانية

-أما عدد سكان تشاد، على حسب التعداد الأخير للسكان عام 2016م، بلغ عدد سكان تشاد حوالي 14,000.000 نسمة، ويمارس أغلب السكان الزراعة وتربية الماشية والصيد، وتتوقف هذه الأنشطة على الأحوال المناخية بشكل أساسي، وترتكز على الأيدي العاملة في المحيط الأسري، إلا أنه أدخلت الآلات الزراعية الحديثة مؤخراً، وتتم زراعة الحبوب المتمثلة في الذرة البيضاء والحمراء والصفراء والدخن والأرز والبقول السوداني وغيرها، ويعتبر القطن هو المحصول الزراعي الرئيسي التجاري ويمثل هذا المحصول مع تربية الماشية وقصب السكر أكبر مصادر الدخل القومي لتشاد بعد البترول.

اللغة والديانة

. يوجد في تشاد مجموعة كبيرة جدا من الأعراق التي تنحدر من ثلاثة سلالات (السلاسة السامية- السلالة الحامية - السلالة القوقازية) تصاهرت مع بعضها البعض وأنتجت لنا أكثر من مائتان سلالة، لكل سلالة لهجتها الخاصة بها، هذا

(4) محمد، محمد زين نور: التعليم العربي وتحديات العصر في تشاد، مكتبة أبوبكر الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2018م، ص 19.

(5) الهاللي، محمد عبد العزيز: الموسوعة الجغرافية، مطابع العبور الحديثة، القاهرة، ص 16 إلى 105

(6) حبسية: بمعنى مغلقة ليست لها منفذ بحري، أي لا تطل على بحر يحيط بها اليابس من جميع الجهات.

(7) الهاللي، محمد عبد العزيز: الموسوعة الجغرافية، مطابع العبور الحديثة، القاهرة، ص 106.

مما جعل أن تشاد الآن يوجد بها ما يقارب المائتان (200) لغة ولهجة، إلا أن اللغتين الرسميتين للدولة هما: اللغة العربية والفرنسية، وذلك وفقاً لدستور البلاد⁽⁸⁾.

أما التركيب الديني على الرغم من كثرة التباينات في النسب إلا أن الإسلام هو دين أغلبت الشعب التشادي خاصة في المحافظات الشمالية، حيث تصل نسبة المسلمين إلى 70% ونسبة المسيحيين (كاثوليك برو تستانت) إلى 18%، ونسبة المعتقدات الأخرى 12%.⁽⁹⁾

المبحث الأول: الطرق والمسالك التي دخل بها الإسلام تشاد

المبحث الثاني: أهم الوسائل التي ساعدت على دخول الإسلام وانتشاره في تشاد

المبحث الثالث: أثر الإسلام على المجتمع التشادي

المبحث الأول: الطرق التي دخل بها الإسلام تشاد

إنتشر الإسلام على يد النبي عليه الصلاة والسلام في الجزيرة العربية وقبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى أرسل كتبه ورسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام، وقد سار الخلفاء والتابعون من بعده -رضي الله عنه على هذه السياسة، فأرسلوا البعثات شرقاً وغرباً لنشر هذا الدين، الأمر الذي ساعد كثيراً على سرعة نقل الدين الحنيف إلى الكثير من المناطق، وكان من بين هذه الأقطار التي وصل إليها الإسلام بلاد كانم عن طريق مصر وشمال أفريقيا⁽¹⁰⁾.

- وصل الإسلام إلى منطقة السودان الأوسط خاصة حوض بحيرة تشاد في زمن مبكر مقبلاً من إقليم فزان الذي افتتحه المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد عقبة بن نافع بن قيس الفهري، ويحتل إقليم فزان وكوار مكانة هامة بالنسبة لتاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، فيما يكونا معاً الطريق الأوسط الذي كان الناس يعبرون بواسطته الصحراء الكبرى⁽¹¹⁾.

ويعود تاريخ دخول الإسلام في تشاد إلى عهد بعيد، إذ ظهرت الطلائع الأولى للمسلمين في حوض بحيرة كوار (تشاد حالياً) منذ منتصف القرن الأول الهجري السابع الميلادي، وبالتحديد عام 46هـ/666م.

وبحيرة التشاد من أشهر البحيرات في القارة الأفريقية، حيث تلتقي حولها طرق القوافل التجارية التي كانت تعبر الصحراء من دول المغرب صوب الجنوب وبالعكس، ومن غرب أفريقيا إلى شرقها لأداء فريضة الحج، ثم العودة من الشرق إلى الغرب على الطريق نفسه الذي يمر بالبحيرة، هذا فضلاً عن هجرات القبائل الغربية المتعاقبة نحو حوض بحيرة تشاد⁽¹²⁾.

- وعليه فإن الفاتح المسلم عقبة بن نافع وصل إلى إقليم كوار (حوض بحيرة تشاد حالياً) سنة 46هـ/666م، وترك بعض العلماء المسلمين يعلمون سكان الإقليم تعاليم الدين الإسلامي، أما الهجرات بعد سقوط الخلافة الأموية سنة.....وملاحقة بنو العباس لهم، فوصلت مجموعات كبيرة من بني أمية إلى إقليم كوار يحملون معهم الدين الإسلامي الحنيف، وتعاليمه الإسلامية السمحاء، وتعد بحيرة تشاد من أشهر البحيرات في القارة الأفريقية، وهي تعتبر نقطة التقاء القوافل التجارية التي تعبر الصحراء من الشرق إلى الجنوب، وتتمثل أهم الطرق التي وصل بها الإسلام تشاد في الآتي:

(8) الماحي، عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، 1999م، ص 80

(9) الهاللي، الموسوعة الجغرافية، مرجع سبق ذكره، ص 96

(10) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 91.

(11) الماحي، الدعوة الإسلامية في أفريقيا، المرجع السابق، ص 70.

(12) الماحي، الدعوة الإسلامية في أفريقيا، المرجع السابق، ص 79.

1. **طريق** يبدأ من الجزيرة العربية منبع الرسالة المحمدية إلى مصر بوابة أفريقيا ومنها إلى شمال أفريقيا ثم إلى بلما عاصمة إقليم كوار، ثم إلى أنجمي عاصمة مملكة كانم.
2. **طريق** القيروان: كانت القوافل تشرع من القيروان إلى طرابلس ومن طرابلس إلى مرزق، وكانت أكبر مدت فزان، ثم إلى بلما وهي عاصمة إقليم كوار، ومنها إلى أنجمي وهي عاصمة مملكة كانم، وعندها ينتهي الطريق الشرقي.
3. **طريق** وادي النيل: يعتبر وادي النيل الطريق الشرقي الذي ينحدر الناس عبره حتى أسنا بمصر، ثم من أسنا يمتد طريق الأربعين حتى دار فور ووداي، ومن هناك إلى بحيرة تشاد.
4. وعليه فإن العصر الذهبي لمصادر الطرق التي دخل بها الإسلام أفريقيا جنوب الصحراء، يبدأ بعد دخول الإسلام في شمال أفريقيا، حيث استقر المسلمون في المغرب العربي منذ القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، وكتفوا اتصالاتهم بجنوبي الصحراء (حيث دولة كانم)، ما بين حوض بحيرة تشاد شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، وقد سجلت كتب التراث العربي معلومات غزيرة عن هذه المنطقة تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الطرق المؤدية إليها⁽¹³⁾.
5. **طريق** فزان عبر كوار جنوباً إلى حوض بحيرة تشاد⁽¹⁴⁾. وجدير بالذكر فإن عدم وجود حواجز طبيعية بين دولة تشاد والدولة العربية المجاورة لها أدى إلى تعدد الطرق التي دخل بها الإسلام تشاد، إلا أنه على الرغم من هذا التعدد أن أول قدم مسلم وطأت أرض تشاد هو قدم المجاهد المسلم القائد عقبة بن نافع الذي وصل إلى إقليم كوار وفتحه سلماً سنة 46هـ/666م وترك بعض من العلماء المسلمين يعلمون السكان تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فاستجاب العديد من السكان للدعوة الإسلامية وخاصة بعد اعتناق ملكهم المكنى أومي أو حومي للإسلام وبدأ الإسلام ينتشر في مناطق واسعة من أرض تشاد.
6. **طريق** يبدأ من مدينة أسوان ويحاذي البحر الأحمر حتى مدينة كسلا إلى شرق إفريقيا عبر النيل الأزرق، ثم يتجه فرعه القوي إلى إقليم دار فور واقيم وداي وباقرمي وكانم وبرنو.
7. طريق يبد. من مدينة أمبابة ويمر بمدينة الفاشر عاصمة دار فور ثم أبشه عاصمة إقليم وداي وينتهي عند بحيرة تشاد، ملنقى القوافل التجارية القادمة من الشمال والشرق لتبادل السلع التجارية ومعها انتشرت ثقافة الإسلام⁽¹⁵⁾.
8. **طريق** من شمال إفريقيا الذي يبدأ من طرابلس الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وينحدر هذا الطريق جنوباً نحو بلاد كانم، ويمر بإقليم الكفرة ووحدات فزان الواقعة جنوب ليبيا، ثم يمر بواحات إينيدي وفايا وبرداي وجبال تبستي، ويعيش سكان هذه المناطق على التمر ويبادلونه مع التجار القادمين إليهم بالسلع الضرورية التي يحتاجونها من ملح وشعير وقمح⁽¹⁶⁾.

المبحث الثاني: أهم الوسائل التي ساعدت على دخول الإسلام وانتشاره في تشاد

هناك العديد من الوسائل التي ساعدت على دخول الإسلام وانتشاره في تشاد أهمها: التبني الحر والإقناع، والتجار المسلمين الذين جابوا أفريقيا في السابق والدعاة المسلمون التجارة، والمصاهرة واعتناق ملوك كانم الإسلام وحجاج

(13) رجب، محمد علي: انتشار الإسلام في أفريقيا، دار التعليم الجامعي، ص112.

(14) رجب، محمد علي، المرجع السابق، ص113.

(15) الدكو، فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 135.

(16) الدكو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 136.

بيت الله الحرام ودور الملوك والسلاطين ودور التعليم الإسلامي والطرق الصوفية وغيرها، وسنتطرق لأبرز هذه الوسائل كل على حده بشيء من التفصيل:

أولاً: التبني الحر والإقناع:

تشير المصادر العلمية المتوفرة عن وسائل انتشار الإسلام في بحيرة تشاد إلى أن الإسلام انتشر في أفريقيا وراء الصحراء عامة بوسيلتي التبني الحر والإقناع والدليل على ذلك أن انتشاره استقرت فترة طويلة من الزمن فالصورة السليمة لانتشار الإسلام هي التي جعلته يتسرب إلى قطاعات واسعة من الأراضي الإفريقية ولكن في فترة زمنية طويلة⁽¹⁷⁾.

وعليه فإن الأساليب السلمية كانت هي الطابع الغالب على حركة نشر الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية، وأن الإنسان المسلم قد قام بمهمة نشر دينه أينما حل، حتى عرف عنه: أن الميل إلى نشر تعاليم الدعوة عند كل مسلم مهما كان أمر غريزي، وقالوا عنه أيضاً إن المسلم داعية بطبعه وهو يقوم بالدعوة بجهد وحسابه الخاصين⁽¹⁸⁾.

أما انتشار الإسلام في تشاد لم يكن نتيجة دعوة ذات طابع تبشيري، ولكنه انتشر بفضل إشعاع الحضارة الإسلامية التي كانت مزدهرة في شمال إفريقيا منذ بداية القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وانتشر الإسلام في تشاد كما انتشر في القارة الإفريقية بفضل خصائصه الذاتية وتعاليمه الخيرة، كما أن حسن التعامل والتسامح الذي يصدر من المسلمين كان عاملاً من العوامل المهمة التي ساعدت على انتشار الإسلام في المنطقة.

وتشير الدراسات الإفريقية الحديثة إلى أن الإسلام اندمج في التركيبة الدينية الإفريقية بشكل سلس، لدرجة أنه لا يعد ديانة دخيلة (أجنبية) من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المجتمع المسلم في إفريقيا لم يهدف إلى السيطرة المطلقة للأفكار الدينية أثناء انتشار الإسلام في مراحله الأولى، بل كان مؤهلاً للتوافق مع مختلف المعطيات العقائدية والعادات التقليدية التي لا تخالف الإسلام، هذا في أغلب الأحيان⁽¹⁹⁾.

وجدير بالذكر فإن الإسلام حينما انتشر في إفريقيا جنوب الصحراء لم يطمس التراث الإفريقي بل كان ملائماً مع العقلية الإفريقية، كلما كان هذا العقل غير مخالف لمبادئه الأساسية، وكان التوافق بينهما وثيقاً إلى حد أنه صار أحياناً من الصعب أن يميز الإنسان بين التراثين، بل أن الإسلام كان خيراً كبيراً وعونا على حفاظ التراث الإفريقي، عن طريق معينين اللغة العربية، فتعلم الأفارقة اللغة العربية، الأمر الذي جعلهم يشرعون في استخدام تراث الجدود لنقل الإسلام وشرحه، فقامت مدارس إسلامية عظمى تعلم الإسلام باللغة المحلية، ما عدا القرآن الكريم، والنصوص المستخدمة في أداء الصلاة، فهي اللغة العربية وفي كل المدارس الإفريقية لم تهجر المبادئ الأساسية للتراث الإفريقي، بل بالعكس أنها استعملت وشرحت على ضوء الوحي القرآني وذلك لأن لكلام التراثيين الروح المقدسة نفسها للفقيه أو العالم ولهما تصور مشترك للإنسان والأسرة⁽²⁰⁾.

فوسيلتي التبني الحر والإقناع يقوم بها المسلمون عامة، وبشكل خاص الفقهاء وحفظة القرآن الكريم، أو من يأمنون في أنفسهم معرفة شيء من قواعد الشرع يمكن تعليمها للآخرين⁽²¹⁾.

(17) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصر وتحديات العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 25.

(18) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد، المرجع السابق، ص 27.

(19) إسحاق، عز الدين مكي إسحاق: مختصر تاريخ سلطنة وداي الإسلامية العباسية، دار الفضيلة القاهرة، الطبعة الأولى، 2016، ص 18.

(20) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصر وتحديات العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 26.

(21) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد، المرجع السابق، ص 27.

وان الدين الإسلامي يحمل أسباب الإقناع لكل من يكلف نفسه التفكير فيه ويفتح قلبه وعقله لتلمس مبادئه القيمة الخالية من التعقيد، التي ترضي النفس الإنسانية، لاسيما الطبيعة الإفريقية التي تمتاز بحياة البساطة، والذي حُبب إلى الإفريقيين هذا الدين بعض الأمور التي أباحها الإسلام وكانت موافقة للعادات التقليدية قبل اعتناقهم لهذا الدين مثل الزواج بأكثر من واحدة، والحياة الجماعية في محيط الجماعة والقبيلة، وعليه فإن الإفريقيين وجدوا في الإسلام خير دين يحفظ لهم عزتهم وكرامتهم، ويضمن

لهم العيش الكريم، ووجدوا في أتباعه الصدق والأمانة والتعاون ومساعدة المحتاج والأخذ بيد الضعيف، وإكرام الضيف وحسن المعاشرة، وكان الدعاة المسلمون قد تركوا كل مظاهر السلطنة المحلية آن ذاك لأهل البلاد الأصليين وهم الإفريقيون، ليمارسوا إدارة شؤونهم السياسية بأنفسهم دون تدخل من أي عنصر خارجي، لذا نجد الحكام الوطنيين حينما اعتنقوا الإسلام قاموا بنشره بين رعاياهم، ومن جاورهم لأنهم أقدر على فهم روح مواطنهم من غيرهم⁽²²⁾.

كما أن الإسلام يحتوي على مميزات تجذب إليه الأتباع أهمها: أن الداخل فيه لا يحتاج إلى جهد أو عناء، فإنه بعد نطقه بالشهادتين يصبح عضواً في المجتمع الإسلامي الكبير الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد الصين شرقاً، وينعم بجميع الامتيازات التي تنطبق على أتباع هذا الدين.

ومما يؤكد أن الإسلام انتشر بين سكان غرب ووسط إفريقيا عن رغبة وإقناع لا عن رهبة، ولا عن إكراه، من ذويه، أنه ظل ينتشر بينهم حتى في ظل سيادة دول أوروبا المسيحية المستعمرة، بل المناهضة للإسلام، واستطاع دعاة الإسلام تحت ستار التجارة أن يستغلوا الظروف التي هيأها الاستعمار، لنشر دينهم، فقد استعمل التجار ذكاءهم في توصيل الإسلام، إلى المناطق التي لم يتمكنوا من دخولها قبل ذلك، نظراً لوعورة الطرق وانعدام الأمن بها، فقد تمكنوا من ذلك بعد أن دخلها الاستعمار وأقام فيها شيئاً من الأمن والاستقرار وشق بها الدروب والمسالك.

فالإسلام يناسب الجماعات المختلفة، فبعضها يرى فيه نظاماً سياسياً يناسب تقاليدها فتؤمن به ليشد أزرها في كفاحها ضد عدوها، وأخرى ترى فيه نظاماً اجتماعياً واقتصادياً يضمن لها حياة رغدة وأمن واستقراراً فتعتنقه تحضراً ورقياً⁽²³⁾.

ثانياً: الدعاة المسلمون:

يرجح الكثير من الباحثين الفضل في انتشار الإسلام بين القبائل الزنجية في إفريقيا منذ القرن الثامن عشر الميلادي إلى نشاط الدعاة المسلمون، فقد وجد الزوج في الإسلام الطمأنينة بفضل نظامه الاجتماعي (التمثل في العدل والمساواة) ويتمتعون في ظله بالأمن والأمان خلال أسفارهم للتجارة، وكذلك يسر فرائضه.

والإسلام دين فطرة سهل التناول وسهل التكيف والتطبيق على مختلف الظروف، وهذه من أهم العوامل والأسباب التي جعلت الزوج يعتنقون الإسلام، وقد بدل الإسلام مظاهر الحياة في البقاع التي دخلها وأسبغ روح النظافة فيها حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباس فضفاض ونظيف⁽²⁴⁾.

هذه الطبيعة السلمية لانتشار الإسلام جعلته يعتمد على الدعاة والمعلمين الذين وهبوا أنفسهم لنشره بين السكان، وهؤلاء الدعاة لا يمثلون فئة مرسلة من هيئة إسلامية أو حكومة مركزية، بل كانوا يقومون بهذا العمل بدافع الواجب الديني ورغبة منهم في كسب رضى المولى جل وعلا، لذا لم تكن هناك هيئة تشرف على نشاطهم وكانوا يجوبون إفريقيا من الشمال إلى

(22) كلود، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 120.

(23) كلود، فضل كلود، المرجع السابق، ص 122.

(24) رجب، محمد علي: انتشار الإسلام في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 128.

الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، زادهم الإيمان، ورفيقهم القرآن، وعونهم الصبر الجميل على مكائد المخاطر، وهدفهم نشر كلمة التوحيد بين تلك الأمم التي تعيش على الفطرة والصفاء⁽²⁵⁾.

وهؤلاء الدعاة كرسوا جهودهم لدعوة الناس إلى دين الإسلام، وانقطعوا لتعليم الداخلين فيه قواعد الشرع، وهؤلاء كانوا يتوغلون داخل المناطق الوعرة ويختلطون بالسكان ويتزوجون ممن يعتنقون هذا الدين، ويقومون بتعليم الأطفال مبادئ العقيدة، وهؤلاء الدعاة يتوافد إليهم الأطفال المسلمون والوثنيون على السواء طلباً لهذا العلم الجديد، وبعد دراسة شيء من القرآن الكريم يدخل كثير من الوثنيين في الإسلام⁽²⁶⁾.

قام بهذه الجهود الكبيرة العرب المسلمون وساعدهم في ذلك البربر سكان شمال إفريقيا، الذين كانوا يغدون على مناطق إفريقيا شمال الصحراء وغربها في هيئة تجار وفقهاء ومعلمين، ومرابطين في سبيل الله، أخلصوا في الدعوة لهذا الدين، كانوا يقتدون في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، و يهتدون بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (سورة الأحزاب، الآية: 21)، والإسلام لم يكتفي بإعطاء الناس حرية العقيدة فحسب، بل كفل لهم حرية التعبير عن رأيهم، لذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون بالالتزام، جادة العقل والمنطق ومحاجة الخصوم، وأن يكون أسلوبهم في الدعوة إلى الإسلام هو قرع الحجة بالحجة بلطف وحكمة، قال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) (سورة النحل، الآية: 125)، وقال تعالى مخاطباً المشركين (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) (سورة الأنعام، الآية: 148-149).

لذلك كان الإيمان الصحيح في نظر علماء الإسلام هو: ما كان منبثقاً عن يقين وإقناع، لا عن تقليد وإتباع، ومن ثم ذهب بعض علماء التوحيد إلى أن إيمان المقلد غير صحيح.

ثالثاً: التجارة والمصاهرة:

تقع تشاد وسط إفريقيا في منطقة كانت ملتقى الأجناس من العرب والبربر والزنج، فمن الشمال انحدر العرب والبربر يحملون رسالة الإسلام، واللغة العربية ومن الجنوب جاء الزنج ينتشرون نحو الشمال، وهكذا كان الشعب التشادي مزيجاً من الساميين والحاميين وخليط من البيض والسود، كما التقى في تلك البقعة المسلمون بالوثنيين وساهمت التجارة في زيادة الاحتكاك، حيث كانت تشاد مركز التقاء القوافل التجارية من الشمال والغرب والشرق والجنوب.

فإن الاختلاط بين هذه الأجناس والتزاوج بين القبائل جعل من الصعب التمييز بينهما، وبفضل الدعوة إلى الإسلام انتشر بين الزنج وغيره في حد سواء، ونشأ التزاوج الذي جعل الاندماج مع المسلمين يسير سيرا منظماً⁽²⁷⁾.

ومما يجدر ذكره فإن للمصاهرة دور كبير في انتشار الإسلام في تشاد، حينما دخل الإسلام تشاد وتناقلت الهجرات العربية وتكثف النشاط التجاري والدعوي بدأت عملية المصاهرة بين العرب والسكان المحليين، فاختلط الدم العربي بالدم الإفريقي مما وثق العلاقة بينهم، وازداد الأمن والأمان للتجار فانطلق التجار والدعاة المسلمون يجوبون أرض تشاد بتجارهم يصحبون معهم تعاليم الدين الإسلامي ليعلمونها للناس، ويعملون على نشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية بين أفراد المجتمع التشادي، هذا مما أدى إلى سرعة انتشار الإسلام في معظم أنحاء تشاد شرقاً وغرباً ووسط تشاد، أما

(25) أبوب: محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد، مرجع سبق ذكره ص، 26.

(26) الدكو: فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم برنو، مرجع سبق ذكره، ص 121.

(27) شاكر، محمود: مواطن الشعوب الإسلامية، تشاد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ص 52.

المناطق الجنوبية فتأخر دخول الإسلام فيها قليلا نظرا لوعورتها بالإضافة للإرساليات المسيحية التي ازداد نشاطها التبشيري في المنطقة⁽²⁸⁾.

وعليه فإن مناطق جنوب وغرب إفريقيا حينما كانت المسيحية منتشرة فيها، كان الإسلام منتشر في شمال تشاد بدرجة كبيرة وكان لمملكة كانم الإسلامية دور بارز في نشر الإسلام في كثير من مناطق إفريقيا جنوب الصحراء لأنها تعتبر البوابة الرئيسية لهذه المناطق.

من خلال الدراسات التاريخية والأثرية اتضح أن التجار العرب القدماء عرفوا التبادل التجاري مع حوض تشاد، بدليل أنه ابتداء من القرن الأول الهجري، حيث حمل بدايته كان المسلمون التجار عند رحلة تجارتهم تعاليم الإسلام إلى حوض تشاد، كما حملوا العادات والتقاليد والسلوك الحميدة، ولم يكن كل هؤلاء التجار طالبي ربح ومال، بل كان فيهم صفوة مميزة من الفقهاء والعلماء طلبوا تجارة الدنيا والآخرة معا، فاختلفوا مع السكان المحليين في الأسواق والمدن والقرى ونشروا فيهم بنية الحضارة الإسلامية بجميع فضائلها، وسعى بعض التجار وراء الرزق والمستوى الأفضل من العيش، وللحصول على موارد جديدة في تجارتهم فوصلوا إلى جميع المناطق حول بحيرة تشاد وطاب لبعضهم المقام بين أهل البلاد، ومارسوا فيها أنشطتهم واحترموا ما يحترمه السكان المحليين، من (زراعة ورعي وتجارة)، فكان لذلك الاختلاط والمشاركة أثر كبير في تحويل السكان إلى الإسلام، كما تزوج الكثير منهم من القبائل الإفريقية، حتى ظهر عنصر جديد يتقن العربية ويتحدثها بطلاقة إلى جانب اللغات (اللهجات) المحلية⁽²⁹⁾.

وعليه فقد غدا معظم شمال الصحراء الكبرى بلادا إسلامية مقارنة بجنوبها، وإن كان قد ولج بعض المسلمين إليها، وتعمق بعضهم في فيافيها، غير أن ذلك على مستوى محلي، وكما كانت منتجات الشمال تختلف عن حاصلات الجنوب، لذا فقد أخذ التجار المسلمون بعد توقف الفتوحات الإسلامية يحملون البضائع من شمالي إفريقيا ويتعمقون داخل الصحراء حتى يصلوا إلى بلاد الزنوج، فيقايضون السكان هناك ويعودون بأحمال من حاصلات جنوب الصحراء، وكان التجار يتنقلون ضمن قوافل كان لرجالها الأثر الكبير في نقل الإسلام من الشمال إلى الجنوب، وانتشر الإسلام على طول تلك الطرق التجارية التي كانت تجتاز الصحراء، وعم الإسلام تلك الجهات، ومن أطراف الصحراء من ناحية الجنوب تعمق المسلمون داخل الغابات وانتشر الدين الإسلامي بين قبائل تلك النواحي⁽³⁰⁾.

ومن الوسائل التي خدم بها التجار الإسلام في تشاد عنايتهم بمعالم الإسلام ومؤسساته فبنوا المساجد والخلوي القرآنية والمدارس الإسلامية ومدوها بالدعم المادي والمعنوي لتقوم بخدمة المسلمين وتظهرهم بالمظهر اللائق بهم في هذه المناطق البعيدة عن مركز الإسلام نوعا ما، ودعم التجار العلماء والفقهاء في جميع الظروف، فمن المعروف أن قوافل التجار المسلمين التي تجوب أفريقيا يصاحبها في الغالب عالم أو فقيه يكون مرافقا للقافلة في حلها وترحالها، يؤم أفرادها ويعظمهم في صلواتهم ويبصرهم بأمور دينهم خلال رحلاتهم الطويلة ويدعوا لهم بالفلاح في تجارتهم ورفع البلاء عنهم، وبمجرد أن يصل التجار إلى موقع أفريقي سواء أكانت مدينة أو قرية أو بادية يقوم أهل القافلة من التجار بطرح بضائعهم، ويقوم الفقيه أو العالم بتعليم السكان قواعد الإسلام مما جعل للقافلة سمعة حسنة على اعتبار أنها قدمت خدمة للمواطنين وجلبت لهم العلم والدين ولم تجلب لهم البضائع فقط⁽³¹⁾.

(28) أبوب: محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد، مرجع سبق ذكره ص26.

(29) أبوب: محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد، مرجع سبق ذكره ص27.

(30) ياغي، إسماعيل أحمد وآخرون: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الجزء الأول، مكتبة العبيكان السادسة، 1980م، ص34.

(31) أبوب: محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد، مرجع سبق ذكره ص27.

وعلى هذا الأساس ظهرت طرق تجارية سالكة عبر الصحراء، من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وكلها تلتقي حول بحيرة تشاد التي كان تمثل نقطة التجمع لتلك القوافل التجارية، نظراً لأنها تتوسط الإقليم السوداني، حيث قامت فيها سوق تجارية كبرى، تأتيها القوافل من الشمال تحمل الملح والكتب، ومن شرق مصر يأتيها نسيج الحرير والقطن، ويعود تجارها حاملين بضائع السودان الغربي من الذهب والفضة والعاج، وريش النعام، وجلود الثعابين والعطرون، وأهم الطرق التجارية تتمثل في طريق شمال إفريقية الذي يبدأ من طرابلس الواقعة على ساحل البحر المتوسط وينحدر جنوباً نحو بلاد كانم يمر بإقليم الكفرة ووحدات فزان جنوب ليبيا، ثم واحات إينيدي وفايا وبرداي وجبال تبستي، ويعيش سكان هذه المنطقة على التمر ويبادلونه مع التجار القادمين إليهم بالسلع الضرورية، التي يحتاجون إليها من ملح وشعير وقمح.....الخ⁽³²⁾.

ونظراً لوقوع هذه المدن والوحدات والقرى في طريق القوافل التجارية القادمة من الشمال، عمل ساكنوها أدلاء لتلك القوافل عبر الصحراء، وذلك لمعرفةهم بدروبها، وهذا الطريق ينتهي عند مدينة (انجيمي) حاضرة دولة كانم في العصور الوسطى وهي تقع على الضفة الشمالية الشرقية لبحيرة تشاد⁽³³⁾.

وعليه فإن الباحث يرى أن للمصاهرة دور كبير في توطيد دعائم الألفة والمحبة بين سكان تشاد والدعاة العرب المسلمون الذين عكفوا على نشر الإسلام واللغة العربية في تلك الفترة، عبر التجارة التي كانوا يمارسونها، فالمصاهرة جعلت العلاقة بينهم ودية منحتم السكنى والأمان، كما أن هناك صفة متأصلة حتى الآن في المجتمع التشادي وهي: أن معظم القبائل التشادية حينما يصاهرهم فرد من القبائل الوافدة يكون جزءاً لا يتجزأ منهم، يموتون دفاعاً عنه، بالرغم من أن القبائل التشادية لا تزوج فرداً من القبائل الأخرى إلا بعد ما يزونه بموازين العرف عندهم وهي الشجاعة والكرم والمكانة الاجتماعية والحسب والنسب فإذا رضوه زوجه من بنتهم ويكون فرداً منهم، فلذلك أن الدعاة العرب المسلمون تصاهروا مع هذه القبائل التشادية الموجودة آن ذاك، وأصبحوا جزءاً منهم، وانطلقوا ينشرون الإسلام في جميع أنحاء تشاد فمن هنا يمكننا القول أن للمصاهرة والتجارة دور كبير في نشر الإسلام في تشاد وخاصة في أفريقيا جنوب الصحراء عامة⁽³⁴⁾.

رابعاً: عدم وجود الحواجز الطبيعية بين تشاد والبلدان العربية المجاورة:

فقد تسرب الإسلام من ليبيا في مناطق شاسعة في وسط القارة الإفريقية، ولا يزال لها دور كبير في نشر الإسلام واللغة العربية في إفريقية بسبب موقعها الاستراتيجي⁽³⁵⁾.

وعليه فإن عدم وجود حواجز طبيعية، ساعد في سهولة تنقل الدعاة المسلمين في هذه الناطق، مما ساعد ذلك في دخول الإسلام وانتشاره في تشاد، علماً بأن وعورة المنطقة وانتشار الحواجز الطبيعية بها، مثل السلاسل الجبلية التي تمتد إلى مسافات بعيدة، والغابات الوعرة ذات الأودية والخيران، تعيق بشكل أو بآخر الحركة بصفة عامة، سواء أكانت حركة تجارية أو حركة دعوية، فلذا كان لعدم وجود الحواجز الطبيعية دور كبير في وصول التجار والدعاة المسلمون إلى إقليم كوار ومنه إلى مناطق أخرى واسعة جنوبه وشرقه⁽³⁶⁾.

(32) الدكو: فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 125.

(33) الدكو: فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد، المرجع السابق، ص 126.

(34) الدكو: فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد، المرجع السابق، ص 124.

(35) الماحي، عبد الرحمن عمر: الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، 1999م، ص 80.

(36) الباحث.

خامسا: اعتناق ملوك كانم للإسلام:

ترجع أهمية سرعة انتشار الإسلام في تشاد أيضا إلى اعتناق ملوك مملكة كانم للإسلام، واحتضانهم المباشر لعلماء ودعاة الدين الإسلامي، حيث أن أول ملك من ملوك كانم اعتنق الإسلام هو الملك أومي ، أو حومي، حكم المملكة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وأن إسلامه كان له أثر كبير في دعم حركة انتشار الإسلام في المملكة وما حولها، وفي فترته استطاع التجار المسلمون والدعاة المنقطعون للدعوة للإسلام إدخال العديد من القبائل الوثنية في الإسلام، وتوصف فترته بفترة انتعاش الإسلام، وكان من أبرز مظاهر الحركة الدينية الإسلامية الانتشار نحو الجنوب والشرق من مملكة كانم الإسلامية إلى بلاد وداي، وبلاد باقرمي، وبلاد البلالة وبلاد دار سلا، بلاد السلامة، وعلى إثر هذا الانتشار قامت العديد من الممالك والسلطنات الإسلامية في المناطق التي وصلها.

أهمها مملكة وداي- مملكة باقرمي- سلطنة البلالة- سلطنة دار سيل- سلطنة دارتام- مشيخة السلامة وغيرها، كل هذه السلطنات الإسلامية التي قامت حول بحيرة تشاد حيث تتعاون فيما بينها من أجل نشر الإسلام⁽³⁷⁾.

كان لسلطين كانم دور بارز في نشر ثقافة الإسلام بين أمم السودان الغربي والأوسط، ويأتي في مقدمتهم السلطان أومي جلبي، الذي كان أول من اعتنق الإسلام من سلطين كانم، وإليه يعود الفضل في إقامة الدولة على أسس متينة من القيم الأخلاقية، والقوانين المستمدة من القرآن الكريم والسنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وكان أول من جعل للدولة قوانين تحدد سلطة الملك وينظم العلاقة بين الحكام والرعية، وقام بفصل السلطات التشريعية عن السلطات التنفيذية، فأولى العلماء حق شغل المناصب التعليمية والقضائية وجعل منهم مستشارين وكتبة ومؤدبين لأبناء الحكام⁽³⁸⁾.

ووقع على عاتق السلطان (أومي جلبي)، مسؤولية إعادة التخطيط للدولة والانتقال بها من مرحلة الوثنية إلى مرحلة الدين الإسلامي والرقى الحضاري وأصبح الإسلام في حياتهم الجديدة ثورة إصلاحية كبرى شملت جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقد نجح السلطان أومي جلبي في تلك المهمة واستطاع تثبيت دعائم الإسلام في بلاده، وقد ساعده في ذلك أن الدين الجديد وجد الاستجابة السريعة من السكان، نظرا لما وجدوا فيه من السراحة وطيب الخلق، وصدق الداعين إليه والامتيازات التي يتمتع بها أنصاره⁽³⁹⁾.

الإسلام ونظمه الرأقية وفر لسلطين كانم أسباب القوة والسيادة والمجد على من حولهم من الأقطار والقبائل، إذ توسعت حدود دولتهم واكتسبوا أهمية عظيمة ومكانة مرموقة بين الأمم الإفريقية، وصارت دولتهم حامية الإسلام في منطقة غرب ووسط إفريقية، في القرون الوسطى، وصار سلطينها في مرتبة السلطين العظماء الأربعة وهم سلطان الدولة العثمانية، وسلطان غانا وسلطان مالي ، وسلطان كانم⁽⁴⁰⁾.

ومن أشهر سلطين كانم الذين كان لهم دور بارز في نشر الإسلام هم:

السلطان بري بن دونمة (546هـ - 572هـ) 1150 - 1176م

وصف بعض المؤرخين السلطان بري بالضعف وعدم قدرته على اتخاذ القرارات

الحاسمة، خاصة عندما حاد عن بعض قواعد الدين والشرع في حكمه بالقتل على سارق، بدلا من تطبيق عقوبة قطع اليد والواجبة الواردة في الإسلام، لذا سجنته أمه مدة عام كامل عقابا له على هذا الحكم، وقد امتثل السلطان لحكم أمه وقضى

(37) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد وتحديات العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 24، بتصرف.

(38) الدكو، فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم برنو، مرجع سبق ذكره، ص 96.

(39) الدكو، فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم برنو، المرجع السابق، ص 97.

(40) الدكو، فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم برنو، المرجع السابق، ص 95.

مدة السجن، مما عده بعض المؤرخين ضعيفا، ولكن الحقيقة أن هذا السلطان لم يكن ضعيفا كما ظنوا، ولكنه بامتثاله لذلك الحكم إنما كان ينفذ تعاليم الدين الحنيف الذي يوصي بالوالدين إحسانا، وبطاعتها فيما لم يكن فيه شرك بالله الواحد الصمد، كما كان يحترم التقاليد السائدة في بلاده، وهي تعطي لوالدة السلطان التصرف.

ومن سلاطين كانم الذين سجل لهم التاريخ مواقف عظيمة في نشر ثقافة الإسلام في كانم، السلطان دونامة بن دابال الذي حكم في الفترة ما بين (618 - 657هـ) (1221 - 1259م) وهو السابع عشر في سلسلة سلاطين الدولة، ولقب بدونامة الثاني، عرف هذا السلطان بالجد والحزم، وهو الذي نجح في توسيع رقعة الدولة حتى وصل بها إلى منطقة فزان شمالا، وامتدت إلى الشواطئ الجنوبية لبحيرة تشاد وإقليم باقرمي جنوبا، وامتد نفوذ الدولة حتى ضم إقليم دارفور شرقا، وبقيت آثار كانم واضحة في إقليم دار فور، وتم انتشار الإسلام ورسوخه فيها على أيدي الكانميين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين⁽⁴¹⁾.

فبالإسلام ونظمه الراقية توفر لسلاطين كانم أسباب القوة والسيادة والمجد على من حولهم من الأقطار والقبائل، إذ توسعت حدود دولتهم واكتسبوا أهمية عظمى ومكانة مرموقة بين الأمم الأفريقية، وصارت دولتهم حامية الإسلام في منطقة غرب ووسط إفريقية، في القرون الوسطى وصار سلاطينها في مرتبة السلاطين العظماء⁽⁴²⁾.

ومن أبرز سلاطين كانم الذين اشتهرت فترة حكمهم بنشر الدين الإسلامي السلطان سالم (سالما) الذي حكم في الفترة ما بين (1194 - 1220م)، حيث أنه قام بتشجيع العلماء ومنحهم الامتيازات العظيمة، وفي عهده ازداد عدد المساجد والمدارس التي تعلم القرآن الكريم، وكان السلطان سالما أول من بعث كسوة للكعبة من سلاطين وملوك السودان وأصدر بذلك محرما جعل فيه الكسوة للكعبة تقليدا مرعيا في المملكة، كما أصدر محرما آخر يكرم فيه العالم عبد الله بلي بن بدر بن بيكور وجعل أملاكه وذريته حراما على السلاطين والحكام في دولته وأوصى أن يكون هذا الامتياز مرعيا من بعده، وأنه يتبرأ ممن يخالف ما جاء في هذا المحرم⁽⁴³⁾.

كان الفضل يعود إلى السلطان أومي جلبي باعتباره أول سلاطين كانم اعتنقا للإسلام، بل وجعله الدين الرسمي للدولة، فإن الفضل يعود إلى السلطان دونامة أو دونمة الثاني في نشر هذا الدين وتثبيتته في داخل البلاد وخارجها على نطاق واسع، كما عمل على توحيد كلمة المسلمين وتنقية المجتمع وتطهيره من الرذيلة والخرافات والبدع والوثنية، حيث أنه حطم المعبد الوثني الذي يعرف باسم ميون (mune)، فوضع بذلك حدا للأوهام التي كان السكان يعتقدون فيها ويعلمون ذلك بأنها كانت السبب في انتصاراتهم على أعدائهم، وأكد بذلك للإسلام قولاً وعملاً وبرهن على بطلان ما عده من المعتقدات⁽⁴⁴⁾.

ويعتبر السلطان دونمة هو أول من تلقب بلقب أمير المؤمنين وذلك تأسيسا بالسلطان الحفصي المنتصر، والمعروف أن السلطان الحفصي تلقب بأمير المؤمنين، وهو أول ملوك آل حفص يأخذ هذا اللقب، فتأثر به سلاطين كان واتخذوا هذا اللقب ابتداء من دونمة إلى سائر خلفائه من بعده⁽⁴⁵⁾.

(41) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سبق ذكره، ص 103.

(42) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، المرجع السابق، ص 104.

(43) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، المرجع السابق، ص 104.

(44) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سبق ذكره، ص 105.

(45) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سبق ذكره، ص 106.

سادسا: مواكب حجاج بيت الله الحرام

من العوامل التي ساعدت السلاطين على نشر الإسلام في بلاد كانم وسائر مناطق غرب إفريقيا، مواكب الحج التي يعدها ويشرف عليها السلاطين، فكانوا يبعثون مع تلك الموكب العديد من الجند لمرافقتها وحراستها من غارات قطاع الطرق والصوص، وكان لتلك القوافل مواسم محددة، وكان كل حاكم عليه حراسة وتأمين سلامة القافلة في أرضه حتى يسلمها للحاكم الذي يجاوره، حتى تصل تلك القوافل إلى بلاد مصر، ومنها تعبر برزخ السويس (46).

وعليه فإن الحج من أهم أسباب انتشار الإسلام بين الأمم الإفريقية، حيث كان الحجاج يرتحلون من بلادهم في طريقهم إلى أداء فريضة الحج، وعند مرورهم ببلاد كانم فمنهم من تتقطع بهم أسباب السفر والارتحال فيعمل في مختلف الحرف حتى يجمع ما يمكنه من مصاريف الرحلة، ومنهم من يطيب له المقام فيمضي السنين العديدة قبل أن يعود من رحلته، ومنهم من يطيب له المقام فيمكث بها ليتعلم ويعود إلى بلاده عالما ينشر الإسلام، والحج أفسح المجال للمسلمين وأتاح لهم فرصة الالتقاء لتبادل الآراء والمشاورة في أمور دينهم ودنياهم، بل كان للحج دور هام في تثبيت ملك سلاطين كانم، فهو إلى كونه فريضة يجب أدائها على كل مسلم قادر عليها، كان يعطي على السلاطين هبة ووقارا واحتراما بين رعاياهم، لذلك اهتم السلاطين بأداء فريضة الحج وكان أول ملك قام بالحج هو السلطان أومي جيمي عام 491هـ، 1097م إذ شد الرجال إلى بيت الله الحرام ولكنه مات بأرض مصر بعد عودته من الأراضي المقدسة، ثم تلاه في الحكم ابنه السلطان دونامة الأول الذي حكم في الفترة ما بين عامي (492 - 542هـ)، 1098 - 1151م، وهو ثاني سلطان مسلم في إمبراطورية كانم، وقد واصل دونامة سيرة أبيه في نشر الإسلام وتعميق ثقافته بين الرعية، وتوسيع رقعته في داخل القارة الإفريقية فقام بغارات متعاقبة على بلاد النيجر وبلاد الهوسا وإقليم شاري باغرمي الواقع جنوب بحيرة تشاد (47).

وعليه فإن بعد الأراضي المقدسة - مكة والمدينة - عن حوض بحيرة تشاد، فإن الرحلة إلى الحج تكسب صاحبها مكانة كبيرة، لدى السكان، فالمواطنون في تشاد يعتبرون الحاج قد اجتاز الكثير من المراتب في سلم الإسلام، وأهم هذه المراتب أدائه لفريضة الحج المكلفة جدا في السابق، واكتسب خلالها خبرات علمية وثقافية من خلال اجتماعه بإخوانه المسلمين من شتى بقاع الدنيا، وبالتالي يتوقعون أن يتحول الحاج إلى داعية إلى الإسلام بعد رحلة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة واكتسابه خلالها العديد من الخبرات الحياتية والروحية، والتي تغطي عليه شيئا من الهيبة حسب العادات الإفريقية، وتعطيه درجة عالية بين قومه، والحاج التشادي مثل بقية الحجاج الأفارقة غالبا ما يتأخر في رحلة الحج، ولا يعود إلا بعد قضاء مدة طويلة يقضي بعضها في جوار الحرمين الشريفين، يتلقى فيها تعاليم الدين الإسلامي في حلقات العلماء، ويتلقى نظام الدعوة إلى الإسلام وشيء من علوم الفقه وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتوحيد والتفسير، فإذا صار قادرا على حمل الرسالة وتبليغها للناس أجازته أساتذته من الحرمين ودعوا له بالتوفيق في نشر الإسلام في بلاده (48).

فالحاج التشادي بعد أدائه لفريضة الحج يظل فترة من الزمن في الأراضي المقدسة للتفقه ثم يعود إلى بلاده داعيتا فقيها، فيقوم بنشر الإسلام وتعاليمه السمحاء في أوساط مجتمعه، وأن الحاج التشادي مسبقا له مكانة عليا في المجتمع التشادي لأن الحاج في تلك الفترة يعني الفقيه والعالم والعارف بالله فكانته في وسط مجتمعه مكانة دينية، وكانت كلمته مسموعة ومؤثرة في نفوس المواطنين، فلذا كان له أثر واضح في نشر الإسلام في تشاد، ومواكب الحج تعتبر من أهم الوسائل التي تساعده على نشر الإسلام في تشاد.

ويستغل الحاج التشادي هذه الميزات وإكرام الناس له واستقبال السلاطين والملوك ورؤساء القبائل له بالترحاب في الدعوة إلى نشر الإسلام بين أكبر عدد من الناس وتعليمهم أمور دينهم، فالحج وسيلة هامة لتبليغ الدعوة الإسلامية في

(46) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سبق ذكره، ص 103.

(47) الدكو: فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سبق ذكره، ص 100.

(48) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد وتحديات العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 24، بتصرف.

تشاد، بل وإلى كسب مكانة اجتماعية عالية في المجتمع ففي المجتمع التشادي المعاصر أيضاً، التاجر الذي يريد أن يكتسب ثقة الناس يكثر من الحج ويساعد في حج الآخرين، والسultan الذي يريد أن يطاع عليه أن يسبق اسمه بلقب الحاج، ورئيس الدولة الذي يريد تأييد الناس له عليه أن يسبق اسمه بلقب الحاج، فلقب الحاج في تشاد كفيل بأن يجعل صاحبه يحاط بالهيبة مع علو الدرجة ومجمل القول أن تاريخ تشاد يمتد إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، ولكن دولة تشاد الحالية تم تحديد وضعها القانوني بعد إحتلال أجزاء كبيرة السلطات الإسلامية من قبل فرنسا، حوالي 1900م وتوصلت الدراسات إلى أن انتشار الإسلام في هذه المنطقة يرجع إلى القرن الأول الهجري السابع الميلادي⁽⁴⁹⁾.

المبحث الثالث: أثر الإسلام في المجتمع التشادي

وصلت بوادر الإسلام الأولى إلى تشاد منذ زمن مبكر وبالتحديد عام 46هـ 666م عندما وصل القائد المسلم الفاتح، عقبة بن نافع إلى إقليم كوار وترك العلماء المسلمون يعلمون الناس تعاليم الدين الإسلامي، ومنذ تلك الفترة أخذ سكان تشاد يعتنقون الإسلام وبفضل ما يحتويه هذا الدين من فضائل متعددة من سماحة وعدالة وبساطة ومساواة، وكذلك بفضل الدعاة الذين وهبوا أنفسهم للدعوة لهذا الدين الحنيف الذين اتبعوا نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دعوتهم التي قال الله فيها : قال تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (سورة النحل، الآية: 124) وبفضل ذلك كله اعتنق الملوك والسلاطين في تشاد الإسلام واحتضنوا العلماء ومنحوهم الأمان في الدعوة، مما أدى ذلك إلى مسار آخر للدعوة في تشاد خاصة وفي إفريقيا جنوب الصحراء عامة، ونشطت حركة الدعوة بأمان وتغلغل أولئك العلماء الدعاة في قلب هذه المنطقة الصحراوية، يجدون في السير ويطلبون هداية الناس على أيديهم وتم اعتناق جماعات كبيرة من سكان الصحراء الدين الجديد⁽⁵⁰⁾.

ولم يمض زمن طويل حتى تكاثرت الأعداد المسلمة وشعر السكان بالأمن والأمان والعدل والمساواة، حيث شعروا أنه لا فرق بين الألوان ولا تمييز بين الأجناس ولا تفضيل في المراكز ولا ظلم فاطمأنت القلوب لذلك استعد المسلمون وأقاموا عدة ممالك إسلامية في تشاد التي تعتبر ذات أثر كبير للإسلام في المجتمع التشادي.

كانت تشاد تضم عدة ممالك إسلامية منها مملكة كانم الشهيرة التي تعتبر أول مملكة إسلامية قامت في إفريقيا جنوب الصحراء وبسطت نفوذها السياسي والثقافي والاقتصادي في السودان الأوسط في الفترة الواقعة ما بين عامي 800م- 1600م⁽⁵¹⁾، ومركز هذه المملكة شمال شرق بحيرة تشاد، وقد حكم هذه المملكة أسرة سيف بن زي يزن الحميرية من عام 800 - 1110م، وقد ظلت هذه المملكة فترة على الوثنية، وقد دخل إليها الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وكان أول الأمراء الذي اعتنقوا الإسلام يدعى (أوم / أومي) وقد حكم البلاد بين 1086 - 1096م، وفي عهد الملوك الملقبون ب (ماي) الذين خلفوا الملك أومي أو حومي انتشر الإسلام انتشارا واسعا وذلك بعد انتصارات عربية على الشعوب الوثنية وهي شعوب (تيدا) في الشمال وشعوب (صو) في الجنوب وقد شملت هذه المملكة من النيجر غربا وتضم أجزاء من بلاد الهوسا وتصل إلى منطقة وادي شرقا كما شملت كافة الصحراء التي استعانوا على فتحها بحكام تونس من الحفصيين.

مملكة وادي: إن بلاد (وادي) عبارة عن تلك المنطقة الواقعة إلى الشمال من (فورت لامي) والواقعة كذلك إلى الجنوب من البلاد المعروفة باسم (بركامي) أو بلاد (البركو)، والبركو أفارقة يعيشون إلى الجنوب من بلاد (كاوار)، ويقول المؤرخون إن شعب (البركو) المجاورة لكانم عرفت منذ عهد بعيد الإسلام الذي اكتسبه من جيرانه سكان كانم المسلمين، لقد

(49) أيوب، محمد صالح: مظاهر الثقافة العربية في تشاد وتحديات العولمة، مرجع سبق ذكره، ص 28.

(50) شاكر، محمود: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، تشاد، موسوعة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص 37.

(3) المرجع نفسه، ص 83

تأخر دخول الإسلام إلى هذه المنطقة بسبب وعورتها فأمكن للفئات غير الإسلامية، أن تعتصم فيها، كما أن الأسرة الحاكمة قد بقيت على الوثنية

حتى القرن السادس عشر الميلادي، وأن أول ملوك المسلمين هو السلطان عبد الكريم بن جامع الذي لقب بمجدد الإسلام⁽⁵²⁾.

ويتميز التشادي بالتواضع والكرم الفياض والروح المرحية والصدق والأمانة، والنظافة والأناقة، والتفاني في خدمة الغير واحترام العلماء، والتعاون على البر والتقوى وحب العلم والتنافس في بناء المساجد والزوايا والخلوي وحب الخير للناس أجمعين، ويتبع المسلمون التشاديون المذهب المالكي في حل قضاياهم الفقهية المختلفة ويظهر تحفزهم إزاء كل جديد في الفكر الإسلامي، لذلك لم تظهر عندهم طرق صوفية غير الطريقة التجانية⁽⁵³⁾.

* - الخاتمة :

تم بحمد الله وفصله هذا البحث الذي احتوى على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وبعد مناقشته لجميع مباحث هذا البحث توصل الباحث على النتائج التالية:

أ/ النتائج:

- 1- توصل الباحث على أن الاسم دخل تشاد في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي (666م).
- 2- دخل الإسلام وانتشر في تشاد عبر عدت طرق تقع شمال تشاد من طرابلس إلى تشاد، وطرق أخرى تقع شمال شرق تشاد من مصر إلى إقليم دار فور وصولاً إلى تشاد.
- 3- توصل الباحث على أن هناك عوامل عدة ساعدت على دخول وانتشار الإسلام في تشاد.
- 4- توصل الباحث على أن هناك ملوك وسلطين تشاديون اعتنقوا الإسلام إبان دخوله تشاد وساهموا في نشره بشكل كبير.
- 5- توصل الباحث على أن للإسلام اثر كبير وواضح على المجتمع التشادي، يظهر هذا الأثر في إنشاء الممالك الإسلامية في الأراضي التشادية، أهمها مملكة كانم الإسلامية التي تعتبر أول مملكة إسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء، وكذلك مملكة وداي الإسلامية.

ب/ التوصيات والمقترحات:

- 1- يقترح الباحث تكثيف الجهود في دراسة تاريخ تشاد الإسلامي، وذلك بهدف تنقيحه من الشوائب التي علقها به المستعمر وتقديمها للباحث صحيحاً.
- 2- يقترح الباحث إقامة الندوات تناقش فيها مواضيع تتعلق بدراسة المجتمع التشادي الإسلامية قبل مجيء المستعمر، وذلك للوقوف على الحقائق التي حرفها المستعمر .
- 3- إقامة مؤتمرات علمية يشارك فيها المثقفين من جميع الولايات التشادية لإبراز التراث التشادي الإسلامي وحفظه.
- 4- دعم الباحثين في المجالات التاريخية .

(52) الحسيني، الشيخ ابراهيم صالح: تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو، مرجع سبق ذكره، ص 49.

(53) الماحي، عبد الرحمن عمر: الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، مرجع سبق ذكره، ص 83.

المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

1- القرآن الكريم

أحاديث السنة النبوية المطهرة.

ب/ المراجع:

1. أيوب، محمد صالح. *مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة*. مطابع الصفا للمطبوعات التجارية، الطبعة الأولى، 2008م.
2. أيوب، محمد صالح. *مظاهر الثقافة العربية في تشاد*. مطابع الصفا للمطبوعات التجارية، الطبعة الأولى، 2008م.
3. إسحاق، عز الدين مكي. *مختصر تاريخ سلطنة وداي الإسلامية العباسية*. دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2016م.
4. الحسيني، الشيخ إبراهيم صالح. *تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو*. دار النشر الإسلامي، بدون تاريخ.
5. الدكو، فضل كلود. *الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم برنو*. منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، 1998م.
6. الهلالي، محمد عبد العزيز. *الموسوعة الجغرافية*. مطابع العبور الحديثة، القاهرة.
7. رجب، محمد علي. *انتشار الإسلام في أفريقيا*. دار التعليم الجامعي.
8. شاكر، محمود. *مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا: تشاد*. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
9. الماحي، عبد الرحمن عمر. *تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م)*. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م.
10. الماحي، عبد الرحمن عمر. *الدعوة الإسلامية في أفريقيا: الواقع والمستقبل*. منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، 1999م.
11. محمد، محمد زين نور. *التعليم العربي وتحديات العصر في تشاد*. مكتبة أبوبكر الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2018م.
12. ياغي، إسماعيل أحمد وآخرون. *تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر*. الجزء الأول، مكتبة العبيكان، الطبعة السادسة، 1980م.

عنوان البحث

الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود: أركانه ودلالاته وتأثيراته على أسس النهضة الاقتصادية وركائز بناء الدولة الحديثة (1932 – 1953م) (دراسة تاريخية - تحليلية)

د. مهند فاروق محمد أحمد¹

¹ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك، قسم التاريخ والحضارة – كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – السودان.

بريد الكتروني: mohandshbly@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0004-7617-3546>

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/35>

<https://arsri.org/10000/611/35> المعروف العلمي العربي للأبحاث:

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود بوصفه الإطار الذي أسس لنهضة المملكة العربية السعودية الحديثة، من خلال دراسة أركانه ومبادئه وتطبيقاته العملية في مجالات الزراعة، التجارة، البنية التحتية، والتنمية البشرية. تبرز أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على الجذور الفكرية والعملية لاقتصاد الدولة السعودية، وتبين كيف أسهمت السياسات المبكرة للملك المؤسس في بناء اقتصاد وطني متنوع ومستقل قبل الطفرة النفطية.

تعالج الدراسة إشكالية جوهرية تتمثل في كيفية توظيف الملك عبد العزيز لموارد محدودة في بيئة قاسية لبناء دولة موحدة ومستقرة اقتصاديًا واجتماعيًا. اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي القائم على استقراء النصوص والوثائق ومقارنتها بالسياقات السياسية والاجتماعية لعصر التأسيس.

توصلت النتائج إلى أن الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز ارتكز على مبادئ الاعتماد على الذات، وتنمية الموارد المحلية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وربط التنمية بالهوية الدينية والوطنية، مما أسس لنموذج تنموي متوازن ومستدام. كما شكلت سياساته نواة لاقتصاد متنوع مكن المملكة من تحقيق الاستقلال والسيادة في سياساتها الاقتصادية والداخلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: الفكر الاقتصادي، الملك عبد العزيز، التنمية المستدامة، الوحدة الوطنية، الاستقلال الاقتصادي.

RESEARCH TITLE

The Economic Thought of King Abdul-Aziz Al Saud: Its Foundations, Significance, and Impact on the Principles of Economic Renaissance and the Pillars of Modern State-Building (1932–1953) A Historical and Analytical Study**Dr. Muhand Faroug Mohammed Ahmed¹**

¹ Associate Professor of Modern and Contemporary History, Department of History and Civilization, Faculty of Economics and Social Sciences, University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences, Sudan

Email: mohandshbly@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0004-7617-3546>

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/35>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/35>

Received at 07/10/2025**Accepted at 15/10/2025****Published at 01/11/2025****Abstract**

This study aims to analyze King Abdul-Aziz Al Saud's economic thought as the foundation for Saudi Arabia's modern renaissance. It explores its core principles and applications in agriculture, trade, infrastructure, and human development. The significance lies in revealing how early royal policies built a diversified and independent economy even before the oil boom.

The central problem addressed is how King Abdul-Aziz utilized limited resources within a harsh environment to establish a unified and stable state. The study employs a historical-analytical approach, examining primary texts and contextualizing them within the socio-political framework of early Saudi statehood.

Findings show that King Abdul-Aziz's economic vision was based on self-reliance, resource development, social justice, and the integration of national identity with Islamic values. These principles laid the groundwork for a balanced, sustainable economy and strengthened Saudi Arabia's political and economic sovereignty.

Key Words: Economic thought, King Abdulaziz, sustainable development, national unity, economic independence.

تمهيد

أبصر الملك عبد العزيز النور عام 1293 هـ الموافق 1877م، وشهد في مراحل نشأته الأولى فترات حالكة تمثلت في الأحداث الجسام التي أفضت إلى سقوط الدولة السعودية الثانية. لقد كان لهذه الوقائع التاريخية بالغ الأثر في صقل شخصيته الفذة وتأسيس عزمته الراسخة نحو استعادة وحدة البلاد الممزقة. فقد أمضى جزءاً من حياته في ترحال مستمر بين القبائل، الأمر الذي علّمه جلائل الصبر ومرونة التكيف مع قسوة الظروف المحيطة. كما اكتسب خلال تلك الفترة خبرات قيادية رفيعة وقدرات تفاوضية متميزة من خلال احتكاكه المباشر وتفاعله مع شيوخ القبائل والأمراء والحكام الآخرين في محيطه.⁽¹⁾

عقب تمكن الملك عبد العزيز آل سعود من لمّ شتات الجزيرة العربية وجمع أجزاء الأراضي التي باتت تشكل اليوم المملكة العربية السعودية، تلت ذلك خطوة ضرورية وحتمية لترسيخ دعائم هذا الكيان الناشئ وإضفاء هوية وطنية جامعة عليه. ففي السابع عشر من سبتمبر من عام 1932م، صدر مرسوم ملكي ذو أهمية تاريخية يقضي بتوحيد هذه الأقاليم المتزامية الأطراف تحت مسمى موحد هو "المملكة العربية السعودية". هذا المسمى، الذي انبثق عن توافق في الرؤى بين جلالة الملك ومستشاريه وأفراد بيته، شكل تنويعاً لمسيرة حافلة بالتحديات والجهاد. ولم يقتصر المرسوم الملكي على إعلان توحيد البلاد فحسب، بل تضمن أيضاً توجيهات صريحة بوضع نظام أساسي متين للدولة، وتحديد آلية واضحة ومنظمة لتوارث الحكم، وتشكيل مجلس للوكلاء ليكون بمثابة الجهاز التنفيذي المساعد للحاكم. وقد شرع في تنفيذ هذه التوجيهات فور صدورهما، حيث شهد شهر مارس من العام اللاحق، أي عام 1933م، انطلاق الخطوات العملية الأولى في هذا المسار البناء.⁽²⁾

على الرغم من التحديات الجسيمة التي اعترضت مسيرة الملك عبد العزيز في فجر تأسيس المملكة، إلا أنه استطاع بفضل رؤيته الثاقبة وإصراره الدؤوب على تحقيق التنمية الشاملة أن يرسخ الأسس القوية لدولة فنية تنشد القوة والازدهار. وقد شهدت المملكة بعد اكتشاف الثروة النفطية تحولاً نوعياً، إذ تضاعفت الإيرادات المالية بشكل كبير، الأمر الذي مكن الدولة من تسريع وتيرة التنمية في كافة القطاعات. ومع ذلك، فإن القواعد التي أرساها الملك قبل ظهور النفط كانت بمثابة حجر الزاوية في هذا التطور اللاحق، حيث أسهمت في بناء مؤسسات حكومية راسخة وكوادر بشرية وطنية مؤهلة. وقد برهنت السياسة المتوازنة التي انتهجها الملك في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية على أهميتها البالغة في بناء مجتمع متماسك ومتقدم.⁽³⁾

المبحث الأول: أركان الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود

ارتكز الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود على مجموعة من المبادئ التي صاغت رؤيته لبناء دولة قوية ومستقرة. وقد تجسدت هذه المبادئ في أركان اقتصادية ركزت على تطوير الموارد المحلية، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتنمية القطاعات الإنتاجية الحيوية، وتعزيز الاستقلال الاقتصادي، بما يسهم في بناء مؤسسات الدولة الحديثة.

(1) فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود: موجز تاريخ الدولة السعودية (1157هـ/1744م-1438هـ/2017م)، (جامعة المجمعة، الرياض، 1439هـ/2018م، ص 67.

(2) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م، ص 158.

(3) فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود: مرجع سابق، ص 83.

أولاً: الاعتماد على الذات وتنمية الموارد المحلية

آمن الملك عبد العزيز بأهمية الاعتماد على القدرات الذاتية وتنمية الموارد المحلية، مركزاً جهوده على قطاعي الزراعة والثروة الحيوانية، اللذين شكّلا العمود الفقري للاقتصاد الوطني آنذاك.

أ. الزراعة

قبل توحيد المملكة، اعتمد الإنتاج الزراعي بشكل رئيسي على الحبوب كالقمح والشعير في المناطق الجبلية والواحات، وزراعة الفواكه والخضروات في مناطق محددة مثل القطيف والطائف، فيما كانت التمور من أهم المحاصيل المنتشرة. كما زُرعت محاصيل أخرى مثل البرسيم والبن والقطن على نطاق محدود، واعتمد السكان أيضاً على منتجات الغابات الطبيعية كاللبان والصمغ.⁽⁴⁾

واجهت الزراعة تحديات عدة منها شح المياه، وتدهور الأراضي، والتقنيات التقليدية المحدودة، ما أدى إلى انخفاض الإنتاجية وتأثير سلبي على المعيشة والنمو الاقتصادي والاجتماعي.⁽⁵⁾ لذلك، شرع الملك عبد العزيز في توطين البدو ضمن مستوطنات زراعية (هجر) لتوفير فرص عمل مستقرة في الزراعة، ما ساهم في بناء مجتمع زراعي منتج يدعم الاكتفاء الذاتي الغذائي.⁽⁶⁾ كما شجع على استصلاح الأراضي غير المستغلة، واستقدم خبراء زراعيين لتحسين الإنتاجية.⁽⁷⁾

وفيما يخص المياه، نفذ الملك مشاريع ضخمة مثل حفر الآبار الارتوازية وتطوير شبكات توزيع المياه، خصوصاً في منطقة الخرج، لتوسيع الرقعة الزراعية وتحسين الإنتاج.⁽⁸⁾ كما قدم الدعم المالي والفني للمزارعين، ووفّر البذور والأسمدة، وأعطى المعدات الزراعية من الرسوم الجمركية.⁽⁹⁾

أسست الحكومة مؤسسات متخصصة لإدارة القطاع الزراعي، أبرزها المديرية العامة للزراعة عام 1367هـ، ثم تطويرها لاحقاً إلى وزارة الزراعة والمياه عام 1373هـ، لتشمل التدريب والاستشارات الفنية والمشاركة في المنظمات الزراعية الدولية.⁽¹⁰⁾ كما أطلقت مشاريع زراعية نموذجية مثل مشروع الخرج الزراعي، والذي ساهم في استصلاح الأراضي وتحسين جودة الإنتاج الزراعي وتوفير فرص العمل.⁽¹¹⁾

ب. الثروة الحيوانية

تمتعت المملكة بثروة حيوانية متنوعة، تشمل الإبل في الصحاري، والأغنام والماعز المتعددة الأصناف حسب البيئات، والبقرة في المناطق الزراعية، إضافة إلى الخيول والحمير. شكلت هذه الثروة مصدراً رئيسياً للغذاء

(4) خلف الله بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، الدارة، العدد (4)، 1420هـ، ص 53-54.

(5) عبد المنعم سلبع: أضواء على الزراعة العربية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، د.ت، ص 162.

(6) موسى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود: الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز، دار الساقى بيروت، 1992م، ص 26.

(7) خلف الله سليمان النمري: التنمية الزراعية في ضوء الشريعة الإسلامية، ج1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1416هـ، ص 55.

(8) خلف الله بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، مرجع سابق، ص 35.

(9) نفس المرجع، ص 48.

(10) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م، ص 320.

(11) عبد الله السدحان وعبد العزيز الغامدي: الزراعة والمياه في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض، 1406هـ، ص 23.

والصناعة المحلية.⁽¹²⁾ ورغم ازدهار الإنتاج الحيواني، واجه القطاع تحديات مثل الهجرة من الريف للمدن، وتدهور المراعي بسبب الجفاف والرعي الجائر، ما دفع الحكومة لتعزيز الأمن الغذائي عبر استيراد اللحوم والألبان.⁽¹³⁾

ثانياً: الحج والعمرة ودورهما الاقتصادي

أولى الملك عبد العزيز اهتماماً بخدمة الحرمين الشريفين، مدركاً الأهمية الاقتصادية للحج والعمرة كمحرك للنشاط التجاري والتنمية المحلية. بعد توحيد المملكة، طورت الحكومة مكة المكرمة والمدينة المنورة لتوفير الخدمات اللازمة للحجاج، ما أسهم في زيادة أعدادهم وتنشيط الحركة الاقتصادية.⁽¹⁴⁾

نُظمت الرحلات لتصبح آمنة وميسرة، وشكلت لجان لتنظيم موسم الحج ووضع لوائح جديدة شملت النظافة والأمن وحركة الحشود، وأسست المديرية العامة لشؤون الحج عام 1365هـ للإشراف على جميع جوانب الموسم.⁽¹⁵⁾

وقد أكد الملك عبد العزيز هذا التوجه في خطاب له أمام الحجاج، قائلاً: "لقد حكمت هذه البلاد حكومات، لم تقدر على تأمين الطريق... ونحن جند من جنود الله يسعى لخير المسلمين".⁽¹⁶⁾

ثالثاً: التنوع الاقتصادي واستقلال المملكة المالي

أ. اكتشاف النفط

أدرك الملك عبد العزيز أهمية النفط كمورد استراتيجي، ووقع اتفاقية مع شركة "ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا" عام 1933م، ما مهد الطريق للتنقيب والإنتاج التجاري عام 1938م بالقرب من الدمام.⁽¹⁷⁾ وأدى الاكتشاف إلى تحول الاقتصاد من تقليدي إلى صناعي متنوع، وأسهم في توفير فرص عمل وتحسين البنية التحتية وتنويع مصادر الدخل.⁽¹⁸⁾

ب. التنقيب عن المعادن

أطلق الملك عبد العزيز جهود استكشاف المعادن الثمينة لتقليل الاعتماد على مصدر دخل واحد، واستقبل خبراء مثل كارل تويتشل لتقييم إمكانات الذهب والمعادن الأخرى، ما أتاح وضع قوانين تنظيمية وتدريب كوادر وطنية

(12) خلف الله بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، مرجع سابق، ص 62.

(13) محمد علي رضا الجاسم: مقدمة في اقتصاديات المملكة العربية السعودية ج1، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1972م، ص 235-236

(14) خدمة ضيوف الرحمن: شرف وأولوية وأمانة: مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج المجلد/العدد: ع9، 1442هـ، ص9.

(15) نفس المرجع، ص. 11.

(16) حسني عبد المعز عبد الحافظ: "قراءة في نص خطاب تاريخي للملك عبد العزيز أمام حشد من وفود الحجيج". مجلة الحج والعمرة س. 53 ج 8 (1998): 28-30. مسترجع من

[\(http://\[search.mandumah.com/Record/322186\]\(https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record/322186\)\)](http://[search.mandumah.com/Record/322186](https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record/322186))

(17) طلال محمد نور عطار: "النفط السعودي في عهد الملك عبد العزيز". التوباد ع19 (1999): 104-110. مسترجع من

[\(http://\[search.mandumah.com/Record69\]\(https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record69\)\)](http://[search.mandumah.com/Record69](https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record69))

(18) هند بنت عبد الله الراجح: "أثر الازدهار الاقتصادي في التغيير الاجتماعي في مدينة الرياض 1938 - 1960م". مجلة بحوث الشرق الأوسط ع42

(2017): 524 - 538. مسترجع من

[\(http://\[search.mandumah.com/Record9\]\(https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record9\)\)](http://[search.mandumah.com/Record9](https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record9))

وتشجيع الاستثمارات الأجنبية. (19)

ج. الصناعات التقليدية

قبل النفط، اعتمدت المملكة على الحرف اليدوية مثل صناعة السفن، والأثاث، والجلود، والمنسوجات، والتي شكلت أساس النشاط الصناعي المحلي. (20)

رابعاً: تشجيع التجارة واستقطاب الاستثمارات

تطورت التجارة من الغوص بحثاً عن اللؤلؤ إلى تصدير المنتجات الزراعية والحرفية، ولاحقاً بفضل النفط إلى تجارة ضخمة متنوعة. شجعت الحكومة التجارة الداخلية والخارجية، واستقطبت الاستثمارات الأجنبية، وأسست أول شركة مساهمة وطنية لتطوير الصناعة. (21)

خامساً: تطوير البنية التحتية

استثمر الملك عبد العزيز في الطرق والسكك الحديدية والاتصالات اللاسلكية لتسهيل التجارة وحركة الحجاج وربط المناطق، ما ساهم في التنمية الشاملة. (22)

سادساً: تحقيق العدالة الاجتماعية

ركزت سياسات الملك على توزيع الثروة بعدالة، وتحسين التعليم من خلال إدارة المعارف العامة والمعهد العلمي السعودي، والرعاية الصحية عبر إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية، ودعم الأسر الفقيرة والمحتاجة. (23)

المبحث الثاني: دلالات الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز وأبعاده الاجتماعية والسياسية

لقد كان للفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود أهمية بالغة ودلالة عميقة عكست رؤيته الطموحة نحو بناء

(19) مها بنت علي بن عامر آل خشيل: "التقيب عن المعادن في عهد الملك عبد العزيز 1344- 1373 هـ. = 1926- 1953 م". الدارة مج، 43 ع1 (2017): 105- 160. مسترجع من

<http://search.mandumah.com/Record/881962>(<https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record/881962>)

عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون: اتفاقيات النفط والمعادن في المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص464.

(20) محمد أحمد الرويثي: "تطور الوظيفة الصناعية في المدينة السعودية". نشرة رسائل جغرافية، جامعة الكويت، العدد (٩٩)، آذار ١٩٨٧م، ص25. أحمد صالح خليفة، وعلي أحمد مهنا: "التطورات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية قبل عام 1945". مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية ع2 (2014): 268- 287. مسترجع من

<http://search.mandumah.com/Record/898>(<https://www.google.com/search?q=https://search.mandumah.com/Record/898>) زاهية قنوره: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، 1975م، ص134. أحمد صالح خليفة وعلي أحمد مهنا، مرجع سابق، ص. 278- 282

(22) محمود حجازي: ملك وتاريخ، مج1، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص132. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ط٣/ ج 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص252-353.

(23) خير الدين الزركلي: مرجع سابق، ص174. لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة 1926-1932م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1977م، ص251. رسائل الملك عبد العزيز للقراء والمحتاجين [<https://www.alarabiya.net/saudi-> today/2017/05/0 today/2017/05/05](<https://www.alarabiya.net/saudi->

دولة مستقلة وراسخة الأركان. اتسمت السياسات الاقتصادية التي انتهجها بتوازن دقيق بين تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب تعزيز اللحمة الوطنية. يستعرض هذا المبحث أبرز الأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا الفكر وتأثيره المحوري في تشكيل ملامح الدولة الحديثة في المملكة العربية السعودية.

أولاً: الدلالة الاجتماعية: تعزيز الوحدة الوطنية

قبل قيام الدولة السعودية على يد الملك المؤسس عبد العزيز، كان المجتمع في شبه الجزيرة العربية يتميز بتركيبته القبلية المتفرقة، حيث شكلت النزاعات على الموارد الشحيحة، كالمراعي والأراضي، ظاهرة متفشية. كانت القبيلة آنذاك بمثابة الوحدة الاجتماعية الأساسية التي تضطلع بمسؤولية رعاية أفرادها وحمايتهم.⁽²⁴⁾

مع بزوغ فجر الدولة السعودية، شهد المجتمع تحولاً جذرياً، إذ انصب التركيز على الأسرة كوحدة اجتماعية محورية بدلاً من القبيلة. أسهم هذا التحول في تراجع دور القبيلة وتزايد مهام الدولة واضطلاعها بمسؤوليات جديدة، مما أدى إلى اضمحلال سلطة شيوخ القبائل وترابط المجتمع على أسس اقتصادية أوسع.⁽²⁵⁾ لم تكن هذه العملية التحولية مجرد تغيير سطحي، بل كانت عملية شاملة طالت مختلف مناحي الحياة، وقد تمت تحت إشراف الدولة وتوجيهاتها، واستغرقت عقوداً زمنية، شهدت خلالها ثلاثة أجيال انتقالاً تدريجياً من نمط المجتمع القبلي إلى بنية مجتمع حديث.⁽²⁶⁾

ضمن إطار رؤيته الثاقبة لبناء دولة موحدة ومستقرة، أولى الملك عبد العزيز عناية فائقة للجانب الاقتصادي باعتباره دعامة أساسية لتحقيق الوحدة الوطنية والاستقرار الاجتماعي. لقد أدرك بعمق أن التوزيع المنصف للثروة وإتاحة الخدمات الأساسية لعموم المواطنين هو السبيل الأمثل لإيجاد مجتمع متماسك ومتعاقد.

تجسدت هذه الرؤية في منظومة من السياسات الاقتصادية الحكيمة التي تبناها، وشملت التوزيع العادل لعائدات النفط على كافة مناطق المملكة، الأمر الذي أسهم في تقليص الفوارق الاقتصادية بين المناطق وتعزيز تنمية الأقاليم النائية. كما خصص اهتماماً بالغاً لإنشاء البنية التحتية وتوفير الخدمات الأساسية كالتعليم والرعاية الصحية، مما ساهم في الارتقاء بمستوى معيشة جميع المواطنين وتعزيز إحساسهم بالعدالة الاجتماعية.⁽²⁷⁾ وكما أشير سابقاً، لم تقتصر فاعلية السياسات الاقتصادية للملك عبد العزيز على الجانب المادي فحسب، بل امتدت لتشمل تعزيز الانتماء الوطني والشعور بالوحدة بين أطراف المجتمع السعودي المتنوعة. لقد استشعر أن الإنفاق على المشاريع ذات البعد الاجتماعي، مثل تشييد المساجد والمدارس والمستشفيات، يسهم في تقوية الروابط الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع، ويدعم شعورهم بالانتماء إلى كيان وطني واحد ومصير مشترك.⁽²⁸⁾

لقد آتت هذه السياسات الحكيمة التي استهلها الملك عبد العزيز، وواصل أبنائه من بعده تطويرها، أكلها في تحقيق استقرار اجتماعي لافت، ووضع اللبنة الأولى لتشييد دولة حديثة ومتقدمة، تتسم بوحدتها الوطنية وتماسكها

(24) محمد بن إبراهيم السيف: المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، د.ط، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 2003م، ص 80

(25) سعيد فالح الغامدي: البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، ط5، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1990م، ص 31.

(26) عبد العزيز الخضر: السعودية سيرة دولة ومجتمع، د.ط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2011م، ص 48

(27) محمود حجازي: مرجع سابق، ص 234.

(28) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، 1986م، ص 45.

الاجتماعي. وبناءً عليه، يمكن الجزم بأن السياسات الاقتصادية الرشيدة التي اتبعها الملك عبد العزيز لعبت دوراً حاسماً في تعزيز الوحدة الوطنية في المملكة العربية السعودية.

لقد برهن الاستثمار في البنية التحتية والتنمية الريفية على نجاعته في دعم الوحدة الوطنية؛ فشكّلت السياسات التي اعتمدت على إقامة بنية تحتية صلبة وتنمية المناطق الريفية ركيزة أساسية لتعزيز اللحمة الوطنية. لقد أدركت القيادة الرشيدة أن التنمية المتوازنة بين المراكز الحضرية والمناطق الريفية هي الطريقة المثلى لتحقيق التماسك الاجتماعي والاقتصادي. من خلال تخصيص الاستثمارات لبناء شبكات الطرق والجسور والمرافق العامة في المناطق الريفية، فتحت آفاق جديدة أمام قاطني هذه المناطق، مما أسهم في تحسين ظروف معيشتهم وزيادة فرص العمل المتاحة لهم. فضلاً عن ذلك، ساهم توفير الخدمات الحيوية كالماء والكهرباء في هذه المناطق في الارتقاء بجودة حياة سكانها وجعلها أكثر جاذبية للإقامة والعمل.

لقد أسفرت هذه الجهود المتواصلة المبذولة لتنمية المناطق الريفية عن تقليص الفجوة بين الريف والحضر، وتعزيز الشعور بالعدالة والمساواة بين كافة مكونات المجتمع. كما أنها أسهمت في بناء مجتمع متآلف ومتكاتف، يشعر فيه كل فرد بأنه جزء لا يتجزأ من هذا الوطن، وأنه يتمتع بالحق في الحصول على الخدمات والمرافق المتاحة لغيره.

ثانياً: البعد السياسي: تعزيز الاستقلالية والسيادة الوطنية

لم يكن الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز مجرد مسعى لتحقيق مؤشرات نمو كمية، بل كان جزءاً لا يتجزأ من رؤيته الاستراتيجية الشاملة لبناء دولة قوية ومستقلة. لقد استوعب بعمق أن الاقتصاد ليس مجرد محرك للتقدم المادي، بل هو دعامة أساسية من دعائم السيادة والاستقلال الوطني. فعند إبرام الاتفاقيات الاقتصادية، كتلك التي أبرمتها شركة أرامكو، لم يرم الملك عبد العزيز إلى تحقيق مكاسب آنية فحسب، بل سعى إلى تأسيس شراكات استراتيجية تكفل لمملكته حقوقها وتصور مصالحها على المدى البعيد. شكّلت هذه الاتفاقيات حجر الزاوية في بناء هيكل اقتصادي متين وقوي، قادر على تحمل تقلبات الاقتصاد العالمي، والإسهام بفعالية في دفع عجلة التنمية الشاملة في شتى القطاعات. (29)

لقد أثبتت السياسات الاقتصادية الحصيفة التي اتبعها الملك عبد العزيز أنها كانت استثماراً ناجحاً بعيد المدى. فبالإضافة إلى تدعيم الاستقرار الداخلي وتحقيق التنمية الاقتصادية، أسهمت هذه السياسات في رفع مكانة المملكة على الصعيدين الإقليمي والدولي. فقد مكنت المملكة من الانخراط الفاعل في منظومة العلاقات الدولية وإقامة روابط دبلوماسية متينة مع مختلف الدول، كما عززت من دورها كدولة محورية في المنطقة وقدرتها على التأثير في مسارات الأحداث الإقليمية والدولية. وكانت الاستقلالية الاقتصادية التي اكتسبتها المملكة بفضل هذه السياسات عاملاً حاسماً في دعم توجهات سياستها الخارجية، وتمكينها من اتخاذ قراراتها الوطنية بشكل مستقل وحيوي. (30)

(29) أمل عبد الله الهشام: "اتفاقية الامتياز الأمريكي لنفط الأحساء". مجلة "وقائع تاريخية" العدد (38)، يناير 2023م، ص284.

(30) وزارة الخارجية السعودية، السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية في مائة عام، د. ط، مؤسسة الاضطفاء للطباعة والنشر، الرياض، 1999م، ص 460-461.

ثالثاً: الدلالة الثقافية والدينية: تمازج القيم الإسلامية مع الفكر الاقتصادي

لقد مثلت القيم الإسلامية الأصلية المرتكز الأساسي والراسخ للسياسات التي اتبعها الملك عبد العزيز في عملية بناء الدولة السعودية الحديثة. فقد استلهم من التعاليم الإسلامية السمحة مبادئ التكافل الاجتماعي، والعدالة، والمساواة، وحرص على تطبيقها في كافة مناحي الحياة. وقد تجسدت هذه القيم بوضوح في مجموعة من السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي أسهمت في إيجاد مجتمع متماسك ومتربط.⁽³¹⁾

نظر الملك عبد العزيز إلى توزيع الثروة وتوفير الخدمات الأساسية لكافة المواطنين كواجب شرعي ووطني في آن واحد، لا مجرد عمل تطوعي أو خيري. وقد حرص على أن يكون هذا التوزيع قائماً على العدل والإنصاف، ليحظى جميع المواطنين بشعور راسخ بأنهم شركاء أساسيون في هذا الوطن. كما شجع بقوة على توجيه الاستثمارات نحو المشاريع التي تعود بالنفع العام على المجتمع بأسره، مثل إقامة المساجد والمدارس والمستشفيات، إيماناً منه بأن هذه المشاريع تلعب دوراً محورياً في تعزيز اللحمة الاجتماعية وتقريب المسافات بين أفراد المجتمع.⁽³²⁾

لم تقتصر السياسات التي انتهجها الملك عبد العزيز على الجوانب المادية البحتة، بل امتدت لتشمل الجانب المعنوي والثقافي. فقد عمل جاهداً على غرس القيم الإسلامية الأصلية في نفوس المواطنين، كالجود والكرم وحسن الضيافة، والتسامح والتعاون المثمر. كما حث على نشر العلم والمعرفة، وإقامة علاقات وطيدة بين مختلف شرائح المجتمع. وحرص أشد الحرص على صون التراث الثقافي والديني للمملكة، إدراكاً منه للأهمية القصوى للحفاظ على الهوية الوطنية المميزة.⁽³³⁾

لقد أثمرت هذه السياسات الحكيمة التي استلهاها الملك عبد العزيز، وواصل أبنائه البررة تطويرها، عن بناء مجتمع متماسك ومتآلف، يتميز بقيمه الإسلامية الأصلية والراسخة. وقد أسهمت هذه القيم في تحقيق توازن متناغم بين مسيرة التطور الاقتصادي والحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للمجتمع. خلاصة القول، شكلت القيم الإسلامية المحرك والدفع الرئيسي للسياسات التي اتبعها الملك عبد العزيز، والتي توجت بتحقيق العديد من الإنجازات البارزة.

رابعاً: التأثيرات الاقتصادية طويلة الأمد

لقد وضع الملك عبد العزيز، ببعد نظره الاستراتيجي، حجر الأساس لاقتصاد واعد ومستدام للمملكة العربية السعودية، من خلال تبنيه لسياسات اقتصادية حصيفة استشرفت آفاق المستقبل. ركزت هذه السياسات على بناء قاعدة اقتصادية متينة تنسم بالتنوع والتوازن، بحيث لا تعتمد على مصدر دخل وحيد، بل على منظومة مترابطة من القطاعات الاقتصادية الحيوية. ساهم هذا التنوع الاقتصادي بشكل فاعل في تحقيق استقرار ملحوظ، وتعزيز

(31) محمد شوقي الفنجري: "أيدولوجية التنمية في المملكة العربية السعودية". "الدارة" مج 9، ع3 (1984): 23-40، مسترجع من

<http://search.mandumah.com/Record1331>

(32) عبد الفتاح حسن أبو عليه: مرجع سابق، ص 67.

(33) أحمد بن حامد إبراهيم القضاة: "النفقات الخيرية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود 1343- 1373 هـ / 1924- 1953م: صحيفة أم القرى

مصدراً. "الدارة" مج 39، ع3، 93-142، 2013م. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record633170>

قدرة المملكة على الصمود أمام التقلبات الاقتصادية التي يشهدها العالم.

إن الاستثمار المكثف في تطوير البنية التحتية، والنهوض بالقطاعات الحيوية كالزراعة والصناعة والتجارة، كان له بالغ الأثر في تنويع مصادر الدخل الوطني، وتعزيز القدرة التنافسية للمملكة في الأسواق العالمية. كما أن الاهتمام المتزايد بالتنمية البشرية وتوفير فرص التعليم والتدريب النوعي، أسهم في بناء كوادر وطنية مؤهلة تمتلك القدرة والكفاءة على قيادة مسيرة التنمية الوطنية.⁽³⁴⁾

لقد برهنت السياسات الاقتصادية التي رسم معالمها الملك عبد العزيز على مرونتها وقدرتها العالية على التكيف مع المتغيرات الدولية المتسارعة. فمع اكتشاف الثروة النفطية، استطاعت المملكة استثمار عائدات هذه الثروة الطبيعية بحكمة واقتدار، من خلال توجيهها نحو تنمية وتطوير القطاعات الاقتصادية الأخرى، الأمر الذي يسهم بفعالية في تحقيق استقرار اقتصادي مستدام على المديين المتوسط والطويل.⁽³⁵⁾

لقد شكلت الأسس الراسخة التي أرساها الملك عبد العزيز نقطة انطلاق قوية للانتقالات والتحويلات الاقتصادية الكبرى التي شهدتها المملكة في العقود اللاحقة. فبفضل هذه الأسس المتينة، تمكنت المملكة من تحقيق نمو اقتصادي مستدام ومتواصل، والحفاظ على مكانتها ودورها كقوة اقتصادية مؤثرة على الساحتين الإقليمية والدولية.

المبحث الثالث: تأثير الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز على أسس النهضة الاقتصادية

كان للفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز دوراً أساسياً في تشكيل النهضة الاقتصادية للمملكة العربية السعودية، حيث أسهمت سياساته في بناء أساس قوي للتنمية الاقتصادية المستدامة. يعرض هذا المبحث كيف أثرت السياسات الاقتصادية للملك عبد العزيز في تأسيس قطاعات اقتصادية متنوعة، وتعزيز التنمية الاقتصادية بشكل شامل ومستدام.

أولاً: نشوء القطاعات الاقتصادية الجديدة

تميزت رؤية الملك عبد العزيز الاقتصادية ببعد نظرٍ استشرافي، حيث أدرك أهمية تنويع مصادر الدخل الوطني وعدم الاعتماد الكلي على النفط. ففي الوقت الذي كان فيه النفط يمثل ركيزة أساسية للاقتصاد، حرص على دعم القطاعات الاقتصادية التقليدية ك الزراعة والتجارة، وتشجيع النشاطات الاقتصادية الناشئة. وقد أولى اهتماماً خاصاً بتطوير القطاع الزراعي، حيث قدم الدعم المالي والتقني للمزارعين بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء وتنمية المناطق الريفية، مما ساهم في بناء اقتصاد وطني متين وقادر على مواجهة التحديات المستقبلية.⁽³⁶⁾

شهد قطاع التجارة في عهد الملك عبد العزيز نقلة نوعية بفضل الاهتمام الكبير بتطوير البنية التحتية. فمع تحسن شبكة الطرق والمواصلات البرية والبحرية، وتوسيع الموانئ، وربطها بالأسواق العالمية، تحولت المملكة إلى مركز تجاري حيوي يشهد حركة نشطة للبضائع والخدمات، مما ساهم في تنشيط الاقتصاد الوطني وزيادة الدخل القومي.⁽³⁷⁾

⁽³⁴⁾ وليد ساسي: الملك عبد العزيز آل سعود ودوره في تأسيس المملكة العربية السعودية (1876-1953م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير، 2017م، ص 79-80.

⁽³⁵⁾ هند بنت عبد الله الراجح: مرجع سابق، ص 530.

⁽³⁶⁾ خلف الله بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، مرجع سابق، ص 55.

⁽³⁷⁾ أحمد صالح خليفة، وعلي أحمد مهنا: مرجع سابق، ص 279-280.

ثانياً: تعزيز التنمية الصناعية

أدرك الملك عبد العزيز أهمية الصناعة في بناء اقتصاد قوي ومتنوع، فوضع اللبنة الأولى لقطاع صناعي واعد، حيث أنشئت مصانع صغيرة تغطي احتياجات أساسية كالصناعات الغذائية ومواد البناء. كانت هذه الخطوة بمثابة استثمار في المستقبل، حيث أرسى الأسس لقطاع صناعي قادر على تلبية الطلب المتزايد على المنتجات المحلية، وتقليل الاعتماد على الاستيراد، وبالتالي تعزيز الاقتصاد الوطني.⁽³⁸⁾

لم تتوقف مسيرة التنمية الصناعية في المملكة عند هذا الحد، بل استمرت بوتيرة متسارعة في العقود اللاحقة. فبناءً على الأسس التي وضعها الملك عبد العزيز، استثمرت الدولة بكثافة في تطوير البنية التحتية الصناعية، مما مهد الطريق لنمو صناعات جديدة وتوسيع نطاق الصناعات القائمة. وقد ساهم هذا التوسع في تنويع مصادر الدخل الوطني وتعزيز القدرة التنافسية للاقتصاد السعودي على الصعيدين الإقليمي والعالمي.

تعتبر جهود الملك عبد العزيز في تعزيز التنمية الصناعية نقطة تحول في تاريخ المملكة العربية السعودية. وقد أثبتت الأحداث أن هذه الرؤية كانت حكيمة واستشرافية، حيث تمكنت المملكة من بناء قطاع صناعي قوي ومتنوع. ومع ذلك، لا تزال هناك تحديات تواجه عملية التنمية الصناعية، ويتطلب مواجهتها المزيد من الجهود والاستثمار.

ثالثاً: تحقيق التنمية المستدامة

تميزت رؤية الملك عبد العزيز الاقتصادية بنظرة ثاقبة للمستقبل، حيث أدرك أهمية تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة لا تعتمد فقط على الموارد الطبيعية المتاحة. وقد وضع خطاً استراتيجياً طويلة الأمد تهدف إلى استثمار هذه الموارد بحكمة وتوجيه عائداتها نحو مشاريع تنموية متنوعة. فلم يكتفِ الملك عبد العزيز باستغلال الثروات الطبيعية، بل سعى إلى بناء اقتصاد متنوع قائم على أسس متينة قادرة على الصمود أمام التقلبات الاقتصادية المحلية والعالمية.

وقد أثبتت الرؤية الاقتصادية الحكيمة للملك عبد العزيز قدرتها على تجاوز التحديات الاقتصادية الجسام التي واجهتها المملكة. فبالرغم من الكساد الكبير الذي ضرب العالم في الثلاثينيات من القرن الماضي، والتكاليف الباهظة للحروب التي خاضها لتحقيق الوحدة الوطنية، وتراجع إيرادات الحج، تمكنت المملكة من التعافي والنمو بفضل السياسات الاقتصادية الحكيمة التي اتخذها الملك عبد العزيز.⁽³⁹⁾

كما شكّلت البنية التحتية المتطورة، التي شملت الطرق والموانئ والمطارات، ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة في المملكة. فقد ساهمت هذه البنية التحتية في جذب الاستثمارات، وتسهيل التجارة، وتعزيز التكامل بين مختلف المناطق، مما أدى إلى نمو اقتصادي مستدام وشامل.⁽⁴⁰⁾

(38) وليد ساسي: مرجع سابق، ص 78-79.

(39) أمل عبد الله الهشام: مرجع سابق، ص 371.

(40) المواصلات والاتصالات، المملكة العربية السعودية خلال مئة عام، دراسة توثيقية، (١٣١٩هـ-١٤١٩هـ / ١٩٠٢م - ١٩٩٩م)، مج ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص 510 وما بعدها.

رابعاً: التنمية البشرية وتعزيز القوى العاملة

أدرك الملك عبد العزيز، بحكمته وبعيد نظره، أن رأس المال البشري هو الثروة الحقيقية للأمم. لذا، أولى اهتماماً كبيراً بتنمية الموارد البشرية، واعتبر التعليم والتدريب ركيزة أساسية لبناء دولة حديثة ومتطورة. وقد أثبتت السياسات التعليمية التي اتخذها، والتي ركزت على توفير فرص التعليم للجميع، نجاحها في بناء جيل واعٍ ومؤهل قادر على النهوض بالوطن.

وقد أظهر ذلك بوضوح عندما أسس مديرية المعارف العامة عام 1926م، إيماناً منه بأن التعليم هو أساس التقدم والرخاء. فقد رأى أن التعليم ليس مجرد وسيلة للحصول على المعرفة، بل هو أداة لبناء الإنسان والمجتمع، وتحقيق التنمية الشاملة. وقد أولى اهتماماً كبيراً بنشر التعليم في جميع أنحاء المملكة، وحرص على توفير بيئة تعليمية مناسبة للجميع.⁽⁴¹⁾

إيماناً بأهمية الاعتماد على الكفاءات الوطنية، أولى الملك عبد العزيز اهتماماً كبيراً بتدريب وتأهيل الشباب السعودي. فقد تم إنشاء مراكز تدريب مهني متخصصة لتزويدهم بالمهارات العملية اللازمة للانخراط في سوق العمل. ساهمت هذه المراكز في تقليل الاعتماد على العمالة الوافدة، وتعزيز التوطين في مختلف القطاعات، مما كان له أثر إيجابي على الاقتصاد الوطني وتعزيز الهوية الوطنية.

ولتحقيق ذلك، عملت الدولة على توفير برامج تدريبية متخصصة للمزارعين، ونقل أحدث التقنيات الزراعية إليهم وتمكينهم من زيادة إنتاجيتهم. كما قامت من خلال التعليم الزراعي على نشر الوعي بأهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية، وتشجيع المزارعين على تبني ممارسات زراعية مستدامة.⁽⁴²⁾

لم تكن فكرة ربط المملكة بشبكة اتصالات لاسلكية مجرد مشروع تقني، بل كانت رؤية استراتيجية تهدف إلى تعزيز الوحدة الوطنية وتسهيل التواصل بين مختلف مناطق المملكة. ولتحقيق هذه الرؤية الطموحة، أولى الملك عبد العزيز اهتماماً بالغاً ببناء الكوادر الوطنية القادرة على إدارة وتشغيل هذه الشبكة المتطورة. فقد أنشأ مدارس متخصصة لتعليم فنون الاتصالات اللاسلكية، واستقدم خبراء ومدرسين من مختلف أنحاء العالم لتدريب الطلاب السعوديين. وبعد تخرج أول دفعة من المهندسين السعوديين، تم إيفادهم إلى الدول المتقدمة مثل إنجلترا ومصر لإكمال دراساتهم وتطوير مهاراتهم.⁽⁴³⁾

خامساً: تشجيع الابتكار والتحديث التقني

رغم محدودية الإمكانيات التقنية في عصره، إلا أن الملك عبد العزيز كان يتمتع برؤية ثاقبة للمستقبل. فقد أدرك أهمية التكنولوجيا في دفع عجلة التنمية، وشجع على تبني أحدث التقنيات المتاحة في ذلك الوقت، خاصة في القطاعات الحيوية مثل الزراعة والنقل.

(41) عماد يوسف عبد العزيز وأمين غانم محمد: السياسة التعليمية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (1926-1953م)، جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد (14) العدد (4) لسنة 2018م، ص 123.

(42) خلف الله بن سليمان النمري: مرجع سابق، ص 13.

(43) محمود حجازي: مرجع سابق، ص 254.

ولتشجيع الابتكار والتحديث التقني في مجال الزراعة، عمل الملك عبد العزيز جاهداً على توفير كل ما يحتاجه المزارع من آلات ومعدات، وتقديم الدعم الفني اللازم لهم. فقد أمر الملك عبد العزيز بإنشاء معامل وورش صيانة في مختلف مناطق المملكة، وخاصة في المناطق الزراعية الرئيسية مثل الرياض والمدينة المنورة والقصيم. تم تجهيز هذه المعامل بأحدث الآلات والمعدات، وتم توظيف نخبة من المهندسين والفنيين للقيام بأعمال الصيانة والإصلاح للآلات الزراعية المختلفة، مثل مضخات المياه والجرارات والحفارات الارتوازية.⁽⁴⁴⁾

ولضمان حصول المزارعين على أفضل الخدمات الفنية، قام الملك عبد العزيز باستقدام فنيين زراعيين من ذوي الخبرة من مختلف دول العالم. عمل هؤلاء الفنيون على تدريب الكوادر الوطنية على أحدث التقنيات الزراعية، وتقديم الدعم الفني اللازم للمزارعين.⁽⁴⁵⁾

أدرك الملك عبد العزيز أن ارتفاع أسعار الآلات والمعدات الزراعية قد يشكل عائقاً أمام المزارعين، لذلك أمر باستيراد كميات كبيرة من هذه الآلات وتوزيعها على المزارعين بأسعار مخفضة وبتسهيلات في الدفع. كما أمر بإعفاء هذه الآلات من الرسوم الجمركية، مما ساهم في تخفيض تكلفتها بشكل كبير. ولتشجيع المزارعين على شراء الآلات الزراعية، وضع الملك عبد العزيز نظاماً للتقسيط يتيح للمزارع شراء الآلة ودفع قيمتها على أقساط ميسرة. كما قام بتشكيل لجان في كل منطقة لدراسة طلبات المزارعين وتحديد احتياجاتهم من الآلات.⁽⁴⁶⁾

وقد أسفر هذا التوجه عن تحول نوعي في الزراعة، حيث أدخلت آلات زراعية حديثة وأنظمة ري متطورة، مما أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعي وتقليل الهدر، وبالتالي تعزيز الأمن الغذائي وتعزيز الاقتصاد الوطني.

لم يألُ الملك عبد العزيز جهداً في تحديث قطاع النقل في المملكة. فقد عمل على تطوير البنية التحتية للطرق والجسور، واستيراد أحدث أنواع السيارات والحافلات، ودعم إنشاء خطوط الطيران، مما ساهم في تحسين كفاءة النقل وتقليل الوقت والجهد المبذول في التنقل بين المدن والقرى. كما أولى اهتماماً خاصاً بتدريب الكوادر الوطنية في مجال النقل، لضمان استدامة التنمية في هذا القطاع الحيوي.

ومن الأمثلة على ذلك، أرسل الملك عبد العزيز في عام 1935م بعثة سعودية إلى إيطاليا لتلقي تدريب متقدم في مجال الطيران، حيث تم اختيار عشرة شبان واعددين لتولي هذه المهمة الوطنية. وبعد تخرجهم وعودتهم إلى الوطن، بدأت المملكة تشهد نقلة نوعية في مجال الطيران المدني. سبق هذه البعثة، في عام 1929م، قيام الحكومة السعودية بشراء أولى طائراتها، والتي كانت عبارة عن أربع طائرات أحادية المحرك. وقد استخدمت هذه الطائرات في البداية للرحلات الداخلية، ثم تم تدعيمها بزيادة عدد الطائرات وتطوير قدرات الطيارين السعوديين من خلال إيفادهم إلى مصر لتلقي مزيد من التدريب.⁽⁴⁷⁾

مع تزايد الاهتمام بالطيران، تم إنشاء إدارة خاصة لشؤون الطيران، والتي ألحقت فيما بعد بوزارة الدفاع. وقد سميت هذه الإدارة بإدارة طائرات الخطوط السعودية، مما يعكس الرؤية المستقبلية للملك عبد العزيز في تطوير خطوط

(44) عبد المنعم الغلامي: مرجع سابق، ص 282.

(45) خلف الله بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، مرجع سابق، ص 19.

(46) نفس المرجع، ص 47.

(47) خير الدين الزركلي: مرجع سابق، ص 203.

جوية وطنية تساهم في خدمة المواطنين والوطن.

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، شهد قطاع الطيران السعودي تطوراً ملحوظاً، حيث تم شراء عدد كبير من الطائرات الحديثة من طراز داكوتا، والتي استخدمت في إنشاء خطوط طيران منتظمة بين المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا ولبنان. وقد ساهمت هذه الخطوط في نقل الركاب والبضائع والبريد، مما ساهم في تقريب المسافات بين الدول العربية وتعزيز التعاون والتبادل التجاري والثقافي. لم يغفل الملك عبد العزيز عن دور الطيران في خدمة الحجاج، حيث قامت الخطوط الجوية السعودية بتسيير رحلات جوية لنقل الحجاج من وإلى الأراضي المقدسة، مما سهل على الحجاج أداء فريضة الحج والعمرة.⁽⁴⁸⁾

إن اهتمام الملك عبد العزيز بتطوير قطاع الطيران عكس رؤيته الثاقبة لأهمية هذا القطاع في تحقيق التنمية والتقدم، ويسلط الضوء على حرصه على مواكبة التطورات العالمية في مجال النقل والمواصلات. وقد شكلت هذه الخطوات الأساس لبناء قطاع طيران مدني قوي في المملكة العربية السعودية.

المبحث الرابع: ركائز بناء الدولة الحديثة في عهد الملك عبد العزيز (1932-1953م)

شهدت الحقبة الممتدة من عام 1932م حتى عام 1953م تحولات جوهرية في مسار تاريخ المملكة العربية السعودية، إذ أرسى فيها الملك عبد العزيز القواعد الأساسية لدولة حديثة تنشد الرقي والازدهار. اتسمت هذه الفترة بتشييد أسس راسخة للمؤسسات الحكومية وتبني سياسات اقتصادية وسياسية متوازنة استهدفت تحقيق الاستقرار والتنمية الشاملة، مما أسهم في ترسيخ مكانة المملكة كدولة ذات سيادة فاعلة ومؤثرة على الصعيدين الإقليمي والدولي.

أولاً: تأسيس البنية الإدارية للدولة

كان الملك عبد العزيز، رحمه الله، شديد الحرص على بناء دولة حديثة ومواكبة للتطور، ولذا وجه اهتمامه البالغ نحو تطوير الهيكل الإداري للدولة. وقد تجلّى ذلك في تأسيس الوزارات والمصالح الحكومية المتنوعة لتضطلع بمهامها في تنظيم وإدارة شؤون البلاد بكفاءة وفعالية.

برزت وزارة المالية كأحدى أولى الوزارات التي تأسست، وحملت على عاتقها مسؤولية تنظيم الموارد المالية للدولة وتوزيعها على مختلف المشاريع التنموية. لعبت هذه الوزارة دوراً محورياً في تحقيق الشفافية والعدالة في إدارة المال العام، كما وضعت الأسس المتينة لأنظمة المحاسبة والرقابة المالية، مما أسهم في تعظيم الاستفادة من الإيرادات العامة وتعزيز الثقة في الأداء الحكومي.⁽⁴⁹⁾ قبل توحيد المملكة، كان النظام المالي يتسم باللامركزية والعشوائية، حيث كانت كل منطقة تدير شؤونها المالية بمعزل عن الأخرى. وبعد إتمام عملية التوحيد، أدرك الملك عبد العزيز الأهمية القصوى لتوحيد النظام المالي، فبادر إلى تأسيس مديرية المالية العامة في عام 1344هـ لتنظيم الإيرادات والمصروفات على مستوى الدولة. وفي عام 1350هـ، تم إصدار أول ميزانية موحدة للمملكة، اعتمدت بشكل رئيسي على إيرادات موسم الحج، والجمارك، والضرائب غير المباشرة. أسهمت هذه الإجراءات المبكرة في وضع

(48) نفس المرجع، ص 204.

(49) لطيفة عبد العزيز السليم: مرجع سابق، ص 114.

أسس تنظيمية قوية للإدارة المالية في المملكة، مما ساعد على تحقيق الاستقرار المالي والاقتصادي المنشود.⁽⁵⁰⁾ مع مرور الزمن، توسعت مهام ومسؤوليات وزارة المالية بشكل كبير لتواكب نمو الدولة. فبعد أن اقتصر دورها في البداية على الإشراف على الشؤون المالية بشكل أساسي، امتد ليشمل الإشراف على قطاعات حيوية ومتعددة مثل شؤون الحج، والدفاع، والزراعة، والبنية التحتية. ومع اكتشاف النفط وتزايد الإيرادات الحكومية، تم توسيع نطاق عمل الوزارة ليشمل إدارة الضرائب والزكاة ومختلف الشؤون الاقتصادية. ومع ذلك، ومع ازدياد حجم الدولة وتعقيداتها، تم تقسيم الوزارة إلى وزارات متخصصة في عام 1373هـ لضمان تحقيق أعلى مستويات الكفاءة في الإدارة الحكومية.⁽⁵¹⁾ بالتوازي مع تأسيس وزارة المالية، شهدت المملكة تأسيس وزارات أخرى ذات أهمية حيوية مثل وزارتي الداخلية والدفاع. لقد شكلت هذه الوزارات، إلى جانب وزارة المالية، النواة الصلبة للدولة الحديثة، حيث وضعت الأسس اللازمة للإدارة الحكومية الرشيدة وتنظيم الشؤون الداخلية، والعلاقات الخارجية، والمسائل الأمنية.

في مستهل مرحلة توحيد المملكة، واجه الملك عبد العزيز تحديات كبيرة في مجال فرض الأمن والاستقرار، حيث كانت الأوضاع الأمنية تتفاوت بشكل ملحوظ بين منطقة وأخرى. وضماناً لتحقيق الأمن الشامل والاستقرار الدائم، بادر الملك عبد العزيز إلى تأسيس مديرية الشرطة العامة في مكة المكرمة عام 1344هـ. وأولى اهتماماً بالغاً بتدريب وتأهيل رجال الأمن، ووضع قواعد وإجراءات صارمة لضمان أدائهم لمهامهم بكفاءة واقتدار. ولتعزيز الأمن على امتداد السواحل البحرية، تم إنشاء إدارة خفر السواحل في جدة. ومع تطور الدولة واتساع رقعتها، تطورت هذه المديرية لتصبح وزارة الداخلية، التي تولت المسؤولية الكاملة عن حفظ الأمن الداخلي في جميع أرجاء المملكة. وشملت مهامها الأساسية حماية الأرواح والممتلكات، وتطبيق القوانين والأنظمة، والمحافظة على النظام العام.⁽⁵²⁾

كانت الرؤية الملكية الحكيمة للملك عبد العزيز هي القوة المحركة والمهمة لعملية تطوير الجهاز الأمني للدولة. فقد أولى الملك مسألة الأمن والاستقرار الأولوية القصوى، وحرص على بناء جهاز أمني قوي يتمتع بالكفاءة العالية. تجلت هذه الرؤية في تحويل مسمى مديرية الشرطة العامة إلى مديرية عامة للأمن، وتوسيع نطاق عملها، وتكثيف برامج تدريب وتأهيل الكوادر الأمنية، مما جعل المملكة نموذجاً يحتذى به في مجال الأمن والاستقرار على المستوى الإقليمي والدولي.

أما فيما يتعلق بتأسيس وزارة الدفاع وتطور الجيش السعودي، فقد شهد الجيش منذ بداية مرحلة توحيد المملكة تطوراً ملحوظاً. فبعد الاعتماد المبدئي على المتطوعين من القبائل في المراحل الأولى، بدأت تتشكل نواة الجيش النظامي في عام 1929م بإنشاء إدارة للأمور العسكرية، والتي اضطلعت بمهام تنظيم الوحدات العسكرية وتدريبها على أسس حديثة. وفي عام 1944م، تم إنشاء وكالة الدفاع، والتي تطورت لاحقاً لتصبح وزارة الدفاع. شهدت هذه الفترة توسعاً كبيراً في هيكل القوات المسلحة، حيث تم تأسيس سلاح الجو الملكي السعودي وإصدار القوانين

⁽⁵⁰⁾ نفس المرجع، ص 112.

⁽⁵¹⁾ خير الدين الزركلي: مرجع سابق، ص 205.

⁽⁵²⁾ إبراهيم بن عويص العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/1924-1953م) ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص 434.

والأنظمة المنظمة للطيران المدني والعسكري. وقد أسهم هذا التطور المؤسسي في تعزيز القدرات الدفاعية للمملكة وحماية سيادتها وأمنها. (53)

انطلاقاً من إيمان الملك عبد العزيز الراسخ بضرورة بناء شبكة علاقات دولية متينة لتعزيز مكانة المملكة العربية السعودية على الساحة العالمية، أصدر أمراً ملكياً كريماً بإنشاء وزارة الخارجية في عام 1349هـ/1930م، لتصبح بذلك أول وزارة يتم تأسيسها في المملكة. وقد سبق هذا الإجراء تأسيس مديرية مستقلة للشؤون الخارجية في مكة المكرمة عام 1344هـ/1926م، مما يدل على الاهتمام المبكر الذي أولاه الملك المؤسس للشأن الخارجي للبلاد. شهدت وزارة الخارجية منذ نشأتها تطوراً متواصلاً، حيث تحولت من مجرد مديرية صغيرة إلى وزارة تضطلع بدور محوري وأساسي في صياغة السياسة الخارجية للمملكة، وبناء علاقات متوازنة وإيجابية مع مختلف دول العالم وشعوبه. (54)

ثانياً: وضع أسس النظام القانوني والقضائي

إيماناً عميقاً منه بمبادئ العدل والإنصاف، أدرك الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، أن قيام دولة قوية ومتماسكة يستلزم بالضرورة وجود نظام قضائي عادل ومستقل يتمتع بالقوة والنزاهة. لذا، عمل جاهداً على إرساء دعائم نظام قضائي راسخ يستند إلى مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، يضمن تطبيق العدالة الكاملة والمساواة بين كافة أفراد المجتمع دون تمييز.

قبل مرحلة توحيد المملكة العربية السعودية، كان النظام القضائي في شبه الجزيرة العربية يتسم بطابع اللامركزية إلى حد كبير، حيث كانت كل مدينة أو منطقة تمتلك قاضياً خاصاً بها يتولى الفصل في المنازعات المحلية. وكانت عملية الفصل في الخصومات تتم بشكل تقليدي وبسيط، حيث يستمع القاضي إلى أقوال الطرفين المتنازعين ويصدر حكمه. وفي حال عدم قبول أحد الطرفين بالحكم الصادر، كان الأمر يُحال إلى الأمير المحلي للنظر فيه وإيجاد حل مناسب. مع إتمام عملية توحيد المملكة تحت قيادة الملك عبد العزيز آل سعود، برزت الحاجة الملحة إلى بناء نظام قضائي موحد ومتكامل يعكس طموحات الدولة الوليدة ويواكب متطلبات العصر. ففي عام 1927م، أصدر الملك عبد العزيز مرسوماً ملكياً سامياً لتنظيم عمل المحاكم الشرعية وتحديد نطاق اختصاصاتها وصلاحياتها، مما شكل حجر الزاوية في تأسيس نظام قضائي مستقل ومتكامل الأركان. (55)

شهد النظام القضائي في المملكة تطوراً ملحوظاً ومتواصلاً على مر السنين التالية لمرحلة التأسيس. فبعد توحيد البلاد، تم وضع هيكل تنظيمي متكامل للقضاء، شمل إنشاء محاكم الأمور المستعجلة، والمحاكم الكبرى، بالإضافة إلى هيئة المراقبة القضائية للإشراف والمتابعة. وقد حددت هذه الأنظمة بوضوح اختصاصات وصلاحيات كل محكمة، مما أسهم بشكل كبير في تسريع وتيرة الفصل في القضايا وتحقيق العدالة الناجزة. فكانت محاكم الأمور المستعجلة تختص بالنظر في القضايا ذات القيمة المالية المحدودة، وتتكون من قاضي واحد، بينما كانت المحاكم الكبرى تنظر في القضايا الأكبر حجماً والأكثر تعقيداً، وتتألف من ثلاثة قضاة. أما هيئة المراقبة

(53) وليد ساسي: مرجع سابق، ص 83-84.

(54) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ط ٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ/1968م، ص 117.

(55) وليد ساسي: مرجع سابق، ص 70.

القضائية فقد كانت مكلفة بمسؤولية الإشراف العام على أداء عمل المحاكم وضمان تطبيق القوانين والأنظمة بشكل صحيح ودقيق. وفي عام 1936م، تم إنشاء رئاسة القضاء لتتولى المهام الإدارية والإشرافية على الجهاز القضائي بأكمله. وتوجت هذه الجهود الإصلاحية بإنشاء مجلس القضاء الأعلى، الذي اضطلع بمهمة الإشراف الكامل على شؤون القضاء وتوحيد الاجتهادات القضائية، مما أسهم بشكل فعال في تعزيز الأمن والاستقرار في كافة أرجاء المملكة. (56)

لقد أثمرت الجهود المبذولة في عملية تطوير النظام القضائي السعودي عن نتائج إيجابية وملموسة على أرض الواقع، حيث عززت مستوى ثقة المواطنين والمقيمين في نزاهة وفعالية القضاء واستقلاليتهم. كان لهذا الأثر بالغ الأهمية في ترسيخ مبدأ سيادة القانون، الذي يُعد ركيزة أساسية لا غنى عنها لقيام أي دولة حديثة ومزدهرة. كما ساهمت هذه الجهود الإصلاحية في تعزيز مستويات الأمن والاستقرار العام، ودعم مسيرة تحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال توفير بيئة قضائية عادلة وشفافة تسهم في حل النزاعات بفاعلية وحماية الحقوق الفردية والجماعية.

ثالثاً: تنظيم شؤون الأمن والدفاع

أدرك الملك عبد العزيز، بحكمته العسكرية والسياسية، أن تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل للدولة يتطلب وجود قوة عسكرية رادعة وقادرة على حماية حدود البلاد وصون مقدراتها. لذا، أولى اهتماماً بالغاً بمسألة بناء جيش نظامي حديث ووضع استراتيجيات دفاعية شاملة تغطي كافة الجوانب الأمنية والعسكرية. وفي عام 1944م، تم تأسيس وزارة الدفاع كإطار مؤسسي لتنظيم شؤون الجيش وتطوير قدراته القتالية والعملياتية بالتعاون مع الدول الصديقة والشقيقة.

يعود تاريخ بناء الجيش السعودي إلى بواكير عهد تأسيس المملكة، حيث اعتمد الملك عبد العزيز في البداية على المتطوعين المخلصين من أبناء نجد، بالإضافة إلى قوات الإخوان الموالية له. (57) ومع التوسع المستمر في رقعة المملكة وتزايد التحديات، أصبحت الحاجة ملحة لوجود قوة عسكرية منظمة وذات هيكل مؤسسي واضح. ففي ثلاثينيات القرن الماضي، تم تأسيس أول نواة فعلية للجيش النظامي، وشهدت مدينة جدة إقامة أول استعراض عسكري رسمي لهذه القوة الجديدة. تلا ذلك إنشاء رئاسة أركان الجيش التي اضطلعت بمهمة تطوير وتنظيم كافة وحدات وتشكيلات القوات المسلحة. وفي أربعينيات القرن الماضي، تم تأسيس وزارة الدفاع، مما ساهم في تطوير الجيش بشكل كبير من خلال استقدام الخبراء العسكريين المتخصصين وتأسيس الكليات والمعاهد العسكرية المتطورة. وبالتعاون مع الدول الصديقة، مثل بريطانيا، تم تنفيذ برامج مكثفة لتدريب وتأهيل الكوادر العسكرية السعودية على أحدث فنون القتال والإدارة العسكرية. (58)

(56) عبد الرحمن الشلهوب: النظام الدستوري في المملكة العربية السعودية، د. ط، مكتبة الشقري للنشر والتوزيع، الرياض، 2012م ص 331.

(57) في إطار رؤيته لبناء دولة عصرية قوية ومتماسكة، أطلق الملك عبد العزيز آل سعود مشروع الهجرة، الذي كان يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المترابطة، منها: توطين البدو الرحل، وبناء قوة عسكرية قوية، وتحقيق التنمية الزراعية والاقتصادية. وقد حقق هذا المشروع نجاحاً باهراً في تحقيق هذه الأهداف، حيث أسس لقوة عسكرية منظمة عرفت باسم الإخوان، والتي لعبت دوراً محورياً في توحيد المملكة وحماية حدودها، كما ساهمت في بناء مجتمع زراعي مستقر وازدهار الاقتصاد الوطني. (عبد الله سعيد فاضل العمري: "قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبد العزيز 1319هـ-1373هـ / 1902 - 1953 م".: دراسة تاريخية حضارية. "مجلة القلم للدراسات التاريخية والحضارية" ع 31 (2024)، ص 167-168)

(58) سعود المطيري: الملك عبد العزيز وتكوينه لجيش عصري عام 1946م، جريدة الرياض، العدد 17081، 31 مارس 2015م، ص 4.

لم يشهد سلاح الجو الملكي السعودي تطوراً جوهرياً وكبيراً إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث أدرك القادة السعوديون أهمية القوة الجوية في خوض الحروب الحديثة وفي تعزيز منظومة الأمن الوطني الشامل. أما فيما يخص القوات البحرية، فقد كانت مصلحة خفر السواحل تؤدي دوراً محدوداً في حماية الشواطئ والمياه الإقليمية السعودية حتى منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، حيث بدأت المملكة في تلك الفترة في بناء قوة بحرية نظامية حديثة ومتكاملة. (59)

وفي إطار رؤيته الشاملة لبناء الجيش السعودي، أولى الملك عبد العزيز اهتماماً كبيراً بتطوير منظومة التعليم والتدريب العسكري في المملكة. ففي عهده، تم تأسيس مدارس عسكرية متخصصة تغطي مختلف التخصصات والمجالات العسكرية والتقنية، مثل مدارس الطيران، والإنشاءات العسكرية، والخدمات الطبية العسكرية. تم تزويد هذه المدارس بالمعلمين والمدرسين المؤهلين من ذوي الخبرة والكفاءة، كما تم منح الطلاب الملتحقين بهذه المدارس رواتب شهرية وحوافز تشجعهم على الالتحاق والتفوق. وللارتقاء بمستوى الكفاءات العسكرية وتطوير قدراتها، تم إرسال بعثات دراسية متخصصة إلى الخارج، وتحديدًا إلى الدول الرائدة في المجالات العسكرية والتقنية، للتخصص في مجالات حديثة مثل صيانة الآلات والمعدات العسكرية، وفنون الطيران.

كما تم استقدام بعثات عسكرية أجنبية متخصصة بهدف تدريب وتأهيل الضباط السعوديين وتطوير القدرات القتالية والإدارية للكوادر العسكرية. ومن أبرز المؤسسات التعليمية العسكرية التي تأسست في تلك المرحلة التأسيسية الهامة: مدرسة مكة المكرمة العسكرية، ومركز تدريب المستجدين، ومدرسة التموين العسكري، ومدرسة الإسعاف العسكري، ومدرسة الإشارة العسكرية، ومدرسة ضباط الصف، ومدرسة السواقة العسكرية. لقد لعبت هذه المدارس دوراً حاسماً وجوهرياً في بناء جيش سعودي قوي ومنظم ومتطور. (60)

إلى جانب الاهتمام بالتعليم والتدريب، أولى الملك عبد العزيز عناية فائقة لمسألة تسليح الجيش السعودي وتزويده بأحدث المعدات والأسلحة المتاحة في تلك الفترة. في البداية، استخدم الجيش السعودي أسلحة تقليدية بسيطة كالسيوف والرماح، ثم تطور الأمر ليشمل استخدام البنادق والأسلحة النارية الأخرى. ومع مرور الوقت، سعى الملك عبد العزيز جاهداً لتحديث منظومة التسليح العسكري، فقام بشراء أسلحة حديثة ومتطورة من دول أوروبية مثل بولندا وفرنسا. وفي أربعينيات القرن الماضي، تزايدت الحاجة إلى تسليح الجيش بشكل أكبر وأكثر تطوراً، خاصة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من تطورات عسكرية متسارعة. لذلك، تعاونت المملكة مع دول كبرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية للحصول على أحدث أنواع الأسلحة والمعدات العسكرية الحديثة، مثل الدبابات والمدافع. كما اهتم الملك عبد العزيز بالتوجه نحو تصنيع بعض أنواع الأسلحة محلياً داخل المملكة، فتم إنشاء مصانع متخصصة لإنتاج الذخيرة وبعض الأسلحة الخفيفة، مما ساهم في تقليل الاعتماد على الاستيراد الخارجي وتعزيز القدرات الدفاعية والتصنيعية للجيش السعودي. (61)

(59) لطيفة عبد العزيز السليم: مرجع سابق، ص 169.

(60) عبد الله سعيد فاضل العمري: "قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبد العزيز 1319هـ-1373هـ / 1902-1953 م". دراسة تاريخية حضارية. مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية ع31 (2024): 161-202. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record1471507>

(61) نفس المرجع، ص 181-183.

ومن أجل تحقيق الأمن والاستقرار الداخلي، اللذين يُعدان الركيزة الأساسية لعملية التنمية الشاملة، أنشأ الملك عبد العزيز قوات الأمن الداخلي المتخصصة، مثل قوات الشرطة، لتتولى مهام حفظ النظام العام، ومكافحة الجريمة المنظمة والعشوائية، وحماية أرواح وممتلكات المواطنين والمقيمين. لقد أثبتت هذه الخطوة الاستباقية نجاحاً باهراً في توفير بيئة آمنة ومستقرة، مما شجع على تدفق الاستثمارات وتحقيق النمو الاقتصادي المستمر.

لقد أولى الملك عبد العزيز اهتماماً بالغاً ودائماً بمسألة الأمن منذ المراحل الأولى لتأسيس المملكة. فقد بدأ ببناء وتأسيس قوات شرطة نظامية في المدن الرئيسية والهامة مثل مكة المكرمة، والرياض، والمدينة المنورة، ثم قام بتنظيم هذه القوات ووضع القوانين والأنظمة اللازمة التي تضمن حفظ الأمن والنظام في المجتمع. ولضمان استقرار البلاد وتماسكها الاجتماعي، أنشأ الملك عبد العزيز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي ساهمت بفعالية في نشر القيم والأخلاق الإسلامية الفاضلة ومكافحة الفساد والريضة. كما قام بتقسيم الحدود الجغرافية للمملكة إلى مناطق محددة وواضحة وتعيين مسؤولين أكفاء لحمايتها والإشراف عليها، مما عزز من مستوى الأمن والسيطرة على مستوى المملكة ككل. وبعد تأسيس وزارة الداخلية، تم توحيد جهود وأعمال مختلف الأجهزة الأمنية تحت مظلة تنظيمية واحدة، وربطها إدارياً بوزارة الداخلية. كما تم إنشاء إدارة الجوازات لتسهيل حركة دخول وخروج المسافرين ومراقبة المنافذ الحدودية. بفضل هذه الجهود التنظيمية والأمنية المتكاملة، تمكن الملك عبد العزيز من تحقيق مستوى عالٍ من الاستقرار الأمني في المملكة، مما كان له بالغ الأثر في دعم مسيرة نموها وتطورها في كافة المجالات.⁽⁶²⁾

رابعاً: بناء المؤسسات التعليمية والصحية

شكل تطوير قطاعي التعليم والرعاية الصحية ركيزة أساسية ومحورية في رؤية الملك عبد العزيز الطموحة لبناء دولة حديثة ومتطورة. فقد أدرك بوعي كامل أهمية الاستثمار في الإنسان السعودي باعتباره الثروة الحقيقية للوطن، وتوفير بيئة تعليمية صحية ومتكاملة لتمكين المواطن وتعزيز قدراته للمساهمة بفعالية في بناء وتطوير مجتمعه. لذلك، بادر إلى إنشاء المدارس والمعاهد التعليمية المتنوعة، ووسع نطاق خدمات الرعاية الصحية لتشمل كافة مناطق المملكة، وحرص على توفير الكوادر البشرية المؤهلة والمتخصصة في كلا القطاعين، إيماناً منه بأن التعليم والصحة هما أساس أي تنمية شاملة ومستدامة ورخاء دائم للمجتمع.

انطلاقاً من إيمانه الراسخ والمطلق بدور العلم والمعرفة في نهضة الأمم وتقدمها، أولى الملك عبد العزيز اهتماماً كبيراً للغاية بتطوير منظومة التعليم في المملكة. فقد رأى في التعليم وسيلة فاعلة لحفظ الهوية الإسلامية الأصيلة ونشر قيمها النبيلة، وفي الوقت ذاته أداة قوية لبناء مجتمع متعلم، واعٍ، ومواكب للتطورات الحديثة. ولتحقيق هذه الأهداف السامية، عمل على دمج التعليم الديني الأصيل بالتعليم الحديث العصري، وأرسى أسساً متينة وقوية لنظام التعليم النظامي الحديث، ووفر كافة أشكال الدعم المادي واللوجستي اللازم لتطويره والنهوض به، مما ساهم في تخريج وبناء جيل من الشباب الواعي والمؤهل والقادر على الإسهام بفعالية في مسيرة بناء وتطوير الوطن.⁽⁶³⁾

(62) وليد ساسي: مرجع سابق، ص 82-83.

(63) فهد بن عبد الله آل عمرو الأكلبي: التعليم في عهد الملك عبد العزيز 1319-1373هـ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل - العلوم الإنسانية والإدارية عدد خاص (1999م) 91-109، مسترجع <http://search.mandumah.com/Record117896>

لم يكن اهتمام الملك عبد العزيز بقطاع التعليم مجرد اهتمام عابر أو وليد لحظة معينة، بل كان نتاج رؤية ثاقبة واستشراف بعيد المدى للمستقبل. فقد أدرك مبكراً أن التعليم هو الدعامة الأساسية التي تركز عليها أي نهضة حقيقية وتقدم مستمر، وأن بناء الأمة يبدأ أولاً ببناء الإنسان المتعلم الواعي. ولذلك، فقد قام بجمع نخبة متميزة من العلماء والمتقنين البارزين في مكة المكرمة، ووضع معهم اللبنة الأولى لنظام تعليمي حديث يواكب تطلعات الأمة السعودية نحو التقدم مع الحفاظ الكامل على أصالتها وقيمها الإسلامية والعربية. وقد تجسدت هذه الرؤية الاستشرافية الحكيمة في إنشاء مديرية المعارف، والتي شكلت نقطة تحول تاريخية ومحورية في مسيرة التعليم بالمملكة. (64)

حرص الملك عبد العزيز على بناء وتطوير نظام تعليمي متكامل الأركان يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يواكب أحدث التطورات العالمية في مجال المناهج وطرق التدريس، وفي الوقت ذاته يحافظ على الهوية الإسلامية والعربية للمجتمع السعودي وقيمه الأصيلة. وقد تجسدت هذه الرؤية السامية في إنشاء مديرية المعارف، وتطوير وتحديث المناهج الدراسية باستمرار، وافتتاح المدارس والمعاهد التخصصية على مختلف المستويات التعليمية من ابتدائي وحتى عالٍ. وبفضل هذه الجهود التنظيمية والتطويرية المتواصلة، تمكنت المملكة من بناء وتأهيل كوادر وطنية متميزة في شتى المجالات، ساهمت بفعالية في نهضتها وتقدمها في مختلف ميادين الحياة. كما أن الاستجابة السريعة والملائمة لاحتياجات سوق العمل المتغيرة من خلال تطوير منظومتي التعليم الفني والمهني، ساهمت بشكل مباشر في تحقيق التنمية المستدامة والازدهار الاقتصادي للمملكة على المدى الطويل. (65)

لم يقتصر اهتمام الملك عبد العزيز على تطوير منظومة التعليم داخل حدود المملكة فحسب، بل كان لديه رؤية عالمية طموحة تهدف إلى تكامل التعليم في المملكة مع المجتمع الدولي والاستفادة من خبراته وتجاربه. فقد أدرك الملك أن العلوم والمعرفة لا تعترف بالحدود الجغرافية، وأن تطوير التعليم في المملكة يتطلب بالضرورة الاستفادة من الخبرات والمعارف المتراكمة لدى الدول الأخرى. ولذلك، فقد وجه بإرسال البعثات التعليمية المتخصصة إلى مختلف دول العالم، لا سيما الدول العربية الشقيقة، والدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية، بهدف استقطاب أحدث المناهج التعليمية وأفضل الممارسات التربوية واستقدام الكفاءات التعليمية المتميزة. وبذلك، ساهم الملك عبد العزيز بشكل كبير في ربط نظام التعليم في المملكة بالمجتمع الدولي، مما أدى إلى تحقيق تطور نوعي وكبير في العملية التعليمية برمتها. (66)

أدرك الملك عبد العزيز، بحكمته وبعد نظره، العلاقة الوثيقة والقوية بين صحة الإنسان وقدرته على الإسهام في عملية التنمية الشاملة، وأن الإنسان السليم جسدياً وعقلياً هو القوة الدافعة والمنتجة وراء أي تقدم وازدهار للمجتمع. ولذا، فقد أولى اهتماماً كبيراً ومركزاً بتوفير الرعاية الصحية اللازمة لجميع المواطنين والمقيمين، حيث أمر بإنشاء المراكز الصحية والمستشفيات المجهزة في مختلف مناطق المملكة، من كبرى المدن إلى أصغر القرى والمناطق النائية. لقد أسهمت هذه الجهود في تحسين المستوى الصحي العام للسكان، وزيادة الإنتاجية الفردية والجماعية،

(64) حمد السلوم: تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية، الرياض، 1987، ص 35.

(65) فهد بن عبد الله آل عمرو الأكلبي: مرجع سابق، ص 104.

(66) عبد العزيز السنبلي وآخرون: نظام التعليم في المملكة العربية السعودية، ط 5، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1417م، ص 47.

وبالتالي تحقيق التنمية المستدامة على كافة المستويات. ولا شك أن هذه الرؤية الثاقبة والحكيمة للملك عبد العزيز في مجال الصحة كانت سبباً رئيسياً في النهضة الكبيرة التي تشهدها المملكة في مختلف القطاعات اليوم.

قبل مرحلة توحيد المملكة، كانت الخدمات الصحية المتاحة في شبه الجزيرة العربية محدودة للغاية ومتواضعة في إمكاناتها، خاصة في المناطق الواقعة خارج منطقة الحجاز التاريخية. ففي الوقت الذي كانت فيه مكة المكرمة والمدينة المنورة تتمتعان ببعض المرافق الصحية البدائية والبسيطة نسبياً، نظراً لكونهما مركزين دينيين عالميين يرتادهما جموع غفيرة من الحجاج والزوار، كانت بقية مناطق البلاد تعاني من نقص حاد ومزمن في توفر الخدمات الطبية الأساسية والمتخصصة. وقد اعتمد غالبية السكان في تلك المناطق بشكل كبير على ممارسات الطب الشعبي والعلاجات التقليدية. مع إعلان تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود، بدأت مرحلة جديدة وحاسمة من التطور والتحسين في مجال الرعاية الصحية على مستوى البلاد بأكملها. صدر الأمر الملكي السامي بتخصيص ميزانية مستقلة ومستمرة للصحة العامة، مما مهد الطريق لعملية واسعة النطاق لتوسيع نطاق الخدمات الصحية المتاحة وتأسيس العديد من المستشفيات والمستوصفات الحديثة في مختلف مناطق المملكة. وهكذا، تحولت الرعاية الصحية في المملكة من حالة الركود والتواضع إلى مسيرة حثيثة ومتواصلة نحو التقدم والتطور المؤسسي والخدماتي.⁽⁶⁷⁾

أولى الملك عبد العزيز اهتماماً بالغاً وحيوياً بمسألة الصحة العامة، خاصة مع المسؤولية التاريخية والإنسانية الكبيرة الملقاة على عاتقه تجاه ملايين الحجاج والمعتمرين القادمين من شتى بقاع العالم. ففي عام 1924م، أسس مصلحة الصحة العامة في مكة المكرمة لتكون نواة العمل الصحي المنظم، وسرعان ما توسعت هذه المصلحة لتشمل فروعاً ومراكز صحية في مختلف مناطق المملكة ومدنها الرئيسية. وتحت قيادة الدكتور محمود حمدي حمودة، تم إنشاء إدارة صحية متخصصة لشؤون مكة المكرمة، وعدد من المراكز الصحية الأولية في المدن الرئيسية الأخرى. وفي عام 1926م، تم رفع المستوى الإداري لهذه الإدارة لتصبح مديرية الصحة العامة والإسعاف، ومرت هذه المديرية بسلسلة من التطورات التنظيمية والإدارية حتى استقرت تحت إشراف وزارة الداخلية في فترة لاحقة. وبحلول عام 1949م، كانت خدمات الصحة العامة قد انتشرت وتوسعت بشكل كبير في جميع أنحاء المملكة، وتم تقسيم البلاد إدارياً إلى سبع مناطق صحية رئيسية، مع إنشاء العديد من المستشفيات الكبرى والمراكز الصحية المتخصصة في كل منطقة.⁽⁶⁸⁾

ولم يقتصر اهتمام الملك عبد العزيز على إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية المجهزة في المدن الكبرى والمراكز الحضرية الرئيسية فحسب، بل عمل جاهداً على توفير خدمات الرعاية الصحية لسكان المناطق النائية والقرى والهجر وسكان البادية الرحل. فقد تم تشكيل فرق طبية متنقلة ومجهزة تجوب القرى والمناطق البعيدة لتقديم الخدمات الطبية والعلاجية اللازمة للمواطنين في أماكن تواجدهم. كما أولى اهتماماً خاصاً بصحة وسلامة جموع الحجاج الوافدين، ووضع ترتيبات صحية وقائية وعلاجية خاصة بهم خلال موسم الحج. وبحلول عام 1948م،

⁽⁶⁷⁾ لطيفة عبد العزيز السليم: مرجع سابق، ص 251.

⁽⁶⁸⁾ محمد بن مبارك بنمش السناني: التنظيمات الإدارية في عهد الملك سعود (1373-1384هـ / 1953-1964م)، دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى،

2012م، ص 46-47.

كانت المملكة قد بنت شبكة واسعة ومتكاملة من المستشفيات والمراكز الصحية، مع عدد كبير ومتزايد من الكوادر الطبية المدربة والمؤهلة من أطباء وممرضين وفنيين، مما ساهم بشكل كبير في تحسين مستوى الصحة العامة والوقائية للمواطنين والمقيمين في المملكة. (69)

لم تقتصر جهود المملكة العربية السعودية في عملية تطوير وتحديث القطاع الصحي على مجرد توفير البنية التحتية المادية من مستشفيات ومراكز صحية وعيادات فحسب، بل امتدت لتشمل أيضاً عملية تطوير وتأهيل الكوادر البشرية العاملة في هذا القطاع الحيوي. فقد تم استقطاب نخبة متميزة من الأطباء الاختصاصيين والخبراء الصحيين من مختلف دول العالم لتقديم الخبرات والمعارف اللازمة لتطوير وتحديث منظومة الخدمات الصحية المقدمة، كما تم إيفاد عدد كبير من الأطباء السعوديين المتميزين إلى الدول المتقدمة في مجال الطب لإجراء الدراسات العليا والحصول على التخصصات الدقيقة في مختلف الفروع الطبية الحديثة. بالإضافة إلى ذلك، تم تعزيز سبل التعاون المشترك مع المنظمات الدولية المتخصصة في مجال الصحة، مثل منظمة الصحة العالمية، للاستفادة من خبراتها وتجاربها في مجال مكافحة الأمراض والأوبئة، مع الحرص الدائم على الحفاظ على السيادة الوطنية الكاملة. وفي خطوة تنظيمية هامة لتعزيز دور القطاع الصحي ورفع مكانته، تم تحويل مصلحة الصحة العامة إلى وزارة مستقلة في عام 1951م، مما يعكس بجلاء الاهتمام الكبير والأولوية القصوى التي توليها الدولة لهذا القطاع الحيوي والهام في حياة المجتمع. (70)

خامساً: تنظيم العلاقات الخارجية وتعزيز الدبلوماسية

ببصيرته الثاقبة وحكمته الرشيدة، استطاع الملك عبد العزيز أن يرسم ملامح سياسة خارجية متوازنة وفعالة للمملكة العربية السعودية. ففي عالمٍ معقد ومتشابك تحكمه مصالح متعددة وقوى عالمية متنافسة، تمكن الملك من بناء علاقات دبلوماسية متينة وقوية مع كبرى الدول المؤثرة على الساحة العالمية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، مع الحرص في الوقت ذاته على تعزيز أواصر التضامن والتعاون المشترك بين الدول العربية والإسلامية. لقد تمكن الملك من تحقيق هذا التوازن الدقيق والحيوي بفضل رؤيته الثاقبة التي مكنته من حماية مصالح المملكة العليا والحفاظ على استقلالها وسيادتها الكاملة في اتخاذ قراراتها. كما أسهمت هذه السياسة المتوازنة في جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية مع مختلف دول العالم، مما عزز بشكل كبير من مكانة المملكة ودورها على خارطة الدولية.

شهد عهد الملك عبد العزيز تطوراً نوعياً وملحوظاً في مسار العلاقات الدبلوماسية للمملكة. فبعد تأسيس أول مفوضية تمثيلية للمملكة في العاصمة البريطانية لندن عام 1930م، تبعها افتتاح مفوضيات أخرى في عواصم عربية رئيسية مثل بغداد، ودمشق، والقاهرة. ولتعزيز مكانة المملكة ورفع مستوى تمثيلها على الساحة الدولية، تم رفع مستوى هذه المفوضيات لاحقاً إلى سفارات كاملة الصلاحيات، وتم تعيين دبلوماسيين سعوديين أكفاء وذوي خبرة لتمثيل المملكة في الخارج. كما أولى الملك عبد العزيز اهتماماً خاصاً بتأسيس وتطوير العلاقات مع الدول

(69) نفس المرجع، ص 48.

(70) عبد الله العثيمين: مرجع سابق، ص 349.

الكبرى والمؤثرة عالمياً، مثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، حيث بنى علاقات قوية ومتميزة مع قادة هذه الدول في تلك الفترة، مثل الرئيس فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء ونستون تشرشل. وقد قام الملك عبد العزيز بزيارات رسمية للعديد من الدول، وعقد لقاءات قمة مع قادتها، مما ساهم بفعالية في تعزيز مكانة المملكة على الساحة الدولية، وتحقيق أهدافها الاستراتيجية في حماية الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، ودعم القضايا العربية والإسلامية العادلة. (71)

حرص الملك عبد العزيز شخصياً على أن يكون له الدور الأكبر والمحوري في رسم ملامح السياسة الخارجية للمملكة وتوجيه بوصلتها، متابعاً بنفسه وباهتمام شديد شؤون العلاقات الدولية وتطوراتها المتسارعة. لقد تمكن الملك بفضل حكمته وفطنته من إبرام العديد من المعاهدات والاتفاقيات الهامة مع مختلف دول العالم وقواه الكبرى، مثل الاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، وفرنسا، وسويسرا، وتركيا، وألمانيا. كما أولت المملكة اهتماماً خاصاً بمسألة تسوية قضايا الحدود البرية والبحرية مع الدول المجاورة لها، حيث أبرمت العديد من المعاهدات والاتفاقيات الحدودية مع العراق، واليمن، والأردن، والبحرين، ومصر، والكويت، مما ساهم في ترسيخ الاستقرار الإقليمي وتعزيز علاقات حسن الجوار. لقد أسهم هذا النشاط الدبلوماسي المكثف والفعال في ترسيخ مكانة المملكة ودورها على الساحة الدولية، وحماية مصالحها الوطنية العليا بكفاءة واقتدار. (72)

بفضل الرؤية الاستشرافية الثاقبة والحكمة السياسية البالغة التي تمتع بها الملك عبد العزيز، تمكنت المملكة العربية السعودية من بناء سياسة خارجية ناجحة وفعالة للغاية، أسهمت بشكل مباشر وملحوس في تعزيز مكانتها المرموقة على الساحة الدولية. وقد أدت هذه السياسة المتوازنة إلى بناء وتكوين علاقات متينة وقوية مع العديد من دول العالم على الصعيدين السياسي والاقتصادي، مما عزز من قدرة المملكة على التفاوض وحماية مصالحها الحيوية، وجعلها قوة مؤثرة ووازنة في المنطقة والعالم بأسره. ولم تقتصر السياسة الخارجية للمملكة على بناء العلاقات الثنائية المتميزة مع الدول الأخرى فحسب، بل تعدتها لتشمل المشاركة الفاعلة والإيجابية في المنظمات الدولية والإقليمية ذات الصلة، والمساهمة في الجهود الدولية لتحقيق الأمن والسلم العالميين.

الخاتمة

تمثل هذه الدراسة مسعى أكاديمياً لاستكشاف عمق الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز آل سعود، الذي شكل نقطة الانطلاق والأساس المتين لبناء الدولة السعودية الحديثة. لقد كشفت الدراسة عن تجلي رؤية اقتصادية بعيدة المدى لدى الملك المؤسس، تهدف إلى تحقيق الاستقلال الاقتصادي للبلاد وتأمين سبل العيش الكريم للمواطنين عبر ترسيخ مبادئ العدالة الاجتماعية، وتأسيس مؤسسات صلبة قادرة على دفع عجلة التنمية المستدامة. وقد انعكست هذه الرؤية عملياً في السياسات الاقتصادية التي تبناها، والتي ارتكزت على الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة، وتنويع مصادر الدخل الوطني، وتطوير البنية التحتية الحيوية، ودعم مختلف القطاعات الاقتصادية الواعدة. من خلال هذه الرؤية الحكيمة وتلك السياسات الفاعلة، تمكن الملك عبد العزيز من إرساء الأسس القوية

(71) محمد بن مبارك بنمش السنان: مرجع سابق 33-34.

(72) وليد ساسي: مرجع سابق، ص 71.

لاقتصاد وطني متنوع يتمتع بالمرونة والقدرة على مواجهة التحديات العالمية المعاصرة والمستقبلية.

كما أبرزت هذه الدراسة بوضوح رؤية تنموية متكاملة لدى الملك عبد العزيز، إذ لم ينحصر اهتمامه بالجانب الاقتصادي فحسب، بل امتد ليشمل بناء هيكل مؤسسي حديث للدولة في مختلف المجالات، كالإدارة العامة، والنظام القضائي، وقطاعي التعليم والصحة. كان هذا النهج الشامل جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية الملك لتعزيز اللحمة الوطنية وتأكيد الاستقلال السياسي، وتمكين المملكة من التعامل بفاعلية مع التحديات المتزايدة على الساحتين الإقليمية والدولية. إضافة إلى ذلك، أسهمت سياسات التنمية الاجتماعية التي اتبعتها الملك، والتي ركزت على تحقيق العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروات بشكل منصف، في تعزيز الاستقرار الداخلي وتهيئة بيئة مواتية لتحقيق نمو اقتصادي مستدام وشامل. وقد أثبتت السياسات التي انتهجها الملك عبد العزيز حنكته ونجاحها، حيث ساهمت في بناء دولة قوية ومستقرة، قادرة على التكيف مع التحديات والتغيرات المتسارعة في البيئة المحيطة.

لقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الأساسية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: اتسمت رؤية الملك عبد العزيز آل سعود بشموليتها وبعدها الاستراتيجي، حيث سعى إلى إقامة دولة قوية ومستقلة تستند إلى اقتصاد مزدهر ومؤسسات حكومية فعالة. ركزت هذه الرؤية على تحقيق الاستقلال الاقتصادي، وترسيخ العدالة الاجتماعية، ودعم التنمية المستدامة، من خلال بناء مؤسسات قوية ومتخصصة في مختلف القطاعات. وقد برهنت هذه الرؤية على حكمتها وجدواها، إذ أسهمت في تحقيق نمو اقتصادي مستدام وتحسين ملموس في مستوى معيشة المواطنين.

ثانياً: تبنى الملك عبد العزيز سياسات اقتصادية مدروسة شملت الاستغلال الحثيث للموارد الطبيعية، وتنويع مصادر الدخل الوطني، وتطوير شامل للبنية التحتية، وتقديم الدعم اللازم لمختلف القطاعات الاقتصادية. استهدفت هذه السياسات بناء اقتصاد وطني قوي، متنوع، وقادر على تحقيق التنمية المستدامة ورفع مستوى رفاهية المواطنين.

ثالثاً: تجاوزت رؤية الملك عبد العزيز الأبعاد الاقتصادية لتشمل هدفاً أسمى هو بناء دولة قوية وموحدة الصف، قادرة على مواجهة التحديات الإقليمية والدولية المعقدة. هدفت سياساته إلى تحقيق غايات استراتيجية طموحة، من أبرزها تعزيز اللحمة الوطنية والحفاظ على استقلال القرار الوطني، وتشجيع اقتصاد قوي مدعوم بمؤسسات حكومية فعالة. ونتيجة لهذه الجهود، وضع الملك الأسس الراسخة لدولة قوية ومستقلة، تمتلك المقومات اللازمة للتكيف مع التحديات والمتغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم.

وقد قدمت الورقة عدداً من التوصيات تمثلت في:

أولاً: تعزيز الدراسات الأكاديمية حول الفكر الاقتصادي للملك عبد العزيز لإبراز دوره في تأسيس نموذج التنمية السعودية الحديثة.

ثانياً: تنويع الاقتصاد الوطني على نهج الملك المؤسس، بتقوية القطاعات الزراعية والصناعية وتقليل الاعتماد

على النفط.

ثالثاً: الاستثمار في تنمية الإنسان من خلال التعليم والتدريب الفني بوصفه الركيزة الأساسية للتقدم الاقتصادي والاجتماعي.

رابعاً: ترسيخ التكامل بين القيم الإسلامية والتنمية الاقتصادية لضمان تحقيق نهضة متوازنة مادياً وروحياً.

المراجع

أولاً: الكتب باللغة العربية

1. إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/1924-1953م) ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
2. حمد السلوم: تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية، الرياض، 1987.
3. خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م.
4. زاهية قدوره: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، 1975م.
5. سعيد فالح الغامدي: البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، ط5، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1990م.
6. عبد الرحمن الشلهوب: النظام الدستوري في المملكة العربية السعودية، د.ط، مكتبة الشقري للنشر والتوزيع، الرياض.
7. عبد العزيز الخضر: السعودية سيرة دولة ومجتمع، د.ط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2011م.
8. عبد العزيز السنبل وآخرون: نظام التعليم في المملكة العربية السعودية، ط5، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1417م.
9. عبد الفتاح حسن أبو عليه: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، 1986م.
10. عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ط3/ ج 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
11. عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، ط2، دار اللواء للنشر، 1980م.
12. عبد المنعم سلبع: أضواء على الزراعة العربية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، د.ت.
13. عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون: اتفاقيات النفط والمعادن في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

14. فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ط٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ/1968م.
15. فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود: موجز تأريخ الدولة السعودية (1157هـ/1744م-1438هـ/2017م)، جامعة المجمعة، الرياض، 1439هـ/2018م.
16. محمد بن إبراهيم السيف: المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، د.ط، دار الخرجي للنشر والتوزيع، الرياض، 2003م.
17. محمد علي رضا الجاسم: مقدمة في اقتصاديات المملكة العربية السعودية ج1، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢م.
18. محمد علي مغربي: إعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، ج١، دار تهامة للنشر، جده، 1981م.
19. محمود حجازي: ملك وتاريخ، مج1، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
20. المواصلات والاتصالات، المملكة العربية السعودية خلال مئة عام، دراسة توثيقية، (١٣١٩هـ-١٤١٩هـ / ١٩٠٢م - ١٩٩٩م)، مج٢ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
21. موسى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود: الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز، دار الساقبي بيروت، 1992م.
22. وزارة الخارجية السعودية، السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية في مئة عام، د.ط، مؤسسة الاصطفاء للطباعة والنشر، الرياض، 1999م.

ثانياً: الأوراق العلمية

1. أحمد بن حامد إبراهيم القضاة: "النفقات الخيرية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود 1343-1373 هـ / 1924-1953م: صحيفة أم القرى مصدراً". الدارة مج39 ع3 2013م. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record633170>
2. أحمد صالح خليفة، وعلي أحمد مهنا: "التطورات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية قبل عام 1945م" مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية ع2 (2014): مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record898>
3. أمل عبد الله الهشام: اتفاقية الامتياز الأمريكي لنفط الأحساء مجلة "وقائع تاريخية" العدد (38)، يناير 2023م.
4. حسني عبد المعز عبد الحافظ: "قراءة في نص خطاب تاريخي للملك عبد العزيز أمام حشد من وفود الحج". مجلة الحج والعمرة س53 ج8 (1998) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record322186>
5. خدمة ضيوف الرحمن: شرف وألوية وأمانة: مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج والمجدل/العدد: ع9، 1442هـ.
6. خلف الله بن سليمان النمري: اقتصاديات النشاط الزراعي في عهد الملك عبد العزيز، الدارة، العدد (4)

1420هـ.

7. خلف الله سليمان النمري: التنمية الزراعية في ضوء الشريعة الإسلامية، ج1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1416هـ.
8. صالح بن محمد الشعبي: السياسة المالية في عهد الملك عبدالعزيز، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز مج2، الرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ.
9. طلال محمد نور عطار: "النفط السعودي في عهد الملك عبد العزيز. التوباد ع19 (1999) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record69>
10. عبد الله السدحان وعبد العزيز الغامدي: الزراعة والمياه في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض، 1406هـ.
11. عبد الله سعيد فاضل العمري: "قوات الدفاع السعودي في عهد الملك عبد العزيز 1319هـ-1373هـ / 1902-1953 م". دراسة تاريخية حضارية. "مجلة القلم للدراسات التاريخية والحضارية ع31 (2024): مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record1471507>
12. عماد يوسف عبد العزيز وأمين غانم محمد: السياسة التعليمية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (1926-1953م)، جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المجلد(14) العدد (4) لسنة 2018م.
13. فهد بن عبد الله آل عمرو الأكلبي: التعليم في عهد الملك عبد العزيز (1319-1373هـ)، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل - العلوم الانسانية والإدارية عدد خاص (1999م) مسترجع <http://search.mandumah.com/Record117896>
14. محمد أحمد الرويثي: تطور الوظيفة الصناعية في المدينة السعودية، نشرة رسائل جغرافية، جامعة الكويت، العدد (99)، آذار 1987م، ص25.
15. محمد شوقي الفنجري: "أيديولوجية التنمية في المملكة العربية السعودية. "الدارة مج9، ع3(1984): مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record1331>
16. مها بنت علي بن عامر آل خشيل: "التقيب عن المعادن في عهد الملك عبد العزيز 1344-1373 هـ. = 1926-1953م. "الدارة مج43، ع1 (2017): مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record881962>
17. هند بنت عبد الله الراجح: "أثر الازدهار الاقتصادي في التغيير الاجتماعي في مدينة الرياض 1938 - 1960م"مجلة بحوث الشرق الأوسط ع42 (2017): مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record9>

ثالثاً: الرسائل الجامعية

1. لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة 1926-1932م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1977م.
2. محمد بن مبارك بنمش السناني: التنظيمات الإدارية في عهد الملك سعود (1373-1384هـ/ 1953-1964م)، دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، 2012م.
3. وليد ساسي: الملك عبد العزيز آل سعود ودوره في تأسيس المملكة العربية السعودية (1876-1953م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير، 2017م.

رابعاً: الصحف والمواقع الإلكترونية

1. رسائل الملك عبد العزيز للفقراء والمحتاجين <https://www.alarabiya.net/saudi-today/2017/05/05>
2. سعود المطيري: الملك عبد العزيز وتكوينه لجيش عصري عام 1946م، جريدة الرياض، العدد، 17081، 31 مارس 2015م.

عنوان البحث

فاعلية وكالات الأنباء الوطنية في تناول قضية تغير المناخ دراسة وصفية بالتطبيق على وكالة السودان للأنباء (خلال الفترة من يناير 2022 - يناير 2023)

د. بكري المكي محمد علي¹، أ. مناهل محمد أحمد²

¹ أستاذ الإعلام المساعد بكلية علوم الاتصال . جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان.

بريد الكتروني: bakrinews@gmail.com

² باحثة دكتوراة في مجال الاتصال، الصحافة والنشر، كلية الاتصال، جامعة أكدينيز، تركيا.

بريد الكتروني: manahilmohamed93@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/36>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/36>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة (فاعلية وكالات الأنباء الوطنية في معالجة قضية تغير المناخ) وهي دراسة وصفية تحليلية تم تطبيقها على وكالة السودان للأنباء (سونا) خلال الفترة من يناير 2022 - يناير 2023، واستخدمت الدراسة منهج تحليل المضمون كأداة وأسلوب إضافة للملاحظة، وقد خرجت بعدة نتائج أهمها: أن وكالة السودان للأنباء تفرد حيزاً للفعاليات والأنشطة ذات الصلة بقضية تغير المناخ والتلوث البيئي لكنها غير كافية، وبينت أن الوكالة لا تعتمد على مصادر خاصة لتغطية المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تناقشها القضية، وتستخدم فني الخبر والتقرير الصحفي في تغطيتها للأنشطة البيئية والمناخية مع غياب تام للفنون الإعلامية الأخرى، وأوصت الدراسة بالتوسع في بث البرامج والأنشطة ذات العلاقة بتغيرات المناخ وإستضافة الخبراء والمختصين في المجال وتوظيف المنصات الرقمية والوسائط المتعددة لنشر الوعي وتعزيز ثقافة تغير المناخ للتقليل من مخاطرها.

الكلمات المفتاحية: وكالات الأنباء الوطنية، وكالة السودان للأنباء، التلوث البيئي، التغير المناخي.

RESEARCH TITLE

The Effectiveness of National News Agencies in Addressing the Climate Change Issue: A Descriptive Study Applied to the Sudan News Agency (SUNA) (During the period from January 2022 – January 2023)**Abstract**

This study investigated "**The Effectiveness of National News Agencies in Addressing the Climate Change Issue**," a descriptive-analytical study applied to the **Sudan News Agency (SUNA)** during the period from January 2022 to January 2023. The research utilized Content Analysis as its primary methodology and tool, supplemented by observation. The study yielded several key findings, notably: that the Sudan News Agency allocates space for activities and events related to climate change and environmental pollution, yet this allocation is insufficient. It also showed that the agency does not rely on its own exclusive sources to cover conferences, seminars, and forums discussing the issue. Furthermore, SUNA primarily employs the news story and news report formats in its coverage of environmental and climate activities, with a complete absence of other journalistic genres. The study recommends expanding the broadcast of climate-related programs and activities, hosting experts and specialists in the field, and utilizing digital platforms and multimedia to spread awareness and enhance the culture of climate change mitigation to reduce its risks.

Key Words: National News Agencies, Sudan News Agency (SUNA), Environmental Pollution, Climate Change.

المقدمة:

شغلت قضية التغير المناخي وتأثيره على الأنشطة الإنسانية العالم خلال السنوات الأخيرة، وباتت تحظى بإهتمام واسع من قبل الدول والحكومات والشعوب والمنظمات والهيئات المختصة؛ نظراً للتأثير السلبي الكبير الذي أحدثته في كل القارات، وهو الأمر الذي جعلها على سطح الأحداث العالمية من خلال وسائل ومنصات الإعلام، وشهدت الكثير من العواصم والمدن العالمية خلال العقد الأخير مؤتمرات ولقاءات وتجمعات في إطار مناقشة تداعيات تأثير القضية وأبعادها في ظل موجة من التغيرات الاقتصادية والسياسية يشهدها العالم وكثيراً ما تصحب هذه اللقاءات التي يحضرها علماء مختصون في المجال والمجالات ذات الصلة تظاهرات مناهضة تتدد بممارسة الشركات والمؤسسات الاقتصادية الكبرى التي تعتمد استهلاك مشتقات النفط والمواد الكيميائية في الإنتاج وتنادي بسن تشريعات وقوانين تحمي الإنسان والحيوان من التعديات في ظل عالم يحكمه الاقتصاد، وتمثل ظاهرة التعدي على الغابات مظهراً من مظاهر التغير المناخي وتنتشر في الدول الإفريقية ومن بينها السودان الذي شهد خلال الثلاثة عقود الأخيرة تغيرات مناخية أثرت بصورة واضحة على وضعه الإقتصادي حيث انخفض الإنتاج القومي الزراعي بسبب شح الأمطار وانخفاض أو زيادة معدل نزولها، وقد أدى ذلك إلى عزوف الشباب عن العمل في مجال الزراعة والبحث عن فرص عمل في ظروف أفضل، وشهدت هذه الفترة كذلك هجرة مئات الآلاف من المواطنين من الريف إلى المدن حيث إزداد الضغط على خدمات التعليم والصحة وتحولت نتيجة ذلك الكثير من الأراضي الزراعية إلى أراض سكنية، وإزداد عدد المصانع مما أدى إلى زيادة نسبة إستهلاك مشتقات الوقود والمواد الكيميائية وكان لذلك تأثيرات صحية على المواطن بعد أن تلوثت مصادر المياه مما نتج عنه إزداد وانتشار الأمراض حسب تقارير جهات صحية معنية، وفي ظل هذا الوضع والتأثير السلبي الكبير للتغير المناخي على السودان لا يزال تناول الإعلامي للقضية منخفضاً قياساً بأضرارها، حيث لم تفرّد وسائل الإعلام والمنصات الإعلامية السودانية . حسب ملاحظة الباحثين . مساحات واسعة لتناولها ومناقشتها والإسهام في إيجاد حلول ومعالجات، وتحاول هذه الدراسة البحث عن فاعلية تناول الإعلامي للقضية عبر الطرق العلمية من خلال وكالة السودان للأنباء (سونا) في ظل شح الدراسات والبحوث الأكاديمية التي تتناول علاقة وسائل الإعلام بقضايا البيئة والتغير المناخي في السودان.

أولاً: الإطار المنهجي للدراسة

مشكلة الدراسة:

في ظل التحديات البيئية التي يشهدها العالم يعاني السودان من آثار بيئية واقتصادية جسيمة نتيجة التغيرات المناخية في ظل تدني مستوى الوعي وعدم وجود سياسات وطنية واضحة تجاه تداعيات هذه القضية، وقد ارتبط تغير المناخ عالمياً بالإعلام الذي لعب أدواراً مهمة في التوعية بمخاطره وتأثيره على كوكب الأرض، وبات تناول الإعلامي ظاهرة ملازمة لكل الفعاليات والمؤتمرات التي تناقش قضايا البيئة في المدن والعواصم العالمية الكبرى وهو ما يعزز دوره مستقبلاً في التصدي لهذه الظاهرة، ولم يكن الإعلام السوداني بمعزل عن ما يشهده العالم فيما يتعلق بأمر التغير المناخي لكن مستوى حضوره لم يكن بالمستوى المطلوب، وتتمثل مشكلة الدراسة الرئيسية في التعرف على فاعلية وكالة السودان للأنباء (سونا) التي تديرها الحكومة في تناول هذه القضية وهي تعتبر إحدى وسائل الإعلام الرسمية التي تتبنى سياسة الحكومة تجاه معالجة قضايا التغير المناخي، وتناقش المشكلة أنواع التغطية والفنون الإعلامية التي توظفها الوكالة في تناول القضية وفقاً للطرق والمناهج البحثية العلمية، وتناول المشكلة جوانب أخرى تتمثل في:

1. تحليل مدى تفصيل وتعمق الأخبار: هل تشتمل الأخبار التي تعرضها الوكالة على تحليلات وتقارير مفصلة عن التغير المناخي.

2. دراسة اللغة والمصطلحات المستخدمة: وذلك من خلال معرفة المصطلحات والمفردات المستخدمة للإشارة إلى التغير المناخي وإلى أي مدى تعبر هذه المصطلحات بفهم ووضوح عن القضية؟ وهل تركز الأخبار على جوانب معينة لقضية التغير المناخي مثل إرتفاع درجات الحرارة والفيضانات والتصحر؟
3. تقييم المصادر المستخدمة: ماهي المصادر التي تحصل من خلالها وكالة السودان للأنباء على الأخبار والمواد الإعلامية في تناولها وتعاطيها من قضية التغير المناخي؟ وهل تستند على تقارير علمية وآراء خبراء ومختصين أو تقارير منظمات معنية موثوق بها لتحقيق الشفافية والمصادقية؟
4. تحليل اللغة ونبرة التغطية: وذلك من خلال معرفة اللغة المستخدمة في تغطية الوكالة لقضية التغير المناخي ونوعها ومدى إلزامها التفسيرات العلمية المحايدة والإيجابية.
5. تأثير التغطية على الوعي العام واتخاذ القرار: ويتمثل ذلك في معرفة نوع التأثير الذي تحدثه تغطية وكالة السودان للأنباء لقضية تغير المناخ في السودان على وعي الجمهور المتلقي وصانعي ومتحذي القرار.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في أهمية قضية التغير المناخي وتأثيرها على كافة أوجه وأنشطة الحياة في العالم والإهتمام المتعاظم الذي تجده من وسائل ومنصات الإعلام، كما أن السودان يدخل ضمن قائمة الدول العشر التي تضررت بصورة مباشرة من التغير المناخي حيث تسبب في هجرة مئات الآلاف من الأرياف إلى المدن مما كان له تأثيره البالغ على الخدمات وهو الأمر الذي يفرض تسليط الضوء على هذه القضية إعلامياً وعلمياً، وتفتقر المكتبة الأكاديمية العلمية إلى الدراسات المتخصصة في هذا المجال وهو ما دعا الباحثين للبحث عن أطر المعالجة التي تنتهجها وكالة السودان للأنباء في تغطية جوانب القضية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق التالي:

1. التعرف على فاعلية وكالة السودان للأنباء في تناول قضية التغير المناخي على السودان.
2. الوقوف على الفنون والأشكال الإعلامية التي تعتمدها الوكالة في تغطية تأثيرات وتداعيات القضية.
3. معرفة المصادر التي تعتمد عليها الوكالة في معالجة القضية.
4. التعرف على دور الوكالة في بث الوعي بمخاطر التلوث البيئي وتأثير تغير المناخ على أنشطة الحياة العامة.
5. تقديم دراسة علمية متخصصة تساعد الطلاب والباحثين على تناول القضية بصورة تساهم في تخفيف تأثير التغير المناخي ومساعدة الدولة في توفير حلول ومعالجات.

تساؤلات الدراسة:

1. ما مدى إهتمام وكالة السودان للأنباء بقضية التغير المناخي والتلوث البيئي؟
2. ما الكيفية التي تعالج بها الوكالة تأثير تغير المناخ على أنشطة الحياة العامة إعلامياً؟
3. ماهي الفنون والأشكال الإعلامية التي توظفها الوكالة في تناولها وعرضها لقضية التغير المناخي؟
4. ما المصادر التي تعتمد عليها الوكالة في تغطية الأنشطة ذات العلاقة بالتغير المناخي؟

5. ما هي اللغة التي تستخدمها الوكالة وإلى أي مدى تنتهج سياسة الحياد والموضوعية في تناولها ومعالجة لتداعيات قضية التغير المناخي؟
6. إلى أي مدى تستعين الوكالة بخبراء مختصين أثناء عرضها وتناولها لقضية التغير المناخي؟

مناهج وأدوات الدراسة:

تستخدم الدراسة المناهج والأدوات التالية:

1. منهج تحليل المضمون: ويعرف بأنه (مجموعة من الخطوات التي تسعى إلى إكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى والعلاقات الارتباطية لهذه المعاني من خلال البحث الكمي الموضوعي والمنظم للسّمات الظاهرة في هذا المحتوى)⁽¹⁾.
2. المنهج الوصفي التحليلي: وهو من أكثر المناهج البحثية استخداماً في الدراسات الإعلامية، ويُعنى به (الوصف التحليلي الدقيق والتفصيلي لظاهرة معينة، أو موضوع محدد من خلال نوعين كمي وكيفي، حيث يصف الأول الظاهرة ويوضح خصائصها فيما يضع الثاني وصفاً رقمياً لها حيث يبين مقدارها وحجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى)⁽²⁾.
3. الملاحظة: وهي (تركيز الإنتباه نحو ظاهرة معينة لفهمها ودراساتها)⁽³⁾.

حدود الدراسة:

يتمثل الإطار الزمني للدراسة في الفترة ما بين يناير 2022 وحتى يناير من العام 2023، وهي الفترة التي إزداد فيها الإهتمام بقضية التغير المناخي على مستوى العالم حيث نظمت العديد من اللقاءات والمؤتمرات والأنشطة لتناول تأثير القضية على العالم وقد تزامنت هذه الفعاليات مع تظاهرات نظمتها منظمات وهيئات أممية ومدنية للفت الإنتباه إلى خطورة الظاهرة، كما أن الفترة ذاتها شهدت زيادة تأثير القضية على السودان الذي يعتبر من أبرز الدول الإفريقية تضرراً من التغيرات المناخية، وقد إزداد إهتمام وسائل الإعلام السودانية بالقضية خصوصاً الرسمية وعلى رأسها وكالة السودان للأنباء. أما الإطار المكاني فيتمثل في الموقع الرسمي لوكالة السودان للأنباء (سونا) حيث تم إختيار عينة من الأشكال والفنون الإعلامية التي تستخدمها الوكالة في عرض وتناول قضية التغير المناخي من خلال منهج تحليل المضمون.

مجتمع وعينة البحث:

يتمثل مجتمع البحث في الأخبار والتقارير والأحاديث والتحقيقات والآراء التي تناولت عبرها وكالة السودان للأنباء قضية التغير المناخي خلال فترة الدراسة، أما العينة فتتمثل في عدد من المفردات تم إختيارها وفق المعايير العلمية.

التعريفات الإجرائية: (مصطلحات البحث)

فاعلية: الاصل اللغوي للفاعلية هو (فعل) والذي من مشتقاته فاعل وفعال، وهي (كون الشيء يؤدي إلى نتائج وأفعال، أو مقدرة الشيء على التأثير)⁽⁴⁾.

ويعني الباحثان بفاعلية هنا الجهود التي تبذلها وكالة السودان للأنباء في معالجة قضايا التغير المناخي وفق سياستها التحريرية.

وكالة الأنباء: وهي (هيئة أو مؤسسة عامة أو خاصة أو حكومية تعمل في مجال جمع الأخبار والمعلومات وتوزيعها على وسائل الإعلام والهيئات والأفراد بمقابل أو بدونه)⁽⁵⁾. أما وكالة السودان للأنباء (سونا) فهي (مؤسسة صحفية مستقلة تلتزم بتوفير خدمة إخبارية وإعلامية متكاملة المنابر والوسائط تتسم بالدقة والإتزان والموضوعية والتنوع والشمول، وتغطي الوكالة

الأنشطة الاجتماعية والإقتصادية والسياسية وتسهم في صنع رأي عام سوداني مستتير ومتابع لما يجري في البلاد⁽⁶⁾.

تناول: ويقصد بها (الطريقة التي تتبعها جهة ما لمعالجة أو عرض قضية ذات تأثير وأهمية لجمهور الرأي العام)⁽⁷⁾.

قضية: يقصد بها (الأحداث والمشكلات التي تواجه الشعوب والأفراد نتيجة سلوك أو تصرف أو تعامل نتيجة فعل الطبيعة أو الإنسان)⁽⁸⁾.

التغير المناخي: ويشير إلى (تحولات طويلة الأجل في درجات الحرارة وأنماط الطقس يمكن أن تكون بسبب التغيرات في نشاط الشمس أو الانفجارات البركانية الكبيرة، أو بشرية وتتمثل في حرق الوقود الأحفوري كالفحم والنفط والغاز أو القطع الجائر للغابات)⁽⁹⁾.

الدراسات السابقة:

1. دراسة حسن (2023)⁽¹⁰⁾: وقد هدفت للتعرف على التأطير الإخباري والمصور لتغطية قمة المناخ 27 cop في المواقع الإخبارية الدولية، وسعت الدراسة كذلك لرصد وتحليل الدلالات الرقمية والصور المنشورة عن القمة، ووظفت المنهج الوصفي التحليلي واستخدمت المقاربة المنهجية ونظرية تحليل الأطر الإعلامية، وتوصلت الدراسة لعدة نتائج أبرزها أن المواقع الإخبارية محل الدراسة (بي بي سي العربية، وسي إن أن، وتي آر الروسية) استخدمت الأخبار والتقارير الإخبارية والصور والفيديوهات والرسوم في تغطيتها لقمة تغير المناخ EGEPT COP 27، وقد تنوعت مصادر المواقع الثلاثة ما بين مصادر ذاتية كالمراسلين والموفدين ووسائل الإعلام الأخرى كوكالات الأنباء والصحف والمواقع الإلكترونية، وقد تم ذلك وفقا للسياسة التحريرية للمواقع الإخبارية المعنية.

2. دراسة الشحري (2023)⁽¹¹⁾: وتناولت قياس معدل تعرض الجمهور المصري لمواقع الأخبار في متابعة قضايا التغيرات المناخية، واستخدمت المنهج الوصفي وأداتي تحليل المضمون وصحيفة الاستبيان الإلكترونية، وتوصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها: أن المواقع الإلكترونية الإخبارية في الصحف الحكومية كالأهرام هي الأكثر متابعة للمهتمين بقضايا التغير المناخي مقارنة بالمواقع الإخبارية الإلكترونية للصحف الحزبية والمستقلة، وأن الجمهور يلتمس الحصول على الأخبار والمعلومات الجديدة من خلال هذه المواقع.

3. دراسة الخولي (2023)⁽¹²⁾: وهدفت للتعرف على معالجة الصحف الإلكترونية المصرية والأمريكية لموضوعات التغيرات المناخية في مؤتمر المناخ EGEPT COP 27 في ضوء أبعاد نظرية المسؤولية الاجتماعية، وخلصت إلى تنوع أهداف المعالجات وتنوع الفنون الصحفية المستخدمة في المعالجة والتي تصدرتها الأخبار والتقارير، كما كشفت عن توظيف المواقع محل الدراسة لغة إيجابية في معالجة القضايا، وأكدت أن من أهم أسباب التغيرات المناخية زيادة استهلاك الطاقة الأحفورية والغازات الناتجة عن حرق النفايات.

4. دراسة كمال (2023)⁽¹³⁾: وقد سعت لمعرفة أطر تغطية قضية تغير المناخ في الصحف والمواقع الصحفية المصرية، واستخدمت المنهج الوصفي ومنهج تحليل المضمون وأداتي الملاحظة وصحيفة الاستبيان الإلكترونية، وتوصلت الدراسة أن التغطية الخبرية تأتي في المرتبة الأولى في المواقع المختارة تليها التقارير الصحفية بأنواعها مع توظيف الوسائط المتعددة في عرض المواد التي تستعرض وتناقش القضية، وبينت أن انبعاث الغازات من أسباب التلوث البيئي وتغير المناخ.

5. دراسة مصطفى (2023)⁽¹⁴⁾: وهدفت إلى تحليل ورصد الدراسات الإعلامية العربية والأجنبية الحديثة في مجال

البيئة والتغيرات المناخية من مختلف المدارس على مستوى العالم، وتنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية وقد وظفت منهج تحليل المضمون، وكانت أبرز نتائجها تفوق الدراسات العربية على الدراسات الأجنبية في دعم وتعزيز القضايا البيئية المستدامة حيث ركزت وسائل الإعلام العربية على بث الوعي والتنشئة الاجتماعية والثقافة البيئية في هذا الاتجاه فيما تفوقت الدراسات الأجنبية في جانب قضايا التغيرات المناخية، وكشفت عن وجود غياب شبه تام لبحوث إستقراء المستقبل في مجال الإعلام البيئي والتركيز على البحوث الوصفية.

6. دراسة حنفي (2022)⁽¹⁵⁾: واستهدفت دور الإعلام الرقمي عبر قنوات اليوتيوب في معالجة قضايا البيئة في ظل التحديات والتغيرات المناخية وحجم الاهتمام الذي تقدمه مختلف المؤسسات لمناقشة مخاطر التغيرات المناخية والتوعية بها، ورصد أهم الموضوعات التي تتناولها هذه القنوات وكيفية معالجتها بالإضافة إلى تحليل السمات الاتصالية والأساليب الإقناعية المستخدمة، واعتمدت الدراسة نظرية الأطر الإعلامية ومنهج المسح بالعينة وذلك بحصر مقاطع الفيديو التي تناولت التغيرات المناخية على موقع اليوتيوب، وأظهرت نتائج الدراسة أن موضوعات التغيرات المناخية استحوذت على إهتمام وسائل الإعلام العربية من خلال قنواتها على موقع اليوتيوب لتعزيز المصلحة الوطنية والدولية ومن ذلك من خلال طريقة متكاملة تمثلت في نشر الأخبار وتقديم التفسيرات والتحليلات، وقد اختلفت المعالجة وفقاً لنوع القناة وسياساتها التحريرية حيث تميل قنوات (اليوتيوب) إلى تقديم الأشكال الفنية البسيطة وعدم استخدام الوسائل البصرية المساعدة كالرسوم البيانية والجرافيك مع الاعتماد على المعلومات المنشورة على شبكة الإنترنت، وذلك نظراً للاتجاه التجاري والإعلاني لهذه القنوات التي تختلف عن قنوات وسائل الإعلام الأخرى.

7. دراسة عبد العليم، (2022)⁽¹⁶⁾: وقد هدفت إلى التعرف على اهتمام الصحف المصرية لقضية التغيرات المناخية واستخدمت الأسلوب المقارن ومنهج تحليل المضمون، وخلصت الدراسة لعدة نتائج أهمها: أن المواقع المصرية موضوع الدراسة (اليوم السابع والمصري والشرق) اهتمت بقضية التغيرات المناخية وأفردت لها حيزاً واسعاً عبر الفنون والأشكال الصحفية والإعلامية المختلفة، وقد جاء التقرير الصحفي في المرتبة الأولى كأبرز شكل صحفي وظفته المواقع الثلاثة.

8. دراسة العزب وآخرون (2021)⁽¹⁷⁾: وتناولت كيفية معالجة الصحف المصرية والبريطانية لقضية التغيرات المناخية، وتوصلت الدراسة إلى إهتمام صحيفة التايمز البريطانية بتغطية التغيرات المناخية من خلال إبراز المؤتمرات والاتفاقيات التي نشرت عن القضية والمقترحات والآراء التي تناقشها وتبحث عن توفير الحلول لها فيما جاء تناول صحيفة الأهرام المصرية بصورة أقل مقارنة بالصحيفة البريطانية حيث ركزت اهتمامها على نشر الأخبار التي تتعلق بالقضية، وأكدت الدراسة اهتمام الصحيفتين على المندوبين الصحفيين في تغطية قضايا تغير المناخ مما يعزز صحة المعلومات والأخبار التي تتناولها وقد تفوقت صحيفة التايمز في ناحية الاعتماد على صحفيين متخصصين وهو الأمر افترقت إليه صحيفة الأهرام المصرية رغم عراققتها، وتوصلت الدراسة كذلك إلى وجود فوارق ذات دلالات إحصائية في المعالجة الخبرية لصالح الصحيفة البريطانية.

9. دراسة (محمد 2020)⁽¹⁸⁾: وتناولت دور الصفحات الرسمية المصرية على مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التنمية البيئية المستدامة، ووظفت الدراسة منهجي المسح وتحليل المضمون على عينة تحليلية من منشورات مبادرة (إتحضر للأخضر)، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الصفحة كانت فاعلة في إشراك الجمهور المصري في الاتصالات البيئية من خلال تحفيز التفاعل بين المتابعين، وأكدت ارتفاع نسبة مشاركة المبحوثين للمنشورات وممارستهم للاتصال الشفهي الإلكتروني، كما أثبتت فاعلية الصفحة في التأثير على وعي المبحوثين البيئي وتدعيم اتجاهاتهم نحو الإستدامة البيئية.

10 . دراسة ملياني (2019)⁽¹⁹⁾: واستهدفت تناول الإعلام الرقمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي لقضايا البيئة والتغير المناخي واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وطبقت على موقع تويتر كنموذج للإعلام الجديد، وتوصلت إلى افتقار الإعلام الرقمي إلى الكادر الإعلامي المتخصص وعدم تفاعل مستخدمي موقع تويتر مع الموضوعات التي تتناول الوعي البيئي وعد توفر استراتيجية بيئية عالمية، كما كشفت الدراسة غياب المنهج الإعلامي الواضح للتعامل مع قضايا البيئة والتغيرات المناخية.

العلاقة بين الدراسة والدراسات السابقة:

تتفق الدراسة مع الدراسات السابقة في الأدوات والمناهج المستخدمة حيث وظفت معظم الدراسات المنهج الوصفي التحليلي أسلوب تحليل المضمون وأداتي صحيفة الاستبيان الإلكتروني والملاحظة، وقد ساعد ذلك الباحثان في اختيار ما يناسب الدراسة الجديدة، وتتفق مع سابقتها كذلك من حيث الموضوع حيث تتناول جميعها العلاقة بين الإعلام والتغير المناخي والتلوث البيئي من حيث التناول والمعالجة والتأثير على الجمهور المتلقي وذلك عبر الإعلام الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي وهو الأمر الذي يؤكد سطوة هذا النوع وانتشاره وتمدده على حساب الإعلام التقليدي وقد أشارت نتائج معظم الدراسات السابقة وأكدت توجه الجمهور إلى الإعلام الجديد وتفاعله مع ما ينشر، كما أن جميع الدراسات تم إنجازها خلال العام ما بين 2022 و 2023 وهي الفترة التي شهدت تعاظم الاهتمام بتأثير التغير المناخي على الشعوب وإزدياد المؤتمرات والأنشطة والفعاليات التي تهتم بإبراز قضاياها، وتختلف الدراسة عن ما سبقها في أنها تتناول فاعلية وكالات الأنباء الوطنية في تناول قضية تغير المناخ وهو أمر لم يتم تناوله في السودان والمنطقة العربية . حسب إطلاع الباحثين . إذ لم تتوفر دراسات سابقة تناقشه، كما أن الدراسة تعتبر الأولى التي تناقش قضية التغير المناخي عبر وسائل الإعلام في السودان الذي يأتي ضمن الدول الأفريقية العشرة الأكثر تأثراً بالتغيرات المناخية.

ثانياً: وكالة السودان للأنباء (سونا):

ظهرت في بداية خمسينيات القرن الماضي وكالات أنباء صغيرة في الخرطوم يملكها أفراد كوكالة أنباء (إفريقيا الجديدة) لصاحبها الأستاذ عبد الرحمن مختار، ووكالة (أخبار الخرطوم) التي أسسها إدريس البناء، ووكالة (الصحافة السودانية) التي يملكها عبد الكريم عثمان⁽²⁰⁾، وكانت هذه الوكالات محدودة النشاط وتعمل بأجهزة بدائية وقد شملها جميعاً قرار التأميم الذي أصدره رئيس جمهورية السودان الأسبق جعفر نميري⁽²¹⁾.

وبعد فترة وجيزة من تنفيذ قرار التأميم أعلن الرئيس عن عزم الحكومة على إنشاء وكالة أنباء وطنية رسمية رأى القائلون على أمرها أن تقتصر مرحلتها الأولى على توفير الحد الأدنى من الضروريات التي يتطلبها التأسيس والإكتفاء بالصورة التي تمكنها من مقابلة إلتزاماتها المالية، وأن تكون قادرة على تغطية الإحتياجات العاجلة للصحافة المحلية وأجهزة الإعلام الرسمية، وأن تكون قادرة كذلك على التقاط الأخبار المذاعة والمرسلة من المؤسسات الإخبارية العالمية المهمة وذلك لربط البلاد بما يحدث في الخارج ومتابعة الأحداث اليومية⁽²²⁾.

بدأت وكالة السودان للأنباء (سونا) عملها رسمياً في العام 1973 ووضع لها قانون شبيه بقانون وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية، ولم يقتصر دورها على بث الأخبار فقط بل كانت تمثل جهاز اتصال ومعلومات للحكومة حيث وفرت لها أجهزة اتصال قوية في الداخل والخارج، وكانت تنقل أخبار الأقاليم إلى رئاسة الجمهورية، كما كانت تتلقى تقارير السفارات السودانية وذلك بسبب ضعف أجهزة الاتصال بوزارة الخارجية وتقوم بإرسالها سرا إلى الوزارة، وقد كانت الوكالة في مرحلتها الأولى تابعة لرئاسة الجمهورية ومرتبطة بها حتى ان صحيفة (لوموند) الفرنسية قالت أن رئيس الجمهورية هو رئيس أيضا

للكوالة، وقد زار الرئيس سونا في العام 1984 ووزع الأوسمة والنياشين على بعض قادتها.

وكانت الكوالة تصدر عشرات النشرات في اليوم يتم توزيع بعضها على المشتركين من الصحف والإذاعات والهيئات والمؤسسات الحكومية والسفارات الأجنبية، كما تقوم الكوالة بتوزيع نشرة خاصة على المسؤولين تتضمن الأخبار المنقولة من الصحف والإذاعات ووكالات الأنباء الأجنبية التي تنتقد أداء الحكومة وسياساتها والتي يحظر نشرها على وسائل الإعلام المحلية.

وتضم الكوالة عدداً من الأقسام والإدارات يعمل بها عدداً من الصحفيين والإعلاميين المؤهلين في مجالات التحرير الإعلامي واللغات والترجمة، ولها عدد من المراسلين داخل وخارج السودان.

وقد كانت (سونا) تمثل واحدة من أجهزة إعلام حكومة الفترة العسكرية الثانية في السودان (1969 - 1985) واعتمدت عليها صحيفتا (الصحافة) و (الأيام) وكذلك الإذاعة والتلفزيون بصورة أساسية في الحصول على الأخبار الرسمية القومية والإقليمية مقابل رسوم تسدد شهرياً، وقد استمرت في أداء عملها بعد سقوط حكومة نميري لكنها دورها تراجع واعتراه الضعف بعد عودة الصحف الحزبية والصحف المستقلة⁽²³⁾.

وعندما استوى نظام الإنقاذ على السلطة في السودان في يونيو من العام 1989 أحكم سيطرته على الكوالة الوطنية للأنباء وعمل على تسخيرها لخدم مشروعه السياسي والترويج له، وباتت (سونا) جزءاً من الإعلام الرسمي كالإذاعة والتلفزيون وصحيفتي (الإنقاذ الوطني) و (السودان الحديث)، وقد وضعت الحكومة العسكرية يدها على مفاصل الكوالة وعينت عدداً من الموالين للسلطة على رأس الكوالة وإدارتها المهمة، وقد وفرت لها أرضية وبيئة جيدة للعمل حيث استجلبت معدات وأدوات ووسائل متطورة على عدة مستويات وجوانب، وقد تطورت الكوالة نسبياً لكنها لم تبلغ المرحلة المطلوبة من التقدم إلى أن سقط نظام الإنقاذ في العام 2019، لتنتقل إلى إدارة جديدة في ظل حكومة انتقالية غير مستقرة وتشهد حالة من عدم الاستقرار مما أثر بصورة واضحة على مستوى أدائها.

الموقع الرسمي للكوالة:

واكبت وكالة السودان للأنباء (سونا) التطورات التي شهدتها العالم في مجال التكنولوجيا الرقمية والاتصالات حيث انشأت موقعها الإلكتروني في تسعينيات القرن الماضي وقد ظل يوفر الخدمات الإخبارية الرسمية والمتنوعة لوسائل الإعلام المحلية والعالمية، ويهتم الموقع بنشر الأخبار السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والرياضية عبر الفنون والأشكال الإعلامية المختلفة، ويوظف الوسائط المتعددة والصورة بأشكالها المختلفة في تغطية الأحداث والأنشطة المهمة، كما يهتم الموقع بالأخبار والتقارير العالمية ذات التأثير على الوضع في السودان، ومع أن الكوالة تركز تغطيتها على أخبار السياسة والحكومة إلا أنها ظلت تخصص مساحة لمتابعة أخبار وفعاليات قضايا البيئة وتغير المناخ خصوصاً تلك التي تؤثر بصورة مباشرة على السودان لكنها وكبقية وسائل الإعلام السودانية لم تمنح هذه القضية المساحة الكافية وذلك بسبب سياستها التحريرية التي تركز على قضايا السياسة والاقتصاد والتغطية الأنشطة الثقافية والرياضية.

ثالثاً: تغير المناخ

يعرف يُعرّف تغير المناخ بأنه (التحولات الكبيرة والطويلة الأمد في أنماط الطقس ودرجات الحرارة على كوكب الأرض والتي قد تمتد من عقود إلى ملايين السنين)⁽²⁴⁾، ويُعزى هذا التغير إلى عوامل طبيعية وبشرية تتمثل الأولى في التغيرات المدارية للأرض والإنفجارات البركانية والنقلبات في النشاط الشمسي بالإضافة إلى التغيرات في تيارات المحيطات والغلاف الجوي، فيما تقوم الثانية على التعدي على الغابات والقطع الجائر للأشجار وحرق النفايات وإستهلاك الطاقة وتوظيف المواد الكيميائية في الصناعة.

أسباب تغير المناخ:

هناك عدة عوامل واسباب تؤدي إلى تغير المناخ أبرزها⁽²⁵⁾:

1 . إحتراق الوقود الأحفوري: وهو من أبرز أسباب تغير المناخ على مستوى العالم، ويتمثل في إحتراق الفحم والنفط والغاز الطبيعي الذي يمثل المصدر الرئيسي لانبعاث الغازات المسببة للإحتباس الحراري، ويستخدم هذا القود على نطاق واسع لتوليد الكهرباء والنقل والعمليات الصناعية مما يؤدي إلى إطلاق كميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون (CO_2) وغيره من الغازات المسببة للإحتباس الحراري العالمي في الغلاف الجوي، ويمثل إحتراق الوقود الأحفوري ما يقارب 5 / 6 % من إنبعاثات ثاني أكسيد الكربون.

2 . إزالة الغابات: يعتبر القطع الجائر للأشجار بمختلف أنواعها والتعدي على الغابات عاملاً مهماً من عوامل التغير المناخي لأن الغابات بطبيعتها الغنية بالأشجار والنباتات تقوم بأدوار مهمة في تنظيم توازن الكربون في كوكب الأرض إذ أنها تمتص كميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي وتخزنه مما يساهم في الحد من ظاهرة الإحتباس الحراري، ويشهد العالم . حسب تقارير ودراسات حديثة . تزايداً كبيراً في إزالة الغابات وقطع الأشجار بغرض الزراعة والتوسع العمراني والاستغلال التجاري والصناعي مما يؤدي إلى إطلاق كميات ضخمة من الغاز مرة أخرى في الهواء ويقوض قدرة الطبيعة على موازنة النظام المناخي.

3 . الممارسات الزراعية: تُعد الزراعة مصدراً رئيسياً لغاز الميثان (CH_4) وأكسيد النيتروز (N_2O) وهما من أقوى غازات الإحتباس الحراري، ويؤدي التخميري المعوي للماشية إلى تولد غاز الميثان في حين يطلق استخدام الأسمدة الصناعية أكسيد النيتروز، وتساهم هذه الأنشطة مجتمعة في إنبعاثات غازات الإحتباس الحراري العالمية، ويتحمل القطاع الزراعي مسؤولية من يقرب من 10 . 12 % من إنبعاثات غازات الإحتباس الحراري العالمية إذ تعد إنبعاثات الثروة الحيوانية المحرك الرئيسي لذلك فيما تنتج حقول الأرز وهو محصول رئيسي في العديد من البلدان الآسيوية إلى إنبعاثات كبيرة من غاز الميثان بسبب التحلل اللا هوائي في الحقول المغمورة بالمياه.

4 . العمليات الصناعية: تساهم الأنشطة الصناعية وخاصة صناعة الأسمنت والحديد والصلب والمواد الكيميائية بشكل كبير في إنبعاثات ثاني أكسيد الكربون، وتتطوي تلك العمليات غالباً على إحتراق الوقود الأحفوري والتفاعلات الكيميائية التي تطلق ثاني أكسيد الكربون كمنتج ثانوي، ويمثل القطاع الصناعي حوالي 21 % من إنبعاثات غازات الإحتباس الحراري العالمية، ويساهم إنتاج الاسمنت وحده بنحو 8 % من إنبعاثات ثاني أكسيد الكربون العالمية، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى التكريلس وهو عملية كيميائية تستخدم عادة في الصناعات خاصة صناعة الأسمنت وتقوم على تسخين المواد الصلبة إلى درجات حرارة عالية تتراوح عادة ما بين 800 . 1000 درجة مئوية دون وجود أو مع وجود محدود للأكسجين وذلك بهدف تحليل المركبات الكيميائية وتغيير خصائصها.

5 . إدارة النفايات: تعتبر النفايات وخاصة العضوية التي تلقى في مكبات القمامة دون إدارة سليمة من مصادر التلوث المسببة لإنبعاثات غاز الميثان بكميات كبيرة مما يؤدي للإحتباس الحراري الذي يفوق ثاني أكسيد الكربون بأكثر من 25 ضعفاً خلال فترة تمتد إلى مئة عام، ورغم أن الإنبعاثات الناتجة عن النفايات لا تشكل سوى 3 % من إجمالي إنبعاثات الغازات الدفينة عالمياً إلا أنه وفقاً لتقديرات البنك الدولي لا يمكن تجاهله لا سيما في الدول ذات الإنتاج المرتفع للنفايات كالولايات المتحدة الأمريكية.

6 . إنتاج وإستهلاك الطاقة: يؤدي الطلب العالمي المتزايد على الطاقة إلى زيادة إنبعاثات غازات الإحتباس الحراري

وخاصة من توليد الكهرباء والتي لا تزال تعتمد كثيراً على الوقود الأحفوري، وعلى الرغم من التقدم في إنتاج الطاقة البديلة المتجددة إلا أن الوقود الأحفوري لا يزال يشكل نسبة كبيرة من مشروع الطاقة العالمي وهذا يؤدي إلى ارتفاع تركيزات غازات الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي.

مظاهر تغير المناخ:

تتجلى مظاهر تغير المناخ في التالي⁽²⁶⁾:

-الإحتباس الحراري: ويعنى به الزيادة المستمرة في درجة حرارة سطح الأرض على مدار فترات طويلة، وتعزى هذه الزيادة بشكل رئيس إلى ارتفاع مستوى تركيز الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي، وتشير سجلات درجات الحرارة التي تقدمها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) أن السنوات الأخيرة شهدت بعضاً من أعلى متوسطات درجات الحرارة المسجلة على الإطلاق، ويرتبط هذا الاتجاه بوضوح بأنشطة الإنسان مثل حرق الوقود الأحفوري وإزالة الغابات، كما تظهر ملاحظات الأقمار الاصطناعية حدوث ذوبان متسارع في القمم والأنهار الجليدية مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى سطح البحر.

. الأحداث الجوية المتطرفة: يترافق تغير المناخ مع زيادة وتيرة وشدة الأحداث الجوية المتطرفة مثل الأعاصير وموجات الحرارة بالإضافة إلى الفيضانات والجفاف، وتعزى تلك الظواهر إلى ارتفاع درجات الحرارة والتغيرات في الأنماط المناخية.

. نشاط الأعاصير: يعتبر موسم الأعاصير الأطلسية 2020 بارزاً بسبب الحد القياسي من العواصف المسماة، وذلك بسبب ارتفاع درجات حرارة المحيطات التي تضخ مزيداً من الطاقة للأعاصير، وقد تم خلال هذه الفترة تسجيل (30) حالة عاصفة مسماة من بينها (13) إعصاراً ستة منها من الفئة الثالثة أو أعلى.

. موجات الحر: أظهرت الأبحاث زيادة ملحوظة في تواتر وشدة موجات الحر عالمياً، فقد ضربت أوروبا في العام 2019 درجات حرارة قياسية وغير مسبوقة.

. تحمض المحيطات: يحدث تحمض المحيطات نتيجة امتصاص المحيطات لكميات مفرطة من ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي مما ينتج عنه انخفاض في مستويات الأس الهيدروجيني، وتؤثر هذه العملية بشكل كبير على النظم البيئية البحرية لا سيما الكائنات الحية ذات الأصداف أو الهياكل العظمية المبنية من كربونات الكالسيوم.

. فقدان التنوع البيولوجي: يؤدي تغير المناخ إلى فقدان التنوع البيولوجي من خلال تغير الموائل والنظم البيئية إذ تواجه الأنواع التي تعجز عن التكيف السريع مع الظروف المتغيرة تهديدات متزايدة بالانقراض حيث انقرضت الضفادع الذهبية في كوستاريكا بسبب اعتمادها على ظروف معينة محددة للتكاثر وذلك نتيجة التغيرات في أنماط درجات الحرارة وهطول الأمطار.

تأثير تغير المناخ على السودان:

يعد السودان من أكثر الدول الإفريقية تضرراً من تغير المناخ حسب تقارير المنظمات المعنية وذلك بسبب موقعه الجغرافي حيث تتخلله العديد من الأنهار والجبال والأودية وتتنوع حالة الطقس فيه على مدار العام⁽²⁷⁾، ويتمتع السودان بثروة حيوانية تعتبر الأكبر في العالم إلى جانب الأنشطة الزراعية المتنوعة في مناطقه المختلفة كما أنه يضم الكثير من الغابات والمحميات الطبيعية فيما عرف مبكراً بالصناعات التي تعتمد على الطاقة والوقود والمواد الكيميائية كصناعة الأسمت، وقد شهد خلال العقود الثلاثة الأخيرة حالة من الإضطراب المناخي حيث ارتفعت درجات الحرارة بصورة مستمرة خصوصاً في فصلي الصيف والخريف مما أدى إلى إنتشار الأمراض وتراجع الإنتاج الزراعي، وقد ترافق ذلك في تذبذب في مستوى

نزول الأمطار وقد كان لذلك اثره السلبي على أنشطة الحياة المختلفة لينعكس على الوضع الاقتصادي والمعيشي للسكان وحركة الصادر، وأدى تراجع النشاط الزراعي وإنخفاض مستويات الإنتاج إلى هجرة الآلاف من السكان من الأرياف مما شكل ضغطاً على مستوى الخدمات وجودتها، ونتج عن ذلك تحويل آلاف الأفدنة من الأراضي الزراعية إلى أراض سكنية، ونتج عن الهجرة نقصاً في الأيدي العاملة في الزراعة حيث اتجه قطاع كبير من الشباب إلى العمل التجاري والمهن الهامشية بل أن عدد كبير من ترك مقاعد الدراسة مما كان له تأثيره السلبي على البلد ككل، وتعرضت الغابات في السودان إلى القطع الجائر حيث لم تقلح التشريعات والقوانين المحلية في حمايتها وكان نتاج ذلك فقدان ملايين من الأشجار التي كانت تمثل غطاء ومصدات للرياح وتساعد على حماية الأراضي الزراعية مما يساهم في زيادة الإنتاج، وإزداد التلوث البيئي بصورة واضحة نتيجة للمخلفات الصناعية وانتشرت الكثير من الأمراض ومنها أمراض خطيرة تسبب في موت الآلاف، وتحاول الحكومات المتعاقبة في السودان جاهدة التخفيف من تأثير التغير المناخ لكنها تقتصر إلى الأدوات والوسائل التي تساعد على تحقيق ذلك في ظل ضعف الوعي والثقافة البيئية للسكان، وتحاول وسائل الإعلام كذلك القيام بدورها في تغطية الأنشطة البيئية والإسهام في معالجة قضاياها ومن بينها وكالة السودان للأنباء التي تصدر المشهد الإعلامي السوداني في الإهتمام بالتلوث البيئي والتوعية بمخاطر التغير المناخي.

رابعاً: الدراسة الميدانية: عرض وتحليل وتفسير البيانات

سعت الدراسة للتعرف على فاعلية وكالات الأنباء الوطنية في تناول قضية تغير المناخ في السودان خلال فترة زمنية امتدت لعام تخللتها الكثير من الأنشطة والفعاليات والمؤتمرات حول القضية داخل وخارج السودان وذلك عبر الطرق العلمية، ووظفت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب وأداة تحليل المضمون حيث تم تصميم إستمارة رصد وفق الخطوات العلمية وتم إخضاعها للمراجعة من خلال محكمين موثوق بهم ولهم رصيد من التجربة في مجال البحث العلمي الأكاديمي، وقد إلزم الباحثان بالملاحظات وتم تضمينها في النسخة الأخيرة من الإستمارة، وقد تم إختيار العينة وفق أسلوب الحصر الشاملة حيث توفرت (30) مادة إعلامية تم بثها عبر الموقع الرسمي لوكالة السودان للأنباء . مجال تطبيق الدراسة غلب عليها الطابع الخبري والتقريري يتم استعراضها وتفسيرها من خلال الجدول التالي:

الرقم	شكل التناول الإعلامي	التاريخ	الموضوع	اللغة المستخدمة
1	خبر	29 يناير 2022	التكيف مع التغير المناخي	إيجابي
2	خبر	19 مارس 2022	التكيف مع التغير المناخي	حيادي
3	تقرير	28 مارس 2022	التقرير الثالث للاتصال الوطني حول التغير المناخي	حيادي
4	خبر	25 أبريل 2022	تأثير التغير المناخي على الزراعة	حيادي
5	تقرير	20 مايو 2022	معالجة التغير المناخي وتحسين البيئة المحلية	حيادي
6	تقرير	18 مايو 2022	تأثير التغير المناخي على صحة الحيوانات	حيادي
7	تقرير	20 مايو 2022	تأثير التغير المناخي على الزراعة والمجتمعات الريفية	حيادي
8	خبر	6 يونيو 2022	نفايات التعدين والتغير المناخي	تحذيري
9	خبر	12 يونيو 2022	التغير المناخي والفيضانات	إيجابي
10	خبر	22 يونيو 2021	التغير المناخي والفيضانات والأمطار	حيادي
11	خبر	22 يونيو 2022	تأثير التغير المناخي على صحة الحيوانات	حيادي

12	تقرير	24 يونيو 2022	التكيف مع التغير المناخي	تحذيري
13	خبر	5 يوليو 2022	التغير المناخي في أفريقيا	حيادي
14	خبر	19 يوليو 2022	التكيف مع التغير المناخي	تحذيري
15	خبر	27 يوليو 2022	الهجرة والنزوح والتغير المناخي	إيجابي
16	خبر	29 يوليو 2022	الهجرة والنزوح والتغير المناخي	حيادي
17	خبر	31 يوليو 2022	تأثير التغير المناخي على الزراعة	حيادي
18	خبر	11 أغسطس 2022	التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية للتغير المناخي	تحذيري
19	تقرير	23 سبتمبر 2022	التأثيرات الاقتصادية للتغير المناخي	حيادي
20	تقرير	4 أكتوبر 2022	الزراعة والتغير المناخي والتكيف	تحذيري
21	خبر	23 أكتوبر 2022	التكيف مع التغير المناخي	حيادي
22	تقرير	7 نوفمبر 2022	التكيف مع التغير المناخي	حيادي
23	تقرير	8 نوفمبر 2022	التكيف مع التغير المناخي	إيجابي
24	تقرير	8 نوفمبر 2022	التكيف مع التغير المناخي	إيجابي
25	خبر	10 نوفمبر 2022	التأثيرات الاقتصادية للتغير المناخي	تحذيري
26	خبر	14 نوفمبر 2022	التكيف مع التغير المناخي	إيجابي
27	تقرير	29 نوفمبر 2022	التأثيرات الاقتصادية للتغير المناخي	حيادي
28	تقرير	2 ديسمبر 2022	التكيف مع التغير المناخي	حيادي
29	تقرير	7 ديسمبر 2022	التأثيرات الاقتصادية والإنتاجية للتغير المناخي	تحذيري
30	تقرير	18 يناير 2023	التأثيرات الاقتصادية للتغير المناخي	تحذيري

1 . يوضح الجدول أعلاه أن وكالة السودان للأنباء (سونا) تغطي قضية تغير المناخ في السودان وفق سياساتها التحريرية التي تتبنى وجهة النظر الحكومية باعتبارها وكالة رسمية للدولة حيث تركز في تناولها للقضية على الأنشطة التي يحضرها ويشارك فيها مسؤولون حكوميون، ويعود ذلك لطبيعة الإعلام الرسمي الذي يعبر عن فلسفة وسياسة الحكومة تجاه القضايا المهمة.

2 . يبين الجدول السابق أن وكالة السودان للأنباء تستخدم في الخبر والتقرير الصحفي فقط في تغطيتها للأنشطة البيئية وقضية تغير المناخ مع غياب تام للتحقيقات والحوارات الصحفية، وينسجم ذلك مع المساحة التي تخصصها الوكالة لقضية تغير المناخ مقارنة بالقضايا السياسية والقضايا الاقتصادية والثقافية والقضايا الرياضية.

3 . يوضح الجدول أعلاه أن وكالة السودان للأنباء (سونا) لا تتناول قضية تغير المناخ في السودان بالشرح والتحليل والتفسير وذلك بسبب عدم وضوح الرؤية الحكومية تجاهها رغم مخاطرها.

4 . يكشف الجدول اعتماد وكالة أنباء السودان على الأخبار الجاهزة والتقارير العالمية مع تغطية ضعيفة للفعاليات واللقاءات المحلية بخصوص تغير المناخ، ويرجع ذلك لإفقار الوكالة للميزانية الكافية وعدم توفر الوسائل والأدوات التي تساعد في تقديم تغطية حية لأحداث تغير المناخ.

5 . يبين الجدول السابق استخدام الوكالة للغة متفاوتة في تناول قضايا تغير المناخ مابين حيادية بنسبة 54 % وإيجابية وتحذيرية بنسب أقل، وهذا يعني ضعف التناول وعدم الإهتمام الكافي بقضايا البيئة وتغير المناخ.

6 . يوضح الجدول السابق أن وكالة السودان للأنباء تغطي قضايا متنوعة ذات صلة بتغير المناخ ولا تركز إهتمامها على قضية معينة حيث تناولت عبر الخبر والتقارير تأثير تغير المناخ على الأنشطة الزراعية والصحية والاقتصادية وصحة الحيوان والهجرة والنزوح، ويعود ذلك لترابط وتكامل هذه القضايا التي يقوم عليها العمود الفقري للتنمية في السودان.

7 . يبين الجدول السابق عدم إهتمام الوكالة بما يرد في الصحف ووسائل الإعلام المحلية حول قضايا مخاطر تغير المناخ وتأثيره على السودان، ويؤكد ذلك محدودية تناول الوكالة للقضية التي تحكمها السياسة التحريرية خاصة وأنها وكالة رسمية.

8 . يوضح الجدول أعلاه عدم توظيف وكالة السودان للأنباء (سونا) لمنصاتها الرسمية عبر مواقع التواصل الاجتماعي لعرض ما تبثه حول قضية تغير المناخ في السودان حيث لم يرد في أي من أخبارها وتقاريرها ما يشير إلى ذلك، ويرجع ذلك لغياب الإهتمام الكافي بالقضية.

9 . يؤكد الجدول السابق أن وكالة السودان للأنباء ورغم إفرادها مساحة لتناول قضية تغير المناخ في السودان إلا أنها تركز على نشر الأخبار والتقارير فقط دون تعليق وشرح وتفسير مما يضعف الجانب التوعوي للجمهور المتلقي بتأثير القضية ومخاطرها.

10 . يوضح الجدول أعلاه ضعف دور المؤسسات الأكاديمية ومنظمات المجتمع المدني فيما يتعلق بتنظيم الأنشطة والبرامج التوعوية في مجال تغير المناخ وكشف أبعاده والمخاطر التي يشكلها على السودان إذ لم تتوفر سوى مادة إخبارية واحدة لهذه المؤسسات نظمت فعالية ذات علاقة بالقضية، ويؤكد ذلك تقصير هذه المؤسسات في القيام بدورها تجاه المجتمع.

خامساً: النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1 . كشفت الدراسة إهتمام وكالة السودان للأنباء (سونا) بقضية التلوث البيئي وتغير المناخ من خلال تناول ما ينشر عنها عبر المنابر والمنصات الرسمية وبما يتوافق مع وجهة نظر الحكومة دون منحها الإهتمام الكافي.
- 2 . بينت الدراسة أن الوكالة توظف فن الخبر الصحفي وفن التقرير الصحفي في تغطيتها للأنشطة والفعاليات التي تتناول قضية تغير المناخ مع غياب تام للفنون الإعلامية الأخرى كالتحقيقات والحديث الصحفي.
- 3 . أوضحت الدراسة غياب العرض التحليلي والتفسيري وعكس وجهة نظر الخبراء والمختصين في المجال خلال تناول وكالة السودان للأنباء لقضية تغير المناخ.
- 4 . أكدت الدراسة إعتداد (سونا) على الأخبار الجاهزة من خلال الفعاليات ذات الصلة بقضية تغير المناخ التي يكون فيها تواجدا رسميا ومتابعة المؤتمرات العالمية التي تتناول القضية عبر وكالات الأنباء العالمية وشبكة الإنترنت.
- 5 . كشفت الدراسة توظيف وكالة السودان للأنباء الوسائط المتعددة ووسائل وأدوات الإعلام الجديد في تغطيتها للأنشطة التي تتناول معالجة قضية تغير المناخ.
- 6 . بينت الدراسة غياب الفعاليات الوطنية الرسمية التي تتناول مخاطر قضية تغير المناخ مما أثر في رفع مستوى الوعي بخطورتها.
- 7 . أوضحت الدراسة إعتداد الوكالة لغة محايدة في تناولها لقضية تغير المناخ والإكتفاء بعرض الأخبار والتقارير دون تعليق.

ثانياً: التوصيات

توصي الدراسة بالتالي:

1. زيادة الإهتمام بقضايا التلوث البيئي والتغير المناخي إعلامياً من خلال الإعلام الرسمي والحزبي والمستقل في السودان للتوعية بمخاطرها وتأثيرها السلبي.
2. توظيف الفنون والأشكال الإعلامية والصحفية المختلفة إضافة للحملات الإعلامية في التوعية وتعزيز الثقافة البيئية والمناخية وتوضيح مخاطرها مما يساهم الحد من خطورتها من خلال التعامل معها وفق الطرق الصحيحة.
3. توظيف أدوات ووسائل الإعلام الرقمي والذكاء الاصطناعي في تناول القضية وعرب أبعادها المختلفة مما يساهم في تحقيق الأهداف التي تساعد على الحد من خطورتها.
4. الإستعانة بالخبراء والعلماء المختصين في قضايا تغير المناخ والتلوث البيئي من خلال الندوات واللقاءات والتعليق على الأحداث ذات الصلة والإهتمام بآرائهم التي تمثل الطريق العلمي لتناول القضية ومعالجة أسبابها.
5. تدريب وتأهيل الإعلاميين في مجال الإعلام العلمي داخليا وخارجيا للإرتقاء وتحقيق الجودة والإحترافية أثناء تناول وعرض الأنشطة البيئية مما يساهم في تقديم الرسالة الإعلامية بدرجة عالية من المهنية والتأثير على المتلقي.
6. توظيف منصات الإعلام الجديد والمواقع الرسمية لوكالة السودان للأنباء لبث الأخبار والفنون والأشكال الإعلامية الأخرى التي تتناول قضايا البيئة والتغير المناخي خاصة تلك التي تؤثر على الأنشطة الاقتصادية والزراعية والصناعية في السودان مما يساهم في التوعية وتعزيز الثقافة البيئية.

قائمة المراجع:

- 1 الحيزان، محمد بن عبد العزيز، (2004)، البحوث الإعلامية: أسسها وأساليبها ومجالاتها، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض.
- 2 المصطفى، السيد أحمد، (1994)، البحث الإعلامي، منشورات قاريونس، بنغازي، الجماهيرية العربية الليبية.
- 3 درار، خالد عبد الله (2012)، البحث العلمي في الاتصال الجماهيري، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم.
- 4 ويكيبيديا . الموسوعة الحرة.
- 5 الشجيري، سهام حسن علي (2014)، وكالات الأنباء والتحكم الإخباري دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان . الأردن.
- 6 الموقع الرسمي لوزارة الثقافة والإعلام السودانية على شبكة الإنترنت.
- 7 ويكيبيديا . الموسوعة الحرة.
- 8 الأسدي، حيدر علي، (2019)، علم الاقتصاد ودوره في تنشيط اقتصاديات البلدان، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 9 حسن، خالد السيد، (2021)، التغيرات المناخية والأهداف العالمية للتنمية المستدامة، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة.
- 10 حسن، نسرین حسام الدين (2023)، دلالات التأطير الإخباري والمصور لتغطية قمة المناخ 27 cop في المواقع الإخبارية الدولية، المجلة العلمية لبحوث الصحافة، العدد السادس والعشرون (الجزء الأول) ، يوليو / ديسمبر 2023.

- 11 الشحري، سامح السيد فوزي (2023)، تأثير التعرض للمواقع الإخبارية على الوعي بمخاطر التغيرات المناخية لدى الجمهور المصري، المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري، كلية الإعلام، جامعة بني سويف، المجلد الخامس، العدد الأول، يناير 2023.
- 12 الخولي، سحر عبد المنعم محمود الخولي، (2023)، معالجة الصحف الإلكترونية المصرية والأمريكية لموضوعات التغيرات المناخية، دراسة تحليلية في ضوء مؤتمر 27 cop، مجلة البحوث الإعلامية، العدد الخامس والستون، المجلد الثاني. المجلد الثاني، إبريل 2023.
- 13 توفيق، كريمة كمال عبد اللطيف (2023)، أطر تغطية المواقع الصحفية المصرية لقمة 27 egypt cop، المجلة العلمية لبحوث الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، العدد الثاني عشر، يوليو. ديسمبر 2023.
- 14 مصطفى، أسماء محمد بهاء الدين، ورشد الزين، أبو الحسن راشد علي أحمد (2023)، واقع الدراسات الإعلامية العربية والأجنبية الحديثة حول قضايا البيئة والتغيرات المناخية، مجلة البحوث الإعلامية، كلية الإعلام، جامعة الأزهر المجلد 89، العدد الثالث، يناير 2023.
- 15 حنفي، جيهان عبد الحميد عبد العزيز، (2023)، معالجة الإعلام الرقمي لمخاطر التغيرات المناخية. دراسة تحليلية للمحتوى الرقمي عب اليوتيوب، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد 80، المجلد 22، الجزء الثاني، يوليو 2022.
- 16 عبد العليم، مصطفى عبد الحي، (2022)، أطر التغطية الصحفية لقضية التغيرات المناخية في المواقع الصحفية المصرية، مجلة البحوث الإعلامية، كلية الإعلام، جامعة الأزهر، العدد 61، الجزء الثالث، أبريل 2022.
- 17 العزب، أمل أحمد حسن وآخرون / (2021)، المعالجة الخبرية للقضايا والاتفاقيات الدولية لمواجهة التغيرات المناخية. دراسة مقارنة بين الصحافة المصرية والصحافة البريطانية، مجلة العلوم البيئية، كلية الدراسات العليا، جامعة عين شمس، المجلد 80، العدد العاشر، أكتوبر 2021.
- 18 محمد، مروة صبحي (2020)، دور الصفحات الرسمية المصرية على وسائل التواصل الاجتماعي في دعم التنمية البيئية المستدامة بالتطبيق على صفحة (إتحضر للأخضر)، مجلة البحوث الإعلامية، كلية الإعلام، جامعة الأزهر، القاهرة، العدد 55، الجزء الثالث، أكتوبر 2020.
- 19 ملياني، خلود عبد الله محمد، (2019)، الإعلام البيئي الرقمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد 66، يناير 2019.
- 20 محمد، بكرى المكي، (2021)، الصحافة السودانية، كلية الإعلام، جامعة السودان المفتوحة.
- 21 عبد اللطيف، صلاح (1992)، الصحافة السودانية تأريخ وتوثيق. 1899. 1989، الخرطوم.
- 22 الموقع الرسمي لوكالة السودان للأنباء على شبكة الإنترنت.
- 23 ماسلين، مارك، ترجمة أمنية طلعت، (2017)، تغير المناخ، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة.
- 24 سياما، إيف. ترجمة زينب منعم، (2015)، التغير المناخي، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- 25 عبد السلام، عبد الإله محمد الحسن، (2009) الآثار البيئية والصحية المتوقعة لظاهرة التغيرات المناخية في السودان، مجلة أسبوط للدراسات البيئية، العدد الثالث والثلاثون، يناير 2009.

Étude épidémiologique et clinique des caractéristiques du sperme en consultation prénuptiale chez les hommes dans les Hôpitaux généraux de référence de Beni et Kitatumba en zones de santé de Beni et Butembo au Nord Kivu, RD Congo

Matiaba Binda Paul^{1,2}, Bailanda Mumbere Pascal^{3,8}, Niyonzima Munyatwari Pascal⁷, Amisi Ramazani Timothé¹, Marie Placide Ingabire⁷, Nkurikiye Franck⁷, Niwe Shema Norbert⁷, Maombi Gashegu Félicien⁷, Zawadi Mugoli Isabelle⁷, Lisimo Abwa Hilaire⁶, Paluku Sabuni Louis⁷, Wembonyama Okitosho Stanislas²

1. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Walikale, République Démocratique du Congo.

2. Université Adventiste de Goma, République Démocratique du Congo.

3. Université Officielle de Semuliki, République Démocratique du Congo.

4. Université Officielle de Ruwenzori, République Démocratique du Congo.

5. Université de Goma, République Démocratique du Congo.

6. Université de l'Uelé, République Démocratique du Congo.

7. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Goma, République Démocratique du Congo.

8. Centre Hospitalier Le Rocher d'Oïcha, République Démocratique du Congo.

Co-auteur correspondant : drbailanda1@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/37>

Reçu le 07/10/2025

Accepté le 15/10/2025

Publié le 01/11/2025

Résumé

Introduction: La fertilité masculine représente un enjeu majeur de santé publique, particulièrement dans les pays en développement où la stérilité conjugale constitue une cause importante de détresse psychologique et sociale. Selon l'Organisation mondiale de la santé (OMS), environ 15 % des couples dans le monde rencontrent des difficultés à concevoir, et près de la moitié de ces cas sont attribués à des facteurs masculins. L'objectif général était d'évaluer les aspects épidémiologiques et cliniques du sperme en consultation prénuptiale par les hommes dans les HGR de Beni et Kitatumba.

Matériel et méthodes: L'étude était faite dans les HGR Beni et Kitatumba; une étude transversale descriptive à visée analytique durant 9 mois sur une taille de 384 hommes venus en consultations prénuptiales.

Résultats: Sur 384 hommes venus à la consultation prénuptiale, 144 étaient âgés de 30 à 39 ans, soit 37,5 % suivis de 20 à 29 ans avec 34,3% ; 53% cas de volume normal du sperme, 63,9 % des cas avec la viscosité de sperme, 55,5 %, d'aspect normal, 46,6 % leurs spermatozoïdes sont mobiles, le pH à 42,1 est neutre et 69% des cas présentent de sperme avec odeur normale. 53,2 % des cas présentent l'hypospermie 16,9% d'hyperspermie, 11,2% d'aksthenospermie, 9,4% d'akinespermie, 5,4% d'oligospermie et 3,9 % d'azoospermie et il existe un lien significatif entre la consultation prénuptiale et les caractéristiques physicochimiques de sperme, avec une P-value de 0,043.

Conclusion : Il s'agissait d'une étude transversale descriptive à visée analytique qui s'était déroulée dans les HGR de Beni et Kitatumba respectivement dans les zones de santé de Beni et Butembo sur un total de 384 hommes. Le spermogramme chez l'homme est une synthèse de l'analyse du sperme qui permet d'évaluer la fertilité masculine et d'orienter vers d'éventuels examens complémentaires ou une prise en charge spécifique. En cas de résultats en dehors des normes, le spermogramme conclut à une anomalie, souvent désignée par un terme spécifique.

Mots Clés: Caractéristiques du sperme, consultation prénuptiale, HGR Beni, Kitatumba.

RESEARCH TITLE

Epidemiological and Clinical Study of Sperm Characteristics in Premarital Consultation among Men in the General Reference Hospitals of Beni and Kitatumba in the Health Zones of Beni and Butembo, North Kivu, DR Congo

Abstract

Introduction: Male fertility represents a major public health issue, particularly in developing countries where marital infertility is a significant cause of psychological and social distress. According to the World Health Organization (WHO), approximately 15% of couples worldwide experience difficulty conceiving, and nearly half of these cases are attributed to male factors. The overall objective was to assess the epidemiological and clinical aspects of semen during premarital consultations by men in the Beni and Kitatumba Regional Hospitals.

Material and Methods: The study was conducted in the Beni and Kitatumba Regional Hospitals; a descriptive, analytical cross-sectional study over 9 months on a sample of 384 men attending premarital consultations.

Results: Of 384 men who came to the premarital consultation, 144 were aged 30 to 39 years, or 37.5% followed by 20 to 29 years with 34.3%; 53. % cases of normal sperm volume, 63.9% of cases with sperm viscosity, 55.5% of cases of normal appearance, 46.6% their spermatozoa are mobile, the pH at 42.1 is neutral and 69% of cases have sperm with a normal odor. 53.2% of cases presented hypospermia, 16.9% hyperspermia, 11.2% aksthenospermia, 9.4% akinespermia, 5.4% oligospermia and 3.9% azoospermia and there is a significant relationship between premarital consultation and physicochemical characteristics of sperm, with a P-value of 0.043.

Conclusion: This was a descriptive, analytical cross-sectional study conducted in the Beni and Kitatumba HGRs, respectively, in the Beni and Butembo health zones, involving a total of 384 men. A male spermogram is a summary of semen analysis that assesses male fertility and directs toward possible additional tests or specific treatment. In the event of abnormal results, the spermogram concludes that there is an abnormality, often designated by a specific term.

Key Words: Semen characteristics, premarital counseling, Beni HGR, Kitatumba.

1.Introduction

La fertilité masculine représente un enjeu majeur de santé publique, particulièrement dans les pays en développement où la stérilité conjugale constitue une cause importante de détresse psychologique et sociale. Selon l'Organisation mondiale de la santé (OMS), environ 15 % des couples dans le monde rencontrent des difficultés à concevoir, et près de la moitié de ces cas sont attribués à des facteurs masculins. Parmi ces facteurs, les anomalies du sperme occupent une place prépondérante, influençant directement la fécondité masculine. L'analyse du sperme ou spermogramme, demeure l'examen de base pour évaluer la fertilité de l'homme. Elle permet de déterminer les paramètres quantitatifs et qualitatifs tels que le volume, la concentration, la mobilité et la morphologie des spermatozoïdes [1,2].

Dans le monde, la fertilité masculine constitue aujourd'hui un enjeu majeur de santé publique. Selon l'Organisation mondiale de la santé (OMS), environ **15 % des couples dans le monde** sont confrontés à des problèmes d'infertilité, et dans près de **50 % des cas**, la cause est liée à des anomalies du sperme ou à des facteurs masculins. Cette situation traduit une évolution préoccupante de la santé reproductive de l'homme au cours des dernières décennies. Plusieurs études internationales ont montré une **diminution progressive de la qualité du sperme** dans diverses régions du monde. Cette baisse s'expliquerait par une combinaison de facteurs : changements de mode de vie, exposition accrue aux polluants environnementaux, infections sexuellement transmissibles, stress, consommation de tabac, d'alcool et de drogues, ainsi que des habitudes alimentaires déséquilibrées. Par ailleurs, des pathologies chroniques telles que le diabète, l'obésité et les troubles hormonaux sont également reconnues comme des causes importantes d'altération de la spermatogenèse [2,3].

En France, comme dans de nombreux pays industrialisés, la question de la fertilité masculine prend une importance croissante dans le domaine de la santé publique. L'infertilité concerne environ **un couple sur sept**, et les facteurs masculins sont impliqués dans près de **la moitié des cas**. Parmi ces causes, les anomalies du sperme qu'il s'agisse d'altérations du nombre, de la mobilité ou de la morphologie des spermatozoïdes constituent un motif fréquent de consultation en andrologie et en médecine de la reproduction [4].

Au Brésil, la fertilité masculine représente un enjeu important de santé publique, dans un contexte marqué par la transition démographique, les changements de mode de vie et l'urbanisation rapide. L'infertilité touche environ **10 à 15 % des couples brésiliens**, et dans près de **40 à 50 % des cas**, l'origine du problème est masculine. Parmi ces causes, les anomalies du sperme constituent l'un des facteurs les plus fréquents, influençant directement la capacité reproductive du couple. Des études menées dans différentes régions du Brésil ont mis en évidence une **détérioration progressive de la qualité du sperme** au cours des dernières décennies. Cette tendance est attribuée à de nombreux déterminants : l'exposition croissante aux **polluants environnementaux**, notamment les pesticides utilisés dans l'agriculture, les **perturbateurs endocriniens** présents dans les plastiques et les produits industriels, ainsi que les **mauvaises habitudes de vie** telles que le tabagisme, la consommation d'alcool, le stress et la sédentarité. Par ailleurs, les **infections sexuellement transmissibles** et certaines **maladies chroniques** comme le diabète ou l'obésité sont également associées à une altération des paramètres spermatiques [5,6].

Au Japon, la santé reproductive masculine suscite un intérêt croissant dans le domaine de la santé publique, notamment en raison du **vieillissement démographique**, du **recul du mariage** et de la **baisse du taux de natalité**. L'infertilité touche environ **un couple japonais sur six**, et dans près de **la moitié des cas**, elle est liée à un facteur masculin. Parmi ces causes, les anomalies spermatiques qu'il s'agisse d'oligospermie, d'asthénospermie ou de tératospermie représentent les principales altérations affectant la fertilité de l'homme Japonais. Plusieurs études réalisées au Japon et dans d'autres pays industrialisés ont signalé une **diminution progressive de la qualité du sperme au cours des dernières décennies**. Cette tendance est attribuée à une combinaison de facteurs : les **perturbateurs endocriniens** issus de la pollution industrielle et domestique, les **conditions de travail stressantes**, la **consommation d'alcool et de tabac**, la **sédentarité**, ainsi que des **habitudes alimentaires riches en graisses et faibles en antioxydants**. Par ailleurs, l'exposition professionnelle

à la chaleur (dans les usines, cuisines, ou transports) et l'usage prolongé d'appareils électroniques portables ont également été identifiés comme des facteurs susceptibles d'altérer la spermatogenèse [7].

En Égypte, la santé reproductive constitue un enjeu prioritaire de santé publique, en raison de la forte croissance démographique et de la persistance de nombreux cas d'infertilité au sein des couples. L'infertilité touche environ **12 à 15 % des couples égyptiens**, et les **facteurs masculins** en sont responsables dans près de **50 % des cas**. Parmi ces facteurs, les anomalies spermatiques telles que l'oligospermie, l'asthénospermie et la tératospermie représentent les causes les plus fréquentes d'infertilité masculine. Plusieurs études égyptiennes ont montré une **altération progressive de la qualité du sperme** chez les hommes au cours des dernières décennies. Cette détérioration serait liée à de multiples déterminants : **exposition environnementale aux pesticides et métaux lourds, pollution urbaine, conditions de travail dans des milieux chauds, tabagisme, alcool**, ainsi qu'à des **maladies infectieuses ou endocriniennes**. De plus, la **prévalence élevée des infections urogénitales** et des **varicocèles** en Égypte constitue un facteur de risque important d'altération de la spermatogenèse [8].

En République Démocratique du Congo (RDC), la santé reproductive constitue un enjeu majeur de santé publique, dans un contexte où la fertilité est socialement valorisée et où l'infertilité conjugale entraîne souvent une stigmatisation importante des couples. L'infertilité touche environ **10 à 15 % des couples congolais**, et les facteurs masculins sont impliqués dans près de **la moitié des cas**. Parmi ces facteurs, les anomalies du sperme telles que l'oligospermie, l'asthénospermie, l'azoospermie représentent une cause fréquente de difficultés de conception. Les facteurs pouvant altérer la qualité du sperme en RDC sont multiples. On note notamment les **infections génitales fréquentes**, les **maladies chroniques non dépistées**, la **malnutrition**, ainsi que les **habitudes de vie à risque** telles que le tabagisme et la consommation d'alcool. Par ailleurs, l'exposition à des **polluants environnementaux**, aux produits chimiques agricoles et aux conditions de vie précaires dans certaines zones rurales contribue également à la détérioration des paramètres spermatiques [9,10].

Dans la province du Nord-Kivu, la santé reproductive masculine constitue un enjeu majeur de santé publique, particulièrement dans un contexte marqué par des difficultés sanitaires, socio-économiques et environnementales. L'infertilité affecte une proportion significative de couples, et les facteurs masculins sont impliqués dans près de la moitié des cas. Parmi ces facteurs, les anomalies du sperme telles que l'oligospermie, l'asthénospermie, la tératospermie et l'azoospermie représentent des causes fréquentes d'infertilité masculine. Plusieurs déterminants locaux peuvent influencer la qualité du sperme au Nord-Kivu. On retrouve notamment les **infections génitales et urinaires**, les **maladies chroniques non dépistées**, la **malnutrition**, ainsi que l'**exposition à des polluants environnementaux** et aux produits chimiques agricoles. Les conditions de vie précaires, les habitudes de vie à risque (tabac, alcool) et le stress lié aux conflits ou à l'insécurité contribuent également à la détérioration des paramètres spermatiques [11].

Aux Hôpitaux généraux de Référence de Beni et Kitumba, la santé reproductive masculine représente un enjeu important pour le bien-être des couples et la prévention de l'infertilité. L'infertilité masculine est impliquée dans près de la moitié des cas d'infertilité conjugale, et les anomalies du sperme telles que l'oligospermie, l'asthénospermie, la tératospermie ou l'azoospermie constituent des causes fréquentes de difficultés de conception.

Plusieurs facteurs peuvent influencer la qualité du sperme. On retrouve notamment les **infections génitales et urinaires non dépistées**, les **maladies chroniques**, la **malnutrition**, ainsi que l'**exposition à des polluants environnementaux** et à des produits chimiques agricoles. Les conditions de vie précaires, le stress lié aux conflits ou à l'insécurité, ainsi que certaines habitudes de vie à risque (tabac, alcool) contribuent également à altérer les paramètres spermatiques. Ainsi, il est nécessaire d'évaluer scientifiquement les **caractéristiques épidémiologiques et cliniques du sperme chez les hommes fréquentant la consultation prénuptiale de ces Hôpitaux généraux**, afin d'identifier les facteurs de risque et d'orienter les interventions de santé publique adaptées.

D'où la question centrale était de savoir la situation épidémiologique et clinique des caractéristiques du sperme chez les hommes en consultation prénuptiale à l'Hôpital Général de Référence de Beni et Kitatumba, et quels en sont les principaux facteurs individuels, environnementaux et comportementaux susceptibles d'influencer la qualité spermatique ?

L'hypothèse centrale est que les caractéristiques du sperme chez les hommes en consultation prénuptiale à l'Hôpital Général de Référence de Beni et Kitatumba sont influencées par des facteurs épidémiologiques tels que l'âge, les antécédents médicaux, les habitudes de vie et les conditions socio-environnementales.

Objectifs de l'étude

Objectif général

Etudier les aspects épidémiologiques et cliniques du sperme en consultation prénuptiale par les hommes dans les Hôpitaux Généraux de Référence de Beni et Kitatumba.

Objectifs spécifiques :

1. Repartir les hommes qui viennent en consultation prénuptiale selon leurs tranches d'âge
2. Analyser les caractéristiques physicochimiques de sperme spermatiques auprès des hommes qui viennent en consultation prénuptiale au sein des HGR Beni et Kitatumba.
3. Identifier les facteurs associés aux anomalies spermatiques observées (âge, infections antérieures, habitudes de vie, exposition environnementale, etc.).
4. Détecter les hommes avec qui ont des anomalies dans leur sperme lors du spermogramme.

2. Matériel et méthodes

2.1. Cadre de l'étude

Nous avons réalisé notre étude au sein de deux Hôpitaux généraux de référence Beni et Kitatumba, respectivement dans la zone de santé de Beni et Butembo.

2.2. Type et période de l'étude

L'étude était transversale descriptive à visée analytique durant 9 mois, soit du 1^{er} Janvier au 30 Septembre 2025.

2.3. Variables de l'étude

Variable dépendante : Caractéristiques de sperme.

Variables indépendantes : Age, caractéristiques physicochimiques de sperme, anomalies détectées.

2.4. Population d'étude et taille de l'échantillon

Notre population était constituée des hommes qui venaient pour les examens prénuptiaux et la taille était calculée à l'aide de la formule suivante :

$$n = \frac{Z_{\alpha}^2 * p * q}{d^2}$$

Où n : la taille de l'échantillon, p : proportion des participants avec des antécédents médicaux significatifs de maladies affectant la fertilité = 50 %, q : proportion des participants sans antécédents médicaux significatifs de maladies affectant la fertilité : 1-p=1-0.5=0.5, α : risque de précision = 0.05 et Z_{α} = écart correspondant à un degré de confiance de 95%.

Ainsi nous aurons :

$$n = \frac{(1.96)^2 * 0.5 * 0.5}{(0.05)^2} = 384$$

2.5. Technique de l'échantillonnage

Les enquêtés furent les hommes qui venaient pour les examens prénuptiaux dans les deux hôpitaux qui avaient constitué l'échantillon de notre étude. Nous avons utilisé les méthodes suivantes : l'auto-reportage du patient et la vérification des fiches de suivi pour des pathologies, nous avons réalisé un échantillonnage probabiliste simple. La taille calculée était de 384. Pour récolter les données, nous avons utilisé les matériels de laboratoire et le réactif (le diluant). Le recueil du sperme était fait par masturbation dans un flacon propre au laboratoire, puis soumis à l'analyse de laboratoire local : Analyse macroscopique et physico-chimique (volume du sperme, de l'aspect, le temps de liquéfaction et la mesure du pH).

2.6. Critères d'éligibilité

Critères d'inclusion : Tous les hommes qui viennent en consultation prénuptiale, avoir consulté les HGR Beni ou Kitatumba, accepte de participer à l'étude.

Critères de non inclusion : Tous les hommes qui viennent aux HGR Beni ou Kitatumba pour autres consultations médicales, tous les hommes qui refusent de participer à l'étude.

2.7. Technique de collecte des données et analyses statistiques.

Nous avons effectué l'entretien structuré mené pour recueillir les informations sur les hommes qui étaient venus en consultation prénuptiale et les facteurs de risque. La qualité de la collecte reposait sur la standardisation des procédures de laboratoire et la précision des informations cliniques et épidémiologiques recueillies auprès des participants. Les données ont été traitées à l'aide du logiciel SPSS pour les analyses descriptives et analytique pour le calcul de χ^2 , P- value et le cramer.

2.9. Considération éthique

L'étude était conduite dans le strict respect des principes éthiques et de déontologie médicale. Notre demande de recherche était présentée et validée par les deux Médecins Directeurs de deux HGR ; après des explications claires en rapport avec la thématique et leur consentement était accordé. L'étude n'avait pas de danger aux participant ni aux structures sanitaires.

Résultats

Tableau 1. Répartition des enquêtés selon leur tranche d'âge à la consultation prénuptiale.

Variabes	Fréquence	%
20-29 ans	132	34,3
30-39 ans	144	37,5
40 et plus	108	28,2
Total	384	100,0

Le tableau 1 nous indique que sur 384 hommes venus à la consultation prénuptiale, 144 étaient âgés de 30 à 39 ans, soit 37,5 % suivis de 20 à 29 ans avec 34,3%.

Tableau 2. Répartitions des enquêtés selon les caractéristiques physico-chimiques du sperme à la consultation prénuptiale.

Caractéristiques physico-chimiques de sperme	Fréquence	%
Volume de l'éjaculat		
Normal (2-6 ml)	204	53,2
Hypospermie (<1,5ml)	117	30,4
Hyper spermie (>6ml)	63	16,4
Viscosité du sperme		
Normale	245	63,9
Anormale	139	36,1
Aspect du sperme		
Normal	213	55,5
Anormal	171	44,5

Mobilité des spermatozoïdes		
Normale	248	64,6
Akinespermie	78	20,3
Asthénospermie	58	15,1
pH du sperme		
Acide (<7)	109	28,2
Neutre (7-8)	162	42,1
Basique (>7)	113	29,4
Odeur		
Normale	265	69,0
Anormale	119	31,0

Le tableau 2, nous informe que les caractéristiques physicochimiques de sperme sont respectivement : 204 soit 53% cas en consultation prénuptiale ont le volume normal de sperme, 63,9 % des cas ont la viscosité de sperme, 55,5 % leur sperme est d'aspect normal, 46,6 % leurs spermatozoïdes sont mobiles, le pH à 42,1 est neutre et 69 % des cas présentent de sperme avec odeur normal.

Tableau 3. Répartition des enquêtés selon les anomalies détectées dans le sperme lors du spermogramme.

Anomalies du sperme	Fréquence	%
Hypospermie	204	53,2
Akinespermie	36	9,4
Asthénospermie	43	11,2
Oligospermie	21	5,4
Azoospermie	15	3,9
Hypersepermie	65	16,9
Total	384	100

Il ressort du tableau 3 que les anomalies dans le sperme lors du spermogramme, 53,2 % des cas présentent l'hypospermie, 16,9 % d'hypersepermie, 11,2% d'asthénospermie, 9,4% d'akinespermie, 5,4% d'oligospermie et 3,9 % d'azoospermie.

Tableau 4. Liaison entre la consultation prénuptiale et les caractéristiques physicochimiques de sperme.

Consultation prénuptiale	Caractéristique physicochimique de sperme					
	Bonne	Mauvaise	Total	P	Kh2	Cramer
Oui	120	51	171	0,041	1,32	0,61
	61,3 %	27,1 %	44,5 %			
Non	76	137	213			
	38,7 %	72,8 %	55,4 %			
Total	196	188	384			
	100,0 %	100,0 %	100,0 %			

Le tableau 4 nous informe qu'il existe un lien significatif entre la consultation prénuptiale des hommes et les caractéristiques physicochimiques de sperme, avec une P-value est de 0,043.

Discussion

Répartition des enquêtés selon leur tranche d'âge à la consultation prénuptiale.

Le tableau 1 nous indique que sur 384 hommes venus à la consultation prénuptiale, 144 étaient âgés de 30 à 39 ans, soit 37,5 % suivis de 20 à 29 ans avec 34,3%. Selon Banni Hani SA et al en 2019, bien que les hommes produisent des spermatozoïdes toute leur vie, la qualité de ces derniers commence à diminuer significativement, souvent après 40 à 45 ans. Le spermogramme met en évidence plusieurs altérations liées à l'âge, L'aspect le plus critique de la discussion concernant l'âge avancé de l'homme n'est pas seulement la baisse de la qualité spermatique visible au microscope, mais les altérations au niveau de l'ADN des spermatozoïdes : Augmentation de la Fragmentation de

l'ADN, Risques Génétiques pour l'Enfant : L'accumulation de mutations génétiques spontanées est plus élevée chez les pères plus âgés (40-50 ans et plus). Chawre S et al. En 2024 Avoir trouvé que le risque absolu reste faible, cette altération est associée à une incidence accrue de certaines pathologies rares et complexes (par exemple, l'achondroplasie, l'autisme, la schizophrénie).

Répartitions des enquêtés selon les caractéristiques physico-chimiques du sperme à la consultation prénuptiale.

Le tableau 2, nous informe que les caractéristiques physicochimiques de sperme sont respectivement : 204 soit 53% cas en consultation prénuptiale ont le volume normal de sperme, 63,9 % des cas ont la viscosité de sperme, 55,5 % leur sperme est d'aspect normal, 46,6 % leurs spermatozoïdes sont mobiles, le pH à 42,1 est neutre et 69 % des cas présentent de sperme avec odeur normal. L'OMS en 2021 et Nataraja J et al. En 2025 Avoir trouvé que l'analyse des caractéristiques physico-chimiques fournit des indices précieux, non pas sur la qualité intrinsèque des spermatozoïdes, mais sur l'état des conduits et l'environnement dans lequel les spermatozoïdes évoluent, permettant d'orienter le diagnostic étiologique de l'infertilité masculine.

Répartition des enquêtés selon les anomalies dans le sperme lors du spermogramme.

Il ressort du tableau 3 que les anomalies dans le sperme lors du spermogramme, 53,2 % des cas présentent l'hypospermie, 16,9 % d'hyperspermie, 11,2% d'aksthenospermie, 9,4% d'akinespermie, 5,4% d'oligospermie et 3,9 % d'azoospermie. L'anomalie du spermogramme selon John Jude Anna et al. Est un marqueur de risque plus qu'un diagnostic absolu. Sa véritable valeur réside dans la capacité du clinicien à l'interpréter, à la confirmer par des examens complémentaires (génétique, fragmentation de l'ADN) et à l'intégrer dans l'évaluation globale du couple.

Liaison entre la consultation prénuptiale et les caractéristiques physicochimiques de sperme.

De ce tableau 4, nous constatons qu'il existe un lien significatif entre la consultation prénuptiale des hommes et les caractéristiques physicochimiques de sperme, avec une P-value est de 0,043. Desta D, Ejeta et Dill PP en 2022 et 2024 avaient trouvé que la consultation prénuptiale est l'étape où l'on identifie les risques (médicaux, chirurgicaux, génétiques) qui vont ensuite être confirmés ou infirmés par des examens comme le spermogramme. Les résultats physico-chimiques du sperme fournissent alors des indications diagnostiques précises (obstruction ; trouble sécrétoire) permettant une prise en charge préventive avant que l'infertilité ne devienne une source de stress pour le couple.

Limites : Les limites liées à la variabilité de l'échantillon, limites prédictives et diagnostiques, limites méthodologiques et opérationnelles et le biais de sélection des études.

Conclusion

Il s'agissait d'une étude transversale descriptive à visée analytique qui s'était déroulée dans les Hôpitaux généraux de références de Beni et Kitatumba respectivement dans les zones de santé de Beni et Butembo sur un total de 384 hommes. Le spermogramme chez l'homme est une synthèse de l'analyse du sperme qui permet d'évaluer la fertilité masculine et d'orienter vers d'éventuels examens complémentaires ou une prise en charge spécifique. Un spermogramme est dit normal (ou normozoospermie) lorsque tous les paramètres mesurés se situent dans les plages de référence établies par des organismes comme l'Organisation Mondiale de la Santé (OMS), concernant notamment : Le volume de l'éjaculat, le pH, la concentration des spermatozoïdes, la mobilité (progressive et totale) des spermatozoïdes, la vitalité des spermatozoïdes et la morphologie (pourcentage de formes normales) des spermatozoïdes. En cas de résultats en dehors des normes, le spermogramme conclut à une anomalie, souvent désignée par un terme spécifique.

Recommandations

1. Recommandations pour la réalisation de l'Examen

Il est crucial de standardiser la procédure pour obtenir des résultats interprétables :

Délai d'abstinence : Recommander au patient de respecter strictement une période d'abstinence sexuelle de 2 à 7 jours (idéalement 3 à 5 jours) avant le prélèvement. Conditions de recueil : Le

recueil doit se faire par masturbation dans un flacon stérile, de préférence au laboratoire dans une pièce dédiée. Hygiène : Le patient doit uriner et effectuer une toilette intime désinfectante avant le prélèvement pour minimiser la contamination. Intégrité de l'échantillon : S'assurer que la totalité de l'éjaculat est recueillie et qu'il est exempt de lubrifiants ou de salive (qui altèrent la mobilité des spermatozoïdes). Facteurs perturbateurs : Reporter l'examen si l'homme a présenté une forte fièvre (ou une pathologie infectieuse) dans les trois mois précédant la consultation, car cela peut affecter temporairement la spermatogenèse.

2. Recommandations en cas de Résultat Anormal

Un seul résultat anormal n'est pas suffisant pour conclure à une infertilité. La démarche recommandée est la suivante : Contrôle systématique : En cas d'anomalie au premier spermogramme, un deuxième spermogramme doit être systématiquement prescrit, à un intervalle d'au moins 2 à 3 mois, pour confirmer le diagnostic (correspondant à un cycle complet de spermatogenèse), évaluation clinique : L'homme doit bénéficier d'un examen clinique complet (examen des testicules, recherche de varicocèle, etc.) et d'un interrogatoire approfondi par un urologue/andrologue en cas d'anomalie persistante, examens complémentaires : Prescrire des analyses supplémentaires selon la nature de l'anomalie, comme une spermoculture (recherche d'infection), un bilan hormonal (FSH, testostérone), ou des examens génétiques (caryotype) en cas d'oligospermie sévère.

3. Recommandations pour l'Hygiène de vie (Pré conceptionnelles)

La consultation prénuptiale est l'occasion de conseiller sur les facteurs modifiables qui peuvent améliorer la qualité du sperme : Arrêt du tabac et réduction de l'alcool : Ces substances ont un impact négatif prouvé sur la qualité des spermatozoïdes, éviter la chaleur excessive : Conseiller d'éviter les sources de chaleur pour les testicules (saunas, bains chauds prolongés, ordinateurs portables sur les genoux), car cela peut nuire à la spermatogenèse, alimentation et poids : Adopter un régime alimentaire sain et équilibré et maintenir un indice de masse corporelle (IMC) normal, l'obésité étant un facteur de risque et la révision médicamenteuse : Examiner les traitements en cours pour identifier et potentiellement modifier ceux qui pourraient impacter la fertilité.

Conflit d'intérêt : Les auteurs ne re déclare aucun conflit d'intérêt par rapport à l'étude.

Remerciements

Matiaba Binda Paul est l'auteur principal, Wembonyama Okitosho Stanis, Paluku Sabuni Louis et Bailanda Mumbere Pascal avait supervisé et orienté l'étude, les conseils de Lisimo Abwa Hilaire, Niyonzima Munyatwari Pascal, Amisi Ramazani Timothée, Ingabire Marie Placide, Nkurikiye Franck, Zawadi Mugoli Isabelle, Niwe Shema Norbert, Maombi Gashegu Félicien.

Financement : L'étude n'avait reçu aucun financement externe, sauf les contributions des auteurs.

Références

1. Matumo P, Bunduki G, Soly Kamwira I, Sihalikyolo J, Bosunga K. Anomalies du spermogramme en consultations prénuptiales et dans les couples infertiles à Butembo, République Démocratique du Congo. *Pan Afr Med J*. 2020;37:155. doi:10.11604/pamj.2020.37.155.25380. [Pan African Medical Journal](#)
2. Banihani SA, Khabour OF, Alzoubi KH. Fertility testing for men before marriage: Is it acceptable? *Andrologia*. 2019 Apr. PMID: PMC6399017. (Article open-access / enquête sur l'acceptabilité des tests de fertilité avant mariage). [PMC](#)
3. Chawre S, Khatib MN, Rawekar A, Mahajan S, Jadhav R, More A. A Review of Semen Analysis: Updates From the WHO Sixth Edition Manual and Advances in Male Fertility Assessment. *Cureus*. 2024 Jun 29;16(6):e63485. doi:10.7759/cureus.63485. [PubMed](#)
4. World Health Organization. WHO Laboratory Manual for the Examination and Processing of Human Semen. 6th ed. Geneva: WHO; 2021. (Manuel de référence pour la réalisation et l'interprétation des spermogrammes). [Organisation Mondiale de la Santé+1](#)

5. Mahmood KA, Sadraldeen GS, Othman SM, Shabila NP, Saleh AM, Ismail KH. Knowledge, perception, and attitude toward premarital screening among university students in Kurdistan region–Iraq. *PLOS Glob Public Health*. 2024 Nov 18;4(11):e0003515. doi:10.1371/journal.pgph.0003515. (Étude récente sur les connaissances/attitudes vis-à-vis du dépistage prénuptial). [PLOS](#)
6. Natarajan J, Joseph MA. Premarital screening for genetic blood disorders — an integrated review on the knowledge and attitudes of Middle Eastern university students. *Middle East Fert Soc J*. 2021;26:19. (revue intégrée sur les programmes de dépistage prénuptial dans la région). [SpringerOpen](#)
7. Aluko JO, Makanjuola OJ, Diorgu FC. Perception and Acceptance of Pre-Marital Fertility Screening among Final Year Students of College of Health Sciences at a University in North Central, Nigeria. *J Gynecol Res Obstet*. 2021;7(1):001-004. [Clinsurg Group](#)
8. John Jude Annan, Mike Addison, Anthony Enimil, Collins Abaitey, Robert Aryee, Augustine Twumasi, Fati Ibrahim. Semen quality of male partners of infertile couples attending a private specialist infertility hospital in Kumasi, Ghana: a retrospective descriptive analysis. *Pan Afr Med J*. 2025;51:54. [Pan African Medical Journal](#)
9. Desta D, Ejeta E, Woldemichael D, Zeleke B. Pattern of semen analysis in male partners of infertile couples in Western Ethiopia: Retrospective cross-sectional study. *Andrology Reports*. 2022;[nombre de volume]:[pages]. (Si besoin, on peut rechercher le volume exact) [PubMed](#)
10. Semen quality among men attending urology services in the Dschang Health District, West Cameroon: a retrospective study on 379 cases. *African Journal / Pan Africa Med J*. Envoyée en 2022 ou 2023 selon la publication. [PubMed+1](#)
11. Dilli PP, Obeagu E, Tamale A, et al. Update on the practice of premarital screening for sickle cell traits in Africa: a systematic review and meta-analysis. *BMC Public Health*. 2024;24:1467. [BioMed Centra](#).

معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال

أ.م.د. علا حسين علوان¹

¹ هيئة البحث العلمي، مركز البحوث النفسية، العراق.

بريد الكتروني: Ola.h.alawn@src.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/38>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/38>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحديد معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال، بوصفه أحد الأسس الجوهرية لرفع جودة التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة. اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وابتكرت استبانة مكونة من (28) فقرة موزعة على ستة محاور رئيسية تغطي الجوانب المهنية، والسلوكية، والتربوية، والمهارية لمعلمة الروضة. شملت العينة (100) معلمة من مديرية تربية بغداد/الكرخ الثانية للعام الدراسي 2024-2025، تم اختيارهن بطريقة عشوائية بسيطة. أظهرت النتائج أن نسبة الموافقة على فقرات الاستبانة تراوحت بين (84%-100%)، مما يدل على اتفاق واسع بين المعلمات على ملاءمة المعايير المقترحة لأدوارهن ومهامهن داخل بيئة الروضة. كما أكدت النتائج وعي معلمات الرياض بأهمية التقييم الموضوعي الشامل الذي يتناول الأداء المهني، وتفاعل المعلمة مع الأطفال، وأساليب إدارة الصف وتنظيم بيئة التعلم.

خلصت الدراسة إلى أن تطبيق هذه المعايير يساهم في تحسين كفاءة المعلمة، وتعزيز جودة العملية التعليمية في مؤسسات رياض الأطفال. وأوصت الباحثة بضرورة اعتماد وزارة التربية لمعايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال، وإجراء دراسات مستقبلية لبحث علاقتها بمتغيرات مثل التخصص وسنوات الخدمة والتدريب المهني.

الكلمات المفتاحية: معايير التقييم التربوي، معلمة الروضة، جودة التعليم، الأداء المهني، رياض الأطفال.

RESEARCH TITLE

Criteria for Effective Educational Evaluation for Kindergarten Teachers

Abstract

The present study aims to identify the **criteria for effective educational evaluation of kindergarten teachers**, as one of the essential foundations for improving the quality of early childhood education. The researcher adopted the **descriptive-analytical method** and developed a questionnaire consisting of **28 items distributed across six main axes** covering professional, behavioral, educational, and skill-related aspects of kindergarten teachers. The study sample included **100 teachers** from the Directorate of Education in **Baghdad – Al-Karkh Second** for the academic year **2024–2025**, selected through a simple random sampling method.

The results revealed that **the agreement rates on the questionnaire items ranged between 84% and 100%**, indicating a **high level of consensus among teachers** regarding the appropriateness of the proposed criteria for their roles and responsibilities within the kindergarten environment. The findings also emphasized the teachers' awareness of the importance of objective and comprehensive evaluation that encompasses professional performance, interaction with children, classroom management, and learning environment organization.

The study concluded that applying these criteria contributes to **enhancing teacher efficiency and improving the quality of the educational process** in kindergartens. The researcher recommended that the **Ministry of Education adopt these effective educational evaluation criteria** for kindergarten teachers and encouraged further studies to examine their relationship with variables such as specialization, years of service, and professional training.

Key Words: Educational evaluation criteria, kindergarten teacher, quality of education, professional performance, early childhood education.

الفصل الأول (التعريف بالبحث)

مشكلة البحث: تعد معلمة الروضة ركناً أساسياً ومؤثراً في المؤسسة التربوية التعليمية والتي تهدف الى الاهتمام والعناية والاعداد لثروة بشرية تعد اساساً ومستقبلاً لهذا البلد.

لذا ومع تزايد الاهتمام بجودة التعليم المبكر فقد أصبح من الضروري تطوير أدوات ومعايير موضوعية ودقيقة لتقييم أداء معلمة الروضة بما يعكس كفاءتها المهنية والشخصية والتربوية وبالتالي يساهم في تحسين جودة مخرجات التعليم.

وبالنظر للدور المتميز الذي تقوم به معلمة الروضة وجب ان تكون هناك معايير موضوعية الغرض منها تقييم أدائها بحيث تكون هذه المعايير واضحة ومعبرة عن ما تقوم به من مهام داخل الروضة وان تكون بعيدة عن الاجتهادات الذاتية والشخصية ، ومن هنا تتحدد مشكلة البحث الحالي وهي:

- ما هي معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال؟

أهمية البحث: التقييم هو العملية التي يتم بها اصدار حكم على مدى وصول العملية التربوية الى أهدافها ومدى تحقيقها لأغراضها والعمل على كشف نواحي القوة والضعف في العملية التعليمية اثناء سيرها.

وعملية التقييم لا تنحصر في انها تشخيصية تستهدف الكشف عن مواطن القوة والضعف في العملية التعليمية، بل هو أيضاً عملية علاج ما بها من عيوب لتحسين عملية التعلم وتطويرها بما يحقق افضل النتائج.

والتقييم التربوي هو عملية مستمرة وشاملة لا تقتصر على قياس الأداء الاكاديمي بل تهتم بالنمو والتطور المهني، وفي سياق التعليم والتعلم يعتبر التقييم التربوي امراً بالغ الأهمية لأنه يخدم هدفاً مشتركاً يتمثل في مساعدة معلمة الروضة على تحديد المشكلات ونقاط الضعف والعمل على حلها أو معالجتها وبما ان التقييم التربوي عملية مستمرة وشاملة فان تقييم معلمة الروضة يجب ان يعكس تلك الشمولية والاستمرارية في التقييم ، إذ يجب أن يشمل تقييم أدائها في تقديم الأنشطة ، تقويم تقدم الأطفال ونموهم ، تقويم المنهج ، تقويم الأهداف وطرق ووسائل التعلم الخ (فهومي، معلمة الروضة، 2004) إن التقييم بهذا المعنى يشمل مدخلات الموضوع والعمليات التي تجري عليه والمخرجات التي تنتج عنه ، وحين نحصر انفسنا بالميدان التربوي نجد ان التقييم يتضمن قبل كل شيء تحديد الأهداف التربوية المنشودة ثم دراسة مدى تقدم الأطفال نحو تحقيق الأهداف التي تعمل المعلمة على تحقيقها والتعبير عن نتائج الدراسة بالأرقام والادوار ثم اجراء مقارنات وموازنات بالاستناد الى معايير عمرية أو صفية وأخيراً اصدار احكام على نتائج التقييم ، فالمقيم اذاً يحدد الأوضاع ويدرسها في نطاق الظروف والاهداف ثم يصدر حكماً عليها استناداً الى معيار أو عدة معايير (عريفج و مصلح، 1999) فالى جانب المعايير الاكاديمية هناك معايير سلوكية تساهم في التقييم السلوكي لمعلمة الروضة وهي تعكس السلوكيات والإجراءات التي تتبعها المعلمة لتنظيم التفاعل بين المكونات المادية والبشرية لبيئة التعلم وتأثيرها في زيادة دافعية الطفل على التعلم وتنظيم مجاله الادراكي وتنمية مفاهيمه ومهاراته واتجاهاته التي يستخدمها في حياته اليومية إلى اقصى حد ممكن تسمح به قدراته كما تشمل هذه المعايير قدرة على إدارة السلوك والتعامل مع سلوكيات الأطفال المختلفة بالإضافة الى قدرتها على تقدير السلوك الإيجابي مما يساعد على تعزيز الأنماط السلوكية المرغوبة لدى الطفل (فهومي، تنظيم بيئة تعلم الطفل، 2012) فمن الأهمية أن يستند تقييم معلمة الروضة الى مجموعة من المعايير التي تطابق أو تحاكي النشاطات التي تقوم بها داخل بيئة الروضة لذا تعد عملية التقييم وفقاً لمعايير أداء معينة هامة في مؤسسة تربوية تعليمية تعنى بتنشئة وتربية الطفل وهو ثروة هذا البلد ومستقبله.

أهداف البحث: يستهدف البحث الحالي التعرف على معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال.

حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بمعلمات رياض الأطفال الحكومية التابعة الى مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية وللعام الدراسي (2025/2026).

تحديد المصطلحات :

المعايير : standard

عرفها:

- عبيد (2005) : بأنها مجموعة شاملة ومتناسكة من الأغراض والغايات لتقدم خطوطاً إرشادية و مبادئ مرجعية لوضع السياسات وبناء التقويم وترتيب أدوات القياس (وليم، 2005).
- الدوسري والمنصور(2022): وهي مجموعة من المؤشرات والعبارات التي تقدم وصفاً للأداء المتوقع من المعلمين والمعلمات (الدوسري و المنصور ، 2022).
- * تبنت الباحثة التعريف النظري لـ (الدوسري والمنصور ، 2022).

التعريف الاجرائي للباحثة: وهي الدرجة الكلية التي تحصل عليها عينة البحث على استبانة معايير التقييم التربوي الفعال.

التقييم: عرفه :

- عبد الهادي (2001) : هو اصدار حكم شامل وواضح من خلال جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها (عبد الهادي، 2001).
- عطوي (2008) : وهو عملية اصدار حكم تمت دراسته بعناية من اجل التحسين و التطوير في ضوء مجموعة من الأهداف (عطوي، 2008).
- * تبنت الباحثة التعريف النظري لـ (عبد الهادي ، 2001).

التعريف الاجرائي للباحثة: وهي الدرجة الكلية التي تحصل عليها عينة البحث على استبانة معايير التقييم التربوي الفعال.

معلمة الروضة: عرفها:

فهومي (2004) : وهي اهم عنصر في العملية التربوية ، فهي التي تتعامل مع الأطفال وهي التي تنفذ المنهج ، وتكيف الموقف التعليمي ، وتختار طريقة التعلم المناسبة ، وتثري موقف الخبرة باستعمال التقنيات التربوية الى غير ذلك من الأمور التي يتطلبها تنفيذ المنهج (فهومي، معلمة الروضة، 2004).

الفصل الثاني

إطار نظري ودراسات سابقة

التقييم التربوي: إن العمل التربوي بحكم تعقيده وتعدد جوانبه وأهميته يتطلب تقويماً دائماً ومستمراً. وبما أن معلمة الروضة أحد الأركان الأساسية في تحقيق اهداف المؤسسة التربوية والتعليمية (رياض الأطفال) فلا بد من تقويمها

وفق معايير موضوعية للتقويم هو الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحديد مدى نجاح أهداف المؤسسة.

والتقويم يتضمن إصدار حكم لغرض ما على قيمة الأفكار، الاعمال، الحلول، الطرق، المواد.... الخ وأنه يتضمن استخدام محكات، المستويات والمعايير لتقدير مدى كفاءة الأشياء ودقتها وفعاليتها (الياس و مرتضى، 2015) (ملحم، 2012) إذ قد تعددت تعريفات التقويم باعتباره مرادفاً للتقويم إذ قد أشار عبد الهادي (2001) الى ان التقويم والتقويم وإن كانت كلمة التقويم أكثر عمومية فهي بيان قيمة الشيء وإعطاءه قيمة وقومه أي بمعنى عدله وصحته (عبد الهادي، 2001) لذا فإن التقويم في رياض الأطفال يعد العملية التي نحصل من خلالها على معلومات شاملة حول نمو الأطفال في المجالات كافة باستعمال أساليب التقويم المناسبة بهدف تشخيص قدراتهم واستعداداتهم واكتشاف مشكلاتهم وما يعانونه من صعوبات وعلاجها ولا يقتصر التقويم على نمو الطفل بل يشمل كافة العناصر التي تؤثر في تحقيق ذل النمو الشامل الكامل المتوازن لطفل رياض الأطفال وهذا يعني تقويم كل من مبنى الروضة والاثاث المتوافر والإدارة والمعلمات واخيراً تحليل محتوى المنهج (الياس و مرتضى، 2015).

مجالات التقويم في الروضة:

1- تقويم أهداف تعلم الطفل: إن الاتجاهات الحديثة في صياغة الأهداف التربوية بطريقة سلوكية وإجرائية ذات معنى، قد أدى الى إعادة النظر في الأهداف نفسها، بحيث أصبح تقويم الأهداف مجالاً رئيسياً من مجالات التقويم التربوي في الروضة، فقد يكون من بين هذه الأهداف ما لا يرتبط باحتياجات المجتمع أو مطالب الأطفال أو ما لا يناسب تطور الفكر التربوي في مجال الطفولة المبكرة والاتجاهات العلمية الحديثة ويتضمن تقويم الأهداف ما يلي:

- أ- ارتباط الأهداف بقدرات الأطفال واحتياجات المجتمع وتطلعات أولياء الأمور.
- ب- علاقة الأهداف بالأنشطة المتنوعة وطبيعتها.
- ت- مدى إمكانية تحويل الأهداف الى مستويات إجرائية أو ادائية أو سلوكية.
- ث- مدى إمكانية قياس أو تقويم تلك المستويات (فهمي، معلمة الروضة، 2004).

2- تقويم البرامج والأنشطة : يهدف تقويم البرامج والأنشطة الى تقويم جميع العناصر المكونة لمناهج الروضة والتي تؤثر في تحقيق اهداف النمو الشامل المتكامل المتوازن لطفل الروضة، وذلك بتحليل محتوى المناهج أي أهداف المرحلة، و أهداف المستويات الثلاث (المعرفية، الوجدانية و المهارية) وبرنامج الخبرات المتكاملة من حيث الشمول والترابط والتكامل والاستمرارية داخل كل مستوى، وبين المستويات الثلاث وتوصيف الخبرات وجوانبها وصياغتها في شكل اهداف سلوكية وبرامج الأنشطة اليومية والاسبوعية إضافة الى الأنشطة المتكاملة، ومن ثم القيام بعملية التقويم. (الحري، 2010)

3- تقويم المعلمة: إن معلمة رياض الأطفال تقوم بمهام عديدة و تؤدي مهاماً كثيرة ومتنوعة، إذ تتطلب مهنتها مهارات فنية كثيرة ومختلفة يصعب تحديدها وتفصيلها، فهي مسؤولة عن كل ما يتعلمه الطفل، الى جانب مهمة توجيهية حول نمو كل طفل من اطفالها في مرحلة حساسة من حياتهم. وتبدأ هذه المرحلة بالتخطيط وتستمر بالتنفيذ وتنتهي بالتقويم والمراجعة إذ تتناول عملية تقويم المعلمة، تقويم شخصيتها ومدى تفاعلها مع الأطفال وإيجابيتها معهم، ومستوى الأداء لديها، ومدى جودة إعدادها وكفاياتها، والتعرف على نقاط القوة لديها لتعزيزها، وعلى نقاط الضعف لتذليلها، والتعرف على برامج التدريب التي تتلقاها اثناء الخدمة، وعلى مدى قدرتها على فهم الأطفال والنزول الى مستوياتهم، ومعاملتهم بروح المحبة والعطف، وتتناول عملية تقويم المعلمة التعرف على اتزانها الانفعالي وقوة تحملها وحرصها على تطوير العمل، ومدى قدرتها على الابداع، ومشاركتها للأطفال

في انشطتهم. والمعلمة باعتبارها القدوة يجب ان تتمتع بالصحة النفسية وان تكون حسنة المعشر ، حلوة الكلام ، جيدة السلوك ، حسنة التصرف ، تتسم بالمرح والتعاطف مع الآخرين وبالنشاط الدائم والمتجدد. ويشتمل تقييم المعلمة ايضاً قدرتها على انتقاء استراتيجيات التعلم والوسائل المصاحبة ، وقدرتها على إدارة الصف وتنظيم بيئة التعلم وتحقيق الانضباط داخل الصف أو داخل قاعة النشاط. كما تتناول عملية تقييم معلمة الروضة مدى قدرتها على البحث عن أفكار حول أنشطة تثير اهتمام الطفل وتمتعهم وتدفعهم الى التعلم ، ومدى قدرتها على الموازنة بين الأنشطة التي تقدمها والأنشطة الأخرى التي يقترحها الاطفال (فارس، 2006) (الحري، 2010)

4- تقييم تقدم الأطفال ونموهم: يعتبر الطفل المحور الأساسي الذي تدور حولة التربية ، ولهذا فإن تقييم جوانب نموه المختلفة لابد منه للحكم على مدى تحقيق برامج الأنشطة لأهدافها. وقد اقتصر معظم عمليات التقييم لنمو الأطفال في المجالات المعرفية والتحصيلية وندرت المحاولات العلمية لتقييم جوانب نموهم الأخرى كالميول والاهتمامات والاستعدادات والاتجاهات والدوافع. (فهيم، معلمة الروضة، 2004).

أنواع التقييم:

1- التقييم التمهيدي: تسير العملية التعليمية وفق خطوات منظمة إذ تبدأ بتحديد الأهداف التي تبين نواتج التعلم أو ما نتوقه من المتعلم في نهاية التعلم. فهي توجه عمل المعلمة وترتكز عليها عملية التقييم وتنتهي هذه العملية باتخاذ قرارات تمهيداً لبداية جديدة. إن إجراء التقييم التمهيدي خطوة ضرورية قد تؤدي إلى:

- 1- اتخاذ قرار بإعادة النظر في الأهداف التي لم يتمكن الأطفال من متطلباتها السابقة.
- 2- اكتشاف الأهداف التي يتقنها الأطفال قبل تنفيذ الخبرة .
- 3- قد تتخذ المعلمة قرار بتقسيم الأطفال الى مجموعات أكثر تجانساً حسب درجة التمكن أو حسب طريقة التعلم (العزاوي، 2013)

2- التقييم التكويني: يمكن تعريف هذا النوع من التقييم بأنه عملية تقييمية منهجية منظمة تحدث اثناء تدريس الأنشطة للأطفال وغرضها تزويد المعلم والمتعلم بتغذية راجعة من اجل تحسين العملية التعليمية - التعلمية وبناء على ذلك، فان الهدف الرئيس الذي يسعى اليه هذا النوع من التقييم هو تصحيح مسار العملية التعليمية- التعلمية ويمكن تحديد أغراض التقييم التكويني بالاتي:

- التعرف على تعلم الأطفال ومراقبة تقدمهم وتطويرهم خطوة خطوة.
- قيادة تعلم الطفل من قبل المعلمة وتوجيهه بالاتجاه الصحيح.
- الحصول على بيانات لتشخيص عدم فعالية التدريس.
- مساعدة المعلمة على تحسين اسلوبها في التعليم أو إيجاد طريقة تعلم بديلة.
- تزويد المعلم والمتعلم بتغذية راجعة عن التعليم والتعلم.
- إعادة النظر في المنهاج اذا كان عاملاً من عوامل عدم التقدم أو صعوبته (ملحم، 2012).

3- التقييم الختامي: وهو الخطوة الأخيرة والتي تعتبر نهاية لبداية جديدة ، هي التقييم الختامي لنواتج التعلم في نهاية وحدة الخبرة أو نهاية فصل الأنشطة أو نهاية السنة الدراسية، ويستخدم هذا النوع لاتخاذ القرارات فيما يخص مدى نجاح المعلمة بالتدريس وتقديم الخبرات والأنشطة ومدى تقدم الأطفال واكتسابهم للمعرفة، كما ويستخدم للحكم على مدى فاعلية المنهج وطرائق التدريس. وتختلف اختبارات التقييم الختامي عن التقييم البنائي من حيث الغرض في انها أطول وأعم وأشمل وأعم (العزاوي، 2013)

أهداف تقييم معلمة الروضة: هناك إمكانات بشرية وإمكانات مادية ذات مواصفات معينة يشترط توافرها لكي لا تتأثر العملية التعليمية التربوية في طريقها في سبيل تحقيق ما ننشده من اهداف، ففي السابق كانت الدول قديماً تقاس قوتها على

أساس ما تملكه من إمكانيات وموارد مادية، إلا أننا في العصر الحديث قد نبذنا هذا المعيار كأساس للحكم على مكانة كل دولة من الأمم وأصبحت مكانة كل دولة تقدر على أساس نوعية التعليم والتدريب والمهارات المتوافرة في مواردها البشرية. ولأهمية دور معلمة الروضة وما تحدثه من أثر في نمو الأطفال المتكامل والذي لا يقتصر على الجانب العقلي المعرفي اكتسبت عملية التقويم أهميتها وتتبع أهداف تقويم المعلمة من الوظيفة الأساسية للمعلمة وما تقوم به من أعمال تحقق الأهداف المرجوة في تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة. كما أن هذه الأهداف تتبع من حرص الإدارات التربوية على وصول الأطفال إلى المستويات المرغوبة من النمو في كافة جوانبه والتنشئة التي حددت مسبقاً ضمن قراراتها وقوانينها وبالتالي فإن أهداف تقويم معلمة الروضة تتلخص في النقاط الرئيسية التالية:

- توجيه المعلمة وإرشادها للأهداف العامة والنشاطات التربوية المختلفة.
- ترفيع المعلمة لدرجة أعلى.
- معرفة مدى تأثيرها في الأنشطة وطرائق التدريس وتزويدها بتغذية راجعة تسهم في تطوير مهاراتها.
- تعريف المعلمة بإمكانياتها واستعداداتها وبيان نواحي القوة وجوانب الضعف في مهنتها وذلك بهدف تطوير جوانب القوة وتلافي جوانب الضعف لديها.
- إعطاء صورة واضحة وحقيقية عن مدى ما تحقق الروضة من واجبات وأعمال ونقل هذه الصورة إلى الجهات العليا المؤولة عن الإدارات التربوية. (اللقاني، 1989) (ملحم، 2012).

الدراسات السابقة:

أجرى هيبه (2013) دراسة عن وعي معلمات رياض الأطفال بمعايير الروضة-دراسة ميدانية. وقد كان الهدف منها محاولة الوقوف على وعي معلمات رياض الأطفال بمضمون المعايير القومية للروضة بما تحمله من مؤشرات وممارسات وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي وقد كانت عينة البحث تضم (120) معلمة وقد استعمل الباحث الاستبانة كأداة للدراسة وقد توصل الباحث إلى أن وعي معلمات رياض الأطفال بمعايير الروضة كان كبيراً بينما كان وعيهن متوسطاً في مجالات : رؤية الروضة ورسالتها، الحوكمة ، القيادة ، الموارد البشرية والمادية ، المشاركة المجتمعية ، ضمان الجودة والمساءلة (هيبه، 2013) أما الحواسيس (2017) فقد أجرت دراسة عن درجة ممارسة معلمات رياض الأطفال في الأردن للجانب الفني لمعايير الجودة الوطنية في رياض الأطفال من وجهة نظرهن إذ كان الهدف من الدراسة التعرف على مدى ممارسات معلمات رياض الأطفال للجانب الفني لمعايير الجودة الوطنية في الأردن إذ تكونت عينة الدراسة من (445) معلمة في رياض الأطفال الحكومية والخاصة في منطقة عمان ولتحقيق هدف الدراسة قامت الباحثة بتطبيق استبانة ممارسة معلمة رياض الأطفال لمعايير الجودة الوطنية وبعد المعالجات الإحصائية أشارت النتائج إلى وجود ممارسات مرتفعة لدى معلمات رياض الأطفال الحكومية وممارسات متوسطة لدى معلمات رياض الأطفال الخاصة للجانب الفني لمعايير الجودة الوطنية في الأردن (الحراسيس، 2017) .

مناقشة الدراسات السابقة: تنوعت الدراسات السابقة التي اهتمت بمعايير رياض الأطفال إذ أنها تطرقت إلى مفهوم المعايير من زوايا متعددة وجميع الدراسات التي تم استعراضها في هذا البحث تناولت معلمة الروضة كعينة واستعملت الاستبانة كأداة للدراسة وقد اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة من حيث العينة والأداة وتأتي هذه الدراسة كمحاولة لإضافة معلومات مفيدة عن معايير تقييم معلمة الروضة والتي لم تتطرق إليها الدراسات السابقة.

الفصل الثالث

منهج البحث وإجراءاته

منهج البحث: لتحقيق هدف البحث اعتمدت الباحثة منهج البحث الوصفي -تحليل العمل- اذ يتم ذلك من خلال جمع معلومات عما يقوم به العاملون من مهام tasks ومن أنشطة هؤلاء العاملين في أثناء الخدمة، ودراسة ظروف العمل والإمكانيات المتاحة لهم، وكذلك مؤهلات العاملين وخبراتهم وتدريبهم ورواتبهم، وكيفية قيامهم بأعمالهم وأوضاعهم العلمية وعلاقتهم بالتنظيمات الإدارية وظروف عملهم والتسهيلات المقدمة لهم وغير ذلك من الأمور (داؤد و عبد الرحمن، 1990).

مجتمع البحث: يضم مجتمع البحث معلمات رياض الأطفال الحكومية التابعة الى مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية البالغ عددهن (350) معلمة وللعام الدراسي 2025/2024.

عينة البحث: حددت الباحثة عينة البحث البالغة (100) معلمة من معلمات رياض الأطفال واللواتي تم اختيارهن وفقاً لأسلوب العينة العشوائية البسيط . وكما هو موضح بالجدول (1)

جدول (1) عينة البحث

مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية	الرياض	عدد المعلمات
	سيف سعد	9
	المصافي	10
	النجوم	5
	القناديل	8
	الرشيد	8
	الفراق	7
	الزهور	12
	السندباد	10
	الغفران	7
	السوسن	8
	الأقمار	10
	الوركاء	6
	المجموع	100
	12	

أداة البحث: لتحقيق هدف البحث قامت الباحثة ببناء استبانة وفقاً للخطوات التالية:

- 1- لبناء الأداة اطلعت الباحثة على الادبيات والدراسات السابقة وبذلك حددت فقرات الاستبانة بصورتها الأولية وقد بلغت (28) فقرة وذلك بعد تحديد المصطلحات النظرية لموضوع البحث والتي تم توضيحها في الفصل الأول.
- 2- تم اعداد استبانة مغلقة بناءً على الخطوة السابقة وقد تكونت من (28) فقرة وببديلين فقط (أوافق , لا أوافق).
- 3- الخصائص السيكومترية لأداة القياس: يعد الصدق والثبات من أهم الخصائص السيكومترية لأداة القياس لذا قامت الباحثة بعدد من الإجراءات اللازمة لاستخراج الصدق والثبات.

الصدق : يشير مصطلح الصدق الى ما اذا كان الاختبار يقيس فعلاً ما اعد لقياسه وقد عرفه ليندكوست بأنه الدرجة

التي يقيس بها الاختبار ما نريد قياسه اما ادجرتون فقد عرفه بأنه يشير الى المدى الذي تكون فيه أداة القياس مفيدة لهدف معين (ميخائيل، 2016) وللتحقق من صدق الاستبانة قامت الباحثة بحساب الصدق الظاهري من خلال عرض أداة القياس (الاستبانة) على مجموعة من المحكمين في التخصصات التالية (الارشاد والتوجيه التربوي ، علم النفس العام ، علم النفس التربوي ورياض الأطفال) * وذلك للتأكد من:

1- صلاحية فقرات الاستبانة.

2- تعديل الفقرات التي بحاجة الى تعديل.

3- حذف الفقرات التي لا تصلح لقياس السمة المقاسة.

وبعد حساب إجابات الفقرات تبين صلاحية مضمون جميع الفقرات اذ حصلت على 100% من اراء الخبراء وعلى وفق اراء المحكمين لم يتم استبعاد أي فقرة باستثناء الفقرة رقم(11) والتي تم تعديلها الى: تستعمل طرائق تدريس متنوعة بما يلائم موضوع الخبرة بدلاً من لديها القدرة على التنوع باستعمال طرائق التدريس بما يلائم موضوع الخبرة.

الثبات: يشير الثبات الى الدقة والاتساق في الدرجات التي يحصل عليها نفس المفحوصين تحت نفس الظروف اذا تكرر اختبارهم بنفس الاختبار في وقتين مختلفين او بمجموعتين مختلفتين من الفقرات المتكافئة او في ضوء ظروف اختبارية لمتغير اخر. ومتى كانت أداة القياس خالية من الأخطاء العشوائية كانت قادرة على قياس المقدار الحقيقي من للسمة المراد قياسها وفي ظروف مختلفة ومتباينة وعندئذ يكون المقياس يتمتع بالثبات (التمييز، 2022) ولحساب الثبات استعملت الباحثة طريقة التجزئة النصفية اذ تستعمل هذه الطريقة عندما يتعذر إعادة تطبيق الاختبار أو إعداد صورتين متكافئتين وتعتمد هذه الطريقة على تجزئة الاستبانة الى نصفين متكافئين وذلك بتطبيقه على مجموعة واحدة وهناك طرائق عديدة لتجزئة الاستبانة فقد يستخدم النصف الأول من الاختبار مقابل النصف الثاني أو قد تستعمل الأسئلة ذات الأرقام الفردية مقابل الأسئلة ذات الأرقام الزوجية (عبد الرحمن، 2008) والجدول(2) يوضح معامل الثبات لاداة القياس

جدول(2) يوضح معامل الثبات لاداة القياس

معامل الارتباط بيرسون قبل التصحيح	معامل سبيرمان براون للتصحيح
0,782	0,886

عينة وضوح فقرات الاستبانة: بعد التحقق من صدق الاستبانة قامت الباحثة بتطبيقها على عينة استطلاعية من معلمات رياض الأطفال بلغ عددهن (20) معلمة تم اختيارهن وفقاً لأسلوب العينة العشوائية البسيطة وقد وضعت الباحثة تعليمات الإجابة اللازمة وقد تم حث العينة على الإجابة على فقرات الاستبانة بدون إهمال أي فقرة وكان الهدف من الدراسة هو:

1- حساب الوقت المطلوب للإجابة.

2- معرفة مدى وضوح فقرات الاستبانة.

3- معرفة مدى وضوح التعليمات.

وقد كانت النتائج إيجابية اذ لم يكن هناك أي استفسار من العينة وكان الوقت المحدد للإجابة(25 - 30) دقيقة

* اسماء السادة المحكمين: أ.د. امل داود سليم ، أ.د. بشرى عبد الحسين محييد ، أ.د. لطيف غازي مكي ، أ.م.د. سمر غني حسين ، أ.م.د. ابتسام سعيد أحمد، أ.م.د. رحاب حسين علي.

وصف الاستبانة : تكونت الاستبانة من ست محاور تضم 28 فقرة وبأوزان (0,1) وببديلين (أوافق ، لا أوافق) وقد بلغت أعلى درجة لها 28 درجة وأقل درجة صفر وبذلك أصبحت الاستبانة صالحة للتطبيق على عينة البحث. **التطبيق النهائي للاستبانة:** طبقت الباحثة استبانتها إلكترونياً على عينة البحث وبعد الانتهاء من جمع الإجابات تم غلق الاستبانة لغرض رفع البيانات لمعالجتها.

الوسائل الإحصائية : استعملت الباحثة برنامج الـ (spss) وقد اعتمدت الوسائل الإحصائية التالية:

- 1- التكرارات
- 2- النسب المئوية
- 3- معامل ارتباط بيرسون
- 4- معادلة سبيرمان براون

الفصل الرابع

عرض النتائج ومناقشتها

يضم هذا الفصل عرضاً مفصلاً لنتائج البحث وتفسيرها ومناقشتها وفقاً لهدفه وعلى النحو الآتي:

هدف البحث: يستهدف البحث الحالي التعرف على معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال.

ولتحقيق هذا الهدف ومعرفة آراء المعلمات فيما يخص معايير التقييم التربوي الفعال والتي من الممكن ان يتم تقييم ادائهن وفقاً لها قامت الباحثة بحساب التكرارات والنسب المئوية لاستجابات العينة وكانت كالتالي وكما هو موضح في الجدول (3) :

جدول (3) يوضح النسب المئوية لاستجابات عينة البحث

ت	موافق	النسبة المئوية	لا أوافق	النسبة المئوية
1.	100	%100	--	%0
2.	87	%87	13	%13
3.	100	%100	--	%0
4.	91	%91	9	%9
5.	99	%99	1	%1
6.	99	%99	1	%1
7.	99	%99	1	%1
8.	99	%99	1	%1
9.	96	%96	4	%4
10.	89	%89	11	%11
11.	98	%98	2	%2
12.	99	%99	1	%1

13.	100	%100	--	%0
14.	95	%95	5	%5
15.	84	%84	16	%16
16.	99	%99	1	%1
17.	97	%97	3	%3
18.	98	%98	2	%2
19.	91	%91	9	%9
20.	100	%100	--	%0
21.	99	%99	1	%1
22.	97	%97	3	%3
23.	95	%95	5	%5
24.	98	%98	2	%2
25.	86	%86	14	%14
26.	100	%100	--	%0
27.	99	%99	1	%1
28.	100	%100	--	%0

التفسير: تشير نتائج الجدول (3) أعلاه الى ان هناك نسب اتفاق عالية لمعلمات الرياض وذلك بالموافقة على تطبيق المعايير التي أعدتها الباحثة اذ كانت تراوحت نسب الاتفاق من 84%- 100% وهذا يدل على موافقة المعلمة لتقييمهن وفقاً لتلك المعايير والتي تخص معلمة الروضة وبيئة عملها وهذا يتفق مع دراسة هيبه التي اشار فيها الى وعي معلمات رياض الأطفال بمعايير الروضة كان كبيراً إضافة الى اتفاق الدراسة الحالية مع دراسة الحواسيس والتي اشارت الى وجود ممارسات مرتفعة لمعلمات الرياض الحكومية لمعايير الجودة.

- الاستنتاجات: ان معلمات رياض الأطفال لديهن الرغبة في تطبيق المعايير التي تم اعتمادها في هذا البحث كونها تنطبق على بيئة الروضة حصراً.
- التوصيات: ضرورة اعتماد معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال من قبل وزارة التربية كونها اعدت حصراً لمعلمة الروضة.
- المقترحات: اجراء دراسة عن معايير التقييم التربوي الفعال لمعلمات رياض الأطفال وعلاقتها ببعض المتغيرات (التخصص، سنوات الخدمة...الخ).

المصادر:

- اسما جريس الياس، و سلوى محمد علي مرتضى. (2015). تصميم وتطوير المناهج في رياض الاطفال (المجلد 1). عمان: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع.
- أسماء فوزي حسن التميمي. (2022). التحليل الاحصائي والاجرائي للبحوث التربوية (أمثلة وتطبيقات) (المجلد 1). عمان: دار الاعصار العلمي.

امطانيوس نايف ميخائيل. (2016). بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية وتقنياتها (المجلد 1). عمان: دار الاعصار العلمي.

جودت عزت عطوي. (2008). الادارة التعليمية والاشراف التربوي. عمان، الاردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
رافدة الحريري. (2010). نشأة وإدارة رياض الاطفال (المجلد 1). عمان، الاردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
رحيم يونس كرو العزاوي. (2013). القياس والتقويم في العملية التدريسية. عمان، الاردن: دار دجلة ناشرون وموزعون.
زكريا محمد هيبه. (نوفمبر، 2013). وعي معلمات رياض الاطفال بمعايير الروضة-داسة ميدانية. دراسات عربية في التربية وعلم النفس (الجزء الاول)، صفحة 143.

زينب ناصر سالم الدوسري، و منيرة عبد الله المنصور. (2022). ممارسات معلمات رياض الاطفال للبحث الاجرائي وفق معايير التنمية المهنية. المجلة العربية للنشر العلمي، 50، صفحة 68.

سامي عريفج، و خالد حسين مصلح. (1999). في القياس والتقييم (المجلد الرابعة). عمان: دار مجدلاوي للنشر.
سامي محمد ملحم. (2012). القياس والتقويم في التربية وعلم النفس (المجلد 6). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
سعد عبد الرحمن. (2008). القياس النفسي النظرية والتطبيق (المجلد 5). مصر: هبة النيل العربية.

عاطف عدلي فهمي. (2004). معلمة الروضة (المجلد الاولى). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
[1,372https://doi.org/](https://doi.org/1.372)

عاطف عدلي فهمي. (2012). تنظيم بيئة تعلم الطفل (المجلد 3). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
عبيد وليم. (2005). علامات مرجعية على طريق الجودة في التعليم. تكوين المعلم. 2، صفحة 249. مصر: الجمعية الوطنية للمناهج وطرق التدريس.

عزيز حنا داؤد، و أنور حسين عبد الرحمن. (1990). مناهج البحث التربوي. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
عصام فارس. (2006). رياض الاطفال - التنشئة؛ الادارة؛ الأنشطة (المجلد 1). عمان، الاردن: دار اسامة للنشر والتوزيع؛ دار المشرق الثقافي.

فاروق عبد الحميد اللقاني. (1989). الطفولة بين الرياض والتثقيف (المجلد 1). الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
نبيل عبد الهادي. (2001). القياس والتقويم التربوي واستخدامه في مجال التدريس الصفّي (المجلد 2). عمان، الاردن: دار وائل للنشر.

وداد عبد الله الحراسيس. (2017). درجة ممارسة معلمات رياض الاطفال في الاردن للجانب الفني لمعايير الجودة الوطنية في رياض الاطفال من وجهة نظرهن. المجلة التربوية الاردنية (العدد الثاني)، صفحة 253.

مدى مشروعية اجراء التجارب الطبية في العراق

د. محمد عبد اللطيف فاضل البياتي¹

¹ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي دائرة البعثات والعلاقات الاجتماعية، العراق.

بريد الكتروني: Mohamedlith9096@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/39>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/39>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة مشروعية إجراء التجارب الطبية في العراق في ضوء قصور الإطار التشريعي الوطني عن تنظيمها تنظيمًا خاصاً ومتكاملاً. تنطلق الدراسة من أن التقدم الطبي يفرض إتاحة البحث والتجريب بوصفهما ضرورة لتطوير وسائل العلاج، مع وجوب صون الحق في السلامة الجسدية والكرامة الإنسانية. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي المقارن لنصوص الدستور والقوانين العراقية ذات الصلة (ومنها قانون المسؤولية الطبية رقم 25 لسنة 2018) والمواثيق والمعايير الدولية، مع الإفادة من اجتهادات الفقه المقارن وتجارب تشريعية كالقانون الفرنسي المنظم لحماية المشاركين في البحوث الطبية. توضح النتائج غياب قانون عراقي خاص يحدد نطاق التجارب الطبية وضوابطها، وما يترتب على ذلك من هشاشة حماية المشاركين وتذبذب الأساس القانوني للمسؤولية المدنية عند وقوع ضرر. وتخلص الدراسة إلى مجموعة ضوابط لازمة للمشروعية، تشمل: تقييم صارم للمنفعة/المخاطر، أسبقية التجارب المخبرية وعلى الحيوان، قيام التجربة على أسس علمية مثبتة وبإشراف علمي مؤسسي، موافقة حرة مستنيرة قابلة للعدول، توفير التأمين ضد المسؤولية، وإنشاء لجان أخلاقيات مستقلة. توصي الدراسة باستحداث إطار تشريعي وطني خاص بالبحوث والتجارب الطبية على الإنسان، وإنشاء هيئة وطنية مستقلة للرقابة والترخيص، وتوحيد نماذج الموافقة المستنيرة وآليات جبر الضرر، بما يحقق التوازن بين متطلبات البحث العلمي وحماية المشاركين وفقاً للمعايير الدولية.

الكلمات المفتاحية: مشروعية التجارب الطبية، السلامة الجسدية، القانون العراقي، الموافقة المستنيرة، المسؤولية المدنية، أخلاقيات البحث الطبي.

RESEARCH TITLE

The Legality of Conducting Medical Experiments in Iraq

Dr. Muhammad Abdul Latif Fadel Al Bayati¹

¹ Ministry of Higher Education and Scientific Research, Department of Scholarships and Social Relations, Iraq.

Email: Mohamedlith9096@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/39>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/39>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study examines the legality of conducting medical experiments in Iraq against the backdrop of the current absence of a dedicated, comprehensive national framework. It proceeds from the premise that medical progress requires research and experimentation as necessities for developing therapeutic methods, while simultaneously safeguarding the right to bodily integrity and human dignity. Using a comparative analytical approach to Iraqi constitutional and statutory provisions (including Medical Liability Law No. 25 of 2018) and to international norms, together with insights from comparative jurisprudence—such as the French regime for protecting human research participants—the study finds that Iraq lacks a specific statute defining the scope and conditions of medical experiments. This gap undermines participant protection and leaves civil-liability foundations uncertain when harm occurs. The study articulates core legality safeguards: rigorous benefit–risk assessment; prior laboratory and animal testing; scientifically grounded protocols under institutional oversight; free, informed, and revocable consent; mandatory liability insurance; and independent research ethics committees. It recommends enacting a national human-research law, establishing an independent regulatory authority, and standardizing consent and compensation mechanisms to balance scientific advancement with participant protection in line with international standards.

Key Words: Legality of medical experimentation; bodily integrity; Iraqi law; informed consent; civil liability; research ethics.

المقدمة

إنّ أساس مشروعية اجراء التجارب الطبية في العراق بصورة عامة هو علاج الأمراض، وإن حرية الطبيب في اختيار وسيلة علاجية معينة هي أحد المبادئ المستقرة في مهنة الطب، فالعمل الطبي مبرر في غاية أخلاقية تتجسد في الحفاظ على الصحة من خلال البحث عن وسائل حديثة لعلاج الأمراض التي تهدد الجنس البشري أو للتخفيف من معاناتها بعد أن أخفقت الطرق التقليدية في علاجها فالتجارب الطبية هي نتيجة حتمية لحرية البحث العلمي باعتبارها الوسيلة التي يرتبط بها تطور الطب، مما أدى إلى التضيق من نطاق مبدأ حرمة جسم الإنسان والحد من إطلاقته من أجل الحفاظ على الجنس البشري والإعتراف بضرورة التجارب الطبية على الإنسان وإثارة مشكلة الحفاظ على الجنس البشري والاعتراف بضرورة التجارب الطبية على الإنسان، مما أدى إلى ان تتال التجارب الطبية التي تنصب على جسم الإنسان قدرا كبيرا من الاهتمام في الأوساط الدينية والقانونية والطبية ومرجع ذلك لما لها من أهمية تتجسد في اثرها على حياة الإنسان وصحته باعتبارها ضرورة ملحة لتقدم البحث العلمي وتطوير العلوم الطبية في سبيل إيجاد العلاج للأمراض المستعصية، حيث أن التشريع العراقي بحاجة ماسة إلى إطار قانوني متكامل يُنظم التجريب الطبي على الإنسان، يُراعي الأبعاد الأخلاقية والجنائية، ويضع آليات واضحة للمساءلة والرقابة، ومن الواجب استحداث هيئة وطنية مستقلة تُشرف على البحوث الطبية، وتفعيل مبدأ الموافقة المستنيرة كشرط جوهري لمشروعية أي تجربة.

اولاً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث من الناحية القانونية، في الكشف عن تنظيم قانوني خاص ينظم عمل التجارب الطبية التي يقصد من خلالها معالجة من مرض معين، من دون النظر الى ما يمكن ان تصيبه يقيناً من اضرار كبيرة او صغيرة جراء ذلك وأن هذه الاعمال تعد استهانة بالغة بحقه في الحياة وسلامة جسمه وان من استخفاف بالجواهر والأساس الإنساني ومعصوميته، فأهمية بحث التجارب الطبية تتبع من أهميتها باعتبارها وسيلة تطور الطب وما تنثيره من مشكلات يصعب التكهّن بها في ظل غياب تشريع في العراق ينظم إجراء التجارب الطبية، مما استلزم البحث في كيفية إمكان الموازنة بين تخطي حتميتها وحماية حق الإنسان في سلامة الجسم.

ثانياً: اشكالية البحث

ان اشكالية البحث تكمن في الدافع الإنساني، فأن المريض بصورة عامة يكون هو الطرف الضعيف عادةً في عقد العلاج الطبي والتجربة الطبية عليه، من خلال وجود نوع عدم التوازن المعرفي ما بينه وما بين الطبيب ان صحت العبارة، من حيث معلومات الطبيب ومعلومات المريض حول تنفيذ عقد العلاج الطبي على حياة الإنسان مما أدى الى كثرة الانتهاكات التي يتعرض لها المريض في اغلب مجتمعاتنا وانتشار مظاهر عدم احترام إنسانية المريض وخصوصيته وكرامته أحياناً وعدم الأخذ في رأيه في بعض الحالات العلاجية كما في حالة الضرورة ونجاة حياته من الهلاك، وان عدم وجود قانون خاص تخصصي يحكم عمل الطبيب في التجارب الطبية واثارها ونتائجها من سلبية او إيجابية في العراق، دفعا لاختيار موضوع بحثنا بغية الوصول لوضع ضوابط واحكام مستقبلية تستفاد منها الأجيال القادمة خدمة للصالح العالم ودفع المخاطر الطبية عن حياة البشر.

ثالثاً: اهداف البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مشروعية التجارب الطبية، وذلك في ظل تزايد الاهتمام العالمي بتقنين البحوث الطبية، وما يرتبط بها من مخاطر قد تمس حقوق الإنسان وسلامته، وقد تناول البحث الإطار المفاهيمي للتجارب الطبية،

وبين أنواعها، وأبرز الضوابط الأخلاقية الدولية التي تنظمها، ثم حل موقف القانون العراقي الذي يفتقر إلى تشريع خاص في هذا المجال، مكتفياً بالقواعد العامة في قانون العقوبات، والتي تتسم بالقصور وعدم التخصص، فلا شك بعد هذا ان المسؤولية المدنية الناشئة عن التجارب الطبية اذ علمنا ان هذه التجارب الطبية قد تؤدي بحياة الإنسان الذي تجرى عليه او تورثه عاهات وعلاً او عجزاً جزئياً او كلياً.

كما ان التجارب الطبية التي توصل اليها العلماء من طرق ووسائل جديدة في استخدام بعضها لتحقيق هدف معين الا وهو العلاج ولكن بالمقابل ان من مكتسبات العلم الحديث طرق طبية مشكوك في نتائجها وفائدتها.

رابعاً: منهجية البحث

ان منهجية البحث مبنية على التحليل القانوني المقارن، مستنداً إلى النصوص التشريعية، والمواثيق الدولية ذات الصلة، وآراء الفقه القانوني، للوصول إلى نتائج وتوصيات من شأنها دعم جهود المشرع العراقي في تطوير مشروعية اجراء التجارب الطبية في العراق، من خلال الافكار الاستنباطية أو التحليلية، والمقارنة، وذلك من خلال دراسة قوانين العراقية، إن التجارب الطبية على الإنسان ضرورة لابد منها، كونها وسيلة تطور العلوم الطبية واكتشاف طرق العلاج المناسب للأمراض المستعصية وتطوير المعرفة الطبية، كما انها تختلف بحسب القصد منها فالتجارب العلاجية تهدف إلى تحقيق منفعة شخصية مباشرة للمريض من خلال إيجاد علاج له من مرض لا تحقق الوسائل المعروفة الشفاء منه، أما التجارب العلمية فإنها تهدف إلى الحصول على معارف جديدة وخدمة البحث العلمي.

خامساً: خطة البحث

المبحث الاول: مشروعية التجارب الطبية في العراق

المطلب الأول: التجارب الطبية والعلاجية على الجسد البشري

الفرع الاول: التجربة لغوياً واصطلاحاً

الفرع الثاني: الحدود المشروعة للتجارب الطبية

المطلب الثاني: حقوق الإنسان على جسده

الفرع الاول: التجارب الطبية العلمية المحضة

الفرع الثاني: أهمية التجربة الطبية على جسم الإنسان

المبحث الثاني: الاحكام القانونية العراقية لحق الإنسان على جسده

المطلب الأول: النطاق القانوني في التجربة الطبية

الفرع الأول: الحدود المشروعة للتجارب الطبية في العراق

الفرع الثاني: الحدود المشروعة للتجارب الطبية في ظل بقية القوانين

المطلب الثاني: الحدود الأخلاقية للتجارب الطبية

الفرع الأول: أساس مشروعية السلوك الأخلاقي في تجارب نقل وزرع الأعضاء البشرية

الفرع الثاني: الالتزام بالأسس في السلوك الأخلاقي

المبحث الاول: مشروعية التجارب الطبية في العراق

ان القانون العراقي لم يتطرق الى موضوع التجارب الطبية، من حيث ان مشروعية التجارب الطبية لضرورة علاجية في إيجاد المبرر القانوني لأجراء التجارب الطبية الا انها تجارب قصد بها العلاج كأساس لمشروعيتها القانونية، بمعنى:

أن التجربة تكون في إطار محاولة علاجية للمريض ولذلك يشترط في التجارب العلاجية، اي ان يكون للشخص مصلحة في إجراء التجربة عليه، كوسيلة لعلاج من مرض ما، ولا يوجد له علاج ودواء معروف.

وأن تكون احتمالات نجاح التجربة أكبر من احتمال فشلها، حتى لا يتحول المريض إلى مجرد حقل تجارب، وبالتالي يتوجب التجارب على الحيوان أولاً فإذا نجحت التجربة وتأكدت فاعليتها علمياً رخص تطبيقها على الإنسان.

أن تقوم التجربة على أسس علمية معترف بها رضاء الخاضع للتجارب العلاجية حراً مستتيراً⁽¹⁾

ان المبدأ العام الذي استقر عليه الفقه العلمي الطبي التجريبي أن الطبيب يملك الحرية الكاملة في اختيار طريقة المعالجة التي يعتقد أنها أفضل الطرق لعلاج مريضه، غير أن تلك الحرية يجب أن تكون مقيدة بالنظم الذي يرسمها القانون وعدم تجاوزه الاصول العلمية لمهنة الطب، وكذلك عدم تخطي الحدود لإباحة العمل الطبي، أما التجارب الطبية العلمية العلاجية فهي تجارب الهدف منها تحقيق كشف مرض بعينه، ومن ثم فقد تجرأ على متطوع سليم البدن لا تكون له مصلحة شخصية مباشرة في إجراء التجربة، ويطلق عليها الاطباء التجارب للبحث الطبي العلمي ولا تبدو فائدة التفرقة السابقة من حيث النتائج بل من حيث القصد العام الذي يثار فيه العمل، فإذا كان القصد العلاج او الشفاء للفرد فالعمل يتعلق بالعلاج التقليدي، أما إذا كان الهدف هو ملاحظة النتائج أو الآثار التي يؤدي إليها العمل من أجل مصلحة شخصية مباشرة للشخص، فإننا هنا نكون أمام تجارب طبية محضة أي تجربة غير علاجية للمقصد العام.

ومن هذا المنطلق فإن مباشرة التجارب على الجسد البشري يختلف حكمها وفقاً للتجربة وعلى اعتبار أن الجسم الإنساني يعتبر في النظر القانوني جثة للإنسان، فالاستعمال لجسم الإنسان لأغراض طبية علاجية أمر يتماشى والنصوص القانونية المعترف بها بحرية الإنسان للتصرف في جسمه.

يميل أغلب الفقه أن يرتب أوضاع ما بعد مماته حسب ما في القانون المقارن وقد تبلور هذا الاتجاه أيضاً تمليه عليه رغباته بل ومصالحة للفرد رغبة في استئصال بعض أعضائه أو أنسجة من جثته، من أجل نقلها لشخص آخر على قيد الحياة، أو الاعتراض التام على أي مساس بجثته غير أن بعض التشريعات تكتفي بالأغراض الطبية العلاجية بخصوص التصرف في جثث الموتى، ولأن الضرورات تبيح المحظورات والمحظور هنا هو التشريح في جثث الموتى وإجراء تجارب طبية علمية عليها لما في هذه المسألة من فائدة مرجوة لطب الأحياء⁽²⁾، لأنه هو السبيل لاكتشاف الاسرار والغاية من تعلم فن الطب والعمل به⁽³⁾.

المطلب الأول: التجارب الطبية والعلاجية على الجسد البشري

ان موضوع التجارب الطبية على حياة الإنسان له أهمية والخطورة البالغة كون تعلقها بالمسؤولية المدنية الذي تنشأ عن طريق التجارب الطبية وملاستها بجسم وحياة الإنسان والذي تسعى القوانين الوضعية الى ضمان وسلامة حياة الإنسان في جسده فان التطورات العلمية والطبية والتكنولوجية وكل ما يصاحبها من مشكلات ومعوقات جديدة انما تجعل

(1) حمدي عبد الرحمن، فكرة الحق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ص 54.

(2) الشاطبي: الموافقات (3/566).

(3) محمد رضا: شق بطن المرأة، بحث مقدم لمجلة البحوث الاسلامية، الدورة الرابعة (53/4).

الإنسان في موضع معقد وحساس وافراز حاجيات وضرورات هي التي تكون احوج الى التنظيم.

كما في مؤتمر (مانبلا) انعقد هذا المؤتمر بمانبلا في الفترة من (13 إلى 16/09/1981) وهو نتيجة عمل مشترك بين منظمة الأمم المتحدة ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية، وخلص إلى مشروع يضع أساس محدد للبحث العلمي في مجالات الطب وإلى أي مدى تكون التجارب على الإنسان مشروعة، وإن كان يتحتم إجراءها، فلا بد من إجراءها على الحيوانات الأقرب في تركيبها إلى جسم الإنسان مع تلافي خطورة هذه التجارب على الحيوان، كما أقر بحق الإنسان في الاحتفاظ بحرمته كيانه الجسدي وتكامله المادي والمعنوي⁽⁴⁾.

الفرع الأول: التجربة لغوياً واصطلاحاً

التجربة الطبية هي أن الشخص الذي يخضع لها، إنما يتعرض لمخاطر من الصعب حصرها أو السيطرة عليها مسبقاً، بعضها قد لا يتخيلها القائم بالتجربة نفسه، وأن العنصر الأخلاقي لدى الطبيب يلعب دوراً هاماً في إحساسه بمسؤوليته الأخلاقية إزاء التجربة الطبية أو الإحجام عنها، يضاف إلى ذلك فإن الأصول المهنية التي تفرض قيوداً مبدئياً وهو ألا تجرى التجربة الطبية إلا إذا كانت فيها مصلحة للمريض⁽⁵⁾.

التجربة: عامة وهي: مجموعة عمليات أو أفعال أو رصد، تتم من ضمن سياق حل ومسألة معينة أو تساؤل لدعم أو تكذيب فرضية أو بحث علمي يتعلق بظاهرة معينة تتحكم بها الطبيعة أو الجانب العلمي منها.

أولاً: التجربة في اللغة: التجربة في اللغة تعني المصدر اي (جرب) وتعني التجريب والاختبار مرة بعد أخرى⁽⁶⁾.

ان التجربة من جرب الشي تجريباً اي اختبره وجربه مرة بعد أخرى لإصلاح وتلافي النقص في شيء معين ليصلحه وان جمعها يكون تجارب⁽⁷⁾.

كما عرفها الزبيدي " في كتابه (تاج العروس): التجارب مفردها تجربة بالضم وتجمع ايضاً بها التجارب، يقول النابغة الى اليوم جربت كل التجارب⁽⁸⁾.

التجربة مصدر من الفعل جرب كما يقال الرجل تجربة اي اختبر⁽⁹⁾ ، كما زاد صاحب المعجم الوسيط " مرة أخرى⁽¹⁰⁾، كما يقال له جرب رجل مجرب بالكسر اي قد عرف الامور وجربها ورجل مجرب اي انه قد جربته الامور واحكمته، وعرف ما عنده، في حين قال الاعشى:

كم جربوه فما زادت تجاربهم ابا قدامة الا المجد والقنعا⁽¹¹⁾.

ومن هنا نلاحظ ان التجربة قد اتضح معناها لغوياً في العصر الحديث عما كانت عليه مسبقاً وهذا ما نلاحظه في كلام المعجم الوسيط من خلال ما تطرقنا اليه من تعاريف لغوية، وبما جاء بدقة في مراحلها، وخطواتها، ويرجع ذلك الى

(4) مرعى منصور عبد الرحيم، الجوانب الجنائية للتجارب العلمية على جسم الإنسان، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ص 147.

(5) سهير منتصر، المسؤولية المدنية عن التجارب الطبية، مصدر سابق، ص 94-95.

(6) ابراهيم انيس، معجم الوسيط، ج1، مطابع دارالمعارف، مصر، 1972، ص 119.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ص 261-262.

(8) الزبيدي، تاج العروس (153/2).

(9) المعجم الوسيط (153/2) مصطفى وغيره.

(10) لسان العرب/ ابن منظور (309/1).

(11) ابن منظور: لسان العرب (1/310)، الزبيدي: تاج العروس (154/2).

تطور المعرفة والعلم في اتساع الامكانيات.

ثانياً: ما هي التجربة- في الاصطلاح: التجربة في المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي "للتجارب الطبية على معنى واحد يمكن بيانه هو الاختيار للفرض المحدد لإثبات صحتها أو عدمها، كما فيما ذلك القياس للأمور ومعرفتها وهذا هو أصل المعنى اللغوي للتجارب ومنها التعاريف الاصطلاحية للتجربة.

حيث عرفها الدكتور: محمد دويدار⁽¹²⁾ "على انها وسيلة لجمع دلالات تظهر تأثيرا متغيرا اخر في الظروف المثالية يتناولها المجرب لتغيير المستقل، ويثبت سائر العوامل الاخرى ثم يلاحظ ما يطرأ بعد ذلك التغير المتابع".

وللشاطبي⁽¹³⁾ تعريفاً اصطلاحياً للتجربة قال " كل امر مشاهد في علم كان"

كما ان التجربة الطبية او الفنية والعلمية في مجال العلوم الحيوية والطبية في الاصطلاح تعني الانحراف بالأصول الطبية والعلمية المتعارف عليها⁽¹⁴⁾، لغرض الجمع على معطيات علمية طبية فنية او كسب معارف ومعلومات طبية حديثة تهدف الى تطوير العلوم الطبية البيولوجية الحيوية⁽¹⁵⁾.

من خلال ما تطرقنا اليه من تعاريف للتجارب في الاصطلاح يمكننا بيان تعريفها على انها: "عملية علمية للحصول على المعلومات واثباتها وصحة فروضها من خلال تناول المتغيرات في متغير واحد وتثبيت جميع العوامل الاخرى، مع ملاحظتها ما يطرأ على هذا المتغير للوصول الى نتائج معينة يمكن الاستفادة منها".

الفرع الثاني: الحدود المشروعة للتجارب الطبية

ان حدود مشروعية التجارب العلاجية في التشريعات الوضعية من هذا الجانب اختلف فقهاء القانون الوضعي بين مؤيد ومعارض حول مدى مشروعية التجارب العلاجية على جسم الإنسان، ومرد هذا الاختلاف إلى تأرجح هذه المسألة بين اعتبارين:

الاعتبار الأول: يتمثل بحرية البحث العلمي وما يقتضيه من إطلاق حرية الطبيب في إجراء التجارب العلاجية على الإنسان.

الاعتبار الثاني: حرمة الجسد البشري وما يقتضيه من وجوب احترام السلامة الصحية والبدنية للإنسان وعدم المساس بها ويمكن عرض كلا الاتجاهين بالشكل التالي:

1. الاتجاه المعارض لمشروعية التجارب العلاجية على جسم الإنسان: يمثل هذا الرأي جانب من الفقه الفرنسي والمصري، ويذهب أنصار هذا الاتجاه إلى عدم مشروعية التجارب العلاجية على الإنسان، ما لم تكن للشخص محل التجربة مصلحة شفائية مباشرة، وطبيعة التزام الطبيب في العقد الطبي⁽¹⁶⁾، ويدعم هؤلاء رأيهم أن الإباحة في أي عمل طبي لا تتحقق بمجرد رضا الشخص بل أن قصد العلاج هو احد عناصر تلك الإباحة التي لا غنى عنها لإخراج عمل الطبيب من نطاق التجريم إلى نطاق الإباحة، فضلاً ذلك فإن قانون قواعد وآداب المهن الطبية نص صراحة على أنه "لا يجوز

(12) عبد الفتاح محمد دويدار، اسس علم النفس التجريبي، دكتوراه في الفلسفة، كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، مصر 1996، ص217.

(13) عبد الله: علم النفس التجريبي، ص33، وما بعدها.

(14) عبد الله الغديان الشاطبي: شرح فصول كتاب الموافقات (1/194).

(15) محمد عبد الغريب: التجارب الطبية والعلمية وحرمة الكيان الجسدي للإنسان، دراسة مقارنة، القاهرة، مطبعة انباء وهبة حنان، ط1، 1989، ص8.

(16) أشرف رمال، الطبيعة القانونية للعقد الذي يربط الطبيب بالمستشفى، مجلة الحقوق والعلوم السياسية التابعة للجامعة اللبنانية، رقم 2020\2، ص271-283.

استعمال دواء جديد على مريض إلا بعد دراسات بيولوجية ملائمة تحت مراقبة وإشراف دقيق، ولا يكون كذلك إلا عندما يؤدي هذا إلى مصلحة مباشرة للخاضع للتجربة".

2. الاتجاه المؤيد لمشروعية التجارب العلاجية على لإنسان: يمثل أنصار هذا الاتجاه الفقه الأنجلوسكسونية، فيقر بمشروعية التجارب العلاجية على جسم الإنسان، طالما تحققت مشروعية السبب المقرون برضاء الشخص محل التجربة، رضاء يخلو من أي عيب من عيوب الإرادة وتحققت مشروعية الغاية التي هي فائدة المجتمع وتطوير الطب وأبحاثه.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان على جسده

ان رضاء المريض ليس دائماً يعتد لوصف المشروعية الطبية لتجارب الطب على فعل الطبيب طالما انه ليس سببا من اسباب الاباحة في الجرائم الماسة بالجسم البشري وحيث ان سلامة الحياة والبدن من النظام العام وحمايته أمر تقتضيه مصلحة المجتمع هناك شروطاً أساسية يلزم اتباعها للقيام بالتجربة الطبية على الجسم البشري وهي بمثابة التنظيم القانوني لممارسة التجربة على البدن⁽¹⁷⁾ وهي:

الشرط الاول: أن يكون في اجراء التجربة الطبية كسب علمي لصالح الإنسان وتقدم وسواء أكان هذا الكسب هو خلاصة البشرية من مرض علم بدلالات واضحة فتاك أو من غيره⁽¹⁸⁾.

الشرط الثاني: حصول الطبيب على رضا المريض بعد اطلاعه على أخطار فالموافقة الحرة الكاملة للشخص المعالج أو للولي أولمن له علاقة قرابة مباشرة ضرورية قبل اجراء التجربة الطبية على المريض.

الشرط الثالث: للمريض أو للأقارب حرية الرجوع عن الرضاء ومنع القائم وعلى الشخص القائم بالتجربة طبيباً بالتجربة من القيام بها أو الاستمرار فيها كان أم شركة أدوية أم مركز بحث علمي بذل العناية. **الشرط الرابع:** أن تكون الموافقة من المريض أو أقاربه مكتوبة الرضاء في صيغة شكلية كتابية، كما يلزم أن تكون الوسائل المستخدمة في التجربة الطبية اقل خطراً على حياة الشخص وسلامة بدنه وأن عواقبها غير مجهولة والواقع أن اجراء التجربة الطبية يكشف عن المساحة الضرورية لمرونة العمل الطبي بشروط ضرورية تعد من ضوابط اجراء التجارب.

الشرط الخامس: ان تجري التجربة الطبية أولاً على الحيوانات ثم على الإنسان اي ان لاتتم أولاً على جسد الإنسان مالم تكن قد خضعت للفحوص المختبرية بعد تجريبيها على الحيوانات و ظهور فرص الشفاء بصورة واضحة وان تجري على المريض لا على صحيح البدن.

الفرع الاول: التجارب الطبية العلمية المحضة

ان التجارب الطبية العلمية المحضة هي تلك الاعمال العلمية او الفنية التي يقوم بإجرائها الطبيب الباحث على مريضه او على المتطوعين من الاشخاص لغرض اجراء تجارب طبية لمعرفة أثر دواء معين ونجاح عملية جراحية معينة تعرف نتائجها من قبل، للحصول على معلومة جديدة لخدمة البشرية والطب وكذلك بهدف تطوير العلوم العلمية الحيوية المحضة الطبية بغية الوصول لنتائج تجارية علاجية تخدم المجتمع.

وتتقسم تلك التجارب إلى قسمين: بحسب الغرض والقصد منها علاج المريض وشفاءه فهي علاجية، او إن كان

(17) محمد حسنين منصور، المسؤولية المدنية لكل من الاطباء والجراحين وأطباء الاسنان والصيادلة والمستشفيات العامة والخاصة والمرضى والمرضات - موسوعة القضاء والفقه ج5، 1985، ص 52.

(18) عبدالوهاب حومد- المسؤولية الطبية الجزائية- مجلة الحقوق والشرعية 1989، ص 191.

القصد منها البحث العلمي والحصول على معارف طبية جديدة، دون أن تكون هناك مصلحة مباشرة للفرد محل التجربة من وراءها فهي تجارب طبية علاجية فهذه الأخيرة أعمال فنية وعلمية يباشرها الطبيب على جسم الشخص المريض بهدف اكتساب معارف جديدة بخصوص الوقاية من الأمراض أو المعالجة الوقائية أو العلاجية⁽¹⁹⁾.

ولا ينكر ما للتجارب الطبية بشقيها العلاجي والطبي من أثر في تطوير علم الطب والأدوية والعلوم المتقدمة، إذ بفضلها تمكن علماء الطب من القضاء على كثير من الاوبئة والأمراض التي كانت تقتك بالبشرية فتكاً ذريعاً، غير أن إطلاق إجراءاتها دون قيود وشروط قانونية تنظيمية، تحول دون المساس بمصلحة الشخص موضع التجربة في سلامته الجسدية والبدنية والعقلية وتكامله الجسدي محل نظر.

في حين ان مشروعية التجارب الطبية على جسم الإنسان أثارت جدلاً فقهيّاً تتأرجح بين مصلحتين محل اعتبار، فهناك من جهة المصلحة في إجراء التجارب الطبية لتطور الطب وخدمة الإنسانية، وتماشياً مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة في المجتمع سواء على المستوى الخارجي او المستوى الداخلي وكان من أهمها إقرار مبدأ المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنوية⁽²⁰⁾، ومن جهة أخرى هناك مصلحة الشخص في ضرورة احترام سلامته البدنية والصحية والعقلية.

في حين تعرف التجارب الطبية بانها تلك الأعمال العلمية أو الفنية التي يقوم بإجرائها الطبيب الباحث على مريضه أو على الشخص المتطوع بغية إجراء تجربة لمعرفة أثر دواء معين أو نجاح عملية جراحية معينة نتائجها من قبل، للحصول على معلومة جديدة لخدمة الطب والبشري.

الفرع الثاني: أهمية التجربة الطبية على جسم الإنسان

ان اهمية التجربة الطبية والبحث العلمي في بعض الأحوال شطحات وهفوات قد لا تصيب الهدف المرجو منها، إن التجارب الطبية على الإنسان ضرورة لأبد منها، كونها وسيلة تطور العلوم الطبية واكتشاف طرق العلاج المناسب للأمراض المستعصية وتطوير المعرفة الطبية، كما انها تختلف بحسب القصد منها فالتجارب العلاجية تهدف إلى تحقيق منفعة شخصية مباشرة للمريض من خلال إيجاد علاج له من مرض لا تحقق الوسائل المعروفة الشفاء منه، أما التجارب العلمية فإنها تهدف إلى الحصول على معارف جديدة وخدمة البحث العلمي، فأهمية بحث التجارب الطبية تنبع من أهميتها باعتبارها وسيلة تطور الطب وما تثيره من مشكلات يصعب التكهن بما في ظل غياب تشريع في العراق ينظم إجراء التجارب الطبية، مما استلزم البحث في كيفية إمكان الموازنة بين تخطي حتميتها وحماية حق الإنسان في سلامة الجسم، ومن ثم فالتجارب الطبية لها أهمية كبيرة وخطورة واسعة النطاق على حياة الإنسان في حين انها تمثل الأمل والفرحة لكثير من المرضى، كما انها تشكل في ذات الوقت خطورة على حياتهم جسدياً ونفسياً وروحياً ومن هنا لا بد من وجود ضوابط قانونية وشرعية تحمي حياة الإنسان التي قدسها الله سبحانه وتعالى وحماها، التي من خلالها هذه الضوابط تحكم التجارب الطبية.

المبحث الثاني: الاحكام القانونية العراقية لحق الإنسان على جسده

تستند الأحكام القانونية العراقية لحق الإنسان على جسده إلى الدستور وقوانين متعددة تضمن حرية الأفراد، والمساواة

(19) التجارب الطبية العلاجية واثرها على الحق في السلامة الصحية في ظل جائحة كورونا كوفيد 19.

(20) عائشة بشوش، المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي، رسالة ماجستير في القانون الجنائي والعلوم الجنائية، جامعة الجزائر، كلية الحقوق، 2001-2022، ص78-79.

أمام القانون، وحرمة الحياة الخاصة، والحقوق السياسية، والحماية من التعذيب والتمييز، تلزم هذه التشريعات الدولة باحترام كرامة المواطن وحمايتها، وتوفير ضمانات للإجراءات القضائية والإدارية العادلة، وتنظم ممارسة الحقوق المدنية.

ليس هناك ادنى شك في أن حق الإنسان في جسده من أولى وأهم الحقوق العامة الأساسية للصيقة بالإنسان فهو أعلى ما يحرص عليه الإنسان والمجتمع لان الحياة هي مصدر القوة للفرد في نشاطه الروحي والجسدي والمالي وغير المالي وأن فقدان هذا الحق يعتبر شر المصائب، لأنه فوق الالم النفسي والجسماني الذي يصاحبه ويحرم على الإنسان كل متعه ويقضي على أهم عنصر من العناصر التي تعتمد عليها ثروته ولهذا السبب دأبت الدول الى النص على هذا الحق في المبادئ الأساسية للدساتير فضلاً عن وجود المواثيق العالمية كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948، وغيرها التي نصت على هذا الحق، وان الأساس للحق وسلامته هو اقتضاء الحقوق التي هو اثنها ويستحيل استرجاعه⁽²¹⁾، أن جميع الشرائع السماوية حظرت الاعتداء على هذا الحق وبينت الجزاءات الدنيوية والاخرية على المعتدي ومعاقبته اشد العقوبات لان في الاعتداء على الحق في الحياة وان ازهاق للروح من خلق الله.

المطلب الأول: النطاق القانوني في التجربة الطبية

ان النطاق القانوني في التجارب العلاجية لضرورة علاجية لم يجد الفقه القانوني أي صعوبة في إيجاد المبرر القانوني لأجراء التجارب العلاجية الا انها تجارب قصد بها العلاج كأساس لمشروعيتها القانونية، بمعنى:

أن التجربة تكون في إطار محاولة علاجية للمريض ولذلك يشترط في التجارب العلاجية، أي ان يكون للشخص مصلحة في إجراء التجربة عليه، كوسيلة لعلاج من مرض ما، ولا يوجد له علاج ودواء معروف، وأن تكون احتمالات نجاح التجربة أكبر من احتمال فشلها، حتى لا يتحول المريض إلى مجرد حقل تجارب، وبالتالي يتوجب التجارب على الحيوان أولاً فإذا نجحت التجربة وتأكدت فاعليتها علمياً رخص تطبيقها على الإنسان، في حين أن تقوم التجربة⁽²²⁾.

ان المبدأ العام الذي استقر عليه الفقه العلمي الطبي التجاربي أن الطبيب يملك الحرية الكاملة في اختيار طريقة المعالجة التي يعتقد أنها أفضل الطرق لعلاج مريضه، غير أن تلك الحرية يجب أن تكون مقيدة بالنظم الذي يرسمها القانون وعدم تجاوزة الاصول العلمية لمهنة الطب، وكذلك عدم تخطي الحدود لإباحة العمل الطبي، أما التجارب الطبية العلمية العلاجية فهي تجارب الهدف منها تحقيق كشف مرض بعينه، ومن ثم فقد تجرى على متطوع سليم البدن لا تكون له مصلحة شخصية مباشرة في إجراء التجربة، ويطلق عليها الاطباء التجارب للبحث الطبي العلمي ولا تبدو فائدة التفرقة السابقة من حيث النتائج بل من حيث القصد العام الذي يثار فيه العمل، فإذا كان القصد العلاج او الشفاء للفرد فالعمل يتعلق بالعلاج التقليدي، أما إذا كان الهدف هو ملاحظة النتائج أو الاثار التي يؤدي إليها العمل من أجل مصلحة شخصية مباشرة للشخص، فإننا هنا نكون أمام تجارب طبية محضة أي تجربة غير علاجية للمقصد العام.

ومن هذا المنطلق فإن مباشرة التجارب على الجسد البشري يختلف حكمها وفقاً للتجربة وعلى اعتبار أن الجسم الإنساني يعتبر في النظر القانوني جثة للإنسان، فاستعمال جسم الإنسان لأغراض طبية أمر يتماشى والنصوص القانونية المعترف بها بحرية الإنسان للتصرف في جسمه.

الفرع الأول: الحدود المشروعة للتجارب الطبية في العراق

يميل أغلب الفقه أن يرتب أوضاع ما بعد مماته حسب ما في القانون المقارن وقد تبلور هذا الاتجاه أيضاً تمليه عليه

(21) بيري فارس حسين، الحقوق الشخصية وحمايتها القانونية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الموصل 2004، ص72.

(22) حمدي عبد الرحمن، فكرة الحق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ص 54.

رغبته بل ومصالحة الفرد رغبة في استئصال بعض أعضائه أو أنسجة من جثته، من أجل نقلها لشخص آخر على قيد الحياة، أو الاعتراض التام على أي مساس بجثته غير أن بعض التشريعات تكتفي بالأغراض الطبية العلاجية بخصوص التصرف في جثث الموتى، ولأن الضرورات تبيح المحظورات والمحظور هنا هو التشريح في جثث الموتى وإجراء تجارب طبية علمية عليها لما في هذه المسألة من فائدة مرجوة لطب الأحياء⁽²³⁾، لأنه هو السبيل لاكتشاف الاسرار والغاية من تعلم فن الطب والعمل به⁽²⁴⁾.

في حين ان إرساء الاحكام المتينة والمستقرة المثبتة للمسؤولية الناشئة عن هذا التصرف بوجه عام وللمسؤولية المدنية بوجه خاص بما يواكب التطورات العلمية والقانونية التي يمكن ان تتمتع قيمة حياة الإنسان وهي غايتنا لتجعل منها وسيلة للتجارب الطبية العلاجية العلمية على حياة الإنسان.

الفرع الثاني: الحدود المشروعة للتجارب الطبية في ظل بقية القوانين

لقد مرت السياسة التشريعية في فرنسا بخصوص التجارب الطبية بمرحلتين:

مرحلة سبقت صدور القانون رقم (1138/88) المتضمن حماية الأشخاص المشاركين في التجارب الطبية، ومرحلة ثانية بعد صدور هذا القانون.

ففي المرحلة الأولى: ذهب غالبية الفقه إلى القول بأن كل تجربة غير علاجية على الإنسان تعتبر غير مشروعة، وهذا بسبب غياب قانون مستقل ينظم التجارب على الإنسان، وبالتالي لم تحدد طبيعة المسؤولية المترتبة على إجراءها والجزاء عند مخالفتها، فقد كان هناك قصور تشريعي في هذه الفترة، ان صدور قانون خاص بقواعد مهنة الطب في، (1979/6/28) فمن هذه القوانين جميعاً لم ينظم المشرع الفرنسي التجارب الطبية على جسم الإنسان بنوعها، ما عدا تدخله في تنظيم التجارب الخاصة باستعمال واستخدام الأدوية الحديثة التي تجرى بمعرفة الصيادلة المتخصصين على النحو الذي يكفل حق الإنسان في سلامة جسده⁽²⁵⁾.

أما المرحلة الثانية: قد أصدر المشرع الفرنسي القانون رقم (1138/88) المتعلق بحماية الأشخاص المشاركين في التجارب الطبية المعدل بالقانون الصادر في (4 مارس 2002) المتعلق بحقوق المرضى⁽²⁶⁾.

وبصدور هذا القانون أصبح التجريب على جسد الإنسان مباحاً وجائزاً بنوعيه، وقد انتظر الكثير من الفرنسيين من أهل الاختصاص صدور هذا القانون⁽²⁷⁾.

وطبقاً للقواعد العامة التي تضمنها القانون تستمد التجربة الطبية على الإنسان شرعيتها القانونية والأخلاقية من ثلاث عناصر أساسية هي:

1 - جدوى البحث أو التجربة.

2 - وجوب توافر الأصول العلمية اللازمة لإجراء التجربة.

(23) الشاطبي: الموافقات (3/566).

(24) محمد رضا: شق بطن المرأة، بحث مقدم لمجلة البحوث الإسلامية، الدورة الرابعة (53/4).

(25) مفتاح مصباح بشير الغزالي، المسؤولية الجنائية للأطباء عن التجارب الطبية والعلمية، دراسة مقارنة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2005 ص 105.

(26) mars 2002 - Loi n° 2002-303 du 04 mars 2002, relative aux droits des malades et à la qualité du système de santé, JORF du.

(27) أشرف جابر السيد موسى، التأمين من المسؤولية المدنية للأطباء، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1999 ص 414.

3 - وجوب توفير أسباب الأمن والسلامة في المكان الذي تجري فيه التجربة⁽²⁸⁾.

وهذا ما نصت عليه صراحة المادة (1121 / 2)⁽²⁹⁾ من قانون الصحة العامة حيث جاء فيها: "لا يجوز إجراء أية تجربة على الكائن البشري":

1 - إذا لم تكن قائمة على آخر المعطيات العلمية وبشرط أن تسبقها تجارب معملية كافية.

2 - إذا كان الخطر المتوقع حدوثه للشخص الخاضع للتجربة لا يتناسب مع الفائدة المرجوة من إجراء هذه التجربة.

3 - إذا لم يكن من شأنها أن تؤدي إلى تحديث المعطيات العلمية المطبقة على الكائن البشري⁽³⁰⁾

وبالطبع فإن البحث والاختبار الواقع على الكائن البشري والذي يهدف إلى الوصول إلى معطيات ومعلومات جديدة، فإنه يدخل ضمن نطاق نص المادة المذكورة سلفاً.

ومن خلال هذه القواعد، يتضح أن المشرع الفرنسي قد استلهم تنظيمه لهذا المجال من الضوابط والمبادئ العامة المتفق عليها دولياً وإقليمياً بشأن التجارب الطبية على الإنسان، بل إن التشريع الفرنسي قد سبق الكثير من التشريعات بشأن حماية الأشخاص المشاركين في التجارب الطبية من خلال اشتراط التأمين من المسؤولية على القائم بالتجربة، وإن كان هذا الشرط يخدم بالدرجة الأولى مصلحة المسؤول عن التجربة، إلا أنه يشكل ضماناً مهماً للخاضع لها في حالة تضرره منها⁽³¹⁾.

ان الاصل في احكام التداوي المشروعية بها وذلك لحفظ النفس البشرية الذي هي احد مقاصد الكاملة مطلق⁽³²⁾.

المطلب الثاني: الحدود الأخلاقية للتجارب الطبية

ان مفهوم السلوك الإنساني والأخلاقي: هو مجموعة التعبيرات والتصرفات والتغيرات الداخلية والخارجية التي يسعى اليها الشخص التي عن طريقها يتحقق التوفيق ما بين مقومات وجوده الاطار الاجتماعي ومقتضيات العيش الإنساني، حيث ان لكل فرد منا شخصيته فمن الضروري اننا نفهم موضوعهم والافراد التي نتعامل معهم حتى نكون امام توجيه سلوكهم الصحيح تبعاً للفروقات فيما بينهم لا سيما الفردية منها، ان اتجاهات الشخص: هو ذلك الفرد ذات السلوك الذي يستخدم فيه الفرد خبراته السابقة وحاجاته وطموحاته الحالية ورغباته المستقبلية في تفسير المؤثرات البيئية، في حين طبيعة الفرد: الفرد هو ذلك الكينونة الإنسانية الذي ينفرد بمجموعة خصائص مكتسبة بالوراثة التي يتميز بها عن الاشخاص الاخرين

(28) عبد الكريم مامون، المرجع السابق، ص. 751.

(29) Art 1121-2 C.S.P.F: « Aucune recherche impliquant la personne humaine ne peut être effectuée: – si elle ne se fonde pas sur le dernier état des connaissances scientifiques et sur une expérimentation préclinique suffisante – si le risque prévisible encouru par les personnes qui se prêtent à la recherche est hors de proportion avec le bénéfice escompté pour ces personnes ou l'intérêt decette recherche – si elle ne vise pas à étendre la connaissance scientifique de l'être humain et les moyens susceptibles d'améliorer

sa condition – si la recherche impliquant la personne humaine n'a pas été conçue de telle façon que soient réduits au minimum la douleur, les désagréments, la peur et tout autre inconvénient prévisible lié à la maladie ou à la recherche, en tenant compte particulièrement du degré de maturité pour les mineurs et de la capacité de compréhension pour les majeurs hors d'état d'exprimer leur consentement.

(30) عبد الكريم مامون، المرجع السابق، ص. 751-752.

(31) Loi n° 94-653 du 29 juillet 1994 relative au respect du corps humain, JORF n° 175 du 30 juillet 1994

(32) مرعى منصور عبد الرحيم، الجوانب الجنائية للتجارب العلمية على جسم الإنسان، دارالجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011، ص. 63.

من بني الإنسان، وان للسلوك الإنساني والاخلاقي للأعمال المهنية مبادئ أساسية منها:

1. **السببية:** ان مبدأ السببية في ان السلوك الإنساني لا ينشأ من العدم وإنما ينشأ نتيجة مؤثرات مختلفة اما لربما لتغير في ظروف الشخص الذاتية او لربما متغيرات في ظروف البيئة الخارجة عن ذاته، فالتغير يحدث حالة من عدم التوازن الامر الذي يدعو الشخص لاتباع السلوك الذي يعيد له توازناته الفردية.

2. **الدافعية:** ان السلوك يكون سبباً دافعاً في القوة الأساسية للفرد التي تثير السلوك وتحدد اتجاهه قد يكون الدافع له فسيولوجياً كما في دافع الجوع او لربما يكون دافع سيكولوجياً كدافع تحقيق الذات او الانتماء والحب فهنا الدافع يكون دافع هو حالة داخلية تثير السلوك⁽³³⁾ في ظروف معينة توصله الى غاية معينة محددة، فأن الدافع يعد قوة موجهة ومحركة بنفس الوقت وهنا تجدر الإشارة الى التفرقة بين الحافز والدافع فيما بينهما، فبينما يكون الدافع داخلياً فأن الحافز يكون مثيراً خارجياً ولذلك فبالإمكان النظر الى الدافع بمعنى الحاجة التي يسعى اليها الفرد لإشباعها ويشعر بأهميتها ويدرك امكانية تحقيقها.

3. **الهدف:** ان اي سلوك انساني مهني موجه لتحقيق هدف معين او غاية معينة فكل فرد يسعى دائماً لإشباع حاجة معينة ولذلك فأن السلوك الإنساني هو سلوك هادف من اجل ان يحقق اهداف للفرد ولو شيئاً معيناً او ان يحصل على ميزة او يتفادى ضرراً لغيره او لشخصه.

وان للسلوك الإنساني الاخلاقي مقومات ومتغيرات منها:

1. الجنس والسن وخصائص الشخصية.
2. الإطار او الوسط الذي يعيشه الفرد (أسرته).
3. العوامل الخارجية او البيئة المحيطة بالفرد (المجتمع).
4. المستوى العلمي او الثقافي للفرد.

الفرع الأول: أساس مشروعية السلوك الأخلاقي في تجارب نقل وزرع الأعضاء البشرية

بالرغم ما حققته عمليات تجارب زرع الأعضاء البشرية من منافع اجتماعية وفردية إلا أنها تثير الكثير من الاختلافات في الآراء بتجاربها، التي من بينها الاختلاف الواقع بين علماء الشريعة الإسلامية، وذلك بتبيان ما يعتريها شرعاً من الحلال أو الحرمة، استناداً إلى نصوص وقواعد الدين الإسلامي، كما حاول رجال القانون مواكبة هذا التطور العلمي، ووضع في إطار قانوني يتماشى مع طبيعة هذه العمليات المعقدة وحتى يتفادى مخاطرها.

إذ يندرج ذلك ضمن المسائل الاجتهادية، إذ أن هناك اتجاه يحرم هذه (الاتجاه الاول) العمليات واتجاه يبيحها (الاتجاه الثاني).

الاتجاه الأول: الاتجاه المحرم لعمليات تجارب نقل وزرع الأعضاء البشرية

ذهب بعض فقهاء الشريعة الإسلامية إلى القول بمنع نقل الأعضاء مطلقاً، سواء كان النقل من الحي أو الميت، واستدلوا على رأيهم بمجموعة من الأدلة، منها ما هو مستمد من القرآن الكريم، وأخرى مستمدة من السنة النبوية الشريفة، ان ادلة التحريم المستمدة من القرآن الكريم الذي استدل أصحاب هذا الاتجاه الذين قالوا بعدم جواز تجربة نقل وزرع

⁽³³⁾ جلال ثروت، قانون العقوبات القسم العام، دار المطبوعات الجامعية، مصر، 2013، ص 125.

الأعضاء البشرية بمجموعة التي قد نهى الإنسان عن الإلقاء بالنفس في موطن التهلكة المتعددة، والمؤدية إلى إتلافها كلياً أو إضعافها عن أداء وظائفها المنوطة بها، ولا شك أن نزع عضو من البدن لزراعته في بدن آخر يؤدي إلى إضعاف البدن المنزوع منه أو إتلافه⁽³⁴⁾.

كما نهى عن قتل الإنسان لنفسه أو قتل غيره، سواء كان بسبب مباشر أو غير مباشر، فالنهي هنا عام لتناوله جميع الأسباب، ومن هذه الأسباب المنهي عنها أن يبرم شخص اتفاقاً مع آخر ليتبرع بجزء من جسده للآخر، فهذا حرام لا يجوز الإتفاق عليه ولا فعله⁽³⁵⁾.

إن تكريم الله للإنسان سواء كان حياً أو ميتاً، وإن نقل عضو من أعضائه هو إهدار لكرامة الإنسان الذي فضله الله على سائر المخلوقات⁽³⁶⁾.

الفرع الثاني: الالتزام بالأسس في السلوك الأخلاقي في التجارب الطبية

إن الالتزام بالأسس والابحاث العلمية والتجارب الطبية البشرية الحديثة على الإنسان والمتعلقة بالسلوك الاخلاقي، والابحاث الطبية الحيوية ذات الصبغة العلمية خارج نطاق العلاج وكذلك العمليات الجراحية التجريبية غير المسبوقة أو المغايرة للعرف الطبي للتجارب الطبية البشرية المتعارف عليه، وأن إشكالية الموازنة لمتطلبات العلمية المعاصرة في مجالات الطب والجراحة البيولوجية، وتوفير الحد الأدنى من الاحترام الواجب للجسم البشري التي واجب الحفاظ على الكرامة الإنسانية الادمية، وحقوق وضمانات الإنسان الشرعية والقانونية التي لا يجوز انتهاكها والمساس بها ولا يمكن ذلك بسن القوانين لتنظيم الاخلاقيات الطبية لتحديد القواعد القانونية والاخلاقية الاساسية التي تحكم التجارب الطبية والعلمية على الإنسان في مجال العلاج والادوية المستجدة وطرق العلاج المستحدثة، وكذلك الممارسات الجديدة الناجمة عن التقدم العلمي في ميادين الطب والبيولوجيا وعلوم الاحياء التي تطورت مع التدخلات الطبية العلمية للتجارب الوراثية البشرية التي ال تقتضيها ضرورة علاجية، التي أدت إلى تغيير تفاصيل القواعد الطبية العامة التقليدية وفكرة التجارب العلاجية أو البحث العلمي التي تشمل جثة الإنسان واضحة المعالم، بل تعني جثة كل شخص متوفى وتشمل كل جثة سواء اكان صغيراً أم كبيراً في إطار إجراء التجارب الطبية لأغراض علمية أو علاجية⁽³⁷⁾.

في حين ان من المحاذير القانونية والشرعية والاخلاقية المرتبطة بعمليات وتجارب العلاج الطبيه في التلقي قد تؤدي الى اختلاط النطف واللقاتع في انابيب، لاختبار تجربته، لا سيما مع وجود انبوب المني والاجنه المجمده التي اصبح بها فائض من البويضات الملحقه الزائده على العدد المطلوب وعلى هذا ووفقا لما اشرنا اليه سابقا فانه لا تتم عملية التلقيح الصناعي الا وفقا للشروط الشرعيه والنظاميه والاخلاقية التي يجمع الجمهور الفقهاء والقانون عليها.

(34) سطحي سعاد، نقل وزرع الأعضاء البشرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 18-19.

(35) نسرین عبد الحمید نبیه، نقل وبيع الأعضاء البشرية بین الشریعة الإسلامية والقوانين الوضعیة، دارالوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008، ص 76.

(36) مهند صلاح أحمد فتحي العزة، الحماية الجنائية للجسم البشري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2002، ص 103.

(37) العربي بلحاج، الحدود الشرعية والاخلاقية للتجارب الطبية على الإنسان في ضوء القانون الطبي الجزائري: دراسة مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 7-8.

المصادر

أولاً: المراجع العربية

1. إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج1، مطابع دار المعارف، مصر، 1972.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.
3. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ج3/566، دار المعرفة، بيروت.
4. أشرف جابر السيد موسى، التأمين من المسؤولية المدنية للأطباء، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1999.
5. أشرف رمال، "الطبيعة القانونية للعقد الذي يربط الطبيب بالمستشفى"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، الجامعة اللبنانية، العدد 2، 2020.
6. بيرك فارس حسين، الحقوق الشخصية وحمايتها القانونية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الموصل، 2004.
7. جلال ثروت، قانون العقوبات - القسم العام، دار المطبوعات الجامعية، مصر، 2013.
8. حمدي عبد الرحمن، فكرة الحق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979.
9. سطحي سعاد، نقل وزرع الأعضاء البشرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، بدون تاريخ.
10. سهير منتصر، المسؤولية المدنية عن التجارب الطبية في ضوء قواعد المسؤولية المدنية للأطباء، دار النهضة العربية، القاهرة، 2020.
11. عائشة بشوش، المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي، رسالة ماجستير في القانون الجنائي والعلوم الجنائية، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2001.
12. عبد الفتاح محمد دويدار، أسس علم النفس التجريبي، رسالة دكتوراه في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1996.
13. عبد الكريم مأمون، رضا المريض عن الأعمال الطبية والجراحية: دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2020.
14. عبد الله الغديان، شرح فصول كتاب الموافقات، ج1/194، دار المعرفة، بيروت.
15. عبد الوهاب حومد، "المسؤولية الطبية الجزائية"، مجلة الحقوق والشرعية، العدد 2، 1989.
16. العربي بلحاج، الحدود الشرعية والأخلاقية للتجارب الطبية على الإنسان في ضوء القانون الطبي الجزائري: دراسة مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
17. فتاح مصباح بشير الغزالي، المسؤولية الجنائية للأطباء عن التجارب الطبية والعلمية: دراسة مقارنة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2005.
18. محمد حسنين منصور، المسؤولية المدنية لكل من الأطباء والجراحين وأطباء الأسنان والصيدالة والمستشفيات العامة والخاصة والممرضين والممرضات، موسوعة القضاء والفقه، ج، القاهرة، 1985.

19. محمد رضا، "شق بطن المرأة"، مجلة البحوث الإسلامية، الدورة الرابعة، ص53، 1984.
20. محمد عبد الغريب، التجارب الطبية والعلمية وحرمة الكيان الجسدي للإنسان: دراسة مقارنة، القاهرة، مطبعة أنباء وهبة حنان، الطبعة الأولى، 1989.
21. مرعي منصور عبد الرحيم، الجوانب الجنائية للتجارب العلمية على جسم الإنسان، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011.
22. مهند صلاح أحمد فتحي العزة، الحماية الجنائية للجسم البشري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2002.
23. نسرين عبد الحميد نبيه، نقل وبيع الأعضاء البشرية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008.
24. نظام المجالي، شرح قانون العقوبات، الطبعة السادسة، دار الثقافة، عمان، 2017.
25. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، التجارب الطبية العلاجية وأثرها على الحق في السلامة الصحية في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19)، بحث علمي، بغداد، 2021.

ثانياً: المراجع الأجنبية

26. Art 1121-2 C.S.P.F: «Aucune recherche impliquant la personne humaine ne peut être effectuée...».
27. Loi relative au respect du corps humain, Journal Officiel de la République Française (JORF), juillet 1994.
28. Loi du mars 2002 relative aux droits des malades et à la qualité du système de santé, JORF du mars 2002.
29. Sa condition – si la recherche impliquant la personne humaine n'a pas été conçue de telle façon que soient réduits au minimum la douleur, les désagréments, la peur et tout autre inconvénient prévisible lié à la maladie ou à la recherche, en tenant compte particulièrement du degré...

عنوان البحث

الانحياز التوكيدي لدى طلبة قسم اللغة الإنكليزية (الترجمة)

أ.م.د. جبار فريح شريدة¹، جولان حسين خليل¹

¹ وزارة التعليم العالي العراقية، هيئة البحث العلمي، مركز البحوث النفسية، العراق.

بريد الكتروني: Jabbar.alami@yahoo.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/40>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/40>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مستوى الانحياز التوكيدي لدى طلبة قسم اللغة الإنكليزية (الترجمة)، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية وفق متغيري الجنس والمرحلة الدراسية. اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي، وتم تطبيق مقياس الانحياز التوكيدي الذي أعدته الدكتورة ابتسام راضي هادي (2019) والمكون من (35) فقرة على عينة مكونة من (200) طالب وطالبة من أقسام اللغة الإنكليزية بجامعة بغداد للعام الدراسي (2024-2025). أظهرت النتائج أن مستوى الانحياز التوكيدي لدى الطلبة منخفض، ويُعزى ذلك إلى طبيعتهم الاجتماعية والنفسية التي تشجع التعاون في مواجهة صعوبات تعلم اللغة الإنكليزية والتأقلم مع الثقافة الجديدة. كما لم تُظهر النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى الانحياز التوكيدي، في حين وُجدت فروق دالة إحصائية بين المراحل الدراسية الأربع لصالح طلبة المرحلة الأولى. توصلت الدراسة إلى أن الانحياز التوكيدي يمثل ظاهرة معرفية طبيعية قد تؤثر في التفكير واتخاذ القرار، لكنها قابلة للتقليل عبر تنمية التفكير النقدي والانفتاح على وجهات النظر المختلفة. أوصت الدراسة بضرورة نشر الوعي بمفهوم الانحياز التوكيدي ضمن المناهج التعليمية وتشجيع الدراسات المستقبلية التي تتناول علاقته بمتغيرات معرفية واجتماعية أخرى.

الكلمات المفتاحية: الطلبة، الانحياز التوكيدي، الترجمة، التفكير النقدي، التحيز المعرفي.

RESEARCH TITLE

Confirmation Bias among Students of the English Department (Translation)

Abstract

The present study aimed to identify the level of confirmation bias among students of the English Department (Translation) and to examine statistically significant differences according to the variables of gender and academic level. The researchers, employed a descriptive–analytical approach and applied the *Confirmation Bias Scale* prepared by Dr. *Ibtisam Radhi Hadi* (2019), consisting of 35 items, to a sample of 200 male and female students from the English Department at the University of Baghdad for the academic year 2024–2025. The results revealed that the level of confirmation bias among students was low, attributed to their social and psychological nature that promotes cooperation in overcoming the difficulties of learning English and adapting to new cultural contexts. Moreover, the findings showed no statistically significant differences between males and females in the level of confirmation bias, while significant differences were found among the four academic levels in favor of first-year students. The study concluded that confirmation bias is a natural cognitive phenomenon that may affect thinking and decision-making; however, it can be reduced through developing critical thinking and openness to diverse perspectives. The researchers recommend spreading awareness of confirmation bias within educational curricula and encouraging further studies on its relationship with other cognitive and social variables.

Key Words: Students, Confirmation Bias, Translation, Critical Thinking, Cognitive Bias.

مقدمة:

على الرغم من أن تجنب التحيز يكاد يكون مستحيلًا، إلا أنه يمكنك اتخاذ قرار واعي لتقليل أو التوقف عن إصدار أحكامك السريعة. سيساعدك هذا على تقييم الموضوعات بمزيد من المعرفة. كلما زاد الوقت الذي تقضيه في موضوع ما، أصبح تقييمك للموضوع أكمل وأفضل. على سبيل المثال، إذا قرأت فقط عنوان رسالة البريد الإلكتروني أو موضوعها، فمن المرجح أن يؤثر انحياز التأكيد على رأيك في بقية البريد الإلكتروني. (Parmley.M.C. 2006)

إذا شعرت أنك تبدأ بالحكم وتكوين الرأي حول النص بمجرد قراءة العنوان أو السطر الأول، فاحرص على إجبار نفسك على قراءة بقية النص. حاول دائمًا معرفة المزيد عن الرأي قبل الإدلاء به. قراءة المقالة أو الرسالة بأكملها يمكن أن تمنحك خلفية ومعلومات كافية لتكوين رأيك وحجتك. لذلك، فكر في جميع الأفكار وقم بتوسيع منظورك (Franzol, 2003)

لقد رأيت أشخاصًا يفسرون العالم بناءً على معتقداتهم الخاصة فقط ولا يسمحون لأنفسهم بفتح أعينهم على معتقدات أخرى. يميل هؤلاء الأشخاص إلى تأكيد الأشياء التي تتماشى مع معتقداتهم السابقة وليس لها علاقة بالواقع (Diener,et al 1989)

وهذا نوع من الضعف الإدراكي الذي يمكن أن يكون أساس الأخطاء في قراراتنا، ونطلق عليه التحيز التوكيدي (التحيز هو ما يسمى بالأخطاء غير المقصودة في فهم الواقع ويحدث بسبب ميلنا نحو قضية معينة) (Deaux & Martin, 2003)

مشكلة البحث:

إن يعاني الشخص من الانحياز التوكيدي إذا ما أخطأ في تفسير أدلة غامضة بما يوافق فرضيته الحالية، فالتدريسي يخطئ في قراءة أداء الطلبة ليدعم انطباعه الأول حولهم، وهنالك عددٌ من الناس يخطئون في قراءة ملاحظاتهم عن سلوك الفرد على وفق ما يؤكد نظرتهم غالبًا ما يكون التحيز التوكيدي غير مقصود، لكنه لا يزال من الممكن أن يؤثر على عملية صنع القرار في مجال البحث (علم النفس) وفي السياقات القانونية أو الواقعية (Gilovich, et al ,2002)

يعد الانحياز التوكيدي أحد الأخطاء الإدراكية التي تؤدي إلى دعم وقبول معلوماتنا السابقة؛ بمعنى آخر، تعطى الأولوية للمعلومات التي تؤكد معتقداتنا السابقة. مثال: التحيز التوكيدي خلال الانتخابات الرئاسية، يميل الناس إلى البحث عن المعلومات التي تصور مرشحهم المفضل بشكل إيجابي، بينما يرفضون أي معلومات تصوره بشكل سلبي. (Oswald, 2004). من المرجح أن يحدث هذا النوع من التحيز البحثي عند معالجة المعلومات المتعلقة بالموضوعات أو القيم أو المعتقدات المشحونة عاطفياً بشدة. التحيز التوكيدي هو نوع من التحيز المعرفي أو الخطأ في التفكير (Cherry 2016, Kendra), يستغرق الأمر منا وقتاً وطاقة لمعالجة جميع الحقائق المتاحة لنا، لذلك تميل أدمغتنا إلى اختيار المعلومات الأكثر اتساقاً مع معرفتنا وآرائنا السابقة. وهذا يؤدي إلى اتخاذ القرار بشكل أسرع. وكما هو واضح من التعريف، يمكن أن يكون التحيز التوكيدي واسعاً جداً ونتعامل معه في أجزاء مختلفة من حياتنا (النعمي 2012)

الاهمية:

جميعنا نحن البشر نشعر بالقلق الشديد عندما نرغب في إحداث تغيير في حياتنا واتخاذ قرار ما، ونحن نفضل ذلك بشكل عام. دعونا نبقى حيث نحن. هذا الميل هو ميل موجود لدى كل الأشخاص الطبيعيين وقد مررت به بالتأكيد (العنزي، 2001) في أغلب الأحيان، نسعى نحن البشر إلى الحفاظ على استقلالية موقفنا الجماعي وتثبيتها وتجنب القرارات التي

تخلق التغيير، وتجنبها من أجل منع الأخطاء بهذه الطريقة (عبد الرحيم، 2011) فإن الوضع الراهن أو تحيز تجنب التغيير يشجع الناس على ترتيب اختياراتهم وخياراتهم بطريقة تؤدي إلى اختيار يؤكد الوضع الراهن. ولذلك تتجه عقولنا البشرية إلى المصادر والمعلومات المألوفة لدينا. كما تعلمون فإن الوضع الراهن هو وضع ثابت والحفاظ عليه أسهل بكثير من المخاطرة والقيام بشيء جديد، وبسبب الخطأ الإدراكي وتأثير تجنب الغموض الذي ذكرناه في البداية، فإن الخيارات المعروفة أكثر بكثير جذابة بالنسبة لنا البشر من البديل غير معروف وغامض. لذلك نفضل الجلوس وعدم القيام بأي شيء. أحد العوامل التي يمكن أن تكون بمثابة محرك لهذا النوع من التحيز وتكثيفه هو الإنترنت وعالم وسائل التواصل الاجتماعي. وأشارت دراسة العاني الى وجود فروق في التحيز التاكيدي بين الذكور والاناث ولصالح الذكور (سلامة، وآخرون، 2016) عادة، يتابع الأشخاص الأخبار على شبكات مختلفة تدعم معتقداتهم ومعلوماتهم السابقة أو حتى تفسر الأخبار بطريقة تتماشى مع معتقداتهم. ونتيجة لذلك تحدث ظاهرة تعرف باسم فقاعة المرشح، وهي أحد أسباب تصاعد الانحياز التاكيدي. فقاعة التصفية هي شكل من أشكال تصفية المحتوى في الشبكات الاجتماعية التي تعرض المحتوى وفقاً لسلوك الأشخاص عبر الإنترنت وخوارزميات الإنترنت الفردية (الخيري، 2006) وهذا يعني أن كل شخص، بناءً على نتائج بحثه الشخصية، يرى أو يسمع فقط المحتوى الذي يتوافق مع معتقداته (عبد الحليم، 2011) يقع هذا الشخص في فقاعة آرائه، وبسبب الانحياز التاكيدي، عادة ما يجد نظرة أحادية البعد للقضايا والأحداث من حوله. لهذا السبب، كل شخص لديه تصورات مختلفة لمواضيع مختلفة بناءً على افتراضاتهم العقلية. وأشارت دراسة charchani, 2014 الى ان الطلاب في مرحلتها الماجستير والدكتوراه أظهروا تحيزاً تجاه اختيار المعلومات بعد ما قاموا بالبحث في الانترنت في حين أشارت دراسات أخرى الى ان تقييمات المعلمين للطلاب خالية من التحيزات (حسن، 2001).

تناولت دراسة (Christopher & Schmidt, 2019) : Hunsinger تدريب اليقظة العقلية والتحيز الضمني وقوة استجابة اتخاذ القرار، وهدفت الى تقييم الفعالية الأولية للتدريب القائم على اليقظة العقلية في تحسين اتخاذ القرار بين ضباط تنفيذ القانون وقد تم التطبيق على عينة عددها (61) ضابطاً، وقد تم تقسيمهم الى مجموعتين، مجموعة تجريبية تعرضت لبرنامج تدريبي قائم على اليقظة العقلية، ومجموعة ضابطة لم تتعرض للبرنامج، وتم اجراء القياسات بعد تطبيق البرنامج وبعد ثلاثة اشهر من انتهاء البرنامج، وأسفرت النتائج عن تخمينات في اليقظة العقلية واتخاذ القرار في المجموعة التجريبية التي تعرضت لتدريب اليقظة العقلية القائم على المرونة مقارنة بالمجموعة الضابطة (هادي، 2019).

إن إدراك ذلك سيساعدك على أن تكون أكثر حرصاً في تلقي المعلومات ونقلها. استند من آراء الآخرين واسمح لهم بالاختلاف: اجعل دائماً شخصاً في فريقك يلعب دور المنشق، حتى لو كان يختلف معك في الواقع. إن سماع الآراء المعارضة سيساعدك على اتخاذ قرارات أفضل ويظهر الأبعاد المختلفة للقضية. اسأل وافحص قراراتك المفاجئة والمتسارعة: إذا اتخذت قراراً بيقين تام وبسرعة وليس لديك مصلحة في تغييره، فاحرص على إعادة النظر في قرارك؛ لأنه في هذه الحالة، عادة ما تكون قد فكرت أو تصرفت دون وعي وبشكل غريزي. حاول أن تنظر إلى جوانب قرارك بالتفكير النقدي. (Deaux & Martin, 2003)

أهداف البحث:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- التعرف على الانحياز التوكيدي لدى طلاب قسم اللغة الانكليزية (الترجمة)

2- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانحياز التوكيدي لدى طلبة الجامعة تعزى إلى متغير الجنس؟

3- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانحياز التوكيدي لدى طلبة الجامعة تعزى إلى متغير المرحلة (الاول، الثاني، الثالث، الرابع)

حدود البحث:

طلبة قسم الترجمة المرحلة البكالوريوس من ذكور والاناث في جامعة بغداد للعام الدراسي 2024-2025

تحديد المصطلحات:

الانحياز التوكيدي

تعريف cherry (2016) "هو نوع من الانحياز المعرفي الذي يتضمن تفصيل المعلومات التي تؤكد معتقداً أو فكرة منحاز لها مسبقاً، وهويين كيف يجمع الافراد المعلومات وكيف يفسرونها بالشكل الذي يدعم الفكرة التي يميلون اليها ويتجنبون او يتجاهلون المعلومات التي تناقض ميولهم او تبتعد عنها (cherry,2016,p.1)

تعريف Davis(2008)"الالتزام بفرضية واحدة دون اختبارها بشكل مقبول او على نحو كاف دون اختبار للاحتمالات الاخرى" (Parmley.M.C. 2006)

تعريف Gilovich(2002) "هو شكل من أشكال الانحياز المعرفي وينتج اخطاء في التفكير عند فحص الادلة ذات الصلة بمعتقد معين، وغالباً ما يتم قبول المعلومات التي تتوافق مع معتقداتنا الموجودة مسبقاً في ظاهرها وتجاهل المعلومات التي تتعارض معها ويتم فحص المعتقدات الموجودة مسبقاً بشكل نقدي، فالأفراد يرون او يفسرون ما يتوقعون رؤيته او تفسيره (Gilovich et al,2002)

تعريف Oswald& Grosjean(2004) "هو الميل الى البحث وتذكر المعلومات التي تتماشى مع معتقدات المرء، ولا يستخدم الافراد استراتيجيات خادعة لتزييف البيانات، بل يستخدمون أشكالاً من المعالجة التي تتم بشكل او باخر عن غير قصد (Oswald& Grosjean,2004)

الادبيات السابقة:

التحيز التأكدي

التحيز التأكدي هو تحيز معرفي يميل فيه الأشخاص إلى البحث عن المعلومات التي تؤكد أو تدعم معتقداتهم أو قيمهم الحالية، وتفسيرها، ودعمها، وتذكرها. وبعبارة أخرى، كل ما يؤكد هو صحيح. يؤدي التحيز التأكدي إلى تجاهل الأدلة التي تشكك في معتقداتنا. (العاني, 2015, 34) هذا الخطأ المعرفي يجعل الناس يبحثون فقط عن المعلومات التي تؤكد معتقداتهم السابقة عندما يتأثر الشخص بأفكارهم كما لو كانت صحيحة تماماً مع وجهات نظرهم، وتجاهل الأدلة المتضاربة، وتفسير المعلومات الغامضة بطرق تدعم افتراضاتهم المسبقة. أن التحيز التأكدي يمكن أن يؤدي إلى اتخاذ قرارات معيبة في مختلف المجالات، مثل السياسة والمالية والعلوم، مما يساهم في الاعتماد المفرط على المعتقدات الشخصية ويمنع النظر في وجهات النظر المتعارضة.(Gilovich et al,2002)

التحيز التأكدي هو ظاهرة معرفية يبحث فيها الأشخاص بشكل طبيعي عن المعلومات التي تؤكد معتقداتهم ومعلوماتهم السابقة ويختارونها. هذه الظاهرة تجعل الناس يبحثون فقط عن المعلومات التي تؤكد معتقداتهم السابقة ويتجاهلون الأدلة التي تشكك في معتقداتهم.

يمكن أن يؤثر التحيز التأكدي على العديد من مجالات الحياة مثل اتخاذ القرار، وحل المشكلات، والعلاقات الاجتماعية،

وحتى الصحة الجسدية والعقلية. يمكن أن يخلق هذا التحيز ميلاً لتجاهل الأدلة المتضاربة والتركيز فقط على المعلومات التي تدعم آرائهم، مما يؤثر في النهاية على جودة وموضوعية قراراتهم. (Diener, et al 1989)

يمكن أن يكون للتحيز التوكيدي جوانب إيجابية وسلبية، ولكنه غالباً ما يجعل الأشخاص يبحثون فقط عن المعلومات والأدلة التي تؤكد معتقداتهم الموجودة مسبقاً ويتجاهلون المعلومات والأدلة التي تتعارض معها. هذا السلوك قد يمنع الناس من رؤية الواقع العادل والكامل ويؤدي إلى اتخاذ قرارات خاطئة وخطيرة (Parmley.M.C. 2006) إن المعلومات التي تؤكد معتقداتنا السابقة وتجاهل المعلومات التي تتعارض معها يمكن أن يجعلنا نرتكب أخطاء في كثير من الحالات عندما نحتاج إلى ذلك اتخاذ قرار أو تشخيص ويمنعنا من تحديد وفهم الآراء المعارضة. ويمكن أن تؤثر الظاهرة المعرفية أيضاً على الجوانب المهنية والتجارية، مما يعني أنهم سعوا إلى تأكيد ودعم معتقداتهم السابقة؛ ونتيجة لذلك، فإنهم لا يهتمون بالبحث عن المعلومات والحقائق الموضوعية والحقيقية. يعد التحيز التوكيدي فعالاً في الطريقة التي نجمع بها المعلومات ونستقبلها ونذكرها ويمكن أن يمنعنا من النظر إلى المواقف بموضوعية ويكون عائقاً أمام الإبداع وحل المشكلات (Deaux & Martin, 2003)

تشير الدراسات إلى أن تدريس مهارات التفكير النقدي، والبحث عن وجهات نظر متنوعة، وبدء عمليات صنع القرار على أساس واقعي محايد، يمكن أن يكون فعالاً للغاية في الحد من التحيز التوكيدي. في حالة الأزمات، عندما يتعين علينا التحقق من كمية كبيرة من المعلومات وتلف أو فقدان الموارد اللازمة للتعامل بفعالية، أو حتى أنها ليست كافية، فإن احتمالية التحيز التوكيدي تزداد في الواقع، تزيد الأزمة أيضاً من الاحتمالية من الأخطاء (Gilovich et al, 2002)

لماذا يحدث التحيز التوكيدي؟

ولكي نفهم سبب نشوء هذا التحيز، يتعين علينا أن نسأل أنفسنا لماذا نقوم بمعالجة البيانات في المقام الأول. على سبيل المثال، تخيل نفسك تنظر إلى اتجاه التغيرات في درجات الحرارة في الأيام المقبلة. ما فائدة هذه الأرقام بالنسبة لك؟ ربما تخطط للخروج يوم الجمعة وتناول وجبة طعام. لذلك فإن درجة الحرارة يوم الأحد أو الاثنين وما إلى ذلك لا تهمك. تنظر إلى هذه الأرقام للوصول إلى استنتاج حول يوم الجمعة. "يبدو أن الطقس أصبح أكثر برودة، ربما يمكننا إشعال النار وطهي الشواء في الظهيرة." نحن نهدف إلى بناء سرد واستنتاج، والبيانات الخام ليست مهمة جداً بالنسبة لنا. (هادي 2019، ص22)

ولكن أية معلومة؟ العالم مليء بالمعلومات التي نقصفنا باستمرار. ومع نمو شبكة الإنترنت وتشكل الفضاء الإلكتروني، أصبح هذا القصف المعلوماتي أكثر كثافة. ما هي البيانات التي يجب الاحتفاظ بها وما هي البيانات التي يجب تركها؟ هل لتغير سعر الصرف، كبيانات خام، علاقة بدرجة الحرارة يوم الجمعة؟ لفهم الطقس يوم الجمعة، هل يجب علينا الاهتمام أكثر باتجاه الرياح، أم يمكننا الحصول على هذه المعلومات من خلال مقارنة درجة حرارة الهواء في نفس التاريخ في السنوات السابقة؟ (Diener, et al 1989)

والحقيقة هي أن إجراء هذه الحسابات يستغرق الكثير من الوقت والطاقة، وهو ما يفعله خبراء الأرصاد الجوية بالفعل. ولكن بالنسبة لنا، في مواجهة هذا الحجم الهائل من المعلومات، فإنه ليس من الممكن معالجة وتفسير كافة البيانات لجميع المواضيع. ونتيجة لذلك، فإننا نحتاج إلى اختصارات ذهنية تسمح لنا بالوصول إلى إجابة موثوقة في وقت قصير وسريع للغاية. إن التحيز التوكيدي هو أحد هذه الاختصارات العقلية. لأن اختيار البيانات ذات الصلة والمؤكدة يجعل عملية الاستدلال أسرع وأبسط. البيانات التي تتعارض مع رأينا تستهلك الكثير من الطاقة. إنهم يجبروننا على تغيير نظريتنا أو إنشاء نظرية أخرى. وكيف يمكننا أن نعرف أن النظرية الجديدة لن تتناقض مع معلومات أخرى؟ (Cherry, Kendra 2016)

النظريات بالدراسة:

نظرية التنافر المعرفي Cognitive Dissonance Theory

في عام 1957 نشر (Leon Festinger) كتابه الشهير عن "نظرية التنافر المعرفي"، إذ تعدّ هذه النظرية ضمن نظريات خفض التوتر، ووفقاً لما أثّره (Festinger)، يشير التنافر المعرفي إلى حالة التوتر التي تنشأ عندما تصبح أثنان أو أكثر من المعارف التي نتبناها غير متسقة بعضها مع بعض، أو في حالة صراع بعضها مع بعض، وذلك مثل الجمع بين معلومتين "أنا أدخن"، و"أنا أريد أن تكون حياتي صحية" عندما يتولد عن مثل هذه المعارف درجة من التوتر، فإن الأفراد يُدفعون إلى خفض هذا التوتر الذي حدث نتيجة التنافر المعرفي (Cherry, Kendra, 2016)

عرّف (Festinger) التنافر المعرفي بأنه "حالة تتضمن انشغال الفرد ذهنياً بموضوعين، أو معتقدين، أو فكرتين تحتلان الأهمية ذاتها، ألاّ أنهما متناقضتان في طبيعتهما (4). ويشير مفهوم التنافر المعرفي إلى حالة من التعارض والتناقض بين ما يعتقد الشخص وما يصدر عنه من سلوك، ويحدث نتيجة لذلك أحساس الشخص بعدم الارتياح، وهذا اختلال في التوازن الداخلي، وعليه يسعى إلى استعادة توازنه ليحدث اتساق بين سلوكه وما يؤمن به من أفكار (هادي, 2019, ص22) وبهدف الوصول إلى حالة الاتساق فإنّ الأمر يستوجب الابتعاد عن المواقف أو المعلومات التي من شأنها أن تستثير التنازع (Franzoi, Stephen , 2003)

ويستند التنافر المعرفي إلى ثلاث مسلمات هي: أنّ الفرد لديه معتقد يفضلّه أكثر من الآخر، وأنّ الفرد لديه سيطرة كافية على معتقده، وأنّ المعتقد الذي تمت الاستعانة به مرة واحدة يبقى صالحاً ومستمراً على مرّ الزمان (سلامة وغباري, 2016, ص31) ومن ثم لا ينفك الشخص عن تأييد أو تأكيد آرائه ومعتقداته من أجل أن يقلل من التوتر الذي يحدث نتيجة للتنافر المعرفي الذي يحصل بين المعرفة، والاتجاه، والآراء (العاني, 2015)

نظرية المعالجة المعرفية:

نظرية المعالجة المعرفية (CIP) لها أهمية كبيرة في حل المشكلات واتخاذ القرار. ويتضح هذا الأمر من خلال هرم مجالات معالجة المعلومات، ويتضمن قاعدة الهرم ما يعرفه العملاء عن أنفسهم وعن خياراتهم، فهو يمثل مدخلات لمجموعة معلومات متاحة عن الذات وعن الاختبارات الخاصة بالموضوع وما يحتاج الأفراد إلى معرفته أثناء محاولتهم حل المشكلات واتخاذ القرارات، مثل معرفة الذات (القيم والاهتمامات والمهارات) والخيارات (مثل المهن وبرامج الدراسة والوظائف) والمستوى المتوسط للهرم هو العملية التي قد يستخدمها العملاء عادة في حل المشكلات المهمة، ويهتم بمهارات اتخاذ القرار وكيفية اتخاذه وتهتم قمة الهرم بكيفية تأثير التفكير على الطريقة التي يحل بها العملاء المشكلات ومهارات ما وراء المعرفة (الحديث الذاتي والوعي الذاتي، والمراقبة والتحكم في اتخاذ القرار) وفهم كيفية تأثير الأفكار على القرارات، ومن ثم يقع مجال المعالجة التنفيذية في أعلى الهرم (Sampson et al, 1999)

وتعتبر نظرية المعالجة المعرفية العامل المشترك بين اتخاذ القرار والانحياز التأكيدي: لأنها فسرت حدوث العمليتين في ضوء معالجة المعلومات

وتقع مهارات ما وراء المعرفة (الحديث الذاتي، والوعي الذاتي، والمراقبة والتحكم) في أعلى الهرم، ولها دور كبير في اتخاذ القرار، والوعي الذاتي يكمن في أن من يحلون المشكلات بشكل فعال يدركون أنفسهم أثناء قيامهم بمهمة ما، ويشمل الوعي الذاتي الفعال الوعي بالتفاعل بين الأفكار والسلوكيات، وخاصة التأثير المدمر للحديث الذاتي بأنه المحادثات الصامتة التي يجريها العملاء مع أنفسهم حول قدرتهم الماضية والحاضرة والمستقبلية على إكمال مهمة محددة، ويمكن أن يساعد الحديث

الذاتي الايجابي الافراد على البقاء متحمسين ,والبحت بنشاط عن معلومات التوظيف اللازمة لاتخاذ القرار ,والاستمرار في التركيز على اتخاذ اختيار جيد للتوظيف ,وتجنب تشتيت انتباههم .والتفكير بوضوح وواقعية ,ويؤثر الحديث الذاتي السلبي على تصورات الافراد لقدراتهم (Parmley.M.C. 2006)

إجراءات البحث:

مجتمع وعينة البحث:

يتكون مجتمع البحث من طلبة الجامعة اقسام الترجمة اللغة الانكليزي من محافظة بغداد للعام الدراسي (2024-2025) وقد اختار الباحث عينة (200) طالب وطالبة موزعين حسب المراحل الدراسية والجدول ادناه يوضح ذلك

جدول رقم(1)

المرحلة	الجنس	العدد
الاولى	ذكور	25
	اناث	25
الثانية	ذكور	25
	اناث	25
الثالثة	ذكور	25
	اناث	25
الرابعة	ذكور	25
	اناث	25
المجموع الكلي		200

الاداة:

اعتمد الباحث على مقياس الانحياز التأكيدي المعد من قبل الباحثة الدكتورة ابتسام راضي هادي سنة(2018-2019) المكون من (35) فقرة وخمس اوزان وهي (أوافق بشدة، أوافق، أوافق نوعا ما، أرفض، أرفض بشدة) (هادي 2019,ص22)

الصدق (Validity): يعد الصدق مؤشراً على مدى قدرة الفقرات لقياس المفهوم نفسه الذي يقيسه الاختبار (, Kroll 1960: p.426). وقد تحقق في المقياس الحالي عدة أنواع من الصدق وهي:

أ. صدق المحتوى (Content Validity): هناك نوعان من هذا الصدق، هما الصدق المنطقي والصدق الظاهري (Nunnally , 1978: p.111).

ب. الصدق الظاهري (Face Validity): وقد تحقق عند عرض فقرات المقياس البالغة (35) فقرة على (10) خبيراً في مجال علم النفس والتربية، وكما تم ذكره سابقاً.

ثانياً: الثبات (Reliability): يشير مصطلح الثبات إلى الدقة والاتساق في أداء الفرد ويعني أيضاً الاستقرار في النتائج عبر الزمن، فالثبات يعطي النتائج نفسها إذا طبق على المجموعة نفسها مرة ثانية (Bergman , 1974: p.155). ونعني به التوصل إلى النتائج نفسها عند تطبيق الاختبار في مدتين مختلفتين وفي حدود زمن يتراوح أسبوع وأسبوعين في الغالب (داود وعبد الرحمن، 1990: ص 122)، ولقد استخرج الثبات لمقياس التناظر المعرفي بطريقتين هما:

طريقة إعادة الاختبار (Test – Retest Method): ويقصد به تطبيق الاختبار على عدد محدد من الافراد، ثم تكرار تطبيق الاختبار على الافراد أنفسهم بعد مدة زمنية محددة، وتحسب درجات المفحوصين على الاختبار في المرة الأولى وفي المرة الثانية، ثم يحسب معامل الارتباط بين درجاتهم في المراتين، فاذا كان معامل الارتباط عالياً أمكن القول إن الاختبار يتمتع بدرجة ثبات مناسبة (عبيدات وآخرون، 1996: ص 155) ويسمى معامل الارتباط المستخرج بمعامل الاستقرار (الشايب، 2009: ص 105)، ولإيجاد ثبات مقياس التفاضل المعرفي بطريقة إعادة الاختبار قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة مكونة من (40) طال وطالبة من طلبة المرحلة البكلوريوس قسم الانكليزي (الترجمة)، تم اختيارهم بصورة عشوائية بسيطة، وبعد مرور أسبوعين من التطبيق الأول تم إعادة التطبيق على العينة نفسها، وقد استعمل معامل ارتباط بيرسون بين درجات التطبيق الأول والتطبيق الثاني، إذ بلغ معامل الثبات (0,86) إذ تشير النتيجة إلى معامل استقرار دال إحصائياً، وهذا يدل على أن المقياس يتمتع بالثبات

الوسائل الإحصائية:

باستخدام برنامج spss

1- T-test

2- اختبار بيرسون

3- One –way anove

النتائج وتفسيرها:

الهدف الاول : تحديد مستوى الانحياز التوكيدي لدى طلاب قسم الانكليزية

جدول رقم (2)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى الدلالة
200	96.7650	6.51398	105	المحسوبة	الجدولية	غير دال
				17.879-	1.96	

يوضح الجدول اعلاه نتائج الهدف الاول التي توصل اليها الباحث ووجد ان الانحياز التأكيدي منخفض لدى الطلبة ويعزى السبب الى ان الطبيعة النفسية الاجتماعية لدى الطلبة تجعلهم يتكاثفون فيما بينهم من اجل التغلب على الصعوبات تعلم اللغة الانكليزية ومواجهة الثقافة الجديدة مما يؤدي الى انخفاض الانحياز لديهم وتتابق هذه النتيجة مع دراسة (2006)

Parmley

الهدف الثاني : هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانحياز التوكيدي لدى طلبة الجامعة تعزى إلى متغير الجنس؟

جدول رقم (3)

الجنس	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى الدلالة
ذكور	100	97.4000	5.94079	المحسوبة	الجدولية	غير دال
أناث	100	96.1300	7.01320	1.382	1.96	

تتفق هذه النتيجة مع دراسة العاني (2015) في عدم وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في متغير الانحياز التوكيدي ولصالح الذكور وكما موضح في الجدول اعلاء

الهدف الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانحياز التوكيدي لدى طلبة الجامعة تعزى إلى متغير المرحلة (الأول, الثاني, الثالث, الرابع)

المرحلة	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة الفائية		مستوى الدلالة
				المحسوبية	الجدولية	
الأولى	50	97.3200	7.00565	481	1.96	دال
الثانية	50	95.9412	5.47508			
الثالثة	50	97.2245	6.77392			
الرابعة	50	96.6000	6.81535			
المجموع الكلي	200	96.7650	6.51398			

الجدول(4) اعلاء يوضح فروق دالة إحصائية بين المراحل الاربعة والصالح المرحلة الاولى في قسم اللغة الانكليزية وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (2014) charghani الى وجود تحيز تأكيدي مع المراحل المختلفة دراسياً

مناقشة:

لذلك، يجب علينا أن نتقبل أننا جميعاً نواجه التحيز التأكيدي في مواقف مختلفة، وهذه ظاهرة طبيعية. ولكن هذا لا يعني أنه لا ينبغي التغلب عليها. ومن خلال التعرف على علامات التحيز التأكيدي والعمل على تجنبه، يمكننا توسيع منظورنا والاستماع إلى آراء الآخرين وفهمها. بهذا، يمكننا فحص المواقف المختلفة من جوانب مختلفة وليس فقط الإصرار على اعتقادنا القديم.

يمكن أن يؤدي التحيز التأكيدي إلى تمسك الأشخاص بقوة بمعتقدات خاطئة أو إعطاء أهمية أكبر للمعلومات التي تدعم معتقداتهم بدلاً من الأدلة. قد يصبح الناس مفرطي الثقة في معتقداتهم لأنهم يجمعون الأدلة لدعمها وإثباتها؛ حتى لو كثرت الأدلة التي تدحض معتقداتهم. في تصميم تجربة المستخدم، يمكن أن يؤثر التحيز التأكيدي على القدرة على الحكم على المستخدمين والتعاطف معهم، ويؤدي إلى دراسات بحثية سيئة، وفي النهاية يتسبب في سوء تفسير نتائج تعليقات المستخدمين. من خلال فهم كيفية تأثير تحيز التأكيد على مخرجات الباحث واستجابات المستخدم، يمكن لمحترفي تجربة المستخدم استخدام أساليب عملية لجمع بيانات قابلة للتنفيذ تؤدي إلى منتجات مصممة جيداً.

التوصيات والمقترحات:

- 1- نشر ثقافة التحيز التاكيدي بين افراد المجتمع لكي يتغلب عليها في المواقف الاخرى
- 2- تسليط الضوء على التحيز التاكيدي في المنهج الدراسي
- 3- اجراء دراسات مع متغيرات اخرى تتفع المجتمع
- 4- اجراء دراسات عن مدى الوعي بالتحيز الادراكي لدى طلبة الجامعات

المصادر:

- 1- العاني، ذر منير مسيهر (2015) :الانحياز المعرفي والانحياز التأكدي وعلاقتهما بالتفكير الجمعي، جامعة بغداد، كلية الآداب، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- 2- هادي، ابتسام راضي (2019) الانحياز التأكدي وعلاقته بالثقة بالنفس لدى اساتذة كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية
- 3- حسن، محمود شمال(2001) :مدخل الى سيكولوجية الفرد والمجتمع ،الطبعة الاولى ، القاهرة :دار الافاق
- 4- عبد الحليم ،محمد سيد(2011) : مهارات التفكير الجمعي لدى طلاب المرحلة الثانوية ،جامعة عين الشمس ،كلية التربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة
- 5- الخيري، اروة محمد ربيع (2006) : أثر المرحلة العمرية والتسلسل الولادي في نمو الشخصية الضمنية، مجلة العلوم النفسية، جامعة بغداد، العدد 10 .
- 6- سلامة، ثريا عبد الحميد وغباري، ثائر احمد (2016) :التنافر المعرفي والمسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة الهاشمية في ضوء متغيري النوع الاجتماعي والكلية، المجلة الاردنية في العلوم التربوية، مج 12، ع 1، ص 31
- 7- عبد الرحيم، محمد سيد (2011) : مهارات التفكير الجمعي لدى طلاب المرحلة الثانوية، جامعة عين شمس، كلية التربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- 8- العنزي،فريج(2001) :الشعور بالسعادة وعلاقته ببعض السمات الشخصية،مجلة دراسات نفسية،القاهرة .
- 9- النعيمي، محمد (2012) الذكاء العاطفي في الاسرة،دار الفكر،دمشق فريزر، كوان وآخرون : علم النفس الاجتماعي، ترجمة فارس حلمي، الطبعة الاولى، عمان، دار المسيرة

References:

- 1- Cherry,Kendra (2016) what is a confirmation bias? Examples and Observations.<http://www.verewell.com> .
- 2- Oswald, M. E., & Grosjean, S. (2004). Confirmation bias. Cognitive illusions: A handbook on fallacies and biases in thinking,judgment and memory, 79.
- 3- Gilovich, T., Griffin, D., & Kahneman, D. (Eds.). (2002). Heuristics and biases: The psychology of intuitive judgment. Cambridge university press.
- 4- Deaux,k. & Martin,D. (2003) Inter personal Networks and social categories: specifying Levels of context in identity processes. Social psychology quarterly,(66),(2),pp.101-102.
- 5- Diener,E., Emmons,R.A., Larsen, R.&Griffin, S(1989):the satisfaction with life scale. Journal of personality Assessment.N.49.
- 6- Franzol, Stephen (2003):social psychology library of congress cataloging in public
- 7- Parmley.M.C.(2006) .the effects of the comfirmation bias on diagnostic decision making .Drexel Uniersity.

عنوان البحث

**دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق: دراسة تحليلية
للفترة 2017-2022**

قاسم محمد عبدالله¹، أ.د. مصطفى نجم البشاري¹، د. زهير احمد علي¹

¹ كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/41>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/41>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق خلال الفترة 2017-2022، من خلال دراسة العلاقة بين معدلات نمو النفقات العامة والإيرادات وتأثيرها على الناتج المحلي الإجمالي. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع البيانات من مص ادر رسمية كوزارة المالية ووزارة التخطيط، وتحليلها باستخدام برنامج EViews. شملت التحليلات الإحصائية اختبار الارتباط وتحليل العلاقات السببية، إضافة إلى تطبيق نموذج العتبة (Threshold Regression Model) لتحديد النقاط التي تتغير عندها طبيعة العلاقة بين المتغيرات. توصلت النتائج إلى وجود تقلبات واضحة في معدلات نمو النفقات والإيرادات والناتج المحلي، تعكس هشاشة الأداء الاقتصادي واعتماده الكبير على إيرادات النفط. كما أثبتت الدراسة وجود علاقة سببية أحادية الاتجاه من النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي، مما يؤكد أهمية الإنفاق الحكومي في تحفيز النمو، وفقاً للنظرية الكينزية. كما وجدت علاقة سببية من الإيرادات العامة إلى الناتج المحلي، رغم أن الاعتماد على الإيرادات النفطية يحد من مساهمة القطاعات غير النفطية. وأظهرت الدراسة أيضاً وجود علاقات غير خطية بين المتغيرات، مما يشير إلى أن تأثيرها يختلف بحسب مستوى النمو والإنفاق.

الكلمات المفتاحية: الإيرادات، النفقات، الموازنة الاتحادية، نمو الناتج المحلي الإجمالي، العراق.

RESEARCH TITLE

The Role of Fiscal Policy in Achieving Economic Development in Iraq: An Analytical Study for the Period 2017–2022

Abstract

This study aimed to analyze the role of fiscal policy in achieving economic development in Iraq during the period 2017–2022 by examining the relationship between the growth rates of public expenditures and revenues and their impact on the gross domestic product (GDP). The study adopted a descriptive-analytical approach, collecting data from official sources such as the Ministry of Finance and the Ministry of Planning, and analyzing it using the **EViews** software. The statistical analyses included correlation testing, causal relationship analysis, and the application of a **Threshold Regression Model** to identify the points at which the nature of the relationship between variables changes. The results revealed significant fluctuations in the growth rates of expenditures, revenues, and GDP, reflecting the fragility of economic performance and its heavy dependence on oil revenues. The study also demonstrated a **unidirectional causal relationship** from public expenditures to GDP, confirming the importance of government spending in stimulating growth in accordance with **Keynesian theory**. Moreover, a causal relationship was found from public revenues to GDP, although dependence on oil revenues limits the contribution of non-oil sectors. The study further indicated the presence of **nonlinear relationships** among the variables, suggesting that their effects vary according to the levels of growth and expenditure.

Key Words: Revenues, Expenditures, Federal Budget, GDP Growth, Iraq.

أولاً: المقدمة:

شهدت الموازنة العامة في العراق خلال الفترة من 2017 إلى 2022 تحولات كبيرة نتيجة للتغيرات الاقتصادية والسياسية التي أثرت على استقرار الاقتصاد الكلي. تزامنت هذه الفترة مع تحديات مثل تقلبات أسعار النفط، التوترات السياسية، والضغوط المالية المتزايدة، بالإضافة إلى الفرص التي وفّرتها بعض فترات الاستقرار النسبي في أسعار النفط والإيرادات العامة.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر أدوات السياسة المالية، ممثلة في النفقات والإيرادات الحكومية، على تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق خلال الفترة المذكورة. تُعد السياسة المالية من أهم أدوات الدولة في توجيه الاقتصاد نحو النمو المستدام، ويُقاس نجاحها بقدرتها على تحفيز الناتج المحلي الإجمالي وتحقيق استقرار اقتصادي.

تركز الدراسة على تحليل العلاقة بين نمو النفقات والإيرادات العامة وتأثيرها على الناتج المحلي الإجمالي، من خلال استخدام أدوات تحليلية مثل نموذج الانحدار، ونموذج العتبة (Threshold Regression) للكشف عن التأثيرات غير الخطية المحتملة.

ثانياً: مشكلة البحث

يُعاني الاقتصاد العراقي من مشكلات هيكلية مزمنة، أهمها:

- الاعتماد الكبير على الإيرادات النفطية.

- ضعف تنويع مصادر الدخل.

- تركّز الإنفاق العام في النفقات الجارية مقابل انخفاض الإنفاق الاستثماري.

- هشاشة البنية التحتية وغياب بيئة اقتصادية مستقرة تشجع القطاع الخاص.

رغم ارتفاع معدلات النمو في الإنفاق والإيرادات خلال بعض السنوات، إلا أن أثرها على التنمية الاقتصادية لا يزال موضع جدل. لذا تُطرح الإشكالية الأساسية:

"إلى أي مدى تُسهم السياسة المالية، ممثلةً في نمو النفقات والإيرادات العامة، في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق خلال الفترة 2017-2022؟"

ثالثاً: أسئلة البحث

1. ما هو أثر زيادة معدلات نمو النفقات والإيرادات على تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق خلال الفترة 2017-2022؟

2. هل توجد عتبات معينة تؤثر على طبيعة العلاقة بين السياسة المالية والنمو الاقتصادي؟

3. ما هي العوامل المؤثرة في فعالية السياسة المالية في دعم التنمية الاقتصادية؟

4. ما التوصيات المناسبة لصياغة سياسة مالية أكثر فاعلية واستدامة في العراق؟

رابعاً: أهداف البحث

1. تحليل أثر التغيرات في الإنفاق العام والإيرادات على نمو الناتج المحلي الإجمالي.

2. دراسة ما إذا كانت هناك مستويات حرجية (Thresholds) لتغير معدلات النمو في النفقات أو الإيرادات تؤثر على فعالية السياسة المالية.

3. فحص دور العوامل الاقتصادية (أسعار النفط، التضخم، البطالة) في تشكيل أثر السياسة المالية.
4. تقديم توصيات عملية لصياغة سياسة مالية تساهم في تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة.

خامساً: أهمية البحث

الأهمية العلمية:

- يساهم في الأدبيات الاقتصادية بتحليل معمق للسياسة المالية في سياق اقتصاد ريعي مثل العراق.
- يُعزز من فهم العلاقة بين مكونات الموازنة العامة والنمو الاقتصادي.
- يوفر إطاراً نظرياً وتطبيقياً لتحليل فعالية أدوات السياسة المالية في بيئات اقتصادية مضطربة.

الأهمية العملية:

- يقدم رؤية لصنّاع القرار حول كيفية استخدام الموازنة كأداة لتحقيق التنمية.
- يساعد في صياغة سياسات مالية قائمة على البيانات والتحليل بدلاً من التخمين.
- يدعم تطوير استراتيجيات لضمان استقرار الموازنة وتنويع مصادر الإيرادات.

سادساً: فرضيات البحث

الفرضية العدمية الرئيسية:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأدوات السياسة المالية (نمو النفقات والإيرادات) على التنمية الاقتصادية في العراق.

الفرضية البديلة الرئيسية:

- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأدوات السياسة المالية على التنمية الاقتصادية.

الفرضيات الفرعية:

1. لا يوجد أثر للنفقات العامة على نمو الناتج المحلي الإجمالي / يوجد أثر.
2. لا يوجد أثر للإيرادات العامة على نمو الناتج المحلي الإجمالي / يوجد أثر.

سابعاً: متغيرات البحث

المتغيرات المستقلة:

- معدل نمو النفقات العامة.
- معدل نمو الإيرادات العامة.

المتغير التابع:

- معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي (GDP)

المتغيرات الضابطة (للتحكم والتحليل):

- أسعار النفط.

- التضخم.

- البطالة.

ثامناً: حدود البحث

- الموضوعية: تحليل العلاقة بين السياسة المالية والنمو الاقتصادي.

- المكانية: جمهورية العراق.

- الزمانية: من عام 2017 إلى 2022.

تاسعاً: منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، باستخدام البيانات الكمية التاريخية المتعلقة بالنفقات والإيرادات العامة والنتائج المحلي الإجمالي.

- مصادر البيانات: وزارة المالية، وزارة التخطيط، البنك المركزي، IMF.

- أدوات التحليل:

- تحليل وصفي باستخدام EViews

- اختبارات الثبات (ADF)

- نموذج الانحدار الخطي المتعدد.

- نموذج العتبة (Threshold Regression) للكشف عن العلاقات غير الخطية.

- اختبار الارتباط الذاتي وارتباط المتغيرات.

عينة ومجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث من البيانات السنوية الكلية للموازنة العامة والنتائج المحلي الإجمالي في العراق خلال الفترة 2017-2022.

- العينة: بيانات سنوية منتظمة تشمل:

- النفقات العامة.

- الإيرادات العامة.

- الناتج المحلي الإجمالي.

- المؤشرات الاقتصادية المساندة.

أدبيات الورقة

مفهوم الموازنة العامة العراقية

تعد الموازنة العامة للدولة الأداة الرئيسة لتنفيذ سياستها الاقتصادية والمالية ، فهي تحدد كيفية الحصول على الإيرادات وأوجه استخدامها بما يكفل تنظيم الإنفاق الحكومي، وتحقيق الاستغلال الأمثل للموارد المالية. ويعتمد نظام الموازنة التقليدية (موازنة البنود) على اعتماد الإنفاق دون الاهتمام بالنتائج المخرجات الفعلية (السلع والخدمات) والآثار الناتجة عنها ، وما يترتب عليه من الضعف في المساءلة عن الفعالية في التنفيذ ، وعدم منح المديرين المرونة والسلطة الكافية للإفادة من قدراتهم وإمكاناتهم في التطوير و التحديث، مما يجعل استخدامها كأداة إنفاق وليس كأداة إدارة، وأمام هذه التحديات فقد أصبح الأسلوب التقليدي في إعداد الموازنة لا يتوافق مع وظائف الموازنة الحديثة للدولة ، ولا مع أهداف التخطيط مما اضطر الكثير من دول العالم إلى التحول من هذا الأسلوب موازنة البنود، إلى أسلوب موازنة الأداء إذ كانت الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمة الدول التي سارت في هذا الطريق (العامري والموسوي ، 2018، ص 1).

وهي نظام اتحادي يقوم على أساس اتحاد مجموعة من الوحدات أو الأقاليم أو الدويلات المنفصلة في إطار نظام سياسي تتم فيه عملية تنظيم المشاركة في السلطة وتوزيع الصلاحيات بين المركز والوحدات، أو ربما يقوم النظام الاتحادي نتيجة تحول دولة بسيطة موحدة إلى دولة اتحادية لتحقيق المزيد من المشاركة وتوزيع الصلاحيات، وتوزيع الثروات بين المركز والوحدات، وهو ما حصل في العراق (عزيز، 2010، ص 147).

وعرفها القانون الفرنسي بأنها "الصياغة التشريعية التي تقدر بموجبها أعباء الدولة وإيراداتها، ويؤذن بها ويقررها البرلمان في قانون الموازنة الذي يعبر عن أهداف الحكومة الاقتصادية المالية (أبو عناني وبن الديب، 2022، ص 32).

أيضاً يشير (عبد الله وهادي، 2017، ص 112) إلى أنها تمثل خطة الدولة بخصوص نفقاتها والإيرادات التي تحصل عليها لتمويل هذه النفقات وتعد أداة مهمة من أجل توجيه موارد المجتمع وإمكاناته لتحقيق أهدافه من خلال قيام الدولة بتوجيه واستخدام هذه الموارد. وهذه الأهداف تعبر عن خيارات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهي أداة اجتماعية حيث يمكن من خلالها إعادة توزيع الدخل من خلال رفع الضرائب على الدخل المرتفعة مقابل تقديم خدمات تعليمية لذي الدخل المحدود، وهي أداة لحماية الصناعة المحلية فمن خلال فرض الضرائب على المنتجات والخدمات التي لها مثل محلي، وللموازنة أهمية من الناحية السياسية فهي انعكاس لبرنامج عمل الحكومة خلال مدة محددة من الزمن وأنها تترجم خطة الدولة السياسية إلى أرقام هي إلى جانب ذلك أذن تمنحه السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية بالإنفاق والجباية.

ويعرف (شتيح و زرو، 2022، ص 15) الموازنة حجم الإيرادات والمصروفات النهائية السنوية لدولة ما.

وأشار (Raju، Rathnam، 2014) بأنها طريقة فنية للتخطيط هدفها الرئيسي ترشيد عملية صناعة السياسة من خلال توفير معلومات وبيانات ذات صلة بالتكاليف والمنافع للبدائل المختلفة.

أهمية الموازنة العامة العراقية

تعد الموازنة العامة وسيلة من الوسائل الفعالة في تنفيذ السياسة المالية والتي تستخدمها معظم دول العالم لمعرفة وضعها المالي، كما تسعى إلى تحقيق التوازن الاقتصادي في موازنتها بغية معالجة مشكلة التوسع الارتجالي الكبير في الإنفاق الحكومي والذي أدى إلى حدوث اختلالات كبيرة في الموازنة العامة وصولاً إلى حدوث العجز فيها، ونوع الموازنة

المستخدمة في العراق موازنة بنود ذات تخصيصات محددة، و قد حظيت مسألة خفض الإنفاق تحديداً باهتمام واسع باعتبارها قضية أساسية ومهمة تمكن الدولة من خفض وترشيد الإنفاق في الموازنة العامة ، وتأتي هذه الأهمية من خلال إيجاد حلول باستخدام أساليب وأدوات الهندسة المالية للمشاكل المالية ومواجهة مخاطر التوسع بالإنفاق وقمة مصادر التمويل في الموازنة وإدارتها بالشكل الذي يحقق أهدافها المرجوة ، والتي من الممكن أن تتحقق من خلال اتباع أساليب الهندسة المالية على النظام الحكومي في العراق، وإيجاد ابتكارات تخفض الإنفاق وتحقق عوائد تسمح للقطاع الحكومي بالبقاء والاستمرارية ومواجهة المشاكل المالية من خلال أدوات الهندسة المالية ، والذي يسهم في تحقيق الاستخدام الأفضل للموارد المتاحة وتخفيض العجز الحكومي من أجل تحقيق التوازن الاقتصادي وتحقيق الاستقرار المالي وتحفيز زيادة النمو الاقتصادي مما يساعد على تنفيذ المشاريع الحكومية وتحقيق الأهداف المخطط لها للوصول إلى التنمية الاقتصادية الشاملة، ويكون هذا نهج في استراتيجيتها لتجنب الهدر والإسراف والحد من الإنفاق من خلال تنفيذ استراتيجيات جديدة منها التحوط من الزيادة في أسعار السلع الأساسية المستوردة وعقود المبادلة من خلال تخفيض قيمة الدينار أمام الدولار، وتوجيه المبالغ المخفضة للمشاريع الاستثمارية إلى القطاعات ذات النفع العام والمردود المادي على الخزينة العامة للدولة (محمد النور وآخرون، 2024، ص 629).

كما تعد الموازنة العامة ذات أهمية بالغة للحكومة والمجتمع، وذلك لأنه تمثل البرنامج المالي لعمل الدولة والذي تسعى من خلاله إلى تنفيذ أهدافها في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال مدة زمنية معينة غالباً ما تكون السنة، كما تعد الأداة التي تستطيع من خلالها وضع تقديرات للإيرادات والنفقات، وعن طريقها يمكن أن تعرف مقدار العجز و الفائض في موازنتها .وعليه فإن السبب الرئيسي للجوء الدولة إلى الاستدانة هو عجز الموازنة الذي يعني نقص الإيرادات العامة عن مواجهة النفقات العامة المتزايدة، وكلما زاد العجز واستمر كلما زاد الدين العام(محمد وآخرون، 2018، ص 108).

وتنضج أهميتها بأنها المحور الأساسي الذي تدور في ظله نفقات الدولة وإيراداتها ونظراً لأهمية الموازنة العامة تكاد الدول لا تستغني عنها اليوم لا سيما وأنها تتجسد فيها العلاقات المترابطة والمركبة بين المؤسسات المختلفة للدولة سواء كانت تشريعية أو تنفيذية أو قضائية أو مستقلة أو غير ذلك فضلاً عن ذلك تتحدث من خلالها العلاقات الحكومية والقطاعات العامة بالأنشطة والقطاعات الخاصة بالإضافة إلى ذلك تتولى عملية إعداد موازنة العامة السلطة التنفيذية وموافقة السلطة التشريعية (احمد، 2012 ص 106).

وتبرز أهمية الموازنة العامة على نحو عام في النواحي التالية:

1. أداة للرقابة المركزية على المال العام إذا أن تحقيق التقديرات في مراحل التنفيذ واقترب التنفيذ الفعلي من المخطط وتحديد التجاوزات والانحرافات يعد الأداة المهمة والأساسية لقياس الأداء الفعلي للبرامج والأنشطة.
2. تعد الموازنة العامة أداة فاعلة من أدوات السياسة المالية التي يمكن استخدامها في إدارة الاقتصاد.
3. تستخدم الموازنة كأداة للتنسيق بين الأنشطة حيث تتضمن توزيع وتخصيص الموارد المتاحة على الاستخدامات المتعددة ويقسم بذلك ضبط الإعداد للخطط والبرامج على أساس الموارد المالية المتاحة.
4. تعد الموازنة أداة مهمة في مواجهة الأزمات الاقتصادية وذلك عن طريق التحكم في عمليات الإنفاق أو في مصادر الإيرادات ومعدلاتها وذلك بوقوف الحكومة في مسار معاكس للتيارات السائدة في الحياة الاقتصادية وفي

حالة التضخم تعمد الدولة إلى امتصاص الطلب الزائد عن طريق فرض مزيد من الضرائب وتخفيض النفقات العامة وفي حالة الكساد فتعتمد على الإصاغة من الفوائد التي تراكمت لديها.

5. استخدام الموازنة كأداة تخطيطية سواء كانت على مستوى الدولة أم على مستوى الوحدة الحكومية التي لم تعد الموازنة فيما يتعلق بها الأداة الوحيدة لتنفيذ نظرية الأموال المخصصة للوصول إلى الأهداف المحددة.

6. وتزداد هذه الأهمية مع اتساع دور الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وباعتبارها إحدى أدوات السياسة المالية، واستخدامها كأداة لضبط توزيع الدخل القومي بين فئات المجتمع (أبو عناني وبن الديب، 2022، ص 32).

وعليه فإن الموازنة تعتبر أحد أهم الأدوات المالية للدولة في مرحلة زمنية معينة لها وفقاً لخطة مبرمجة تظهر لنا العديد من الأهداف التي تتولى الحكومة تطبيقها لان الموازنة وثيقة مرخصة بموجب قانون المالية الذي يصادق عليه البرلمان وتعد الموازنة العامة المرآة التي تعكس صورة اي اقتصاد بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية (به خشان وآخرون، 2023، ص 154).

أنواع الموازنة العامة

هناك نوعان من الموازنات في معظم دول العالم يتم تقسيم الأموال العامة استناداً إلى اعتبارات معينة، إذ أن معظم الدول تقسم موازنتها إلى:

1. الموازنات حسب طبيعة النشاط وتقسم إلى: (الموازنة الجارية، والموازنة الرأسمالية) وسيتم توضيحهما وفق الآتي:

أ. الموازنة الجارية

أنها خطة سنوية قصيرة الأمد لإدارة الموارد الضرورية لتنفيذ وتسيير البرامج الحكومية المختلفة فهي تتعامل مع الإنفاق الروتيني المستمر الذي تكون فيه المخرجات صعبة التحديد إذ لا توجد هناك نهاية محدودة للإنفاق فيه (Shoulders, Freeman, 2003, ص 73).

وهي تتضمن أيضاً النفقات المقترحة للأعمال الجارية وتسديد الدين العام وكذلك تقديرات كل الموارد المالية المتوقع أن تكون متوفرة خلال المدة الجارية بشكل طبيعي، وهذا مبعث تسميتها بالموازنة الجارية (العامري والموسوي، 2018، ص 4)

ب. الموازنة الرأسمالية

والتي أوجدت لمتطلبات الإدارة المالية الحكومية ذات التخطيط البعيد الأمد والمستمرة لسنوات عدة في المستقبل، والتي تشترك فيها معظم الحكومات في البرامج والمشاريع المحددة، لتوفير بضائع أو خدمات معينة لتلك المدة (Shoulders, Freeman, 2003, ص 73).

والتي تتضمن رؤوس أموال كبيرة غير قابلة للتكرار وذات أثر إنفاقي قد يأخذ سنوات متعددة، وأثر إيرادي يعود لسنوات عدة، وهي بذلك مهتمة بدخل رأس المال والتكاليف الكبيرة في عمل، أو نشاط الدولة التنموي أو الاستثماري (العامري والموسوي، 2018، ص 4).

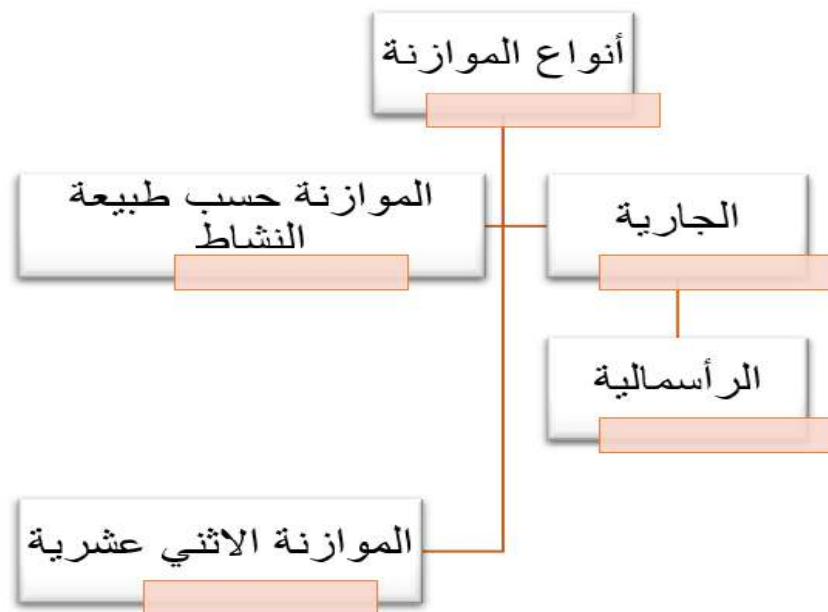
كما تتضمن ما يتم تخصيصه من مبالغ لتنفيذ المشاريع الاستثمارية طويلة الأجل كالطرق والجسور والمشاريع الصناعية والزراعية، فالأسلوب المستخدم في تقسيم الموازنة الاستثمارية هو الأساس القطاعي أي أن المشاريع

تقسم حسب القطاعات الاقتصادية مثل القطاع الزراعي والصناعي والخدمي، ويتم تمويل هذه الموازنة عن طريق التمويل الذاتي والتسهيلات الائتمانية والقروض المحلية والأجنبية وفائض النشاط الجاري، وتسمى موازنة الخطة السنوية (مشكور وآخرون، 2014، ص 43).

2. نظام الموازنة الاثني عشرية

وهي موازنة توضع لشهر أو أكثر تستمر بموجبها الحكومة بالإتفاق في حدود 1 / 12 من الاعتمادات المفتوحة لها خلال السنة السابقة مع الاستمرار بجباية الإيرادات العامة خلال المدة نفسها ويؤخذ بها عادة عندما يتأخر إقرار الموازنة إلى ما بعد دخول السنة المالية الجديدة (عبد الله وهادي، 2017، ص 66).

الشكل (2): أنواع الموازنة الفيدرالية



المصدر: إعداد الباحث

الاستنتاجات:

1. تأثير تقلبات الإيرادات والنفقات على الاستقرار الاقتصادي والتنمية:

شهدت معدلات نمو الإيرادات والنفقات العامة تقلبات كبيرة خلال الفترة 2017-2022، مما يعكس عدم استقرار الاقتصاد العراقي والاعتماد الكبير على الإيرادات النفطية المتقلبة. هذا التقلب يعيق قدرة السياسة المالية على دعم التنمية المستدامة، ويؤكد ضرورة تعزيز الاستقرار المالي كشرط أساسي لتحقيق تنمية اقتصادية مستدامة.

2. دور النفقات العامة في تحفيز النمو الاقتصادي:

أظهرت الدراسة وجود علاقة سببية أحادية الاتجاه من النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي، مما يشير إلى أن السياسة المالية من خلال زيادة الإنفاق الحكومي تلعب دوراً فعالاً في تحفيز النمو الاقتصادي. هذا يدعم النظرية الكينزية التي تؤكد أهمية الإنفاق العام كأداة للسيطرة على الطلب الكلي وتعزيز التنمية.

3. أهمية تنوع الإيرادات الحكومية:

كشفت النتائج عن علاقة سببية من الإيرادات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي، مما يبرز دور الإيرادات في دعم التنمية الاقتصادية. ومع ذلك، فإن الاعتماد المفرط على الإيرادات النفطية يحد من فعالية هذا التأثير، مما يؤكد على ضرورة تنوع مصادر الإيرادات كجزء من سياسة مالية رشيدة لتعزيز الاستدامة الاقتصادية.

4. العلاقات غير الخطية بين الإيرادات والنفقات العامة والنمو الاقتصادي:

أظهرت نماذج العتبة وجود تأثيرات غير خطية لكل من الإيرادات والنفقات على النمو الاقتصادي، حيث تتغير آثارها حسب مستويات النمو الاقتصادي. هذا يشير إلى أن السياسة المالية يجب أن تكون مرنة ومدروسة بدقة لضبط حجم الإنفاق والإيرادات وفقاً لظروف الاقتصاد، لتجنب الآثار السلبية وتحقيق أقصى استفادة من الموارد.

5. ضرورة تحسين التخطيط المالي والشفافية:

نظراً لعدم استقرار الإيرادات وتأثيره السلبي على التخطيط الحكومي، فإن تعزيز استقرار السياسة المالية وتحسين التخطيط المالي طويل الأمد يمثلان عاملين أساسيين لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة في العراق.

6. تحويل البيانات إلى تردد شهري لتحسين دقة التحليل:

أظهرت الدراسة أن استخدام البيانات الشهرية بدلاً من السنوية أدى إلى نتائج أكثر دقة، مما يساهم في وضع سياسات مالية مبنية على بيانات وتحليلات أكثر تفصيلاً وديناميكية، تدعم اتخاذ قرارات فعالة لتحقيق التنمية.

7. أهمية رفع كفاءة الإنفاق الحكومي:

ضرورة توجيه النفقات الحكومية نحو مشاريع إنتاجية ذات عوائد عالية، مع التحكم في حجم الإنفاق لتفادي الآثار السلبية على النمو، مما يعزز دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة.

التوصيات:

1. تعزيز الاستقرار المالي وتقليل الاعتماد على النفط

- تنويع مصادر الإيرادات العامة عبر تطوير قطاعات غير نفطية مثل الزراعة، الصناعة، والسياحة.
- إنشاء صندوق استقرار مالي يُستخدم لتخفيف أثر تقلبات أسعار النفط على الموازنة العامة.

2. تحسين كفاءة وفعالية الإنفاق العام

- توجيه النفقات العامة نحو مشاريع إنتاجية في البنية التحتية والتعليم والصحة لتحقيق عوائد طويلة الأجل.
- تعزيز الرقابة المالية وتقييم الأداء لضمان كفاءة تخصيص الموارد وتقليل الهدر والفساد.

3. تطوير أدوات السياسة المالية المرنة

- تصميم سياسة مالية مرنة تأخذ في الاعتبار التغيرات الاقتصادية من خلال استخدام نماذج اقتصادية غير خطية لتحليل الأثر الديناميكي للإنفاق والإيرادات.
- مواءمة حجم الإنفاق العام مع مستويات النمو الاقتصادي الحالية والمستهدفة.

4. تعزيز التخطيط المالي طويل الأمد

- إعداد موازنات متعددة السنوات تركز على تقديرات دقيقة للإيرادات والنفقات.
- تحسين القدرة التنبؤية للمالية العامة عبر استخدام أدوات تحليل متقدمة وبيانات مفصلة.

5. تحسين جودة البيانات المالية وتواترها

- جمع وتحليل البيانات على أساس شهري بدلاً من السنوي لرفع دقة التقديرات وتحسين استجابة السياسات المالية للتغيرات الاقتصادية.

- إنشاء قاعدة بيانات مالية موحدة ومحدثة تخدم صناع القرار والباحثين على حد سواء.
- 6. رفع كفاءة الحوكمة المالية والشفافية
- نشر تقارير مالية دورية وشفافة توضح مصادر الإيرادات واستخدامات النفقات العامة.
- إشراك المجتمع المدني والمؤسسات البحثية في تقييم سياسات الإنفاق العام.
- 7. تعزيز دور السياسة المالية في النمو
- استخدام الإنفاق العام كأداة تحفيزية ذكية لتعزيز النمو الاقتصادي خلال فترات الركود، انسجاماً مع النظرية الكينزية.
- التركيز على نوعية الإنفاق وليس فقط حجمه لضمان تحقيق الأثر الاقتصادي المطلوب.

المراجع:

المراجع العربية:

1. العامري، محمد علي إبراهيم، والموسوي، نهاد عبد العباس موحان. (2018)، الموازنة الاتحادية النموذجية في ظل موازنة الأداء، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المجلد 13، العدد 42، الفصل الأول.
2. عزيز، فوزية خدا كرم. (2010)، الفدرالية في العراق بين الأسس الدستورية والواقع السياسي والاقتصادي، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 9 - 10.
3. عبد الله، طه محسن، وهادي، سالم عواد. (2017)، التدقيق الداخلي لوحدة الإنفاق وأثره على فاعلية الموازنة الاتحادية، مجلة دراسات محاسبية ومالية المجلد الثاني عشر العدد 39 الفصل الثاني.
4. محمد النور، محمد الناصر، واحمد، زهير محمد علي، وملامي، ماجد كاظم. (2024)، تخفيض الإنفاق الحكومي في الموازنة العامة باستخدام بعض أدوات الهندسة المالية جمهورية العراق نموذجاً، مجلة دراسات محاسبية ومالية، عدد خاص.
5. محمد، شيماء فاضل. (2018)، قياس اثر تطور الدين العام على موازنة العراق الاتحادية باستخدام نموذج ARD، Journal of Wasit for Human، 14(41).
6. احمد، رائد ناجي. (2012)، علم المالية العامة والتشريع المالي في العراق، الطبعة الأولى، دار العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة.
7. أبو عناني، سليا، وبن الذيب، أيمن. (2022)، دور الإيرادات الضريبية في تمويل الموازنة العامة للدولة " ماستر في المحاسبة، جامعة محمد البشير الإبراهيم. الجزائر.
8. به خشان، محمد روستم، وكامران، قادر يعقوب، وياسين، عبد الرحمن احمد. (2023)، قياس اثر الموازنة العامة في الميزان التجاري في العراق للمدة 2004 - 2022، Journal of the University of Garmian (Vol 11) No. 1.
9. مشكور، محمد. (2014)، المحاسبة الحكومية وتطبيقاتها المركزية واللامركزية في العراق، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع العراق. الطبعة الأولى.

المراجع الانجليزية:

10. Rathnam، P. V. & Raju، Datla Hanumantha، (2014)، "Rathnam's Budgeting". Himalaya publish house، Bom Bay.
11. Freeman، Robert J. & Shoulders، Craig D. (2003) "Government and Non Profit Accounting: Theory and Practice" 7th ed، Pearson Education INC، New Jersey U.S.

عنوان البحث

تحليل أثر النمو في النفقات والإيرادات العامة على التوازن المالي في الموازنة الاتحادية العراقية 2017-2022 (دراسة تحليلية)

قاسم محمد عبدالله¹، أ.د. مصطفى نجم البشاري¹، د. زهير احمد علي¹

¹ كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/42>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/42>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر النمو في النفقات والإيرادات العامة على التوازن المالي في الموازنة الاتحادية العراقية خلال الفترة (2017-2022)، مع التركيز على كيفية انعكاس هذه المتغيرات على تحقيق التنمية الاقتصادية في البلاد. وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لتحليل البيانات التاريخية الخاصة بالنفقات العامة، والإيرادات الحكومية، والنتائج المحلي الإجمالي، وذلك من مصادر رسمية كوزارة المالية ووزارة التخطيط. اعتمدت الدراسة على أدوات إحصائية باستخدام برنامج E Views لتحليل الخصائص الإحصائية للمتغيرات، وقياس العلاقات بينها من خلال اختبارات الارتباط والتداخل الذاتي. (Cross Correlation) كما تم تطبيق نموذج العتبة (Threshold Regression Model) للكشف عن نقاط التحول التي تؤثر في طبيعة العلاقة بين المتغيرات المدروسة. أظهرت نتائج التحليل وجود تقلبات كبيرة في معدلات نمو النفقات والإيرادات والنتائج المحلي الإجمالي، مما يعكس هشاشة الوضع الاقتصادي والتأثر الكبير بعائدات النفط غير المستقرة. وأكدت الدراسة وجود علاقة سببية أحادية الاتجاه من النفقات العامة إلى الناتج المحلي، ما يدعم النظرية الكينزية في دور الإنفاق الحكومي في تحفيز النمو الاقتصادي. كما كشفت النتائج عن علاقة سببية من الإيرادات العامة إلى الناتج المحلي، وإن كان أثرها مقيّدًا بسبب الاعتماد المفرط على الإيرادات النفطية. وأخيرًا، أظهرت الدراسة وجود علاقات غير خطية بين النفقات والإيرادات من جهة، والنمو الاقتصادي من جهة أخرى، حيث يتغير أثر هذه المتغيرات عند مستويات معينة من النمو، وهو ما تم تفسيره من خلال نموذج العتبة.

الكلمات المفتاحية: الإيرادات العامة، النفقات العامة، التوازن المالي، الموازنة الاتحادية، الناتج المحلي الإجمالي، العراق.

RESEARCH TITLE

Analysis of the Impact of Growth in Public Expenditures and Revenues on the Financial Balance in the Iraqi Federal Budget (2017–2022): An Analytical Study

Abstract

This study aims to analyze the impact of growth in public expenditures and revenues on the financial balance in the Iraqi federal budget during the period (2017–2022), focusing on how these variables reflect on achieving economic development in the country. The study adopted the descriptive-analytical approach to analyze historical data related to public expenditures, government revenues, and gross domestic product (GDP), using official sources such as the Ministry of Finance and the Ministry of Planning.

Statistical tools were employed through the EViews software to analyze the statistical characteristics of the variables and to measure the relationships among them using correlation and cross-correlation tests. Furthermore, the Threshold Regression Model was applied to identify the turning points that affect the nature of the relationship between the studied variables.

The analysis results revealed significant fluctuations in the growth rates of expenditures, revenues, and GDP, reflecting the fragility of the economic situation and the heavy dependence on unstable oil revenues. The study confirmed the existence of a unidirectional causal relationship from public expenditures to GDP, supporting the Keynesian theory regarding the role of government spending in stimulating economic growth. It also revealed a causal relationship from public revenues to GDP, although its effect remains limited due to the excessive reliance on oil revenues. Finally, the study demonstrated the existence of nonlinear relationships between expenditures and revenues on one hand and economic growth on the other, where the impact of these variables changes at certain growth levels—an outcome explained through the Threshold Model.

Key Words: Public revenues, public expenditures, financial balance, federal budget, gross domestic product (GDP), Iraq.

المقدمة:

شهدت الموازنة العامة العراقية خلال الفترة من 2017 إلى 2022 تحولات جوهرية نتيجة للتغيرات الاقتصادية والسياسية المتسارعة، وأبرزها تقلبات أسعار النفط، الاحتجاجات الداخلية، وجائحة كورونا. وقد انعكست هذه المتغيرات بشكل مباشر على هيكل النفقات والإيرادات العامة، مما أثر على التوازن المالي للموازنة الاتحادية. يمثل التوازن المالي هدفاً محورياً في السياسة المالية، ويُقصد به قدرة الدولة على تحقيق توازن بين الإنفاق العام والإيرادات العامة دون اللجوء إلى تمويل العجز من مصادر غير مستدامة. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر النمو في النفقات والإيرادات العامة على مستوى التوازن المالي في الموازنة العراقية خلال هذه الفترة، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق الاقتصادي العام، والتحديات المرتبطة بضعف التنويع الاقتصادي، والاعتماد المفرط على الإيرادات النفطية.

مشكلة البحث (Research Problem)

تعاني الموازنة الاتحادية العراقية من اختلالات مزمنة في التوازن المالي، تتجلى في نمو النفقات بمعدلات تفوق أحياناً نمو الإيرادات، مما يؤدي إلى عجز مالي متكرر. ويعود هذا العجز إلى عدة عوامل من أبرزها:

- الاعتماد على الإيرادات النفطية التي تتسم بالتذبذب.
- ضعف تنمية الإيرادات غير النفطية.
- التركيز على الإنفاق الجاري مقابل ضعف الإنفاق الاستثماري.
- غياب إصلاحات هيكلية فعالة في السياسة المالية.

تُثار هنا عدة تساؤلات:

أسئلة البحث (Research Questions)

1. ما أثر نمو النفقات العامة على التوازن المالي في الموازنة الاتحادية العراقية خلال الفترة 2017-2022؟
2. ما أثر نمو الإيرادات العامة على التوازن المالي في ذات الفترة؟
3. هل توجد عتبات معينة في معدلات النمو تؤثر على طبيعة العلاقة بين النفقات والإيرادات والتوازن المالي؟
4. ما هي العوامل التي تحدد فعالية السياسات المالية في تحقيق توازن مستدام في الموازنة العراقية؟
5. ما التوصيات التي يمكن تقديمها لتعزيز التوازن المالي وتقليل العجز في الموازنة؟

أهداف البحث (Research Objectives)

1. تحليل العلاقة بين معدلات النمو في النفقات العامة والتوازن المالي.
2. دراسة تأثير نمو الإيرادات العامة، وخاصة الإيرادات غير النفطية، على تحسين التوازن المالي.
3. الكشف عن وجود عتبات حرجية (Thresholds) في النمو تؤثر على هذه العلاقة باستخدام نموذج العتبة.
4. تقييم السياسات المالية خلال الفترة وتحليل كفاءتها في ضبط العجز المالي.
5. تقديم توصيات عملية لصانعي القرار المالي لتعزيز كفاءة الإنفاق وتنويع مصادر الإيرادات.

أهمية البحث

الأهمية العلمية:

- يُساهم البحث في فهم العلاقة الديناميكية بين النمو في الإيرادات والنفقات والتوازن المالي.
- يسد فجوة بحثية تتعلق بتحليل مالي تطبيقي في السياق العراقي.
- يُوفر إطارًا نظريًا يمكن البناء عليه في دراسات مماثلة تخص بلدان نفطية.

الأهمية العملية:

- يُساعد صُنّاع القرار في إعادة هيكلة السياسة المالية لتحقيق توازن مالي أكثر استدامة.
- يُسلط الضوء على أهمية تنويع الإيرادات وتقليل الاعتماد على النفط.
- يُمكن أن يُستخدم في تحسين التخطيط المالي طويل الأمد ومواجهة الصدمات الاقتصادية.

متغيرات البحث (Research Variables)

1. المتغيرات المستقلة:

- معدل نمو النفقات العامة .
- معدل نمو الإيرادات العامة .

2. المتغير التابع:

- مستوى التوازن المالي: يُقاس من خلال نسبة العجز أو الفائض في الموازنة العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي أو الفرق بين الإيرادات والنفقات.

فرضيات البحث (Research Hypotheses)

الفرضية الرئيسية:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لنمو النفقات والإيرادات العامة على التوازن المالي في الموازنة الاتحادية العراقية.
- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لنمو النفقات والإيرادات العامة على التوازن المالي في الموازنة الاتحادية العراقية.

الفرضيات الفرعية:

- لا يوجد أثر للنفقات على التوازن المالي.
- يوجد أثر للنفقات على التوازن المالي.
- لا يوجد أثر للإيرادات على التوازن المالي.
- يوجد أثر للإيرادات على التوازن المالي.

حدود البحث (Research Limits)

- الموضوعية: النمو في النفقات والإيرادات وتأثيره على التوازن المالي.

• **المكانية:** الموازنة الاتحادية العراقية.

• **الزمانية:** 2017 – 2022 :

• **المنهجية:** استخدام منهج تحليلي قياسي معتمد على بيانات واقعية.

مجتمع وعينة البحث (Research Community and Sample)

- **مجتمع البحث:** البيانات السنوية الرسمية من وزارة المالية ووزارة التخطيط عن الإيرادات والنفقات وعجز الموازنة.
- **عينة البحث:** بيانات سنوية للفترة 2017-2022 تُجمع بطريقة منظمة وشاملة تشمل إجمالي النفقات والإيرادات والعجز أو الفائض المالي.

منهج البحث (Research Methodology)

يعتمد البحث على:

- **المنهج الوصفي التحليلي** لفهم الظاهرة.
- **التحليل الكمي (القياسي)** باستخدام أدوات إحصائية مثل:
 - التحليل الوصفي.
 - اختبار استقرار السلاسل الزمنية. (ADF)
 - تحليل الانحدار الخطي والمتعدد.
 - نموذج العتبة Threshold Regression لاكتشاف نقاط التحول في العلاقة بين النمو والتوازن المالي.
- يُستخدم برنامج **EViews** أو **STATA** لتحليل البيانات.

مصطلحات الدراسة:

تُستخدم في هذه الدراسة مجموعة من المصطلحات المتعلقة بالموازنة الفيدرالية العراقية والنمو الاقتصادي:

- **الموازنة العامة (General Budget):** الموازنة العامة في العراق تمثل خطة مالية شاملة تعكس السياسة الاقتصادية للحكومة وتحدد كيفية توزيع الموارد المالية بين مختلف القطاعات. تشمل الموازنة الإيرادات والنفقات، حيث تعتمد الإيرادات بشكل رئيسي على النفط كمصدر رئيسي، بينما تتوزع النفقات على القطاعات الأساسية مثل التعليم والصحة والبنية التحتية. تهدف الموازنة إلى تحقيق التنمية المستدامة وتحسين مستوى المعيشة للمواطنين، بالإضافة إلى تعزيز الاستقرار الاقتصادي. كما تعكس الموازنة التحديات الاقتصادية التي يواجهها العراق، مثل التغيرات في أسعار النفط والضغط الاقتصادي الناتجة عن الأزمات السياسية والاجتماعية. (OECD, 2022).
- **الإيرادات (Revenue):** الإيرادات تُعتبر أحد المفاهيم الأساسية في علم الاقتصاد وإدارة الأعمال، حيث تشير إلى المبالغ المالية التي تحصل عليها المؤسسة أو الشركة نتيجة لممارسة أنشطتها التجارية، مثل بيع السلع أو تقديم الخدمات. يُمكن تصنيف الإيرادات إلى عدة أنواع، بما في ذلك الإيرادات التشغيلية، التي تنشأ عن الأنشطة الأساسية للمؤسسة، والإيرادات غير التشغيلية، التي تأتي من مصادر أخرى مثل الفوائد أو الاستثمارات. تُعتبر الإيرادات مؤشراً مهماً على أداء الشركة المالي، حيث تعكس قدرتها على تحقيق الأرباح والنمو. كما تلعب

الإيرادات دوراً حاسماً في اتخاذ القرارات الاستراتيجية، مثل تحديد الأسعار، وتوسيع نطاق الأعمال، والاستثمار في الابتكار. من الناحية الأكاديمية، يتم تحليل الإيرادات من خلال مجموعة من الأدوات والنماذج المالية التي تساعد على فهم ديناميكيات السوق والتوجهات الاقتصادية، مما يسهم في تعزيز كفاءة الأداء المؤسسي واستدامته. (World Bank, 2023).

- **النفقات (Expenditure):** تُعرّف بأنها كافة التكاليف المالية التي تتحملها الأفراد أو الكيانات في سبيل تحقيق أهداف معينة أو تلبية احتياجات محددة. تشمل النفقات مجموعة متنوعة من المصروفات، مثل النفقات التشغيلية التي تتعلق بالأنشطة اليومية، والنفقات الاستثمارية التي تهدف إلى تطوير الأصول أو توسيع الأعمال. كما يمكن تصنيف النفقات إلى نفقات ثابتة، مثل الإيجارات والرواتب، ونفقات متغيرة تتغير بتغير مستوى الإنتاج أو النشاط، مثل المواد الخام والكهرباء. من الناحية الاقتصادية، تلعب النفقات دوراً حيوياً في تحديد مستوى النشاط الاقتصادي والنمو، حيث تؤثر على الطلب الكلي وتساهم في تحفيز الاستثمارات. إضافةً إلى ذلك، تُعتبر إدارة النفقات جزءاً أساسياً من التخطيط المالي، حيث يتطلب الأمر تحليلاً دقيقاً لضمان تحقيق التوازن بين الإيرادات والنفقات، وبالتالي الحفاظ على الاستدامة المالية. (International Monetary Fund, 2023).
- **النمو الاقتصادي (Economic Growth):** هو الزيادة في إجمالي القيمة الأساسية للخدمات والسلع المنتجة في اقتصاد ما خلال فترة زمنية معينة. ويُقاس النمو الاقتصادي باستخدام معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي. (United Nations, 2023).
- **الناتج المحلي الإجمالي (GDP):** هو قيمة جميع السلع والخدمات المنتجة في دولة ما خلال فترة زمنية معينة. ويُستخدم النمو في الناتج المحلي الإجمالي كقياس أساسي للنمو الاقتصادي. (World Bank, 2023).

أدبيات الورقة

مفهوم الناتج المحلي الإجمالي

يقصد بالناتج المحلي الإجمالي مجموع قيمة الإنتاج الإجمالي من السلع والخدمات بعد استبعاد قيمة السلع الوسيطة من المستلزمات السلعية والخدمات أي مجموع القيم المضافة الإجمالية المتحققة للاقتصاد، أما متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فيحسب من تقسيم قيمة الناتج المحلي الإجمالي على عدد السكان. وإن التقلبات في أسعار النفط تعد من العوامل المهمة التي تؤثر على النمو الاقتصادي والناتج المحلي الإجمالي للبلدان المصدرة والمستوردة للنفط، وبالتالي لها تأثيرها على تكاليف الإنتاج وعلى الإنفاق الاستثماري (علي وسلمان، 2019، ص 21).

وقد تعددت تعاريف الناتج المحلي الإجمالي سنذكر بعض منها وفق الآتي:

حيث يعرف الناتج على أنه (كمية السلع والخدمات التي ينتجها اقتصاد البلد - قيمة المدخلات المستخدمة في إنتاج تلك السلع والخدمات) أو (يساوي أيضاً الاستثمار المحلي الخاص، وإجمالي نفقات الاستهلاك الشخصي، وصافي صادرات السلع والخدمات، ونفقات الاستهلاك الحكومي، وإجمالي الاستثمارات) (Sheiner, Dynan, 2018، ص 4).

ويعرف الناتج أيضاً بأنه (القيمة المضافة الكلية المتحققة في القطاعات الاقتصادية المختلفة داخل الحدود الدولية، وذلك بمساهمة عناصر الإنتاج سواء كانت العوامل المستخدمة وطنية أم أجنبية) أي أنه يمثل مجموع قيمة الإنتاج الإجمالي من السلع والخدمات بعد طرح قيمة مستلزمات الإنتاج (عودة، 2017، ص 133).

وكذلك يعرف بأنه قيمة السلع والخدمات النهائية الكلية التي ينتجها بلد ما خلال فترة معينة عادة تكون سنة، ويسمى

بالداخلي لأنه يعكس نتائج الأنشطة الاقتصادية التي يقوم بها الاقتصاديون المقيمون داخل بلد ما بغض النظر عن جنسياتهم، وأنه هو الدخل الذي يتحصل عليه بلد ما خلال سنة معينة وذلك بصرف النظر عن مستلزمات الإنتاج التي ساهمت في عملية الإنتاجية داخل حدود الدولة سواء كانت وطنية أم أجنبية أي لا نميز بينها ولهذا يعتبر الناتج المحلي الإجمالي أفضل معيار للأداء الاقتصادي لبلد ما لأنه يعتبر مقياس معدل النمو الاقتصادي (مصطفى ومحمود 2018، ص 42).

ويمثل المشتريات الاستهلاكية للسلع والخدمات وكذلك مشتريات منشآت الأعمال للمعدات والآلات وعمليات شراء المساكن من قبل القطاع العائلي، وشراء المباني غير السكنية من قبل منشآت الأعمال، وكذلك المشتريات الحكومية للسلع والخدمات، وينظر للناتج المحلي الإجمالي على أنه الحجم الكلي من الإنتاج الجاري، ويتم حسابه عن طريق عمليات الجمع بين هذه الأشكال وكم تساوي من الناتج الجاري (داود، 2010، ص 53).

وبهذا يختلف الناتج المحلي الإجمالي عن الناتج القومي الإجمالي من حيث أن قيمة المنتجات والخدمات المتولدة تحسب بغض النظر عما إذا تم الإنتاج محلياً أم خارجياً فإن قيمة الناتج المحلي وتطوره يؤثر على مستوى معيشة الأفراد داخل المجتمع، فكلما زادت السلع والخدمات المنتجة محلياً زاد الدخل الذي يحصل عليه المنتجون وزادت فرص العمل المتاحة داخل المجتمع، الأمر الذي ينعكس بالزيادة على معدل استهلاك الأفراد للسلع والخدمات، مما يؤدي إلى زيادة الاستثمار والإنتاج مرة أخرى (مصطفى، 2018، ص 2).

مفهوم النمو في الناتج المحلي الإجمالي

يوجد العديد من التعاريف حول النمو في الناتج الإجمالي ولعل أهمها هو تعريف الاقتصادي Fanois Perroux حيث عرفه بأنه زياده مستمرة في صافي القيمة الحقيقية أو حجم الدخل الإجمالي، كما عرفه اقتصادي آخر يدعى Simon Kuzent بأنه ارتفاع في المدى البعيد بقدرة الدولة على منح وتقديم مجموعة كبيرة وواسعة ومتنوعة من السلع والخدمات الاقتصادية لسكانها، وتستند هذه القدرة في الزيادة على التقدم التقني والتعديلات الإيديولوجية والمؤسسية المطلوبة كما يعتبره بعض الاقتصاديون بأنه حدوث زيادة في إجمالي الدخل القومي أو زيادة في حجم الناتج المحلي مع تحقيق ارتفاع في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي، وعليه يجب أن ينعكس النمو في الناتج المحلي الإجمالي على مستوى الفرد الحقيقي (كرموش وسليمان، 2023، ص 343).

ونجد أن (إبراهيم والنجم، 2014، ص 263) قد عرف بأنه الكمية من الخدمات والسلعات المنتجة في اقتصاد محدد من خلال استخدام عناصر الإنتاج التي تخلق أثر إيجابي في تلك الدولة، ويتم قياسه بالاعتماد على النسبة المئوية للناتج في الناتج لنمو في الناتج المحلي الإجمالي أيضا ويمكن القول إنه يجب أن يترافق الازدياد في الدخل الوطني بالازدياد في الدخل الحقيقي للفرد بشكل أساسي أي أن الزيادة النقدية في الدخل الفردي من دون تضخم وتكون هذه الزيادة على المدى الطويل (أشواق 2013، ص 68).

يُشكّل هذا المبحث الأول لبنة الأساس في التحليل الإحصائي الذي سيجري في هذا الفصل، حيث يركز على تقديم وصف إحصائي دقيق و شامل لبيانات الإيرادات العامة (REV)، والنفقات العامة (EXS)، والناتج المحلي الإجمالي (GDP) في العراق خلال الفترة الزمنية الممتدة من عام 2017 إلى عام 2022. سيتضمن هذا الوصف الإحصائي عرضاً مرئياً للبيانات عبر رسوم بيانية خطية تُظهر التغيرات في معدلات نمو كل من هذه المتغيرات على مدار السنوات الخمس، بالإضافة إلى حساب أهم المقاييس الإحصائية الوصفية لكل متغير، مثل المتوسط، الوسيط، الانحراف المعياري، الحد

الأقصى، الحد الأدنى، ومقاييس التوزيع كالتواء (Skewness) والحدّة (Kurtosis). وسنختبر أيضاً طبيعة توزيع كل متغير باستخدام اختبار جارك-بيرا (Jarque-Bera)، ليتم التأكد من مطابقة البيانات لشروط تطبيق الأساليب الإحصائية المتقدمة في الأبحاث اللاحقة. هذا التحليل الأولي للبيانات يُعدّ ضرورياً لفهم التغيرات في معدلات نمو المتغيرات محل الدراسة، وكشف أي أنماط أو اتجاهات ملحوظة، وما إذا كانت البيانات تتبع توزيعاً احتمالياً معيناً، ممهداً بذلك الطريق لتطبيق مناهج التحليل المتقدمة في الأبحاث التالية.

جدول 1 : إحصاء الإيرادات

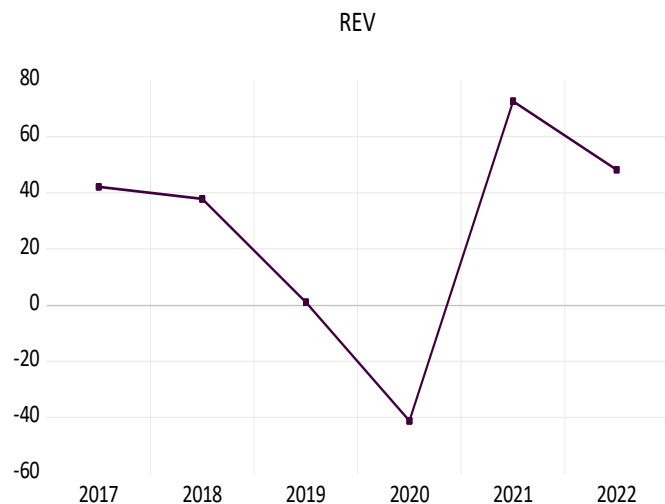
	REV
Mean	26.75000
Median	39.95000
Maximum	72.60000
Minimum	-41.20000
Std. Dev.	40.49769
Skewness	-0.724342
Kurtosis	2.360884
Jarque-Bera	0.626789
Probability	0.730962

المصدر: الباحث من خلال EViews

يوضح الجدول الإحصائيات الوصفية لمتغير الإيرادات العامة (REV) خلال الفترة 2017-2022. يبلغ متوسط معدلات نمو الإيرادات 26.75% (Mean)، وهو ما يشير إلى نمو إيجابي عام في الإيرادات خلال هذه الفترة. ومع ذلك، فإن الوسيط (Median) البالغ 39.95% أعلى من المتوسط، مما يدل على وجود قيم منخفضة أو سالبة تؤثر على المتوسط وتجعله أقل من القيمة النموذجية. هذا يُشير إلى عدم توزيع البيانات بشكل متماثل، مع احتمالية لتذبذبات كبيرة في معدلات النمو. الحد الأقصى (Maximum) البالغ 72.6% يعكس ارتفاعاً كبيراً في الإيرادات في إحدى السنوات، بينما الحد الأدنى (Minimum) السالب (-41.2%) يدل على انخفاض حاد في الإيرادات خلال سنة ما، مما يؤكد وجود تقلبات كبيرة في الإيرادات العامة. الاختلاف الكبير بين المتوسط والوسيط، إلى جانب القيم القصوى والدنيا، يعزز هذا الاستنتاج. يبلغ الانحراف المعياري (Std. Dev.) 40.49769، مما يشير إلى تشتت كبير في البيانات حول المتوسط، وهو ما يعكس عدم استقرار في معدلات نمو الإيرادات. قيمة الانحراف المعياري العالية تُبرز التقلبات الكبيرة في الإيرادات العامة خلال فترة الدراسة، وهو ما قد يكون له آثار اقتصادية سلبية على التخطيط الحكومي والاستثمار، حيث أن التغيرات المفاجئة في الإيرادات قد تؤثر على قدرة الحكومة على تنفيذ برامجها وتوفير الخدمات العامة. قيمة الالتواء (Skewness) السالبة (-0.724342) تؤكد عدم تماثل التوزيع، مع ميل نحو ذيل أيسر أطول (أي تركيز القيم العالية). أما قيمة الحدّة (Kurtosis) البالغة 2.360884 فهي أقل من 3، مما يشير إلى توزيع أقل حدة من التوزيع الطبيعي، حيث تقل احتمالية وجود قيم متطرفة مقارنة بالتوزيع الطبيعي. وأخيراً، قيمة اختبار جارك-بيرا (Jarque-Bera) البسيطة

(0.626789) وقيمة الاحتمالية (Probability) المرتفعة (0.730962) تدلان على عدم وجود دليل إحصائي كافٍ لرفض فرضية أن البيانات تتبع توزيعاً طبيعياً.

تشير النتائج الإحصائية لمتغير الإيرادات العامة (REV) إلى صورة اقتصادية معقدة تتسم بالتذبذب وعدم الاستقرار. فمتوسط نمو الإيرادات البالغ 26.75%، على الرغم من إيجابيته، يُخفي حقيقة عدم انتظام هذا النمو، كما يتضح من الفرق الكبير بين المتوسط والوسيط، بالإضافة إلى الانحراف المعياري المرتفع. هذا يشير إلى اعتماد اقتصاد البلاد بشكل كبير على مصادر إيرادات متقلبة، ربما بشكل أساسي على صادرات النفط، حيث تتأثر الإيرادات بشكل مباشر بتقلبات أسعار النفط العالمية والكميات المنتجة. فارتفاع أسعار النفط بشكل مفاجئ يؤدي إلى قفزة كبيرة في الإيرادات (كما يُظهر الحد الأقصى)، بينما انخفاض الأسعار أو حدوث اضطرابات سياسية أو أمنية يُترجم إلى انخفاض حاد في الإيرادات (كما يُظهر الحد الأدنى). هذه التقلبات تُعيق التخطيط الحكومي على المدى الطويل وتُصعّب عملية وضع سياسات اقتصادية مستدامة، فالتغيرات المفاجئة في الإيرادات تُحد من قدرة الحكومة على التنبؤ بالموارد المتاحة لها، وبالتالي تُؤثر على الإنفاق الحكومي على البنية التحتية، الخدمات الاجتماعية، والاستثمار في القطاعات الأخرى. عدم التماثل في توزيع البيانات، كما يتضح من قيمة الالتواء السالبة، يؤكد هذه الصورة، حيث يُرجّح حدوث انخفاضات حادة في الإيرادات أكثر من ارتفاعاتها. في الختام، تُشير هذه النتائج إلى ضرورة تنويع مصادر الإيرادات العامة لتقليل الاعتماد على مصادر متقلبة مثل النفط، وذلك من أجل بناء اقتصاد أكثر مرونة واستقراراً يُتيح للحكومة وضع سياسات اقتصادية فعّالة تُساهم في تحقيق التنمية المستدامة.



المصدر: الباحث من خلال EViews

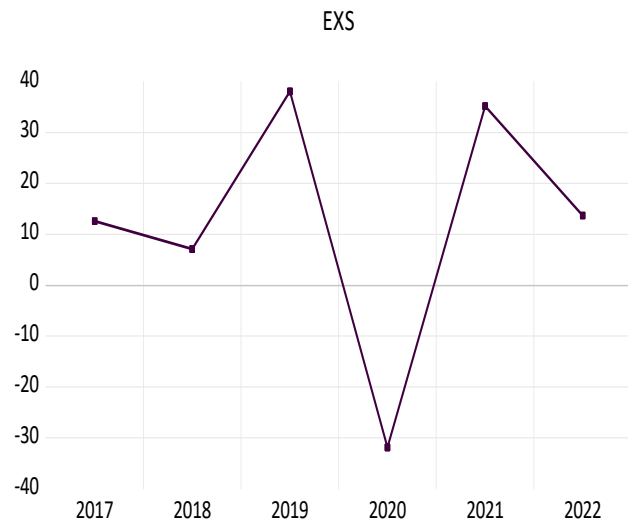
يُظهر الشكل البياني لمتغير الإيرادات (REV) اتجاهًا متذبذبًا خلال الفترة من 2017 إلى 2022، حيث لا يُلاحظ نمط ثابت أو اتجاه خطي واضح. يبدأ المتغير في عام 2017 بقيمة مرتفعة نسبيًا حول 40%، ثم ينخفض تدريجيًا خلال السنوات التالية ليصل إلى قيمة سالبة تقارب -40% في عام 2020. يشير هذا الانخفاض إلى فترة من انكماش الإيرادات، ربما نتيجة لتأثيرات خارجية مثل انخفاض أسعار النفط أو تراجع النشاط الاقتصادي العالمي. ومع ذلك، يشهد المتغير ارتفاعًا حادًا في عام 2021 ليصل إلى قيمة تقارب 70%، قبل أن ينخفض مرة أخرى بشكل أقل حدة في عام 2022 ليصل إلى ما يقارب 45%. هذا يُشير إلى عدم استقرار كبير في الإيرادات وتأثرها بعوامل خارجية مفاجئة، مما يعكس هشاشة الاقتصاد واعتماده على عوامل غير مستقرة. لا يُمكن من خلال هذا الشكل وحده تحديد الأسباب الكامنة وراء هذه التغيرات، ولكنه يُظهر بوضوح عدم انتظام نمو الإيرادات ومدى تقلبها خلال فترة الدراسة.

جدول 2 : إحصاء النفقات

	EXS
Mean	12.46667
Median	13.15000
Maximum	38.10000
Minimum	-31.90000
Std. Dev.	25.18973
Skewness	-0.807254
Kurtosis	2.726703
Jarque-Bera	0.670332
Probability	0.715219

المصدر: الباحث من خلال EViews

يوضح الجدول الإحصائيات الوصفية لمتغير النفقات العامة (EXS) خلال الفترة 2017-2022. يبلغ متوسط معدلات نمو النفقات 12.47% (Mean)، وهو ما يُشير إلى نمو إيجابي عام في النفقات خلال هذه الفترة، وإن كان أقل من متوسط نمو الإيرادات. الوسيط (Median) البالغ 13.15% قريب من المتوسط، مما يُشير إلى توزيع بيانات أكثر تماثلاً من توزيع الإيرادات. ومع ذلك، يشير الحد الأقصى (Maximum) البالغ 38.1% إلى وجود ارتفاع كبير في النفقات خلال إحدى السنوات، بينما يُظهر الحد الأدنى (Minimum) السالب (-31.9%) انخفاضاً حاداً في النفقات خلال سنة أخرى، مما يُشير إلى تقلبات، لكنها أقل حدة من تلك التي لوحظت في الإيرادات. يبلغ الانحراف المعياري (Std. Dev.) 25.19، وهو أقل من الانحراف المعياري للإيرادات، مما يُشير إلى تشتت أقل في البيانات حول المتوسط، ويعكس استقراراً نسبياً أكبر في معدلات نمو النفقات مقارنة بالإيرادات. قيمة الالتواء (Skewness) السالبة (-0.807254) تُشير إلى عدم تماثل التوزيع، مع ميل نحو ذيل أيسر أطول (أي تركيز القيم العالية)، مشابه للإيرادات. قيمة الحدة (Kurtosis) البالغة 2.726703 أقل من 3، وهو ما يُشير إلى توزيع بيانات أقل حدة من التوزيع الطبيعي، مع انخفاض احتمالية وجود قيم متطرفة. أخيراً، قيمة اختبار جارك-بيرا (Jarque-Bera) البالغة 0.670332 وقيمة الاحتمالية (Probability) المرتفعة (0.715219) تدلان على عدم وجود دليل إحصائي كافٍ لرفض فرضية أن البيانات تتبع توزيعاً طبيعياً. بالرغم من ذلك، يُشير وجود القيم المتطرفة إلى حاجة إلى مزيد من الحذر عند تفسير النتائج، وخاصةً في ضوء التقلبات التي قد تؤثر على السياسات المالية الحكومية. يُلاحظ استقراراً نسبياً أكثر في النفقات مقارنةً بالإيرادات، مما قد يُشير إلى سياسات مالية حكومية تسعى لتخفيف حدة التقلبات الاقتصادية، لكن التقلبات لا تزال قائمة وتحتاج إلى مزيد من الدراسة لفهم أسبابها وآثارها.



المصدر: الباحث من خلال EViews

يُظهر الشكل البياني لمتغير النفقات (EXS) اتجاهًا متذبذبًا خلال الفترة الزمنية من 2017 إلى 2022، يتسم بعدم الانتظام والتقلبات الحادة. يبدأ المتغير في عام 2017 بقيمة تبلغ حوالي 12%، ثم ينخفض تدريجياً إلى حوالي 6% في عام 2018، موضحاً انخفاضاً في معدلات نمو النفقات خلال تلك الفترة. بعد ذلك، يُلاحظ ارتفاع حاد في عام 2019، حيث يصل إلى ما يقارب 37%، قبل أن ينخفض بشكل حاد جداً في عام 2020 إلى ما دون -30%. يُشير هذا الانخفاض الكبير إلى تراجع كبير في النفقات الحكومية، ربما نتيجة لضغوط اقتصادية أو أزمة مالية. في عام 2021، يحدث ارتفاع آخر يصل إلى ما يقارب 34%، قبل أن ينخفض مرة أخرى بشكل معتدل إلى حوالي 13% في عام 2022. يُظهر هذا الشكل عدم استقرار كبير في معدلات نمو النفقات خلال فترة الدراسة، مع تقلبات حادة في الاتجاه، صعوداً وهبوطاً. يُشير هذا إلى حساسية النفقات الحكومية للتغيرات الاقتصادية والسياسية، وعدم وجود سياسة مالية مستقرة ومتسقة خلال هذه الفترة.

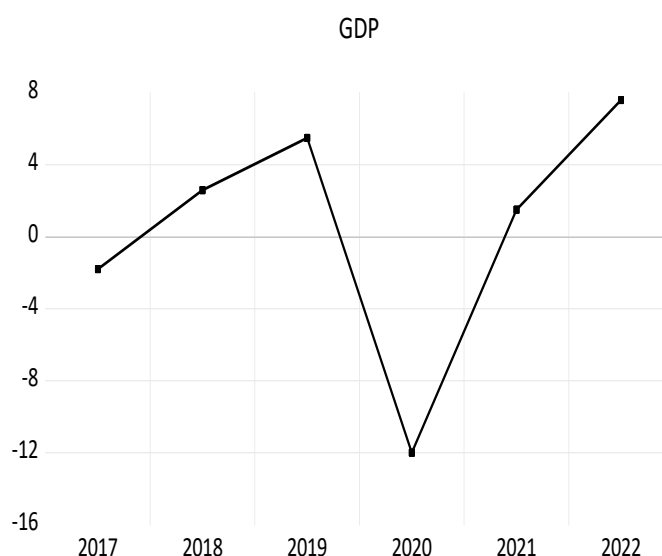
جدول 3 : إحصاء نمو الناتج

	GDP
Mean	0.566667
Median	2.050000
Maximum	7.600000
Minimum	-12.00000
Std. Dev.	6.961801
Skewness	-0.987342
Kurtosis	2.863599
Jarque-Bera	0.979495
Probability	0.612781

المصدر: الباحث من خلال EViews

يوضح الجدول الإحصائيات الوصفية لمتغير نمو الناتج المحلي الإجمالي (GDP) خلال الفترة 2017-2022. يبلغ متوسط نمو الناتج المحلي الإجمالي 0.57% (Mean) فقط، وهو ما يُشير إلى نمو ضعيف للغاية خلال هذه الفترة.

يُلاحظ أن الوسيط (Median) البالغ 2.05% أعلى بكثير من المتوسط، مما يُشير إلى وجود قيم سالبة (انكماش اقتصادي) تؤثر بشكل كبير على المتوسط، مما يُقلل من القيمة الإيجابية الظاهرة. الحد الأقصى (Maximum) البالغ 7.6% يُشير إلى نمو اقتصادي قوي في إحدى السنوات، بينما يمثل الحد الأدنى (Minimum) السالب (-12%) انكماشاً اقتصادياً حاداً في سنة أخرى. يُظهر هذا وجود تقلبات كبيرة في أداء الاقتصاد العراقي خلال فترة الدراسة، بين نمو قوي وانكماش حاد. يبلغ الانحراف المعياري (Std. Dev.) 6.96، وهو ما يُشير إلى تشتت كبير في البيانات حول المتوسط، مما يعكس عدم استقرار كبير في نمو الناتج المحلي الإجمالي. قيمة الالتواء (Skewness) السالبة (-0.987342) تُشير إلى عدم تماثل التوزيع، مع ذيل أيسر أطول، مما يؤكد وجود انكماشات اقتصادية أكثر حدة من فترات النمو القوي. قيمة الحدة (Kurtosis) البالغة 2.863599 قريبة من 3، مما يُشير إلى توزيع قريب من التوزيع الطبيعي، لكن مع وجود احتمالية لوجود قيم متطرفة. أخيراً، قيمة اختبار جارك-بيرا (Jarque-Bera) البالغة 0.979495 وقيمة الاحتمالية (Probability) المرتفعة (0.612781) تُشير إلى عدم وجود دليل إحصائي كافٍ لرفض فرضية أن البيانات تتبع توزيعاً طبيعياً. مع ذلك، يجب مراعاة التقلبات الكبيرة ووجود قيم متطرفة عند تفسير النتائج. من الناحية الاقتصادية، يُشير انخفاض متوسط نمو الناتج المحلي الإجمالي وارتفاع التقلبات إلى ضعف الاقتصاد العراقي وعدم قدرته على تحقيق نمو مستدام خلال فترة الدراسة، مما يتطلب إصلاحات هيكلية وإجراءات للتخفيف من تأثير العوامل الخارجية المؤثرة على الاقتصاد.



المصدر: الباحث من خلال EViews

يُظهر الشكل البياني لنمو الناتج المحلي الإجمالي (GDP) اتجاهًا متذبذبًا بشكل كبير خلال الفترة من 2017 إلى 2022، مما يعكس عدم استقرار الأداء الاقتصادي. يبدأ النمو في عام 2017 بقيمة سالبة قليلة (-2%)، ثم يرتفع تدريجياً ليصل إلى حوالي 3% في عام 2018، موضحاً تحسناً طفيفاً في الأداء الاقتصادي. يواصل النمو ارتفاعه في عام 2019 ليصل إلى ذروته عند حوالي 5.5%، قبل أن يتراجع بشكل حاد في عام 2020 إلى مستوى منخفض للغاية عند -12.5%، مما يدل على انكماش اقتصادي كبير. يُلاحظ بعد ذلك انتعاشاً في عام 2021، حيث يرتفع النمو إلى حوالي 1.5%، ثم يتزايد مرة أخرى بشكل ملحوظ في عام 2022 ليصل إلى حوالي 7.5%. يُظهر هذا الشكل عدم انتظام نمو الناتج المحلي الإجمالي، مع فترات من النمو وفترات أخرى من الانكماش الحاد. تُشير هذه التقلبات الكبيرة إلى هشاشة الاقتصاد وقابلية أداءه للتأثر بصدمات داخلية أو خارجية، مثل تقلبات أسعار النفط، والأزمات السياسية، أو الجائحات العالمية.

لضمان دقة وفعالية التحليل الإحصائي، وخاصةً عند استخدام أساليب تتطلب سلاسل زمنية طويلة، تم تحويل البيانات من

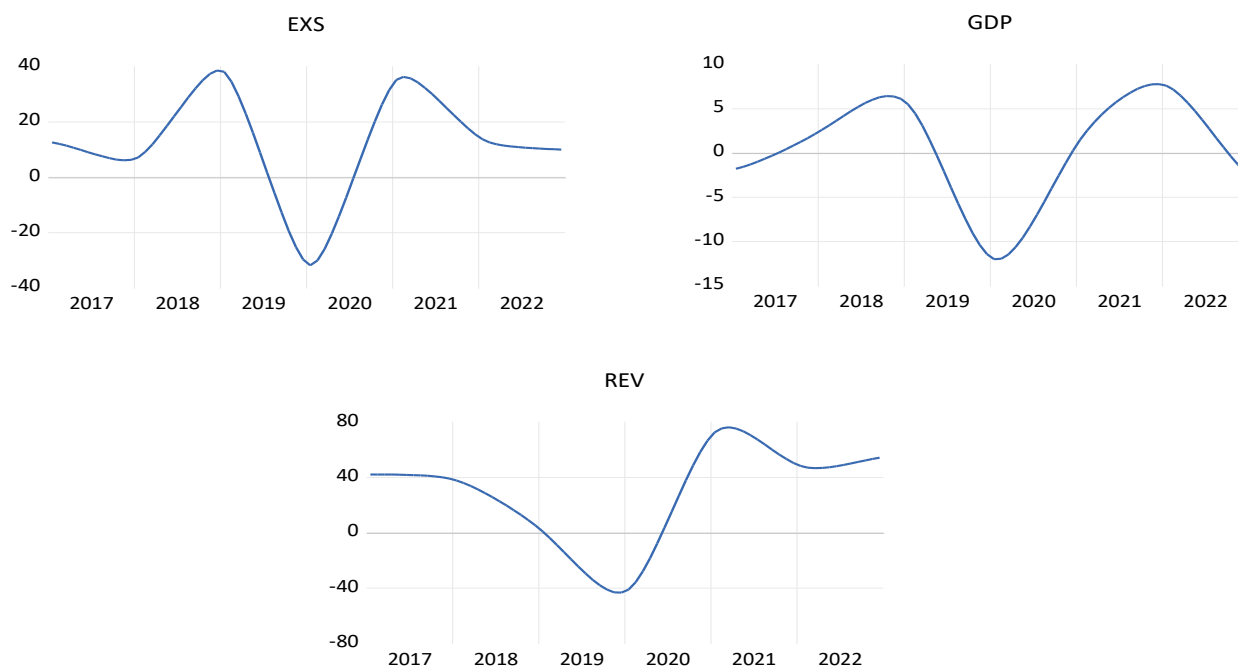
تردها السنوي الأصلي إلى تردد شهري. يعود السبب الرئيسي لهذا التحويل إلى قصر السلسلة الزمنية المتوفرة (ست سنوات فقط) والتي لم تكن كافية لتطبيق الأساليب الإحصائية المخطط لها، بما في ذلك أساليب التنبؤ واختبارات الجذر الوحدة المعقدة. فالسلاسل الزمنية القصيرة تعاني من مشكلة "قلة درجات الحرية" (Degrees of Freedom)، مما يحد من قدرة الاختبارات الإحصائية على التمييز بشكل فعال بين الفرضيات، ويؤدي من احتمالية النتائج غير الدقيقة أو المضللة. استخدمت طريقة ليرتمان (Litterman) في تحويل التردد، وهي تقنية تُستخدم لإعادة تجميع البيانات من تردد أعلى (سنوي) إلى تردد أدنى (شهري) مع الحفاظ قدر الإمكان على الخصائص الإحصائية الأساسية للسلسلة الزمنية. يعتمد هذا التحويل على افتراضات حول العلاقة بين المتغيرات على مستويات التردد المختلفة، ومع ذلك يُمكن أن يعاني من بعض المحدوديات خاصةً عند وجود تقلبات كبيرة في البيانات. وإجمالاً، كان تحويل التردد ضرورةً تقنيةً لتعزيز دقة التحليل والتغلب على قيود قصر السلسلة الزمنية الأصلية.

إطار عمل طريقة ليرتمان (Litterman) لتحويل السلاسل الزمنية من تردد سنوي إلى تردد شهري يتضمن مجموعة من الخطوات والمعادلات الأساسية. تعتبر هذه الطريقة جزءاً من التحليل الاقتصادي والمالي وتساعد في إنشاء نماذج لتحليل البيانات الزمنية. تعتمد طريقة ليرتمان على الفرضية بأن السلاسل الزمنية يمكن أن تكون مكونة من مكونات مختلفة، مثل الاتجاهات الموسمية والمراحل الاقتصادية. ولتحويل البيانات من تردد سنوي إلى تردد شهري، يتم استخدام الأسلوب التالي:

- أ. التقدير التسلسلي يتم استخدام البيانات السنوية المتاحة لتقدير القيم الشهرية، حيث يتم افتراض أن البيانات الشهرية تتوزع بشكل متساوٍ على طول السنة.
- ب. النموذج الرياضي يمكن استخدام نموذج يعتبر أن القيم الشهرية هي مزيج من القيم السنوية، حيث نستخدم سلسلة زمنية لتقدير القيم الشهرية.
3. المعادلات الرئيسية لنفرض أن Y_t هو قيمة السلسلة الزمنية السنوية عند السنة t . يمكننا استخدام تقدير القيم الشهرية كما يلي: توزيع القيم السنوية على الأشهر يتم توزيع القيم السنوية إلى القيم الشهرية كالتالي:

$$Y_{t,m} = \frac{Y_t}{12}$$

t حيث m يشير إلى الشهر من 1 إلى 12.



المصدر: الباحث من خلال EViews

يوضح الشكل البياني تأثير تحويل البيانات من تردد سنوي إلى تردد ربع سنوي على المتغيرات الاقتصادية الثلاثة: النفقات (EXS)، الإيرادات (REV)، و الناتج المحلي الإجمالي (GDP). قبل التحويل، كانت البيانات السنوية تُظهر اتجاهات عامة فقط، مما يحد من قدرة التحليل على رصد التقلبات الدورية قصيرة المدى. بعد التحويل إلى التردد الربعي، ظهرت تفاصيل أكثر دقة في سلوك كل متغير. فقد كشف التحويل عن تقلبات دورية واضحة في كل من النفقات والإيرادات والناتج المحلي الإجمالي، مع وجود فترات من الارتفاع والانخفاض خلال العام الواحد. أصبح من الممكن ملاحظة التغيرات الفصلية أو الربع سنوية، مثل زيادة معينة في الإيرادات خلال فصل معين أو انخفاض في الناتج المحلي الإجمالي خلال فصل آخر. هذا التحويل سمح باستخلاص معلومات أكثر دقة عن ديناميكيات هذه المتغيرات وتحديد أنماطها الزمنية بشكل أكثر وضوحاً، مما يُساعد على تحليل العلاقات السببية بين هذه المتغيرات بصورة أكثر دقة في إطار نموذج اقتصادي قائم.

يُختتم هذا المبحث الأول بتقديم ملخص شامل لنتائج التحليل الإحصائي الوصفي لبيانات الإيرادات العامة (REV)، والنفقات العامة (EXS)، ونمو الناتج المحلي الإجمالي (GDP) في العراق خلال الفترة الزمنية 2017-2022. وقد أظهر هذا التحليل، من خلال عرض البيانات بيانياً وحساب مقاييسها الإحصائية الرئيسية، وجود تقلبات كبيرة في معدلات نمو كل من هذه المتغيرات، مما يُشير إلى عدم استقرار الأداء الاقتصادي العراقي خلال هذه الفترة. فقد كشفت قيم الانحراف المعياري المرتفعة ووجود قيم متطرفة عن عدم تماثل توزيع البيانات، مما يُعكس تأثير العوامل الاقتصادية والسياسية غير المتوقعة على معدلات النمو. وكانت قيمة الالتواء السالبة في معظم المتغيرات دليلاً إضافياً على هذا عدم التماثل، مع وجود ميل نحو انخفاضات أكثر حدة من الارتفاعات، خاصة في معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي. أظهر اختبار جارك-بيرسا عدم وجود دليل إحصائي قوي لرفض فرضية أن البيانات تتبع توزيعاً طبيعياً، لكن يجب مع ذلك ملاحظة التقلبات الكبيرة وعدم الانتظام في البيانات. من الناحية الاقتصادية، تُشير هذه النتائج إلى اعتماد الاقتصاد العراقي بشكل كبير على مصادر إيرادات متقلبة، وخاصة صادرات النفط، مما يُعرضه للتقلبات في أسعار النفط العالمية. كما أظهرت البيانات عدم استقرار السياسات النقدية والمالية، مما أثر على استقرار النمو الاقتصادي. إجمالاً، يُقدم هذا المبحث صورة واضحة عن التحديات التي يواجهها الاقتصاد العراقي، والتي تتطلب إجراءات إصلاحية هيكلية لتعزيز الاستقرار والنمو المستدام. سيتم البناء على هذه النتائج في الأبحاث اللاحقة من خلال تطبيق أساليب إحصائية متقدمة لفهم العلاقات السببية بين هذه المتغيرات بشكل أعمق.

الاستنتاجات المناسبة للعنوان:

1. تقلبات كبيرة في معدلات نمو الإيرادات والنفقات وتأثيرها على التوازن المالي:

أظهرت الدراسة تقلبات كبيرة في معدلات نمو الإيرادات العامة والنفقات العامة خلال الفترة 2017-2022، مما يعكس عدم استقرار في الأداء المالي للموازنة الاتحادية. هذا الافتقار للاستقرار يؤثر سلباً على قدرة الحكومة في الحفاظ على التوازن المالي المستدام ويزيد من المخاطر المالية.

2. وجود علاقة سببية تؤثر فيها النفقات العامة على التوازن المالي:

النتائج تشير إلى أن زيادة النفقات العامة تؤثر بشكل مباشر على مؤشرات التوازن المالي، إذ قد تؤدي الزيادة غير المضبوطة في الإنفاق إلى اتساع العجز المالي، ما يستوجب تخطيطاً دقيقاً للإنفاق مع التركيز على النفقات الإنتاجية.

3. أهمية نمو الإيرادات العامة في دعم التوازن المالي:
ارتفاع الإيرادات العامة، خاصةً عند تنوع مصادرها وزيادة كفاءة تحصيلها، يعزز من قدرة الموازنة الاتحادية على تحقيق توازن مالي أفضل، ويقلل الاعتماد على الاقتراض الخارجي أو الاستدانة الداخلية.
 4. العلاقة غير الخطية بين الإيرادات والنفقات والتوازن المالي:
تشير نتائج نماذج تحليل العتبة إلى وجود علاقات غير خطية بين نمو الإيرادات والنفقات والتوازن المالي، حيث يمكن أن يكون للنمو في الإيرادات أو النفقات أثر إيجابي أو سلبي على التوازن المالي تبعاً لمستوى النمو ومدى السيطرة على الإنفاق.
 5. أهمية ضبط الإنفاق الحكومي للحفاظ على التوازن المالي:
زيادة الإنفاق الحكومي فوق مستويات معينة قد تؤدي إلى تدهور التوازن المالي، مما يتطلب وضع حدود قصوى للإنفاق وتوجيه الموارد نحو القطاعات ذات العائد الاقتصادي المرتفع لتحقيق نمو مستدام ومتوازن.
 6. أثر عدم استقرار الإيرادات على التخطيط المالي وتحقيق التوازن:
عدم استقرار الإيرادات الحكومية، خاصة الناتجة عن الاعتماد على عائدات النفط المتقلبة، يعيق التخطيط المالي الحكومي ويزيد من صعوبة تحقيق توازن مالي مستدام على المدى الطويل.
- التوصيات:**
1. وضع إطار مالي متوسط المدى يهدف إلى تقليل التقلبات في الإيرادات والنفقات من خلال تخطيط مالي يمتد لثلاث إلى خمس سنوات.
 2. تبني قواعد مالية مرنة تستجيب للتقلبات الاقتصادية وتحد من الزيادات غير المدروسة في الإنفاق العام.
 3. توجيه النفقات نحو القطاعات الإنتاجية مثل البنية التحتية، والتعليم، والطاقة المتجددة، بما يعزز النمو الاقتصادي طويل الأمد.
 4. فرض سقف للإنفاق العام وربطها بأهداف الأداء لضمان الاستخدام الأمثل للموارد العامة.
 5. مراجعة دورية للنفقات للتمييز بين النفقات الضرورية وتلك القابلة للتقليص أو التأجيل.
 6. تنوع مصادر الإيرادات العامة عن طريق تطوير النظام الضريبي، وتوسيع القاعدة الضريبية، وتقليل الاعتماد على الإيرادات النفطية.
 7. رفع كفاءة التحصيل الضريبي والجمركي من خلال تبني أنظمة إلكترونية للرقابة والمتابعة.
 8. تشجيع الاستثمارات في القطاعات غير النفطية لتعزيز القاعدة الاقتصادية وزيادة العوائد غير النفطية.
 9. الاعتماد على بيانات مالية عالية التردد (شهرية أو ربع سنوية) (لتوفير تحليلات أدق وأكثر واقعية لصانع القرار).

المراجع:

المراجع العربية:

1. أشواق، محمد. (2013)، تطور النظام المالي والنمو في الناتج المحلي الإجمالي، دار الراية، الأردن، الطبعة الأولى.
2. داود، حسام علي. (2010)، مبادئ الاقتصاد الكلي، طبعة أولى، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
3. علي، سلمان. (2019)، العلاقة بين أسعار النفط العالمية وبنية الناتج المحلي الإجمالي في العراق، مجلة الدنانير، العدد السادس عشر..
4. عودة، محمد حسن. (2017) . تحليل العلاقة بين الإنفاق العام والناتج المحلي الإجمالي ومدى مساهمته في تحقيق التنمية الاقتصادية في العراق للمدة 1975، 2014. مجلة الاقتصاد الخليجي، العدد 31.
5. كرموش، محمد شعيب، وسليمان، وافي سلام. (2023)، النمو في الناتج المحلي الإجمالي التركي ومدى تأثيره بالمتغيرات المالية للمدة 1960_2021، مجلة دراسات إقليمية، السنة 17، العدد 57.
6. مصطفى، حيمور، ومحمود، محمد عيسى محمد. (2018)، (استخدام النمذجة الخطية وغير الخطية لقياس تأثير استثمار الأجنبي المباشر على الناتج المحلي الإجمالي في الجزائر في الفترة ، (1990-2016) مجلة المالية والأسواق، المجلد 5، العدد 9، الجزائر.

المراجع الانجليزية

7. Karen Dynan, and Louise Sheiner, 2018, GDP as a Measure of Economic Well-being, Hutchins Center on Fiscal and Monetary Policy at Brookings.

عنوان البحث

أثر تكنولوجيا المعلومات في كفاءة الأداء المؤسسي

بالتطبيق على وزارة الموارد البشرية - فرع الباحة خلال العام 2024م

أ. خالد مسفر سعيد الغامدي¹

¹ ماجستير إدارة الأعمال التنفيذي، المملكة العربية السعودية.

بريد الكتروني: Smo1102@hotmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/43>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/43>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى قياس أثر تكنولوجيا المعلومات في كفاءة الأداء المؤسسي بالتطبيق على وزارة الموارد البشرية - فرع الباحة خلال عام 2024م، والإجابة عن السؤال الرئيس: إلى أي مدى تؤثر تكنولوجيا المعلومات في الأداء المؤسسي؟ اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، وأجريت دراسة ميدانية على عينة قوامها (60) موظفًا يمثلون مستويات وظيفية متعددة (موظفون، رؤساء أقسام، مديرون) وبخبرات عملية متفاوتة. استُخدم استبيان مكون من ثلاثة محاور (الأجهزة، البيانات، الأداء المؤسسي) بواقع (15) عبارة، وأظهرت نتائج الثبات وفق كرونباخ ألفا معاملًا مرتفعًا للأداة ككل (0.933)، بما يعزز صدقيتها واتساقها الداخلي.

أظهرت النتائج أن البنية التحتية التقنية بالوزارة حديثة وكافية وتحظى بصيانة دورية وميزانية مخصصة، وأن نظم البيانات ميوّبة، دقيقة، ومتاحة عند الحاجة، مع وجود مجال لتعزيز تكامل الربط مع الجهات الحكومية الأخرى. كما أثبتت الاختبارات الإحصائية وجود علاقات دالة إيجابيًا بين بعدّي الأجهزة والبيانات وبين كفاءة الأداء المؤسسي ($p < 0.001$)، حيث أسهم استخدام تكنولوجيا المعلومات في تسريع إجراءات العمل، وخفض الأخطاء، ودعم نظم التقييم الدوري للأداء. في المقابل، برزت حاجة إلى تعزيز التدريب المستمر للموظفين لتعظيم الاستفادة من الحلول التقنية.

توصي الدراسة بالاستمرار في تحديث الأجهزة وزيادة أعدادها وفق احتياجات العمل، وضمان الصيانة الوقائية، وتحسين جودة البيانات وربطها بين الجهات الحكومية، وتوسيع برامج التدريب المبني على الاحتياجات، وتخصيص ميزانيات مستدامة للتحويل الرقمي، مع تفعيل قياس دوري لأثر التكنولوجيا على الأداء وتبني ثقافة الابتكار المؤسسي.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات؛ كفاءة الأداء المؤسسي؛ الأجهزة؛ البيانات؛ وزارة الموارد البشرية؛ الباحة.

RESEARCH TITLE

The Impact of Information Technology on Institutional Performance Efficiency: Evidence from the Ministry of Human Resources – Al-Baha Branch (2024)

Abstract

This study measures the impact of information technology on institutional performance efficiency, applied to the Ministry of Human Resources – Al-Baha Branch during 2024, and addresses the central question: To what extent does information technology affect institutional performance? The research employed historical and descriptive–analytical methods and conducted a field study on a sample of 60 employees representing multiple job levels (staff, section heads, and managers) with varied professional experience. A questionnaire comprising three dimensions (hardware, data, and institutional performance) with 15 items was used. Reliability analysis indicated a high internal consistency for the overall instrument (Cronbach's $\alpha = 0.933$).

Findings show that the ministry's technological infrastructure is modern, adequate, and receives regular maintenance with a dedicated budget. Data systems are well-structured, accurate, and accessible when needed, though further integration with other government entities remains an area for improvement. Statistical tests confirmed significant positive relationships between the hardware and data dimensions and institutional performance efficiency ($p < 0.001$). Information technology contributed to expediting work procedures, reducing errors, and supporting periodic performance evaluation systems. Conversely, results highlight the need to strengthen continuous employee training to maximize the benefits of technological solutions.

The study recommends ongoing device upgrades and scaling according to workload, preventive maintenance, improvements in data quality and inter-agency linkage, expansion of needs-based training programs, sustainable budgeting for digital transformation, periodic impact assessments of technology on performance, and the promotion of an innovation-oriented organizational culture.

Key Words: Information Technology; Institutional Performance Efficiency; Hardware; Data; Ministry of Human Resources; Al-Baha.

المقدمة:

الملاحظ أن المؤسسات في عالم اليوم تسعى سعي حثيث في تحقيق التطور والنجاح المؤسسي وهذا أمر طبيعي يتفق مع فكرة وجودها على رأس التنافس مع غيرها . كما أن لتكنولوجيا المعلومات النصيب الأكبر في تحقيق أهداف المؤسسات لأن العالم هو عبارة عن ترابط وثيق في شتى المجالات بل حتى داخل المؤسسة من عملية حفظ البيانات و طريقة الاتصالات بين الإدارات المختلفة لا يأتي أكله إلا عن طريق تفعيل الدور المنوط بتكنولوجيا المعلومات.

فإن إتجاه المؤسسات نحو الإهتمام بالتكنولوجيا المعلومات لا ينبغي أن تقتصر على إدخال الأدوات والتقنيات والتكنولوجيات المتطورة فحسب ، بل يجب أن تكون عملية المواكبة في المؤسسات تعمل على الاهتمام بالموارد البشرية التي تعتبر الأساس في أي مؤسسة لأنه لدى الفرد القدرة على التكيف مع الظروف والمتغيرات والمستجدات المحيطة به من البيئة الداخلية والخارجية . كما يتطلب ذلك من المؤسسات وخاصة منظمات الأعمال أن تكون على درجة عالية من الكفاءة والفاعلية التي لا تتحقق إلا بجهود إبداعية متميزة و لابد أن يشمل إحداث تغيرات فعلية في توجهات وسلوكيات الموظفين الذين يعملون في منظمات الأعمال على وجه الخصوص، كي تحقق المؤسسة أهدافها التي ترنو إليها وتكون لها السيادة والريادة في أعمالها التي تقوم بها وتقدمها وزيادة حصتها السوقية لا سيما أن المنافسة في نطل العصر الحديث أصبحت متقدمه وتحتاج لمواكبة. ويأتي هذا البحث لمعالجة القصور في جانب تكنولوجيا المعلومات وإدارة الموارد البشرية التي تنعكس على الأداء المؤسسي حيث يؤثر سلبا على نشاط المنظمة وتفعيل نظام الحوافز والعمل بروح الفريق الواحد.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس :

- إلى أي مدى تؤثر تكنولوجيا المعلومات في الأداء المؤسسي ؟

ومن هذه الأسئلة تتفرع عدة أسئلة فرعية:

1. ماهو أثر الأجهزة في الأداء المؤسسي ؟

2. ماهو أثر البيانات في الأداء المؤسسي ؟

أهمية البحث:**الأهمية العملية:**

جاءت هذه الرسالة للتعرف على تكنولوجيا المعلومات التي أصبحت تمثل بعداً مهماً في عالم اليوم ، وقد أصبحت مصدراً أساسياً للتميز فمن يمتلك القدرة على تفعيل دور تكنولوجيا المعلومات تكن له الريادة في الأداء المؤسسي وكذلك إكتسب أهميته من الناحية العملية في كونه قد يلقي الضوء على تكنولوجيا المعلومات ودورها الملموس في إدارة الموارد البشرية وبالتالي ينعكس إيجاباً على الأداء المؤسسي.

الأهمية العلمية:

تتبع الأهمية العلمية في أنها تساعد الباحثين في التعرف على تكنولوجيا المعلومات وأثرها في إدارة الموارد البشرية بمعالم من شأنها أن تساعد في تميز الأداء المؤسسي من خلال الملاحظة والتجربة والتحليل ، والتي تعالج مواضيع أكثر تعقيداً وأصعب في التنبؤ بها في المستقبل . ولذلك يصبح هذا البحث نقطة إنطلاق لأبحاث أخرى قد يستفيد منها الباحثون و المهتمون بمجال إدارة الموارد البشرية .

أهداف البحث:

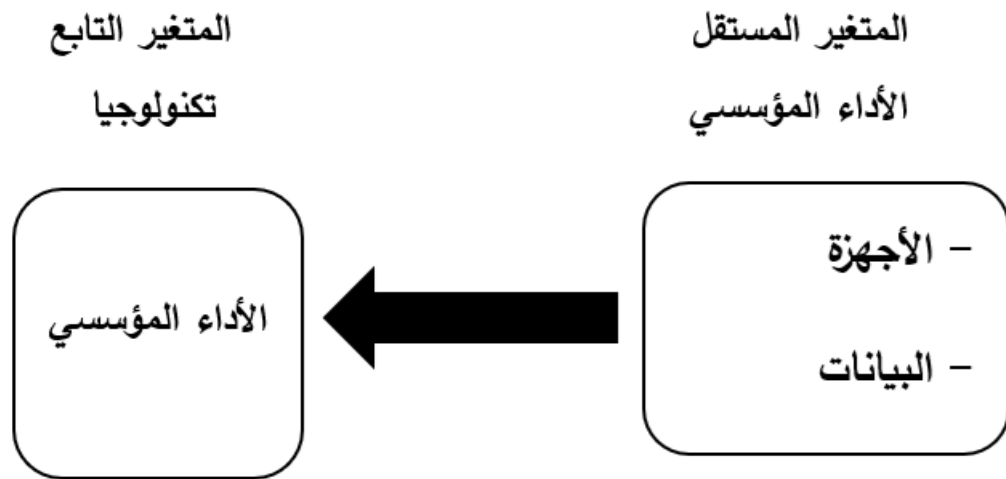
1. التعرف على العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات و الأداء المؤسسي.
2. التعرف على أثر الأجهزة في الأداء المؤسسي.
3. التعرف على أثر البيانات في الأداء المؤسسي.

فروض البحث:

يهدف هذا البحث لإختبار الفروض الآتية :

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات و الأداء المؤسسي.
2. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأجهزة و الأداء المؤسسي.
3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البيانات و الأداء المؤسسي.

شكل (1) نموذج الدراسة :



المصدر : إعداد الباحث 2025م

منهج البحث:

المنهج التاريخي لتتبع الظاهرة تاريخيا وعرض الدراسات السابقة و المنهج الوصفي لوصف متغيرات الدراسة و المنهج التحليلي بغرض عرض وتحليل بيانات الدراسة وأخرى ميدانية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية : أثر تكنولوجيا المعلومات في كفاءة الأداء المؤسسي

- الحدود المكانية : المملكة العربية السعودية -وزارة الموارد البشرية - فرع الباحة
- الحدود الزمانية : يغطي البحث الفترة خلال العام 2024م
- الحدود البشرية : العاملون بوزارة الموارد البشرية

مصادر البيانات:

1. مصادر أولية : الاستبيان.
2. مصادر ثانوية : وتشمل الكتب والمجلات العلمية المحكمة والرسائل الجامعية و المواقع الإلكترونية.

الدراسات السابقة :

دراسة : عبد الرحمن جمال مطر¹

هدفت هذه الدراسة إلى فحص دور الإدارة الرشيدة في تعزيز الكفاءة الإدارية للعاملين في إدارة المرافق في جامعة خاصة في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية. وعلى وجه التحديد، ركزت الدراسة على ثلاث مجالات دور إيجاد القيمة ورسم خريطة التدفق لها في تطوير الكفاءة الإدارية للموظفين في إدارة المرافق في الجامعة تنفيذ نظام السحب في تطوير في تطوير الكفاءة الإدارية، دور السعي للكمال في تطوير في تطوير الكفاءة الإدارية استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الارتباطي واستخدمت استبانة مكونة من 30 فقرة. وتكون مجتمع الدراسة من موظفي إدارة المرافق في الجامعة، والبالغ عددهم 335 فرد، وتم اختيار عينة مكونة من 180 موظف وموظفة.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وجود علاقة إيجابية ومباشرة بين دور الإدارة الرشيدة وتنمية الكفاءة الإدارية لدى الموظفين وبناء على هذه النتائج تم اقتراح عدة توصيات أولاً، تمت التوصية بإشراك موظفي إدارة المرافق بشكل فعال في عملية تطوير التفكير المرن، لأن هذا من شأنه أن يؤدي إلى آثار إيجابية على الأداء وتعزيز الروح المعنوية، مما يؤدي في النهاية إلى تحسين الكفاءة الإدارية. بالإضافة إلى ذلك، حثت الدراسة على إعطاء الأولوية لتوسيع وتكثيف الدورات التدريبية المتعلقة بتنفيذ وتطبيق الإدارة الرشيدة بناء على الاحتياجات الوظيفية وبخطة محددة جيداً.

بشكل عام، يسلط هذا البحث الضوء على أهمية الإدارة الرشيدة في تعزيز الكفاءة الإدارية لموظفي إدارة المرافق، مع التأكيد على أهمية مشاركة الموظفين ومبادرات التدريب المستهدفة، كما تم إبراز في هذه الدراسة إمكانية تحسين الأداء والكفاءة، وتقدم الدراسة نظرة متفائلة وملينة وتساعد مؤسسات مثل الجامعات الخاصة على تحقيق أداء وكفاءة أفضل في عمليات إدارة المرافق الخاصة بها، مما يمهّد الطريق للمستقبل أكثر بساطة وفعالية.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الرشيدة، الكفاءة الإدارية، جامعة

دراسة : عمار محمد زهير تيناوي²

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العلاقة بين استخدام تكنولوجيا المعلومات، وبين تحسين جودة الخدمات المقدمة في شركات الاتصالات، كمحاولة للتوصل إلى مجموعة من النتائج والتوصيات من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث على شركات الاتصالات محل الدراسة بغية تحقيق الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا المعلومات من أجل تحسين جودة الخدمات المقدمة في شركات الاتصالات. ولتحقيق هذا الهدف تم تصميم استبيان تم توزيع الاستمارة الأولى على عملاء شركتي الاتصالات في دمشق وهدفت لقياس أبعاد جودة الخدمة في شركات الاتصالات محل الدراسة من وجهة نظر العملاء، أما الاستمارة الثانية فوزعت على العاملين في شركات الاتصالات بهدف قياس استخدام تكنولوجيا المعلومات من وجهة نظر العاملين في الشركتين.

وقد بلغ عدد الاستبانات القابلة للتحليل 112 استبانة من عينة العملاء و 77 استبانة من عينة العاملين.

(1) . عبد الرحمن جمال مطر ، دور تطبيق الإدارة الرشيدة في تطوير الكفاءة الإدارية للموظفين (دراسة ميدانية في جامعة خاصة في مدينة جدة بالمملكة

العربية السعودية) ، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات المجلد الخامس | الإصدار الثامن والخمسون | أغسطس 2024 م

(2) . عمار محمد زهير تيناوي ، دور استخدام المعلومات في تحسين جودة الخدمات المقدمة في شركة الاتصالات (MTN – Syritatel) رسالة ماجستير ، الجامعة الافتراضية السورية ، الجمهورية العربية السورية ، 2019م.

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها وجود علاقة معنوية بين استخدام تكنولوجيا المعلومات وأبعاد جودة الخدمة المتمثلة في بعد الجوانب المادية الملموسة، بعد الاعتمادية أو المصداقية، بعد سرعة الاستجابة ومساعدة العميل بعد الثقة والأمان (الضمان)، بعد التعاطف مع العميل). سواء بشكل جزئي مع كل بعد لوحده، أو مع جميع الأبعاد مجتمعة.

أولاً : الإطار النظري :

- مفهوم تكنولوجيا المعلومات

تعرف تكنولوجيا : بأنها تشير الى امكانية التطبيق العملي للوسائل العملية المتطورة والحديثة على اعتبار أن هذه الوسائل العملية غالباً ما تتعلق بالتطورات الجديدة في العمليات أو الانتاج بالإضافة التي التقدم العملي المؤثر في مختلف الأنشطة التي يمكن إستخدامها فيها.(3)

كما تعرف بأنها مجموعة المعارف والمهارات والخبرات الجديدة التي يمكن تحويلها إلي طرف إنتاج أو إستعمالها في إنتاج سلع وخدمات وتسويقها وتوزيعها، أو استخدامها في توليد هياكل تنظيمية إنتاجية.(4)

أما المعلومات هي عبارة عن بيانات تمنح صفة المصداقية ويتم تقد يمها لغرض محدد يتم تطويرها وترقي لمكانة المعرفة عندما تستخدم للقيام أو لغرض المقارنة، وتقييم نتائج مسبقه ومحددة أو لغرض الاتصال أو المشاركة في حوار أو نقاش.(5) عرفت بأنها : "حقائق وبيانات منظمة تصف موقفاً أو مشكلة معينة.(6)

تعرف بأنها: هي البيانات التي تم إعدادها لتصبح في شكل أكثر نفعاً للفرد مستقبلاً، نحو التي لها إما قيمة مدركة في الإستخدام الحالي أو المتوقع أو في القرارات التي يتم إتخاذها.(7)

كذلك تشير المعلومات بأنها : البيانات المجهزة في شكل منظم ومفيد وبالتالي هي نوع من المعرفة الناتجة عن عمليات تشغيلية لخدمة أغراض بعينها.(8)

لقد تعددت مفاهيم تكنولوجيا المعلومات وفقاً لآراء الكتاب والباحثين في اعطائهم مفهوماً واحداً أمل ولعل ذلك يرجع لاختلاف مرجعياتهم العلمية ومنطلقاتهم الفكرية فمنهم من عرفها: بأنها : هي الحصول البيانات ومعالجتها وتخزينها وتوصيلها وإرسالها في شكل صورة معلومات مصورة أو صوتية أو مكتوبة أو في صورة أو مكتوبة رقمين) ذلك بواسطة توليفة من الآلات الالكترونية وطرق المواصلات السلكية واللاسلكية.(9)

تشير أيضاً إلى أنها: هي البحث عن أفضل الوسائل لتسهيل الحصول علي المعلومات وتبادلها وجعلها متاحة لطالبيها بسرعة وفعالية.(10)

(3)خلود عاصم دور تكنولوجيا المعلومات والإتصالات في تحسين جودة المعلومات وانعكاساته على التنمية الإقتصادية، (بغداد: جامعة بغداد، مجلة كلية بغداد للعلوم لاقتصادية، م.د، العددالخاص بمؤتمر الكلية، العراق) ص 6 .

(4) محمد علم الدين، تكنولوجيا المعلومات وصناعة الإتصال الجماهيري، (مصر: دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1990م) ص16.

(5) عبد اللطيف محمود مطر ،إدارة المعرفة والمعلومات (عمان : دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ،الأردن ،2007م) ص28

(6) عامر إبراهيم قنديلجي ،علا الدين جنابي، نظم المعلومات وتكنولوجيا المعلومات الإدارية (عمان : دار المسيرة ، الأردن، 2008م) ص31

(7) محمد إسماعيل محمد السيد ، نظم المعلومات الإدارية لاتخاذ القرارات الإدارية ،(الإسكندرية : المكتب العربي الحديث ،مصر، 1989م) ص 97.

(8) سامي مصطفى محمد علي ،نظم المعلومات الادارية والتخطيط الاستراتيجي، (الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، السودان ،2012م) ص10.

(9) - بوحنية قوي، الإتصالات الإدارية داخل المنظمات المعاصرة ، (سكيكده: ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2010م) ص86

(10) - حسن جعفر الطائي، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها، (عمان :دار البلدية ، الأردن، 2013م) ص3.

عرفت بأنها :عبارة عن استخدام التقنيات الحديثة والتي توفر ميزة تنافسية للشركات في مجال المنافسة بالأسواق ، وإيصال المعلومات وتخزينها ومعالجتها بهدف إتخاذ القرارات الرشيدة.(11)

تشير أيضا إلى أنها: دراسة، تصميم، تطوير وتطبيق، دعم أو إدارة الأنظمة المبنية على الحاسبات الالكترونية، خاصة تطبيقات البرمجيات، وتجهيزات الحاسبات الالكترونية.(12)

مما قدمت لمفهوم تكنولوجيا المعلومات يمكن تصنيفها إلى اتجاهين أساسيين هما:

أ) الاتجاه الفني أو التقني:

يركز أنصار هذا الاتجاه على عناصر ومكونات تكنولوجيا المعلومات. في هذا السياق، يعرف البعض تكنولوجيا المعلومات بأنها مجموعة التطبيقات والتقنيات التكنولوجية، تشمل: أجهزة وشبكات الحاسوب، البرمجيات والتجهيزات اللازمة للاتصال بالإنترنت⁽¹³⁾. وهناك من يرى أن تكنولوجيا المعلومات حصيلة التفاعل بين ثلاثة أنواع من التكنولوجيا، وهي: تكنولوجيا الحاسبات، بما تقدمه من أجهزة حاسوب وتجهيزات متنوعة وتكنولوجيا البرمجيات، وتكنولوجيا الاتصالات، بما توفره من تقنيات تساعد على ربط أجهزة الحاسوب ونظم المعلومات في أنظمة متكاملة على جميع المستويات⁽¹⁴⁾

وهناك من يعرف تكنولوجيا المعلومات بأنها مجموعة من الأجهزة والتطبيقات المحوسبة، مثل: التصنيع بمساعدة الحاسوب، والتصميم بمساعدة الحاسوب وتبادل البيانات الكترونيا ونظم تخطيط الموارد، والتي تؤثر في إنتاجية المنظمة⁽¹⁵⁾ ويلاحظ أن هذه التعريفات ركزت على العناصر الفنية، دون أن توضح مهام أو فوائد هذه العناصر، كما أنها لا تتناسب مع المنظور الإداري لدراسة تكنولوجيا المعلومات.

ب) الاتجاه الوظيفي:

يركز أنصار هذا الاتجاه على المهام والوظائف التي تؤديها تكنولوجيا المعلومات. في هذا السياق، يرى البعض أن تكنولوجيا المعلومات مصطلح عام يصف جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وتخزينها واسترجاعها ونشرها. وهناك من يعرفها بأنها مجموعة الأجهزة والأدوات والعمليات التي توفر البنية الأساسية والخدمات لنقل وتخزين ومعالجة ونشر وتوزيع المعلومات(. أو هي جميع التقنيات (الحوسبة، البرمجيات، الاتصالات) المستخدمة في جمع ومعالجة وتخزين واسترجاع البيانات بأشكالها المختلفة النصية والرقمية، والمرئية والصوتية

أهمية تكنولوجيا المعلومات

تظهر أهمية تكنولوجيا المعلومات من خلال مايلي: (16)

(11) - نا صر خلف المطيري ، مرجع سابق ، ص 16.

(12) - محمد الصيرفي ،إدارة تكنولوجيا المعلومات،(الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، مصر ،2009م) ص22

(13) خالد مصطفى بركات، أثر تكنولوجيا المعلومات على الأداء المؤسسي: دراسة ميدانية للهيئات العامة الخدمية المصرية مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية المجلد24 والعدد 2، ابريل 2024م ، ص242

(14) خالد مصطفى بركات، "القدرات التنظيمية كمدخل لتفعيل العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والأداء المؤسسي: دراسة ميدانية على الأجهزة الحكومية الكويتية"، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، المجلد 17، العدد 3، يوليو 2016، ص 189.

(15) Onn, W., & Sorooshian, S., "Mini Literature Analysis on Information Technology Definition", Information and Knowledge Management, Vol.3, No.2, 2013, p. 139.

(16) بني علي أمجد ،أثر تكنولوجيا المعلومات علي كفاءة التدقيق في المؤسسات ، (أدارار: جامعة أحمد درار ، مجلة الحقيقة العدد 30 ،2014م) ص180

1. تساعد المنظمات في الحصول على المعلومات المطلوبة لأداء أعمالها بشكل مناسب. وإيجاد فرص جديدة للعمل .
2. تعمل علي تغيير الطريقة التي تعمل بها المنظمات وإعادة تشكيل منتجاتها وخدماتها وهذا بالإضافة الي بعض المهام التي تساهم فيها تكنولوجيا المعلومات .
3. تساعد علي تحقيق رقابة فعالية في العمليات التشغيلية .
4. تمكن المؤسسة من القيام بمختلف نشاطاتها إلكترونيا .
5. تساعد تكنولوجيا المعلومات في تحسين الموقف التنافسي للمنظمة ، وزيادة الكفاءة والفعالية في الانظمة والعمليات الداخلية والخارجية .

خامسا: أهداف تكنولوجيا المعلومات : تسعى تكنولوجيا المعلومات لتحقيق الأهداف التالية:

- 1-تجميع المعلومات الاتوماتيكي، والتواصل بين المشاريع المحلية والعالمية ومخرجات الحواسيب قللت العمل اليدوي وانحسرت في أضيق الحدود.
- 2-خفض التكاليف من خلال تسهيل سريان العمل وضمانه توازن الوقت، تكاليف إصدار تحويل المعلومات وسرعتها بمدة قصيرة تصل المعلومات للمكان المطلوب وسرعة إنجاز العمل وتحسين أداء العاملين.⁽¹⁷⁾
- 3-تبسيط الإجراءات في المؤسسة، وسهولة التواصل مع الزبون وتلبية إحتياجاته.
- 4-سرعة تطوير النظام والقدرة على التغيير والتعديل وضمان التكامل لعدم ضياع البيانات. والمجهود اللازم للحفاظ علي النظام.⁽¹⁸⁾
- 5-تساهم في تبسيط الإجراءات الإدارية وتسهيل وتسريع عملية صنع القرار، وتمكين الإدارات من التخطيط بكفاءة وفاعلية للإستفادة من متطلبات العمل .⁽¹⁹⁾

مكونات تكنولوجيا المعلومات : تتمثل مكونات تكنولوجيا المعلومات في الاتي:

- 1- **الأجهزة** : وتمثل الكيان المادي الصلب (الحواسيب وملحقاتها) والتي تتكون من ثلاثة أجهزة رئيسة وهي: وحدات الإخال،وحدات المعالجة، وحدات الإخراج ، حيث تقوم هذه الأجهزة بوظائف متعددة لتسهيل العمل داخل المؤسسة.⁽²⁰⁾، كما تستخدم في عمليات إدخال البيانات معالجتها، وإستخراج المعلومات المطلوبة لإتخاذ القرارات المناسبة وتحسين أداء الأعمال⁽²¹⁾

⁽¹⁷⁾ محمد عبد حسين الفرغ الطائي ، المدخل الي نظم المعلومات الإدارية -إدارة تكنولوجيا المعلومات (عمان :دار وائل للنشر والتوزيع ،الأردن ،2008م) ، ص165.

⁽¹⁸⁾ زرار العياشي غياذ كريمة ، إستخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال،(عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع ، الأردن ،2016م) ص32

⁽¹⁹⁾ حيدر شاكر البرزنجي ،محمود حسين ، تكنولوجيا المعلومات في المنظمات المعاصرة ، (بغداد : دار الكتب والوثائق للنشر والتوزيع ، العراق ، 2014م) ص 23

⁽²⁰⁾ بسام محمود المهيرات ،إدارة المعرفة في تكنولوجيا المعلومات، (عمان: دار الجليس للنشر والتوزيع ، ، 2012م) ص221.

⁽²¹⁾ يسري محمد حسين ،تكنولوجيا المعلومات وتأثيرها في تحسين أداءمستوي الخدمة الفندقية، (بغداد : جامعة بغداد ،كلية الإقتصاد، مجلة الإدارة والإقتصاد، العدد الخامس والثمانون ،2010م) ص 329

2- البرمجيات : تعرف البرمجيات بأنها مجموعة من الأوامر والتعليمات المعدة من قبل الإنسان والتي توجه المكونات المادية للحاسوب لغرض أداء مهمة ما أو للعمل بطريقة معينة وفق تعليمات دقيقة للحصول على نتائج مطلوبة بشكل معين (22)

3- الشبكات: عبارة عن جهازين حاسوب أو أكثر من جهاز حاسوب متصلين مع بعضهم البعض من خلال كابلات أو أسلاك توصيل، ويمكن أن تكون الشبكة متصلة لاسلكياً، ويمكن أن تضم الشبكات أجهزة أخرى مثل الطابعات وكاميرات المراقبة والهواتف. (23)

4- قاعدة البيانات: هي بيانات مرتبطة مع بعضها البعض أو المعلومات المخزنة على أجهزة ووسائل تخزين البيانات مثل مشغل الأقراص الصلبة للحاسبة والأقراص المرنة أو الاشرطة، وقد تكون قواعد البيانات متعلقة بسجلات المخزون في الشركة، وتتوفر قواعد بيانات مباشرة تتضمن على شكل أرقام، ومؤشرات إقتصادية، وأسعار السوق والمخزون بالإضافة إلى أنها الوعاء الذي يحتوي على مجموعة من الملفات المخزنة على أجهزة الحاسوب بحيث المواد الأولية (المادة الخام) التي تم معالجتها وتحديثها وإسترجاعها للوصول للمعلومات. (24)

مما سبق، يرى الباحث إمكانية تعريف تكنولوجيا المعلومات بأنها: منظومة متكاملة من أجهزة الحاسوب والاتصالات والبرمجيات والشبكات والخدمات والتجهيزات تهدف إلى جمع وتخزين ومعالجة البيانات، والحصول على المعلومات ونشرها وتبادلها بالشكل الذي يحقق أهداف المنظمة بكفاءة وفعالية.

- مفهوم الأداء المؤسسي

يعد مفهوم الأداء المؤسسي Institutional Performance انعكاساً لمدخل النظم في الإدارة، فهو محصلة التفاعل بين العناصر والنظم الفرعية للمنظمة، في ظل القيود الداخلية التي تحدد قدراتها وإمكاناتها، والقيود الخارجية المفروضة من البيئة المحيطة بها. ولقد تعددت التعريفات التي قدمت لهذا المفهوم، فهناك من يعرف الأداء المؤسسي بأنه محصلة التفاعلات التي تتم بين الأفراد وبين الأساليب والمواد والمعدات التي يستخدمونها في العمل، وكذلك بين هؤلاء الأفراد وبين الثقافة والبيئة التي يعملون في سياقها وهناك من يعرف الأداء المؤسسي من خلال المعايير المستخدمة في قياس هذا الأداء، وأنه محصلة التفاعل بين عدد من المعايير، وهي: الإنتاجية، والجودة الخارجية (رضاء العملاء) والجودة الداخلية (تقليل الفاقد والأخطاء) والابداع والثقافة التنظيمية. (25)

الأداء المؤسسي يعرف بأنه " المنهجية المنظمة لضمان النشاطات التي تم التخطيط لها مسبقاً، فهو الأسلوب الأمثل الذي يساعد على منع و تجنب حدوث المشكلات، و ذلك من خلال التشجيع على السلوكيات الجيدة ، و كذلك الاستخدام الأمثل لأساليب التحكم". ذلك أن تحفيز وتشجيع السلوك التنظيمي الأمثل في الأداء بكفاءة و فاعلية يساعد على منع مختلف مشكلات في الأداء المؤسسي. (26)

مما سبق، يمكن تعريف الأداء المؤسسي للهيئات العامة بأنه: محصلة التفاعل بين العناصر والنظم الفرعية لهذه الهيئات، في ضوء عوامل البيئة الداخلية (مثل: الموارد البشرية والمالية والفنية، نظم وسياسات العمل، الأبعاد التنظيمية والإدارية)

(22) الطائي محمد عبده ، نظم المعلومات الإدارية، (الموصول :دار الكتب للنشر والتوزيع ،العراق،2001م) ص148.

(23) محمود محمد صالح ، مبادي الحاسب الآلي (عمان :مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م) ص13

(24) غسان قاسم داود اللامي، إدارة التكنولوجيا ،(عمان : دار المنهج للنشر والتوزيع ،الأردن، 2010م) ص170

(25) خالد مصطفى بركات، أثر تكنولوجيا المعلومات على الأداء المؤسسي: ، مرجع سبق ذكره ص245

(26) نبيل مرسي خليل ، الميزة التنافسية في مجال الأعمال ، (مصر: مركز الإسكندرية للكتاب ، 1998) ، ص 62.

والتي تحدد قدرات وامكانيات هذه الهيئات، وعوامل البيئة الخارجية (قانونية سياسية، اقتصادية اجتماعية) والتي تفرض بواسطة البيئة المحيطة بها.

أهمية الأداء المؤسسي⁽²⁷⁾:

1. أهمية الإنجازات التي يمكن أن تحققها المؤسسات في تطبيق الأداء المؤسسي.
2. معرفة أهمية الأداء المؤسسي وأثر استراتيجية ضبط إدارة الجودة الشاملة على الأداء المؤسسي
3. التعرف على أهمية استراتيجية الشركة في تحقيق الأداء المؤسسي .

قياس الأداء المؤسسي

يعتبر قياس الأداء المؤسسي هو المحصلة المتكاملة لنتائج أعمال المنظمة و تفاعلها بمعالم بيئته ويضم كل من⁽²⁸⁾:

* أداء الأفراد في وحدتهم التنظيمية.

* أداء الوحدات التنظيمية في الإطار العام للمنظمة.

* أداء الشركة في إطار البيئة الخارجية (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية....الخ).

وأداء الفرد يقاس بمجموعة متنوعة من المقاييس يتم من خلالها تقييم أدائه وصولاً إلى التأكد من أن أنظمة العمل ووسائل التنفيذ في كل إدارة تحقق الكفاءة والفعالية وعلى مستوى مناسب من الجودة.

ويقاس أداء كل إدارة بمجموعة أخرى من المعايير إلا أن المقاييس التي تستخدم في أغلب الأحيان هي مقاييس فعالية المنظمة لقياس الأداء فيها للوق وفعلى مدى قرب المنظمة من الفعالية وتشمل كل من مقاييس الفعالية الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية والرقابية والبيئة.

معايير قياس الأداء المؤسسي

يمكن تعريف المعيار بأنه متغير كمي أو نوعي يوفر أساساً بسيطاً وموثوقاً لتقييم الأداء، ونظراً لتنوع أهداف الهيئات العامة، وتعدد الأطراف المستفيدة وأصحاب المصالح، فإنه يصعب قياس الأداء المؤسسي لهذه الهيئات اعتماداً على معيار واحد فقد لا بد من استخدام عدد من المعايير التي تعكس الأداء بأبعاده المختلفة لذا تعددت الآراء والتصنيفات بشأن عدد ونوعية معايير الأداء المؤسسي. في هذا السياق، يرى البعض إمكانية قياس الأداء المؤسسي باستخدام معيارين أساسيين، هما: الأداء التشغيلي والأداء المالي .وهناك من يعتمد في قياس الأداء المؤسسي للمنظمات العامة على ثلاثة معايير رئيسية، هي: ²⁹

- التكلفة Economy وتركز على موارد أو مدخلات المنظمة.
- الكفاءة Efficiency وتهتم بالعلاقة بين مخرجات ومدخلات المنظمة.
- الفعالية Effectiveness وتهتم بالنتائج المترتبة على مخرجات المنظمة .

وهناك من يعتمد على معايير الأداء المتوازن التي اقترحها Robert Kaplan & David Norton في قياس الأداء

(27) محمد أحمد إبراهيم ، الأداء المؤسسي أهميته وأهدافه ،(القاهرة : دار النهضة العربية ، 2002م)، ص26.

(28) أشرف عبد السلام عبد المجيد ، قياس الأداء المؤسسي - الأهمية والأهداف والخصائص ،(المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر ، 2007م)، ص 46..

(29) خالد مصطفى بركات، أثر تكنولوجيا المعلومات على الأداء المؤسسي: ، مرجع سبق ذكره ص246

المؤسسي، وهي :

- الأداء المالي: ويمكن قياسه بواسطة عدد من المقاييس الكمية، مثل تكاليف الإنتاج، العائد على الاستثمار.
- الأنشطة والعمليات الداخلية: يركز على الكيفية التي يتم من خلالها أداء الأعمال من حيث الدقة والسرعة.
- العملاء: ويعكس قدرة المنظمة على اجتذاب عملاء جدد، وزيادة رضاهم.
- التعلم والابتكار: يركز على أنشطة التدريب والتعلم، وتنمية مهارات العاملين والتطوير المستمر.

وهناك من يرى إمكانية قياس الأداء المؤسسي باستخدام 5 معايير تغطي المجالات التالية³⁰:

- المدخلات Inputs اللازمة لعمل المنظمة، مثل الموارد المالية والبشرية والسياسات.
- العمليات Process الأنشطة التي يتم من خلالها تحويل المدخلات إلى مخرجات.
- المنتجات Products المنتجات أو الخدمات
- المخرجات Outputs
- النتائج Outcomes أثر المخرجات على المجتمع.

أثر تكنولوجيا المعلومات في كفاءة الأداء المؤسسي

أثر تكنولوجيا المعلومات في كفاءة الأداء المؤسسي يتمثل في تحسين العمليات الداخلية، زيادة سرعة ودقة اتخاذ القرارات، تقليل الأخطاء البشرية، وتعزيز التواصل داخل المنظمة وخارجها. تكنولوجيا المعلومات تساهم في أتمتة المهام، تسهيل تدفق المعلومات، وتحليل البيانات مما يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاجية وتحسين جودة الخدمات المقدمة، وبالتالي تحقيق أهداف المؤسسة بكفاءة أعلى.

تشير الدراسات إلى أن استخدام نظم المعلومات ينعكس إيجابياً على الأداء المالي والإداري للمؤسسات، حيث تدعم الابتكار والتكيف مع التغيرات السريعة في البيئة التنافسية. كما أن تكامل تكنولوجيا المعلومات مع استراتيجيات العمل يعزز القدرة التنافسية ويحقق تحسينات مستدامة في الأداء المؤسسي.³¹

(30) خالد مصطفى بركات، أثر تكنولوجيا المعلومات على الأداء المؤسسي: ، مرجع سبق ذكره ص246

(31) مروان محمد عساج، دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين الأداء المالي للمنظمة (دراسة نظرية تحليلية) ، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، المجلد الرابع ، الإصدار الثامن والأربعون ، أكتوبر 2023م، ص54

ثانياً : الدراسة الميدانية:

عرض وتحليل البيانات واختبار الفروض :

جدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع

م	الخيارات	التكرار	النسبة المئوية
1	ذكر	48	80%
2	أنثى	12	20%
المجموع		60	100%

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية أفراد العينة من الذكور بنسبة (80%) وبعده (48) مفردة، في حين أن نسبة الإناث بلغت (20%) وبعده (12) مفردة فقط. وهذا يشير إلى أن العينة يغلب عليها الطابع الذكوري، مما قد يعكس طبيعة بيئة العمل في وزارة الموارد البشرية - فرع الباحة، أو قد يكون راجعاً إلى نسبة تمثيل الذكور في المناصب الوظيفية داخل الوزارة.

جدول رقم (2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المؤهل العلمي

م	الخيارات	التكرار	النسبة المئوية
1	ثانوي	26	43.3%
2	جامعي	28	46.7%
3	فوق جامعي	6	10%
المجموع		60	100%

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية أفراد الدراسة يحملون مؤهلاً جامعياً بنسبة (46.7%) وبعده (28) فرداً، تليها نسبة الحاصلين على مؤهل ثانوي بواقع (43.3%) وعددهم (26) فرداً، في حين أن أقلية من العينة يحملون مؤهلاً فوق الجامعي (دراسات عليا) بنسبة (10%) وبعده (6) أفراد فقط.

وهذا التوزيع يعكس أن معظم العاملين بوزارة الموارد البشرية - فرع الباحة يتمتعون بمستوى تعليمي جيد (ثانوي وجامعي)، مما يمكن أن يساهم في استيعاب تطبيقات تكنولوجيا المعلومات واستخدامها في رفع كفاءة الأداء المؤسسي، مع وجود نسبة محدودة من ذوي الدراسات العليا قد يساهمون بدور أكبر في تطوير النظم وإدارة التحولات الرقمية.

جدول رقم (3) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المسمى الوظيفي

م	الخيارات	التكرار	النسبة المئوية
1	موظف	34	56.7%
2	رئيس قسم	12	20%
3	مدير	14	23.3%
	المجموع	60	100%

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يتضح من الجدول أن غالبية أفراد العينة يشغلون وظيفة موظف بنسبة (56.7%) وبعده (34) فرداً، يليهم المدراء بنسبة (23.3%) وبعده (14) فرداً، ثم فئة رؤساء الأقسام بنسبة (20%) وبعده (12) فرداً.

ويشير هذا التوزيع إلى أن العينة تضم مستويات وظيفية مختلفة، مما يعزز مصداقية الدراسة في قياس أثر تكنولوجيا المعلومات على كفاءة الأداء المؤسسي،

جدول رقم (4) يوضح توزيع أفراد العينة حسب سنوات الخبرة

م	الخيارات	التكرار	النسبة المئوية
1	أقل من 5 سنوات	3	5%
2	5 وأقل من 10 سنوات	14	23.3%
3	10 وأقل من 15 سنة	12	20%
4	15 سنة فأكثر	31	51.7%
	المجموع	60	100%

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية أفراد العينة يتمتعون بخبرة عملية 15 سنة فأكثر بنسبة (51.7%) وبعده (31) فرداً، يليهم ذوو الخبرة ما بين 5 وأقل من 10 سنوات بنسبة (23.3%) وعددهم (14) فرداً، ثم الذين تراوحت خبراتهم بين 10 وأقل من 15 سنة بنسبة (20%) وبعده (12) فرداً، في حين أن أقلية من العينة لديهم خبرة أقل من 5 سنوات بنسبة (5%) فقط.

ويشير هذا التوزيع إلى أن العينة يغلب عليها الموظفون ذوو الخبرات الطويلة، مما قد يساهم في تقديم تقييم أكثر دقة حول أثر تكنولوجيا المعلومات على كفاءة الأداء المؤسسي،

جدول رقم (5) يوضح قيم معامل الثبات لجميع محاور الاستبانة باستخدام معادلة كرونباخ ألفا.

م	اسم المحور	العبارات	كرونباخ ألفا
1	الأجهزة	5	0.779
2	البيانات	5	0.870
3	الأداء المؤسسي	5	0.890
	المجموع	15	0.933

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يلاحظ من الجدول أعلاه أن معامل الثبات لمحاور الاستبانة حسب كرونباخ ألفا تتراوح ما بين (0.779 - 0.890) وهذه القيمة تعتبر مقبولة لأغراض البحث العلمي. كما يلاحظ أيضا أن قيمة كرونباخ ألفا للاستبانة ككل (0.933) وهي قيمة مرتفع جداً.

المحور الأول : توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأجهزة والأداء المؤسسي

جدول رقم (6) يوضح نتائج المحور الأول (الأجهزة)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة %	الاستنتاج
		أوافق	محايد	لا أوافق					
1	الأجهزة المستخدمة في الوزارة حديثة	50	9	1	60	2.82	0.43	93.89%	أوافق
2	بالوزارة لجنة متخصصة لتوفير الأجهزة	47	13	0	60	2.78	0.42	92.78%	أوافق
3	عدد الأجهزة بالوزارة كافية	42	15	3	60	2.65	0.58	88.33%	أوافق
4	يوجد بالوزارة صيانة دورية للأجهزة	46	13	1	60	2.75	0.47	91.67%	أوافق
5	تتفق الوزارة مبلغاً مقدر من المال على الأجهزة	39	20	1	60	2.63	0.52	87.78%	أوافق

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يتضح من الجدول أعلاه أن جميع العبارات الخاصة بالمحور الأول (الأجهزة) جاءت بدرجة موافقة عالية، حيث تراوحت النسب المئوية بين (87.78%) و(93.89%). أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الأول تراوحت ما بين (2.63 - 2.82). وقد حصلت عبارة "الأجهزة المستخدمة في الوزارة حديثة" على أعلى نسبة موافقة (93.89%) وبمتوسط حسابي (2.82)، مما يدل على حداثة الأجهزة التقنية المستخدمة. كما جاءت عبارة "عدد الأجهزة بالوزارة كافٍ" بنسبة

(88.33%) وهي الأدنى ضمن العبارات، مما يعكس وجود بعض الملاحظات لدى الموظفين حول الحاجة إلى تعزيز أعداد الأجهزة لتلبية احتياجات العمل.

بشكل عام، توضح هذه النتائج أن وزارة الموارد البشرية - فرع الباحة تمتلك أجهزة حديثة وتوفر لها لجان متخصصة وصيانة دورية، الأمر الذي يسهم إيجابياً في رفع كفاءة الأداء المؤسسي من خلال البنية التحتية التقنية.

أختبار الفرضية الأولى: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأجهزة والأداء المؤسسي

جدول رقم (7) يوضح الاتجاه العام لمتوسط المحور الأول

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة المحسوبة T	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
2.73	0.36	-158.682	59	0.000	أوافق

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

من الجدول أعلاه يمكن ملاحظة أن الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (2.73) وهو المحدد سلفاً بالرأي (وافق)، وعليه يمكن تأكيد الحكم توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأجهزة والأداء المؤسسي

2/ توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البيانات والأداء المؤسسي

جدول رقم (8) يوضح نتائج المحور الثاني (البيانات)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة %	الاستنتاج
		أوافق	محايد	لا أوافق					
1	يوجد بالوزارة قاعدة بيانات ضخمة	43	16	1	60	2.70	0.50	90.00%	أوافق
2	نظام البيانات بالوزارة مبنية	46	16	1	60	2.75	0.47	91.67%	أوافق
3	البيانات بالوزارة دقيقة	45	12	3	60	2.70	0.56	90.00%	أوافق
4	البيانات بالوزارة متاحة عند الحاجة	47	11	2	60	2.75	0.51	91.67%	أوافق
5	يوجد ربط بين بيانات الوزارة والمؤسسات الحكومية الأخرى	41	14	5	60	2.60	0.64	86.67%	أوافق

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الثاني تراوحت ما بين (2.60-2.70). وأن استجابات أفراد العينة جاءت بدرجة عالية من الموافقة على جميع العبارات المتعلقة بالبيانات، حيث تراوحت النسب بين (86.67%) و(91.67%). وقد حصلت عبارتا "نظام البيانات بالوزارة مبوّب" و*"البيانات متاحة عند الحاجة"* على أعلى نسبة (91.67%) بمتوسط حسابي (2.75)، مما يدل على قوة النظام في التنظيم وسهولة الوصول إلى المعلومات عند الحاجة.

كما بينت النتائج أن وجود قاعدة بيانات ضخمة ودقة البيانات حظيا بنسبة (90%)، وهو مؤشر إيجابي يعكس موثوقية البيانات. بينما جاءت عبارة "يوجد ربط بين بيانات الوزارة والمؤسسات الحكومية الأخرى" في المرتبة الأخيرة بنسبة (86.67%)، مما يشير إلى أن هناك مجالاً للتحسين في مستوى تكامل وربط البيانات بين الوزارة وباقي الجهات الحكومية.

جدول رقم (9) يوضح الاتجاه العام لمتوسط المحور الثاني

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة المحسوبة T	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
2.70	0.44	-129.093	59	0.000	أوافق

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

من الجدول أعلاه يمكن ملاحظة أن الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (2.70) وهو المحدد سلفاً بالرأي (أوافق)، وعليه يمكن تأكيد الحكم توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البيانات والأداء المؤسسي

بناءً على النتائج السابقة، يمكن القول إن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين البيانات وكفاءة الأداء المؤسسي، حيث أظهرت النتائج أن توفر قاعدة بيانات ضخمة، ودقة وتنظيم البيانات، وسهولة الوصول إليها، يسهم بشكل مباشر في رفع جودة القرارات الإدارية وتحسين مستوى الأداء المؤسسي.

3/ توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات والأداء المؤسسي

جدول رقم (10) يوضح نتائج المحور الثالث (الأداء المؤسسي)

م	العبارات	التكرارات			المجموع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة %	الاستنتاج
		أوافق	محايد	لا أوافق					
1	أثرت استخدام تكنولوجيا المعلومات في الوزارة على كفاءة الأداء إيجاباً	49	10	1	60	2.80	0.44	93.33%	أوافق
2	تعمل الوزارة على تدريب العاملين دورياً	41	16	3	60	2.63	0.58	87.78%	أوافق
3	يوجد بالوزارة نظام التقييم الدوري للأداء	49	10	1	60	2.80	0.44	93.33%	محايد
4	أسهم استخدام تكنولوجيا المعلومات بالوزارة على تسريع إجراءات العمل	51	8	1	60	2.83	0.42	94.44%	أوافق
5	تسعى الوزارة من استخدام تكنولوجيا لتقليل نسبة الخطأ في الأداء المؤسسي	51	8	1	60	2.83	0.42	94.44%	أوافق

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

يبين الجدول أن جميع العبارات الخاصة بالمحور الثالث يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لعبارات المحور الثاني تراوحت ما بين (2.63-2.83) وقد حصلت على نسب موافقة مرتفعة، حيث تراوحت بين (87.78%) و (94.44%) جاءت عبارتا: "أسهم استخدام تكنولوجيا المعلومات بالوزارة على تسريع إجراءات العمل" و "تسعى الوزارة من خلال استخدام التكنولوجيا لتقليل نسبة الخطأ في الأداء المؤسسي" في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.83) بنسبة (94.44%)، مما يعكس التأثير المباشر للتكنولوجيا في تسريع الإنجاز وتقليل الأخطاء.

بينما حصلت عبارتا: "أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات في الوزارة على كفاءة الأداء إيجاباً" و "يوجد بالوزارة نظام التقييم الدوري للأداء" على متوسط حسابي (2.80) وبنسبة (93.33%)، وهو دليل على أن التكنولوجيا أسهمت في تعزيز الكفاءة والرقابة المؤسسية.

أما العبارة المتعلقة ب تدريب العاملين دورياً فجاءت في المرتبة الأخيرة بنسبة (87.78%)، مما يشير إلى أن التدريب المستمر لا يزال بحاجة إلى تعزيز لتحقيق أكبر استفادة من الأنظمة التقنية.

جدول رقم (11) يوضح الاتجاه العام لمتوسط المحور الثالث

الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة المحسوبة T	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
2.78	0.39	-144.351	59	0.000	أوافق

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبيان - 2025م)

من الجدول أعلاه يمكن ملاحظة أن الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (2.78) وهو المحدد سلفاً بالرأي (أوافق)، وعليه يمكن تأكيد الحكم توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تكنولوجيا المعلومات والأداء المؤسسي

الخاتمة

أولاً : النتائج :

- تبين من نتائج الدراسة أن غالبية أفراد العينة من الذكور (80%)، ومعظمهم حاصل على مؤهل جامعي (46.7%)، ويشغلون وظائف موظفين ومدراء ورؤساء أقسام، ولديهم خبرة عملية طويلة، مما يعكس تمثيل جيد لمختلف المستويات الوظيفية في الوزارة.
- أظهرت نتائج الدراسة أن الأجهزة المستخدمة في الوزارة حديثة، وكافية، وتتمتع بصيانة دورية، كما يوجد تخصيص ميزانية مناسبة لها، مما يسهم في تعزيز كفاءة الأداء المؤسسي.
- أوضحت نتائج الدراسة أن الوزارة تمتلك قاعدة بيانات ضخمة ودقيقة، ومبوبة بشكل يسهل الوصول إليها، ومتصلة ببعض المؤسسات الحكومية الأخرى، وهو ما يعزز جودة اتخاذ القرارات ويرفع مستوى الأداء.
- أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام تكنولوجيا المعلومات في الوزارة أسهم بشكل إيجابي في تسريع الإجراءات، تقليل الأخطاء، وتعزيز نظم التقييم الدوري للأداء، مع وجود حاجة لتعزيز التدريب المستمر للعاملين لضمان أقصى استفادة من هذه الأنظمة.

ثانياً: التوصيات:

- الحرص على تحديث الأجهزة بشكل دوري وزيادة عددها لتلبية احتياجات العمل المتزايدة.

- التأكد من استمرارية الصيانة الدورية للأجهزة لتفادي الأعطال وتقليل وقت توقف العمل.
- تعزيز دقة البيانات وتحديثها بشكل مستمر لضمان موثوقية المعلومات.
- زيادة الربط بين بيانات الوزارة والمؤسسات الحكومية الأخرى لتحسين التنسيق وكفاءة اتخاذ القرارات.
- الاستمرار في استخدام نظم تكنولوجيا المعلومات لتسريع الإجراءات وتقليل الأخطاء.
- تعزيز التدريب المستمر للموظفين على استخدام الأنظمة التقنية بفاعلية.
- تطبيق أنظمة تقييم دورية لقياس أثر التكنولوجيا على الأداء وتحديد المجالات التي تحتاج لتحسين.
- تخصيص ميزانية مناسبة للتقنيات الحديثة والتدريب لضمان استدامة الفوائد وتحقيق الأداء الأمثل.
- تشجيع ثقافة الابتكار واستخدام الحلول التقنية الحديثة في إدارة العمليات اليومية للوزارة.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

السنة النبوية: صحيح مسلم .

أولاً : الكتب العربية :

1. سعد غالب ياسين ، الإدارة الإستراتيجية ، عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع 1998م.
2. عايدة سيد خطاب، الإدارة والتخطيط الإستراتيجي في قطاع الأعمال والخدمات "سياسات إدارية"، القاهرة: دار الفكر العربي، 1985م.
3. مصطفى العوجي ، أساليب في مجال التخطيط ، الرياض: دار الفرزدق للنشر والتوزيع ، 1988م.
4. محمد فتحي ، معضلات إدارية تبحث عن حلول ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2002م.
5. بلال خلف السكارنة ، التخطيط الإستراتيجي، دار النشر للتوزيع، الاردن. 2010م.

ثانياً: المجلات العلمية :

6. فهد بن عبدالله الدليم ، واقع الإرشاد الأكاديمي في جامعة الملك سعود من وجهة نظر طلابها والمرشدين من أعضاء هيئة التدريس ، مجلة آداب ج.بني سويف العدد 10 ، جامعة الملك سعود ، 2014م.
7. عبدالناصر راضي محمد حسن ، أداء وحدة الإرشاد الأكاديمي في ضوء معايير ضمان الجودة والإعتماد ، (كلية المجتمع ببريدة نموذجاً) ، جامعة القصيم ، 2015م.
8. نايف حمد ، حازم الموني ، دور الإرشاد والعلاج بالواقع في خفض الشعور بالإكتئاب النفسي لدى المراهقين ، مجلة المنارة ، مجلد 20 العدد الأول ، 2014م.
9. بسام بنات ، خضر مصلح ، المشكلات الدراسية التي يواجهها طلبة جامعة بيت لحم ، مجلة جامعة بيت لحم ، العدد 25، 2006م.
10. هادي صالح رمضان ، الحاجات الإرشادية لدى طلبة كلية التربية ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، مجلد 12 ، العدد 2013، 3م.

11. المنسي، حسن عمر ، مشكلات الطلاب متدني التحصيل الدراسي من وجهة نظرهم في كلية المعلمين بمحافظة الرس بالمملكة العربية السعودية. مجلة جامعة الملك سعود ، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ، العدد (1) المجلد 17 ، 2004 ، ص 117.
12. محبوب، عبد الرحم ن إبراهيم . خصائص المرشد الأكاديمي كما يدركها طلبة كلية التربية بجامعة الملك فيصل ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل ، المجلد 2 العدد 1 ، 2001م ، ص33.
13. سليمان رجب، ؛ و علا محمد، سيكولوجية الإرشاد الأكاديمي والمهني نحو مستقبل متميز ، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة ، القاهرة ، 2013م .
14. محمد حسن الطراونة، قطيشات، نازك عبدالحليم ، درجة رضا طلبة كلية الآداب في جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة عن الإرشاد الأكاديمي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية .الأردن . عدد 57 .
15. السملق، أميرة بنت رشيد ، أثر برامج الإرشاد الأكاديمي على التحصيل الدراسي من وجهة نظر خريجات الجامعة ، مجلة جامعة الملك سعود. 2010م .

ثالثاً : الدوريات العلمية :

16. دليل الطالب للإرشاد واللوائح الأكاديمية ، كلية الفجر للعلوم والتكنولوجيا ، 2017م.
17. دليل الإرشاد الأكاديمي ، جامعة حائل ، الرقم 53836 / 13 ، 2016.
18. نشرة التعريف ، مفاهيم الإرشاد الأكاديمي للطالب ، كلية الفجر للعلوم والتكنولوجيا ، 2017م.

عنوان البحث

**تأثير تحويل البروتينات بالمركبات البوليفينولية على الخصائص الوظيفية والفعالية
المضادة للأكسدة وتطبيقاتها في الأنظمة الغذائية**

علي عبد الحسين عبد الله¹، عالية زيارة هاشم²*

¹ كلية الزراعة، جامعة البصرة، قسم علوم الأغذية، العراق. بريد الكتروني: alimag19731973@gmail.com

² كلية الزراعة، جامعة البصرة، قسم علوم الأغذية، العراق. بريد الكتروني: alia.hashim@oubasrah.edu.iq

* الباحث المراسل: عالية زيارة هاشم.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/44>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/44>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تأثير تحويل البروتينات بالمركبات البوليفينولية على الخصائص الوظيفية والفعالية المضادة للأكسدة، مع التركيز على التطبيقات المحتملة في الأنظمة الغذائية الحديثة. اعتمد البحث على مراجعة تحليلية لأحدث الدراسات المتعلقة بتفاعلات البروتين-البوليفينول، والتي تتم عبر روابط تساهمية أو غير تساهمية، وما ينتج عنها من تحسينات في الخصائص الفيزيائية والوظيفية للبروتينات. أظهرت النتائج أن معقدات البروتين-البوليفينول تؤدي أدوارًا مزدوجة في الأغذية، إذ تعمل كمضادات أكسدة فعالة، ومستحلبات، وعوامل مكوّنة للرغوة أو الجل، إضافة إلى تحسين قدرتها على ربط الماء والدهن. كما بينت الدراسات أن هذه التفاعلات ترفع من كراهية سطح البروتين للماء، مما يزيد من استقراره واستحلابه داخل الأنظمة الغذائية. وتُعد هذه الآلية استراتيجية واعدة لتحسين جودة الأغذية المصنعة وإطالة مدة صلاحيتها بطريقة طبيعية وآمنة مقارنة بالمضافات الاصطناعية. خلصت الدراسة إلى أن فهم آلية ارتباط البروتينات بالبوليفينولات والتحكم في ظروف التفاعل يمثل خطوة أساسية لتطوير منتجات غذائية ذات خصائص وظيفية محسّنة واستقرار مرتفع، بما يدعم التوجه العالمي نحو الأغذية الوظيفية والصحية المعززة بمضادات الأكسدة الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: البروتينات، المركبات الفينولية، التحويل، الخصائص الوظيفية، الفعالية المضادة للأكسدة، التطبيقات الغذائية.

RESEARCH TITLE

Effect of Modifying Proteins with Polyphenolic Compounds on Functional Properties, Antioxidant Activity, and Their Applications in Food Systems

Abstract

This study analyzes the impact of modifying proteins with polyphenolic compounds on functional properties and antioxidant activity, with a focus on potential applications in modern food systems. It adopts an analytical review of recent studies on protein–polyphenol interactions, which occur through covalent or non-covalent bonds, leading to improvements in the physicochemical and functional properties of proteins.

Findings indicate that protein–polyphenol complexes play dual roles in foods: they function as effective antioxidants, emulsifiers, and agents for foam or gel formation, in addition to enhancing water- and fat-binding capacities. The literature also shows that these interactions increase protein surface hydrophobicity, thereby improving stability and emulsification within food matrices. This mechanism presents a promising strategy to enhance the quality and shelf life of processed foods in a natural and safe manner compared with synthetic additives.

The study concludes that understanding the binding mechanisms between proteins and polyphenols and controlling reaction conditions is essential for developing food products with improved functional properties and higher stability, supporting the global shift toward functional and health-oriented foods enriched with natural antioxidants.

Key Words: proteins; phenolic compounds; modification; functional properties; antioxidant activity; food applications.

المقدمة :

البروتين عنصر غذائي رئيس، يلعب مجموعة واسعة من الأدوار الهيكلية والوظيفية في الجسم، وتؤدي البروتينات أدوارًا تكنولوجية مختلفة في صناعة الأغذية نظرا لخصائصها الاستحلابية والرغوية والتهلم وغيرها، وتساهم في الملمس واللون والنكهة وخصائص أخرى. (Grossmann and McClements, 2023. ; Loveday, 2019). يُعد تحويل المركبات النشطة حيويًا لتعزيز وظائفها مجاليًا بحثيًا متناميًا، وله تطبيقات في صناعات الأغذية والأدوية ومستحضرات التجميل. لذا، حظي تفاعل البروتينات مع المركبات البوليفينولية باهتمام بحثي كبير نظرًا لقدرتها على تعزيز استقرار وخصائص الأنظمة الغروانية الفيزيائية والكيميائية (Berton-Carabin and Villeneuve, 2023; Gong *et al.*, 2022). من الممكن أن تتفاعل المركبات البوليفينولية وهي مستقلبات ثانوية مشتقة من النباتات ذات خصائص مضادة للأكسدة (Ebrahimi and Lante, 2021)، مع البروتينات عن طريق التفاعلات التساهمية أو غير التساهمية، مما يُغير خصائصها البنيوية والوظيفية (Dai *et al.*, 2022). لتعزيز خصائصها الوظيفية الفعالية المضادات الأكسدة للبروتينات وقد تضيف فوائد إضافية، بما في ذلك تقليل الحساسية (Gong *et al.*, 2022). إذ توضح هذه المقالة أهمية تفاعل المركبات البوليفينولية مع بروتينات الغذاء في تحسين الخصائص الوظيفية للبروتينات والفعالية المضادة للأكسدة وإمكانية إدخالها في العديد من المنتجات الغذائية .

• الية تفاعل البروتينات والبوليفينولات

يُعتقد أن الآلية الأساسية لارتباط البروتين بالبوليفينول مرتبطة بالأكسدة، إذ يؤكد الأوكسجين الجزيئي مجموعة الهيدروكسيل على البوليفينول إلى كينون (Prodpran *et al.*, 2012). تمتلك المركبات الفينولية، التي تعد مضادات أكسدة طبيعية، حلقة عطرية واحدة على الأقل مرتبطة بمجموعة هيدروكسيل واحدة أو أكثر، التي يمكن أن تمنع أو تؤخر الأضرار التأكسدية التي تسببها أنواع الأكسجين التفاعلية (Czubinski and Dwiecki, 2017). ترتبط الفينولات بشكل تساهمي أو غير تساهمي مع البروتينات ويعتمد نوع التفاعل على نسبة الفينول إلى البروتين إذ يرتبط الفينول والبروتين مع بعضهما من خلال الروابط التساهمية وغير التساهمية التي تؤثر فيها عدة عوامل مثل درجة الحرارة والرقم الهيدروجيني ويكون الارتباط عن طريق الاواصر الهيدروجينية بين مجموعة النيتروجين أو الاوكسجين مع مجموعة الهيدروكسيل في الفينولات وبسبب احتواء البروتينات على أحماض أمينية ذات شحنة موجبة أو سالبة التي تؤدي إلى تغيير في هيكل البروتينات وخصائصها وتطبيقاتها (Li *et al.*, 2021).

• الخصائص الوظيفية للبروتين Functional properties of protein

-الذوبانية Solubility

الذوبانية من الخصائص المهمة للبروتين، إذ تعتمد قابلية البروتينات على الذوبان في الماء على المجاميع المحبة والكارهة للماء الموجودة على سطح البروتين عند تماسها مع الماء المحيط بها (Ozuna and León, 2010). فكلما زاد عدد المجاميع الكارهة للماء على السطح قلت قابلية الذوبان للبروتين، فضلا عن تأثر خاصية الذوبان بالعديد من العوامل مثل درجة الحرارة والرقم الهيدروجيني والقوة الأيونية والمذيبات العضوية، إذ تتأثر الخصائص الوظيفية للبروتين بصورة مباشرة بالذوبانية وخاصية الاستحلاب والتهلم وتكوين الرغوة (Renzetti *et al.*, 2008). تعد قابلية ذوبان البروتين خاصية وظيفية مهمة والتي تعطي معلومات حول أداء وظائف البروتينات في نظام الغذاء (Malik *et al.*, 2017) .

-الرغوة Foaming

هي إحدى الخصائص الوظيفية المهمة للبروتين تُعرّف الرغوة بأنها قدرة البروتين على تكوين وتثبيت فقاعات الهواء في السائل (Wu *et al.*, 2007). أما سعة الرغوة عبارة عن أقصى حجم يمكن الحصول عليه من انتشار البروتين متبوعاً بإدخال الهواء بالخفق أو التحريك أو التهوية، وأن حجم فقاعة الغاز المنتشر في السائل عادةً لا يتجاوز قطرها 10 مايكرومتر وفي بعض الأحيان تصل إلى 1000 مايكرومتر فعندما يصبح البروتين غير ملتف Unfolding تصبح المناطق الكارهة للماء ظاهرة، وإن الشد السطحي بين الهواء والماء ينخفض مما يسهل تكوين فلم غير نفاذ من شأنه زيادة التهوية وبذلك سترداد الرغوة في المحلول (Thiansilakul and Shahidi., 2007). بين (Wu *et al.* 2007). إن تحوير بروتينات بياض البيض بفينولات الشاي الأخضر أثرت في سعة الرغوة واستقرارها إذ حصل تحسن في سعة الرغوة بنسبة 0.25-0.4% بعد المعاملة بالمركبات الفينولية للشاي الأخضر.

قام (Sui *et al.* 2018) بتحويل معزول بروتين فول الصويا بالأنثوسيانين المستخلص من الارز الاسود بالتراكيز 0.05, 0.1, 0.2 % من خلال تفاعلات تساهمية فوجدوا أن سعة الرغوة لمعقدات البروتين-الأنثوسيانين للتفاعلات التساهمية خلال مدة 10 دقائق قد بلغت 125, 100 و 175% على التوالي مقارنة بمعاملة السيطرة التي بلغت 45% إذ أشار إلى أن خصائص الرغوة للبروتين قد تحسّنت بعد الارتباط بالأنثوسيانين من خلال التفاعلات التساهمية.

-الاستحلاب Emulsification

تعد خصائص المستحلب من الخصائص الوظيفية المهمة للبروتينات التي تؤثر على سلوك المنتجات الغذائية، إذ تتأثر خاصية الاستحلاب بعدة عوامل منها حجم القطرات ونسبة الطور المنتشر إلى الطور المستمر ولزوجة المنتج وحجم ونوع المكونات الأخرى وحركة أو اهتزاز المستحلب (Lam and Nickerson, 2013). المستحلبات هي مواد نشطة على السطح يمكن امتصاصها عند واجهة الزيت والماء مما يقلل من التوتر السطحي ويمنع تراكم قطرات المستحلب (Ozturk and McClements, 2016). إذ استعملت أنواع المستحلبات في صناعة الأغذية العديد من بروتينات الطعام عبارة عن مواد نشطة على السطح يمكن استعمالها لتحسين استقرار المستحلب (McClements *et al.*, 2017). يمكن للبروتينات أن تمتص عند واجهة الزيت/الماء بسبب بنيتها المحبة للماء والتي تشكل غشاء بروتيني حول قطرات الزيت والذي يمكن أن يمنع اندماج قطرات الزيت (Dickinson 2001). ترجع الطبيعة النشطة على السطح للبروتينات بسبب وجود أحماض أمينية طرفية محبة للماء وكارهة للماء في تسلسلات الأحماض الأمينية الأولية عند امتصاص البروتينات إلى واجهات الزيت والماء تحدث تفاعلات بين البروتين والبروتين، مما يؤدي إلى تكوين أغشية لزجة مرنة قوية أكثر مقاومة للاندماج مما ينتج استقراراً مكانياً أو كهروستاتيكياً مما يوفر استقراراً محسناً للمستحلب (McClements *et al.*, 2004). فضلاً عن ذلك، فإن ارتباط البروتينات والبوليفينولات غير القطبية يمكن أن يزيد من كراهية سطح البروتين للماء ومن ثم تعزيز خصائص الاستحلاب للبروتينات الأصلية (Ozda *et al.*, 2013). وهذا يجعل المركبات التي تشكلها البروتينات والبوليفينولات مستحلبات مضادة للأكسدة فعالة، التي يمكن أن تتمركز وتعمل عند واجهة الزيت والماء وتمنع الأكسدة في الأطعمة القائمة على المستحلبات (Fan *et al.*, 2018; Feng *et al.*, 2018). تُظهر البروتينات المحورة بالبوليفينولات نشاط استحلاب واستقراراً أعلى نتيجة لزيادة كراهية السطح للماء وانخفاض حجم الجسيمات (Li *et al.*, 2021).

قام (Liu *et al.*, 2021) بتحضير مركبات لاكتوفيرين-بوليفينول منها (EGCG) وحامض الكلوروجينيك وحامض الكاليك) باستعمال طريقة الارتباط بالجذور الحرة، التي كانت لها خصائص استحلاب أفضل من اللاكتوفيرين غير المحورة، إذ

أظهر مركب اللاكتوفيرين-حامض الكلوروجينيك خصائص استحلاب أعلى من مركبات اللاكتوفيرين-EGCG ولاكتوفيرين-حامض الكاليك.

درس (Abdelmaksoud *et al.*, 2018) الارتباط التساهمي β -lactoglobulin بحامض الكافيين باستعمال الطريقة القلوية، أظهرت المركبات الناتجة خصائص استحلاب أفضل من β -lactoglobulin غير المحورة.

قام (Sui *et al.*, 2018) بتحويل معزول بروتين فول الصويا بالأنثوسيانين المستخلص من الارز الاسود بالتراكيز 0.05, 0.1, 0.2, 1.0% من خلال التفاعلات التساهمية فوجدوا ان الاستحلاب لمعقدات البروتين-الأنثوسيانين للتفاعلات التساهمية خلال مدة 10 دقائق قد بلغت 160,125 و 170% على التوالي مقارنة بمعاملة السيطرة التي بلغت 99%، وازداد ثبات المستحلب للتفاعلات التساهمية اذ بلغ 161,81 و 170% ثبات المستحلب مقارنة بمعاملة السيطرة التي بلغت 75%.

- قابلية ربط الماء Water Binding Capacity

سعة ربط الماء والمعروفة أيضًا سعة الاحتفاظ بالماء (WHC)، هي قدرة العضلات على الاحتفاظ بمائها الأصلي والماء المضاف عند تعرضها لقوى خارجية. تُقاس هذه السعة بكمية السائل المطلق من نظام بروتين العضلات تحت تأثير القوى الخارجية، وتُحدد سعة الاحتفاظ بالماء، والملمس، واللون، وقيمة الرقم الهيدروجيني (PH) معًا التغير في جودة لحم البقر أثناء المعالجة الساخنة (Bowker and Zhuang, 2015). تُعد الرطوبة عاملاً حاسماً يؤثر على عصارة الأطعمة، حيث ترتبط العصارة ارتباطاً وثيقاً بخصائص مثل محتوى الماء، والقدرة على الاحتفاظ به، وتوزيعه (Cui *et al.*, 2023) تتأثر سعة الاحتفاظ بالماء بتغيرات بنية بروتين العضلات. تحدث هذه التغيرات في بروتين الليفيات العضلية، وبروتين الساركوبلازم، والنسيج الضام، وتؤثر على سعة الاحتفاظ بالماء، والطراوة، والملمس، وغيرها من معايير جودة المنتج (Cao *et al.*, 2018). لبنية البروتين النباتي المُحكم تأثير كبير على سعة ربط الماء، وترتبط سعة امتصاص الماء وسعة الاحتفاظ به ارتباطاً إيجابياً بالمسامية (Esbroeck van *et al.*, 2024). علاوة على ذلك، وجدت بعض الدراسات طرقاً مختلفة لتعزيز ربط الماء وتغيير توزيعه، وبالتالي تحسين عصارة منتجات اللحوم النباتية، مثل زيادة محتوى الملح أو إضافة عديدات السكاريد (Cui *et al.*, 2023). لسعة التبلور تأثير كبير أيضاً على تكوين البنية الليفية، حيث تُسهم مصفوفة هلامية أقوى في تحسين قوام المنتجات المبنوكة. تتطلب البروتينات ذات خصائص التبلور الأضعف، مثل بروتين الأرز وبروتين الفول السوداني، إضافة مواد أخرى لتسهيل تكوين بنية شبكية (Xio *et al.*, 2023).

اجرى (Peters *et al.*, 2017) دراسة مقارنة لقابلية ربط الماء لانواع مختلفة من البروتينات كالمُعزول البروتيني للبالزلاء، مُعزول بروتين فول الصويا، مُرَكَّز بروتين الترمس، غلوتين القمح اذ لوحظ ان قابلية على بروتين البالزلاء على ربط الماء كان هي الاعلى 78% يليه معزول بروتين فول الصويا وغلوتين القمح ومركز بروتين الترمس 72% و70% و41% على التوالي.

افاد (Malik and Saini, 2017) عند دراستهم لعزلات البروتين المُستخلصة من بذور وحبوب زهرة الشمس (معزول بروتيني من البذور يحتوي على الفينولات، معزول بروتيني من البذور لا يحتوي على فينولات، معزول بروتيني من النواة يحتوي على الفينولات، معزول بروتيني من النواة لا يحتوي على فينولات) عن طريق الترسيب الكهربائي المتساوي. إذ أظهر المعزول البروتيني المحتوي على البوليفينولات قدرة أعلى على ربط الماء مقارنةً بالمعزول البروتيني الخالي من البوليفينولات .

– قابلية ربط الدهن Fat Binding Capacity

تعد من الخصائص الوظيفية المهمة للبروتينات إذ تعود إلى السلاسل الجانبية غير القطبية للبروتين، هذه الخاصية مهمة جدا في النظام الغذائي لأن ارتباط الدهن بالبروتين يكون ما يسمى لايوبروتين وهي مهمة في الاحتفاظ بمواد النكهة وتحسين القوام، إذ تتأثر هذه الخاصية بعدة عوامل منها : تركيب المواد المضافة، حجم الجزيئات وطبيعتها، عمليات التصنيع المختلفة، مصدر البروتين، ودرجة حرارة الوسط (Seyed *et al.*, 2011).

الأكسدة ومضادات الأكسدة Antioxidants Oxidation and

أكسدة الدهون هي السبب الرئيس للدهور أثناء التخزين للدهون والزيوت الصالحة للأكل والمنتجات المحتوية عليها (Shahid *et al.*, 2018). تتأكسد الدهون الموجودة في الأطعمة بسهولة، مما يعني أن العديد من الأنظمة الغذائية تحتوي غالبًا على أكاسيد دهنية مثل بيروكسيدات الهيدروجين، ونواتج تحلل الأحماض الدهنية (مثل الألدهيدات والكيتونات والايوكسيدات) (Gao *et al.*, 2016). يلعب التفاعل بين البروتينات والبوليفينولات دورًا مهمًا في تحسين جودة بعض المنتجات الغذائية على سبيل المثال، أن معقد البروتين-البولي فينول يظهر نشاطًا مضادًا للأكسدة أفضل من البروتينات غير المحورة (Gu *et al.*, 2017). أوضحت دراسات مختلفة أن مضادات الأكسدة الاصطناعية مثل البيوتيل هيدروكسي تولوين، البيوتيل هيدروكسي أنيسول، وتيرت بوتيل هيدروكسين، كانت تستخدم كعامل تثبيث للزيت، ومع ذلك، فقد ارتبطت مضادات الأكسدة الاصطناعية بمخاطر صحية، وتم إزالة بعضها وحظرها في عدد من البلدان، هنالك الكثير من الاهتمام لاستعمال مضادات الأكسدة الطبيعية بمضادات الأكسدة الاصطناعية (Khor YihPhing *et al.*, 2019). مضادات الأكسدة هي جزيئات مستقرة قادرة على منع أو تأخير أكسدة الجزيئات الأخرى لقدرتها على منح الكاتيون لأي جذر حر ليووقف نشاطه، يمكن تعريف مضادات الأكسدة من الناحية التغذوية بأنها تلك المركبات التي عند إضافتها إلى الأغذية وبأقل التراكيز تؤدي إلى منع أكسدة المركبات الحيوية مثل الدهون والبروتينات و الكربوهيدرات (Jafri *et al.*, 2022). يمكن تصنيف مضادات الأكسدة على نطاق واسع من خلال آلية عملها كمضادات أكسدة أولية، والتي تكسر سلسلة تفاعل الأكسدة عن طريق التبرع بالهيدروجين وتوليد جذور أكثر استقرارًا، ومضادات أكسدة ثانوية، تبطل معدل الأكسدة من خلال عدة آليات، بما في ذلك تخليب المعادن، وتجديد مضادات الأكسدة الأولية، وتحلل بيروكسيدات الهيدروكربونات، وإزالة الأكسجين، تتضمن آلية مضادات الأكسدة بشكل أساسي نقلًا منسقًا لذرة الهيدروجين من جزيء فينولي إلى الجذر ومن ثم تثبيط تكوين الجذور أو إيقافها (Aziz *et al.*, 2018). أستعمل (Balzan *et al.* 2017) المستخلص المائي لشمار أوراق الزيتون ومن ثم اضافته إلى النقانق النيئة والمطبوخة أثناء 14 يومًا من التخزين المبرد $2 \pm 2^\circ\text{C}$ ، أدت إضافة المستخلص بتركيزات 0.075 و 0.15 غم/100غم إلى انخفاض قوي في العديد من علامات الأكسدة، مع الحفاظ على القبول الحسي العام. أوضح (Zahid *et al.* 2020) أن مستخلص القرنفل عند إضافته إلى اقراص اللحم البقري المطبوخة والمخزنة في الثلاجة، بعد 10 أيام من التخزين أظهر مستخلص القرنفل عند التركيز نشاط مضاد للأكسدة أفضل مقارنة بـ (BHT 0.02 غم / 100 غم).

– قابلية اقتناص جذر DPPH

تُعد طريقة تحديد قدرة المركبات المضادة للأكسدة من خلال تقييم قدرة إزالة الجذور الحرة هي الأكثر شيوعًا في الوقت الحالي نظرًا لبساطتها وسرعتها. من بين هذه الطرق، يُعد تقييم قدرة إزالة الجذور الحرة لمركب 2،2-ثنائي فينيل-1-بيكريل هيدرازيل (DPPH) ومركب 2،2-أزينوبيس (حمض 3-إيثيل بنزثيازولين-6-سلفونيك) (ABTS) من أكثر الطرق استعمالًا، يتميز محلول الإيثانول لمركب DPPH بلونه الأرجواني، وقدرته على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية

القوية عند طول موجي 517 نانومتر (Foti,2015).

وجد Batariuc *et al* (2023) عند دراستهم لتأثير المعالجة الحرارية على خصائص دقيق الذرة الرفيعة الحمراء دقيق الذرة الرفيعة البيضاء ومنها الفعالية المضادة للأكسدة باستعمال DPPH، باستعمال ثلاث طرق للاستخلاص، الميثانول، الايثانول، الماء وخلال مدد استخلاص 10, 15, 20, 30 دقائق اذ وجد ان قيم DPPH دقيق الذرة الرفيعة الحمراء كانت هي الاعلى في المستخلصين، الايثانول والماء وقد بلغت 42%, 81%, 65%, 94% على التوالي خلال مدة 30 مقارنة بعينه السيطرة التي بلغت 46%, 98%, 97%, 89%, على التوالي وخلال نفس الوقت اما المستخلص الميثانولي فكانت قيم DPPH لدقيق الذرة الرفيعة الحمراء 31, 92, % مقارنة بعينه السيطرة التي بلغت 92.51% وخلال مدة 30 دقيقة.

قام Yan *et al* (2023) بدراسة تفاعلات بروتين فول الصويا مع البوليفينولات وتأثيرها على الخواص الوظيفية، إذ قام بتصنيع بروتين الصويا الكاتيوني عن طريق اقتران إيثيلين ديامين على معزول بروتين الصويا - حمض الكاليك وارتباط معزول بروتين الصويا - حمض الكاليك عن طريق خلط بروتين الصويا الكاتيوني مع حامض الكاليك بنسب مختلفة، إذ قام باستعمال مؤشرات إزالة الجذور الحرة DPPH لتقييم الفعالية المضادة للأكسدة للمعزول البروتيني ومعقداته، أظهرت النتائج ان معقدات إيثيلين ديامين ومعزول بروتين الصويا - حمض الكاليك و معقدات بروتين - حمض الكاليك كانت لها قيمة اعلى على اقتناص الجذور الحرة من معزول بروتين الصويا، وعلى وجه الخصوص اظهر معقد إيثيلين ديامين ومعزول بروتين الصويا - حمض الكاليك اعلى نشاط مضاد للأكسدة.

تطبيقات البروتينات والمركبات الفينولية في الأغذية

اصبح المستهلك يفضل المنتجات الامنة الخالية من المواد الحافظة الكيميائية لذلك أصبحت الصناعات الأغذية اكثر تخصصاً و تطوراً لاحتياجات المستهلكين اذ يمكن استبدال المواد الحافظة الصناعية بمواد حافظة طبيعية يتم الحصول عليها من النباتات لاحتواء جميع النباتات على مضادات الاكسدة (Santos *et al.*, 2017). تستعمل المستخلصات النباتية كمصدر للمركبات الفينولية لزيادة جودة وخصائص اللحوم الطازجة ومنتجاتها وذلك بسبب تركيبها الكيميائي للحوم الذي يجعلها عرضة للتلف لهذا ظهرت الاهمية لمضادات الاكسدة والواقع أنه بالنظر إلى أصولها الطبيعية، فإن المركبات الفينولية التي يتم الحصول عليها من النباتات (مثل الفلفل الأسود، والزعر، وبذور الجوارانا) حيث يمكن استبدال مضادات الأكسدة الاصطناعية (والتي تعتبر عموماً أقل أماناً) لزيادة العمر الافتراضي لمنتجات اللحوم. وفي الوقت نفسه، يمكن لهذه المستخلصات النباتية تحسين القيمة الوظيفية لمنتجات اللحوم، إما بشكل مباشر أو غير مباشر (Munekata *et al.*, 2020). وجد (Dias *et al.*, 2021) ان استخدام المركبات الفينولية والمستخلصة من النباتات وخاصة الانثوسيانينات باعتبارها مكونات طبيعية كملونات في الاغذية يجعلها اكثر مقبولة لدى المستهلكين من الملونات الصناعية.

لاحظ Zeng *et al* (2019). عند استخدام البروتينات المحورة بالمركبات الفينولية في التغليف الذكي للأغذية وتصنيع الاغلفة القابلة للأكل المضاف لها الانثوسيانينات والتي تعمل كمؤشر لتلف المواد الغذائية المحفوظة.

قام Aewsiri *et al* (2009) بدراستهم حول امكانية ربط مركبات فينولية مؤكسدة بنسبة 5% caffeic acid, ferulic acid, tannic acid بجيلاتين جلد الحبار اذ لاحظ ان الارتباط ادى الى تعزيز النشاط المضاد للأكسدة دون أي تأثير ضار على خصائص استحلاب الجيلاتين الناتج. وقد ثبت أن استخدام الجيلاتين المعدل بحمض التانيك المؤكسد يثبط

أكسدة الدهون في مستحلب زيت المينهاذن المائي بفعالية. واستنتج انه بالامكان استخدام جيلاتين جلد الحبار المعدل بحمض التانيك المؤكسد كمستحلب يمتلك نشاطاً مضاداً للأكسدة في أنظمة المستحلب.

درس (Jin *et al* (2021) تأثير إضافة البكتين على خصائص الارتباط والتركيب الهيكلي لمعقدات بروتين الصويا-الكومارين عند استعمال المعالجة بالضغط العالي، وكان الربط بين بروتين الصويا والكومارين (بنسبة كتلة 3:1)، ومع ذلك، انخفضت قدرة DPPH على إزالة الجذور الحرة لمعقدات بروتين الصويا والكومارين عند استعمال المعالجة بالضغط العالي، واستنتج أن معقدات بروتين الصويا الثلاثية - البكتين - الكومارين التي طورتها المعالجة بالضغط العالي يمكن أن تكون نظام توصيل فعال للمركبات النشطة بيولوجياً مع تطبيقات في مكونات الأغذية الوظيفية.

وجد (Al-Baidhani *et al.* (2024) في دراستهم تثمين مخلفات قشور وبذور الرمان ميليسا للحصول على مستخلصات لزيادة مدة صلاحية قطع الدجاج أثناء التخزين البارد، أن إضافة المستخلصات 1% (وزن/وزن) أدت إلى انخفاض أكسدة الدهون (TBA)، ونسبة الفقد في الوزن، وفقدان الوزن أثناء الطهي بنسبة 48.2 و 49.2 و 6.6% .

الاستنتاج :

عد البروتين عنصراً رئيساً في العديد من الأغذية وتتنوع خصائصه بناء على مصدره وطرق استخلاصه وتفاعله مع المكونات الأخرى. وقد الدراسات الحديثة أن ارتباط البروتينات بالبوليفينولات يساعد لتحسين خواصها الفيزيائية والوظيفية، سواء كان الارتباط بروابط تساهمية أو غير تساهمية وتُكسب هذه التفاعلات البروتينات قدرة مزدوجة على العمل كمضادات أكسدة، ومستحلبات، وعوامل مكوّنة للرغوة أو الهلام، إضافةً إلى دورها في ربط الماء والدهن. ومن هنا، فإن فهم طبيعة هذه التفاعلات والتحكم في ظروفها يُعد خطوة ضرورية لتطوير منتجات غذائية أكثر استقراراً وكفاءة، تدعم جودة الغذاء وصناعة الأغذية الحديثة.

References:

- Abdelmaksoud, T. G., Mohsen, S. M., Duedahl-Olesen, L., Elnikeety, M. M., & Feyissa, A. H. (2018). Optimization of ohmic heating parameters for polyphenoloxidase inactivation in not-from-concentrate elstar apple juice using RSM. *Journal of Food Science and Technology*, 55(7), 2420-2428.
- Aewsiri, T., Benjakul, S., Visessanguan, W., Eun, J. B., Wierenga, P. A., & Gruppen, H. (2009). Antioxidative activity and emulsifying properties of cuttlefish skin gelatin modified by oxidised phenolic compounds. *Food Chemistry*, 117(1), 160-168.
- Al-Baidhani, A. M., Al-Shatty, S. M., Al-Hilphy, A. R., & Gavahian, M. (2024). Valorization of Melissa pomegranate peels and seeds waste to obtain extracts for increasing the shelf-life of chicken patties during cold storage. *Waste and Biomass Valorization*, 15(8), 4657-4670.
- Aziz, M., & Karboune, S. (2018). Natural antimicrobial/antioxidant agents in meat and poultry products as well as fruits and vegetables: A review. *Critical reviews in food science and nutrition*, 58(3), 486-511.
- Balzan, S., Taticchi, A., Cardazzo, B., Urbani, S., Servili, M., Di Lecce, G., ... & Fasolato, L. (2017). Effect of phenols extracted from a by-product of the oil mill on the shelf-life of raw and cooked fresh pork sausages in the absence of chemical additives. *LWT-Food Science and Technology*, 85, 89-95.
- Batariuc, A., Coțovanu, I., & Mironeasa, S. (2023). Sorghum flour features related to dry

heat treatment and milling. *Foods*, 12(11), 2248.

Berton-Carabin, C., & Villeneuve, P. (2023). Targeting interfacial location of phenolic antioxidants in emulsions: Strategies and benefits. *Annual Review of Food Science and Technology*, 14, 63–83. <https://doi.org/10.1146/annurev-food-060721-021636>.

Berton-Carabin, C., & Villeneuve, P. (2023). Targeting interfacial location of phenolic antioxidants in emulsions: Strategies and benefits. *Annual Review of Food Science and Technology*, 14(1), 63-83.

Bowker, B., & Zhuang, H. M. (2015). Relationship between water-holding capacity and protein denaturation in broiler breast meat. *Poultry science*, 94(7), 1657-1664.

Cui, B., Zeng, X., Liang, H., Li, J., Zhou, B., Wu, D., ... & Li, B. (2024). Construction of a soybean protein isolate/polysaccharide-based whole muscle meat analog: Physical properties and freeze-thawing stability study. *International Journal of Biological Macromolecules*, 265, 131037.

Czubinski, J., & Dwiecki, K. (2017). A review of methods used for investigation of protein–phenolic compound interactions. *International Journal of Food Science and Technology*, 52(3), 573-585.

Dai, T., McClements, D. J., Hu, T., Chen, J., He, X., Liu, C., Sheng, J., & Sun, J. (2022). Improving foam performance using colloidal protein–polyphenol complexes: Lactoferrin and tannic acid. *Food Chemistry*, 377(March 2021), Article 131950. <https://doi.org/10.1016/j.foodchem.2021.131950>.

Dias, R., Oliveira, H., Fernandes, I., Simal-Gandara, J., & Perez-Gregorio, R. (2021). Recent advances in extracting phenolic compounds from food and their use in disease prevention and as cosmetics. *Critical Reviews in food science and nutrition*, 61(7), 1130-1151.

Dickinson, E. (2001). Milk protein interfacial layers and the relationship to emulsion stability and rheology. *Colloids and surfaces B: Biointerfaces*, 20(3), 197-210.

Ebrahimi, P., & Lante, A. (2021). Polyphenols: A comprehensive review of their nutritional properties. *The Open Biotechnology Journal*, 15(1), 164–172. <https://doi.org/10.2174/1874070702115010164>.

Fan, Y., Liu, Y., Gao, L., Zhang, Y., & Yi, J. (2018). Oxidative stability and in vitro digestion of menhaden oil emulsions with whey protein: Effects of EGCG conjugation and interfacial cross-linking. *Food Chemistry*, 265, 200-207.

Feng, J., Cai, H., Wang, H., Li, C., & Liu, S. (2018). Improved oxidative stability of fish oil emulsion by grafted ovalbumin-catechin conjugates. *Food Chemistry*, 241, 60-69.

Gao, F., & Birch, J. (2016). Oxidative stability, thermal decomposition, and oxidation onset prediction of carrot, flax, hemp, and canola seed oils in relation to oil composition and positional distribution of fatty acids. *European Journal of Lipid Science and Technology*, 118(7), 1042-1052.

Gong, T., Tian, D., Hu, C. Y., Guo, Y. R., & Meng, Y. H. (2022). Improving antioxidant ability of functional emulsifiers by conjugating polyphenols to sodium caseinate. *Lwt*, 154, Article 112668. <https://doi.org/10.1016/j.lwt.2021.112668>.

Gong, T., Tian, D., Hu, C. Y., Guo, Y. R., & Meng, Y. H. (2022). Improving antioxidant ability of functional emulsifiers by conjugating polyphenols to sodium caseinate. *Lwt*, 154, 112668.

Grossmann, L., & McClements, D. J. (2023). Current insights into protein solubility: A review of its importance for alternative proteins. *Food Hydrocolloids*, 137(October 2022), Article 108416. <https://doi.org/10.1016/j.foodhyd.2022.108416>.

Gu, L., Peng, N., Chang, C., McClements, D. J., Su, Y., & Yang, Y. (2017). Fabrication of surface-active antioxidant food biopolymers: Conjugation of catechin polymers to egg white proteins. *Food Biophysics*, 12(2), 198-210.

Jafri, S. A. A., Khalid, Z. M., Khan, M. Z., & Jomezai, N. (2022). Evaluation of phytochemical and antioxidant potential of various extracts from traditionally used medicinal plants of Pakistan. *Open Chemistry*, 20(1), 1337-1356.

Jin, B., Zhou, X., Zhong, Y., Li, Q., Zhang, S., Mo, H., & Liang, J. (2021). The synergistic effect of high pressure processing and pectin on the physicochemical stability and antioxidant properties of biopolymer complexes composed of soy protein and coumarin. *Process Biochemistry*, 104, 46-54.

Khor, Y. P., Hew, K. S., Abas, F., Lai, O. M., Cheong, L. Z., Nehdi, I. A., ... & Tan, C. P. (2019). Oxidation and polymerization of triacylglycerols: In-depth investigations towards the impact of heating profiles. *Foods*, 8(10), 475.

Lam, R. S., and Nickerson, M. T. (2013). Food proteins: A review on their emulsifying properties using a structure–function approach. *Food chemistry*, 141(2), 975-984.

Li, M., Ritzoulis, C., Du, Q., Liu, Y., Ding, Y., Liu, W., & Liu, J. (2021). Recent progress on protein-polyphenol complexes: Effect on stability and nutrients delivery of oil-in-water emulsion system. *Frontiers in Nutrition*, 8, 765589.

Liu, X., Song, Q., Li, X., Chen, Y., Liu, C., Zhu, X., ... & Huang, J. (2021). Effects of different dietary polyphenols on conformational changes and functional properties of protein–polyphenol covalent complexes. *Food Chemistry*, 361, 130071.

Malik, M. A., Sharma, H. K., & Saini, C. S. (2017). High intensity ultrasound treatment of protein isolate extracted from dephenolized sunflower meal: Effect on physicochemical and functional properties. *Ultrasonics sonochemistry*, 39, 511-519.

McClements, D. J. (2004). *Food emulsions: principles, practices, and techniques*. CRC press.

Munekata, P. E., Nieto, G., Pateiro, M., & Lorenzo, J. M. (2020). Phenolic compounds obtained from *Olea europaea* by-products and their use to improve the quality and shelf life of meat and meat products—A review. *Antioxidants*, 9(11), 1061.

Ozdal, T., Capanoglu, E., & Altay, F. (2013). A review on protein–phenolic interactions and associated changes. *Food Research International*, 51(2), 954-970.

Ozturk, B., & McClements, D. J. (2016). Progress in natural emulsifiers for utilization in food emulsions. *Current Opinion in Food Science*, 7, 1-6.

Ozuna, C., & León, J. A. (2010). Protein solubility and functional properties in food systems: A review. **Food Science and Technology International* 16 (5), 413–424.

Peters, J. P., Vergeldt, F. J., Boom, R. M., & van der Goot, A. J. (2017). Water-binding capacity of protein-rich particles and their pellets. *Food Hydrocolloids*, 65, 144-156.

Prodpran, T., Benjakul, S., & Phatcharat, S. (2012). Effect of phenolic compounds on protein cross-linking and properties of film from fish myofibrillar protein. *International journal of biological macromolecules*, 51(5), 774-782.

Renzetti, S., Dal Bello, F., & Arendt, E. K. (2008). Microstructure, fundamental rheology and baking characteristics of batters and breads from different gluten-free flours treated with a microbial transglutaminase. *Journal of Cereal Science*, 48(1), 33-45.

Santos, J. S., et al. (2017). *Use of plant extracts as natural preservatives in meat products.*
Food Research International, 100, 208–220.
https://doi.org/10.1016/j.foodres.2017.07.012

Seyed, N., Zahedifard, F., Safaiyan, S., Gholami, E., Doustdari, F., Azadmanesh, K., ... & Rafati, S. (2011). In silico analysis of six known Leishmania major antigens and in vitro evaluation of specific epitopes eliciting HLA-A2 restricted CD8 T cell response. *Plos neglected tropical diseases*, 5(9), e1295.

Shahid, S., Kim, G., Johnson, N. R., Wafula, E., Wang, F., Coruh, C., ... & Axtell, M. J. (2018). MicroRNAs from the parasitic plant Cuscuta campestris target host messenger RNAs. *Nature*, 553(7686), 82-85.

Sui, X., Sun, H., Qi, B., Zhang, M., Li, Y., & Jiang, L. (2018). Functional and conformational changes to soy proteins accompanying anthocyanins: Focus on covalent and non-covalent interactions. *Food Chemistry*, 245, 871-878.

Thiansilakul, Y., Benjakul, S., & Shahidi, F. (2007). Compositions, functional properties and antioxidative activity of protein hydrolysates prepared from round scad (*Decapterus maruadsi*). *Food chemistry*, 103(4), 1385-1394.

Wang, X., Wang, Z., Zhuang, H., Nasiru, M. M., Yuan, Y., Zhang, J., & Yan, W. (2021). Changes in color, myoglobin, and lipid oxidation in beef patties treated by dielectric barrier discharge cold plasma during storage. *Meat Science*, 176, 108456.

Wu, W., Clifford, M., & Howell, N. K. (2007). The effect of instant green tea on the foaming and rheological properties of egg albumen proteins. *Journal of the Science of Food and Agriculture*, 87(10), 1810-1819.

Yan, S., Wang, Q., Yu, J., Li, Y., & Qi, B. (2023). Ultrasound-assisted preparation of protein–polyphenol conjugates and their structural and functional characteristics. *Ultrasonics Sonochemistry*, 100, 106645.

Zahid, M. A., Choi, J. Y., Seo, J. K., Parvin, R., Ko, J., & Yang, H. S. (2020). Effects of clove extract on oxidative stability and sensory attributes in cooked beef patties at refrigerated storage. *Meat science*, 161, 107972.

Zeng, P., Chen, X., Qin, Y. R., Zhang, Y. H., Wang, X. P., Wang, J. Y., ... & Zhang, Y. S. (2019). Preparation and characterization of a novel colorimetric indicator film based on gelatin/polyvinyl alcohol incorporating mulberry anthocyanin extracts for monitoring fish freshness. *Food Research International*, 126, 108604.

RESEARCH TITLE

A Critical Discourse Analysis of Ideology in some American and British Press in Relation to Palestinian Crisis

Asst. Lect. Zainab Kareem Ghannam¹

¹ Ministry of Education, Iraa.

Zainabkareem632@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/45>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study conducts a critical discourse analysis (CDA) of ideological representation in selected American and British newspapers regarding the Palestinian crisis. It aims to uncover how ideology shapes news discourse and influences public perception through linguistic strategies. Drawing upon Van Dijk's (1998, 2006) ideological square model, the study examines articles from *The New York Times*, *The Washington Post*, *The Guardian*, and *The Daily Mirror*, analyzing how each press constructs in-group and out-group identities through lexical and syntactic choices. The analysis reveals that both American and British newspapers employ ideologically motivated discourse structures, though to varying degrees. The American press exhibits stronger tendencies toward positive self-presentation (75%) and negative other-presentation (25%), emphasizing pro-Israeli perspectives. Conversely, the British press demonstrates a more balanced but still ideologically driven stance, with 25% positive self-presentation and 50% negative other-presentation, often portraying Palestinian suffering more visibly. These findings highlight that media discourse is far from neutral, reflecting underlying political and cultural biases embedded in Western reporting on Middle Eastern conflicts. The study contributes to the understanding of how ideological manipulation operates in global media narratives and offers valuable insights for linguists, discourse analysts, and media scholars interested in the intersection of language, power, and ideology.

Key Words: Critical discourse analysis, ideology, media discourse, Palestinian crisis, Van Dijk, American press, British press.

التحليل النقدي للخطاب الأيديولوجي في بعض الصحف الأمريكية والبريطانية في علاقتها بالأزمة الفلسطينية

المستخلص

تتناول هذه الدراسة تحليلاً نقدياً للخطاب الأيديولوجي في عدد من الصحف الأمريكية والبريطانية فيما يتعلق بالأزمة الفلسطينية، بهدف الكشف عن كيفية توظيف الأيديولوجيا في تشكيل الخطاب الإعلامي وتأثيره في إدراك المتلقي. اعتمدت الدراسة نموذج فان دايك (1998، 2006) في تحليل "المربع الأيديولوجي" بوصفه إطاراً نظرياً لتحليل النصوص الصحفية المختارة من صحف نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، وذا غارديان، وديلي ميروور. ركز التحليل على كيفية بناء الهويات الجماعية (نحن/هم) من خلال الاختيارات المعجمية والتركيبية في النصوص. أظهرت النتائج أن كلا من الصحافتين الأمريكية والبريطانية تمارسان خطاباً إعلامياً يحمل بعداً أيديولوجياً واضحاً، وإن بدرجات متفاوتة. إذ تبين أن الصحافة الأمريكية تميل إلى عرض ذاتها إيجابياً بنسبة (75%) مقابل عرض الآخر سلبياً بنسبة (25%)، بما يعكس ميلاً مؤيداً لإسرائيل، في حين أظهرت الصحافة البريطانية ميلاً أكثر توازناً مع استمرار حضور الأيديولوجيا، إذ بلغت نسبة العرض الذاتي الإيجابي (25%) والعرض السلبي للآخر (50%)، مع إبراز أوضح لمعاناة الفلسطينيين. تؤكد هذه النتائج أن الخطاب الإعلامي ليس محايداً، بل يعكس تحيزات ثقافية وسياسية كامنة في التغطية الغربية للصراع في الشرق الأوسط. وتُسهم الدراسة في تعميق الفهم للعلاقة بين اللغة والسلطة والأيديولوجيا في الخطاب الإعلامي العالمي، بما يفيد الباحثين في مجالات اللسانيات وتحليل الخطاب والإعلام السياسي.

الكلمات المفتاحية: التحليل النقدي للخطاب، الأيديولوجيا، الخطاب الإعلامي، الأزمة الفلسطينية، فان دايك، الصحافة الأمريكية، الصحافة البريطانية.

1.1 The Problem

The present study is in the field of critical discourse analysis (CDA, henceforth) about the American and British press in relation to the Palestinian crisis. Language adopted by media was influenced by ideology.

The impact of language is so powerful on the receiver both on psychological and behavioral levels. This power that language has, is seen heavily in press and media. These tools use language to impose their beliefs and thoughts on the receiver, especially if this receiver does not live the situation. That is why it is necessary to spot light on the Western press to have more knowledge about their way of handling the events and news in the Eastern world. Since news is delivered subjectively, there is a need to use a device for analysing the ideologies and attitudes of the press toward the Palestinian crisis.

The problem of the present study tries to shed light on the ideologies of American and British Press in relation to the Palestinian Crisis.

The present study tries to answer the following questions:

1. What is meant by ideology?
2. How ideology is manipulated in the discourse?
3. Which group is more ideological than the other?

1.2 The Aims

In light of the preceding questions, the study aims at:

1. Exploring the way the a. ideological square affects the articles of the American press.

1.3 The Hypotheses

It is hypothesized that:

1. The American Newspapers consider Palestinians as out-group whereas Israel is in-group.
2. The Ideology is more vivid in the British press than the American press

1.4 The procedure

In order to achieve the aims of the present study and prove its hypotheses, the following procedures will be followed:

1. Presenting a theoretical account about ideology, American and British press. Analysing the data selected by adopting Van Dijk (2008)
2. In the light of the results, conclusions and suggestions will be made.

1.5 The Limits

The present study is limited to Critical Discourse Analysis. The data of the present study is going to be selected from two newspapers. One of them is American and the other is British. The British newspaper is The Daily Mirror, the American one is The New York Times.

1.6 The Value

The present study is hoped to be of some value to students of linguistics, as well as those who are concerned with politics, media discourse analysts, and news analysts. It is also hoped that this study provokes the workers in the field of media to be more impartial and present more accurate and objective information.

Chapter Two

2.1 Ideology

Members of a group share social cognitions, which are the basis for the cognitive definition of ideology. The social component clarifies the types of groupings, interpersonal relationships, and institutional dynamics that contribute to the formation and propagation of ideologies. The ideological discourse dimension clarifies how ideologies impact our everyday texts and conversations, how we interpret ideological speech, and how discourse contributes to the spread of ideology across society. Van Dijk(4: 2012).

"Ideology" as an imprecise and contentious term The term 'ideology' is frequently employed in the social sciences, politics, and the media. Since the idea was developed at the end of the 18th century by French philosopher Destutt de Tracy, thousands of articles and books have been written about it. Destutt de Tracy opens his well-known book in this way, addressing young readers directly, claiming that renowned professors' minds are already filled with "fixed ideas" that are exceedingly hard to modify. . Van Dijk(4: 2012)

Fairclough (1992: 87) claims that ideologies are "constructions of reality...which are built into various dimensions of the forms/meanings of discursive practices, and which contribute to the production, reproduction or transformation of relations of domination". In others words, ideologies are ideas and attitudes in a form of language. They shape the reality being lived and contribute to the reproduction of domination.

Accordingly, Van Dijk (1998a:58) suggests ideological theory that furnishes better comprehending of the notion of *ideology*. He (ibid) combines its three core components that have been studied separately before. These components are (ibid: 58):

- i. Cognitively, ideology compromises of ideas in people's minds, which are usually studied by cognitive psychologists.
- ii. Societally, ideology also includes a group membership and value judgment, which are generally investigated by sociologists and social scientists.
- iii. Linguistically, ideology is not an innate knowledge and, therefore, it needs to be learnt, acquired, or changed through written or spoken discourse.

Van Dijk (1995a: 21), nonetheless, does not depict ideology as "a system of ideas" as much as he(ibid) sees it as "specific basic frameworks of social cognition with specific social structures and specific cognitive and social functions". Ideology, as proposed by Van Dijk (1995a: 21), is a set of mental beliefs about a certain phenomenon. It stands for the social opinions. It is usually concerned with the prejudiced mental models that reflects in the strategic use of language such as lexical choices at the semantic level.

Sometimes the term 'ideology' is negatively used and that the term 'negative ideology' has become central in social sciences and politics as "a system of false, misguided, or misleading beliefs" as opposite to truth of scientific knowledge. The negative use of the notion entails 'polarisation' between 'us' and 'them': "WE have true knowledge, THEY have ideologies". As opposite to "negative ideology". The term "positive ideology" refers to 'feminism' and 'anti-racism'. This "positive ideology" is a legal system that shows resistance against control and "inequality". Such a system is called "anti-ideology" ,for instance "anti-racism" and "anti-feminism" (Van Dijk,2006d: 7).

Wodak (2015:4) views 'ideology' as the people's view of world that compromised of the representation of mentality, attitudes, evaluations, opinions, and beliefs. Ideologies are considered as means of observing inequality of power relations in discourse. As such, ideologies has schema and this schema characterizes the ideologies of the same group (Van

Dijk 2006:17):

Membership criteria: Who does (not) belong?

Typical activities: What do we do?

Overall aims: What do we want? Why do we do it?

Norms and values: What is good or bad for us?

Position: What are the relationships with others?

Resources: Who has access to our group resources?

Van Dijk's(2006:7-8) definition of ideology is adopted for the present study:

"Ideologies are the fundamental beliefs of a group and its members..

'Ideology' as 'false consciousness' or 'misguided beliefs'... ideologies not only make sense in order to understand the world (from the point of view of the group), but also as a basis for the social practices of group members... Often, ideologies thus emerge from group conflict and struggle, and they thus typically pitch Us against Them"

Van Dijk's(2006:7-8) definition is chosen since it is comprehensive and serves the present study aiming at revealing the hidden ideologies behind the discourse of press.

2.2 Ideologies as social cognition

Ideologies have been defined in a variety of ways throughout the history of the social sciences, but they always have as their commonality the concepts or beliefs of social collectivities. Remarkably, the primary 'mental' aspect of ideologies has received far less research attention than their social and political purposes. In fact, thorough psychological studies of ideology are extremely uncommon compared to those in the social sciences, and when they do exist, they are largely limited to studies of political ideas.

In the same way that we do not have individual ideas or speak about individual tongues. Ideologies are therefore collective social beliefs rather than individual viewpoints. Moreover, rather than being about insignificant daily details like the color of our car or the brand of our computer, they frequently discuss significant social and political matters, that is, issues that are vital to a group and its existence. As the divergent views on abortion and euthanasia demonstrate, ideologies are about birth and reproduction, as well as life and death. Ecological ideologies make it clear that they are about people and their health in relation to the natural world. Class, income and resource redistribution, power and lack thereof, and socialist ideology are all central to their discourse. Van Dijk (4: 2012)

Chapter Three

Methodology

3.1 Ideological Square

Van Dijk (2006a: 42-44) states the fact that the Semantics, Style, and Syntax of the discourse are influenced by the ideologies of the speakers. So that the lexical choices are affected by the attitudes, and the ideological position that the speaker has about the group. The basis of ideology is the **Us vs. Them** principle. Consequently, ideologies control people and societies. The general strategy of ideology is that **"Say positive things about Us, Say negative things about Them"**. This principle of **"positive self –presentation and negative other presentation"** is the principle of ideological square that form the discourse. This principle is applied to the meaning level of discourse. Then is expanded to involve other discourse structure: **"Do not say negative things about Us, Do not say positive things about them"**. Then these four principles are modified in the following way:

- i. Emphasize/ Include Our good things or actions
- ii. Emphasize/Include Their bad things or actions
- iii. De-emphasize/Exclude Our bad things
- iv. De-emphasize/ Exclude Their good things

Discourse structures at all levels could be analyzed using these ideas. They stand for the ideological quadrant. They concentrate on using the textual and spoken content. (Van Dijk 2006a:8).

Van Dijk (20015:73) states that an ideological analysis of the discourse structure, which is closely linked to the perpetuation of power abuse, may be conducted by using the aforementioned strategies. These two approaches can be obtained by examining particular speech elements inside a given framework. For example, the usage of particular vocabulary words or sentence constructions that convey a particular meaning suggesting a favorable or negative assessment of Us or Them (ibid.). As Van Dijk (2006a: 44) says "discourse has many ways to emphasize or de-emphasize meanings, and as soon as these have an ideological basis".

3.2 Data analysis

The data of the present study is selected from different American and British newspapers. The British newspapers are The Mirror and the Guardian. Whereas the American newspapers are the Washington Post and the New York Times. Different news is chosen which is related to the Palestinian crisis. The table below classify the articles in details:

No.	Title	Press name	Classification
1	Violence from the Israeli settler movement has targeted Palestinians in the occupied West Bank with villages attacked by marauding gangs of men armed with torches and rifles, locals say	The Gardian	British press
2	Israeli raiders 'bring terror' to Palestinians in occupied West Bank	The Gardian	British press
3	Fanatical Hamas militants open fire on Israeli civilians as troops prepared for last push into Rafah One mum described living with her family in	The Gardian	British press

	Sderot, an Israeli community less than a mile from Gaza, as 'very frightening' amid the regular fighting and explosions she hears		
4	Children in Gaza underplaying their pain due to extent of trauma around them, say doctors	The Guardian	British press
5	The Stark Reality of Israel's Fight in Gaza	The New York times	American press
6	U.S. cites a litany of rights violations in Israel, Gaza and West Bank	The Washington Post	
7	Six months of the Israel-Gaza war: A timeline of key moments	The Washington Post	

3.3 The Model of the Study

The model of the present study is chosen according to Van Dijk's(2006a) ideological square. The present study adopts Van Dijk (1998) for the ideological square analysis.

The Following figure represents the model of the study:

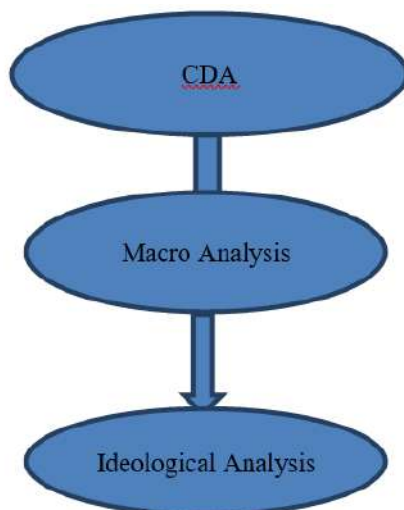


Figure (3-1) The Model of the Study

3.4 The Ideological Analysis

The ideological square of the positive self-presentation and the negative other presentation is applied by American newspapers. The in-group and the out-group make up the two polarized groups within the ideological square. The American and the British newspapers use the principles of the ideological square of the positive self-presentation and the negative-other presentation.

3.3 Data description

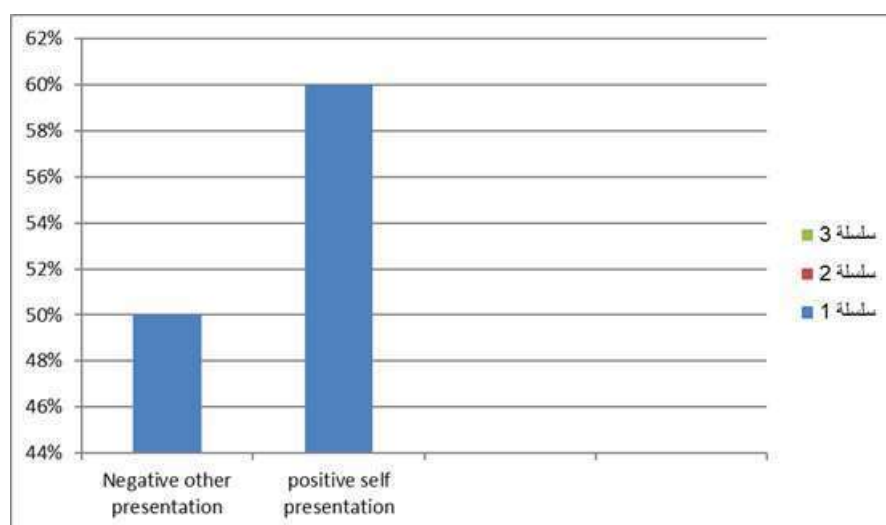
No.	Title	Press name	Classification
1	Violence from the Israeli settler movement has targeted Palestinians in the occupied West Bank with villages attacked by marauding gangs of men armed with torches and rifles, locals say	The Gardian	British press
2	Israeli raiders 'bring terror' to Palestinians in occupied West Bank	The Gardian	British press
3	Fanatical Hamas militants open fire on Israeli civilians as troops prepared for last push into Rafah	The Mirror	British press
4	Children in Gaza underplaying their pain due to extent of trauma around them, say doctors	The Gardian	British press
5	The Stark Reality of Israel's Fight in Gaza	The New York times	American press
6	U.S. cites a litany of rights violations in Israel, Gaza and West Bank	The Woshington Post	
7	Six months of the Israel-Gaza war: A timeline of key moments	The Washington Post	

Table (3-1) Data Description

3.4.1 British Press

Starting with the British articles, the present study is going to analyse the article according to Vandijk's 2008 . The study is going to classify the ideological attitude that the press adopts when it deals with the two groups. The table below illustrates the percentages of the ideological square analysis.

Positive self-presentation	Negative other presentation
25%	50 %



Figure(3-1) Ideology in British Press

The above-mentioned figure illustrates the percentage of Ideology of British press. The percentage is as follows: 25% of the total usage is for the positive we presentation. The

British press uses the pronoun We/ I / Israel/ to refer to Israel as a positive presentation. It seems that the British press admits that civilians in the places that belong to Israel.

The aim of this study is to examine how the British press present themselves in political debate that is intended for media outlets.

Working within CDA as the general theoretical framework, Ideological analysis of an article for the British press in relation to the Palestinian crisis.

The division of the text into UK and Them places both the authors and the readers—the people who will be directly affected by the discussion—in the same category. The depiction of the few cognitive processes used does not reflect each other. The foundation of presenting We as a cohesive and dissident-free community is their shared history and perspective of the world.

As a result, the writers exclude information that might startle readers even though it isn't explicitly mentioned that We have similar ideologies. Furthermore, by embracing the entire world—aside from Them—we make it impossible for anyone to disagree with our opinions. It is possible to conclude that the lack of "we think" entails maintaining Our unity in both confronting Them and defending universal democracy.

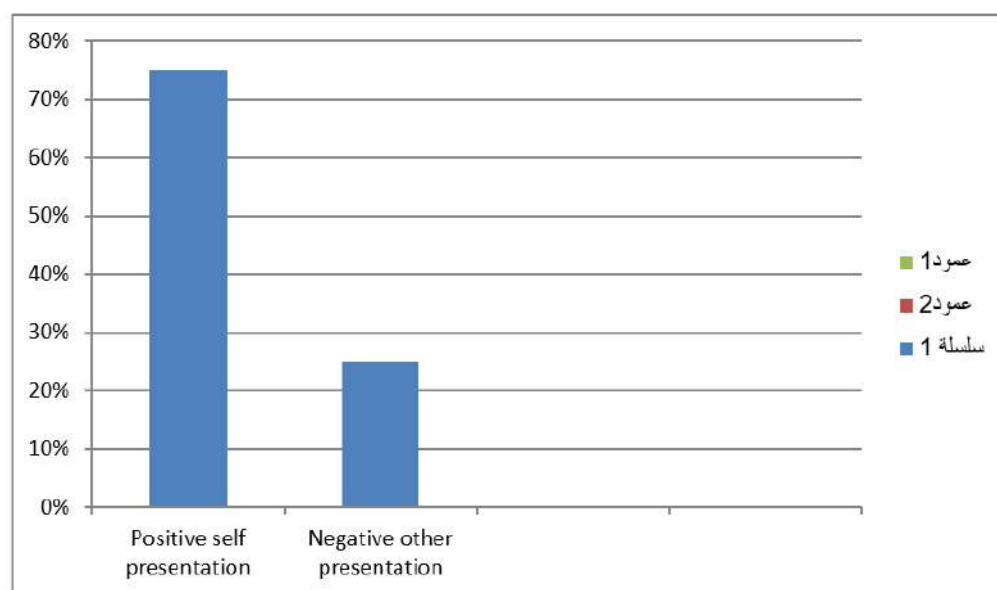
Thus, it is impossible to interpret "we stand for something different" in the British articles as referring to the divergent ideologies of the British press specifically, The Guardian is positively depicted, taking for granted that there are no indications of a power struggle for control among us, in the absence of what we consider to be what we stand for.

Words like Israel, We, I, The military force of Israel are repeated in the British discourse mainly. This refers to the positive self-presentation that the press adopt when it refers to Israel. Actually, this fact has been proved by the percentages in the above mentioned table.

The use of the pronoun we is used 25% while the pronoun they is used with percentage of 35%.

3.4.2 American Press

Positive self-presentation	Negative other presentation
75 %	25%



In the American press, it seems that the use of ideological discourse is widely concentrated on positive self-presentation as illustrated in the table. This reflects the fact that the American

press intends to emphasise the negative and bad things of the out group. They shed light on the bad things, qualities, or information of the out group. For example, the Negative other presentation has been used with percentage of 25%.

Chapter Four

4.1 Conclusion

In the light of the preceding statistics, it is concluded that the manipulation of ideology is clear in both American and British press. For example, the percentage of the positive self-presentation in the British press is 25% whereas the percentage of the negative other presentation is 50%. In the same way, the use of ideology in American press is as follows: 75% is for the positive self-presentation and 25% is the percentage of the negative other presentation.

References

1. Fairclough, N. (1995). *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. London and New York: Longman.
2. Van Dijk. (1995a). Discourse Analysis As Ideology Analysis. In C. Schäffner and A. Wenden (Eds.), *Language and Peace*. Aldershot: Dartmouth Publishing.
3. Van Dijk. 1998. *Ideology A Multidisciplinary Approach*. London • Sage Publication.
- Van Dijk. (1993b). Editor's foreword to *Critical Discourse Analysis, Discourse and Society* 4, 131-142.
4. Van Dijk. (2006b). *Ideology and Discourse Analysis. Journal of Political Ideologies*, Vol.11,no.2, (pp. 115-140), London: Routledge.
5. Van Dijk. (2015). *Critical Discourse Analysis. A Case Study of International and National*
6. Wodak, R. (2015). *The discourse of politics in action: Politics as usual* (2nd ed.). Basingstoke, UK: Palgrave.

Web sources

1. <https://www.washingtonpost.com/national-security/2024/04/22/us-israel-gaza-human-rights/>
2. <https://www.nytimes.com/2024/04/22/us/politics/israel-gaza-hamas-war.html>
3. <https://www.theguardian.com/global-development/2024/apr/30/children-in-gaza-underplaying-their-pain-due-to-extent-of-trauma-around-them-say-doctors>
4. <https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/apr/30/us-investigation-gaza-mass-graves>
5. <https://www.theguardian.com/world/live/2024/apr/30/middle-east-crisis-live-biden-urges-egypt-qatar-release-israeli-hostages-ceasefire-talks-hamas>
6. <https://www.theguardian.com/global-development/2024/apr/30/children-in-gaza-underplaying-their-pain-due-to-extent-of-trauma-around-them-say-doctors>
7. https://www.mirror.co.uk/news/world-news/fanatical-hamas-militants-open-fire-32655848?int_source=mantis_rec&int_medium=web&int_campaign=more_like_this
8. <https://www.mirror.co.uk/news/world-news/israeli-raiders-bring-terror-palestinians-32699059>

RESEARCH TITLE

**A Stylistic Study of Monotheism in Al-Imam Al-Hassan's
(Peace Be Upon Him) Speeches**

Asst. Lect. Zahraa Kareem Ghannam¹

¹ University of Babylon, College of Management and Economics, Department of Accounting, Iraq.

Email: bsc.Zahraa.karim@uobabylon.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/46>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study offers a stylistic investigation of how monotheism (tawḥīd) is articulated in three selected sermons of Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him). Drawing on Leech and Short's (2007) stylistic framework, the research examines the deployment and pragmatic force of core devices—repetition, parallelism, antithesis, personification, allusion, and metaphor—in constructing and intensifying the theological message. The analysis shows that these sermons systematically foreground the transcendence and uniqueness of the Divine through patterned syntax and semantic contrast, with repetition functioning as the primary amplifier of key creedal propositions (44% of all identified devices), followed by parallelism (24%) and antithesis (11%). Personification, allusion (especially Qur'anic intertextuality), and metaphor serve supportive, sense-consolidating roles that render abstract concepts experientially vivid and doctrinally precise. Collectively, the findings validate the study's hypotheses: Al-Imam Al-Hassan consistently harnesses stylistic resources to convey monotheism; repetition predominates over other devices; and parallelism and antithesis are widely employed to stabilize rhythm, heighten emphasis, and structure meaning. By evidencing how linguistic form and theological content co-operate, the study contributes to Arabic stylistics and religious discourse analysis, illuminating the rhetorical mechanisms through which monotheism is made cognitively salient and spiritually persuasive.

Key Words: monotheism; stylistics; Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him); parallelism; repetition; antithesis; personification; allusion; metaphor.

دراسة أسلوبية للتوحيد في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)

المستخلص

تَقَدِّم هذه الدراسة تحقيقًا أسلوبيًا في كيفية بلورة مفهوم التوحيد في ثلاث خطب مختارة للإمام الحسن (عليه السلام). واعتمدت إطار ليتش وشورت (2007) في التحليل الأسلوبي لفحص توظيف الأدوات المحورية وقوتها التداولية—وهي التكرار، والتوازي، والتضاد، والتشخيص، والتلميح، والاستعارة—في بناء الرسالة العقدية وتكثيفها. وتُظهر النتائج أن هذه الخطب تُبرز على نحو منهجي تنزّه الذات الإلهية ووحدانيتها عبر انتظام البنية النحوية والتقابل الدلالي، مع قيام التكرار بدور المُضخِّم الرئيس للمقولات العقدية الأساسية (بنسبة 44% من مجمل الأدوات المحددة)، يليه التوازي (24%) ثم التضاد (11%). وتؤدي أدوات التشخيص والتلميح (لا سيما التناص القرآني) والاستعارة أدوارًا مُسندة تُرسِّخ المعنى، فتجعل المفاهيم المجردة أكثر حيوية خبرية ودقة عقدية. وتُجمل النتائج صحة فروض الدراسة: إذ يوظف الإمام الحسن بانتظام الموارد الأسلوبية لإيصال معنى التوحيد؛ ويتصدّر التكرار سائر الأدوات؛ كما يُستعمل التوازي والتضاد على نطاق واسع لتثبيت الإيقاع وتعزيز التأكيد وبناء المعنى. ومن خلال إظهار تضافر الشكل اللغوي مع المحتوى العقدي، تُسهم الدراسة في حقل الأسلوبيات العربية وتحليل الخطاب الديني، مُضيئةً الآليات البلاغية التي تجعل التوحيد أكثر بروزًا معرفيًا وأشدّ تأثيرًا روحانيًا.

الكلمات المفتاحية: التوحيد؛ الأسلوبيات؛ الإمام الحسن (عليه السلام)؛ التوازي؛ التكرار؛ التضاد؛ التشخيص؛ التلميح؛ الاستعارة.

1. Introduction

The belief in the One God aims to benefit the human beings in their relations with "others", since God Himself is not affected in His All-mightiness by believing or disbelieving in Him. Next to the belief in the One God and the worship of Him alone come the consequences that this faith has for all human relations, starting with the family and going to all human beings whose lives, families and properties should be secure from any violation. (Osman, no p. 2007)

Ahl Al-Bayt's (peace be upon them) contributions to human civilization are never limited to Muslims or their non-Muslim partners in Muslim countries. They are always offered to any student, scholar or beneficiary in the fields of physics and optics, chemistry, astronomy and observatories, anatomy, medicine and surgery, art and architecture, irrigation, agriculture and gardening, as well as philosophy, social and human studies, (ibid). Thus, they are the best figures to analyze and study their speeches. Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) is who tackles monotheism in his sermons. This study tries to answer the following questions:

1. What is meant by monotheism?
2. How does Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) addresses monotheism in his speeches?
3. What are the stylistic devices that are used by Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) in his speeches.

It aims at:

1. Identifying the meaning of monotheism.
2. Showing how monotheism is addressed in Al-Imam Al-Hassan's (peace be upon him) speeches.
3. Presenting the main stylistic devices that are used by Al-Imam to give meaning to monotheism in a highly good way.

It is hypothesized that:

1. Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses certain stylistic devices to deliver the sense of monotheism.
2. Repetition is used by Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) more than any other devices.
3. Parallelism and antithesis are widely used in Al-Imam Al-Hassan's (peace be upon him) speeches.

The following steps are followed:

1. Presenting a theoretical background about monotheism.
2. Analyzing three speeches of Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) according to Leech and Short's (2007) model.

The study is limited to deal with monotheism in a stylistic way in three speeches for Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) according to Leech and Short's (2007) model since it is widely respected for its systematic approach to language, particularly in analyzing literary and religious texts.

The study is hoped to be valuable for those who seek the truth of Islam in general and the speeches of Al- Imam that tackle the topic monotheism in a stylistic way in specific.

2. Monotheism

Monotheism is the basis of the invitation of all divine prophets and the end of every human path. The main thing that gives meaning to human life is the knowledge and faith in the one God. Imam Ali (peace be upon him) says: "The first religion is knowledge" (Nahj al-Balaghah / Sermon 1), the knowledge of God is the beginning of the religion. Therefore, this

matter is very important to the extent that it has a great effect on human destiny and happiness. (Shiri et al. 2021)

Flesher (2016) said that the three religions of Judaism, Christianity and Islam agreed on the definition of monotheism, which is worshipping one God and deny the existence of other gods. The three religions urged to worship the same God. Though Judaism gave that god a name, "Yahweh," while Christianity and Islam simply refer to him as "God" -- in Arabic, Islam's founding language, "Allah" means "The God."

All monotheists believe that 'One Lord' who has created the whole human race as well as all forms of life and the entire universe; and all of creation is under His control, "the Lord of all being." The belief in afterlife is not unique to monotheist traditions but, the Judgement Day, when individuals are held accountable for their deeds and are judged by God accordingly, is a central tenet of all three major monotheist traditions. (Osman, 2007)

Stark (2001:19) draws a crucial distinction between a person's relationship with one god in monotheistic religions and their relationship with multiple gods in polytheistic religions, suggesting that competition between different divine entities contributes to shorten the interaction between the followers' relationships and their gods. Polytheistic religions only support transient interactions because people look to the gods for precise, instant rewards and diversify their risks by doing business with several different vendors. Since there are no rational alternatives, an exclusive trade relationship is required if there is only one God. Dealing with a multitude of specialized gods when there is only one God with boundless power and reach is nonsensical. A lifelong, exclusive connection with One God is likewise a long-term commitment. People may no longer compare one God to another or conduct "God shopping." This leads to incredibly powerful organizations with vast resources, which is consistent with a God of boundless concern and might.

3. The Effect of Monotheism on Human Life

The term "monotheism" is not only a belief in one God, but also a decision to see the unity of all affirmative- beauty and truth, life and creativity. The moral effect of monotheism is to peruse God's perfection to bring out in ourselves all the good and all the holiness that we can. (Langermann, 13:2011)

Monotheism has impact on human beings' manners, ethics and eventually upon state of mind; a state of complete happiness. Thus, teaching heavenly religions distance a man from being miserable, as is the case with many who have no faith. On the contrary, when human beings follow Allah's instructions, they will achieve good lives. Al-Sheha (2009) mentions some main aspects that must be existed in the monotheists:

"To love Allah and his messengers, defining the real goal in life, Allah commands us to forsake sinful acts, submitting to Allah, one should never deny blessings and achieve satisfaction, submitting to Allah, avoiding envy, avoiding miserliness, being patient, forgiving who wrongs you, retaining good thoughts and good companion"

4. The Model of the Analysis

The data chosen will be analyzed according to Leech and Short's (2007) model *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose*. In this paper, a number of stylistic devices will be analyzed in three sermons by Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) talking about monotheism and how the divine nature is beyond the mind and cannot be understood by people. The devices that are analyzed are:

4.1 Parallelism

It is a syntactic stylistic device. It deals with the similar syntactical structures in neighboring phrases, clauses or sentences. Its main function is to increase the persuasion of the text and to reinforce the message in a clear way (Al-Ameedi and Al-A'ssam, 2018:87)

4.2 Repetition

It means the repetition of sounds, words, phrases, expressions, sentences or a whole clause. Its main purpose is to attract the attention of the hearers to an important idea or to emphasize it. (Manjavidze and Kemertelidze, 2013:8).

4.3 Antithesis

It is a stylistic device of contrast, it deals with two concepts or more that are contrasted in the concepts, image, position by common construction or internal meaning. The main role of antithesis is not only to put two concepts that are in principle contracting (antonyms) but also among concepts that are not contradicting each other individually but when they are put together, they become conflicting. Thus, this way of contrasting will cause a clear image in mind and sharpens the idea. (Ruzibaeva, 2019:150)

4.4 Personification

Personification is the transformation of animate actions or features to an entity that is inherently inanimate. The use of personification as a stylistic device is important for it is highly used in human dialogue. For generating personification there is no explicit syntactical structure to generate it as in using 'like' or 'as' in simile. (Keh et al. ,2022:1).

4.5 Allusion

Allusion is a stylistic device which implies reference to something or somebody. This reference alludes to historical, mythological, folklore, cultural, social and political phenomena, events and facts. This reference to a well-known literary work helps to contextualize the message which can lead to compress a great deal of significance to a phrase or sentence (Naciscione, 2021:302).

4.6 Metaphor

Metaphor is a special device of hyperbole since it is a persuasive strategy used in discourse. It helps the participants to change the abstract unfamiliar meaning into a concrete and familiar one (Van Dijk2006:77). Lakoff and Johnson(2003:4) suggest that metaphor is used in extraordinary language rather than in an ordinary one.

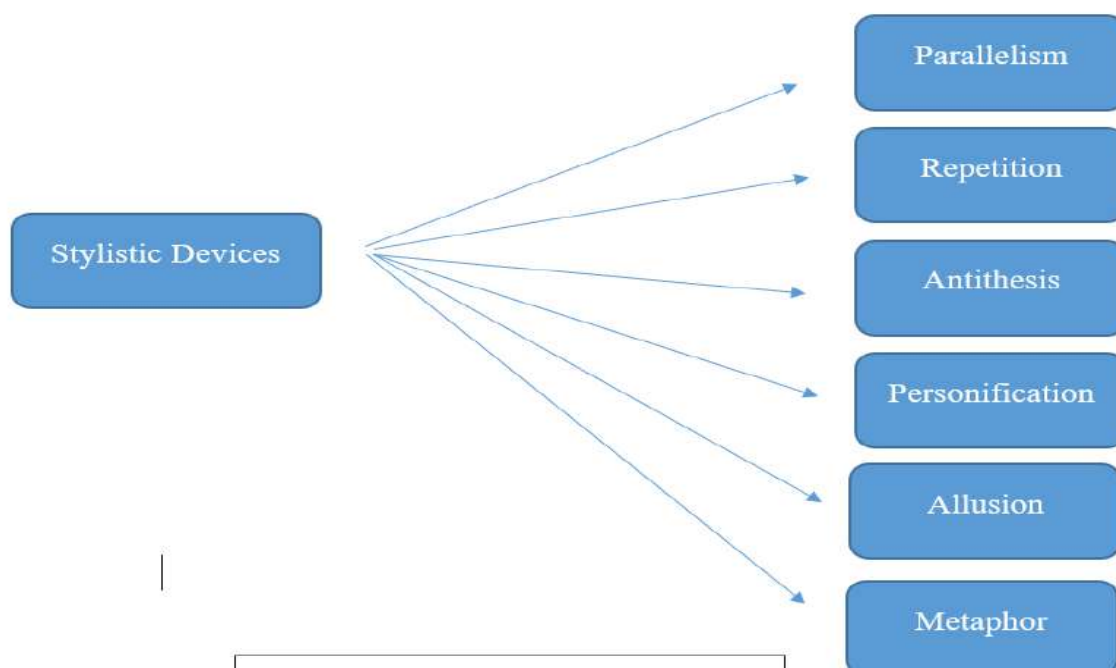


Figure (1) The Model of the Study

5. Analysis

In this section, three speeches for Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) will be analyzed stylistically:

5.1 The first speech:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ بَغَيْرِ تَشْبِيهِ، وَالِدَائِمِ بَغَيْرِ تَكْوِينٍ، الْقَائِمِ بَغَيْرِ كُلْفَةٍ، الْخَالِقِ بَغَيْرِ مَنُصَبَةٍ، وَالْمَوْصُوفِ بَغَيْرِ غَايَةٍ، الْمَعْرُوفِ بَغَيْرِ مَحْدُودٍ، الْعَزِيزِ، لَمْ يَزَلْ قَدِيمًا فِي الْقَدَمِ، رَدَعَتْ الْقُلُوبُ لِهَيْبَتِهِ، وَدَهَلَتْ أَلْقُوتُ لِعِزَّتِهِ، وَخَضَعَتْ الرِّقَابُ لِقُدْرَتِهِ، فَلَيْسَ يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مَبْلَغُ جَبَرُوتِهِ، وَلَا يَبْلُغُ النَّاسُ كُنْهَ جَلَالِهِ، وَلَا يُفْصِحُ الْوَاصِفُونَ مِنْهُمْ لَكُنْهَ عَظَمَتِهِ، وَلَا تَبْلُغُهُ أَلْغَمَاءُ بِأَلْبَابِهَا، وَلَا أَهْلُ التَّفَكُّرِ بِتَدَابِيرِ أُمُورِهَا، أَعْلَمُ خَلْقِهِ بِهِ الَّذِي بِالْحَدِّ لَا يَصِفُهُ، يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) المجلسي (1403h)

(Praise be to Allah, the One without likeness, the Everlasting without composition, the Existing without cost, the Creator without position, the Described without end, the Known without limit, the Almighty, who has always been ancient in time, the hearts are deterred by His majesty, the minds are stunned by His glory, and the necks are subdued by His power. The extent of His might is not in the heart of man, nor do people know the extent of His majesty, nor do those who describe His greatness, nor do the scholars reach Him with their intellects, nor do the people who think about the management of their affairs, the most knowledgeable of His creatures, who is the one who does not describe Him, who perceives the eyes and is the gentle and expert. ...)⁽¹⁾

The following stylistic devices are found in this speech:

1. Parallelism

The similarity of syntactical structure in neighboring phrases or sentences leads to parallel constructions. In the above speech of Al-Imam there are parallel constructions:

(الحمد لله الواحد بغير تشبيهه، والدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، والموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدود)

The repetition of the phrase "بغير" shows the strong wording of Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) who starts his speech with forceful phrases to pay the attention of the hearers to the idea of his speech which is Allah is the One and Only God.

2. Repetition

Repetition is widely used in Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) speech

بغير تشبيهه، بغير تكوين، بغير كلفة، بغير منصبة، بغير غاية، بغير محدود

This anaphoric repetition which is a repetition of a word at the beginning of successive phrases is used to maintain the idea that Allah Almighty is beyond human characteristics.

Repetition of "ولا" in a series of clauses generates emphasis and power for the idea that no human —whether using his imagination, speech, knowledge, or reflection—can understand the essence of the Divine. This way of writing evokes awe and submission

3. Antithesis

This device mainly deals with contrast between words or ideas:

الواحد بغير تشبيهه ، والدائم بغير تكوين

The use of the word "one" to maintain the idea of oneness the hearer expects there is a comparison but Al-Imam directly follows it without similarity "بغير تشبيهه". The same thing

⁽¹⁾ Translated by the researcher.

with the other part of the phrase, "the Eternal" immediately followed by without formation "بغير تكوين". The aim behind the use of this technique is to manifest Allah uniqueness that human brain cannot recognize or comprehend the divine self.

Personification

This device means giving human features to non-human things. In the line:

ردعت القلوب لهيبته ، وذهلت العقول لعزته ، وخضعت الرقاب لقدرته

The verbs: (ردعت) restrained, (ذهلت) stupefied and (خضعت) bowed, all these verbs are given to describe hearts, minds and necks respectively. This description is used to add to these parts the sense of fear, which is related to human beings, of God Almighty, the One and Only Creator of this universe, to whose majesty everything submits. Thus, the use of personification reinforces the idea of monotheism in the Imam's speech.

4. Allusion

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses allusion in the line:

أعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه ، يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير

which is a reference to the following Quranic text

"لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (سورة الأنعام: 103)

He uses this device to enrich the meaning of monotheism in his speech and the Quranic verse is the best way to prove it.

4.2 The second speech:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَوَّلٌ مَعْلُومٌ، وَلَا آخِرٌ مُتَنَاهٍ، وَلَا قَبْلُ مُدْرَكٌ، وَلَا بَعْدٌ مَحْدُودٌ، وَلَا أَمَدٌ مُبْتَغَى، وَلَا شَخْصٌ فَيَتَجَرَّأُ، وَلَا اخْتِلَافٌ صِفَةٍ فَيَتَنَاهَى، فَلَا تُدْرِكُ الْعُقُولُ وَأَوْهَامُهَا، وَلَا الْفِكْرُ وَخَطَرَاتُهَا، وَلَا الْأَلْبَابُ وَأَذْهَانُهَا صِفَتَهُ، قَنَقُولُ: مَتَى؟ وَلَا: بُدْءٌ مِمَّ؟ وَلَا: ظَاهِرٌ عَلَى مَا؟ وَلَا: بَاطِنٌ فِي مَا؟ وَلَا: تَارِكٌ فَهَلَا؟ خَلَقَ الْخَلْقَ فَكَانَ بَدِيئًا بَدِيعًا، أَبْتَدَأَ مَا أَبْتَدَعَ، وَأَبْتَدَعَ مَا أَبْتَدَأَ، وَفَعَلَ مَا أَرَادَ، وَأَرَادَ مَا أَسْتَرَادَ، ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. الصدوق (45:1401)

Praise be to God, who has no known beginning nor finite last, nor a before that can be perceived nor a limited after, nor a pure duration nor a person that can be divided, nor a different description that can be finite, so that the minds and their imaginations, nor the thoughts and their thoughts, nor the hearts and minds can comprehend His description, so that they say: When? N' or did He begin from what, nor is He apparent over what, nor is He hidden in what, nor can He leave it. So why did He not create creation and be a Originator, Innovator? He began what He innovated, and innovated what He began, and did what He willed, and willed what He asked for more. That is God, Lord of the worlds⁽²⁾

1. Parallelism

، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ،

In this line Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses this device to emphasize the uniqueness and unity of the innovation way Allah is creating the creatures.

، فَلَا تُدْرِكُ الْعُقُولُ وَأَوْهَامُهَا، وَلَا الْفِكْرُ وَخَطَرَاتُهَا، وَلَا الْأَلْبَابُ وَأَذْهَانُهَا

This line has also many parallel structures which refer to the high level of wording that Al-Imam use in order to deliver his message to the different social levels, attracting their attention by repeating the same device in the speech.

⁽²⁾ Translated by the researcher.

2. Repetition:

ولا آخر ...، ولا قبل ... ولا بعد ...، ولا امد ... ولا شخص ...، ولا اختلاف ...

Then Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) makes use of repetition in many parts in this part in numerating the unlimited characteristics of Allah that is beyond the mind of human.

Also, the repetition of the adjective "بدينا بديعا" is to create paradoxical sense in the speech.

3. Antithesis:

لم يكن له أول معلوم ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك ولا بعد محدود

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) starts his sermon by using this device of antithesis to pay the attention of the hearers to the idea that Allah is the One before everything and after everything and there is no limits for His existence and power.

4. Personification

"فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الأبواب وأذهانها صفته"

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) says that if minds or hearts have the power of imagination, reasoning or delusion just as human beings, they will fail to understand what Allah is.

5. Allusion

The last phrase in last line is taken from the Holy Quran

(ذلكم الله رب العالمين)(سورة الانعام:102)

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) ends his speech by a verse from the Quran to show to people that Ahal Al-Bayt(PBUT) are associated with Quran and they follow every single detail in this Holy Book as Prophit Mohammad (Peace be upon him and his family) describes them in many speeches that they do not separate, i.e. Holy Quran and Ahal Al-Bayt(PBUT).

6. Metaphor

، خلق الخلق فكان بدينا بديعا،

The adjectives: (بدينا)initiator and (بديعا)innovator metaphorically describe Allah Almighty when creating all the creatures no one can ever do this neither before nor after Him, so He is "بدينا بديعا"

5.3 The Third speech

لَحْمُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ فِي أَوَّلِيَّتِهِ، وَحْدَانِيًّا فِي أَرْزَلِيَّتِهِ، مُنْعَظًا بِالْهَيْبَةِ، مُتَكَبِّرًا بِكِبَرِيَّائِهِ وَجَبْرُوتِهِ، ابْتِدَاءً مَا ابْتَدَعَ، وَأَنْشَأَ مَا خَلَقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ سَبَقَ مِمَّا خَلَقَ، رَبُّنَا اللَّطِيفُ بِالطُّفْرِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَبِعِلْمِ خَبْرِهِ فَتَقَى، وَبِأَحْكَامِ قُدْرَتِهِ خَلَقَ جَمِيعَ مَا خَلَقَ، فَلَا مُبِيلَ لَخَلْقِهِ، وَلَا مُغَيِّرَ لِصُنْعِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَلَا مُسْتَرَاخَ عَنْ دَعْوَتِهِ.

خَلَقَ، وَلَا زَوَالَ لِمُلْكِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عِلًّا، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ دَنًّا، فَتَجَلَّى لَخَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرَى، وَهُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى اخْتَجَبَ بِنُورِهِ، وَسَمَا فِي عُلُوِّهِ، فَاسْتَنْتَرَعَ عَنْ خَلْقِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ، وَبَعَثَ فِيهِمُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلِيَعْقِلَ الْعِبَادُ عَنْ رَبِّهِمْ مَا جَهِلُوهُ، فَيَعْرِفُوهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ بَعْدَ مَا أَنْكَرُوهُ. الموسوي (مج1)

.Praise be to God, Who was in His primacy, One in His eternity, glorious in His awe, and proud in His majesty and might. He began what He innovated and brought into being what He created without any previous example of what He created. Our Lord, the Kind, with the kindness of His Lordship, and with the knowledge of His information He split, and with the decrees of His power He created all that He created. There is no changer of His creation nor alterer of His making, nor follower of His judgment nor repeller of His command nor rest from His call. He created, and His kingdom does not cease nor does His duration cease above

all things He is exalted and from all things He is near. So He revealed Himself to His creation without being seen, and in the highest vision He veiled Himself with His light, and He was named in His exaltation, so He was concealed from His creation. He sent to them a witness over them and sent among them prophets as bearers of good tidings and warners, so that whoever perishes may perish with clear evidence, and whoever lives may live with clear evidence, and so that the servants may understand about their Lord what they did not know, so that they may know Him with His Lordship after they denied Him. ⁽³⁾

1. Parallelism

، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته،

This use of balanced clauses reinforces the features of Almighty Allah that no one can change his creation nor decision. The use of this device has a powerful effect on the mind of the hearers because of its fluent constructions so that it strengthens the idea of monotheism.

2. Repetition

ولا.. ولا.. لا.. ولا..

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses the same device in nearly all his devices which is the repetition of the preposition of "ولا". Al-Imam does so to intensify the meanings he wants to deliver to the hearers and establish a rhythmic, emphatic flow.

مُتَكَبِّرًا بِكِبَرِيَّائِهِ.. اللَّطِيفُ بِطُفٍّ.. خَلَقَ جَمِيعَ مَا خَلَقَ، فَلَا مُدِيلَ لَخَلْقِهِ

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) repeats all these phrases to remind people of the attributes of Almighty Allah in addition to the attribute of monotheism. Almighty is the Most Majestic(مُتَكَبِّرًا), the Most Kind(اللَّطِيفُ), and the Creator(الخالق), and no one can have a single attribute of these divine attributes.

3. Antithesis

فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنى، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) employs contrasted adjectives which show that Allah Almighty is above everything(فوق كل شيء علا) but at the same time He is very near(ومن كل شيء دنى). Similarly, Almighty Allah is clear for His creatures but He is invisible. Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) does so to reinforce the idea of monotheism for people at that time.

Allusion

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses allusion from the Quranic verse in the line:

(البقرة 213) "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ"

This is a reference to the main purpose of all prophets which is warning oppressors from the torment of Hell and at the same time telling believers about Heaven.

4. Metaphor

ربنا اللطيف..

Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses metaphor to remind the people of characteristics that are found in Almighty Allah in addition to be the One and the Only worshipping God.

⁽³⁾ Translated by the researcher.

Stylistic Device	First speech	Second speech	Third speech	total	frequency
Parallelism	11	3	5	19	24
Repetition	2	14	19	35	44
Antithesis	2	3	4	9	11
Personification	3	3	0	6	8
Allusion	2	1	1	4	5
Metaphor	0	1	6	7	9
Total	20	25	32	80	100

Table (1): The Stylistic Devices in Al-Imam Al-Hassan's (peace be upon him) Speeches

Conclusions

Through the analysis, it is concluded that Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) tackles monotheism in almost every speech to make people remember the main message that prophet Mohammed (Peace be upon him and his family) calls for. The first hypothesis which reads as: "Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses stylistic devices to deliver the sense of monotheism" is valid since Al-Imam uses a number of stylistic devices such as personification, parallelism, repetition, antithesis, allusion and metaphor. therefore, the total percentage of the whole use of these devices is (80). The second hypothesis which reads as "Repetition is used by Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) more than any other devices" is valid subsequently. Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) uses it in the three speeches that are taken as data for this study with a percentage 44% as a total. So are parallelism and antithesis. Thus, the third hypothesis is also valid since the percentages read as 24% and 11% respectively.

References

القرآن الكريم

Al-Ameedi, R. T. K. and Al-A'ssan, S.A. 2018. *Retribution in Biblical Texts: A Stylistic Analysis*. International Journal of English Linguistics; Vol.8, No. 4. (P.87)

Al-Sheha, A. 2009. *The Key to Happiness*. Keval,A. ; Karimi, U. ; Amin, U. ; Zainab, U. ; Sarah, A. (eds)

https://d1.islamhouse.com/data/en/ih_books/single/en_The_Key_to_Happiness.pdf

Flesher,P. 2016. *UW Religion Today: The Three Monotheistic Religions: Children of One Father*. University of Wyoming. <https://www.uwyo.edu/news/2016/09/uw-religion-today-the-three-monotheistic-religions-children-of-one-father.html>

Lakoff, G., and Johnson, M. 2003. *Metaphors We Live by*. (2nd ed.) University of Chicago Press.

Langermann, T. 2011. *Introduction to Monotheism and Ethics*. Bar Ilan university: Brill. https://www.researchgate.net/publication/304079913_Introduction_to_Monotheism_and_Ethics

- Leech, G. N. and Short, M. (2007). *Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose*. London: Person Education Ltd.
- Manjavidze, T. and Kemerttelidze, N. 2013. *Stylistic Repetition, Its Peculiarities and Types in Modern English*. Tbilisi: Grigol Robakidze University.
- Naciscione, A. 2021. *The Stylistic Pattern of Allusion: A Cognitive Approach*. Latvian Academy of Culture, Latvia. Vol.9 <http://www.culturecrossroads.lv/>
- Osman, F. 2007. *Monotheists and the 'Other' An Islamic perspective in an era of religious pluralism Institute for the Study of Islam in the Contemporary World*. Los Angeles: California. <https://www.islamicity.org/3049/monotheists-and-the-other-an-islamic-perspective-in-an-era-of-religious-pluralism/>
- Ruzibaeva, N. 2019. *Peculiarities of the Antithesis in the Literary Text*. European Journal of Research and reflection in Educational Science. Vol.7. No11. https://www.researchgate.net/publication/344512883_PECULIARITIES_OF_THE_ANTITHESIS_IN_THE_LITERARY_TEXT
- Sedrick Scott Keh, S.; Lu, K.; Gangal, V; and Feng, S; 2022. *Pineapple: Personifying Inanimate Entities by Acquiring Parallel Personification data for Learning Enhanced generation*. Carnegie Mellon University, University of Waterloo, Stanford University, University of Pittsburgh
- https://www.researchgate.net/publication/363651496_PINEAPPLE_Personifying_Inanimate_Entities_by_Acquiring_Parallel_Personification_data_for_Learning_Enhanced_generation
- Shiri, A; Ahvar, M; Ghandehari, M. 2021. *Principles and Methods of Teaching Monotheism Based on the Holy Quran and Ahl al-Bayt (as) Teachings*. Journal of Research in Teaching. 2021, Autumn, No3, V:9.
- Stark, R. 2001. *One True God: Historical Consequences of Monotheism*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Van Dijk, T. A. (2006). *Ideology and Discourse: A Multidisciplinary Introduction*. Pompeu Fabra University, Barcelona.

المصادر العربية:

- الشریف الرضی. 2001. نهج البلاغة (تحقیق صبحی الصالح ط.4). بیروت: دار الكتاب العربی.
- الصدوق، محمد بن علی بن الحسین. (1402) التوحید. قم: جماعة المدرسين فی الحوزة العلمیة.
- المجلسی، محمد باقر . 1403. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار. (تحقیق محمد باقر البهبودی ط.2 مج 1-110). بیروت: مؤسسه الوفاء.
- الموسوی، مصطفی. (سنه غیر مذکوره). الروائع المختارة من خطب الامام الحسن (علیه السلام). (ط 1 مج 1). القاهرة: دار و مطبعه الهلال.

Facteurs explicatifs de faible utilisation des services des consultations prénatales par les gestantes dans l'aire de santé de Katoyi dans la zone de santé de Karisimbi en RD Congo.

Niyonzima Munyatwari Pascal^{1,7}, Bailanda Mumbere Pascal^{3,9}, Matiaba Binda Paul paul⁶, Kakule Mutsunga Maurice⁸, Lisimo Abwa Hilaire⁵, Bauma Bitsubu⁷, Mbuzukongira Prince⁷, Paluku Sabuni Louis⁴, Wembonyama Okitosho Stanislas¹.

1. Université de Goma, République Démocratique du Congo.
2. Université d'Adventiste de Goma, République Démocratique du Congo.
3. Université Officielle de Semuliki de Beni, République Démocratique du Congo.
4. Université Officielle de Ruwenzori de Butembo, République Démocratique du Congo.
5. Université de l'Uelé, République Démocratique du Congo.
6. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Walikale, République Démocratique du Congo.
7. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Goma, République Démocratique du Congo.
8. Institut Supérieur des Techniques Médicales de Mangina, République Démocratique du Congo.
9. Centre Hospitalier le Rocher, République Démocratique du Congo.

Co-Auteur correspondant : drbailanda1@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/47>

Reçu le 07/10/2025

Accepté le 15/10/2025

Publié le 01/11/2025

Résumé

Introduction : Les facteurs explicatifs de la faible utilisation des services des CPN sont les éléments qui concourent au manque de solidité dans la fréquentation des services des soins prénataux. L'objectif poursuivi est de déterminer les facteurs explicatifs de la faible utilisation des services des CPN dans l'Aire de Santé Katoyi.

Matériel et méthodes : Il s'agit d'une étude transversale et analytique réalisée du 01 Janvier au 30 Aout 2022, portant sur 360 gestantes, sélectionnées par l'échantillonnage aléatoire simple. L'interview via les questionnaires d'enquête a été utilisée, Le traitement et l'analyse des données ont été faits par le logiciel SPSS, la méthode quantitative a été utilisée.

Résultats : Les enquêtées sans niveau d'instruction avaient 3 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p < 0,001$, OR=2,964, IC à 95%=0,163-3,543), les enquêtées musulmanes avaient 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p = 0,021$, OR=1,053, IC à 95%=0,207-2,320), Nos enquêtées commerçantes avaient 2 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p = 0,011$, OR=1,654, IC à 95%=0,432-2,231), quant aux enquêtées qui avaient les grossesses non désirées, avaient 5 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p = 0,002$, OR=4,653, IC à 95%=0,243-6,986), tandis que celles ayant elles-mêmes le pouvoir de décider d'aller à la CPN ont 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p = 0,000$, OR=0,821, IC à 95%=0,532-1,432). Les enquêtées qui n'étaient pas satisfaites de l'accueil des agents de santé avaient 2 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p = 0,007$, OR=1,632, IC à 95%=0,432-2,632). En fin, celles qui jugeaient très long le temps d'attente lors de la CPN, avaient 2 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p < 0,001$, OR=2,042, IC à 95%=0,645-4,543).

Conclusion: La faible utilisation des services de CPN demeure encore un problème dans l'Aire de Santé Katoyi.

Mots Clés: Facteurs explicatifs, Faible consultation prénatale, gestantes, AS Katoyi.

RESEARCH TITLE

Explanatory Factors for the Low Utilization of Prenatal Consultation Services by Pregnant Women in the Katoyi Health Area of the Karisimbi Health Zone in the Democratic Republic of the Congo

Abstract

Introduction: The factors explaining the low use of ANC services are the elements that contribute to the lack of solidity in the attendance of prenatal care services. The objective pursued is to determine the explanatory factors for the low use of CPN services in the Katoyi Health Area.

Materiel and methods: This is a cross-sectional and analytical study carried out from January 1 to August 30, 2022, involving 360 pregnant women, selected by simple random sampling. The interview via the survey questionnaires was used, the processing and analysis of the data were done by the SPSS software, the quantitative method was used.

Results: Respondents with no level of education had 3 times the risk of low use of ANC services ($p < 0.001$, OR=2.964, 95% CI=0.163-3.543), Muslim respondents had 1 times the risk of low use of ANC services ($p = 0.021$, OR=1.053, 95% CI=0.207-2.320), Our merchant respondents had twice the risk of low use of ANC services ($p = 0.011$, OR=1.654, 95% CI=0.432-2.231), as for respondents who had unwanted pregnancies, had 5 times the risk of low use of ANC services ($p = 0.002$, OR=4.653, 95% CI=0.243- 6.986), while those with the power to decide themselves to go to the ANC have 1 times the risk of low use of ANC services ($p = 0.000$, OR=0.821, 95% CI=0.532-1.432). Respondents who were not satisfied with the reception of health workers had twice the risk of low use of ANC services ($p = 0.007$, OR=1.632, 95% CI=0.432-2.632). Finally, those who judged the waiting time during the ANC to be very long had twice the risk of using ANC services poorly ($p < 0.001$, OR=2.042, 95% CI=0.645-4.543).

Conclusion: The low use of CPN services is still a problem in the Katoyi Health Area.

Key Words: Explanatory factor, Low prenatal consultation, Katoyi health area.

1.Introduction

La consultation prénatale (CPN) est l'ensemble des soins de qualité qu'une femme reçoit au cours de la grossesse, en fonction de sa situation individuelle, en vue d'assurer une issue favorable pour elle-même et son (ses) nouveau-né(s). Toute femme enceinte doit être considérée comme étant à risque. La grossesse est un événement physiologique particulier qui ne se déroule pas toujours normalement et est responsable d'une morbidité et d'une mortalité évitables. [1,2].

En 2017, environ 295 000 décès des femmes ont été enregistrés dans le monde et chaque jour 810 femmes sont mortes pour les raisons évitables liées à la grossesse et à l'accouchement. La majorité de ces décès (94%) se sont produits dans des milieux à faible ressources, et la plupart d'entre eux auraient pu vouloir été évités. Au cours de la même année, l'Asie du Sud en a compté un cinquième (58 000) tandis que l'Afrique subsaharienne à elle seule, a compté environ les deux tiers (196 000) décès maternels [3,4].

Actuellement le développement durable ne peut plus être restreint à la croissance économique. Il s'appuie également sur le développement social, et prend en compte les dimensions humaines dont la santé. À cet effet, l'Organisation Mondiale de la Santé (OMS) souligne la nécessité de s'occuper d'urgence des problèmes sanitaires ressortant du rapport « Investir dans le développement » du Projet du Millénaire (OMS 2019). Ce document indique que, pour atteindre les Objectifs du Millénaire pour le Développement (OMD), il faut augmenter les investissements au niveau des programmes de santé, notamment dans la santé de la mère et de l'enfant, deux catégories de la population cibles des OMD (Objectif 4, cible 5 relatifs aux enfants de moins de 59 mois et l'objectif 5, cible 6 se référant à la santé maternelle). Les consultations prénatales constituent l'un de 4 piliers de la maternité sans risque destinées à réduire la morbi mortalité maternelle et périnatale. La période pré natale offre aux femmes enceintes des possibilités d'interventions qui peuvent être également nécessaires au bien-être de leurs enfants et leurs nourrissons. Dès le premier examen prénatal, l'idée se dégage sur les possibilités d'évolution en priori favorable ou non de la grossesse. En effet l'évolution d'une grossesse chez une jeune femme en pleine santé, sans antécédent pathologique sérieux ni complication lors de maternités précédentes, peut être envisagée avec optimisme. Un grand nombre de décès maternels pourraient être évités par un suivi correct de la grossesse. Les consultations prénatales (CPN) doivent permettre de bien mener la grossesse pour la mère et l'enfant. En effet, la plupart des facteurs de risques liés à la grossesse peuvent être dépistés au cours des CPN précoces, de bonne qualité et régulièrement répétées [5,6,7].

Actuellement, 71% des femmes dans le monde assistent aux consultations prénatales (CPN). Mais ces données sont influencées par le suivi régulier dans les pays industrialisés, avec un suivi à plus de 95% des femmes enceintes [8,9,10].

La CPN présente plusieurs avantages pour la mère et le couple mère et enfant. Malgré cela, 12% des femmes enceintes ne fréquentent pas la CPN [11,12,13].

En Europe, la proportion des femmes enceintes qui utilisent les services prénatals est de 100% dans les pays comme la France, l'Italie, la Suède, la Finlande, l'Irlande, l'Allemagne et le Portugal. Ces services sont également utilisés par la totalité des femmes enceintes dans la région de l'Amérique notamment au Canada et au Cuba. Mieux, elles débutent ce suivi dans les trois premiers mois de grossesse [14,15,16].

En Afrique par contre, la situation est toute autre car une grande majorité des gestantes n'a souvent pas fait recours aux soins prénatals selon les normes. Aussi, près de 60 % des femmes enceintes ont déclaré s'être fait suivre dans un centre de santé. Cependant, le nombre moyen de consultations prénatales est faible [17,18,19].

Il oscille entre 1 et 3 et il n'est pas rare que les femmes ne viennent consulter qu'en fin de grossesse, à quelques semaines seulement de l'accouchement. Ainsi, les proportions de 46% pour le Niger, 70% pour la Côte d'Ivoire, 85% au Congo, 87% au Sénégal, 39% dans les pays comme le Tchad et 90% au Ghana représentent les données de CPN1 montrant ainsi les disparités de cet indicateur de la santé maternelle en Afrique [20,21].

L'amélioration de la surveillance de la grossesse est l'un des objectifs prioritaires de Santé publique dans le monde et en particulier dans les pays en voie de développement.

En Afrique sub-saharienne, 69% des femmes enceintes ont une consultation prénatale, davantage donc qu'en Asie du Nord où la proportion est de 54%. Le Bangladesh, l'Éthiopie, le Maroc, le Népal et le Yémen, sont des pays où le pourcentage de femmes qui ne consultent qu'une fois pendant leur grossesse est relativement élevé.

En RDC, la prise en compte de la consultation prénatale pose un sérieux problème chez la femme enceinte surtout si elle est encore adolescente. Pourtant, sa prise en compte est d'une importance capitale pour permettre le personnel soignant ainsi que la mère du bébé à s'acquiescer de l'évolution du bébé dans le sein de sa mère. Il révèle également que la population cible concernée par la programmation de la CPN sont toutes les femmes enceintes se trouvant dans le rayon d'action du centre de santé et que la fréquence des visites ou le nombre de séances par mois vont de 4 à 5 et plus en cas de nécessité. En dépit de tous ces efforts consentis, la République Démocratique du Congo n'est pas arrivée à atteindre son objectif en matière de la réduction de la mortalité maternelle en 2015 dont les prévisions fixaient le taux à 322 décès pour 100 000 naissances vivantes. Un grand effort doit encore être fourni pour arriver d'ici 2030 à contribuer à réaliser l'objectif 3.1 des Objectifs du développement durable (ODD) qui consiste à avoir un RMM de moins de 70 décès pour 100 000 naissances vivantes dans le monde. Le taux de consultation prénatale au Nord Kivu reste l'un des plus faibles du pays – moins de 7%, selon le rapport annuel du PNLS (2015) [22,23,24].

La question principale de l'étude était de savoir le taux de participation des gestantes à des consultations prénatales dans l'aire de santé de Katoyi. L'hypothèse principale est que le taux de participation aux consultations prénatales est moyen dans l'aire de santé de Katoyi.

Objectifs de l'étude

Objectif général

Déterminer les facteurs explicatifs de la faible utilisation de services de CPN par les gestantes dans l'Aire de Santé de Katoyi en vue de contribuer à l'augmentation de la fréquence de la CPN dans les années à venir.

Objectifs spécifiques

1. Décrire les caractéristiques sociodémographiques, des femmes enceintes utilisant le service de CPN dans l'Aire de Santé Katoyi.
2. Évaluer les connaissances, attitudes et pratiques des femmes enceintes dans l'Aire de Santé Katoyi.
3. Identifier les facteurs obstétricaux expliquant la faible utilisation de service de la CPN.
4. Décrire la qualité des services de CPN dans l'Aire de santé Katoyi.

2. Matériel et méthodes

2.1. Cadre de l'étude

L'aire de santé Katoyi se trouve dans la zone de santé de Karisimbi au Nord Kivu en RD Congo ; elle est habitée par 68 239 habitants, ses limites sont : au Nord par l'aire de santé Majengo, au Sud par les aires santé Mabanga et Amani, à l'Est par l'aire de santé Virunga et à l'Ouest par l'aire de santé Katoyi.

2.2. Type et durée d'étude

Il s'agissait d'une étude transversale descriptive et analytique pour une période allant du 01 Janvier au 30 Aout 2022.

2.3. Population d'étude et taille de l'échantillon.

Notre recherche s'était intéressée aux gestantes avant pour un total de 2 812 femmes enceintes soit 4% de la population totale de l'aire de santé Katoyi. D'où nous avons extrait un échantillon représentatif

de cette population en utilisant la formule de Lorenz suivante : $n = \frac{z_{\alpha/2}^2 \cdot N \cdot P(1-P)}{(N-1)\varepsilon^2 + z_{\alpha/2}^2 \cdot P(1-P)}$

Avec : n: la taille de l'échantillon, $Z_{\alpha/2}$: est le coefficient de fiabilité choisie. Il est égal à 1,96 pour un intervalle de confiance de 95%, ε : la marge d'erreur voulue par le chercheur (fixée à 10% dans cette étude), V_x^2 : est la variance relative pour la variable X donnée par la formule suivante et P : C'est la probabilité estimée à 0,5.

Ainsi, notre taille d'échantillon est calculée comme suit : $n = \frac{1,96^2 \cdot 2812 \cdot 0,5(1-0,5)}{(2812-1)0,1^2 + 1,96^2 \cdot 0,5(1-0,5)}$

$n = 359,24$ femmes ≈ 360 femmes.

2.4. Variables d'études

Variables dépendantes : Consultation prénatale

Variables indépendantes : Les caractéristiques socio démographique, connaissance, attitude et pratique de la femme enceinte, qualité de Service de CPN, antécédents obstétricaux

2.5. Critères d'éligibilité

Critères d'inclusion : Être femme enceinte résidente dans l'Aire de Santé Katoyi, être présente lors de notre passage et accepter de répondre volontiers à notre questionnaire d'enquête.

Critères de non inclusion : Toute femme enceinte n'ayant pas participé à notre enquête pendant notre passage dans l'aire de santé Katoyi.

2.6. Technique de collecte des données et analyses statistiques

Les questionnaires rédigés en Français (Interprété conformément à la personne interrogée), composés des questions fermées et semi-ouvertes, avaient été administrés par nous-mêmes.

Les gestantes étaient sélectionnées par l'échantillonnage aléatoire simple. L'Aire de santé Katoyi, étant subdivisée dans 10 avenues (Katoyi, Lubango, Salongo, Salongo II, Salongo III, Itebero, Osso II, Avenue du Camp Katindo, Kindu II et circulaire) Il nous a été demandé de consulter le chef de chaque avenue et 2 Relais communautaires dans chaque avenue qui nous ont permis d'atteindre notre population cible. Les différentes données recueillies seront traitées et analysées à l'aide du logiciel SPSS. Le seuil de significativité sera de 5%, Les rapport de cotes (OR) et leurs intervalles de confiance de 95% (IC A 95%) seront calculés à fin d'estimer la force d'association entre les variables dépendantes et les variables indépendantes.

2.7. Considérations éthiques : Toute femme enceinte n'ayant pas participé à notre enquête pendant notre passage dans l'aire de santé Katoyi.

3. Resultats

Tableau 1. Caractéristiques sociodémographiques

Groupe d'âges	Effectif n=360	Pourcentage
15 à 19 ans	12	3,3
20 à 24 ans	89	24,7
25 à 29 ans	98	27,2
30 à 34 ans	74	20,6
35 à 39 ans	50	13,9
40 ans et Plus	37	10,3
Niveau d'instruction des mères		
Sans niveau	60	16,7
Primaire	96	26,7
Secondaire	115	31,9
Universitaire	75	20,8
Post-universitaire	14	3,9
État civil		

Célibataire	73	20,3
Divorcée	30	8,3
Mariée	242	67,2
Veuve	15	4,2
Profession		
Commerçante	93	25,8
Ménagères	115	31,9
Enseignante	70	19,5
Fonctionnaire	82	22,8
Confession religieuse		
Catholique	156	43,3
Protestante	131	36,4
Musulmane	45	12,5
Église de réveil	28	7,8

Il ressort de ce tableau que la majorité des enquêtées avaient l'âge variant entre 25 à 29 ans soit 27,2%, la plupart des enquêtées avaient le niveau d'instruction secondaire soit 31,9%, La majorité des enquêtées étaient des mariées soit 67,2%, la plupart des enquêtées étaient des ménagères soit 31,9%, une grande partie des enquêtées étaient des catholiques soit 43,3%.

Tableau 2. Connaissances, Attitudes et Pratiques des femmes enceintes.

Connaissance de la CPN	Effectif n=360	Pourcentage
Oui	359	99,7
Non	1	0,3
Participation à la CPN		
Faible participation	217	60,3
Participation normale	143	39,7
Suivi de la CPN		
Non	58	16,1
Oui	302	83,9
Pratique traditionnelle		
Non	335	93,1
Oui	25	6,9
Désir de la grossesse		
Non	58	16,1
Oui	302	83,9
Décideur de la CPN		
Mes beaux parents	65	18,1
Mes parents	28	7,7
Moi-même	155	43,1
Mon mari	112	31,1

Il ressort de ce tableau que la plupart des enquêtées avaient une connaissance sur la CPN soit 99,7%, une majorité avait faiblement participé à la CPN soit 60,3%, la plupart des femmes avait l'habitude de faire le suivi de la CPN soit 83,9%, une majorité des enquêtées ne font pas des pratiques traditionnelles liées à la grossesse soit 93,1%, la plupart des femmes avait une grossesse désirée soit 83,9%, La majorité des enquêtées décidaient elles même d'aller à la CPN soit 43,1%.

Tableau 3. Les antécédents obstétricaux des gestantes dans l'Aire de santé Katoyi

Complication dans 3 mois de la grossesse	Effectif n=360	Pourcentage
Non	139	38,6
Oui	221	61,4
Nombre d'avortements		
1 à 2 Avortements	1	0,3
3 Avortements et Plus	15	4,2
Aucun avortement	344	95,5
Nombre d'enfants décédés		
1 à 3 enfants décédés	15	4,2
3 enfants et Plus	2	0,6
Aucun enfant décédé	343	95,2

Il ressort de ce tableau que la plupart des enquêtées connaissaient des complications à 3 mois de leur grossesse soit 61,4%, une grande partie des femmes n'avaient pas fait l'avortement soit 95,6%, une majorité des enquêtées n'avaient pas enregistré un cas de décès d'une de ses naissances soit 95,3%.

Tableau 4. La qualité des services des CPN dans les différentes structures sanitaires de l'Aire de santé Katoyi.

L'accueil des agents de santé lors de la CPN	Fréquence	Pourcentage
Pas satisfaisant	44	12,2
Satisfaisant	256	71,1
Très satisfaisant	60	16,7
Temps d'attente lors de la CPN		
Long	82	22,8
Pas long	205	56,9
Très long	73	20,3

Il ressort de ce tableau que la plupart des enquêtées étaient satisfaites de l'accueil des agents de santé à la CPN soit 71,1%, la majorité des enquêtées avaient confirmées que le temps d'attente de la CPN n'est pas long soit 56,9% suivies de celles qui avaient confirmé que c'est long soit 22,8% et en fin vient celles qui avaient confirmé que c'est très long soit 20,3%.

Tableau 5. Les facteurs explicatifs de faible utilisation des services des CPN

CPN							
Niveau d'étude de la femme enceinte	Faible utilisation	%	Utilisation normale	%	P	OR	IC à 95%
Sans niveau	48	22,1	12	8,4	0,001	2,964	0,163-3,543
Primaire	72	33,3	24	16,8	0,043	1,434	0,36-1,575
Secondaire	60	27,6	55	38,5	0,012	0,364	0,248-2,264
Universitaire	32	14,7	43	30,1	0,082	0,274	0,134-1,422
Postuniversitaire	5	2,3	9	6,2	0,065	0,284	0,132-2,322
Confession religieuse							
Catholique	109	50,2	47	32,9	0,043	0,743	0,401-2,200
Protestante	63	29,0	68	47,6	0,006	0,643	0,222-0,902
Musulmane	18	8,3	27	18,9	0,021	1,053	0,207-2,320
Église de réveil	27	12,4	1	0,7	0,034	0,632	0,421-2,542
Profession							
Commerçante	41	18,9	52	36,4	0,011	1,654	0,432-2,231
Ménagère	52	24,0	63	44,1	0,001	0,653	0,12-0,852
Enseignante	61	28,1	9	6,3	0,061	0,274	0,134-1,422
Fonctionnaire	63	29,0	19	13,2	0,001	1,173	0,235-3,542
Désir de la grossesse							

Oui	162	74,7	140	97,9	0,062	0,212	0,432-0,969
Non	55	25,3	3	2,1	0,002	4,653	0,243-6,986
Décideur de la CPN							
Mes beaux parents	38	17,51	27	18,88	0,034	0,655	0,213-1,931
Mes parents	14	6,45	14	9,79	0,021	0,253	0,041-2,643
Moi-même	97	44,7	58	40,56	0,000	0,821	0,532-1,432
Mon mari	68	31,34	44	30,77	0,010	0,432	0,055-2,543
L'accueil des agents de santé lors de la CPN							
Pas satisfaisant	14	6,5	30	21,0	0,007	1,632	0,432-2,632
Satisfaisant	147	67,7	109	76,2	0,021	0,453	0,213-1,543
Très satisfaisant	56	25,8	4	2,8	0,076	0,232	0,032-1,653
Temps d'attente lors de la CPN							
Long	50	23,0	32	22,4	0,012	0,752	0,321-1,432
Pas long	124	57,1	81	56,6	0,043	0,453	0,321-2,542
Très long	43	19,8	30	21,0	<0,001	2,042	0,645-4,543

Il ressort de ce tableau que, la plupart des enquêtées qui utilisaient faiblement les services des CPN avaient le niveau primaire soit 33,3%. Les enquêtées ayant le niveau d'instruction primaire ont 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,043$, $OR=1,434$, IC à 95%=0,36-1,575) et dont celles qui étaient sans niveau d'instruction avaient 3 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p<0,001$, $OR=2,964$, IC à 95%=0,163-3,543), la plupart des enquêtées qui utilisaient faiblement les services des CPN étaient des Catholiques soit 50,2%. Les enquêtées ayant la confession religieuse catholique, ont 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,043$, $OR=0,743$, IC à 95%=0,401-2,200) et dont celles qui étaient musulmanes avaient 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,021$, $OR=1,053$, IC à 95%=0,207-2,320), la majorité des enquêtées qui utilisaient faiblement les services des CPN étaient des fonctionnaires de l'état soit 29,0%. Nos enquêtées commerçantes avaient 2 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,011$, $OR=1,654$, IC à 95%=0,432-2,231). La plupart des enquêtées qui utilisaient faiblement les services des CPN, décidaient eux même d'y aller soit 44,7%. Les enquêtées qui avaient les grossesses non désirées avaient 5 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,002$, $OR=4,653$, IC à 95%=0,243-6,986). Les enquêtées ayant le pouvoir de décider elles même d'aller à la CPN ont 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,000$, $OR=0,821$, IC à 95%=0,532-1,432). De même, celles qui attendaient la décision de leurs beaux parents pour aller à la CPN avaient 1 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,034$, $OR=0,655$, IC à 95%=0,213-1,931),

Les enquêtées qui n'étaient pas satisfaites de l'accueil des agents de santé dans différentes structures sanitaires de l'Aire de Santé Katoyi, avaient 2 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p=0,007$, $OR=1,632$, IC à 95%=0,432-2,632).

Les enquêtées qui jugeaient très long le temps d'attente lors de la CPN, avaient 2 fois le risque d'utiliser faiblement les services des CPN ($p<0,001$, $OR=2,042$, IC à 95%=0,645-4,543).

Dans la présente étude, l'analyse bi variée et multi variée, avaient montré que 7 facteurs qui statistiquement expliquent la faible utilisation des services des CPN sont les suivantes : L'accueil des agents de santé lors de la CPN, la durée au fil d'attente lors de la CPN, la confession religieuse, le niveau d'instruction, la profession, le décideur sur la réalisation de la CPN et le désir de la grossesse.

Discussion

Les caractéristiques socio démographiques des gestantes.

La plupart des enquêtées avaient le niveau d'instruction secondaire soit 31,9%. Nos résultats sont proches de ceux de MOSIANA J. qui avait trouvé dans son étude que la majorité des enquêtées étaient du niveau secondaire soit 60,7%, plus le niveau d'étude de la femme enceinte est augmenté, plus le niveau d'acquisition des connaissances augmente et l'ignorance diminue. [42]

La plupart des enquêtées étaient des ménagères soit 31,9%. Nos résultats sont proches des ceux BAKOUAN E. Qui avait constaté dans son étude que les gestantes au foyer étaient majoritaires soit 83,4%. Ces résultats semblent évidents en ce sens que la ville de Goma, comme toute la RDC, l'insertion des femmes dans l'emploi est plus médiocre, ce qui explique leur forte représentativité dans notre étude.

La majorité des enquêtées étaient des mariées soit 67,2%, Nos résultats sont différents des ceux d'AMANI M. qui avait constaté dans sa recherche que les gestantes mariées **étaient minoritaire avec 16,67%** par rapport aux autres. [43] Notre résultat semble quelque peu élevé. Toutefois, il est évident du fait que dans la culture et le bon sens de notre région d'étude, l'idéal est le mariage avant de mettre au monde. Une grande partie des enquêtées étaient des catholiques soit 43,3%. C'est en cela que MBOUSSOU, M. et al. Affirmaient en 2019, que dans le nouveau contexte d'émergence des églises dites éveillées en Afrique, les pasteurs revêtent "l'habit du tradipraticien, en empruntant son discours de persécution, où tout ce qui trouble la quiétude des humains est contenu dans un mauvais sort venant de l'extérieur, et que seul Dieu peut guérir. On s'attendait donc à des pratiques sanitaires plutôt traditionnelles, de la part des femmes de ces religions traditionnelles. Par contre, pour ce qui est des deux grandes religions monothéistes, l'Islam et le Christianisme, une inquiétude se pose. En effet, l'Islam, ne semblent pas décourager le recours aux soins modernes car d'après plusieurs auteurs citant le Coran, le Prophète Mahomet a dit qu'il faut faire attention à la santé de la famille et prendre des mesures de précaution [44]. GUILLAUME Marie-Jeanne et coll. "Quand un des membres de sa famille tombait malade, le Messenger d'Allah s'occupait de lui et lui récitait al-Mi'wahatayn (les deux dernières sourates du Coran). [45]. Une femme musulmane a donc le droit de recourir aux soins de santé moderne si elle le désire, pour se faire suivre. Or on constate que les recours aux soins prénataux et à l'accouchement des femmes musulmanes sont les plus faibles, comparés à ceux des chrétiennes. Alors on se demande : il ressort certes de l'analyse de la prise en charge des grossesses et des accouchements, que les femmes de religion chrétienne sont plus nombreuses à adopter des pratiques sanitaires modernes durant la grossesse (faire des CPN, en faire assez, accoucher des mains de personnels médicaux formés) et l'accouchement, par rapport aux autres. Dans notre étude, la faible utilisation des services des CPN par les gestantes des différentes confessions religieuses est expliquée par la divergence entre les programmes de prière et celui des CPN dans différentes structures sanitaires. C'est à dire, les jours et heures réservés à la CPN sont les mêmes par rapport à ceux prévus pour la CPN dans certaines structures sanitaires ors selon les femmes nos enquêtées, Dieu d'abord car c'est lui qui donne la vie d'où il faut aller le servir que d'aller à la CPN.

Connaissances, Attitudes, et Pratiques des gestantes sur la CPN

La plupart des femmes avait l'habitude de faire le suivi de la CPN soit 83,9%, le suivi qui a été jugé faible par notre étude car ce n'est pas toutes les femmes qui respectaient le nombre de suivi à tous les niveaux. AMANI M. et coll avaient trouvé que la fréquence de l'absence de suivi de grossesses était de 21,23% et le nombre moyen de consultations prénatales était de $2,6 \pm 1,9$. Dans notre étude, nos résultats se justifient par le fait que plus une gestante a respecté deux à trois séances de CPN et que sa grossesse évolue normalement, plus elle a mal d'y retourner car elle considère son retour à la CPN comme une perte du temps. Signalons aussi le retard du début de la CPN parmi les raisons. La plupart des femmes avait une grossesse désirée soit 83,9%, contre une faible proportion qui avait montré que leurs grossesses n'étaient pas désirées soit 16,1%. MOSIANA J. avait trouvé 70,5% des enquêtées qui avaient les grossesses désirées contre 29,5% des enquêtées qui avaient les grossesses non désirées. Nos résultats sont justifiés par le résultat trouvés si haut par rapport à l'état civil présentant les

pourcentages importants des gestantes mariées que les célibataires, sachant que les femmes se marient pour faire les enfants. Contrairement aux célibataires qui ne désirent pas leurs grossesses suite à leur irresponsabilité, ce qui est à l'origine même de tentative d'interruption volontaire de la grossesse au lieu de penser à la CPN, signalons aussi certains cas des femmes violées qui sont découragées par le manque des responsables de leurs grossesses, qui jugent de ne pas fréquenter la CPN dans le but d'échapper aux questions y relatif. La majorité des enquêtées décidaient elles même d'aller à la CPN soit 43,1%. Contrairement à BAKOUAN, E. qui avait constaté dans son étude que la décision de consulter les services prénatals est à 76% prise par les conjoints, suivies des femmes elles-mêmes à 37%. Nos résultats sont expliqués par le pouvoir d'auto responsabilité des femmes enceintes mais aussi par l'irresponsabilité des conjoints dus à l'insuffisance de l'information et de sensibilisation. [34]

La qualité des services de CPN.

En ce qui concerne l'accueil, la plupart des enquêtées étaient satisfaites de l'accueil des agents des santés à la CPN soit 71,1% et que 12,2% n'étaient pas satisfaites.

SAIZONOU J et Coll. Avaient trouvé un niveau élevé de satisfaction des usagers des services prénatals, l'accueil, la communication entre les prestataires et usagers ainsi que l'accessibilité financière ont été les éléments d'insatisfaction. L'accueil et la communication ont été les éléments incriminés aussi bien sur le plan institutionnel que sur le plan de la perception des gestantes sur le plan de la perception des gestantes. [46]. RWENGE au Cameroun rapporte dans son étude que 82 à 91% des gestantes étaient satisfaites du point de vue des soins reçus, de la disponibilité des prestataires, des heures d'ouverture, de l'état des salles d'attente et des salles de consultation. La satisfaction des clients est l'un est un des résultats essentiels de la qualité des soins et services et services de santé : de cette satisfaction vont dépendre la fréquentation et l'utilisation de services de santé. La communication de bouche à oreille demeure très développée en Afrique et en particulier au Bénin. Une gestante non satisfaite de la CPN. Pourrait informer une dizaine et plus de ses pairs qui seront régressives à se rendre dans une structure sanitaire ou bien décideront à ne s'y rendre que tardivement en cas de force majeure, la majorité des enquêtées avaient confirmées que le temps d'attente de la CPN n'est pas long soit 56,9% suivies de celles qui avaient confirmé que c'est long soit 22,8%. Ces résultats approchent ceux trouvés par SANOU.D, Pour qui 55% des femmes enceintes enquêtées avaient trouvé le temps d'attente long. C'est la réduction de ce temps d'attente qui devrait permettre d'attirer plus de femmes enceintes à la CPN1.

Limites : 1) L'étude sur le plan géographique, n'avait porté que sur l'aire de santé de Katoyi dans la zone de santé de Karisimbi, ce qui limite la généralisation des résultats à d'autres contextes. 2) La période d'étude restreinte ne permet pas de saisir les variations éventuelles dans le temps. 3) Sur le plan méthodologique, le recours aux données déclaratives expose la recherche à des biais de mémoire ou de sincérité. 4) Les contraintes financières et logistiques ont restreint la taille de l'échantillon et l'étendue du terrain d'enquête et la rareté des données documentaires locales actualisées a constitué un obstacle à l'enrichissement de la revue de la littérature.

Conclusion

La morbi mortalité maternelle et périnatale constitue l'un de mille fleurs indicatrices de l'état sanitaire d'une société et de son degré de développement. C'est dans ce cadre que l'étude sur les facteurs explicatifs de la faible utilisation des Services des CPN réalisée auprès des 360 gestantes dans l'Aire de santé Katoyi avait pour objectifs de déterminer les facteurs explicatifs de la faible utilisation de service de CPN dans l'Aire de Santé Katoyi. Notre étude était transversale descriptive et analytique. Pour bien mener cette recherche, nous avons recouru à la méthode d'échantillonnage aléatoire simple. Pour la collecte des données, nous avons utilisé la méthode d'enquête par questionnaire et nous les avons analysés à l'aide du logiciel SPSS, Au terme de celle-ci, nous avons trouvé que l'accueil des agents de santé lors de la CPN; la durée au fil d'attente lors de la CPN, la confession religieuse, le niveau d'instruction, la profession, le décideur sur la réalisation de la CPN, le désir de la grossesse, sont les facteurs explicatifs de la faible utilisation des services des CPN dans notre étude.

Recommandations

Aux autorités politico sanitaires à tous les niveaux : De renforcer le système de santé en permettant l'accès aux soins de santé à moindre coût de la population et en particulier de la gestante par le découpage de l'Aire de santé de Katoyi au moins en quatre Aires de Santé.

Aux Relais Communautaires : Impliquer d'avantage les époux et les belles-mères dans le suivi de la grossesse et de respecter les conseils et consignes donnés par les prestataires.

Aux prestataires qui s'occupent de la CPN : Faire participer les gestantes à la planification de la CPN. C'est-à-dire, demander leur avis par rapport au jour et à l'heure de la CPN.

A la population : De respecter, mettre en application et étendre les conseils donnés par les agents de santé, en demandant à toute femme qui pense avoir conçu, de suivre et respecter les 4 visites des CPN en lui parlant de l'importance de les respecter et les conséquences pouvant arriver que si elle ne fait pas la CPN.

Conflit d'intérêt : Les auteurs de la présente publication déclarent n'avoir aucun conflit d'intérêt lié à cette étude.

Remerciements

Niyonzima Munyatwari Pascal était l'auteur principal, Wembonyama Okitosho Stanislas, Paluku Sabuni Louis, Bailanda Mumbere Pascal avaient orienté et apprécié l'étude, les conseils de Matiaba Binda Paul, Kakule Mutsunga Maurice, Lisimo Abwa Hilaire, Bauma Bitsubu et Mbuzukongira Prince.

Références

1. World Health Organization, Trends in Maternal Mortality 2000 to 2017 Estimates By WHO? UNICEF.2019.
2. NDIAYE P et Coll ; Déterminants socioculturels du retard de la première consultation prénatale dans un district sanitaire au Sénégal. Santé publique. 2005;17:531–538. [[PubMed](#)] [[Google Scholar](#)].
3. **DIEYE E** ; Étude des facteurs déterminant le retard de la première consultation prénatale au niveau du district sanitaire de Richard-Toll (Sénégal), [Mémoire CES Santé Publique (Épidémiologie, Bio statistique et Informatique)]. Dakar: ISED, 2013, n°11-1-08, p 35.
4. TRAORE.Y.et Coll ; Aspects sociodémographiques et pronostiques des grossesses non suivies chez admises dans les services de gynécologie obstétrique de l'hôpital Gabriel TOURE. Mali 2019.
5. FOURNIER P, HADDAD S ; Les facteurs associés à l'utilisation des services de santé dans les pays en développement, Montréal, PUM, 2015.
6. **BAKIM** ; Mémoire ENSP. Déterminants du faible taux de dépistage de la grossesse à risque dans le district sanitaire de Boulsa, 55pages(2012).
7. RONSMANS C., HOLTZ S., STANTON, C ; Socioeconomic differentials in caesarean rates in developing countries: a retrospective analysis, (2016). p 368.
8. NDIAYE, P. et coll ; les déterminants socioculturels du retard de la 1ère consultation prénatale dans un district sanitaire au Sénégal. Santé publique 2015/4 N° 17, p. 531-538.
9. RONE,Y : Soins prénatals étude de l'efficacité, Genève, OMS. (2018),
10. **ILBOUDO.Z**, : Analyse de la pratique des soins prénatals dans les centres de SMI en milieu rural, 2015.
11. **SAWADOGO.P** ; Mémoire ENSP, Étude des facteurs expliquant la déperdition entre la couverture en CPN2 et plus et la couverture en accouchements assistés dans le district sanitaire de Yako(2018).
12. **IMA.S** ; Mémoire de fin d'études ENSP. Facteurs déterminants la faible proportion de femmes enceintes vues en première consultation prénatale au premier trimestre de grossesse dans le district sanitaire de Pô (2014).
13. SANOU.D ; Mémoire de fin d'études ENSP. Etude des déterminants de la faible couverture obstétricale dans le district sanitaire de Dano, (2012) p 92.

14. ROUAMBA.M ; Étude sur les facteurs déterminant la faible couverture obstétricale dans le district sanitaire de Manga, Ouagadougou, (2010) 82pages.
15. PNDS ; Orientation stratégique N°2/Axe d'intervention : Renforcement de l'offre de services de qualité en faveur de la santé de la mère et de l'enfant, 2011-2020.p51.
16. KOÏTA, M : Qualité des CPN dans les formations sanitaires publiques et communautaires des communes V et VI du District de Bamako. Thèse de médecine 2018 M14 ; 129 pages.
17. GOÏTA, N ; Evaluation de la qualité des consultations prénatales au service de gynécologie obstétrique du centre de santé de référence de la commune v du district de Bamako. Thèse de Médecine de Bamako 2005-2006.
18. KAKULIQUE Y. et Coll ; Issues materno foetales grossesses non suivies à Lubumbashi, République Démocratique du Congo, The Pan African Medical Journal 2019 ; 33,66.
19. Ministère du plan et suivi de la mise en œuvre de la Modernité (MPSMRM), Ministère de la santé Publique (MSP) et ICF International.2014.
20. OMS. Mortalité maternelle. 2018. Février. Accessed February 24 2019. [[Google Scholar](#)]
21. Ministère du Plan et Suivi de la Mise en oeuvre de la Révolution de la Modernité (MPSMRM), Ministère de la Santé Publique (MSP) et ICF International, 2014.
22. MOSIANA, J ; Déterminants de la faible proportion des femmes enceintes vues a la première CPN Université pédagogique 2014.
23. ALKEMA, L., CHOU, D et Coll. Global, Regional, and National Levels and Trends in Maternal Mortality (2016).
24. **DIEYE EI** ; Etude des facteurs déterminant le retard de la première consultation prénatale au niveau du district sanitaire de Richard-Toll (Sénégal), [Mémoire CES Santé Publique (Épidémiologie, Bio statistique et Informatique)]. Dakar: ISED, 2013, n°11-1-08, p 3,

عنوان البحث

**العقل في فلسفة الظاهراتية: دراسة تحليلية في ضوء أعمال هوسرل وهايدغر
وميرلوبونتي**

م.م فؤاد لطيف تركي¹، علي فتحي²

¹ قسم الفيزياء، كلية التربية للعلوم الصرفة، جامعة واسط، العراق. بريد الكتروني: fturki@uowasit.edu.iq, ali.fathi@ut.ac.ir

² الأستاذ المشارك في قسم الفلسفة، كلية اللاهوت، مجمع فارابي، جامعة طهران، قم، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/48>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/48>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل مفهوم العقل في فلسفة الظاهراتية من خلال دراسة مقارنة لأفكار ثلاثة من أبرز فلاسفة هذا الاتجاه: إدموند هوسرل، مارتن هايدغر، وموريس ميرلوبونتي. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الفلسفة الظاهراتية قد أعادت صياغة مفهوم العقل بما يتجاوز التصور التقليدي الذي يفصله عن الجسد والعالم، لتقدمه بوصفه بنيةً قصديةً، متجسدةً، ومنخرطةً في التجربة المعاشة.

يعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن لتتبع التحولات المفهومية التي مرّ بها مفهوم العقل داخل الفكر الظاهراتي؛ إذ يُبرز تصور هوسرل للعقل بوصفه وعياً قصدياً يمنح العالم معناه، بينما يعيد هايدغر موضعه ضمن بنية الوجود الإنساني، مؤكداً أن الفهم العقلي فعلٌ وجوديٌّ منفتح على العالم، في حين يقدم ميرلوبونتي تصور العقل المتجسد الذي يتجلى من خلال الإدراك الحسي والتفاعل الجسدي مع الواقع.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الظاهراتية قدّمت رؤيةً فلسفيةً متجددة للعقل من خلال دمجها بالزمن والجسد والعالم المحيط، بحيث لم يعد العقل كياناً مجرداً أو أداةً تحليلية فحسب، بل أصبح مجالاً حيويّاً لتفاعل الإنسان مع الوجود وتكوينه للمعنى. إن هذا التصور يُعيد للعقل بعده الوجودي والمعرفي والإنساني في آنٍ واحد، ويشكّل أرضية خصبة لإعادة النظر في العلاقة بين الفكر والتجربة في الفلسفة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: العقل، الظاهراتية، الوعي القصدي، الوجود في العالم، التجسد، هوسرل، هايدغر، ميرلوبونتي.

RESEARCH TITLE

The Mind in Phenomenological Philosophy: An Analytical Study in Light of the Works of Husserl, Heidegger, and Merleau-Ponty**Abstract**

This study aims to analyze the concept of the mind in phenomenological philosophy through a comparative examination of the ideas of three of its most influential thinkers: Edmund Husserl, Martin Heidegger, and Maurice Merleau-Ponty. The research is based on the premise that phenomenology reformulated the notion of the mind beyond the traditional view that separates it from the body and the world, presenting it instead as an intentional, embodied, and experiential structure engaged in lived reality.

Adopting an analytical and comparative approach, the study traces the conceptual transformations of the mind within phenomenological thought. It highlights Husserl's concept of intentional consciousness, in which the mind gives meaning to the world; Heidegger's notion of being-in-the-world, which situates understanding as an existential mode of human openness; and Merleau-Ponty's idea of the embodied mind, emphasizing perception and bodily interaction as the foundation of cognition.

The study concludes that phenomenology has provided a renewed philosophical understanding of the mind by integrating it with time, the body, and the surrounding world, thus transforming it from a mere abstract faculty into a living field of interaction through which human beings engage with existence and construct meaning. This conception restores to the mind its existential, epistemological, and human dimensions, offering fertile ground for rethinking the relationship between thought and experience in contemporary philosophy.

Key Words: Mind, Phenomenology, Intentional Consciousness, Being-in-the-World, Embodiment, Edmund Husserl, Martin Heidegger, Maurice Merleau-Ponty.

المقدمة:

يُعدّ العقل أحد المفاهيم المحورية في تاريخ الفلسفة، وقد تنوّعت تصوّرات الفلاسفة له بين من اعتبره جوهرًا مفارقًا كما في الفلسفة المثالية، ومن رأى فيه أداة تحليل وتجريب كما في النزعة الوضعية. إلا أن الفلسفة الظاهراتية قدّمت فهماً مغايرًا للعقل، لا بوصفه كيانًا نظريًا منعزلًا، بل كشرط أساسي لظهور العالم وتكوين المعنى في تجربة الإنسان المعيشة.

لقد أسّس إدموند هوسرل الفينومينولوجيا كمنهج يهدف إلى العودة إلى الخبرة الأصلية كما تُعاش في الوعي، مؤكدًا على أن العقل ليس مجرد انعكاس للواقع، بل هو بنية قصدية يتجه دومًا نحو موضوع ما، مانحًا له معناه في إطار التجربة الذاتية. ومن خلال هذا التأسيس، لم يعد العقل مجرد أداة لفهم العالم، بل هو الوسيط الذي يظهر العالم من خلاله. أما هيدغر، فقد أعاد بناء مفهوم العقل داخل إطار وجودي، مؤكدًا أن الفهم العقلي لا ينفصل عن "الوجود في العالم"، حيث يشكّل العقل عنده بُعدًا من أبعاد الانفتاح الوجودي للإنسان على إمكاناته. ومن جهة أخرى، طوّر موريس ميرلوبونتي هذا التصور، معيّدًا الاعتبار للجسد بوصفه شرطًا لتجلي العقل، مؤكدًا أن الإدراك الحسي والتجربة الجسدية هما المدخل الحقيقي لفهم العقل في تفاعله مع العالم.

بناءً على ما سبق، يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية لمفهوم العقل في الفلسفة الظاهراتية، وذلك من خلال تتبع تطوره في أعمال كل من هوسرل وهايدغر وميرلوبونتي، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف في تصوراتهم. كما يسعى إلى الكشف عن الأبعاد المعرفية والوجودية والتجسيدية للعقل ضمن هذا التيار الفلسفي الذي مثّل تحولًا نوعيًا في فهم الذات والعالم.

اهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الحاجة إلى فهم معمّق لمفهوم العقل الذي ظلّ عبر التاريخ موضوعًا محوريًا في الفلسفة، ولكن في سياق فلسفة الظاهراتية يُعاد النظر فيه بوصفه تجربة معيشة متكاملة لا تقتصر على التفكير المجرد. إن البحث في هذا المفهوم من خلال أعمال هوسرل وهايدغر وميرلوبونتي يفتح آفاقًا جديدة لفهم كيفية تشكّل المعنى داخل الوعي الإنساني، سواء من خلال الوعي القصدي، أو الفهم الوجودي، أو التجسد الحسي.

تمثّل فلسفة الظاهراتية أحد أهم التيارات الفلسفية المعاصرة التي أعادت النظر في العلاقة بين الذات والعالم، وفي قلب هذا الإطار برز مفهوم "العقل" بوصفه نقطة انطلاق لفهم الوجود والمعنى. حاول الظاهراتيون تجاوز الرؤية الديكارتية التقليدية للعقل بوصفه جوهرًا منعزلًا، وأعادوا صياغته ضمن تجربة الذات المعاشة.

كما أن أهمية البحث تكمن في كونه يعالج المفهوم من عدة أبعاد متكاملة؛ فهو سرل يطرح العقل بوصفه بنية قصدية تمنح العالم مدلولاته، وهايدغر يربط العقل بوجود الإنسان في العالم، فيما يُسلط ميرلوبونتي الضوء على البعد الجسدي الذي يجعل من العقل ظاهرة متجسدة ومتفاعلة مع المحيط.

إن هذا التنوع في الرؤى يجعل البحث ذا قيمة تطبيقية وفكرية، خاصة في مجالات الفلسفة المعاصرة وعلوم الإنسان، حيث يساهم في تطوير نظريات أكثر انسجامًا مع طبيعة التجربة الإنسانية المتشابكة والمعقدة. يُعدّ مفهوم العقل من المحاور الأساسية في الفلسفة، وقد شهد تطورًا جذريًا عبر المدارس الفلسفية المختلفة، خاصة في سياق فلسفة الظاهراتية التي قدّمت رؤية جديدة للعقل تتجاوز النظرة التقليدية باعتباره مجرد أداة تفكير أو تحليل منطقي. إذ ترى الظاهراتية أن العقل يتجلى في تجربة الإنسان المعيشة، حيث يُشكّل الوعي القصدي، والوجود في العالم، والتجسد الجسدي أبعادًا متكاملة لفهم العقل.

تتبع أهمية هذا البحث من رغبته في استكشاف هذا المفهوم المتعدد الأوجه من خلال دراسة تحليلية لأعمال أبرز فلاسفة الظاهراتية، وهم: إدموند هوسرل، الذي أكد على القصديّة كأساس للعقل، ومارتن هايدغر الذي أضاف البعد الوجودي، وموريس ميرلوبونتي الذي أعاد تأكيد أهمية الجسد في الإدراك العقلي

كما يسهم البحث في سد فراغ معرفي من خلال ربط التصورات الفلسفية للعقل بالمواقف الوجودية والتجربة الجسدية، مما يوفر إطاراً شاملاً لفهم العقل ليس ككيان نظري منفصل، بل كظاهرة معاشة وفاعلة في بناء المعنى والواقع. (هوسرل، 2013، ص 47؛ هايدغر، 1996، ص 95؛ ميرلوبونتي، 2005، ص 70).

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل مفهوم العقل في فلسفة الظاهراتية من خلال التركيز على رؤى ثلاثة من أبرز فلاسفتها: إدموند هوسرل، مارتن هايدغر، وموريس ميرلوبونتي. ويسعى البحث إلى توضيح كيف يُعاد تفسير العقل ليس ككيان مجرد للتفكير، بل كتجربة معاشة تتطوي على وعي قصدي، وجود إنساني، وتجسد حي. كما يهدف إلى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تصورات هؤلاء الفلاسفة، مع إبراز الأبعاد المعرفية والوجودية والجسدية التي تشكل فهمهم للعقل، وذلك من أجل تقديم رؤية متكاملة تسهم في إثراء الدراسات الفلسفية المعاصرة حول طبيعة العقل والوعي.

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة الظاهراتية ومبادئها الأساسية

أولاً: الفلسفة الظاهراتية ومبادئها الأساسية

تُعد الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا) أحد أبرز التيارات الفلسفية في القرن العشرين، وقد نشأت على يد الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، كردّ على النزعة الوضعية والعقلانية التقليدية التي اختزلت الوعي في مجرد عمليات منطقية أو تجريبية. تهدف الظاهراتية إلى العودة إلى الخبرة المباشرة كما تُعاش في الوعي، من دون افتراضات مسبقة أو تأويلات خارجية. فالمعرفة لا تُبنى على موضوعية مطلقة، بل تنشأ من كيفية ظهور الظواهر في الوعي الإنساني (هوسرل، 2013، ص 15).

الفينومينولوجيا، كما يعرفها هوسرل، هي "المنهج الذي يسعى إلى وصف الظواهر كما تُعطى لنا في الحدس المباشر، لا كما تُفسّر أو تُفرض عليها مفاهيم خارجية" (هوسرل، 2013، ص 28).

وقد أطلق شعاره الشهير: "العودة إلى الأشياء ذاتها"، وهو ما يعني تجاوز التأويلات العلمية والنظرية، والتركيز على وصف الظاهرة كما تظهر للعقل الواعي.

ومن أبرز مبادئ الفلسفة الظاهراتية ما يلي:

1. القصديّة

الوعي في الفينومينولوجيا هو دائماً "وعي بشيء"، أي أنه موجّه نحو موضوع ما. وهذه الفكرة، الموروثة من برنتانو، تشكل حجر الأساس في تصور هوسرل للوعي بوصفه فاعلاً ومقصدياً، لا سلبياً أو منعكساً فقط (عبد الجواد، 2010، ص 55).

2. الرّدّ الظاهراتي

وهو تعليق كل الأحكام حول وجود الأشياء الخارجية، بهدف تحليل كيفية ظهورها للوعي. لا يعني ذلك إنكار الواقع، بل

تعليق "الإيمان الطبيعي" به، من أجل دراسة البنية العقلية للتجربة (حنفي، 2007، ص 92).

3. الحدس الفينومينولوجي

تؤكد الظاهراتية على أهمية الحدس المباشر، أي الإدراك الخالص غير المشوّه بالمفاهيم أو الأحكام الجاهزة. هذا الحدس يُعتبر أداة للوصول إلى "الماهية"، أي الجوهر الذي تقوم عليه الظاهرة (ميرلوبونتي، 2005، ص 42).

4. التركيز على العالم المعيش

في المرحلة المتأخرة من تفكيره، شدّد هوسرل على "العالم المعيش" كمجال رئيس لتجليات المعنى. وهو العالم الذي نعيش فيه فعليًا بتجاربنّا اليومية، لا كما تُقدمه العلوم بتجربتها (هوسرل، 2013، ص 102).

ثانياً: الظاهراتية ومنهجها الفلسفي

ترتبط الظاهراتية أساسًا بالفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (1859-1938)، الذي أسس هذا الاتجاه عبر كتابه "أفكار ممهدة لفينومينولوجيا خالصة" (1913)، حيث دعا إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها" من خلال منهج الردّ الظاهراتي، والذي يعني تعليق الحكم على وجود العالم والتركيز على كيفية ظهوره للوعي.

كما يوضح الباحث زكريا إبراهيم في كتابه مشكلة الفلسفة أن الظاهراتية تعني "الرجوع إلى التجربة المباشرة كما تتجلى في الوعي" (إبراهيم، 1981، ص: 175).

المبحث الثاني: العقل عند إدموند هوسرل

يُعدّ إدموند هوسرل (1859-1938) مؤسس الفينومينولوجيا الحديثة، وقد أعاد صياغة مفهوم العقل بطريقة تتجاوز النماذج التقليدية التي فصلت بين العقل والعالم. ففي مشروعه الظاهراتي، لم يكن العقل جهازًا مغلقًا يعالج المعطيات، بل هو بنية قصدية تتجه دومًا نحو شيء ما؛ أي أن كل فعل عقلي هو في جوهره فعل "وعي بشيء". وهنا تظهر إحدى ركائز فلسفة هوسرل، وهي "القصدية" التي استقاها من برنتانو، لكنها تطورت في إطارها الظاهراتي إلى مبدأ شامل لفهم كل مظاهر الوعي والمعرفة.

إن العقل عند هوسرل لا يمكن فصله عن العالم الذي يُدرك، فهو لا يعمل في عزلة عن الموضوعات، بل إن هذه الموضوعات لا تكتسب معناها إلا من خلال تعيينها في الوعي. بمعنى أن العالم ليس شيئًا يُكتشف خارج الذات، بل هو يُبنى من خلال التجربة الذاتية للعقل. ومن هذا المنظور، يرى هوسرل أن الظواهر لا تُدرس بما هي موضوعات في ذاتها، بل بما هي كيف تُعطى في الوعي، في لحظة التجربة المعاشة أو ما يُعرف بـ"الخبرة القصدية" (هوسرل، 2013، ص 71).

في كتابه "أفكار ممهدة لفينومينولوجيا خالصة"، دعا هوسرل إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها وهي دعوة إلى تجاوز المقولات المسبقة والتوجه نحو وصف الظواهر كما تظهر للعقل، لا كما تُفسّرها النماذج العلمية أو الفلسفية الجاهزة (هوسرل، 2013، ص 22).

كما أن العقل في فلسفة هوسرل مرتبط بفكرة الردّ الفينومينولوجي (Epoché)، وهو تعليق الحكم عن وجود الأشياء بهدف فهم كيفية ظهورها في التجربة الذهنية الخالصة. وهذا يعني أن العقل ليس أداة للشك، كما عند ديكارت، بل هو مجال لتجلي الحقيقة كما تُعاش من الداخل. (عبد الجواد، 2010، ص 103)

وعليه، فإن العقل عند هوسرل هو مصدر تكوين المعنى، ومركز انبثاق كل معرفة ممكنة. فالذات العارفة، من خلال وعيها القَصدِي، تمنح الأشياء هويتها. وهذا ما جعل هوسرل يعتبر الفينومينولوجيا "علماً تأسيسياً" للمعرفة، لأنها تنطلق من العقل الخالص كشرط لكل إدراك. (حسن حنفي، 2007، ص 118)

يرى هوسرل أن العقل ليس مجرد آلة للتفكير المجرد أو المنطقي، بل هو وعي قصدي، أي أن كل وعي هو وعي بشيء. العقل هنا ليس كياناً مغلقاً بل هو مفتوح دوماً على العالم.

يوضح عبد الرحمن بدوي أن "القصدية" عند هوسرل تعني أن كل فعل عقلي يتجه نحو موضوع معين كما شدد هوسرل على أن التجربة الذاتية، لا التجريد العقلي، هي منبع كل معرفة. فالعقل عنده مرتبط بالإدراك الحي والمعيش (بدوي، الزمان الوجودي، 1982، ص: 111).

المبحث الثالث: العقل عند مارتين هايدغر في فلسفة الظاهراتية

يُعدّ مارتين هايدغر (1889-1976) من أبرز الفلاسفة الذين تأثروا بإدموند هوسرل، غير أنه تجاوز الظاهراتية التقليدية نحو مقارنة وجودية عميقة. فبينما كان العقل عند هوسرل يتمحور حول الوعي القَصدِي وتحليل التجربة، فإن هايدغر قد أعاد موضوعة العقل داخل بنية أوسع هي "الوجود الإنساني" أو ما يُسميه بـ"الدازين" (Dasein)، أي الكائن الذي يكون في العالم. وبذلك لم يعد العقل عنده وظيفة معرفية فحسب، بل بُعداً وجودياً أصيلاً يعكس علاقة الإنسان بالعالم (هايدغر، 1996، ص 88).

في كتابه الأساسي "الوجود والزمان" (Sein und Zeit)، لم يُفرد هايدغر مفهوماً تقليدياً للعقل كما في الفلسفة الديكارتية أو المثالية، بل ربطه بما يسميه الفهم (Verstehen) والتأويل (Auslegung)، بوصفهما طريقتين أساسيتين لانكشاف العالم أمام الإنسان. فالعقل في هذا السياق هو قدرة الكائن الإنساني على أن "يُلقي بنفسه في إمكاناته"، ويعيشها لا كمعلومات، بل كمعنى حي متجذر في تجربته (بدوي، 1995، ص 104).

يرى هايدغر أن "الوعي" ليس محور الوجود كما عند هوسرل، بل الانفتاح الوجودي على العالم. والعقل هنا ليس آلة لتفسير الظواهر، بل هو جزء من بنية الوجود نفسه. فكل إدراك عقلي هو في حقيقته تأويل وجودي للواقع من داخل تجربة الكائن (عبد الجواد، 2010، ص 137).

وقد رفض هايدغر النزعة العقلانية التي اختزلت العقل في المنطق والتحليل، مشدداً على أن الفهم العقلي هو دائماً مشروط بالسياق التاريخي والزمني للكائن. وبعبارة أخرى، فإن العقل لا يُدرك العالم من الخارج، بل يعيش فيه، ويفهمه من خلال احتكاكه الوجودي به (حنفي، 2007، ص 146).

إن ما يميز تصور هايدغر للعقل هو أنه عقل منغمس في العالم، يتعامل مع الكينونة بوصفها سؤالاً مفتوحاً، لا جواباً نهائياً. وهذا ما يجعل الفهم العقلي لديه فهماً وجودياً، متغيراً، ومبنياً على تجربة الكائن لا على مقولات ثابتة.

أما مارتين هايدغر، تلميذ هوسرل، فقد تجاوز التحليل الظاهراتي للوعي ليركز على "الكينونة" (Sein). وقد نقد الفهم التقليدي للعقل بوصفه أداة تحليلية، معتبراً أن "الوجود في العالم" (Dasein) يتجلى في الفهم المسبق والاهتمام العملي.

يقول هايدغر في كتابه الكينونة والزمان إن "الوجود الإنساني يفهم ذاته من خلال انشغاله بالعالم، لا من خلال التأمل المجرد" (Heidegger, Being and Time, 1927).

ويشير محمد المصباحي في دراسته عن هايدغر أن "العقل في فلسفة الكينونة لا يُفهم بوصفه تأملاً منطقياً، بل وجوداً موجهاً نحو العالم" (المصباحي، 2010، ص: 203).

المبحث الرابع: العقل عند موريس ميرلوبونتي في الفلسفة الظاهراتية

يحتل موريس ميرلوبونتي (1908-1961) موقعاً فريداً في تاريخ الفلسفة الظاهراتية، إذ عمل على تطوير المفاهيم الأساسية التي طرحها هوسرل وهايدغر، لكنه أضاف إليها بُعداً جديداً يتمثل في التركيز على الجسد كشرط أساسي للعقل. فقد رفض ميرلوبونتي الفصل التقليدي بين العقل والجسد، وأكد أن العقل لا يمكن أن يُفهم باعتباره مجرد وعي نظري أو ذات مفكرة، بل هو وعي متجسد يعيش العالم ويعيشه من خلال الجسد (ميرلوبونتي، 2005، ص 55).

في كتابه الأشهر "فينومينولوجيا الإدراك"، ينطلق ميرلوبونتي من فكرة أن الإدراك الحسي هو أساس الوعي، وأن العقل ليس شيئاً منفصلاً عن التجربة الحسية، بل يتجلى من خلالها. ومن هنا فهو يعارض النموذج الديكارتي الذي يرى العقل جوهراً قائماً بذاته، ويؤكد أن المعنى لا يصدر عن تأمل ذهني خالص، بل عن تفاعل مباشر بين الإنسان والعالم (ميرلوبونتي، 2005، ص 92).

ويُصور ميرلوبونتي العقل كقدرة على الانخراط في العالم، وفهمه من خلال الخبرة المعاشة لا من خلال تأملات ذهنية مجردة. فالذات الواعية عنده ليست "أنا أفكر" بل "أنا أعيش" أو "أنا أدرك"، وهو ما يجعل الجسد ليس موضوعاً للعقل، بل شرطاً لوجوده (حنفي، 2007، ص 161).

كما أن العقل في تصور ميرلوبونتي هو عقل تجسدي، أي يتجلى في الحركة، واللغة، والتجربة اليومية. فاللغة ليست تعبيراً خارجياً عن الفكر، بل هي جزء من عملية تكوين المعنى العقلي، بل هي "جسد الفكر" كما يسميها (عبد الجواد، 2010، ص 142).

وهكذا، يقدّم ميرلوبونتي تصوراً للعقل لا يقوم على الانفصال والتجريد، بل على الاندماج في العالم المعيش. فالعقل ليس سيّداً يتحكم في الأشياء، بل فاعل منخرط فيها، يعيشها ويفهمها من خلال تفاعل دائم بين الذات والعالم.

طور موريس ميرلوبونتي (1908-1961) الظاهراتية في اتجاهٍ جسديّ وتجريبيّ، مؤكداً أن العقل ليس منفصلاً عن الجسد، بل هو مجسّد في التجربة. فالإدراك الحسي ليس نشاطاً عقلياً صرفاً، بل تجربة تجسدية للعالم.

يوضح ميرلوبونتي في كتابه فينومينولوجيا الإدراك أن "الجسد هو الوسيط الذي من خلاله ننخرط في العالم" (Merleau-Ponty, 1945).

ويضيف الباحث طه عبد الرحمن أن ميرلوبونتي جعل "العقل نشاطاً معيشاً يتجسد في الفعل الإدراكي والتجربة اليومية" (طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، 2003، ص: 145).

المبحث الخامس: مقارنة تحليلية بين تصور العقل عند هوسرل، هايدغر، وميرلوبونتي

يشارك كل من إدموند هوسرل، مارتن هايدغر، وموريس ميرلوبونتي في اعتبار العقل مركزاً لفهم الوجود والظواهر، إلا أن كل منهم عالج المفهوم من زاوية مختلفة تعكس تطور الفينومينولوجيا من منظور معرفي إلى منظور وجودي وتجسدي.

أولاً: هوسرل والعقل القَصدي

يرى هوسرل أن العقل هو وعي قَصدي، يتجه دائماً نحو موضوع معين، وهو الذي يمنح المعنى للعالم من خلال تجربته الذاتية. فالعقل عنده ليس مجرد أداة لمعالجة المعلومات، بل هو شرط أساسي لكل إدراك ومعرفة. وقد اعتبر أن تحليل بنية الوعي القَصدي يمكن أن يقود إلى تأسيس علم صارم للفلسفة (هوسرل، 2013، ص 45).

ثانيًا: هايدغر والعقل كفهم وجودي

بينما تجاوز هايدغر التصور الهوسرلي للعقل، معيّدًا موضعيته ضمن بنية "الدازين"، أي الوجود الإنساني المنفتح على العالم. لم يعد العقل عنده مركزًا للمعرفة بقدر ما هو بُعد من أبعاد الفهم الوجودي. فالفكر لا يصدر من عقل منعزل، بل من كائن يعيش في العالم، وتُشكّل تجربته وجوده ومعرفته على حد سواء (هايدغر، 1996، ص 88).

ثالثًا: ميرلوبونتي والعقل المتجسد

أما ميرلوبونتي فقد ذهب إلى أن العقل لا ينفصل عن الجسد، بل هو جزء من التجربة الجسدية للعالم. العقل هنا يتجسد في الإدراك، والحركة، واللغة، وكلها أدوات لفهم الواقع كما يُعاش. فالمعرفة العقلية ليست ناتجًا لتأمل ذهني خالص، بل لاحتكاك حسي-جسدي دائم مع العالم المعيش (ميرلوبونتي، 2005، ص 66).

رغم أن هوسرل ينطلق من التحليل القصدي للوعي، وهايدغر من بنية الوجود، وميرلوبونتي من الجسد، فإن الثلاثة يتفقون على أن العقل لا يمكن فهمه ككيان منفصل عن التجربة. غير أن هوسرل بقي أقرب إلى منطق العقل التحليلي، بينما هايدغر أعاد تأصيل العقل ضمن سؤال الكينونة، في حين دمج ميرلوبونتي العقل بالجسد واللغة بوصفهما امتدادًا لوعينا بالعالم.

نقد الظاهراتية التقليدية وتوسيع مفهوم العقل

تعرضت الظاهراتية لنقد لاحق لتجاهلها أحيانًا الجوانب الاجتماعية والتاريخية في تشكل العقل. إلا أن تطوراتها في الفينومينولوجيا الوجودية والظاهراتية الجسدية أعادت رسم حدود العقل ككيان معقد ومتشابك مع العالم، والجسد، والآخرين.

الخاتمة

إن دراسة العقل من منظور الظاهراتية تكشف عن تحول جذري في الفلسفة المعاصرة، حيث لم يعد العقل كيانًا مفصلاً عن العالم، بل أصبح ساحة للانكشاف، والتجسد، والانخراط. قدمت الظاهراتية تصورًا غنيًا يعيد للعقل حضوره الحي في التجربة.

إن تناول مفهوم العقل في فلسفة الظاهراتية يكشف عن تحول عميق في النظر إلى العقل، لا بوصفه أداة مجردة للتحليل المنطقي فقط، بل كوعي قصدي، متجسد، ومتفاعل مع العالم. فقد قدم هوسرل منظورًا جديدًا للعقل كحضور قصدي يُعنى بكيفية ظهور الظواهر في الوعي، بينما وسّع هايدغر هذا الفهم ليشمل العلاقة الوجودية بين الإنسان والعالم، مؤكدًا أن الفهم العقلي لا ينفصل عن السياق الوجودي والمعيش. أما ميرلوبونتي، فقد دمج الجسد بالعقل، ليصوغ رؤية ترى في الإدراك العقلي فعلًا مجسدًا يشارك في تشكيل التجربة الواقعية.

تُظهر هذه المواقف الثلاثة أن العقل في الظاهراتية ليس معزولًا، بل متصل بالجسد، والزمان، والعالم، مما يجعل من الظاهراتية إطارًا فلسفيًا غنيًا لفهم العقل في بعده الوجودي والمعرفي. ومن خلال هذه الرؤية، تصبح الذات المفكرة ليست فقط محلًا للتأمل، بل كيانًا منخرطًا في الحياة، يصنع المعنى ويعيد تشكيله باستمرار.

المصادر :

1. بدوي، عبد الرحمن. (1995). الزمان الوجودي عند هايدغر. بيروت: دار القلم.
2. حنفي، حسن. (2007). مقدمة في علم الاستغراب. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
3. زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، دار مصر للطباعة، 1981.

4. طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، 2003.
5. عبد الجواد، عادل. (2010). الوعي والوجود في فلسفة هوسرل. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
6. عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، دار القلم، 1982.
7. محمد المصباحي، "هايدغر والفكر العربي"، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 127، 2010.
8. ميرلوبونتي، موريس. (2005). فينومينولوجيا الإدراك. ترجمة: نظير جاهل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
9. هايدغر، مارتن. (1996). الوجود والزمان. ترجمة: فتحي المسكيني. بيروت: دار الفارابي.
10. هوسرل، إدموند. (2013). أفكار ممهدة لفينومينولوجيا خالصة. ترجمة: ماجد فخري. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

عنوان البحث

التحليل الجغرافي لواقع الإنتاج الزراعي للمحاصيل العلفية في قضاء الطارمية

م.د. الاء ذاكر عذاب¹

¹ الجامعة العراقية، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، العراق.

بريد الكتروني: alaa.adhab@aliraqia.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/49>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/49>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الواقع الجغرافي للإنتاج الزراعي للمحاصيل العلفية في قضاء الطارمية، استنادًا إلى بيانات شعبة زراعة الطارمية لعام 2024، من أجل الكشف عن التباين المكاني في توزيع وإنتاج هذه المحاصيل. اعتمد البحث على المنهج التحليلي الجغرافي الذي يربط بين خصائص الأرض، وأنماط استخداماتها، وكميات الإنتاج لتحقيق فهم متكامل للعوامل المؤثرة في تباين الإنتاج.

أظهرت النتائج أن مقاطعة (2/أبو سريويل) احتلت المرتبة الأولى من حيث المساحات المزروعة بالمحاصيل العلفية بمساحة بلغت (1120) دونماً، أي ما نسبته (12.71%) من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية المخصصة للعلف. كما تبين أن محصول الشعير جاء في المرتبة الأولى من حيث المساحة المزروعة بنسبة (28.04%)، بينما احتل محصول الجبث المرتبة الأولى من حيث كميات الإنتاج، إذ بلغت (6456) طنًا من إجمالي إنتاج المحاصيل العلفية. أما أعلى إنتاجية فقد سُجلت لمحصول البرسيم في مقاطعة (3/البوتاج الدين) وبلغت (3716 كغم/دونم).

خلصت الدراسة إلى أن التباين في الإنتاج والمساحات المزروعة يعكس اختلاف الخصوبة الزراعية وتباين المقومات الطبيعية والبشرية بين المقاطعات، مما يستدعي تبني سياسات زراعية متوازنة تراعي توزيع الموارد وتحسين كفاءة الإنتاج العلفي لدعم قطاع الثروة الحيوانية في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: التحليل الجغرافي، المحاصيل العلفية، قضاء الطارمية، الإنتاج الزراعي، التوزيع المكاني.

RESEARCH TITLE

Geographical Analysis of Fodder Crop Production in Al-Tarmiyah District

Asst. Dr. Alaa Thakir Athab¹

¹ Al-Iraqia University, College of Education for Women, Department of History, Iraq.

Email: alaa.adhab@aliraqia.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/49>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/49>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study analyzes the geographical reality of fodder-crop production in Al-Tarmiyah District using 2024 data from the Al-Tarmiyah Agriculture Division, with the aim of revealing spatial variation in the distribution and output of these crops. The research adopts a geographical analytical approach that links land characteristics, land-use patterns, and production quantities to develop an integrated understanding of the factors shaping production disparities.

Findings show that subdistrict 2/Abu Sriwil ranks first in area cultivated with fodder crops, totaling 1,120 dunums (12.71% of the district's total fodder-crop area). Barley ranks first by cultivated area (28.04%), whereas alfalfa (jūt) leads in total output, reaching 6,456 tons of the district's fodder-crop production. The highest productivity is recorded for berseem clover in subdistrict 3/Al-Butāj al-Dīn, averaging 3,716 kg/dunum.

The study concludes that variation in production and cultivated area reflects differences in agricultural fertility and the heterogeneity of natural and human resources among subdistricts. It recommends balanced agricultural policies that allocate resources more equitably and improve the efficiency of fodder production to support the livestock sector in the district.

Key Words: Geographical analysis; Fodder crops; Al-Tarmiyah District; Agricultural production; Spatial distribution.

المقدمة

يُعد القطاع الزراعي من أهم المرتكزات الأساسية التي تسهم في بناء التنمية الاقتصادية في العديد من دول العالم، ولا سيما في الدول النامية التي تشكل فيها الزراعة مصدرًا رئيسيًا للدخل والغذاء وفرص العمل. ويعد العراق من بين الدول التي تملك مقومات زراعية متنوعة بفضل تنوع مناخه وتوافر أراضيه الزراعية، إلا أن هذا القطاع يواجه تحديات كبيرة في ظل التغيرات المناخية وشح المياه وتذبذب الموارد المائية، لاسيما في ظل تغيرات المناخ وعدم انتظام التساقطات المطرية فوق العراق. ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث لتسليط الضوء على تحليل زراعة المحاصيل العلفية التي تعد من أهم المرتكزات الأساسية في دعم قطاع الثروة الحيوانية، إذ تعد عاملاً مهماً في تحقيق التوازن بين الإنتاج الزراعي والحيواني، حيث يعتمد القطاع الحيواني بشكل كبير على توفر هذه المحاصيل لتلبية احتياجاته الغذائية. وتؤدي محاصيل العلف دوراً حيوياً في تعزيز الثروة الحيوانية، مما يجعل من الضروري تطوير إنتاج هذه المحاصيل قبل التوسع في مشاريع الثروة الحيوانية، إذ يجب أن يكون هناك توازن بين كمية الأعلاف المتاحة ومدى التوسع في هذه المشاريع.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث بطرح التساؤل الآتي: هل تتباين المساحات المزروعة بمحاصيل العلف في كميات الإنتاج وتوزيعها الجغرافي في مقاطعات منطقته البحث ؟

فرضية البحث

من خلال تحديد مشكلة البحث يمكن صياغة الفرضية بالشكل الآتي: ان اختلاف المساحات المزروعة وتباين صلاحيتها الزراعية يؤثر في عمليات الانتاج وكمياتها وبالتالي تتباين كميات الانتاج بعملية طردية كلما زادت المساحة المزروعة زاد الإنتاج في حال ثبات مقومات الانتاج.

هدف البحث

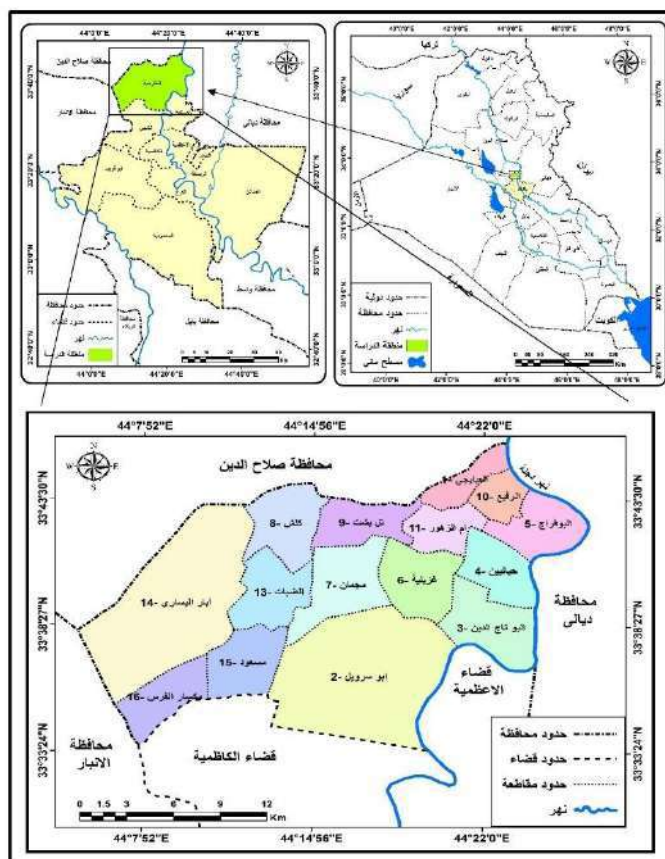
يهدف البحث الى دراسة التوزيع الجغرافي لهذه المحاصيل لمعرفة التباين المكاني لها في مقاطعات منطقة البحث.

الحدود المكانية والزمانية

تمثلت منطقة البحث بقضاء الطارمية الذي يقع في الجزء الشمالي من محافظة بغداد وعلى الجهة الغربية من نهر دجلة، ويحد المنطقة من الشمال محافظة صلاح الدين ومن الغرب محافظة الانبار ومن الشرق محافظة ديالى ومن الجنوب قضاء الكاظمية، وتمتد منطقة الدراسة فلكياً بين دائرتي عرض ($33^{\circ} 45' 00''$) شمالاً و ($33^{\circ} 30' 00''$) وقوسي طول ($44^{\circ} 25' 00''$) _ ($44^{\circ} 05' 00''$) شرقاً، ويشمل قضاء الطارمية ثلاثة نواحي وهي الطارمية والعباجي والمشاهدة، يلاحظ خريطة (1). وتبلغ مساحة المنطقة الكلية (481) كم² (1). اما الحدود الزمانية للمنطقة فقد حددت بالعام (2024).

خريطة (1)

الموقع الجغرافي لمنطقة البحث من العراق ومحافظة بغداد



المصدر: بالاعتماد على: وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، خريطة العراق الإدارية، 1:1000000.

المساحات المزروعة بمحاصيل العلف

تعد المحاصيل العلفية المصدر الرئيس الذي يمد الثروة الحيوانية بالأعلاف من جهة وتحسين التربة وزيادة خصوبتها من جهة أخرى، ويتباين زراعة وتوزيع هذه المحاصيل (الجت والبرسيم والشعير والذرة البيضاء والمخاليط العلفية) من حيث كمية الإنتاج وإنتاجية المساحة التي تشغلها من مجموع المساحة المزروعة في منطقته البحث والبالغة (94064) دونم.

ومن تحليل الجدول (1) للمساحات المزروعة بمحاصيل العلف في مقاطعات منطقة البحث للمساحة الكلية الصالحة للزراعة. نلاحظ ان مقاطعة 2/أبو سريويل في مركز قضاء الطارمية جاءت بالمرتبة الأولى بمساحة بلغت (1120) دونم ونسبة (12.71%) من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية للمحاصيل العلفية، بينما جاءت بالمرتبة الثانية مقاطعة 14/أبار اليسار في ناحية المشاهدة بمساحة بلغت (1050) دونم ونسبة (11.98%) من إجمالي المساحة المخصصة لزراعة المحاصيل العلفية، وجاءت بالمرتبة الثالثة مقاطعة 1/عباجي في ناحية العبايجي، بمساحة بلغت (720) دونم ونسبة (8.17%) من إجمالي مساحة المحاصيل العلفية، وتختلف هذه المحاصيل في المساحة التي تشغلها وكميات الإنتاج، اذ يتضح من الجدول (2) ان محصول الشعير جاء في المرتبة الاولى من حيث المساحة، اذ بلغت المساحة المزروعة (2470) دونم

وبنسبه (28.04%) من مجموع المساحة المزروعة بمحاصيل العلف في منطقة البحث، ثم جاء محصول الجت بالمرتبة الثانية بمساحه بلغت (2250) دونم وبنسبه (25.54%) وجاء محصول الذرة البيضاء في المرتبة الثالثة بمساحه بلغت (1720) دونم من مجموع المساحة المخصصة لزراعه المحاصيل العلفية وبنسبه (19.52%) ثم جاء محصول البرسيم بالمرتبة الرابعة بمساحه بلغت (1430) دونم وبنسبه (16.23%) . وجاءت المخاليط العلفية بالمرتبة الخامسة بمساحه بلغت (940) دونم وبنسبه (10.67%) من مجموع المساحة المخصصة لزراعه المحاصيل العلفية في منطقة البحث.

جدول (1) المساحات الكلية والصالحه للزراعة والمزروعة بالمحاصيل العلفية (دونم) في منطقة البحث لعام 2024

الوحدة الإدارية	اسم المقاطعة	المساحة الكلية (دونم)	المساحة الصالحة للزراعة دونم	المساحة المزروعة دونم	المساحة المزروعة بمحاصيل العلف (دونم)	نسبة المقاطعة الى مساحة المحاصيل العلف %
مركز قضاء الطارمية	3 / البوتاج الدين	8213	7525	7056	620	7.03
	4 / حيالين	6150	4020	2822	425	4.82
	5 / ابو فراج	6435	4730	3143	335	3.80
	2 / ابو سريويل	39190	30130	24000	1120	12.71
	6 / غزيلية	15650	14000	1318	850	9.64
	7 / مجمان	9130	6020	4200	650	7.38
ناحية المشاهدة	14 / ابار اليساري	35520	22300	14500	1050	11.98
	16 / مكسار الفرس	9687	7554	6000	600	6.81
	13 / ضبات	9653	6340	4600	520	5.90
	15 / مسعود	9120	7050	5300	530	6.01
	11 / ام الزهور	5800	4140	3320	320	3.63
ناحية العبايجي	8 / كلش	9392	6093	3834	440	4.98
	9 / تل بشت	6460	4050	3714	360	4.08
	1 / عبايجي	16000	9680	6960	720	8.17
	10 / ارفيع	6000	4210	3000	270	3.06
المجموع		192400	137842	94064	8810	100

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

جدول (2) المساحات المزروعة بمحاصيل العلف وكميات الإنتاج في منطقة البحث لعام 2024

اسم المحصول	المساحة المزروعة بمحاصيل العلف (دونم)	النسبة % للمحاصيل المزروعة	الإنتاج (طن)	النسبة % للإنتاج
الجت	2250	25.54%	6457	41.57
الشعير	2470	28.04%	1940	12.49
البرسيم	1430	16.23%	4637	29.85
المخاليط العلفية	940	10.67%	1253	8.07
الذرة البيضاء	1720	19.52%	1245	8.02
المجموع	8810	100%	15532	100

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

بينما تصدر محصول الجت بقية محاصيل العلف من حيث كميات الإنتاج، فبلغت (6456) طن من مجموع إنتاج محاصيل العلف، ويرجع ذلك الى عدد مرات حش المحصول، كونه محصول دائمياً أولاً وللطلب عليه داخلياً وخارجياً ثانياً لأنه ذات قيمة غذائية عالية للحيوانات وسجل محصول البرسيم كمية بلغت (4637) طن وبلغت كمية محصول الشعير (1940) طن، اما المخاليط العلفية والذرة الصفراء فقد سجلت كمية بلغت (1253)، وبلغت كمية محصول الشعير (1245) على التوالي والتي سنتناولها بالتفصيل على النحو التالي:

التوزيع الجغرافي لمحاصيل العلف

1. محصول الجت

يُعد الجت من أقدم المحاصيل العلفية البقولية، نظراً لأهميته الاقتصادية وقيمته الغذائية العالية، فضلاً عن وفرة إنتاجه ودوره في تحسين خصوبة التربة وتقليل ملوحتها، مما يجعله من المحاصيل الأساسية في الزراعة المستدامة وإنتاج الأعلاف الحيوانية⁽²⁾ ويمتاز الجت كذلك بقدرته العالية على منافسة الأدغال والنباتات الأخرى، إضافةً إلى سرعة نموه وتجديده بعد الرعي أو الحش، مما يجعله محصولاً اقتصادياً مستداماً وملائماً للأنظمة الزراعية التكاملية⁽³⁾.

ان الجت محصول دائم في الإنتاج يزداد في فصلي الربيع والصيف ويصل عدد الحشات التي يعطيها الدونم الواحد خلال السنة الأولى (8 — 10) حشات ومن (10 — 12) حشه في السنتين الثانية والثالثة ويقل انتاجه تدريجياً في السنوات اللاحقة ليقوم المزارعون بزراعته في مكان اخر من الحقل في اتباع نظام الدورة الزراعية في منطقة البحث.

يتباين توزيع المساحات المزروعة بمحصول الجت وانتاجيته في منطقة البحث لعام (2024) وحسب المقاطعات لقضاء الطارمية، فيتضح من الجدول (3) وخريطة (2) ان محصول الجت يزرع في جميع مقاطعات منطقة البحث بشكل واسع نظراً لأهميته الغذائية للحيوانات، ويعد الجت من المحاصيل العلفية ذات العائد الاقتصادي الجيد، وذلك بسبب الطلب الكبير عليه سواء في السوق المحلية أو الخارجية، تتفاوت المساحات المزروعة بهذا المحصول، اذ جاءت بالمرتبة الأولى مقاطعة 2 / ابو سريويل في مركز القضاء، بمساحة بلغت (300 دونماً) بنسبه (13.33%) من إجمالي المساحات المزروعة بمحصول الجت في القضاء، وبكمية انتاج

بلغت (1102 طناً) وبنسبه (17.02%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في القضاء، بلغت (3673 كغم/دونم) وجاءت مقاطعه 14 / ابار اليساري في ناحية المشاهدة بالمرتبة الثانية وبمساحه بلغت (285 دونما) وبنسبه (12.67%) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول الجت، وبكمية انتاج بلغت (920 طناً) وبنسبه (14.24%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في ناحية المشاهدة، بلغت (3228 كغم/دونم) . في حين جاءت مقاطعه 1 / عبايجي بالمرتبة الثالثة في ناحية العبايجي وبمساحه بلغت (195 دونما) وبنسبه (8.67%) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول الجت، وبكمية انتاج بلغت (597 طناً) وبنسبه (9.24%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في ناحية العبايجي، بلغت (3061 كغم/دونم). ويعزى السبب في ذلك إلى سعت الاراضي الصالحة للزراعة في هذه المقاطعات وخصوبة التربة واستخدام الأسمدة بشكل جيد، فضلاً عن ارتفاع أسعار اللحوم الذي اسهم في زيادة الاتجاه نحو تربية الماشية لاسيما الأبقار والأغنام ، والذي أدى بدوره إلى التوسع في زراعة الجت في جميع المقاطعات في القضاء .

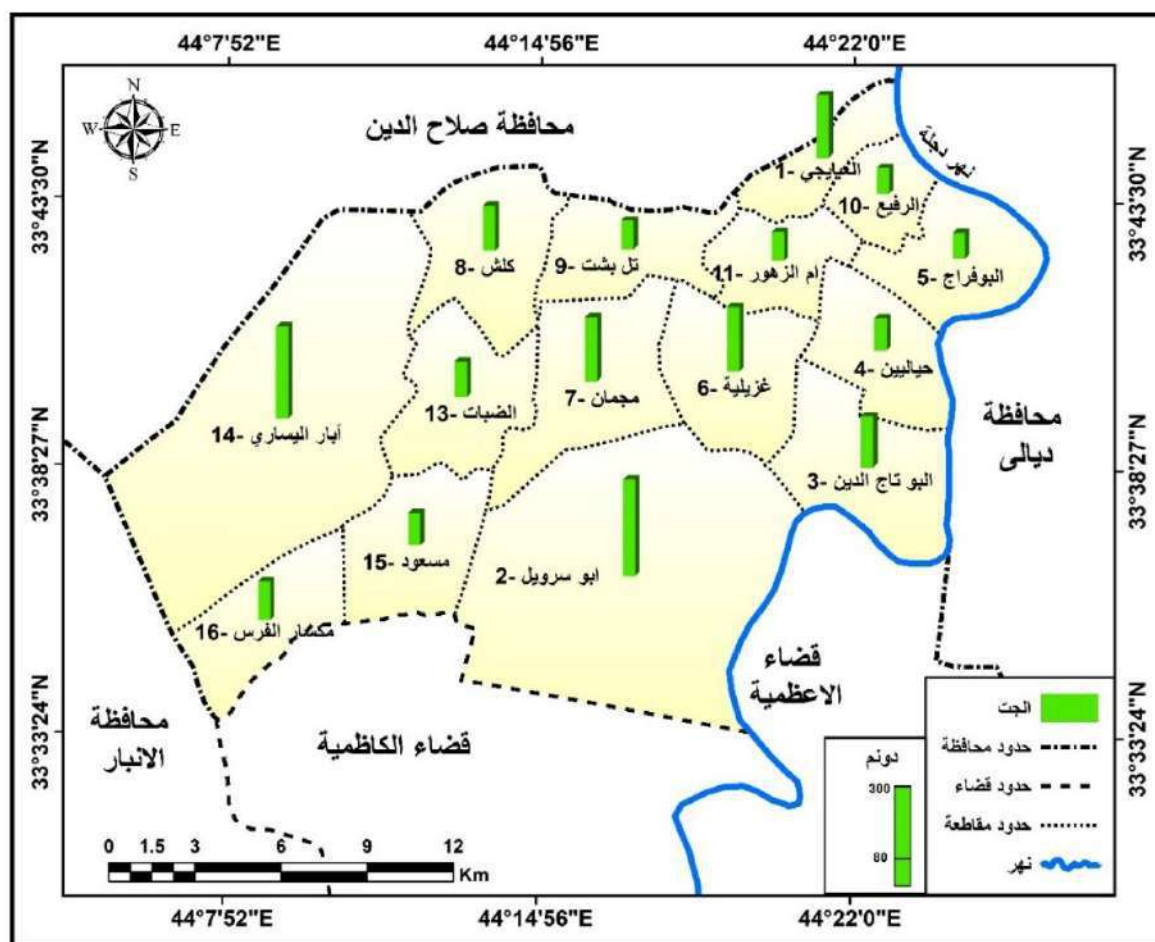
جدول (3) المساحات المزروعة بمحصول الجت (دونم) وكميات الانتاج(طن) والإنتاجية(كغم/دونم) في منطقة البحث

لعام 2024

الوحدة الإدارية	اسم المقاطعة	المساحة المزروعة بالجت (دونم)	النسبة %	الانتاج (طن)	النسبة %	الإنتاجية (كغم/دونم)
مركز قضاء الطارمية	3 / البوتاج الدين	160	7.11	420	6.50	2625
	4 / حيالين	100	4.44	305	4.72	3050
	5 / البو فراج	80	3.56	220	3.40	2750
	2 / ابو سريويل	300	13.33	1102	17.06	3673
	6 / غزيلية	200	8.89	640	9.91	3200
ناحية المشاهدة	7 / مجمان	200	8.89	630	9.75	3150
	14 / ابار اليساري	285	12.67	920	14.24	3228
	16 / مكسار الفرس	120	5.33	282	4.36	2350
	13 / ضبات	110	4.89	230	3.56	2090
	15 / مسعود	100	4.44	260	4.03	2600
ناحية العبايجي	11 / ام الزهور	90	4.00	220	3.41	2444
	8 / كلش	140	6.22	375	5.81	2679
	9 / تل بشت	90	4.00	258	4.00	2867
	1 / عبايجي	195	8.67	597	9.24	3061
	10 / ارفيع	80	3.56	188	2.91	2350
المجموع		2250	100	6457	100	2870

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

خريطة (2) المساحات المزروعة بمحصول الجت (دونم) في منطقة البحث لعام 2024



المصدر : بالاعتماد على جدول (3) باستخدام برنامج (Arc map).

2. محصول الشعير

يُعدّ الشعير من أفضل المحاصيل العلفية المستخدمة في تغذية الحيوانات، نظرًا لما يتميز به من قيمة غذائية عالية لاحتوائه على نسبة مرتفعة من المواد البروتينية والطاقة، بالإضافة إلى ما يحتويه من فيتامينات ومعادن تُسهم في تحسين صحة الحيوان وزيادة إنتاجه من اللحوم والحليب، مما يجعله من المحاصيل العلفية الرئيسة في النظم الزراعية الحديثة كونه ذو قيمة غذائية عالية لاحتوائه على كمية عالية من المواد البروتينية بنسبه (12.9%) وكربوهيدرات (72.4%) والياف (7.1%) ودهون (3.6%) ومعادن (4.0%)⁽⁴⁾ فضلا عن اهميه مخلفات الحصاد (التبن) الذي يعد افضل من تبن القمح وذلك لكونه اكثر نعومه واستساغه لجميع الحيوانات⁽⁵⁾. ويزرع في منطقة البحث في منتصف تشرين الاول حتى منتصف تشرين الثاني للحصول على الحد الاعلى من الانتاج والتنوعيه من الحبوب ويتم حصاده في منتصف شهر نيسان ويؤدي التبرير في موعد زراعة الشعير عن الوقت المحدد الى تضرر حبوب اللقاح اثناء طور التزهير نتيجة لانخفاض درجه الحرارة وقت التزهير وتؤدي الزراعة المتأخرة عدم اكتمال تكوين الحبوب ونضجها بسبب ارتفاع درجات الحرارة.

يتبين من جدول (4) والخريطة (3) ان محصول الشعير يُزرع في معظم المقاطعات ضمن منطقة البحث، فتباينت المساحات المزروعة من مقاطعة لاخرى ، وتصدرت مقاطعة 2 / ابو سريويل في مركز القضاء

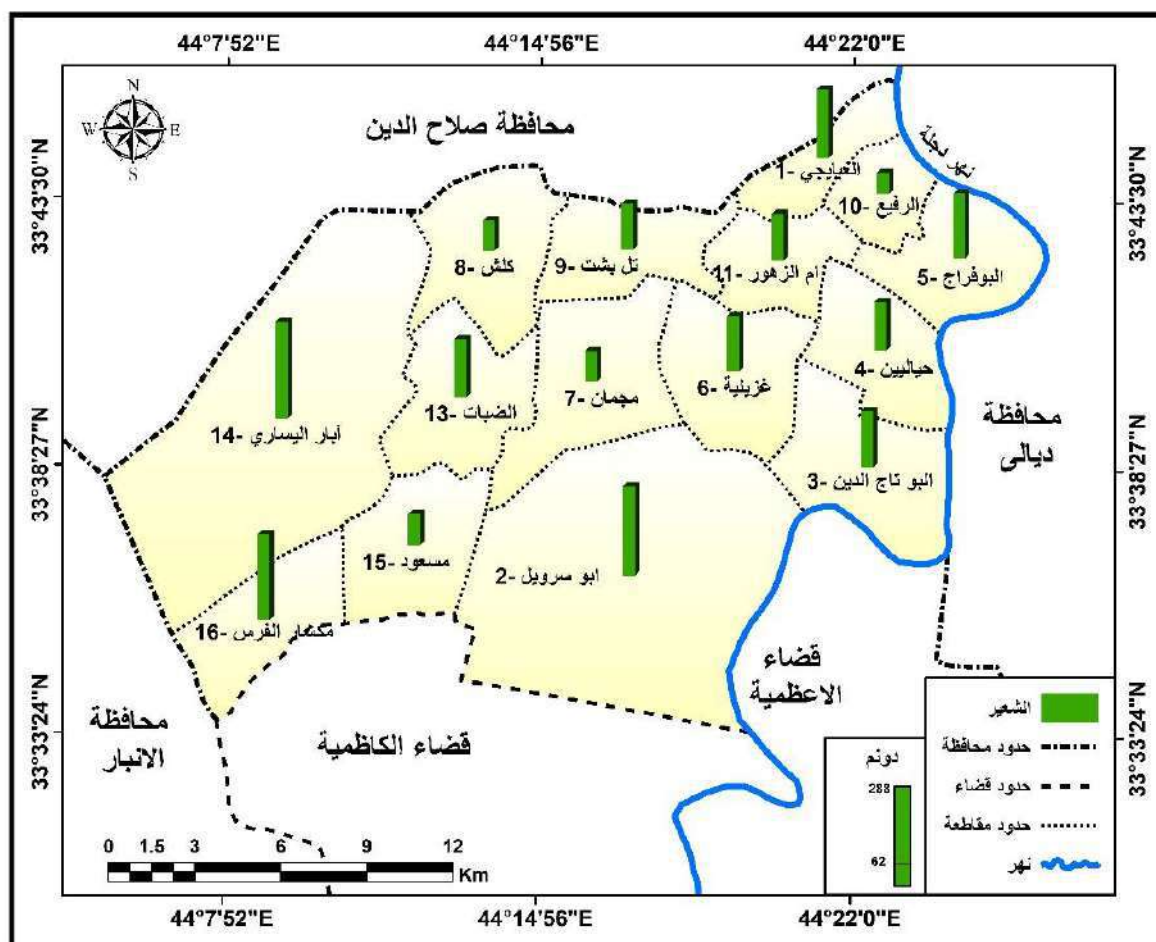
بالمرتبة الأولى ، بمساحة بلغت (267 دونماً) بنسبه (10.81%) من إجمالي المساحات المزروعة بمحصول الشعير، مسجله بذلك أعلى كمية انتاج بلغت (232 طناً) وبنسبه (12.0%) اما الإنتاجية فقد بلغت (869 كغم/دونم). وجاءت مقاطعه 14 / ابار اليساري في ناحية المشاهدة بالمرتبة الاولى وبمساحه بلغت (288 دونما) وبنسبه (11.66%) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول الشعير، مسجله بذلك أعلى كمية انتاج بلغت (240 طناً) وبنسبه (12.4%)، اما الإنتاجية فقد بلغت (833 كغم/دونم) . في حين جاءت مقاطعه 1 / عبايجي بالمرتبة الاولى في ناحية العبايجي وبمساحه بلغت (195 دونما) وبنسبه (8.67%) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول الشعير، مسجله بذلك أعلى كمية انتاج بلغت (597 طناً) وبنسبه (9.24%)، اما الإنتاجية فقد، بلغت (3061 كغم/دونم).

جدول (4) المساحات المزروعة بمحصول الشعير (دونم) وكميات الانتاج(طن) والإنتاجية(كغم/دونم) في منطقة البحث لعام 2024

الوحدة الإدارية	اسم المقاطعة	المساحة المزروعة بالشعير (دونم)	النسبة %	الانتاج (طن)	النسبة %	الإنتاجية (كغم/دونم)
مركز قضاء الطارمية	3 / البوتاج الدين	170	6.88	132	6.8	776
	4 / حيالين	145	5.87	103	5.3	710
	5 / البو فراج	193	7.81	148	7.6	767
	2 / ابو سريويل	267	10.81	232	12.0	869
	6 / غزلية	165	6.68	123	6.3	745
ناحية المشاهدة	7 / مجمان	91	3.68	72	3.7	791
	14 / ابار اليساري	288	11.66	240	12.4	833
	16 / مكسار الفرس	256	10.36	208	10.7	813
	13 / ضبات	173	7.00	130	6.7	751
	15 / مسعود	92	3.72	77	4.0	837
ناحية العبايجي	11 / ام الزهور	140	5.67	107	5.5	764
	8 / كلش	203	8.22	157	8.1	773
	9 / تل بشت	136	5.51	100	5.2	735
	1 / عبايجي	89	3.60	68	3.5	764
	10 / ارفيع	62	2.51	43	2.2	694
المجموع		2470	100	1940	100	785

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

خريطة (3) المساحات المزروعة بمحصول الشعير (دونم) في منطقة البحث لعام 2024



المصدر على جدول (4) باستخدام برنامج (Arc map).

3. محصول البرسيم

يعد محصول البرسيم من المحاصيل العلفية البقولية الشتوية التي تُزرع عادةً في بداية شهر تشرين الأول وحتى نهايته، ويُعطي المحصول في العادة من أربع إلى خمس حشّات في الموسم. ويمتاز البرسيم بقيمة غذائية عالية، إذ يُعدّ من الأعلاف الرئيسة للحيوانات ومن أغنى الأعلاف الخضراء بالمركّبات البروتينية والأملاح المعدنية والفيتامينات. تُظهر التحاليل الكيميائية أن البرسيم يحتوي تقريبًا على 15.6% مواد أروتية (بروتينات)، و46.6% مواد غير أروتية، و3.3% مواد دهنية، و13.9% معادن، و20.6% سليلوز، وهو سهل الهضم وملائم لمعظم أنواع الحيوانات. (6) ويمد الأرض بالاوزوت لأنه من النباتات البقولية التي تعيش البكتريا العقدية على جذورها وتثبيت الاوزوت الجوي وقد يزيد معدل تثبيت النتروجين في نهاية موسم النمو مما يزيد إنتاجه المحصول الذي يعقبه في الدورة الزراعية (7).

ومن تحليل الجدول (5) والخريطة (4) يتضح أن محصول البرسيم يتباين في المساحات المزروعة في مركز القضاء، إذ تصدرت مقاطعة 2 / أبو سريويل بالمرتبة الأولى، بمساحة بلغت (186 دونمًا) بنسبه (13.01%) من إجمالي المساحات المزروعة بمحصول البرسيم وبكمية إنتاج بلغت (634 طنا) وبنسبه (13.67%)، أما أعلى إنتاجية في مركز القضاء فقد بلغت (3716 كغم/دونم) في مقاطعة 3 / البوتاج الدين. وسجلت مقاطعه 14

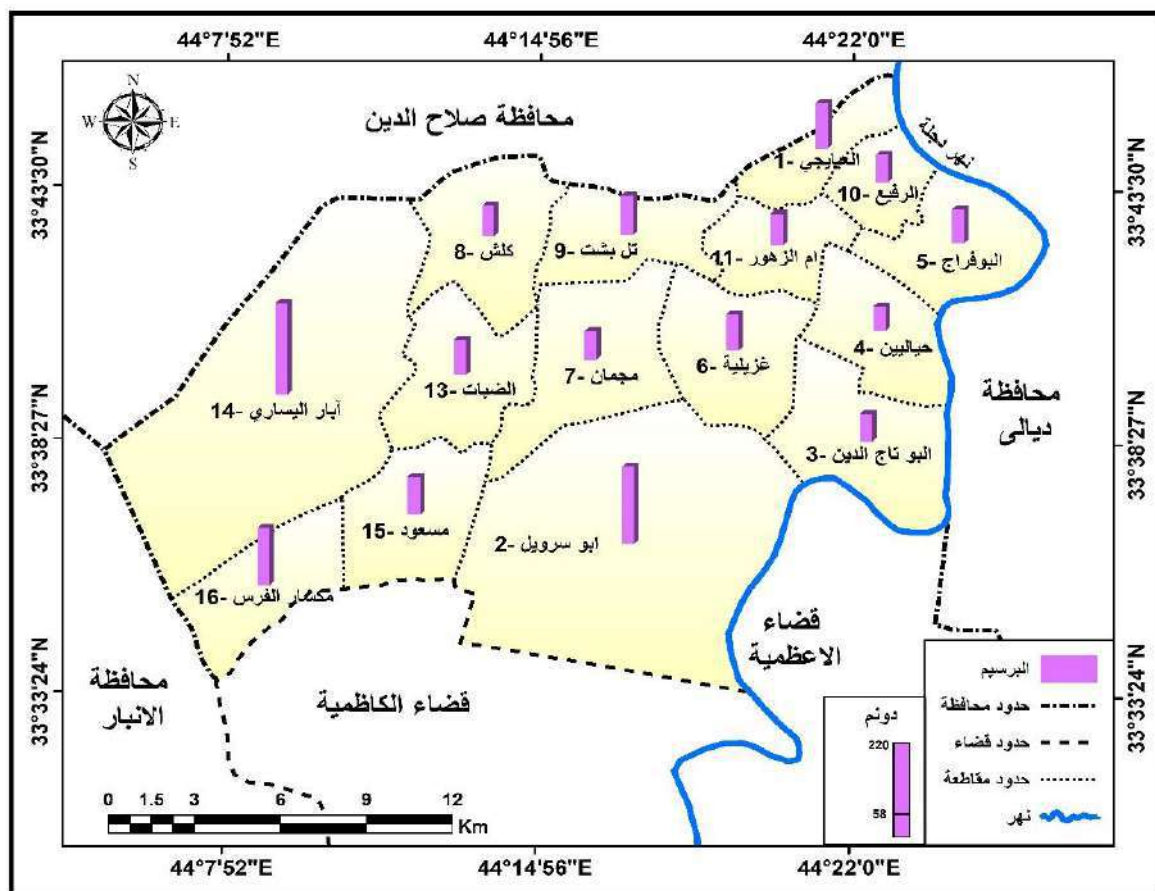
/ ابار اليساري في ناحية المشاهدة أعلى مساحة بلغت (220 دونما) ونسبه (15.38 %) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول البرسيم، مسجله بذلك أعلى كمية انتاج بلغت (778 طنا) ونسبه (16.78%) ، اما أعلى إنتاجية في ناحية المشاهدة، بلغت (3657 كغم/دونم) في مقاطعة 7/ مجمان . في حين سجلت مقاطعة 1 / عبايجي أعلى مساحة في ناحية العبايجي فبلغت (110 دونما) ونسبه (7.69%) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول البرسيم، مسجله بذلك أعلى كمية انتاج بلغت (344 طنا) ونسبه (7.42%) اما أعلى إنتاجية في ناحية العبايجي فقد سجلت في مقاطعة 11 / ام الزهور ، بلغت (3156 كغم/دونم).

جدول (5) المساحات المزروعة بمحصول البرسيم (دونم) وكميات الإنتاج (طن) والإنتاجية (كغم/دونم) في منطقة البحث لعام 2024

الوحدة الإدارية	اسم المقاطعة	المساحة المزروعة بالبرسيم (دونم)	النسبة %	الانتاج (طن)	النسبة %	الإنتاجية (كغم/دونم)
مركز قضاء الطارمية	3 / البوتاج الدين	67	4.69	249	5.37	3716
	4 / حيالين	58	4.06	166	3.58	2862
	5 / ابو فراج	82	5.73	254	5.48	3098
	2 / ابو سريويل	186	13.01	634	13.67	3409
	6 / غزلية	87	6.08	276	5.95	3172
	7 / مجمان	70	4.90	256	5.52	3657
ناحية المشاهدة	14 / ابار اليساري	220	15.38	778	16.78	3536
	16 / مكسار الفرس	138	9.65	342	7.38	2478
	13 / ضبات	84	5.87	231	4.98	2750
	15 / مسعود	92	6.43	254	5.48	2761
	11 / ام الزهور	77	5.38	243	5.24	3156
ناحية العبايجي	8 / كلش	74	5.17	211	4.55	2851
	9 / تل بشت	95	6.64	213	4.59	2242
	1 / عبايجي	110	7.69	344	7.42	3127
	10 / ارفيع	67	4.69	186	4.01	2776
المجموع		1430	100	4637	100	3243

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

خريطة (4) المساحات المزروعة بحصول البرسيم (دونم) في منطقة البحث لعام 2024



المصدر : بالاعتماد على جدول (5) باستخدام برنامج (Arc map).

4. محصول المخاليط العلفية

تُعَدّ زراعة المخاليط العلفية من الأنماط الزراعية الحديثة نسبياً في العراق، إذ ما تزال منتشرة على نطاق محدود، على الرغم من أهميتها الغذائية العالية التي يدركها المزارعون، وتتكوّن هذه المخاليط عادةً من نوعٍ أو أكثر من العائلة البقولية مع نوعٍ أو أكثر من العائلة النجيلية، وتُزرع وفق نسب بذور محددة لضمان التوازن بين المكونات النباتية، وتُستخدم هذه المخاليط في الرعي المباشر أو في إنتاج الدريس أو السيلاج، نظراً لما توفره من قيمة غذائية متكاملة تجمع بين المحتوى البروتيني العالي للبقوليات والطاقة والألياف⁽⁸⁾، ومن مزايا زراعة المخاليط العلفية هي انتاج علف متوازن في قيمته الغذائية حيث يحتوي المحصول البقولية على نسبة عالية من البروتين والكالسيوم والفسفور ويكون أقل احتواءً على مواد الطاقة اما المحصول النجيلية فانه يحتوي على نسبة عالية من الكربوهيدرات ومواد الطاقة وبالتالي فان العلف الناتج من المخلوط يكون متوازن ويمد الحيوان بما يحتاجه من المواد الغذائية⁽⁹⁾. إنّ تغذية الحيوانات على الأعلاف الناتجة من المخاليط العلفية تُسهم في تقليل احتمالية حدوث الانتفاخ، إذ تُعزى ظاهرة الانتفاخ عادةً إلى تغذية الحيوانات على محاصيل بقولية صغيرة العمر ذات محتوى عالٍ من البروتين والمواد الرغوية، وجود النجيليات ضمن المخلوط يعمل على تقليل تأثير النباتات البقولية الفتية من خلال رفع نسبة المادة الجافة في العلف وخفض نسبة البروتين وسرعة التخمر، مما يؤدي إلى توازن مكونات العلف وتحسين قابليته للهضم، وبالتالي الحدّ من حالات الانتفاخ الشائعة في المراعي البقولية النقية⁽¹⁰⁾.

يتضح من الجدول (6) والخريطة (5) ان محصول المخاليط العلفية يُزرع في معظم المقاطعات ضمن

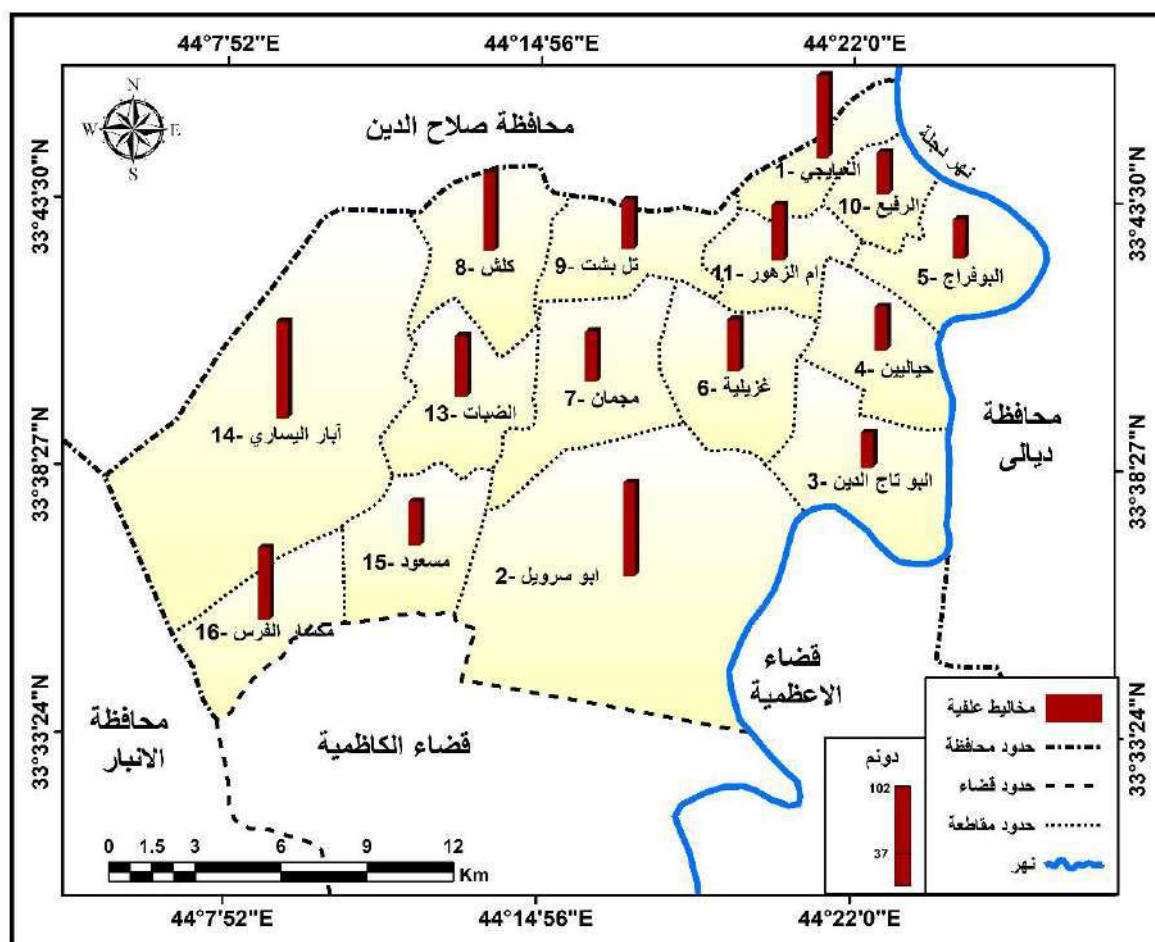
منطقة البحث، فالمساحات المزروعة بهذه المحصول متباينة وتصدرت مقاطعة 2 / ابو سريويل بالمرتبة الاولى في مركز القضاء ، بمساحة بلغت (98 دونماً) بنسبه (10.43%) من إجمالي المساحات المزروعة بمحصول المخاليط العلفية في القضاء، مسجله بذلك أعلى كمية إنتاج بلغت (121 طناً) وبنسبه (9.66%)، اما اعلى إنتاجية فقد سجلت في مقاطعة 6 / غزيلية، فبلغت (1407 كغم/دونم) وجاءت مقاطعه 14 / ابار اليساري بالمرتبة الأولى في ناحية المشاهدة بمساحه بلغت (102 دونما) وبنسبه (10.85%) من مجموع المساحة المزروعة بالمحصول، مسجله بذلك أعلى كمية إنتاج بلغت (147 طناً) وبنسبه (11.73%). اما اعلى إنتاجية فقد سجلت في ناحية المشاهدة في مقاطعة 13 / ضبات بقيمة بلغت (1531 كغم/دونم) . في حين جاءت مقاطعه 1 / عبايجي في ناحية العبايجي بالمرتبة الأولى من حيث المساحة فبلغت (87 دونما) وبنسبه (9.26%) من مجموع المساحة المزروعة بالمحصول ، اما اعلى كمية إنتاج فقد سجلت في مقاطعة 8 / كلش بقيمة بلغت (123 طناً) وبنسبه (9.82%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في ناحية العبايجي، فبلغت (1463 كغم/دونم). اما السبب التي جعلها في الصدارة لأنها تعد من المناطق ذات الترب الفقيرة نتيجة لتغرق التربة وارتفاع نسبة الملوحة على سطح الارض ويتم زراعتها بهذا المحصول نتيجة تحمله كل هذه المشاكل في الوقت الذي جاء المخاليط العلفية.

جدول (6) المساحات المزروعة بمحصول المخاليط العلفية (دونم) وكميات الانتاج(طن) والإنتاجية (كغم/دونم) في منطقة البحث لعام 2024

الوحدة الإدارية	اسم المقاطعة	المساحة المزروعة بمخاليط علفية (دونم)	النسبة %	الانتاج (طن)	النسبة %	الإنتاجية (كغم/دونم)
مركز الطارمية	3 / البوتاج الدين	37	3.94	44	3.51	1189
	4 / حياليين	46	4.89	61	4.87	1326
	5 / البو فراج	41	4.36	52	4.15	1268
	2 / ابو سريويل	98	10.43	121	9.66	1235
	6 / غزيلية	54	5.74	76	6.07	1407
ناحية المشاهدة	7 / مجمان	53	5.64	46	3.67	868
	14 / ابار اليساري	102	10.85	147	11.73	1441
	16 / مكسار الفرس	76	8.09	102	8.14	1342
	13 / ضبات	64	6.81	98	7.82	1531
	15 / مسعود	46	4.89	61	4.87	1326
ناحية العبايجي	11 / ام الزهور	59	6.28	86	6.86	1458
	8 / كلش	82	8.72	123	9.82	1463
	9 / تل بشت	52	5.53	65	5.19	1250
	1 / عبايجي	87	9.26	120	9.58	1414
	10 / ارفيع	43	4.57	51	4.07	1186
المجموع		940	100	1253	100	1333

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

خريطة (5) المساحات المزروعة بمحصول المخاليط العلفية (دونم) في منطقة البحث لعام 2024



المصدر : بالاعتماد على جدول (6) باستخدام برنامج (Arc map).

5. محصول الذرة البيضاء

تُعدّ هذه النبتة أحد محاصيل العائلة النجيلية (Poaceae)، وتتميّز بأهميتها الاقتصادية الكبيرة، إذ تُعدّ من أكثر المحاصيل تحملاً للجفاف ودرجات الحرارة المرتفعة وضعف خصوبة التربة، مما يجعلها مناسبة للزراعة في البيئات الجافة وشبه الجافة التي تعاني من محدودية الموارد المائية⁽¹¹⁾ وتوصف بالمحصول الحولي ذي الإنتاجية العلفية والنوعية الجيدة، كما تعتبر الذرة البيضاء من المحاصيل ذات القدرة على النمو والتفرع بعد الحش والاحتفاظ بنوعيتها الجيدة مما يوفر عدد حشات أكثر خلال موسم الصيف⁽¹²⁾.

تحتوي البذور على مجموعة متنوعة من الفيتامينات والعناصر الغذائية والمواد الصمغية يُوصى بعدم رعي الحيوانات أو إطعامها من المحصول إلا بعد مرور أكثر من 55 يوماً، وذلك بسبب وجود مادة تُعرف بالأولدورين (Oldorin) بنسبة مرتفعة في النباتات الصغيرة، وهي مادة سامة للماشية⁽¹³⁾.

يتبين من جدول (7) والخريطة (6) ان محصول الذرة يُزرع في معظم المقاطعات ضمن منطقة البحث، فالمساحات المزروعة بهذه المحصول متباينة وتصدرت مقاطعة 2 / ابو سريويل في مركز القضاء بالمرتبة الأولى ، بمساحة بلغت (267 دونماً) بنسبه (13.84%) من إجمالي المساحات المزروعة بالمحصول ، واعلى كمية انتاج بلغت (156 طناً) وبنسبه (12.53%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في مقاطعة 6 / غزلية

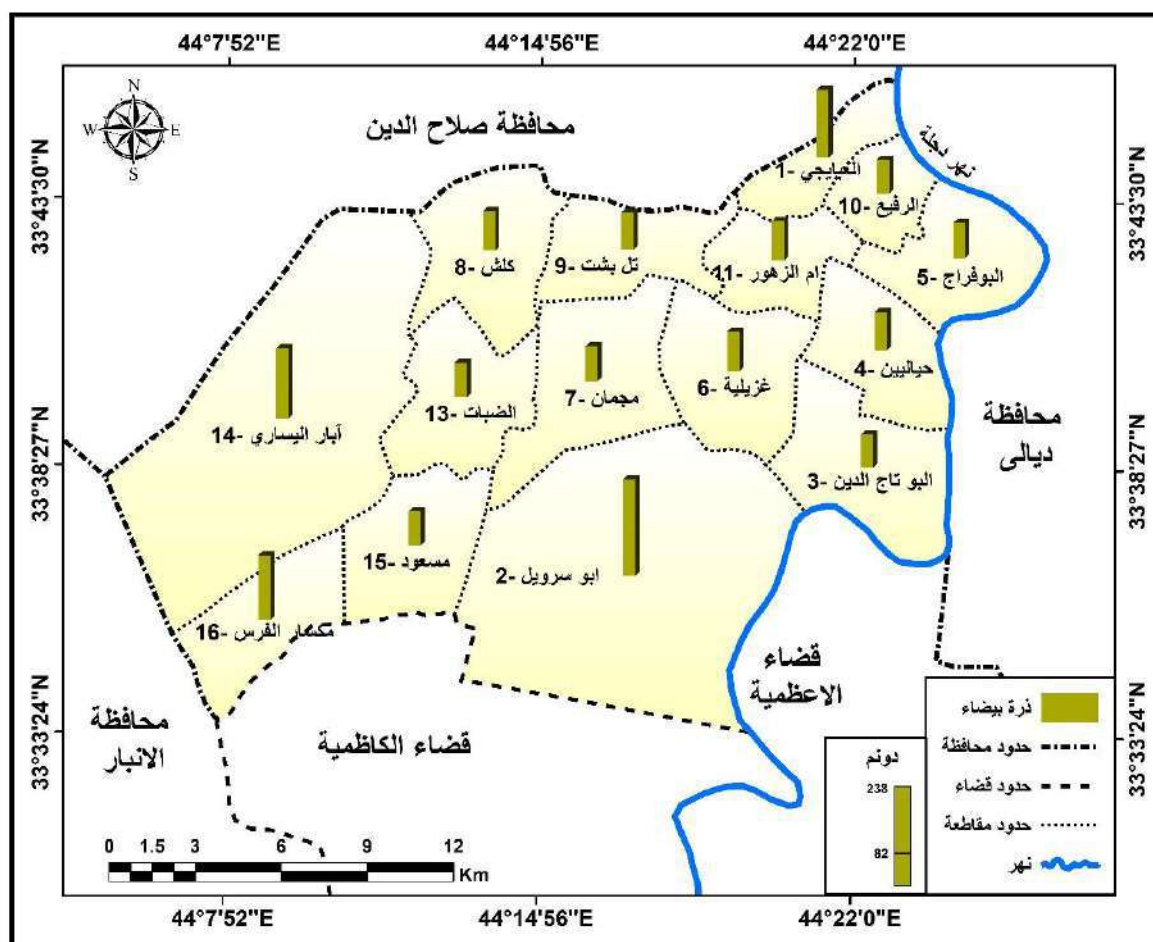
بقية بلغت (845 كغم/دونم) وذلك بسبب وجود مزارع لثروه الحيوانية لتجار يمتلكون أحدث الآلات الزراعية مما شجع بقية المزارعين على زراعتها والاستفادة من خبراتهم في تحقيق الأرباح في الوقت وسجلت مقاطعة 14 / ابار اليساري المرتبة الأولى في ناحية المشاهدة ، وبمساحه بلغت (172 دونما) ونسبه (10.00%) من مجموع المساحة المزروعة بالمحصول، وأعلى كمية انتاج بلغت (132 طنا) ونسبه (10.60%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في مقاطعة 13 / ضبات ، بقيمة بلغت (833 كغم/دونم) . في حين جاءت مقاطعه 1 / عبايجي بالمرتبة الاولى في ناحية العبايجي وبمساحه بلغت (168 دونما) ونسبه (9.77%) من مجموع المساحة المزروعة بمحصول الجت، وبكمية انتاج بلغت (120 طنا) ونسبه (9.64%) مسجله بذلك أعلى إنتاجية في 10 / ارفيع في ناحية العبايجي، بلغت (747 كغم/دونم). وذلك بفضل استخدام أحدث الآلات الزراعية وتعويض النقص في التربة من سماد وغيره ومما ساعد الحصول على أعلى كميته انتاج لدونم الواحد خلال السنه

جدول (7) المساحات المزروعة بمحصول الذرة البيضاء العلفية (دونم) وكميات الانتاج (طن) والإنتاجية (كغم/دونم) في منطقة البحث لعام 2024

الوحدة الإدارية	اسم المقاطعة	المساحة المزروعة بالذرة (دونم)	النسبة %	الانتاج (طن)	النسبة %	الإنتاجية (كغم/دونم)
مركز قضاء الطارمية	3 / البوتاج الدين	82	4.77	57	4.58	695
	4 / حيالين	94	5.47	68	5.46	723
	5 / ابو فراج	88	5.12	63	5.06	716
	2 / ابو سريويل	238	13.84	156	12.53	655
	6 / غزيلية	97	5.64	82	6.59	845
ناحية المشاهدة	7 / مجمان	87	5.06	68	5.46	782
	14 / ابار اليساري	172	10.00	132	10.60	767
	16 / مكسار الفرس	158	9.19	102	8.19	646
	13 / ضبات	84	4.88	66	5.30	786
	15 / مسعود	83	4.83	67	5.38	807
ناحية العبايجي	11 / ام الزهور	98	5.70	70	5.62	714
	8 / كلش	97	5.64	68	5.46	701
	9 / تل بشت	91	5.29	64	5.14	703
	1 / عبايجي	168	9.77	120	9.64	714
	10 / ارفيع	83	4.83	62	4.98	747
المجموع		1720	100	1245	100	724

المصدر: جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بغداد، شعبة زراعة قضاء الطارمية، قسم التخطيط، 2024.

خريطة (6) المساحات المزروعة بمحصول الذرة البيضاء (دونم) في منطقة البحث لعام 2024



المصدر: بالاعتماد على جدول (7) .

الاستنتاجات:

1. أظهر التحليل الجغرافي لمحاصيل العلف تبايناً واضحاً في المساحات التي يشغلها كل محصول، فقد سجل محصول الشعير المرتبة الأولى بمساحة بلغت (2470 دونماً) بنسبة (28.04%)، وجاءت المخاليط العلفية بالمرتبة الخامسة بمساحة (940 دونماً) بنسبة (10.67%).
2. اتضح من تحليل التباين المكاني لكميات الإنتاج للمحاصيل العلفية بين المقاطعات لعام 2024، ان مقاطعة 2/أبو سريويل في مركز قضاء الطارمية بالمرتبة الأولى بمساحة بلغت (1120) دونم وبنسبة (12.71%) من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية للمحاصيل العلفية.
3. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج في إنتاج محاصيل العلف، وان محصول الشعير جاء في المرتبة الأولى من حيث المساحة، اذ بلغت المساحة المزروعة (2470) دونم وبنسبة (28.04%) من مجموع المساحة المزروعة بمحاصيل العلف في منطقة البحث،
4. تصدر محصول الجبث بقية محاصيل العلف من حيث كميات الإنتاج، فبلغت (6456) طن من مجموع إنتاج محاصيل العلف، اما أعلى إنتاجية فقد سجلت لمحصول البرسيم في مقاطعة 3 / البوتاج الدين في مركز القضاء فبلغت (3716 كغم/دونم).

المصادر والهوامش

- (1) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي , قسم نظم المعلومات الجغرافية (GIS), بيانات غير منشورة, لسنة 2018 .
- ²)Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO). (2022). Forage legumes: Vicia species and their role in sustainable agriculture. FAO Plant Production and Protection Division. <https://www.fao.org/>
- ³) Açıkgöz, E., Yılmaz, S., & Sincik, M. (2018). Vicia sativa L. (Common vetch) as a valuable forage crop for sustainable livestock feeding systems. Turkish Journal of Field Crops, 23(2), 109–116.
- ⁴) FAO (2021). Barley: A versatile crop for food, feed and forage. Food and Agriculture Organization of the United Nations. <https://www.fao.org/>
- ⁵) عبد الحميد احمد يونس ، زراعه الشعير ،وزاره الزراعة الهياه العامة لإرشاد والتعاون الزراعي ، نشره ارشاديه رقم (10)، 1970، ص43
- ⁶) Putnam, D. H., & Orloff, S. B. (2017). Alfalfa: Forage quality, characteristics, and management. University of California Agriculture and Natural Resources Publication 8292.
- ⁷) احمد ابو النجا قنديل ، محاصيل العلف الانتاج والقيمة الغذائية ،جامعه المنصورة ،كلية الزراعة، ص 77.
- ⁸) الدراسة الميدانية ،مقابله مع وائل كريم عيدان ،ممثل شعبه زراعه ابي غريب ،بتاريخ 2024/6/16.
- ⁹) ياسين سويدان ، زراعه الخلطات العلفية بقوليات وحبوب ،وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ، مديره الارشاد الزراعي ،قسم الاعلام، ص13
- ¹⁰) Li, G. D., & Kemp, D. R. (2005). Legume–grass mixtures for temperate pastures: balancing nutrition and minimizing bloat risk. Grass and Forage Science, 60(4), 331–341.
- ¹¹) Humphreys, M. W., & O'Donovan, S. A. (2011). *Grassland resources for extensive farming systems in dry climates*. Grass and Forage Science, 66(1), 1–14.
- ¹²) مصطفى رداد دريغ العطوي ، استجابة أصناف من الذرة البيضاء . Sorghum bicolor للرش بتركيز مختلفة من حامض الساليليك، رساله ماجستير(غير منشوره) ،كلية الزراعة ،جامعه المثنى، 2023، ص1.
- ¹³) احمد فضل احمد سعد، المناخ وعلاقته بإنتاج محاصيل القمح والذرة الرفيعة والشامية في الجمهورية اليمنية دراسة في المناخ الزراعي ، اطروحة دكتوراه ،كلية الآداب ،جامعه بغداد، 2004، ص89.

عنوان البحث

الحماية الجزائية لكبار السن في التشريع الأردني: دراسة تحليلية

ساره حسين قدوره¹

¹ باحثة، عمان، الأردن.

بريد الكتروني: qaddoura.sara@yahoo.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/50>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/50>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يتناول هذا البحث حماية كبار السن في ضوء الفقه الإسلامي والجهود الدولية والوطنية، مع التركيز على الحاجة الملحة لتوفير حماية جزائية فعالة لهذه الفئة الضعيفة. يشير البحث إلى أن الإسلام أولى كبار السن احتراماً ورعاية، مؤكداً على دور البر والإحسان تجاههم، في حين أن النظام الدولي لم يضع اتفاقية خاصة وشاملة بحقوقهم، مقارنة باتفاقيات الأطفال والمرأة التي تلزم الدول بتكييف تشريعاتها الوطنية. أما على المستوى الوطني، فقد أظهر المشرع الأردني اهتماماً عاماً بحقوق كبار السن، لكنه لم يُخصص تشريعاً جزائياً متكاملاً يحميهم من العنف أو الاستغلال المالي، ما يجعلهم أكثر عرضة للإيذاء الجسدي أو الاستغلال المالي نتيجة ضعف قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم واعتمادهم على مدخراتهم مدى الحياة. ويستعرض البحث التجربة الإماراتية كنموذج يحتذى به في حماية كبار السن، والتي تمثل معياراً ناجحاً لتطبيق سياسات تشريعية واجتماعية متكاملة تعزز كرامتهم وأمنهم المالي والجسدي. ويخلص البحث إلى أن حماية كبار السن مسؤولية قانونية وأخلاقية، وتستدعي إصلاحاً تشريعياً شاملاً، بما في ذلك تشديد العقوبات على الجرائم التي تستهدف أجسادهم أو أموالهم، مع وضع ضوابط تمنع إساءة استعمال النصوص القانونية، واستلهاً من التجارب الفقهية والدولية لضمان حياة كريمة وأمنة لكبار السن.

الكلمات المفتاحية: الحماية، الجزائية، كبار السن.

RESEARCH TITLE

Criminal Protection of the Elderly in Jordanian Legislation: An Analytical Study

Abstract

This research addresses the protection of the elderly in light of Islamic jurisprudence, as well as international and national efforts, with a focus on the urgent need to provide effective criminal protection for this vulnerable group. The study indicates that Islam has given great respect and care to the elderly, emphasizing the duty of kindness and benevolence toward them. In contrast, the international system has not yet established a specific and comprehensive convention on the rights of the elderly, unlike the conventions concerning children and women, which oblige states to adapt their national legislations accordingly.

At the national level, the Jordanian legislator has shown general concern for the rights of the elderly but has not enacted a comprehensive criminal law that protects them from violence or financial exploitation. Consequently, the elderly remain more vulnerable to physical harm and economic abuse due to their diminished ability to defend themselves and their reliance on lifelong savings.

The research highlights the Emirati experience as a model to be emulated in the protection of the elderly, representing a successful standard for implementing integrated legislative and social policies that enhance their dignity and ensure their financial and physical security.

The study concludes that the protection of the elderly is both a legal and moral responsibility that requires comprehensive legislative reform. This includes imposing stricter penalties for crimes targeting their bodies or property, establishing safeguards against the misuse of legal provisions, and drawing inspiration from both Islamic and international experiences to ensure a dignified and secure life for the elderly.

Key Words: Protection, Criminal, Elderly.

المقدمة:

يتكوّن المجتمع من ثلاث فئات عمرية رئيسية: الأطفال، والشباب، وكبار السن أو المسنين كما يُطلق عليهم البعض. ونظرًا لأن مرحلة الشيخوخة هي المحطة التي تؤوّل إليها جميع الفئات، فإن من الواجب تقديم الرعاية والحماية اللازمة لها بمختلف أشكالها.

ويُعد كبار السن شريحة أساسية في المجتمع، تزداد أهميتها في ظل التحولات الديموغرافية وارتفاع متوسط العمر المتوقع، حيث تشير الدراسات السكانية إلى تزايد نسبة المسنين عامًا بعد عام، الأمر الذي يستدعي إيلاء اهتمام أكبر بحقوقهم ورعايتهم. وتمثل الشيخوخة مرحلة طبيعية في حياة الإنسان، لكنها غالبًا ما ترتبط بضعف القدرات الجسدية والنفسية، مما يجعل هذه الفئة أكثر عرضة للاستغلال أو الإساءة أو الإهمال.

وقد أولى الفقه الإسلامي عناية خاصة بكبار السن، مؤكدًا على وجوب احترامهم ورعايتهم، واعتبار ذلك من مظاهر البر والإحسان، لقوله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"، وهو ما يعكس مكانتهم الرفيعة في الشريعة الإسلامية. أما على الصعيد الدولي، فرغم تعدد المؤتمرات والمواثيق المعنية بحقوق الإنسان، فإن كبار السن لم يحظوا بعد باتفاقية دولية خاصة تضمن لهم حماية شاملة، لا سيما في الجانب الجزائي.

وعلى المستوى الوطني، نص الدستور الأردني على حماية الشيخوخة، وأصدر المشرّع بعض التشريعات والأنظمة التي تنظم شؤون المسنين، إلا أن هذه النصوص بقيت عامة ولم ترقَ إلى مستوى وضع إطار جزائي خاص ومتكامل يوفر حماية فعالة لهذه الفئة، كما هو الحال بالنسبة للأحداث وذوي الإعاقة.

رغم أن التشريعات جرّمت الاعتداءات الواقعة على الأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة، وأفردت لهم نصوصًا عقابية خاصة، إلا أن كبار السن لم يحظوا بذات المستوى من الحماية الجزائية. فلا نجد في التشريع الأردني عقوبات مغلظة أو نصوصًا خاصة تجرّم الجرائم التي تقع على المسنين أو تراعي خصوصية وضعهم الضعيف. كما أن الاتفاقيات الدولية رغم تركيزها على الحقوق الإنسانية إلا إنها لم تتناول بشكل كافٍ الصعوبات والتحديات التي تواجه هذه الفئة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في ضرورة تغليظ العقوبات على مرتكبي الجرائم بحق كبار السن، بما يشكّل حماية فعالة وردعًا لكل من تسوّّل له نفسه استغلال هذه الفئة الضعيفة. كما أن توفير حماية جزائية خاصة يدلّ على مدى احترام المجتمع وتقديره لكبار السن، تمامًا كما فعل مع فئة الأحداث وذوي الإعاقة.

أهداف البحث:

1. توضيح الحاجة إلى حماية المسنين من كافة أشكال الاعتداء أو الاحتيال أو العنف.
2. بيان أن كبار السن قد يصبحون فريسة سهلة نتيجة تراجع قدراتهم البدنية والنفسية.
3. التأكيد على أهمية الدور التشريعي في حماية هذه الفئة كأحد مظاهر اهتمام الدولة بالشؤون الإنسانية.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من وصف وبيان مفهوم كبار السن، بالإضافة إلى المنهج التحليلي من خلال تحليل النصوص القانونية الأردنية ذات العلاقة، واستقراء الجهود الدولية والفقهية، ومدى كفاية هذه النصوص في حماية كبار السن.

اسئلة البحث:

1. هل يوجد في التشريع الأردني قانون خاص ينظم حقوق كبار السن وحمايتهم الجزائية؟
 2. ما مدى كفاية النصوص الجزائية الحالية في حماية كبار السن من الجرائم المرتكبة ضدهم؟
 3. ما هي أبرز الاتفاقيات الدولية التي تناولت حماية كبار السن، وكيف انعكست على التشريع الأردني؟
 4. إلى أي مدى يمكن الاستفادة من قواعد الفقه الإسلامي في تعزيز الحماية الجزائية لكبار السن؟
- وسيتناول هذا البحث مبحثين رئيسيين، يُعنى المبحث الأول ببيان الحماية المقررة لكبار السن في الفقه الإسلامي والمواثيق الدولية، بينما يخصص المبحث الثاني لدراسة الحماية الجزائية لكبار السن في التشريع الأردني وسبل تطويرها.

المبحث الأول

الحماية المقررة لكبار السن في الفقه الإسلامي والمواثيق الدولية

ويُعد كبار السن شريحة أساسية تزداد أهميتها في ظل التحولات الديموغرافية وارتفاع متوسط العمر المتوقع. وقد أولى الإسلام عناية خاصة بهذه الفئة، فجاءت النصوص الشرعية مؤكدة على احترامهم ورعايتهم، إذ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن "البركة مع أكابركم"¹.

ومن هذا المنطلق، فإن الاهتمام بحقوق كبار السن ورعايتهم لا يُمثل مجرد واجب أخلاقي أو ديني فحسب، بل هو أيضاً استثمار اجتماعي يعكس مدى إنسانية وتطور أي مجتمع ونظرته بمصيره المستقبلي، حيث يُدرك كل فرد أنه سيتعرض لهذه المرحلة العمرية ويحتاج إلى ذات الرعاية والاهتمام.

المسن من الضعفاء في المجتمع لأنه يصاحب المرء مرحلة الكبر ضعف قواه وحواسه وبهذه التغييرات تتطلب رعاية خاصة لهم²، وكما جاء في القرآن الكريم (ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا).

فاكرام الكبير واجب والسعي في خدمته، وكيب معاملته بحسن الخطاب وطيب الكلام، ومراعاة وضعه وضعفه³.

حماية كبار السن على المستوى الدولي:

تبنّت الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية تعريف الشخص كبير السن وهو الشخص الذي يزيد عمره عن 60 عام، إلا أن وثائق أخرى اعتمدت سن الشيخوخة 65 وهو سن التقاعد عادة، فسن الشيخوخة يختلف من دولة إلى أخرى وفقاً لمعايير اقتصادية واجتماعية وثقافية⁴.

واكثر التحديات التي يتعرض لها كبار السن هي العنف أو الإساءة فقد قررت منظمة الأمم المتحدة ان الخامس عشر من حزيران اليوم العالمي للتوعية بشأن إساءة معاملة المسنين⁵، وهي من اهم صور الظلم التي يتعرض لها كبار السن

¹ عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان، رعاية المسنين في الاسلام، الطبعة: 1999م/ 1419هـ.

² القاسمي، رفيع الدين حنيف، مصطفى، وادي، نفر شاهين(عارض)، حقوق كبار السن في الاسلام، الناشر: مجمع الفقه الاسلامي في الهند، مج4، عدد 12، 2017، ص1.

³ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، حقوق كبار السن في الاسلام: 14.

⁴ (احمد، 2021)

⁵ (احمد، 2021)

استغلالاً لحالة الضعف البدني التي وصلوا إليها وعدم مقدرتهم عن دفع الأذى أو الضرر عن أنفسهم. تُعد قطاعات الرعاية الصحية، والخدمات الاجتماعية، والسجون من أكثر البيئات التي تتطلب اهتماماً خاصاً بكبار السن. إذ يجب احترام حقوق الإنسان وكرامته على حد سواء.

أما الجانب الاقتصادي فقد أصبح أحد العوامل المؤثرة بعدم رعاية هذه الفئة، نتيجة غياب الدعم المادي وتصل الأبناء والعائلات من مسؤولياتهم تجاه كبار السن. وبإلبي، فإن لهذا الجانب أثراً كبيراً على جميع الجوانب الأخرى، ولا سيما الرعاية الطبية الخاصة بكبار السن، إذ لو كانت هذه الفئة تمتلك القدرة المالية لتلقي علاج خاص بها ينسجم مع مستوى الرعاية الذي تحتاجه، مثل الرعاية المقدمة ضمن اختصاص طب الشيخوخة (Geriatrics)، وفي أماكن مهياة ومخصصة لهم. وجميع هذه العوامل تستوجب تدخلاً تشريعياً يضمن الحماية والرعاية المتخصصة لكبار السن.

اهم الوثائق العالمية والاقليمية المعنية بحقوق كبار السن:

تعد الاتفاقيات الدولية من مصادر القانون الدولي وهذا ما نص عليه النظام الاساسي لمحكمة العدل الدولية في المادة (38)، مصادر القانون الدولي هي: (أ) الاتفاقيات الدولية؛ (ب) الأعراف الدولية؛ (ج) المبادئ القانونية العامة⁶. فبدائية هذه الاتفاقيات كانت تتناول حقوق الانسان بالعموم ولحاجة تناول الموضوعات عن كثب وبشكل اكبر ومفصل اصبحت الاتفاقيات تتناول احتياجات كل شريحة من شرائح المجتمع بشكل خاص اي اتفاقية متخصصة. فمنها الاتفاقيات العالمية ومنها الاتفاقيات الاقليمية وهذا ما سيتم تناوله:

الاتفاقيات الدولية التي تناولت حقوق كبار السن:

واعلنت الامم المتحدة ان الاول من اكتوبر هو اليوم العالمي للمسنين لتوجيه الجهود العالمية بالاهتمام بهذه الفئة⁷، كما اعتمدت عدة خطط مواكبة للتطور لتقديم الرعاية والاستجابة للفرص والتحديات التي ستواجه الشيخوخة، وكذلك لتعزيز تطوير المجتمع لكل الفئات العمرية.

لا توجد اتفاقيات دولية تناولت موضوع حماية كبار السن بشكل خاص ومباشر بهذه الفئة والاطلاع على ما يعانونه من تحديات بشكل مفصل.

الا انه تم الحديث عنهم بشكل غير مباشر كالاتفاقيات الحديثة اشارت إليهم في إتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة لسنة 1979 اشارت لكبار السن المتمتع بالحقوق في الضمان الاجتماعي⁸.

و الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان و الشعوب لسنة 1981 في الفقرة الرابعة " للمسنين و المعوقين الحق ايضاً في تدابير حماية خاصة تلائم حالتهم البدنية او المعنوية " و الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين و افراد أسرهم لسنة 1990 في المادة السابعة منها نصت على حظر التمييز على اساس السن⁹.

⁶ (الدولي) تاريخ الزيارة 2025/8/8

⁷) <https://www.un.org/ar/observances/older-persons->

⁸ (المرأة) تاريخ الزيارة 2025/8/8

⁹ (أسرهم). تاريخ الزيارة 2025/8/8

المؤتمرات الدولية:

عُقدت الجمعية العالمية الأولى للشيخوخة عام 1982 برعاية المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، وصدر عنها خطة عمل فيينا الدولية للشيخوخة، وهي أول وثيقة خاصة بالمسنين، وقد تبنت قضايا محددة: الرعاية الاجتماعية، الصحة والتغذية البيئة والأسرة وغيرها، وأكد المؤتمر على سلامة المجتمع¹⁰، وأن أعداد السياسات المتعلقة بالشيخوخة وتنفيذها حق مطلق وواجب كل دولة من خلال التعاون الدولي والاقليمي¹¹.

والمؤتمر الدولي الذي عُقد في مكسيكو سيتي عام 1984 والذي كان مفاده الاهتمام بكبار السن وتقديرهم كقوة قدمت للمجتمع وساهمت في رفعة وتطوره¹².

كما تم عقد الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة في مدينة مدريد عام 2002 وتم الاعتماد بها الاعلان السياسي وخطة عمل مدريد الدولية للشيخوخة بهدف وضع استراتيجيات ملائمة لكبار السن في القرن الواحد وعشرين، وأجراء تغيير السياسات والمواقف على جميع المستويات للاستفادة من خبرات وامكانات كبار السن¹³.

واعتمدت الجمعية العامة مبادئ الأمم المتحدة المتعلقة بكبار السن، التي نصت على 18 استحقاق لهذه الفئة على خمسة مبادئ أساسية: الاستقلالية في تلبية احتياجاتهم، الرعاية الصحية والأسرية، المشاركة الفاعلة في المجتمع، التنمية واستثمار قدراتهم، والكرامة بصون حقوقهم وحمايتهم من التمييز وسوء المعاملة¹⁴.

كما نجد ان هناك اهم صك قانوني معني بحماية كبار السن وهو بروتوكول الميثاق الافريقي لحقوق الانسان والشعوب المتعلق بكبار السن لسنة 2016 تضمن أحكاماً جوهرية تشمل تعريف الشخص المسن، وإلزام الدول الأعضاء بوضع تشريعات لحمايته، وضمان عدم التمييز، وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية، وتمكينه من المشاركة الفاعلة في المجتمع، بما يتماشى مع أهداف أجندة الاتحاد الإفريقي 2063¹⁵.

وإلى يومنا هذا، لم يتوصل المجتمع الدولي إلى عقد اتفاقية شاملة تتناول حماية كبار السن بشكل مفصل، وبرأي الباحثة لا سيما الحماية الجزائرية التي تُعد الفصيل والحاسمة في ضمان حقوقهم، رغم الجهود المبذولة في هذا الصدد إن وضع تشريع جزائي متكامل وصارم يُمثل الأساس الذي تُبنى عليه منظومة الحماية، إذ يشكل ضبط العقوبات وتفعيلها رادعاً فعلاً ضد أي انتهاك، ويمهد لتهيئة بيئة اجتماعية ومؤسسية أكثر التزاماً برعاية هذه الفئة، الأمر الذي ينعكس تلقائياً على تحسين باقي الجوانب المتعلقة بحياتهم، من صحة ورعاية وخدمات اجتماعية واقتصادية.

المبحث الثاني

¹⁰ أو شاعو رشيد الجهود الدولية والوطنية لحماية حقوق كبار السن المجلة الجزائرية للعلوم القانونية الاقتصادية والسياسية، جامعة الجزائر، عدد خاص 2017، ص 308-310 (رشيد، 2017)

¹¹ (وردة، 2020)

¹² <https://www.un.org/ar/conferences/population/mexico1984>

¹³ (وكرامتهم، 2013) الجمعية العامة التابعة للمنظمة الأمم المتحدة، نحو وضع صك قانوني دولي شامل متكامل لتعزيز وحماية حقوق كبار السن وكرامتهم، قرار رقم 139/67/الدورة السابعة والستون في 13 فيفري 2013، ص 2-1

¹⁴ بن بو عبد الله مونية وبن بو عبد الله ورده الاهتمام الدولي بفئة المسنين وانعكاساته على التشريع الجزائري، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية المجلد 2020، العدد 1 الجزائر

¹⁵ <https://ohchr.org/Documents/Issues/Older> و <https://achpr.au.int/sites/default/files/files/2021-09/protocolontherightsofolderpersonsara.pdf>

تاريخ الزيارة في 2025/8/9

الحماية الجزائية لكبار السن في التشريع الأردني

نص الدستور الاردني في الماده السادسة الفقرة الخامسة يحمي القانون الامومة والطفولة والشيخوخة ويرعى النشئ وذوي الاعاقات ويحميهم من الاساءة والاستغلال¹⁶.

وكما لم يحدد المشرع الاردني عمر معين للشيخوخة، إلا انه يمكن الاستدلال عليه من خلال ما حدده قانون الضمان الاجتماعي رقم (1) لسنة 2014 وتعديلاته في نص المادة (62/هـ) يحسب راتب التقاعد للشيخوخة للمؤمن عليه الذكر الذي اكمل سن الستين والمؤمن عليها الانثى التي اكملت الخامسة والخمسين¹⁷.

وكما اصدر المشرع الاردني نظام رعاية المسنين رقم 97 لسنة 2021، والذي تضمن حساب رعاية المسنين المادة (3) يفتح في الوزارة حساب يسمى (حساب رعاية المسنين) يخصص لما يلي:

أ. توفير خدمات الرعاية الاجتماعية والصحية والبدنية والنفسية المناسبة للمسنين في مساكنهم وبين أسرهم وفقاً لتعليمات تصدر لهذه الغاية:

ب. تحسين كفاءة الخدمات الاجتماعية المقدمة للمسنين

ج. إيواء المسنين الذين تعجز أسرهم عن رعايتهم أو الذين ليس لهم أسر ترعاهم

د. العمل على إدماج المسنين في المجتمع

هـ. دعم البرامج والمشاريع الموجهة للمسنين.

كما تعنى وزارة الشؤون الاجتماعية بقسم رعاية كبار السن والهائمين وتقوم بمتابعة وإشراف شامل على دور وأندية رعاية كبار السن، وضبط جودة الخدمات ومعايير الاعتماد، وتطبيق التدخلات النفسية والاجتماعية. المشاركة في تطوير التشريعات والبرامج الداعمة، وتوثيق بيانات المسنين.

شراء الخدمات للمسنين المحتاجين، والتنسيق مع الجهات المختصة لتقديم الحماية والرعاية. الإشراف على الأخصائيين وتطبيق معايير التميز المؤسسي¹⁸.

وقد أولى المشرع الأردني اهتماماً خاصاً للفئات الضعيفة والمعرضة لمخاطر الاستغلال، لا سيما الأحداث وذوي الإعاقة، من خلال وضع أطر تشريعية تهدف إلى توفير الحماية القانونية الفعالة وضمان صون حقوقهم الأساسية ومنها قانون خاص بالاحداث رقم 32 لسنة 2014¹⁹، و قانون حقوق الاشخاص ذوو الإعاقة رقم 20 لسنة 2017²⁰.

وتُعتبر هذه الخطوة إيجابية تُحسب للمشرع الأردني، إلا أنه أغفل إلى حد كبير عن وضع قانون خاص يُعنى بفئة كبار السن، مكتفياً في كثير من الأحيان بالاعتماد على أحكام قانون العقوبات العامة كوسيلة رادعة لكل من يعتدي على هذه الفئة.

ومن الحالات التي شدد بها المشرع الاردني العقوبات بناء على صفة او ظرف المجني عليه في قانون العقوبات الاردني

¹⁶ الدستور الاردني وتعديلاته لسنة 1952، المنشور على الصفحة 3 من عدد الجريدة الرسمية رقم 1093 بتاريخ 1952/1/8.

¹⁷ قانون الضمان الاجتماعي رقم (1) لسنة 2014 وتعديلاته

¹⁸ موقع وزارة التنمية الاجتماعية

https://www.mosd.gov.jo/AR/ListDetails/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%8A%D8%A9/4/12

¹⁹ قانون الاحداث رقم 32 لسنة 2014

²⁰ قانون حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة رقم (20) لسنة 2017

لسنة 1960 وتعديلاته جريمة القتل التي تقع على الموظف العام اثناء وظيفته او بسببها في المادة 327²¹. والغاية من التشديد هنا ان المستهدف هو الدولة التي يعمل باسمها ولحسابها الموظف والوظيفة بذاتها ما يؤدي الى اضطراب الجهاز الإداري، واحكام الموظفين عن القيام بأعمالهم الوظيفية على أكمل وجه²².

وكما شدد عقوبة جريمة القتل حيث تصل الى الاعدام اذا كانت الجريمة مرتكبة على احد الاصول، وهذا ما نصت عليه المادة 328 في قانون ذات القانون²³، كونه فعل في غاية البشاعة ونكر للمبادئ والقيم والعواطف.

وكما دعا المركز الوطني لحقوق الانسان في بمناسبة اليوم العالمي للتوعية بشأن معاملة كبار السن الى وجود قانون خاص بكبار السن ليشكل مظلة تشريعية عامة لحماية وتعزيز حقوقهم²⁴.

فحماية كبار السن في الاردن وتقليص التحديات التي تواجههم يبدأ بسن قانون خاص والعمل على نشر هذه القوانين من خلال حملات توعية ونشرها في المجتمع. كما تآثر المشرع الاردني في قانون الاحوال الشخصية بالفقه الاسلامي على وجه الخصوص المذهب الحنفي نتمنى ان نرى قواعد قانونية تحمي كبار السن بناء على الفقه الاسلامي لما قدمه من الرعاية لمرحلة الشيخوخة وهذه القوانين تشمل جميع جوانب حياة كبار السن الاجتماعية و الرعاية الصحية و الاسرية و الجزائية بعقوبة رادعة. فبرأي الباحثة ان تشدد العقوبة على الجرائم التي تقع على اجساد كبار السن الهزيلة واموالهم من اقوى الوسائل.

كما يوجد دول ليس لها قوانين خاصة بكبار السن مع احكام متفرقة في القوانين، ودول اقرت قوانين خاصة لهذه الفئة منها الجزائر والتي اصدرت قانون وكما اتبعه المشرع الجزائري بعدة قوانين مكملة، وهدف القانون الى صون كرامة كبار السن في اطار التعاون الوطني والعائلي، وقسم هذا القانون كبار السن الى ثلاثة فئات: فئة عادية وفئة تحتاج الى عناية خاصة، وفئة تحتاج الى مساعدة الغير للقيام بالاعمال اليومية الاساسية، وكما عد المشرع الجزائري العناية بكبار السن التزام على صعيد الوطني.

واعطى المشرع الجزائري كبار السن ميزات اهمها منح كبير السن الذي ليس له دخل كافي اجر مقداره الحد الأدنى للاجور، وضمان ظروف معيشية لائقة وضمانات الرعاية الطبية، وكما اقر المشرع عقوبات سالبة للحرية لكل من ترك مسن

21 المادة 327

يعاقب بالأشغال المؤبدة على القتل قصدا إذا ارتكب:

- 1- تمهيدا لجنحة أو تسهيدا أو تنفيذا لها أو تسهيدا لفرار المرحضين على تلك الجنحة أو فاعليها أو المتدخلين فيها ، أو للحيلولة بينهم وبين العقاب.
- 2- على موظف في أثناء ممارسته وظيفته أو من أجل ما أجراه بحكم الوظيفة.
- 3- على أكثر من شخص.

4 - مع تعذيب المقتول بشراسة قبل قتله.

²² نمور، محمد سعيد، شرح قانون العقوبات القسم الخاص بالجرائم الواقعة على الأشخاص، 2019، دار الثقافة، ص 87.

23 المادة 328

يعاقب بالإعدام على القتل قصدا:

- 1- إذا ارتكب مع سبق الإصرار ، ويقال له (القتل العمد).
- 2- إذا ارتكب تمهيدا لجناية أو تسهيدا أو تنفيذا لها ،أو تسهيدا لفرار المرحضين على تلك الجناية أو فاعليها أو المتدخلين فيها أو للحيلولة بينهم وبين العقاب.
- 3- إذا ارتكبه المجرم على أحد أصوله.

²⁴ بيان صادر عن المركز الوطني لحقوق الإنسان بمناسبة اليوم العالمي للتوعية بشأن إساءة معاملة كبار السن، تاريخ الزيارة 2025/8/10

<https://nchr.org.jo/ar>

عرضة للخطر بالحس من سنة الى ثلاث سنوات²⁵.

ولقد أولت دولة الإمارات العربية المتحدة اهتماماً بالغاً بفئة كبار المواطنين، تجسيداً لنهجها الإنساني الراسخ في صون الكرامة الإنسانية، حيث أصدرت القانون الاتحادي رقم (9) لسنة 2019 بشأن حقوق كبار المواطنين، والذي يُعد نموذجاً تشريعياً متقدماً في تعزيز الحماية القانونية والرعاية الاجتماعية لهذه الفئة، وضمان تمتعهم بحياة كريمة تليق بما قدموه من عطاء للوطن.

يتضح من خلال المواد (21)²⁶، (23)²⁷، و(24) من القانون الاتحادي رقم (9) لسنة 2019 بشأن حقوق كبار المواطنين أن المشرع الإماراتي حرص على إرساء حماية قانونية متكاملة لهذه الفئة، ولا سيما لمن هم غير قادرين على رعاية أنفسهم، من خلال تجريم أفعال العنف أو الإساءة التي قد تصدر من القائمين على خدمتهم أو من أي شخص آخر. كما نص القانون على عقوبات بالحس والغرامة بما يحقق الردع العام والخاص، وأكد في المادة (21) على عدم الإخلال بتطبيق أي عقوبة أشد مقررة في قوانين أخرى، مما يعكس نية المشرع في تشديد الحماية القانونية وتعزيز مكانة كبار المواطنين في المجتمع الإماراتي الشقيق.

الخاتمة

بعد استعراض الجهود الفقهية والدولية والوطنية في حماية كبار السن، يتضح أن هذه الفئة ما زالت تواجه قصوراً تشريعياً واضحاً في الجانب الجزائي على الرغم من مكانتها الرفيعة في المجتمع ودورها الإنساني. فالإسلام وضع الأسس الأخلاقية والشرعية لرعاية كبار السن وتكريمهم، في حين أن النظام القانوني الدولي لم يتمكن حتى الآن من وضع اتفاقية خاصة وشاملة تُعنى بحقوقهم تفصيلاً. أما على المستوى الوطني، فقد أظهر المشرع الأردني اهتماماً عاماً بهذه الفئة دون أن يخصص تشريعاً جزائياً متكاملًا يوفر الحماية القانونية اللازمة، كما فعل في قوانين الأحداث وذوي الإعاقة.

إن حماية كبار السن ليست فقط واجباً إنسانياً أو اجتماعياً، بل مسؤولية قانونية تستوجب تدخلاً تشريعياً صريحاً لضمان كرامتهم وردع من يسيء إليهم أو يستغل ضعفهم. ويلاحظ البحث أن ضعف قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم واعتمادهم على مدخراتهم يجعلهم أكثر عرضة للإيذاء الجسدي والاحتياال المالي، ما يستدعي النظر في تعزيز العقوبات على هذه الجرائم بشكل خاص، مع وضع ضوابط تمنع إساءة استعمال النصوص أو الادعاءات الكيدية. وتظهر الحاجة الملحة إلى وجود نصوص تشريعية مستلهمة من مبادئ الفقه الإسلامي وتجارب الدول المتقدمة في هذا المجال.

²⁵ القانون رقم 20-442 المؤرخ في 30 ديسمبر 2020 المتضمن إصدار التعديل الدستوري، الجريدة الرسمية العدد 82 الصادرة في 3 ديسمبر 2020

²⁶ المادة (21) لا يخل تطبيق العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون، بأي عقوبة أشد ينص عليها أي قانون آخر.

²⁷ المادة (23)

يعاقب بالحس والغرامة التي لا تقل عن (10.000) عشرة آلاف درهم ولا تزيد على (50.000) خمسين ألف درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين، القائم بتقديم خدمة لكبار المواطنين غير القادر على رعاية نفسه أو القائم على رعايته الذي ارتكب ضده عنفاً أو إساءة.

المادة (24)

يعاقب بالحس مدة لا تزيد على سنتين، والغرامة التي لا تقل عن (10.000) عشرة آلاف درهم ولا تزيد على (50.000) خمسين ألف درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من ارتكب عنفاً أو إساءة بكبار المواطنين غير القادر على رعاية نفسه، من غير الوارد بالمادة السابقة.

النتائج

1. يفتر النظام القانوني الدولي حتى الآن إلى اتفاقية خاصة وشاملة تُعنى بحماية كبار السن من مختلف صور الانتهاك، خصوصاً في الجانب الجزائي.
2. لا تزال النصوص القانونية الأردنية **تعالج حقوق كبار السن بصورة عامة**، دون تخصيص قانون مستقل أو نصوص عقابية خاصة.
3. الفقه الإسلامي قدّم نموذجاً متكاملًا للحماية والرعاية الإنسانية لكبار السن، مؤكداً على واجب توقييرهم والإحسان إليهم.
4. دولة الإمارات العربية المتحدة قدّمت نموذجاً تشريعياً يُحتذى به في إصدار قانون خاص لحماية كبار المواطنين وضمان حقوقهم الاجتماعية والجزائية.

التوصيات

1. تعزيز الحماية القانونية لكبار السن من أي أذى جسدي أو استغلال مالي، من خلال تشديد العقوبات على الجرائم التي تستهدف أجسادهم أو أموالهم، مع وضع ضوابط تمنع إساءة استعمال النصوص القانونية أو الادعاءات الكيدية.
2. استلهام التجارب التشريعية الناجحة مثل التجربة الإماراتية لتأسيس نموذج وطني شامل يضمن الحماية القانونية والاجتماعية لكبار السن.
3. دعوة المجتمع الدولي إلى صياغة اتفاقية ملزمة تُعنى بحقوق كبار السن، وتحدّد آليات الجزاء والمساءلة القانونية في حال انتهاكها.
4. إدماج مبادئ الفقه الإسلامي في التشريعات الوطنية الخاصة بحماية كبار السن، لما تحتويه من قيم التكريم والرعاية والعدالة الاجتماعية.
5. إطلاق حملات توعوية لتعزيز ثقافة احترام كبار السن ورعايتهم.

المراجع

1. عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان، رعاية المسنين في الإسلام، الطبعة الأولى، 1999م / 1419هـ.
2. القاسمي، رفيع الدين حنيف؛ مصطفى، وادي؛ نفر شاهين (عارض)، حقوق كبار السن في الإسلام، مجمع الفقه الإسلامي في الهند، المجلد 4، العددان 12-13، 2017، ص 1.
3. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، حقوق كبار السن في الإسلام، ص 14.
4. أو شاعو رشيد، الجهود الدولية والوطنية لحماية حقوق كبار السن، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، جامعة الجزائر، عدد خاص، 2017، ص 308-310.
5. بن بو عبد الله مونية وبن بو عبد الله وردة، الاهتمام الدولي بفئة المسنين وانعكاساته على التشريع الجزائري، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، المجلد 2020، العدد 1، الجزائر.
6. الجمعية العامة للأمم المتحدة، نحو وضع صك قانوني دولي شامل متكامل لتعزيز وحماية حقوق كبار السن وكرامتهم، القرار رقم 139/67، الدورة السابعة والستون، 13 فبراير 2013، ص 1-2.
7. - <https://www.un.org/ar/observances/older-persons> موقع الأمم المتحدة، تاريخ الزيارة: 2025/8/8.
8. - <https://www.un.org/ar/conferences/population/mexico1984> مؤتمر الأمم المتحدة للسكان، تاريخ الزيارة: 2025/8/8.
9. <https://ohchr.org/Documents/Issues/Older> و <https://achpr.au.int/sites/default/files/files/2021-09/protocolontherightsofolderpersonsara.pdf> - مواقع الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، تاريخ الزيارة: 2025/8/9.
10. بيان صادر عن المركز الوطني لحقوق الإنسان بمناسبة اليوم العالمي للتوعية بشأن إساءة معاملة كبار السن، تاريخ الزيارة: 2025/8/10. <https://nchr.org.jo/ar>.
11. موقع وزارة التنمية الاجتماعية الأردنية، تاريخ الزيارة: 2025/8/10. https://www.mosd.gov.jo/AR/ListDetails/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%8A%D8%A9/4/12.
12. الدستور الأردني وتعديلاته لسنة 1952، المنشور في الجريدة الرسمية رقم 1093 بتاريخ 1952/1/8، ص 3.
13. قانون الضمان الاجتماعي رقم (1) لسنة 2014 وتعديلاته.
14. قانون الأحداث رقم (32) لسنة 2014.
15. قانون حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة رقم (20) لسنة 2017.
16. نمور، محمد سعيد، شرح قانون العقوبات - القسم الخاص (الجرائم الواقعة على الأشخاص)، دار الثقافة، عمان، 2019، ص 87.

17. المادة (327) من قانون العقوبات الأردني.
18. المادة (328) من قانون العقوبات الأردني.
19. القانون رقم 20-442 المؤرخ في 30 ديسمبر 2020، المتضمن إصدار التعديل الدستوري، الجريدة الرسمية العدد 82 الصادرة في 3 ديسمبر 2020.
20. المادة (21): لا يخل تطبيق العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون بأي عقوبة أشد ينص عليها أي قانون آخر.
21. المادة (23): يعاقب بالحبس والغرامة التي لا تقل عن (10.000) درهم ولا تزيد على (50.000) درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين، القائم بتقديم خدمة لكبار المواطنين غير القادرين على رعاية أنفسهم الذي ارتكب ضدهم عنفاً أو إساءة.
22. المادة (24): يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين والغرامة من (10.000) إلى (50.000) درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من ارتكب عنفاً أو إساءة بكبار المواطنين غير القادرين على رعاية أنفسهم.

عنوان البحث

الحذف في شعر أبي ذؤيب الهذلي: دراسة تحليلية

أ. محمد بن حميد بن عيد الهذلي¹

¹ طالب في مرحلة الدكتوراه، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، المملكة العربية السعودية.
HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/51>
المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/51>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

هدفت الدراسة لبيان موضوع الحذف في شعر أبي ذؤيب من خلال بيان بعض نصوص شعره ووصفها ومن ثم تحليلها للوقوف على الأساليب الجمالية في الحذف. وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على التأمل والملاحظة ودراسة موضوعات الحذف وتحليلها نحويًا وعمقًا والتعليق عليها دلاليًا. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها: لم يكن الحذف في شعر أبي ذؤيب ضعفًا في البيان، بل كان أسلوباً يهدف إلى إثارة ذهن المتلقي واستدعاء المشاركة في استكمال المعنى. كذلك أدى الحذف في شعر أبي ذؤيب إلى تنامي البعد الدلالي والإيحائي بحيث يتجاوز المعنى الظاهر إلى مستويات أكثر عمقاً من التعبير الوجداني والفكري. وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات منها: ضرورة توسيع الدراسات المختلفة للحذف في شعر الهذليين بشكل عام لبيان مدى تميز كل شاعر عن الآخر في توظيف هذه الظاهرة الأسلوبية المهمة. وكذلك تشجيع الباحثين على الربط بين التحليل النحوي والدلالي في دراسة موضوع الحذف كونه القيمة الجمالية التي لا تتفصل عن المعنى والسياق.

الكلمات المفتاحية: الحذف، شعر، أبي ذؤيب، تحليل.

RESEARCH TITLE

Omission in the Poetry of Abu Dhu'ayb al-Hudhali: An Analytical Study

Mr. Mohammed Hameed Alhuzali¹

¹ PhD student, King Abdulaziz University, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia.

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/51>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/51>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study aims to explore the concept of omission (ḥadhf) in the poetry of Abu Dhu'ayb al-Hudhali by examining and describing selected poetic texts, followed by an analysis to uncover the aesthetic methods of omission. The researcher adopted a descriptive-analytical approach based on observation and reflection, focusing on the topics of omission and analyzing them in depth from both grammatical and semantic perspectives.

The study concluded with several findings, most notably: omission in Abu Dhu'ayb's poetry was not a sign of weakness in expression but a stylistic technique intended to stimulate the audience's mind and invite participation in completing the meaning. Additionally, omission contributed to enhancing the semantic and suggestive dimensions of the text, allowing the meaning to go beyond the surface to deeper levels of emotional and intellectual expression.

The study offers several recommendations, including: the need to broaden research on omission in Hudhali poetry in general to highlight the unique stylistic approaches of each poet. It also encourages researchers to connect grammatical and semantic analysis in studying omission, as it represents an aesthetic value closely tied to meaning and context.

Key Words: Omission, Poetry, Abu Dhu'ayb, Analysis.

مقدمة البحث ومشكلته:

ليس من المبالغة القول بأن الحذف يعد من أهم ظواهر التركيب والبناء على صعيد اللغات عامة، واللغة العربية بشكل خاص، لما تشكله هذه الظاهرة من أهمية كبيرة في أداء الكلام على نحو بديع، حيث تعذر سير الكلام على سجيته دون اللجوء لشحنه بالقيم التعبيرية الظاهرة والمقدرة، ومن ثم تظافر المنطوق والمقدر للخروج بدلالات واضحة مفهومة، تتجلى من خلالها صورة التعبير ويتضح بها مراد المتكلم، ولعل تميز اللغة العربية بهذه الظاهرة عن غيرها يعود إلى سعة هذه اللغة وتعدد مدلولاتها، حيث تجد هذه اللغة في الحذف ملاذاً آمناً لها يحميها من ذلك الضيق الذي يمكن أن يحجز عليها، ويحد من إمكانياتها.⁽¹⁾

ثم إن النحاة واللغويين والبلاغيين حينما حذفوا وقدروا كانوا على أصول مقررة فقاسموا النظر على النظر، واستدلوا بالحاضر على الغائب، ورأوا المحذوف في المذكور⁽²⁾. وبالتالي عندما حذف النحاة العرب وقدروا فهم متفقون على أن النحو ينبغي أن يربط البنية العميقة ببنية السطح، والبنية العميقة تمثل العملية العقلية في اللغة.⁽³⁾

وقد حاول هذا البحث دراسة الحذف في شعر أبي ذؤيب الهذلي، حيث سيتم تناوله بأسلوب بلاغي تحليلي بالنظر إلى دوره الجمالي والدلالي في تماسك النص.

أما مشكلة البحث فتتمثل في الكشف عن دور الحذف في تحقيق الفوائد الدلالية والأغراض البلاغية من خلال شعر أبي ذؤيب، ومنها تتفرع العديد من التساؤلات الفرعية منها:

1. ما مفهوم الحذف في اللغة والاصطلاح؟
2. كيف يمكن تطبيق الحذف في شعر أبي ذؤيب الهذلي؟

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم الإحالة في اللغة والاصطلاح.
2. استعراض إمكانية تطبيق الحذف في شعر أبي ذؤيب الهذلي.

أهمية البحث:

1. تكمن أهمية البحث في استعراضه لموضوع من أهم الموضوعات في شعر أبي ذؤيب الهذلي الذي يعد من الشعراء المهمين الذين تناولوا الحذف في أشعارهم.
2. يبرز البحث الأغراض البلاغية والأبعاد الدلالية لمواطن الحذف في أشعار أبي ذؤيب.
3. يسلط البحث الضوء على شاعر من الشعراء المهمين الذين ارتبطت أشعارهم بموضوعات نحوية مهمة وهو أبي ذؤيب.
4. كما يمكن لهذا البحث أن يفيد المكتبة العربية ويعمل على إثرائها بمثل هذه الموضوعات الحيوية والمهمة.

¹ جهاد عبد الحليم محمد العملة، الحذف في شعر العباس بن الأحنف: دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، فلسطين، 2017: ص1.

² علي النجدي ناصف، من قضايا اللغة والنحو، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957: ص92.

³ عبد العزيز آيت الشاري، التأويل النحوي بالحذف في شعر المتنبي من خلال شرح ابن جني الكبير المسمى بالفسر، مجلة المعرفة، العدد 19، 2024: ص833.

5. الحاجة البارزة إلى مزيد من التطبيقات على النصوص العربية لا سيما تلك التي تبرز الجانب الجمالي والبلاغي للنص.
6. تبين للباحث أن أهمية هذا البحث تكمن في القلة النادرة التي تطرقت إلى الحذف في شعر أبي ذؤيب، أما الدراسات التي تطرقت لعناوين قريبة فقد أبرزت جوانب قليلة من العنوان وسلطت الضوء على الآخر من زوايا مختلفة غير مرتبطة بهذا البحث.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على التأمل والملاحظة ودراسة موضوعات الحذف وتحليلها نحوياً بعمق والتعليق عليها دلاليًا.

مفهوم الحذف

الحذف في اللغة:

للحذف معناه اللغوي، فقد جاء عند علماء اللغة والنحو بحسب السياق، فجاء معناه القطع والإسقاط كما جاء في الصحاح: "حذف الشيء: إسقاطه، يقال: حذفت من شعري ومن ذنب الدابة، أي: أخذت ...، وحذفت رأسه بالسيف، إذا ضربته فقطعت منه قطع" (4).

وفي لسان العرب: "حذف: حذف الشيء يحذفه حذفًا: قطعه من طرفه، والحجام يحذف الشعر، من ذلك....، والحذف: الرمي عن جانب والضرب عن جانب" (5).

وجاء في المعجم الوسيط "حذف الشيء حذفًا: قطعه من طرفه. يقال حذف الحجام الشعر: أسقطه." (6)

الحذف في الاصطلاح:

هو "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل." (7) اجتهد علماء النحو في دراسة ظاهرة الحذف وما تتضمنه من جماليات، غير أن بعضهم وقع في الخلط بين مفهومي الحذف والإضمار. وقد أشار أبو حيان إلى هذا الالتباس وهو موجود في اصطلاح النحويين، أعني أن يُسمّى الحذف إضمارًا (8) ولكن بعضهم تنبه إلى ضرورة التفريق بين الحذف والإضمار، فأجد ابن مضاء القرطبي ينتقد هذا الخلط بين المصطلحين، واستعمالهما بمعنى واحد، ويفرق بينهما قائلاً: "الفاعل يضم ولا يحذف." (9)

تُمثل بنية الحذف في النص الأدبي أحد أشكال التفاعل والتواصل بين المبدع والمتلقي، بحيث يُسهم كلاهما في إنتاج الدلالة التي يسعى الباحث إلى إيصالها، وغالبًا ما تبعد هذه الدلالة عن الطرح المباشر أو التقريري، فتستعين بجملة من الظواهر الأسلوبية، ومن أبرزها الحذف، بهدف تفعيل دور المتلقي في استنتاج المعنى، فالكاتب لا يعد المتلقي مجرد

4 - الجوهري، الصحاح في اللغة، 1/ 120

5 - ابن منظور، لسان العرب، 9/ 39-40

6 - إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، ص162.

7 - بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ط(1)، 1376هـ - 1957م، 3/ 102.

8 - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، (د-ط)، 1420هـ - 2000م، 1/ 643

9 - ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، ط1، 1399هـ - 1979م، ص 130.

مستقبل، بل طرفاً فاعلاً في العملية الإبداعية التي تتكوّن من: مرسل، ومرسل إليه، ورسالة. ويقتضي هذا التفاعل نوعاً من التواصل بين الطرفين، غير أن هذا التواصل لا يُعد الغاية الوحيدة من الحذف؛ إذ أن الذكر أو الزيادة بدورهما يشكلان بنى موازية تسهم في نقل الرسالة إلى المتلقي. ويتم ذلك من خلال قرائن سياقية أو خطية، يستدعيها السياق، ويلجأ إليها المبدع إدراكاً منه لأهميتها في توصيل المعنى وإثراء التفاعل النصي.

وإذا كان الذكر لا يتم إلا في وجود قرينة؛ فإن الحذف لا يتم إلا من خلال قرينة تستدعيه، وهي قرينة يريدها الأديب لأغراض ذاتية تقتضيها عملية الحذف التي امتدحتها البلاغة العربية القديمة، حيث ترى "أن ترك الذكر أفصح من الذكر/والصمت عن الإبانة أكمل من الإبانة" (10) بل إن البلاغة العربية ارتبطت بالإيجاز، وهو من مقتضيات الحذف الذي لا يخل بالمعنى، "وهو من وسائل الاحتباك في النص الأدبي، والحبك والاحتباك يعرفان في اللسانيات النصية بالتماسك النصي، أو السبك الذي وعاه نقاد العربية القدامى وبلغاؤها" (11)

ويُعد الحذف في جوهره عملية تخيلية، يستمد قيمته في كونه لا يُقدّم ما هو متوقّع من الألفاظ، مما يخلق في ذهن المتلقي طاقة فكرية تحفّز خياله، وتدفعه إلى استنتاج المقصود، وتصبح هذه العملية التخيلية نوع من التفاعل بين المرسل والمتلقي، ويقوم على مبدأ الإرسال غير المكتمل من طرف المبدع، وتُناط مهمة استكمال هذا النقص بالمتلقي، الذي ينبغي أن يتمتع بقدرة تأويلية تمكّنه من فك شفرة الرسالة وفهمها، حتى وإن كانت مبطنّة أو مشفرة. (12) فالمتلقي إذا كان سريع البديهة حاضر الفكر، يكفيه الإلماح لإدراك الأشياء. (13)

وهنا تبرز أهمية المتلقي في إحضار ما غاب من النص، بالاعتماد على ما في ذهنه من المواضيع اللسانية. وقد تنبه عبد القاهر إلى أهمية الحذف، وما يحققه من أعراض بلاغية، فذكر أن "ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبّن". (14) ويرى عبد القاهر أن الحذف يُعدّ من أساليب التعبير التي تُثري المعنى وتُضفي عليه عمقاً فيُحدث لدى المتلقي لذة نفسية أشبه بالسحر، وذلك حين يُقبل على استكشاف ما وراء الظاهر من دلالات. فإذا تمكّن السامع من استنباط المعنى الخفي وإدراكه، كان تأثيره في النفس أعمق وأقوى من المعاني المباشرة الظاهرة، غير أن هذا الأثر الجمالي لا يتحقق إلا إذا جاء الحذف منسجماً مع السياق، وارتبط بوضوح الدلالة المستفادة من المؤشرات السياقية. أما في حال غياب هذه القرائن؛ فإن المعنى يضطرب، وتفقد ظاهرة الحذف قيمتها الجمالية والبيانية.

كما شدد (ابن الاثير) على تنظيم هذه المسألة وعدم عشوائية الحذف، وضرورة إخضاعه لمجموعة من الشروط والقيم الفنية، وإلا صار إلى الفوضى والعبثية، أقرب منه إلى المنهجية والمنطق؛ فهو يرى أن الأصل في المحذوفات جميعاً على اختلاف ضروبها، أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ف"من شروط المحذوف بحكم البلاغة، أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن" (15)

10 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 104

11 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق، ص 162

12 - ينظر: فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د-ط)، 2004م، ص 137

13 - ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد، 1/ 329

14 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146

15 - ضياء الدين بن الاثير، محمد محي الدين عبد الحميد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت، ط(1)، 1995م، 2/ 76

ويعد الحذف من العمليات الأساسية والجوهرية في العملية الإبداعية؛ لأنه "يتضمن تصوراً آخر للتركيب، باعتباره تحولاً أو انحرافات تصيب السياق، وتثير المتلقي، وهو ما يعتمد إليه الشاعر." (16) وتتميز لغة الشعر بطابعها الكثيف والمركّز، وهو ما يتجلى بوضوح في الشعر القديم، حيث يُبنى على وحدة البيت الشعري الذي يتقيد بعدد محدد من الوحدات الوزنية، ويُعدّ هذا البيت وحدة دلالية شبه مغلقة على ذاتها، تُعبّر عن المعنى ضمن حدودها دون الحاجة غالباً إلى الامتداد خارجها.

ومن أبرز وظائف الحذف: التعجيل بالدفقة الشعرية من خلال تقصير العبارات كما يمكن أن يقوم الحذف بدور بارز في المسار الإيقاعي ليسير في خطٍ معيّن (17)، كما أن البتّر والاختزال والحذف عن طريق المجاز كل ذلك قد يكشف عن حالات فقدان الصبر، غير أن ذلك قد لا يكون حتمياً. (18)

ويمتلك الحذف بُعداً نفسياً يؤثر في المتلقي، إذ يُدخل المحذوف ضمن دائرة الإبهام، ما يثير في النفس رغبةً في استكشافه، وعند العثور على القرينة المناسبة يدركه المتلقي فيتحقق له نوع من المتعة المعرفية الناتجة عن اكتشاف المعنى بعد الترقّب، كما أن بنية الحذف تُضفي على النص كثافة دلالية لا يمكن اختراقها إلا بجهد تأويلي، مما يُعزّز من فاعلية الإيحاء ويُنشِط خيال المتلقي. (19) الذي تكون أمامه فرصة للتأمل أكثر في النص، في محاولة لشغل تلك الظواهر التي تخلفها ظاهرة الحذف، ولهذا قيل: إن الحذف يسهم بدرجة كبيرة " في تكوين الفضاء الشعري، أو في توسيع دائرته " (20)

إن تأكيد هذه الطاقة الجمالية والايحائية للحذف لا يقل عن التأكيد على دور القارئ الفاعل في إعادة انتاج النص والدلالات وتحديد قيمها الجمالية، بشرط أن يتوافر الحذف على شروطه التي تمنع الغموض والإبهام ويكون هناك قرينة لفظية أو سياقية تدل على المحذوف مما يمنع الالتباس والتعمية، فمن يتأمل البنى الحذفية يترك قضية الصياغة ويتوجه الى الفكر. ويشغل الفكر نفسه بالدخول في إشكالية تعبيرية ركيزتها الحذف، ومن هنا ربط الفكرة بالبعد النفسي في تحليله للبنى الحذفية؛ إذ إن الحذف يؤدي بالضرورة الى دخول المحذوف دائرة الإبهام وهو ما يؤدي إلى حصول ألم في النفس لجهلها به فإذا التفت إلى القرينة تقطنت له فيحصل لها اللذة في العلم واللذة الحاصلة بعد الألم أقوى من اللذة ابتداءً. (21)

ويسوغ الحذف في ظلّ شرطين أساسين:

- 1- أن لا يؤدي الحذف الى الجهل بالمقصود، فيشترك على وجود دليل على المحذوف، وقد يعبر عنه بالقرائن الدالة.
 - 2- أن لا يكون المحذوف مؤكداً للمذكور؛ إذ الحذف مناف للتأكيد، ومخالف لطبائع المنطق والعقل (22)
- إن الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف أنواعها "أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن

16 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، (د-ط)، 1992م، ص 84

17 - ينظر: ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، ط 1، 1418هـ - 1997م، ص 221

18 - ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 215 .

19 - ينظر: محمد عبد المطلب البلاغة العربية: قراءة أخرى، ص 221، د مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م، ص 139 .

20 - محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، سلسلة دراسات أدبية "الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م ص 70 .

21 - ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 221.

22 - ينظر: عبد الرحمن حسن الحبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط(1)، 1986، 1/ 49.

هناك دليل على الحذف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجهه.⁽²³⁾

ويُعدّ المتلقي طرفاً أساسياً في عملية التواصل اللغوي؛ إذ إن النص موجه إليه بالدرجة الأولى بهدف إثارة تفكيره وتحفيز عقله على التأمل. ولا شك أن القصيدة تستمد حيويتها وتجدها من تفاعل المتلقي معها، سواء أكان قارئاً أم مستمعاً؛ فهو من ينجز عملية التأويل، ويفك غموض النص ويملاً فراغاته النصية، ليستخلص دلالات قد تكون غابت عنه في أول قراءة.

فكل متلقي يؤول حسب ثقافته وأفق معرفته بعالم الشعر وسياقه، ذلك الأفق الذي يمكنه من إدراك ما في النص من أفكار وجماليات، كما يمكنه من ملء الفراغ الكامن (الخفي) بين عناصر القصيدة وربما يظهر دور المتلقي هنا أكثر.

ومن هنا فإن الحذف من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك عبر آفاقه القرائية الكثيرة مواضع الحذف، وكيفية قيامه بوظائف إبلاغية وبلاغية متعددة.

الدراسة التطبيقية للحذف في شعر أبي ذؤيب الهذلي

ظواهر الحذف في العناصر الأساسية:

الحذف في الجملة الاسمية:-

حذف المسند إليه:

تتكون الجملة التامة من الناحية التركيبية من ثلاثة عناصر رئيسية: المسند، والمسند إليه، وعلاقة الإسناد، وقد تُضاف إليها عناصر أخرى تُعدّ - في نظر النحاة - مكملات لهذا البناء. ويُقصد بالمسند ما يُبنى على المسند إليه ويُخبر به عنه، مثل: الفعل، واسم الفعل، وخبر المبتدأ، وخبر الأفعال الناقصة أو الحروف الناسخة. أما المسند إليه، فيتمثل في المبتدأ، أو الفاعل، أو نائب الفاعل، أو اسم من أسماء الأفعال الناسخة. أما الإسناد ذاته، فهو عملية ذهنية تتمثل في الربط القائم بين المسند والمسند إليه.

إن لكل عنصر من العناصر السابقة دوره ومكانته داخل النص، ومن خلال ذلك تتجلى فاعليته على المستويين التركيبي والدلالي في العمل الفني. وبما أن اللغة الشعرية تتميز بالخروج عن النمط المألوف للكتابة، فإن من أهم وسائل هذا الخروج ظاهرة الحذف، التي استغلها أبو ذؤيب الهذلي لتحقيق هدفين رئيسيين: الأول: تكثيف الدلالة في أقل عدد ممكن من الألفاظ، والثاني: تجنب التكرار والاستطالة التي قد تضعف من قوة التعبير.

وقد جاء حذف المسند إليه في مواضع كثيرة عند أبي ذؤيب الهذلي، ارتبطت في جملتها بصور أوصاف المسند إليه المحذوف؛ ومن ذلك قوله: ⁽²⁴⁾

دَيَارُ الَّتِي قَالَتْ غَدَاةً لَقِيْتُهَا *** صَبَوْتُ أبا ذُنْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرُ

المحذوف-هنا- هو الضمير (هي)، والتقدير (هي ديار)، والبدء بالمسند إنما يؤكد الوصف

المرتبط بالمحذوف دون غيره، ففي حذف المسند إليه بعض الدلالات التي تتعلق بالديار التي يتحدث عنها الشاعر، فالشاعر هنا يذكر الديار مباشرة، وكأنه يريد تسريع الكلام ليتوجّه إلى غرضه الرئيس -رثاء بني لحيان- ذلك أن

²³ - ابن الأثير: المثل السائر، 1/ 62

²⁴ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 62

المسند إليه المحذوف يستدعي ذكره صورة من صور التقليل من شأن الديار، بحيث تبدو كأنها غير معروفة بذكره، كما أن حذفه والبدء المباشر بالمسند يعني أن الديار معروفة، ولا تحتاج إلى تعيينها. وقوله⁽²⁵⁾:

طَخَاءُ يُبَارِي الرِّيحَ لَا مَاءَ تَحْتَهُ *** لَهُ سَنَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ طَحُورُ

ورد حذف المسند إليه (هي) والتقدير (هي طَخَاءُ)، وأراد الشاعر من وراء الحذف الإفاضة في الحديث وصف الغيم، فقد اشتد هذا الغيم، فصار يعارض الريح، ويدفع بعضه بعضاً، إلى أن سقط مطراً على الأرض، فقد أوجز الشاعر الكلمات للتعبير عن المدلول، وإن إظهار المحذوف يذهب الجمال والحسن الذي تنسم به العبارة، بل إن إظهار المحذوف يؤثر في المعنى نفسه، لذلك كان الحرص على إيصال المعنى بانسيابية، من دون أن يفصل بينها بشيء. وقوله: (26)

مُوشَّحَةٌ بِالطَّرَّتَيْنِ دَنَا لَهَا *** جَنَى أَيْكَةٍ يَضْفُو عَلَيْهَا قِصَارُهَا

ورد حذف المسند إليه (هي) والتقدير (هي موشحة)، وبدأ الشاعر بالمسند إليه (مُوشَّحَةٌ)، وحذف المسند، والبدء بالمسند إنما يؤكد الوصف المرتبط بالمحذوف دون غيره، وهو الطيبة فيسهب في وصفها، فيذكر أن جلد هذه الطيبة يجمع بين لونين مميزين، يفصل بينهما طرتان؛ حيث ينقطع اختلاف لون الظهر، من لون البطن. وفي قوله: (27)

عَقَارُ كَمَاءِ النِّئِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ *** وَلَا خَلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوبَ شِهَابُهَا

حذف الشاعر المسند إليه الضمير (هو) والتقدير: (هو عقار)؛ فقد أراد الشاعر الإفاضة في وصف الخمر، فيسترسل في ذكر لونها وطعمها، فلونها أحمر صافٍ، وطعمها كما ينبغي، فهي ليست شديدة الحموضة، وليست عديمة الطعم، بسبب عدم إدراكها. وقول أبي ذؤيب: (28)

لَا بُدُّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ فَإِنْتَظِرْ *** أَبَارِضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَصْرَعُ

فقد حذف الشاعر المبتدأ (المصرع) قبل (أم) وذكر الخبر، اعتماداً على القرينة اللفظية اللاحقة (المصرع) والتقدير (أبارض قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَصْرَعُ)، وفي هذا الحذف دلالة شكلية متعلقة برعاية النظم أو الوزن، بالإضافة إلى غيرها من الدلالات السياقية، فالذكر في هذا الموضع يؤدي إلى إضعاف العبارة، والذهاب برونقها.

حذف المسند:

يُعدُّ المسند (الخبر) الركن الثاني في الجملة الاسمية، ولهذا يُصنَّف عند النحاة ضمن عناصر العمدة، إذ لا تكتمل الفائدة الكلامية إلا بوجوده، ولذلك لا يجوز حذفه إلا إذا دلَّت عليه قرينة لفظية أو معنوية، ويترتب على حذف الخبر عدة

²⁵ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 63

²⁶ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 64

²⁷ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 59 عقار: التي تعاقر الدن، أو تعاقر العقل، ماء النئ: ما قطر من اللحم، الخمطة: التي أخذت طعم الإدراك ولم تدرك، الخلّة: الحامضية، يكوي الشروب: أي يؤذيهم، شهابها: نارها وحدتها.

²⁸ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 49

فوائد منها: الإيجاز، والحفاظ على بلاغة الكلام وخلوّه من الحشو، بالإضافة إلى تنشيط الحس لدى المتلقي، كما أن لكل صيغة تعبيرية مزاياها الخاصة ويُراعى في ذلك اختلاف المقامات والسياقات، بما يجعل التعبير مطابقاً لمقصد المتكلم ومحققاً للغرض البلاغي المقصود.

وحذف الخبر أكثر من حذف المبتدأ؛ وذلك لأن المبتدأ هو الطريق لمعرفة الخبر، فإذا حذف الخبر ففي الكلام ما يدل عليه، أما إذا حذف المبتدأ لم يكن في الكلام ما يدل عليه؛ لأن الخبر لا يكون دليلاً على المبتدأ. (29) وحذف المسند - سواء أكان في حكم الوجوب أو الجواز - يؤدي بعض الدلالات المتعلقة بالمبدع ونصه الشعري، وقد ورد حذف المسند في قول أبي ذؤيب (30)

فَمَرَّ بِالطَّيْرِ مِنْهُ فَاعَمَّ كِدْرٌ *** فِيهِ الظِّبَاءُ وَفِيهِ الْعُصْمُ أَجْنَاخُ

لَوْلَا تَنَكُّبُهُنَّ الْوَعْتُ دَمَرَهَا *** كَمَا تَنَكَّبَ غَرْبَ الْبَيْرِ مَتَاخُ

في البيت الثاني في قوله: (لولا تنكّبهنّ) حذف الخبر وجوباً، والتقدير: (لولا تنكّبهن موجود) وبالرغم من أن حذف المسند مع (لولا) يأخذ حكم الحتم والوجوب، فإن السياق يؤكد على قيمة هذا الحذف؛ ذلك أن الحذف أفاد المبالغة في تشبيه المطر بهدير الفحل من ناحية الصوت.

الحذف في الجملة الفعلية:-

حذف المسند إليه (الفاعل):

"تذهب العربية إلى عدم إجازة حذف الفاعل" (31) من التركيب الفعلي؛ لأن لكل حدث محدثاً يقوم به، ومن ثم كان وجوده متمماً لفائدة القران بين الفعل وفاعله، غير أن المقصود من حذف الفاعل وإقامة المفعول به مكانه -وظيفياً- في حالة بناء الفعل للمجهول، قد يكون لدلالات أسلوبية يتغيهاها المبدع من وراء استغنائه عن الفاعل.

وذكر النحاة لحذف الفاعل فوائد وأغراضاً منها: العلم الواضح بالمحذوف، أو الجهل به، أو التخييم والتعظيم، أو التحقير، وغيرها من الأغراض والفوائد، وهذه الغايات تتعلق بالفاعل، وليس لها علاقة بالمفعول، فالذي يدعو إلى حذف الفاعل، وإقامة المفعول مكانه، هو الاهتمام بالمفعول وتأكيده، ويمكن أن يجعل ذلك من أغراض الحذف. (32)؛ فقد يكون حذفه لمطلق التعميم، فلا يراد به شيء معين. ومن ذلك قوله: (33)

وَأَزْعُمُ أَنِّي وَأُمُّ الرَّهْيِ — *** نِ كَالظَّبِي سَيِّقَ لِحَبْلِ الشَّعَرِ

فقد حذف الفاعل في قوله: (سيق)، وبنى فعله للمجهول مما/ أفاد العموم، فليس المهم من الذي ساقه، وإنما المهم هو الفعل نفسه، فالشاعر يذكر أن حبه لأُم عمرو قد سيق إليه، كما يساق الظبي إلى حبل الصائد، ويقع فيه دون أن يدري، ودون أن تكون له إرادة في ذلك، فقد حذف الفاعل، لعدم الفائدة من ذكره، كما زاد المعنى حسناً وجمالاً، أن الشاعر حذف الفاعل - أيضاً - ليحرك ذهن المتلقي، ويجعله مشدوداً إلى النص فيقدّر في مخيلته فاعلاً مناسباً للمفعول.

²⁹ - ينظر: العلوي، الطراز، 2/ 117

³⁰ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 97

³¹ - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ط1، دار الشروق 1416-1996م، ص 108

³² - ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي،، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الاسكندرية، (د-ط)، 1998م، ص 98

³³ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 76

(34) وقوله:

فَأَنَّكَ لَوْ سَاءَلْتِ عَنَّا فَتُخْبِرِي *** إِذَا الْبُزْلُ رَاحَتْ لَا تُدِرُ عِشَارُهَا
لَأُنْبِئْتُ أَنَا نَجْدِي الْفَضْلَ إِنَّمَا *** نُكَلِّفُهُ مِنَ النُّفُوسِ خَيَارُهَا
لَنَا صِرْمٌ يُنَحَرْنَ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ *** إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ قَلَّ قِطَارُهَا

ورد حذف الفاعل في هذه الأبيات في قول الشاعر: (فَتُخْبِرِي - لَأُنْبِئْتُ - يُنَحَرْنَ)، فحذف الفاعل في هذه المواضع أراد الشاعر من خلاله الاسترسال في الفخر بالقبيلة، وكثرة ما لديها من مال، تُطعم به من يطرق بابها، فهو يفتخر بكرم قبيلته، وهذا الكرم يبرز في وقت الشتاء، حين يشح الرزق، وحين تحمل الماشية، فيقل لبنها، حينئذ يتوجه الناس إلى قبيلة الشاعر؛ التي تتحرر الإبل العظيمة، وتقدمها طعاماً للجياح. فالإخبار والإنباء والنحر في هذه المواضع ليس بمقصود على فاعل دون آخر، وحذفه - هنا - إجمالاً لشأنه.

(35) وفي قوله:

وَقَالَ تَعَلَّمُوا أَنْ لَا صَرِيخَ *** فَأَسْمِعُهُ وَلَا مَنْجَى قَرِيبُ

حذف الشاعر الفاعل في قوله: (وَقَالَ تَعَلَّمُوا)، وصدر الشاعر البيت بالقول الذي حرك في المتلقي روح البحث عن القائل، والتقدير: قال حبيب، والمعنى: اعلّموا أنني ليس لي صريخ يغيثني، ولا مكان قريب ألوذ به، وأنجو.

حذف المسند (الفعل):

يُعدّ حذف الفعل ظاهرة شائعة في النحو العربي، وقد حظيت باهتمام كبير من قبل العلماء، نظراً لكون الفعل يشكل عمدة الجملة الفعلية، ويتوقف عليها بنيتها، ولهذا أولى النحاة والبلاغيون عناية خاصة بمواضع حذف الفعل، وسعوا إلى تحديد شروطه ودلالاته البلاغية⁽³⁶⁾ فرأوا أن العلة الرئيسية فيها هي العلم به، لقوة الدلالة عليه، فحذف إيجازاً واختصاراً، وقد تزايد على ذلك معانٍ أخرى يحددها المعنى والسياق.

ويعمد الشاعر - في بعض الأحيان - إلى حذف المسند (الفعل) من الجملة، ويبقى الفاعل دليلاً على عملية الحذف، ويفسر الفعل المحذوف بما ذكره من القرائن اللفظية أو المقامية في الصياغة، فليس الدافع وراء ذلك إلا الإيجاز، ووضعنا وجهاً لوجه مع الفاعل، مما يجعله في بؤرة اهتمام المتلقي، ويمنحه دوراً دلاليّاً متميزاً في الصياغة.

ومن حذف الفعل قول أبي ذؤيب: (37)

لَقَالَ الْأَبَاعِدُ وَالشَّامِتُونَ *** نَ كَانُوا كَلِيلَةَ أَهْلِ الْهَزَرِ

في البيت ورد حذف الفعل في قوله (والشامتون) والتقدير: (وقال الشامتون)، اعتماداً على القرينة اللفظية في الجملة الأولى الفعل (لقال الأبعاد)، وحذف الفعل سلب الأضواء على الفاعل، وجعله أكثر بروزاً وحضوراً في ذهن المتلقي، فالشاعر يذكر أن الأبعدين والشامتين يقولون عن حالهم: إنهم كانوا كليلة أهل الهزر، أي في ليلة شديدة السوء والهلاك، والمراد أنهم

³⁴ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 65-66

³⁵ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 75

³⁶ - ينظر: سيبويه، الكتاب، 1/257-258-273-274، و أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سفيان الأنباري، أسرار العربية، تحقيق. محمد بهجت

البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، (د-ط)، (د-ت)، ص 163

³⁷ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 78 أهل الهزر: واقعة كانت لهذيل قديمة

في حالة يرثى لها بسبب ما أصابهم.

وقوله: (38)

لَا تَذْكُرَنَّ أَخْتَنَا إِنَّ أَخْتَنَا يَعْزُّ عَلَيْنَا هُونُهَا وَشَكَائُهَا ***

فالفعل (يعز) حذف قبل (شكاؤها)، ويفسر بالفعل (يعز)؛ الذي جاء متقدماً في الصياغة، وورد هذا البيت في قصيدة قالها عندما خان خالد بن زهير أبا ذؤيب في أم عمرو، وحين تردى خالد في الخيانة، انبرى أحد كبار هذيل، وهو معقل بن خويلد له هاجياً مستنكراً، فرد عليه خالد رداً قاسياً، فيه مساس ببنات معقل ونسائه، فلما بلغ أبا ذؤيب ذلك خشي أن يتفاقم الأمر، فقال هذه القصيدة يصلح بين معقل بن خويلد وبين خالد بن زهير.

حذف المسند والمسند إليه:

ومثال ذلك قول أبي ذؤيب: (39)

فَقُلْتُ لَهَا فَقَدْ الْأَحَبَّةُ إِنَّنِي *** حَرِيٌّ بِأَرْزَاءِ الْكَرَامِ جَدِيرٌ

حذف الشاعر الفعل والفاعل والمفعول به (أصابني) من الشطر الأول، والتقدير: (فقد الأحبة أصابني)، والحذف يركز على الحدث الرئيس (فقد الأحبة)؛ لأنه هو الذي غير الشاعر، وأصابه بهذا الحزن العميق.

الحذف في متعلقات الجملة:

لا تقتصر الجملة على المسند والمسند إليه فقط، بل قد تتضمن عناصر أخرى تؤثر في المعنى، رغم أنها لا تُعد من عناصر العمدية، فكل ما يكمل المعنى في الجملة دون أن يكون أساسياً فيها يُسمى متعلقات الجملة، وقد أطلق النحويون على هذه العناصر مصطلح (الفضلة) وهي في نظرهم ما يمكن الاستغناء عنه دون أن يختل التركيب الأساسي للكلام⁽⁴⁰⁾. وهناك من قيد جواز حذفها بعدم وجود مانع يمنعها من ذلك، فإذا وجد المانع امتنع حذفها.⁽⁴¹⁾

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالفضلة ما توقف صحة الكلام عليه، وإن لم يكن ركناً في الإسناد فلا يجوز حذفها إلا إذا كانت هناك قرينة تدل عليها.⁽⁴²⁾ إذ من الفضلات ما تستلزم الذكر أو التقدير إذا كانت مقصودة في المعنى والسياق، بل إن المعنى ينتقص بحذفها، أو عدم تقديرها.

حذف المفعول به:

لا يكتمل معنى الفعل المتعدي في حال غياب مفعوله عن السياق، غير أن حذف هذا المفعول قد يكون مقصوداً من قبل المبدع، رغبةً في إبراز الفعل منسوباً إلى فاعله فقط، دون الحاجة إلى التصريح بمن وقع عليه الفعل، وكما يُقصد من ذلك أحياناً إضفاء صفة اللازمية على الفعل المتعدي، ليعامل معاملة الفعل اللازم الذي يكتفي بفاعله ولا يحتاج إلى مفعول به الذي يصير "تسياً منسياً"، كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل، فلا يذكر المفعول، ولا يُقدَّر؛ غير أنه

³⁸ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 119

³⁹ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 62

⁴⁰ - ينظر: ابن يعيش محمد بن علي، شرح المفصل، 2/ 39

⁴¹ - ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن محمد بن مالك، شرح الفية ابن مالك، ابن الناطم، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط(1)، 2003م، ص 98

⁴² - ينظر: محمد بن علي الصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د-ط)، (د-ت)، 2/

لازم الثبوت عقلاً لموضوع كل فعل متعدٍ (43)

ويُجيز النحاة حذف المفعول به إذا دلّ عليه دليل في السياق، ولم يترتب على حذفه إضرار بالمعنى، أما إذا كان في حذفه إخلال بالفائدة فلا يجوز ذلك، ومن مواضع امتناع الحذف: أن يقع المفعول به جواباً لسؤال، كقولنا: (من ضربت؟) فيكون الجواب: (ضربت زيداً)، أو أن يكون محصوراً كما في قولنا: (ما ضربت إلا زيداً)، ففي هذين الموضعين لا يصح حذف المفعول؛ لأن المعنى لا يكتمل بدونه (44).

وقد ورد حذف المفعول به في ديوان أبي ذؤيب الهذلي على صورتين من حيث الموقع: أولهما حذفه في حشو البيت - صدره أو عجزه -، وثانيهما في نهاية البيت؛ حيث ترد كلمة القافية عارية عن المفعول به، وفي هذه الصورة تكون الدلالة الشكلية المتعلقة برعاية النظم أو الوزن أساسية في تقليل الحذف بالإضافة إلى غيرها من الدلالات السياقية التي يمكن الوقوف عليها من تتبع بنية الدوال اللغوية في البيت الشعري، وتتبع العلاقات الترابطية بين الحاضر والغائب المذكور والمحذوف.. فمن حذف المفعول به قول أبي ذؤيب: (45)

جمالِك أيها القلب القريح *** ستلقى من تُحب فتستريحُ

ورد الحذف في المفعول به الذي جاء بعد الفعل (تحب)، والحب ضد الكره، واسم الموصول (من) جاء مفعول به حل محل مفعول الفعل (تحب)، والأصل في الكلام: تحب أم عمرو، كما حذف عامل نصب المفعول المطلق "جمالِك"، وأصل الكلام: تَجمل جمالِك، وعلى مستوى الدلالة فقد حقق هذا الحذف جمالاً يؤديها النداء الذي وجهه الشاعر لقلبه يواسيه طالباً الصبر والجلد على فراق الآخر له. فهذا النداء جاء لأجل المواساة، وإزالة الحزن والأسى الذي يعيشه الشاعر، فطبيعته ونفسيته وراء اختيار هذا النوع من الأسلوب، فهو لا ينظر إلى محبوبته فقط؛ لأن صورة المتلقي تتراءى أمامه، ولا تغيب عنه فالمتلقي هو الغائب الحاضر.

أما الصورة الموقعية الثانية التي ورد عليها حذف المفعول به في الديوان، فهي حذفه من الفعل الذي يختم به البيت الشعري، وهي صورة كثيرة الدوران، ليس في شعر أبي ذؤيب وحده، بل في الشعر العربي القديم، والسبب في ذلك واضح، وهو النظام الوزني للقصيدة العربية القديمة، ومن ثم تكون دلالة الحذف - هنا - منصرفة إلى الناحية الشكلية، أو الوزنية، وإن كان ذلك لا يمنع من وجود دلالات سياقية؛ كالإعلان عن شدة الحب والوجد في قوله: (46)

فَبَيْنَا يَمْشِيَانِ جَرَتْ عُقَابٌ *** مِنَ الْعُقْبَانِ خَائِتَةٌ دَفُوفُ

فَقَالَ لَهُ وَقَدْ أَوْحَتْ إِلَيْهِ *** أَلَا لِلَّهِ أَمَّاكَ مَا تَعِيفُ

وذلك في قوله (تعيف)، والتقدير (تعيفه)، ويصف الشاعر في هذين البيتين ما أوحى به العقبان في هذه الأرض الخالية، وحتى يلتفت الشاعر القارئ أو السامع إلى قيمة ما ستوحى به العقبان إليه وظف حرف الاستفتاح (ألا)، وقدمه على شبه الجملة (لله) لتقوية الفكرة، والتلميح إلى خطورة ما سيسمع أو عظمة الخبر الذي ستأتي به هذه العقبان، في هذا المكان الطلل، ثم جاء حذف المفعول به الذي حقق دلالة سباقاً؛ كوسيلة للفت انتباه المتلقي، كما حقق وظيفة إيقاعية تمثلت في مراعاة الوزن والمحافظة على قافية الفاء.

43 - محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، 175/3، دار المعرفة، ط (2) 1972م

44 - ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل رح ابن عقيل، تحقيق. محمد محبي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط (20)، 1980م/155 - 156

45 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 99

46 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 105

الحذف في التركيب الوصفي:حذف الموصوف:

يُعدّ التركيب الوصفي أحد الثنائيات اللغوية التي يتلازم طرفاها تلازماً وثيقاً، إذ ترتبط الصفة بالموصوف ارتباطاً يجعل منهما وحدة متكاملة لا تتفصل ولا تتجزأ، ومن ثم فإن العلاقة بين المفرد ومنعوتة تُشبه العلاقة بين الشيء وذاته، لما بينهما من ترابط دلالي لا يقبل الانفصام⁽⁴⁷⁾ ولذا لم تحذف العربية الفصل بينهما بالجملة الاعتراضية، وإذا حدث ذلك عد من باب العيب الذي ينزل بالتركيب نحو الخطأ، وبالمثل امتنع فيها كذلك حذف أي منهما، والعلّة في ذلك أن الصفة والموصوف لما كانا كاشيء الواحد من حيث كان البيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما كان القياس أن لا يحذف واحد منهما؛ لأن حذف أحدهما نقض للغرض، وتراجع عما اعتزموه.

فالموصوف القياس يأبى حذفه لما ذكرناه؛ ولأنه ربما وقع بحذفه لبس⁽⁴⁸⁾ وينتج عن ذلك أن حذف أحدهما يعد من الضرورات الشعرية، أو الانحرافات التي تأخذ شرعيتها من خصوصية اللغة الشعرية، وتميزها عن غيرها، وإلى هذا- عدم حذف أي من طرفي المركب الوصفي- ذهب غير واحد من علماء العربية، في حين أجاز الزجاج من إعرابه القرآن، وعده حسناً من جملة محاسن الفصاحة والبلاغة⁽⁴⁹⁾

فالحذف ينتج عدداً من الدلالات التي تدور حول المديح والغزل والهجاء والتخصيص، وغيرها من الدلالات التي يتولى السياق الشعري إبرازها.

ومن نماذج حذف الموصوف في ديوان أبي ذؤيب قوله: (50)

لَعَمْرُكَ مَا عَيْسَاءُ تَتَّبَعُ شَادِنًا *** يَعْنُ لَهَا بِالْجِرْعِ مِنْ نَحْبِ النَّجْلِ

في قوله: (عيساء)، وهي الطيبة البيضاء، وقوله(شادناً) وهو الطبي الصغير، فحذف الموصوف في الكلمتين واكتفى بذكر صفة كل منهما؛ ليركز على نقل الحالة التي كانت عليها الطيبة، وخوفها من حبل الصائد، وهي في حالة ذعر وترقب لحبل الصائد، فهي تخشى في كل لحظة أن ينقض عليها.

وقوله: (51)

فَإِنْ تَصْرِمِي حَبْلِي وَإِنْ تَتَبَّلِي *** خَلِيلاً وَإِذَا كُنَّ سَوْءَ قُصَارُهَا

في قوله: (خَلِيلاً) ويقصد (رجلاً خليلاً) فقد حذف الموصوف، وهو الشاعر نفسه، واكتفى بذكر الصفة، فالشاعر يعاتب الحبيبة ويلومها على علاقتها الفاترة معه، فهو يحبها على وجل، ويترقب بخوف ذلك اليوم التي تقطع فيه حبل الود، فيحاول جاهداً تهئية نفسه لذلك الموقف، بالادعاء بأنه سيقابل هجرانها وجحودها بالمثل، ولن يقيم وزناً لمن خانتها، ولن يبكيها، ولن يستجدي وصالها.

وقوله: (52)

⁴⁷ - ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، 185، دار غريب، ط(2)، 1997 م، ص 185

⁴⁸ - ينظر: موفق الدين بن علي ابن معين، شرح المفصل، مكتبة المثنى، القاهرة، (د-ط)، (د-ت)، 59 / 3

⁴⁹ - عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، 1998 م، ص 76

⁵⁰ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 69

⁵¹ - أبو ذؤيب، الديوان، ص 66

وَمُدَّعَسٍ فِيهِ الْأَنْيَضُ إِيحْتَقَيْتَهُ *** بِجَرْدَاءٍ يَنْتَابُ الثَّمِيلَ جِمَارُهَا

في قوله (بجرداء)، ويقصد (صحراء جرداء) فحذف الموصوف، وذكر الصفة؛ ليدل على أن لا نبات فيها ولا ماء، مما دفع بحمار الوحش إلى البحث عن بقايا المياه القليلة في الغدران والأودية ففي هذا المكان الموحش يصف حاله، فهو يخشى أن يغير عليه العدو، فيعجل في استخراج اللحم من مشواه قبل نضجه خوفاً من الانتظار، فيهلكه العدو، وفي قوله: (وَمُدَّعَسٍ فِيهِ الْأَنْيَضُ) إشارة إلى التعجيل في إخراج اللحم الذي لم يبلغ النضج.

حذف الصفة:

أشار سيبويه إلى حذف الصفة "وإلى ما فيه من بلاغة لا تتوافر مع وجودها، وأن هذه البلاغة يستشعرها المخاطب، بل القائل نفسه إذا تأملها" (53)، وذكر المخاطب هنا إنما يلمح إلى خاصية مهمة من خواص النص الشعري الحي، وهي خاصة ربط المتلقي بالنص، وتفعيل دور العلاقة الجدلية بينهما، وإسهامه في إنتاج الدلالة باستشعاره موضع الحذف وأهميته في السياق.

أما بالنسبة للمبدع فإنه عندما يلجأ إلى حذف الصفة فإنما يريد - في المقام الأول - الموصوف وما يحاط به من دلالات، وأجد ذلك عند أبي ذؤيب الهذلي في عدة سياقات، ومن ذلك حديثه عن الماضي الذي ذهب ويتمنى رجوعه، والأزمان الماضية بما فيها من ذكريات جميلة يجد في الحديث عنها السلى والقدرة على تحمل الحاضر بأعبائه وآلامه وذلك في مثل قوله: (54)

أَلَا زَعَمْتَ أَسْمَاءُ أَنْ لَا أُحِبُّهَا *** فَقُلْتُ بَلَى لَوْلَا يُنَازِعُنِي شُغْلِي

في قوله (شغلي) ذكر الموصوف، وحذف الصفة، ويقصد (شغلي الكثير)، ليلفت إلى الموصوف وهو انشغاله عن أسماء، فهي التي تجري وراء الشاعر، وتعتب عليه قلة الوصال، وهو يعتذر لها بكثرة أشغاله وأعماله التي صرفته عن حبها. وقوله: (55)

دَيَارُ الَّتِي قَالَتْ غَدَاةً لَقَيْتُهَا *** صَبَوْتُ أَبَا ذَنْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرُ
تَغَيَّرْتُ بَعْدِي أَمْ أَصَابَكَ حَدِثٌ *** مِنْ الْأَمْرِ أَمْ مَرَّتْ عَلَيْكَ مَرُورُ

في قوله: (أصابك حادث)، و(مرت عليك مرور)، ذكر الموصوف، وحذف الصفة ويقصد (أصابك

حادث شديد)، و(مرور سريع)، فالشاعر يبحث عبر الماضي الذي تمنى عودته وتحوله إلى واقع يكسر كل آفاق الخيال والوهم، ويعود بنا إلى الماضي في حالة من التأمل والاستغراق والصبابة حتى يبعث في تلك اللحظات نبضها الدافق ويضخ في أطلالها فيض الحياة واستمرار الوصال.

الحذف في التركيب الإضافي:-

يُعد التركيب الإضافي من الثنائيات اللغوية التي يتلازم طرفاها تلازماً وثيقاً، إذ يصحب أحدهما الآخر في بنية متكاملة، وتقوم الدلالة فيه على تلك المصاحبة التي تنشأ من السبك والتلاحم بين المضاف والمضاف إليه اللذين يصيران "بمنزلة صدر الكلمة من عجزها". (56)

52 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 68

53 - عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 75

54 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 69

55 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 62

56 - ابن جني، الخصائص، ت محمد النجار، عالم الكتب، بيروت، 1983م، 2/ 183

ولذا "قوي الارتباط بينهما في علاقة لغوية وثيقة بلا واسطة أو فاصل قبيح يفصل بينهما" (57) وإذا كان الفصل قبيحاً فإن في حذف أحدهما قبحاً، ربما تجاوزت عنه اللغة الشعرية بمآلها من خصوصية وتميز عن لغة الخطاب العادي (المعياري)، وتلك الدلالات يتم التوصل إليها من خلال ملاحظة السياقي العادي (المعياري). وقد ورد حذف المضاف إليه في قوله: (58)

أَمِنْ أَمْ سُفْيَانٍ طَيْفٍ سَرَى *** هُدُوءاً فَأَرْقَ قَلْباً قَرِيحاً

ورد حذف المضاف إليه (ياء المتكلم) في قوله: (قلبا)، ويقصد (قلبي)؛ فقد ارتبط الطيف بوقفة طليعة، حاول أبو ذؤيب تحديد ملمحها من خلال ذلك الخيال الزائر لأَمْ سَفْيَانٍ، الذي يتبعه في جوف الليل، حتى إنه يتمنى رجوعه سليماً، ومن الممكن أن تكون زيارة الطيف في عالم الأحلام تعويضاً عن اللقاء في دنيا الواقع. وقوله: (59)

فَأَنِّي إِذَا مَا خُلَّةً رَبْتُ وَصَلُهَا *** وَجَدْتُ بِصُرْمٍ وَاسْتَمَرَّ عِذَاهَا

ورد حذف المضاف إليه (ياء المتكلم) في قوله: (بصرم)، ويقصد (صرمي)، ويكشف البيت عن طبيعة العلاقة بين الذات الشاعرة والآخر في قلقها، واضطرابها الشعوري المرير، فكل من هذه المقتضيات الأسلوبية القائمة على التنافر والتضاد بينت حالة الذهول والاستغراب التي آل إليها أبو ذؤيب، فهو يتذكر مشاهد الوصال، وعزم الآخر على البعد والجفاء، للكشف عن حدة الصراع النفسي الذي يكابده الشاعر أمام الطلل، وفراق الأحبة والخلان.

الحذف في الأدوات والحروف:

عمد أبو ذؤيب في بنائه لبعض التراكيب اللغوية إلى حذف بعض الأدوات ففي قوله: (60)

أَلَا زَعَمْتَ أَسْمَاءُ أَنْ لَا أُحِبُّهَا *** فَقُلْتُ بَلَى لَوْلَا يُنَازِعُنِي شُعْلِي

في الشطر الثاني حذف الشاعر الحرف "لم" في لفظة "لولا" التي في الأصل "لا يناسب معناها سياق العبارة، ف(لولا) في البيت بمنزلة قولك (لولا لم) وهذا يعني امتناع حدوث المحبة وحصولها لامتناع انشغال الشاعر. وفي الشطر الثاني ذاته نجد حذف جملة جواب الشرط للدلالة عليها سابقاً بلفظة (بلى)، والتقدير (لولا ينازعني شعلي لقلت أحبها).

فأبو ذؤيب يؤكد تمنعه في إظهار حبه لأسماء؛ إذ يبدو دائماً في صورة الضعيف الذي يطلبه الآخر، لا الطالب له، فهو يقر بملاحقة إحداهن له، ويعتذر بكثرة مشاغله عن مطارحتها الغرام، فهي الطالبة، وهو المطلوب، وهي صورة معاكسة للمحبين.

استنتج مما سبق أن شعر أبي ذؤيب لم يقتصر على نوع واحد من أنواع الحذف، بل شمل أنواعاً عدة من الحذف، وقد زاده هذا روعة في الأسلوب، ودقة في التعبير، ووضوح الدلالة، ولم يقتصر الحذف في ديوان أبي ذؤيب على تماسك النص، بل يضيف سهولة لدى المتلقي لمعرفة الغرض من النص وبيان دلالاته؛ لأن "السمة التركيبية لنسق الحذف تنهض بحشد من القيم الجمالية الدلالية" (61)

57 - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 168

58 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 109

59 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 66

60 - أبو ذؤيب، الديوان، ص 69

61 - وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي، خصائص الأسلوب في شعر البحتري، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 2011م، ص 261

الخاتمة

بعد استعراض موضوع الحذف في شعر أبي ذؤيب الهذلي، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يمكن سردها على النحو التالي:

النتائج:

1. يعد الحذف من أهم ظواهر التركيب والبناء على صعيد اللغات عامة، واللغة العربية بشكل خاص، لما تشكله هذه الظاهرة من أهمية كبيرة في أداء الكلام على نحو بديع.
2. إن النحاة واللغويين والبلاغيين حينما حذفوا وقدرروا كانوا على أصول مقررة فقاموا بالنظير على النظير، واستدلوا بالحاضر على الغائب، ورأوا المحذوف في المذكور.
3. إن الحذف من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك عبر آفاقه القرائية الكثيرة مواضع الحذف، وكيفية قيامه بوظائف إبلاغية وبلاغية متعددة.
4. لم يكن الحذف في شعر أبي ذؤيب ضعفاً في البيان، بل كان أسلوباً يهدف إلى إثارة ذهن المتلقي واستدعاء المشاركة في استكمال المعنى.
5. أدى الحذف في شعر أبي ذؤيب إلى تنامي البعد الدلالي والإيحائي بحيث يتجاوز المعنى الظاهر إلى مستويات أكثر عمقاً من التعبير الوجداني والفكري.

التوصيات:

1. ضرورة توسيع الدراسات المختلفة للحذف في شعر الهذليين بشكل عام لبيان مدى تميز كل شاعر عن الآخر في توظيف هذه الظاهرة الأسلوبية المهمة.
2. وجوب تشجيع الباحثين على الربط بين التحليل النحوي والدلالي في دراسة موضوع الحذف كون القيمة الجمالية لا تنفصل عن المعنى والسياق.
3. ضرورة كتابة أبحاث ودراسات خاصة بالحذف لإثراء المكتبة العربية بهذه الدراسات المهمة والمميزة.

المراجع

أولاً: المصادر والمعاجم

1. الجوهري، إ. ب. ح. (د.ت). *الصاحح في اللغة*.
2. ابن منظور، م. ب. م. (د.ت). *لسان العرب*. دار صادر.
3. إبراهيم مصطفى، و الزيات، أ. ح. (د.ت). *المعجم الوسيط*. مجمع اللغة العربية.

ثانياً: كتب النحو واللغة

4. سيبويه. (د.ت). *الكتاب*.
5. ابن مضاء القرطبي. (1979). *الرد على النحاة* (تح. م. إبراهيم البناء). دار الاعتصام.

6. الأنباري، أ. ب. ع. ر. م. ب. أ. س. (د.ت) أسرار العربية (تح. م. ب. البيطار). مطبوعات المجمع العلمي العربي.
7. ابن يعيش، م. ب. ع. (د.ت) شرح المفصل.
8. ابن معين، م. ع. (د.ت) شرح المفصل. مكتبة المثنى.
9. الزركشي، ب. م. ع. (1957). البرهان في علوم القرآن (تح. م. أبو الفضل إبراهيم). دار إحياء الكتب العربية.
10. الزركشي، م. ب. ع. (1972). البرهان في علوم القرآن (تح. م. أبو الفضل إبراهيم). دار المعرفة.
11. ابن الناطم، ب. م. ب. م. (2003). شرح ألفية ابن مالك. دار إحياء التراث العربي.
12. ابن عقيل، ب. ع. (1980). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تح. م. م. ع. الحميد). دار التراث.
13. الصبان، م. ع. (د.ت). حاشية الصبان على شرح الأشموني (تح. ط. ع. ر. سعد). المكتبة التوفيقية.

ثالثاً: المصادر البلاغية والنقدية

14. الجرجاني، ع. ق. (د.ت) دلائل الإعجاز.
15. ابن الأثير، ض. د. (1995). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (تح. م. م. ع. الحميد). المكتبة العصرية.
16. حبنكة الميداني، ع. ر. (1986). البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد.
17. فضل، ص. (1992). بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة.
18. سليمان، ف. (2004). الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية. مكتبة الآداب.
19. حمدان، أ. أ. (1997). الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي. دار القلم العربي.
20. عبد المطلب، م. (1995). البلاغة العربية: قراءة أخرى. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
21. عبد المطلب، م. (1995). قراءات أسلوبية في الشعر الحديث. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
22. السعدني، م. (1987). البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث. منشأة المعارف.
23. الفقي، ص. إ. (د.ت). علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق.
24. حسين، ع. ق. (1998). أثر النحاة في البحث البلاغي. دار غريب.
25. حميدة، م. (1997). نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. دار غريب.
26. حمودة، ط. س. (1998). ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع.
27. ناصف، ع. ن. (1957). من قضايا اللغة والنحو. مكتبة نهضة مصر.
28. عبد اللطيف، م. ح. (1996). بناء الجملة العربية. دار الشروق.

رابعاً: المصادر التراثية الأدبية

29. أبو حيان الأندلسي. (2000). البحر المحيط. دار الفكر.

30. العلوي. (د.ت). الطراز.

31. ابن الأثير. (د.ت). المثل السائر.

32. أبو ذؤيب الهذلي. (د.ت). ديوان أبي ذؤيب الهذلي.

خامساً: الدراسات الجامعية والمجلات

33. العملة، ج. ع. م. (2017). الحذف في شعر العباس بن الأحنف: دراسة نحوية دلالية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الخليل.

34. آيت الشاري، ع. ع. (2024). التأويل النحوي بالحذف في شعر المتنبي من خلال شرح ابن جني الكبير المسمى بـ«الفسر». «مجلة المعرفة»، (19)، 833.

35. الزبيدي، و. ع. م. ي. (2011). خصائص الأسلوب في شعر البحتري. منشورات المجمع العلمي العراقي، 261.

عنوان البحث

الطبيعة البشرية بين نقيضين (الثالوث المضيء مقابل المظلم للشخصية)

ا.م.د. بيداء هاشم جميل¹

¹ هيئة البحث العلمي، بغداد، العراق

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/52>

<https://arsri.org/10000/611/52> المعروف العلمي العربي للأبحاث:

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

استهدف البحث التعرف على الثالوث المضيء للشخصية وفقاً لأبعاده الثلاث (الإنسانية، الإيمان بالخير البشري، الإنسان كغاية بحد ذاته) لدى طلبة الجامعة، وهل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الثالوث المضيء للشخصية وفق متغير الجنس، والتعرف على الثالوث المظلم للشخصية وفقاً لأبعاده الثلاث (الانرجسية، الميكافيلية، الاعتلال النفسي)، وهل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الثالوث المظلم للشخصية وفق متغير الجنس، وهل هناك علاقة ارتباطية بين سمات الثالوث المضيء وسمات الثالوث المظلم للشخصية، وقد تألفت العينة من (265) طالباً جامعياً الإناث (137) و الذكور (128)، وقد أجابوا على مقياس الثالوث المضيء ومقياس الدزينة القذرة لقياس سمات الثالوث المظلم وكانت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: أن طلبة الجامعة يمتلكون درجة قليلة من سمتي الإنسانية والإنسانية والإنسان كغاية بحد ذاته، باستثناء الإيمان بالخير البشري فكان بدرجة عالية، في حين يمتلكون السمات المظلمة الثلاث للشخصية بدرجة عالية، كما يوجد ارتباط بين سمات الشخصية للثالوث المظلم (الميكافيلية والانرجسية والاعتلال النفسي) والثالوث المضيء (الإيمان بالإنسانية والإنسانية والإنسان كغاية بحد ذاته) لدى الطلبة باستثناء سمة الإنسانية عدم وجود ارتباط ذات دلالة بكل من سمتي الانرجسية والاعتلال النفسي، وسمة الإنسان كغاية بحد ذاته بسمة الاعتلال النفسي، مما يشير إلى أن الأفراد قد يظهرون تفاعلاً معقداً بين السمات الإيجابية والسلبية، والتي يمكن أن تكون مؤثرة بشكل متبادل، ومن المتوقع ظهور اختلافات بين الجنسين في السمات الشخصية للثالوث المظلم والثالوث المضيء إذ أظهرت النتائج عن فروق لصالح الذكور في سمة الثالوث المظلم (الميكافيلية) في حين لا توجد فروق ذات دلالة في سمات الثالوث المضيء باستثناء سمة الإنسان كغاية بحد ذاته و لصالح الإناث.

الكلمات المفتاحية: الثالوث المضيء للشخصية؛ الثالوث المظلم للشخصية؛ الميكافيلية؛ الانرجسية؛ الاعتلال النفسي؛ فروق الجنس؛ طلاب الجامعة.

RESEARCH TITLE

Human Nature Between Contraries (The Light Triad Vs the Dark Triad of Personality)

Asst. Prof. Dr. Baidaa Hashim Jameel¹

¹ Scientific Research Commission / Baghdad – Iraq

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/52>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/52>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

The study aimed to explore the Light Triad of personality according to its three domains (humanism, faith in humanity, and human as an end in itself) among university students, and whether there are statistically significant differences in the Light Triad traits based on gender. It also to identify the Dark Triad of personality according to its three traits (narcissism, Machiavellianism, and psychopathy), and whether there are statistically significant gender-based differences in these traits. Additionally, the study examined the correlation between the traits of the Light Triad and the traits of the Dark Triad. The sample consisted of 265 university students (137 females and 128 males), who responded to the Light Triad Scale and the Dirty Dozen Scale for measuring Dark Triad traits. The most important results of the research were: University students possess a low degree of humanism and human as an end in itself, while faith in human goodness was high. In contrast, the students showed high levels of the three dark triad traits of personality. Additionally, there was a correlation between the dark triad traits (Machiavellianism, narcissism, and psychopathy) and the bright triad traits (faith in humanity, humanism, and viewing the human as an end in themselves), except for the humanism trait, which showed no significant correlation with either narcissism or psychopathy. Similarly, the trait seeing the human as an end itself showed no significant correlation with psychopathy. This indicates that individuals may exhibit a complex interaction between positive and negative traits, which may mutually influence one another. Gender differences were also expected in the personality traits of both the dark and bright triads. The results revealed statistically significant differences in favor of males in the dark triad trait (Machiavellianism), while no significant gender differences were found in the bright triad traits, except for the trait seeing the human as an end in itself, which favored females.

Key Words: Light Triad; Dark Triad; Machiavellianism; Narcissism; Psychopathy; Gender differences; University students.

أهمية البحث والحاجة اليه:

تمثل الشخصية محورا مركزيا في علم النفس ،اذ تحدد سمات الشخصية اسلوب تفكير الفرد و شعوره وسلوكه في المواقف الحياتية المختلفة، وفي العقود الأخيرة تطورت دراسة الشخصية لتشمل الجوانب الإيجابية (المضيئة) وليس الجوانب السلبية (المظلمة) فقط، وفي هذا السياق برز في الادبيات النفسية مفهومان متقابلان هما (الثالوث المضيء والثالوث المظلم) اللذان يعكسان توجهين نفسيين وسلوكيين متناقضين، وتعد المرحلة الجامعية من المراحل النمائية ذات الأهمية على المستويين النفسي والاجتماعي اذ تشهد تغيرات معرفية وانفعالية وسلوكية متسارعة، تتجلى في التكوين الذاتي وبلورة الهوية، واختبار الأنماط السلوكية والاجتماعية، وتعد سمات الشخصية من المتغيرات الجوهرية التي تؤثر في كيفية تفاعل الفرد مع هذه المرحلة ،اذ تتفاوت بين سمات إيجابية تعزز التكيف وأخرى سلبية تعيق النمو السليم، ويعد فهم الشخصية لدى الشباب الجامعي امرا حاسما وفقا لما ذكر آنفا ،اذ يتباين الطلبة الجامعيون في توجهاتهم النفسية ،و تظهر لدى بعضهم سمات تتصل بالثالوث المظلم في حين يميل اخرون الى اظهار سمات تتصل بالثالوث المضيء مما يؤثر في توافقاتهم النفسية والاجتماعية والاكاديمية، اذ يتميز الافراد الذين يحملون سمة الإنسانية والايمان بالخير البشري بالرحمة وقبول الآخر والتعاطف والايثار والتسامح ومرونة في حل الصراعات والنزاعات التي من الممكن ان تحدث والميل الى اعمال الخير والعمل الجماعي، فضلا عن ذلك يعملون على تعزيز جو من الاحترام المتبادل الغير مشروط وتقديم الدعم النفسي للآخرين، وذوي نظرة تفاؤلية وثقة بالآخرين، كما يظهرون احترام عالي لحقوق الافراد الآخرين ،مما يخلق حالة من الرضا النفسي عن حياتهم وقدرة عالية على تحمل الضغوط، والتمتع بعلاقات إيجابية وبناءة، اما الافراد الذين يحملون سمة النرجسية يسعون الى التفوق والتميز بغية حب الظهور والإشارة اليهم، ويمكن ملاحظة تلك السلوكات في حالات التنافس (المنافسة)، والانزعاج من أي نقد ممكن ان يوجه اليهم، اما الافراد الذين يحملون سمة الميكافيلية يسعون بشتى الوسائل لتحقيق أهدافهم عن طريق الغش والاستغلال والتلاعب والانتهازية أي التأكيد على أهمية توظيف الخداع والقوة لتحقيق الغايات ولا يهتمون او يتعاطفون مع الآخرين اذ يتمتعون بقلّة الضمير، في حين نجد الافراد الذين يحملون سمة الاعتلال النفسي يمتازون بسلوكاتهم الاندفاعية والعنصرية بشتى اشكالها وانعدام الشعور بالذنب إزاء ما يسلكون ،مما يؤشر الى ضعف عالي في مهاراتهم الاجتماعية والمعانة من اعراض مختلفة كالقلق والوحدة والاكتئاب فضلا عن السلوكات الخطرة المعدومة الضمير، وان العلاقات تعد وسائل لتحقيق المكاسب الشخصية (Paulhus&Williams, 2002, p559)

وسائل لتحقيق المكاسب الشخصية (Kaufman&Etal, 2019, p467)

وقد تناولت العديد من الادبيات ثالوثي الشخصية (المضيء والمظلم نذكر منها دراسة كل من الباحثين التي استهدفت تحديد أنماط المخاطر بناء على درجات (Fernández-del-Río et al. (2020 عينة من طلبة الجامعة الاسبانية في سمات ثالوث الشخصية المظلم (النرجسية، الماكافيلية، الاعتلال النفسي) والتي اسفرت عن علاقة ارتباطية عالية بين (الميكافيلي والنرجسي) والعنصرية، وضعف الضمير، وسلوكات الانترنت الخطرة.

فقد تناولت تطوير مقياس مختصر يعرف (Jonason & Webster (2010 اما دراسة قام بها كل من باسم الدزينة القدرة لقياس سمات الشخصية المظلمة لدى طلبة الجامعة ، و اسفرت النتائج عن ان الطلبة

الحاصلين على درجات مرتفعة في هذه السمات يُظهرون ميولاً للاستغلال، وانخفاض في التعاطف، وسلوكيات سلبية في العلاقات، في حين استهدفت دراسة أخرى لكوفمان وآخرين 2019 المقارنة بين سمات الثالوث المضيء وسمات الثالوث المظلم والتي طبقت على عينة كبيرة من طلبة الجامعات الأمريكية، التي أسفرت عن أن طلبة الجامعة ذوي الدرجات العالية في السمات المضيئة يميلون إلى الرضا عن الذات، التعاون، والتسامح، في حين ارتبطت السمات المظلمة بالأناية وتجنب الالتزامات الأخلاقية، واستهدفت دراسة أخرى بنية سمات الشخصية المضيئة لدى عينة من طلبة الجامعة الصربية، والتي أسفرت عن ارتباط تلك السمات بحيوية الضمير والاستقرار العاطفي، والانفتاح، وتعد مستقلة نظرياً وإحصائياً عن سمات الشخصية المظلمة ل .

Lukić & Živanović (2021) (Fernández-del,2020, p1) (Jonason& Webster, 2010,p420)
(Lukić& Živanović, 2021, p3) (Kaufman&Etal,2019, p467)

و تكمن أهمية البحث في انه يلقي الضوء على السمات (المضيئة و المظلمة) للشخصية من اجل فهم اعمق و اشمل لطبيعة الانسان ،اذ يتيح الجمع بينهما الى رؤية اكثر توازنا وعمقا للشخصية البشرية (فهم الدوافع و السلوكيات)، أي فهم النفس البشرية بتناقضاتها وبعيدا عن السطحية في التصنيفات، مما يساعد في التعرف و التشخيص المبكر للاضطرابات التي ترتبط بالسمات المظلمة (كاضطراب الشخصية النرجسية و اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع) وتشخيص السلوكات السامة والخطرة ، وفي المقابل تعزيز السمات المضيئة اي تعزيز الاتجاهات الإيجابية في المجتمع الجامعي

اهداف البحث:

استهدف البحث الحالي:

- التعرف على الثالوث المضيء للشخصية وفقا لأبعاده الثلاث (الإنسانية، الايمان بالخير البشري، الانسان كغاية بحد ذاته) لدى طلبة الجامعة.
- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الثالوث المضيء للشخصية وفقا لأبعاده الثلاث (الإنسانية، الايمان بالخير البشري، الانسان كغاية بحد ذاته) وفق متغير الجنس؟
- التعرف على الثالوث المظلم للشخصية وفقا لأبعاده الثلاث (النرجسية، الميكافيلية، الاعتلال النفسي) لدى طلبة الجامعة؟
- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الثالوث المظلم للشخصية وفقا لأبعاده الثلاث (النرجسية، الميكافيلية، الاعتلال النفسي) وفق متغير الجنس؟
- هل هناك علاقة ارتباطية بين سمات الثالوث المضيء وسمات الثالوث المظلم للشخصية؟.

حدود البحث:

تحدد البحث الحالي بطلبة جامعة بغداد الدراسة الصباحية للعام الدراسي 2024-2025

تحديد المصطلحات:**لشخصية المضيئة: (Light Triad)**

نسق من السمات الإيجابية يتمثل في احترام الكرامة الإنسانية والإيمان بخيرية الإنسان والتعامل مع الآخرين بتعاطف وصدق بعيداً عن الاستغلال والأنانية (Kaufman). وآخرون، 2019، ص. 2)

الإنسانية: (Humanism)

توجه شخصي يعكس تقديراً عميقاً لقيمة الإنسان وكرامته، ويتجلى في التعاطف والرحمة والتقدير غير المشروط (Kashdan). وآخرون، 2004، ص. 826)

الإيمان بالخير البشري: (Faith in Humanity)

اعتقاد بأن معظم الناس طيبون في جوهرهم ويمكن الوثوق بهم؛ وهو منظور إيجابي للطبيعة البشرية يعزز الثقة والتسامح. (Kaufman). وآخرون، 2019، ص. 3)

الكانطية / الإنسان كغاية في ذاته: (Kantianism)

مبدأ أخلاقي يُلزم بمعاملة البشر كغايات بذاتهم لا كوسائل لتحقيق مصالح شخصية. (Kaufman). وآخرون، 2019، ص. 3)

الشخصية المظلمة: (Dark Triad)

مجموعة من السمات النفسية والسلوكية تتسم بالأنانية والتلاعب والعدوانية الباردة، وتتجسد في ثلاث سمات رئيسية: الميكافيلية، والنرجسية، والاعتلال النفسي. (Paulhus & Williams، 2002، ص. 556)

الميكافيلية: (Machiavellianism)

نزعة إلى الخداع والتلاعب والانتهازية مع سعيٍ للهيمنة على الآخرين لتحقيق مكاسب شخصية، دون مراعاة للاعتبارات الأخلاقية أو الوجدانية. (Jones & Paulhus، 2009، ص. 93)

النرجسية: (Narcissism)

سمة تتبدى في تضخيم الإحساس بالذات والحاجة المستمرة للإعجاب، مع نقصٍ في التعاطف وتباعدٍ بين الصورة العامة للذات والواقع الداخلي للفرد. (Morf & Rhodewalt، 2001، ص. 178)

الاعتلال النفسي: (Psychopathy)

اضطراب شخصي يتسم بجاذبية سطحية وغطرسة وقلة تعاطف وانعدام الشعور بالذنب، مقرونًا بسلوكيات اندفاعية مضادة للمجتمع. (Hare، 2003، ص. 34)

الاطار النظري

هنالك العديد من النظريات التي سنشير إليها بشكل مختصر:

منظور السمات:

تُعد نظرية العوامل الخمسة الكبرى من أبرز النظريات في علم النفس التي تُفسّر السمات الأساسية للشخصية، وتشمل: الانفتاح على الخبرة، والضمير الحي، والانبساطية، والمقبولية، والعصابية. وتُعرّف سمات الشخصية بأنها أنماطٌ مستقرة نسبياً من السلوك والفكر والانفعال، تتجلى في مواقف متعددة، وتختلف في درجة تعبيرها من فرد إلى آخر، كما تؤثر بوضوح في سلوك الأفراد ومخرجات حياتهم الأساسية.

ومن خلال هذه العوامل يمكن تفسير السمات المضيئة للشخصية؛ إذ يتميز الأفراد ذوو السمات المضيئة بمستوى عالٍ من الطاقة والمشاركة الاجتماعية والانفتاح على الآخرين، فضلاً عن الحماس والتعاطف وقبول الآخر وإظهار الاهتمام. كما يمتازون بقدرتهم على الإنتاج والتنظيم وتحمل المسؤولية.

أما فيما يتعلق بـ السمات المظلمة للشخصية، فتُعد الميكافيلية سمة مستقرة نسبياً ترتبط إيجابياً بالانطواء والعدوان، وسلباً بالانفتاح على الخبرة والضمير الحي. بينما تُعد النرجسية أيضاً سمة مستقرة نسبياً، وتتراوح بين نرجسية صحية تساعد على التكيف ونرجسية مرضية مفرطة.

(Costa & McCrae, 1992, p. 352; Costa & McCrae, 1996, p. 53)

ويرى **سليغمان** أن السمات المضيئة تمثل تعبيراً عن ازدهار الشخصية وتكاملها الاجتماعي والأخلاقي، إذ يتحقق من خلالها توازن بين التفكير الإيجابي والفضائل الإنسانية والارتباط بالمعنى. وتشمل مقومات الحياة الجيدة أو الازدهار النفسي: المعنى، والإنجاز، والعلاقات الإيجابية، والمشاركة، والمشاعر الإيجابية، وهي جميعها تتناغم مع خصائص الشخصية المضيئة. وتُدرس هذه السمات ضمن إطار الفضائل الإنسانية والقيم العليا، مثل التسامح والتواضع، وترتبط مباشرة بنموذج العوامل الستة الكبرى للشخصية.

(Kaufman et al., 2019, p. 464; Seligman, 2011, p. 28)

المنظور الانساني:

تُعد الشخصية المضيئة مظهرًا من مظاهر تحقيق الذات، و أن الانسان بطبيعته خيرا ،ويمتلك الدافعية الداخلية من اجل النماء و التطور، و أن السمات المضيئة جزء من النزعة الطبيعية للنمو والتكامل، وتتجسد الشخصية المضيئة في مفاهيم (الإنسانية، الايمان بالخير البشري، و الانسان كهدف بحد ذاته) ووفقا لهذا المنظور ان تلك السمات تعبر عن الشخصية التي وصلت الى مراحل متقدمة من تحقيق الذات ،اذ قدم ماسلوهرم الحاجات و وضع تحقيق الذات في اعلى الهرم ،واشار الى ان الحالة التي يعيش فيها الفرد بتناغم و انسجام مع قيمه الداخلية يكون اكثر ابداعا و تقبلا للآخرين ، وأكثر إدراكا للواقع، و امتنانا و استقلالا و تعاطفا و تراحما و تسامحا و... و جميعها سمات من سمات الشخصية المضيئة ،كما أشار ماسلو الى الذات المتسامية اذ يتجاوز الفرد ذاته ليقدم الإنسانية (أي تعبير عن النية الطيبة تجاه الآخرين و الايثار، و في ذات السياق أشار كارل روجرز الى ان الفرد

يمتلك قوة داخلية لتحقيق ذاته، وكلما اقترب الفرد من تحقيق ذاته، بدت عليه سمات الشخصية المضيئة كالصدق والتقبل والانفتاح والتعاطف، وان البيئة الداعمة الغير مشروطة تعزز من سمات الفرد الإيجابية مما ينعكس إيجاباً على سلوكه في علاقاته مع الآخرين.

(Maslow,1970, 8p15 (Rogers,1961,p131))

منظور النمو الأخلاقي المعرفي:

في ضوء النظرية تُفسّر السمات المضيئة كنتيجة لنمو أخلاقي متقدم، و انها تعبير عن وصول الفرد الى مستويات متقدمة من التفكير الأخلاقي، اذ اشار كولبرغ 1981 الى (المستوى الثالث ما بعد التقليدي) و هو ارقى مستويات التفكير الأخلاقي اذ يطور الفرد قدرته على الاستدلال الأخلاقي المجرّد انطلاقاً من مبادئ داخلية، لا تتأثر بشكلاً كبير بضغوطات المجتمع، بمعنى يحكم الفرد سلوكه وفق مبادئ داخلية نابعه من الالتزام بالقيم و المبادئ الإنسانية العليا كالعدالة و الكرامة و الاحترام المتبادل (واع لمبادئه) خياره الخير من منطلق دافع داخلي، و ليس بدافع الانصياع و الخوف، و وفقاً لكوفمان 2019 ان الشخصية المضيئة تمثل انموذجاً للأفراد الذين يركزون على الخير الجماعي و النوايا الأخلاقية و العلاقات ذات الطابع الأصيل و بما يتواءم مع المستوى الثالث (المرحلة السادسة) من منظور كولبرغ

(Kohlberg,1961, p71) (Kohlberg,1981, p190) (Kaufman&Etal,2019, p463)

منظور الشخصية المظلمة

التي تركز على السمات السلبية Paulhus & Williams (2002) طور منظور الثالوث المظلم للشخصية النرجسية (التركيز على الذات)، و الميكافيلية (استخدام الآخرين لتحقيق أهداف شخصية)، و السايكوباتية (السلوك العدواني وافتقار التعاطف) وهذه السمات تُعد مظلمة لأنها ترتبط بالأنماط السلوكية السلبية مثل الاستغلال، و التلاعب، و الميل إلى التسبب في الألم للآخرين، و بالرغم من أن هذه النظرية تركز على الجوانب المظلمة، إلا أنها تشير إلى أن تعزيز التعاطف، و المرونة النفسية، و القدرة على التفاعل مع الآخرين بإيجابية يمكن أن يساهم في تقليل تأثير هذه السمات المظلمة

(Paulhus& Williams, 2002, p559) (Jonason& Webster,2010, p428)

تشير النرجسية إلى شعور متضخم بالعظمة و الاهتمام المفرط بالذات، مقرون بحاجة مستمرة إلى الإعجاب من الآخرين. وغالباً ما تتطور النرجسية بوصفها آلية دفاعية لتعويض مشاعر النقص أو القلق المرتبط بصورة الذات، حيث يميل الأفراد النرجسيون إلى استخدام أساليب دفاعية كالإنكار والتبرير والإسقاط للحفاظ على توازنهم النفسي.

أما الميكافيلية فتتمثل نزعةً للتلاعب بالآخرين واستغلالهم بطريقة براغماتية تتجاهل المعايير الأخلاقية من أجل تحقيق الأهداف الشخصية. ويتسم الأفراد الميكافيليون بقدرة عالية على ضبط عواطفهم وتزييف مواقفهم، إضافة إلى امتلاكهم مبررات فكرية لتجاوز القيم الاجتماعية، مثل اعتقادهم بأن "العالم غابة" أو أن "لا مكان للضعفاء".

بينما تُعبر السايكوباثية (الاعتلال النفسي) عن انعدام التعاطف والاندفاعية والميل إلى السلوك العدواني أو العنيف، دون الشعور بالذنب أو الندم على الأفعال الصادرة، وهو ما يعكس مستوى منخفضاً من الضبط الذاتي والوعي الأخلاقي.

(Paulhus & Williams, 2002, p. 61)

المنظور التطوري:

يفترض النظرية ان السمات المظلمة هي تكتيكات تكيفية قصيرة المدى تمكن الافراد في البيئات ذات الطابع التنافسي العالي، وتنبري تلك السمات كمحاولات بغية السيطرة و الاستفادة من الآخرين بموارد محدودة، وقد ساهمت كل سمة من تلك السمات في النجاح التكاثري في الماضي ، اذ يميل الاشخاص ذوي السمات النرجسية و الاعتلال النفسي الى تبني استراتيجيات تكاثرية قصيرة المدى والتلاعب بالآخرين و تحقيق النجاح على حسابهم أي تكوين علاقات عابرة مع اشخاص مختلفين لتحقيق غاياتهم، و ذلك من خلال الخداع و الاستغلال دون استثمار الكثير من الجهد و الوقت ،و يمتاز المعتلون نفسيا بعدم الخوف و اللامبالاة و الجرأة مما يجعلهم اكثر اقداً على خوض صراعات خطيرة و استغلال الفرص التي تمتاز بمخاطر عالية ، كما ان سمة الميكافيلية تطورت كسلوك للتكيف من اجل البقاء في بيئات اجتماعية ذات طبيعة تنافسية ،وتعد تلك السمة ميزة في المواقف التي تتطلب الدهاء و المناورة، اذ يركز الميكافيلي على التلاعب بالآخرين بغية الوصول الى الموارد (المكانة، الشركاء....)، كما ان انعدام التعاطف و القساوة تمكن الفرد من الاستمرار في استراتيجيات الاستغلال والانتهازية دون ان تتملكهم مشاعر الذنب مما يدفعه و بقوة نحو تحقيق غاياته على حساب الآخرين

(Jonason&Etal,2012, p607)

المنظور المعرفي:

يؤكد على كيفية تأثير الأنماط الفكرية والإدراكية في تطوير السمات الشخصية، اذ يمكن أن تساهم الأنماط الفكرية السلبية في تعزيز السمات المظلمة للشخصية والناجمة عن أنماط تفكير مشوهة مثل (استحقاق مفرط ،انعدام التعاطف،...)، مقترنة بخبرات تنشئة ذات طابع سلبي او تعزيز اجتماعي للخداع والسيطرة، وان سمة الميكافيلية هي محصلة لانماط تفكير وظيفية ذات تشوهات معرفية والتي تتجلى من خلال السلوك ،اذ غالبا ما يتعلم الميكافيليون تلك الأنماط في بيئات اسرية غير صحية مضطربة تعاني الكثير او تنافسية ذات طبيعة مفرطة و ان القوة تعد اهم من التحلي بالخلق الرفيع، كما تفسر النظرية سمة النرجسية بانها ناتجة عن معتقدات غير عقلانية حول الذات (انا الأفضل) (انا استحق)، اذ يوظف النرجسي اليات دفاعية كالاسقاط والتبرير والانكار بغية حماية ذاته المتضخمة بالمقابل يمكن للأنماط الفكرية الإيجابية أن تساهم في تطوير السمات المضيئة مثل التفاؤل، التكيف، والقدرة على بناء علاقات اجتماعية ناجحة.

(Dweck ,2006, p198) (Beck, 1976, p276) (Jons&Etal,2014, p32)

وفي العموم يفسر المنظور المعرفي الشخصية على أساس العمليات العقلية الداخلية مثل الإدراك، التفسير،

التوقع، والذاكرة، بوصفها العوامل الأساسية التي تشكل الشخصية وتوجه السلوك. إذ يفترض المنظور أن الأفراد يفسرون الأحداث بشكل مختلف بناءً على أنماط التفكير والمعتقدات الذاتية، مما يخلق فروقاً فردية في الشخصية. (Cervone & Pervin ,2022,p189)

منظور التعلم الاجتماعي:

يفسر الشخصية على أنها نتاج تفاعل بين الفرد وبيئته، إذ يتم تعزيز السمات المضيئة (مثل التفاعل الإيجابي والعلاقات الجيدة) من خلال الملاحظة والتعزيز الاجتماعي والتعلم الاجتماعي الإيجابي، مثل النموذج الجيد والتعزيز الإيجابي، وقد يطور الأفراد سمات إيجابية مثل التفاهم، التعاون، والقدرة على التعامل مع التحديات، من الجانب الآخر، قد تتطور سمات الشخصية المظلمة من خلال مواقف بيئية سلبية أو تجارب مفعمة بالعنصرية أو النماذج السلبية التي يتعلمها الفرد، فالتعلم من نماذج سلبية قد يعزز سمات سلبية مثل العدوانية، النرجسية، أو الأنانية و وفقاً لالبرت باندورا أن الشخصية تتأثر بما يُسمى التفاعل الثلاثي إذ يتفاعل السلوك مع العوامل المعرفية (مثل التوقعات الذاتية) والبيئة، والتأكيد على دور الكفاية الذاتية

(Cervone & Pervin ,2022, p189) (Bandura,1989, p298) (Bandura,1977, p241)

منظور التحليل النفسي (فرويد)

وفقاً لفرويد الشخصية بناءً ديناميكياً يتأثر بالصراعات النفسية المستمرة، إذ تؤكد نظرية التحليل النفسي على الصراع الداخلي بين الدوافع اللاواعية والجوانب المختلفة، أي أن السلوك البشري محكوم بدوافع لا شعورية، نشأت خلال مراحل الطفولة المبكرة، وتؤثر في الشخصية طوال الحياة ويمكن تفسير جوانب الشخصية المظلمة و المتمثلة بالسمات الثلاث وكالاتي: تنشأ الميكافيلية من دفاعات نفسية كالتبرير والاسقاط... التي تشير إلى اضطراب في تطور الانا لدى الأفراد، وإن السلوك الميكافيلي ما هو إلا انعكاس لنزاعات لا واعية تتعلق بالرغبة في السيطرة و الخوف من الضعف، في حين يفسر فرويد النرجسية أنها آلية دفاعية لتعويض نقص داخلي أو خبرات مبكرة ذات طبيعة صادمة، و أشار إلى نوعين من النرجسية وهما النرجسية الأولية و التي يعدها حالة طبيعية في مرحلة الطفولة إذ يكون تركيز الطفل منصبا على ذاته، أما النرجسية الثانوية فانها تنشأ في مراحل الحياة اللاحقة وذلك نتيجة عدم مقدرة الفرد تحويل حبه من ذاته إلى الآخرين، في حين فسر فرويد الاعتلال النفسي انه نتيجة صراع غير محل وذلك خلال مراحل النمو النفسي- الجنسي المبكرة، وبالمحصلة قد تنشأ الشخصية المظلمة عندما تتغلب النزعات اللاواعية السلبية على الأنا، مما يسبب القلق، الغضب، أو العدوانية، في حين قد يؤدي التوازن بين الهو والانا والانا الاعلى إلى تكامل داخلي وجوانب شخصية إيجابية، مثل القدرة على ضبط الذاتي وحل النزاعات الداخلية.

(Freud,1923, p32)(Ewen&Ewen,2014, p31) (McLeod, 2019,p123)

الدراسات السابقة:

الدراسات التي استهدفت سمات الشخصية المضيئة و المظلمة

دراسة (Ahmad et al. (2025)

استهدفت الدراسة الكشف عن العلاقة بين السمات المظلمة وتأثير الأقران في الصحة النفسية وقد تألفت العينة من 300 طالب و طالبة من الجامعات الباكستانية و أظهرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية سالبة بين سمات الشخصية المظلمة والصحة النفسية، في حين أن تأثير الأقران الإيجابي يعزز تلك السمات.

استهدفت الدراسة التعرف على علاقة ثالوثي الشخصية المضيء و المظلم برأس المال النفسي، وتألفت العينة من (103) طالبا جامعيًا من جامعة شيريبوفتش في روسيا، وأسفرت النتائج عن ارتباط كل من سمة النرجسية وسمة الايمان بالانسانية ايجابا بمكونات راس المال النفسي (الامل والتفاؤل والاستقرار النفسي والكفاءة الذاتية) في حين ارتبطت سمة الإنسانية إيجابا بالتفاؤل، واطهر تحليل الانحدار الى ان التفاؤل هو المنبيء الأقوى لكل من سمي الإنسانية و الايمان بالانسانية كما ان الإنسانية و الايمان بالانسانية ينبئان بالتفاؤل كاتجاه نحو الحياة

(Maralov &Etal, 2024,p36)

دراسة (Ermis&Etal (2024)

استهدفت الدراسة الكشف عن تأثير سمات الثالوث المضيء و المظلم على طلبة كلية علوم الرياضة في تركيا، اذ بلغت العينة (518) طالبا جامعيًا ، و اسفرت النتائج عن وجود ارتباطات إيجابية بين سمات الثالوث المظلم ،و ارتباطات ضعيفة بين سمات الثالوث المظلم و سمات الثالوث المضيء و ان الجنس و العمر يؤثران بشكل كبير في بعض السمات اذ اسفرت عن فروقات ذات دلالة إحصائية وفق متغير الجنس في سمات الإنسانية و الانسان كغاية بحد ذاته و لصالح الاناث في حين كانت سمات الثالوث المظلم لصالح الذكور

(Ermis&Etal ,2024,p2)

دراسة (Okaray & Müzzin (2022)

استهدفت الدراسة تحليل العلاقة بين ظاهرة المحتال والسمات المظلمة والعدوان، وتكونت العينة من 278 طالبًا من جامعات تركيا واسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية دالة بين ظاهرة المحتال وسمات الشخصية المظلمة النرجسية والميكافيلية والاعتلال النفسي وزيادة السلوك العدواني لدى ذوي السمات العالية

(Okaray & Müzzin ,2022, p33)

دراسة (Panatik et al. (2022)

استهدفت الدراسة تحليل العلاقة بين سمات الثالوث المظلم وسلوك التتمر الإلكتروني و قد بلغت العينة 400 طالب وطالبة من طلبة الجامعة الماليزية واسفرت النتائج عن الاتي: جميع السمات المظلمة تنبأت بسلوكيات التتمر الالكتروني ، خاصة سمي الميكافيلية والاعتلال النفسي

(Panatik et al,2022, p26)

دراسة (Lukić & Živanović, 2021)

استهدفت الدراسة تطوير واختبار مقياس سمات الثالوث المضيء (الإيمان بالخير، الإنسانية، الكانطية) و قد طبق المقياس على عينة من طلبة جامعيين في اوروبا واسفرت النتائج: عن ان المقياس يتمتع بموثوقية جيدة واستقلال نظري وإحصائي عن مقياس السمات المظلمة للشخصية، ويرتبط بسمات حيوية الضمير، والانفتاح، والتعاطف

(Lukić & Živanović, 2021, p7)

دراسة (Cömert & Gizir, 2020)

استهدفت الدراسة التعرف على مدى تنبؤ نموذج عوامل الشخصية الستة بانخفاض السمات المظلمة للشخصية وقد بلغت العينة 388 طالبا من طلبة الجامعة التركية و اسفرت النتائج عن الاتي : تنبأت سمات التواصل والصدق والانفتاح بانخفاض السمات المظلمة ، في حين كانت هنالك علاقة ارتباطية بين سمة النرجسية و سمة الانبساط.

(Cömert & Gizir, 2020, p1)

إجراءات البحث:

مجتمع البحث: شمل مجتمع البحث طلبة جامعة بغداد للعام الدراسي 2024-2025

عينة البحث الرئيسية: شملت عينة البحث الرئيسية (265) طالب وطالبة من طلبة جامعة بغداد وقد تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة، والجدول (1) يوضح ذلك

جدول (1) عينة البحث الرئيسية

المجموع	الكلية						الجنس
	الاعلام	تربية بنات	علوم بنات	علوم سياسية	الهندسة	العلوم	
128	40			36	23	29	ذكور
137	20	31	27	22	18	19	اناث
265	60	31	27	58	41	48	المجموع

ادوات البحث:

أولاً: مقياس الثالوث المضيء للشخصية

تم تبني مقياس الثالوث المضيء للشخصية المتكون من ثلاثة ابعاد و هي (الانسانية و الايمان بالخير البشري والكانطية) (الانسان كغاية بحد ذاته)) لـ Perugini & Others 2002 ، و الذي يتألف كل بعد من ابعاده الثلاثة من (4) فقرات ، وتتم الاستجابة وفق مدرج (1-5) (5 = اتفق تماما - 1 = لا اتفق تماما)

تحليل الفقرات: الهدف هو تحليل الفقرات للبيانات المتجمعة لانتقاء افضل الفقرات للصيغة النهائية للمقياس و تتضمن اختبار القوة التمييزية لكل فقرة من الفقرات (Rust,1989,p159) و كالآتي:

-علاقة الفقرة بالمجموع الكلي: بغية استخراج علاقة درجة كل فقرة من الفقرات بالدرجة الكلية لكل بعد من الابعاد الثلاث و علاقة كل بعد من الابعاد بالبعد الاخر و بالكلي ،تم استخدام معامل ارتباط بيرسون اذ يشير معامل الارتباط المرتفع الى قوة ارتباطها ببعدها والعلاقات الارتباطية بين الابعاد الثلاث ،مما يزيد احتمالية تضمينها في المقياس و كما موضح في الجداول (2) ١

جدول (2) علاقة درجة فقرة البعد بالدرجة الكلية له

الإنسانية		الايان البشري		الانسان كغاية بعد ذاته	
ت	م.أ	ت	م.أ	ت	م.أ
1	1	1	.651	1	.473
2	.450	2	.765	2	.709
3	.174	3	.729	3	.872
4	.544	4	.698	4	.814

* جميع الفقرات دالة عند مستوى دلالة (0.05)

جدول (3) معاملات ارتباطات الابعاد الثلاثة و الكلي

المجال	الإنسانية	الايان البشري	بالخير	الانسان كغاية بعد ذاته	الكلي
الإنسانية	1	.623	.435	.845	
الايان البشري	.623	1	.457	.824	
الانسان كغاية بعد ذاته	.435	.457	1	.783	
الكلي	.845	.824	.783	1	

قد اظهرت نتائج التحليل الاحصائي بان معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات كل بعد و الدرجة الكلية له وعلاقة كل بعد بالبعد الاخر جميعها دالة عند مستوى دلالة (0.05) و الذي يعد مؤشرا لصدق البناء

مؤشرات الصدق و الثبات :

أولاً: الصدق

تم استخراج صدق المقياس:

- صدق الترجمة تم التحقق من صدق المقياس وفق ما متعارف عليه من اجراءات التحقق من صدق الترجمة اذ تم ترجمته من اللغة الإنكليزية الى اللغة العربية من قبل ثلاثة مترجمين و من ثم ترجم من اللغة العربية الى اللغة الإنكليزية من قبل مترجمان وكلا بشكل مستقل ومطابقتها بغية التأكد من انه لا اختلاف في ترجمة الفقرات و في فهم و تفسير بعض المصطلحات الواردة فيه

- الصدق الظاهري: و قد تم التحقق من خلال عرضه على مجموعة من المختصين في المجال النفسي

- صدق البناء اي مدى قياس المقياس لسمة معينة و هو صدق نظري للصفة او الخاصية ، و قد تحقق هذا الصدق من خلال ايجاد العلاقة الارتباطية بين درجات كل فقرة من فقرات المقياس و الدرجة الكلية له (الابعاد الثلاثة)(تحليل الفقرات)

ثانياً: الثبات

استخرج الثبات بطريقة :

-معامل الفا كرونباخ (الاتساق الداخلي)، اذ بلغ معامل الثبات للابعاد الثلاثة وفقاً لما موضح في الجدول (5)

المجالات	الإنسانية	الايमान البشري	الانسان كغاية بحد ذاته
معامل الثبات	.74	.78	.79

ثانياً: مقياس الثالوث المظلم للشخصية

تم تبني مقياس الذينة القدرة للشخصية لقياس الثالوث المظلم المتكون من ثلاثة ابعاد و هي (الميكافيلية و النرجسية و الاعتلال النفسي) (Jonason & Webster 2010) ، و الذي يتألف كل بعد من الابعاد الثلاثة من (4) فقرات ،وتتم الاستجابة وفق مدرج (1-5) (5 = اتفق تماماً - 1 = لا اتفق تماماً) تحليل الفقرات: الهدف هو تحليل الفقرات للبيانات المتجمعة لانتقاء افضل الفقرات للصيغة النهائية لكل بعد من الابعاد الثلاثة و تتضمن اختبار القوة التمييزية لكل فقرة من الفقرات (Rust,1989,p159) و كالاتي:

-علاقة الفقرة بالمجموع الكلي: بغية استخراج علاقة كل فقرة من الفقرات بالدرجة الكلية للابعاد الثلاث ،تم استخدام معامل ارتباط بيرسون اذ يشير معامل الارتباط المرتفع الى قوة ارتباطها بالمقياس والعلاقات الارتباطية بين الابعاد الثلاث و بالكلي ،مما يزيد احتمالية تضمينها في المقياس و كما موضح في الجداول (6) (7)

جدول (6) علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية لكل بعد من الابعاد الثلاثة

الميكافيلية		الانرجسية		الاعتلال النفسي	
ت	م.أ	ت	م.أ	ت	م.أ
1	.700	1	1	1	.702
2	.756	2	9.84	2	.723
3	.711	3	.429	3	.763
4	.635	4	.282	4	.761

* جميع الفقرات دالة عند مستوى دلالة (0.05)

جدول (7) معاملات ارتباطات الابعاد الثلاثة

المجال	الميكافيلية	الانرجسية	الاعتلال النفسي	الكلية
الميكافيلية	1	.233	.330	.685
الانرجسية	.233	1	.344	.694
الاعتلال النفسي	.330	.344	1	.809
الكلية	.685	.694	.809	1

قد اظهرت نتائج التحليل الاحصائي بان معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات كل بعد و الدرجة الكلية له وعلاقة كل بعد بالبعد الاخر و بالكلية ،جميعها دالة عند مستوى دلالة (0.05) و الذي يعد مؤشرا لصدق البناء

مؤشرات الصدق و الثبات :

أولاً: الصدق

تم استخراج صدق المقياس:

-صدق الترجمة تم التحقق من صدق المقياس وفق ما متعارف عليه من اجراءات التحقق من صدق الترجمة اذ تم ترجمته من اللغة الإنكليزية الى اللغة العربية من قبل ثلاثة مترجمين و من ثم ترجم من اللغة العربية الى اللغة الإنكليزية من قبل مترجمان وكلا بشكل مستقل ومطابقتها بغية التأكد من انه لا اختلاف في ترجمة الفقرات و في فهم و تفسير بعض المصطلحات الواردة فيه

-الصدق الظاهري: و قد تم التحقق من خلال عرضه على مجموعة من المختصين في المجال النفسي

-صدق البناء اي مدى قياس المقياس لسمة معينة و هو صدق نظري للصفة او الخاصية ، و قد تحقق هذا الصدق من خلال ايجاد العلاقة الارتباطية بين درجات كل فقرة من فقرات المقياس و الدرجة الكلية له (الابعاد الثلاثة) (تحليل الفقرات)

ثانياً: الثبات

استخرج الثبات بطريقة :

-معامل الفا كرونباخ (الاتساق الداخلي)، اذ بلغ معامل الثبات للابعاد الثلاثة وفقاً لما موضح في الجدول جدول(8)

المجالات	الميكافيلية	الزرجسية	الاعتلال النفسي
معامل الثبات	.78	.73	.79

عرض النتائج ومناقشتها

اولاً: عرض النتائج

الهدف الاول: التعرف على الثالوث المضيء للشخصية وفقاً لابعاده الثلاث (الإنسانية، الايمان بالخير البشري، الانسان كغاية بحد ذاته) لدى طلبة الجامعة ؟ اذ تم استخدام الاختبار التائي لعينة واحدة وكما موضح في الجداول (9و10و11)

جدول(9)

(الإنسانية)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
265	12.1321	3.5045	12	264	0.614	1.96	0.05

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن عدم وجود فرق دال بين المتوسط الحسابي و المتوسط الفرضي ، و الذي يشير الى ان طلبة الجامعة يمتلكون درجة قليلة من سمة الإنسانية

جدول(10) (الايمان بالخير البشري)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
265	13.0302	4,2362	12	264	3.96	1.96	0.05

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن فرق دال بين المتوسط الحسابي و المتوسط الفرضي و لصالح المتوسط الحسابي ، و الذي يشير الى ان طلبة الجامعة يمتلكون درجة عالية من سمة الايمان بالخير البشري

جدول (11) (الانسان كغاية بحد ذاته)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
265	11.9321	4.2008	12	264	0.263	1.96	0.05

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن عدم وجود فرق دال بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي، والذي يشير الى ان طلبة الجامعة يمتلكون درجة قليلة من سمة الانسان كغاية بحد ذاته

الهدف الثاني: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الثالوث المضيء للشخصية وفقا لابعاده الثلاث (الإنسانية، الايمان بالخير البشري، الانسان كغاية بحد ذاته) وفق متغير الجنس؟ اذ تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين و كما موضح في الجداول (12 و13 و14)

جدول (12) (الانسانية وفق متغير الجنس)

العينة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
128	ذكر	11.5547	3.3126	263	2.621	1.96	0.05
137	انثى	12.6715	3.6037				

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن فروق ذات دلالة إحصائية في الانسانية وفق متغير الجنس ، و لصالح الاناث

جدول (13)

(الايمان بالخير البشري وفق متغير الجنس)

العينة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
128	ذكر	12.5156	4.1855	263	1.921	1.96	0.05
137	انثى	13.5109	4.2411				

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الايمان بالخير البشري وفق متغير الجنس

جدول (14) (الانسان كغاية بحد ذاته وفق متغير الجنس)

العينة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
128	ذكر	11.4844	3.5782	263	1.683	1.96	0.05
137	انثى	12.3504	3.7838,				

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الانسان كغاية في حد ذاته وفق متغير الجنس

الهدف الثالث:

التعرف على الثالوث المظلم للشخصية وفقا لأبعاده الثلاث (الانرجسية، الميكافيلية، الاعتلال النفسي) لدى طلبة الجامعة؟ اذ تم استخدام الاختبار التائي لعينة واحدة، و كما موضح في الجداول (15 و16 و17)

جدول (16) (الانرجسية)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
265	14.8604	3.10293	12	264	15	1.96	0.05

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن فرق دال بين المتوسط الحسابي و المتوسط الفرضي و لصالح المتوسط الحسابي، و الذي يشير الى ان طلبة الجامعة يمتلكون درجة عالية من الانرجسية

جدول (17) (الميكافيلية)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
265	15.6075	3.09397	12	264	18.97	1.96	0.05

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن فرق دال بين المتوسط الحسابي و المتوسط الفرضي و لصالح المتوسط الحسابي، و الذي يشير الى ان طلبة الجامعة يمتلكون درجة عالية من الميكافيلية

جدول (18) (الاعتلال النفسي)

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
265	13.4491	3.9674	12	264	5.95	1.96	0.05

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن فرق دال بين المتوسط الحسابي و المتوسط الفرضي و لصالح المتوسط الحسابي، و الذي يشير الى ان طلبة الجامعة يمتلكون درجة عالية من الاعتلال النفسي

الهدف الرابع: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الثالوث المظلم للشخصية وفقا لابعاده الثلاث (الانرجسية، الميكافيلية، الاعتلال النفسي) وفق متغير الجنس؟ اذ تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين و كما موضح في الجداول (19 و 20 و 21)

جدول (19) (الانرجسية وفق متغير الجنس)

العينة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
128	ذكر	15.0781	2.8688	263	1.105	1.96	0.05
137	انثى	14.6569	3.3042				

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الانرجسية وفق متغير الجنس

جدول (20) (الميكافيلية وفق متغير الجنس)

العينة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
128	ذكر	16.0234	2.6693	263	2.129	1.96	0.05
137	انثى	15.2190	3.4078				

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الميكافيلية وفق متغير الجنس، و لصالح الذكور

جدول (21) (الاعتلال النفسي وفق متغير الجنس)

العينة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
128	ذكر	13.3594	3.9935	263	.355	1.96	0.05
137	انثى	13.5328	3.9557				

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي وكما موضح في الجدول اعلاه عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاعتلال النفسي وفق متغير الجنس

الهدف الخامس: هل هناك علاقة ارتباطية بين سمات الثالوث المضيء و سمات الثالوث المظلم للشخصية؟ اذ تم استخدام معامل ارتباط بيرسون و كما موضح في الجدول (22)

جدول (22) العلاقة الارتباطية

السمة	الإنسانية	الايمان بالخير البشري	الانسان كغاية بحد ذاته
الانرجسية	-.046	-.207**	-.188**
الميكافيلية	-.046	-.138*	-.195**
الاعتلال النفسي	-.022	-.197**	-.072

اسفرت نتائج التحليل الاحصائي عن الاتي:

- عدم وجود علاقة ارتباطية بين سمتي الإنسانية و النرجسية
- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين سمتي الايمان بالخير البشري و النرجسية
- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين سمتي الانسان كغاية بحد ذاته و النرجسية
- عدم وجود علاقة ارتباطية بين سمتي الإنسانية و الميكافيلية
- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين سمتي الايمان بالخير البشري و الميكافيلية
- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين سمتي الانسان كغاية بحد ذاته و الميكافيلية
- عدم وجود علاقة ارتباطية بين سمتي الإنسانية و الاعتلال النفسي
- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين سمتي الايمان بالخير البشري و الاعتلال النفسي
- عدم وجود علاقة ارتباطية بين سمتي الانسان كغاية بحد ذاته و الاعتلال النفسي

تفسير النتائج:

يمكن تفسير النتائج في ضوء ما توصل اليه البحث

اسفرت النتائج ان طلبة الجامعة يمتلكون السمات المضيئة للشخصية وفق الاتي: سمتي الإنسانية و الانسان كغاية بحد ذاته بدرجة قليلة، باستثناء الايمان بالخير البشري فكان بدرجة عالية، في حين يمتلكون السمات المظلمة للشخصية (الميكافيلية و النرجسية و الاعتلال النفسي) بدرجة عالية

و توجد علاقة ارتباطية سالبة بين السمات الشخصية للثالوث المظلم (الميكافيلية والنرجسية والاعتلال النفسي) والثالوث المضيء (الإيمان بالإنسانية والإنسانية و الانسان كغاية بحد ذاته) لدى الطلبة و عدم وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة بين سمة الإنسانية و سمتي النرجسية والاعتلال النفسي، وكذلك سمة الانسان كغاية بحد

ذاته بسمة الاعتلال النفسي ، مما يشير إلى أن الأفراد قد يظهرون تفاعلاً معقداً بين السمات الإيجابية والسلبية، والتي يمكن أن تكون مؤثرة بشكل متبادل، ومن المتوقع ظهور اختلافات بين الجنسين في السمات الشخصية للثالوث المظلم والثالوث المضيء. ويمكن عزو ذلك إلى طبيعة المعايير والأدوار المجتمعية التي تشكل التعبير عن السمات الشخصية بشكل مختلف لدى الذكور والإناث والتي ظهرت في سمة الميكافيلية و لصالح الكور ، وفقاً لمنظور التعلم الاجتماعي الذي يشير إلى أن البيئة المنظمة والتنافسية يمكن أن تؤثر في تطور سمات الشخصية الإيجابية والسلبية من خلال التعزيز والنمذجة، أما وفقاً للمنظور المعرفي، فيشير إلى أن القدرات الفكرية والأخلاقية تتضج و تتسع خلال المسيرة الأكاديمية للطلبة، إذ قد يؤدي تعرضهم لأفكار واعتبارات أخلاقية متنوعة إلى اختلافات في كل من سمات الشخصية المظلمة والمضيئة ،وتكمن أهمية الثالوث المضيء للشخصية في التأثير المحتمل لهذه السمات الشخصية على ديناميكيات العلاقات الاجتماعية داخل الجامعة . على سبيل المثال، قد يعزز الطلبة ذوي السمة الإنسانية في إظهار الدعم و التعاطف والمساعدة تجاه زملائهم في الجامعة، و قد يظهر الطلبة ذوي سمة الإنسان كغاية بحد ذاته سمات أخلاقية راقية من خلال الالتزام الصارم بمبادئ العدالة و الامانة والصدق. وان الإيمان القوي بالإنسانية يمكن أن يساهم في تعزيز بيئة جامعية إيجابية تسودها الثقة المتبادلة في العلاقات ، مما يعكس ويعزز صحتهم النفسية ،ولا تُعد الثلاثيات المظلمة والمضيئة أبعاداً للشخصية بل مجموعات من سمات الشخصية المميزة و التي لها تأثيرات كبيرة في السلوك والتفاعلات الاجتماعية، وإن فهم الوضع النظري لهذه الثلاثيات أمر بالغ الأهمية لتفسير تأثيرها بدقة على ديناميكيات الفرد في سياقات مختلفة، بما في ذلك البيئة الجامعية، وعلى الرغم من الاهتمام المتزايد بسمات الشخصية لكن لا تزال هناك فجوة ملحوظة في فهم كيفية تأثير سمات الشخصية المظلمة والمضيئة في سلوك الطلبة. ويُمكن الفهم المتعمق لسمات شخصية الطلاب في هذا المجال من تعزيز تجربتهم التعليمية في السياق الجامعي من خلال تحديد كيفية تأثير سمات مثل النرجسية، والميكافيلية، والاعتلال النفسي، والإنسانية، والإنسان كغاية بحد ذاته ، والإيمان بالإنسانية في السلوك والأداء، خاصة و أن الأفراد يمتلكون سمات اجتماعية منفرة (الثالوث المظلم) ومرغوبة اجتماعياً (الثالوث المضيء) أي أن الطبيعة البشرية بين نقيضين في عالم متغير متسارع ذا مثيرات متغيرة و متسارعة تجعل الفرد يعيش حالة من التناقضات في السلوكات فقد نجد ذوي السمة النرجسية لبلوغ التفوق (أنا أولاً) أي وجود علاقة بين هذه السمة و بلوغ التفوق و التميز (مكانه مميزة) ، و قد نجد الميكافيلي الراغب في التلاعب بالآخرين وتجاهل الاعتبارات الأخلاقية في السعي لتحقيق أهدافه الشخصية، ولكن في المقابل قد يُقوّض الثقة ويلحق الضرر بالروابط الاجتماعية بمرور الوقت ، فضلاً عن ذلك ذوي سمة الاعتلال النفسي الذين يتسمون بالبرود العاطفي، والاندفاعية، وقلة التعاطف، والميل إلى السلوك المضاد للمجتمع، إذ يُظهر الأفراد عجزاً واضحاً عن فهم مشاعر الآخرين أو التعاطف معهم، مما يُسهّل هذا الانفصال العاطفي تجاهل المعايير الاجتماعية، و حدوث عواقب وخيمة في السياق الأوسع للتوقعات المجتمعية والأطر القانونية، إذ أن سمات الثالوث المظلم يمكن أن تعزز الأداء أو تعيقه، في حين نجد الأفراد ذوي سمات الثالوث المضيء يُظهرون سلوكيات بناءة وأخلاقية وذات مردودات اجتماعية إيجابية ، فالإنسانية تشير إلى ميل الفرد إلى التفهم ومساعدة الآخرين (التعاطف، الحساسية اتجاه حاجات الآخرين و غالباً ما يكون لديهم دافع لإحداث تغيير مجتمعي إيجابي وتعزيز علاقات شخصية أقوى. من خلال تعزيز التعاون والايثار والحفاظ على التماسك الاجتماعي ،أما ذوي سمة

الانسان كغاية بحد ذاته (الكانطية)، التي سُميت على اسم الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط، على الالتزام الراسخ بالمبادئ الأخلاقية. اذ يعطوا الأولوية لفعل ما هو صحيح أخلاقياً، والتصرف وفقاً للمعايير الأخلاقية وشعور قوي بالعدالة، و ان التأكيد على الموضوعية والإنصاف في اتخاذ القرارات يؤدي إلى الاعتراف بهم كأعضاء جديرين بالثقة ومحترمين في المجتمع، أما ذوي سمة الإيمان بالإنسانية أي الاعتقاد بالخير الجوهري للإنسان والطبيعة البشرية. يميل الأفراد الذين يمتلكون هذه السمة إلى الثقة بالآخرين وافترض نوايا إيجابية على عكس ذوي النوايا السامة و الخطرة (الثالوث المظلم

الاستنتاجات:

أن الشخصية معقدة بطبيعتها، ولبغية فهم كيفية استيعاب الشخصية وانعكاساتها في السلوك، يستوجب إجراء فحص أعمق واشمل للعوامل النفسية والاجتماعية في السياق الجامعي، اذ قد تؤثر سمات الثالوث المظلم (النرجسية، والميكافيلية، والاعتلال النفسي) والثالوث المضيء (الإنسانية، والانسان كهدف بذاته، والإيمان بالإنسانية) في الأداء الأكاديمي فغالباً ما تتجلى سمات الثالوث المظلم في سلوكيات منفرة كالتلاعب و التعالي، في حين تتجلى سمات الثالوث المضيء في سلوكيات اجتماعية إيجابية كالتعاطف والإنصاف و الايثار، و يُعد فهم كيفية تأثير هذه السمات في اتجاهات الطلبة وسلوكياتهم أمراً بالغ الأهمية للأساتذة و للادارات الجامعية

التوصيات:

التوصية للوحدات الارشادية في الجامعات العراقية بالعمل على:

- تشجيع الطلبة على تنمية سمات الثالوث المضيء عبر برامج ارشادية
- القيام بورش عمل تعزز سلوكيات التعاطف و الايثار و الرحمة والتسامح، و الاخلاقيات الحميدة
- توظيف استراتيجيات الارشاد في التعامل مع الطلبة ذوي السمات المظلمة
- تشخيص مبكر للاضطرابات المرتبطة بالسمات المظلمة (مثل اضطراب الشخصية النرجسية أو المضادة للمجتمع)

المقترحات : دراسة

-عوامل الشخصية المضيئة و علاقتها ب (الانفتاح على الخبرة والضمير الحي، التفاؤل، ، والميل نحو الابتكار، رأس المال النفسي)

-عوامل الشخصية المظلمة وعلاقتها ب (العصابية، القلق، الاندفاع، العدوانية، سلوكيات التمر، الاحتيال)

References:

- Ahmad, R., et al. (2025). Dark Triad, Peer Influence and Mental Health among University Students in Pakistan.
- Bandura, A. (1977). Social Learning Theory. Prentice Hall.
- Bandura, A. (1986). Social Foundations of Thought and Action: A Social Cognitive Theory. Prentice-Hall.
- Beck, A. T. (1976). Cognitive therapy and the emotional disorders. International Universities Press
- . - Cervone, D., & Pervin, L. A. (2022). Personality: Theory and Research (15th ed., pp. 184–210). Wiley
- Cömert, C., & Gizir, C. A. (2020). Predicting Dark Triad Traits from HEXACO Model among University Students.
- Costa, P. T., & McCrae, R. R. (1992). The Five-Factor Model of Personality and its Relevance to Personality Disorder. Journal of Personality Disorders, 6(4), 343-359.
- Dweck, C. S. (2006). Mindset: The New Psychology of Success. Random House.
- Ermis ,Sermin&Etal (2024): Exploring the Influence of Dark Triad and Light Triad Taitts on Sport Sciences Studentsm Journals Medicina,vol 60Iss8,
- Ewen, R. B., & Ewen, R. B. (2014). An Introduction to Theories of Personality (7th ed., pp. 18–45). Psychology Press
- Fernández-del-Río, E., Ramos-Villagrasa, P. J., & Barrada, J. R. (2020). Identifying Risk Profiles Based on Dark Triad Traits in University Students. Psychology, 11(3), 1–10.
- Freud, S. (1923). The Ego and the Id. SE, 19, 12-66.
- Hare, R. D. (2003). The Hare Psychopathy Checklist–Revised (2nd ed.). Multi-Health Systems.
- Jonason, P. K., & Buss, D. M. (2012). Avoiding entangling commitments: Tactics for promoting short-term mating. Personality and Individual Differences, 52(5), 606–610.
- Jonason, P. K., & Webster, G. D. (2010). The Dirty Dozen: A Concise Measure of the Dark Triad. Psychological Assessment, 22(2),pp 420–432
- . - Johnson, J. A. (2018); Lukić, P., & Živanović, M. (2021). Measuring the Light Triad Traits.
- Jones, D. N., & Paulhus, D. L. (2009). Machiavellianism. In M. R. Leary & R. H. Hoyle (Eds.), Handbook of individual differences in social behavior (108-93 ص). Guilford Press.
- Jones, D. N., & Paulhus, D. L. (2014). Introducing the Short Dark Triad (SD3). Assessment, 21(1), pp28–41.
- Kaufman, S. B., Yaden, D. B., Hyde, E., & Tsukayama, E. (2019). The Light vs. Dark Triad of Personality: Contrasting Two Very Different Profiles of Humanity. Frontiers in Psychology,

- Kashdan, T. B., Mishra, A., Breen, W. E., & Froh, J. J. (2004). Personality and social psychology: Curiosity, exploration, and positive functioning. *Journal of Personality Assessment*, 82(3), 291–3.
- Kohlberg, L. (1981). *The Philosophy of Moral Development: Moral Stages and the Idea of Justice*. Harper & Row
- Lukić, P., & Živanović, M. (2021). Light Triad Traits and Personality Structure. *Personality and Individual Differences*, 178, 110862..
- McCrae, R. R., & Costa, P. T. (1996). Toward a new generation of personality theories: Theoretical contexts for the Five-Factor Model. In P. T. Costa & T. A. Widiger (Eds.), *Personality disorders and the five-factor model of personality* (pp. 37-58). American Psychological Association.
- McLeod, S. A. (2019). Sigmund Freud: Theories of personality. *Simply Psychology*.
- Maralov.Vladimir.S &Etal, (2024): The Role of Capital in the Development of Dark and Light Triad of Personality Traits in University Students, *Journal of Education & Pedagogy* , No2,P36-52
- Maslow, A. H. (1970). *Motivation and Personality* (2nd ed., pp. 153–180). Harper & Row.
- Maslow, A. H. (1970). Moti Kohlberg, L. (1981). *The Philosophy of Moral Development* (Vol. 1, pp. 176–198). Harper & Row. vation and Personality (2nd ed., pp. 153–180). Harper & Row
- Morf, C. C., & Rhodewalt, F. (2001). Unraveling the paradoxes of narcissism: A dynamic self-regulatory processing model. In *Psychological Inquiry*, 12(4), 177–196.
- Okray, Z., & Müzzin, E. (2022). The Impostor Phenomenon, Dark Triad Traits and Aggression in University Students, pp30-38
- Panatik, S. A., et al. (2022). Dark Triad Traits and Cyberbullying among Malaysian University Students. Vol25, pp26-45
- Paulhus, D. L., & Williams, K. M. (2002). The Dark Triad of personality: Narcissism, Machiavellianism, and psychopathy. *Journal of Research in Personality*, 36(6), 556-563.
- Rogers, C. R. (1961). *On Becoming a Person: A Therapist's View of Psychotherapy*. Houghton Mifflin.
- Rust, Jone,Susan.Colombok,(1989):Modren Psychometrics(The Science of Psychological Assessment), London, New York
- Seligman, M. E. P. (2011). *Flourish: A Visionary New Understanding of Happiness and Well-being*. Free Press

عنوان البحث

الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة وعلاقته ببعض المتغيرات

أ.م. رنا فاضل عباس الجنابي¹

¹ هيئة البحث العلمي/ مركز البحوث النفسية، العراق.

بريد الكتروني: Ranafadhel17@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/53>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/53>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى قياس مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة والكشف عن علاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية (الجنس، والتخصص، والخبرة بالتكنولوجيا). اتُبع المنهج الوصفي الارتباطي على عينة عشوائية قوامها (100) طالب/ة من تخصصات علمية وإنسانية في جامعة بغداد/مجمع الجادرية. طُورت الباحثة مقياساً للثقافة الرقمية في ستة مجالات (التقني، المعلوماتي/المعرفي، الاتصالي، الأخلاقي، الأمني، الإبداعي) بصيغته النهائية من (15) فقرة، وأظهر المقياس ثباتاً مقبولاً (ألفا كرونباخ = 0.70). استُخدمت التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية واختبار (t) لعينتين مستقلتين، وتحليل التباين الأحادي (ANOVA)، ومعامل ارتباط بيرسون. بينت النتائج ارتفاع مستوى الثقافة الرقمية لدى أفراد العينة (متوسط عام = 4.02، بانحراف معياري = 0.47)، وتقدّم البعد الأخلاقي والمهارات التقنية الأساسية على غيرهما. كما لم تظهر فروق دالة إحصائية تعزى إلى الجنس أو التخصص أو مستوى الخبرة بالتكنولوجيا، ولم تُسجل علاقات ارتباطية دالة بين الثقافة الرقمية وتلك المتغيرات. توصي الدراسة بتعزيز التفكير النقدي والتحقق من المعلومات والالتزام بحقوق الملكية الفكرية، وتطوير مهارات الإبداع والتعاون الرقمي عبر برامج تدريبية وورش تطبيقية موجهة للطلبة وأعضاء هيئة التدريس.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الرقمية؛ طلبة الجامعة؛ الجنس؛ التخصص؛ الخبرة بالتكنولوجيا؛ الكفاءة الرقمية.

RESEARCH TITLE

Digital Literacy among University Students and Its Relationship to Some Variables

Rana Fadhel Abbas Al-Janabi¹

¹ Scientific Research Commission/ Psychological Research Center /Jadiriya Campus, Iraq.
Email: Ranafadhel17@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/53>
Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/53>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study examines university students' level of digital literacy and its relationship with selected demographic variables (gender, field of study, and technological experience). A descriptive–correlational design was employed with a random sample of 100 students from scientific and humanities disciplines at the University of Baghdad (Jadiriya campus). The researcher developed a Digital Literacy Scale covering six domains (technical, informational/cognitive, communicative, ethical, security, and creative). The final 15-item scale demonstrated acceptable internal consistency (Cronbach's $\alpha = 0.70$). Descriptive statistics, independent-samples t-tests, one-way ANOVA, and Pearson correlations were used. Findings indicated a high overall level of digital literacy among participants ($M = 4.02$, $SD = 0.47$), with the ethical domain and basic technical skills leading other dimensions. No statistically significant differences were found by gender, field of study, or technological experience; likewise, correlations between digital literacy and these variables were non-significant. The study recommends strengthening critical evaluation of online information, adherence to academic integrity and intellectual property, and developing creative and collaborative digital skills through targeted workshops and capacity-building programs for students and faculty.

Key Words: Digital literacy; University students; Gender; Field of study; Technological experience; Digital competence.

مشكلة البحث:

يشهد العالم المعاصر ثورة رقمية متسارعة انعكست بصورة واضحة على مختلف مناحي الحياة، وكان للتعليم العالي النصيب الأكبر من هذه التحولات، وعلى الرغم من أن جيل الشباب في الجامعات يوصف بأنه "جيل رقمي" بحكم نشأته في بيئة مشبعة بالتكنولوجيا، إلا أن امتلاك الأدوات الرقمية لا يعني بالضرورة امتلاك ثقافة رقمية واعية تمكن الطلبة من الاستخدام الرشيد والناقد للتكنولوجيا. فهناك مؤشرات على أن الطلبة قد يواجهون صعوبات في التحقق من المعلومات، أو حماية بياناتهم، أو التمييز بين الاستخدام الترفيهي والأكاديمي. كما أن هناك فجوة واضحة بين الاستخدام الرقمي وبين الوعي النقدي والأخلاقي بالتكنولوجيا، مما يجعل الطلبة عرضة للمخاطر الرقمية وسوء توظيف الموارد الإلكترونية (Xiu & Li, 2024, pp. 45-63). وتشير بعض الدراسات كدراسة (Ng, 2012) ودراسة (Hatlevik & Christophersen, 2013) إلى أن الكفاءة الرقمية لدى طلبة الجامعة لا تتحدد بكمية الوقت الذي يقضونه على الإنترنت، بل بجودة توظيفهم للأدوات الرقمية في عمليات البحث والتعلم وحماية خصوصيتهم الرقمية. (Ng, 2012, pp1065-1078) (Hatlevik & Christophersen, 2013, pp176-185)، بناء على ذلك يسعى البحث الحالي إلى دراسة الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة ؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الثقافة الرقمية بين طلبة الجامعة تبعا لمتغير الجنس، والتخصص، والخبرة بالتكنولوجيا؟
- ما طبيعة العلاقة بين مستوى الثقافة الرقمية وكل من متغير الجنس والتخصص والخبرة بالتكنولوجيا لدى الطلبة ؟.

أهمية البحث:

تُعد الثقافة الرقمية من المرتكزات الأساسية لنجاح الأفراد والمؤسسات في العصر الحديث، إذ لم يعد إتقان مهارات استخدام الحاسوب أو تصفح الإنترنت كافياً، بل أصبح من الضروري امتلاك وعي رقمي شامل يجمع بين المعرفة، والمهارة، والنقد، والمسؤولية الأخلاقية، فالقدرة على توظيف الثقافة الرقمية تمثل مدخلاً أساسياً للتمييز الأكاديمي والمهني، وللمشاركة الفاعلة في المجتمع الرقمي. (Xiu & Li, 2024, pp. 45-63).

ويمثل طلبة الجامعة رأس المال البشري للمجتمع، والفئة الأكثر حاجة إلى هذه الثقافة بما يساهم في نجاحهم الأكاديمي وتميزهم في سوق العمل، ومواكبتهم لمتطلبات المجتمع الرقمي. (Ng, 2012, pp. 1065-1078) (Siddiq & et al, 2016, pp205-217). لذا أصبحت الثقافة الرقمية ضرورة حتمية لا غنى عنها لأبنائنا في هذا العصر الرقمي بعد أن كان ينظر إليها من قبل على أنها ترفيه أو رفاهية.

ومن هنا تتضح أهمية هذا البحث في الكشف عن مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة، مما يساعد الجامعات على وضع خطط وبرامج تربوية لتطوير هذه الثقافة، وإعداد جيل قادر على التعامل الواعي مع الأدوات الرقمية وتحقيق التوازن بين الاستخدام التكنولوجي الهادف والاستخدام الكثيف غير المسؤول، بما يضمن المساهمة في التنمية الاقتصادية والعلمية للمجتمع. (Ilomaki & et al, 2016, p 655-679) وتتجلى أهمية البحث فيما يلي.

1. يستمد البحث أهميته من أهمية موضوعه المتمثل بالثقافة الرقمية، التي تُعد أحد المرتكزات الأساسية لنجاح الأفراد والمؤسسات في العصر الرقمي. لاسيما داخل البيئة الجامعية التي تتطلب كفاءات رقمية متقدمة لدى الطلبة.

2. تتبع أهمية البحث من أهمية العينة المتمثلة بطلبة الجامعة، كونهم الفئة الأكثر ارتباطاً بالتقنيات الرقمية، والأقدر على استثمارها في العملية التعليمية، بالإضافة إلى دورهم المحوري بوصفهم النواة الأساسية لبناء المجتمع المعرفي وتعزيز التنمية المستدامة.
3. يمكن أن تسهم نتائج البحث الحالي في إفادة الجامعات من خلال إقامة دورات تدريبية تعزز الوعي الرقمي لدى الطلبة.
4. يُعد هذا البحث إضافة نوعية إلى حقل الدراسات العلمية التي تتناول الثقافة الرقمية، إذ يسهم في سد فجوة بحثية في هذا المجال، لاسيما فيما يتعلق بالثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة.

أهداف البحث:-

يهدف البحث الحالي الى:

1. قياس مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة
2. التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة تبعا للمتغيرات الآتية: التخصص: (علمي، انساني) ، الجنس (ذكر، انثى)، الخبرة بالتكنولوجيا (مبتدئ، متوسط، متقدم)
3. الكشف عن العلاقة بين مستوى الثقافة الرقمية ومتغير (التخصص، الجنس، الخبرة بالتكنولوجيا) لدى الطلبة.

فرضيات البحث:

1. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الثقافة الرقمية لدى عينة البحث تبعا لمتغير (الجنس، التخصص، الخبرة بالتكنولوجيا)
2. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين كل من الجنس، التخصص، الخبرة بالتكنولوجيا ومستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة.

حدود البحث: الحدود البشرية: طلبة جامعة بغداد

الحدود المكانية: كليات جامعة بغداد/ مجمع الجادرية

الحدود الزمانية: للعام الدراسي 2024-2025

تحديد المصطلحات:

الثقافة الرقمية Digital Literacy: عرفها كل من :

- اليونسكو (UNESCO,2018). الثقافة الرقمية هي القدرة على الوصول إلى المعلومات الرقمية وإدارتها وفهمها وتكاملها وتقييمها وإنشائها بشكل آمن وأخلاقي من خلال الأجهزة الرقمية من أجل المشاركة في المجتمع والتعلم والعمل. (UNESCO,2018).

- لولي (2017). الثقافة الرقمية: بأنها تمكن أفراد المجتمع من استخدام التطبيقات الرقمية في انجاز أعمالهم الوظيفية والشخصية، وكذلك قدرتهم في التوصل الى المعلومات من خلال استخدامهم للأجهزة الرقمية. (لولي، 2017، ص ص 61-72)

- التعريف النظري: تتبنى الباحثة تعريف (Ng,2012) كتعريف نظري فقد عرفها بأنها " القدرة على استخدام التقنيات الرقمية بفاعلية من خلال دمج المهارات التقنية، والمعرفية، والاجتماعية - العاطفية في الممارسات الرقمية اليومية.

(Ng,2012,p p 1065-1078)

- تعريف الباحثة الإجرائي: هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيبين على مقياس الثقافة الرقمية المعد لإغراض هذا البحث.

الأدبيات والدراسات السابقة

مفهوم الثقافة الرقمية Digital Literacy

بدأ مصطلح الثقافة الرقمية في الظهور على يد Paul Gilster منذ عام 1997 حيث عرفها بأنها " القدرة على فهم واستخدام وتقييم المعلومات ودمجها من خلال الأجهزة الرقمية. (Gilster,1997,pp.261-270)

كما عرفها (Ng,2012) بأنها القدرة على استخدام التقنيات الرقمية بفاعلية من خلال دمج المهارات التقنية، والمعرفية، والاجتماعية-العاطفية في الممارسات الرقمية اليومية. (Ng,2012,pp1065-1078)

ويرى (Ilomäki & et al,2016) الثقافة الرقمية " بأنها القدرة على استخدام التكنولوجيا الرقمية في الحياة اليومية، والعمل، والتعلم والمشاركة في المجتمع بطريقة فعالة وإخلاقية. " (Ilomäki & et al, 2016,pp.655-679)

كما ترى (لوي،2017) الثقافة الرقمية: بأنها تمكن أفراد المجتمع من استخدام التطبيقات الرقمية في انجاز أعمالهم الوظيفية والشخصية، وكذلك قدرتهم في التوصل إلى المعلومات من خلال استخدامهم للأجهزة الرقمية. (لوي، 2017، ص ص 61-72)

و يعرف (Decarlo & et al,2018) الثقافة الرقمية :بأنها مجموعة المعارف والمهارات والقيم، والاتجاهات التي يجب أن يكتسبها الأطفال حول الأدوات الرقمية، في حين أن الثقافة الرقمية في مجال التعليم والتعلم بالنسب للمعلم ترتبط بكفايات المعلم في استخدام الأدوات القيمة في تعزيز عمليات وممارسات الأطفال في اكتساب المعارف، والمهارات والقيم، والاتجاهات باستراتيجيات وأساليب أكثر جاذبية واستمتاعاً، وقل تكلفة في الجهد، والوقت، والمال. (Decarlo & et al ,2018, p p.265-27)

ومفهوم الثقافة الرقمية يعني " القدرة بثقة على استخدام أجهزة الكمبيوتر والخدمات الالكترونية لمواكبة حياة المجتمعات الحديثة والمشاركة فيها بثقة، ويكمن جوهرها في تمكين افراد المجتمع من استخدام التطبيقات الرقمية الحقيقية لما لها من ثمة لانجاز اعمالهم الوظيفية والشخصية أو واجباتهم ومهامهم تجاه المجتمع " (عبد القادر،2019، ص1547).

وبناءً على ما سبق: الثقافة الرقمية هي مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات التي تمكن طلبة الجامعة من الوصول الى المعلومات الرقمية وإدارتها وتقييمها وإنتاجها والتواصل بها بفاعلية، مع مراعاة الجوانب الأخلاقية والاجتماعية، بما يسهم في تفاعلهم الايجابي مع بيئة التعلم والعمل في العصر الرقمي.

أبعاد الثقافة الرقمية:

1. البعد التقني Technical Literacy: القدرة على استخدام الأجهزة والبرمجيات والتطبيقات الرقمية.
2. البعد المعلوماتي /المعرفي Information literacy: البحث عن المعلومات، تقييمها والتحقق من مصداقيتها.
3. البعد الاتصالي Communication Literacy: التفاعل عبر الوسائط الرقمية بشكل فعال وآمن.
4. البعد اخلاقي والقيمي Ethical Literacy: الاستخدام المسؤول للتكنولوجيا (الخصوصية، الملكية الفكرية.
5. البعد الأمني Security Literacy: حماية البيانات الشخصية والوعي بالمخاطر الرقمية.

6. البعد الإبداعي والإنتاجي Creative Literacy: إنتاج محتوى رقمي (مقالات، عروض، فيديو، مشاركات تعليمية). (Ng,2012,pp1065-1078)

أدوات الثقافة الرقمية:

تشير أدوات الثقافة الرقمية إلى مجموعة الوسائل التقنية التي تمكن الأفراد من ممارسة مهاراتهم الرقمية في البحث والتواصل والإنتاج والتعاون ضمن البيئات الرقمية. وتشمل هذه الأدوات تطبيقات ومنصات متعددة مثل:

1. أدوات البحث والوصول إلى المعلومات: مثل Google Scholar، المكتبات الرقمية، محركات البحث الأكاديمية، منصات النشر العلمي.
2. أدوات التواصل والتعاون الرقمي: مثل البريد الإلكتروني، منصات التعلم الإلكتروني، تطبيقات التواصل (وأتساب، تلغرام، مايكروسوفت تايمز، زووم ...)
3. أدوات إنتاج المحتوى الرقمي: مثل برامج العروض التقديمية، أدوات تحرير الفيديو (YouTube Studio)، أدوات تصميم المدونات (Blogger , Canva)
4. أدوات تنظيم وإدارة البيانات: مثل Dropbox , Google Drive، أدوات التخزين السحابي، تطبيقات إدارة المشاريع.
5. أدوات الأمن والخصوصية الرقمية: مثل برامج الحماية، إعدادات الخصوصية، التحقق الثنائي، كلمات المرور الآمنة.
6. أدوات التقييم والقياس الإلكتروني: مثل Microsoft Forms , Google Forms، أدوات بناء الاختبارات الإلكترونية والمنصات التعليمية LMS

وتمثل هذه الأدوات الجانب التطبيقي للثقافة الرقمية، حيث تعد وسيلة لقياس مدى قدرة الأفراد على توظيفها بوعي وكفاءة ومسؤولية في حياتهم الأكاديمية والمجتمعية. (Ng,2012,pp1065-1078) (Ilomäki & et al, 2016,pp655-679)، (Siddiq & Scherer,2019,pp205-217)،

الدراسات السابقة:

1. دراسة Arslantas & Gul (2022). الهدف منها قياس مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة من ذوي الإعاقة البصرية في تركيا، وتحليل تأثير بعض المتغيرات مثل الجنس وسن البدء في استخدام التكنولوجيا، ومدة الاستخدام اليومي للانترنت، وتكونت عينة الدراسة من (60) طالبا، وتوصلت نتائج الدراسة إلى مستويات عالية في البعدين التقني والمعرفي للثقافة الرقمية لكنها اقل في البعد الاجتماعي، كما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية حسب الجنس أو مستوى الإعاقة. كما إن الاستخدام اليومي للانترنت كان له تأثير ايجابي معنوي على الثقافة الرقمية، كما إن البدء المبكر في استخدام التكنولوجيا ساهم في رفع الثقافة الرقمية. (Arslantas & Gul, 2022, pp.5605- 5625)
2. دراسة محفوظ وسميرة (2023). دراسة وصفية تحليلية الهدف منها التعرف على مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعات الجزائرية ضمن متطلبات التعليم الإلكتروني، وتكونت عينة الدراسة من 350 طالب جامعي وتم استخدام البرنامج الإحصائي SPSS لتحليل البيانات، وظهرت نتائج الدراسة أن الطلاب يمتلكون مستوى مرتفع من الثقافة الرقمية، مع عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابة افراد عينة البحث تعزى لمتغير الجنس والعمر والتخصص ما عدا متغير مكان السكن. (محفوظ وسميرة، 2023، ص 78-98)
3. دراسة يوسف (2024). دراسة ميدانية الهدف منها الكشف عن ابعاد الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة وعلاقتها بتعزيز التعليم الإلكتروني، وتكونت عينة الدراسة من (114) طالب موزعين على (5) تخصصات بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة تامنغست الجزائرية، واعتمدت على استبيان جمع معلومات حول المتغيرات الاتية (البيانات

الشخصية، المعارف العامة، التعليم الرقمي، أدوات البحث الرقمي)، أظهرت نتائج الدراسة أن الثقافة الرقمية تلعب دوراً إيجابياً وفعالاً في تعزيز التعليم الإلكتروني لدى طلبة الجامعة، وأن الطلاب يمتلكون مستويات مقاربة في الثقافة الرقمية بغض النظر عن تخصصاتهم العلمية. (يوسف، 2024، ص ص 134 – 156)

4. دراسة Chen (2025). الهدف منها الكشف عن العلاقة بين الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة ومستوى تحصيلهم الأكاديمي مع التركيز على دور متغيرين وسيطين: التكيف مع التعلم والتعلم الذاتي المنظم عبر الإنترنت، تكونت عينة البحث من 894 طالباً، تم قياس المتغيرات الأربعة (الثقافة الرقمية، التكيف مع التعلم، التعلم الذاتي المنظم عبر الإنترنت، والتحصيل الأكاديمي) باستخدام مقاييس مخصصة. وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية ومباشرة بين الثقافة الرقمية والتحصيل الأكاديمي، كما تبين أن التكيف مع التعلم والتعلم الذاتي المنظم عبر الإنترنت يؤديان دوراً وسيطاً سواء بشكل مستقل أو متسلسل، حيث تعزز الثقافة الرقمية قدرة الطالب على التكيف مما يدفعه إلى تنظيم تعلمه الذاتي عن بعد ويؤدي في النهاية إلى تحصيل أكاديمي أفضل. (Chen, 2025).

تعقيب على الدراسات السابقة:

أظهرت الدراسات السابقة أن مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة كان مرتفعاً بشكل عام، كما تناولت بعض الدراسات العلاقة بين الثقافة الرقمية والتحصيل الأكاديمي، وأكدت على الدور الهام للثقافة الرقمية في تعزيز التعليم الإلكتروني وتسهيل استخدام التكنولوجيا في التعلم. كما أشارت الدراسات إلى أنه لا توجد فروق أو تأثير معنوي على مستوى الثقافة الرقمية تبعاً لمتغيرات الجنس أو الخبرة أو التخصص. وفي سياق البحث الحالي أظهرت النتائج أن مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة مرتفع أيضاً، وأن الجنس والتخصص والخبرة لا يؤثران على هذا المستوى بشكل معنوي وهو ما يتوافق مع نتائج الدراسات السابقة. كما تشير النتائج إلى الحاجة إلى تعزيز الوعي الأخلاقي للطلبة وتشجيعهم على التحقق من صحة المعلومات الرقمية لضمان استخدام فعال وآمن للتكنولوجيا.

منهجية البحث وإجراءاته: استعمل المنهج الوصفي الارتباطي لملائمته لطبيعة البحث وإجراءاته

مجتمع البحث: تكون مجتمع البحث من كليات جامعة بغداد للعام الدراسي 2024-2025 في مجمع الجادرية البالغ عددهم (6) كليات والجدول رقم (1) يوضح ذلك

جدول (1) توزيع مجتمع البحث

ت	الكلية	العدد	النسبة المئوية
1	كلية الهندسة	25	25 %
2	كلية العلوم	25	25 %
3	كلية الإعلام	12	12 %
4	كلية التربية للبنات	12	12 %
5	كلية العلوم للبنات	26	26 %
المجموع		100	100 %

عينة البحث: بلغت عينة البحث (100) طالب وطالبة، وقد أختيرت العينة بشكل عشوائي من كليات جامعة بغداد وقد روعي في اختيار العينة اختلاف وتباين الجنس والتخصص. والجدول رقم (2) يوضح ذلك.

جدول رقم (2) توزيع أفراد عينة البحث تبعا لمتغيرات البحث

المتغيرات	العدد	المجموع
الجنس	ذكر 40	أنثى 60
التخصص	أنساني 24	علمي 76
الخبرة بالتكنولوجيا	مبتدئ 46	متوسط 49
		متقدم 5

أداة البحث:

- مقياس الثقافة الرقمية (إعداد الباحثة)

بعد الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة وتحليل التعاريف النظرية لمفهوم الثقافة الرقمية، واستناداً الى الإطار الذي قدمته (Ng, 2012)، قامت الباحثة بإعداد مقياس الثقافة الرقمية وتكون بصورته الأولية من (22) فقرة موزعة على ستة أبعاد أساسية (التقني، المعلوماتي / المعرفي، الاتصالي، الأخلاقي، الأمني، الإبداعي) حيث يقيس كل بعد جانباً محدداً من الثقافة الرقمية لدى الطلبة. والجدول رقم (3) يوضح ذلك، ويعتمد المقياس على مقياس ليكرت الخماسي (Likert) (1,2,3,4,5) على التوالي للعبارة الموجبة، والملحق رقم (1) يوضح ذلك.

جدول (3) أبعاد مقياس الثقافة الرقمية

ت	ابعد المقياس	العدد	الوزن النسبي	العبارات الايجابية التوجه	الدرجة الصغرى	الدرجة العظمى
1	التقني	4	18%	1,2,3	4	20
2	المعلوماتي/المعرفي	4	18%	5,6,7	4	20
3	الاتصالي	3	14%	9,10,11	3	15
4	الأخلاقي	3	14%	12,14	3	15
5	الأمني	4	18%	15,17	4	20
6	الإبداعي	4	18%	18,20	4	20
	المجموع	22	100%		22	110

صدق المقياس Validity: الصدق الظاهري. تم عرض المقياس بصورته الأولية على مجموعة من ذوي الاختصاص ملحق (2) للحكم على صلاحية الفقرات والتعليمات وبدائل الاستجابة، مع تعريف الثقافة الرقمية، وفي ضوء ملاحظاتهم أصبح المقياس بصيغته النهائية يتكون من (20) فقرة والملحق (3) يوضح ذلك.

1. صدق البناء. وتحقق ذلك من خلال ما يلي:

- حساب القوة التمييزية للفقرات : لاستخراج القوة التمييزية للفقرات واستبعاد الفقرات غير المميزة، تم ترتيب الدرجات الكلية التي حصل عليها المستجيبون والبالغ عددهم (100) من اعلي درجة إلى ادني درجة، وتم سحب 27% من الإجابات التي تمثل الدرجات العليا و 27% من الإجابات التي تمثل الدرجات الدنيا وكل من المجموعتين العليا والدنيا اشتملت على (27) استمارة وهي نسبة 27% من حجم العينة البالغة (100) طالب وطالبة، وتم حساب دلالة الفروق بين المجموعتين باستخدام الاختبار التائي T-test لعينتين مستقلتين، واتضح من خلال التحليل الإحصائي أن جميع الفقرات مميزة عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (52)، والقيمة التائية المحسوبة اعلى من القيمة التائية الجدولية البالغة (2.009) عدا الفقرات (1, 4, 15,17,20) والجدول رقم (4) يوضح ذلك.

جدول (4) قيمة (T-test) لتمييز فقرات مقياس الثقافة الرقمية

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
	4.22	1.12	3.93	1.14	0.96	2.009	غير دالة
	4.70	0.66	3.85	1.06	3.52		دالة
	4.18	0.87	2.48	1.52	5.02		دالة
	4.00	1.07	3.56	1.60	1.20		غير دالة
	4.70	0.87	4.15	0.99	2.19		دالة
	4.70	0.67	3.85	1.06	3.52		دالة
	4.26	0.94	2.78	1.15	5.16		دالة
	4.33	0.92	3.19	1.42	3.54		دالة
	4.25	0.94	2.77	1.15	5.16		دالة
	4.00	1.44	2.33	1.44	4.25		دالة
	4.85	0.60	3.33	1.52	4.83		دالة
	5.00	0.00	3.74	1.13	5.79		دالة
	4.19	0.88	2.48	1.53	5.02		دالة
	4.44	1.01	3.70	1.46	2.16		دالة
	4.59	0.69	4.19	1.21	1.52		غير دالة
	4.63	0.69	3.07	1.49	4.92		دالة
	3.78	1.63	3.04	1.37	1.81		غير دالة
	4.74	0.59	3.78	1.60	2.93		دالة
	4.62	0.68	3.07	1.49	4.92		دالة
	3.81	1.18	3.59	1.25	0.67		غير دالة

- علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

لاستخراج العلاقة الارتباطية بين متوسط درجات الاستجابات لكل فقرة والدرجة الكلية لجميع فقرات المقياس استخدمت الباحثة معامل ارتباط بيرسون، وقد طبق هذا الاجراء على (100) استمارة، وأظهرت نتائج الارتباط أن جميع الفقرات مميزة عند مستوى دلالة (0.01) ما عدا الفقرات (1, 4, 15, 17, 20) والجدول رقم (5) يوضح ذلك.

جدول (5)

نتائج معامل ارتباط بيرسون بين درجة الفقرة والدرجة الكلية لمقياس الثقافة الرقمية

رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط
1	0.12	11	8.53**
2	0.26**	12	0.62**
3	0.25**	13	0.46**
4	0.06	14	0.37**
5	0.25*	15	0.10
6	0.36**	16	0.46**
7	0.58**	17	0.09
8	0.33**	18	0.28**
9	0.29**	19	0.34**
10	0.45**	20	0.10

** دالة عند 0.01

Alpha	N of item
0.70	15

ثبات المقياس: بعد استبعاد الفقرات غير الملائمة، أصبح المقياس في صيغته النهائية يتألف من (15) فقرة، ولتقدير مدى اتساق فقراته الداخلية تم استخدام معامل الفاكرونباخ وقد بلغت قيمته (0.70)، تعكس مؤشر ثبات جيد .
الوسائل الإحصائية: عُولجت البيانات إحصائياً باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) وقد استخدمت الوسائل الإحصائية الآتية:

1. التكرارات والنسب المئوية
 2. الاختبار التائي t-test لعينتين مستقلتين
 3. المتوسط الحسابي والانحراف المعياري
 4. تحليل التباين الأحادي للكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية.
- ولتسهيل تفسير النتائج وإصدار أحكاماً ترتكز الى معايير حددت مسبقاً، فقد تم تحويل مقياس ليكرت الخماسي الى فقرات وكما موضح في الجدول رقم (6)

جدول (6)

ميزان تقديري وفقاً لمقياس ليكرت الخماسي

ت	الاستجابة	المتوسط المرجح بالاوزان	طول الفترة	المستوى
1	لا تتطبق علي إطلاقاً	1-1.79	0.79	منخفض
2	لا تتطبق علي	1.80-2.59		
3	محايد	2.60-3.39		متوسط
4	تتطبق علي	3.40-4.19		مرتفع
5	تتطبق علي بدرجة كبيرة	4.20-5.00		

نتائج البحث ومناقشتها: سيتم عرض نتائج البحث وفقاً لأهداف البحث:

الهدف الأول: قياس مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة .

تشير النتائج العامة المبينة في الجدول رقم (7) إلى مستوى مرتفع من الثقافة الرقمية لدى عينة البحث، إذ بلغ المتوسط العام لمستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة (4.02) وبانحراف معياري (0.47) محصوراً ضمن المجال (3.40-4.19) وفق الميزان التقديري لمقياس ليكرت الخماسي المستخدم . فهذا يعني أن الطلبة يتمتعون بقدرة عالية على استخدام التقنيات الرقمية بوعي وكفاءة ومسؤولية في مجالات الدراسة والتواصل والحياة اليومية . وهذا يعكس تحولاً في البيئة الجامعية والمجتمع ككل نحو الرقمنة، حيث أصبحت التقنيات الرقمية جزءاً أساسياً من التعلم والتفاعل الأكاديمي والاجتماعي. واتفقت هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة كدراسة (محفوظ وسميرة 2023). وتم ترتيب الفقرات من أعلى متوسط حسابي إلى أقل متوسط حسابي، وكما موضح في الجدول .

جدول (7)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لإجابات أفراد عينة البحث

ت	الفقرة	تتطبق على بدرجة كبيرة		تتطبق على		محايد		لا تتطبق علي		لا تتطبق علي إطلاقاً		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%			
3	أتمكن من تثبيت البرامج أو التطبيقات التي احتاجها	61	61.0 %	18	18.0 %	21	21.0 %	-	-	-	-	4.40	0.82	مرتفع
4	أستطيع حل بعض المشكلات البسيطة في جهازي عندما لا يعمل بشكل صحيح	50	50.0 %	40	40.0 %	7	7.0 %	1	1.0 %	2	2.0 %	4.35	0.82	مرتفع
2	أبحث عن المعلومات التي احتاجها من خلال الانترنت أو المكتبات الالكترونية	65	65.0 %	25	25.0 %	8	8.0 %	-	-	2	2.0 %	4.51	0.81	مرتفع
7	أؤكد من صحة ودقة المعلومات قبل استخدامها في دراستي	47	47.0 %	22	22.0 %	30	30.0 %	1	1.0 %	-	-	4.15	0.89	مرتفع

10	أميز بين المواقع الموثوقة وغير الموثوقة عند البحث عن المعلومات	33	33.0 %	25	25.0 %	27	27.0 %	12	12.0 %	3	3.0 %	3.73	1.14	مرتفع
12	أستخدم أي معلومة من الانترنت دون التأكد من صحتها	28	28.0 %	30	30.0 %	23	23.0 %	12	12.0 %	7	7.0 %	3.60	1.21	مرتفع
11	أستخدم البريد الالكتروني أو التطبيقات التعليمية للتواصل مع أساتذتي وزملائي	29	29.0 %	33	33.0 %	17	17.0 %	12	12.0 %	9	9.0 %	3.61	1.27	مرتفع
14	أشارك في مجموعات دراسية عبر الانترنت لتبادل المعلومات مع زملائي	43	43.0 %	16	16.0 %	7	7.0 %	15	15.0 %	19	19.0 %	3.49	1.60	مرتفع
6	أستخدم أسلوباً مهذباً ولائقاً عند التواصل الالكتروني مع الآخرين	60	60.0 %	21	21.0 %	7	7.0 %	6	6.0 %	6	6.0 %	4.23	1.19	مرتفع
1	أحترم حقوق الآخرين عند استخدام أو مشاركة المواد الموجودة على الانترنت	70	70.0 %	20	20.0 %	5	5.0 %	4	4.0 %	1	1.0 %	4.54	0.85	مرتفع
13	أنسخ الأبحاث أو المقالات من الانترنت دون أن اذكر المصدر	33	33.0 %	25	25.0 %	19	19.0 %	7	7.0 %	16	16.0 %	3.52	1.42	مرتفع
5	النزيم بالقيم والأخلاق عند استخدام شبكات التواصل الاجتماعي	64	64.0 %	18	18.0 %	6	6.0 %	10	10.0 %	2	2.0 %	4.32	1.09	مرتفع
8	أشارك بياناتي الشخصية على الانترنت دون حذر	41	41.0 %	42	42.0 %	10	10.0 %	3	3.0 %	4	4.0 %	4.13	0.99	مرتفع
9	أعد عروضاً أو تقارير باستخدام الحاسوب أو التطبيقات الرقمية	54	54.0 %	18	18.0 %	15	15.0 %	5	5.0 %	8	8.0 %	4.05	1.27	مرتفع
11	أجد صعوبة في استخدام الأدوات الالكترونية لعرض افكاري بشكل مبتكر مثل الفيديو أو باوربوينت	31	31.0 %	21	21.0 %	28	28.0 %	18	18.0 %	2	2.0 %	3.61	1.16	مرتفع
	مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة											4.02	0.47	مرتفع

أظهرت نتائج التحليل الإحصائي لفقرات مقياس الثقافة الرقمية أن جميع الفقرات قد حصلت على درجات مرتفعة مما يدل على أن طلبة الجامعة يتمتعون بمستوى عال من الثقافة الرقمية، إلا أن المتوسطات الحسابية تفاوتت بين الفقرات، الأمر الذي يعكس اختلافاً في درجة امتلاك الطلبة لأبعاد هذه الثقافة من حيث المهارات والقيم والسلوكيات الرقمية .

أولاً: الفقرات الأعلى متوسطاً:-

جاءت بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي مرتفع (4.54) وانحراف معياري (0.85) الفقرة الآتية " أحترم حقوق الآخرين عند استخدام أو مشاركة المواد الموجودة على الانترنت" وبأجمالي تنطبق وتنطبق علي بدرجة كبيرة (90) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة، وهذا يشير الى أن طلبة الجامعة يمتلكون وعياً أخلاقياً رقمياً متقدماً، ويتمتعون بإدراك واضح لمفهوم الملكية الفكرية والحقوق الرقمية عند التعامل مع المحتوى الإلكتروني. ويعكس هذا الوعي تنامي القيم والمسؤولية في البيئة الرقمية، وربما يعود ذلك الى تعزيز الجامعات لمبادئ النزاهة الأكاديمية، ونشر ثقافة الاستخدام المسؤول للموارد الرقمية في المقررات الدراسية والأنشطة الإلكترونية.

جاءت بالمرتبة الثانية وبمتوسط حسابي مرتفع (4.51) وانحراف معياري (0.81) الفقرة الآتية " أبحث عن المعلومات التي احتاجها من خلال الانترنت أو المكتبات الإلكترونية" وبأجمالي تنطبق وتنطبق علي بدرجة كبيرة (90) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. وهذا يشير الى أن الطلبة يمتلكون كفاءة بحث رقمية مرتفعة وقدرة على الوصول الى مصادر المعرفة الإلكترونية بفاعلية، ويعزى ذلك الى اعتماد الطلبة المتزايد على الانترنت كأداة تعليمية أساسية في دراستهم الجامعية، خاصة في ظل التوسع في التعليم الإلكتروني والاعتماد على قواعد البيانات والمكتبات الافتراضية.

جاءت بالمرتبة الثالثة وبمتوسط حسابي مرتفع (4.40) وانحراف معياري (0.82) الفقرة الآتية " أتمكن من تثبيت البرامج أو التطبيقات التي احتاجها" وبأجمالي تنطبق وتنطبق علي بدرجة كبيرة (79) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. تعكس هذه النتيجة امتلاك الطلبة مهارات تقنية تشغيلية جيدة، وقدرتهم على التعامل العملي مع البرمجيات والأدوات الرقمية. وهذا يشير الى أن لديهم مستوى مناسباً من الكفاءة التكنولوجية التي تمكنهم من إدارة بيئتهم الرقمية بمرونة. كما يمكن يفسر ذلك بأن الطلبة يكتسبون هذه المهارة من كثرة تعاملهم مع الأجهزة الذكية والمنصات التعليمية الرقمية.

وجاءت بالمرتبة الرابعة وبمتوسط حسابي مرتفع (4.35) وانحراف معياري (0.82) الفقرة الآتية " أستطيع حل بعض المشكلات البسيطة في جهازي عندما لا يعمل بشكل صحيح" وبأجمالي تنطبق وتنطبق علي بدرجة كبيرة (90) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. ويدل هذا على أن الطلبة يتمتعون بمهارات صيانة رقمية أولية تمكنهم من حل المشكلات التقنية البسيطة ذاتياً، دون الاعتماد الكامل على الآخرين، ويعكس ذلك الاعتماد الذاتي في التعامل مع الأجهزة، وهو جانب مهم من جوانب الكفاءة الرقمية.

جاءت بالمرتبة الخامسة وبمتوسط حسابي مرتفع (4.32) وانحراف معياري (1.09) الفقرة الآتية " التزم بالقيم والأخلاق عند استخدام شبكات التواصل الاجتماعي" وبأجمالي تنطبق وتنطبق علي بدرجة كبيرة (82) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. وهذا يشير الى أن الطلبة يمتلكون وعياً أخلاقياً واجتماعياً في بيئتهم الرقمية، ويتعاملون مع وسائل التواصل بما يتفق مع القيم الثقافية والاجتماعية السائدة. ويعني هذا أن الثقافة الرقمية لديهم ليست مقتصرة على الجانب المهاري فقط، بل تمتد إلى الإبعاد القيمية والسلوكية، مما يعكس تكامل الثقافة الرقمية لديهم بين المعرفة، المهارة والمسؤولية.

ثانياً. الفقرات ذات المتوسطات الأقل (لكن ضمن المستوى المرتفع)

وجاءت بالمرتبة العاشرة وبمتوسط حسابي مرتفع (3.73) وانحراف معياري (1.14) الفقرة الآتية (أميز بين المواقع الموثوقة وغير الموثوقة عند البحث عن المعلومات" وبأجمالي تنطبق وتنطبق علي بدرجة كبيرة (58) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. يشير هذا الى أن الطلبة يمتلكون قدرة لا بأس بها على التحقق من موثوقية المعلومات الرقمية، إلا أن هذا الجانب ما زال يحتاج الى تنمية إضافية، فالكثير من الطلبة يملكون مهارة البحث الإلكتروني لكنهم قد يفتقرون الى مهارات التقييم النقدي للمصادر أو معايير الثقة في المواقع الإلكترونية.

جاءت بالمرتبة الحادية عشر وبمتوسط حسابي مرتفع (3.61) وانحراف معياري (1.27) بإجمالي تتطبق وتتطبق علي بدرجة كبيرة (62) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة الفقرة الآتية "أستخدم البريد الإلكتروني أو التطبيقات التعليمية للتواصل مع أساتذتي وزملائي" و أيضا الفقرة "أجد صعوبة في استخدام الأدوات الإلكترونية لعرض أفكارتي بشكل مبتكر مثل الفيديو أو باوربوينت" بمتوسط حسابي (3.61) وانحراف معياري (1.16) وإجمالي تتطبق وتتطبق علي بدرجة كبيرة (52) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. الفقرتان تعكسان بعدين مختلفين من التفاعل الرقمي : الأولى . تشير إلى أن الطلبة يستخدمون أدوات التواصل الأكاديمي الرقمية مثل (البريد او التطبيقات التعليمية) بشكل جيد ولكن دون اتساع كاف. أما الثانية فتظهر أن الطلبة يواجهون بعض التحديات في توظيف الأدوات التقنية الإبداعية التي تتطلب إنتاج محتوى رقمي متقدم. وهذا يدل على أن مستوى الكفاءة الرقمية لدى الطلبة أعلى في الاستخدام التفاعلي الأساسي لكنه أقل في الجانب الإبداعي والابتكاري للتقنيات التعليمية.

جاءت بالمرتبة الثانية عشر وبمتوسط حسابي مرتفع (3.60) وانحراف معياري (1.21) الفقرة "أستخدم أي معلومة من الانترنت دون التأكد من صحتها" . وإجمالي تتطبق وتتطبق علي بدرجة كبيرة (58) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة . رغم أن الفقرة جاءت بمتوسط مرتفع، إلا أن مضمونها السلبي "أي الاقدام على استخدام المعلومات دون تحقق" يعني أن بعض الطلبة لا يلتزمون بشكل كاف بمعايير التحقق العلمي وهو ما يشير الى جانب ضعف في التفكير النقدي الرقمي، ويحتمل ان ارتفاع المتوسط هنا يعود الى قلة وعي الطلبة بخطورة المعلومات المضللة على الانترنت.

جاءت بالمرتبة الثالثة عشر وبمتوسط حسابي مرتفع (3.52) وانحراف معياري (1.42) الفقرة "أنسخ الأبحاث أو المقالات من الانترنت دون أن اذكر المصدر" وبإجمالي تتطبق وتتطبق علي بدرجة كبيرة (58) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة.

رغم أن المتوسط جاء مرتفعا نسبيا إلا أن مضمون هذه الفقرة يظهر سلوكا غير أخلاقي من الناحية الأكاديمية، يعكس ضعفا في الالتزام بالملكية الفكرية الرقمية . وقد يعود الى ضعف الوعي بأساليب التوثيق الإلكتروني، أو الى الضغوط الأكاديمية التي تدفع الطلبة أحيانا لاستخدام النسخ دون الإشارة للمصدر.

ورغم أن اغلب الطلبة أظهروا التزاما في فقرات أخرى تتعلق بالأخلاقيات الرقمية، إلا أن هذه الفقرة تؤكد الحاجة الى مزيد من التوعية بأخلاقيات البحث الرقمي.

جاءت بالمرتبة الرابعة عشر والأخيرة الفقرة "أشارك في مجموعات دراسية عبر الانترنت لتبادل المعلومات مع زملائي" بمتوسط حسابي مرتفع (3.49) وانحراف معياري (1.60) وإجمالي تتطبق وتتطبق علي بدرجة كبيرة (59) مستجيب من أصل (100) طالب وطالبة. جاءت هذه الفقرة بالمرتبة الأخيرة رغم كونها بمستوى مرتفع، يشير الى أن الطلبة يستخدمون البيئة الرقمية بشكل فردي أكثر من استخدامها التعاوني. فالميل الى التعلم الذاتي الفردي يبدو أقوى من المشاركة الجماعية في المجموعات الرقمية. وقد يعزى ذلك الى قلة انتشار ثقافة التعلم التشاركي عبر الانترنت، ونقص التدريب على استخدام أدوات التعاون الرقمي مثل (Google Classroom, Teams) :

الهدف الثاني: التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة تبعا لمتغير : الجنس (ذكر، أنثى)، التخصص (علمي، أنساني)، الخبرة بالتكنولوجيا (مبتدئ، متوسط، متقدم)

ولتحقيق هدف البحث وضعت الباحثة الفرضية الآتية: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الثقافة الرقمية لدى عينة البحث تبعا لمتغير الجنس، التخصص، الخبرة بالتكنولوجيا" وللتحقق من هذا الفرض تم إجراء التحليل الإحصائي الآتي

وكما موضح في الجداول الآتية.

جدول (8)

الفروق في متوسط درجات افراد العينة تبعا لمتغير الجنس

الجنس	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت) المحسوبة	قيمة (ت) الجدولية	الدلالة عند
ذكر	40	81.00	7.17	98	0.23	1.98	غير دالة
أنثى	60	79.27	6.95				

يبين الجدول رقم (8) أن قيم (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات الذكور والإناث غير دالة احصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، حيث جاءت قيمة (ت) المحسوبة والبالغة (0.23) أقل من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.98)، ويعني هذا عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في مستوى الثقافة الرقمية، وأنهم يمتلكون مستوى متقارباً من الثقافة الرقمية، وأن الجنس لم يعد عاملاً مؤثراً في مستوى امتلاك الطلبة للمعارف والمهارات والسلوكيات الرقمية. ويمكن تفسير ذلك بأن الأدوات الرقمية (كالهواتف الذكية، والانترنت، والمنصات التعليمية) أصبحت متاحة بشكل متساوٍ لكلا الجنسين مما قلل من الفجوة الرقمية التقليدية بين الذكور والإناث. كما أن اعتماد الجامعات على التعليم الإلكتروني والتطبيقات التعليمية خلال السنوات الأخيرة جعل الطلبة جميعهم - ذكورا وإناثا مضطرين لاستخدام التكنولوجيا بشكل متقارب، مما رفع من مستوى الثقافة الرقمية العام لديهم. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (محفوظ وسميرة 2023).

جدول (9)

الفروق في متوسط درجات أفراد العينة تبعا لمتغير التخصص

التخصص	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة (ت) المحسوبة	قيمة (ت) الجدولية	الدلالة عند
علمي	76	79.98	0.79	98	0.95	1.98	غير دالة
أنساني	24	79.88	7.78				

يبين الجدول رقم (9) أن قيم (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات التخصصات العلمية والإنسانية غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، حيث جاءت قيمة (ت) المحسوبة والبالغة (0.95) أقل من قيمة (ت) الجدولية والبالغة (1.98) ويعني هذا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الثقافة الرقمية بين طلبة التخصصات العلمية والإنسانية. وتشير هذه النتيجة إلى أن طلبة الجامعة في كلا التخصصين (العلمي والإنساني) يمتلكون مستوى متقارباً من الثقافة الرقمية، وأن التخصص الدراسي لم يعد عاملاً مؤثراً في اكتساب المعرفة والمهارات والسلوكيات الرقمية. ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن معظم الجامعات اليوم تعتمد على منصات الكترونية (منصات التعليم الإلكتروني Google classroom, Moodle,) موحدة لجميع الطلبة بغض النظر عن تخصصاتهم، مما أتاح لهم فرصاً متكافئة لاكتساب المهارات الرقمية. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (محفوظ وسميرة، 2023) و دراسة (يوسف، 2024)

جدول (10)

تحليل التباين الاحادي لافراد عينة البحث تبعا لمتغير الخبرة بالتكنولوجيا

مصدر التباين source	مجموع المربعات SS	درجات الحرية DF	متوسط المربعات MS	F المحسوبة	F الجدولية	مستوى الدلالة 0.05
بين المجموعات	158.112	2	79.056	1.61	3.09	غير دالة
داخل المجموعات	4769.728	97	49.172			
المجموع	4927.840	99				

يظهر الجدول رقم (10) أن قيمة F المحسوبة والبالغة (1.61) اقل من قيمة F الجدولية البالغة (3.09) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجات حرية (2, 97) هذه النتيجة تدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة تبعا لمتغير الخبرة بالتكنولوجيا، تشير هذه النتيجة الى أن مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة متقارب بغض النظر عن درجة خبرتهم التقنية السابقة، أي ان الطلبة ذوي الخبرة المحدودة لا يقلون كثيراً عن زملائهم الأكثر خبرة في امتلاك المهارات والمعارف والسلوكيات الرقمية. ويمكن تفسير ذلك بأن الجامعات اليوم تستخدم تقنيات رقمية موحدة في التعليم والتواصل والإدارة (منصات تعليمية، تطبيقات، محاضرات رقمية...) ما جعل جميع الطلبة يتعاملون مع التكنولوجيا بصورة متكررة ومتقاربة، كما لم تعد الثقافة الرقمية مقتصرة على من يمتلك خبرة تقنية عالية، بل أصبحت جزءاً من الممارسات اليومية (التواصل، البحث، الدراسة) مما جعل جميع الطلبة يمتلكون الحد الأدنى المشترك من الكفاءة الرقمية.

الهدف الثالث: الكشف عن العلاقة بين مستوى الثقافة الرقمية ومتغير (التخصص، الجنس، الخبرة

بالتكنولوجيا) لدى طلبة الجامعة . ولتحقيق الهدف وضعت الباحثة الفرضية الآتية:

" توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين كل من الجنس، التخصص، الخبرة بالتكنولوجيا ومستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة " وللتحقق من هذا الفرض تم إجراء التحليل الإحصائي الآتي وكما موضح في الجدول رقم (11).

جدول (11)

نتائج الارتباط بين التخصص و الثقافة الرقمية

المتغير	التخصص	الثقافة الرقمية
التخصص	1	-0.007
الثقافة الرقمية	-0.007	1
الدلالة المعنوية	0.95	

يظهر الجدول رقم (11) أن قيمة الدلالة المعنوية (0.95) اكبر من 0.05 مما يعني أن العلاقة بين التخصص والثقافة الرقمية ليست دالة إحصائية، إذن نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري بأنه لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين التخصص والثقافة الرقمية وقيمة معامل الارتباط تساوي (-0.007) وهي علاقة ضعيفة جدا وغير دالة .

جدول (12)

نتائج الارتباط بين الجنس والثقافة الرقمية

المتغير	الجنس	الثقافة الرقمية
الجنس	1	0.12
الثقافة الرقمية	0.12	1
الدلالة المعنوية	0.23	

يظهر الجدول رقم (12) أن قيمة الدلالة المعنوية (0.23) اكبر من 0.05 مما يعني أن العلاقة بين الجنس والثقافة الرقمية ليست دالة إحصائياً، إذن نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري بأن لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين الجنس (ذكر، انثى) والثقافة الرقمية . وقيمة معامل الارتباط تساوي (0.12) وهي علاقة ضعيفة وغير دالة إحصائياً، أي لا توجد علاقة حقيقية بين الجنس والثقافة الرقمية. وتشير هذه النتيجة إلى أن الجنس لا يؤثر على مستوى الثقافة الرقمية.

جدول (13)

نتائج الارتباط بين الخبرة بالتكنولوجيا و الثقافة الرقمية

المتغير	الخبرة بالتكنولوجيا	الثقافة الرقمية
الخبرة بالتكنولوجيا	1	-0.04
الثقافة الرقمية	-0.04	1
الدلالة المعنوية	0.67	

يظهر الجدول رقم (13) أن قيمة الدلالة المعنوية (0.67) اكبر من 0.05 مما يعني أن العلاقة بين الخبرة بالتكنولوجيا والثقافة الرقمية ليست دالة إحصائياً، إذن نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري بأن لا يوجد ارتباط ذو دلالة معنوية بين الخبرة بالتكنولوجيا والثقافة الرقمية. وقيمة معامل الارتباط تساوي (-0.04) وهي علاقة ضعيفة جداً وغير دالة إحصائياً، أي لا توجد علاقة حقيقية بين الخبرة بالتكنولوجيا والثقافة الرقمية . وتشير هذه النتيجة إلى أن اختلاف مستوى الخبرة التقنية بين الطلبة (مبتدئ، متوسط، متقدم) لا يؤدي إلى فروق أو علاقات واضحة في مستوى الثقافة الرقمية.

الاستنتاجات : في ضوء نتائج البحث تستنتج الباحثة ما يلي

1. أن طلبة الجامعة يتمتعون بمستوى مرتفع من الثقافة الرقمية، مما يشير إلى أن البيئة الجامعية أصبحت مشبعة بالممارسات التقنية اليومية في التعليم والتواصل.
2. يحتل الجانب الأخلاقي المرتبة الأولى بين مكونات الثقافة الرقمية لدى الطلبة، مما يدل على وعيهم بأهمية القيم والسلوك المسؤول في الفضاء الإلكتروني واحترامهم لحقوق الآخرين عند استخدام أو مشاركة المواد عبر الإنترنت.
3. ارتفاع مستوى المهارات التقنية الأساسية لدى الطلبة مثل تثبيت البرامج وحل المشكلات التقنية البسيطة، وهو ما يعكس تمكنهم من التعامل العملي مع الأدوات الرقمية.
4. بعض أبعاد الثقافة الرقمية ما زالت بحاجة إلى تعزيز خصوصاً تلك التي تتعلق بـ : التحقق من المعلومات ومصادقيتها، الالتزام بحقوق الملكية الفكرية، تنمية مهارات الابداع والتواصل التعاوني في البيئة الرقمية.
5. عدم وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين الثقافة الرقمية وكل من متغيرات الجنس، والتخصص، والخبرة بالتكنولوجيا مما يعني أن هذه المتغيرات لا تؤثر تأثيراً معنوياً في مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعة.

التوصيات: توصي الباحثة بما يلي:

1. إقامة دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة حول توظيف التكنولوجيا في التعليم بما يساهم في تعزيز مهارات التفكير النقدي والابداع لدى الطلبة، وليس الاقتصار على الاستخدام الآلي للتقنيات.
2. تنظيم ورش عمل للطلبة تهدف الى تطوير مهارات الابداع الرقمي من خلال تدريبهم على تصميم العروض التفاعلية ومهارات التصميم الرقمي واستخدام الادوات التقنية الحديثة في تنفيذ المشاريع والأنشطة الجامعية.
3. إقامة ورش توعوية للطلبة حول أساليب التحقق من المعلومات ومهارات التعامل مع المصادر الرقمية، بما يعزز السلوك المسؤول والتفكير النقدي عند استخدام الفضاء الالكتروني.
4. تعزيز وعي الطلبة بأخلاقيات الثقافة الرقمية من خلال ادخال وحدات تعليمية ضمن المناهج الجامعية تتناول موضوعات النزاهة الرقمية، وأمانة التوثيق العلمي، واحترام الملكية الفكرية في البيئة الأكاديمية.

المقترحات: تقترح الباحثة ما يلي :

1. إجراء دراسة للكشف عن العلاقة بين مستوى الثقافة الرقمية والتحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعة للتعرف على أثر الثقافة الرقمية في تحسين الأداء الأكاديمي..
2. إجراء دراسة للكشف عن العلاقة بين الثقافة الرقمية ومهارات التفكير الإبداعي أو حل المشكلات لدى طلبة الجامعة.

المصادر العربية :

1. عبد القادر، رمضان محمود عبد العليم . (2019) . الثقافة الرقمية لدى طلاب الدراسات العليا التربوية بالجامعة المصرية في ضوء متطلبات الاقتصاد القائم على المعرفة، مجلة كلية التربية جامعة الأزهر، 184، الجزء 3، ص 1537-1593.
2. 2.لولي، حسية .(2017). الثقافة الرقمية وسط الشباب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 29، ص ص 61-72.
3. محفوظ، عرابي، وسميرة، هارون (2023). مستوى الثقافة الرقمية لدى طلبة الجامعات الجزائرية في ضوء متطلبات التعليم الالكتروني، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، العدد 14، المجلد 1، ص ص 78-98 .
4. يوسف، اولاد حسيني (2024). الثقافة الرقمية وعلاقتها بتعزيز التعليم الالكتروني لدى الطالب الجامعي : دراسة ميدانية بجامعة تامنغست، مجلة علوم الانسان والمجتمع، العدد 4، المجلد 13، ص ص 134-156.

المصادر الأجنبية

1. Arslantas , T.,& Gul., A., (2022). Digital Literacy Skills of University Students with visual impairment : A mixed-methods analysis, Education and Information Technologies, 27 (4), pp. 5605- 5625. <https://doi.org/10.1007/s10639-021-10860-1>
2. 6.Chen, F., (2025). The Relationship between Digital Literacy and College Student's Academic Achievement: The chain mediating role of learning adaptation and online self-regulated learning ,Frontiers in Psychology, 16,103389. <https://doi.org/103389/fpsyg.2025.1590649>
3. 7.DeCarlo, M., Grant , A., Lee, J., & Neuman , D. (2018). Information and Digital Literacies in a Kindergarten Classroom: An I-LEARN Case study , Early Childhood Education Journal ,46(3),pp.265-275.

4. Gilster , P.,(1997) .Digital Literacy ,New York :Wiley computer pub. 8.
5. 9. Hatlevik, O.E., & Christophersen, K.A.(2013). Digital competence at the beginning of upper secondary school. Computers & Education , 63,pp176-185.
6. 10. Ilomäki, L., Paavola, S., Lakkala, M., & Kantosalo, A .(2016). Digital competence- An emergent boundary concept for policy and educational research .Education and information Technologies, 21(3),pp655-679.
7. 11. Ng, W.(2012).Can we teach digital natives digital literacy ? Journal of Computers & Education ,59(3),pp1065-1078.
8. 12. Siddiq,F., & Scherer, R.(2019). Is there a gender gap? A meta – analysis of the gender differences in students' ICT literacy , journal of Educational Research Review,27,pp.205-217,<https://doi.org/10.1016/j.edurev.2019.03.007>
9. 13. Xiu ,L., & Li, H.(2024). The digital literacy gap among university students : Usage versus critical awareness. Journal of Educational Technology Development and Exchange, 17(1),pp45-63.